والصناعة الوا
ربى وقلب أوروبى
معدن العصر
متحف

سانيو
SANYO
20″
CMD 6036

العـــدد ٣٥٠ السـنة الحـادية والثلاثـون يـنـايـر ١٩٨٨

مجـلة ثقـافية مصورة تصدر شهريًا عن وزارة الإعـلام
بدولـة الكويت
للوطن العـربي ونـشـرق رؤ عـربيـة في العـالم

رئيس التحـرير
د. محـمد الرميحي

AL ARABI
Issue No. 350-Jan 1988 - P O Box 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic Magazine in Colour Published by Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ ـ الصفـاة
الرمـز البريـدي 13008 - الكـويت
تلفون . ٢٤٣٩٧٢٨ ـ ٢٤٦٨٢٤٢ ـ ٢٤٢٧١٤١
برقيـا "العربي" ـ الكويت ـ تلكس MIER 44041KT
تلفون فكسملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحـريـر

الإعـلانات يـتفق عـليـهـا مـع الادارة ـ قسـم الاعـلانات

الاشتراكات
ترسل الطلبات الى قسم الاشتراكات ـ المكتب الفـني
وزارة الاعـلام ـ ص ب. ١٩٣ ـ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقا لما يلي :
الوطن العـربي ٤ د.ك باقي دول العـالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٤٠٠ مليم	سوريـا ١٠ ليرات
العـراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	الإمـارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغـرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليـبيا ٣٥٠ درهمًا
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطـر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصـر ٣ قرشا	سلطنة عمان ربع ريـال	فـرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشا	لبنـان ١٥ ليرة	أميركا دولاران

محتويات العدد

صـــورة الغـــلاف

العربي تأخذك هذه المرة إلى مالطة، تلك البلاد التي أخذت لسان العرب، لكنها بقيت أوروبية القلب.

(طالع ص٣٦)

البيت العربي
مجلة الأسـرة والمجتمع

عزيزي القارئ

هذا عدد جديد نفتتح به سنة جديدة لمجلة « العربي » في مسيرتها الطويلة المثمرة مع الثقافة وتتراحم الموضوعات التي يمكن أن نتحدث فيها معك عزيزي القارئ ، وعلى رأسها رسالة كريمة من أخ عربي كريم ، هو بجانب موقعه العسكري والسياسي رجل مثقف هذه الرسالة من العماد مصطفى طلاس الذي يحمل على كاهله مجموعة من المسئوليات الكبيرة في القطر العربي السوري ، لكنه خاطبنا هذه المرة بصفته إنسانا عربيا متنبها متابعا ، فقال في رسالة وصلتنا أخيرا « بعد الاطلاع على العدد ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧ يرجى إبلاغ الباحث العربي ضرورة قدومه إلى دمشق ، لمراجعة مركز الأبحاث العلمية من أجل تبني اختراعه وإخراجه إلى حيز التنفيذ ، متمنيا لمجلتكم الرائدة (العربي) التقدم والازدهار ، لتبقى منارا يشع بجوهر الحقيقة والمعرفة وكنا قد تعرضنا في العدد المشار إليه لقضية علمية هي اختراع عربي ، طاف به صاحبه فلم يجد الباب المفتوح لتبني اختراعه

وهكذا على صفحات «العربي» يلتقي العالِم العربي بمصر مع رجل السياسة والسيف والثقافة بسوريا ، مع القارىء في اليمن ، والأديب في المغرب ، وبكل مهتم بالثقافة على هذه الأرض العربية الطيبة المعطاء ، وحسب «العربي» أن تلعب هذا الدور

وفي سنتنا الجديدة نقدم للقارىء مجموعة من المبادرات الثقافية ، فقد بدأنا اعتبارا من هذا العدد بابا للنقد الموضوعي ، من أجل الاسهام والبناء في تطوير الحياة الثقافية والفكرية في وطننا العربي ، والباب مفتوح كي يساهم فيه من يرغب من القادرين على المساهمة وفاتحة هذا الباب نقد كتبه زميلنا أبو المعاطي أبو النجا

ولقد أثمر التفكير والتخطيط والاعداد كي نبدأ بهذا العدد مسيرة تطوير « العربي » على أسس راسخة ، ولن نحدثك طويلا في هذا الموضوع ، لأن العدد الذي بين يديك يتحدث عن نفسه ، وإلى اللقاء

المحرر
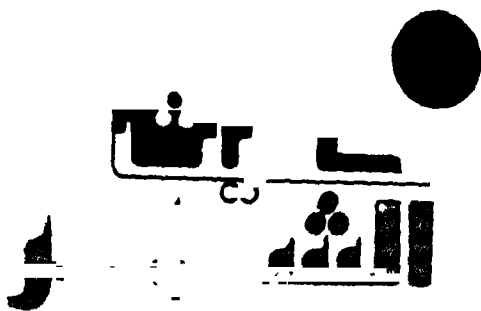
بقلم الدكتور
محمد الرميحي

سنوات إعادة النظر

عندما نرحب بمقدم عام جديد هو ١٩٨٨ الذي أطل علينا ،
فنحن مثل ملايين البشر الذين يسرقهم الانتقال الزماني كي يقفوا لحظة
، يطمحوا أن تحقق الأيام والشهور القادمة وضعا أفضل للإنسانية
ولكن سمة التفكير العلمي الصحيح تختلف عن التكهن والتوقع غير
المحسوب . التفكير العلمي يدعونا - إن أردنا استشراف المستقبل - أن
ننظر إلى الماضي فنعي دروسه ونفسر نتائجه ومن أبرز الأحداث
العالمية في السنة المنصرمة - والتي من المحتمل أن تؤثر تأثيرا كبيرا على
أحداث السنة الجديدة وما يليها - هو الانهيار في سوق البورصات العالمية
الذي وصل إلى إحدى قممه يوم الاثنين التاسع عشر من اكتوبر

الماصي ، والدي سمي (بيوم الاتنين الاسود) ، فعندما حلس مالكو الأسهم الأمريكيون دلك المساء للعشاء كانوا افقر بمقدار (٥٠٠) حمسمائة مليون دولار ، عما كانوا عليه عندما تناولوا إفطارهم ، لكن الأسهم الأمريكية كانت قد حسرت بمرور عام من دلك التاريخ ما يقدره الخبراء بـ (ترليون) دولار !

وقد سمع صدى هده الحساره بسرعة في البورصات العالميه ، من لندن إلى هونج كونج ، وأثرت في قطاعات واسعه من الناس ، باشكال وسحن ومداهب مختلفة في أقطار شتى من العالم

وتدكر العالم ما حدث قبل حوالي ستين عاما ، عندما بدا الانهيار الكبير في عام ١٩٢٩ حيث كانت بدايته في (وول ستريت) شارع المال في نيويورك ، وما لبث أن انسحب ايضا على العالم في شكل انكماش صحم ، ولم تكد تمضي عشر سنوات بعد دلك حتى دخلت البشرية في حرب طاحنة

لدلك فإن انهيار أسعار الأسهم الدي تفاقم في الربع الأخير من العام الماضي ، بالنسبة للكثيرين يعتبر مؤشرا أهم من خسارة بضعة بليارات من الدولارات إنه ليس خساره ماليه فقط ، بل إنه انذار بأن النظام الرأسمالي ـ كما عرفناه ـ يكاد ينهار برمته وفي ظروف العالم

■ اكتشف الصينيون أنّ النظامَ الرأسمالي منقلبٌ سريعُ الزوالِ ، فدفنوهُ وَأهالوا عليهِ الترابَ !

السياسيه والعسكريه المحيطه بنا ، ربما لن يلجأ العالم إلى حرب عالميه كما سبق أن فعل حيث ستكون تلك الحرب ـ إن وقعت ـ باهظة التكاليف إنسانيا ، إلا أن الحلول والمخارج الأخرى المطروحه قد تعنينا مباشرة ، في العالم الثالث ، حيث مناطق الانفجار والتفجير متعددة ، كما قد تعنينا نحن في الوطن العربي ، حيث الثروة المعدنية والموقع الجغرافي فأسباب التأزم هناك في النظام الرأسمالي والمجتمعات التي تأخذ به ، لكن نتائج هذا التأزم قد تؤثر علينا .

النظـــام الرأسمـالي هــل سـيبقى ؟

☐ قد يكون السؤال السابق في صيغته المطروحة استفزاريا لبعضهم ، لكن هذا السؤال بصياغات مختلفة ، قد بدأ يطرح في الغرب ، لا لما ليس من أجل البحث عن بديل ، بل من أجل الإصلاح والتطوير ، لكنه كسؤال قد بدأ طرحه

هناك وجهات نظر قوية ، يدافع عنها مفكرون هم مكانتهم في مجتمعاتهم تقول بقرب نهاية النظام الرأسمالي ، فها هو مثلا (لويس لافام) رئيس تحرير المجلة الأمريكية واسعة الانتشار (هاربر Harper) ، يقول (إن النظام الرأسمالي لن يبقى مخلدا ، إنه في نظري مجرد نظام له ميكانيكيته الخاصة به ، لقد اكتشفه الصينيون في القرن الحادي عشر ، وقرروا أنه نظام خطر ، متقلب ، سريع الزوال ، لذا عمدوا إلى دفنه في باطن الأرض وأهالوا عليه التراب)

وبعضهم يرى أن هذا النظام (الرأسمالي) بصياغاته المتعددة ، قد فشل الآن في تحقيق أهم أهدافه المعلنة ، وهي الاستقرار ، أما تفاصيل أشكال الفشل فهي كثيرة كما أن آخرين يعتقدون أن فشل النظام الرأسمالي ، هو مكون رئيسي في داخل هذا النظام نفسه . فالجري اللاأخلاقي وراء الأرباح سيعمل في النهاية على إفساد المجتمع وتخريبه . فكسب الربح فقط يؤدي إلى إنتاج سلع ضارة ، وتسويقها على المستوى المجتمعي الضيق ، أو على المستوى الدولي ، كما أنه يؤدي أيضا إلى ممارسات لا إنسانية

وقائع الأحداث في السنوات القليلة الأخيرة تشير إلى أنه حتى النظام الرأسمالي المقنن ، الذي ظهر وتطور فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، قد بدأ الابتعاد عنه منذ السبعينيات ، وكان هذا الابتعاد تحت تصور مفاده أن ذلك النظام المقنن من حيث تنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب العمل ، وتحديد مستويات عادلة للأجور وضمانات صحية واجتماعية كثيرة ، إن كل ذلك من أسباب الأزمة التي ظهرت في

هنالك انفصام في النظام الرأسمالي بين النظرية وبين التطبيق
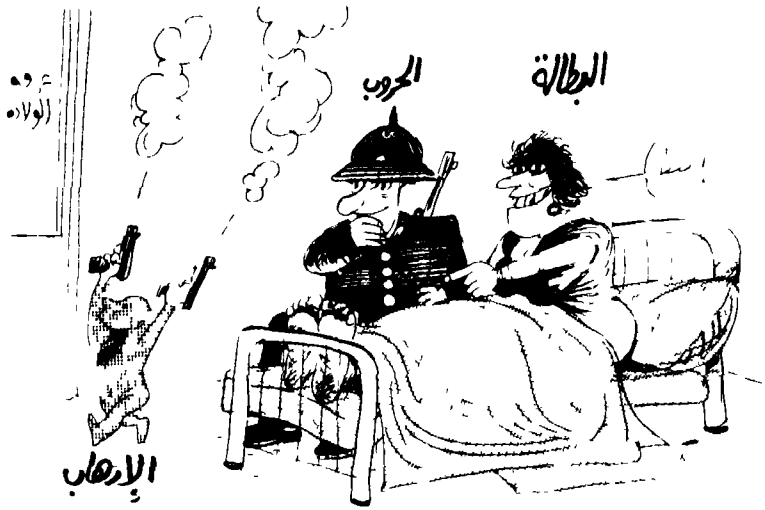
السعسات ، لذلك لابد من العودة - في نظرهم - إلى مبادئ النظام الرأسمالي في سنواته الأولى ، أي إطلاق قوى السوق كي تنظم المجتمع ، وهي من ضمن أمور أخرى حرية العمل ، وعدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، أو كما قال ملتون فردمان ، أحد المنظرين الرئيسيين هذا التوجه (إن العمل الوحيد للرأسمالي الكفء ، هو زيادة الارباح إلى حدها الأقصى ضمن حدود القانون الذي سنته السلطات التشريعية)

بين التاتشرية والريجانية

☐ المشكلة أن هذا التوجه النظري وجد من السياسيين - في بحثهم عن حلول سريعة - من يأخذ به حرفيا ، فكانت ظاهرة (التاتشرية) نسبة إلى السيدة مارجريت تاتشر في بريطانيا ، والريجانية ، أو ما سميت في وقت لاحق (بالريجونومي Regonomy) أي السياسة الاقتصادية الخاصة بالرئيس رونالد ريجان في الولايات المتحدة

هذه السياسة وفرت القوانين التشريعية التي يطالب بها « ملتون فردمان » ومؤيدوه ، وفي إطار من المحافظة الشديدة توجه الاقتصاد الرأسمالي في أوروبا والولايات المتحدة إلى تلك الأهداف ، وهي إطلاق

في السوق العمياء ، فكان محركها الرئيسي هو الجشع ، الذي أنتج الانهيار

« جون كينيث جالبريث » احد المعلقين المشهورين كتب في جريدة (صنداي تايمز) اللندنية يعلق هازئا على ما سماه « مبدأ ريجان ـ تاتشر » الاقتصادي ، يقول ان هذا المبدأ يمكن تلخيصه في الآتي (ان الأغنياء لم يعملوا لقلة ما لديهم من مال ، وان الفقراء لم يعملوا لأن لديهم مالا كثيرا)

مقولة مختصرة لكنها تلخيص قد يكون حقيقيا للتطورات التي حدثت بعد ذلك

وحتى تتحقق الافكار الاقتصادية الجديدة قلصت الحكومات الرأسمالية في أوروبا والولايات المتحدة تدخلها في الشؤون الاقتصادية ، تاركة كل ذلك للقطاع الخاص وقوى السوق ، وبيعت ـ خاصة في بريطانيا ـ المشروعات الحكومية الناجحة ، وكل ذلك قد نشط الاقتصاد بعض الوقت ، الا ان هذا التنشيط كان مؤقتا ، فقد وصفه احد الاقتصاديين البريطانيين ـ بالنسبة لسيدة تاتشر على الاقل ـ بأن مثلها مثل من باع قصبات العائلة ـ اشارة إلى بيعها لأكبر الشركات

■ مبدأ ريجان ـ تاتشر الاقتصادي بقول إن الأغنياء يزدادون غنىً والفقراء يزدادون فقرًا

الحكومية نجاحا ـ والمعنى واضح ، وهو أن الأموال التي دخلت من (قصبات العائلة) هي اموال مؤقتة غير دائمة

ان التطبيق الكاسح لما عرف (بالنظرية النقدية) ـ مدرسة « ملتون فريدمان » ، ومدرسة شيكاغو الاقتصادية ، في محاولة لإصلاح عيوب النظام الرأسمالي ـ قد أدى إلى ظهور عيوب جديدة وعميقة ، فقد أصبح العالم ـ كل العالم ـ يعاني من مشكلة العجز الهائل في ميزانية الولايات المتحدة ، واصبح واضحا أن هناك انفصاما بين النظرية وبين الواقع ، مهما حاول السياسيون ان يطوعوا ذلك الواقع كي يتلاءم مع معتقداتهم او رغباتهم السياسية
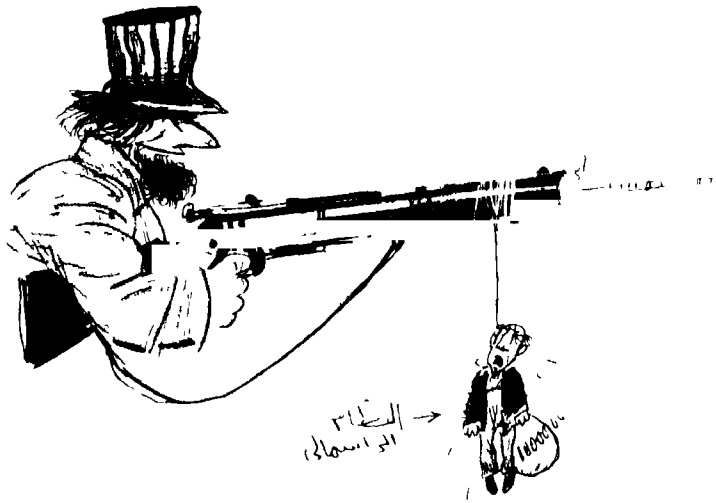
لقد تفاقم العجز المالي في الميزانية الأمريكية بسرعة في سنوات رونالد ريغان ، فكما وصفه أحد المعلقين الاقتصاديين بعد الانهيار في اكتوبر الماضي بقوله (لقد أخذ **٣٩** رئيسا للولايات المتحدة و **٩٦** مجلس نواب مائتي سنة لإكمال أول تريليون دولار من الدين الاتحادي ، ولقد أخذ الرئيس الأربعون (رونالد ريغان) اربع سنوات فقط لمضاعفة هذا الدين !)

وفي اقتصاد أصبح عالمنا أكثر تشابكا مما كان في العشرينيات ، فإن الاضطراب في أي جزء فيه يسبب اضطرابا في أجزاء أخرى ، فالاقتصاد بمعنى الكلمة اليوم (عالمي) ، ونتائج هذا الاضطراب يمكن أن تكون عالمية بشكل أخطر مما كان عليه في سنة **١٩٢٩**

العـــودة الى الأصـــول

□ الفكر الرأسمالي الذي ساد منذ فترة حاول أثناء التطبيق تعديل مساره نتيجة للأزمات التي مر بها ، إلا أن القضية في نظري أبعد من ذلك قليلا . فهي ليست مقصورة على المدخل الاقتصادي البحت ، وإن نظرنا إليها كذلك فإن تلك النظرة ـ على الأقل ـ قاصرة !

بعض الغلاة يذهب حتى إلى القول بأنه لا يوجد « علم » اقتصاد أو « علم » سياسة ، بعيدا عن واقع المجتمع وتفاعلاته ، وأحسب أن الخبرة السابقة في السنوات القليلة الماضية قد أثبتت جزئيا هذه المقولة ، فهناك (نظام اقتصادي اجتماعي سياسي) متكامل يجب النظر إليه وتحليله ، لا اقتصاد فقط أو سياسة فقط . . الخ وفي العزل القسري لمكونات المجتمع التي هي واحدة في الواقع ، إصرار بالفهم الصحيح للمشكلة الهيكلية

وفي الماضي غير البعيد كان (النظام الاقتصادي ، الاجتماعي ، السياسي) الذي يعيش الناس في ظله يؤخذ على أنه أمر واقع لا خيار للناس فيه ولا سبيل إلى مناقشته ، وكان بين الناس الذين يعيشون ذاك الزمان والذين كان مصدر دخلهم في الغالب هو استغلال الأرض ، أناس فقراء وآخرون مرضى أو مضطهدون ، وبالتالي كانت هناك فئات من الناس الذين لم يكونوا يشعرون بالسعادة ، إلا أن الكثيرين منهم كانوا يرجعون السبب في شقائهم ، إما لأشياء ملموسة أو لأمور حدثت بالصدفة ، لسوء الحظ أو سوء الصحة أو صدفة المولد ، أو مكائد الأعداء ، وقد يردونها إلى أسباب بعيدة عن الإدراك الحسي كأن يرجعوا السبب إلى الطبيعة البشرية أو القدر ، أما فكرة وجود خلل في النظام الاجتماعي ، وكون هذا الخلل هو أحد الأسباب المهمة لهذا الشقاء والتعاسة البشرية ، فلم تظهر إلى الوجود إلا في العصور المتأخرة من هنا بدأ البحث لتحديد طرق وإمكانيات رفع الظلم والاستغلال وعلاج الفقر والفاقة ، وظهرت نظريات عديدة لشرح مسيرة البشرية وتفسيرها وتوقع ما سيحدث فيها هذه النظريات اعتمدت على فكرة رئيسية هي أن الفقر والظلم والفاقة من صنع الإنسان ، وأن الخلل الاجتماعي
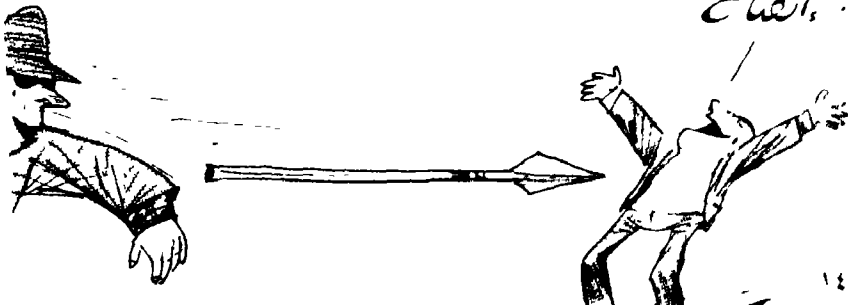
المشاهد ما هو إلا نتاج لقرارات وتصرفات بعض البشر ، والأنظمة التي يختاروها لتسيير حياتهم

لذلك جاءت الكتابات الكثيرة في شرح عيوب النظام الرأسمالي الذي يحل (الأرباح) محل كل القيم الإنسانية ، ويعتبر أن (الثروة) هي أحسن ما في الوجود ، لأن الإنسان يمكن أن يحصل على كل شيء بواسطتها ، ويتجه الناس في هذا النظام للبحث عما يغنيهم لا ما يرضيهم

في إطار هذه الفلسفة تصاعدت الأزمات في المجتمعات الرأسمالية وفي مجتمعات العالم الثالث التي سقطت تحت وطأة الديون ، وبيع إنتاجها بأبخس الأثمان

الأعـــوام القـــادمــــة

□ في عالم كهذا لا يوجد مع الأسف أي أمل للتفاؤل ، وفي واقعنا العربي ننظر إلى العام الجديد بخيفة ووجل ، فهناك حرب ضارية في الخليج تمول آلاتها الحربية (٢٧) سبع وعشرون دولة ، منها (١٩) دولة تمول الطرفين المتحاربين بآلات الدمار ، وهناك انخفاض في الأسعار الحقيقية للصادرات ، سواء أكانت نفطا أم غيره ، وهناك مشكلات اقتصادية وديون خارجية يئن تحت وطأتها كثير من العرب ، كل ذلك إلى جانب فشل كبير في الكثير من خطط التنمية وفي الوقت نفسه تتأرجح كثير من الأقطار العربية بين (انفتاح) اقتصادي على أسوأ أشكال الرأسمالية تطبيقا أو (انغلاق) غير مصاحب بتنمية مصادر حقيقية للثروة

هذا الواقع يشكل حالة ذهنية خطيرة تعمل على تقويض الأمن العالمي وإثارة الفوضى في أرجاء المعمورة

هل كنت متشائما أكثر من اللازم في الترحيب بالسنة الجديدة ؟

أرجو ألا أكون كذلك ، ولكن كل ما حولنا لا يدعو إلى أي تفاؤل □

محمد الرميحي

ماذا يحدث في المجتمع عندما يتجه الناس إلى البحث عما يغنيهم لا ما يرضيهم

أقوال

■ لقد مضى على نكبة فلسطين اربعون سنة دون حل عادل ودائم ، ومازالت تتعثر وتتأرجح وستتصرح الضمير العالمي والمجتمع الدولي ، ممثلا في هيئة الأمم المتحدة ولجنة إعلان حقوق الانسان ، بيد أنها رغم عدالتها لم تلق إلى اليوم ما تستحقه من اهتمام ، وكل ما هنالك قرارات بدون سند لاتسمن ولاتغني من جوع

جابر الأحمد
امير دولة الكويت

■ لا يهم ان يكون القط أسود او أبيض ، فالمهم أن يصطاد الفئران

الزعيم الصيني دينغ هسياو بينغ

■ كانت الأمور تسير من قبل حسب مقولة « كل شيء محرم ماعدا المرخص به بصورة مباشرة »

أما اليوم فلابد أن يطبق مبدأ مغاير تماما هو « كل شيء مرخص به ماعدا المحرم بصورة مباشرة »

غنوادي افاناسييف
صحافي في وكالة نوفوستي السوفييتية

■ وظيفة الأديب هي المشاغبة حتى تبقى الذاكرة يقظة

الطاهر بن جلون
أديب مغربي

■ إذا مات الممثل على خشبة المسرح ، فعلينا ايجاد البديل عنه في الحال ، كي لا يسدل الستار !

مثل انكليزي

■ إن مسرحا مضيئا خير من آخر مظلم

الفريد فرج

■ إن المسرح المضيء خير من المسرح المظلم ، شرط أن يكون هذا الموقف مجرد مرحلة مؤقتة تتم بعدها اضاءة الخشبة كي تضيء روح الانسان وعقله معا

د. علي الراعي

أحببتها وعشقتُ منها ليلها ... وحرِيتُ أتبعُ بالصبابة ظلها
لا بسمةٌ في الرّوض الا جئتُها ... وأخذتُ منها للجميلة دلّها
لا نجمةً عريانةً مزهوة ... إلا أخذتُ بلهفتي صورا لها
لا درةً في الكون إلا جئتها ... لأشدّ للعُنقِ الجميل أجلّها
ولقد رووا أني عشقت زهورها ... والخال يُطهر للشفاه تولّها
وصباحها الشادي على أمسة ... والورد يرقب في انبهار نحلها
وفتاها الخضراء يا لقاها ... وقفتْ تدير السحب تسحب ذيلها

* * *

أنا في حياتي مولعٌ بمدينة ... سأظل أعشق في الظهيرة فُلها
بل برجساً متوحشا ، بل طائراً ... متماوجا رسم الرشاقة كلها
وشقيقة النعمان يبسمُ ثغرُها ... بعد الحكايات الحسان ، وقبلها
وإذا رووا عنها يُرفرف خافقي ... ويظلُّ يضربُ بالمودة حولها

* * *

لكنني في الصبح حين صممتُها ... عبست قليلا ، ثم أبدت جهلها
قالت ترى من أنت ؟ - وهي حبيبتي وأنا أمارس بعد صعب سهلها
لما شكوت لصاحبي في حيرة ... ما كان أكثرها لنا وأقلها
أهوى وقال لعلها معذورة ... من أجل رقبتها فقلت لعلّها !

المسلمون.. وعبور الفجوة..

بقلم الدكتور احمد كمال ابو المجد

مهما تحدث المتحدثون عن عظمة الاسلام وخلود رسالته وكمال شريعته ،
ومهما شهد المنصفون من المؤرخين
بما كان لنا - نحن المسلمين - من فضل على الدنيا في عصور ماضية
فإن غبار الجدل الساخن الذي يثور حول تلك القضايا كلها
لا يلبث أن ينجلي عن واقع مرير لا سبيل الى انكاره
فما هو حال المسلمين حسب وجهة نظر الكاتب ؟

ان المسلمين - وبينهم العرب - يقفون اليوم في مأزق تاريخي ، يتمثل في المفارقة الهائلة بين شعاراتهم المرفوعة ، ومبادئهم المعلنة ، وتاريخهم الحافل بصور العطاء الحضاري وبين حاضرهم الذي ينطق بتراجعهم عن مواقع الريادة . وتوقفهم عن مواصلة العطاء في اخطر ميادين العلم والثقافة ، واعتمادهم على غيرهم في اكثر ما يحتاجون إليه في معاشهم وأبنية مجتمعهم ودخولهم تبعا لذلك مجتمعين ومتفرقين في دوائر النفوذ السياسي والاقتصادي لدول كبرى تحرص على استدامة تبعيتهم لها ، كما تحرص على اتساع الفجوة التي تفصل بينهم وبينها هذه الفجوة هي التي باعد في حسابات أهل هذا الزمان ومؤرخيه وباحثيه بين عالم متقدم تملك أدوات النمو الاقتصادي والاجتماعي ويستخدمها لتحقيق المزيد . ويعيش الناس فيه في ظلال وارفة من ثمرات هذا النمو وعالم نام أو متخلف ، قعد به أهله أو قعدت بهم ظروفهم عن حيازة تلك الأدوات ، فأحاطت به المشاكل وتوقفت أو تثاقلت خطاه في استخدام ما يملكه من أدوات النمو وتخلفت صورة الحياة على أرضه عن ملاحقة القفزات التي حققتها شعوب العالم المتقدم

ومع اتساع الفجوة بين العالمين ، انتقل زمام القدرة على التأثير والتحكم في مصائر العلاقة بين الشعوب لتستقر في أيدي الدول الكبرى المتقدمة وأحاط العجز والضعف بالشعوب اللاهثة وراء اللحاق ، وصار بعض الباحثين عن صورة مستقبل الحياة على هذا الكوكب يتحدثون عن تقسيم جديد ، تتراجع فيه الشعوب النامية إلى حيث ينحصر دورها في خدمة الشعوب المتقدمة ، دون أن يكون لها إسهام في بناء الحضارة الجديدة أو حق في المطالبة بمكان أي

مكان !! على خريطة القوى الفعالة التي تتقاسم بينها ثمرات التقدم وتحتكر التنعم بآثار الجهد المبذول في بناء تلك الحضارة

صورة المستقبل

والسؤال الكبير المعلق اليوم فوق رؤوس كل المسلمين وكل العرب هو سؤال واحد ؟

هل الى عبور هذه الفجوة من سبيل ؟؟

وهل لنا ـ نحن المسلمين والعرب ـ مكان على خريطة المستقبل نصنع نسيجها من خيوط الحاضر الذي نعيش فيه ؟؟

إن الحديث عن المستقبل لا يمكن أن يعتمد على الخيال وحده ، وإلا كان ضربا من ضروب الأحلام والأوهام ولكنه ـ مع ذلك ـ يحتاج ، مع التخطيط العلمي القائم على الرصد والتحليل والاحصاء ، إلى شيء من هذا الخيال إذ هو ـ في جوهره ـ استشراف لصور بديلة متعددة يتجه إليها الحاضر في ضوء حركة عناصر الحياة فيه ، وتفاعلها مع مئات المؤثرات التي تلتقي بها عناصر الواقع ، وهي تنتقل في الزمان من اليوم الى الغد ، أو من « الآن » الى ما بعد « الآن » والاستشراف ـ في حقيقته ـ تخيل لصور لم تتحقق بعد ولكنها يمكن ان تولد وان تتحقق اذا توفرت لميلادها اركان وشروط

فما هي صورة مستقبل المسلمين والعرب التي يمكن استخراج عناصرها من واقع العرب والمسلمين ؟

إن هذا الواقع يضم ـ وسط عناصره المتشابكة والمتداخلة ـ عددا من عناصر القوة التي تحتاج الى الاستخدام الصحيح لتصنع « البديل » المستقبلي المأمول وحسبي أن أضع بعض هذه العناصر في صورة أسئلة تكشف عما وقع من إهدار رهيب لفرص التقدم والنمو واللحاق بالآخرين وما هو مختزن ومتاح من فرص تصحيح المسار عن طريق التوجيه السليم لعناصر القوة المختزنة في واقع العرب والمسلمين

أ ـ ترى كيف كان يمكن أن يكون الوضع الاقتصادي للوطن العربي والعالم الاسلامي لو أن الأقطار العربية والاسلامية انتبهت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ الى أن استقلال إرادتها وتقدم شعوبها مرهونان باستقلالها الاقتصادي ، واعتمادها على نفسها ، بدلا من الدخول في المدارات الاقتصادية للدول الكبرى ، والاعتماد الهائل على إنتاج تلك الدول في الغذاء والكساء والدواء والسلاح ؟

الوحدة الاقتصادية

لقد ترددت منذ أواسط الاربعينات احاديث « الوحدة الاقتصادية العربية » وانشىء لها مجلس مخصوص تحت لواء الجامعة العربية ، ولكن الذين انشأوه بيمينهم سلبوه الحياة بشمالهم فتساقطت مشروعات التكامل الاقتصادي ، وتحولت السوق العربية المشتركة الى حلم يبتعد مع الايام

وتجددت في الثمانينات احاديث السوق الاسلامية المشتركة ، وما يزال حديثها أماني بعيدة يحلم بها ذوو النيات الحسنة دون ان يوفروا لها ادنى شروط الميلاد وبقى الوطن العربي والعالم الاسلامي شظايا سياسية واقتصادية لا تقوى واحدة منها على بناء قاعدة صلبة للتقدم ، او توفير الضمان الاقتصادي لاستقلالها السياسي

وحتى حين أطلت الفرصة التاريخية الهابطة من السماء ، والمتفجرة من باطن أرض العرب والمسلمين في صورة بحار النفط المستخرج والمخزون

تبددت تلك الفرصة أو كادت ، وتحول النفط الى طوفان من السلع الاستهلاكية الجاهرة التي تُشترى من الغرب ، وأكوام هائلة من السلاح المكدس المشترى من الغرب والشرق معا ، والذي لا يكاد يستخدم ـ حين يستخدم ـ إلا في حروب أهلية وصراعات داخلية وأوشك عصر النفط أن ينقضي دون أن يبني العرب والمسلمون لأنفسهم في ظله حضارة متوطنة مستقرة ، أو بنية أساسية يمكن أن يقوم عليها هيكل اقتصادي قوي قادر على حماية الاستقلال السياسي والثقافي للأمة

الصحوة واستقلال الارادة

ب - ترى كيف كان يمكن أن تكون صورة العالم الاسلامي اليوم لو ان الطاقة الهائلة التي فجرتها موجة

« الصحوة الاسلامية » توجهت وجهة سليمة وصالحة ؟ ماذا لو ان الدفعة الروحية الهائلة التي انطوت عليها بعض الحركات الاسلامية قد توجهت الى حيث كان ينبغي لها ان تتوجه ؟

لو ان ذلك كله توجه الى بناء مجتمع جديد شعاره « استقلال ارادة المسلمين وتعمير ارضهم » ، والوقوف سدا منيعا في وجه محاولات المستكبرين الحقيقيين لتحويل الكيان الصهيوني إلى قوة ردع

عظمى وسط امة المسلمين والعرب ، تؤدب الذين يحاسرون على الوقوف في وجه مصالح اولئك المستكبرين ، او يحاولون وضع لبنة جديدة في بناء النهضة الاسلامية والعربية ؟

ج - ترى ثم كان يختلف الحال ، وتكون صورة « الحاضر الاسلامي » لو ان جماعات الغضب الاسلامي ، كما يؤثر ان نسميها ، والتي تنتشر من اقصى المغرب الى ادنى المشرق ، قد وجهت رغبتها الهائلة في التغيير ، وغضبتها العارمة على اوضاع

المسلمين ، وتمردها على النظم الحضارية والنظم لغير « منهج الله وشريعته » ، إلى وجهتها الصحيحة ؟ فاشتغلت بالبناء والتعمير في صمت وهدوء ، بدلا من الاشتغال بالهدم والتكفير وسط ضجة هائلة وكلام كثير ... ماذا لو اخذت بايدي

المجهدين المكدودين من ملايين العرب والمسلمين ، بدلا من الاخذ بنواصيهم وإفراغ الجهد كله في اتهامهم وإدانتهم وإصدار الأحكام عليهم ؟ ماذا لو اقتربت من الناس ... ولم تعزلهم وتبعد عنهم ؟ ماذا لو قدمت الفعل على الكلمة ... والبحث عن حلول المشاكل القائمة

بدلا من البحث عن عورات الناس وسقطاتهم والبحث عن مشاكل وهموم جديدة تضاف إلى همومهم ومشاكلهم ؟ ماذا لو استقام لها الحد

الأدنى من إدراك أولويات الأمور وترتيب مهام الاصلاح والتغيير .. فأدركت ان منع الظلم ورفع المعاناة ... وتحريك عملية الانتاج ... والذود عن ارض العرب المسلمين ... أمور مقدمة كثيرا على قضايا النقاب والحجاب ... وإرسال اللحى وضبط

اطوال الثياب ؟ ... ماذا لو خرج دعاة هذه الجماعات من إسار الواقع المحلي الضيق الذي يحبسون أنفسهم فيه ... إلى رحاب العالم الواسع الذي أتاح لهم العلم أن يجوسوا خلاله وان يعرفوا ما

يدور فيه وهم جلوس في اماكنهم ... وقبل ان يقوموا من مقامهم هذا ؟ ... ولو فعلوا ذلك لرأوا بعيونهم كيف يعمل الناس هناك - في غير بلاد المسلمين - وكيف ندور نحن حول انفسنا مشاغلين بأفكار

قديمة ، وصراعات قديمة ، وقضايا لم يعد لها في ميزان العقل او الشرع مكانة ولا مكان ... ولرأوا كذلك عالما جديدا ملبسا بالصراعات الهائلة بين قوى عملاقة ليس لنا بينها وليّ ولا صديق ... ولادركوا هول

الفجوة التي تفصل اليوم بين أمتنا الحائرة المتعثرة وبين شعوب اخرى حولنا تقفز على طريق النمو والتقدم قفزا ، ونحن شهود تتملكنا الدهشة ولا نزداد بها إلا حيرة وعجزا

الكبائر الأربع

هذه الفجوة سوف تتسع ولا تضيق ما دام جيلنا الحاضر مستسلما للكبائر الأربع التي ماتزال تاخذ بتلابيب العرب والمسلمين

الكبيرة الاولى ... تغييب العقل ، وتحجيم الفكر ، والفرار من الجهاد ، بالاجتهاد واصطناع عالم غريب يتقاذف فيه الناس بالنصوص ، ويحتمون بالسوابق ويفرون من مواجهة الواقع طلبا للسلامة من الفتنة ، وإيثارا للعافية في ظلال العزلة والانغلاق

ولقد أثمر تغييب العقل على هذا النحو ثمرتين خبيثتين

اولاهما ... نقص المعرفة ، وفساد منهج التفكير ، والعجز عن حيازة لغة العصر وآلة التقدم

والبحث

«فانسيها» انتشار الخرافة وسيطرتها على عقل ووجدان كثير من العرب والمسلمين ورفضهم - لذلك - التعامل مع نواميس الكون وقوانينه، واعتقاد كثير منهم انهم يستطيعون ان يصلوا بغير جهد وأن يحققوا انتصاراتهم بغير عمل ما داموا يعلنون شعار الايمان، أو يرفعون المصاحف على اسنة الرماح، أو ينتظرون في شوق مقدم الأمة او صاحب الزمان

الكبيرة السابعة: قلة الاحتفاء بحرية الانسان، في ان يقول ما يعتقد، وأن يعتقد ما ارتاه واطمأن إليه، وان يصان دمه وماله وعرضه على كل حال. إن كثيرا من الناس والعلماء لا يزالون عاجزين عن إدراك حقيقة الصلة بين الحرية وبين العطاء الحضاري. ويتصورون أن المقهور الذي تسلب ارادته وتنتقص حريته، ولا يصان عرضه ولا كرامته، يمكن أن يبني ويعطي ويقيم حضارة شامخة سابقة. ان استرداد المسلم المعاصر «لحريته» هو - فيما نرى - مفتاح السر الذي يفجر الطاقة، ويحرك الهمة، ويدفع الى الحركة والعمل ويفتح افاق الابداع والاجادة في كل أمر. أما الظلم والقهر فلا يولدان إلا مهانة وذلا، وإحساسا بالعجز وأداء سيئا منقوصا في صغائر الأمور وكبائرها

الكبيرة الثالثة: إسقاط قيمة العمل والانتاج

فكم من ملايين العرب والمسلمين، بضاعتهم الكلام، وصناعتهم زخرف القول. تنقضي أيامهم ولياليهم وسنوات أعمارهم دون ان يعرفوا أن العمل عبادة حقيقية كتبها الله على عباده وهتف بها الوحي على المؤمنين في قوله تعالى «وقل اعملوا»

وينسى العرب والمسلمون أن للعمل أخلاقا وادابا تدعو الى تكثيفه في حجمه، وتجويده في نوعه، وممارسة أقصى درجات الابداع والتجديد في أدائه. ومن حق العرب والمسلمين أن تدمى قلوبهم إذا وجهوا أنظارهم نحو شعوب كشعب اليابان أو كوريا وغيرهما من الشعوب الاسيوية، اذن لرأوا خلايا كخلايا النحل لها طنين لا ينقطع بالليل ولا بالنهار. ولرأوا ملايين البشر يتعبدون بالعمل كما يتعبد بعضنا بالكسل والبطالة. ولآمنوا - حينئذ - بأن عدل الله هو الذي يقضي بين خلقه حين يرفع أقواما ويخفض اخرين. لأنه يرفع الذين يتعاملون مع سننه ويعمرون الأرض التي استخلفهم فيها ويخفض الذين اتاهم اياته فانسلخوا منها، وقعدوا وعجزوا وغرتهم الاماني

الكبيرة الرابعة: فساد ذات البين

والحديث هنا عن ذات بين العرب جميعا،

والمسلمين جميعا. والحديث فيه لا يحتاج الى إطالة. فقد انكفأ العرب والمسلمون جميعا يتقاتلون ويتخاصمون. ويستحيون لكل صيحة تؤجج نار العداوة بينهم ويسخرهم عشرات من السنين لخدمة مصالح خصومهم. وتعرقهم جميعا في طوفان الاحتراق الداخلي الذي لا يبقى بعده أمل في عمل مشترك او دفاع عن عدو مشترك. ان فساد البين ـ في أيامنا هذه ـ قد تمثل في أمور محددة لعل من أهمها انحسار المد القومي داخل الأمة العربية، وتعاظم تيار القطرية الضيقة التي حبس فيها أكثر العرب أنفسهم خلال العقدين الاخيرين. ومن أهمها كذلك هذا التنافر السخيف العقيم بين دعاة القومية ودعاة الجامعة الاسلامية. كأنما هما نقيضان لا يجتمعان. ومنه تلك الفتن الطائفية والمذهبية التي تطل برأسها بين الحين والحين، تغذيها العملة وضيق الأفق كما يغذيها تحريك المحركين وتحريض المحرضين ممن يمسكون بكثير من الخيوط التي تحرك العرب والمسلمين من خارج ديارهم، وهم يظنون أنهم أصحاب الرأي والقرار في أمورهم.

الحشد للاصلاح

ونعود في نهاية هذه السطور. فنقول ان المدخل لعبور الفجوة التي تفصل العرب المسلمين عن أصحاب التقدم المالكين للقوة، والممسكين بزمام الحل والعقد في هذا الزمان. يتمثل في تحول جماعات من صفوة المثقفين الى «فدائيين» مدنيين يحشدون للاصلاح طاقة روحية هائلة ثم لا يبددونها في قضايا مغلوطة. وإصلاحات مختلة الأولويات. ولا يوجهون حرارتها إلى صدور إخوانهم من العرب والمسلمين.

إن عناصر القوة وأدوات النهضة قائمة بيننا، موزعة على أرجاء أمتنا من أبناء هذا الجيل.

وكأنما هناك قوى شيطانية ذكية تقف لها بالمرصاد. فكلما لاح أمامنا أفق الرشد والصلاح. استدرجتنا تلك القوى الى حيث تتبدد طاقتنا، وتطيش سهامنا. وترد كلها إلى صدورنا.

فهل يرتفع بعض أولي الأمر وأولي الرأي فينا الى حيث يستطيعون التذكير بهذه الحقائق الكبرى وتجميع عناصر القوة فينا بعضها إلى بعض وصيانتها من الانحراف والانعطاف. وتوجيهها الى ما ينفع الناس. ويؤمن خطانا على طريق المستقبل؟ إن ذلك وحده سبيل العبور. وإلا فإنه الطوفان.

«ولا يظلم ربك أحدا» □

● أشد الناس عذابا يوم القيامة، من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه

(حديث شريف)

● روي عن النبي محمد ﷺ أنه قبل يدا ورمت من كثرة العمل، فلما سئل قال تلك يد يحبها الله ورسوله

● أزرى بنفسه من استشعر الطمع،ورضي بالذل من كشف عن ضره، وهانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه

(الامام علي)

● إن أولى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة

(معاوية)

● الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك

(ابن عمر)

مستقبل الاقتصاد العالمي :
هل يعود الكساد الكبير مرة أخرى ؟

بقلم . الدكتور رمزي زكي

« ليست صدفة ولا أمرا طارئا هذه الأزمات التي تجتاح النظام الرأسمالي العالمي ، ولأن الأزمة الأخيرة قد امتد تأثيرها وتشعب ،وبلغ حد التأثير على اقتصاديات كل دول العالم ، لذلك فانه جدير بنا أن نقف عند جذور الأزمة وأسبابها وآلياتها »

تراكمت في سماء الاقتصاد الرأسمالي العالمي منذ النصف الأول من شهر أكتوبر الماضي غيوم كثيفة متدافعة ، راحت تلقي ردادا شديدا من الذعر والفزع وعدم الثقة في عالم المال ، وبخاصة حينما انهارت الأسعار في الأسواق العالمية للأوراق المالية . فقد انهارت فجأة أسعار كثير من أسهم الشركات العالمية الكبرى ، الصناعية والمالية ، مسببة في ذلك أحجاما كبيرة من الخسائر التي قدرت بالمليارات في غضون أيام قليلة ، وازداد الأمر تعقيدا حينما بدأ سعر الصرف للدولار الأمريكي يتجه نحو التدهور ، وهو العملة التي تلعب دور النقد العالمي ووسيلة الاحتياط الدولية . وقد أعادت هذه الأحداث للأذهان بقوة ذكريات أزمة الكساد الكبير (١٩٢٩-١٩٣٢) ، وهو الكساد الذي عم مختلف دول العالم ، وهز بعنف شديد أركان الاقتصاد الرأسمالي العالمي ودعائمه . وقد بدأ عدد كبير من المفكرين والاقتصاديين يتساءلون مؤخرا : هل من الممكن أن يعيد التاريخ نفسه ، وتتكرر أزمة الكساد الكبير في عالم اليوم ؟ وهل ثمة تشابه بين ماحدث في خريف عام ١٩٢٩ وخريف عام ١٩٨٧ ؟

محور الأزمة :

قبل أن نبدأ تحليلنا يجب أن ترسخ في الذهن حقيقة جوهرية ، تعبر عن مأزق النظام الرأسمالي ، وتعرضه من حين لآخر لأزمات اقتصادية دورية

تتفاوت في عمقها وحدتها بحسب السياق التاريخي الذي تتحقق فيه

هذه الحقيقة تقول إن هناك تناقضا رئيسيا بين القدرة اللامحدودة لهذا النظام على الانتاج وقدرته المحدودة على الاستهلاك أو التصريف ، بسبب علاقات توزيع الدخل والثروة في هذا النظام وحينما يصل هذا التناقض إلى مستوى حرج سرعان ما تظهر الأزمة حيث تتراكم السلع ولا تجد تصريفا ، وتهبط الأسعار بسرعة ، وتتزايد الطاقات العاطلة والبطالة وينخفض معدل الربح ، ويتعرض تراكم رأس المال للحصار فليست المشكلة في الأزمة هي نقص الانتاج أو ضالته ، بل على العكس من ذلك ، لأن المشكلة تتمثل في زيادة الانتاج مع ضالة التصريف ، أي نقص حجم الطلب الكلي عن حجم العرض الكلي في الاقتصاد القومي على أن فائض الانتاج او العرض الذي يظهر في فترة الأزمة لايعني أن المجتمع قد أفرط في إنتاجه أكثر مما يحتاج فعلا ، فالفائض هنا نسبي وليس مطلقا ، أي أنه فائض بالنسبة للطلب الفاعل في السوق عند مستوى معدل الربح السائد

إن نمو الانتاج في مثل هذه الظروف يدفع بالاسعار نحو مزيد من الانخفاض ، وبالتالي يضغط على معدل الربح نحو مزيد من التدهور ، ومن هنا يتعرض تراكم رأس المال والنمو الاقتصادي للتدهور الشديد ، بيد أن الأزمة حينما تحدث فإنها تأخذ مجراها الزمني ، وتحمل في أذيالها وسائل علاجها ، حيث ينجم عنها توقف جزء من جهاز الانتاج القومي عن العمل ، ويتم تدمير رأس المال الثابت الموازي في طاقته لفائض العرض السلعي ، ويخرج عدد من المنتجين من دائرة الانتاج بسبب الخسائر والافلاسات التي تعرضوا لها ، ولايبقى في الساحة إلا من كان قادرا على تحمل نتائج الأزمة ويستطيع استئناف الانتاج من جديد بعد أن يكون فائض العرض النسبي قد اختفى . وتكون الاسعار والأرباح قد بدأت تميل للارتفاع ، ويستعيد تراكم رأس المال حيويته

ومع أن الأزمات الدورية هي الطابع المميز للحركة التاريخية لمسار النظام الرأسمالي منذ نشأته ، إلا أن الرأسمالية استطاعت أن تشق طريقها بقوة ، وأن تتغلب على تلك الأزمات،وأن تحقق تقدما هائلا في وسائل الانتاج وقوى من خلال توسيع نطاق الرأسمالية جغرافيا (في دول غرب أوروبا والولايات المتحدة واليابان) ، ومن خلال غزوها لبلاد اسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية ، وسيطرتها على هذه البلاد ، وتحويلها الى مستعمرات وأشباه مستعمرات ، وهو الأمر الذي يمكنها من الحصول على المواد الخام والمواد الغذائية بأسعار منخفضة ، وتوسيع نطاق تصريف فائض الانتاج ، وفائض رءوس الأموال في هذه البلاد ، وأخيرا من خلال تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وتأمينها لأرباح الاحتكارات الكبرى ، ومساندتها عن طريق تأميم بعض القطاعات غير المربحة اقتصاديا ، ودخولها مشترية ومستهلكة لكثير من المنتجات الزراعية والصناعية والخدمية ، وتشجيع أبحاث التطوير والتجديدات الفنية وتمويلها ، وزيادة حجم الخدمات العامة والانفاق على التسليح ، إلى آخره

الخميس الأسود

نعود الآن لما حدث في يوم الخميس الأسود (٢٤ اكتوبر ١٩٢٩) ، وهو بداية انفجار أزمة الكساد الكبير ، فقد بيعت في هذا اليوم بورصة الأوراق المالية بنيويورك كميات هائلة من الاسهم والاوراق المالية التي تمثل رأسمال كبرى الشركات الصناعية ، فهبطت اسعارها إلى الحضيض ، وخسر الأفراد ثرواتهم ومدخراتهم في غضون ساعات قليلة ، واستمرت الأسعار بعد ذلك في تدهور مستمر ، وبرزت حركة طاغية من الذعر وعدم الثقة ، فاندفع الأفراد يطلبون سحب ودائعهم من البنوك ، ويطالبون بصرف أوراق النقد بالذهب (حيث كانت قاعدة الذهب سائدة انذاك)

ولأن كميات كبيرة من البنكنوت (حوالي ٦٠ /) لايقابلها غطاء ذهبي ، تكالب الأفراد على الصرف بالذهب ، مما عرض البنوك لحالة عجز حقيقي ، أدى إلى تعريضها للافلاس وقد وصل عدد البنوك التي

أغلقت أبوابها في عام ١٩٣٠ إلى ١٣٢٥ بنكا ، وارتفع الرقم إلى ٢٢٩٤ بنكا

وإزاء هذا الموقف المتدهور الذي عرض النظام النقدي للانهيار لم تجد الحكومة الأمريكية مناصا من أن تعلن في ٢٦ مارس ١٩٣٢ إيقاف الصرف بالذهب وإغلاق البورصة . وبالإضافة إلى ذلك حدث هبوط شديد في حجم الطلب والأسعار والناتج القومي ، فتراكمت السلع في المحال والمخازن ولم تجد تصريفا . وكان طبيعيا والحال هذه أن تتفاقم مشكلة البطالة . بل إنه ما أن حل عام ١٩٣١ حتى كان عدد العاطلين في الولايات المتحدة قد بلغ اثني عشر مليونا وانخفضت الأجور في عام ١٩٢٩ بمقدار ٦ واكتظت المدن بالعمال العاطلين وبالمفلسين والجياع الذين راحوا يبحثون عن الخبز في أكوام القمامة . يصف دافيد شانون في كتابه « الولايات المتحدة الامريكية في الأزمة الاقتصادية » حالة التردي للمجتمع الامريكي فيقول : كنت ترى بائعي السندات السابقين على أرصفة الشوارع ، يحاولون بيع التفاح ، على حين أصبح الكثرة السابقون يطوفون أحياء أصحاب المال لكي يعيشوا على تلميع الأحذية ومسحها ، وأخذ المتعطلون والمشردون يرحبون بالقبض عليهم بتهمة التشرد ، بغية الحصول على الدفء والطعام في السجن »

وبالاضافة إلى ذلك حدثت بالريف مآس كثيرة ، حيث عم البؤس والخراب أحوال المزارعين والفلاحين وتركوا محاصيلهم يأكلها العطب بسبب تدني أسعارها ، وزادت عمليات نزع الملكية للأراضي المرهونة ، وسعت بانخفاض الاثمان الخ

ولم تختلف صورة الانهيار الكبير الذي حدث في دول غرب أوروبا عما حدث في المجتمع الأمريكي ، حيث تراجعت الأسعار للأوراق المالية ، وعم الافلاس كثيرا من المؤسسات ، وتردت الاسعار ، وتعطلت الطاقات الانتاجية ، وأقفلت البورصات والبنوك أبوابها أمام تدافع الناس ، وزادت البطالة ، واكتظت الشوارع بالعاطلين والمشردين والجياع كما تأثرت البلاد المتخلفة والتابعة في اسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بهذا الانهيار العالمي ، حيث انخفضت أحجام صادراتها وأسعارها ودخولها القومية وقدرتها على الاستيراد ، وهبط حجم رؤوس الأموال الأجنبية المنسابة اليها ، وخيم عليها الفقر والبطالة والجوع

صك غفران

ولم تتخلص الدول الرأسمالية من آثار هذه الأزمة وما تولد عنها من مشكلات إلا بانفجار الحرب العالمية الثانية ويهمنا الاشارة هنا إلى أنه حتى تلك اللحظة كان الفكر الاقتصادي الرأسمالي منفصلا تماما عن هذا الواقع الأليم ، وكان الاقتصاديون المدرسيون لايزالون يؤمنون بقدرة النظام الرأسمالي على تحقيق التوازن التلقائي ، وتصحيح نفسه بنفسه ، وان ما حدث في النظام من ازمات يعود إلى إعاقة عمل قوى السوق والمبادرات الفردية ، لكن لورد كينز قلب الوضع رأسا على عقب في عام ١٩٣٦ حينما ظهر كتابه « النظرية العامة للنقود والفائدة والتوظف ، وأثبت أن الرأسمالية فقدت قدرتها على الاستمرار والنمو التلقائي لأنها تنطوي في داخلها على اليات تعرضها لأزمات إفراط الانتاج العامة ، ومن ثم لابد للدولة أن تقوم بدور رئيسي في مواجهة هذه الأليات من خلال سياسة الانفاق العام والسياسات النقدية ، وبذلك قدم كينز « صك الغفران » لخطيئة تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية ، وهو التدخل الذي كان ينظر إليه سابقا على أنه شر محض ومعاد للحريات الفردية ونظام السوق

وأكد كينز على أن تزايد تدخل الدولة « هو الوسيلة الوحيدة لتجنب هدم المؤسسات الاقتصادية القائمة هدما تاماً ، كشرط ضروري لاستمرار نجاح المبادرات الفردية » والواقع أن كينز في هذه النظرية كان يؤصل بشكل نظري لتجربة تدخل الدولة الألمانية ، وتدخل حكومة الرئيس الأمريكي روزفلت لمواجهة أمر الكساد الكبير (٢٩-١٩٣٢) ، وكانت هذه النظرية في عمومها تعبر عن مرحلة رأسمالية الدولة الاحتكارية التي تقوم على التداخل

والمزج بين رأس المال وجهاز الدولة

وعموما فإنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أعيد تشكيل خريطة العالم اقتصاديا وسياسيا واستراتيجيا. ودخل النظام الرأسمالي العالمي في حقبة جديدة (١٩٤٥ - ١٩٧١). وهي حقبة النمو المزدهر الذي اتسم بدرجة عالية من الاستقرار النقدي والتوازن الداخلي. وأصبح الطابع المميز للسياسات الاقتصادية في دول الغرب الصناعي هو تطبيق الفلسفة الكينزية حيث ارتفعت معدلات تراكم رؤوس الأموال. وارتفع معدل نمو الانتاجية. وزادت معدلات النمو الاقتصادي

وكل ذلك قد اقترن بتحقيق درجة عالية من استقرار الاسعار وضالة معدل البطالة. وكانت تلك «الأعجوبة الاقتصادية» راجعة الى عوامل محددة هي امتصاص الانكماش الاقتصادي الذي نجم عن دمار الحرب. وأثر عمليات إعادة البناء والتعمير. واستمرار حصول البلاد الرأسمالية الصناعية على مواد الطاقة (النفط) والمواد الخام من البلاد المتخلفة بأسعار بخسة. وأثر التقدم العلمي والتقني الذي حدث في فنون الانتاج. واستمرار نمط تقسيم العمل الدولي لصالح البلاد الصناعية. فضلا عن التطبيق الناجح للسياسات الكينزية التي أدت إلى زيادة الانفاق العام في مجالات الضمان الاجتماعي والانفاق العسكري

ما بعد الحرب

وعلى الصعيد الدولي قام النظام الرأسمالي العالمي عداة الحرب العالمية الثانية على آليتين رئيسيتين. يسرتا له هذا النمو المزدهر. وهما نظام النقد الدولي (بريتون وودز) الذي قام على قابلية الدولارات للصرف ذهبا. ومن ثم تثبيت أسعار الصرف بين العملات المختلفة. والآلية الثانية هي حرية التجارة. وتخفيف القيود المفروضة عليها (منظمة الجات) وقد وفرت هاتان الآليتان الظروف الدولية المناسبة التي ضمنت تشغيل النظام على النطاق العالمي عند درجات مستقرة ومن هنا تزايدت التجارة الدولية في حركة السلع ورؤوس الأموال. العامة والخاصة. وفي ضوء هذا المناخ تعمقت ظاهرة التدويل وتطورت وتعاظم دور الشركات العملاقة متعددة الجنسية

ومع بداية عصر السبعينيات تبدلت الأحوال كثيرا وبدأ عصر جديد. فنظام النقد الدولي سرعان ما انهار في عام ١٩٧١ بعد إعلان الولايات المتحدة وقف قابلية تحويل الدولار إلى ذهب. وتم تعويم أسعار الصرف. واشتدت المضاربات على الذهب والعملات الأجنبية. وانتهى عصر الرخص الشديد للطاقة بعد نجاح دول الأوبك في زيادة سعر هذه المادة الحيوية. وتزايدت علاقات الصراع والتنافس بين مراكز المنظومة الرأسمالية العالمية (الولايات المتحدة. وغرب أوروبا. واليابان). واهتزت مكانة الاقتصاد الأمريكي في الاقتصاد العالمي من جراء تزايد العجز في ميزانه التجاري وموازنته الفيدرالية. وضعف موقع الصادرات الأمريكية في السوق العالمي وكل هذه التغيرات التي حدثت في دول الغرب الصناعي قد انعكست في تدهور معدل الربح في قطاعات الانتاج المادي مع وجود ميل شديد لتعاصر البطالة مع التضخم. وتزايدت أحوال البلاد المتخلفة سوءا. حيث تضخم العجز في موازين مدفوعاتها. وضعفت قدرتها على الاستيراد بمواردها الذاتية وأثناء ذلك كله أصبحت ظاهرة التدويل في مجال الانتاج والتمويل والتسويق والتقنية هي الطابع المميز للنظام الرأسمالي. وتحولت الرأسمالية إلى ما يمكن أن يسمى برأسمالية الاحتكارات الدولية

الانقلابات على الكينزية

في خضم هذه التطورات كان هناك تيار فكري يتصاعد بشدة في الأوساط الأكاديمية. وهو تيار النقديين. أو مدرسة شيكاغو. يحاول أن يفسر الأزمة ويقترح سبل العلاج لها وقد فتح النقديون نيران هجومهم على الكينزية. وانتهى بهم الأمر إلى الاختلاف مع الكينزية في مجمل ما وصلت إليه من سياسات وتوصيات. ونادوا بأن سر الأزمة يعود الى التطبيق المستمر للكينزية. والى ما تمخض عنها من

عو في حجم القطاع العام ، وتدخلات متزايدة من جانب الدولة في الحياة الاقتصادية ، وأن علاج الأمور يكون بعودة الرأسمالية إلى أصولها الأولى ، أي إلى آليات السوق الحرة ، وعدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، وتخفيض الضرائب على الأرباح والدخول المرتفعة ، وتقليص الانفاق الحكومي الموجه للرعاية الاجتماعية وكل ما هو مطلوب من الدولة هو أن تتحكم في عرض النقود ، حتى يمكن علاج مشكلة التضخم وتحقيق الاستقرار النقدي

ومنذ أواخر السبعينيات، حتى الآن دخلت هذه السياسات مجال التطبيق العملي لها في الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا ، وكان من نتائجها التغلب - مؤقتا - على مشكلة التضخم ، ولكن على حساب ايقاف النمو أو إبطائه وتفاقم مشكلة البطالة أما على النطاق العالمي فقد نجم عن ذلك إغراق العالم في أمواج هائلة من الديون التي راحت بعدها حركات رءوس الأموال السائحة التي تخلقها شبكة البنوك دولية النشاط وتتحكم فيها كما اشتدت حدة التنافس والصراع بين الاقتصاد الأمريكي من ناحية ، ودول غرب أوروبا واليابان من ناحية اخرى ، ناهيك عن تردي الأحوال في دول العالم الثالث

ومنذ مجيء الادارة الريجانية للحكم في عام ١٩٨٠ لم تنل هذه الادارة في علاج مشكلة الاختلالات الحقيقية التي يعاني منها الاقتصاد الأمريكي (العجز المستمر في الميزان التجاري في الموازنة الفيدرالية) ، بل عمدت إلى رفع أسعار الفائدة ، وتخفيض الضرائب وزيادة الانفاق على التسليح ، واستطاعت بذلك أن تمول جانبا كبيرا من عجزها الخارجي والداخلي من خلال الاقتراض الأجنبي ، وأن ترفع بذلك - بشكل مصطنع - من قيمة الدولار على الصعيد الدولي ، وانهمرت على الولايات المتحدة أمواج هائلة من رءوس الأموال الاجنبية الباحثة عن الربح السريع وفي عام ١٩٨٥ تحولت الولايات المتحدة الى دولة مدينة لأول مرة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى ، حيث زادت قيمة استثمارات الاجانب فيها عن استثمارات أمريكا في الخارج بنحو ٤٨ بليون دولار وفي عام ١٩٨٦ تزايدت هذه المديونية إلى ٢٦٣,٦بليون دولار (انظر الشكل) ، أي ما يزيد عن جملة ديون أكبر ثلاث دول مدينة في العالم الثالث ، وهي المكسيك والبرازيل والأرجنتين ، ودلالة هذا كله هو أن الأمريكيين قد أصبحوا يعيشون فوق مستوى مواردهم وقدراتهم الحقيقية ، ومن المتوقع أن تزيد هذه المديونية بشكل مستمر لتصل إلى تريليون دولار في أوائل العقد القادم ، وهو وضع لايمكن تصور استمراره ، لأن دول الفائض ليس من المتوقع أن يكون لديها هذا القدر المستمر من الأموال الفائضة (حوالي ١٥٠ بليون دولار سنويا) ، لتقديمه للاقتصاد الامريكي ، كما أن استمرار الاستدانة الأمريكية كفيل بأن يزعزع الثقة بالدولار الامريكي وفي قيمة الأوراق المالية الدولارية المستثمرة فيها هذه الفوائض وكانت تلك الحقيقة هي بداية انفجار الأزمة يوم الاثنين الأسود١٩ أكتوبر ١٩٨٧ ، حينما بدأت أسعار بورصة نيويورك تنهار بشكل مفاجيء وحاد ، وتتجاوب لهذا الانهيار مختلف البورصات المالية الأخرى في هونج كونج ولندن وغيرها ، ويتجه الدولار بعد ذلك للتدهور المستمر

تنافس عشوائي

إن الأزمة التي انفجرت في أكتوبر الماضي،واستمرت معالمها حتى الآن ، كانت نتاجا طبيعيا لمجمل الممارسات الاقتصادية التنافسية والعشوائية التي سارت عليها رأسمالية الاحتكارات العالمية ، وهي في التحليل الأخير تعكس أزمة هيمنة الاقتصاد الأمريكي على منظومة الاقتصاد الرأسمالي العالمي

ومن المتوقع أن يستمر الانهيار ويأخذ مداه إلى أن يتم التوصل إلى وضع تاريخي جديد ، ملائم لاستئناف التوسع السريع في الانتاج والتراكم الرأسمالي ،

وهذا الوضع لن يتحقق مالم يتم التوصل إلى أساليب جديدة للتحكم في إدارة الرأسمالية على النطاق العالمي وتوجيهها . □

بقلم حسين أحمد أمين

جاء في قوله تعالى [illegible]

« الأحزاب ٩ »

قام أبو سفيان يخطب في الأحزاب المجتمعة لحصار المسلمين في المدينة فقال « أيها الناس ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هلك الكُراع والخفّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قِدْر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل »

ثم وثب على جمله ومضى فتبعه الناس

وأصبح النبي (ﷺ) بالخندق ، وليس قبالته أحد من عساكر الأحزاب ، ثم جاءه من أنباء بأنهم انقشعوا الى بلادهم

وقد كان في انسحاب الأحزاب دلالة صادقة على فشل مكة الذريع في تصديها للنبي (ﷺ) وأصحابه ، لقد بذلوا في هذه الحـ وسعهم ، وألقت قريش وغطفان بكامل ثقل إخراجه من المدينة ، فإذا بالمسلمين لهم نجاح دون خسائر تقريبا ودون أن يقتل ستة نفر من الأنصار ، وإذا بنفوذ الرسول المدينة قد تدعم نتيجة لانسحابهم ، وإذا أمامهم بعدو مطلقا ، فقد ضاع الكثير من بين العرب ، وضاع الأمل في استمرار تجـ الشام ، وفي احتفاظهم بمركزهم وثروتهم لم يفكر المسلمون في الهجوم على مكة ، ـ هذا الهجوم قد بات الآن محتملا على سبـ من حملتهم هذه

لقد أثبتت الوقعة تفوّق استراتيجية ا

وحنكة عيونهم ومهارتهم في رصد تحركات العدو والايقاع بين جماعاته . وكان الخندق أنسب وسائل الدفاع في مثل هذه الظروف . فقد كان أمل الأحزاب في النصر قائما بصفة أساسية على تفوق خيلهم . بعد أن أثبتت المعارك السابقة أن مشاة المسلمين أقوى من مشاة أعدائهم ، ما لم يكن عدد أعدائهم بالغ التفوق . وقد أمكن للخندق أن يبدد خطر الخيل ، فلم تستفد الأحزاب كثيرا من أفراسهم الستمائة ، كذلك فقد بدا واضحا مدى وحدة المسلمين ، وانتظام صفوفهم . متى قارناها بتفكك الرابطة بين الأحزاب ، وضعف ثقة بعضها ببعض ، فغطفان مثلا لم تخرج الى القتال الا حين عرضت الرشوة عليها ، وكانت على استعداد لأن ترجع عن المدينة وتتخلى عن حلفائها ، مقابل رشوة أخرى من عدوهم . ومع أن مفاوضاتها مع النبي (ﷺ) لم تسفر عن نتيجة ، فإن مجرد دخولها فيها قد أفسدها على قريش ، وأوهن من عزمها على متابعة الحصار

وهناك سبب آخر لاسراع الأحزاب بالانسحاب ، وهو أنها كانت قد وصلت الى المدينة بعد أن حصد المسلمون زروعهم خارجها . وقد فعل المسلمون ذلك قبل أن يحين وقت الحصاد ، ربما بناء على نصيحة من النبي (ﷺ) وقد توقع الغزو . وكانت قريش من عامين قد جاءت تلّ أُحُد قبل الحصاد ، فأمكنها ان تسرح خيلها وإبلها فيها ، مما أثار حفيظة الانصار ، ودفعهم الى الخروج من المدينة ، رغم أن الحكمة والظروف كانت تقضي عليهم بغير ذلك . أما اليوم فلم يكن هناك من سبب يجبر الانصار على الخروج ، ولم تجد الأحزاب علفا لركائبها غير ما حملته معه ، حتى هلك الكثير منها من الهزال والجوع . أضف الى ذلك أن المؤن التي أتوا بها لأنفسهم ـ وهم الذين لم يتوقعوا أن يصادفوا الخندق ولا المقام طويلا عليه ـ كانت تتناقص يوما بعد يوم ، حتى أصابهم الملل والتعب وأنهكهم البرد والمطر ، وهبت الرياح تطفيء من نيرانهم وتطيح بأوانيهم وخيامهم حتى ارتأوا الرحيل

وبانقشاعهم عن المدينة وقد خاب مسعاهم ، بدأ بعض سادة قريش والعرب يعيد التفكير جادا في الوضع واحتمالاته ، وينظر فيما اذا كان من المصلحة الآن قبول دين الاسلام والانضواء الى لواء الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، ومن هؤلاء الذين بهرهم نجاح النبي (ﷺ) في صد الغزو عباس بن مرداس من قبيلة سليم ، وهو ابن الشاعرة الخنساء . وكان ذا شأن في قومه كبير ، بحيث نجح ـ بعد فترة من المعارضة له ـ في اقناعهم بالتحول الى الاسلام ، كما كان من بينهم عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد .

أما عن النبي (ﷺ) فإنه لم يفكر في مطاردة الأحزاب أثناء انسحابها . اذ كان من شأن هذه المطاردة أن تهيىء الفرصة التي كانت تريدها الأحزاب ، وهي قتال المسلمين في العراء خارج المدينة . ومع ذلك فقد ساءه ـ وقد أذن للمسلمين في الانصراف الى منازلهم ـ أن يراهم يعدون على الفور الى أهليهم مسرعين في فرح وسرور ظاهرين ، فقد خشي أن يكون لقريش عيون ، أو أن تعلم بنو قريظة رغبتهم في العودة الى منازلهم . فيمطوا الى ما كان المسلمون يعانونه من ضائقة ، فبعث من ينادي في أثرهم يأمرهم بالعودة ، قال عبد الله بن عمر « فجعلت أصيح في أثرهم في كل ناحية أن رسول الله (ﷺ) أمركم أن ترجعوا . فما رجع رجل واحد منهم من البرد والجوع » □

"الكمبيوتر" والحاجة الماسة إلى نحو عربي جديد!

بقلم : الدكتور نبيل علي *

يشهد العالم منذ أواخر الخمسينيات ثورة لغوية عارمة ، فبعد إرساء « فرديناند دي سوسير » لأسس علم اللغة الحديث ، وبلورة اللغويين البنيويين لإطاره النظري ، قام « نعوم تشومسكي » بوضع النموذج الرياضي للنحو ، ليبدأ علم اللسانيات بذلك رحلته المثيرة للتخلص من عموميات الوصفية منتقلا إلى حدة الانضباط النظري وسفور التفسير العلمي

هكذا تبوأ علم اللغة مكانه الطبيعي كركيزة لاغنى عنها ، للعلوم الإنسانية ، فهو القاسم المشترك الذي يربط بينها ، وبدون إخضاعه للسيطرة العلمية تصبح معظم جهود التطوير في المجالات المختلفة للإنسانيات محاولة مستحيلة لإقامة البناء على المتميع

من التوصيف إلى التفسير

لقد تجاوز علم النحو مرحلة التشريع اللغوي ، أو عصر ديكتاتورية النحاة ، منتقلا من توصيف الظواهر النحوية وتحليل التركيبات اللغوية إلى محاولة تفسيرها ، والسعي إلى تعميمها ، ورد تحليلاتها إلى عدد محدود من المبادىء الأساسية التي تحكم الأداء

* باحث من القطر المصري في مجال تعريب الكمبيوتر

اللغوي بصفة عامة وكما حدث في المجال البيولوجي (أصل الأنواع) ، ومن خلال الدراسات اللغوية المقارنة والتقابلية ، ينتقل الأمر من دراسة لغة معينة إلى دراسة شاملة للفصائل اللغوية المتعددة ، وتحاول النظرية النحوية الحديثة من خلال ذلك الوصول إلى «نحو عام» تندرج في ظله جميع اللغات ، « نحو عام » قادر على استخلاص العموميات اللغوية المشتركة بين اللغات المختلفة ، وكذلك تفسير مظاهر التباين اللغوي بينها ، لقد تحولت الدراسة اللغوية إلى دراسة لنظام النحو نفسه ، وانتقل النحو من طابعه التحليلي ، المبني على تحليل بعض الأمثلة الحاكمة للتعبيرات اللغوية ، إلى الطابع التوليدي ، ساعيا للوصول إلى قائمة القواعد التي يمكن من خلالها توليد العدد اللانهائي من التعبيرات اللغوية التي لا يمكن حصرها بأي صورة لقد اكتمل لعلم اللسانيات مقوماته العلمية ، ووسائل اختباره المعملية ، ومجالات تطبيقاته العملية ، من رياضيات « برتراند راسل » ، وفروع علم المنطق الحديث ، وعلم النفس التربوي ، ونظرية المعرفة ، إلى هندسة المنظومات،وبناء النماذج ، ومعامل الاحصاء اللغوي ، والدراسات الميدانية ، وأساليب الذكاء الاصطناعي ، الخ

استخدامات الحاسب الآلي

صاحب ظهور « الكمبيوتر » - الحاسب الآلي - في أواخر الأربعينيات محاولات متسرعة لاستخدام « الكمبيوتر » في التحليل اللغوي والترجمة الآلية ، ورغم سلبية نتائجها فقد أبرزت هذه المحاولات أهمية إعادة النظر للمنظومة اللغوية ككل ، وضرورة تحليل العلاقة الدقيقة لتداخل اللغة مع الحاسب ، وظهر علم اللغويات الخواسبية لتوفير الأسس النظرية لدراسة الظواهر الشائكة لتلاقي اللغويات مع التقنيات ، وظهرت إلى الوجود عدة مراكز بحوث متخصصة أبرزها معهد الترجمة الآلية بموسكو ، ومعهد (CLSI) الملحق بجامعة « ستانفورد » الذي تم تأسيسه في بداية الثمانينيات لدراسة علاقة اللغة الانجليزية بالمعلومات والحاسبات إن علم اللغة يتعرض حاليا لزخم كثيف من الجهود البحثية والتطبيقات العملية التي تحاول إماطة اللثام عن السواطن الخفية للمنظومة اللغوية ، وتكشف عن شبكة العلاقات الداخلية التي تربط بين فروعها المختلفة الصوتيات ، والصرف ، والنحو ، والدلالة « أو المعنى »

لقد أصبحت الحاجة ماسة إلى (التقعيد) النحوي الدقيق المكتمل كأحد المطالب الأساسية لتطويع اللغة لمطالب النظم الآلية ، فالحاسب لا يقبل في تعامله الغموض أو عدم التحديد ، أو النقصان ، وهو ما يفرض بالتالي ضرورة وضع النحو في صياغة رياضية دقيقة تقبلها المعالجة الآلية فجرت النظرية النحوية الأساسية « لتشومسكي » ، عند ظهورها ١٩٥٧ ، مناقشات حادة مثيرة خاصة من قبل الدلاليين والتربويين السلوكيين ، وأدى هذا إلى إدخال تعديلات جوهرية في النظرية النحوية وظهور عدد كبير من المناهج النحوية الأخرى التي تختلف من حيث منطلقاتها الأساسية ، وإطارها الفكري العام أكتفي هنا بسرد قائمة النظريات النحوية كدلالة على مدى الثراء العلمي الذي يشهده النحو ، ومحاولة اللغويين لمحاصرة المسألة النحوية من عدة زوايا حتى تدين لسطوة التحليل العلمي الدقيق

- نحو تحليلي
- نحو توليدي
- نحو وظيفي
- نحو معجمي
- نحو وظيفي معجمي
- نحو علائقي
- نحو طبقي
- نحو تعميم البنية الجملية
- نحو البنية الجملية المبنى على رأس الجملة
- نحو المقولات

ينطلق علماء اللغة في المشرق والمغرب محاولين تطبيق النظريات النحوية المختلفة على لغتهم الأصلية ، ليحدّدوا مدى ملاءمتها لتوصيف الظواهر اللغوية المختلفة للغتهم وتفسيرها وتمثيلها

أين نحن ؟

أين نحن من هذا كله ؟ وما موقف نحاتنا المحدثين من هذه الاتجاهات المتعددة للنظريات النحوية ؟ لا يمكن للباحث إلا أن يقرّ بالحقيقة المؤلمة ، وهي أن التنظير للنحو العربي ما زال في سباته العميق ، الذي دام قرونا يشكو من الجمود والترهل الفكري وقصور التقعيد وتخلفه . وبات الأمر في حاجة ماسة لطرح النحو العربي في أطر جديدة في ظل النظريات النحوية الحديثة . سنتناول هنا باختصار شديد بعض مظاهر أزمتنا النحوية ، سنتعرض بعدها المحاولات السابقة والراهنة لتحديث التنظير النحوي ، لنخلص منها إلى عدة منطلقات للاصلاح النحوي بصفة عامة

وتحاشيا الخلط محتمل ، فإننا نؤكد أننا لسنا بصدد اقتراح تعديلات في نحو العربية ، بل المقصود هنا تحديث التنظير النحوي للعربية ، أي تنظير ما هو قائم بالفعل دون أي اقتراح لتعديل القواعد أو اختزالها أو تبسيطها . ولا ينطلق ذلك من رغبة التحديد فقط ، بل يرجع أيضا إلى قناعة الكاتب باستحالة اقتراح التغييرات النحوية التي لا تتأتى إلا من خلال عمليات التطور اللغوي التدريجي التي يحكمها مدى قبول الجماعة اللغوية لها

مظاهر أزمتنا النحوية

لاشك أننا نعيش أزمة لغوية طاحنة ، تمتد جذورها إلى طبقات عميقة ، ومناطق حساسة في كيان مجتمعنا العربي . وتمس قضايا يقيد التصدي لها مسلمات ومحظورات ، وأمورا تتجاوز نطاق اللغة ، وتتشابك مع أمور عديدة أخرى من مظاهر التخلف المجتمعي ومن أهم مظاهر القصور في تنظير النحو العربي ما يلي

- صورية النحو من حيث تركيزه على التحليلات السطحية للتركيبات اللغوية (كضبط أواخر الكلمات ، والتقديم والتأخير ، وتصنيف الجملة إلى فعلية واسمية على أساس موقع الفعل بالنسبة لفاعله . وطغيان الكتابة على « المورفولوجي » وهلم

عمل الاستاذ والعمل الجماعي معا

جرا) ، وعدم نفاذه لتمثيل العلاقات الوظيفية والدلالية الأعمق التي تربط بين مكونات الجملة

- قصور أدوات التنظير وتخلفها ، وعدم تناسق - بل وفوضى - « لغة وصف اللغة » التي يتم من خلالها توصيف الظواهر النحوية المختلفة وتمثيل قواعدها ، وما زالت كتب النحو تقسم نفس الأسلوب الذي أورده ابن مالك ، وما زال تقسيم الكلام في العربية يتبع ثلاثية أرسطو (الاسم ، والفعل ، والحرف) إن مرجع ذلك هو غياب النموذج النحوي الشامل الذي يضمن التناسق والتوافق

- التركيز على الكلمة دون الجملة ، وإهمال عنصر الدلالة (أو المعنى بصورة تقريبية) ، ويتركز معظم جهود المجامع اللغوية العربية على القضايا الصرفية دون النحوية

- غياب التحليل الدقيق لعلاقة التداخل العنيف بين النحو والصرف ، مما يصعب معه تطبيق مبدأ ذاتية النحو ، الذي نادى به « تشومسكي » ، المبني -

في بعض جوانبه ـ على أساس فك الاشتباك بين النحو والمعجم

وما يتعلق بالأخير من قواعد حرفية لتكوين الكلمات المشتقة

ـ قصور الدراسات المعجمية ، وخلو المعجم العربي من المعطيات اللازمة للتحليل والتركيب النحوي (وهو ما يعرّفه اللغويون بالملامح النحوية) ، وربما يرجع ذلك إلى تنظيم المعجم العربي على أساس الجذور ، وهو التنظيم الذي ينحاز نحو الصرف على حساب النحو

ـ إغفال اللغويين العرب للغويات الحواسبية التي وفرت كثيرا من الوسائل والأساليب المختلفة لاختبار صحة نظم التقعيد وتطويرها

ـ الخلط بين التنظير اللغوي ، وتعليم اللغة العربية فتعليمنا لغويات ، ولغوياتنا تربويات ، ويخلط كثيرون بين ضرورة تبسيط تعليم اللغة العربية ، ومطالب التنظير لها

الاصلاح اللغوي السابق والراهن

شهدت نهاية القرن التاسع عشر عدة محاولات للاصلاح اللغوي في إطار دعوة شاملة للتطوير الثقافي والاجتماعي

افتقدت هذه المحاولات قاعدة نظرية تنطلق منها ، لتحوم حول أمور يقع معظمها في نطاق تسهيل تعلم العربية دون التنظير لها وبرزت عدة محاولات أخرى لتطوير نحو العربية نفسه من خلال تغييرات جرافيه لتبسيط القواعد واختزالها ، كإسقاط الضبط الاعرابي ، والاعراب التقديري ، وإعراب المحل ، واشتطّ بعضهم مطالبا بإحلال العامية مكان الفصحى ، بل وإحلال الحروف اللاتينية مكان العربية تحاشيا للبس الناجم عن غياب التشكيل

وقد التزم معظم اللغويين المحدثين الصمت تجاه الثورة اللغوية القائمة ، ومرجع ذلك في رأيي هو عدم إلمام معظم اللغويين العرب ، من خريجي الأزهر ودار العلوم وأقسام اللغة العربية ، بالرياضيات الحديثة ، وفروع المنطق الحديث ، واللغة الانجليزية وإغفالهم شبه المطلق للغويات الحواسبية ، ودور « الكمبيوتر » في عمليات التحليل والتركيب اللغوي لقد أصبح تحديث التنظير لنحو العربية رهنا بمبادرات فردية لبعض خريجي اللغات الأجنبية الذين يكملون دراساتهم العليا في جامعات أمريكا وأوروبا ، أو علماء اللغة ، العرب والأجانب ، في أقسام اللغات الشرقية بالجامعات الأجنبية ويمكن القول ان معظم هذه الجهود يتم في إطار إخضاع العربية للنموذج النحوي الذي أقيم للغة الانجليزية

لقد توقفنا مدة طويلة عن إيفاد خريجي الأزهر ، ودار العلوم ، لبعثات خارجية لتنتفي بذلك فرص نادرة لتطورنا اللغوي إن الجمود الذي نعانيه ، ليوحي بمقارنة تفرض نفسها بما حدث في إحياء العبرية في المائة سنة الأخيرة ، وذلك بعد تمام اندثارها عدة قرون لقد نجح اللغويون اليهود من خلال إعادة تحليل التراث ، وجهود التحديث والتطوير ، إلى إكساب العبرية الحديثة الحيوية والمرونة مما سهل عملية الانصهار اللغوي للجنسيات المتعددة التي تشكل المجتمع الاسرائيلي إن جمودنا اللغوي الراهن يتعارض بشدة مع الحصاد الهائل الذي خلفه نحاتنا القدامى ، وقد تسرع بعض المحدثين في نظرتهم المتجنية على هذا السلف العظيم خالطين بين أسس التنظير للنحو العربي ومطالب تعليمه وفي رأيي أن علم النحو العربي قد نشأ في ظل مبادىء وأسس يجيء معظمها متفقا مع تلك النظرية النحوية الحديثة ، ونكتفي هنا ببعض جوانب هذا التوافق

ـ التزم النحاة القدامى (سيبويه والزجاجي ،) مبدأ تعميم الظواهر النحوية دون الاكتفاء بتوصيفها ، وهو ما يتفق مع مبدأ الدقة التفسيرية الذي نادى « تشومسكي » كمعيار لتقويم قدرة النظرية اللغوية ووجاهتها

ـ لجوء النحاة القدامى إلى التجريد (الاعراب التقديري ، الضمير المستتر ، تنميط الحالات الاعرابية ،) والنظريات النحوية الحديثة مليئة

بكثير من التجريدات

ـ ارتكاز كثير من الظواهر النحوية والصرفية على مفهوم ثنائية « الأصل والفرع » ، ويتفق ذلك مع مبدأ ازدواج البنية وهو المبدأ الذي أخذت به معظم النظريات النحوية الحديثة (البنية السطحية ، والبنية العميقة في النحو التوليدي ، والبنية التركيبية ، والبنية الوظيفية في النحو الوظيفي المعجمي ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر)

ـ الصلة الوثيقة بين النحو العربي ، والمنطق ، ويتفق ذلك ـ في بعض جوانبه ـ مع ما ينادي به الدلاليون المحدثون حاليا (مونتاجيو مثلا) من أن لكل قاعدة نحوية مقابلا منطقيا

ـ قيام النحو في العربية على نظرية العامل ، ويتفق ذلك مع التطور الأخير الذي تشهده النظرية النحوية الحديثة ، والذي تمثله نظرية الربط والعامل

ـ تعدد المدارس النحوية (الكوفة ، البصرة ، بغداد ، الأندلس) والحوار ـ بل الصراع ـ القائم بين المدرسة الشرقية في الولايات المتحدة (ممثلة في (MIT) والمدرسة الغربية (ممثلة بجامعة ستانفورد) يذكرنا بالخلاف المثري بين الكوفيين والبصريين

اقتراحات لتحديث التنظير النحوي

ـ الانطلاق من مبدأ النحو العام ، او العموميات اللغوية ، والاهتمام بالدراسات النحوية المقارنة والتقابلية

ـ دراسة اللغة العربية كمنظومة متكاملة ، والتركيز على تحليل العلاقات التي تربط بين فروعها المختلفة

ـ الابتداء بدراسة العربية الحديثة الفصحى مع عدم إغفال دراسة اللهجات العامية حيث يمكن أن تكون مصدرا مفيدا لتفسير كثير من ظواهر اللغة الفصحى نفسها

ـ استخدام « الكمبيوتر » في إقامة النماذج اللغوية للاسراع في جهود التنظير النحوي

ـ الانطلاق من مدخل الدلالة ، أي المعنى ، حيث يساعد هذا المدخل على إضافة العمق النظري إلى كثير من الظواهر النحوية

ـ ضرورة تنوع مناهج التنظير النحوي للغة العربية ، وعدم الانحياز المسبق لبعض المدارس النحوية الحديثة ، فإن تعريض نحو العربية لاتجاهات تنظيرية متعددة ، بل ومتعارضة أيضا ، هو الكفيل الوحيد بكشف جوانبه المتعددة ، والاسراع بحركة الاصلاح النحوي

ـ استغلال الحصاد النظري الهائل الذي يتم في اللغات الأخرى ، خاصة في الانجليزية والاسبانية والروسية واليابانية والعبرية

ـ إعادة تنظيم المعجم العربي بما يتفق ومطالب مشروع اللغة المختلفة (صوتا وصرفا ونحوا ودلالة)

إن تحديث التنظير للنحو العربي أصبح أحد المقومات الرئيسية لاخضاع اللغة العربية لمطالب المعالجة الآلية في نظم المعلومات والحاسبات ، وبدونه سيكون من المتعذر أن نلحق بحركة التطور الهائل التي تجري حاليا لاكساب النظم الآلية خاصية الذكاء الاصطناعي ، التي على رأسها ـ بلا شك ـ قدرة الآلة على محاكاة بعض وظائف البشر اللغوية □

■ قال جورج واشنطن مخاطبا الانجليز : إن تاج ملككم وثروة الامبراطورية البريطانية لا يكفيان ثمنا لاستقلال بلادي . حاربوا تفنوا أو نفنيكم

■ الأيدي ثلاثة : يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء ، فاليد البيضاء هي الابتداء بالمعروف . واليد الخضراء هي المكافأة على المعروف ، واليد السوداء هي المن بالمعروف

(يونس النحوي)

مالطة
إنسان
عربي
وقالب
أوروبي!

استطلاع
صلاح حزين
تصوير
سليمان حيدر
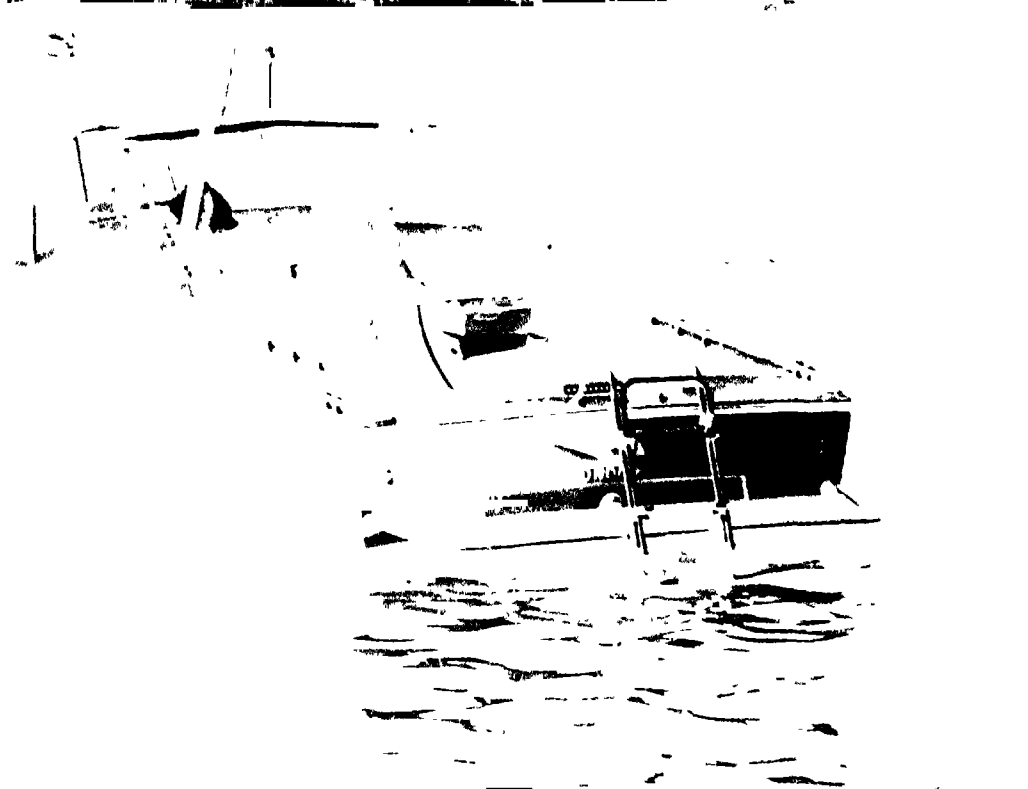
في الزمان القديم كانت مالطة جزءا من جزيرة صقلية الايطالية ، وعلى الرغم من انفصالها عن أوروبا في نهاية العصر الجليدي الأخير إلا أنها بقيت بعيدة عن الشمال الافريقي ، فظلت معلقة في الوسط من البحر الأبيض وحين احتل العرب مالطة ، أعطوها لغتهم ، لكنها احتفظت بقلبها الذي أخذته من أوروبا فماذا عن هذه البلاد التي جمعت بين لسان العرب وقلب أوروبا ؟

انتهينا من الاجراءات الاعتيادية في مطار سانت لوقا الصغير ، وقادنا مرافقنا في السيارة عبر طرق المدينة المتعرجة الى شارع على البحر تنص فيه الحياة،وأمام بناية عالية تطل على مشهد بحري رائع ، قال مرافقنا للسائق « وأف هينا » ، ثم التفت الينا وقال بلغة انجليزية تشوبها لكنة أهل البحر الأبيض المتوسط « هذا هو فندقكم ، يمكنكم تمييزه بسهولة ، فهو أعلى بناية في سليمة » ، ومضى ، على أن يعود الينا في اليوم التالي وبقينا أنا وزميلي المصور نتساءل عما إذا كانت تلك الكلمات التي سمعناها ، والتي بدت عربية الوقع ، عربية حقا ، وعما إذا كنا لم نضلّ الطريق.لقد أتينا الى مالطة التي نعرف أن عاصمتها فاليتا ، فما هي سليمة هذه ؟ وما هذه اللغة العربية التي هي ليست عربية في نفس الوقت ؟

في الطريق الى الفندق كان المشهد فريدا حقا ، جو حار مغبر ، ضارب إلى الصفرة ، يتناقض مع صفاء البحر الأزرق الهادىء ، وبالتفافها الذي تشاهده عند كل انعطاف للسيارة يضفيان على المشاهد إحساسا بقدرة هذا المكان على جمع النقائض ببساطة مدهشة

الأرخبيل

في الفندق وخارجه توالت المفارقات والنقائض ، فأتاحت لنا نحن القادمين من الشرق الذي يقال انه شرق ، وانه لن يلتقي بالغرب أبدا ، فرصة للدهشة ، بعد أن ظننا أنه لم يعد للدهشة مكان في حياتنا المشرقية . فها هو الشرق يلتقي بالغرب ، ليكون مزيجا غريبا اسمه مالطة ، فالوجوه الأوروبية في التقاطيع والسمات ترطن بلغة تجمع بين حدة التعبير المميز في لهجات سكان المغرب العربي وخليط من اللهجات واللغات الأخرى وها هي المنازل المتراصة ذات الأسطح العارية المنبسطة الخالية من أي تزيينات ، والتي تذكرك بالمدن والعواصم العربية القديمة ، مثل دمشق والقدس والقاهرة وغيرها ، تقوم داخل قلعة حصينة مسورة بالحجر المالطي الشهير ، بطراز أوروبي واضح المعالم ، أخيرا ها نحن في أوروبا ، لا نبعد عن جزيرة صقلية الايطالية أكثر من ٩٣ كيلو مترا ، ومع ذلك فإن جو الجزيرة الرطب المغبر ، وطقسها المائل للحرارة ، وطراز أبنيتها الفريد ينبئك أنك في بلاد شرقية خالصة فكيف اجتمعت كل هذه النقائض في تلك الجزيرة الصغيرة الوادعة ؟

حين جاءنا المرافق في اليوم التالي صحح لنا المعلومة الأخيرة ، فمالطة ليست جزيرة صغيرة ، بل أرخبيلا ، فهي تتكون من جزيرتين مأهولتين ، هما مالطة وجوزو ، وجزيرة أخرى استأجرتها شركة سويسرية ، وحولتها الى منتجع سياحي خاص بها ، واسمها جزيرة كوميتو ، وجزيرتين صخريتين أخريين غير مأهولتين هما فلفلة وكوميتتو ، وعلى الرغم من شعوري بأن كلمة أرخبيل كبيرة على هذه المجموعة الصغيرة من الجزر الصغيرة ، إلا أن عقلي قد بدا حاضرا لاستيعاب المدهشات التي تحمل بها هذه الجزيرة ، أو هذا الأرخبيل كما يريد المالطيون !

ولأن مالطة هي كبرى جزر الأرخبيل فقد أحدث

البلاد اسمها ، أما العاصمة فاليتا فليست سوى إحدى المدن العديدة التي تضمها الجزيرة ، والتي يحمل معظمها أسماء لقديسين ، مثل سان حوان ، سان حوليان ، سان لوتشيا ، وسان لوقا وبعضها يحمل أسماء عربية تماما ، مثل سليمة ، مسيدة (مسعدة) ، مليحة ، مدينة ، معار ، وعين تفيحة (عين التفاحة) ، وريتون ، ومرفأ ، ورباط ، وغيرها

في صبيحة يومنا الأول في سليمة ـ حيث كنا نزل ـ غادرنا الفندق متجهين نحو العاصمة فاليتا ، وفي طريق متعرج مزدحم بالسيارات والناس والسائحين والمصطافين والجالسين على المقاهي والمتنزهين سيرا على الأقدام والصيادين والمتأملين بالبحر على شاطئه القريب الصغير سرنا الى عاصمة الأرخبيل ، ومن شاطىء سليمة برزت فاليتا خلف شريط ضيق من الماء انتهى بمرفأ صغير فبدت متعالية على الماء وعلى المرفأ وعلى سليمة والناس ، لقد بدت كمشهد عظيم ، بأبنية مائلة نحو الصفرة ، قريبة من الماء عند الطرفين ، ثم أخذت بالارتفاع تدريجيا حتى بلغت ذروة علوها في وسط المشهد الذي ارتفعت فيه قبة كاتدرائية ضخمة هائلة الحجم ومن نقطة التقاء البحر باليابسة ارتفع سور المدينة المنيع ليحمل المدينة بعيدا عن البحر ، ويحميها من الغزوات التي لم تنقطع عن الجزيرة منذ فجر التاريخ

ولأن الأسوار المنيعة بقيت محتفظة بقوتها ونضارة حجارتها التي اشتهرت بها مالطة ، فقد أعطت تلك الأسوار لشواطىء الجزيرة شكلا مميزا ، هو مزيج من عبق التاريخ القديم ، ورائحة البحر والأسماك التي تمضي في أثرها الصيادون ، ووهج الشمس التي تعطي المشهد حرارة زائدة وبعد يوم متعب يجلس الصيادون ليبيعوا غلتهم ، أو ليصلحوا شباكهم تحت تلك الأسوار ، وقرب الرافعات والسفن الكبيرة ، أو سفن الصيد الصغيرة التي ملأت المشهد البحري

بالقرب من هذه الأسوار تجري الاحتفالات ، وتعقد الأسواق الموسمية ، وفي الساحات وباحات

الجزائر المالطية في موقع وسط بين اوروبا وشمال افريقيا

الكنائس تجري الاحتفالات ذات الطابع الديني في العالب ، وفي المنازل القديمة بالمدن الداخلية يعيش الميسورون الباحثون عن الهدوء ، بعيدا عن هدير البحر ، وأصوات السفن و « الطرادات » ، ونداءات البائعين والى جانب الأسوار هناك الكنائس والكاتدرائيات الضخمة التي تتوسط المدن جميعها ، سواء كانت ساحلية أو داخلية ويفاجئك بها أمران ، ضخامة تلك الكنائس التي تبدو بنايات عملاقة ، قامت وسط البيوت والمنازل العادية ، والعدد الأكبر لتلك الكنائس وعندما سألنا مرافقنا عمن بنى هذه التحصينات ، ومن بنى الكنائس قال لنا انهم الفرسان إن شعب مالطة ما زال ـ إلى حد كبير ـ يعيش في التاريخ ، ويتعامل معه تعاملا يوميا ، إن لم يكن من خلال تلك الاحتفالات ، وذلك القرب من رموزه التاريخية ، كالأسوار والكنائس والقلاع ، فمن خلال اللغة التي امترجت فيها العربية بالانكليزية والايطالية امتراجا فريدا فما علاقة كل ذلك بالعرب ، ومن هم الفرسان ؟ وما علاقتهم بمالطة ؟

ثأر قرطاجة

يعود تاريخ العلاقات بين مالطة والعرب إلى ما قبل عروبة شمال إفريقيا بكثير ، إذ يرجع ذلك الى عام ٧٥٠ قبل الميلاد ، عندما استوطنت جزر مالطة قبائل فينقية ، قادمة من شرق المتوسط ، وعندما كانت قرطاجة حاضرة الفينيقيين إحدى مراكز الحضارة في ذلك الزمن القديم وحين شن القائد القرطاجي العظيم هنيبال حملته الشهيرة على الامبراطورية الرومانية لغزو روما كان المالطيون طليعة جيشه ، وعندما انتهت الحروب البونية ، وهو الاسم الذي تعرف به سلسلة الحروب بين قرطاجة وروما القديمة بهزيمة الأولى سقطت مالطة في أيدي الرومان ، ومن بعدهم البيزنطيين ، وبقيت في الأيدي الأوروبية منذ ذلك التاريخ ، أي منذ عام ٢١٧ قبل الميلاد ، حتى جاءها العرب فاتحين عام ٨٧٠ ميلادية ومن الطريف أن نذكر هنا أن العرب جاءوا مالطة من تونس ، من أرض قرطاجة المهزومة . فكأنما عادت قرطاجة هذه المرة لتثأر لنفسها من منافستها القديمة التي هزمتها قبل أربعة قرون

وانتهى فصل من فصول التاريخ المالطي ، وبدأت فصول جديدة ، اختلفت فيها الأسماء ، واختلفت الأيدي التي تسلمتها ، لكن مالطة بقيت بؤرة للصراع بين قوى عديدة ، نظرا لموقعها الذي لم يبح لها أن تكون أمة وسطا ، لكن الصراع الأعنف كان بين العرب والأوروبيين ، أو بدقة أكثر بين مسلمي الشرق ومسيحيي الغرب ، ذلك الصراع الذي ما زالت آثاره موجودة في مالطة حتى يومنا هذا على الرغم من مرور كل تلك السنين

مالطة العربية

مع دخول العرب إلى مالطة بدأ فصل جديد من تاريخ البلاد ، وهو من أكثر فصول التاريخ غموضا بالنسبة للعرب ، وكذلك بالنسبة للمالطيين

بدأ الغموض مع لحظة دخول العرب إلى مالطة ، فغريب مثلا أن يكون هناك أكثر من تاريخ ، يقدم على أنه تاريخ فتح مالطة الحقيقي ، والأغرب من ذلك أن تواريخ فتح مالطة تتراوح بين عام ٦٥٢ - كما ذكر المؤرخ محمد مصطفى بورامة - وبين عام ٨٧١ ميلادية - كما ذهب النويري - وبين هذين التاريخين مر على سنوات ٨٣٣ و ٨٣٦ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ باعتبار كل منها تاريخا للفتح العربي لمالطة ، والروايات المتعددة عن فتح مالطة غير دقيقة ، كما أنها في كثير من الأحيان متعارضة ، وإن شاء الباحث أن يستنجد بالسجلات التاريخية المالطية أو الصقلية فإنها لن تسعفه كثيرا ، فالتواريخ المتعددة المعطاة تخلط بين المعارك والمناوشات والحصارات ، وبين تاريخ الاحتلال الفعلي للجزيرة الذي يرجح معظم المؤرخين أنه تم عام ٨٧٠ م لكن الأمر يصبح أكثر غرابة حين يحدد بعض المؤرخين يوم الفتح بالتاسع والعشرين من أغسطس في ذلك العام ، منتقلين بذلك من الضياع بين التواريخ إلى التحديد القاطع لليوم الذي تم فيه الفتح

وبعد ذلك يصبح الخلاف حول اسم القائد الذي فتح مالطة ، وهل هو حبشي بن عمر بن الأغلب ، أم عمر بن الأغلب مسألة بسيطة ، فحبشي هو لقب لعمر بن الأغلب فاتح مالطة العربي

الا أننا لا نلبث أن ندخل في متاهة جديدة ، أعقبت فتح مالطة ، واستمرت نحو أربعة قرون ، هي زمن الوجود العربي في مالطة ، وتلك واحدة من أكثر الفترات غموضا في تاريخنا العربي ، وتاريخهم المالطي أيضا

بين عام الفتح ٨٧٠ وعام ١٢٥٠ وهو عام إخراج العرب والمسلمين من مالطة أحدثت الجزيرة لغتها العربية ، وأطلقت أسماء عربية على بعض أهم الآثار العربية التي ما زالت باقية حتى الآن ، مثل مدينة والرباط بل إن جزيرة كيمونو ما هي الا تحريف لكلمة كمونة العربية ، أما فلفلة ، تلك الجزيرة الصخرية الصغيرة التي تشاهدها من منطقة تدعى زريق بحجم لا يزيد عن حجم « الفلفلة » فمن الواضح أنها لم تستحب لأي محاولة للتحريف

ومع ذلك فإن الآثار العربية في مالطة ضئيلة

بول مقسود — موريس كرواتة

إمام مسجد مالطة

ف سموط

الحجم والعدد ، ولا تتناسب بأي حال مع القرون الأربعة التي قضاها العرب هناك ، كما لا تتناسب مع الأثر الكبير الذي تركته اللغة العربية في اللغة المالطية ، كما أن العدد الكبير للكنائس هائلة الحجم مقارنة مع عدم وجود أي مسجد عدا عن المسجد الذي أقيم عام ١٩٨٢ على الجزيرة ملفت للنظر أيضا . وأخيرا وليس آخرا فإن عدم وجود وثيقة عربية واحدة ، أو أي أثر كتابي عربي يتناقض تناقضا صارخا مع وجود عدد كبير من الشعراء العرب المالطيين ، أمثال عبدالرحمن بن عمر المالطي ، وأبي القاسم بن رمضان المالطي ، وعبدالله بن السميطي المالطي ، وعثمان بن عبدالرحمن بن السوسي وغيرهم

ومن الأمور الغامضة أيضا أن أحدا لا يعرف متى اختفت الكتابة بالأحرف العربية ، لكن المؤرخين يرجعون أول قصيدة كتبت بالمالطية - أي بالعربية المحكية - إلى القرن الخامس عشر الميلادي فهل أسعفنا ذلك في معرفة الكثير عن وجود العرب في مالطة ؟

قبورنا تدل علينا

من المضحك المبكي أن تكون شواهد القبور ، وبعض الجثث التي وجدت في مقابر المسلمين قرب الرباط « ومدينة » هي أكثر الشواهد دلالة على وجود العرب في مالطة ، وذلك الى جانب بعض النقود المسكوكة ، وبعض المصوغات الذهبية ، مثل الخواتم والحلي وليس أكثر من ذلك ومعظم هذه الآثار تعود الى عصر النورمان ، وليس الى عصر مالطة العربي ، أي عندما احتل النورمان مالطة وقبل أن يطرد العرب منها

ومن أشهر شواهد القبور التي عثر عليها ، والتي لا تزيد على الثلاثين في أحسن الأحوال الشاهد الذي عرف باسم ميمونة ، وهو عبارة عن لوح من الرخام ، كتب عليه بالخط الكوفي الجميل

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على النبي محمد ، وعلى آله وسلم تسليما لله العزة ، والبقاء ، وعلى خلقه كتب الفناء ولكم في رسول الله أسوة حسنة هذا قبر ميمونة بنت حسان بن علي الهذلي ، عرف بابن السوسي ، توفيت رحمة الله عليها يوم الخميس السادس عشر من شعبان الكائن من سنة تسع وستين وخمسمائة ، وهي تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له » ثم كتبت هذه الأبيات من الشعر

انظُرْ بعينك هلْ في الأرض من باقي
أوْ دافع للموت منْ راقي ؟
الموتُ أخرجني قسرا فيا أسفي
لم يحمني منه أبوابي وأغلاقي
وصرتُ رهْنا بما قدمت من عملي
مُحصى عليّ وما خلّفْتُهُ باقي
يامنْ رأى القبْر إني قدْ بليْتُ به
والتربُ غيّر أحبابي وآماقي

(في الأعلى من اليمين لليسار) الأذان يرتفع في مالطة بعد ٨٠٠ عام من الانقطاع
مشربيات عربية وسفينة كويتية يجرى إصلاحها في حوض جاف « ترسى شلوك »
و (في الأسفل) فلكلور مالطي ومعبد الهيبوجيوم وصياد مالطي في جزيرة جوزو
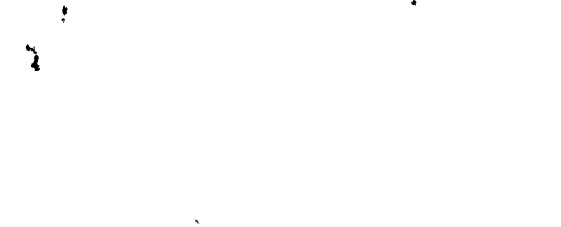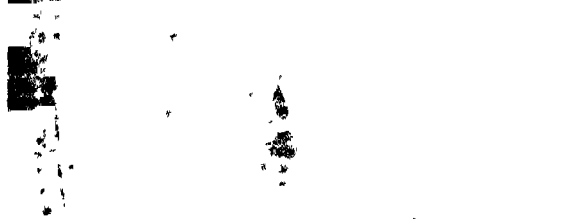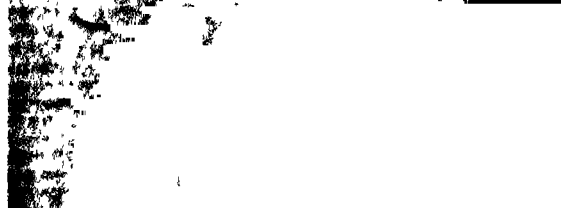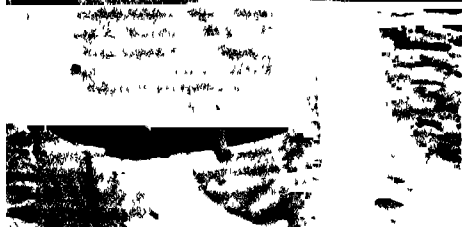
في مصحعي ومقامي في الملى عسرّ
وفي مشوري إذا ما حنت حلاقي
« أحي محد وتّبْ »

وهكذا حرح العرب من مالطة ، ولم يبق من اثارهم سوى شواهد القبور ، وسوى بعض آثار الهندسة المعمارية العربية ، مثل الطرق والأرقة الصيقة التي رأيناها في مدينة « مدينة » القديمة ، ولم يبق من مالطة العربية مسجدا واحدا يشهد على وجودهم هناك ، مقابل العدد الهائل من الكنائس . وربما كان هذا هو أصل المثل القائل بعدم جدوى الأذان في مالطة ، أو عدم جدوى إقامة الدين في مالطة ، كما يقال في بلادنا العربية بصيغ مختلفة ، تعني جميعها وضع الدين في ذلك الأرخبيل

بل ان هناك من يحاول الايحاء بأن اللغة المالطية ليست وليدة الحقبة العربية في مالطة ، بل هي لغة الفينيقيين الذين استقروا في الجزيرة عام ٧٥٠ ق م ، وهي لغة تلتقي مع العربية في أصلها السامي

الا أن هناك ما ينقض هذا الزعم ، فعندما تحطمت سفينة القديس بولس قرب شواطىء مالطة عام ٦٩ م ، وكان برفقته القديس لوقا ، قال القديس بولص إن أهل بلاد مالطة برابرة ، مما يعني أنهم لم يكونوا يتكلمون اللاتينية أو الرومانية ، لانهم لو كانوا يتكلمون الفينيقية لعرف القديس بولص ذلك ، لأنه كان يتكلم اللغة الآرامية التي تشترك مع الفينيقية في الأصل السامي ، ولميز بعض الكلمات على الأقل ، كما فعلت بعثة العربي بعد نحو ألفي عام من ذلك التاريخ ، عندما وقفنا دهشين ونحن نستمع إلى حوار نفهم معظم كلماته ، ونتنقل بين أماكن مألوفة الأسماء

وعلى أي حال فقد كان ذلك أول ذكر لمالطة في التاريخ ومن العجيب أن يأتي هذا الذكر على لسان شخص جاء من موطن الفينيقيين الأصلي ، وفي الكتاب المقدس الذي كتب بالآرامية ، وهي لغة تشترك مع لغة مالطة في الأصل السامي ! فنقاط اللقاء بين مالطة والعرب تبرز في كل عصر من عصور التاريخ

وقد يقودنا هذا إلى الحديث عن الطبيب المالطي الذي عمل مترجما بين صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد أثناء لقائهما الشهير ، خلال فترة الحروب الصليبية ربما ليثبت أنه حيثما كان هناك لقاء بين العرب وأوروبا كان هناك مالطيون

وعلى أي حال فلأننا لم نخرج إلا بشواهد القبور دليلا على وجود العرب بمالطة فلنكمل قصة الخروج العربي من هناك ، وكيف أسدل الستار

روجر وروجر

في عام ١٠٩٠ غزا الكونت روجر الصقلي مالطة ويقول المؤرخ الايطالي مالاتيرا إن سكان مالطة عرضوا استسلامهم على روجر ، فوافق الأخير ، وكانت شروط الاستسلام هي الاعتراف بسلطة الكونت روجر عليهم ، ودفع الجزية له ، وإطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين لديهم ويقول المؤرخ غودفري وتنغر إن المؤرخ مالاتيرا لم يذكر شيئا عن مالطي مسيحي واحد ممن عرض عليهم روجر البقاء في صقلية ، وأن جميع المالطيين فضلوا العودة الى بلدهم ، وأن المسيحيين الذين ذكروا كانوا جميعا أسرى من غير المالطيين ، ويضيف وتنغر أنه على الرغم من ذلك فإن المؤرخين المالطيين يستندون الى كلمات مالاتيرا ليثبتوا أن المسيحية لم تنقطع من الجزيرة وعموما فلم يتغير الكثير بعد غزو روجر لمالطة ، وبقي الحال على ما هو عليه ، حتى جاء الملك روجر ، وهو ابن الكونت روجر ، ليعيد غزو مالطة عام ١١٢٧ ، ويبقي فيها هذه المرة حرسا مسيحيا ، ومؤسسة مسيحية ، مهمتها اعادة المسيحية للجزيرة وبين هذه الأحداث الدرامية نتوقف ، لنلتقط حادثا طريفا ، فقد كان علم الملك روجر عبارة عن مربعات حمراء وبيضاء ، وعندما فتح مالطة جاد روجر عليها بمربعين من مربعات علمه الكثيرة ، وهكذا جاء علم مالطة ذو المربعين الأبيض والأحمر الذي ما زال على حالته حتى يومنا هذا ، مع إضافة صليب الملك جورج السادس الذي أضيف بعد الحرب العالمية الثانية

وهنا أيضا كان للموقع الاستراتيجي لمالطة الاثر الكبير في عذاب هذه الجزيرة التي لم تستمتع باستقلال حقيقي الا في فترات قليلة من التاريخ . وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية تبين لكل من الحلفاء ودول المحور الاهمية الاستراتيجية للارخبيل

مع الثلاثينات كانت بريطانيا تسيطر على مالطه وكانت عين موسوليني ، الجار القوي لمالطة مسلطة على الارخبيل ، ولم يكن ديكتاتور ايطاليا بحاجة الى ذرائع ومبررات تاريخية لاحتلال مالطة ومنعها من أن تتحول الى شوكة في خصر « امبراطوريته » ، لذلك كان يقول أن مالطة هي الجزء الايطالي الذي لم يخضع لايطاليا بعد . ولان مالطة تحولت الى شوكة حقيقية في خصر دول المحور اثناء الحرب فقد كان لها نصيب هائل من التدمير ، فحوصرت الجزر من البحر وقصفت من الجو كما لم تقصف مدينة أخرى في المنطقة . لكنها لم تسقط فمنح الملك جورج مالطة صليبه الذي اضيف الى المربعين الابيض والاحمر اللذين يشكلان العلم المالطي

- كل ذلك بفضل هذه الجدران الحجرية

قال مرافقنا . فظننت أنه يتحدث عن الاسوار المنيعة التي استعصت حتى على قنابل دول المحور ، لكنه أشار الى جدران حجرية مخصصة بنيت من حجارة صغيرة صفت فوق بعضها دون أن يكون بينها اسمنت أو طين . وهي من النوع الذي تراه العين بكثرة في لبنان وفلسطين وسوريا

ولما أعدت استفساري حول هذه الجدران التي تسمى في بلادنا « السلاسل » وتستخدم للزراعة في الاراضي الجبلية ، أجاب المرافق

- نعم هذه الجدران أو السلاسل « سمها ما شئت » ، وقد تلاحظ أنها تنتشر بكثرة في مالطة ، وأضاف لقد فكر هتلر فعلا بغزو مالطه لكنه تراجع بسبب وجودها فهي عوائق طبيعية تجعل مهمة المظليين أو جنود الاعداء في غاية الصعوبة فوق ارض مالطه

وقبل أن أعلق بقولنا العربي المأثور « يضع سره في أضعف خلقه » أضاف المرافق

- على أي حال ما أقوله ليس موثوقا تماما ، لكنها أحاديث تقال ، وفي اعتقادي أن بها نصيباً كبيراً من الصحة ، فوعدت أن أعود الى المراجع لاتأكد من هذه الرواية قبل أن أذكرها . وعندما لم أجد ذكرا لها في المراجع القليلة التي عدت اليها ، قررت ذكر ماقاله المرافق ونسبته اليه

وعودة إلى خروج العرب من مالطة فإن المؤرخ عودفري وتنعر يقول إن إعادة المسيحية للجزيرة قد تم ببطء شديد ، ويورد إحصائية قام بها جلبراتو آباتي عام ١٢٤٠ ، جاء فيها أن عدد العائلات المسيحية كان ٢٥٠ عائلة ، مقابل ٨٣٦ عائلة مسلمة ، و ٣٣ عائلة يهودية ويذكر ابن خلدون بعد ذلك أن الملك فردريك الثاني نفى المسلمين المالطيين ومسلمي صقلية في أعقاب تمرد قاموا به عام ١٢٤٢ ، وبعد ذلك الحين بدأ الحديث عن مصادرة أملاك المسلمين ، وعن عمليات دخولهم في الدين المسيحي وفي عام ١٣٠٠ قبل ريكاردوس المالطي التعمد واعتناق المسيحية ، وهذا يعني أن عملية إعادة المسيحية إلى الجزيرة قد تم بشكل سلمي حتى عام ١٢٥٠ تقريبا ، لكنه تحول الى عملية قسرية عنيفة بعد ذلك ، وأنه منذ عام ١٢٤٩ بدأت عملية ممنهجية لازالة كل أثر للمسلمين في مالطة ، بعد طردهم أو بقاء من قبل اعتناق المسيحية ، حتى الت أوضاع مالطة إلى ما هي عليه ، ولم يعد هناك من يؤذن في مالطة ، فأصبحت بحاجة الى من يقيم الدين فيها وهذه على أي حال ليست مدخلا نحو إيقاظ فتنة طائفية بقيت نائمة كل تلك المئات من السنين ، بل هي مدخل للحديث عن مجموعة المتناقضات التي نراها اليوم في مالطة

الفرسان والصقر المالطي

في عام ١٥٣٠ منح الامبراطور كالورس الخامس جزر مالطة لفرسان القديس يوحنا ، وكان هؤلاء قد غادروا جزيرة رودس هربا من الأتراك العثمانيين ، وكان الفرسان في الأصل فريقا من الفرسان الصليبيين ، من جنسيات أوروبية مختلفة ، وقد طردوا من فلسطين لسوء تصرفاتهم ، فذهبوا ليستقروا في جزيرة رودس ، وعندما طردهم الأتراك

(فوق) فتاة مالطية تصنع الحرف (فوق الى اليسار) مهرجان الألوان في ربيع (في الأسفل) شاطىء وسائحون (الى اقصى اليسار) غار الظلام ومعابد حجرية تمثل تاريخا عمره لآلاف السنين

من هناك لجأوا الى مالطة . وتحت رمز الصليب حكم الفرسان مالطة ، وبنوا الكنائس العظيمة الهائلة التي ما تزال شاهدا على عصرهم وتحت راية الحقد الصليبية التي حاربوا بها في فلسطين بدأوا بطمس ما بقي من اثار العرب والمسلمين ، وعاشوا حياة قرصنة في البحر المتوسط

لكن لجوءهم الى مالطة لم يبعد الأتراك عنهم ، فلم يكف هؤلاء عن تعقبهم ، ومحاصرة مدن مالطة ، واحتلال بعضها احيانا ، وهذا ما يفسر وجود تلك القلاع المنيعة ، والأسوار الحصينة ، وأبراج المراقبة التي تحيط بالجزيرتين تماما ، فقد كان شبح الخوف من هجمات الأتراك العثمانيين الذين كانوا قوة بحرية يحسب حسابها مخيما على الفرسان ولم يتردد هولاء في استخدام المالطيين في بناء أسوارهم وقلاعهم وكنائسهم وكان البابا يرسل المال والعبيد للمساعدة في بناء الأسوار مقابل صقر يبعث به المالطيون للبابا كل عام ، ومن وحي هذه الحادثة انتجت هوليود فلما شهيرا في بداية الأربعينات بعنوان الصقر المالطي

ولا أدري هل هي مصادفة أيضا أن تكون المقبرة التركية بقبورها وشواهدها هي أبرز ما تبقى من عهود الاحتلال التركي للجزيرة ، فماتزال هذه المقبرة هي المقبرة الاسلامية في مالطة وعندما زرناها شاهدنا قبورا قديمة وحديثة لعرب ومسلمين ، دفنوا فيها ، وكانت باقات الورد فوق بعض هذه القبور تشي بالحال ، بينما كان باستطاعتنا ملاحظة التراب الرطب لأحد هذه القبور وعندما اقتربنا من شاهد القبر قرأنا اسما لعربي من مصر مات في مالطة منذ مدة وجيزة فدفن بها

لكن الفرسان لم يقصوا على اللغة العربية التي كانت لغة أهل البلاد لسببين ، الأول أن الفرسان أنفسهم كانوا ينتمون الى قوميات مختلفة ، وبالتالي كانوا يستعملون لغات مختلفة ، والثاني أن هؤلاء لم يكونوا يختلطون بالمالطيين ، بل كانت العلاقة بين الطرفين علاقة حكام بمحكومين لذلك بقيت العربية لغة أهل مالطة ، وبقي اللسان المالطي ينطق بالعربية التي أصبحت تكتب بالأحرف اللاتينية

مالطة يوك

قبل وصولنا الى مالطة كنا قد عرفنا أن الحكومة المالطية ألغت قرارا ينص على أن تكون اللغة العربية إحدى اللغات التي تدرس في المرحلة الثانوية إجباريا ، وأن يكون النجاح فيها شرطا لانتقال الطالب الى السنة التالية ، وبالتالي فهي شرط لدخول الجامعة وكان لابد لنا أن نسأل بهذا الشأن ، فتوجهنا الى البروفيسور بيتر سيراتشينو انعلوت أستاذ الفلسفة بجامعة مالطة ، وعندما بادرناه بالسؤال قال « إن مستوى اللغة العربية عند دخول الجامعة كان ضعيفا جدا ، وكان على الآباء الذين يعرف أولادهم اللغات المالطية والانكليزية والايطالية أن يتعلموا اللغة العربية أيضا ، وهي لغة صعبة جدا ، خاصة عندما تضاف إلى اللغات المذكورة ، مما يجعل دخول الطالب للجامعة صعبا بالفعل ، لكن في نفس الوقت أصبحت اللغة العربية اختيارية ، كما خصص كرسي للغة العربية في الجامعة والنجاح في اللغة العربية إجباري لكل متخصص في دراسة اللغة المالطية ، وبذلك تكون المشكلة قد حلت حلا سلميا إن جاز التعبير

وعندما سألنا البروفيسور انعلوت إن كان يعرف أصل المثل القائل بعثية « الأذان في مالطة » أو عبثية « إقامة الدين في مالطة » أجاب بأنه لا يعرف ، لكنه يعرف مثلا شبيها بذلك في اللغة التركية ، هو « مالطة يوك » ، وقد قيل هذا المثل عندما طلب السلطان التركي من أحد قادته الابحار لاحتلال مالطة ، وبعد أشهر عاد القائد للسلطان ، وقال له « مالطة يوك » ، أي أنه لم يعثر على مالطة ، فأدركنا في بعثة العربي كم كنا محظوظين ، فقد عثرنا على مالطة ، وإن لم نعثر من آثار أجدادنا هناك إلا على شواهد القبور ، فشواهد القبور تكفي

بعد أن عرفنا قصتنا مع مالطة ، أو قصة مالطة معنا لنترك الأمر جانبا الآن ، ونحاول الدخول من مدخل آخر الى الأرخبيل

ركلة الحذاء الأيطالي

إذا نظرت الى خارطة للعالم فقد لا ترى مالطة ، أما اذا نظرت الى خارطة للبحر الأبيض المتوسط فسترى نقطتين صغيرتين أسفل جزيرة صقلية التي بدت وكأنها كرة يركلها « الحذاء الايطالي » الذي تدلى من موقع متوسط بأوروبا عبر البحر الأبيض ، فبدت هاتان النقطتان وهما جزيرتا مالطة وجورو ، وكأنهما حبتا رمل صغيرتان ، انتثرتا مع الكرة الصقلية وفي الواقع أن هذا التشبيه ليس بعيدا عن الحقيقة تماما ، إذ تقول الجغرافيا أن الجزر المالطية كانت في يوم من الأيام جزءا من جزيرة صقلية الايطالية ، وأنها انفصلت عن الجزيرة الأم في عصر موغل في القدم ، هو نهاية العصر الجليدي ، ومنذ ذلك التاريخ السحيق وحتى اليوم ابتعدت الجزر المالطية عن الجزيرة الأم مسافة ٩٣ كم ، وانفصلت عن اوروبا ، لكنها لم تصبح جزءا من الوطن العربي في الشاطىء المقابل وتبلغ مساحة مالطة وجورو ٣١٥ كم٢ تقريبا ، ويسكنها نحو ٣٣٥ ألف نسمة فقط

لقد وضعنا أيدينا إذن على أصل مالطة الأوروبي ، وأصل لغتها العربية ، فماذا عن تاريخها القديم ؟

لا يقل تاريخ مالطة إيغالا في الزمن عن جغرافيتها ، وحتى نستطيع أن نتصور هذا المدى في الايغال ، فإن علينا الذهاب الى « غار الظلام » ، وهذا الاسم ليس ترجمة عربية لاسم غير عربي بل هو الاسم الحقيقي لذلك الغار الذي يعود الى ما قبل العصر الجليدي الأخير وعلى باب الغار علقت قطعة معدنية مربعة كتب عليها (غار ظلام)

وعندما وصلنا الى هناك كانت الدهشة من اكتشاف المزيد من الألفاظ والأسماء والتعبيرات العربية قد انتهت ، وبدأنا بعد ذلك في لغة أخرى هي لغة الشرح والمواءمة ، واكتشاف الأصول العربية للكلمات المالطية ، وهي أصول لا يعرفها سكان الجزيرة على الرغم من نطقهم لها بل إن عددا كبيرا من الأمثال الشعبية المالطية عربية نصا وروحا كما يقال

والأمر نفسه ينطبق على الأسماء في هذه الجزيرة وخاصة أسماء العائلات مثل كتكوتي وكرواته ومفسود والأخير هو اسم الرئيس المالطي السابق واسم مدير مكتب المعلومات في الجزيرة الذي بدا وجهه مألوفا لنا.وعندما استرجعت صورته في الذاكرة ، عادت الى ذهني تلك الأحداث المأساوية التي تحول فيها مطار سان لوقا الصغير إلى بؤرة اهتمام العالم عام ١٩٨٥ عندما خطفت طائرة تابعة للخطوط الجوية المصرية وانتهى الأمر بأكبر كارثة خطف طائرة في التاريخ عندها كان بول مفسود هو المصدر الرسمي الأساسي لتلك المعلومات المأساوية

وعلى أي حال فلم يكن (غار الظلام) غير واحد من الأسماء العربية إنما الدهشة الكبرى كانت للمفارقة الكبيرة الناتجة عن غموض التاريخ العربي والاسلامي في الجزر ، على الرغم من اقترابها الزمني نسبيا والمعلومات الكثيرة ـ نسبيا أيضا ـ حول مالطة في العصر الجليدي والحجري والبرونزي والنحاسي

في (غار الظلام) الذي يمتد عدة عشرات من الأمتار بعرض واد عظيم اسمه (ويد ظلام) ، أي وادي الظلام ، تقع عيناك على أعداد كبيرة من الهياكل العظمية لحيوانات غريبة الهيئة ، مثل الدببة البنية والفيلة القزمة ، وفرس البحر والنحج العملاقة ، إلى جانب الثعالب والذئاب والغزلان ، وبجانبها مئات من الأسنان والفكوك والأيدي والأرجل لتلك الحيوانات ويقول مكتشفو هذا الغار أن هذه الحيوانات المنقرضة كانت هاربة من زحف الجليد في العصر الجليدي الأخير ، قبل نحو ٢٠ ألف سنة ، وأن هذا الغار الذي كان تحت الأرض قد احتوى على هذه العظام التي بقيت شاهدا على عصر الجليد المالطي

ومما يدعم النظرية أن هذه الحيوانات لم يعرف أنها قد عاشت في مالطة في يوم من الأيام

أما الغار الذي امتد عدة عشرات من الأمتار للداخل فقد تدلت من سقفه عناقيد حجرية ، هي عبارة عن تكثيف للزمن ، حيث أن كل قطرة من الماء

المتحجر الذي كوّن هذه العناقيد يمثل مئة عام من الزمن

عصر التحشيش المالطي

ومن (غـار الظلام) إلى غـار آخـر يـدعى (الهيبوغيوم) . وهذا الأخير معبد قديم . يعود الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد . وقد حفره سكان مالطة في العصر الحجري تحت الأرض . وجعلوه على هيئة غرف كبيرة وصغيرة . خصص بعضها للجلوس وبعضها لتقديم القرابين . وبعضها لاقامة الصلوات البـدائيـة . وبينهـا غـرفـة مستـطيلة . زينت جدرانها ببعض الرسـومات والتخـطيطات البـدائية الملونـة . كما نقش عليهـا ما يشبـه التـربيبـات التي حفرت في الصخر بعرض الجدار وطوله . وإلى جانب هذه الخطوط حفرت بعض التجويفات التي يتسع الواحد منها لرأس إنسان. وتقدم مرافقنا ذو الاسم والشكل الايرلنديين . وأدخل رأسه في إحدى هذه التجويفـات . وبدأ بإخراج أصـوات متصلة ومنغمة تنغيما عجيبا . وكانت التجـاويف الأخرى والمبنى كله يـردد صدى هـذه الأصوات . ويـطول ترديد الصدى بفضل هـذه التربيبـات المحفورة في جدار الكهف وغرفه المختلفة

توقف جون ماهوني مرافقنا المالطي عن إخـراج الأصـوات ، وبدأ بـالشـرح لقـد حفرت هـذه التربيبات الجـدارية حتى تنقـل الصوت الى أرجـاء غرف المعبد المجاورة . وكان ذلـك يمثل نـوعا من التسلية والترفيه بالنسبة للمالطيين في العصر الحجري بعد يوم مرهق من العمل . فقد كان هؤلاء يتجمعون في هذه الغرفـة . ويبدأون بـالتحشيش الذي كـان معروفا لديهم ،وعندما يأخذ مفعول الحشيش بالسريان في أجساد رجال العصر الحجري كان أحدهم ينهض ويدخل رأسه في أحد هـذه التجاويف عـلى جانبي الجدار ويبدأ بالتفنن في إخراج الأصوات ذات الأنغام المختلفـة على النحـو الذي سمعنـاه قبـل قليـل من مـرافقنا وقـد يرد عـلى هـذه الأصـوات شخص حجري آخر من تجويف آخر . فيبدأ باخراج أصوات مقابلة تفوقها تنغيما . ويأخذ الحاضرين الـطرب . وتعلو ضحكاتهم ، ويستمر تحشيشهم ، ويـواصل هؤلاء إخـراج الأصـوات المنغمـة بـين ضحـك الحاضرين واستحسانهم ، ويعود حشـاشو العصر الحجري بعد ذلك الى كهوفهم فرحين مسرورين ، بعد أن قضوا سهرة لطيفة في زمن لم يكن فيه تلفاز أو فيديو أو مسرح يفرج همومهم الحجرية

وقد اتخذ سكان مالطة الحجريون من امرأة هائلة السمنة إلهة للخصب والعطاء والنماء ، وكانوا بذلك صادقين مع تصوراتهم البدائية عن الخصب ، بقدر ما كانوا صادقين مع إغرارهم للحشيش وهلوساته ، إنهم يقدرون الجمال ورشاقة الجسم دون شـك ، لكنهم يريدون الخصب من إلهة بهذا الحجم لا يمكن لعطائها أن ينضب

ومن معبد « الهيبوغيـوم » تحت الأرض الى معبد « طرشين » فوق الأرض الذي أقامه سكان جزيـرة مـالطة من حجـارة هائلة الحجم . أحضـروها من أمـاكن بعيدة دحـرجة عـلى حجارة أخـرى مكورة وأصغـر حجـما ويتكـون المعبـد من سـاحتين مستديرتين ، اتصلتا عبر بوابة حجرية ، وقد توسط الساحة الأولى تمثـال للالهـة البدينـة ، بينما تـوسط الساحة الثانية حوض تقدم فيه القرابين وهذا المعبد نموذج لمعابد أخرى كثيرة تقع في أماكن متفرقـة من الجزيرتين ويعود تاريخ هذه المعابد الى فترة تقع بين الألفين الخامس والثالث الميلاديين

وأشار لي المرافق بأن أصعد الى مكان مرتفع لألقي نظرة على سطح المعبد وحين صعدت رأيت بالفعل أن المعبد بساحتيه والبوابة التي تربط بينهما هـي أشبـه برسم لجسم المرأة البدينة فالساحتان هما ردفا المرأة وصدرها والبوابة التي تفصل بين السـاحتين هي خصر المرأة عبر النحيل وعلى أي حال فإن هذا لم يكن اكتشافي الشخصي بل نظرية يقـول بها بعض المؤرخين والباحثين ، وحين صعـدت الى مكـاني العلوي كنت أول المؤمنين بهذه النـظريـة من بين العرب على الأقل

البحر والشمس والعقل المالطي

ومن مالطة الحجرية الى مالطة الحديثة ذات البحر

شارع مستقيم وبنايات متوازنة في مالطا

والشمس والآثار التاريخية ، وأهم من ذلك كله الموقع الاستراتيجي الذي جعلها عرضة لكل تلك الصراعات التاريخية التي تحدثنا عنها

أثناء رحلته للشرق مرّ نابليون بجزيرة مالطة ، وقد سهل له الفرسان احتلالها عام ١٧٩٨ لكن الانكليز ـ خصوم نابليون الألداء ـ لم يتركوا له تلك النقطة الاستراتيجية المهمة ، فطردوا الفرنسيين وحلوا محلهم عام ١٨١٥ ، ليبدأ فصل جديد في تاريخ الجزر المعذبة ، استمر حتى عام ١٩٦٤ عندما نالت مالطة استقلالها لكن البريطانيين أبقوا على قواعد لهم فيها

في عام ١٩٧٢ بدأ الخلاف يدب بين حزب العمال المالطي الحاكم وبين بريطانيا ، بشأن شروط تأجير القواعد وفي عام ١٩٧٩ قررت مالطة الاستغناء عن القواعد العسكرية البريطانية التي كانت تدر عليها دخلا جيدا ، ففقدت مالطة أهميتها الاستراتيجية ، ولم يبق لديها غير البحر والشمس

● مالطة لسان عربي وقلب أوروبي !

والتاريخ ، وشيء واحد أهم من كل هذا ـ حسب قول موريس كروانه سكرتير شركة بناء السفن المالطية في ميناء « مرسى » بمالطة ـ هو « العقل »

بعد خروج القواعد البريطانية من مالطة ، وجد المالطيون أنفسهم محرومين من مورد مالي مهم ، وعمل العقل المالطي على تدعيم صناعة السفن وإصلاحها ، تلك المهنة القديمة التي عرفت بها مالطة منذ القرن السادس عشر ، وبدأت بمد جسور الاتصال مع الدول العربية ، ومنها الكويت والسعودية وليبيا والجزائر وقد ساهمت الدولتان الأخيرتان بدعم المشروع الذي ضمن عملا لمدة عشر سنوات الى الأمام ، في عالم يعاني من التضخم حينا والركود أحيانا ، ومن التضخم والركود معا أحايين أخرى كما قال كروانه

الى جانب هذا الميناء المهم هناك حوض جاف لإصلاح السفن في ميناء « مرسى شلوك » أخبرنا نائب المدير ف سموط ، أنه تعامل في صيف عام ٨٦ مع الكويت ، حيث أصلحوا سفينة كويتية ، ووجه سموط « عبر العربي » دعوة للتعامل في مجال إصلاح السفن ، مشيرا الى أوجه الشبه بين الكويت ومالطة ، باعتبارهما دولتين صغيرتين تحتلان موقعين استراتيجيين مهمين

ومن هناك الى صوامع الحبوب التي تأتي من أماكن بعيدة مثل الأرجنتين واستراليا ، فتخزنها مالطة في صوامعها قبل توزيعها على بلدان الشرق الأوسط

من الطريف أن نذكر أن هذه الصوامع قد كانت في الأصل مخازن للذخيرة ، يستخدمها حلف الناتو ، وعندما خرجت القواعد ، بقيت المخازن التي اختير لها مكان بين الصخور الشاهقة ، فتحولت مخازن الذخيرة الى مخازن للحبوب ، وأثبت العقل المالطي انه لا يستطيع الاستفادة من الشمس والبحر والتاريخ فقط ، بل ومن عقليته العملية أيضا

بخروج القواعد البريطانية بدأت مالطة عهدا جديدا ، بنت خلاله علاقات جيدة مع العرب ، أشقائها في اللسان ، بينما بقي قلبها الأوروبي يشاغل جيرانها في القارة القريبة

قالت العرب .. بالمالطية !

من أهم الكتب التي تصور العلاقة المالطية المعقدة مع كل من العرب والاوربيين ، رواية لكاتب أمريكي إسمه توماس بيتشور ، وتدور أحداث هذه الرواية في الاساس حول قضايا المثقفين في مالطة خلال الحرب العالمية الثانية . ففي هذه الاجواء تنشأ قصة حب بين بطل القصة الامريكي وفتاة مالطية ، وعندما يحاول بطل الرواية شرح مشاعره لحبيبته المالطية يجد صعوبة كبيرة ، فهو لايعرف المالطية وهي غير متمكنة من الانكليزية ، مما يحول دون اكتمال هذه العلاقة

ويعلق البروفيسور بيتر سيراتشيسو اغلوت على هذه الروايةفيقول إنها تلخص مشكلة المالطيين الاساسية ، وتتركز هذه المشكلة في اللغة نفسها ، فلغتهم سامية الاصل والتركيب وتحوي على عدد لايحصى من المفردات العربية . لكن مالطه بحكم موقعها الاوربي مضطرة للتعامل مع الاوربيين ، الا أن اللغة تقف حائلا دون ذلك

رغم محاولات بعض المؤرخين القول أن اللغة المالطية هي اللغة الفينيقية القديمة ، وقول آخرين أنها كنعانية ، الا أن كل تلك تخمينات تفتقد الدليل المادي الذي يثبتها ، أما التحليل الاقر[ب] إلى المنطق بهذا الشأن ، فهو أن اللغة المالطية [..] عربية ، دخلت مالطة مع الفتح العربي للبلاد لذا فان اللهجة الغالبة على هذه اللغة هي لهـ[جة] أهل المغرب العربي ومثل غالبية لهجات المغر[ب] العربي فإن الفعل لديهم يبدأ بحرف النو[ن] وينتهي بحرف الواو كما هو الحال في معظم دو[ل] شمال أفريقيا مثل « ساكلو » و « نكتبو » وغيرها

وبالطبع فإن تغيرات عديدة طرأت على بعـ[ض] بعض الأحرف فحرف الدال يقلب إلى تاء كلمة « الدرج » لتصبح « الترج » ، والصاد تقلب إلى سين ، والقاف إلى همزة وهكذا ، [كما] هو الحال في كثير من اللهجات العامية العربية وبينما كنا في الطريق إلى أحد المصانع هناك وجـ[دنا] البوابة مغلقة ، فقال مرافقنا للسائق « هيا [نأخذ] الدرب الاخرى » أي لنذهب من الطر[يق] الأخرى

وكما قال البروفيسور اغلوت فتأثير اللـ[غة] العربية في اللغة المالطية لم يقتصر على المفردا[ت] فحسب ، بل هو موجود في التركيب الداخـ[لي] للغة

وقد أخذ هذا التأثير مداه عبر طريق معقدة أنها استقرت في الوجدان الاجتماعي للشعـ[ب] المالطي ، وذلك من خلال الأمثال التي يرددها المالطيون ولا يحصى عدد الأمثال المالطية ا[لتي] لاتعكس تأثيرا لغويا فحسب بل تعكس حـ[الة] إجتماعية عربية الخصائص أيضا

ومن كتاب يدرس في مناهج المدارس الثانو[ية] مالطة إسمه « قويل مالطين » أي الأقو[ال] المالطية » اخترت مجموعة من الأمثال ، حاول[ت] أن أفهمها دون الرجوع إلى ترجمة عربية انكليزية ، ومن هذه الأمثال ، « كلب راقـ[د] ...

وجه مالطي بملامح معتاد قديم

البروفيسور بيترسيرانتشيو العلوت

لاتقيموش » « عقل وفلوس مين عنده » ، « رقد بالجوع حلم بالمطاير » ، « حنزير تقطعلو دبو حـريـر يبقى » ، « الـطيب الله » ، و « بعـد الصحـك ييحي البكي » ، « البحـر يكشـف كـلش » ، « وبعيت مـن العـين بعيت مـن القلب » ، « وعين ما ترى قلب ماتوجع » وكلها امثال لا تحتاج الى أي ترجمة ،

أما الأسماء فمشكلتها أبسط من دلك بكثير ، فقد دلني مرافقـا على مكتبـة أجد فيهـا كتاب « قويل مالطين » السالف الذكر ، فقال أبي قد أجده لدى مكتبة « عجور وعجور » ، ومن هنا بدأت رحلة لاتنتهي مع الأسـماء المالـطية ذات الأصول العربية

ويكفي أن نشـير إلى أن إسم رئيس وزراء مـالـطة الأسبق دوم « منتـوف » ، وإسم رئيس الوزراء السابق كارلوبيتشي « مفسـود » وإسم رئيس الجمهورية الأسبق الـراحل « بـودحيج » ولمن قد لايفهمون المعنى فإنه « بودحاج » وقد كان هذا الرئيس مثقفا وشاعرا أطلق عـلى أحد دواوينه الشعرية اسم « قصبة مالريه » أي « قصبة مع الريح »

والطريف بالنسبة للاسماء أن تعاقب الحكـام على مالطة أوجد حالة غـريبة فبعض الاسمـاء تغيرت حسب اللغات الاوربية ، ولفظ كل من هذه اللغات لهذا الاسم مثل « كارل » الذي تحول الى « تشـارلز » و « حـوربي » الذي تحـول الى « اريف » ليتـواءم مع انتقـال مالـطة من الحكم الروماني الى الحكم الانجليزي

وفي حالات أكثر طرافة وشذوذا ترجمت بعض الاسماء ترجمة حرفية من لغة الى لغة ، وهكذا فإن لقب « كتكوتي » هو « سولتشيو »،الاول عـربي والثاني ايطالي

غير أن اللغة المالطية المحكية مند زمن طويل نسبيا لم توضع لها القواعد إلا في الثلاثينات من هذا القرن ، وقبل ذلك لم تكن تستخدم كتابة ، ولكن مع بداية هذا القرن كان هنـاك اتجاهـان رئيسيان بشأن لغة البلاد ، الاول يدعو إلى جعل الانكليزية هي اللغة الرسمية والثاني ينادي بجعل اللغـة الإيطاليـة هي لغة البـلاد ، ولم يكن من مدافع عن اللغة المالطية سوى أقلية ضئيلة إلا أن تـطورا هامـا نشأ في الثـلاثينيات ، عـندمـا وضعت قواعد خاصة باللغة المالطية

ولكن حقيقة مهمة برزت بعد ذلك ، وهي أن اللغة المالطية ليس لديها تراث مكتوب يغني اللغة ويثريها بالمفردات والمصـطلحات والتعـابير التي تعبر عن شتى نواحي الحياة العصرية لذا فقد توجد رواية وقد يوجد ديوان شعر ولكن لايوجد كتاب في الفلسفة ، أو في فلسفة التاريخ مثلا ، فمثل هذه الكتب متوفرة بـاللغة الانكليـزية أو الايطالية حتى لو كان كتابها مالطيون

وفي القرن الماضي ذهب اللغوي اللبناني أحمد فارس الشدياق الى مالطة ومكث هناك فترة درس خلالها اللغة العربية في مدارس مالطة ، وعاب على أهل البلاد أن لغتهم هي عامية عربية ، ودعا الى أن يعود المالطيون إلى أصل لغتهم الحالية ، أي إلى اللغة العربية الأم حتى يصلحوا ما أسماه لغتهم « الفاسدة » ، واليوم ، بعد نحو قرن من الزمن على كلام الشدياق نجد المالطيون أنفسهم أمام مفترق طرق لغوي ، بل أن هناك من يتوقع أن تموت اللغة المـالطيـة ، إذا لم يجر تـطويرهـا وإثراؤها

أما الخيـار الآخـر فهـو أن تكتب المؤلفـات الأساسية بالانكليزية والإيطالية وتبقى لغة مالطة لغـة محكية أو لغـة عربيـة « فاسـدة » كـما قـال الشدياق □

البيريليوم معدن العصر

بقلم الدكتور محمد أبوبكر *

البيريليوم معدن قديم حديد ، عرفه لاسان مد فحر التاريخ ، واستحدمه ، لكنه في القرون التلاتة الأحيرة اكتسف حصائصه ومكوناته النادرة ، فرايد استحدامه فى المحالات الدقيقة والمهمة فما هي قصه هدا المعدن التمين ؟

إن معدن البيريليوم قد اكتشف في عام ١٨٢٨م من قبل « فيولر » (ومن قبل « بيوسي » مستقلا عنه) بارحاع كلور البيريليوم بالبوتاسيوم ، وحصلا عليه حرا ، ومع هدا فقد تمكن الفرنسي « لبو » بعد سبعين عاما من الحصول على معدن البيريليوم النقي ودلك بالتحليل الكهربائي لأملاحه المصهورة .

وقد عرف الانسان البيريليوم في فلزاته مند ما قبل التاريخ ، إذ أن الزمرد واحد من الفلزات الكثيرة للبيريليوم كالاكوامارين دى اللون الأحضر المزرق كزرقة ماء البحر والبيريل الأحضر المصفر ، والفاكيت ($Be(SIO_4)$) الأكثر صفاء من الماء ويشكل Beo فيه نسبة ٤٥,٥ / والأكلار دي اللون الأزرق اللطيف ، والكريزوبيريل الأحضر الشفاف وفيه

* أستاذ بكلية العلوم - جامعة حلب

Beo بسنة ١٩/ والالكسندريت ذي اللون الأخضر الكثيف نهارا والقرمزي ليلا تحت ضوء المصباح الكهربائي

اكتشاف البيريليوم

تبدأ قصة الانسان مع البيريليوم إذا منذ أن تعرف على الزمرد . وقد عرفت مناجم الزمرد منذ أكثر من ألفي عام في صحراء النوبة القاحلة . حيث كان يستخرج بلورات مدهشة من حجر الزمرد الاخضر . ثم ينقل إلى شواطيء البحر الأحمر ، ومن ثم إلى قصور حكام اوروبا والشرقين الأوسط والاقصى ، إلى أباطرة بيزنطة وملوك فارس وراجات الهند

وبعد وصول الأوروبيين إلى أمريكا وجد الانسان في المقابر والمعابد في المكسيك والبيرو وكولومبيا كميات هائلة من أحجار الزمرد الأخضر المعتم ، فأخذوا ينهبون ما استطاعوا منها . ولم يعثروا على مناجم الزمرد في كولومبيا إلا في منتصف القرن السادس عشر . إذ أن الهنود الحمر كانوا يتكتمون على سر وجودها

في القرن التاسع عشر اكتشف الزمرد في الأورال . وفي عام ١٨٣٤ تم العثور في أحد المناجم في الأورال على زمرد ضخم جميل . بلغ وزنه كيلوغرامان و ٢٢٦ غراما . فنقل إلى العاصمة بطرسبورغ . ومنها هرب إلى فيينا ، مما اضطر الحكومة الروسية الى إعادة شرائه من النمسا ، وأصبح الان في متحف أكاديمية العلوم السوفيتية في موسكو

ستخدم البيريل من بين جميع فلزات البيريليوم في الصناعة . وقد أمكن الحصول في الطبيعة على بلورات ضخمة منه ، تزن عشرات ومئات بل وألوف الكيلوغرامات . وقد بلغ طول أضخم بلورة منها حوالي تسعة أمتار . ويوجد حاليا في المتحف الجيولوجي في لسنغراد بلورة من البريل طولها متر ونصف متر

لم يسحر الزمرد بجماله هواة جمع الأحجار الكريمة فقط ، وإنما استأثر باهتمام الكيميائيين أيضا ، وبسبب كونه كثير الشبه بالالمنيوم ومتباينا معه في نفس الوقت فقد شوّش أمر الوصول إليه العالم مندليف لدى ترتيبه الجدول الدوري ، إذ كان يظن أنه ثلاثي التكافؤ ووزنه يعادل ١٥,٣ وبالتالي يجب أن يكون موقعه بين الكربون والنتروجين . وهذا يتعارض مع ظاهرة التغير القانوني لخواص العناصر ، ويشكك في صحة الجدول الدوري للعناصر . وبما أن مندليف كان شديد الثقة بصحة الجدول الدوري والقانون الدوري فقد وجد أن تعيين الوزن الذري للبيريليوم كان خاطئا ، وأن تكافؤه يجب أن يكون ثنائيا وليس ثلاثيا ، وبخاصة أنه شبيه بالماغنزيوم . لهذا فقد صحح مندليف وضع البيريليوم في الجدول الدوري ، وجعله في الفصيلة الثانية ، وجعل وزنه الذري مساويا(٩). وبالفعل فقد وجد الكيميائيان السويديان « نيلسون » و « بيترسون » فيما بعد أن الوزن الذري للبيريليوم هو ٩,١ . وهكذا بعد أن كان البيريليوم مشككا في الجدول الدوري أصبح مؤكدا له . ومما تجدر الاشارة إليه أنه في ١٥/ ٢/ ١٧٩٨ كان قد أعلن فوكلين في اجتماع اكاديمية العلوم الفرنسية أن البيريل والزمرد يحتويان على « تراب » جديد ، يختلف في خواصه عن الألومينا ، (اوكسيد الالمنيوم) ، واقترح تسمية العنصر الجديد المكتشف بالجليسيوم بسبب طعم املاحه الحلوة ، وهذه التسمية هي الشائعة حتى الآن في فرنسا

الطفل الذكي

في الحقيقة قصة البيريليوم كقصة الطفل الذكي ، ما أن تنعته « بالشقاوة » بسبب أعراض الطفولة ، حتى يأتيك بما يثبت أنه ذكي ويجعل نفسه محبا بالفعل نجد مثلا أن المراجع الكيميائية ظلت حتى بداية القرن الحالي تنعته بأنه عنصر خامل وكسول ، لكن ما أن تمكن العلم من الوصول إليه نقيا ودراسة خاصياته ، حتى تبين مقام البيريليوم المرموق ، من ذلك مثلا أن متانة البيريليوم تفوق متانة الفولاذ

المستعمل في الانشاءات وبنفس الوقت هو واحد من المعادن الخفيفة ، ودرجة انصهاره أعلى من درجة انصهار كل من الالمنيوم والماغنسيوم . ليس عجبا إذا ان يصبح البيريليوم اليوم إحدى المواد الأساسية لصنع الطائرات ، فاجزاء الطائرة المصنوعة من البيريليوم اخف تمرة ونصف من الأجزاء المصنوعة من الألمنيوم

من ناحية أخرى نجد أن الناقلية الحرارية للبيريليوم ممتازة ، وأن سعته الحرارية عالية ، ومقاومته للحرارة جيدة جدا . أعجبنا اذا أن يدخل البيريليوم في صناعة الصواريخ وأن يدخل في صناعة قمرة سفينة الفضاء « فرندشيب - ٧ » التي حلق فيها جون غلين ؟ أضف إلى ذلك انه يدخل في صناعة جيروسكوبات الصواريخ ، اي الأجهزة الداخلة في مجموعة توجيه وحفظ توازن الصواريخ وسفن الفضاء والاقمار الصناعية ، وذلك لأن الاجزاء المصنوعة من البيريليوم تبقى محافظة على ابعادها بدقة متناهية واكثر من هذا ان الحرارة المنتشرة من احتراق البيريليوم عالية جدا فمقدارها ١٥٠٠٠ كيلوكالوري للكيلوغرام الواحد ، وهذا ما جعله مكونا من مكونات وقود الصواريخ المتوجهة نحو القمر والكواكب الاخرى

ليست هذه المآثر هي كل ما في جعبة البيريليوم ولنا في سبائكه ما يوضح ذلك فدخوله مع النحاس

سبيكة تحتويه بنسبة ٢,٥٪ مع إضافات من النيكل والكوبالت بنسب ٠,٢ ـ ٠,٥٪ يشكل ما يسمى ببرونز البيريليوم الذي يتمتع بصلابة ومتانة عاليتين ، وناقلية جيدة للحرارة والكهرباء ، وثبات عال تجاه التآكل. لهذا فقد دخلت هذه السبيكة أيضا في صناعة الطيران ، ووجدت تطبيقات واسعة لصنع السلع التي يجب أن تكون متينة جدا ومقاومة للكلال والتآكل ، وذات ناقلية عالية للحرارة والكهرباء ، وتحافظ على مرونتها في مجال واسع من درجات الحرارة. يكفي أن نشير هنا إلى أن عدد الأجزاء المصنوعة من هذه السبائك والمستخدمة في الطيران الحديث يقدر بأكثر من ألف جزء وأنه من هذه السبائك المرنة تصنع نوابض رائعة لا تعرف الكلال عمليا ، وقادرة على تحمل ٣٢٠ مليون شوط من الحمولات متغيرة الاتجاه.

على سيرة النوابض المصنوعة من برونز البيريليوم نذكر هذه الطرفة التاريخية.

الخديعة الحربية

كانت ألمانيا الهتلرية تستقدم برونز البيريليوم من الولايات الأمريكية التي كانت تستأثر عمليا بمجمل الانتاج العالمي من هذا الفلز الاستراتيجي ، ثم فقدت الصلة بمصادره ، فقررت استخدام البلد المحايد سويسرا لتمرير خديعة ماسة ، فأوعزت لبعض الشركات السويسرية أن تستورد برونز البيريليوم ، بحجة استخدامه لصنع نوابض الساعات ، إلا أنه تبين أن الكمية المطلوبة كافية لسد حاجة العالم كله على مدى ٥٠٠ عام ، فافتضحت الخديعة وأوقفت عملية البيع. ومع ذلك لوحظ وجود نوابض من برونز البيريليوم في المدافع الرشاشة المركبة على الطائرات الالمانية في الجيش النازي.

استخدامات متعددة

يدخل البيريليوم أيضا مع الفولاذ سبيكة لا تعرف الكلال ، فنابض السيارة المصنوع من الفولاذ الكربوني العادي يتكسر بعد ٨٠٠ ـ ٨٥٠ ألف

الصواريخ يدخل في صناعتها البيريليوم

صدمة ، أما الفولاذ المعالج « بفيتامين Be » فيعطي نوابض تتحمل ١٤ مليون صدمة دون أن تظهر عليه آثار الكلال.

من المهم أن نشير إلى أن برونز البيريليوم لا يعطي شررا عند اصطدامه بحجر أو فلز ، وهذا هو عيب الفولاذ ، لهذا فهو يدخل على نطاق واسع في صنع الآلات المعرضة لخطر الانفجار كالمناجم ومصانع البارود ومستودعات النفط.

مع المغنزيوم يدخل البيريليوم بكميات قليلة جدا لا تتعدى ٠,٠١٪ سبيكة لا تشتعل أثناء الصهر في درجة ٧٠٠ كما ينخفض بشدة ميلها إلى التأكسد في الدرجة المذكورة ، وترتفع مقاومة التآكل لديه أيضا.

وفي الطب الاشعاعي وجد أن البيريليوم خير من جميع المعادن الأخرى الثابتة في الهواء من حيث تمرير الأشعة السينية (أشعة رنتجن أو أشعة X) لهذا نجد الآن أن « المنافذ » الخاصة بتمرير الأشعة السينية إنما تصنع من البيريليوم ، وذلك لقدرتها على تمرير أشعة « X » بقدرة تفوق قدرة « المنافذ » المصنوعة من الالمنيوم بسبع عشرة مرة

يدخل البيريليوم أيضا في الصناعة النووية ، فهو أول من قدم الجسيمات المحايدة من الذرة كان ذلك منذ الثلاثينيات من هذا القرن ، عندما قذف العالمان الألمانيان « بوته » و « وبيكر » البيريليوم بالجسيمات فصدر منه إشعاع ضعيف لكنه شديد الاختراق أسمياه « الاشعاع البيريلي » ، تبين أنه يستطيع المرور من خلال طبقة من الرصاص سمكها عدة سنتمترات لقد درس العالم الانكليزي « شدفيك » طبيعة هذا الاشعاع ، وبين أنه ليس إلا الجسيمات المحايدة كهربائيا التي تساوي كتلة الواحدة منها كتلة البروتون ، وقد سميت النوترونات

لما كانت النترونات غير مشحونة كهربائيا فهي قابلة للدخول بسهولة في نوى ذرات العناصر الأخرى . لهذا نجد أن النوترونات أصبحت أكثر « القذائف المدفعية » فعالية ، وأكثرها استعمالا في الصناعة النووية

أضف إلى ذلك أن البيريليوم ، من حيث موقعه في الجدول الدوري ، قد تبين أنه ضعيف الالتقاط للنوترونات ، لذا فهو يشتّتها ، ويغير اتجاه حركتها ، كما يُبطىء سرعتها ، يجعل التفاعلات السلسلية أكثر فعالية . وهو بالفعل أفضل المواد الصلبة إبطاء للنوترونات ، فهو يصدها ، ويعيدها إلى المنطقة الفعالة من المفاعل ، ويحول دون تسربها من هناك ولما كان البيريليوم بالاضافة إلى كل الخاصيات المذكورة ذا ثبات إشعاعي كبير في الدرجات العالية من الحرارة ، لذا فقد أصبح واحداً من العناصر الضرورية جدا في التقنية الذرية

في مجال نقل الصوت تبين أن البيريليوم ذو باع طويل ، فإن كانت سرعة الصوت في الهواء ٣٣٠ م/ ثا ، وفي الماء ١٤٥٠م/ ثا وتبلغ سرعة البيريليوم ٢٥٠٠٠م / ثا

من بين مركبات البيريليوم المهمة نذكر اوكسيد البيريليوم الذي يتمتع بخاصيات فريدة متعددة فهو ذو درجة انصهار عالية ٢٥٧٠° ، وثبات كيميائي عال ، وناقلية للحرارة عالية لهذا فهو يستعمل لتبطين الأفران التي تعمل بالتحريض ، وفي صناعة البوتقات المستعملة لصهر الفلزات والسبائك المختلفة ، كصهر البيريليوم على الأخص ، كما يدخل في أغلفة المواد الناشرة للحرارة في المفاعلات الذرية

أخيرا من المرتقب ، بسبب شدة عزل اوكسيد البيريليوم أن يستعمل لدى دراسة الطبقات العميقة من الكرة الأرضية . وهناك مشروع لاستئصال عينات من القشرة الأرضية تقع على عمق ٣٢ كيلومترا ، وذلك بواسطة ما يسمى الابرة الذرية ، وهي عبارة عن مفاعل ذري صغير جدا ، يغلف بغلاف عازل للحرارة مصنوع من اوكسيد البيريليوم

ليس عجبا بعد كل هذه المآثر أن يصبح البيريليوم في القرن العشرين واحداً من أهم فلزات العصر ومن المهم أن نشير إلى أن أهم مكامنه تقع في الولايات المتحدة الأمريكية وكولومبيا وجنوب امريكا ، وأن نسبته في القشرة الأرضية هي ٤،٦ - ١٠/ وأن مركباته الطيارة والغبار الذي يحويها مواد سامة جدا □

■ التمسوا الرزق في خبايا الأرض (حديث شريف)

العربي - العدد ٣٥٠ - يناير ١٩٨٨ م

الطواسين

شعر : خالد سعود الزيد

وجهاً لوجه
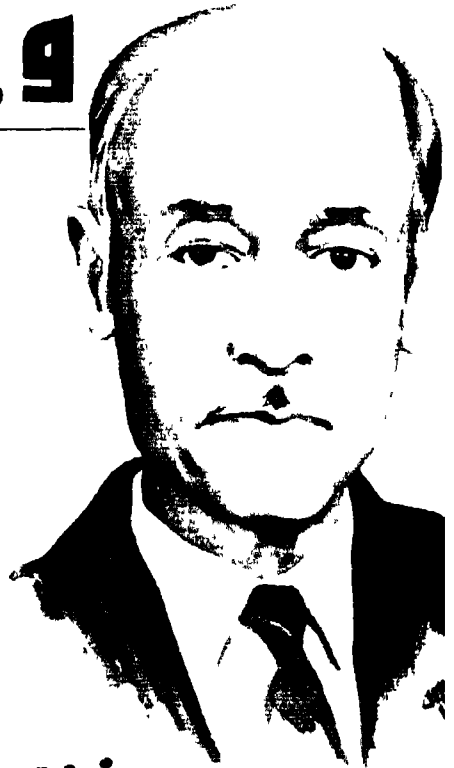
د. يس عبد الغفار   نجاح عمر

- "الكبد" مشكلة عربية عامة

- إنسان العالم الثالث هل تحول إلى حقل تجارب؟

- لم يكن "للكبد" علاقة باختياري الطب، كان السبب دينيا

- شباب هذا الجيل، ظالم أم مظلوم؟

منحت الجائزة التقديرية في مصر ـ هذا العام ـ لنفر من كبار العلماء والمفكرين الذين تميز عطاؤهم لوطنهم مصر وأمتهم العربية بالخصوبة، والتميز، وكان من بينهم الدكتور يس عبد الغفار الذي يعتبر رائد أمراض الكبد في مصر والوطن العربي

وفي الحوار الذي أجرته معه الزميلة نجاح عمر يتعرض الدكتور يس لواحد من أخطر التحديات التي تواجه إنساننا العربي مبشرا بقدرتنا في السيطرة عليه

كنت اتصور أني سأقتحم هموم إنسان العالم الثالث من باب « الكبد » ، فمحدثي هو الدكتور يس عبد الغفار ، أو الباحث الطبيب الذي بدأ الحياة عنده وينتهي عند ذلك « العضو » الفرد الذي لا يشاركه وظيفته أي عضو آخر

كنت أتصور أن العلاقة بين الطبيب ورسالته لها تاريخ ما ، فالدكتور يس ابن القرية المصرية التي يحمل ٩٠٪ من أبنائها البلهارسيا أينما ذهبوا وعندما ذهبت إليه كانت المفاجأة لقد قادني الطبيب الكبير إلى الطب من باب الأدب!

ـ قال نعم ، هناك علاقة بين طفولتي ودراسة الطب ، لقد درست الطب عن اختيار كامل من جانبي ، لقد نشأت في « تلا » إحدى قرى محافظة المنوفية ،وحتمت علي ظروف حياتي أن أنشأ في جو ديني ، هذا الجو مكنني من التمكن اللغوي ، فقد فرضت عليّ القراءة نفسها إلى الحد الذي استطعت به أن أكتب الشعر وأنا في الرابعة عشرة من عمري

جدي معلمي الأول

علمت هذه البداية كنت مقدمات لكي تعدو شاعرا لا عالما ولاطبيبا

ـ بالفعل . كان المفروض أن أنضم للقسم الأدبي ، إلا أنه حدث شيء جعلني أختار القسم العلمي ، وبخاصة الطب كانت الكتب الدينية جزءا من قراءاتي ، وعندما كنت أقرأ لحجة الاسلام الامام الغزالي

✣ كنت تقرأ للغزالي وأنت ابن الرابعة عشرة ؟

نعم ، كنت اقرأ له كثيرا ، بعض مؤلفاته ضمت أربع مجلدات ومع ذلك قرأتها ففي تلك الفترة لم يكن هناك ما يلهي الشباب ، كما هو الحال الان ، حيث السينما والتلفاز والفديو ، إلى آخره المهم قرات للامام الغزالي « أن تعلم الطب في الاسلام فرض كفاية » ، بمعنى أن أي مجموعة من المسلمين تشكل مجتمعا ما ، يجب أن يتعلم الطب فيها واحد منها ، أي واحد ، وإلا فقد أثم الجميع وأنا أقرأ هذا اتضح لي أن الإسلام يخص مهنة الطب بهذه الميزة العظيمة التي لم يخلعها على أي مهنة أخرى

اكتشفت هذه الحقيقة وأنا في فترة الاختيار بين العلمي والأدبي ، وكان عمري ١٤ عاما وأعترف في ذلك لجدي بالفضل ، فقد كان جدي من كبار المشايخ ، وكان رجل دين متفتحاً يتحدث الانجليزية ، لكنه نزح إلى القرية ، وأقام فيها ، وسلك المسلك الديني المستنير كانت له مكتبة كبيرة ثم وقع ما صدمني ، فقد توفي جدي وأنا ابن اثني عشر عاما ، وسبب ذلك صدمة كبيرة لي ، فلم يكن أمامي إلا أن أعكف على الحياة الأخرى

توقفت عن الرياضة والحياة الاجتماعية وعكفت على القراءة الدينية . قرأت كتب محيي الدين بن عربي «الفتوحات المكية» و «الفتوحات المدنية» التي كان الكثيرون يعجزون عن فهمها . كانت ألغازا معلقة لا يفهمها إلا الواصلون . تصوفت لا قراءة فقط ، ولكن تطبيقا وعملا

* كيف يجمع الإنسان بين العلم والتصوف ؟

ـ التصوف تعذيب للنفس كي تنقى . فالروح سجينة الجسد . وكلما أتحنا الفرص للروح كي تسمو على نزعات الجسد اقتربنا من الوصول ومن عادة المتصوفين أخذ النفس بالشدة وهذه الشدة مارستها وانا صغير هذه الفترة أثرت على حياتي حتى اليوم . لقد تعودت القفز فوق المصاعب حتى أصبحت الآن لا ارى أي موانع في الطريق . لم تعد في حياتي صعوبات غير قابلة للتغلب عليها

وهكذا أصبحت طبيبا لم يكن « للكبد » علاقة باختياري . كان السبب دينيا محضا . لكن عندما مارست المهنة تبين لي أن أمراض الكبد تشكل مشكلة مادية وصحية . على جانب كبير من الأهمية والخطورة . فكان من الطبيعي أن أتجه بدراساتي وأبحاثي لمواجهة هذه المشكلة

المواجهة عربيـــاً

عندما اعلن الدكتور يس عبد الغفار المواجهة مع أمراض الكبد لم تكن معركته إقليمية . إنما كان ميدانه الوطن العربي بطوله وعرضه

في السعودية كان يأمل في إنشاء معهد للكبد . وبالفعل سعى إلى ذلك . وكلل سعيه بعض النجاح كان يتصور أن إمكانيات السعودية الضخمة سوف تمكنه من إنشاء أول معهد من نوعه في العالم . وكانت بداية المشروع تبشر بذلك . فقد تبنى الحرس الوطني السعودي كل الخطوات اللازمة . من تخطيط ودراسات وتوفير الأرض وإجراء المناقصات . ولكن حالت ظروف الوطن العربي دون إتمام « الرحلة » . فقد نشبت حرب الخليج . وانخفض سعر النفط . ولم تتم المسيرة . فانكمش الحلم إلى مركز لأبحاث الكبد في الرياض مهمته فحص المرضى وعلاجهم . فضلا عن بعض المهام الاخرى

فالمركز يتولى عقد دورات تدريبية ودراسية لتدريب الأطباء العرب على مستوى الوطن العربي . وفي أعقاب كل دورة يعقد مؤتمر عربي في أمراض الكبد . حتى الآن عقد المركز في القاهرة أربع دورات تدريبية . مدة كل منها أسبوعان . يقضيها الدارس بين المحاضرات النظرية والتدريب العملي شارك فيها الأطباء العرب . ثم امتدت هذه الدورات لتشمل أطباء أفارقة أيضا . قدموا أبحاثهم وأوراقهم العلمية في هذا المجال

ـ الدكتور يس عبد الغفار
ـ رائد أمراض الكبد في مصر والوطن العربي .
ـ أشرف على إنشاء مراكز أبحاث ووحدات علاج الكبد في الرياض ، وجدة ، وتعز ، وصنعاء ، والحديدة .
ـ أما في مصر فقد ولد على يديه المعهد الوحيد لأمراض الكبد في المنطقة العربية وأفريقيا والشرق الأوسط .
ـ له تسعون بحثاً علمياً .
ـ أشرف على نحو ٣٤ رسالة دكتوراة
ـ حصل على العديد من الأوسمة والنياشين وأنواط الشرف والجدارة ، وجوائز الدولة ، وآخرها جائزة الدولة التقديرية ، بعد أن رشحته لها خمس جهات علمية متخصصة .

في السودان انشأ وحده لأمراض الكبد ، وكذلك في اليمن

ثم تكرر العمل في عدد كبير من الأقطار العربية ، حيث التقى الدكتور يس عبد الغفار بعدد من الأطباء المهتمين بامراض الكبد الذين اقتنعوا بأهمية وجود عمل عربي موحد

لكن على الرغم من هذا الانجاز الصحي ، فالفخر الحقيقي لرائد علاج الكبد في مصر والوطن العربي ، وهو معهد الكبد في المنوفية قال الدكتور يس إن كان لي ان افخر بشيء فهو « معهد الكبد » ، وهذه هي الاسباب فالمعهد يستطيع ان يقوم بمهام علمية كبيرة ، وسوف يحقق عدة مطالب على مستوى مصر والأقطار العربية الاخرى ، بل والمنطقة كلها ، أفريقيا والشرق الاوسط ، بعد ان أصبح هو المعهد الوحيد في المنطقة

* ما هو الهدف من هذا المعهد في مجال علاج الكبد ؟

ـ إن مهمة المعهد ليست فقط تحسين الرعاية الطبية لمرضى الكبد ولكن اهمية المعهد في كونه متخصصا في مرض من الامراض الاوسع انتشارا في المنطقة ، لكن بالاضافة الى ذلك فيه يتم اجراء الأبحاث العلمية على المستوى الرفيع ، وباحدث الوسائل التي تسمح بها إمكانات التقنية المعاصرة هذا فضلا عن توفير وسائل التدريب للأطباء العرب والأفارقة

تفاصيل أكثر يشرح الدكتور يس المشكلة « عندما نتصور أن مشكلة مصر والأقطار العربية الأخرى الأساسية هي أمراض الكبد نتبين قيمة هذه الرعاية الطبية

أمراض الكبد

* المعروف ان الكحوليات واحدة من أهم الأسباب الرئيسية لأمراض الكبد ، فما الصحة الأولى هذا المرض ، نحن ام العرب ؟

ـ في مصر والأقطار العربية الأخرى أمراض الكبد اكثر انتشارا ، أما في الغرب فأمراض القلب في المقدمة ، ثم السرطان في المرتبة الثانية ثم الكبد في المرتبة الرابعة على قائمة الأمراض

وبالتالي فأسباب الوفاة في المجتمع العربي على اساس كثرتها وشيوعها نجد أن امراض القلب هي السبب الأول ، ثم السرطان ، ثم حوادث الطائرات ، ثم الكبد

اما نحن فعلى الرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة تجعلنا نتحدث بثقة كالحديث عن المجتمع العربي نستطيع ان نقول إن سبب الوفيات الاول هو امراض الكبد

* [illegible] أن العلاقة كبيرة بين مرض الكبد والبلهارسيا [illegible] في الأقطار العربية على الرغم من عدم وجود [illegible] الذي يسمح [illegible] ؟

ـ البلهارسيا منتشرة ايضا في الاقطار العربية الاخرى وليس في مصر وحدها ، ففي كل مناطق السعودية الخمس توجد ابار وبرك تسمح بالاصابة بالبلهارسيا ويوجد الفيروس (ب) المتسبب بامراض الكبد كذلك في اليمن ، وفي ليبيا ، ومصر ، وفي شمال افريقيا توجد نسب إصابة متقاربة ، تتراوح بين ٥ إلى ١٠ ٪ بين المواطنين الذين يحملون فيروس (ب) الذي يسبب التهابات الكبد وأمراضها المزمنة والسرطان هذا بينما في بلد كانجلترا مثلا نجد نسبة المصابين بهذا الفيروس لا تتعدى ٠,٥ ٪ ، وفي أمريكا لا تزيد عن ٠,١ ٪

* إذن نستطيع أن نقول إن سرطان الكبد منتشر أيضاً ؟

ـ لا ، السرطان غير منتشر ، لكن المشكلة في

كسد ، اد لا علاج لـه ، وهدا مـا يحـاول
ه في معهـد الكـبد ومن هـنا سأر اهمـة
نعبد الحليم حافظ الذي كان مصابا سلف
كان يدهب الى لندن للعلاج ، والان نوحد
من أمثـال « عبد الحليم حـافظ » من مصر
العربية والأخرى لكبهم يعاحون في معهد
لا من السفر الى الخارج ، أيضا بالاضافة الى
يحد احرون مرضى بالكبد فان هؤلاء ،
اعهم المادية تمنعهم من السفر الى الخارج .
فمكانهم الحقيقي هو « معهد الكبد »

حديدة

د شان مرض يهدد خطورة ،
والمعهد يهده الاهمية ، فهدا قدم معهد
من حديد لامراض الكبد ؟

ما يقدمه المعهد من أبحاث في هذا المحال على
كبير من الخطورة والأهمية ، لسبب واحد
و ان ابحاث الغرب لا تفيدنا ، لأنها أجريت
ىات معينة من الأمراض ، ونحن في حاجة
ت على امراضنا نحن ، مثلا امراض الكبد في
العربية تختلف عنها في الغرب حيث لا
لهارسيا ، وهناك فارق هائل بين الفصائل
المرض ، لذلك فان ما انحز في الغرب من
لا يمكن تطبيقه تطبيقا أعمى على مرضى الكبد
لكن بحوث الغرب مجرد مؤشرات
ية لنا

هد تتبع الجامعة ، وبالتالي يمكن من
ت العلمية ، ويتيح الفرصة لقيام الأبحاث
س قومي واقعي ، والأعداد الهائلة من
الكبد تشكل عادة مادة للبحث وبالفعل
حوث في جوانب مهمة من أمراض الكبد التى
بلدنا ، وليس لها مثيل في بلاد الغرب ، وقد
توصلنا الى نتائج مدهشة في بعض الأبحاث ، وانهينا
في بعضها الاخر

* ارند مورحسسى ؟

ـ احرينا بحثا لمعرفة وسيلة انتقال الفيروس
(ب) من الأم الحامل إلى طفلها ، فكان يهمنا أن
نعرف كيفية انتقال الفيروس حتى نجيب على
سؤال لمن نعطي التطعيم ؟ وبالفعل استطعنا أن
نعرف الان لمن نعطي التطعيم ، وكيف ، ذلك ان
أبحاثنا قد توصلت إلى أن الفيروس ينقل إلى الطفل
الرضيع من الأم بعد الولادة مباشرة ، وبناء عليه
حددنا الفئة التي يجب تطعيمها ، وهي الأطفال
حديثو الولادة

وبحث اخر عن تاثير الطعم أظهر أنه يقي بنسبة
تفوق ۹۰ ، وقد أجرينا العديد من الأبحاث
بالمعهد ، حتى نخرج بأسلوب علاج يتلاءم مع
امراضنا الخاصة ، فنحن نختلف عن المجتمع العربي
في نمط الحياة ، ونوعية الغذاء ، والعوامل الوراثية
والبيئية كل هذه اشياء تختلف ، وبالتالي لا نستطيع
ان نطبق ما توصلوا إليه تطبيقا حرفيا

إنسان العالم الثالث

* التمسير والاحتلاف بيننا وبين
مجتمع الغرب لا بد ان يجرنا الى الحديث
عن انسان العالم الثالث ، ذلك الإنسان
ذو احدة صنعته ، والأمراض الخاصة
التي تحوله الى حقل تجارب بمقدم الغرب
في مجال الصحة والمرض

ـ قال الدكتور يس عبد الغفار إن الكلام عن
انسان العالم الثالث ، وكيف اصبح حقلا للتجارب
الغربية فيه جانب من الصدق ، وفيه جانب من
المبالغة أيضا ، فالحقيقة أن هناك مراحل لا بد أن يمر
بها أي عقار حديد قبل أن يقر استعماله

ـ المرحلة الأولى تبدأ بتجربته على ما يسمى بالأنسجة ، وزراعة الأنسجة ، وهي خلايا نزرعها ونربيها ثم نجرب عليها الدواء بعد ذلك تأتي المرحلة الثانية وهي التجارب على الحيوان ، ثم نحدد ما يسمى بسمية الدواء والمرحلة الأخيرة لا بد أن تجرى على الانسان في ضوء ما أدت إليه المرحلتان السابقتان

بالنسبة لعقار علاج البلهارسيا هو الآن في المرحلة الثالثة ، ونريد تجربته على الانسان في الغرب لا توجد بلهارسيا . ولا بد من تجربتها على إنسان مصاب بالبلهارسيا ، وهكذا بالنسبة لعقار الملاريا وأمراض أخرى كثيرة فإنسان العالم الثالث مريض بأمراض لا وجود لها في الغرب ، إذن فلمصلحة التقدم العلمي ، ولمصلحة إنسان العالم الثالث نفسه لا بد من إجراء هذا النوع من التجارب

* لكن هذه ليست كل التجارب ، هناك الشركات التجارية التي تستغل الموقف لتحقيق مكاسب مادية ؟

ـ كل شيء يوجد في البشر الخير والشر ، وبالتالي يوجد من لا يتمثلون بصفات الفضيلة التي يوجبها العلم الحق ، نعم ، توجد بعض الشركات التي تتجاوز الدساتير العلمية ، فتلجأ لأساليب غير مشروعة لترويج تجارتها ، أو لإجراء تجارب على أدوية لم تستقر عمليا بعد هنا يجب أن ننبه ، فأنا لا أبرىء هؤلاء ، لكن أبرىء المجتمع العلمي من المدعين

* على الرغم من أننا نعرف بدقة أمراض العالم الثالث ، الا انه قد اختلط علينا الامر ، فتنا لا نفرق بين المرضى والأصحاء في هذا العالم المختلف فكيف نر هم أنت ؟

ـ إذا علمنا من هم المرضى ، ومن هم الأصحاء ، فأمراض العالم الثالث التقليدية معروفة ، وهي الملاريا ، والكبد ، ومثل هذه الأمراض معروفة ، ويمكن تشخيصها ، ولكن هناك أمراضاً أخرى ناتجة عن أزمات المجتمع ، وكل مجتمع له أمراضه ، فمثلا أمراض المجتمع الغربي معروفة ، وهي ضغط الدم ، والقلب ، وأمراض السكر ، والقرح ، وكلها أمراض مرتبطة بالتوتر النفسي

اما في مجتمع العالم الثالث فالتوتر النفسي أقل ، لكن للبيئة توازناتها ، فهناك سهولة ويسر في الحياة ، ومجتمع معتمد على نفسه ، وهنا مجتمع معتمد على الله هناك أمراض ، وعوامل تؤدي إلى أمراض معينة ، وهنا أمراض أخرى وعوامل أخرى العالم الثالث يعاني من الأمراض المتسببة عن مستوى الصحة الهابط ، وسوء التغذية ، والميكروبات الطفيلية فالعالم الثالث له مشاكله الذاتية ، وهي حقيقية ، لكن هناك حقيقة أخرى نشاهدها الآن وهي المشاكل التي « نستقبلها » نتيجة السير في الاتجاه الغربي ، كما يحدث في السياسة ، والفكر والثقافة والحياة الاجتماعية ، فنحن « نتغرب » ـ أي نتجه غربا ـ في قطاع الأمراض أيضا ، فقد بدأنا نسمع عن « الإيدز » ، وهو مرض غربي ، والمطلوب أن ننتبه ، ونأخذ العبرة من الصورة كما هي الان في الغرب قبل أن نصبح جزءا منها

صحيح أن للغرب جانبه المشرق المضيء ، وهو الجانب العلمي والبحث المستنير ، والفكر المتفتح ، لكن بشرط ألا يكون ثمن ذلك الأوضاع الاجتماعية التي أدت إلى المساويء الموجودة هناك ، وعلينا أن نأخذ الجانب المضيء ، ونحترس من الجانب المظلم

عود على بدء

وما أن وصل الحوار بنا الى الغرب والعالم الثالث ، حتى وجدت نفسي أعود من حيث بدأنا

قال الدكتور يس عبد الغفار إن تخلف القرية ساعده على القراءة والإطلاع ، فشرب من نبع التراث وثقافته ، كنت أستمع إليه وعيني على شباب هذا الجيل ، جيل الفيديو ، والقمر الصناعي ، والاتصالات السريعة

* ترى هل انقضى عصر الهدوء العلمي ، والتفرغ الذهني ، والنبوغ ؟

ـ قال الحكيم العالم : بمقدار ما استفدت من عدم وجود التلفاز بقدر ما خسرته ، فالتلفاز أداة كسب وخسارة معاً ، فغيابه أعطاني وقتا للقراءة ، لكنه في نفس الوقت أضاع مني أشياء كثيرة ، فكثيرا ما كنت أقارن نفسي وأنا صغير في المرحلة الأولى من العمر بزملائي من أهل المدينة ، حيث السينما والإذاعة كان ذلك يحدث عندما نجتمع أنا وبعض شباب المدينة ، فأجد بيننا فارقا ليس بالهين ، فمعلوماتهم العامة أوسع ، بينما ثقافتي مركزة في ناحية واحدة والحقيقة أن الأجهزة الحديثة سلاح ذو حدين فيه مكسب وخسارة معا

* على ضوء هذه الحقيقة ما رأيك في شباب هذا الجيل ، جيل المكسب والخسارة في أداة واحدة ؟

مقارنة بالماضي أجد أن الشباب هذه الأيام له عيوب وله ميزات ، وعلينا أن نحلل الأمور تحليلا علميا موضوعيا،بالنسبة للنقائص فهي واضحة ، ثقافته سطحية ولا عمق فيها ، أما الجلد ، والصبر فلا وجود لهما ، لكن في نفس الوقت أجده أكثر تفتحاً من الجيل الماضي ، وأكثر تمتعاً بالفكر الحر ، وهذا في حد ذاته سلاح له عيوبه ومزاياه

في الغرب يتمتع الشباب بحرية فكر واسعة ، لكنها قادت إلى عواقب وخيمة إذ وصلت إلى الحرية الحسية شباب هذا الجيل لديه سلاح لو أحسن استعماله لاستطاع أن يحقق ما عجز عنه شباب الجيل الماضي ، فقد حرم شباب الجيل الماضي من الحرية التي يتمتع بها شباب هذا الجيل وعلى أي حال كل إنسان صنيع ظروفه ووليد أوضاع معينة ، تتضافر وتجعله إنسانا معينا شباب الحاضر وليد ظروفه وكذلك شباب الجيل الماضي

الجائزة لمن ؟

على الرغم من تواضعه الشديد وإنصافه لشباب هذا الجيل ، إلا أنه رمز للتفوق العلمي ، وقد استحق جائزة الدولة التقديرية التي تعطى لمن كان عطاؤهم لمصر وأمتهم العربية متميزا ، وسُمّيت الجائزة التقديرية لأنها كما قال لي الدكتور يس عبد الغفار في نهاية اللقاء عبارة عن ميدالية وخمسة الاف جنيه »

لكن أياً كانت قيمة الجائزة التي حصل عليها عالما ضمن ثلاثين عالما من شيوخ العلماء إلا أن القيمة أو الجائزة الحقيقية هي أن يستمر عالما يعطي ويعطي ، كي يقدم لنا جيلا جديدا من العلماء ، يستطيع أن يفخر لأنه تتلمذ يوما على يد يس عبد الغفار □

■ واجه النجاح كفتى كريم ، واجه الكارثة كرجل رجل

(لورد كيهيد)

■ أنا لا أستخدم نفوذ أي اسم كان ، للحصول على أية غاية كانت

(سعد زغلول)

قــــراءة نـقـديـــة فـي كـتـاب

قليل من الحب وكثير من العنف

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

إن القاريء لا يذهب بعيدا حين يلاحظ أن أعمال فتحي غانم الى جوار قيمتها الفنية يمكن النظر اليها كنوع من الوثائق الفكرية والاجتماعية للمراحل التي تناولتها من تاريخ مصر

يقوم بناء هذه الرواية على عدة تقابلات . ففي نصفها الأول نلتقي بمشروع زواج « سارة وطلعت » اللذين يمثل كل واحد منهما لطبقة مختلفة ، فطبقة سارة لها تاريخ عريق . لكنها الآن تبدو في طريق انحدارها وسط متغيرات اجتماعية حادة ، تسمح لفئات من طبقة « طلعت » بالصعود لتحل مكانها . مشروع الزواج يبدو كأنه محاولة من سارة وأسرتها للعودة الى مكانها عند القمة ، مع القوة الصاعدة ، ومحاولة من القوة الصاعدة لتأخذ معها دليلا الى القمة التي تذهب اليها لأول مرة !

لكن المشروع الذي يريدانه يفشل ، فعن أي شيء يعبر هذا الفشل ؟ لقد تناثر من صدمة هذا الفشل ضحايا وشظايا ، بعض هذه الضحايا المتناثرة من الجانبين تلتقي في النصف الثاني من الرواية ، لتصنع علاقة سرعان ما تصبح زواجا يبدو ناجحا على الرغم من قوانين الصعود والهبوط ، فكيف كان ذلك ، وهل تنتهي منظومة المتقابلات عند هذا الحد ، أم أن قوانين الصعود والهبوط سوف تسحق كل شيء ، في مجتمع به « قليل من الحب وكثير من العنف » ؟ لماذا لا نقترب أكثر من عالم هذه الرواية وناسها وأحداثها ؟؟

محاولة للاقتراب

في الفصل الأول من الرواية يقدم لنا الكاتب ثلاث شخصيات ، تجمعهم سيارة « جيب » ، تقطع الطريق من معسكر عمل شركة (أماركو) في العلمين ، الى الاسكندرية ، وهم المهندس طلعت ابن الأسطى مرسي فرج المليونير ، والمهندس يوسف عبد الحميد صفوت ابن النائب العام ، و « سيد العتر » سائق السيارة المسئول عن صيانة السيارات بالشركة يقول الكاتب عنهم . « ثلاثة عوالم مختلفة ، ومتباعدة تجمعهم هذه السيارة . ولأن الصمت كان يلفهم ، ربما تجسيدا لهذا التباعد ، فقد قام الكاتب بمهمة تعريفنا بهم ، فالمهندس طلعت عاش طفولته مع « سيد العتر » الذي كان يعمل صبيا في ورشة الأسطى مرسي فرج ، أما الأسطى مرسي نفسه فقد كان قبل ذلك بزمن بعيد صبيا في ورشة السنيور « ماركو » الايطالي ، الذي ترك الورشة لمرسي عندما اعتقل أثناء الحرب العالمية الثانية ، لكن الورشة لم تصبح ملكا خالصا للأسطى مرسى إلا في أيام عبد الناصر بعد موجة التمصير والتأميم وفي فترة السبعينيات عاد « ماركو » الى الاسكندرية مستثمرا في النفط (بداية التحول الاجتماعي) فزار ورشته

القديمة . والتقى بالمعلم مرسي صبيه القديم ، الذي حصل في الحال على كل عمليات النقل والصيانة لشركة (أماركو) ، ليصبح الحاج مرسي في سنوات قليلة « مليونيرا » ، تربطه أوثق الصلات برئيس الدولة وكبار المسئولين فيها ، وليصبح ابنه طلعت أول مهندس مصري يعمل في الشركة لقد كان النائب العام عبد الحميد صموت يعتقد أن ابنه المهندس يوسف هو أول مصري يعين في هذه الشركة ، التي كان يهمها أن تكون لها يد عند النائب العام ، لكن يوسف أخبر أباه بعد ذلك أن طلعت قد سبقه الى هذه الشركة

وهكذا يقدم لنا الكاتب ممثلين للطبقة الجديدة والقديمة ، طلعت الذي ترى في « حواري الاسكندرية » مع « سيد العتر » ، الذي كان قادما على نحو ما من قاع المجتمع ، وعلى الرغم من كل ماوصل اليه فقد كان جهازه العصبي يحتفظ بأثمن خبرات الحارة المصرية ، فلم يكن غريبا أن يرى فيه يوسف صورة للسوقية والمطاطة والانحطاط ، وأن يدهش كل الدهشة ـ ولو لم يفصح عن ذلك ـ لأن طلعت طلب منه أن ينقل الى أبيه بأنه يريد أن يتقدم لطلب يد شقيقته سارة ، لقد رآها مرة واحدة في فندق « سيسيل » ، فقرر أن يتزوجها ـ هكذا ـ وربما لو سمع ما قالته عنه شقيقته حين رأت شكله ، لما فكر مجرد تفكير في الزواج منها أما طلعت فقد كانت فكرة زواجه من سارة ، التي نبعت فجأة في رأسه حين رآها،هي وحدها التي تمنعه من أن يمتك يوسف الذي لم يحبه قط منذ أن رآه ، وكيف يحب هذا الوجه الذي يشبه وجه الست ، وجه ابن الأتراك الأهبل ، منذ رآه لأول مرة وهو « كمن يريد أن ينتقم منه كأن بينهما ثأرا قديما » والد طلعت هو الذي كشف لابنه عن طبيعة هذا الثأر وهو يقول له

« أولاد الشوات لا يساوون الآن في مصر بصلة ، كلهم متسولون فماذا يكون مرتب وزير أو نائب عام ، خمسمائة جنيه ، ألف في الشهر ؟ أبوك يعتبر يومه أغبر لو كانت غلته أضعاف هذا المبلغ » !

علاقة معقدة

إن فكرة الزواج التي سرعت في رأس طلعت كـروة ، ودارت في رأس يوسف حين تلقاها من طلعت كمشكلة ، لا يدري كيف ينقلها الى أبيه ، هذه الفكرة نفسها تلقاها النائب العام من ابنه كطوق نجاة ، وحين كان يوسف يشرح لأبيه تحفظاته على شخصية طلعت ، حول ما أسماه (فجاجته) ، وعدم خجله من التباهي بملايين أبيه ، بدا النائب العام وكأنه لا يسمع جيدا ما يقوله ابنه ، وربما انذاك قد خطر ببال الأب أن ابنه ما يزال قليل التجربة ، وفي الواقع أن النائب العام كان يفكر بالشهور القليلة المتبقية له في عمله قبل إحالته الى المعاش ، وفقدان نفوذه ، وأن مثل هذه المصاهرة تكون دعما أكيدا لمد خدمته سنوات أخرى ، أو ترشيحه لمنصب مستشار لرئيس الجمهورية ، فضلا عما تعنيه من ضمان مستقبل ابنته سارة ، ربما لا يعرف يوسف أن أباه يبيع كل عام فدانا من الأرض التي بقيت لهم من أيام عبد الناصر ، ولم ينتظر طلعت أن يرد عليه يوسف بموافقة أبيه على تحديد موعد للقائه ، فاتصل بنفسه بالأب ، وجاء الى البيت بسيارته « الجاكوار » ، وقبل أن يفيق يوسف من دهشته أعتقد أن مقابلة الأسرة لطلعت ربما توضح لهم ما عجز عن توضيحه حول شخصية طلعت ، وحين ظن يوسف أن والدته قد قامت فزعة مما سمعته من حديث طلعت ومن طريقته في شرب الشاي والتهام « الجاتوه » وحدها تعود ومعها « فوطة » لتمسح بقايا

الحلوى المتساقطة على سترته ، أما شقيقته سارة فقد وقفت تتأمل السيارة « الحاكوار » التي جاء بها طلعت هذه المرة ، ليطلب يدها بعين حديدة تماما ، وقالت لأمها انها يمكن أن تحعل منه بعد وقت قصير « جون ترافولتا » ، أو « ألان ديلون » ، وقالت لأخيها يوسف وقد شعرت بعمق إحباطه إني أقبل الزواج منه كما قبلت أنت العمل الشاق في مشروع « أماركو » في الصحراء ، فلماذا ترفض أن أعمل في مشروع اسمه طلعت ؟

أما الأسطى « مرسي فرج » والد طلعت ، فلم يبذل أقل جهد لاخفاء ارتياحه ، حين سمع بالموضوع كله لأول مرة من محافظ الاسكندرية ، الذي كلفه النائب العام (كصديق) بأن يتحرى حقيقة موقف الأب من تقدم طلعت المدني لخطبة سارة فقط استدرك الحاج مرسي لكن هناك مسألة صغيرة جدا لابد من حلها ، أولا هذه المسألة الصغيرة جدا هي أن طلعت متزوج ، وأن له بنتا اسمها محاسن ، عمرها عامان ، وهذه الزوجة يمكن أن تطلق الآن ، ويضمها الى كفالته ، وبذلك تصبح مسألة زواج طلعت السابق مسألة قديمة ومنتهية ، بعد ذلك يمكن للحاج مرسي أن يتقدم بنفسه للنائب العام ، ويطلب سارة لابنه ، إنه يدرك أن هؤلاء الناس لم يعد لديهم ما يتمسكون به سوى المظاهر ، فلماذا لا يحافظ لهم عليها ؟ !

أما طلعت فيقول لأبيه إن زوجة مثل سارة سليلة « الارستقراطية » ، يمكن أن تعلمه أساليب التعامل مع الأجانب وبخاصة المستثمرين منهم ، الذين يتطلع الى التعامل معهم حين يترك العمل في شركة « أماركو » ، وفي أعماقه كان في حاجة الى أن يرى تلك النظرة المتعالية ، التي رمقته بها حين رأته لأول مرة ، وقد تحولت الى نظرة هيام به وبملايينه ، إنه يدرك ما ينقصه ، ولا يخجل منه ، ولا يخفيه

الصعود والهبوط

لعل هذا القدر من الاقتراب الشديد من القسم الأول من الرواية ، وهو « فكرة زواج طلعت وسارة » ، يكشف لنا الكثير عن أسلوب الكاتب في تقديم شخصياته ، وتشريح جوانب القوة والضعف فيها ، فالشخصيات تسفر عن جوانب منها في كل موقف من خلال سلوكها ، ودائما هناك جوانب خفية نتوقعها ، دون أن نكون قادرين على التنبؤ بها بدقة ، مما يكسب الشخصية حيوية ، ويفسح أمامها طريق النمو أو الانحدار وفق قوانينها وظروفها ويتسم أسلوب الكاتب في هذه الرواية بقدرة أكبر على تكثيف المواقف ، فمع أن المواقف في هذا الجزء من الرواية تبدو وكأنها تتحدث عن عوامل النجاح والفشل في مشروع زواج طلعت وسارة ، إلا أن هذه المواقف نفسها تقول لنا الكثير بطريق غير مباشر ، عن عوامل صعود القوة التي يمثلها ، وهبوط طبقة سارة ، فالادارة القاطعة وروح المغامرة والاقتحام ، وشهوة الحياة المستعرة التي أضرمها حرمان طويل ، وتغير قوانين المجتمع تحت شعار الانفتاح كان كل ذلك وراء ذلك الصعود الذي يبدو أنه لا يملك هدفا أو رؤية ، بينما نرى طبقة سارة قد تجمدت رؤيتها القديمة لمنظومة قيمها في مجموعة تقاليد ، لا يهمها سوى المحافظة على شكلها

وحين نجد أن مشروع زواج طلعت وسارة قد فشل في النهاية لصدفة سخيفة ، وهي أن خبر زواج طلعت القديم قد وصل الى النائب العام بغير الطريقة التي خطط لها بدهاء « الحاج مرسي فرج » ، نكون قد عرفنا من قبل أشياء كثيرة مثل أن هذا الزواج كان يحمل عوامل بذور فشله ، حتى ولو لم تقع تلك المصادفة السخيفة ، تلك لمحة عن منهج الكاتب في تكثيف الأداء في روايته

نهاية أم بداية

إن مشروع الزواج الفاشل قد تناثر منه على الجانبين ضحايا وشظايا ، فعلى جانب النائب العام الذي يحال على المعاش ، وزوجته وابنته اللتان تلهثان وراء بديل لطلعت ، وعلى الجانب الآخر فاطمة زوجة طلعت الأولى ، التي طلقت قبل فشل المشروع ، ودون أن يجديها فشله فيما بعد ، أما طلعت فقد قرر أن ينتقم على طريقته ، فتزوج في زمن قصير من حفيدة أحد أفراد الأسرة المالكة

السابقة ، ووجه بطاقة دعوة الى أسرة النائب العام ، وأسهم أيضا هذا الفشل الذى صنعته صدفة سخيفة في صياغة مصير يونس وفاطمة وسيد العتر ، هذا المثلث الذي يشكل محور القسم الثاني من هذه الرواية ، فمن هو سيد العتر ؟ ومن فاطمة ؟ ومن يونس عبد الحميد صفوت ؟

سيد العتر :

هو الذي كان يقود السيارة في الفصل الأول من الرواية ، وهو هنا يكاد يقود الأحداث في نصف الرواية الأخير ، وهو أيضا الوجه الآخر لطلعت ، الوجه الذي بقي في القاع حين ارتفع طلعت بلعبة الذكاء والحظ والجرأة مع والده الى قمة المجتمع في الماضي كان يشارك طلعت في كل شيء ، في العمل واللعب في الحارة ، حتى فاطمة أحباها معا ، لكن طلعت هو الذي تزوجها ، وفي ليلة زواج طلعت من فاطمة سرق سيد أول سيارة في حياته ، وفكها ، وباع أجزاءها كانت تلك طريقته في الانتقام ، وفي الوصول الى الثراء ، فلا مانع لديه من الاستفادة من أي شيء ، حتى من كونه سائق سيارة ابن النائب ، فبهذه الطريقة لن يشك رجال الشرطة في أنه هو من يركب السيارات المسروقة ، وحين كان محافظ الاسكندرية يتحرى عن أخبار طلعت كان رجال المحافظ العظام يستمدون معلوماتهم عن طلعت ـ دون أن يدروا ـ من أعدى أعدائه سيد العتر ، وكان هذا هو السبب في أن فاطمة زوجة طلعت هي أول من عرف بأن طلعت ينوي الزواج من بنت النائب العام ، فذهبت ليونس في الفندق لتطلب منه بشجاعة بنت البلد أن يتركوا زوجها ، ومنذ هذا اللقاء الأول بينهما وضعت بذور المأساة في الجزء الأخير من هذه الرواية

فاطمة بنت زكريا ؟

قادمة من نفس القاع الذي بدأ منه طلعت وعاش فيه سيد العتر نشأت في أسرة مسحوقة ، لا تتذكر سوى ذل أبيها وضعفه ، وأسماء أشقائها الذين تفرقوا ، وشحبت صورتهم في ذاكرتها تمتلك جمال ابنة البلد الفطري ، تتلمس طريقها بغرائز مدربة ماهرة ، هي كل ما يملكه أبناء هذا القاع في معركة الحياة الساحقة ، بحثها عن الأمان هو كل طموحها ، وقد وجدت في قوة طلعت شيئا من هذا الأمان ، وها هي تكتشف أنها مثل أية قوة لا أمان لها

حين قدم لها سيد العتر أخبار طلعت انفجر خوفها القديم ليس فقط من فقد طلعت ، بل من الفقر القديم ، وشماتة سيد العتر ومطامعه فيها ، وحين قابلت يونس لأول مرة في الفندق لم تدرك ذلك الأثر الذي فجرته في نفسه بجرأتها وصدقها وخوفها ، وربما أدركت على نحو غامض أن يونس يختلف عن الناس الذين عرفتهم ، لكن هل كان بمقدورها أن تدرك أنها قد حددت مصيره معها في هذا اللقاء ؟

يونس عبدالحميد صفوت

لماذا كان يونس وحده من بين كل أفراد أسرته هو الذي يملك تلك الحساسية التي تنفر من سوقية طلعت ، بقدر ماتنفر من تهالك أسرته عليه ؟

أهو السن وعدم النضج كما يتصور أبوه ؟ أم الخيبة كما تشعر أمه ؟ لماذا يبدو كأنه الجزء اللطيف الصامد الباقي من هذه الطبقة ، والمتمثل لقيمها ، والناجي من ضعفها وتهافتها ؟

لعل القارىء سوف يرى في يونس ملامح من تلك الشخصية الأثيرة التي تتردد كثيرا في أعمال فتحي غانم شخصية يوسف منصور ، المثقف الصامت الهادىء الخجول البريء الذكي المستقيم ، ابن الذوات الذي لم يعان الخوف أو الحرمان الساحق ، ولم يجد نفسه يوما مضطرا للدفاع عن نفسه ضد شيء أو أحد ، ولم تتفجر في داخله نقمة أو كراهية !

سمع لأول مرة كلاما عن فاطمة زوجة طلعت من سيد العتر سائق سيارته ، وأدرك من كلامه روح الشر والشماتة ، فمنعه من الاسترسال في الكلام أمامه عمن كانت زوجة زميل وحين زارته فاطمة في الفندق رأى فيها ضحية لحماقة طلعت ، ومطامع أسرته ، ولم يخفف فشل زواج شقيقته من إحساسه بأنها ضحيتهم جميعا

صراع طبقات وأفراد ورؤى

هل كان طلعت يشعر بطريقة ما بتلك القوة الروحية الغامضة التي ينطوي عليها يوسف ، وتكمن وراء ما نسميه ضعفه وحيته ؟

أية دوافع قادت طلعت لزيارة يوسف بالفندق قبيل سفره إلى اليابان مع عروسه الجديدة ؟؟

يقول طلعت

« لا أريد يا يوسف أن يكون ما حدث سببا في انقطاع الصلة بيننا ، أريد أن تعرف أنني لست غاضبا منك ، وأنني عندما تقدمت إليك كنت جادا لا أعبث »

هناك رغبة خارقة لدى طلعت بأن يظفر بالاعتبار عند يوسف وهي رغبة قد تعكس انكسار فرد من طبقة أمام فرد من طبقة أعلى . لكن ذلك ليس سوى وجه من وجوه داخله فهو يقول في لحظة أخرى

« ليتك تفهمني يايوسف ، لا أريد أن أعيش كما لو كان ما أملكه قد جاءني بضربة حظ . ويمكن أن يضيع بضربة حظ مضادة »

هنا يقترب طلعت من داخله ، ومن يوسف ، ويعبر عن ارتياب القوة الجديدة في ذاتها ، وبحثها عن معنى لهذه الذات

لكن ذلك ليس سوى وجه من وجوه داخله . ففي لحظة اخرى محنونة يقول طلعت

أنا في نظركم ابن كلب ، لكني سأثبت لكم أنكم أنتم الكلاب (هنا شجار واضح حاد بين طبقتين)

في لحظة أخرى يمضي يوسف بمحاولته على فاطمة من سيد العتر ، فيوقظ مخاوف طلعت الكامنة .

فيتحرك في داخله شيء لايدري ماذا يفعل حياله ،

وبعد أن يغادر الفندق ، وقبل سفره ، يبعث برسالة إلى يوسف يقول له فيها إنه لايجد أحدا غيره يمكنه أن يحمي فاطمة من سيد العتر في غيابه »

« هنا إنسان يقترب من إنسان آخر يطمئن إليه في لحظة ضعف هائلة »

وهكذا يكون طلعت هو الذي قدم يوسف لفاطمة بيده

صعود وهبوط من نوع آخر

في صفحات رائعة يجسد الكاتب كيف تم الاقتراب بين يوسف وفاطمة . فقد نجح يوسف في أن يوقف تهديد سيد العتر لها ، وانتزع بذلك هواجسها من حولها ظل يوسف مدفوعا نحوها من عمق شعوره بالذنب ، لأنها ضحية أسرته ، أما هي فقد اندفعت نحوه من عمق شعورها بالامتنان لما قدمه لها من أمن ، وهدأت مخاوفها القديمة العائرة ، لكن إلى متى ، لم تكن بينهما لغة مشتركة ، لكن فاطمة بنت البلد كانت تعرف لغة الجسد منذ زمن بعيد ، لغة النظرة واللمسة والبسمة ، ورعشة العين ورجفة اليد ، ولكن جسد هذا الرجل (يوسف) كان مقيدا في أغلال ثقيلة ، لم يكن الطريق سهلا ، لكن العزلة المفروضة والحاجة المتبادلة بدأت تعبد الطريق ، وأيقظت هذه اللغة طاقة الحياة المحبوسة في داخل يوسف ، واكتشف معها نبض الحياة ، واكتشفت معه معنى القيمة ومفصل سيد العتر الذي يحرقه الغيظ شاع أمر هذه العلاقة . فلم يتردد يوسف في أن يتزوج فاطمة ، وكان رد الفعل محتلفا على الجانبين وقد تفهمه الحاج مرسي فرح ، ورأى فيه حلا سعيدا لمشكلة وجود حفيدته في بيت يوسف ، بينما عجزت أسرة النائب العام السابق عن استيعاب الموقف ، فأمعنوا في مقاطعة ابنهم

وبينما كان هذا الزواج المحاصر يتخطى عقباته الخاصة ، وينمي لغة مشتركة جديدة ، كانت سارة وأمها زهيرة هانم يواصلان سعيهما المحموم وراء عريس مناسب ، لكنه وضع شرطا مناسبا له أيضا ، وهو أن يجد النائب العام وظيفة له وفجأة تتذكر زهيرة هانم أن صلة قرابة من نوع ما تربط ابنها يوسف بأسرة الحاج مرسي فرح ، ألا تعيش حفيدة الحاج في كنف ابنها ؟ ألا يمكن أن يدبر وظيفة مناسبة لعريس سارة في إحدى شركاته ؟

(لاحظ التقابل بين الصعود الواثق الهادىء للأسرة الجديدة ، وعمق المهانة التي تصل إليها أسرة

النائب العام السابق) ويقبل الحاج مرسي طلب النائب العام ، لكنه يرجيء البت في الأمر حتى عودة طلعت من اليابان ، لأنه هو الذي سيفتح شركات جديدة

ولا تستطيع سارة أن تمنع نفسها من التفكير في ماذا سيكون عليه الموقف حين يعود طلعت ، هل يكون قبوله لتوظيف خطيبها فرصة للانتقام أم للمساومة ؟ وحين تفصح لخطيبها عن هواجسها تكتشف من ردود فعله اللامبالية أن حرصه على الوظيفة يفوق حرصه على أي شيء آخر ، فتشعر بالغثيان والعبث . ويتساوى عندها كل شيء

وبينما زواج يونس وفاطمة يخترق حصاره ويواجه تحدياته الخاصة ، ويصنع مسراته الصغيرة ، فإن الحاج مرسي فرج الذي تعود أن يأخذ ثمنا مقابل حتى مجرد الوعد بخدمة ، يفكر في أنه من المفيد له أن يضم النائب العام السابق إلى مكتب مستشاره القانوني فلا يسع عبدالحميد إلا أن يقبل ممتنا

وبينما فاطمة تتعلم كيف تصنع القهوة الفرنسية ليونس ، وتحلم بأنه قد حان الوقت لتنجب طفلا ليونس يعود طلعت من اليابان ، ويعرف بأمر زواج يونس من فاطمة ، فيصنع هذا الواقع الجديد أمامه سؤالا محيرا عن معنى مافعله يونس . وكأن يونس يريد أن يذكره بأن كلامه القديم معه عن القيمة والمبدأ لم يكن مجرد كلام ، أيكون الصواب هو مابرهن عليه يونس ؟

ان طلعت قد يكتشف الأسئلة الكبيرة ، ولكنه لايطيق التفكير فيها ، إن الفكرة التي تستولي عليه هي كيف يسترد ابنته من أمها على الرغم من أن القانون في صف الأم ، وآنذاك يفكر في سيد العتر ، ذلك الوجه الأشد قبحا لطلعت ، فهو وحده الذي يمكنه أن يسترد ابنته ولو خطفا

أما الحاج مرسي فرج فيفكر بطريقة تليق به ، يفكر أن يوكل القضية إلى مستشاره القانوني عبدالحميد صفوت ، فهو بلا شك قادر على كسبها رغم أنف القانون ... أساليك سحرية أشد مرارة ؟

الزواج المستحيل

إن الرواية التي بدأت بسيد العتر ينقل أبطالها في سيارة إلى الاسكندرية تنتهي به وهو يقودهم إلى مصائرهم ، لقد ذهب ليخطف نحاس ، فوجد في طريقه يونس ، فأغمد خنجره في صدره لأسباب كثيرة قد لايعيها فيما يتبقى له من أيام في الحياة وهكذا يبقى الزواج بين الطبقتين مستحيلا ، ومهما تكن الأسباب ! ومن أين تجيء ؟

نظرة شاملة

كعادة فتحي غانم فإنه لا يعني بإصدار أحكام أخلاقية على شخصياته ، وربما أيضا لايشجع قارئه على ذلك ، بل يشجعه على هذه الشخصيات بعمق أكثر ، وبتعاطف إنساني أشمل

ربما يشعر القاريء بأنه في كل فصول الرواية تتردد نغمتان أساسيتان ، نغمة رثاء حزينة لطبقة سارة ، ونغمة هجاء قاسية لما يمثله طلعت وطبقته ، لكن القاريء سوف يشعر أيضا ، بأن نغمة الرثاء التي تمثل اللحن المصاحب للطبقة المهارة تتحول أحيانا إلى هجاء قاس مرير لأبطال هذه الطبقة حين يصلون في تردّيهم وفقدانهم للكرامة إلى عمق الهوان ، في القسم الأخير من الرواية ، كما أن نغمة الهجاء تتحول أحيانا إلى نوع من التقدير والاعتراف بالمواقف الأكثر نصحا للأسطى مرسي فرج ، وبمواقف طلعت التي تنبيء عن محاولاته للبحث عن ذات جديدة ودور جديد ، ومن تغير هاتين النغمتين وتداخلهما أحيانا يكتسب البناء الدرامي في هذه الرواية أبعادا جديدة ورائعة في قوة التكثيف وتعدد الدلالات

وإذا كنا نتابع عبر فصول الرواية الجهاد اليائس لنبضات الحب الواهنة ، التي تصل إلى ذروة قوتها في علاقة يونس بفاطمة ، فإننا نتابع أيضا دوائر الكراهية والعنف ، وهي تحدق بهذه النبضات ، تترصدها وتخنقها ، عنف الحاج مرسي ، وعنف طلعت ، وأخيرا عنف سيد العتر ، ودائما كان الكاتب يشعرنا بالدوائر الأوسع لعنف الجماعات المتطرفة وهي تتحرك مع أحداث الرواية على حافة المجتمع □

أرقام

بقلم محمود المراغي

رسائل القرن الواحد والعشرين

هذه إطلالة على القرن المقبل الذي يصبح تعداد العرب (٢٨٠) مليون نسمة في بدايته ويصبحون أكثر من (٤٠٠) مليون عام ٢٠١٥ وسوف يحافظ الوطن العربي على صفته الاساسية، وهو أنه وطن إفريقي في معظمه. فثلثا السكان سوف يقطنون وادي النيل والمغرب، أما الثلث الباقي فسوف ينتشرون في الرقعة الآسيوية من الوطن العربي. وسوف يصبح مجتمع المدينة هو السائد، فسكان الحضر يحتلون الان نصف سكان الوطن العربي، والنسبة تنمو بمقدار (٥ - ٦) بالمائة سنوية هو إذن مجتمع افريقي حضري، لكن ذلك ليس هو الأهم

نظرة إلى الوراء

في دراسة قام بها مركز دراسات الوحدة العربية لاستشراف مستقبل الوطن العربي حتى عام ٢٠١٥ اتضحت حقائق كثيرة من الماضي والحاضر، كما برزت توقعات كثيرة مثيرة حول المستقبل

حول الماضي سجلت الدراسة التي استغرقت خمس سنوات. وتمت مناقشتها في اكتوبر الماضي عديدا من الأرقام المهمة التي تعطي مؤشرات حول التطور في المجتمع العربي

خلال العقدين السابقين (٦٥ - ١٩٨٥) تضاعف عدد سكان الوطن العربي. وتضاعف متوسط الدخل مرتين. وزاد حجم المدن ثلاثة أضعاف. وعدد المدارس والجامعات وقدرتها الاستيعابية أربعة أضعاف. وفي نفس الوقت زادت أجهزة المذياع عشرة أضعاف والتلفاز عشرين ضعفا. كما زاد عدد المسافرين للخارج عشرة أضعاف

هناك إذن نمو مادي سابق لنمو السكان، يعكس نفسه على تحسن مستوى المعيشة، وهو ما تؤكده أرقام التعليم والصحة ومتوسط الأعمار ونسبة الوفيات

وهناك نمو هائل في الاتصال عبر المذياع والتلفاز والسفر للخارج. لكن كما تقول نفس الدراسة «هناك نصف الأطفال العرب مهددون في صحتهم بأخطار المجاعة والفقر والحروب». وهناك أربع حروب شهدتها تلك الحقبتان. وهناك الديون العربية التي تضاعفت ثلاثين مرة في عشرين عاما

لا تناقض في ذلك. فالنمو المادي لا يعني بالضرورة عدالة توزيع الدخل، وتحسن مستوى معيشة الجميع. كذلك فإن زيادة الدخل قد تتبدد في ظل الحرب، والموارد قد يتحجر جزء منها في ظل التشرذم وسيطرة المراكز خارجية على كل مايجري في الوطن العربي. فالخارج هو مركز الاستقبال للنمط

والمال والعقول المهاجرة ، وهو مركز التصدير للآلة والسلاح وقطعة الحس والحسر وعط الاستهلاك وشريط الفيديو وعر رحلة (العرب ـ الخارج) يصبح الكثير ، حتى أن الدراسة تتوقع أنه إذا استمرت نفس السياسات فالأخطار سوف تتزايد ، « فاسرائيل » تهيمن ، ودول الجوار تنقض على الجسد الضعيف ، والولايات المتحدة ترفض التعامل مع العرب كمجموعة واحدة ، والتنمية مشوهة ، وسوء التوزيع هو الغالب

نظرة للأمام

مادا يجري خلال ثلاثين عاما تمتد حتى عام ٢٠١٥ ؟ إن الدراسة تضع كل الاحتمالات استمرار التدهور ، مع بعض التقدم المادي هنا وهناك ، أو إيقاف التدهور بقدر من التعاون العربي ، أو الدخول في دولة الوحدة ، و اتحاد عربي فيدرالي يفيد من عناصر التوحيد ، ويحافظ على ايجابيات التمايز ، و في ظل هذا المشهد يقفز الانسان العربي

سوف يتحسن مستوى الاستثمار والدخل ، وتتحسن عدالة التوزيع ، وبناء عليه

* تهبط وفيات الأطفال الرضع من (٢١١) في الألف إلى (٨٠) في الألف عام ٢٠٠٠ ، و (٦٠) في الألف عام ٢٠١٥ ، وبالتالي يزيد معدل نمو السكان

* تزيد مشاركة النساء في قوة العمل لأكثر من الضعفين

* يزيد متوسط العمر المتوقع للوفاة

وبينما يزيد الاستهلاك العائلي في أوائل القرن المقبل بنسبة لاتتعدى (٥ /) في مشهد التجزئة ، فإن فرصة ذلك الاستهلاك في ظل الوحدة تقفز الى ١١ /

حينذاك سوف يكون متاحاً القيام بثورة زراعية تواجه تحديات نقص المياه ، وتحكم الآخرين فيها ، ونقص الأراضي المروية ، وتصحر أجزاء منها

وحينذاك سنواجه ذلك الخطر الذي يقول إن الوطن العربي يحتمل بامكانيته الزراعية الراهنة أكثر من (٧٥ /) من سكان عام (٢٠٠٠) ، و ٥٠ / من هؤلاء السكان عام (٢٠١٥)

وإذا قامت دولة الوحدة فسوف تواجه كثيراً من المخاطر المادية ، وتضاعف علة ماتملك ، لكن الأهم أنها سوف تواجه أخطارا سياسية ، وأخطاراً تتعلق بالأمن القومي ، ذلك أن مشهد التجزئة يضعنا أمام احتمالات واسعة لتجزئة التجزئة وسيادة منطق القطرية الطائفية والعرقية إنه مشهد التآكل أمام الخطر الخارجي ، والتآكل أمام الخطر الداخلي ، وتزايد أرقام التسليح وأعبائه ، دون أن يكون لذلك مردود حقيقي على تزايد الأمن القومي

دراسة « استشراف المستقبل العربي » تحاول بالأرقام أن تحدد دروس الماضي ومعالم الحاضر ، وتوقعات المستقبل ولأن الأرقام لاتنحاز فإن النتيجة العلمية الأكيدة (الوحدة هي الحل) ، وإن كانت لها مشاكلها ومحاذيرها

إنها وحدة لاتلغي « المحلية والخصوصية » ، لكنها تبرز سمات الشعب الواحد بامكانياته الموحدة

هذا رأي علمي ، وليس مجرد أمنيات سياسية ، إنه رسائل القرن الواحد والعشرين فهل سمعها ؟ □

■ إن الذي ينتصر على غيره قوي ، والذي ينتصر على نفسه أقوى .
(مكرم عبيد)

احيانا يصوغ شاعر فكرة أو صورة جميلة تأتي مشابهة لمثلها ابتكرها
اعر سابق عليه او معاصر له ، وقد يكون التشابه ناتجا عن توارد الخواطر ،
محكوما بالضرورة الفنية
فما هو الفاصل بين الابتكار أو الاتباع لأفكار الغير ؟
ان قضية السرقات الشعرية شغلت نقاد الأدب العربي قديمه وحديثه ،
لل من نجا من سهامها

بقلم الدكتورة وديعة طه النجم

لقد اولع اسلاف العرب النقدية بموضوع السرقات الشعرية ولوعا جعلهم يفردون لهذه السرقات فصولا خاصة مطولة في كتبهم ، بل كتبا مخصصة يشغلون فيها بكل عناية ويدققون موضوع السارق والمسروق

وما لبث الحديث عن السرقات الشعرية حتى اصبح مظهرا من مظاهر الصراعات الفردية ، ويهدد منافسيهم الخصوم منهم بتهمة الزندقة أو الهرطقة بين اصحاب المذاهب المختلفة فهذا الامدي يفرد مقدارا كبيرا من كتاب الموازنة بين الطائيين لسرقات كل من ابي تمام (من عامة الشعراء الذين تقدموه عصرا) وسرقات البحتري من ابي تمام ومن العجب ان الامدي يعد ثقافة ابي تمام الواسعة في الشعر العربي عيبا عليه لا فضلا له ، كما يجب ان يكون قراءه يعون ، بعد ان يورد جملة من مؤلفات ابي تمام حول مختارات الشعر العربي)

وهذه الاختيارات تدل على عناية بالشعر ، وأنه اشتغل به فإنه ما من شيء كثير من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث إلا قرأه واطلع عليه ولهذا اقول ان الذي خفي من سرقاته أكثر مما ظهر منها ، على كثرتها

هذا ما يقوله الآمدي متهما أبا تمام بالسرقة ، ثم

بالنحى وراء علم بالشعر العربي ، بدلا من ان يكون هذا العلم بالشعر مما يزيد في قدر أبي تمام

ويذهب الامدي الى تتبع ما سماه سرقات ابي تمام سعيا يتجاوز فيه كثيرا من حدود النقد التي يجب ان يراعي في فهم الشعر او تذوقه ولنقف عند امثلة مما عده الامدي او سواه في عداد المسروق في شعر ابي تمام

ينقل الامدي بعض هذه الامثلة ، فيقول

وقال مسلم بن الوليد

فلما تقضى اللبانات الصبابة وصلبه

بحسبه من لونه المورد

اخذه ابو تمام ، فقال

حطت على قتة الاسلام ارحله

والشمس قد نفضت ورسا من الاصل

كذا ! !

لكن الامدي ما يلبث ان يعود لتصحيح خطا الناقل بهذه السرقة بغير وجه حق ، فيقول

هذا ما ذكره ابن المنجم وقد يبادر الى الذهن ان الآمدي يحاول ان يبرىء ساحة ابي تمام ، ولكن الامر لم يكن كذلك اذ يعود فيقول

والذي اظنه انه اخذه من قول الاخر

والشمس صفراء تلون الورس

وكان تشبه لون الشمس بلون الورس هو الشعر كل الشعر وكان ليس لابي تمام اي فضل عند انه شبه الشمس بلون الورس

وامثلة اخرى من هذا النحى على الشاعر ، يقول الامدي ايضا

« وقال (اي ابو تمَام)

طلب المجد يورث المرء خبلا

وهموما تقضقض الحيزوما

فتراه وهو الخلي شجيا

وتراه ، وهو الصحيح ، سقيما

أخذ قوله (وهموما تقضقض الحيزوما) من قول لقيط الايادي

لا تطعم النوم الا ريث يبعثه

هم يكاد حشاه يحطم الضلعا

وهكذا ! !

للمتنبي نصيب أكبر

اما المتنبي الذي اثار غيظ كثير من معاصريه بتعاليه على صغارهم وتحديه لضعف هممهم ، فقد اصابته سهام النقد من كل صوب ، وراح خصومه يتتبعون اشعاره ليتلقفوا كل صغيرة وكبيرة فهذا الصاحب بن عباد (ادب البويهيين الكاتب الوزير المعاصر للمتنبي) يؤلف في مساوىء شعر المتنبي

وذاك العميدي (من كتاب القرن الخامس) يكشف عن سرقات المتنبي في كتابه المسمى (الابانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى) وللحاتمي (معاصر المتنبي المتحامل عليه) اكثر من رسالة سفه فيها شعر المتنبي ، سمى احداها (الرسالة الموضحة في ذكر سرقات ابي الطيب المتنبي وساقط شعره) وما دامت التهمة تهمة سرقة ، فلا بد ان تستتبع الأوصاف التي تلحق بالسارق كالسقوط والسوء وما أشبه وهكذا أصبح الشعراء هدفا لنقد لا غاية من ورائه ، واهدرت طاقات كان يمكن ان توجه لخدمة الحركة الشعرية وتطورها ولم يقتصر الأمر على القول بالسرقة ، بل اصبح مواجهات بين النقاد والشاعر ، أثيرت فيها خصومات كثيرة حول شعره وظل المصنفون حروبا على هذا المنوال حتى بلغت مؤلفات بعضهم مئات الصفحات ، تنقب وتدقق في مفردات الأشعار بعناء وجهد عظيمين ، كما في المؤلف الذي سماه صاحبه (المنصف للسارق والمسروق منه في اظهار سرقات أبي الطيب المتنبي) للحسن بن وكيع التنيسي

لقد كان خصوم المتنبي ، منذ حياته ، يتصيدون كل قول له ، بحثا وتنقيبا في الشعر العربي قبله ، كي يجدوا ما يشبهه او يوحي به إيحاء ، لكي يعلنوا التهمة بالسرقة لننظر الى هذه الحكاية الطريفة التي يرويها ابن جني (اللغوي المعروف الذي شرح ديوان المتنبي وأخذه عن الشاعر نفسه) يقول ابن جني إنه حين

كان يقرأ على ابن الطيب ماسه التي فيها قوله

ازورهم وسواد الليل يشفع لي
وانثني وبياض الصبح يغري بي

قال المتنبي: قال لي ابن حرانة وزير كافور

«اعلمت أني أحضرت كتبي كلها وجماعة من اهل الأدب يطلبون لي من أين أحدث هذا المعنى، فلم يظفروا بذلك».

فهذا المعنى الطريف الذي حمله بيت المتنبي لا يلتفت اليه هولاء، بل كل همهم في الشعر البحث عن العثرات، فاذا لم يجدوها راحوا ينقبون في الكتب والدواوين عن (المسروقات) وكأنهم يستكثرون على شاعر له تلك البدائع أن يقول شيئا كهذا.

لكن المتنبي، على اية حال، حتى في صباه وفي اول عهده بالشعر حينما كان ما يزال يقتدي بكبار الشعراء السابقين عليه، امثال ابي تمام أو البحتري، لم يكن ليسمح لمثل هذه المواقف أن تنال منه ومن شعره، فيمنح مثل هذا النقد فرصة ليعترض سبيله، وليشكك في مواهبه وقابلياته. فكان اذا عرض له في انه يترسم، في بعض شعره، خطى ابي تمام او البحتري، كان يجيب بحزم وبكلمة واحدة تلخص موقف الشاعر من القضية برمتها، قائلا:

(الشعر جادة، وربما وقع حافر على حافر)!

فاين هذا من حديث السارق والمسروق؟!

واذا كانت قضية السرقات الشعرية قد شغلت النقاد شغلا استهلك أكبر طاقاتهم النقدية، فإن الشعراء كان لهم موقف آخر من هذه القضية، ربما يكشف عن عمق الهوة التي صارت تفصل ما بين الطرفين، كما يكشف عن الوجه الآخر لتناول الشعر وعمله وفهمه، ذلك هو فهم من يصنع هذا الشعر ويعانيه، الا وهم الشعراء.

أبو نواس يتحدى

فابو نواس الذي كان من أوائل من تعرض للاتهام من قبل ناقديه بالسرقات الشعرية من شعراء الخمريات السابقين عليه، مثل الأعشى والوليد بن يزيد وغيرهما، كانت له مواقف مع شعراء عصره تستحق الوقوف عندها في هذه السبيل.

لقد اشتهر أبو نواس بحبه للعبث والنادرة يتبادلها مع شعراء عصره، سواء في مواقف الجدّ أو الهزل، بل هو كثيرا ما يقلب الجد مقلب الهزل تعابثا وتظرفا. وقد كان هذا شأنه كذلك في هذا الذي سمّاه النقاد (سرقة) شعرية، يسطو فيها شاعر على شاعر. ولأبي نواس حكايات طريفة مع شعراء عصره، سارقا أو مسروقا منه، لا تخرج عن إطار الظرف والفكاهة والعبث. ولننظر في بعض تلك الحكايات.

لابي نواس خبر مع الحسين الضحاك المعروف بالحسين الخليع. وكان كلا الشاعرين ينظم في موضوعات متقاربة تدور في دائرة المجون والخمريات، وهما متعاصران على أية حال. وقد كان الحسين شاعرا وصّافا وصاحب خمريات ربما كان له السبق فيها على أبي نواس. وكان النقاد يقولون أن أبا نواس كان: «يأخذ شعره ومعانيه في الخمر فيغير عليها. وإذا شاع له ذكر بشعر نادر في هذا المعنى نسبه الى ابي نواس». والسبب في ذلك هو ذيوع صيت ابي نواس في هذا الفن دون سواه من شعراء هذا العصر، أو ما سبقه بقليل. ويبدو أن أبا نواس قد استغل هذه الشهرة التي كانت له في هذا الباب.

ولكن استغلاله لها جاء ممزوجا بقدر كبير من الفكاهة والهزل. ومن هنا فإن ما يسميه النقاد (إغارة) على شعر الحسين، كان عند أبي نواس شيئا آخر تماما فهو قبل كل شيء يأخذه أخذا صريحا على مسمع ومرأى من الحسين الضحاك نفسه، بل ويذهب أبعد من ذلك في تحدّي الشاعر الآخر بأن ما سيقوله هو (أي أبو نواس) سيكون على كل لسان ولن يذكر الرواة قول الحسين كما سيذكرون قوله هو. ولنستمع إلى الحكاية كما جاءت على لسان الشاعرين.

«قال الحسين بن الضحاك، أنشدت أبا نواس قصيدتي

وشـاطـريَ الـلسـان مختـلق التكـ
ـريـه شـاب المجـون بـالنسـك
حتى بلغت قولي
كـأنمـا نـصب كـأسـه قـمـر
يـكـرع في بـعض أنـجم الـفـلـك
قال فانشدني أبو نواس بعد ايام لنفسه
إذا عبّ فيهـا شـارب القـوم خلتـه
يقبّـل في داج مـن الليـل كـوكبـا
قـال فقلت له ، يـا أبا عـلي هذه مصـالتـة
(والمصالتة هي أن يـأخذ الشـاعر بيتـا لغيره لفظا ومعنى)
فقال لي أتظن أنه يروى لك في الخمر معنى جيد وانا حيّ ؟؟
هكذا يكابر أبو نواس ويعبث وينتهي إلى انتزاع الصورة التي جاءت في قول الحسين
يكرع في بعض أنجم الفلك
فيجعلها في بيته (يقبل في داج من الليل كوكبا)
ولا يكتفي بالأخذ العلني ، بل يتحدى الحسين بانه ما دام حيا فإن كل ما يتصل بوصف الخمر سيرد اليـه ، حتى وان كـان من نصيب شعـراء اخـرين معروفين مثل الحسين ، وذلـك لبعد صيته في هذا الفن ولقـد كان ذلـك مـا حـدث فعلا ، فنحن لا نكاد نجد معنى مستحدثا في هذا الباب أو شبيهه الا وقال الرواة إنه من إبداعـات أبي نواس ، حتى وان كـان مصدره بعض معـاصريـه من الشعـراء المحدثين

تندر وهو مقصود

ومهما يكن من أمر ، فمن الـواضح أن المـوقف الـذي يتخذه أبـو نواس ممـا سماه النقـاد صراحـة (سرقة) وأجهدوا أنفسهم في البحث عن مكامنها وأخرائها ، كان عنده شيئا آخر تماما إذ لا يعـدو الأمر عنده أن يكون موضع تندر وهو مقصود

ومن الطريف أن أبا نواس لم يكن يجد ضيرا كبيرا كذلك حينما يسطو بعض الشعراء على شعره هو ، بل يجعل من الموضوع فرصة مواتية للعبث والفكاهـة التي كان مولعا بها أيّما ولع ويبدو أن الشعراء كانوا كثيرا ما يتمارحون بهذا النمط من المزاح ، لا سيما من أصحـاب أبي نواس الـذين عرفـوا حبـه للّهـو والعبث ، كما عرفوا مذهبـه في عمل الشعـر الذي ينطلق أصلا من حياة اللهو والعبث الذي عرف به هو وأصحابه ومنه الحكاية التالية

قيـل إن ابا نـواس كان عنـد محمـد بن زهـير صاحب الشرطة يشرب ، حتى إذا بلغ إلى نهاية من سكره ـ وكان اذا سكر لم يفق إلاّ بإنشاد الشعر ـ فأمر محمد بن زهير جنان بن محمد الكـاتب أن ينشد أبـا نواس ، فأنشده جنان أبيـاتا ، ابـو نواس قـائلها ، وادعاها جنان وهي
صـاح مـالي ولـلرسـوم الـقـفـار
ولـنـعـت المطيّ والأكـوار
شـغلتـي المدام والـقـصـف عنهـا
واقـتـراع الـطنـبـور والمـزمـار
ومضى في الشعر ، فوثب أبو نواس فتعلق به ، وبركا قدّام محمد بن زهير وأنشأ يقول
اعـدني يـا محـمّـد بـن زهـيـر
يـا عـداة اللصـوص والـدعّـار
يـسـرق السـارقـون لـيـلا وهـذا
يـسـرق الشـعـر جهـرة بـالنهـار
صـار شـعـري قـطـيـعـة لجـنـان
لم ؟ لمـاذا ؟ لـقـلـة الأشـعـار ؟
قـل لـه فليغـر عـلى شـعـر حمّـا
د أخـي الـفـتك أو عـلى بـشّـار
وليست هـذه الحكاية وأشباههـا إلا من باب المداعبات التي أولع الرواة بنسبتها إلى أبي نواس الذي تناسب أمثـال هذه الحكـايات مـع شخصيته المولعة بالدعابة والعبث وإذا كانت تدل على شيء فإنما تدل على الفرق الشاسع بين طرفين قل أن التقيا في ذلك العصر ، ألا وهما
طرف يمثله اللغويون والنحاة الـذين نصبوا من أنفسهم نقدة للشعر
وطـرف كـان يصنـع الشعـر ويعـانيه ، وهم الشعراء ◻

رحلة استكشافية

التنويم المغناطيسي في الطب النفسي

بقلم الدكتور محمد المحزنجي

رحلة طويلة وشاقة ، تلك التي بدأها الإنسان في التعرف على أمراضه النفسية ، وطرق علاجها فمرة يداويها بالسحر ، وأخرى بالخرافات ، ولكن العلم يدخل بمناهجه وأدواته ، مستخدما كل الطرق والأساليب والكاتب يصحبنا في رحلة معالجة بالتنويم المغناطيسي ، مبحرا بنا في أعماق التاريخ حيث البداية وصولا الى ما استجد في هذا المجال

كان على القطار الكهربائي أن يمضي قرابة نصف الساعة مارقا بين الثلوج كي يصل - نحن مجموعة الاطباء الدارسين لاختصاص طب النفس والاعصاب - الى ضاحية المدينة البعيدة التي تقع فيها مستشفى من وسائل العلاج فيها وسيلة العلاج النفسي بالتنويم وكان بياض الثلوج الناصع هو العنصر الطاغي مرورا خارج نوافذ القطار وهو يوحي بسوح الصقيع في هذا الشمال ويدفع بخاطر الحنين بعيدا في الاتجاه المعاكس نحو دفء الجنوب

ومن العرب ان نعثر على معظم البدايات - لاجتهاد الانسان في الوصول الى نفسه في ارض الجنوب . وشرق هذا الجنوب كانت الهند والصين . وعرفه

كانت أمريكا الهنود الحمر . ووسطه كانت أرض الرافدين وساحل شرق المتوسط ومصر القديمة وفي مصر الخانت العامص من النفس . والخانت الذي استنحوا هيمنته السرية حتى على الذين قبل قراءة خمسة الاف عام من استخدام « فون هاتمان » لتعبير العقل الباطن . أو اطلاق « فرويد » لمصطلح « اللاوعي » أو « اللاشعور » إلى اخر هذه التسميات التي تعني مخزن المحركات الداخلية للسلوك الانساني . مقر طاقته النفسية وعرائسه . وجوهره المختبيء . والأساس العميق لعالمه النفسي المحسوس فمي عام ٢٨٥٠ قبل الميلاد كان « أمحوتب » ابو الطب المصري القديم . في مدرسته الطبية ومستشفاه بمدينة « منف » . يستخدم طريقة تشبه الإيحاء للوصول الى هذا المخزن السري . بأن يترك مرضاه ينامون . سواء كان نوما طبيعيا او في أعقاب تناول النباتات المخدرة . ثم يجعل الكهان يرددون على أسماع هؤلاء المرضى النائمين عبارات ايحائية لتتسلل إلى أحلامهم . وتلعب دورا ايجابيا في حفزهم على التعافي من امراضهم التي يعانون منها وكانت نباهة مبكرة من « امحوتب » ان يلجأ في ايصال ايحاءاته الشافية الى العقل الباطن خلال النوم . بغض النظر عن النتيجة النهائية (وان جاء « فرويد » بعد الاف السنين ليقر بامكانية التدخل في نسج الحلم

بمؤثرات خارجية) . لان هذا الايحاء لا يبلغ أوجه إلا بكشف الغطاء عن هذا الباطن . بعبور السياج اليه . وبازاحة الرقيب الكابح الذي يسميه الفرويديون (الوعي) . ويسميه العضويون « لحاء المخ »

العلاج بالسحر والخرافة

ومن الغريب ـ غريب دورات الحضارة الانسانية ـ أن الانسان يميل إلى الصعة دائما بعد الارتفاع . فبعد هذه النباهة المصرية القديمة راح العلاج الايحائي يتخبط في دياجير العصور التالية وبات امراضا إيحائيا عبر خرافات السحر والسحرة وخرافات الرقى والتعاويذ وحتى يعود بعافية من جديد كان عليه أن يخوض في وحل الدجل مرة . ولجج الكذب مرات . ويخرج في النهاية إلى مفهوم العلاج الايحائي النفسي المعاصر . ولنصف وسيلة أصغر وأمس لزيادة تأثير هذا الإيحاء . لا بالنوم هذه المرة . لكن بالتنويم الذي اقترن اسمه بنعت « المغناطيسي » . كأنما ليذكرنا دوما بوحل الطريق الذي سلكه هذا التنويم إلى أيامنا

مستشفى في طرف المدينة

وصلنا الى ضاحية المدينة البعيدة . وكانت الثلوج ما زالت تهيمن على هذا العالم الشمالي وقبل أن نخرج من دفء المحطة إلى صقيع العراء كنت احدث بيني وبين نفسي على هذه النظرة التي ترقد مستشفيات النفس والأعصاب بعيدا . كأنما تنفي مرضاها . لكن مع خروجنا اكتشفت أن الضواحي في هذا الشمال ما هي إلا مدن اصغر تدور حول المدينة الكبيرة . وتوشك على الرغم من صغرها أن تكون مكتفية بذاتها . لا تنقصها خدمات أو سبل ترفيه وفي وسط هذه المدينة الصغيرة مستشفى كبير حديث . سابح في البساتين . هاديء . ودافيء . ومع إنتقالنا فيه إلى القسم الذي سنلاحظ فيه جلسات التنويم العلاجية . كان الهدوء والدفء يستتبان أكثر ومن

ردهة هذا الدفء والهدوء ، جمعت إليها واحدة من الممرضات ، تنتعل (حفاً) قماشيا ، وتسرع - كأنها تسير على أطراف أصابع قدميها حتى لا تصدر صيحة - وترحب بنا همساً ، فتسحب صوصاء اندفاعنا الجماعي ، وندخل إلى الغرفة التي تفتحها لنا لننتظر فيها ، ريثما ينتهي الطبيب من جلسة بدأها في قاعة التنويم المجاورة ، ولا يصح دخولنا في هذا الوقت إليها ، أو خروجه هو منها

مدارس علم النفس والتنويم

« التنويم حالة يتم استحداثها لدى المرء صناعيا ، وتشبه النوم ، لكنها تختلف عنه ، من حيث قابلية الوسيط (المنوَّم) المفرطة لاستقبال الإيحاء والتأثير الحسي والعقلي من المنوِّم ، إلى درجة تتعدى طور الطبيعة ، وفيها يتم تضييق مجال انتباه المريض ويقظته ، وحصرهما في قصد المنوِّم الذي يُنقل إليه عبر الكلام . ويعتبر بعض العلماء ، من مدرسة علم النفس المرضي الفرنسية ، أن التنويم ما هو إلا حالة (تفكيك) نفسي محدثة ، أي تعطيل وظيفي للترابطات والتداعيات التي تتم داخل العقل أو لحاء المخ ، مما يفقد الشخص قدرته على التواصل العادي ، ويفقده سيطرته الشخصية الواعية التي يمارسها في العادة على مختلف عملياته الحركية

ويفسره آخرون - من مدرسة السيكولوجي « بافلوف » - بأنه نوم جزئي ، يحدث فيه تثبيط انتقائي وسطحي لنشاط قشرة المخ العليا (بينما النوم تثبيط عام وعميق لهذه القشرة) يُبقي على بؤرة غير مثبطة أسماها « بافلوف » النقطة ، أو « البؤرة الحارسة » ، وهي المنطقة الخاصة بتحليل المسموعات ، مما يفسر استمرار استقبال صوت المنوم وإيحاءاته ، دون غيره ، فهي بمثابة نقطة الاتصال الوحيدة الباقية في هذه الحالة من قطع الاتصالات

وقد بينت التسجيلات الحديثة لنشاط المخ الكهربائي ، أن التنويم لا يشبه النوم المعتاد ، لكنه أقرب إلى حالة الاستيقاظ منه

تنوع طرق التنويم .

وتتنوع طرائق التنويم ، لكنها تشترك في وجوب إتمامها في غرفة هادئة ، خافتة الضوء ، أو معتمة قليلاً ، ويسترخي داخلها المريض أو المرضى (في جلسات التنويم الجمعي) جالسين في مقاعد مريحة ، أو راقدين على الحشوات . ثم يتم « تجهيزهم » للتنويم بإفهامهم جوهره ، وآليته ، والهدف العلاجي منه . بعد ذلك يشجع المريض أو المرضى لترك كل عضلاتهم تتفكك وتسيب ، والأجساد تغوص عميقا في وثارة المقاعد أو الحشوات ، بينما يعطون كل اهتمامهم لتعليمات المنوِّم حتى يبدأ التنويم ، ومنه

أ - التنويم السريع . وفيه يهجع المريض ، ومع إيحاء مناسب ومدروس ، يمكن إدخاله في التنويم حتى أعمق مراحله

ب - التنويم غير السريع . وتوشك أن تنحصر آلية كل طُرقه في فكرة أن المنبه الضعيف المستمر والمتواتر من النوع الواحد يحدث تثبيطا لنشاط لحاء المخ من هذا النوع الجزئي والسطحي الذي أشار إليه « بافلوف » في دراسته للتنويم ، ومن طرائق هذا النوع

(١) طريقة التربيت براحة الطبيب وأصابعه على جسم المريض في منطقة ما بين الرأس والجذع ، على نحو متواتر ، متكرر ، وإيقاعي

(٢) طريقة تثبيت نظر المريض محدقا في جسم لامع ، وتوجد لهذا الغرض أداة خاصة عبارة عن كُريّة من النيكل البراق ، ترتكز على الطرف المدبب لعصيّة شبه مخروطية ، يمسك بها المنوم في مواجهة المريض ، ويوحي إليه أثناء إدامة التحديق ، بأن أجفانه تثقل وتثقل ، وأنه سيغمض عينيه ، ويغمض عينيه لأن الخدر يزحف على رأسه ، ويتسلل منه إلى أسفل ، لينتشر في بقية الجسد

(٣) طريقة تكرار بعض الكلمات ، أو المقطوعات ، مرات عديدة ، بصوت ثابت النبرة ،

وتوحي بخلوة من نوع خاص، ربما لغياب هذه الأشياء المرتفعة بين أثاثها، كالدواليب، والأرفف، ولا صور على الحيطان ذات الطلاء الفيروزي. وعلى مصاريع النافذة الزجاجية العريضة المطلة على حديقة المستشفى الخلفية تسدل ستارة سابغة من «شيفون» كثيف بلون الشفق، تتخلله خطوط طولية أكثر كثافة. ولم يكن في الغرفة غير مكتب صغير في الركن البعيد الى جوار النافذة. وقد التصقت بالجدار العريض الأيمن مقاعد المرضى المتلاصقة: مقاعد وثيرة تشبه مقاعد الطائرات. وأمامها بعد كاف كان مقعد الطبيب. وخلفه ملاصق بالجدار الأيسر كانت مقاعد الدارسين المشاهدين التي شغلناها متراصة. وبعد أن أعطانا نبذة مختصرة عن التنويم والطريقة التي يتبعها، أذن للمرضى بالدخول، فتقاطروا على القاعة. خليط من أربعة عشر رجلا وامرأة في أعمار مختلفة، وهيئات مختلفة، بعضهم كان واضحا مجيئه من خارج المستشفى لمجرد أخذ الجلسة ثم العودة.

شغلوا المقاعد الأربعة عشر كلها. وأغلقت الممرضة الباب بعد أن انسحبت خارجة بهدوء. وبهدوء بدأ «التحضير»، بدأ بخلق، أو استعادة الألفة بينه وبين المرضى. فكان يتجه إليهم واحدا واحدا بتحية ودود، ثم يسأل الواحد منهم عن حاله، وعن المرض الذي يعاني منه إذا كان يحضر الجلسة للمرة الأولى، وعن إحساسه بالتحسن أو العكس، إذا كان قد حضر جلسة أو جلسات سابقة.

كان هذا الطبيب يضرب عدة عصافير بحجر واحد في هذه الخطوة، اذ كان يتعرف على المرضى، وأعراضهم، ويتذكر تشخيصاتهم، ويخلق الألفة فيما بينهم وبينه، ثم بينهم وبين بعضهم بعضا وكان يُسقط على وجه الخصوص غطاء السرية، هذا الذي يلف به المريض مرضه - النفسي خاصة - بدافع الخجل، وكأنما ليحفزهم على إخراج معاناتهم من
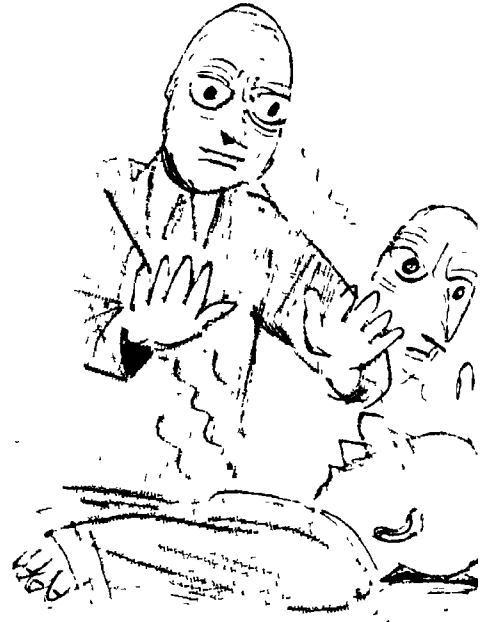
تواكبه سلسلة من الحركات البطيئة، مع الإيحاء.

وبشكل عام فإنه عند الوصول إلى التنويم الخفيف يمكن للمنوِّم أن يستخدم (الكلام) بهدف الإيحاء، لادخال المريض في مراحل أعمق من التنويم، تبعا لنسق مدروس، كأن يوحي للمريض بكونه يشعر باسترخاء ممتع، ينتشر رويدا رويدا في جسده، وأنه يشتهي أن ينام. وهكذا ينتقل الإيحاء من الخارج لإحداث إيحاء داخلي، والنتيجة تعميق درجة التنويم، وهنا يبدأ الإيحاء للتعافي من الأمراض المستهدف علاجها.

التنويم رأي العين

كان المنوِّم طبيباً لم يتنازل حتى عن معطف الأطباء الأبيض، وكانت قاعة التنويم العلاجي التي استقبلتنا فيها خالية بعد أن فرغت من مرضى الجلسة التي انتهت توّاً، وفي انتظار مرضى الجلسة التالية. الغرفة فسيحة، هادئة، ودافئة وخافتة الضوء،

دواخلهم وعادة عندما تخرج المعاناة إلى خارج النفس يراها المريض في ضوء افضل ، يراها أصأل درجة مما من التحرر من الخوف ومن المرض النفسي . لعله كان يقصدها في (بكتتكه) المتشابه (للحلك) طبيب امريكي بانه ذاع صيته في اواخر الاربعينات ، هو « اوارسسكوبر » ، وتتشابه مع (بكلك) جلسات العلاج النفسي الجمعي ومع ذلك ظل بعض المرضى محافظين على تحفظهم من امراضهم . فكان الواحد منهم ، او الواحدة ، ينهض او ينهض ليسر في اذنه شكواها . (وبكتت اسماء صامتين في مكانهما لطبيعة مرضهما الذي عرفه وعرفناه) . وعبر هذه الخطوة تعرفنا نحن ايضا على شخصيات مرتادي هذه الجلسه وأمراضهم ، وكانت اربع حالات رهبة (خوف مرضي) حالة فقد صوت هستيري ، حالتا اكتئاب إحداهما مصحوبة برغبة انتحار دائمة ، ومحاولة فاشلة للانتحار

وحالة اضطراب في ضربات القلب ذات منشأ نفسي وحالة ادمان للكحول ، وحالة ربو عصبي ، وحالة فقد بصر هستيري ، وحالة ارتفاع ضغط دم عصبي ، وحالتان مخ اسرتا بامراضهما للطبيب وسنكتشف ان احداهما لفتاة (في الخامسة عشرة) تعاني من التبلل البولي ليلا والأخرى لشابة متزوج حديثا تعاني من عنة نفسية

التحضير للتنويم

بعد ذلك نهض الطبيب ، ووقف في مواجهة المرضى منتصف الغرفة ، وكان صوته الواضح مرتفعا قليلا لكنه لا يرعد شرح مفهوم التنويم وسلامته وغاياته كل ذلك في ايجاز وهو يحرك حسه ودهاشا ثم طلب منهم الاسترخاء ، والاسترخاء في اماكنهم ثم امرهم بان يغلقوا اعينهم ويضعوا راحاتهم على ركبهم ، وكان يكرر مع كل خطوة « اسم تهدأون اهدأوا اسم تهدأون » . وطلب منهم أن ينتبهوا إلى اياديهم اليمنى ، مع الايحاء بأنها خفيفة ، وبأن اليسرى ثقيلة « اليسرى ثقيلة واليمنى خفيفة خفيفة » وطلب منهم أن يرفعوا الاصبع حال الاحساس بأي سريان للحركة فيه وراحت بعض الأصابع تتحرك خفيفا ، وأوحى لهم من جديد بأن الذراع اليمنى تخف « فهي أخف أخف أخف » وعندما سيرفعون اياديهم ليمسوا جباههم بطرف الأنامل سيذهبون في التنويم وأعطى الاشارة بأن يبدءوا برفع اياديهم « ببطء ببطء منتظم ببطء » وعندما كانت تتخلف بعض الايادي ، كان يتجه إليها ، ويلمسها مع الإيحاء بصيرورتها اخف ، فترتفع كانت الأيادي اليمنى الأربع عشرة كلها ترتفع ببطء ليست في مستوى واحد ، ولا هيئة واحدة لكنها ترتفع ببطء وكان يواصل الإيحاء بالذهاب في التنويم فور لمس الأنامل للجبهة وكان شيئا مدهشا أن ترى العين هذا التساقط المتوالي للبشر الأربعة عشر في جب النوم مع لمس و اقتراب الايادي من الجباه وعندما كان يلاحظ اضطرابا أو تخلف احدهم يسرع ، ويطلق مع لمسة للصدر كلمة « نم » فيسقط المريض نوما كأنما كان على حافة وحتى قبيل هذه اللحظات لم اكن واثقا ـ رغم اقتناعي النظري ، بسيكولوجية التنويم وفسيولوجيته ـ في إمكانية إحداثه بهذه البساطة وهذه السرعة النسبية ، إذ لم يستغرق الامر اكثر من ربع ساعة ، لكن الصورة كانت جلية للعين ، والامر لا لبس فيه ، وخاصة لطبيب عمل عدة سنوات باختصاص الطب النفسي ، ويعرف جيدا معنى وهيئة الـ « كاتاليبسي » أو « الخمدة » أو « التصلب الشمعي » ، أو « الصموت » فقد كان جميع المرضى الاربعة عشر في حالة الخمدة هذه كأنما مسهم سحر ساحر ، فثبتهم كيفما كانوا في لحظة المس في أوضاع لا يمكن الثبات عليها إفتعالا أو تمثيلا كانت بعض الأيادي معلقة في الهواء ، وبعض الفكوك مدلاة ، وبعض الرؤوس مائلة

شابه عام ، واحتلافات طفيفة ، لكن كُليَّة الصورة ذكر بمشهد تلك المدينة في « الف ليلة وليلة » التي سقط على أهلها السحر في لحظة فتشتهم حيث كانوا ، كيفما كانوا لم يكن في الأمر أي إيهام ، ولا بد أن كلا من الأطباء المشاهدين للجلسة قد هتف في داخله مثلما هتفت مدهوشا في داخلي « اه كاتالبسي » اح بعدها المنوِّم يعطي إيحاءات جديدة لتعميق لتنويم ثم راح يكرر « هذا تنويم أنتم لان مُنَوَّمون ، وتذهبون في تنويم عميق ، عميق

سعرون بأياديكم اليمنى في ماء دافيء ، واليسرى لا حس اليسرى لا تحس لا تحس » وصار توالى على أياديهم اليسرى الراقدة على ركبهم بالوخز برة الأعصاب ، ولم يكونوا يبدون ابة استجابة لألم وكان يواصل « وهكذا تهدأون أنتم لان هادئون تماما هذا التنويم عميق » وراح دخل في مرحلة الإيحاء العلاجي مرورا بهم ، حالة حالة ، تشعرون بأنفسكم أحسن موبكم تعمل بهدوء ولا تحسون بها القلب عادىء الرأس صاف في الليل رائق البال بعضو في هدوء كل يوم

في طريق الإياب

كنا نرجع ونحن على موعد مع جلسات أخرى ، لعل أكثرها إثارة جلسة تنويم علاجية لمجموعة من الأطفال ، وكان القطار الكهربائي يمرق بنا من جديد من ثلوج الشمال ، والخاطر من جديد يذهب بي الى الجنوب وكنت أتأمل لائحة الأمراض القابلة للمعالجة أو التي يشارك في علاجها الإيحاء التنويمي لائحة طويلة تبعا لتعدد المصادر التي تشير إلى ان وجود القابلية للتنويم توفر أسرع وسيلة للعلاج النفسي لأمراض كثيرة منها أمراض النفس الجسمية ، كاضطرابات القلب الوظيفية ، وارتفاع أو انخفاض الضغط الشرياني ، والصداع ، والقيء ، والربو ، وفقد الشهية النفسي ، والاضطرابات الحسية النفسية ، وأمراض العُصاب بشكل عام ، خاصة الهستيريا ، والوسواس القهري ، والمخاوف ، والاكتئاب التفاعلي ، والتوتر ، والإدمان على المسكرات ، والحالات البينية ، والسلس البولي في الأطفال ، والبالغين ، وتخفيف الآلام ومنها ـ خاصة الام السرطان ـ والام الولادة (وهو ما يُدرب عليه بعض دارسي اختصاص امراض النساء والتوليد) قائمة طويلة من الأمراض يضاف إليها إمكانية التحليل النفسي عبر التنويم

أما ان لنا أن ننقذ هذه الوسيلة العلاجية من أيدي المشعوذين والدجالين والراجمين بالجهل ؟ أما ان لنا ان نكشف بعضها ، طبيا ، كثيرا من دعاوى المعالجة التي يسميها بعضهم مرة « روحانية » وأخرى « سحرية » ؟ !

ونقف بين التساؤلات عند يقين واضح وبسيط مفاده أن ما أيسر هذه الوسيلة للمعالجة ، إذا ما قورنت بوسائل أخرى لعل أوضحها طرق معالجة الأنواع التحولية في الهستريا ، مثل فقد الصوت أو الشلل أو العمى الهستيري التي يلجأ فيها إلى طرق للمعالجة تضني المريض والطبيب معا ، مثل رش المخدر الموضعي شديد اللدع في الأنوف ، أو الحقن بالكحول المؤلم تحت الجلد ، كما يفعل بعض الأطباء غير المتخصصين في اقسام استقبال بعض المستشفيات ، أو الحقن بالمهدئات والتنبيه الكهربي لدى بعض المتخصصين . نعم ، حتى بعض المتخصصين !

هل نأخذ بالأيسر ، وهل نحترس في نفس الوقت إذا أخذنا به ؟ فما أسرع ما يجرنا اليسر إلى الاستسهال ، وما أخطر الاستسهال مع وسيلة كهذه إذا راحت بغير حنكة ، فاللجوء إليها لمعالجة حالة ربو ملازم ، وفي وجود أعراض نقص للأكسجين على سبيل المثال يعد قتلا محققاً لما تسببه من إبطاء إضافي لمعدل التنفس المتباطيء أصلا □

بقلم · فهمي هويدي

التمذهب والتعصب والتخلف !

لا خشية على أمتنا من التمذهب ، إنما الخوف كل الخوف من التعصب ، إذ التعصب ليس سبيلا إلى الفرقة والفتنة فقط ، لكنه في نفس الوقت علامة على التخلف والانحطاط ونوسع الراصد لمسار التاريخ الاسلامي أن يلحظ في مختلف مراحله وصفحاته ذلك التلازم الدائم بين التعصب والانحطاط ، حتى يكاد الاثنان أن يصبحا وجهين لحقيقة واحدة

والذين يتصورون الحل في الدعوة إلى (إسلام بلا مذاهب) - وهم بيننا أحياء يكتبون ويرزقون - يخطئون التشخيص والعلاج ، أخل أكاد أقول إنهم يفسدون بأكثر مما يصلحون ، إذ هم بهذه الدعوة لا يختلفون كثيرا عمن يدعون إلى اغلاق باب البحث في علوم الوراثة ، بسبب المخاطر التي يمكن أن تنشأ عن تطور تجارب التحكم في الأجنة ، مما يؤدي الى التلاعب في صفات البشر أو أولئك الذين يريدون وقف استخدام الذرة ، لأنها كانت بلاء على العالم منذ كانت القنبلة الذرية إحدى ثمارها

إن إساءة استخدام العلم لا تعالج بإغلاق أبواب المعامل ، كما أن إساءة استخدام الحق لا تقوم بإهداره والدعوة الى مجتمع بلا حقوق كذلك الحال بالنسبة للمذاهب التي كانت مجالا خصبا للتجديد والاجتهاد ، وتعبيرا أصيلا عن حرية الفكر وثراء عقل الأمة ، وإغناء الواقع الاسلامي بما يلبي احتياجاته أولا بأول هذه المذاهب ، إذا أسيء تلقيها بشكل أو آخر ، كأن تتحول عند بعضهم إلى أديان ، أو كأن تؤدي إلى المنازعات وإراقة الدماء ، لا ينبغي أن تصحح نتائجها بحرمان الأمة في كل ما تمثله من ثراء فكري عظيم وإذا استبان لنا أن العلاقة بين التعصب والانحطاط هي تعبير عن تلازم النتيجة بالسبب ، فإنه يصبح من غير الحكمة ، بل من غير المجدي ، أن نتجه بالعلاج الى العرض الذي هو التعصب ، بينما يترك المرض - الانحطاط - يسري في جسد الأمة ، ليدمر خلاياه ويهد كيانه

لنتجه - إذا أردنا - إلى أصل الداء ومنبع الشر ، وهو التخلف والانحطاط ، ولنحاول في الوقت نفسه أن نضع التمذهب في إطاره الطبيعي ، من حيث أنه فكر إسلامي يفيد ويحترم ، لكنه لا يلزم ولا يتعبد به لنحاول أيضا أن نقرب بين المسافات ، ونقيم الجسور بين أتباع المذاهب الاسلامية ، وأن نزيل ما بين المسلمين من حجب ، ومن أشواك وألغام ، أثخنت جسد الأمة في الماضي والحاضر بجراح عميقة ، عوقت مسيرتها ، وألهتها عن التصدي لتحدياتها الحقيقية وقطعت أوصالها في كل حين

دعك من كون الدعوة الى الانخلاع من المذاهب ـ اللامذهبية كما يسموها ـ مستحيلة التحقيق من الناحية العملية ، وأنها لا تعدو أن تكون نداء يردده بعض الحالمين ، الذين يغيب عنهم أن اقتلاع فكر عمره ألف عام من عقل الأمة وضميرها يمكن أن يتم بخطبة من فوق منبر ، أو بتأليف كتاب يقرأه عدة مئات في زمن قصير ، ثم ينسونه ويعودون الى ما كانوا عليه

إن التشرذم السياسي حقيقة قائمة ، والعالم الاسلامي الذي ملأ الأعين في زمن مضى صار الآن عوالم عدة ، بينها ما بينها من حواجز وحوائل ، لا حيلة لنا فيها ، ولا أملا منظورا في إزالتها إذ عمت البلوى فتقطع الجسد ، وحيل بين اجتماع أطرافه وأوصاله ، فتواضعت أمانينا وأحلامنا ، وصرنا أعجز من أن نسأل الله رد القضاء ، لكننا فقط نسأله اللطف فيه !

* * *

من هذا المنظور نتعامل مع قضية المذاهب ، داعين إلى وفاق لا خصام ، والى فهم وتفاهم ، لا إلى قطيعة وتنازع ، وإلى اجتماع والتئام ، لا إلى تقاطع وانفصام

وثمة نقطة جوهرية هنا ، تتصل بمنهج التعامل مع هذه القضية ، ذلك أنه فيما بين المذاهب والفرق الاسلامية هناك العديد من نقاط الاتفاق ، ونقاط الاختلاف ، بل هناك العديد من الدعاوى والأقاويل ، الحقيقية والوهمية وعلى من يريد أن يتناول هذا الموضوع أن يحدد أولا هدفه هل يريد الانتصار لمذهب على آخر ، أم يريد تصفية الحساب مع هذا الفريق أم ذاك ، أم يريد تقريبا وتفاهما ؟ هل يستهدف وحدة الأمة الاسلامية ، أم هو أحرص على إنصاف أهل السنن مثلا ، وتسفيه غيرهم ، أو تبيان مواضع الخطأ في تعاليمهم واعتقاداتهم ؟

إن من يريد أن يصل إلى اتفاق وتفاهم وتقارب سيجد ألف باب مؤد إلى مراده كذلك من يريد أن يثبت اختلافا ، أو يصفي حسابا ويسمه رأيا ، فإنه سيعثر على ألف باب أيضا يوصله إلى ما يريد

إننا في عصر يتجه فيه العالم الى التكتل دفاعا عن مبادئه أو مصالحه وفي زمن صار الحوار فيه لغة ضرورية لدوام التعايش وتحقيق المصالح بين الأعداء والأصدقاء ، سواء بسواء ، فهذا حوار متصل بين الأمريكان والسوفييت ، يمضي متوازيا مع التنسيق بين الكتلة الشرقية ، ومحاولات تحقيق أشكال مختلفة من الوحدة الأوروبية (البرلمان الأوروبي والسوق المشتركة) وهذا حوار بين الشمال والجنوب وذلك حوار إسلامي مسيحي أما البند الذي ما يزال غائبا عن القائمة فهو الحوار الاسلامي الاسلامي !

وما يدعو حقا إلى المزيد من الدهشة ، بل الحزن والأسى ، أننا سبقنا هؤلاء جميعا في محاولة إجراء الحوار ، وقمنا به فعلا في الأربعينيات ، لكن المحاولة لم يكتب لها الاستمرار وماتت في الستينيات

إذ شهدت مصر عام ١٩٤٨ م تشكيل لجنة « للتقريب بين المذاهب الاسلامية » ، ضمت عددا من علماء المسلمين في مختلف البلدان والمذاهب ، كان ذلك الحوار المنشود سبيلها ، أما هدفها ، فقد تحدد في الاسم الذي تسمت به وكان الشيخ محمود شلتوت ـ شيخ الأزهر لاحقا ـ هو أحد العلماء الناشطين في اللجنة وعندما كتب قصة التقريب في الجزء الأخير من تفسير « مجمع البيان » للطبرسي ، الذي أقرته اللجنة وصف اجتماعاتها قائلا « كان يجلس المصري إلى الايراني أو اللبناني أو العراقي أو الباكستاني ، أو غير ذلك من مختلف الشعوب الاسلامية ، ويجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الامامي والزيدي ، حول مائدة واحدة ، تدوي بأصوات فيها علم ، وفيها أدب ، وفيها تصوف وفيها فقه ، وفيها مع ذلك كله روح الأخوة وذوق المودة والمحبة ، وزمالة العلم والعرفان »

أصدرت اللجنة مجلة فصلية باسم « رسالة الاسلام » ، كان شعارها المثلث على واجهتها هو الآية الكريمة « إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا

ربكم فاعبدون » ، بينما سجلت على ظهر الغلاف بعض مواد القانون الأساسي للجمعية ، التي تنص على أهدافها ، ومنها العمل على جمع أرباب المذاهب الاسلامية ، الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التي يجب الايمان بها ، والسعي الى ازالة ما يكون من نزاع بين شعبين أو طائفتين من المسلمين والتوفيق بينهما

لقد ظل هذا الفريق من علماء الأمة يواصل العمل من خلال لجنة التقريب ، ويوجه الخطاب الى عامة المسلمين عبر مجلة « رسالة الاسلام » طوال ١٦ عاما ، إلى أن قدر لهذا الجهد الجليل أن يتوقف لأسباب سياسية في عام ١٩٦٤ م

* * *

قلنا في حديث سابق ـ مقال الشهر الماضي ـ إن الاختلاف يعد أمرا طبيعيا لا بد من حدوثه ، لأسباب عديدة تتراوح بين اختلاف المدارك والمعارف والمصالح ، وإذا كان الخلاف السياسي حول مسألة الامامة ، هو الذي فتح الباب لظهور الفرق في التاريخ الاسلامي ، مما ترتب عليه ظهور الشيعة والخوارج ، وبينهما فريق الوسط المعتدل ، الذي عرف فيما بعد باسم « أهل السنة » ، الا أن الخلاف الاعتقادي والفقهي هو الذي أفرز الكم الأكبر من المذاهب الاسلامية ، الذي هو أكثر ما يعنينا الآن ، في سياق معالجة مشكلة « الآخر » في التفكير الاسلامي

ذلك أنه بعد الخلاف السياسي الذي أعقب فتنة مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وبعد انتقال الخلافة الى الكوفة ثم الى الشام ، وما تخلل ذلك من أحداث جسام ، فإن تلك الأحداث أدخلت الى دائرة الاختلاف أمورا عدة كانت خارجها ، وساعدت على انطواء كل بلد على ما وصلهم من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، والنظر الى ما لدى بقية الأمصار بقدر من التحفظ ، ربما لعب فيه التأييد السياسي أو المعارضة دورا وكان العراق بيئة خصبة لتفاعل الأفكار والآراء ، خاصة في الكوفة والبصرة ، ففيه نشأ التشيع ، وظهرت الجهمية (أو الجبرية ، وهي منسوبة الى جهم بن صفوان) ، والمعتزلة ، وانتشر الخوارج ، وجملة من أهل الأهواء والبدع

والى جانب ذلك فقد اشتهر العراق بأنه بلاد أهل الرأي ، فإن أهل الحجاز كانوا على قناعة بأنهم ضبطوا السنة ، إذ كان بالمدينة عشرة آلاف من الصحابة ، ولذا فقد اعتبرت الحجاز بلاد أهل الحديث والأثر وعندما أخذ واحد من أهل المدينة بالرأي وهو ربيعة بن أبي عبدالرحمن شيخ الامام مالك فقد كان موقفه لافتا للأنظار حتى صار لقبه (ربيعة الرأي) !

برزت تلك التيارات الفكرية بعد انقضاء عصر الصحابة التابعين ، أي منذ أوائل القرن الثاني الهجري ، وهي مرحلة تشمل العصر العباسي الأول بوجه أخص ، الذي وصل فيه عدد مذاهب أهل السنة الى ١٣ مذهبا وإن بقيت منها مذاهب أئمة أهل السنة الأربعة المعروفين ، إلا أنه لم يقدر لمذاهب الآخرين أن تنال نفس القسط من الذيوع والانتشار ، ومنهم الامام الحسن البصري (المتوفى ١١٠ هـ) ، والامام الأوزاعي (ت ـ ١٥٧ هـ) والامام سفيان الثوري (١٦٠ هـ) والامام الليث بن سعد (١٧٥ هـ) . والامام سفيان بن عيينة (١٩٨ هـ) وغيرهم

كانت هناك اختلافات بين أصحاب تلك المذاهب جميعها ، سواء في الاستدلال ببعض الأحاديث النبوية (أحاديث الآحاد خاصة) أو في الاستدلال بعمل أهل المدينة الذي كان يجده الامام مالك ، أو في الاستناد إلى القياس والرأي والاستحسان ، أو في حجية الاجماع

كان مدار اختلاف الفقهاء هو طريقة استنباط الأحكام من أوامر الشارع ونواهيه ، ولكنه كان خلاف أهل علم ونظر ، يقوم على المحاجة واحترام الرأي والاعتراف بالفضل ودوام المودة والألفة ومشهورة تلك الرسالة القيمة التي وجهها الليث بن سعد إلى الامام مالك وتحفظ فيها على أخذه بعمل أهل المدينة وثابت قدر الاجلال والاحترام الذي كان يتبادله أبو حنيفة ومالك وقد نقل عن الشافعي

قوله: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. وقوله: مالك بن أنس معلمي. وعنه أخذت العلم. وإذا ذكر العلماء فمالك النجم. وعندما سئل ابن حنبل عن سفيان ومالك إذا اختلفا في الرواية قال: مالك أكبر في قلبي. ولما سئل عن اختلاف مالك والأوزاعي قال: مالك أحب إلي وإن كان الأوزاعي من الأئمة.

* * *

لم يستمر ذلك المناخ الصحي، وإنما بدأت اشراقاته تنحسر تدريجيا بالتواري مع تدهور الدولة العباسية فيما بعد القرن الرابع الهجري. وهي المرحلة التي بلغ فيها الانكسار ذروته بسقوط الدولة في ايدي التتار في القرن السابع الهجري.

ألقى الانكسار بظله على ساحة العلم، فأصابها الفقر، وسرت روح التقليد في الأمة. واقترن التقليد بضيق الصدور والعقول. فشاع التعصب واختفى الحوار. واستبدل به الجدل والمناظرة، مما لم يكن هدفه توصل المتجادلين إلى الحق، ولكن نجاح كل منهما في تخطئة الآخر. وقد وصف الامام الغزالي صاحب الأحياء (توفي ٥٠٥ هـ) هذه المرحلة وما أشاعته المناظرات فيها من فتن بقوله: إن هذا الباب تولدت عنه «التعصبات الفاحشة والخصومات القاسية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد» وأن الناس تركوا «الكلام وفنون العلم، وانهالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص».

ويروى أن القادر بالله أحد الخلفاء العباسيين نقل القضاء من الأحناف إلى الشافعية، فوقعت الفتن في بغداد، وثار الناس وضجوا، ولم يهدأ لهم بال إلا عندما تراجع الخليفة عن قراره وعزل القاضي الشافعي وولى بدلا منه حنفيا!

ذلك كله حدث في محيط أهل السنة وحدهم، ولنا أن نتصوره مضاعفا إذا جرنا الحديث الى علاقة أهل السنة بغيرهم من أصحاب المذاهب، وبخاصة فرق الشيعة المختلفة.

لقد وصل الأمر الى حد شيوع الاتجاه الى تحريم اقتداء المسلم في صلاته بمخالفه في المذهب. اعتمادا على قاعدة مبتدعة تقول إن العبرة في الاقتداء بمذهب المأموم لا بمذهب الامام (على عكس المبدأ المستقر). ولأن كثيرا من صلاة الشافعية لا تصح في نظر الحنفي. والعكس لأسباب متعلقة بشروط صحة الوضوء ولزومه، فإن النتيجة التي ترتبت على ذلك لا بد وأن تقطع ما بين مذهبي أهل السنة من وشائج.

وإن لم يحدث التحريم ولله الحمد، إلا أن الاتجاه الذي ساد في بعض بلاد المسلمين كرس فكرة انفصال أتباع المذاهب في صلواتهم، لشكوك تراود كلاً منهم في صحة صلاة الآخر. ومن أسف أنه حتى بدايات القرن الحالي فإن الصلاة الواحدة كانت تقام في الأزهر الشريف وراء أربعة أئمة مختلفين في آن واحد، كل إمام يصلي وراءه أهل مذهبه. وهو وضع استمر حتى عهد قريب في الجامع الأموي بدمشق.

* * *

لم تختف صراعات أهل المذاهب بمختلف فرقهم في زماننا، إذ ما يزال أوار المعارك مستمرا على جبهات عدة، مما يزيد من فرقة الصف الاسلامي وتشرذمه. فالصراع بين السلفيين والمتصوفة لم يتوقف، وقد وصل إلى حد الصدام الذي أراق دماء كثيرة في غرب أفريقيا، التي ما زال الناس في بعض بلدانها ـ خاصة السنغال ونيجيريا ـ يتقاتلون حول ضم اليدين أثناء الصلاة وإرسالها. وما زالت الخلافات والمشكلات بين أتباع المذاهب المختلفة قائمة، تثور حول أمور ليست من جوهر الدين والرسالة. وإذا كان العالم كله يتجه الآن نحو التكتل، فقد آن الأوان لنا أن نعيد النظر في كثير من دواعي التشرذم والخلاف اللامنطقي، فنحن في المبتدأ والمنتهى كما يقول تعالى «إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون» □

العربي الصغير
صدر العدد
٢٤
يناير ١٩٨٨
مجلة الفتيان والفتيات فى الوطن العربى
رئيس التحرير : د. محمد الرميحى
يشترك فى تحريره مع الفتيان والفتيات العرب نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
اقرأ
فى هذا العدد :
● رسوم أطفالنا تغزو العالم
● ألف ليلة وليلة فى حكاية الشيخ والكلبتين
● هام.. في .. مال من غير صاحب .. مسلسل بالرسوم
● غضبة الماء .. قصة بالرسوم
● الصّعلوك العبقري .. قصة بالرسوم
● الأرز الشامخ .. يشكو المرض "استطلاع"
بالإضافة إلى الأبواب الثابتة :
■ دائرة معارف العربى الصغير .
■ اصنع بنفسك .
■ إسلاميات .
■ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة
٦٤ صفحة بالألوان

خصومة أدبية فريدة!

بقلم : عبدالرزاق البصير

ينبئنا التاريخ وحياتنا المعاصرة أن بعض الأدباء يتجاوزون حدود الأدب في خصوماتهم مع أقرانهم

ولكن ذلك ليس إلا وجها من وجوه الصورة

ففي وجهها الآخر نجد أدبا عالي المستوى في الحوار والخصومة ، وعفة في القول والتعبير

دكر الحصري في كتابه « حمع الحواهر » مساحلة حرت بين هدين الأديبين المتفوقين ، وهما عبدالله بن المعتز العباسي ومحمد بن القاسم المعروف بابن الأنباري وقد دارت هده المساحلة حول رواية الشعر الماحن ، فإن ابن الأنباري لا يستحسن روايته ، فنحده يقول في رسالة بعثها لابن المعتز « كان حق شعر هدا الحليع ـ أبا نواس ـ ألا يتلقاه الناس بألسنتهم ، ولا يدونونه في كتبهم ، ولا يحمله متقدمهم إلى متأخرهم ، لأن دوي الأقدار والأسنان يحلون عن روايته ، والأحداث يعشون بحفظه ، ولا ينشد في المساحد ، ولا يتجمل بدكره في المشاهد » وقد أطال في هده الرسالة حول هده القضية ، فأجابه ابن المعتز قائلا « بأن رواية هدا اللون من الشعر ليس فيها إزراء للأديب ولا عيب للفقيه » ، ويقول أيضا « وهل يتناشد الناس أشعار امرىء القيس والأعشى والفرزدق ، وعمر بن أبي ربيعة ، وبشار ، وأبي نواس على تعهيرهم ومهاجاة حرير والفرزدق إلا على ملأ من الناس وفي حلق المساحد ؟ وهل يروي دلك إلا العلماء الموثوق بصدقهم ، وقد نعى حسان بن ثابت أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، فما بلغنا أن النبي (ص) أنكر دلك عليه في هجائه حيث يقول

وأنْــت رَبِــيطٌ نِــيْطَ في آلِ هــاشــم
كـما نِيْطَ خَلْف الـراكبِ القـدح الفـردُ

وقد زعم بعض الرواة أن النبي (ص) قال للحارث ـ أنت من خير أهلي وما نهى النبي (ص) ولا السلف الصالح من الخلفاء المهديين بعده عن إنشاد شعر عاهر ولا فاجر »

اعتراف ابن الأنباري بخطئه

ولقد كنا نتمنى أن تسلك الخصومات الأدبية هذا الأسلوب الرفيع . ذلك أن المساجلات بين شاعرنا ابن المعتز وعالمنا ابن الأنباري كانت مساجلات أدبية علمية خالصة ، لم يمس أحدهما بأي نعت يجرح الشعور ، بل إن ابن الأنباري اعترف بصواب ابن المعتز حيث يقول « وقد صدق سيدنا ـ أيده الله ـ في كل ما قاله من الأشعار التي عدل قائلوها عن سنن المؤمنين المتقين ، ولم أكن أجهل أكثر ذلك ، إلا أنه لم يخطر ببالي ذكر ما كنت أعرف منه في وقت كتابتي ما كتبت به ، وما كل ما يعرف الإنسان يحضره ، ولا تتوالى كل وقت خواطره على أن الذي جرى في هذا الأمر إنما هو على سبيل التعلم والتفهم ، يذكر الذاكر شيئا قد تقدم صوابه ، فيحتج له وعليه فيه حجة قد تركها ، فيكتشف السامع لها عطاءه مستمرا ومذكرا ، فإن كان الحق ضالته وجد ما ابتغى وغنم ما وجد ، وإن أنف من الرجوع واشتد عليه الرجوع جحد ما علم واحتج لما جهل ، لأن كل مطالب باطل لا يخلو من جهل بما يدعي أو جهل بما يعرف »

ومن الواضح أن التهذيب في إبداء الرأي هو الطابع لهذه المساجلة الأدبية بين هذين الأديبين الكبيرين بخلاف ما نقرؤه في الخصومات الأدبية القديمة والمعاصرة . فكثيرا ما يتجاوز معظمها القضية المختلف عليها إلى التجريح بين المتخاصمين تجريحا لا يليق بالذين يفترض فيهم أنهم قدوة للناس ، وأن غرضهم الوحيد هو إبداء ما توصلوا اليه من رأي في هذه القضية أو تلك والأمثلة على ذلك كثيرة . نكتفي بذكر بعض منها من باب التفكه فقط

بين نفطويه وابن دريد

روى كثير من مؤرخي الأدب أن منافرة شديدة قد جرت بين ابن باقيا البغدادي وابن الشبل ، وهما من الفضلاء وقد بلغ من شدتها أن سئل ابن باقيا « ألم تقرأ على الشيخ ابن الشبل ؟ قال بلى ، وإلا من أين أكتسب هذه البلادة التي فيّ ؟ »

فبلغ ذلك ابن الشبل فقال

فقل ما شئت إن الحلم رأي
وشأني الخير إن حاولت شرا
فأنت أقل أن تلقى بذم
مجاهرة وأن تغتاب سرا

وقال ابن الشبل يهجو ابن الباقيا

فكونك في الطهر من آدم
بشؤمك أهبطه إذ عصى
ولو كان آدم ذا خبرة
بأنك من نسله لاختصى

ومثلها ما جرى بين ابراهيم بن محمد العالم النحوي الشهير المعروف بنفطويه ومحمد بن الحسن اللغوي المعروف بابن دريد ، فقد قال نفطويه يهجو ابن دريد لما صنف كتاب « الجمهرة »

ابن دريد بقره
وفيه لؤم وشره
قد ادعى بجهله
جمع كتاب « الجمهره »
وهو كتاب العين إلا
أنه قد غيّره

فأجابه ابن دريد قائلا

لو أنزل الوحي على نفطويه
لكان ذاك الوحي سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه
مستأهل للصفع في أخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه
وصيّر الباقي صراخا عليه

فأين هذه المساجلة العنيفة من تلك المساجلة المهذبة ؟

أما النهج الذي سلكه معظم الأدباء المعاصرين في خصوماتهم فإنه نهج واسع متشعب ، ألفت فيه كتب كثيرة فمن أشهرها تلك الخصومة التي جرت بين المرحومين ، الأستاذ الرافعي والأستاذ العقاد ، والخصومة التي جرت بين كل من الشاعرين

العراقيين جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي وأكتفي هنا بذكر جمل بسيطة مما قاله كل من الشاعرين الكبيرين في خصمه

بين الزهاوي والرصافي

يقول الرصافي إني لا أفهم كثيرا من رباعيات الزهاوي التي يدعي أنها فلسفة

يقول الزهاوي إني أول من نظم الشعر القصصي في العراق ، أو في الوطن العربي ، وتعلم الرصافي الطريقة مني

يقول الرصافي لا نجد صفة من صفات الفلاسفة عند الزهاوي ولا نعرف ما هي فلسفته التي أرهقنا بذكرها ؟

يقول الزهاوي معروف صديقي وهو خريجي لأني علمته الشعر وفقهته في الاجتماعيات وبما يستحسن ذكره بهذه المناسبة أن الرصافي علق على رباعية الزهاوي التي جاء فيها

أكثر الترب عظام
من ضلوع وصدور
سحقتها أرجل الدهر
وأقدام العصور

علق عليه قائلا عفر الله لأبي العلاء فقد سطا على معاني الزهاوي عندما نظم قصيدته

خفف الوطء ما أظن أديم
الأرض إلا من هذه الأجساد

القول شيء ، والواقع شيء آخر

والطريف بالأمر أن أي خصومة لا تكاد تثور بين أديبين إلا ونجد كلاً منهما يدعي بأنه مخلص في نقده ، وأن صاحبه قد خرج عن النهج القويم ، وأن الأمانة العلمية تقتضي أن يسود التهذيب ، وأن يبتعد عن التجريح ، غير أن الخصومات الأدبية تتخذ العنف أسلوبا لها في معظم الأحيان ومن حقنا أن نتساءل عن سبب تفرد تلك الخصومة الأدبية المذكورة آنفا والتي جرت بين ابن المعتز وابن الأنباري بكل ذلك التهذيب والمرونة التي قل أن تتصف بها خصومة أدبية ؟ ويأتي الجواب أن هذا التفرد قد حدث بسبب أحد أمرين ، فإما أن يكون ذلك عائدا إلى طباع ابن المعتز وابن الأنباري ، وهذا أمر ليس من المستحيل ، فإن من الناس أناسا تأنف أخلاقهم من أن تنحدر إلى السباب أو التجريح ، وإن كانوا قلة ولكنهم موجودون على كل حال وإما أن يكون ابن الأنباري رأى أن يسلك هذا النهج مع الشاعر عبدالله ابن المعتز بصفته أحد الأمراء العباسيين وهو أسلوب لا ضير على ابن الأنباري في اتخاذه فإن للخلافة منزلة تستحق التكريم

من ترجمة ابن المعتز وابن الأنباري

وقد يكون من تمام الحديث أن نتعرف على كل من هذين الشاعرين الأديبين ، فإن في التعرف عليهما فائدة لمن يقف على تاريخهما ومتعة لمن يعرفهما

اتفق مؤرخو الأدب على أن محمد بن القاسم الأنباري ممن وهبهم الله قوة نادرة في الذاكرة، وحلاوة في الحديث ، وشغفا في التأليف ، فقد كان مجلس إملائه حاشدا بطلاب الحديث والأدب ، وكان يملي عليهم من ذاكرته ، ويخيل لي أن القدماء ـ رحمهم الله ـ قد بالغوا في قوة حافظته ، فقد قالوا عنه بأنه يحفظ مائة وعشرين تفسيرا بأسانيدها ولا أتصور أن ذاكرة إنسان تستطيع أن تحفظ كل هذه الثروة العلمية على أن الله قادر على أن يهب بعض خلقه موهبة تفوق التصور أما تآليفه فقد بلغت سبعة وعشرين كتابا ، بعضها في تفسير القرآن ، وبعضها في اللغة ، وبعضها شرح فيها دواوين الشعراء مثل زهير والنابغة الذبياني والأعشى والنابغة الجعدي والراعي ، وشرح المفضليات

أما صور حياته فإنها تتكون من عفة النفس والتشدد على نفسه في الابتعاد عن الاستجابة لرغباتها ، ويتمثل ما ذكرناه في أن الخليفة الراضي وهب له جارية حسنة كاملة الوصف ، فلما صارت إليه اشتغل قلبه بها فاحتلمت عليه مسألة كان يطلبها ، فقال للخادم ردها ، فليس قدرها أن

تشغل قلبي عن علمي ، فلما بلغ الراضي أمره قال لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في صدر هذا الرجل ولا بد لمن يملك تلك الثروة الثقافية التي يملكها عالمنا ابن الانباري إلا أن يعبر بالشعر عن بعض خواطره ، فمن ذلك قوله

إذا زيد شرا زاد صبرا كأنما
هو المسك ما بين الصلاية والفهر[1]
فإن فتيت المسك يزداد طيبه
على السحق والحر اصطبارا على الصبر

ولا يفوتنا هنا ان نشير إلى أن شيخنا ابن الأنباري قد ترب في كنف أبيه القاسم الأنباري ، وهو عالم لغوي ، يمتلىء مجلسه دائما بطلاب الأدب والعلم

كانت مدة عمر شيخنا المترحم له ستا وخمسين سنة ، فقد ولد في سنة ٢٧١ وتوفي سنة ٣٢٧ للهجرة رحمه الله وطيب ثراه

أما الطرف الثاني في هذه الخصومة الأدبية فإنه عبدالله ابن المعتز ، وهو فنان متمكن في فن الشعر ، يصدق من يقول عنه بأنه إمام في البلاغة ، لا يلحقه لاحق في تشبيهاته كان يحيا حياة مترفة ، يصورها شعره السهل في ألفاظه ، فقارئه لا يحتاج إلى تفكير ، ولا إلى تعب في استجلاء صوره ومعانيه لسهولة أسلوبه

وليت شاعرنا رضي بهذه الحياة المترفة الناعمة متعدا عن مزعجات الحكم ، فانه كان يعيش في فترة مضطربة ، لا يأمن الفرد فيها على نفسه ، حتى ولو كان بعيدا عن الحكم ، فكيف به إذا كان جالسا على كرسي الخلافة وليس من شك أن شاعرنا كان يعرف ذلك حق المعرفة ، فقد قتل والده «المعتز» شر قتلة وأذلها ، ذلك أن خصومه سحبوه من فراشه وأوقفوه في حر الشمس يرفع رجلا ويضع أخرى ، فصار ينادي بخلع نفسه ، لكن المتربصين به لم يقبلوا منه إلا أن يأتوا بالقضاة ليشهدوا عليه ، ثم قتلوه بعد ذلك وكان عمر شاعرنا بين الثامنة والتاسعة ، وليس من شك أنه قد شاهد الواقعة أو أنه عرفها كل المعرفة ، فما الذي دفعه الى قبول الخلافة حين عرضت عليه لا شك أن حب الرياسة قد أنساه ذلك كله ، مما جعله يتقبل ما عرض عليه ، غير أنه لم يلبث إلا يوما وليلة ، وبعد ذلك قتل كما قتل والده في أواخر القرن الثالث الهجري سنة ٢٩٦هـ ونحن حين نتتبع ما كتبه المؤرخون عنه لا نجدهم يعدونه من الخلفاء لقصر مدة خلافته ، بل يجعلونه كجملة معترضة

فما أصدق قول الشاعر

حب الرئاسة داء لا دواء له
وقلما تجد الراضين بالقسم

غير أني أرى بأن شفاء هذا الداء يكمن في تحكيم العقل ، فإن من يريد الحكم للحكم يستحق أعنف النقد أما من يريد الحكم لخدمة أمته ومجتمعه فإنه مستحق للتقدير والاحترام بها ، ولا صبر عليه حين يتعرض لأمور مؤدية مزعجة ، فإن على حامل الرسالة أن يحتمل في سبيلها ما يصيبه من أذى وبلاء ومن الأمانة للتاريخ أن نقول بأن ابن المعتز كان يقصد من وراء تقبله للخلافة أن يزداد تقلبه في النعيم بدليل قوله

إذا كان يومي ليس يوم مدامة
ولا يوم فتيان فما هو من عمري
وإن كان معمورا بعود وقهوة
فذلك مسروق لعمري من الدهر

وإننا مع إعجابنا بموهبة ابن المعتز الفنية لا نملك إلا أن نلومه أشد اللوم على تقبل الخلافة ، لأنه لا يريد إلا أن تكون كلمته نافذة ، وأمره مطاع بغض النظر عما إذا كان فيها نفع لأمته أم لا

الفنية الشعرية عند ابن المعتز

قد يكون من حق هذا الخليفة الذي لم يسعد بخلافته أن نقف حول شعره وقفة قصيرة ، والحق أننا إذا فعلنا ذلك فسنجد شاعرنا شاهدا لعصره ذلك أن له لونا من الشعر يسمى بالشعر التعليمي نظم فيه أرجوزة مطولة ، سجل فيها ما كان يقع من أحداث تدل على اضطراب شديد في الأمور ، :

١ - الصلاية مدق الطيب * والفهر حجر صلب ناعم تسحق به الأدوية

حعل الناس يحيون في حوف وفزع وليس شيء أثقل على الانسان من أن تكون حياته على مثل هذا الحال فلنقرأ قوله

وكم فتاة خرحت من منزل
فعصبوها نفسها في المحمل
وفصححوها عند من يعرفها
وصدقوا العشيق كي يقرفها
وحصل الروح لضعف حيلته
على سواحه وتف لحسته

ولندع هدا اللون الكئيب من شعره إلى اللون المرقص المطرب . فقد أجمع النقاد أن شاعرنا استطاع أن يكون من الشعراء المبرزين ، فإن شعره الغزلي كله يفصح عن ذلك

يقول في بعض نسبه

سيدي الحب وحلاها
ولج بي سقم وعافاها
كدت أقول البدر شبه لها
أجعلها كالبدر حاشاها

ونستطف من شعره هده القطعة التي قد عذبت ألفاظها وأشرقت معانيها

يوم سعد قد أطرق الدهرُ عنهُ
خاسيءُ الطرْف لا تراهُ الخطوبُ
فيه ما تشتهي نديم وريحان
وروح وفيية وحبيبُ
منعم مسعد يؤاتيه في الوصل
رقيب على العيون رقيبُ

وربسون يقول ما تعجز الألفاظ
عنه حلو الحديث أديبُ
ولنا موعد إذ هدأ النوْ
مُ ليلا ، والليل منا قريبُ

والحق أن أزهار أشعاره يانعة شذية ، يحتار الانسان فيها ، لا يدري مادا يدع وماذا يختار لكثرتها وتنوعها ولا سيما تشبيهاته التي برع فيها ، وكاد أن يبز أقرانه ، ذلك ما أجمع عليه نقاده ، على أنها في جملتها تدل على أن صاحبها لا يفكر إلا في نعيم هذه الحياة والارتياح فيها ولعل تشبيهه الهلال بالسفينة المصنوعة من الفضة المملوءة بالعنبر من أسطع الأدلة على ذلك ، حيث يقول

أهلا بفطر قد أنار هلاله
فاعدوا الى شرب المدام وبكر
وانظر إليه كزورق من فضة
قد أثقلته حمولة من عنبر

وخلاصة القول أن شاعرنا المترف كان غزير الثقافة ، حاضر البديهة ، أخذ ثقافته من أبي العباس المبرد ، وأحمد بن سعيد الدمشقي ، وهما من أشهر أدباء زمانه كان من المفترض أن يقدر أعظم التقدير لما يتمتع به من انتسابه لبيت الخلافة العباسي ، ولما يتصف به من موهبة فنية ، ولكن السياسة قاتلها الله أبت إلا أن تكون أيامه الأخيرة بالغة القسوة فقد قتل صبرا على يد مؤنس الخادم المعروف بعدم الشفقة والشدة ودفن بخربة قرب داره ، فما كان أغناه عن هذا المصير البائس □

● من أكون أنا حتى أحرم أنك على خطأ ؟ (سارتر)

● حب الحياة يزداد كثيرا لدى الانسان اذا ما انهالت عليه المصائب (طاغور)

● ان الدين لايعرفون قيمة الحياة لايستحقونها (بيكون)

● قد تصل الى مانحن اليه من الثروة ، غير أنك تشعر بلذة لاتقل عن لذة الفوز بأمانيك اذا التفت وراءك ، فشاهدت أن كل خطوة من خطواتك كانت تدل على حذقك وعزيمتك (الياس قنصل)

اُم سعید

استطلاع ـ صادق يلي
تصوير : فهد الكوح

التنمية بأبعادها المتعددة هي هاجس الإنسان العربي

بعد حصلت أقطارنا العربية على استقلالها

وبعد تعددت النماذج والتجارب والنتائج،

لكنها ما تزال قضية أساسية

والقطر العربي الخليجي - قطر - يدخل هذه الساحة

مدفوعا بآمال تحقيق مستوى أرقى في المعيشة لأبنائه

ومتفتحا لعالم ما بعد النفط

سبيله صناعات تعد دعامة لنهضة اقتصادية واعدة

قالوا: استطلعوا قطر، فإنكم منذ مدة لم تزوروها. ومالنا؟ وما هو الجديد الذي يمكننا استطلاعه؟

فأجابوا: هناك الكثير الذي يستحق الحديث عنه.

طالما سمعنا مثل. فقالوا: عندنا نهضة تعليمية وجامعة وليدة. فقلنا: إن خليجنا يشهد نهضة ناشطة في كل بقعة من بقاعه، والحديث عنها تكرار لن يشبع العقول المتلهفة للجديد والمبتكر. فقالوا: عندنا مدينة صناعية متكاملة واعدة، فلتكن هي وجهتكم هذه المرة. فأثاروا فضولنا، وقلنا لهم: حبا وكرامة. وكانت رحلتنا السريعة إلى مدينة «أم سعيد» الصناعية.

التوجه التنموي في قطر

إن قطر، واحدة من أقطار خليجنا العربي الذي يعتمد اقتصاده على مصدر أحادي للإنتاج، ومن ثم الدخل، حيث يشكل النفط مصدرا وحيدا للإنتاج. ولأنه سلعة قابلة للنضوب بعد فترة من الزمن، لذلك سعت السياسة الاقتصادية لقطر إلى تنويع مصادر الدخل الوطني، في الاتجاه إلى التنمية المتوازنة في كافة قطاعات الإنتاج، مع التركيز على قطاع الصناعة، باعتباره ركيزة أساسية للقطاعات الأخرى، واختارت - الحكومة القطرية - الاستثمار في الصناعات كثيفة رأس المال، في مجال الحديد والبتروكيماويات، حيث تتوفر احتياطات ضخمة منها في قطر. وعملت السياسة الاقتصادية على تنمية القوى العاملة الوطنية، باعتبار أن الإنسان هو الثروة الحقيقية للشعوب، فصدر قانون بإنشاء المركز الفني للتنمية الصناعية محددا مهامه في إعداد خطط ومشروعات استغلال وتصنيع الثروات الطبيعية، بما يتلاءم مع الموارد والاحتياجات، وإعداد دراسات الجدوى الاقتصادية والفنية لهذه المشروعات، وكذلك دراسة الاقتراح في مدى المساهمة التي تشترك بها المؤسسات الحكومية، مع القطاع الخاص في المشروعات الصناعية المشتركة، بالإضافة إلى مساهمة المركز مع الجهات الحكومية المعنية بالتخطيط، لتوفير الأيدي العاملة القطرية، ثم إعداد دراسات مشروعات التدريب والخدمات، والمرافق العامة المتصلة بالخطة التنموية في المجال الصناعي.

كما أوكل للمركز إعداد البيانات والمواصفات الفنية اللازمة، لطلب عروض المشروعات الصناعية التي يتقرر تنفيذها، ثم متابعة تنفيذ ما يتم إقراره من خطط ومشروعات صناعية بالتعاون والتنسيق مع الأجهزة المعنية، والإشراف على تسليم المشروعات للجهات المسؤولة عن تنفيذها، وتنسيق التعاون مع

لجهات الأجنبية والمنظمات الإقليمية والدولية والاشتراك في المؤتمرات الدولية المعنية بالتنمية الصناعية ، ومتابعة القرارات والاتفاقيات التي تمت بهذا الخصوص ، وكل ما يرتبط بالتنمية الصناعية في ميادينها المتعددة

مدينة صناعية

وكانت أولى الخطوات الجادة المهمة لتحقيق التوجه الطموح في مجال التنمية الصناعية هي إنشاء مدينة صناعية ، تضم بين جنباتها مجموعة من الصناعات الثقيلة

ومدينة « أم سعيد » - أو « مسيعيد » كما تسميها النشرات الحكومية والرسمية ، تقع على بعد ٤٥ كيلو مترا جنوب مدينة « الدوحة » العاصمة ، وتمتاز سواحلها بمياه عميقة . قابلة لزيادة التعميق لتلائم ... الصحراوية ، ولذلك كانت البداية فيها إنشاء ميناء لتصدير نفط الحقول البرية في « أم دخان » جنوب

البلاد ، حيث افتتح رصيفه الاول سنة ١٩٧٦ ، ثم ... ذلك وضع مخطط لتوسعته لبناء المزيد من الأرصفة ... ت احد عشر رصيفا بطول نحو ٢٨٠٠ متر

و... ذلك إقامة مجموعة من الصناعات الثقيلة ، منها مصنع الحديد والصلب ومصنع ... ، ومصنع تسييل الغاز ، ومصنع ... ، الكيماوية ، هذا إلى جانب مصفاة النفط .

... جانب توسعة الميناء وبناء المصانع ، توفير ... مات اللازمة تخطيط الطرق ، وإنشاء المرافق العامة ومحطات القوى الكهربائية ، ومخازن البضائع ، ومراقبة الأرصفة ، ومكاتب شركات البناء

كما أقيم في الشطر الثاني من « أم سعيد » مدينة سكنية للموظفين والعمال ، بها كافة الخدمات المرافق ، كالمدارس ، والمستوصفات ، والمجمعات الاستهلاكية وغيرها

وقد رافق ذلك خطة لتدريب « الكوادر » القطرية ، ثم صدور قانون التنظيم الصناعي ، الذي أنشئت بموجبه لجنة التنمية الصناعية ، ولجنة قروض الصناعات الخفيفة تحفيزا للقطاع الخاص للدخول في هذا المجال ، والمشاركة في مسيرة النهضة الصناعية في البلاد

صناعة ثقيلة

وقبل زيارتنا للمصانع كان يدور في خلدنا سؤال مهم كيف تستطيع قطر بمساحتها الصغيرة وعدد سكانها المحدود أن تدخل ميدان الصناعات الثقيلة ؟

وعندما واجهنا المهندس الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن جبر آل ثاني المدير العام للمركز الفني للتنمية الصناعية بهذا السؤال أجابنا « قد يكون التصنيع بالنسبة للدول النامية ضرورة لازمة ، لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المرادة والتغلب على المشكلات التي تواجهها كزيادة السكان ، وتشغيل الأيدي العاملة ، وتحسين وضع ميزان التجارة والمدفوعات، وبالتالي زيادة معدل دخل الفرد، أما في دولة قطر فإن الصورة تأخذ شكلا مغايرا بعض الشيء . فالهدف الرئيسي للتصنيع في قطر هو توسيع القاعدة الإنتاجية ، وتخفيف الاعتماد على مصدر ناضب وشبه وحيد للدخل القومي ، أو بتعبير آخر استخدام موارد مرحلة النفط لبناء اقتصاد متوازن لمرحلة ما بعد النفط ، يستطيع أن يضمن حياة كريمة للأجيال القادمة ويضيف الشيخ عبدالرحمن بن ثاني قائلا وعلى الرغم من توفر المقومات التصنيعية كرأس المال ، والطاقة المنتجة بتكلفة منخفضة ، والنفط كمادة أولية للتصنيع الكيماوي والبتروكيماوي ، لكن نظراً لقلة عدد السكان فإن نجاح الصناعات الكبيرة يتوقف أساسا على إمكانيات تسويق منتجات هذه الصناعات خارج قطر ، وهنا لا بد من إيجاد استراتيجية للتصنيع من أجل التصدير ويضيف قائلا لذلك فإن خطط التنمية الصناعية وبرامجها في بلادنا تعتمد أساسا على الصناعات القادرة على الانطلاق والنمو والمنافسة في الأسواق الخارجية معتمدة على جودتها وأسعارها التنافسية ، ولا شك أننا سنستفيد من المقومات التصنيعية المتوفرة في دولة قطر ، وعلينا الإقرار بأن بعض الصناعات تتطلب استثمارات عالية ، ونسبة تكلفة الطاقة فيها إلى مجمل تكاليف الإنتاج مرتفعة ،

مصنع سوائل الغاز الطبيعي حيث يعالج الغاز المرفق القادم من حقول النفط البحرية والبرية (الى أعلى) سير ناقل يستخدم لنقل كريات الحديد الخام الذي يصل الى ميناء أم سعيد من الهند والبرازيل والسويد (الى أسفل) و (الى اليسار) مدينة أم سعيد مجمع كبير للصناعات الثقيلة في دولة قطر

ـ إلى مشروعات صناعية احديد ، لصلب والمعدة وشماويات ، إلا ان ذلك يحب أن لا يمنعنا من التوحه إلى تنويع مصادر الإنتاج ، ونحن نركز على التحول التدرجي والمرحلي من الإعتماد الكلي على عائدات النفط الخام ، إلى اقتصاديات متنوعة ،متوازنه مستفيدين من وفورات عائداتنا النفطية ،استثمارها في الصناعات المختلفة المعتمدة مباشرة على خام النفط ، ثم على الإمكانيات الهائلة التي لدينا من الغاز الطبيعي . وذلك كمصدر للطاقة ثم على التقنية المتقدمة ومع ذلك فإنني أقولها بصدق أن لا جدوى للتنمية إلا من خلال اطار من التنسيق المدروس مع باقي اشقائنا في أقطار الخليج العربي ، على وجه الخصوص ، ومع باقي الأقطار العربيه على وجه العموم ، حتى نضمن أفضل النتائج لمشاريعنا ، وناحذ مسارها الاقتصادي المنشود

النفط عماد الصناعة

ولما كان النفط الركيزة الأساسية للاقتصاد الوطني في دولة قطر . حيث تعتمد الحياة الاقتصادية على عائداته ، اذ تمثل قيمة الإنتاج في المتوسط ٧٥٪ من حجم الناتج الوطني الإجمالي ، بينما تشكل ايرادات الحكومة العائدة من قطاع النفط حوالي ٩٥٪ من اجمالي الدخل العام فقد فرضت الدولة سيطرتها الكاملةعلى مواردها النفطية،في نهاية عام ١٩٧٤ وأنشأت المؤسسة العامة القطرية لإنتاج البترول كمؤسسه وطنية ، تشتغل بكافة مراحل صناعة النفط الخام والغاز الطبيعي التي كانت تضطلع بها شركات النفط الاجنبية ،لتحقيق الاستغلال الأمثل لها بما يخدم اهداف عملية التنمية في المجالات كافة و لتركيز على تطوير الكوادر الوطنية لإدارة هذا القطاع الحيوي وتشغيله ، لذلك قامت مجموعه من الصناعات النفطية بمثل النفط والغاز الطبيعي عمادها ، ففي عام ١٩٨٤ شهدت دولة قطر خطوات مهمة في تطوير الصناعة النفطية ، تمثلت في تشغيل مصفاة أم سعيد بطاقة انتاجية قدرها ٦٢ ألف برميل في اليوم ، وقد ادى هذا الانجاز إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي من المنتجات النفطية كوقود الطائرات ، وغاز النفط المسال والكيروسين والديزل وزيت الوقود ، وبذلك لم تعد هناك حاجة إلى استيراد تلك المنتجات من الأسواق الخارجية ، وبالإضافة إلى ذلك فإن مصفاة أم سعيد وفرت فائضا للتصدير ، يقول المدير المسؤول عن مصفاة أم سعيد « إننا راعينا عند تصميم المصفاه امكانية التوسع مستقبلا دون الحاجة إلى إجراء تعديلات جوهرية على المصفاة ، كما وفر مشروع المصفاة فرصا لتدريب عدد من المهندسين القطريين على مختلف الجوانب المتعلقة بعمليات التكرير ، وذلك خلال دورات عملية وعلميه قامت بتنظيمها المؤسسه العامة القطرية للبترول مع شركات متخصصه في هذا المجال

ومدت خطي أنابيب يتولى أولها نقل المنتجات النفطية السابقة الذكر إلى مدينة الدوحة حيث مناطق الاستهلاك الرئيسه ، أما الخط الثاني فيقوم بنقل فائض المنتجات من الموقع إلى ميناء أم سعيد للتصدير

أسمدة كيماوية

ومن الصناعات المرتبطة بالنفط ذات المردود الاقتصادي الجيد مصنع الأسمدة الكيماوية « قافكو » فقد أبرمت دولة قطر ممثلة في المؤسسة العامة القطرية للبترول سنة ١٩٦٩ اتفاقية مع شركة « نورسك هايدرو » النرويجية ، لإقامة مصنع للأسمدة الكيماوية برأسمال قدره ١٠٠ مليون ريال قطري ، تمتلك قطر ٧٥٪ من رأسمالها ، وتمتلك الشركة النرويجية ٢٥٪ ، وقد بدأ الإنتاج عام ١٩٧٣ ، والمصنع يتكون من مصنعين ، الأول لإنتاج الأمونيا بطاقة إنتاجية تصميمية ، بلغت ٢٩٧ ألف طن سنويا ، والثاني لإنتاج اليوريا بطاقة إنتاجية تصميمية . بلغت ٣٣٠ ألف طن سنويا ونظرا لتزايد الإقبال والطلب على منتجات الأسمدة الكيماوية في الأسواق العالمية ، أضيف إلى المصنع وحدتان جديدتان للأمونيا واليوريا عام ١٩٧٩ ، وبذلك اصبح إجمالي الطاقة الإنتاجية التصميمية للأمونيا ٥٩٤ ألف طن ، ولليوريا ٦٦٠ ألف طن سنويا . ويعتبر انتاج شركة قطر للأسمدة الكيماوية

من أفضل أنواع الأسمدة في العالم حيث تصل نسبة النيتروجين فيه إلى أكثر من ٤٦٪ . اما أهم الأسواق التي تستقبل انتاج قطر من الأسمدة الكيماوية بصورة أساسية فهي الاسواق الآسيويه مثل الهند وبنغلادش . وباكستان ويضع المدير المسؤول عن المصنع أمامنا احصائية بانتاج مصنع الأسمدة الكيماويه لمدة خمس سنوات وهي كما يلي

السنة	انتاج الامونيا	انتاج اليوريا
١٩٨١	٤٤٧,٠٠٠	٥٧٥,٠٠٠
١٩٨٢	٥٢٨,٠٠٠	٦٦٢,٠٠٠
١٩٨٣	٥٨٦,٠٠٠	٦٥٨,٠٠٠
١٩٨٤	٦٣١,٠٠٠	٧٣٤,٠٠٠
١٩٨٥	٦٣٩,٠٠٠	٧٠٣,٠٠٠

البتروكيماويات

وضمن خطة دولة قطر للاستفادة من مواردها الطبيعية على الوجه الاكمل ، وبخاصة الغاز الطبيعي الذي كان يضيع هدرا قبل تصنيعه واستغلاله ، فقد اقامت حكومة قطر شركة ـ قابكو ـ لتدير مصنع البتروكيماويات بالاتفاق مع مجموعة « سي دي اف شيمي » الفرنسية برأس مال قدره ٣٦٠ مليون ريال ، وتمتلك قطر نسبة ٨٤٪ من الشركة فيما تمتلك المجموعة الفرنسية ١٦٪ . وقد بدأ انتاج المصنع في الربع الأخير من عام ١٩٨٠ . أما المادة الأولية المستخدمة في تشغيله فهي الغاز الغني « بالإيثان » والغاز الصيل ، وهذان الغازان يصلان إلى مصنع البتروكيماويات عن طريق مصنع تسييل الغاز التابع للموسسة العامة القطرية للبترول

وتتكون الغاز الغني « بالإيثان » من ٦٠٪ إيثان ، و ٢٠٪ ميثان و ٢٠٪ غازات حمضية ، أما الغاز الاخر وهو غاز الصيل فيتكون عادة من ١٥٪ إيثان و ٦٠٪ ميثان و ٥٪ بروبان و ٢٠٪ غازات حمضية

يقول مدير المصنع « انتاج مصنع البتروكيماويات سنويا يبلغ ٢٨٠ ألف طن من « الإيثيلين » ، و ١٤٠ ألف طن من « البولي إيثيلين » منخفضة الكثافة و ٤٦ ألف طن من الكبريت الصلب ، وتقوم الشركة بتصدير الإيثيلين إلى جميع الاسواق العالمية اما البولي إيثيلين فتصدر الشركة نسبة ٥٥٪ منه إلى بلدان الشرق الأوسط و ٤٥٪ منه إلى بلدان الشرق الأقصى وبلدان جنوب شرق آسيا ، أما الكبريت الصلب فاسواقه هي الهند وباكستان وبنغلادش . ويعمل بهذه الشركة ٦٦٥ عاملا وفنيا من جنسيات مختلفة » . ويضيف المدير المسؤول عن الشركة قائلا « اننا بصدد انتاج وحدة جديدة لاستخلاص غاز الايثان لضمان إمداد مصنع « الايثيلين » بالمادة الخام اللازمة لتشغيله بكامل طاقته التصميمية » .

الغاز.ثروة واعدة

تعد اراضي قطر من أغنى مناطق العالم بالغاز الطبيعي غير المصاحب ، حيث يعد حقل « الشمال » أكبر حقل منفرد للغاز الطبيعي غير المصاحب . يتم اكتشافه حتى الآن . وهذا الحقل الذي تم اكتشافه عام ١٩٧١ يقع في المنطقة البحرية الواقعة إلى الشمال الشرقي من دولة قطر ، وتبلغ مساحته نحو ٦ آلاف كيلو متر مربع تقريبا ، وتقدر احتياطات الحقل بـ ١٥٠ تريليون قدم مكعب من الغاز أو ما يساوي ٤,٢ تريليون متر مكعب من الغاز غير المصاحب وهو الغاز الذي لا يرتبط إنتاجه بإنتاج النفط الخام .

يحدثنا المهندس عبدالرحمن بن محمد بن جبر ال ثاني مدير المركز الفني للتنمية الصناعية وابتسامة رضا ترتسم على محياه قائلا « إن هذا الحقل الغازي هو هاجسنا الأول لانه يعد أضخم مشروع صناعي في تاريخ بلادنا ، بل إنه سيكون عندما يتم تشغيله بكامل طاقته ـ دعامة كبرى لاقتصادنا،سيفتح آفاقا واسعة أمام النهضة الشاملة التي نستهدفها . لقد بدأنا بتنفيذ مشروع حقل « الشمال » بهدف استغلال احتياطاته الكبيرة من الغاز الطبيعي غير المصاحب لتصديره إلى الدول المجاورة والأسواق العالمية . فقد أبرمت شركة قطر للغاز المسال في نوفمبر عام ١٩٨٤ اتفاقية للتعاون مع شركة البترول البريطانية والشركة الفرنسية للبترول وشركة مروبيني اليابانية ، حصة قطر منها ٧٧,٥٪ ، وتساهم الشركات الأجنبية

مصفاة تكرير النفط في مدينة أم سعيد أول المشاريع الصناعية الثقيلة (في أعلى الى اليمين) أحد خطوط الانتاج في مصنع الأسمدة الكيماوية (الى اليمين). أجهزة « الكمبيوتر » الحديثة في غرفة المراقبة (الى أعلى) (والى اليمين) صهر الحديد في الأفران الكهربائية بمصنع الحديد والصلب

بحصة قدرها ٧.٥٪ لكل منها . ... لتكاليف الأولية لهذا المشروع تتراوح بين ١٣٠٠ - ١٥٠٠ مليون دولار أمريكي . ويهدف المرحلة الأولى منه تلبية الاحتياجات المحلية ، حسب يشمل الغاز ٨٠٪ من استهلاك قطر من الطاقة . وتهدف المرحلة الثانية تصدير نحو ٦ ملايين طن من الغاز غير المصاحب إلى الأسواق العالمية ، والدول المجاورة ، وقد قام ممثلون عن المؤسسة العامة القطرية للبترول خلال السنتين الماضيتين بزيارات متعددة لأسواق أوروبا واليابان وكوريا لتعريف هذه البلدان بنشاطات قطر في هذا الميدان »

وفي قطر الآن مصنعان لسوائل الغاز الطبيعي يقومان بمعالجة الغاز المصاحب للبترول الخام الذي يتم إنتاجه من محطات إنتاج النفط البحرية والبرية ، وذلك لإنتاج الغاز الغني « بالميثان » والغاز الغني « بالإيثان » ثم غاز « البيوتان » السائل وغاز « البروبان » السائل بالإضافة إلى المكثفات مثل « الغازولين الطبيعي »

الأسمدة لها نصيب

يقول الأستاذ يوسف فيصل التميمي مدير مصنع سوائل الغاز « إن قطر تستهلك جزءا كبيرا من الغاز الغني بالميثان كوقود في المرافق المختلفة للمؤسسة العامة القطرية للبترول ، في حين يتم تحويل ما يتبقى منه إلى شبكة توزيع الغاز الحكومية لاستخدامه كمادة خام في صناعة الأسمدة بمصانع شركة قطر للأسمدة الكيماوية وتوليد الطاقة . أما الغاز الغني « بالإيثان » فيحول بالكامل لاستخدامه كمادة خام في مصنع قطر للبتروكيماويات والمنتوجات السائلة كالبروبان والبوتان والمكثفات ، فيجري تصديرها للخارج والطاقة اليومية القصوى للمصنعين معا تبلغ نحو ٢٣٧٠ طنا من البروبان و ١٧٥٠ طنا من البيوتان . و ١٧٥٠ طنا من الغازولين الطبيعي . و ٢٤٩٥ طنا من الغاز الغني بالإيثان

ونظرا لارتباط كمية الغاز المرافق الذي يصل للمصنع بمعدلات إنتاج النفط الخام ، فإن معدلات الإنتاج الفعلي لمصنعي سوائل الغاز الطبيعي يتأثر زيادة أو نقصا بمستويات إنتاج النفط »

مصنع للحديد والصلب

ومن الخطوات الجريئة التي خطتها دولة قطر في مجال الصناعات الثقيلة ، إقامة مصنع للحديد والصلب « قاسكو » ، وقد تأسست هذه الشركة بالاتفاق بين دولة قطر وشركتين يابانيتين متخصصتين في مجال صناعة الحديد والصلب ، هما شركة كوبي ستيل وتمتلك ٢٠٪ ، وشركة طوكيو بوكي وتملك ١٠٪ ، وقد افتتح المصنع وبدأ إنتاجه في عام ١٩٧٨ ، ويقوم بإنتاج حديد التسليح الأملس والمجدول بطاقة إنتاجية وصلت إلى نحو نصف مليون طن في العام ، وبمقاسات مختلفة تبدأ من ١٠ ملم إلى ٣٢ ملم مطابقة للمواصفات الدولية . يقول المهندس ناصر محمد المنصوري نائب المدير العام لشركة الحديد والصلب « أقيم مصنعا على مساحة ٧٠٧ آلاف متر مربع ، مقسمة على عدة وحدات ، منها وحدة الاختزال المباشر ، ووحدة الصهر ، ووحدة الصب المستمر ، ووحدة الدرفلة ، ووحدات أخرى مساعدة ، وقد تصاعد إنتاجنا منذ أن بدأ التشغيل ، وحققنا أرقاما قياسية في الإنتاج وصلت في بعض السنوات إلى ما يزيد عن نصف المليون طن من الإنتاج في كل مراحله ، ابتداء من مرحلة الحديد الإسفنجي ثم بمرحلة كتل الصلب ، منتهيا بمرحلة قضبان التسليح » ويضيف « إن دولة قطر بإنتاجها في مصنع الحديد والصلب تعد ثالث دولة عربية تدخل ميدان صناعة الحديد والصلب بعد مصر والجزائر ، كما أن مصنعنا هو أول مصنع في الشرق الأوسط يعتمد على طريقة الاختزال المباشر باستخدام الغاز الطبيعي

أما إنتاج الشركة من الحديد والصلب ، فتقوم الشركة بتسويقه محليا ، وذلك لتلبية متطلبات حركة البناء والعمران التي تشهدها قطر ويصدر الجزء الأكبر من الإنتاج إلى الأسواق الخارجية ، وبخاصة السوق الخليجية وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية ، والكويت ، والإمارات العربية » . أما

ن العمالة الفنية فيقول المهندس المنصوري . « إن لمصنع يضم نحو ١١٠٠ عامل فني وإداري ، وهم ن جنسيات مختلفة . وقد أتاحت الشركة الفرصة مام الشباب القطري للعمل في هذا المجال ، ومعظم قسام الشركة الفنية منها والإدارية ، تدار الآن من بل الشباب القطري ، كما أن الشركة منذ تأسيسها وفدت الكثير من الطلبة القطريين إلى أمريكا أوروبا للتدريب في كافة مجالات الإنتاج ، علما بأن ن المقرر أن تكون إدارة المصنع القطرية مائة في المائة ع نهاية عام ١٩٨٨ »

صنع الاسمنت

واستجابة للتوسع العمراني الذي شهدته دولة طر أسست شركة أسمنت قطر عام ١٩٦٥ برأسمال لدره ٣٥ مليون ريال قطري مناصفة بين الحكومة لقطرية ومساهمين من القطاع الخاص ، وقد بدأت لشركة انتاجها في مصنعها في مدينة « أم باب » عام ١٩٦٩ بداية متواضعة بفرن واحد ، ثم أضيف فرن ثان عام ١٩٧٤ ، ثم ثالث عام ١٩٧٦ وتنتج لشركة الأسمنت البورتلندي العادي والأسمنت لمقاوم للأملاح بطاقة إنتاجية تتراوح بين ٣٠٠ ألف لن و ٣٢٠ ألف طن في السنة ، إضافة الى ٣٠ ألفا ن الجير الحي ، وتستهلك السوق المحلية إنتاج لشركة من هذه المادة يقول المهندس أحمد بدالرحمن المانع رئيس مجلس إدارة الشركة « إننا جري الدراسة الآن لإقامة فرن رابع ، طاقته لانتاجية ٣٠٠ ألف طن ، ليصل بالطاقة الإنتاجية حو ٦٢٥ ألف طن سنويا ويضيف المهندس المانع ائلا « وقد تم تشغيل مصنع الجير المطفأ في يوليو عام ١٩٨٥ ، ويغذى هذا المصنع بالجير الحي كمادة ساسية ونحن ننتج الجير المطفأ بنوعيه ، جير مطفأ كيماوي وجير مطفأ للإنشاءات ، حيث تبلغ طاقة لجير المطفأ نحو ١٩,٧٥٠ في السنة

ومن المعروف أن الجير المطفأ يستعمل لمعالجة الماء وذلك بإضافته إلى الماء المقطر بكميات محدودة لإدخال ملاح الكالسيوم للماء المقطر ، ليجعله صالحا للاستعمال ، كما أن الجير المطفأ يستخدم كمانع للتاكل ، ويحمي أنابيب المياه من الماء المقطر ، كما أنه يصلح لتنقية مياه المجاري ليجعلها مياها صالحة لري أشجار الزينة غير المثمرة

أما الجير المطفأ المستخدم للإنشاءات فهو مادة هامة في صناعة البناء ، إذ يمكن استعماله في الخلطات الأسمنتية ليعطي ليونة ويقاوم الاهتراء والتلف ، كما يمنع ترشيح الماء ويكبح صدأ الحديد ويعزل الأصوات ويحد من التشقق الناتج عن الانكماش ، ويدخل أيضا في صناعة الطوب الرملي وإنتاجه »

صناعات خفيفة

ويساهم القطاع الأهلي بدور مميز في إرساء قواعد التنمية الصناعية ، لذلك قدمت الدولة له العديد من الحوافز التشجيعية لدعم مستثمريه ، باعتباره جناحا ثانيا لانطلاقة التصنيع في البلاد ، منها منح القسائم الصناعية للمشروعات بتسهيلات واسعة ، وتطوير شبكة الطرق والنقل لخدمة الصناعة ، وكذلك إعفاء المشاريع الصناعية ومستورداتها من الات ومواد من الضرائب والرسوم الجمركية ، وتقديم القروض والتسهيلات الائتمانية اللازمة لهذه المشاريع ، بالإضافة إلى توفير الطاقة الكهربائية والمياه للمناطق الصناعية يقول المهندس ماجد عبدالله المالكي مدير إدارة الشؤون الصناعية في وزارة الصناعة والزراعة « لقد صدر في أواخر عام ١٩٨٠ قانون تشجيع الصناعات الخفيفة الذي يرمي إلى دفع القطاع الخاص خطوات في مسيرة التنمية الصناعية ، فسمح القانون للمستثمرين القطريين بالاستفادة من القروض التي تمنحها الدولة للصناعات الخفيفة ، فهي تقدم قروضا تتراوح بين ٤٠٪ و ٥٠٪ من رأس مال المشروع ، كما يلزم القانون الدولة بشراء انتاجه للاستهلاك المحلي في حالة تفوقه من حيث الجودة على الإنتاج الأجنبي المماثل ، ودعمه بتخفيض سعره عنها بما لا يقل عن ١٠٪ ، كما تعهد هذا القانون بتوفير سياسة الحماية الجمركية للإنتاج المحلي لهذه الصناعات ، بغية تشجيعها للمضي قدما لتطوير إنتاجها »

وإسهاما من دولة قطر في تشجيع الصناعة للقطاع الخاص أقامت الدولة منطقة الدوحة الصناعية ،

منصة تصدير الخام (اعلى الى اليمين) تقوم شركة الحديد والصلب بتصدير إنتاجها عن طريق رصيفها الخاص في ام سعيد (الى اعلى) وهنا مجموعة من الثلاجات ومبردات الماء التي تقوم شركة خاصة بإنتاجها (الى اقصى اليمين) مدينة ام سعيد السكنية تستوعب جميع العاملين

وتبعد هذه المنطقة الصناعية على بعد ٧ كيلومترات من مدينة الدوحة ، وهي مخصصة للصناعات الخفيفة والمتوسطة . وقد تم تزويدها بالخدمات الأساسية من كهرباء وماء وبأسعار دون سعر التكلفة ، وبطرق تصلها بالعاصمة . أما إيجارات هذه القسائم فهي إيجارات رمزية

مشـــروعات أهليـة

وأمام هذه الإغراءات الواسعة قامت عدة فعاليات اقتصادية أهلية بتكوين مشروعات صناعية خفيفة ومتوسطة . منها الشركة القطرية للمنظفات ، حيث يقوم المصنع بتصنيع مساحيق المنظفات الصلبة والمنظفات السائلة . يقول الاستاذ محمود الحرشة المدير التنفيذي لهذا المصنع : « إننا ننتج نوعين من المنظفات ، أولهما منظف ذو رغوة وفيرة ، يمتاز بقوة تنظيف عالية . وقدرة على التنظيف على البارد وعلى الساخن على السواء ، كما أن مسحوقنا يحتوي على مواد تذيب الأوساخ داخل محلول الغسيل ، وتمنع الأوساخ من الترسب ثانية على الملابس . وهذا المسحوق يمكن استخدامه يدويا أو في الغسالات العادية . وبالاضافة إلى ذلك ننتج مصنعنا منظفا يطلق عليه المنظف الأوتوماتيكي ، وهو منظف ذو رغوة قليلة خاص بالغسالات الأوتوماتيكية يحتوي على مواد فعالة أيونية ، وغير ايونية بجانب احتوائه على مواد لإزالة عسر المياه ، ومواد تشتيت الاوساخ ومنع ترسبها على الغسيل . كما أن المصنع يقوم بإنتاج منظفات خاصة بالمستشفيات ، والفنادق الكبرى ومغاسل الملابس . ومنظفات أخرى سائلة تستخدم في مغاسل السيارات ، وأغراض أخرى صناعية

ومن شركات القطاع الخاص أنشطة شركة الأصباغ البحرية لصناعة البويات والورنيش واللاكيهات . إذ حصلت هذه الشركة على امتياز خاص من شركة « همبل » لتصنيع الأصباغ في قطر يقول صاحب المصنع : « إننا ننتج نحو مليون ونصف مليون لتر من الأصباغ البحرية والأصباغ العادية ، منها البريقي والمائي ، ونصنع الأصباغ المخصصة للأعمال الثقيلة التي تستخدم في طلاء حديد التسليح لمنع الرطوبة والصدأ ، وكذلك الاصباغ البحرية التي تستخدم لطلاء السفن الكبيرة التي تعمل في الموانىء ، بالاضافة إلى أننا ننتج أصباغا مخصصة لمواطير الفيبر جلاس ، وأصباغا فسفورية مخصصة لعلامات المرور والعلامات الأرضية المرورية

ويساهم القطاع الخاص كذلك بعدة صناعات مهمة ، منها شركات تقوم بإنتاج الاواني البلاستيكية المتنوعة ، وشركة اخرى تنتج الأكياس البلاستيكية بأحجام متنوعة ، إلى جانب شركات لصناعة الإسفنج والمفروشات ، وشركات لإنتاج المواد العازلة للمباني ، وشركات متخصصة في صناعة الخرسانة سابقة الاجهاد

صنـــاعات أخرى

وهناك شركة تقوم بتجميع وتصنيع الثلاجات ومبردات الماء . يقول المدير المسؤول عن الشركة : « إننا نقوم باستيراد المواد الرئيسية لصناعة الثلاجات من ايطاليا ، أما « الثرموستر » فإننا نستورده من فرنسا ، ونقوم بجميع الأعمال الصناعية هنا في قطر ، فننتج جميع أنواع ثلاجات العرض التي تستخدم في الأسواق المركزية والبقالات ، وكذلك الثلاجات العادية بمختلف احجامها ، ومبردات الماء بجميع أحجامها ، حيث تستخدم هذه المبردات في المساجد ووحدات الجيش والشرطة ، كما أننا ننتج المطابخ والأرفف من الصاج المجلفن والصاج المرشوش وكذلك تجهيزات المطاعم « الكونترات » ، بالاضافة إلى الخزانات الحديدية والمقاعد والطاولات للمدارس . وإن أكبر أعمالنا التي نفخر بها هي تجهيز غرف مبردة بأحجام مختلفة لحفظ الفواكه والخضراوات التي تصل إلى دولة قطر من الأسواق الخارجية

هذه لمحة عن التوجه الصناعي في دولة قطر ، وهو التوجه الذي يقوم على استغلال الخامات المحلية لإيجاد مواد أخرى تضاف إلى النفط ، كما أن هذا التوجه يركز على تنمية وتطوير الثروة الأساسية بثروة الإنسان عبر الناصية □

تأليف : دانييل سالناف /ترجمة : الدكتور محمد برادة*

في يوم من اواخر مارس عندما كان توماس عائدا إلى بيته حوالي الساعة الخامسة ، قاطعا رع « كوبلان » تبين فجأة أنه لا يستطيع ان يخطو ابعد . وفيما هو ينظر حوله (عبر الضوء الأبيض ذي كان يجعله يطرف بعينيه) لمح عند زاوية شارع مقعدا خشبيا صاعته متشققة ، فاتجه جلس عليه

لم يكن يحس انه مريض كلا ، ولا حتى أنه متعب بكيفية خاصة فقط لم يكن يقدر أن يذهب إلى أبعد عندما جلس شعر بدوار حسيب يصحبه خفقات عنيفة تنبعث من قلبه ، لم تلبث أن تناقصت مثلما يحدث عند تذكر خطأ ، أو تحت تأثير لقاء غير منتظر كان انفعالا دون سبب مما جعله متفرغا دون قوة مسودا ارتمى الى الخلف على المسند الصلب ، فأحس بقضيب الخشب الضيق ينغرز في ظهره ، فرفع رأسه نحو السماء عاليا ، كانت طائرة

---

* تعتبر الكاتبة الفرنسية دانييل سالناف Daniele Sallenave من الأقلام الجديدة المعبرة عن حساسية مغايرة لحساسية جيل « الرواية الجديدة » ولكتابات « الطليعة » المشدودة إلى (الموضات) الأدبية ، تكتب سالناف القصة القصيرة والرواية ، وتترجم عن الايطالية فازت عام ١٩٨٠ بجائزة « رنودو » عن روايتها « أبواب كيبيو »

ترجمنا هذه القصة عن مجموعتها التي تحمل نفس العنوان « ربيع بارد »

مايلفت النظر في هذه القصة هو الاستيحاء اليومي المعتاد ، وجعله منطلقا لنسج مناخ شعري يستمد رواقه ظلاله الموحية من التفاصيل ، ومن استبطان الديمومة التي تلازمنا وسط حلبة الحياة وسرعة عقارب الزمن التعاقبي المشترك هكذا يصبح وجه « توماس » المتعب الجالس على كرسي عمومي طلبا للاستراحة في قصة « ربيع بارد » وجها إنسانيا يلتقي عبره بصورة الإنسان الذي يعيش داخل مدينة كبيرة جهنمية ، فيحاول أن يحتمي من الإحباط الترك والنسيان والموت بالحلم وطلب التواصل عبر فضاء « داخلي » حيث الأحياء والأموات متعاصرون إلى الأبد ، حيث الماضي والحاضر يتعايشان داخل تأمل مطمئن »

في « ربيع بارد » تمد سالناف جسورا جديدة مع نموذج قصة « اللحظة الكاشفة » كما أرسى دعائمه قصصيون رواد من أمثال تشيكوف وكاثرين مانسفيلد

* باحث وناقد وأستاذ جامعي من القطر المغربي

موغلة في العلو تبتعد نحو الغرب ، وتبدو كأنها تختفي وسط أعماق السماء المدرجة الشفافة ، تاركة وراءها مجرا مردوجا كان يتناثر في شكل ندبف بصعوبة ، أعاد توماس نصره نحو الرصيف ، ثم نحو الشارع حيث كانت الحافلات تنساب دون توقف متجهة نحو ساحة ايطاليا ، وفوقها قطار موار ، لكنه أكثر بطئا من السحب البيضاء السالعة الكثافة التي كانت تصطفق من غير صوت في الأعالي التي كستها الريح من حديد انفلتت عيناه ، وحاول نصره أن يتحاشى تلك الحركة التي كانت تبعث فيه الدوار ، فيضيع وسط لون السماء الرمادي الخالي من أي عمق

أغمض العينين ، لكنه وجد في داخله نفس ذلك الامتداد الرمادي ، فأحس بالخوف ، ففتحهما مرة أخرى ، وحاول أن يثبت نظره على ساقيه ، على قدميه داخل الحذاء ، على تشققات الجلد الرقيقة حيث ظل الغبار عالقا ، ثم وجه نظره الى يديه المبسوطتين على فخذيه ، البيضاوين الرخوتين ، المحدودتين كأنهما منفصلتان عنه حرك خفية الأصابع ، بسطها فخيل إليه أنها تستجيب بصعوبة لارادته ، كأنها قد فصلت عنه بمسافة كبيرة جدا ، وبنية معادية له ، مقاومة لرغباته في النهاية رفع يديه أمام عينيه ، وقربهما ببطء ، ثم حشرهما في جيبي معطفه الشتوي . كان يحس بالبرد ، لكنه كان يعد يفه ما في وضع جيد كان يكفي أن ينتظر قليلا ليتمكن من استئناف الطريق فجأة عاودته موجة الانفعال دون سبب ، نفس القلق الخالي من المحتوى ، كأنه ينتظر مصيبة أو يتذكر هزيمة ، وكان الانفعال يثقل بقوة على أعضائه ، حتى أنه بدا وكأنه هرب التي كان هو وراء ولادتها [illegible] تحتم عليه أن يغمض عينيه . كان [illegible] لا يعرف سببه ولا مصدره ، يحمله مستمرا على [illegible] الخشبي ، مثل يد تطبق عليه عند وسط الصدر كان يحس كأنه طفل ، لديه رغبة في البكاء ظهر له أن تعقيدات الصحيح الذي كان يحيط به مشتبكة بطريقة غير محددة ، فكل ما حوله كان يروح ويجيء ويصيح ويصير ، ويرسل عبر الغبار إنذارات حشنة ، ويزحف بغموض نحو أهداف لم يكن هو يعرفها ، ولم تكن هي أهدافه ، كان مُبعدا عنها ومجموعة العمارات الشاسعة التي كان يخمّنها بشكل مبهم على يساره ، كانت تتفكك هي نفسها ببطء مثل « ديكور » متحرك لأفعال لا نهاية لها أحجار وسقوف من نفس اللون الأزرق ، ودخان عوادم السيارات ، وضباب على البعد ، ولا شيء يوقف هذا الانزلاق المحتوم الذي كان يتركه على هذا الكرسي مستسلما لجموده دون جدوى حاول أن يكف عن الانصات للريح التي كانت تحرك الملصقات المنشورة على أسلاك حديدية فوق بناية بائع الصحف الصغيرة ، وكأنها تذكره بالفضاءات الشاسعة والمدن الأجنبية والغابات التي لن يستطيع أبدا أن يجوبها كل نداء كان شتيمة ، وتعريضا ساخرا بعجزه ، وأمرا وقحا لم يعد بمقدوره أن يواجهه . أطبق الجفنين وقبضتي يديه داخل جيبيه هدير السيارات المتوقفة عند المفرق وهي تستأنف السير عبر رائحة (مطاط) محروق ، وفرقعة خلاطة أسمنت ، وعواء صفارة سيارة إسعاف فتح عينيه من جديد . كانت السيارة قد تمهلت عند مرمى نصره ، فلمح وراء زجاج نافذتها وجها مقلوبا ، وعينين مضطربتين ، وفما دون أسنان ارتمى توماس إلى الوراء وقد رجّه قلق أصم ، ونفس تلك الرغبة في الجري التي كانت تخض أعضاءه ، غير أن قليلا من الهدوء عاوده وبالقرب منه فوق الكرسي حمامتان ، قد استقرتا ، وأخذتا [illegible] يهدلان بلطف ، كان كل شيء ينزلق ، ولا شيء يظل في مكانه ، لكن كان بالامكان أن [illegible] الصدمة الخشنة [illegible] الضوضاء الشرس ، شيئا [illegible]

مسطحة. ولو أننا أولينا مزيدا من الانتباه لأدركنا أن هدير المدينة يتكون من ضوضاء مدرجة، ومن رنين وديمومة وكثافة متغيرة. فلها تطابق أفعالا أو سلالات تمكن أن نهتم بها من غير أن نكون مضطرين للمشاركة فيها. ولأدركنا أيضا أن بالإمكان أن نحاول فكها وفهمها من خلال ملاحظة الطريقة التي تتواصل بها لكي تنصهر آخر الأمر في كل منسجم، وأقل عداء مما يمكن أن نظن. بل كان هناك شيء ممتع سيكون فيه مسرة، وربما سيكون من السهل الانضمام إليه لو أسعفتنا طاقتنا.

بسط ساقيه أمامه إلى أبعد ما يستطيع. وعلى الرغم من محدودية هذا التحرك فقد بدا له أنه عرمتاه. في تلك اللحظة كان ضجيج الشارع قويا جدا، بحيث لم يسمع حك نعليه على الرمل، كأنه قد سحب منه آخر دليل على وجوده المادي. عثر أخيرا على مفتاح المرور والكشف. أحس فجأة أنه لديه عزاء، وأنه مسموح له ومغفور له.

كل شيء كان حسنا. وكان الأمر يتعلق فقط بالموافقة. وهذه الفكرة استحقت به، فحيل إليه أنها وحدها ما تزال قادرة على تعبئة قواه المتدهورة.

انغلقت عيناه من جديد، لكن على ضوء لطيف مرحب، مثل ضوء صباح صيفي، يتسلل عبر مصاريع النوافذ التي سأخر في فتحها بدافع من كسل.

كانت ضوضاء المدينة تخترقه من جهة لأخرى، ولم يكن يحول دون ذلك، وطراوة الهواء القارس تنشر خلل جبهته وخديه وذقنه. كان يحس ذلك، فخرج من نفسه على استعداد لأن ينضم إلى امتداد الأشياء، إلى حيدانها، وإلى التشتت المحيط بها، بل إنه أحس أنه كان يبذل جهدا لإدراك الاتجاه لكي ينحو بها. لكنه لم يتمكن من ذلك جيدا. ما تكاد اندفاعته تخرج منه حتى تسقط دون قوة، أو بالأحرى كانت تتجمد حوله، وكأنها بخار فاتر.

سحب بصعوبة إحدى يديه من جيبه، ومررها على وجهه ملامسا سطحه الخشن البارد المتوتر عند الوجنتين، المتقعر عند أسفل الخدين والعين.

وظهر له جسده ممرا غريبا دون نفع. وأدرك أنه يكون هناك خلاص ما دامت تنتصب بينه وبين هذه الكتلة من اللحم غير الملائمة، وطالما بقي مستسلما لغرائبها ونزوات مراجها.

كان جسده المرعج ينتصب بينه وبين العالم، و يحس كأنما هو مفصول عن الضوء بظل شجرة وارفة. على أن شيئا ما كان يحاول أن يشق طريقه داخله، شيء مشع، لا مادي، ومنير، مثل تلك القوة التي كانت هناك فوق، تدفع أشعتها في السماء الصافية، وتحرك الماء والسحاب. سيجب عليه للالتحاق بها أن يترك وراءه هذا الجسد الذي كان التعب يسمره فوق كرسي مواجه لضوء الربيع الصافي. وعندئذ ستمكنه أن يرتفع ويرد ليعانق هناك في الأعلى ذلك الشيء الخفيف الذي كان يناديه. لكن عليه قبل ذلك أن يعرض عن كل تهيج، وأن يتجنب كل حركة قد تضطره إلى الاندماج مجددا في هذا الجسد المتطلع، عديم المهارة المؤلم. هذه الفكرة جعلت راحة مجهولة تستولي عليه. كانت عيناه تنغلقان، وطراوة ريح فاتر تهدهده، وتفقد وجنتيه حساسيتها، وتدثره بحمى ناعمة. بعودة الاطمئنان إليه، كان الرجل يجمع، فأدرك أنه يغفو، وأخذت السواد الماصات تمثل أمامه في دائرة صامتة، فلم يعد يحصي عينيه عن الوجوه التي لا تحصى، ذلك أن واحد منهم كان مثل أبيه ومثل أحد أبنائه الذين لا يحصيهم العد. وجسده لم يعد يثقل عليه الآن.

كان يتكاثر أمامه بلطف، وتلك الأيدي التي كان من الممكن أن تلمس يديه انتصبت على مسافة منه. وكل شيء كان جيدا. يستطيع أن يرتاح. استيقظ متأسفا وأحس من جديد أن قلبه يدق بقوة، وكان نفس الإحساس بالوهن يعاوده.

انتصب ومرر يديه على فخذيه العجفاوين و جنبيه وصدره وذراعيه، ثم جذب أهداب معطفه فوق ركبتيه المثلجتين. من جديد كان الفراغ الذي بداخله، وأمامه كانت الأشجار تكاد تغادر فصل الشتاء، كاشفة في الطرف القصي الأسـ

سناها ، عن فقاقع صغيرة بيضاء تكفي أشعة
ا من الشمس لتفتيحها

واحس مجددا بانطباع من التهديد والخوف
الرئيس كان لازما ان يبتعد هذا الجسد ما دام هو
ندى بعده عن العالم كان يتحتم عليه أن يخمد
ا دامت الشعلة الضئيلة فيه تستطيع ان تلحق بالنار
الكبيرة التي انحدرت منها

لكن لا مناص فالعالم كان يستعيد ألوانه
بطء ، وقواه كانت تعود إليه منتعشة بعد لحظة
صغيرة من النوم ، فأحس ان بداخله يستيقظ ذلك
الشكل السافل من الحياة الذي سبق له أن بدده

كانت الأشياء ترتد اليه ، فاستشعر رغبة في ثني
ساقه فوق بطنه ليحتمي منها ، مثلما يفعل لاتقاء ماء
يتصاعد غير أن الخجل جعله يحجم عن ذلك
على أن الحركة العائدة لم تكن لتتوقف فقد امتلأ
جسده من جديد بالضوضاء المضببة المتنافرة التي
كانت تحدث صدى مؤلما مع ضجة العالم المسعادة
لقد رحل ذلك الادراك المسبق اللطيف ، الذي كان
يوحي له بانسجام ممكن بينه وبين المسيرة الخفية
للأشياء ماذا حدث إذن ؟ لماذا السعادة الدائبة
هربت قبل أن تكتمل ؟ منذ لحظة فقد تبدى له أنه
كان من السهل أن ينصهر داخل انزلاق الأشياء
الحتمي فما الذي منعه إذن من ذلك ؟

أغلق عينيه محاولا أن يلتقي من جديد داخل النوم

بالنسيان ذاته الذي حمله أحيانا مخلصا إياه من جلبة
الأنام كان يتأهب لأن ينام مجددا ، وقد أحدث
تصعف من حوله ضوضاء الشارع ، عندما احترقه
إحساس مسبق ، انتشله من الخدر الذي كان يسري
في عروقه إن ما أدركه على أنه وعد صاعق بالسعادة
- تلك الرغبة في الانصهار مع الضوضاء الخالص - لم
يكن سوى خدعة ماكرة من النوع الأرذل البرهان
على انهزام جسده ، والعلامة المعلنة عن استسلامه
للامحاء والتلاشي والموت ضغط القلق على قلبه
فع يده كأنه يحتمي من الأنظار ، ثم أعاد فتح عينيه
هو يحس بأصابعه على وجهه داخل الجلد الرقيق
المشدود عند قاعدة إبهامه ، كان شريانا أزرق

ينبض وضع فوقه أصبعا ونظر إلى البقعة فاقدة
اللون وهي تستعيد لونها الوردي تدريجيا بمجرد أن
كفّ عن الضغط وعمره يقين مضاعف بالتقزز ،
فما حاول إخماده داخله بحجة اللحاق بالانسجام
الكبير للعالم لم يكن سوى الحياة ولا شيء غيرها
والصور الاثيرية التي فتنته لم تكن سوى حيل جسد
منهك كان يطمح إلى الراحة لقد خانه جسده وتخلى
عنه ، ففكر بنوع من الرعب أن عليه أن يعيش منذ
الآن مشدودا إلى جثة رفيقه في القيد

نظر من جديد إلى يديه الصفراوين حيث كان الدم
يعاود السريان ألم يكن هناك ، دائما ، داخله شيء
أعلى الموافقة والقبول ؟ وهذا السائل الثقيل الدافيء
الذي كان يترع شرايينه ألم يكن في الحقيقة يحاول أن
يهرب منه وأن يتوغل داخل الغبار في شكل قطرات
للعاصمة لينصهر داخل مادة الأرض التي لا اسم لها ؟

كانت المدينة تفرغ والسماء تنسكب من خلل فجوة
سحب تعلن عن غروب الشمس كل شيء كان
يسير نحو نهايته ، ولم يكن هناك مجال لنقض الحكم أو
استثنائه وفي آخر المطاف سيجدون أنفسهم جميعا
بشرا وحيوانات مختلطين ، وأعصابا ميتة و « خردة »
حديد صدئة الكل سيطويه نفس النهر الكبير
انه برود الدم داخل شرايينه ، لم يفعل أكثر من
استباق خمود العالم الكبير

شملته هبة ريح مفاجئة أحس بنفسه أفضل من
ذي قبل ، فقام منتصبا وعندما أصبح واقفا من
جديد وهو يسير وسط الآخرين راوده انطباع
خاطف كلهم كانوا يتابعون طريقهم ما عدا
هو ، هو وحده سيموت ، وهم جميعهم سيستمرون
في الحياة من بعده والنهر المتلألىء سيطوي على
البعد مياهه هو وحده يطل على الشاطيء وهذه
الفكرة تلاشت بذورها فخطا بضع خطوات في
الشارع ولما كان المطر قد عاد ، فإنه احتمى بإفريز
كشك كان يشتري منه جريدته ثم اتجه إلى منزله
وهو ينظر متفكرا إلى أصابعه التي لطخها مداد
المطبعة ، فهذا وحده الآن كان يكتسي أهمية لديه □

في صمت شديد تمت هذه التجربة العلمية الفريدة . وعلى الرغم من المساحات

الواسعة في وسائل الإعلام العربي

الا ان هذا الانجاز العلمي لم يقدم بشكل لائق

ولم ينتبه أحد الى ان هذه التجربة تمثل نقلة نوعية قد حدثت في مسار دولي الثقافة

والاقتراب من عصر جديد من المتغيرات

هكذا كانت البداية

بطاقة دعوة لحضور افتتاح معرض للكتاب يقام برابطة الاجتماعيين بالكويت ، وفي ركن من المعرض كان يستقر جهاز « كمبيوتر » قال عنه ، مسئولو الرابطة انهم وجهوا الدعوة لهذه الشركة لانها تقدم لاول مرة القران الكريم مكتوبا باللغة العربية على شاشة الكمبيوتر ، واقتربت من الجهاز الصغير الذي لايزيد حجمه عن حجم تلفاز صغير ، مزود بلوحه مفاتيح . وكانت المفاجأة فعلى الشاشة تتوالى سور وايات القران الكريم بالرسم العثماني وبالزخارف الجمالية ، وبالتشكيل النحوي (ضم وفتح وجر) انه عمل يفوق قدرة العقل على التصور والابحار

وبدأت تتوالى على الذاكرة اخبار لم تقف عندها طويلا تتعلق بالشركة صاحبة هذا البرنامج ، فمنذ عامين - مثلا - تفضل صاحب السمو امير دولة الكويت باهداء عدد من اجهزة الكمبيوتر هذه الى النادي العلمي الكويتي - بؤرة اعداد الموهوبين وتربيتهم - ايمانا من سموه باهمية وخطورة تعريب « الكمبيوتر » وبعد ذلك بعام - تقريبا - قررت وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية تعميم اجهزة كمبيوتر نفس الشركة في جميع مدارسها ثم توالت بعد ذلك مدارس الاردن والبحرين والجزائر وعدد من الاقطار العربية، فسلكت نفس المسلك وتوالت الاخبار عن برامج جديدة ومشروعات علمية تدور كلها حول تعريب « الكمبيوتر » واستخدام اللغة العربية . وحينذاك - مازالت الذاكرة تحفظ - كانت كل هذه البرامج خطوات نحو كسر دائرة التحدي للاقتراب من صياغة اخرى تتجاوز مفهوم ان التعريب هو مجرد استخدام لوحة مفاتيح بالفاظ العربية

وانا له لحافظون

شريط صغير يوضع بداخل الفتحة المخصصة في جهاز « الكمبيوتر » ويبدأ برنامج القران الكريم ويعرض البرنامج النص القرآني على مستويين : باختيار عرض سورة او عرض آية واختيار السور يتم بأن يطلب مستخدم الجهاز رقم السورة (من ١ - ١١٤) أو يذكر اسمها او يحدد رقم الجزء او الحزب الذي توجد به السورة، ويعرض في « الكمبيوتر » السورة مكتوبة برسم الخط العثماني وبالتشكيل النحوي ، وفي الهامش يذكر ان كانت السورة مدنية او مكيه وعدد اياتها . ويستطيع مستخدم البرنامج الانتقال بين ايات السورة الواحدة كما يستطيع الانتقال للسورة التالية او السابقة بيسر شديد وعلى مستوى اخر فان المستخدم يمكنه استعراض ايه ما بذكر اسم السورة او رقمها ثم رقم الآية المطلوبة فتظهر له الآية خلال ٣٠ ثانية فقط

هذا العرض الآلي بالغ اليسر . لا يشكل اي صعوبة للمستخدم فمجرد ضغط على مفتاح محدد واستخدام مفتاح الاستزادة أو النقصان يمكن المستخدم من عرض مايشاء من سور وايات لاحقة او سابقة وعلى سبيل المثال فلو كان المستخدم يعرض سورة البقرة فان هذه السورة تحتل رقم (١) بالضغط على مفتاح الاستزادة وتأتي السورة رقم (٢) وهي سوره آل عمران يمكن للمستخدم ان يبدأ العرض

. . . ي الإعلام الكويتي يستمع إلى شرح طريقة عمل اول برنامج للقرآن الكريم ، لدى تم معرض . . . . . . نطة الاجتماعيين بالكويت

. يضغط على رقم (٢) في خانة السورة ثم رقم ٥٦ . . . لآية ، فتظهر له على الشاشة الآية ٥٦ في سورة آل . . . مران وعند اختيار سورة مايقوم المستخدم . . . اختيار ثم يتحرك بمرونة ليقف عند الآية المطلوبة . . . ن البحث ايضا على مستوى اخر ، وهو مستوى . . . حث عن كلمة وهذا الجزء يعتمد على ما يمكن ان . . . تبر ، نتجا جديدا للعلة العربية

حقل الصرف

تتميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات . . . . . . خضوعها للاشتقاق والتشكيل . . . نحوي ، وعلى سبيل الايضاح فان كلمة (كتب) . . . تتفرع منها ـ اشتقاقا وجمعا ـ كاتبان وكتبة ، . . . مكتوب وكتاب وكاتبات الخ على عكس المقابل . . . للغة الانجليزية مثلا لنفس الكلمة (write) اذ . . . تشتق من الكلمة ولا يتوالد عنها الا (writer) بمعنى كاتب أو (writing)وتفيد معنى اسم الفعل وهو كتابة ، و (written) وتعني مكتوب و (wrote) وهي صيغة الماضي، وعلى عكس اللغة العربية فان الكلمة الانجليزية هنا لم تتغير بنيتها ، بينما الكلمة في اللغة العربية تعلف بسوابق ولواحق ولواصق وتنصهر جذريا هذه المشكلة كانت عقبة عملاقة كبرى امام استخدام اللغة العربية في « الكمبيوتر » ولكي نزيد الأمر ايضاحا فان تطور البحث عن المعلومات بواسطة « الكمبيوتر » قد قفز من مجرد معلومة رقمية إلى أن شمل البعد اللغوي ، وقد تغلب العلم الحديث على مشكلة التخزين بابتداع ما يسمى بالقرص الضوئي ، الذي يتسع لاحتواء نصوص (١٠٠٠) كتاب ، ومع مايوفره « الكمبيوتر » من سرعة البحث دخل العالم عصر ثورة المعلومات من أوسع ابوابه،واصبح ممكنا تخزين نص كتاب كامل بعد ان كان الامر مقتصرا على مجرد حفظ اسم الكتاب واسم مؤلفه وناشره ونبذة عن مضمونه ولكن هذا لم يحل مشكلة اللغة كان هذا

يحدث في العالم لمرونة اللغات الاخرى وعدم تعرض بنية كلماتها لتغييرات جذرية تعبر من مضمونها وهكذا ظلت هذه المشكلة قائمة حتى تم التوصل الى احداث محلل صرفي في اللغة العربية ، لتصبح بذلك عصرا جديدا لمد اللغة لتلحق بالعالم الذي اوشك ان يتجاوزنا

ويقوم فكرة المحلل الصرفي على ادخال النص ـ اي نص ـ تحليلا صرفيا ، ثم تخزينه صرفيا ، وعند الاستعادة يستعاد صرفيا ايضا ، وبهذه الطريقة تم ضغط احرف كلمات القرآن الكريم بنسبة ٧٠٪ ولتوضيح الفكرة ناخذ كلمة (مثل (متشاكسون) فجذر الكلمة « شكس » والكلمة موضوعة على صيغة متفاعل مزيادة « و ن » دلالة الجمع والرفع ويتم تخزين الكلمة بتوضيح رقم الجذر والوزن الصرفي مضافا اليه الواو والنون ويصبح المسألة بذلك مجموعة معادلات رياضية تخزن ، وعند الاستدعاء يحول « الكمبيوتر » المعادلة الرياضية الى مقابل لغوي فتتم العملية بشكل عكسي ، فعندما يسحل ناتج المعادلة يستدعي الكمبيوتر مكوناتها فيستدعي الجذر (شكس) ويضعه على وزن متفاعل ثم يضيف اليه الواو والنون

هذه ببساطة واختصار فكرة المحلل الصرفي الذي تعرض لأقصى اختبار صلاحية بأن طبق عليه برنامج « القرآن الكريم » ، واستخدمت الصلاحيات والامكانيات التي يتيحها المحلل الصرفي في تحقيق اكبر فائدة ممكنة لتيسير الاستخدام والبحث في القرآن

ونتيجة لهذا اصبح ممكنا للمستخدم أن يستخرج من برنامج القرآن الكريم الآيات التي يريدها حتى وان كان لايحفظها ولا يتذكر موقعها في أي سورة أو حزب إذا كان يعرف المعنى فقط ، وعلى سبيل المثال يطلب مستخدم البرنامج الآيات التي تتناول فكرة « الحرير محرم حرام » ، وبعد ٣٠ ثانية فقط تظهر له على الشاشة كل الآيات الكريمة التي ورد بها حكم الحرير وتحريمه وعلى نطاق أوسع يستطيع الباحث ان يطلب كل الآيات التي تعرضت للحلال ، فيذكر جذر الكلمة وهي « حلل » ، وبعد ٣٠ ثانية ايضا تظهر له على الشاشة كل الآيات التي تناولت أو [illegible] الحلال ، من زواج إلى ماكل الى أخر ما أمر [illegible] كتاب الله الكريم

وبالاضافة الى هذا يقدم البرنامج مستوى للبحث الموضوعي في القرآن ، وهي امكانية [illegible] عند ذكر الموضوع فيذكر المستخدم مثلا الموضوع [illegible] وهو العقيدة فتظهر له الآيات المتعلقة بها [illegible] موضوعا آخر كالأحكام الفقهية او الاخلاق [illegible] والسلوك الخ

كما يقدم البرنامج امكانيات اخرى . تتيح [illegible] المتفاعل حيث يقوم البرنامج بالمساعدة في تحفيظ القرآن الكريم . ثم يقدم جزءا علميا تاريخيا [illegible] القرآن وأسمائه وتاريخ كتابة المصحف والآيات المدنية والمكية . ثم يقدم حصرا بأسماء [illegible] والمؤلفات المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه . كما [illegible] بالاضافة الى ذلك تفسيرا ميسرا مع بيان أسباب النزول، وبيان الناسخ والمنسوخ . والاشباه والنظائر . وهي الالفاظ التي تحتمل اكثر من معنى واستعملت بمعان مختلفة في آيات ومواضيع مختلفة

زيارة إلى ورشة العمل

في احد احياء الكويت الهادئة وداخل منزل انيق صغير ، تزدحم الغرف بأجهزة « الكمبيوتر » والباحثين وفريق عمل كامل ، وداخل ورشة العمل الصغيرة ـ كما يحلو لاصحابها ان يسموها ـ [illegible] ابحاث ، ويجري العمل على السير قدما باتجاه تعريب « الكمبيوتر » وخطورة قضية التعريب تكمن في [illegible] العالم يستعد الآن لاستقبال الجيل الخامس من « الكمبيوتر » والتعامل معه ، وهذا المستوى من اجيال « الكمبيوتر » هو مستوى لغوي يتكلم و[illegible] اللغة ويحلل ويركب ويولد ، وبالفعل ظهرت في اليابان وأوروبا وامريكا نتائج مبكرة لهذه البحوث ، وبتكلفة اقتصادية مقبولة ، وبذلك سوف يتحرر « الكمبيوتر » من مجال عمليات الحسابات والارقام ، ويدخل الى نطاق الانسانيات التي تعد اللغة وعا[illegible] وادواتها

لقاء مع السيدة موضى محمد الصقير مسئولة المعلومات والبيانات في ورشة العمل حدثتنا .

[illegible] منذ البداية حريصين على ان نقدم عملا [illegible] ، فمما لاشك فيه أن الوطن العربي على اتساعه [illegible] سوحرا يدرك أهمية «الكمبيوتر» وندرك ان هده [illegible] هي آخر الممكن في هذا القرن ، والتي لوفاتتنا [illegible] يفوتنا الكثير ولذلك فقد بدأنا منذ اليوم الأول في انتقاء نوعية البرامج التي نعدها ونقدمها ، ثم ستوقفنا برامج الالعاب والتسلية ، بقدر ما كان اهتمامنا بالوصول الى برامج تحقق اكبر من فائده بدأنا ببرامج تعليمية وبرامج تاريخية ، وبرامج معلومات عامه ولم يستغرق هذا طويلا ، وانتقلنا بعد ذلك الى برامج القواميس فقدمنا (قاموس عربي انجليزي) يضم الكلمات الاكثر شيوعا واستخداما [illegible] اللغة الانجليزية ، ولنا دوما ندرك أن المرحلة الأولى المهمة هي أن نكسر رهبة « الكمبيوتر » لدى المستخدم ثم نجعله يشعر بأهميته ومساعدته [illegible] له ويخضع أي برنامج يعد لعدة خطوات فصلا عن الخطوات الفنية التي يقوم بها مصمم البرنامج فإن هناك قسما كاملا هو قسم البيانات [illegible] والمادة العلمية [illegible] وإشراف دقيق [illegible] عدد من أساتذة [illegible] حسصه [illegible] يتم الانتقاء [illegible] المادة العلمية [illegible] المعلومات [illegible] طويلة ومعقدة ، لكن تنظيم العمل وتتابعه [illegible] من الامور)

[illegible] نيس قسم الأبحاث بالشركة د. [illegible] قام برنامج « القران الكريم » على بحوثه [illegible] عن قيمة هذا الابحار من الناحية العلمية [illegible] تطبيق برنامج القران على استغلال الخاصية للغة العربية ، مما تطلب في البداية تطوير معالج صرفي الي قادر على تحليل جميع الكلمات العربية باستخلاص جذورها وأنماطها الاشتقاقيه وزوائدها التصريفية وعلاماتها الاعرابية بتلقائية وفي نفس الوقت يقوم المعالج الآلي المذكور بإعادة تركيب هذه الكلمات عند إعطائه عناصرها التحليلية المذكورة . ونظرا لبعض القيود الفنية على الحيز المتوفر من ذاكرة الحاسوب اللازم لحفظ النص الكامل ، استخدم المعالج الصرفي لضغط النص القرآني في ربع حجمه الأصلي . وذلك بتمثيل الكلمات العربية بدلاله الجذر والصيغه الصرفية ، وهكذا تحفظ كلمات النص القرآني في صوره شفرة صرفية ، ثم فكها من خلال إعادة التركيب عندما يراد إظهار النص القرآني على الشاشة المرئية او طبعه على الالة الطابعة

وتتمثل ذروة الابحار التقني في الاسلوب المبتكر الذي يتم به استرجاع النص القرآني صرفيا . حيث يمكن استرجاع الكلمات التي تتحد في جذرها أو في ساقها بغض النظر عن صيغها الصرفية أو زوائدها التصريفية ، مثال ذلك يمكن تحديد مواضع ورود جميع الكلمات المشتقة من الجذر (أمن) التي تشمل - على سبيل المثال لا الحصر - إيمان ، مؤمن ، مؤمنة ، مؤمنات ، أمين ، آمن ، مستأمن ، أمانة ، إلخ ، وذلك كمثال للبحث على مستوى الجذر

[illegible] فيمكن استرجاع الكلمات [illegible] كلمة (مشترك) [illegible] شركة ، مشتركون ، [illegible] وهلم جرا

إن الاسترجاع [illegible] للنصوص العربية المستخدم في برنامج القران الكريم يمثل نقلة نوعية في استرجاع المعلومات العربية ، ليخلصها من قيود الأسلوب المصمم للغة الانجليزية ، المبني على المطابقة الميكانيكية بين الكلمات المفتاحية المراد البحث عنها مع الكلمات الواردة في النص الذي يجري البحث في نطاقه ، والذي لا يتلاءم مع طبيعة بنية الكلمة العربية التي تطرأ عليها تغيرات حادة

بمعـل عمليات الاشتقـاق والتصـريف والاعـراب والاعلال والابدال

بجانب ذلك قام برنامج « القرآن الكريم » بحل مشكلة أساسية ، هي إظهار النصوص العربية على الشاشات المرئية ، حيث نجح في إظهار جمال الكتابة العربية بصورة مطابقة لجمال كتابة المصحف المطبوع ، كما تصمم البرنامج وسيلة تلقائية لتحويل الاملاء الحديث للغة العربية إلى الاملاء العثماني المتبع في كتابة نص القرآن الكريم».

رجاء الانتباه

بعد اثنى عشر عاما فقط ، سيدخل العالم إلى القرن الحادى والعشرين وهو قرن سيكون مختلفا ومغايرا لقرننا هذا ، واذا لم يلحق العالم النامى-ونحن منه - بثورة المعلومات التى يعيشها العالم الآن ، ويعبر الى القرن الجديد ، فانه سيظل أسيرا للتخلف إلى الأبد

وجـانـب من خـطورة ثـورة المـعلومـات و «الكمبيوتر»أن هناك جيلا بأكمله يتغير نمط تفكيره وينتقل عقله إلى طرق تفكير بالغة الاهمية ، والتجربة العلمية التى قامت بها أستاذةعلم نفس شهيرة فيإحدى الجامعات الامريكية لقياس ذكاء ابنها البالغ من العمر ٢٠ عاما دليل على ذلك ، فقد فوجئت عالمة النفس بأنه من خلال «الكمبيوتر» قد اكتسب ذاتيا قدرة في تفكيره على الخروج من اسلوب المعالجة الخطية المتسلسلة الى اسلوب المعالجة المتوازية لعدد من الاعتبارات والمتغيرات التى هى لب اسلوب المنظومات ، ولعل شكاوى الآباء والمعلمين من تجاوز الابناء والطلبة لمنهجهم في التفكير ، واحساس علماء التربية بوجود فجوة عميقة بين الاجيال،هى الدافع لطرح المتخصصين رأيا مفاده أنه أصبح من الحتمى أن نختار التثوير في تطوير المناهج ونظم التعليم وطرق تفكير الاجيال الجديدة وجانب آخر لايقل أهمية عن كل ما سبق ان العالم الان يعتمد على عصر المعرفة ، والمعرفة هى نتاج حضارى وعقلى للمجتمع كله وليست امتيازاً لفرد أو طبقة ، وتسهم

جانب من فريق العمل مصممو برامج ، وباحثون ورغم ضيق المكان فالعمل لا يتوقف

المعرفة بنسبة عالية تجاوزت النصف بكثير في تكلفه المنتج النهائي لصناعات عديدة

وأمام محمد الشارخ رئيس مجلس ادارة الشركة ألقينا بتساؤلات عن اهمية ما تقوم به الشركة قال في تقديري هناك ثلاث نقاط أو محاور تترتز حولها اهمية ما نفعله وهى

أولا من الناحية الحضارية والتقنية فلاشك أن ما نفعله هو تيسير نقبة المعلومات للمستخدم العربي والتيسير من وجهة نظرنا يعنى تعريب النظام واعداد البرامج وتقليل ثمن الجهاز وأعداد الكتاب ، ونحن نشعر الآن اننا قد اسهمنا اسهاما فعليا ، ـ نكاد ان نكون وحيدا ـ في أن يدخل « الكمبيوتر » الى المجتمع العربي خاصة ، وان ادخال «الكمبيوتر» الى المجتمع العربي لايسهم فيه برامج وسعر جهاز فقط ، بل يساعد عليه وشكل فعال شبكة توزيع ممتدة على مساحة وطننا العربي كله ، ونحن نفعل هذا ، وفي تقديرى انه لا احد غيرنا يفعل ما نفعله

ثانيا نحن نزعم اننا نحدد شباب اللغة العربية باللغة العربية تواجه مشاكل ، منها مثلا جهل قد يصل الى عداء المتعلمين العرب لها ، فهم قد تعلموا بلغات اجنبية ، ويفكرون باللغة العربية ، وقد اصبحت اللغة العربية مقصورة على العلوم الدينية الشرعية.والمشكلة الثانية ان تعليم اللغة العربية يسهل ولم ييسر مع بدء النهضة التعليمية الحديثة بحيث يصبح تعلمها سهلا للفرد ويضاف الى ذلك ان المؤسسة التعليمية لم تنجح في تيسير وتسهيل اللغة العربية ، لكنها في الوقت نفسه ارتكبت خطأ آخر وهو تعليم اللغات الاجنبية منذ المرحلة الابتدائية فأصبح المتعلم العربي منذ الطفولة يشعر بأن هناك لغة اخرى عبر لغته . والتحدى الان ان اللغة العربية تواجه مشكلة كبرى بسبب التقنيات الحديثة التي تيسر امكانيات هائلة للتعامل مع اللغة سواء من ناحية الشكل او من ناحية المضمون ، وكلاهما يحتاج الى تخصصات ودراسات متقدمة في اللسانيات

عضوة في فريق تصميم الاعلمة وفكرة جديدة

الرياضية ، وهو تخصص شبه معدوم في الوطن العربي . فالتقنية الحديثة صارت تفرض على اللغويين في كثير من ابحاثهم ان يكونوا رياضيين ايضا والثابت ان هناك انفصاما بين التقنيات الحديثة واللغة بالنسبة للعرب ، وسينعكس هذا الانفصام في إدعاء يقول أن اللغة العربية لاتصلح للتطبيقات الحديثة أو ادعاء آخر يشوه المحاولات ،

التي تتم لكسر هذا التحدي بأن التقنية الحديثة تشوه اللغة العربية من ناحية الخط أو التشكيل مثلا وهنا - في تقديري - والحديث مازال لرئيس مجلس ادارة الشركة - أهمية وخطورة ما نفعله ، فنحن ببرنامج القرآن الكريم وبالمحلل الصرفي قد وضعنا اسسا منهجية علمية للتعامل مع التقنيات الحديثة ، وقمنا بتطويع الآلة للغة دون تنازل عن أي جانب من الجوانب الجمالية أو البنائية أو الدلالية الخاصة باللغة العربية

والأهمية الثالثة ان هذه التجربة وانتشارها على امتداد الوطن العربي كله قد اثبتت انه من الممكن القيام بمشروعات عربية وان الشركة العربية الممتدة فكرة ممكنة التنفيذ بشيء من الجهد وكثير من العناء ، وانه لاتوجد مشاكل تقصم الظهر وتعوق المشروعات الاقتصادية أو العلمية التي تريد ان تتخطى الحدود الجغرافية للوطن العربي

آفاق جديدة

ويضعنا برنامج القرآن الكريم أو البرنامج العلمي الذي قام على أساسه وهو برنامج المحلل الصرفي - على بوابة عصر جديد للغة العربية ، ويفتح الباب امام معالجات كثيرة في مجال اللغات الطبيعية ، ويترتب على هذا البرنامج افكار هي لب ثورة تقنية المعلومات فبواسطة هذا البرنامج يصبح ممكنا التصحيح الاملائي بواسطة « الكمبيوتر » ، وكذلك الاعراب الآلي وهذان مجالان من اهم مجالات وميادين التعليم بالتفاعل وليس بالتلقين ، ويفتح امكانية تلخيص النصوص والنشر الالكتروني وهو الميدان الأرحب والأوسع ، فقد اصبح ممكنا تخزين عدد كبير من الكتب والنصوص العربية بواسطة الاقراص الضوئية واسترجاع أي جزء أو موضوع أو اجزاء تتناول موضوعا أو فقرات متباعدة في الكتاب الواحد في زمن لايزيد عن دقائق ، ويفتح الباب ايضا الى عصر المعاجم والقواميس وبرامج تحقيق التراث وبرامج تحليل لعروض الشعر واختبار صحة وزن ابيات الشعر وتصحيحها اليا ، وكل هذه المجالات بتواليها وتعقيداتها المتراكمة سوف تفتح الباب امام مستوى آخر ، وهو مستوى الصياغة وكتابة المقالات والترجمة الآلية

عصر جديد بأكمله يطل علينا يعيشه العالم بصراعه المحموم منذ عشر سنوات وبفريق محدود من الباحثين العرب ، فوق ارض عربية بدأت محاولات جادة وعلمية للحاق بهذا العصر - فهل نتنبه ؟ وهل ندعم ونساند ؟ وهل تلتفت مؤسساتنا العربية التربوية الى أن هذا هو الجسر الوحيد والممكن لدخول بوابة القرن الجديد ؟ أرجو أن نفعل □

الحروب الصليبية ضد المغرب العربي

بقلم : عبد الكريم غلاب*

بعض ما هو شائع ومدوّن عن الحملات الصليبية

أنها كانت تجعل من المشرق العربي مقصدا لها

إلا أن هذا المقال

يجتهد في القول بأن حملات صليبية أخرى شنت على المغرب العربي أيضا ،

وأن آثارها بل ووجودها المادي الحي ما زال مستمرا !

اعتاد المؤرخون أن يكتبوا تاريخ الأمة العربية ممزقا ، كما تصوروا الوطن العربي لا سيما المتأخرين منهم والتاريخ الاسلامي لم يكتب كمنظومة تاريخية ، بُعدها العربي في المغرب ، وبُعدها الشرقي في اندونيسيا ، لكن كل قطر قد كتب تاريخه ، ومن يكتبون عن منطقة أخرى غير التي وجدوا فيها يكتبون ما يريدون من تاريخ ، دون أن يفكروا في مدى ارتباطه حتى بتاريخ بلادهم ، وهكذا وجد عندنا مثلا تاريخ فتح العرب لمصر ، وتاريخ فتح العرب للمغرب ، وفتح العرب لبلاد الفرس ، كما وجد عندنا مثلا تاريخ الحروب الصليبية الذي لا يتحدث إلا عن الفترة التي هاجم فيها الصليبيون بلاد الشام ومصر ، ولم يهم كتّاب هذا التاريخ قط أن جزءا مهما من الهجمات الصليبية على الاسلام حدثت في المغرب ، وأن حروبا طاحنة مرت بها هذه البلاد ، من جراء أطماع الصليبيين في القضاء على الاسلام في المغرب ، وأن هذه الحروب كانت جزءاً مكملا للهجوم الصليبي على المشرق

* مدير جريدة العلم - المغرب

العربي الاسلامي ، فقد انطلق الهجوم هنا وهناك من نفس المنطلق ، وكانت له نفس الأبعاد ، حقق منها ما استطاع ، وتخلف عن تحقيق ما لم يستطع ، وانهزم فيها العرب والمسلمون ، ثم انتصروا ، وأجلوا الصليبيين عن بلادهم ، وما تزال بقية منهم شاهدة على هذا التاريخ في مدينتين ، لاحداهما أثر مهم في الحضارة الفكرية والسياسية الاسلامية ، وهما سبتة ومليلية اللتان تتحركان الآن للتحرر ، والانضمام إلى وطنهما الأصلي المغرب

حكاية يعقوب المنصور الموحدي

يعرف تاريخ الحروب الصليبية المشرقية صلة مهمة بالمغرب الاسلامي (على مستوى الحملات الصليبية) تتمثل ـ حسب ما يرويه التاريخ ـ باستعانة صلاح الدين بيعقوب المنصور ، أشهر ملوك الدولة الموحدية في المغرب الكبير والأندلس (حكمه من سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٢م حتى ٥٩٥هـ / ١١٩٧ م) يروي المؤرخون أن صلاح الدين استعان بيعقوب المنصور ، ويضيفون إلى ذلك أن يعقوب تقاعس عن إنجاده ، والمؤرخون القدماء يلجأون إلى بعض التعليلات التي لا تنتمي إلى منطق سليم ، ولا تستقيم مع عقلية أولئك الرجال الذين قاموا بأحداث مهمة في تاريخ الاسلام

تقول رواية بعض المؤرخين إن صلاح الدين لم يلقبه في الرسالة التي طلب فيها النجدة بلقب أمير المؤمنين ، فغضب المنصور لذلك ، ولم ينجده

والواقع أن يعقوب المنصور كان يعاني مشكلتين أساسيتين ، لا تقلان عن المشكلة الصليبية التي يعانيها صلاح الدين ، فقد كانت الامارات النصرانية في شمال اسبانيا والبرتغال تهاجم أطراف الأندلس ، وقد استمر المغرب يقاوم هذا الزحف النصراني في عهد المُرَابطين ، ثم في عهد الرواد الموحدين مثل عبد المؤمن بن علي ، ويوسف بن عبد المؤمن والد يعقوب وكان إلى جانب ذلك يعاني مشكلة أخرى ، هي تمرد بعض الولاة في الامبراطورية الواسعة ، وكان عليه ـ والنصرانية تزحف من الشمال ـ أن يعيد الأمن إلى أطراف مملكته ، ولذلك لم يستطع أن يستجيب لدعوة صلاح الدين

ثم ان هناك سبباً آخر ، يتعلق بصلاح الدين نفسه ، فقد روى المؤرخون أن مؤسس الدولة الأيوبية طمع في أن تشمل دولته بلاد المغرب ، فبعث بقراقوش ليحتل طرابلس سنة ٥٦٨هـ ، وبدأ يناوىء السلطة المغربية في تونس ، في وقت كان المغرب فيه مشغولا بمواجهة النصرانية الزاحفة على الأندلس كما سنرى كان يعقوب المنصور إذن يخشى أن يوزع قواته وأساطيله في شرق الوطن العربي وغربه في مثل هذا الوقت الحرج

ضربات من الشرق والغرب

كانت الأندلس ـ حينئذ ـ ضعيفة ممزقة بين ملوك الطوائف وقد وصف ابن الخطيب وزير الأندلس ومؤرخها وأديبها حال الأندلس حينذاك التي ربما كانت تحكي حالنا الآن ، في شطر من بيت في منظومته « رقم الحلل » فقال ساخرا

* وصاح فوق كل غصن ديك *

واجه هذا الحلف الاسلامي حلفا نصرانيا قويا ، ضم إلى جانب الفونسو ملك قشتالة اسانشو رامير ث ، ملك ارغون الذي كان يحاصر طرطوشة ، من أعمال الأندلس وكان نبرنجار ريموند يتأهب لغزو بلنسية ، فجمع الفونسو قوات من مختلف الامارات المسيحية في شمال اسبانيا ووسطها ، من جليقية ، وليون ، وبسكونية واشتوريش ، وقشتالة ، وحاصر بهذه القوات سرقسطة ، وحينما علم بعبور يوسف بن تاشفين إلى الأندلس استنجد بدول مسيحية أخرى ، فأنجدته الامارات الفرنسية المجاورة لاسبانيا بقوات كبيرة العدد والعدة .

وتلاقت القوتان ، الاسلامية بقيادة يوسف بن تاشفين ، والنصرانية بقيادة الفونسو ، في سهل الزلاقة ، على مقربة من « بطليوس » ، وأحاطت القوات الاسلامية بجيوش المسيحيين ، فانهزم الفونسو ، وانتصر المسلمون في معركة رهيبة مصيرية ، قررت مصير الاسلام في الأندلس ، واستمر المسلمون يثبتون وجودهم في كثير من المعاقل ، مدة أربعة قرون أخرى

كانت تلك المعركة في رجب سنة ٤٧٩ هـ (أكتوبر ١٠٨٦ م) ، وقد أصبحت الأندلس بعد هذه الموقعة تابعة للمغرب ، لأن أمراءها لم يكونوا على استعداد لحكمها ، والدفاع عنها ، والوقوف في وجه الحملات الصليبية المتوالية التي كانت تجهز على بعض أطرافها وكما كانت الحملات الصليبية مستمرة على المشرق العربي الاسلامي كانت الحملات الصليبية على المغرب الاسلامي العربي مستمرة أيضا ، وكانت الدول النصرانية تنتهز فرصة دورات الضعف في الدولة الاسلامية لتجدد نفسها ، وتقوم بحملاتها ، وحينما ضعفت دولة المرابطين ثم انهارت لتخلفها دولة الموحدين قامت الدول النصرانية في شمال اسبانيا بإعادة الكرة على الأندلس ، وهذا ما تسميه الرواية العربية « حروب الاسترجاع » ، فما كادت الدولة تستقر حتى وجدت نفسها أمام مسؤولية جديدة ذات شقين

أولهما تمرد الأمراء والحكام الاقليميين الذين نصبهم المرابطون لحكم المناطق الأندلسية التابعة لدولة المغرب ، أو كانوا يحكمونها بالوراثة ، وقد اضطر عبدالمؤمن بن علي المؤسس الحقيقي للدولة إلى الحرب ، لاستعادة نفوذ دولته على مختلف المناطق المتمردة في الأندلس ، وهو تمرد كان الصليبيون يتأهبون لاستغلاله في هجوم جديد ، وقد انتهزوا فرصة تجدد التمرد في إحدى المدن ـ « المرية » ـ فاستولى عليها الفونسو السابع ملك قشتالة

كان الأمراء والحكام الاقليميون الذين استمروا على خلافهم وتمردهم أحيانا على الدولة ـ في محاولة للاستقلال بإماراتهم ـ يحدثون مصاعب للامبراطورية الاسلامية التي اتسعت في عهد الموحدين ، فشملت المغرب الكبير ، حتى حدود مصر ، وشملت كل الأندلس أيضا ، بعد أن استرجعوا « المرية » من يد النصارى في معركة ضارية ، حطم فيها النصارى ما أبقته الحرب من المدينة عند جلائهم عنها

رغم قوة الموحدين لم ييأس الصليبيون من غزو الأندلس بل كانوا يغيرون من حين لآخر على أطرافها فيحتلون مدينة أو منطقة ، ثم لا تلبث الجيوش المغربية الاسلامية أن تطردهم منها

وكانت أعظم المعارك التي خاضتها الدولة الاسلامية الموحدية ضد الهجمات الصليبية هي المعركة التي خاضها يعقوب المنصور الموحدي المغربي ، وتعرف في التاريخ باسم معركة « الأرك » (٥٩٣ هـ ـ ١١٩٥م) ، وبانتصار المغرب في هذه المعركة عادت للأندلس مكانتها ، واستمرت فيها دولة الاسلام حتى سقط آخر معقل منها وهو « غرناطة » في يد الصليبيين بعد ذلك بنحو ثلاثة قرون (٨٩٧ هـ ـ ١٤٩٢ م)

في هذه القرون الثلاثة عانت دولة الاسلام من هجمات الصليبيين كثيراً فكانت موقعة « العُقاب » سنة ٦٠٩هـ ـ ١٢١٢م ، وقد انهزمت دولة الاسلام عندما واجهت حلفاً خطيرا من الامارات النصرانية ، وهو حلف قشتالة وأراجون ونافار والبرتغال

التطويق الصليبي للمغرب

كانت موقعة العقاب بداية النهاية لدولة الموحدين ، ذلك أن النصر أو الهزيمة في الحروب ضد الصليبيين هو الذي كان يعلي من شأن الدول المغربية أو يحط منه ، ويتكرر هذا النموذج في دولة المرينيين كما سنرى ، على أن الدولة التي خلفت الموحدين في المغرب ـ دولة المرينيين ـ لم تتخلف عن مواجهة الزحف الصليبي على الأندلس ، وعن صد طموحهم إلى المغرب ، فقد اجتازت جيوش المغرب بقيادة السلطان يعقوب بن عبد الحق المضيق مرة أخرى ، لمُساعَدة بني نصر على صد الهجمات الصليبية على

المالك الاسلامية ، واستقر غازيا في الأندلس من سنة ٦٦٨ هـ حتى سنة ٦٧٤ هـ ١٢٧٥م ، واستمرت الحروب الصليبية حتى سقط آخر معقل للمسلمين في الأندلس سنة ١٤٩٢ م كما سبق أن قلنا

كانت الأندلس جغرافيا وسياسيا تمثل الجزء الشمالي لأقصى الممالك الاسلامية في المغرب الاسلامي ، وكانت الممالك والامارات النصرانية في وسط اسبانيا وشمالها تعتبر المغرب حصن الاسلام العتيد ، ولا يمكن أن يستقر للنصرانية كيان إلا إذا تحول المغرب إلى شعب مسيحي ، وتحت سلطة مملكة مسيحية ، وقد قويت بينهم هذه النظرية بعد سقوط الأندلس ، ومطاردة المسلمين فيها ، والقضاء على من بقي منهم ، وهم الذين تسميهم الرواية المسيحية بالمورسكيين ، ومن لم يقتل منهم أرغم على التنصر والتنكر لاسلامه لذلك لا نستغرب إذا رأينا أن الحروب الصليبية قد انتقلت إلى المغرب ، فالهجوم الصليبي قد أصبح يستهدف تطويق المغرب من شواطئه الشمالية والغربية ، والدفاع عن الاسلام قد تطلب تجنيد كل قُوى المغرب لصد العدوان

وتبرز في هذا الموضوع عدة حقائق تنير لنا الطريق ، لنتصور خطورة التهديد الصليبي للاسلام في الغرب الاسلامي

أولاها أن الحروب ضد الاسلام في الأندلس - وقد أشرنا إلى نماذج منها - لم تكن حروب « استرجاع » كما يعبر كثير من المؤرخين ، ذلك أن الأندلس لم تكن قبل دخول الاسلام إليها جزءا من الممالك النصرانية التي تضافرت على احتلالها ، لأن وسط شبه الجزيرة الايبيرية وشمالها كانت تتقاسمه مجموعة من الممالك والامارات المسيحية ، منها مملكة قشتالة - وهي أكبرها جميعا - وأرغون ، وجليقية ، ليون ، وبسكونية ، واشتوريش ومملكة البرتغال نافار

ولذلك لا يمكن أن نسمي هذه الحروب حروب استرجاع إلا أن يقصد بذلك الاسترجاع لخطيرة نصرانية ، لأن الأندلس لم تكن أرض المهاجمين ، وما تزال حتى الآن تشعر باستقلاليتها عن اسبانيا ، وإنما كانت حروب غزو صليبي ضد الاسلام الذي بنى دولة عظمى منذ الفتح الاسلامي بقيادة طارق بن زياد المغربي ، وموسى بن نصير المشرقي

ثانيتها أن موقع المغرب الجغرافي كان يوحي لزعماء الصليبيين بأنهم لن يطمئنوا على صليبية الأندلس إلا إذا غزوا المغرب ، وركزوا فيه المسيحية ، فهو قريب من أوروبا ، لا يفصله عنها غير الزقاق (مضيق جبل طارق ١٥ كيلو متراً)

وثالثتها أن شواطىء المغرب الواسعة - ٣٥٠٠ كيلو متر - تغري بالاحتلال ، وتجعل من الصعب على دولة الاسلام في المغرب حماية هذه الشواطىء الواسعة جميعها إلا إذا امتلكت قوة برية وبحرية هائلة

ورابعها أن المغرب كان طريقا لافريقيا ، وإلى الشرق العربي ، فالصحراء المغربية الجنوبية لم تكن فاصلا بين شمال القارة وجنوبها وشرقها ، بل كانت هي طريق القوافل التي تصل إلى بلاد الذهب والمواد الأولية ، ثم إن شواطئه كانت محطات ، يمكن استغلالها لاستراحة القوافل الأوروبية التي كانت تسعى للوصول إلى الشرق الأقصى (بلاد التوابل) عن طريق رأس الرجاء الصالح

وقد كانت البرتغال من بين الدول التي استفادت من عصر النهضة ، فانطلقت تجوب البحار - المحيط الأطلسي على الأخص - للالتفاف حول القارة الافريقية إلى أرض الهند وجزر المحيط الهندي ، وإلى الخليج العربي

وخامسها أن اسبانيا والبرتغال قد اقتسمتا المسؤولية بتوفيق من البابا ، بعد أن كاد النصر المتوالي في الأندلس يعصف بوحدة الصليبيين ، وقد قسم البابا بينهما المسؤولية فمنح اسبانيا حق احتلال ما يقع في شرقها من جنوب البحر الأبيض ، ولذلك اتجهت إلى الجزائر وتونس وليبيا ، ومنح البرتغال حق احتلال ما هو غربي هذه المنطقة من أرض الاسلام ابتداء من المغرب ، فاتجهت إلى شواطئه الشمالية على البحر الأبيض ، وإلى شواطئه الغربية على المحيط الأطلسي ، ومنها إلى غرب افريقيا ، ومنها

ممالك ودول إسلامية ، ثم إلى جنوبها في الطريق إلى المحيط الهندي . أما العرب عبر الاسلامي فلم يكن مما يحتكم فيه إلى البابا . ولذلك اتجهت اسبانيا إلى العالم الجديد ، إلى أمريكا ، حيث المناطق الغنية بالذهب ، وفي هذه الفترة - خاصة - اكتشف كريستوفر كولومبوس الأرض الجديدة ، بمساعدة ملك اسبانيا وملكتها ايزابيلا الكاثوليكية

سادسها أن اسبانيا والبرتغال كانتا تستهدفان من الهجوم على المغرب هدفين متوازيين أولهما تنفيذ وصية ايزابيلا بالقضاء على الاسلام أينما وجد ، وهي تعرف أن الأرض التي انطلق منها إلى الأندلس أرض المغرب ، وأن الأرض التي لجأ إليها المسلمون الأندلسيون الذين قد يعود بهم الحنين إلى أرضهم ليعيدوا الكرة ويسترجعوا بلادهم هي المغرب أيضا ، ومن وصايا ايزابيلا الكاثوليكية احتلال بلاد المغرب ، وتحويل المغاربة المسلمين إلى مسيحيين ، ورفع علم الصليب في الديار المغربية بدلا من علم الهلال الاسلامي ، ولذلك يجب القضاء على الاسلام فيه ، كما قضي عليه في الأندلس وثانيهما القضاء على الكيان الاقتصادي الذي بناه المغاربة ، حيث لعبت بلادهم دورا مهما في التجارة الافريقية التي كانت تصل إلى اوروبا عن طريق المغرب وافريقيا - كما نعرف - بلد المواد الأولية والعاج والذهب

تلك بعض الظروف التي مهدت لانتقال الحروب الصليبية العربية من الأندلس إلى المغرب

فما هو حظ المغرب من هذه الحروب ؟

وبدأ الغزو والاحتلال

المغرب كما عرفنا كان هو الدرع الحصين للاسلام في الأندلس ، وكان هو الجبهة الموالية بعد سقوط الأندلس في أيدي الغزاة الصليبيين ، وكان لا بد أن تنتقل إليه المعركة إذا أرادت الصليبية أن تطمئن إلى مصيرها في أوروبا ، فهي لم تنس أن العرب والمسلمين في المغرب قد دقوا أبواب بواتيه في قلب بلاد الغال ، كما دق العرب والمسلمون في المشرق أبواب فيينا

وبدأ الهجوم على المغرب ، وكانت المعركة الأولى احتلال إحدى بواباته المهمة على البحر الابيض وهو سبتة ، وقد احتلها البرتغال في هجوم غادر سنة ٨١٨هـ - ١٤١٦م وسلموها بعد ذلك إلى اسبانيا باتفاق بين الدولتين سنة ١٠٨٠هـ ، بعد أن حاصروه ست سنوات ، واستمر هجوم الدولتين على أرض المغرب الكبير ، فاحتل الاسبانيون بجاية في الجزائر سنة ١٥٠٤م ، والمرسى الكبير سنة ١٥٠٥ ، ووهران سنة ١٥٠٨م وفي نفس السنة احتلوا جزيرة بادس بالمغرب وحاصروا الجزائر العاصمة . ودمروا ميناء طرابلس سنة ١٥١٠ ، واحتلوا وهران وتلمسان سنة ١٥٤٢ ، وكانوا في نفس الوقت يطاردون المسلمين الهاربين من الأندلس وهم يتجهون بحرا إلى المغرب والجزائر وتونس ، فكانوا يقصفون عليهم في البحر وقد كون المغرب أسطولا مهما لحماية هؤلاء المسلمين ، حتى يصلوا إلى شاطىء الأمان ، واشتبك هذا الأسطول مع البحرية الاسبانية والبرتغالية في معارك طاحنة ، أظهرت - من جديد - قوة المغرب واستمراره في الدفاع عن الاسلام ، وزادت مخاوف الصليبيين التي كانت تراودهم من المغرب ، فازدادوا إصرارا على احتلال المغرب ، وتنفيذ وصية ايزابيلا الكاثوليكية بالقضاء عليه كدولة ، وتنصير من سيبقى من أبنائه

اتجه البرتغاليون إلى احتلال الشواطىء المغربية مبكرا ، قبل أن تسقط آخر معاقل الأندلس ، وذلك ليعملوا على تطويق الأندلس التي كانت شمس الاسلام قد بدأت تغرب عنها ، وكانوا مدفوعين إلى ذلك بنفس الفكرة التي شرحناها ، أي أن يقطعوا الامداد الاسلامي المغربي عن الأندلس ، باحتلال الشواطىء المغربية ، وإشغال المغرب عن واجبه في الدفاع عن الاسلام في شبه الجزيرة الايبيرية

وكان من ذلك دخولهم إلى مدينة « سلا » ، وهي من أقدم المدن الحضارية في المغرب على الشاطىء الأطلسي (تقع بجوار الرباط ويفصل بينهما نهر أبي رقراق) وقد دخلوها غدرا متنهزين فرصة نزاع على السلطة بين المسؤولين ، وذلك سنة ٦٥٨ (١٢٦٠م) ، ثم أُخلُوا عنها بالقوة بعد مدة قصيرة

ـ عشر سنوات أي في سنة ٦٦٨ (١٢٧٠ م)
وا مدينة « العرائش » على الشاطىء الأطلسي ،
روها وأحرقوها

واتحدوا مدينة « سبتة » رأس جسر لمهاجمة
سواطىء المغربية الأطلسية ، على نحو ما تم الاتفاق
ليه بينهم وبين اسبانيا ، وحاصروا مدينة طنجة سنة
٨٤ (حوالي ١٤٣٥) ، لكن المغرب دافع عن
لدينة العتيدة بموقعها الاستراتيجي المهم ، ودارت
مركة ضارية مع الجيش البرتغالي انهزم فيها البرتغال
بيادة « فرناندو » وأسر الجيش المغربي القائد
برتغالي فيمن أسر من الضباط والجنود ، ثم حاول
برتغاليون تحرير أسراهم فاشترط المغرب لذلك
لجلاء عن « سبتة » ، فقبل البرتغاليون ، لكن
فرناندو » مات في السجن ، وكان ذلك من سوء
ظ المغرب فلم تتحرر سبتة ، واغتنم البرتغاليون
فرصة فهاجموا مدينة طنجة واستولوا
ليها ، وقد ظلت تحت قبضتهم ٢٦٥ سنة ،
سلموها سنة ١٠٧٢ ، ١٦٦٢م لانجلترا في عملية
صاهرة يوم بدأت انجلترا تمد سلطاتها لتتخذ من
لمدينة المغربية ومركزها الاستراتيجي المهم ، وقبل أن
تتل جبل طارق المقابل لطنجة على الشاطىء
أوروبي، ليتخذ منه البرتغال محطة للالتفاف حول
فريقيا في طريقهم إلى المحيط الهندي ، بحثاً عن
لستعمرات الغنية وقد استرجعها المغرب بعد
لك من انجلترا سنة ١٠٩٥ ـ ١٦٨٤

ستخلص من كل ذلك أن الهجوم البرتغالي على
لشواطىء المغربية لم يكن ليحدث لو أن الدولة
توقفت على نفسها ، وتركت الأندلس لمصيرها ،
لم تستجب للنداءات التي كانت تصدر من حين
خر من الأمراء والعلماء ومجموع المواطنين المسلمين
لذين كانت الصليبية تُطبق عليهم بالحصار ، حتى
عد رادهم من المقاتلين ومن السلاح والأقوات
سلموا ، إلا أن يتجدهم المغرب ، وهو البلد
وحيد الذي نهض بهذه المسؤولية الاسلامية في
ب الاسلامي

وحينما خلفت الدولة السعدية الدولة المرينية في
أوائل القرن السادس عشر كان في مقدمة مهماتها
تجنيد الشعب لمقاومة الاحتلال البرتغالي ، فاستجاب
الشعب ، ونهض بالمسؤولية ، وخاض المغرب
حروبا طاحنة ضد البرتغال ، واسترجع كل
الشواطىء الأطلسية بين سنتي ٩١٥هـ (١٥١٠م) و
٩٨٥هـ (١٥٧٧) ، ولم تبق من المدن المحتلة إلا
« سبتة » و « طنجة » و « الجديدة »

لكن البرتغال لم تستسلم ، بل صممت على القيام
بحملة كبرى ، واستنفرت فيها قوات من كل الدول
المسيحية في غرب أوروبا ، وبارك البابا هذه الحملة
التي قام بها الملك البرتغالي سيباستيان ، وقادها ،
واستعد المغرب لمواجهة الحملة التي اختارت لها
البرتغال « وادي المخازن » بالقرب من العرائش ،
وقاد جيوش المغرب الملك السعدي عبد المالك وأخوه
أحمد الذي دعي فيما بعد بالمنصور الذهبي ، وتطوع
في المعركة آلاف من المواطنين ، إلى جانب الجيش
النظامي ، يتقدمهم العلماء والمثقفون والطلاب ،
ووقعت معركة ضارية قتل فيها سيباستيان ،
واستشهد عبد المالك ، وقتل أخ له كان يطمع في
الملك ، والتجأ إلى البرتغال ليخوض معه المعركة
طمعا في أن يلي الملك إذا انهزم أخوه ، وعرفت
المعركة في التاريخ بمعركة الملوك الثلاثة

وكانت هذه المعركة نهاية المجد البرتغالي ، فعادت
البرتغال إلى آخر الصف بين الدول التي تتطلع إلى
احتلال العالم الثالث واستعماره

أما المدن الاربع التي بقيت تحت سلطة الاحتلال
الصليبي فقد استرجع المغرب منها « الجديدة » ، من
الاستعمار البرتغالي ، وطنجة من الاستعمار
الانجليزي ، بعد حصار طويل ، ومعركة ضارية
سنة ١٠٩٥هـ (١٦٨٤م) ، وبقيت بيد الاستعمار
الصليبي مدينتان ، تمتازان بمركز استراتيجي مهم ،
هما سبتة ومليلية اللتان تحتلهما اسبانيا حتى الآن
كشاهد على المعركة الصليبية التي خاضها المغرب ضد
ثلاث دول كبرى ، هي اسبانيا والبرتغال وانجلترا ،
وأضيفت إليها في العصر الحديث دولة رابعة هي
فرنسا ، والتي ما تزال مستمرة حتى الآن □

يتحكم الجهاز العصبي اللاإرادي في جميع العضلات والأجهزة غير الارادية ، كعضله القلب ، وعضلات الشعب الرئوية ، والقصبة الهوائية ، والمعدة ، والأمعاء الدقيقة والغليظة ، والجهاز البولي ، والأعضاء التناسلية ، كما يتحكم أيضا في إفرازات الغدد اللعابية والدمعيه ، والغدة الدرقية ، والكبد ، والمرارة ، والبنكرياس ، وغدد فوق الكلى

فماذا عن امراض هذا الجهاز

وكيف السبيل إلى علاجها ؟

بقلم الدكتور أنيس فهمي

في الانسان يتكون الجهاز العصبي اللاإرادي من شقين الشق الأول هو الجهاز الباراسمثاوي ، وهو مختص بتوليد الطاقة في الجسم ، والشق الثاني يسمى الجهاز السمثاوي ، وهو الخاص باستهلاك الطاقة ، ويتضح من هذا التقسيم أن كل قسم من القسمين له نشاط مضاد لنشاط الآخر ، ومن حصيلة هذين النشاطين يحدث نوع من التعادل بين قسمي الجهاز العصبي اللاإرادي ، وعلى أساس من هذا التعادل أو الانسجام تقوم الأعضاء غير الارادية بوظيفتها على الوجه الذي يهيء للجسم صحة جسمية ونفسية جيدة

من المعروف أن أي مؤثر - سواء كان خارجيا ، او نابعا من البيئة التي يعيش فيها الانسان ، أو منبثقا من داخل الجسم نفسه ، يحدث رد فعل في الجهاز العصبي اللاإرادي متناسب مع قوة المؤثر ، وتكون نتيجته أن يتكيف الجسم نحو هذا المؤثر ، بشكل يحفظ له البقاء والصحة ، وانتظام كافة وظائف اعضائه

أما إذا حدث رد فعل للمؤثر بشكل أكثر أو أقل من المطلوب فإن الجهاز العصبي اللاإرادي عندئذ يصبح في حالة اضطراب وظيفي ، وتتوقف قدرة الشخص على مجابهة عوامل البيئة المختلفة على سلامة تركيب الجهاز العصبي اللاإرادي عنده ، وتختلف

ا الجهار من شحص إلى آحر ، تبعا لاحتلاف
الجس ، وحتى في نفس الشحص تتعير هده
ن وقت إلى آحر ، تبعا لظروف الحياة ، وعلى
من تدبدبها بين علو وانحفاص إلا أن لها
حاصة في كل فرد لا تتعداها ، والوظيفة
لهده الطاقة حفظ التوازن بين الجسم والبيئة
ط به ، وهي تواحه عوامل كثيرة مختلفة تتعير
، إلى آحر ، بدون صابط أو رابط

، وأسباب

هناك شك في أن اصطرابات الجهار العصبي
ي قد زادت بنسبة كبيرة مع ازدياد المدنية ،
دلك إلى عوامل كثيرة أهمها
يتوقف الإيقاع الخاص بتنظيم حياتنا على
لليل والنهار ، ونشاط الجهار الباراسمبثاوي
، بتوليد الطاقة ، ونشاط الجهار السمبثاوي
، باستهلاك الطاقة وقد اقتصى سعي
وراء الرزق في عصرنا الحالي أن يزيد من
محوه واستيقاطه على حساب الوقت
س للنوم والراحة ، وهدا بالطبع يؤدي إلى
، خلل في وظيفة الجهار العصبي اللاإرادي
مما ينتج عنه إصابة بعض الأفراد بالأرق
مما لا يستطيعون ـ نتيجة لإحساسهم بالتعب ـ
عملهم على الوجه الأكمل أثناء النهار
يتسم عصرنا الحالي بطابع السرعة والعجلة
شيء ، وهده السرعة تؤثر على الجهار العصبي
ي لجميع الأفراد ، سواء في دلك العمال في
، أو قائدو الطائرات ، أو رجال الأعمال
ة ، أو رجال العلم ، أو رجال الفن ، أو

ونتيجة للحاجة الجماعية لزيادة الإنتاج في
رافق أصبح المواطن في العصر الحالي لا يقنع
، إليه من جاه أو نفود أو مال ، وهدا الطموح
عن الحد يلقي على الجهار العصبي اللاإرادي
لا ، يصعب تحمله
الحيرة والقلق وعدم الاستقرار من خصائص
الدي نعيش فيه ، حيث لا تأمل البشرية في

العيش بظل سلام دائم فالحروب مشتعلة في أماكن كثيرة من العالم ، مما يبعث في الإنسان القلق الدي يولد ـ بطريقة شعورية أو لا شعورية حالة من الخوف ، وهدا الخوف قد يؤدي إلى حالات من الإحباط واليأس التي تعتري الشباب ، والتي قد تدفعهم إما إلى محاولة الهروب من الواقع الأليم عن طريق المخدرات ، والاستهتار واللامبالاة ، وإما إلى اتخاد طريق العنف والإرهاب ، كما نلاحظ بأن حالات الخوف تؤدي إلى ابتعاد رجال الأعمال أو السياسة عن الارتباط بقروض أو بسياسات طويلة الأجل

(٥) ازدياد العوامل المزعجة في حياتنا ، لا سيما الضوضاء التي تسبب ضغطا كبيرا على الجهاز العصبي اللاإرادي

(٦) عدم انتظام الطقس وتقلبات الجو

إن هـذه العوامـل المختلفة التي يشترك في حمل أعبائها جميع أفراد البشر يجابهها الجهاز العصبي اللاإرادي في البداية بزيادة في نشاط الجهاز العصبي السمبثاوي والتي تؤدي في آخر الأمر إلى حدوث اضطراب في وظيفة الجهاز العصبي اللاإرادي كله، حيث يصبح حينئذ غير قادر على مواجهة الأعباء الجديدة التي تفرضها عليه البيئة أو الظروف

وبالإضافة إلى العوامل التي ذكرناها توجد عوامل فردية « تزيد الطين بلة » من أهمها

(١) الإرهاق في العمل من المعروف أن كل شخص يجاهد في سبيل تحسين مستقبله، أو يكافح في سبيل تحصيل رزقه، لابد له من الإسراف في بذل الطاقة اللازمة للوصول إلى هدفه، مما يؤدي إلى زيادة الضغط على جهازه السمبثاوي الذي يصيبه التوتر، ويستمر متوترا حتى في لحظات الراحة التي يريد فيها الجسم استجماع قوته

(٢) الصدمات الانفعالية وهذه الصدمات سواء حدثت في المنزل أو في أثناء أداء العمل فلها تأثير على الجهاز العصبي اللاإرادي، أشد من تأثير العوامل النفسية غير الشخصية

(٣) تهيج الجهاز العصبي اللاإرادي نتيجة للإصابة بالأمراض المعدية، وبخاصة التهابات المخ التي تصاحب حمى التيفوس أو شلل الأطفال، وكذلك حالات التسمم بالكحول والباربيتيورات والثاليوم

(٤) إصابات الجمجمة إذا حدثت الإصابة في منطقة (الداينكيفالون) نتج عنها نوع خاص من اضطرابات الجهاز العصبي اللاإرادي، أما في حالات ارتجاج المخ فإن الاضطراب الذي يحدث ماهو إلا اضطراب مؤقت، يزول بشفاء المريض من الارتجاج، أما في حالات كدم المخ فتستمر الاضطرابات العصبية بعد شفاء المريض أحيانا

(٥) الحرمان من الحرية وسائر أنواع الاضطهاد التي يعانيها بعض الأفراد تكون عاملا هاما من عوامل اضطراب الجهاز العصبي اللاإرادي، وهذا العامل يمثل تجمع عدة عوامل، أهمها الصدمات الانفعالية، وسوء التغذية

وقد أثبتت الأبحاث التي قام بها (فرانكل وباحثون آخرون أن أعراض الاضطراب في الجهاز العصبي اللاإرادي لا تظهر إلا بعد أن ينال الشخص حريته، وبمعنى آخر إن الضغط الشديد وحالة التوتر المستمرة التي يعانيها الإنسان في معسكرات الاعتقال أو معسكرات أسرى الحرب تجهد جهازه العصبي اللاإرادي إجهادا شديدا، لا تظهر آثاره إلا بعد الإفراج عنه، حيث يصاب عندئذ بالإنهيار العصبي، ومن المعتاد ألا تظهر أعراض الاضطراب في الجهاز العصبي اللاإرادي إلا بعد أن تستنفد قدرة التعويض التي يملكها هذا الجهاز، وبعد أن يصبح عاجزا عن القيام بدوره في تكييف الجسم لعوامل الضغط والإرهاق الحادة، أو المزمنة

أعراض الاضطراب

أهم أعراض الاضطراب في الجهاز العصبي اللاإرادي بحسب نسبة حدوثها هي التعب فالخمول، فالاحساس بعدم الاطمئنان، فالدوار فالصداع الذي يكون في شكل ضغط على الرأس فإحساس المريض بالانقباض الذي يعوقه عن الاقدام على أي عمل، كما يفقد الاحساس باللذة في الحياة

فشعور المريض باضطرابات في دقات قلبه، وبرودة في أطرافه، وضعف في ذاكرته، يجعله كثير النسيان، فشعور المريض برغبة شديدة في النوم فالتهيج العصبي الذي يجعله سريع التأثر ويضعف لديه قوة التركيز ويقلل شهيته للطعام ويؤدي إلى اضطراب قواه الجنسية، وعلى الرغم من إحساسه بحاجته إلى النوم فإنه يشكو من الأرق، ويحس بالقلق، والخوف من المستقبل، وقد تصيبه الرعشة أحيانا، وقد تضطرب لديه وظيفة التبرز، كما يضطرب الحيض عند السيدات

وبالكشف على المريض يجد الطبيب هبوطا في ضغط الدم الانقباضي الذي قد يهبط إلى مائة ملليمتر (من الزئبق) أو أقل، ويهبط ضغط الدم الانقباضي أيضا عندما يتغير وضع المريض من حالة الاستلقاء

على الفراش إلى حالة النهوض من الفراش ، يلاحظ وجود دوائر سوداء حول العينين ، كما يظهر التعب والعبوس في تعبير وجه المريض ، وتضعف الأفعال المنعكسة لأوتار العضلات ، ويبدو على الشخص شحوب غير طبيعي ، ويقل وزنه ، ويتقصف شعره ، وأظافره ، كما أن شخصيته قد تتغير ، نتيجة لنقص هرمونات غدة فوق الكلى (الغدة الكظرية) ، وتغير الشخصية من الظواهر التي كان (فرانكل) أول من لاحظها

أما هرمون (كيتوستيرون ١٧) فقد لاحظ (بيركماير) أن إفرازه في البول قد انخفض عن المعدل الطبيعي في بعض الحالات ، وزاد عن المعدل الطبيعي في الغالبية العظمى من المرضى ، وذلك بالرغم من أن الأعراض تشير إلى نقص في إفراز هرمونات غدة فوق الكلى

وعلى العكس من ذلك فإن هرمون (جونادوتروفين) الذي تفرزه الغدة النخامية ينقص إفرازه في البول عن المعدل الطبيعي

وقد وجد أيضا أن حقن ملليجرام واحد من (الأدرينالين) لا يحدث تغييرا في ضغط الدم ، أو النبض ، أو درجة حرارة الجسم ، أو مستوى السكر في الدم ، أو عدد كرات الدم البيضاء

وقد أثبت (بيركماير) أيضا أن اضطرابات الجهاز العصبي اللاإرادي تحدث في سن مبكرة في السيدات عنها في الرجال ، وهذا يدل على أن أجسام السيدات أكثر استعدادا من الرجال لعمليات البناء والهدم بالنسبة للجهاز العصبي اللاإرادي ، عندما يتعرض لعوامل الضغط والارهاق الشديد ، أما بالنسبة للمهن فإن اضطرابات الجهاز العصبي اللاإرادي تكثر لدى أصحاب المهن ذوي المسئوليات الخطيرة ، مثل السياسيين ، والمحامين ، والأطباء ، ورجال الأعمال

أما العلاج فطويل ، ومعقد ، ومع ذلك يمكننا القول بأن اضطرابات الجهاز العصبي اللاإرادي يمكن شفاؤها ، وليس هناك ما يجلب السرور والرضا إلى الطبيب أكثر من نجاحه في أن يعيد لمريضه إحساسه بالحماس للحياة ، وشعوره بالصحة ، وبأنه قادر على تأدية عمله على الوجه الأكمل □

الكنز الحقيقي

● كان في قديم الزمان رجل سعيد ، قد بلغ الثمانين من عمره ، ومازال قوي الجسم موفور النشاط ، وشاع بين أهل قريته انه قد عثر على كنز ثمين فيه حلي وجواهر وفيه سبائك وتماثيل من الذهب الخالص ، واعتقدوا أن هذا الكنز سر سعادته

وكان الرجل في شغل عما يقولون ، تراه كل صباح راكبا دابته في طريقه الى الحقل يعمل ، او الى المدينة ليحز شأنا من شؤونه

وذات يوم ضمه مجلس مع نفر من أهل القرية ، فطلب منه أحدهم أن يصف كنزه ومافيه من جواهر وحلي فقال ان الكنز الذي منحني السعادة ليس فيه فضة ولا ذهب ، انه اجتهاد في العمل واستقامة في المسلك ، واعتدال في كل شيء ، انه ثقة بالنفس يحدوها الايمان بالله .

من بين جميع كتاب روسيا الكبار يتمتع تشيكوف بمكانة مميزة ،
لا يحظى بها أديب غيره ،
ومثلما كانت قصصه القصيرة التي تجمع بين الطرافة والذكاء والحكمة ونفاذ البصيرة
كانت مسرحياته التي تبدو سهلة وبسيطة التركيب إرهاصا بتغيرات عظيمة ،
شهدتها روسيا فيما بعد
وكانت مسرحيته الشهيرة بستان الكرز وصية إبداعية عظيمة من مبدع عظيم

بقلم . عز الدين وهدان*

في التاسع والعشرين من يناير من كل عام يجدد الاتحاد السوفياتي ، ومعه كل الأوساط الأدبية في العالم ، احتفاله بمناسبة فريدة وحميمة في تاريخ الأدب والمسرح ، إنها ذكرى ميلاد انطوان بافلوفيتش تشيكوف (١٨٦٠ - ١٩٠٤م) ، ومثل هذه الاحتفالية التي يستحقها هذا الروائي والمسرحي العملاق ، الذي قال عنه ميخائيل غورباتشوف رئيس الحزب الشيوعي السوفياتي في ذكرى ميلاده في العام الماضي « إنه معجزة نادرة في تاريخنا الفكري والمسرحي المعاصر » ، لم يحظ بها أي أديب ، أو حتى سياسي ، في الاتحاد السوفياتي بدليل أنه يكرم سويا بتقدير واهتمام فائقين

ولعل تشيكوف هو أكثر الأدباء والمسرحيين الروس مثارا للجدل ، ففي رأي انتقادي يدعمه ميكائيليوفسكي - الزعيم الفكري للشباب الروسي - بأنه « كاتب فكري » ، في حين يقرر الكاتب الروسي المحور غريغوروفيتش ، ردا على ذلك النقد وفي معرض إجراء مقارنة بين « كاتب فكري » وتشيكوف ، قائلا « إنه غير جدير حتى بتقبيل الأثر الذي تتركه النقة التي تعصر تشيكوف » ، ذلك أن هذا الأديب المتميز الذي بدأ بكتابة العدد الكبير من القصص القصيرة

* كاتب من القطر العربي السوري

الفكاهية ، الطريفة ، المليئة بالتخيلات ، التي حاور عددها الألف ، والذي تحول بعد ذلك الى كتابة الرواية الكلاسيكية والمسرحيات المدهشة ، هو صاحب موهبة فذة يعرفها الجميع ، حتى أولئك الذين ناصبوه العداء ، لأسباب شخصية ، في أول الأمر ، وعندما أعيتهم الحيل ، ووجدوا أن نقدهم اللاذع قد أسقطهم في هوة تناقضاتهم ، كان تشيكوف يحقق ذاته ، ويترجم نبوغه يوما بعد آخر ،

بل إن أعماله ، بدءا من مجموعته القصصية « الشفق » التي نالت جائزة الاكاديمية ، قد أصبحت محورا لنقاش أعمدة الأدب والفكر في روسيا قبل أن تترجم الى غالبية اللغات الحية في العالم

أما أعماله المسرحية التي بدأها في مسرح موسكو الفني فقد لاقت رواجا كبيرا في تلك المرحلة

المتقدمة إلا أن فشل مسرحية « النورس » بمثابة صدمة قاسية على نفسه وصحته ، فحتى الوقت لم يكن هناك ما يشير الى مرضه ، ولكن فشل تلك المسرحية بدأ عنده نزيف الرئتين ، و مرض السل يتفاقم في صدره ، غير أن أعم المسرحية المعدودة كانت ، ومازال ، تحدث هادرا في جميع الأوساط ، ذلك أنه كان يعم ببساطة وبصدق وبشفافية ، وبأسلوب ذكي ور عن معاناة المثقف الروسي وإرهاصاته ومصير وكانت مثل تلك الأعمال تستقبل بتقدير وعـ نظرا لادراك الجماهير أن تشيكوف كان صادق الصدق مع نفسه ، وأنه كان يستنزف آخر قواه لانجازاته

كان تشيكوف في الثامنة عشرة من عمره ع كتب مسرحية « اليتيم » التي لم تقنع النقاد طويلة ، ثم اعترت بعد ذلك معطفا هام حياته ، مع أن تلك المسرحية لم تعرض في تشيكوف قط وقد انقضت بضعة عقود قبـ تجرى محاولات لعرضها على المسرح ، لا في ر وحدها ، بل وفي بلدان أخرى ولكن بعنـ مختلفة مثل « بلاتونوف » و « العسل البري وتحت الاسم الأخير ظلت هذه المسرحية تعرض مسرح « ليتلتون » بلندن عدة سنوات

أيفانوف المثقف

وحتى صدور مسرحيته الثانية « ايفانوف » ١٨٨٧ التي أنجزت في عشرة أيام فقط ، تشيكوف قد حقق بعض نجوميته بسبب انـ قصصه الفكاهية المتنوعة وقد قدمت تلك المسـ لأول مرة عام ١٨٨٧ على مسرح موسكو الخـ « كورشا » ، وكان نجاح تلك المسرحية مدويا . الرغم من أن النقاد والجمهور على حد سواء لم يه « ايفانوف » بما فيه الكفاية وتتحدث تلك المسـ عن شخصية « ايفانوف » كمثال لغالبية الـر الذين كانوا يرون ، في تلك السنوات ، أن ما هو أفضل من حاضرهم فالبطل هو مثقف حـ ذو طبيعة نزيهة ، قام بمساع دءوبة لخدمة الـ

كريا عسر دعوات لاقـامة اقتصـاد عقلاني وانتـاح
ـدروس واستهلاك متـوازن ، الى عـبر دلـك من
لخدمات عير أن قواه سرعان ما بدأت تتلاشى وهو
مايرال بين الثلاثين والخامسة والثلاثين من عمره ،
حيث استولى عليه الكسل وخيبة الأمل والخمود ،

معل الاحباطات اليومية المتصلة يقول البطل عن
لك الحالة « لقـد أحسست وكرهت وصـدقت كما
معل الجميع ، فقد اشتعلت وحلمت مقابل عشرة
شحاص ، وألقيت على عـاتقي عنا حعـل طهري
محني وعروقي تتمدد وتتوتر » ، وهي حالة عامة
عـاشها المثقف الـروسي الذي كـان يـبدأ متحمسا
متعطشا للمعرفة والعطاء ثم سرعان ما كان يصاب
بالاحباط واليأس والتحجر

وفي ربيع ١٨٩٥ بدأ تشيكـوف بكتـابـة عمـل
مسرحي حديد هو مسرحية « الـنورس » ، وكانت
هذه المسرحية من نتائج تأثره بفتاة رائعـة الجمال ،
دات شعر مجعد وعينين رماديتين ، كانت في الثانية
والعشـرين من عمرهـا ، تدعى « ليـديا ستـاكيمـا
ميزيبوفا » وكانوا يطلقون عليها اسم « ليكا » ، وقد
استحوذت تلك الفتاة على اعجاب تشيكوف ، إلا
أنه لم يقع في حبها مثلما وقعت هي في حبه ، بعد أن
كـانت قـد فشلت في عـرامهـا السـابق بـالكـاتب
« بوتابيكـو » ، وقد كتب تلك المسـرحية بسرات
رقيقة ملونة ومشبعة بحزن تأملي وعندما عرضت
لأول مرة في السابع عشر من تشرين أول ١٨٩٦ على
المسرح الالكساندري في بطرسبرج سقطت سقوطا
مريعا بسبب سوء اختيار الممثلين وعدم قدرة المخرج
عـلى إدارتهم ، فقد كـان اختيـار الممثلة الفكـاهيـة
الروسية « ليفكييا » التي كانت تتمتع بشهرة واسعة
انداك هو سـوء تقديـر من قبل المخـرج ، دلك أن
جمهور تلك الممثلة الكوميدية ، وهم طبقة من التجار
والمقـاولين وأشبـاه المثقفين ضيقي الأفق ، كـانـوا
ينتظرون منها أن تقدم لهم مسرحا ترفيهيا ضاحكا ،
في حين كان أبطال تشيكوف شخصيـات حادة كـل
الحد ، فبطله « تريبيلف » شاب يعبر عن معاناته
بأشكال جديدة في الفن ، وبطلته « بينا راريتشايا »
فتاة ساذجة قوية ، لا تعرف الفكاهة والمرح ، إضافة
الى كاتب معروف - « تريغورين » - وممثلة مشهورة
تقادم بها العمر « أركاديا » ، وكذلك طبيب ومعلم
ريفي ، وتجري الأحداث في مكان واحد ، هو عبارة
عن قرية صغيـرة ، تطل عـلى بحيرة رائعـة إذن
فالممثلون كانوا يتكلمون بلغة صعبة ، لم يكن دلك
الجمهور على استعداد لاستيعابها وفك معاليقها ، إلا
أن الاعتبار قد أعيد لتلك المسرحية الخالدة بعد عامين
فقط ، عـندما قـدمت ثانيـة بممثلين جيدين ، عـلى
مسرح موسكو الفني ، وهذه المرة كان العرض نصرا
هائلا ، والمسرحية التي حصـدت الفشل قبـل دلك
فتحت انداك عصرا جديدا في مسرحيات تشيكوف ،
وسجلت ميلاد مسرح جديد في روسيا كلها

وقد كتب « اليكسييف ستانسلافسكي » الممثل المسرحي
والمخـرج المعروف عن مشـاعر تشيكـوف في تلك
الفترة قائلا « كانت مشاعر تشيكوف تجاه المسرح
الفني تتعمق ، ويعتبر نجاح مسرحية « النورس » هو
أحد أهم انجازات المسرح الفني في موسكـو ، بل
لعله أفضـل صفحة من صفحـات الكتـاب الـذي
سيـوضع في يـوم مـا عن المسـرح المعـاصـر أما
« نيميـروفيتش دانتشيكـو » الكـاتب المسـرحي
والمخرج الشهير فقد قال بهذا الصدد « لقد شكلت
مسـرحيتا » « الـنورس » و « الخال فـانيا » أسـاس
المسرح الفني الذي توضحت هويته بصورة متميزة ،
حيث كانت المشاعر صادقة ، وحيث سادت البساطة
المتواضعة والحيوية في التمثيل ، وقد بدت مسرحيات
تشيكوف ، كما لـو كانت مفصلة عـلى مقاس هـذا
المسرح على الأخص

فانيا والنضج المسرحي

أما مسرحية « الخال فانيا » التي عرضت في تشرين
أول ١٨٩٩ فقـد أيقـظت الـوعي الجمـاهيـري
المسرحي ، وشدته أكثر فأكثر للأعمال الجادة الهادفة
التي أصبحت السيح الذي واصل تشيكوف العمل

من خلاله . وتتحدث المسرحية عن النصح الروحي للخال (فانيا) - فوينيتسكي - الذي أمضى حياته بالعمل في الريف حتى يستطيع قريبه البروفيسور « سيريبريكوف » من العيش في المدينة برفاهية ، عاكفا على تأليف كتيباته التافهة ، وعندما أحيل البروفيسور على التقاعد وعاد للاقامة ثانية في القرية ، سنحت الفرصة للخال فانيا أن يكتشفه ،

حيث أدرك أن سيريبريكوف هو إنسان غير موهوب ، وأنه لم يستطع عمل أي شيء مفيد طوال خمسة وعشرين عاما ، الأمر الذي أدخل في روع فوينيتسكي أن حياته هو قد قامت على خطأ كبير ،

وأنه قد أضاع شبابه في عمل لا معنى له ، وأن المرأة التي كان يحبها قد يئست منه ، وتزوجت من ذلك البروفيسور الذي تقادمت به السن الآن ، أما صرخة الاحتجاج التي أطلقها فوينيتسكي التي دفعته لتقويم شخصيته ، فقد جاءت متأخرة

إذن فقد كانت عديمة الجدوى ، وذلك أن مصدر تعاسة فوينيتسكي لا تكمن في خطأ شخصي ارتكبه ، وإنما لأنه لم يدرك أن فلسفة سيريبريكوف في الحياة تتكيء على نظام راسخ متين ، لم يعد بالامكان تغيير بعض ارتكازاته

وفي صيف عام ١٩٠٠ عكف تشيكوف على كتابة مسرحية « الشقيقات الثلاث » التي تختلف عن « الخال فانيا » بنبرتها وإيقاعها ، فهي احساس حاد بعدم الرضا ، من شأنه أن يعمق صراع الانسان ضد واقعه البائس ، مع رغبة دافعة لسبر أغوار الحاضر والمستقبل ، وهذه الدراما مبنية على أساس « الحدث الداخلي » ، وهي ظاهريا دون موضوع كغيرها من أعمال تشيكوف المسرحية السابقة . وقد تحدثت تلك المسرحية عن شقيقات ثلاث يعشن في بلدة تقع في مقاطعة بعيدة - أولغا - و - ماشا - تبدوان منذ بداية المسرحية أنهما تعبتان من الحياة ، أما الشقيقة الصغرى - ايرينا - فهي مليئة بحيوية الشباب والنقاء والطاقات المتراكمة والآمال الجياشة ، لكن مأساة - ايرينا - التي تتصاعد مع الأحداث ، وتتسع أمام أنظار المتفرجين ، تكمن في أنه يستحيل عليها ترجمة وتوقيع معارفها وقدراتها ، واسقاطها على أرض الواقع ، وأنه يصعب عليها ايجاد الفرص الملائمة

لممارسة فعالياتها وقناعاتها ، لكي تحقق سعادتها الشخصية ضمن تلك العلاقات العائلية والمجتمعية ، علما بأن الشقيقات الثلاث متعلمات

ومثقفات . كان تشيكوف يحمل تجاههن مشاعر عميقة من التعاطف ، وهو الأمر الذي مكنه من ابراز شخوصهن بأسلوبه الذكي ، ليصبحن قريبات من

المتفرج الذي يصعب عليه نسيانهن ، وقد عرضت تلك المسرحية في أواخر شهر كانون الثاني عام ١٩٠١

وصية تشيكوف الابداعية .

أما كوميديا « بستان الكرز » التي أنجزها تشيكوف عام ١٩٠٣ فهي آخر عمل مسرحي قدمه هذا الرائد الكبير للمسرح ، فقد مات في العام التالي - في الثاني من تموز عام ١٩٠٤ - بعد صراع طويل مع مرض الدرن الرئوي ، ولم يكن له من العمر سوى أربعة وأربعين عاما ، وربما كانت هذه المسرحية هي الوصية الابداعية الأخيرة التي تركها الكاتب

يتمحور موضوع تلك المسرحية حول مصير « بستان كرز » ، وكذلك مصير القرية التي يقع فيها ، ومنذ الفصل الأول ، أي منذ وصول صاحبة الأراضي - رانيفسكايا - والحديث يدور حول تخليص تلك الأراضي من الحجز المفروض عليها بسبب الديون ، وهذه المشكلة تبلغ ذروة تأزمها في الفصل الثالث ، أما الفصل الرابع فيشهد وداع السيدة لأراضيها بعد إفلاسها تماما

ويمكن القول بأن الجو العاطفي المرتبط بصورة « بستان الكرز » يعكس لنا القيم الجمالية الثابتة له قبل أي شيء آخر ، حيث تتحول كل الأحاديث عنه الى مناقشات يضفي عليها أحيانا الطابع الاجتماعي ، ويكون البستان بحد ذاته رمزا أو

محورا لربط الأحداث والشخوص ، ففي ازدهار أشجاره المورقة شاعرية حياة الأسياد الآيلة الى الزوال . فالبستان كان ينمو ويورق لمجرد ارضاء بعض الثروات والغرور ، فالنسبة لرانيفسكايا ، فان البستان يذكرها بطفولتها وبوالديها وبماضيها اللامع . أما الرمز الآخر الذي يعكسه البستان فهو ماضيه القائم على نظام الرق والاستعباد ، حيث النظام الاقطاعي الذي تقوم عليه اقتصاديات الأرض التي تحقق أرباحا طائلة لقلة قليلة من الناس . ثم يأتي رمز البستان الحاضر لقد فقد أهميته التجارية ، ولذلك أصبح القضاء عليه أمرا حتميا ، فالقرية كلها غارقة في الديون ، ولم يعد من الممكن على أصحابها انقاذها ، مما يدفع بالمالكين الى بيعها الى تاجر مثل «لوبوكين» الذي يعمل بسرعة على قطع أشجار البساتين ، وتأجير المساحات الشاسعة للراغبين بتشييد بيوت اصطياف واستجمام عليها ، وفي ذلك تصوير ميداني للمرحلة التي سادت فيها الروح التجارية الجشعة ، ومع ذلك فإن الرمز المستقبلي لذلك البستان يظل الهاجس الأكبر لتشيكوف الذي لم يخامره اليأس مرة ، بل ان الأمل يظل الصفة الطاغية على الهدف الذي كان يصبو اليه ، لذلك نرى بطلته ـ نينيا ـ تقول في النهاية « روسيا كلها بستان لنا ، الأرض شاسعة ورائعة ، وفيها أماكن بديعة ، إذن فلسوف نزرع بستانا جديدا أكثر فخامة وعطاء من هذا »

انحياز للحياة

وهكذا يؤكد تشيكوف ، الكاتب المسرحي الفذ ، أنه قد انحاز الى الحياة ضد اليأس والاستغلال والعلاقات الاجتماعية المتردية غير المتكافئة ، وأنه يدحض كل الآراء والمقولات النقدية أحادية الجانب التي وصمته بأنه كان « كاتبا لا فكريا » بل إن عظمة هذا الكاتب التي تجاوزت حدود روسيا مازالت تتعمق وتتجدد وتتسامى يوما بعد يوم ، وأن أعماله ما برحت هي الأكثر أهمية وموضوعية في العالم كله □

التمريض

في العصر الحديث كانت هناك محاولات جادة في أقطار الوطن العربي لدعم مكانة التمريض والطب ، فقد رأى محمد علي تقبل البيئة المصرية في ذلك الوقت للأطباء من الرجال ، وبخاصة في حالات الولادة ، فلما انتهى من إنشاء مدرسة الطب للذكور فكر في إنشاء مدرسة مماثلة للاناث ، وكان ذلك في عام ١٨٣٠ ، فبدأ في شراء عشر جوار ليتعلمن مهنة التوليد والطب والجراحة ، باشراف (كلوت بك) ، وهكذا تكونت النواة الأولى لمدرسة الولادة الملحقة بمدرسة الطب ، بأبي زعبل ، وقد فكر (كلوت بك) في تمصير المدرسة ، فازداد عدد التلميذات في سنة ١٨٤٠ فبلغ ستين تلميذة ، بينهن عدد من المصريات ، ومن الطريف أن خريجات المدرسة كن يمنحن رتبة ملازم ، وكان الديوان يحرص على كرامة حكيماته ، فيعين بصحبة كل منهن أحد « الأعوان » لحراستها ، كما كانت تمنح لقب « أفندي »

منتدى العرب

قضية

من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب الشرقي

مناقشة لبعض أفكار الدكتور محمد عابد الجابري

بقلم · الدكتور طيب تيزيني

الـدكتور محمـد عابـد الحابـري ، والدكتـور الطيـب تيـريي ممكران عربيان ، الأول من المعرب العربي ، والتاي من المشرق العربي ، ويعتبران من أبرر المفكرين العرب الدين اشتعلوا بالكتابة عن موقعنا كعرب في دنيا الحصارة الانسـانيـة المعـاصـرة ، وبقـوا في تـراثنـا ، فسلطا عليـه نتاجات فكرهما واجتهاداتهما ، كل بمنهجه الخاص وبأسلوبه المحدد

في هدا المقال ـ يقدم الدكتور تيزيي مـاقشة نقـدية لبعض مقـولات الدكتور الحابري ، التي وردت في بعض كتبه ومحاضراته والباب ، بطبيعة الحال ، مفتوح للدكتور الحابري للرد ولعيره للحوار

يحـدث احيانـا في مجـال تـطور الأفكـار والنظريات ، أن افكارا ونظريات بعينها قد وظائف متقـاربـة أو متمـاثلة في وضعيـات ـعية مختلفـة ومتباينـة في مـوقعهـا من التقـدم ـ التاريخيين وقد عدت طرافة الموقف التي ـ جمع من الباحثين والمؤرخين والمثقفين ، ـراها مسألـة مهمة من مسـائل الـدراسات الفكرية المقارنة ، وذلك بصفتها أحد أوجه العلاقة الجدلية (التصايفية) ، بين « الداخل و الخارج » ، هذا مع التأكيد على تماثل أو تقارب الوظائف المذكورة آنفا ويبغي أن يفهم في ضوء البعد الدلالي للعلاقة بين الفكر والواقع

على صعيد هذه المسألة تعتبر كتابات المفكر البارز الدكتور محمد عابد الحابري حالة نموذجية

وجدير بالاشارة أن الانتاج الفكري للاستاذ الجابري لا ينحصر في حدود المسألة التي نعنيها في هذا السياق وأن ما يقال عن ذلك وما يستنتج منه لا ينطبق بالضرورة على أوجه أخرى من إنتاجه المذكور ، لكن يبقى مع ذلك صحيحا أن علاقة بنيوية ووظيفية ما بين مجمل أوجه هذا الانتاج وإنتاج أي كاتب آخر يمكن تسجيلها واستقصاؤها والاقرار بوجودها

غاية الاستشراق

إن الاستشراق في منشئه الغربي ، وعثاناته ـ في صيغته الاجمالية العامة ـ تعبير عن مصالح الاستعمار الرأسمالي الغربي تجاه بلدان « الشرق » لم يكن له إلا أن ينطلق من نزعة الهيمنة للفكر الذي سوغ هذه المصالح في الغرب وكرسها ومن ثم من مقولة التخلف التاريخي والدونية الفكرية لتلك البلدان وقد أنتجت هذه الوضعية مركبا معقدا من المواقف الفكرية ، تبلور شيئا فشيئا تحت إطار المصطلح الجامع « المركزية الأوروبية » « Eurocentrism »

أما الوجه الذي يهمنا من هذه الأخيرة فيتمثل في التأكيد على الطابع الأوروبي المحض للحضارة « العقلانية » ، وذلك على النحو الذي يقود إلى القول بـ « مركز أوروبي » للحضارة العالمية ، وبـ « هوامش » متعددة لهذه الأخيرة ، تجسدها الشعوب الأخرى غير الأوروبية

وقد أوضح ذلك الوجه من المسألة عن نفسه في مجموعة غير قليلة من الأعمال التي أنجزها مفكرون وسياسيون وباحثون ومؤرخون في عدد من البلدان الأوروبية المركزية ، أحد هؤلاء كان الفيلسوف ومؤرخ الفلسفة الفرنسي ارنست رينان من القرن التاسع عشر ، فلقد ألف هذا المؤرخ الفلسفي كتابا مهما في دلالته المركزية الاوروبية ، أطلق عليه عنوان « ابن رشد والرشدية » ، ونشر للمرة الأولى في سنة ١٨٥٢ في هذا العمل يسهم الكاتب بقدر كبير في صياغة المعالم الكبرى للنزعة المعنية هنا في بعدها الفكري الفلسفي على الأخص أما الأطروحة الرئيسية التي نواجهها هنا على صعيد التأريخ الفلسفي العالمي فتقوم على الاقرار الذاتي من قبل رينان بريادته التالية « وأعدني أول من يعترف بأنه لا يوجد ما نتعلمه أو نتعلمه » لا من العرب ، ولا من القرون الوسطى ، ولذا لا يجوز أن يطالب الماضي بغير الماضي نفسه ، أما السبب الكامن وراء ذلك فهو ـ في رأي المؤلف ـ دونية ما يسميه « العرق السامي » على صعيد التفكير الفلسفي والعقلي عموما « وليس العرق السامي هو ما يسعى لنا أن نطالبه بدروس في الفلسفة ، ومن غرائب النصيب ألا ينتج هذا العرق أقل ما يكون من سوابق خاصة به في حقل الفلسفة ، ولم تكن الفلسفة لدى الساميين غير استعارة خارجية صرفة خالية من خصب كبير ، وغير اقتداء بالفلسفة اليونانية »

وإذا ما انتقل رينان إلى تخصيص الموقف إسلاميا عربيا فإنه يقودنا إلى النتيجة التالية الحاسمة « وإذ لم يستطع الاسلام أن يتحول ويتحلل أي عنصر من الحياة المدنية والعلمانية فقد نزع من جوفه كل أصل من الثقافة العقلية أجل ، كوفح هذا الميل المقدر نفي الاسلام في قصة العرب » ، وهكذا نواجه الموقف تلو الموقف ، وكل ذلك مقترن بالفكرة الكبرى التي تخترق كتاب رينان وأعمال المركزيين الأوروبيين ، فكرة « الشرق شرق والغرب غرب » إن الأطروحة الرينانية المجسدة على الصعيد الفكري العقلي ، بتمييز قطعي بين الشرق « السامي » و « الآخر الآري » هيمنت طوال عقود متعددة من الوجود العربي الحديث والمعاصر ومن الدال على هذا الصعيد أن يعلن مترجم كتاب رينان أنه « من دواعي الأسف أن تخلو اللغة العربية من ترجمة لكتاب رينان الذي هو من أهم ما ألفه الغربيون عن فلسفة العرب » .

المفكرون وقانون التبعية

ودون أن نستعرض أسماء أخرى من الباحثين

ـمين والمفكرين العرب الذين أخذوا صمتا أو
ـحو مفصح عنه ، بتلك الأطروحة الريانية
إلى أن قانون التبعية الاقتصادية والسياسية ،
ـ ساد العلاقة بين أوروبا الاستعمارية الرأسمالية
والشرق العربي منذ الاخفاق النهضوي البورجوازي
العربي في أواخر القرن التاسع عشر ، وبدايات
القرن العشرين ، اكتسب أيضا وبصيغ متنوعة
مضامين وأبعاداً ثقافية فكرية

بيد أنه مع بروز طلائع حركة التحرر العربية ،
الطامحة إلى التقدم الاجتماعي والاستقلال الوطني
والتوحيد القومي ، أخذ يتضح أن النزعة المعنية هنا
(المركزية الأوروبية) لم تعد مهيأة لاستيعاب الموقف
الفكري الجديد قليلا أو كثيرا ، فكان عليها أن
تتهاوت تحت وطأة الدراسات المستفيضة التي توازت
مع حركة التحرر تلك واخترقتها في اوروبا نفسها
وفي الوطن العربي ، حول تاريخ الحضارات
والشعوب ، وهذا ما جعل ورثة المركزيين
الأوروبيين يتحدثون عن نشاط متساوق أحيانا وغير
متساوق في حالات متعددة مع مفكرين وكتاب من
العالم الشرقي ، فأصبح الوجه الآخر من المركزية
المعنية ، وهو « المركزية الشرقية » أما هذه فقد
أنيطت بها مهمة التأكيد على أن مركز الحضارة العالمية
ليس « الغرب » ، وإنما « الشرق » ، وذلك بعد أن
يكون مسطرو هذا الأخير قد سطوه بمفاهيم
ومقولات « البراءة اللاعقلانية » ، و « النقاء
الديني » ، و « الأصالة المحضة »

وهنا يجري استحلاب أطروحة التمييز القطعي
بين « الغرب » و « الشرق » ، ليُستنتج منها أن
خلاص الشرق عموما ـ والشرق العربي من ضمنه ـ
يكمن في العودة إلى الفردوس المفقود » فردوس
البراءة والنقاء والأصالة ، ومن ثم رفض التقدم
الاجتماعي والاقتصادي والثورة الصناعية والتقنية
ـسة والثورة الثقافية ، وذلك حيث يعلن أن هذه
ـ مفسدة لـ « جوهر الانسان الشرقي »

سير الأمور على ذلك النحو لم يؤد على الرغم
ـلك إلى استنفاد دور المركزية الاوروبية هنا
وهناك ، وذلك حسب الوضعيات المشخصة في
« الغرب والشرق » ، وهذا نفهمه خصوصا حين
نتبين أن « المركزية الشرقية » لقيت وتلقى صعوبات
لدى شعوب الشرق عموما ، والفئات المثقفة
ضمنهم ، وعلى نحو الخصوص وإذا خصصنا
الموقف أكثر لاحظنا أن الشعب العربي بطلائعه
المتقدمة يواجه حاليا هجوما فكريا ايديولوجيا مكثفا
من التشكيك في جدواه التاريخي عموما وعلى نحو
الاجمال هذا الهجوم تحمل لواءه قوى الاستعمار
والصهيونية والظلامية في الوطن العربي وفي سياق
ذلك تبرز فئات من المثقفين والمفكرين والكتاب
العرب لتجد نفسها ـ بصيغة أو بأخرى ـ في معمعان
الموقف وتعقيداته ، ولا تجد إمكانية الخروج منه سالمة
« بريشها وعظمها » نعني بذلك أن هذه الفئات
تتحول إلى مواقع القصور النظري والاجتماعي حيال
فهم وإدراك ما يعلن عن نفسه من ظواهر جديدة في
الواقع العربي وهنا وباسم عملية إجهاض جديدة
لهذا الواقع يبرز الحديث عن ضرورة الاطاحة
بالتاريخ العربي الاسلامي الفكري ، وذلك بدعوى
أنه قام أساسا على أركان لا تستجيب لاحتياجات
عملية الاجهاض تلك

خطان متشابكان

إن محمد عابد الجابري قد يكون أحد أهم ممثلي
تلك الفئة من المثقفين والمفكرين والكتاب العرب
المعاصرين ففي نشاطه الفكري الواسع الذي
أنجزه ، وما يزال يبرز خطان متشابكان
متعاضدان ، نتبين من خلالهما المعالم الكبرى لنشاطه
هذا ، فالخط الأول يتمثل بالاطاحة بـ « تاريخية »
العقل العربي والفكر العربي تاريخا وفي الوقت
الراهن ، في حين يعلن الثاني عن نفسه من موقع
التمييز القطعي بين « لاعقلانية » العقل العربي
والفكر العربي وذلك عبر النظر إلى التاريخ الفكري
العربي بصفته ذا بعد واحد من طرف ، وإلى التاريخ
الفكري الاوروبي بمثابته ذا بعدين أو أكثر ، أحدهما
البعد العقلاني من طرف آخر ، فهو يكتب بوضوح

لا لبس فيه » والثقافة العربية بوصفها الاطار المرجعي للعقل العربي بعتبرها ذات زمن واحد منذ أن تشكلت إلى اليوم ، زمن راكد يعيشه الانسان العربي اليوم مثلما عاشه أجداده في القرون الماضية ، يعيشه دون أن يشعر بأي اغتراب أو نفي في الماضي » ، فنفي تاريخية الثقافة العربية الثاوية وراء العقل العربي يقوم على النظر الى الزمن الثقافي العربي على أنه فوق الزمن التاريخي العادي ، أي تماثله تحجرا لا استمرارا انطلاقا من هنا يقرر الجابري اننا إذن لم نخرج عن (العصر الجاهلي) بكل ما يتحدد به هذا العصر من عناصر بيئية جغرافية واقتصادية واجتماعية وثقافية » ، فهل يجوز لنا تعميم خصائص (العقل العربي) في العصر الجاهلي على العصور الاسلامية التالية ؟!

أهكذا بهذه الصورة التقريرية اللاتاريخية يجاب عن المسائل المتصلة بتاريخ الثقافة العربية ؟ هل الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي نعيشه ما يزال هو نفس ما كان قائما في « العصر الجاهلي » ؟ كيف له إذن أن يطرح اراءه هذه على جمهور يرغب أن يفهمه ؟ هل بحث المؤلف في البنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية العربية منذ القرن الخامس الميلادي حتى الآن لينتهي إلى النتيجة « القصوى » التي يتضح منها غياب الاحساس « بالزمن التاريخي » ؟!

إن الجابري إذ نظر إلى تاريخ الثقافة العربية ، من حيث أنها « زمن راكد أطاح بها ، وجعلها ظاهرة غير مفهومة ، ومنتزعة من لحظاتها المشخصة المتنوعة » ، وقد وصل إلى هذه النتيجة من موقع الاستخفاف بضرورة فهم العوامل الاجتماعية التاريخية لتلك اللحظات ، ومن ثم من موقع النظر إلى أن « الزمن الثقافي لا يخضع لمقاييس الوقت والتوقيت الطبيعي والسياسي والاجتماعي » ، وإذا كان الأمر على هذا النحو ، فإن « الثقافة العربية » تاريخا وراهنا لا تعدو ثقافة شعب عربي له أبعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تجلت بأشكال وصيغ لا ترتد إلى واحدة منها ، وإنما تتحول إلى تراكم ثقافي ، يحدث « بدفعة » أولى من مثقفي هذا الشعب ، ليستقل بعد ذلك عنهم ، ويخط طريقا متميزا خاصا به . وهذا ما جعل الجابري يرى أن التاريخ الثقافي العربي الآن هو مجرد اجترار وتكرار وإعادة إنتاج بشكل رديء لنفس التاريخ الثقافي الذي كتبه أجدادنا » . إن ما يطرحه الجابري على صعيد تحديد بنية الثقافة العربية تاريخا وراهنا لا يمكنه بأي حال أن يجيب عن السؤال « التطبيقي » التالي : هل على المؤسسات الثقافية والسياسية الثقافية في الوطن العربي الراهن أن يضعوا استراتيجياتهم الثقافية لتطويره ثقافيا كما لو انهم يعملون ذلك في المجتمع العربي الجاهلي (القرن الثاني قبل الاسلام) ؟ أية سياسة ثقافية ستكون هذه - حينذاك - لو سارت الأمور على هذا النحو ؟ ألا يكفي المجتمع العربي الراهن ما تصوره من مشكلات كبرى حتى يعود ليضع نصب عينيه سلفه الجاهلي ؟

البعدان الرئيسيان

ألا يلاحظ الجابري أنه يكتب بمناهج القرن العشرين ، ويعلن ضرورة إعادة النظر في التاريخ العربي الفكري ؟ هل هذا الموقف وضع ينفرد به ، أو هو حالة تكاد تكون عامة في أوساط الباحثين والمفكرين والمؤرخين العرب ؟

ولعل من الدقة أن نقول بأن الجابري في موقفه اللاتاريخي ذاك لم يمسك ببعديْ الفعل التاريخي الرئيسيين ، بعد التواصُل وبعد التفاصُل ، فلقد رأى في هذا الفعل بعدا واحدا منهما ، وهو التواصل ، وإن كان قد أنجز ذلك بكثير من الاجحاف والقسر . أما بعد التفاصل التاريخي ، فقد غاب عنه بصورة حاسمة عموما ، مما جعله عاجزا عن تلمس اللحظات النوعية المتمايزة كثيرا أو قليلا في الثقافة العربية تاريخا وراهنا . ولعله في ذلك قد انطلق من تعميم وتوحيد لظاهرة التخلف التي رافقت معظم مراحل التاريخ العربي الثقافي ، حيث بعد من هذه الظاهرة إلى القول بتجانس نفس المراحل

حيث الأساس . وهنا نلاحظ مرة ثانية أن
...ري لم يتمكن من تلمس التمايز البنيوي
طبيعي في وضعيات التخلف عينه . وعلى هذا
. من الطبيعي أن يتحول التخلف إلى مقولة
...ولية فاقدة لعناصر التشخيص الاجتماعي
... رخي ، وكذلك الأمر فيما يتصل بالتقدم . إن « لا
...رخية » النظر إلى الثقافة العربية لدى الجابري تبدو
عبر قناة أخرى في كتاباته ، هذه القناة تتمثل في
التقابل بين ثقافتين اثنتين ، الثقافة العربية والأخرى
اليونانية (الأوروبية) ، مع الاشارة إلى أن عملية
التقابل هذه تنطوي ـ كما يقدمها الجابري ـ على
عناصر من الاضطراب والتناقض . فإذا كانت الثقافة
وجها من أوجه « الحضارة » فإن الأولى لدى الجابري
« هي ثقافة فقه » ، في حين أن الثقافة الأخرى هي
ثقافة « فلسفة » . « إذا جاز لنا أن نسمي الحضارة
الاسلامية بإحدى منتجاتها فإنه سيكون علينا أن نقول
عنها انها (حضارة فقه) ، وذلك بنفس المعنى الذي
ينطبق على الحضارة اليونانية ، حينما نقول عنها
(حضارة فلسفة) »

اما وجه الاضطراب والتناقض في المسألة ،
فينهض على إعلان الجابري ـ بعد تقريره ذاك ـ أن
الثقافة العربية لم تكن في الواقع مجرد حلقة وصل
بين الثقافة اليونانية والثقافية الأوروبية الحديثة ، بل
لقد كانت بالفعل إعادة إنتاج لجانب مهم من الثقافة
اليونانية (العلوم والفلسفة) ، يحق لنا الآن وفي
سياق ذلك أن نقدم الملاحظات التالية

أولا : كيف لنا أن ننظر إلى « الحضارة
الاسلامية » بأحد منتجاتها ، لنقارنها بحضارة أخرى
... احد منتجاتها ؟ فمن الواضح أن انتزاع هذين
المنتجين » من أصليهما جرى لصالح تقابل لاتاريخي
حضارتين ، إن الحضارة الاسلامية انطوت هي
ـ على « فلسفة » ، وإن لم تكن بالخصائص
والحالات نفسها التي انطوت عليها الفلسفة
... من طرف آخر ، كيف يقرر الجابري ذلك
... ص بين الحضارتين (والثقافتين) المعينتين

ليعود ثانية إلى التوحيد بينهما من طرف واحد ؟ كيف
تكون الثقافة العربية « إعادة إنتاج » لجانب مهم من
الثقافة اليونانية (العلوم والفلسفة) ؟ إن هذا الطرح
يلزم بتساؤل مركّب كبير : هل كانت الثقافة العربية
ثقافة الشعب اليوناني ؟ كيف يمكن لشعب أن يقتات
ثقافيا من شعب اخر ، دون أن ينتج هو نفسه قيمه
الثقافية على نحو من الأنحاء ؟ إن الجابري هنا يطيح
بالعلاقة الجدلية بين الداخل (العربي) والخارج
(اليوناني) ، أي لا يتبين أن الخارج يمارس فعلا
وتأثيرا على الداخل من موقع هذا الأخير أولا
وبالدرجة الأولى . وإذا كان الأمر بهذه الصيغة ،
فإن « الداخل العربي » قد أنتج ثقافته المتطابقة عموما
مع احتياجاته وشروطه التاريخية الاجتماعية . تلك
التي كانت بطبيعة الحال ـ أي بفعل التواصل التاريخي
الذي جرى الحديث عنه سابقا ـ عرضة للتأثر بـ
« الخارج اليوناني »

وإذا كان الأمر كذلك ، أفلا يلاحظ أن القول
بذلك الموقف (أي كون الثقافة العربية إعادة إنتاج
لجانب مهم من الثقافة اليونانية) يقود ضمنا على
الأقل ، إلى مزالق المركزية الأوروبية (اليونانية) ؟
لنستعد رينان ، ولنتبين خطل وخطر موقف الجابري
المنوه عنه : « إن الشرق السامي مدينٌ لليونان بكل ما
عنده من الفلسفة ضبطا » . إن هذا « الدّين »
يكتسب عند الجابري تعبير « إعادة انتاج » ، بحيث
لا يستطيع « معيد الانتاج » أن يزعم بأنه « مبدع »
إبداع « المنتج الأصلي » ، وقد يتضح هذا إذا نظرنا
فيما يعلنه رينان عن ابن رشد ، الفيلسوف العربي
المغربي ، الذي يعول عليه الجابري في مفهومه
اللاتاريخي حول « القطيعة المعرفية » بين الفكر
العربي المشرقي والفكر العربي المغربي : كتب رينان
أن ابن رشد قد قطف ثمار « أعمال لم يفعل غير
عرضها في مجموعها ، فكأن ابن رشد بويس الفلسفة
العربية ، أي أحد أولئك الذين يظهرون مؤخرا
فيعوضون عن الابداع الذي يعوزهم بموسوعية
آثارهم القائمةعلى الشرح والنقاش »

معجزة علوم العربية

إن الية التفكير المهيمنة هنا ، تكمن في التأكيد على « المعجزة اليونانية المتمثلة بـ « التفكير الفلسفي العقلاني » هذه المعجزة التي يأخذ بها الجابري ليضع معها « معجزة العرب » ، التي هي عنده « علوم العربية » . فالعربي حيوان فصيح ، وبالفصاحة وليس بمجرد العقل تتحدد ماهيته ، في حين أن اليوناني حيوان « عقلاني » ، ذلك لأنه « إذا كانت الفلسفة هي « معجزة اليونان » فإن علوم العربية هي « معجزة العرب »

هكذا تتضح اللوحة التي يدعو إليها الجابري إنها النظر إلى الفكر العربي والعقل العربي في تاريخه ، من حيث هو ذو بعد واحد ، بعد اللاعقلانية ، وعدم القدرة على مواجهة الطبيعة والمجتمع باستكشاف قوانينها وهذا في محصلة الموقف تعبير عن أن الانسان العربي عموما لم يكن منذ الجاهلية وحتى الآن « في الوضع الذي سمح له أن يواجه مشكلاته »

إن ذلك ، منظورا إليه في إجماله وعمومه ، يمثل دعوة للتشكيك بالجدوى التاريخية للفكر العربي ، بحيث تغدو الدعوة إلى نهضة جديدة مقترنة برفض التراث العربي الفكري وهنا تتشابك المواقف بين عدمية تراثية ، ومذهب لا تاريخي للفكر الاوروبي والمغربي الذي ينتزع من سياقه العربي العام □

□□□

تعقيب

على مقال

هل كان الرجل المريض مريضاً ؟

جاء في العدد ٣٤٦ لشهر (سبتمبر ١٩٨٧) من مجلتكم الغراء في البحث (هل كان الرجل المريض مريضاً) للاستاذ فتحي رضوان (ان الصهيونية عجزت ان توطن يهوديا واحدا أو ان تنشيء مستعمرة بموافقة الدولة العثمانية) والواقع المرير يثبت ان اكثر من ثلاثين مستعمرة انشئت في ذلك العهد ويكاد يكون معظمها ان لم يكن كلها في عهد السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٥ ـ ١٩٠٨ م) واليكم قائمة بأسماء هذه المستوطنات وتواريخ انشائها

١ ـ بتاح تكفا انشئت سنة ١٨٧٨ في موقع قرية ملبس العربية

٢ ـ ريشون لتسيون انشئت سنة ١٨٨٢ في موقع قرية عيون قارة العربية

٣ ـ زخرون يعقوب انشئت سنة ١٨٨٢ في موقع قرية زمارين العربية

٤ ـ روش بناه انشئت سنة ١٨٨٢ في موقع قرية الجاعونة العربية

٥ ـ نس تسيوناه انشئت سنة ١٨٨٣ في موقع قرية وادي حنين العربية

مركرت نتاه اشئت سنة ١٨٨٣ في موقع قرية
ون العربية
يسود همعلاه انشئت سنة ١٨٨٣ في موقع قرية
طقة بحيرة الحولة
- حدراه اشئت سنة ١٨٨٤ في موقع قرية قطرة
العربية
٩ - مشمر هيردن اشئت ١٨٨٤ في موقع حسر بنات
يعقوب العرب
١٠ - كاستيبه (نئير طوفياه) اشئت سة ١٨٨٧ في
مقاطعة عسقلان العربية
١١ - نتشلومو اشئت سنة ١٨٨٩ في مقاطعة
الحصيرة العربية
١٢ - رحموت اشئت سة ١٨٩٠ قرب قرية ديران
العربية
١٣ - حدراه انشئت سة ١٨٩٠ في مطقة الحصيرة
العربية
١٤ - مئير شفياه اشئت سة ١٨٩٠ في مطقة
الحصيرة العربية
١٥ - عين ريتيم اشئت سة ١٨٩١ في مطقة صفد
العربية
١٦ - موتساه تحيت انشئت سة ١٨٩٤ في حوار
القدس الشريف
١٧ - هارطوف انشئت سة ١٨٩٥ قرب قرية
عرطوف العربية
١٨ - مطولاه انشئت سنة ١٨٩٦ قرب قرية المطلة
العربية
١٩ - سحيرة او ايلانياه انشئت سنة ١٨٩٩ قرب
قرية الشجرة العربية (مقاطعة طبرية)
٢٠ - كمار تافور اشئت سة ١٩٠١ قرب قرية
مسحة العربية
٢١ - قحمياة انشئت سنة ١٩٠٢ في مقاطعة طرية
٢٢ - كمار سئت سنة ١٩٠٣ قرب قرية كمر
سابا العربيه
٢٣ - عتليت انشئت سة ١٩٠٣ في موقع قرية عتليت
العربية
٢٤ - حولداه انشئت سة ١٩٠٥ في مقاطعة الرملة
٢٥ - نئير يعقوف اشئت سة ١٩٠٧ في مقاطعة
الرملة
٢٦ - مرحمياه انشئت سنة ١٩٠٨ قرب قرية العولة
العربية
٢٧ - متسمياه اشئت سنة ١٩٠٨ قرب قرية مصة
العربية
٢٨ - كيرت انشئت سنة ١٩٠٨ في مقاطعة طبرية
(قرب البحيرة)
٢٩ - دحاياه اشئت سنة ١٩٠٩ في مقاطعة طرية
٣٠ - محدال انشئت سنة ١٩٠٩ قرب المحدل
العربية

كما ان مدينة تل افيف - يافو تأسست سة ١٩٠٨ - سنة ١٩٠٩ عدا عن مستعمرة مكمه يسرائيل تأسست سة ١٨٧٠ كمدرسة رراعية الى الشرق من يافا علما ان كثيرا من هده المستعمرات اقيمت بعد تدمير وارالة معالم القرى العربية فحلت محلها □

قسطنطين خمار

● من الناس من يحبون ان يقعدوا في صندوق من الجهل ، ويقفلوه على أنفسهم ، حتى لايأتي فاتح يفتحه ويفرح عنهم (الامام محمد عبده)

● لايصبح شيء دو قيمة اذا صرفنا الوقت الكافي في اتقانه . (ابراهام لنكولن)

● أعظم الثروات هي الرضى بالقليل ، لأنه لاتكون هنالك حاجة حيث تكون القناعة (كولريتيوس)

بقلم : الدكتور ادريس سالم الحسن*

تجاوز العلم دوره كعنصر من عناصر المعرفة الانسانية الشاملة ،

فصار مرادفا للمعرفة ،

وأصبح استخدامه أحد أسلحة العصر ،

ومعيـار القوة في مجتمعنا الدولي

يمر المجتمع البشري المعاصر بلحظات حاسمة من تاريخه الطويل ، لحظات قد تؤدي به إما إلى ازدهـار ، ومستقبـل مشـرق ، تتخلص فيه البشرية مما تعاني منه الآن من جهل ومرض وفقر ، وإمـا أن تفضي به إلى سبيـل ليس فيه إلا الـدمـار المهلك ، الذي لا يبقي ولا يذر وقد مرت بعض الشعـوب بمثـل هـذه المـواقف من قبـل ، مـواقف مصيرية ، واجهت فيها احتمالات بقائها أو فنائها ، لكن ما يجعل هذا الموقف الذي تواجهه الإنسانية الآن يختلف عن غيره من المواقف السابقة ، هو أن الموقف الحالي يهدد الإنسانية جمعاء ، ويـهـددها بـالفناء الشـامل ، في حين أن ما سبق من مـواقف كـانت مقصـورة على جماعات وشعـوب متفرقـة ، وحتى بالنسبة لتلك الجماعات والشعوب ، لم تكن مسألة فنائها كليـة في عداد الممكن فيما يوجـد الآن من أسلحة فتاكة - سواء أكانت ذرية أم هيدروجينية أم غيرها - كفيلة بالقضاء على كل مـظاهر الحيـاة على سطح الأرض أسلحة وأجهزة لم يسبق أن عرفها الإنسان من قبل ، خلال آلاف السنين من تاريخه الطويل

* أستاذ بقسم الدراسات الاجتماعية كلية الآداب جامعة الملك سعود - الرياض

ما كان في الإمكان اختراع أسلحة الدمار الرهيبة ، ولا السيطرة عليها ، دون التغير النوعي الذي طرأ على المعرفة الإنسانية ، ودون العلم والتقنية وانتشارهما ، وملاءمة الظروف التاريخية الراهنة التي جعلت العالم كله يبدو كأنه قرية صغيرة ، فالمعرفة الإنسانية قد صارت شاملة ومتاحة إلى حد ما ـ لعدد كبير من الناس من خلال وسائل التعليم والإعلام وغيرها ، بينما كانت في الماضي محصورة على فئات قليلة من الناس ، يحتكرونها لأنفسهم ، ويتداولونها في سرية كهنوتية ، تجعل عامة الناس في عزلة ورهبة من هذه القوى الخارقة وقد أصبحت المعرفة الآن متاحة عبر الصحيفة والكتاب والتلفاز والمذياع ، يتناولها الشخص في سهولة ويسر ، بنفس الكيفية التي يتناول بها طعامه ومع هذا الانتشار كثرت التخصصات ، وتعددت المعارف ، وطرق تحصيلها ، وتشعبت دروبها ، بدرجة تكاد تقطع الصلة ما بينها ـ كمًّا وكيفاً ـ وبين المعارف السابقة وأهم ما يميز المعرفة الحديثة ـ في رأي الكثيرين ـ بالإضافة إلى انتشارها وتنوعها ، أنها تعتمد على العلم كأهم مكوناتها ومرتكزاتها ومحددات طبيعتها ومسارها وقد تبع التغير في المعرفة ومكوناتها تغير في علاقتها مع المجتمع الذي تغيرت طبيعته ومكوناته أيضا ، وصارت العلاقة صعبة ومعقدة إلى حد بعيد

فإلى أي طريق تقودنا معرفتنا ؟ وأي سبيل سلكه بنا العلم ، وقبل هذا وذاك ما هي المعرفة ؟ وما هو العلم ؟ وما موقعهما من مجتمعنا ؟

جوانب المعرفة الإنسانية

إن المعرفة وتحصيلها وزيادتها ونقلها من مكان إلى آخر ، أو من جيل إلى جيل ، هي خاصية يتميز بها الإنسان دون غيره من الكائنات الأخرى والعلة في ذلك أن السلوك الإنساني في معظمه مكتسب ، في حين أن السلوك الحيواني ـ مثلا ـ غريزي في معظمه ، ولذا أصبح لزاما على الإنسان أن يتعلم كل شيء في حياته منذ مولده إلى مماته ، وحتى ماهو غريزي عنده (كالطعام والشراب والتناسل ، والمأوى الخ) أحاطها الإنسان بجوانب اجتماعية غير غريزية ـ مكتسبة ـ فصارت بذلك خاضعة للتعلم

والمعرفة الانسانية بدأت منذ اللحظة التي فصل الإنسان أن يشق فيها طريقه في الحياة بمفرده ، أي منذ اللحظة التي اثر فيها النزول من الجنة ، والتي ليس فيها مجال اختيار ، إلى الدنيا التي لابد له في كل خطوة أن يختار ، وذلك بأكله من الشجرة المحرمة (رمز المعرفة) وبهذا الاختيار فصل الإنسان نفسه عن غيره من الكائنات ، بما فيها الملائكة لكي يحقق الإنسان مبدأ الاختيار كان لابد له أن « يعرف » ، إذ ليس هناك من اختيار دون معرفة للبدائل يحدثنا المفكر الإسلامي مالك بن نبي بأن بداية ذلك كانت مع « وعلم آدم الأسماء » ، ومعرفة الأسماء تعني بالضرورة إضفاء صفات على المسميات ، وبذلك يمكن التفريق بينها ، وتحديد أهميتها ، ومدى الاستفادة منها ، أو تجنبها ، ويعني هذا ـ من ناحية أخرى ـ أن الإنسان من خلال معرفته بكنه الأشياء قد أصبح مسيطرا عليها ، فالإنسان الأول عندما عرف النار وعرف خصائصها وطرق التعامل معها أصبح مسيطرا عليها ، وقادرا على استخدامها في شتى المجالات .

في الطبخ ، وتطويع المعادن ، والتدفئة ، وفي الحروب الخ وبهذا تكون المعرفة هي مصدر القوة بالنسبة للإنسان

اكتساب المعرفة

لكن المعرفة عند الإنسان لا تتم بصورة مباشرة ولا كاملة ، ولا يتأتى له معرفة جوهر الأشياء كما هي وكل ما يستطيعه الإنسان في هذا الخصوص هو المعرفة التقريبية للأشياء ، وذلك لأن الإنسان يعرف

الأشياء عن طريق « المعاني والرموز » ، فالمعرفة الإنسانية رمزية غارقة في الرمز ، سواء أكان ذلك في فهمها أو في التعبير عنها أو استخدامها

وعليه فإن معرفتنا بالكون وما يحويه هي معرفة متغيرة متجددة من مكان إلى آخر ، ومن زمان إلى زمان ، عبر الحقب التاريخية المتعاقبة

ووسائل تحصيل المعرفة متعددة عند الإنسان ، إذ يمكن أن تتم بواسطة العقل ، ومن خلال التجربة التي تتم مباشرة بالحواس الخمس ، وكذلك للأحاسيس ، والعواطف والتجارب الوجدانية دور في إثراء الخبرة وزيادة المعرفة وقد يضيف بعض العلماء طريقاً آخر من وسائل المعرفة ، وهو الحدس ، إلى الوسائل السابقة على الرغم من صعوبة تعريفه وإثباته

درجات المعرفة ومستوياتها

للمعرفة الإنسانية درجات ومستويات ، تحددها عوامل متعددة ، بدءاً من العوامل الذاتية للأفراد ، كدرجات ذكائهم ، ومدى خبرتهم ، وعمقها

الخ إلى الظروف الاجتماعية والتاريخية التي تضع أطراً لحدود المعرفة لأي مجتمع من المجتمعات ، في حقب تاريخية محددة وطبقاً للظروف التاريخية قد تسود بعض عناصر المعرفة أو مستوياتها على غيرها من العناصر والمستويات المعرفية

وللعلماء كثير من النظريات في هذا الخصوص ، ليس هنا مجال بسطها وشرحها ، لكننا نذكر فقط ما له علاقة مباشرة بموضوعنا ، وهو أن معظم العلماء الغربيين يكادون يتفقون فيما بينهم ، (ولا يلزم أن يتفق معهم في هذا كاتب المقال) على أن المعرفة قد تطورت ، وانتقلت من المعرفة الميتافيزيقية إلى الدينية ، وإلى الفلسفية ، وتوجتها المعرفة العلمية التي هي في نظرهم خاتمة المطاف ، وقمة المعرفة الإنسانية وهم بهذا يربطون بين السيادة العسكرية والاقتصادية للغرب ، وهيمنته على الشعوب

الأخرى ، وبين تجربتهم الخاصة التي أدت إلى بزوغ فجر العلم ، كما يعرفونه هم ، واعتبارها قمة التجربة الإنسانية جمعاء

العلم الحديث . أصوله وطبيعته

ذكرنا بأن الإنسان في سعيه لمعرفة العالم المادي من حوله وتسخيره ، كان لابد له من معرفة عناصر البيئة الطبيعية ، ومكوناتها ، والقوانين التي تحكمها لكنه في نفس الوقت سعى إلى تحديد علاقته بالقوى الخارقة من جهة ، وعلاقته بالبيئة الاجتماعية من جهة أخرى ، وعليه فقد كانت البدايات الأولى للمعرفة الإنسانية ، وعلى الرغم من أوجه قصورها الشديد متكاملة ، ولذلك ظهرت بوادر المعرفة الأولى دون حواجز بين الفلسفة والدين والعلم الطبيعي وعلوم الإنسان ، فتداخلت هذه العناصر مع بعضها بعضاً ، دونما انفصام في وحدة ، تحاول أن تفهم وتفسر وتحدد طرقاً للعمل والتعامل مع عناصر الكون المختلفة ، سواء أكانت طبيعية أم فوق طبيعية ، أم اجتماعية وتمثل لذلك بمثال واحد فقط ، وهو نظرية الأخلاط الأربعة مثلاً،(الماء والهواء والنار والتراب) ، فهي محاولة لفهم وتفسير القوى الطبيعية وصفاتها ومكوناتها الأساسية ، فالعناصر الأربعة كانت في نظر مفكري ذلك الزمان اللبنات الأساسية لكل عنصر طبيعي ، فوق هذا وذاك يمكن تطبيقها على الإنسان ، فهي تصف سلوكه وتفسره ، كما يمكن تطبيقها على غيره من الكائنات (كالجن والملائكة) ، واستمر الحال هكذا إلى عهد الحضارة الإسلامية ، حيث كان الأدب والفن والفلسفة والدين والعلوم أجزاء من معرفة شاملة متكاملة وقد كان المفكرون من طبقة الفارابي وابن سينا مثلا علماء ثقاتاً في أكثر من فرع من فروع المعرفة ، دون أن يكون هناك تناقض أو تضارب ، بل إن مكونات نظرياتهم نفسها يدخل فيها أكثر من فرع في المعرفة

ـعيرت الصورة في أوروبا في عصر النهضة ، وما ـس قرون ، فيما يعرف بالثورة العلمية وقد عصر النهضة ليس بثورة فكرية فحسب ، وإنما ـدت لها وصاحبتها ثورة اجتماعية ، أطاحت ـالنظام الاقطاعي المتحجر اقتصاديا وفكريا واجتماعيا ، حيث أنه كان يقوم على مبدأ العبودية بين السادة والمزارعين ، ويعتمد على الكنيسة بفكرها الديني الرجعي من الناحية الأيديولوجية وحل بالتدريج نظام اجتماعي جديد يعتمد على التجارة والصناعة ، ويقوم على مبدأ الحرية الفردية ، عوضا عن النظام العبودي وكان لابد من هدم الفكر الكنسي ، الذي كان عقبة كأداء في سبيل تقدم الفكر . وقد مهدت كل هذه الأحداث لمجيء الثورة العلمية التي أصبح العقل فيها سيد الموقف ، وأزيح - جانبا - الفكر الديني وما كان يمثله من قهر وتسلط وإرهاب على كل رأي مخالف للكنيسة (كالقول بدوران الأرض مثلا) ، وما صاحبه من قتل وحرق وسجن وتعذيب للعلماء (كوبرنيكس ارازمس ، جاليلو الخ) وبانحسار تأثير الكنيسة والفكر الديني أصبح الإنسان هو محور الكون ، وهو المسيطر عليه من خلال عقله ومعرفته ، كما أن كل تفسير يسعى إلى إيجاد قوانين خارج نطاق العالم المادي قد اعتبر فكراً غيبياً ، وأدمج مع الفكر الديني ، ثم أهمل ، وبذلك صار التركيز الأساسي منصبا على البيئة الطبيعية المادية ، فهي عنصر العطاء ، ويمكن معرفتها بواسطة العقل ، وعناصرها مكونات موضوعية لا يمكن الشك فيها وبلغ الإيمان بالعلم د حة أصبحت العلوم الأخرى من إنسانية واجتماعية تطمح أن تكون مثله في مناهجه ووسائله وأدواته ، ـثل ذلك في التيار الذي يعرف الآن في العلوم ـجتماعية بالوضعية

نتيجة للتغيرات السابقة تغيرت النظرة إلى ـن في نظر العالم الغربي ، فصارت صورة الكون الة ميكانيكية ضخمة ، (كما في فكر نيوتن) ، تحكمها قوانين الميكانيكا التي تمثل علاقات القوى بين الأجسام والكواكب وبقية العناصر الطبيعية ولم تتغير هذه الصورة التي استمرت إلى وقت طويل إلا بمجيء اينشتاين بنظرية النسبية ، حيث قضى على فكرة الصورة الميكانيكية ، وحل محلها الضوء والفراغ والزمن في علاقات تسارع يصير معه كل شيء نسبياً

العلم وعلاقته بالمجتمع

إن علاقة العلم - كجزء من المعرفة الإنسانية - بالمجتمع علاقة شائكة ، ومعقدة ، وذات تاريخ طويل ، يساوي تاريخ المعرفة الإنسانية نفسها ، فمهما قيل عن قصور بداية المعرفة الإنسانية ، لا يستطيع أحد نكران أنها كانت بداية محاولة الوصول إلى معرفة علمية ، هذا بالطبع إذا وسعنا من معنى كلمة علم

أما في العصر الحديث فقد صارت العلاقة بين العلم والمجتمع أكثر تعقدا وتشابكا ، وسنحاول أن فيما يلي

هناك من يقول بأنه لا صلة البتة بين العلم ونموه وتطوره ، وبين التغيرات التي تحدث في المجتمع وأصحاب هذا الرأي قلة لا يؤبه لها ، لأن فكرها طوباوي لا يفسر تقدم العلم وازدهاره إلا من خلال فكرة الإلهام الذي يأتي لأفراد متميزين ، لا تربطهم بالمجتمع صلة تذكر ، وهذا أمر لا يسنده الواقع ، ولا التجربة التاريخية ، ولا المنطق السليم

ثانيا هناك فئة تنادي بأن المجتمع هو الذي يحدد بصورة كاملة طبيعة العلم ومحتواه وشكله ، وعند أصحاب هذا الرأي أن العلم - كجزء من المعرفة - ما هو إلا انعكاس للعلاقات الاجتماعية بصفة عامة ، وعلاقات الإنتاج على وجه الخصوص ويمثل القائلون بهذا باكتشافات جاليلو مثلا ، وبأنها لم تكن في واقع الأمر إلا تلبية لاحتياجات مجتمعه العملية

الضرورية ، كالمنظار المقرب الذي كان يحتاجه أصحاب السفن من التجار الذين كان قلقهم يدعوهم إلى محاولة رؤية سفنهم قبل دخولها الميناء ، للتأكد من سلامتها ووصولها. ويمثل أصحاب هذا الرأي بالثورة الصناعية ، وما أعقبها من تغيرات اجتماعية ، قادت إلى تغيرات علمية للتدليل على صحة قولهم.

ثالثا: هناك من يرون أن تأثير المجتمع على العلم أمر لا جدال فيه ، إلا أنهم لا يذهبون مذهب أصحاب الرأي الثاني كل المدى ، لكنهم يرون أن شريحة من المجتمع هي التي تسيطر على مجريات أحداثه السياسية والاقتصادية ، وتتحكم في كل ما يصدر وينشر في المجتمع ، من خلال سيطرتها على وسائل النشر والجمعيات الأدبية والعلمية.. إلخ. أي أن هيمنة فئة معينة على المجتمع يجعلها ذات مصلحة في التحكم في مؤسسات العلم (وغيره) ، بحيث أن ما يخرج منها لا يهدد مصالح تلك الفئة ، وأن يكون ملائما للأيدولوجية السائدة التي تخدم أهداف المجموعة المهيمنة. وبمعنى آخر فإن تأثير المجتمع في هذه الحالة في نطاق الممارسة العلمية داخل مؤسسات العلم.

رابعا: يوافق أهل هذا الرأي غيرهم ممن يقولون بتأثير المجتمع على العلم ، إلا أنهم لا يضعون أهمية كبرى لكل عناصر المجتمع ، ولا لشريحة اجتماعية بعينها ، تكون لها الهيمنة الاجتماعية والسياسية ، وإنما يأخذون جانبا واحدا في المجتمع ، وهو مستوى ثقافة المجتمع ، وما فيه من أفكار وقيم سائدة.. إلخ يتشبعها العلماء ، كأفراد في مجتمعهم تؤثر فيهم عمليات التنشئة الاجتماعية ، وتؤثر لا شعوريا في اختيارهم لمواضيع بحوثهم ونتائجها.

خامسا: أصحاب الرأي الخامس يتفقون بأن هناك تأثيراً متبادلاً بين العلم والمجتمع ، إلا أنهم يركزون على أهمية التأثير من قبل العلم على المجتمع ، وليس العكس ، كما في الآراء الأربعة السابقة ، كما أنهم يرون للعلم تأثيرا بالغا على المجتمع من خلال تطبيقات العلم العملية ، وبخاصة في تطبيقاته التقنية. وقد قوي هذا الرأي خاصة في العقود الأخيرة من عالمنا المعاصر ، حيث أصبحت التقنية جزءاً من حياتنا اليومية المعاشة ودخلت غرف المطبخ والجلوس والنوم ، ودخلت مكاتبنا ومدارسنا ، وكل أوجه حياتنا الأخرى من ترفيهية وثقافية... إلخ.

سادساً: الرأي السادس الأخير يتحدث عن تأثير العلم على المجتمع من خلال استخدام بعض فئات المجتمع للنظريات العلمية ، لتأكيد آرائها في نطاق المجتمع ، أي بمعنى آخر الاستخدام الأيديولوجي للعلم. وقد حدث هذا قديما عندما استخدمت كلمة عالم الطبيعة والأحياء داروين الشهيرة « البقاء للأصلح » في غير موقعها الأصلي ، فطبقت على المجتمع البشري لتوكيد أهمية مجموعة اجتماعية على أخرى. ويحدث هذا الآن فيما نراه من نقاش مستفيض حول ما يعرف بالبيولوجيا الاجتماعية التي يحاول فيها بعض العلماء أمثال (لورنز) تطبيق نظرياتهم عن السلوك الحيواني على السلوك الاجتماعي.

إن علاقة العلم بالمعرفة من جهة ، وبالمجتمع من جهة أخرى ، هي علاقة شائكة معقدة. وقد كان ذلك نتيجة لتبادليتها وجدلياتها.

فالعلم جزء لا يتجزأ من المعرفة ، يؤثر فيها ، وتؤثر فيه ، وتضع له أطر حركته وتطوره ، والمعرفة تثري وتغير من تركيبة المجتمع ، تحت ظروف تاريخية معينة ، لكن المجتمع أيضا يضع للمعرفة حدودها بل حتى محتواها في بعض الأحايين. □

إعداد : يوسف زعبلاوي

مخابز منزلية حديثة

يتميز أهل اليابان بولعهم بالآلات والأجهزة ، وبقدرتهم الفائقة على ابتكار الجديد منها ، واتقان صنعها ، ولعلهم يتميزون أيضا بتحسسهم التجاري لما تحتاجه الأسواق العالمية من تلك الأجهزة والماكينات ، حتى إذا نجحوا في ابتكار الجهاز أو الآلة التي يتعطش إليها المستهلك في كل مكان سارعوا إلى صنعها وإغراق أسواق العالم بها ، ومفاجأة المنافسين الأوروبيين والأمريكيين بذلك ، وكأن أولئك المنافسين هم بالفعل آخر من يعلم

والجهاز المقصود هنا هو المخبز المنزلي الذي استكملت تطويره إحدى كبريات الشركات اليابانية في شهر مارس الماضي (١٩٨٧) ، والذي سيعرض للبيع في الأسواق بين لحظة وأخرى

ولعل منظر الطوابير التي ألف المرء مشاهدتها هذه الأيام عند الأفران في شتى العواصم والمدن العربية وغيرها والتي قد يطول الانتظار فيها ساعات وساعات بغية الحصول على بضعة أرغفة هو الذي أوحى للشركة اليابانية المعنية بتطوير المخبز المنزلي،ولعل ذكريات الأمس القريب حين كان الناس في بلدان العرب والشرق - أكثرهم إن لم نقل كلهم - يعتمدون على الخبز المنزلي ، الخبز الذي عجنته ربة البيت بيديها ، وصنعته بطرق بدائية داخل البيت، أقول لعل تلك الذكريات هي التي طمأنت الشركة اليابانية إلى أن رواج أفرانها المنزلية المبتكرة مضمون إلى حد كبير

هذا والمخبز المنزلي الجديد صغير الحجم ذاتي الأداء وهو بحجم سخان الخبز

المخبز الياباني الجديد هو الذي يرى في صورة [illegible] الذي يرى في صورة اليسار فهذه [illegible] جاريا من [illegible] المألوفة في الوقت [illegible]

... ي ، أو أكثر بقليل ، ولا يكلف ربة البيت إلا وضع المقادير المحددة من الـ ... ـين ... لملح والماء ، فضلا عن الزبدة والسكر والحليب (إذا كان المقصود صنع الخبز الافرنجي) في وعاء خاص بهذه المواد ، ثم وضع الخميرة في الوعاء الآخر المخصص لها ، وهو موجود في أعلى المخبز ، وذلك بالمقادير المحددة أيضا ، ولا يطلب من سيدة البيت بعد ذلك إلا الضغط على زر صغير لينطلق المخبز في عجن تلك المواد تلقائيا بأحدث الطرق ، ومدها بالخميرة التي يجري إفرازها من وعائها اوتوماتيكيا بالتدريج وفقا للمقدار المطلوب

وتنتظر ربة البيت بعد ذلك بعض الوقت ، فلا يلبث الفرن أن يفرغ من مهمته ويصبح الخبز جاهزا للأكل وتتراوح المدة التي يحتاجها المخبز بين ساعتين للخبز العادي وأربع ساعات للخبز الافرنجي

وهو مزود بكمبيوتر يضبط إفراز الخميرة بالمقادير التي يتطلبها المخبز

وجبات صينية للغذاء والدواء في وقت واحد

● يلجأ المريض ، كما هو معروف ، إلى عيادات الأطباء أو المستشفيات لمعالجة مرضه ، وقد يلجأ إلى الحكماء العشبيين ، ويتناول من النباتات الطبية ما قد يصفونه له ، فلا نرى في ذلك ما يبعث على العجب ، أما أن يرتاد المريض مطعما من المطاعم ويتناول وجبة من وجبات ذلك المطعم وذلك بقصد معالجة آفة أو علة يعاني منها فذلك ما لا يخطر على بال

لكن ذلك هو ما يحدث كل يوم في مطعم صيني أقامه صاحبه (آلان لاو) في مدينة سان فرنسيسكو ، وسماه (المطعم الأعشابي الامبراطوري الجديد) حقا إنه المطعم الوحيد من نوعه في المدينة الأمريكية ، ولكن أمثاله كثير في هونغ كونغ وشتى مدن الصين ، فقد درج أهل الصين على تلمس العلاج والشفاء في النباتات الطبية فحسب، ولكن في ألوان من الطعام تمد آكلها بالغذاء والدواء في وقت واحد ولما كان السر في هذه الأطعمة يعتمد على طريقة طهوها نقلا عن النباتات أو اللحوم التي تتكون منها، كان على المطعم الصيني في سان فرنسيسكو أن يعتمد على طهاة خبراء متخصصين من أهل الصين

ولعل الوجبات الأكثر رواجا في مطعم (المستر لاو) تلك التي تعالج العقم ... النساء ، والعنة عند الرجال وقوام هذه الوجبات أعشاب صينية وكائنات حية ... وهي لا تقف عند تحسين الخصوبة في المرأة والكفاءة الجنسية في الرجل ، لكنها ...

بالاضافة إلى ذلك في مضاعفة النشاط والحيوية وتنظيم ضغط الدم وهضم الطعام

ومن طريف ما يذكر عن هذه الوجبات أو الألوان تلك الأسماء التي تعرف بها في المطعم ، من ذلك طبق « ذهب مع الريح » وهو الطعام الذي اشتهر به المطعم والذي تعالج به حالات الصداع المزمن ـ والصداع النصفي خاصة ـ وقوامه مخ العصافير

وثمة لحوم أخرى تدخل في إعداد أطباق أخرى ، نذكر منها لحم السلحفاة ، ولحم الثعبان على أن للنباتيين الحق في رفض تلك الأطباق التي تحتوي على لحوم ، وغالبا ما يكون البديل في تلك الحال نوعا من الفطور البيضاء

ويقدم المطعم مع الوجبات خمرا يختلف عن سائر الخمور ، فهي مصنوعة إما من ذنب الغزال أو من الأرز الأسود والأول يضاعف نشاط المرء وحيويته ، والثاني ينشط دورته الدموية

على أن تناول الوجبة الواحدة مرة واحدة لا يكفي للشفاء من المرض ، بل لا بد من أن يتناولها مرارا قد تصل إلى (١٠) عشر مرات إذا أراد الخلاص من علته

ومما تجدر الاشارة إليه شوربة العشاق التي راح يقدمها المطعم لعملائه في المدة الأخيرة ، فقد لاقت إقبالا منقطع النظير ، ولعل ذلك يعزى للفائدة الملموسة التي جناها الناس من هذه الشوربة ، وبخاصة العريسان اللذان يقضيان شهر العسل في سان فرنسيسكو أو بالقرب منها

ـض الايدز هل ـن أمل جديد ؟

نشرت مجلة لانست الطبية خبرا هاما مثيرا في عددها الصادر في مطلع شهر نوفمبر الماضي (١٩٨٧) ، ومحور الخبر هو مرض الايدز ، واللقاح الجديد الذي نجحوا في تركيبه ، والذي يبشر بمعالجة المصابين بهذا المرض ، معالجة ناجحة ، كما يبشر أيضا بالوقاية منه على نحو فعال ، وقد تعاون في هذا الصدد فريقان من الأطباء ، فريق في لندن وفريق في سان انطونيو في تكساس ، وقد عمل كلا الفريقين برئاسة الدكتور انجوس دالجيش

يقول الدكتور أنجوس هذا إن اللقاح الجديد قد عمل بالفعل على تحييد فيروس الايدز في المختبرات ، على أن هذا اللقاح لايحيد كل فيروسات الايدز ، لكنه يحيد الفيروس الذي انتشر في المدة الأخيرة في غرب أفريقيا وفرنسا

ويعمل اللقاح المذكور الذي يعرف باسم (Anti - idistype) واختصاره (Anti - id) بالاطباق على المتلقيات (Receptors) التي توجد على جدران خلايا الجسم ، والتي يستعملها فيروس الايدز من أجل السطو بحامات الجسم الجينية (أو الوراثية) ، فالاطباق على هذه المتلقيات يفقد الفيروس حيويته ، ويحول دون تكاثره ويؤكد الدكتور أنجوس أن اللقاح الجديد يفيد في الحالات التي يكون فيها المرض كامنا

جهاز بسيط يقي من التسمم والحرائق

هذا جهاز جديد كبير الفائدة ، زهيد الكلفة ، يهم العاملين في مجال مكافحة التلوث وحماية البيئة بقدر ما يهم أصحاب المصانع وربات البيوت وهو لا يعدو كونه جهازا بسيطا ، لا يغير في البيئة ولا يبدل ، بل إن كل ما يفعله ينبئ بالانباء أو الكشف ، ولكنه يكشف عما هو في غاية الخطورة ، عن وجود غاز أول أكسيد الكربون

فهذا غاز سام وخطير ، وقد يتسبب بالحرائق إذا وجد بكميات كبيرة ، ثم إنه بلا لون ولا رائحة ، ويسهل تسربه في الأجهزة والآلات ويسهل انتشاره في جو الغرف والمصانع من حيث لا يشعر به أحد ، وهو يتولد عن الاحتراق غير الكامل لشتى أصناف الوقود الهيدروكربوني كالغازولين (أو البنزين) والكيروسين والغاز الطبيعي والبروبين السائل وتتضاعف مخاطره في فصل الشتاء ، حيث يحكم إغلاق النوافذ كما هو الحال في البلدان الباردة

وقوام الجهاز الكاشف الجديد واسمه (كوانتوم اي) قرص من البلاستيك يحتوي على مواد كيماوية ذات حساسية خاصة لغاز أول أكسيد الكربون ونذكر من هذه المواد النحاس والبلاديوم ، وأكثرها وجودا في الجهاز ثاني اكسيد السيليكون

ويتغير لون المادة الكاشفة لدى تعرضها للغاز ـ غاز أكسيد الكربون ـ فتصبح خضراء ثم زرقاء وذلك تبعا لتزايد كمية الغاز الذي يلامس الجهاز والجهاز حساس جدا ، ومبدأ فاعليته لدى انتشار الغاز في الجو بنسبة ٣٠٠ جزء في مليون جزء من الهواء وما أسرع ما يسترد لونه الأصفر لدى تلاشي الغاز في الجو وزوال خطره

على أن فاعلية الجهاز لا تدوم سوى سنة واحدة ، ولكنه رخيص الثمن وسهل على الجميع تغييره سنويا

الجهاز الكاشف الذي يتغير لونه من الأصفر إلى الأخضر إلى الأزرق تبعا لكميات غاز أول أكسيد الكربون الموجودة في الجو

●

يسددون الديون وينقذون الغابات الاستوائية المهددة

تحدثنا في هذا الباب في أعداد سابقة عن الأساليب الغريبة التي تتبعها الهيئات البيئية المختلفة من أجل حماية التربة ووقاية أحيائها من الانقراض الذي يتهددها ونتحدث اليوم عن أغرب تلك الأساليب وأكثرها فاعلية الأسلوب الفريد الذي يعود بالفائدة على البلد المعني ، لا في مجال البيئة فحسب ولكن في المجال الاقتصادي أيضا

فقد تأملت الهيئة البيئية الامريكية (هيئة الحماية الدولية) أوصاع دول العالم الثالث ، وبحاصة دول أمريكا الحنوبية فوحدتها مهارة اقتصاديا ، وقد أثقلت الديون المتراكمة كاهلها ، ووحدتها مهارة بيئيا أيصا ، وقد أحدت غابات الأمرون الاستوائية بالاحتفاء بالفعل ، وبات المناح العالمي بأسره مهددا بتيجة تلف تلك الغابات ، ودلك تبعا لأعمال التحطيب والتعدين الواسعة الحائرة التي تتعرص لها تلك الغابات في تلك الدول . وفكرت الهيئة الامريكية ـ وهي دات أهداف إنسانية لا تحارية ـ فيما عنساها أن تفعل للربط بين الكارثتين اللتين حلتا بدول أمريكا اللاتيبية ، الكارثة الاقتصادية ، والكارثة البيئية

ومـا أسرع مـا اهتدت إلى أسلوب دي حـدين ، يصمن لها إنقـاد الغـابـات الاستوائية من تلف محقق من جهة ، ويصمن للدول المعنية من جهة ثانية الحلاص من ديونها الصحمة الآخدة بالترايد لا التناقص ، ودلك بسبب عحر الدول عن تسديدها ، وبطرا لتراكم فوائدها

ولعل أطرف ما في دلك الأسلوب أنه كان موصع ترحيب كلا الفريقين المعنيين ، الدول المدينة وصاحبة البيئة المهددة ، والبنوك الدائنة . فقد رحبت الدول المدينة لأنه يعفيها من تسديد ديونها الباهطة ، ورحبت البنوك لأنه يصمن لها تسديد نسبة ما من ديونها التي اعتبرتها ميتة ويئست من تسديد أي حرء منها

على أن تسديد ديون الدول بيابـة عنها ليس بـلا مقابـل ، لكن الهيئة البيئيـة الأمريكية لا تطالب تلك الدول لقاء تسديد تلك الديون إلا بحماية غاباتها والحد من أعمال التحطيب والتعدين فيها ، فدلك هو الهدف الوحيد الـدي تعمل من أحله ، أمـا المال الـدي تدفعـه الهيئة إلى البنـوك فماهـا هي ، ومن المخصصات والتبرعات التي تصلها سنويا من أحل حماية البيئة ، أما النسبة التي تسددهـا من الديون فتتراوح بين ١٠/ و ٦٠/ ، ونذكر على سبيل المثال الصفقة التي عقدتها الهيئة البيئية مع حكومة بوليفيا مؤخرا ، فقد قامت بتسديد بعض الـديون المتـراكمـة عـلى هـده الحكـومـة ، مـا يبلغ (٦٥٠,٠٠٠) دولار من مجمـوع ٤٠٠٠ مليـون دولار ، ودلك بـدفـع مبلغ (١٠٠,٠٠٠ دولار فقط) ، وقـد رصيت البنوك ، وسعدت بهدا المبلغ الرهيد ، ومحت كافة الديون بمجموعها ، لا لسبب إلا أن الاحتمال الآحر هو عدم استردادها أي مبلغ كان من تلك الديون وكان على حكومة بوليفيا بالمقابل ان تصع تحت تصرف الهيئة البيئية ٣,٧ ملايين فدان من غابات الأمرون المهددة مقابل حلاصها من تلك الديون
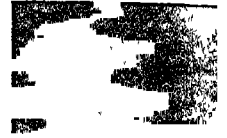
صورة لنهر الامرون العـظـم ولـلغـابـات الاستوائيـه التي تعمـل الهيئـات البيئـة عـلى انقادها

زيارة لمتحف بيكاسو

بقلم احمد داود
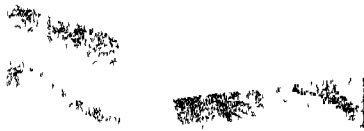
ليس هناك من فنان ، قديما كان أو حديثاً ، أثار هذا القدر من الجدال والنقاش مثلما أثاره بابلو بيكاسو ، فالعصر الذي عاش فيه ـ القرن العشرين ـ يعتبر بحق عصر تحول هائل ، وانقلابات عظيمة ، وحياة بيكاسو الغنية الخصبة على كل المستويات تجسيد لهذا العصر بانكساراته ونجاحاته

الفن في القرن العشرين لم يساير فقط التطور المتزايد السرعة ، بل سبقه في بعض الأحيان ، فالجديد فيه (نعني الفن) ولد مباشرة مع القرن على خلاف ما هو عليه الحال في القرن التاسع عشر الذي لم تبدأ ارهاصاته الفنية الأولى إلا حوالي عام (١٨٣٠) هذا لا يعني بأن الاتجاهات الرئيسية للفن الحديث في القرن العشرين تمثل نقطة انقطاع تامة مع مجرى التاريخ ، فقد كانت سوابقها تمتد في أحشاء القرن الماضي فتكعيبية (بابلو بيكاسو) و (جورج براك) كانت لها مقدماتها عند (سيزان) والكلاسيكيين الجدد ، والتعبيرية عند (فان جوخ وستريندبرج) والسريالية عند (رامبو ولوتريامون) سوى أن الجديد في القرن العشرين انعكس في محورين أساسيين

أ ـ عبر تحرير الألوان المتمثل في الحركة الحوشية وزعيمها (هنري ماتيس)

ب ـ وتفتيت الأشكال من قبل الحركة التكعيبية لبابلو بيكاسو و جورج براك

لقد وضع بابلو بيكاسو مع زميله براك نهاية دورة هائلة في تاريخ الفن فترى الكاتبة (سارة نيوماير) بأن دورة الفن تلك تمتد إلى ستة آلاف سنة ، عندما أخذ الرجل البدائي يروي على جدران الكهوف قصص مغامراته ، بكلمات تتألف من صور مبسطة ، ترمز إلى الأشياء أو الأفعال ومع الزمن أحدث هذه الصور الرمزية تبتعد رويدا رويدا عن الأشكال الواقعية ، حتى انتهت إلى الكتابة المسمارية والهيروغلفية ، وأخيرا تحولت هذه الكتابات إلى حروف وكلمات ، هي بمثابة صور « مجردة » للأفكار والكائنات ، لا تنتمي إليها بأية صلة من صلات الشكل ، حتى وإن قامت في أصلها السحيق على

صور مرئية

بيد أن هذا التطور في لغة الكاتب لم يحدث ما يواريه في لغة الفن ، فقد ظل الفنان يتشبث بالصور المرئية ، معتبرا إياها أنفس من كل رمز تجريدي يدل عليها ، واستمر في تشبثه هذا حتى مطلع هذا القرن ، فشرع الرسامون في « تحريط » الأشكال وتشقيقها إلى شرائح أحدين بقول سيزان « إن كل ما في الطبيعة ينطوي على صورة الاسطوانة أو الكرة أو المخروط » ، واستخدمت هذه العناصر بمثابة لبنات لإعادة بناء الشكل الأصلي ـ في صورة يصعب أحيانا التعرف عليها ـ أو تشتيت هذه العناصر وبعثرتها في لوحة لا تشبه شيئا معروفا !

لذلك لا يمكن الحديث عن بيكاسو دون وضعه في خضم هذا القرن المتمحر ليتحول بحق إلى أسطورة في وقت كان في أوج عطائه الفني ، فقد قال عنه الروائي الفرنسي الشهير (اندريه مالرو) « إن بيكاسو هو أعظم مكتشف ومحطم للأشكال معا » ، فبيكاسو كفنان حديث ـ ونعني بذلك « فنان أصيل » ـ ينظر إلى العالم كما لو كان شيئا لم ير من قبل ، وكأنه هو أول من وقعت عيناه على معالم الكون

ويروى عن بيكاسو بأنه قال « إني لا أبحث ، وإنما أجد » وهذه النظرة الجديدة للفنان تدخله في خلاف ، بل وصراع مع الثقافة السائدة ، لتنتج عادة وشائج صعبة ، وصراعات مريرة ، تدفع بالكثير من الفنانين صوب الانحسار أو الاعتزال والهجرة ، فأقلام الصالونات في القرن التاسع عشر على سبيل المثال تصدت للطبيعيين ومن بعدهم للتعبيريين والتكعيبيين ، بل ودخلت معهم في صراع منظم بفعل رفضهم استخدام الوسائل التقليدية في التعبير

، فوصلت حالة التوتر أوجها من خلال اتهام
الفن الحديث « بالانحلال الخلقي وفقدان
الحس الجمالي » فكانت حصيلة هذا الصراع
احتدم أن سافر الفنان (مونيه) إلى اسبانيا ، و
بيسارو) إلى انكلترا ، و (رينوار) إلى الجزائر ،
ما (ديجا) فرحل إلى نيوأورليانز و (جوجان) إلى
تاهيتي ، حتى (سيزان) ذلك المترف اعتكف في
مدينته (اكس اون بروفنس) في حين مات (فان
جوخ) وسط فاقة وصرع مفرعين وبمجرد موت
هؤلاء الفنانين تراكضت المتاحف الدولية وتجار
اللوحات لشراء أعمالهم بملايين الدولارات !!

بابلو بيكاسو الوحيد من بين ذلك الرعيل ومن
لحقوه تسلق سلم المجد وهو لم يزل على قيد الحياة
« فبورصات اللوحات » - كما يقال استهجانا - تراقب
حركة أعماله من طوكيو إلى نيويورك ، فدخل ذلك
الأندلسي متحف اللوفر بجوار رسامي عصر
النهضة والمرحلة الكلاسيكية وعندما غادر بيكاسو
العالم في الثامن من نيسان عام ١٩٧٣ أعلنت الحكومة
الفرنسية عن عزمها على إنشاء متحف دائم لأعماله في
باريس ومن أجل ذلك سنت قانونا يلزم عائلته
تسديد ضريبة الإرث عينا أي أن تدفع لوحات
وخصصت بلدية باريس أحد القصور الجميلة وسط
العاصمة ، يعود تاريخه إلى عهد الملك لويس الرابع
عشر ، لاستقبال تلك الثروة التي تقدر نقديا بمئات
الملايين من الدولارات وقد افتتحه الرئيس
الفرنسي فرانسوا ميتران رسميا في أواخر شهر ايلول
عام (١٩٨٥)

لقد عاش بابلو بيكاسو قرابة ستة وعشرين ألف
يوم ، أنتج خلالها حوالي ستة وعشرين ألف عمل
فني ، من لوحة زيتية إلى تخطيطات وتصاوير وحفر
، حرفيات وملصقات الخ ولإدراك قيمة هذه
الثورة الهائلة في تاريخ الفن نرى من الأهمية بمكان
التوقف عند بعض محطات حياته الحافلة

الطفل المعجزة

في ٢٥ من شهر (تشرين الأول) أكتوبر عام
١٨ ، ولد في مدينة ملقة الأندلسية بابلو روخيث
بلاسكو ومنذ سنوات عمره الأولى ظهرت موهبته
الفذة ، فتولى والده الذي كان استاذا للفن ، إرشاده
والعناية به

وفي لاكورونا إحدى المدن المطلة على المحيط
الاطلسي ، التي انتقلت إليها العائلة بدأ بابلو الصبي
بتصميم مجلات صغيرة يملؤها قصصاً وتخطيطات
قوبلت بدهشة بالغة ، وكان والده بعد أن اكتشفها
واثقا من أن ولده سيصبح يوما من عباقرة الرسامين
ويقال إنه قد أهداه أدوات رسمه وقرر الاعتزال ،
اعترافا منه بموهبته الفنية وببلوغه سن الرابعة عشرة
ذاعت شهرته كرسام ، خاصة للوجوه
(البورتريه) ومن الطريف أنه كان هاويا لرسم
شخصه على الأخص ، إذ رسم سلسلة كبيرة من
الصور تحت عنوان « صورة ذاتية » استمرت حتى
عامه العشرين

وحينما بلغ بابلو الخامسة عشرة من العمر انتقلت
العائلة مجددا إلى مدينة ثانية في شمال اسبانيا
(برشلونة).وهناك تقدم بطلب الالتحاق بأكاديمية
الفنون الجميلة ، فمنح شهرا كاملا لإنجاز الرسوم
المطلوبة للامتحان ، كما جرت العادة في ذلك المعهد
وفيما بعد كتب بيكاسو عن هذه الحادثة يقول
« أنهيت الرسوم المطلوبة بيوم واحد فقط لقد
تأملتها بدقة ، لعلها تتطلب بعض الإضافات ،
ولكني لم أجد مايتوجب علي إضافته ، حقا لا
شيء » وفي الفترة القصيرة التي قضاها الفنان في
المعهد لم يكف عن إثارة زملائه ومدرسيه ، إذ كان
بإمكانه أن يبدأ أي رسم ومن أي موضع يشاء ، من
الأسفل إلى الأعلى وبالعكس ، أو من الداخل إلى
الخارج ، أو باتجاه معاكس دون أن يتلكأ مسار
خطه ، وبلا أية تحسينات أو تغيرات وكأنه يرسم
رسما جاهزا مسبقا وبعد فترة قصيرة ضاق بيكاسو
بالتعاليم المدرسية « العقيمة » ، وبعد هذه التجربة
الفاشلة قرر الرحيل إلى العاصمة مدريد وكسابق
عهده ، تقدم بابلو بطلب امتحان جديد لدخول
الاكاديمية الملكية (سان فرناندو) ، وأنجز المواد
المطلوبة بيوم واحد أيضا ومن الغريب أن المرء

نادرا ما كان يراه في الاكاديمية خلال سني الدراسة ، فمواظبته وحوده كانت شوارع وأزقة العاصمة أو الجلوس ساعات طوالا في متحف (برادو) لاستنساخ لوحات عمالقة الفنانين ، وفي مقدمتهم أبناء وطنه ، دييجو فيلاركيز (١٥٩٩ - ١٦٦٠) وال عريكو (١٥٤٨ - ١٦١٤) والهولندي فان دك وفي هذه السنة أقيم معرضه الأول ، وهو في السادسة عشرة من عمره وفي نفس العام نشر أول مقال عنه في إحدى المجلات الفنية

بيكاسو في عاصمة الفن

مع ميلاد القرن العشرين أقيم في باريس معرض دولي للفن وقد اختيرت إحدى لوحات بيكاسو للمشاركة في المعرض ، مما أتاح له فرصة زيارة عاصمة الفن والثقافة فأخذ يهيىء نفسه من خلال انكبابه على العمل المتواصل ، فرسم مجموعة لوحات تعبر عن مشاهد يومية اسبانية وفي مقدمتها مشاهد مصارعة الثيران بهدف بيعها في باريس وما أن لامست أقدام بيكاسو أرض باريس حتى أخذ يلتهم مشاهدها اليومية بناظريه ، ويقضي ساعات طوالا في متحف اللوفر ، وصالات الفن ، وينتقل من متحف فني إلى آخر ، فيتعرف لأول مرة على أعمال الانطباعيين وفي إطار هذه الدوامة اليومية كان يعمل دون توقف ، فضاع عشرات التخطيطات عن انطباعاته اليومية في باريس مشاهد من الشوارع والحانات والبشر لقد رسم العشاق المتعانقين في الشوارع في وضح النهار (إنه مشهد لا يمكن له أن يحدث في اسبانيا على الإطلاق !)

أمضى بيكاسو السنوات الثلاث التالية متنقلا بين فرنسا واسبانيا ، دون أن ينقطع سيل نتاجه الغزير ثم استقر في باريس ابتداء من ربيع عام (١٩٠٤) ، متخذا لنفسه مرسما في أحد المنازل العتيقة في حي مونمارتر ، الذي كان سكانه -من شعراء ومصورين وممثلين- يطلقون عليه اسم المغسل العائم هناك عاش بيكاسو ، مدة خمس سنوات ، عاش عيشة البوهيميين ، لا يكاد يجد ما يسد الرمق ولكن حياته في هذه الحارة الخيالية - مونمارتر - كانت حافلة بأسباب التوقد والحماس ، إذ كان يعيش ويعمل وسط تلك الطائفة من الفنانين التي قدر لها أن تترك تأثيرا قويا في مجرى الحياة الثقافية ليس في فرنسا وحدها ، بل وفي العالم أجمع

لقد كانت تلك الفترة سنوات عجافا في حياة بيكاسو . فعلى الرغم من الفاقة المادية كان يتعرض إلى تحرشات ما يسمى « النقد الأكاديمي » وعند معرضه الأول في باريس عام (١٩٠١ م) خرجت الاستهانة بشأنه ، متهمين إياه (بتقليد غيره) من الفنانين المحدثين غير أنه لم يكن مقلدا في الواقع ، إنما كان مستوعبا ، فقد تذوق وجرب العديد من الأساليب لفنانين قدامى ، ومحدثين ، وتأثر بالنحت الاركايكي والبدائي وفي السنوات القليلة التي تلت تلك التجربة نبذ بيكاسو الكثير من هذه الأساليب ، أما القليل الذي اقتبسه منها فلم يلبث أن ذاب في شرايين فنه هو ، منطلقا في سلسلة مغامراته الفنية المذهلة من حيث تعدد صورها ، هذه المغامرات التي أصبحت تعرف عند نقاد الفن الحديث « بمراحله » المختلفة التي سنتوقف عند أهمها

المرحلة الزرقاء

تعرف المرحلة الزرقاء في حياة بيكاسو بمرحلة البؤس والتشريد بين باريس وبرشلونة وملقة وعرفته في المغسل العائم باتت ثقيلة عليه ماديا ، فتقاسمها مع صديقه (ماكس جاكوب) ، على أن ينام أحدهم ليلا في السرير الوحيد والآخر أثناء النهار ، فكانت حصة بيكاسو من النوم في ذلك السرير اليتيم هي ساعات النهار فكان يقضي الليل بالرسم والقراءة

وقد أنتج عددا مهولا من اللوحات ، منها لوحة (اللقاء) التي تتحدث بلغة فنية معبرة للغاية عن لقاء أم وابنتها في محطة سانت لازار بباريس وهذه اللوحة تذكرنا بالنحت القوطي من خلال إيقاعاتها وخطوط شخوصها وبخاصة قسمات الوجه هنا يعود بيكاسو إلى منابع الفن ليستقي منها أشكالا ومقومات يستطيع بواسطتها التعبير عن آلام يعتقد بأنها عمق الحياة

ـ في السنتين التاليتين تعود الشخصيات المنبوذة إلى
ـاله البهلوانات والموسيقيون والمتسكعون في
ـطرقات والأطفال المحرومون ، والنساء اللواتي
ـنهاهن الكد والنصب والمضحكون والمهرجون الذين
ـسم وجوههم ـ من وراء أصابعها الراهبة ـ عن
ـحزن الدفين . كانت لوحات بيكاسو في هذه المرحلة
ـتكاد تكون من لون واحد ضارب إلى الزرقة ،
ولذلك سميت تلك المرحلة « المرحلة الزرقاء »

ومن أهم النتائج الواضحة في هذه الحقبة تنظيم معرض له من قبل تاجر اللوحات (بيدرو ماناخ) ، مخصصا لأعماله الزرقاء في باريس . وعلى الرغم من عدم تمكنه من بيع أية لوحة من المعرض ، إلا أنه استفاد من مقالة نقدية هامة كتبها (شارل موريس) ، أحد المقربين إلى الفنان (جوجان) ، وقد احتوت مدحا للمعرض ، فيها : « أليس هذا الطفل الرهيب الناضج بصورة مبكرة غير مؤهل لاصطفاء قدسية النتاجات العملاقة على الشعور السلبي بالحياة ، وعلى الحقارة ، التي يئن هو نفسه تحت وطأتها أكثر من أي شخص آخر ؟ »

المرحلة الوردية

في نهاية عام (١٩٠٤) حدثت تطورات مهمة في حياة بيكاسو ، منها تعرفه على الشاعر جيوم ابولونير الذي تعرف بواسطته على مجموعة واسعة من الشعراء والفنانين ، ثم دخلت حياته امرأة (فيرناندا اوليفير) التي شاركته الحياة طول سبع سنوات . هذه العلاقة التي شجعته في تناول مواضيع الأمومة ، ومن ثم انجاز سلسلة رسوم المهرجين الشهيرة ، لدرجة أنه رسم نفسه في هيئة مهرج رشيق القامة . فبدلا من ـشاهد البؤساء والتعساء والمحرومين شرع يختار ـموضوعات أبهج ، (كصبي يقود حصانا) ، أو ـنساء يمشطن شعورهن) . . . إلخ ، وأصبحت ـشخصياته الجديدة أكثر فرحا ونشوة مقارنة بالمرحلة ـزرقاء .

وتوفرت الفرصة لبيكاسو لزيارة هولندا عام ١٩) ، ورسم هناك لوحته المعروفة (الهولندية ـنساء) والمعروضة في متحفه الدائم بباريس

جرام اصابع بيكاسو ! !

المرحلة الزنجية والايبرية

إنها من أكثر المراحل خصوبة ، ليس على المستوى الشخصي فحسب ، بل في تاريخ الفن الحديث في القرن العشرين . فهي تشكل منعطفا حاسما ، وخروجاً نهائيا على الأسلوب الواقعي الذي اتصفت به أعماله حتى ذلك الحين . وشهدت أعماله رواجا جعل تاجر اللوحات « فيلار » يشتري كل أعماله الوردية بألفي فرنك ذهبي ، مما جعل بيكاسو يعود إلى برشلونة طلبا للراحة فترة قصيرة

ومع عودته إلى اسبانيا اعتصم بيكاسو في قرية نائية تدعى (حوسول) ، وفي عزلته التامة شهدت الحياة أولى رسوماته الحديدة التي أعلنت ميلاد اتجاه حديد في الفن لقد كان تكرار لقاء بيكاسو بالفنانين (ماتيس و ديراين) حافزا للعودة إلى الحذور البدائية للرسم ، وذلك إثر زياراتهما المستمرة لمعرض المنحوتات القديمة في باريس فطوال اعتزاله في حوسول حاول بيكاسو محاكاة ، بل ومبارزة تلك المنحوتات بلوحات حديدة وحال عودته إلى باريس نجد مجموعة أعمال وفق أسلوبه الحديد ، منها (صورة شخصية مع باليت) ومنذ عام (١٩٠٦) تحددت اللقاءات بين الفنانين الثلاثة (ماتيس ، ديراين ، بيكاسو) التي تضمها الكاتبة حيرتورد شتاين قائلة « لقد كانت لقاءاتهم تمثل لحظة حرية بالتأمل فهناك انفعال سائد في الحو الاحتماعي »

وعن الحديث عن هذه المرحلة يجب التذكير بأن الفن الحديث قد حاول تجاوز ما يسمى الإرث الأوروبي لعصر النهضة وما تبعها فجرى التوجه لدراسة الآثار الفنية الافريقية (الفن الزنجي) وشعوب ماخلف البحار ولم يكتف بيكاسو بهذه الأصول الحديدة ، بل رجع إلى بدايات النحت الايبري (الاسباني القديم) وفي السنة التالية انصرف للعمل في لوحته الشهيرة (غانيات افينيون) وتعتبر هذه اللوحة من أهم الآثار الفنية للقرن العشرين فهي حصيلة دراسة تحضيرية واسعة ، خاصة لأعمال (ال حريكو) ورواياه الحادة ، والفن الزنجي وأقنعته الشهيرة ، بالإضافة إلى معرفته الدقيقة للنحت الايبري القديم ، ودراسته التحليلية لأعمال سيزان الأخيرة إن كل تلك الدراسات تعتبر ذات قيمة عظيمة ، فهي البرهان الدقيق على أن بإمكان الرسم أن يكتشف أساليب تعبيرية حديدة على مر الزمن

المرحلة التكعيبية

الفضل في ولادة الحركة التكعيبية تعود إلى شخصين بابلو بيكاسو ، والفنان الفرنسي حورج براك ، ففي خريف عام (١٩٠٧) التقى الرجلان من

بورتريه امرأة
رسمها عام ١٩٥٤

بورتريه مايا وهي ابنة الفنان بيكاسو
رسمها بالزيت عام ١٩٣٨

خلال صلتها بالشاعر ابولونير ، وما لبثا أن أصبحا زعيمي جماعة من الفنانين والكتاب الشبان فيجمعهم شملهم كل ليلة في مطعم صغير من مطاعم مونمارتر ، ليحتدم بينهم النقاش حول القديم والجديد في الفن والأدب بعامة ، وحول الفن البدائي عند مختلف الشعوب بخاصة في هذا المطعم الصغير سجلت التكعيبية ولادتها وما أن ظهرت نتاجاتها الفنية الأولى حتى انهال عليها النقد الاكاديمي متهما لفيف الفنانين « أنهم يحولون الأشكال الى مكعبات » ، أي أن أصل المفردة هو بالأساس ساخرا ومتهكما ومن باب التحديد قبل أنصار هذا اللون من الفن وصف أعمالهم « بالتكعيبية » ، فأقاموا معرضهم الأول عام (١٩١١) ، باسم « التكعيبية التحليلية »

وتعني تجزئة الجسم إلى أجزاء هندسية ، حيث تحليل الهيكل الرئيسي ومن ثم إعادة تركيبه في اللوحة فالرسام التكعيبي كان يلجأ إلى تجزئة اللوحة إلى مكعبات (سواء أكانت وجها أم قنينة أم قيثارة) ، ثم تجميع هذه المكعبات وكأنها قطع أحجار منحوتة في بنيان جديد إن بيكاسو وزميله براك على معرفة تامة بأن صورة الطبيعة لا يمكن لها أن تظهر في كتل مربعة ، بل كان هدفهم الأساسي هو الكشف عن الشكل الهندسي الذي يكمن وراء المظهر الخارجي وبعد تحليله التجريبي للأشياء ، عكف بيكاسو للتلاعب بهذه المكعبات من أجل التوصل إلى صورة تدل على « الهيكل » الأساسي الكامن داخل الجسم أو الموضوع المرسوم ، وبفعل ذلك تحولت المكعبات إلى سطوح مبسطة متداخلة تبدو عليها الحركة بفضل التلاعب بالظلال ، والإهمال المتعمد للون ، والتخلي عن الإطارات التي تحد النظر

ـ التكعيبية التركيبية بعد حصيلة هذا التفتيت للأشكال إلى عناصرها الأساسية ، ثم استخلاص بعض هذه العناصر لإعادة بنائها في صورة أخرى يظهر اتجاه جديد يدعى بالتكعيبية التركيبية ، هدفه العودة إلى واقع الأشياء فأخذ بيكاسو يختار جزءا أ عدة أجزاء من الموضوع الذي يصوره ـ ولنقل مثلا

كرسي أو ساق منضدة ـ فيرسم هذه الأجزاء اللوحة متخذا إياها بمثابة نواة يحيك حولها ما ـق له من تكوينات ثنائية الأبعاد ، متجاهلا بذلك ـد أعمدة فن التصوير منذ عصر النهضة ، وبعني ـلك المنظور ، أما صديقه براك فدخل هو أيضا في ـعامرة جديدة متسائلا ما جدوى الكد وبذل الجهد في رسم صورة على مثال الشيء المصور ؟ ولماذا لم يجر تناول هذا الشيء أو جزء منه ووضعه على اللوحة ؟ من هنا راح الرسامان يلصقان على لوحاتهما قصاصات من الجرائد أو ورق اللعب وقطع من علب الكبريت ، بل وحتى الخيش ، مضيفين إلى هذه الأشياء خطوطا وألوانا من نسيج الخيال لاستكمال التكوين وهكذا نشأ ما يسمى أسلوب (الكولاج) « التلصيق » الذي شاع استخدامه فيما بعد بين التجريبيين والسورياليين

العودة إلى الكلاسيكية

أثناء الحرب العالمية الأولى لم تسمح فرنسا للاسبان المقيمين على أراضيها بحمل السلاح ، فاستدعي براك للخدمة العسكرية في حين مكث بيكاسو في باريس ، يرسم الوجوه (بورتريه) وسط صياح واتهامات الصحافة الفنية له بخيانة التكعيبية ، وفي الحقيقة أن بيكاسو قد صد عن هذا الأسلوب بعدما التمس حدوده القصوى وتعذرها عن مسايرة تطوره المتسارع ، فقرر العمل مع الكاتب المسرحي جان كوكتو ، كمصمم للديكور وراسم للستائر لمسرحيات وباليهات عديدة ، وبالتالي السفر إلى روما وهناك قابل بيكاسو استاذ الباليه الشهير دياجيليف ، كما تعرف على بسترافسكي ، أحدث المؤلفين الموسيقيين في القرن العشرين

وتروج براقصة الباليه الروسية أولجا كوخولوفا عام (١٩١٨) التي أنجبت له ولده (باولو) ـاتسمت حياته بالاستقرار والنشوة ، مما دفعه إلى جوع رصين إلى الكلاسيكية ورسم شخوص رقيقة ـسافية

سوريالية وسنوات الحرب

إن رجوع بيكاسو للكلاسيكية لا يعني الارتماء في أحضان الأصول الأولى ، بل يعني محاولة أخرى منه لضم ما هو مفيد من التكعيبية ، واكتشاف أشكال جديدة لها ، ففي عصره الهائج لا يمكن لفنان مجدد كبيكاسو الاكتفاء الآلي بالأصول ، فأمام الجديد في القرن العشرين وصل صراع الأضداد إلى أوجه فظهرت الحركة الدادائية التي ارتبطت برمن الحرب العالمية الأولى،والاحتجاج على المدنية التي قادت للكارثة ، فعملت على مقاومة إغراءات القوالب الجاهزة و « الكليشيهات » التعبيرية السائدة التي ربمت الموضوع المراد وصفه فالدادائية هي صراع من أجل التعبير المباشر ، وهي بذلك مماثلة للسوريالية ، وليس غريبا أن ينحاز جل الدادائيين في فرنسا إلى الحركة السوريالية في منتصف العشرينيات

إن أهمية الدادائية لاتنحصر في أعمال ممثليها الرسميين (اندريه بريتون ، اراغون ، بول ايلوار) فحسب ، لأنهم لفتوا الأنظار إلى الطريق المسدود الذي وجد الفن نفسه فيه عند نهاية الحركة الرمزية ، وإلى عقم التراث الفني الذي لم يعد له أدنى اتصال بالحياة الواقعية

في هذه الدوامة العارمة انتقل بيكاسو إلى مرحلة جديدة اتصفت بتحريفات عنيفة للشكل « جروتسكية » ، وهو أسلوب ينطوي على إغراب وإغراق في السحرية والتشنيع والمقصود هنا على الأخص غرابة الشكل الذي يبدو ممسوحا في صورة شاذة عجيبة فنزعته الجروتسكية تعني القضاء المتعمد على وحدة الشخصية ، والتجائه للمحاكاة ما هو إلا شكل من الاحتجاج على عبادة الأصالة ، وتشنيعه للواقع الذي يكتسي دائما بأشكال جديدة ، ويندرج ضمن منطقه الخاص من أجل إثبات عرضية هذه الأشكال بصورة أقوى وقد أحدث هذه التشويهات للشكل أول الأمر صورا مسطحة متداخلة الخطوط ، يستطيع المرء أن يتبين فيها مع ذلك ما يشبه الإنسان ، وإذا بها تتخذ ابتداء من عام (١٩٢٧) صورة شبيهة ، مجسمة كالتماثيل ، يكاد يستحيل التعرف فيها على أي عنصر إنساني

فبيكاسو ينقلب الى ساحر ومقلده ساحر ليس من الرومانتيكية فحسب ، بل لقد ثرنا ايضا من عصر النهضة بمفهومه للعبقرية وفكرته في وحدة العمل والاسلوب ، وهو مثل خروجا تاما على النزعة الفردية والذاتية ، وانحيازا مطلقا للفن من حيث هو تعبير عن شخصيته لاتخطئها العين .

حاولت السوريالية كحركة ضم بيكاسو إلى حلقاتها دون ان يخالفها النجاح ، فهو اكبر من أن ينحصر في مفاهيم واساليب تعبيرية محددة مسبقا . وفي هذه السنوات على الاخص تأزمت علاقته الزوجية باولغا ، فانصرف لرسم الوجوه المزدوجة ، اي تصوير الانسان في صورته الجانبية والامامية ، لنصل من عنف التعبير حدا نشعر بان بيكاسو لا يصور وجها ، وإنما يصور حالة نفسية .

وبفعل تعمق الأزمة السياسية في اوروبا واندلاع الحرب الاهلية في وطنه اسبانيا انجز بيكاسو قمم اعماله الفنية ، ومنها لوحة « المرأة الباكية » المعروضة اليوم بلندن في جاليري تيت .

إن مأثرة بيكاسو الاسطورية تجسدت دون ادنى شك في جداريته « جرنيكا » عام (١٩٣٧) . فقد كانت جرنيكا مدينة هادئة مسالمة في مقاطعة الباسك الاسبانية ، بعيدة عن صوت المدافع ومجازر سنوات الحرب الاهلية ، فتعرضت إلى قصف وحشي من قبل الطائرات الهتلرية لتبيد سكانها العزل .

إن اللوحة قد تجاوزت بعدها التسجيلي والتاريخي ، لتكون نداء لصورة الإنسان حين يتمزق بدنه وسائر إربا او فتاتا . وقد يكون ذلك الانسان فلسطينيا في قرية « دير ياسين » أو مخيمي « صبرا و شاتيلا » .

في سنوات الحرب العالمية الثانية لازم بيكاسو باريس ، يرسم ويبحث في انعزال تام . فمنعت اعماله من العرض أمام الجمهور . وعلى الرغم من أن النازية قد نعتت فنه بالانحطاط لكن الجستابو لم تجاسر على المساس به ، بل عمل بعض جنرالات الجيش الهتلري المحتل لفرنسا على زيارته بين الحين والآخر . فكان بيكاسو يهدي كلا منهم صورة فوتوغرافية للوحة جرنيكا ، إلى أن زاره يوما ما أحد مندوب هتلر في باريس عارضا عليه زيادة حصته من الاغذية والوقود ، فرفض بيكاسو بإباء ، وعند الخروج وقعت عينا الزائر الثقيل على صور لجرنيكا ، فسأله : « أهو انت إذن صانع هذه اللوحة يا سيد بيكاسو ؟ » فأجابه الفنان : « كلا ، انتم الذين صنعتموها » !

فنان القرن

عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها اكتشف العالم جوانب جديدة من حياة بيكاسو فظهر انه كان نحاتا من طراز فريد ، من منحوتة « رجل وخروف » وقد نفذها عام (١٩٤٤) كاحتجاج على الحرب ، وهي اليوم معروضة في عتبة متحفه الدائم بباريس . وتركت تلك السنوات نتاجات هائلة في حقل الحفريات وفن الليتوغرافيه فأقيم له معرضان كبيران ، أحدهما في متحف اللوفر ، والثاني في المكتبة الوطنية . وانذاك اتهمه بعض النقاد على الرغم من اعجاب الجمهور ، بانه لم يكمل ثورته التي بدأها مع لوحة « غانيات افينيون » ، لكن السنوات التي بقيت من حياته أظهرت عقم تلك التقييمات الضيقة ، فراحت تسقط تلك الأقنعة الواحد بعد الآخر ، ليظهر فنه عصريا نادرا . ويجب القول في هذا الصدد بأن الفن إن كان حديثا او قديما ، لن يخلق إجماعا بين الجمهور والنقاد . وبيكاسو قد عقب يوما على ذلك قائلا : « إن فن التصوير لم يخلق لتزيين الحجرات » .

في كتاب عن بيكاسو صدر عام (١٩٣٧) تقول الكاتبة الأمريكية جرترود شتاين : « إن الأشياء التي رآها بيكاسو كانت هي الأشياء الكائنة . ويجب ألا ننسى ان حقيقة القرن العشرين ، ليست هي حقيقة القرن التاسع عشر . وقد كان بيكاسو هو الرسام الوحيد الذي شعر بذلك ، فماتيس وجميع الآخرين رأوا القرن العشرين بعيونهم ، لكنهم لم يبصروا غير حقيقة القرن التاسع عشر . أما بيكاسو فكان الوحيد بين الرسامين المعاصرين الذي رأى القرن العشرين ، وأبصر حقيقته » ☐

بقلم : الدكتور محمد علي الفرا

كان موضوع العلاقة بين البيئة والإنسان من المواضيع التي تناولها كثير من الجغرافيين والمفكرين العرب بالبحث والدراسة ، ولعل من أبرز من كتب في هذا الموضوع « الهمداني » ، والمسعودي ، وابن خلدون . وقد تبنى هؤلاء أفكار اليونان الحتمية التي تقول بأن البيئة تؤثر في الإنسان من حيث الشكل واللون والصفات الجسمية، والسلوك والطباع والأخلاق والأنشطة والفعاليات التي يمارسها الإنسان كي يحيا ويعيش .

لعل من المتعارف عليه اليوم أن البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان من مظاهر ومؤثرات وظروف وأحوال ، وعند دراسة العلاقة بين البيئة والإنسان كان القصد هو البيئة الطبيعية التي تسبق الإنسان في وجودها ، وتتألف من عناصر ومكونات لا دخل للإنسان في إيجادها ، ولم يؤثر فيها تأثيرا يغير من معالمها ، أو يخل بتوازنها وتشمل مكونات البيئة الطبيعية الموقع ، ومظاهر السطح ، وتضاريسه ، والبنية ، والأحوال المناخية ، والحياة النباتية ، والحيوانية ، الطبيعية أو البرية

أما مفهوم البيئة عند غالبية الجغرافيين والمفكرين العرب فكان أوسع من ذلك ، فقد كان يشمل السماء بما فيها من نجوم وكواكب وأبراج ، وبناء عليه يمكننا ـ لأجل التبسيط ـ القول بأن العرب ـ كالبونانيين ـ اعتقدوا بسيطرة النجوم والكواكب على بني البشر ، وفي نفس الوقت نادوا بتأثير البيئة الطبيعية على الإنسان وسنطلق على السيطرة النجمية بمؤثرات البيئة الفلكية ، تمييزا لها عن البيئة الطبيعية التي سبق شرحها

تأثير البيئة الفلكية على البشر

أخذ العرب عن اليونان ـ وبخاصة « بطليموس » ـ فكرة تأثير الأبراج والكواكب والنجوم على طبائع الشعوب وعاداتها وسلوكها وأمزجتها وينقل « الهمداني » عن « بطليموس » قوله بأنه « لما انقسمت دائرة البروج بأربعة أقسام وهي المثلثات ،

لأن كل قسم منها ثلاثة أبراج ، على طبيعة من الطبائع الأربع التي هي النار والأرض والهواء والماء ، انقسم عامر الأرض بأربعة أقسام ، كل قسم منها منسوب إلى قسم من المثلثات في الطباع ، لأن كل محيط يطبع ما أحاط به على قدر طبيعته »

وعليه تكون هذه المثلثات على النحو التالي

١ ـ المثلثة النارية ، وتشمل أبراج الحمل والأسد والقوس أو الرامي أما الكواكب المدبرة لها أو المؤثرة فهي المشتري والمريخ

٢ ـ المثلثة الترابية ، وتشمل أبراج الثور والسنبلة والجدي والكواكب المدبرة لها الزهرة وزحل

٣ ـ المثلثة الهوائية ، وتشمل أبراج الجوزاء والميزان والدلو والكواكب المدبرة لها زحل والمشتري

٤ ـ المثلثة المائية ، وتشمل أبراج السرطان والعقرب والسمكة والكواكب المدبرة لها المريخ والزهرة

وكما سبق القول فإن كل مثلثة من هذه المثلثات الأربع التي تتألف منها دائرة البروج تقابل قسما من أقسام الأرض الأربعة ، لاعتقادهم بأن الأرض مقسومة إلى أربعة أقسام أما دائرة البروج فهي الدائرة التي تصنعها الشمس نتيجة دورانها حول الأرض ، فالأرض عندهم تقع في مركز الكون ، بينما الشمس وسائر النجوم والكواكب تدور حولها

وبناء على تطابق المثلثات الفلكية على أقسام الأرض الأربعة فإن المثلثة الأولى ـ النارية ـ تنطبق على قارة أوروبا ، والمثلثة الثانية ـ الترابية ـ تنطبق على جنوب آسيا ، والمثلثة الثالثة ـ الهوائية ـ تنطبق على شمال آسيا ، أما المثلثة الرابعة ـ المائية ـ فتنطبق على افريقية

وبما أن كل مثلثة لها كواكب تدبرها فإن سلوك وطبائع سكان كل قسم من أقسام الأرض تتأثر بتلك الكواكب المدبرة لكل مثلثة تنتسب إليها على النحو التالي

١ ـ يتصف سكان أوروبا بصفات عامة ، أهمها الحرية والشجاعة والقوة ، وتتميز الأقوام الشمالية والغربية من أوروبا ـ كبريطانيا ـ بالتهور والوحشية ، أما في الجنوب ـ كايطاليا ـ فهم أصحاب سياسة ، وحب للخير

٢ ـ يتصف سكان جنوب آسيا عموما بالتشابه في الصور ، واعتدال البدن والأنفس ، وهم أصحاب سياسة ، أشداء ، محبون للحرية ، انفراديون ، محبون للموسيقا والأغاني ، يكرمون الغرباء وفي هذا القسم يقع شبه جزيرة العرب

٣ ـ يتصف سكان وسط آسيا ـ مثل ارمينية ،

شكل يوضح البروج بأسمائها المختلفة

وسمرقند وطبرستان وخراسان ـ بالنظافة والحكمة والأخلاق الحسنة والحرية ، ونسل النفوس ، وبعضهم للشر ، ومقتهم للنميمة ، يجودون بأرواحهم في الشدائد ، ولهم دهاء ومكر

٤ ـ يتصف سكان افريقية ـ مثل السودان والزنج والأحباش ـ بحرارة طباعهم ، وفيهم خبث وشر وإفك وغش وعيلة ، أصحاب شجار ونزاع ، قساة غلاظ على بعضهم

ونجد « الهمداني » في كتابه المذكور آنفاً يقسم كل قسم من أقسام الأرض الأربعة إلى أجزاء ، ويتبع كل جزء مجموعة من البلدان ، ويذكر النجوم التي تسيطر على كل قسم ، وصفات وطبائع كل منها

مؤثرات البيئة الطبيعية في الإنسان

لعل « أبو قراط » ـ Hippocrates ـ صاحب القسم الطبي المشهور ، والذي يطلق عليه « أبا الطب » والمولود سنة ٤٦٠ ق م كان أول من بحث في العلاقة بين البيئة والإنسان في رسالته ..هيرة التي أطلق عليها اسم « الأهوية والمياه ..اكن » ، وكانت أول رسالة في علم المناخ ، .. أثر طبيعة الأرض والمناخ والصحة ومن بعد .. كتب في نفس الموضوع كل من « أرسطو » ، ..مليموس » ، و « جالينوس »

وكان « المسعودي » من أوائل الجغرافيين العرب الذين كتبوا في العلاقة بين البيئة والإنسان ، فنراه في كتابه الشهير « مروج الذهب ومعادن الجوهر » يقول . « وقد ذكر جالينوس في الأسد عشر خصال ، اجتمعت فيه ، ولم توجد في غيره . تفلفل الشعر ، وخفة الحاجبين ، وانتشار المنخرين ، وغلظ الشفتين ، وتحديد الأسنان ، وسواد الحدق (الخلق) ، وتشقق اليدين والرجلين ، وكثرة الطرب »

آراء ابن خلدون في البيئة

يعتبر العلامة « عبدالرحمن بن خلدون » أكثر العلماء العرب تفصيلا في شرح العلاقة بين الإنسان والبيئة كان « ابن خلدون » متعدد المواهب ، كتب في كثير من العلوم والمعارف ، فهو واضع أسس فلسفة التاريخ ، وعلم الاجتماع ، وتطرق إلى مواضيع جغرافية متنوعة فهي مقدمة كتابه المسمى « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » يخصص ثلاث مقدمات يحلل فيها ويفسر مدى تأثير البيئة الطبيعية في الإنسان فهي المقدمة الثالثة وعنوانها « في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم » يقول ابن خلدون

« وأما الأقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الأول والثاني والسادس والسابع فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم ، فبناؤهم بالطين والقصب وأقواتهم من الذرة والعشب ، وملابسهم من أوراق الشجر ، يخصفونها عليهم ، أو الجلود ، وأكثرهم عرايا من اللباس »

وكان العرب شأنهم شأن الإغريق ، اعتقدوا بأن المعمور من الأرض ، أي المأهول بالسكان ربعها فقط ، ولذلك أطلق عليه « الربع المعمور » ، وقسموا هذا الربع إلى سبعة أقسام ، كل قسم يسمى إقليما ، يمتد من الشرق إلى الغرب ، ويتمشى من درجات العرض ، وشكله كالحزام أو البساط المفروش وهذه الأقاليم مختلفة في الطول

خريطة العالم للشريف الادريسي ومن المعلوم بأن الخرائط العربية كانت تضع الجنوب في أعلى الخريطة

والعرض ، فأطولها وأعرضها الإقليم الأول ، لأنه يشمل أراضي تقع في جنوب خط الاستواء وشماله ، ويختلف كل اقليم عن الآخر حسب اختلاف طول الليل والنهار

ونظرا لقرب الإقليم الأول والثاني من خط الاستواء ، فهما شديدا الحرارة ، بينما يتميز كل من الاقليم السادس والسابع بشدة البرودة ، لبعدهما الشديد عن دائرة خط الاستواء ، أما الإقليم الثالث والرابع فيغلب عليهما الاعتدال لموقعهما الوسط

لون البشرة نتيجة تأثير البيئة

يعتقد ابن خلدون ـ كما اعتقد غيره من العرب كالمسعودي والإدريسي ـ بأن اختلاف ألوان البشر يرجع إلى مؤثرات بيئية ، ففي المقدمة الثالثة يرى ابن خلدون أن الاختلاف بسبب تباين الحرارة في الأقاليم ، وفي ذلك يقول

« فإن الشمس سامت رءوسهم (يقصد سكان الإقليم الأول والثاني) مرتين في كل سنة ، قريبة إحداهما من الأخرى ، فتطول المسامتة عامة الفصول ، فيكثر الضوء لأجلها ، ويلح القيظ الشديد عليهم ، وتسود وجوههم لإفراط الحر ونظير هذين الاقليمين فيما يقابلهما من الشمال الإقليم السابع والسادس ، شمل سكانها أيضا البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال ، إذ الشمس لاتزال بأفقهم في دائرة مرأى العين ، أو ما قرب منها ، ولا ترتفع إلى المسامتة ، ولا ما قرب منها ، فيضعف الحر فيها ، ويشتد البرد المفرط عامة الفصول ، فتبيض ألوان أهلها ، وتنتهي إلى الزعورة ، ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون ، وبرش الجلود ، وصهوبة الشعور »

تأثير البيئة على الأخلاق والسلوك

اعتقد العرب بتأثير البيئة ـ متمثلة في المناخ ـ في سلوك الناس وأخلاقهم وقد خصص ابن خلدون المقدمة الرابعة وعنوانها « في أثر الهواء في أخلاق البشر » لبحث هذا الموضوع ، وفيها يقول

« وقد رأينا من خلق السودان (يقصد الزنوج على العموم الخفة والطيش ، وكثرة الطرب فنجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحمق في كل قطر ، والسبب الصحيح في ذلك أنه تقرر في موضعه من الحكمة أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس ، وهو انقباضه وتكاثفه وتقرر أن الحرارة مفشية للهواء والبخار ، مخلخلة له ، زائدة في كميته ، ولهذا يجد المنتشي من الفرح والسرور مالا يعبر عنه ، وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي ...منها

لخمر في الروح من مراحه ، فيتفشى الروح ، طبيعة الفرح »

البيئة في أبدان البشر

يقتصر تأثير البيئة على ألوان البشر وسلوكهم و . عهم وأخلاقهم ، بل شمل أيضا الخصائص الـ ـة والمعيشية ، ففي المقدمة الخامسة لابن خلدون ، وعنوانها « في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم » يقول

« فإنا نجد الأقاليم المخصبة العيش ، الكثيرة الزرع والضرع والأدم والفواكه ، يتصف أهلها غالبا بالبلادة في أذهانهم ، والخشونة في أجسامهم »

الأفكار البيئية تنتقل إلى أوروبا

لقد تتلمذ الأوروبيون على العلماء العرب ، وقاموا بترجمة كتبهم ، واعتنقوا الكثير من آرائهم وأفكارهم في مختلف العلوم والمعارف ، ولا شك في

أن الأوروبيين مدينون للعرب بنهضتهم التي أعقبت العصور الوسطى ، والتي اقترنت بالجهل ، وآذنت بانبثاق عصر جديد ، شعاره العلم والحرية

وقد اعتبر الأوروبيون « ابن خلدون » رائدا لكثير من العلوم ، فأخذوا عنه أسس علم الاجتماع ، وتبنوا آراءه في العلاقة بين البيئة والإنسان ، فمونتسكيو يردد أقوال ابن خلدون بأسلوبه الخاص ، ويقول بأن المناخ الحار هو سبب الجمود في العادات والتقاليد والقوانين ، وسكان المناطق الحارة ضعاف الأجسام كسالى

وقال المفكر الفرنسي « بودان » **Bodin** الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس عشر بأن للبيئة تأثيرا على البشر ، فسكان الأقاليم الشمالية يتصفون بالقسوة والغلظة والإقدام ، أما أهل الأقاليم الجنوبية فأصحاب مكر ودهاء ، ويحبون الانتقام ، ولكنهم يمتلكون القدرة على التمييز بين الحق والباطل ويتميز سكان الأقاليم المعتدلة بأنهم أوفر حظا في المواهب من أهل الشمال ، وأكثر نشاطا من أهل الجنوب ، وهم وحدهم يمتلكون موهبة التدبير التي لا غنى عنها في قيادة الشعوب

وقد ظلت الأفكار البيئية الحتمية مسيطرة حتى مطلع القرن العشرين ، حينما تحول الفلاسفة والمفكرون في الغرب إلى فكرة « الإمكانية » **Possibilism** التي تقول بأن الإنسان يختلف عن سائر الكائنات بعقله وإرادته ، وبفضل ذلك استطاع أن يتغلب على كثير من عوامل البيئة ، ولديه الكثير من الإمكانيات التي تمكنه من التأثير على البيئة وكان شعار هؤلاء « ليست هناك حتميات وإنما هناك إمكانيات » □

■ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها

أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنى ، وأن أعطي من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأعفو عمن ظلمني ، وأن يكون نطقي ذكرا ، وصمتي فكراً ، ونظري عبراً »

قصة بقلم · ابراهيم قنديل

خلف وجهه كان زجاج النافذة المغلق يؤطر مستطيلا من سماء نهار شتوي غائم ، تمتد فوق أطراف المدينة كخيمة عسكرية مغبرة ، والحجرة التي يصر على عدم إشعال أي ضوء فيها إلا بعد أن تغرق تماما في الظلام ، كانت تلفني معه في صمت ، تكثفه برودة وإظلام انتهاء النهار وقع خطا ابني عبد الرحمن كلما اقترب من باب الحجرة ، أو صياحه الذي يكلم به أمه أو جدته أو أشياء البيت ، هو كل ما يخدش هذا الصمت بين الحين والحين

على الضلع السفلي من إطار النافذة الخشبي كان يسند مؤخرة رأسه ، وخصلات طويلة شعثاء من قمتها ، حيث المنطقة الوحيدة من جسمه التي تسقط عليها بقايا ضوء النهار الشحيحة ، تبدو في لون القصة القديمة ، تماما كلون قطعة مسدسة من فئة القرشين أعطاني إياها صبيحة ذهابي إلى المدرسة للمرة الأولى منذ ثلاثين سنة تقريبا ملامح وجهه تكاد لاتتبين ، ولحيته الشيباء التي لم تعد تحلق إلا كل اسبوع عندما تترك أختي عزبة بيتها وتجيء لغسل جسده وملابسه ، تغطي وجنتيه الغائرتين بضباب يزيد وجهه شحوبا ونحولا ، عيناه شاخصتان إلى أعلى الجدار في مواجهته ، خلف مقعدي ، حيث لاشيء سوى الدهان القديم ، وذراعاه مسدلتان على مخدتيه الضامرتين داخل « روبه » الثقيل ذي المربعات الداكنة الزرقاء

حين وصلني بالسعودية منذ شهور خطاب أختي عزة لم أصدق ، وكتمت قلقي وانزعاجي ، معتقدا أنها تبالغ كعادتها ، فقد كان خلال جميع الاجازات السابقة ، قبل ثلاث سنوات يتمتع بنفس حيويته ومرحه المعهودين ، خاصة حين يداعب أيا من أحفاده أو أبنائه ، على الرغم مما كان يعتريه من الاعتلال وفقدان النشاط اللذين قد لازماه منذ توقف عن العمل منذ عشر سنين

فور وصولي الى البيت في هذه الاجازة ، وبعد الحاح لايهدأ على أمي ، تحاملت على أوجاعها التي ألزمتها الفراش منذ سنتين وأخبرتني ، وهي تبكي عجزها عن الاهتمام به ، وتبكي الموت الذي لايجيئها حتى لاتراه هكذا ، بتفاصيل حالته قد يمر يوم أو يومان دون أن ينطق ولو عبارة واحدة ، وان سأله أحد عن شيء فكأنه لايسمع ، و ان أجاب فبكلمة أو بكلمتين ، وفي الأوقات القليلة التي يبدأ فيها بالحديث ينتقل فجأة من موضوع الى آخر لا علاقة بينهما على الاطلاق ، ولا يتم هذا أو ذاك ، كلامه المنتظم المفهوم الوحيد هو ما يحدث به نفسه ، كأنه يتناقش في أمور العمل مع من ماتوا من زملائه القدامى « الباشمهندس عاصم » الذي سماك باسمه ، والمعلم « أنور » رئيس النقاشين ، وا حاج « عبد الباقي » مقاول الأنفار كان أحيانا يطلب منا أن نصنع الشاي والقهوة لهم ، كما أنه لارغبة في

---

* كاتب قصة من القطر المصري

سراب ، وعالما ما يقضي حاجته وهو جالس
ما لم يساعده أحد . في أوقات أخرى نادرة
طبيعيا تماما ، ينادي « جابر » الحلاق من
... ليصعد ويحلق ذقنه ويهذب شعره ، ويطلب
مساعدته في تغيير ملابسه ، أو استدعاء « عزة »
لعمـ...ـبا ومساعدته في الاستحمام . يسأل عنكم
واحدا واحدا ، ويحسب كم سنة باقية ليصبح
« عمر » عقيدا أو مأمور قسم ، يتساءل متى سيجيء
« عاصم » من السعودية ، ومتى تنتهي بعثة « علا »
لترجع هي وزوجها من أمريكا ، ويدعو « لعزة »
على ما يكبدها من عناء . لم نترك طبيبا واحدا لم
نذهب اليه ، لكنهم كلهم أجمعوا على أنه يعاني من
آثار الجلطة ، بالاضافة الى أعراض أخرى سببتها
الشيخوخة ، واضطراره للبقاء في البيت دون عمل .

أوشكت اجازتي على الانتهاء وأنا بعد لا أصدق أن
هذا هو أبي الذي رأيته آخر مرة منذ ثلاث سنوات ،
وما أن لمحني أهبط وزوجتي من سيارة الأجرة التي
أقلتنا من المطار حتى اختفى من النافذة ، وكانت
عصاه التي يتوكأ عليها تقرقع على بلاط الدرج ،
وصياحه بفرح يتدفق إلى الشارع : « أين عبد
الرحمن ؟ » « أين عبد الرحمن ؟ ! » كانت
تلك أول مرة يرى فيها ابني « عبد الرحمن » الذي كان
عمره حينئذ بضعة أشهر ، ولم يسمح لأحد طوال
تلك الاجازة أن يرفعه عن ركبتيه أو صدره ، بل كان
على زوجتي أن تقسم له أنها ستعيد إليه الطفل بعد
ارضاعه حتى يعطيها إياه . كانت فرحته بأول حفيد
من أحفاده يسمى باسمه تبرق في عينيه ، إذ يضم
الطفل إلى صدره ساندا رأسه بكفه ، وباحثا في
ملامحه الصغيرة عن ملامحه هو ، ويضحك والامتنان
يملأ وجهه ، مداعبا زوجتي ، « أنت وزوجك
...سن يا سهير ، الناس هذه الأيام يسمون أولادهم
« ... ، هيثم ، رامز . وليس عبد الرحمن ! »
ذلك وهو ينطق اسم « عبد الرحمن » بتفخيم
فيه ، فتضحك زوجتي معه .

... هذا هو أبي ؟ هل هذا هو « عبد الرحمن
...» الذي كان في وقت من الأوقات أشهر
مقاول في الاسكندرية ؟ هل هذا هو الرجل الذي
كان يسيطر وحده دون مهندسين أو ملاحظين على
جيش من البنائين والنجارين والنقاشين وحدادي
المسلح والعمال،ليخرج إلى الوجود أجمل المباني الباقية
حتى الآن بشوارع الاسكندرية والقاهرة والكثير من
مدن مصر ؟

كان يغضب كلما كانت أمي تلمح إلى أنه يرهق
نفسه دون طائل ، وأن غيره من المقاولين لايتعب
مثله ، ويكسب أكثر منه بكثير ، ويوضح لها مفصلا
أنه لايبني طمعا في ربح ، ولا حتى رغبة في اسكان
الناس ، بل لأنه فقط يحب مشاهدة المباني الجميلة
والمزخرفة ، ولا يتصور كيف تبنى عمارة دون نقوش
بارزة تتخللها أزهار لوتس وشموس فرعونية ،
ورءوس أسود وزخارف رومانية وحليات غائرة
وبارزة على واجهات الشرفات وأسفل النوافذ . كان
يفخر دائما أنه المقاول المسلم الوحيد الذي يلجأ اليه
المسيحيون لتشطيب زخارف كنائسهم أحيانا . هل
هذا هو أبي ؟ وهل هذا البدن الضامر المكمش
داخل « روب » ثقيل داكن هو نفس الجسد العملاق
الذي اخترق كتل المتفرجين وزحام الأمن
واللاعبين ، حين طوحتني على الأرض ركلة شرسة
من أحد لاعبي الخصم ، ليحني علي ودائرتان
كبيرتان من العرق على قميصه الأبيض تحت ابطيه
تردي رائحتها طفلا على صدره بين الوعي وغيبوبة
الألم ؟

الأثر الأخير لصفرة نهاية هذا النهار الشتوي كان
يختفي خلف زجاج النافذة ، تحت مساحة مبهمة من
لون رصاصي ثقيل ، تاركا بفراغ الحجرة ذلك
الوخز الثلجي الخافت الذي يصاحب مغيب الشمس
وتلك البرودة التي يكثفها الصمت والشرود .

كان يرجع الى البيت في مثل هذا الوقت من أيام
الشتاء ، وقد تكدست بين ذراعيه وصدره أكياس
ورقية صفراء ، يبرز من فوهاتها المكتظة البرتقال
والموز واليوسفي وأبو فروة ، أو يتبعه أحد عماله
حاملا حزمتين أو ثلاثا من القصب ، ينادي حتى قبل
أن ينغلق وراءه باب البيت : يا « عمر » . يا

« عاصم » يا « عزة » يا « علا » ، يحمل عن صدره الكبر وذراعيه أكياس الفاكهة إلى طاولة الطعام . بينما أمي تنفض عن سترته عوالق طفيفة من غبار الاسمنت والطوب يسأل كلا منا كيف قضى يومه بالمدرسة ، ويلقي بدعاباته التي لم نكن نعرف كيف يبتكرها بهذا السرعة عن ردودنا ، عن عجلة « عمر » في معاينة أكياس الفاكهة والتهام بعض مما بها ، عن بقعة حبر بجيب « بيجامة » عزة يدخل الى الحمام لنأخذ « دش » ماء بارد ، وهو كعادته لم يتكاسل عنه يوما واحدا حتى أقعده المرض نتناول العشاء الذي يمتد بحضرته ساعة أو أكثر ، ونعود إلى مذاكرة دروسنا وتظل أسماعنا ضحكاته وحكاياه مع أمي حيث مازالا جالسين إلى مائدة الطعام يشربان الشاي ويجيء وقت الالتفاف حول موقد الكحول الصغير الذي يعد عليه قهوته المسائية بنفسه ، آنية طهي « الكيك » مجوفة الوسط مترعة بالفول السوداني المحمص . وأعواد القصب التي جهزها هو وقطعها أذرعا قصيرة حتى تلك الأمسيات التي كان العمل يضطره فيها إلى الرجوع إلى البيت متأخرا ، بعد أن نكون قد نمنا أو تظاهرنا بالنوم تحت ضغط أوامر أمنا المشدده ، يرن فجأة صوته ، ونصحو على وجهه الضاحك وهو يرفع عنا الأغطية بمشاكسة أليفة ، يصر على أن نتعشى ثانية معه ، ويقشر لنا البرتقال بطريقة سريعة دقيقة لايخدش معها فص واحد

على الرغم مني انحدرت دمعة على خدي ، فمسحتها حين أحسست بأبي يدخل علينا الحجرة متجها نحوه مباشرة . هذا هو عبد الرحمن يا أبي ، انظر كيف كبر ، ألا تعرفه ؟! كاد قلبي يقفز من صدري حين أخفض بصره عن الجدار ، وحنى رأسه قليلا ناظرا إلى « عبد الرحمن » . لاحقته على الفور « وأنا عاصم ابنك . عدت من السعودية منذ شهرين » رفع وجهه ناحيتي دون أن يتغير انفعاله في شيء » أنا عاصم يا أبي ألا تريد أن تكلمني ؟! هل نسيتني ؟! » رفع حاجبيه قليلا وكسا وجهه فرح مفاجيء » أخيرا يا بحيري وافقت على العمل معي ! هذا أجمل خبر سمعته منك في حياتي » ، « يا أبي أنا « الباشمهندس » عاصم البحيري منذ سنوات أنا ابنك » يمكننا الآن نأخذ أكبر وأكثر ، وسترى بنفسك الفارق بين عملك معي وعملك في الحكومة . يا علا .. القهوة لعمك عاصم» « علا في أمريكا يا أبي والمهندس عاصم البحيري ... أنت » ! « اسمع يمكنك أن تبدأ العمل من الغد إن أحببت ، أنا مسافر إلى طنطا في الصباح بإذن الله للإطلاع على شروط مناقصة لبناء ثماني فيلات للمحافظ وكبار المديرين . ما رأيك ؟ هل تجيء معي ؟ » « يا أبي كلمني أنا أرجوك ... ! » « هه ماذا قلت ؟ ... ؟ »

كان في ... يكشفها المرء إلا ... الله ... عمر ؟ « إنه ... حين بإذن الله حدا ... الطعام

إعداد : رجاء أبو غزالة*

إن إطلاق قدرات العقل ، والتركيز الكثيف على ما هو مادي ، وعير دلك من أمور ، قد أحدث فراغا روحيا عند كثيرين من مواطني قارتي اوروبا واميركا وعيرهم ، لدلك فإن كثيراً من الصيحات والتقليعات التي تتريا بالبدائل الروحية تلاقي بعض القبول عند بعض الأفراد

ودعوة هاري كريشنا الروحية مهما أطلق عليها أتباعها من أسماء وأوصاف تبقى تقليعة من التقليعات ، وصرعة من الصرعات ، وهدا تعريف احتهادي ، ومتابعة من قبل الكاتبة لانتباه طبعا ، بل بوصله للقارىء كي يعرف أكثر

كنت أجوب « لوب » المنطقة التجارية في « شيكاغو » بحثا عن منحوتات « بيكاسو » و « هنري مور » ، عندما استوقفني أحد أفراد حركة « هاري كريشنا » الدينية ، و سألني ببساطة « هل تحبين كريشنا ؟ » في حقيقة الأمر فوجئت بوجه الشاب السكسوني الطفولي ، ورأسه الحليق إلا من خصلة شعر أشقر في الوسط ، وشعرت بمعبري عينيه الزرقاوين تسمران ذهني المشغول بتقليب صخب الشارع المكتظ بالسيارات والأسواق وأصوات الأطفال المرحة وهم في ثياب العيد

قال لي هل تتكلمين الانجليزية أم الاسبانية ؟ وقبل أن أجيبه انفلتت مني نظرة عجلى إلى مرآة إحدى ناطحات السحاب السوداء ، فوجدت نفسي أشبه بالعالم الثالث أجبت « الانجليزية »

قال وعيناه تقطران سلاما شرقيا « ربما صادفت شعب هاري كريشنا يرقص ويهرج في أحد شوارع العالم ؟

أجبت وفضولي يتسع « بالطبع إن منظ كم مألوف لدي » تذكرت كيف طلعوا علينا فجأة من شارع اكسفورد في لندن قبل عشر سنوات تأملت

* كاتبة من القطر الأردني

ثياب البيضاء المريحة ، لو شاهدتها على رحل
من الهند لما دهشت ، فالتباين بين اللونين
والأسمر يعتبر فنا ، أما أن يكون الرحل
في ثياب بيضاء ، فذلك هو العدم بحد ذاته ،
و الشاب مثل بيضة رسمت على خلفية بيضاء
من فنان أميركي عابث
تقدم لي بعض الكتب والمجلات
قلت « وهل هذه بلا مقابل ؟ »
أجاب بتردد « نعم ولكن من المستحب أن تقدمي
هبة »

« دسست يدي في جيب تنورتي وأنا أقول كم
مثلا ؟ »

قال « هذا يعتمد عليك »

سحبت دولارا وأسقطته في صندوق موضوع على
رف الكتب ثم تناولت مجلة زاهية الألوان صقيلة
الغلاف وتصفحتها أصبت بالدهشة للتكلفة العالية
لهذه المجلة بالنسبة لمظهر أفراد الحركة الدينية
المتواضع قرأت بعض العناوين الجذابة ، منها ،
« العودة إلى الله » وبحثت عن لقب ناشر الدعوة في
أميركا ، جلالة المقدس « باكتيفدانتا سوامي
براهوبارادا »

قلت في ذهني إنها « صرعة دينية » أخرى تصلح
« كتميمة » للحضارة الغربية الشرسة

المنبع اللغز !

سألني بطيبة وأنا أعاود التحديق في وجهه
الروحاني

« كم مرة تساءلت من هم هؤلاء ؟ سل لماذا
يلبسون ثيابهم على هذه الشاكلة ؟ بماذا يؤمنون ؟
ولماذا يغنون أو بالأحرى من هو كريشنا ؟ »

وأعادني بلمح البصر إلى المنبع ، إلى اللغز ، إلى
كريشنا الذي لا علم لي به

وقبل أن أفتح فمي ناولني مجلة أخرى في غاية
الدقة والجاذبية ، بعنوان « اتما » أي الروح ،
وثالثة بعنوان « من هم ؟ » ثم بكتاب عن
وكيفية إعداد أطباق الخضار الخالية من ردود
كرما فري دايت » شعرت بالخجل من كرم

الرجل الزائد على الرغم من إحساسي بالشك العميق
لحماسه هذا دسست يدي مجددا في جيبي فسارع
إلى القول « لا داعي للتبرع ، يكفي اهتمامك »

أجبت وأنا متلهفة إلى المعرفة « لا بأس أريد أن
أعرف المزيد »

قال بسرعة « هدفنا تنوير الناس بحركتنا
لدينا مدارسنا الخاصة وعملنا الخاص نزرع
الخضار ولا نتناول اللحوم نرسم وننحت ونمثل
ونعزف على آلاتنا الفريدة

كما نملك مطاعم ومزارع خاصة بنا وفي كل سنة
نقيم الاحتفالات بالاضافة إلى أن الكثير من
الأساتذة والطلاب ينضمّون إلينا كذلك علماء
النفس ورجال الدين وستصابين بالدهشة أكثر
عندما تعلمين أن حركتنا الروحانية لا تضطرّك إلى
تغيير لبسك أو تسريحة شعرك أو دينك » وكدت
أسأله لماذا تلبس هكذا إذن ، ثم صمت وتابع
« وستكتشفين أن ضمير كريشنا يعتبر أكثر من دين ،
إنه حركة روحانية عالمية ، بل عملية لأنها تحقق
السعادة الداخلية والرضا لكل إنسان وتساءلت
ما دام الأمر كذلك فأين أصبح أمر الديانتين المسيحية
والاسلامية ؟ وهل هذه شبيهة بها ؟

وتابع قائلا « إذا صادف وتحدثت إلى فرد من
مجموعة هاري كريشنا ، وتذوقت الطعام الروحاني
الذي يقدم لك فحتما ستؤمنين » تناول قطعة حلوى
من على صينية مغطاة بقطعة قماش أجفلت ثم
مددت يدي خجلا قضمت جزءا منها لذيذة مثل
حلوى المَمورة عندنا ، حلوى هندية بالطبع لوجود
الكثير من حور الهند والبهارات فيها ثم أكمل وهو
يشير إلى الكتب التي في يدي « اقرئي بعضا منها أو
عي أنشودة هاري كريشنا ، غنيها ولو مرة واحدة
وأنا على يقين بأن نظرتك ستتغير نحونا ، وبالتالي
نحو الحياة ، وهذا التغير هو المفتاح الأساسي
لتحسين نوعية الحياة على كرتنا الأرضية »

شكرته وأنا على ثقة أن علماء النفس ومن جاراهم
يساهمون في هذه الحركة بشكل فعّال أو بآخر ولكن
ما كدت أبتعد خطوات عن كشك الكتب حتى

كريشنا ـ لوحة

● مادا وراء صرعة هاري كريشنا ؟

اصطدمت نفسي التي سافرت آلاف الأميال إلى الهند بمحوتة صخمة للفنان « كالدر » ، لا أذكر اسمها بالضبط ، لكنها تبدو لي مثل حشرة حديدية حمراء حارقة للعادة ، هبطت للتو من فضاء العالم الخارجي ، وحطّت برشاقة إلى جانب مبنى ناطحة السحاب السوداء عالم غريب ووحدتي أقف مسحورة بين ثلاثة تيارات إنسانية وحضارية وجمالية تثير فضولي مجموعة من أولاد الزنوج التي تلمع وجوههم كالأحجار السوداء الكريمة تحت شمس الظهيرة ، وقد ارتفعت ضحكاتهم في سماء الأسواق المزدحمة ، مثل « بالونات » العيد الملونة ، ومجموعة هاري كريشنا التي تفترش الرصيف في محاولة يائسة لاصطياد اليائسين وإعادتهم إلى حظيرة الايمان ، وذلك التمثال المصنوع من الحديد والدم ، وقد جثم فوق مجرى الخاصر برشاقة متناهية الأبعاد إلى أيهم ألتفت ؟ إلى نهر الأبنوس الذي عبّد وما زال يعبد الاقتصاد الاميركي بدموعه ودمائه ، أم إلى هاري كريشنا الذي عبر القارات الخمس على بساط التقنية بمتاحفه ومنشوراته الحديثة ليهدي النفوس المعذبة ، أم إلى الحشرة الحديدية التي تحكم العالم بصلابة ورشاقة وجمال الحيوان المفترس ؟

ماهية هاري كريشنا

كريشنا تعني الله باللغة السنسكريتية ، وهي تشير إلى السعادة القصوى الدائمة ، أما هاري فمعناها القوة الالهية التي تساعد المؤمن للوصول إليه ، خاصة إذا ما ردد أغنية هاري كريشنا و « السانكرتانا » هو الغناء الجماعي ، عادة قديمة تسمو بالضمير العام لاستعادة أصول السمو الروحاني للبشرية ، وذلك يهب السعادة الكاملة والتواصل مع الله ، ويقضي على « الكرما » أي ردة الفعل ، محررا الروح من كل أدرانها أما « الجابا » فهو الغناء المنفرد ، وتكون تأديته بهدوء ووضوح ، أي بعبارة أخرى ، هو تأمل خاص يصاحبه تسبيح متتابع فالمتدين يحمل سبحة من مائة وثماني حبات مصنوعة من الخشب ، ويردد أغنية كريشنا بخشوع حماسي يشبه إلى حد كبير صرخة طفل ينادي أمه وتتكون الأغنية من ثلاث

معبد قصر
الذهب في
غرب فرجينيا

كلمات أو بمعنى أدق من كلمتين صيغت في ثمانية مقاطع كالتالي

هاري كريشنا هاري كريشنا
كريشنا كريشنا
هاري هاري
هاري راما هاري راما
راما راما هاري هاري

الباغماد - جيتا او غيدا

إن « الباغماد جيتا » هي تعاليم كريشنا التي تتناول حقيقة النفس والكون جاءت على شكل حوار دار بين الاله كريشنا وتلميذه « ارجونا » وهي تعتبر جوهر فلسفة الهند الروحانية التي تجيب على أهم وأعمق المسائل الانسانية المتعلقة بهوية الانسان المؤمن ووجوده، مثل ماهية الوعي، والتناسخ، وقانون ردة الفعل وأصل الكون

ماهية الوعي

تعطي تعاليم الجيتا أهمية قصوى للوعي، لأنه مركز الوجود الذي لا يتبدل أو يتغير، فتقول إن الوجه الذي نراه في المرآة كل يوم يعبرّ عن الحياة هناك نور يلمع في العينين، لكن هذا الوجه يتغيرّ مع الزمن، كذلك الجسد ثمة وعي لدينا أن هناك شيئاً في داخلنا لا يتغيّر مهما طرأ من تغيّر مستمر على أجسادنا لذا فعندما ننظر إلى أطرافنا نهتف دوماً هذه يد وتلك قدم فالنفس أو الأنا في داخلنا هي الفرد الواعي وفي حال انعدام الوعي يصبح الجسد جثماناً

وتضيف تعاليم الجيتا، لا يوجد ولادة أو موت بالنسبة للروح، لأنها خالدة دائمة الوجود، وبدائية، وهي لا تنحر عندما ينحر الجسد، إنها قوة كونية تعلو على المادة وحين تبنى أجسادنا من عناصر المادة المتغيّرة تعمل القوى النشطة في الروح على تحريكها

وقد شبهت الروح، أو منبع الوعي، بالهواء النظيف الخالي من أي رائحة، فهو حينما يحط يحمل معه رائحة مميزة، إما عطرة أو فاسدة، حلوة أو مالحة إلخ، وكل هذه الروائح تصبح بالضرورة مختلفة عن الهواء النظيف وللروح الواعية قدرة على التشكل، فبإمكانها أن تكون رجلا أو امرأة أو حيوانا، سمينا أو نحيلا، غنيا أو فقيرا، شابا أو عجوزا إلخ، آخر ما هنالك من أشكال ودلالات مؤقتة تأتي وتروح كالسحاب الذي تحركه رياح الزمن لماذا ؟ لأنها القدرة التي لا يستطيع احد تبديلها

التناسخ أو رحلة الروح السرية

تقول تعاليم الجيتا إنه ما دام للروح قدرة على التشكل فكذلك لديها قدرة على التقمص أو الهجرة من جسد إلى آخر وأن تورطها مع المادة جاء نتيجة لسلسلة شائكة، طويلة لا متناهية من الفعل وردود الفعل التي تدعى « الكرما » لذا فإن الانسان الذي يعمل صالحا في هذه الحياة يجني العمل الصالح ومن يتصرف بقسوة لاشباع رغباته تتقمص روحه جسد الحيوان الذي تتجسد فيه هذه الرغبات وتضيف التعاليم قائلة إن الانسان يمتاز عن الحيوان بالقدرة على التسامي، وكسر سلسلة التناسخ، لأنه متطور وذكي، وقابل على الاتصال بكريشنا وتحصيل المعرفة

كما تمتاز الروح أو « الاتما » أيضا بالقدرة على الاختيار بين خدمة كريشنا أو خدمة مآربها، وفي حال اختيارها الأخير تترك العالم الروحاني لتقع تحت تأثير عالم المادة، إلا أنها في الحالة الأولى تمتاز بالخلود والمعرفة والرحمة، لأنها على اتصال دائم بالله منبع الذكاء والمعرفة

الله وأصل الكون

إن معرفة الله تأتي بصور عدة « براهمان » وهو القوة الروحانية أو النور - « برامتما » أو « فشنو » وهو الروح العليا الموجودة في قلوب كل الناس

وأخيرا « بجهان » أو الانسان الأمثل وإذا فكرنا أن كريشنا هو « بجهان » فيجب أن نفكر به على أنه المدرك المسيطر المسير اللامرئي

أما الكون فتصفه تعاليم « الجيتا » على أ ه قوة

خارجية من قوى الله ، ولذا فهو لم يخلق من
وهده الفلسفة أقرب ما تكون إلى النظرية
ـة الحديثة « الانبثاق » وتتابع « الحيتا »
إن هده القوة تعمل بأمر الله على تكوين
ـوالم التي تخضع لـدورات الخلق والصيانـة
وال ، وأن فترة وجودها تستغرق ما يقارب
لا ربعة بلايين و ثلاثمائة مليون عام

وتفلسف التعاليم حيثية وحود الكون والحياة
بالفكرة القائلة ان المادة التي يتكون منها الكون
الاسان على السواء مرروعة بالقوة الروحانية ،
أن التوارن الموحود في طبيعة الأشياء يعتمد على
لدكاء والتنظيم ، تماما مثل التنظيم الدي تلاحطة في
ي شارع تمر فوقه السيارات في أي مدينة في العالم
الاسان الواعي يدرك أن وراء كل هدا قوانين قام
لى صياعتها وتطبيقها فئة من العقول الدكية
دلك هي قوانين الطبيعة الأساسية ، فهي لم تنبثق
ن العدم وهناك قوة دكية تشرف على كل شيء

جذور هذه الفلسفة

تقول الدكتورة « ديانا ايك » أستادة الديانة
لهدوسية في حامعة هارفرد إن تاريخ حركة
كريشنا يشكل حرءا لا يتجرأ من تقاليد « حوديا
سايا » الدينية القديمة التي تعود بجدورها إلى القرن
لثاني قبل الميلاد

في القرن السادس عشر الميلادي قامت حركة
باكتي » في شمال الهند ، وهي حركة تصحيحية
شبيهة بالحركة البروتستانتينية ، بإصفاء الطبول
الصنوج الصعيرة إلى فرقة إنشاد أعنية كريشنا التي
تحب الله وتتفانى في خدمته وقد جاء فيها بعد « سري
تايتانيا » وعيره بأفكار جديدة لتحسين ونشر الدعوة
ي كافة أرحاء الهند أما في عصرنا الحاصر فقد قام
سريلا براهوبادا » سنة ١٩٦٥ بنشر الدعوة في
ـه العربي

هو سريلا براهوبااردا ؟

أستاد وعالم هندي معروف ، اختص بفلسفة
ـك » القديمة هاجر إلى أميركا وهو في التاسعة
والستين من عمره لينشر دعوة كريشنا ووصل إلى
بوسطن سنة ١٩٦٥ ، وهو لا يملك سوى خمسة
دولارات ، ومجموعة من الكتب الثمينة التي تتحدث
عن فلسفة الشرق الروحانية

في نيويورك أسس جمعية هاري كريشنا العالمية
ولم يلبث أن فتح لها فروعا في كافة أنحاء الولايات
المتحدة ثم أتبعها بأربعة وعشرين مكتبا عالميا
لادارتها شيّد المعابد وفتح المدارس وعمد إلى ريارة
مراكره لإلقاء المحاصرات ثم عكف على تأليف
سبعين كتابا في الفلسفة والدين والأدب والثقافة

وقد حوت هده الكتب كافة الارشادات المتعلقة
بتحقيق الدات وطلب الحب وراحة الضمير وقد
انتشرت كتبه مثل انتشار النار في الهشيم وقامت
المكتبات في أبرر الجامعات الاميركية بشرائها ،
وأهمها جامعات . هارفرد وييل وبرنستون
واكسفورد

وقد كتب عنه « توماس هوبكر » رئيس قسم
الدراسات الدينية في كلية فرانكلين ومارشال في
الولايات المتحدة « أنه إنسان سام ومستقيم ويتمتع
بقوة خارقة تؤثر في كل من يلتقي به لا يفرض
السلطة ولكنه يستقطب الاحترام » وقد دكرت
اسيكلوبيديا برتانيكا في كتابها السنوي سنة ١٩٧٦

« لقد استطاع هذا الكاتب أن يثير الدهشة
والاعجاب في كل من يعمل في حقل الأدب والعلوم
الاكاديمية لقدرته على كتابة ونشر ٥٢ كتابا يختص
بثقافة الفادك ما بين سنة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٥

أما سريلا براهوبادا فقد عبر عن فلسفته في الحياة
في كتابه The Nectac Of Devotion أو « رحيق
التفاني » لقد عمد المجتمع الانساني في وقتنا الحاضر
إلى تعليم أطفاله حب الوطن والعائلة والدات ،
ونسي الاشارة إلى أهم كائن تدفعنا الفطرة إلى توجيه
حبنا الطبيعي إليه ، هذا الكائن هو الله فإذا تعلمنا
كيف نحبه يصبح من السهل علينا حب كل ما هو
حي » □

العقـــل المفـكّـر.

البنائي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ التعبير عن الغضب بين الزوجين

■ الحياة في الخريف

التعبير عن الغضب بين الزوجين

بقلم : راجي عنايت

إن الأوقات الحلوة والأيام السعيدة ، بين الزوجين المتآلفين ، لا تحتاج الى خبرة في تناولها ، أو الى خبير ينصح بالتصرف حيالها ، انها تمضي تلقائيا بشكل طبيعي سلس ، تحلب المتعة للطرفين ، لكن المشكلة التي تقود الى فشل الزيجات هي عدم قدرة الطرفين على التعبير عن الغضب الذي لابد ان يتولد «عن أي علاقة تآلف بين شخصين»

يقول خبراء العلاقات الزوجية إن فشل العلاقات الزوجية يرجع الى « عدم قدرة الزوجين على مواجهة غضب كل منهما »

فالثابت أنه مع زيادة الألفة تصبح احتمالات الغضب أكبر ، كما يصبح الطرفان أكثر تعرضا للاحساس بالايذاء وقد جاءت الأبحاث النفسية الحديثة لتدعم الرأي القديم الذي قال به وليام بلاك ، وهو ان الغضب الذي لا يجد متنفسا له يزداد عالما عمقا وشدة ، بيد أن هناك عدة وسائل لموا- الخلافات بشكل فعال

وقبل التعرف على هذه الوسائل يحسن بنا أن ن- أمام أشكال الخلافات

الوفاق المزيف ، وهو أول ما يلفت اليه النظ- فالكثير من العلاقات الزوجية تبدو لأصد- الزوجين وقد سادها السلام ، مع أنها علاق- محتملة بالنسبة للزوجين ومن الوقائع الد-

لمكررة التي غالبا ما يوردها جراء العلاقات
لزوجية . تلك التي تصف ذهول احدى الزوجات
ن تصرف زوجها . تقول انه خلال خمسة عشر عاما
ن الزواج لم يحدث أن رفع صوته في وجهها . أو
طى لنطا جارحا . أو شكا من تصرفاتها . كما أنها
نكر معرفتها بعدم رضا زوجها عن أي مظهر من
ظاهر علاقتهما الطويلة . وذات يوم تعود الزوجة
ى بيتها لتجد رسالة قصيرة . تركها لها الزوج . لا
تعدى كلماتها أكثر من « سأهجر البيت الى الأبد .
لان ، اعد أحتمل هذه الحياة أكثر من ذلك »

يكشف هذه الواقعة عن ظاهرة كراهية الانسان
تقليدية لاظهار غضبه . وكثير من الأزواج
محجمون عن مواجهة خلافاتهم مع زوجاتهم . خوفا
ما قد يقود اليه الافصاح عن الخلاف من توتر
حساس بالذنب واثارة وعصبية . وهم لخوفهم
نفسهم من الغضب الذي يعتمل في نفوسهم
ن احاسيس الاستياء والتوتر والشعور بالظلم
داخلهم . بدلا من محاولة الحديث عما
ونه . هؤلاء يكون التوافق الكامل في العلاقة
سم الأعلى . وهم يرون ان إعلان الاستياء

واظهار الغضب يشوهان هذه الصورة المثالية . فأي
ثمن يدفعون مقابل ذلك السلام المزعوم ؟

إنهم يضحون بأهم احتياجاتهم ورغباتهم
الشخصية . ويجلبون الركود والملل إلى علاقاتهم

الغضب المكبوت

تنشأ لدى الأزواج والزوجات غالبا عادة كبت
الغضب . خوفا من فقدان الحب . استمرارا لما
تعودوا عليه في مراحل طفولتهم . فالكثير من
الأطفال ينشأون على ما تلقوه من أن إظهار الغضب
نقيصة أخلاقية . كما أن هناك كثيرا من الأشخاص
الذين يخشون التعبير عن غضبهم . حتى لا يخسروا
الطرف الآخر . ويتعمق هذا عندما يصبح للطرف
الآخر أهمية كبيرة في حياتهم

وخوف هؤلاء من الكشف عن غضبهم . والتعبير
عن غيظهم . يجعلهم يبالغون في موقفهم هذا .
ليصبحوا أكثر حساسية . بحيث يشعرون أنه للتعبير
اللطيف الرقيق عما يغضبهم نفس العواقب الوخيمة
التي للعراك العنيف . وهكذا يتراكم الاستياء
ويتعمق الضيق

والاستياء الدقيق المكبوت يسد مسار الألفة بين الزوجين ، فإخماد المشاعر السلبية يضعف في نفس الوقت المشاعر الإيجابية . يقول (رولو ماي) في كتابه (الحب والارادة)

« الشيء الغريب الذي يثير دائما الدهشة عند الأزواج والزوجات الذين يخضعون للعلاج النفسي ، أنه بعد أن يفصح الواحد منهم عن غضبه ، ويعترف بالخصام الذي يضمره ، ويعلن الكراهية التي يحملها للطرف الآخر ، وبعد تعنيفه للطرف الآخر ، على مدى ساعة كاملة ، فإنهما ينتهيان وقد سادت بينهما مشاعر الحب المتبادل . ثم هناك ذلك المريض الذي يقبل على الطبيب النفسي الذي يعالجه وقد جاشت نفسه بالمشاعر السلبية ، لكن مع هذا يكون حريصا على كبت هذه المشاعر ، ولو بشكل لا شعوري ، محاولا ان يلعب دور الرجل الشهم ، لكنه ما يلبث ان يكتشف حبه للطرف الآخر ، في نفس الوقت الذي يكبت فيه الاستياء والغضب

هدية الزوج المحب

إن الغضب المكبوت الذي لا يجد متنفسا له يعبر عن نفسه بشكل غير مباشر ، فيبعث الارتباك في حياة الطرفين ، وهذا التعبير غير المباشر يكون سلبيا ، على شكل نسيان خطة مشتركة سبق الاتفاق عليها مع الطرف الآخر ، او تعمد تخريب هذه الخطة ، أو إثارة المشاكل بطريقة تبدو في الظاهر غير مقصودة

مثال ذلك الزوج الذي يؤمن أن تعبير الشخص عن مشاعره السلبية عمل غير أخلاقي ، وغالبا ما يقول هذا النوع من الأزواج لزوجته بأنها إنسانة مدهشة ممتازة ، على الرغم من كل ما يشعر به من استياء نتيجة لبعض تصرفاتها ، لذا فقد يعمد الى التعبير عن غضبه بشكل غير مباشر

يحدث أحيانا أن يتفق مع زوجته على القيام معها

برحلة في نهاية الأسبوع ، لينفرد بها بعيدا عن الأولا ومشاغل البيت ، وتترقب الزوجة الرحلة باشتياق شديد ، وقبل الموعد المحدد مباشرة يلغي الزوج هذ الرحلة متعللا بأسباب واهية . وفي مناسبات أخر يتصل بها مساء من مكتبه ليقول انه لن يتمكن م تناول العشاء معها ، أو مصاحبتها الى المناسب الاجتماعية التي كان قد اتفق معها على الذهاب اليها

ومن الطريف انه عندما بدأت الزوجة بطار عذائيا خاصا في محاولة لتخفيض وزنها ، تلقت م زوجها هدية ، علبة حلوى ، كمفاجأة لطيفة م الزوج المحب !

كقاعدة ، الشخص الذي يتعمد اخف عدوانيته ، لابد ان تظهر اثارها بشكل غير مباشر وتراه يضفي على دوافعه وتصرفاته مسحة من ال والللطف لتخف الكشف بشكل مباشر ع عدوانيته

ـط الدم

ـ عدم التعبير عن الغضب بشكل مباشر يمكن ان ـي الى ظهور أعراض مرضية تنتج عن التوتر ـسي ، الأمر الذي حدث للزوج (ص) ، فقد ـ وديعا دمث الخلق ، يعاني من تحكم زوجته وابنته العدوانيتين ، ونتيجة لوداعته كان يعسر عن غضبه تعبيرا سلبيا بافساد أي خطة تضعانها ، دون أن يؤخذ عليه ما يكشف غضبه حاول الطبيب المعالج أن يكشف عن غضب (ص) دون جدوى ، ولم يستطع الكشف عن هذا الغضب الا عن طريق قياس ضغط دمه ، الذي يرتفع كلما شعر بالغضب وكانت هذه هي الوسيلة الوحيدة والمؤشر الظاهر لما حرص (ص) على عدم التعبير عنه لفظيا

والثابت من هذا أن المشاعر العدوانية إذا ما ارتدت إلى داخل الشخص ، ولم تجد وسيلة للتعبير عن نفسها ، يمكن أن تخلق العديد من المشاكل الجسمانية

العنف البدني

وعلى الرغم من خطورة كبت الاستياء وتجاهل الصراع ، فإن التنفيس غير المحكوم عن الغضب ـمكن ان يكون أكثر إضرارا بالشخص ، لأن النقد ـحاد الجارح والاساءة البدنية يؤديان الى تحطيم الألفة ـين الطرفين ، والشواهد تفيد أن الذين يسمحون لأنفسهم بأن يطلق غضبهم من عقاله بلا ضابط ـضاعف احتمال اندفاعهم الى العنف البدني

ـوصول العلاقة بين الطرفين الى حد التآلف ، ـسمن نوعا من التسليم المتبادل ، مما يجعل الطرفين ـ معرضا للهجوم ، فإذا ما تبادل الطرفان إطلاق ـ الغضب الأهوج ، تحطمت العلاقة كلية

ـا حدث أن كانت لدى احد الطرفين ميول ـسية او استعداد للتلذذ بتعذيب الذات ، فإنه في ـحالة سيشجع الطرف الآخر على أن يتحول غضبه الأهوج الى ايذاء بدني ، والدليل على هذا ما حدث لواحدة من المترددات على العيادة النفسية ، لتشكو من الضرب الذي تتلقاه من زوجها في حالات سكره وبعد دراسة تاريخ حالتها تبين أنها اشتكت من نفس الشيء في زيجتين سابقتين ، مما يؤكد أن لديها ذلك الميل إلى تعذيب الذات ، وأنها تسعى دائما الى أن يتحول غضب الزوج الى إيذاء بدني

٧٥ ألف زوجة

في استبيان قامت به مجلة « ريدبوك » حول الزواج ، وأجابت عليه ٧٥ ألف سيدة متزوجة أفادت أول حقيقة ان معظم السعيدات في زواجهن يصفن حياتهن الزوجية بأوصاف لا تطابق الصورة المثالية الحالمة المبهمة للزواج عند الباقيات ، وأن الأزواج والزوجات الذين يستمتعون بعلاقة زوجية طيبة يصادفون المشاكل ويعانون مشاعر القلق ، ويواجهون الاختلافات مع الطرف الآخر ، لكنهم يعبرون عن اختلافهم بطريقة مقبولة كما تقول الدراسة إن الزوجات والأزواج يختلفون مع بعضهم بعضا ، ويتناقشون عادة حول ستة موضوعات أساسية هي العادات الشخصية للطرف الآخر ، التي تثير الغيظ والقلق ، والمال ، ومسألة عدم إظهار الكفاية من الحب ، والمشاكل القانونية ، وأسلوب تربية الأطفال ومعاملتهم ، ثم أخيرا العلاقة الحسية بين الطرفين

ومن أهم الحقائق التي كشف عنها هذا الاستبيان فيما يتعلق باختلاف الرأي بين الزوجين هو أن الطريقة التي يعبر بها الأزواج والزوجات عن الرفض أو الاختلاف ، تكون أهم بكثير من الموضوع الذي يختلف عليه الزوجان

وقالت أكثر الزوجات سعادة أنهن يتبادلن مع أزواجهن الكشف عن مسببات الاستياء ، ثم يتشاركن مع أزواجهن في البحث عن حل لها ، عن

طريق التفاهم باسلوب هادىء عقلاني . وقلن اءهن لا يعرض في علاقتهن بأرواجهن اى شكل من أشكال العراك التي طرحها الاستبيان ، كالوسائل العدوانية (مثل تبادل الشتائم) او الصياح أو التشابك البدني او البكاء أو تحطيم الأشياء ، وكالوسائل العدوانية السلبية (مثل ترك الحجرة ، أو التجهم ، أو التزام الصمت)

الرواج والتنس

يقول خبراء العلاقات الزوجية ان قدرة الشخص على التصدي للخلافات الزوجية تعتبر مهارة من المهارات ، شأنها شأن معظم المهارات ، تتطور عن طريق الخبرة ، والفهم والممارسة ، بل يقولون « اذا أردنا أن نمضي في تشبيه المهارات هذا الى أبعد من ذلك ، نقول إن تطبيق المبادىء التى سنطرحها ، يمكن مقارنته بتطبيق قواعد التنس النظرية في الملعب »

فالكتاب الذي تقرأه عن لعبة التنس يصبح مفيدا عندما تضعه موضع التنفيذ بشكل عملي ، إذ ستكتشف حينئذ أن الكثير من المبادىء يصعب تطبيقه بمهاره ، فقد يعي الشخص الأخطاء التي يقع فيها ، لكنه يحتاج وقتا حتى يتمكن من تصحيح هذه الأخطاء ، إذ أن اتباع التعليمات في طريقة الامساك بمضرب التنس أمر مزعج في البداية ، لكنه يصبح ـ مع الممارسة ـ من العادات السليمة ، وبنفس الطريقة ستختفي بالتدريج ذلك الارتباك الذي يواجهه عند البدء في تطبيق القواعد اللاحقة ، عندما يكتسب خبرة من خلال الممارسة

مبادىء المواجهة الزوجية

إن المبادىء التي نطرحها من السهل على الشخص أن يقرأها ، إلا أن تطبيقها يستوجب الاهتمام والتعاون بين طرفي العلاقة الزوجية وبحن نفترض جدلا أنك والطرف الآخر تعملان بجدية على تطوير علاقة التآلف بينكما وتنميتها والقواعد التي نطرحها تندرج تحت ثلاثة أقسام رئيسية كما يلي

قواعد اساسية

١ ـ عبّرا عن شكواكما بروح طيبة
٢ ـ تجنبا مهاجمة بعضكما بعضا
٣ ـ ركّزا على المشكلة الراهنة فقط بشكل محدد
٤ ـ اعترفا بعواطفكما ومشاعركما

اساليب محدودة

٥ ـ تخيرا الوقت المناسب
٦ ـ كونا أكثر تحديدا
٧ ـ تناولا موضوعا واحدا في جلسة النقاش الواحدة
٨ ـ اسعيا إلى تعبيرات معقولة في سلوك كل واحد منكم
٩ ـ استمعا جيدا لبعضكما
١٠ ـ حاولا ان يتقبل كل واحد منكما الاخر ويتفهمه

الوصول الى حل

١١ ـ فكرا ، وابحثا ، وتأملا
١٢ ـ كونا على استعداد لتقبل الحلول الجزئية ، غير الكاملة ، وغير النهائية
٣١ ـ ادخلا عنصر التنازل في حسابكما
٤١ ـ ليتجنب كل واحد منكما محاولة الخروج من النقاش رابحا □

● احسن مقياس لعقلية الانسان ، أهميه الموضوعات التي يتجادل فيها

(لافونتين)
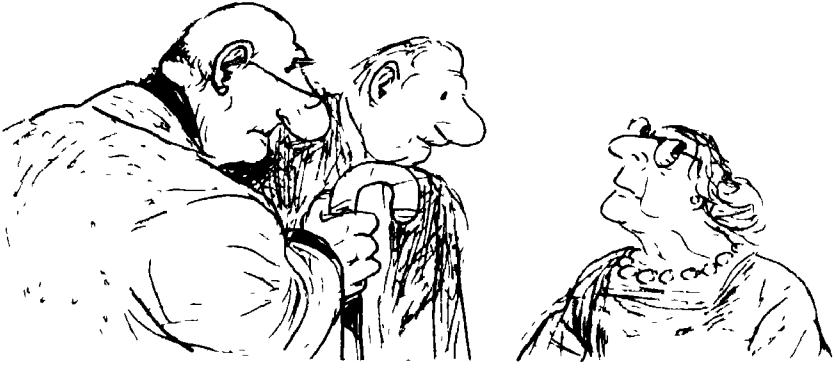
« لم يعد هناك مايقاتلان من أجله ، ولا مايحلمان به ،

ولم يبق من خريف العمر

إلا ذكريات العمر وعالم صغير يحيط بهما »

في حياة كل منا ، وداخل كل عائلة جد وجدة أو أب وام دخلوا مرحلة خريف العمر ، انفضت من حولهم الحياة بصراعاتها وأحلامها ، ونفضوا هم أيضا أيديهم من الحياة ، وعلى الرغم من التصاقنا الشديد بهم على مدى عمر مضى ، إلا أننا أحيانا نفاجأ بأننا لانعرفهم ، وأن تصرفاتهم ليست ما اعتدنا منهم ، أو نجدهم شديدي الالتصاق بنا ، كلما عصرتنا دوامة الحياة ازداد تعلقهم بنا وافتقادهم

أنماط وشهادات

همست لابنتها الكبرى : لا أدري ماذا أصاب أباك في هذه السن التي تجاوزت الستين ؟ أراه شديد الاهتمام بأناقته وملابسه ، وكل صباح يرتدي ملابسه كاملة ، ويجلس في الشرفة يحتسي قهوته الصباحية ، ويقرأ الجريدة ، ويحيى جاراتنا ، كأني به عاد إلى سن العشرين مرة أخرى

* ودمدم عاصا لابنه : أمك أصبحت عصبية إلى حد

لايطاق ، كل شيء يثيرها فيدفع رشاش عصبها ، تصور أنها تثير معارك على أشياء مضت منذ زمن طويل ، بالأمس فقط أثارت معركة حول موافقتي على زواج شقيقتك ، وهذا الزواج قد تم منذ أربعة عشر عاما، تصور ياني!

* ولأولادها قالت : لا أراه في البيت ، فهو يصحو قبل الفجر ، ويظل يعيث في البيت فسادا ، يكسر كوبا ، ويقلب مقعدا ، ويعد قهوة ، فيقلب نظام المطبخ ، ويفتح مذياعا فيطير النوم من عيني ، وبعد ذلك يغادر البيت إلى المقهى ، ولايعود إلا وقت الغداء . وبعد أن يصحو من القيلولة يغادرنا إلى المقهى مرة أخرى .

* وقال لشقيقه : علينا أن ننظم أوقاتنا معا ، ونرتب مواعيد زيارة أبينا وأمنا ، وليكن لك اسبوع ولي أسبوع آخر ، وفي منتصف الأسبوع تذهب شقيقتنا إليهما ، فبالأمس كان الأسى يملأ وجه والدي وهو يقول لي : « يبدو أنكم سيتمونا ياني ، ونحن لانريد منكم شيئا ، فقط نسعد عندما نراكم » .

* وبهدوء قال لزوجته : إن أباك وأمك سيفسدان الأطفال ، ففي الأسبوع الماضي عندما طلبت من صغيرنا أن ينزوي في ركن يؤدي واجباته المدرسية المتأخرة صرخت جدته قائلة : إن هذا حرام ، وتدخل جده قائلا : دعه يلعب معي قليلا ، ثم يؤدي واجباته . وفي نهاية اليوم نام الولد ولم يفعل شيئا .

السن والزمن

مع تقدم السن نبدأ نعاني من مشكلات صحية عديدة ، لعل أهمها وأكثرها تأثيرا على نشاطاتنا الإنسانية ، نقص كمية السكر في الدم ، مما يؤثر على أداء الأعضاء الحيوية لوظيفتها ، وبخاصة المخ والكبد والعضلات ، كما يتغير معدل التمثيل الغذائي ، ومعدل نشاط الغدد الصماء ، وتتبدل قوة دفع الدم ، وتصاب العضلات بالارتخاء . هذه المشاكل الصحية ـ الطبيعية ـ ليست منفصلة عن النشاط الإنساني ، فهي تؤثر في السلوك الإنساني وعوارض هذه المشكلات تتضح أكثر ، وبقدر ما للشكل العضوي ، في السلوك على الأخص فحالات العصبية الدائمة وقلة النوم والقلق والتوتر والملل هي نتائج رئيسية لعوارض صحية . وعندما تتفاعل هذه العوارض مع الطرف الاجتماعي الخاص بكبار السن تصبح نتائج سلوكهم العام وملامح حياتهم مختلفة تماما عما اعتدناه منهم . ولكي تقترب الصورة أكثر علينا أن نتصور كبار السن وقد بدأت علاقاتهم الاجتماعية تتقلص ، وأحلامهم الشخصية تتلاشى ، وانحصرت في نجاح أبنائهم فقط ، وعالمنا مايجهل أساؤهم تفاصيل حياتهم ، مما يجعلهم أطرافا غير فاعلين ولا مؤثرين ولا متابعين لتحقيق هذه الأحلام .

إن اليوم طويل شديد الطول مع العصبية والقلق والتوتر ، ومع الأخبار التي تتوالى عن رفاق العمر الذين يرحلون عن الدنيا ، وكل هذه العوامل تجعل آباءنا وأجدادنا أكثر حساسية ، حتى تبلغ حساسيتهم رقة الزجاج القابل للكسر .

وتبدأ المشكلات ، فالطاقات الداخلية حبيسة ، والحاجات غير مشبعة ، والتعلق بالحياة قائم ، لهذا تثور كل هذه الدوافع في صور مختلفة ، مشاجرة حينا ، واهتمام زائد بالذات حينا آخر ، ومخاوف على النفس ... إلخ .

للدكتور محمد عودة أستاذ التربية في جامعة الكويت ملاحظة علمية على هذه الحالات ، يقول : « عندما تتقلص أنشطة المسن في المجالات الاجتماعية يصبح لديه وقت طويل من الفراغ الباعث على الملل ، وهذا من شأنه أن يسبب مشاكل كثيرة للمسنين ، كتردي حالته الصحية ، أو إصابته بحالات الاكتئاب والقلق نتيجة لقلة التفاعل الاجتماعي ، إذ أن المسن يفقد فرصة الاشتراك

ـات الاجتماعية التي كان يشترك فيها أثناء وهذا يقلل من فرص الالتقاء بالأصدقاء و ـلاء والأهل »

أمان ضد الموت

. بعد صعبا الآن أن نفهم لماذا يتشبث كبار السن برؤية أبنائهم ، ففوق الحب والحنان والرغبة في الاطمئنان ، فإن الأبناء يمثلون للآباء امتدادا طبيعيا في الحياة ، بل إنهم رمز لكل حياتهم التي مضت ولأهمية هذا الإحساس فإن زيارات الأبناء تظل هي الأمان الحقيقي للآباء ضد فكرة الوحدة والخريف وانتظار الموت ، فهاهم يقرعون الباب عليهم ويعيشون في البيت صخبا ، ويعيدون الدفء إلى الغرف التي أصابتها برودة الوحدة والفراغ والملل ولذلك فإننا نرى تشبث الآباء بزيارة الأبناء وحساسيتهم المفرطة تجاه انقطاع أبنائهم عنهم ، أو تأخرهم عن زيارتهم ، وفرحهم المتجدد بأحفادهم ـ الاستمرار والتجدد ـ ولهفتهم على سماع كل تفاصيل حياة الأبناء مهما بلغ بالأبناء الضيق من هذا الإلحاح ، أو أحسوا أنه فضول بلا معنى ، فهذه « الميكانيزمات الدفاعية » ماهي إلا تصرفات تلقائية ، يعلن بها كبار السن أنهم أحياء ، وأنهم طرف فاعل في الحياة

إلا أن « ميكانيزمات » الدفاع هذه لاتقتصر فقط على التشبث بزيارة الأبناء ، بل هي تظهر في تدفق التعبير العاطفي لدى كبار السن تعبيرا عن مشاعرهم كل تجاه الآخر ، وهذا التدفق ليس شرطا أن يكون ايجابي المظهر ، بل يكون أحيانا سلبيا ، ويتمثل في صورة عنف أو عصب ، ولكنه دوما يأخذ شكل الحنان والتفاهم بين الشريكين

وإذا كانت الظروف الصحية لبعض كبار السن تسمح لهم بإقامة علاقات روحية إيجابية فإن استمتاعهم بها وقدرتهم على تحقيق الإشباع المشترك تكون أكثر من كل خبرات عمرهم السابقة

إلا أن العاطفة الحنون تظل دوما برأسها خلف كل مظاهر التعبير ، حتى لو كانت مظاهر سلبية ، فسرعان مايعود الطرفان إلى لحظة تفاهم وحنان ، لأن كل طرف منهما في النهاية يدرك أن الآخر هو الذي بقي له ، وهو الشريك والرفيق ، وهو شاهد أيام العمر التي مضت ولن تعود

وتظل حياة آبائنا في خريف العمر محتاجة منا إلى كثير من الفهم ، وكثير من الحنان ، وكثير من العطاء ، مهما كانت دوامات الحياة التي تشغلنا ، فما أقل مانعطيه لهم ، وما أكثر ما أخذناه منهم □

هل تعلم ؟

* انه يتساقط في اليوم الواحد من ٢٥ الى ١٠٠ شعرة ، ولكن الانسان الموفور الصحة يستعيدها في اليوم نفسه
* ان حياة الشعرة لاتزيد على السنتين ثم تسقط
* ان الشعر ينمو بمقدار ١٢ مليميترا تقريبا في الشهر ، وتتوقف سرعة نموه على درجة حرارة الجو فهو في الصيف أسرع نموا منه في الشتاء

هو.. هي

غـــيرة الرجـــال

● عجبت أمر هؤلاء الرجال ! لماذا يكرهون ان تبدو زوجاتهم أنيقة جميلة على الرغم من أن جمال المرأة واناقتها محسوب على الرجل ؟ فعلى الاقل سوف تمتدح الناس ذوقه ، وسوف يغار منه الرجال الاخرون لكن زوجي على ما يبدو متبلد الحس ، لا يدرك كل هذه المعاني الخافية خلف اهتمامي بأناقتي

لأننا من أسرة متوسطة الحال ، فكلانا - زوجي وأنا - موظفان ، لا نملك الا دخلنا الشهري ، فكل ما أملكه من قطع زينة ومجوهرات وذهب محدود ، لكن لان ذكائي قادر على ان يتعامل مع الواقع فأنا أبتاع قطع زينة بدات في الانتشار في الاسواق اخيرا ، وهي قطع تشابه انساخ كربيان شركات الذهب والمجوهرات ودوره العالمية ، وعلى الرغم من ارتفاع ثمنها النسبي قياسا بأنواع الزينة الاخرى الا أنني أحرص على أن أبتاع كل ما هو جديد ومباح ويبدو أن زوجي لم يستوعب هذا الحرص على اكتمال مظهري ، فانطلق يسخر مني حينئة ودهانا قلت إنه من الأدعى ان يشكرني ، لأنني لا أرهقه بطلبات تفوق قدرتنا المالية ، وأنني أيضا أرفع رأسه امام الناس الذين يرونني ويعتقدون ان ما أرتديه هو قطع زينة حقيقية ، وعندما ثار وأرغى واتهمني - ظلما - أنني اسيء اليه ، واجعله مضغة في أفواه معارفنا واصدقائنا قدمت إليه حلا اخر ، وما أن اسمع اليه حتى اغرق في ضحك هستيري ،

قلت إنني سأقول للناس ان هذه القطع هدايا من اهلي أو بعض ميراث أمي من أمها (جدتي) ، ويبدو ان هذا الحل أيضا لم يرق لهواه ، فقد انطلق في سيل من التهكمات والغمز واللمز ، وزاد الأمر سوءا عندما أحد يصرح في سخرية ويقول بانه لا يذكر ولا يعرف ان أمي قد امتلكت شيئا ثمينا باستثناء حاول حاولت أن ألفت نظره إلى أنه قد أحد يحط من شأن ويسخر مني ، لكنه أصر على أنه يفقدني من نفسي ، ويحاول ان يجمل صورتي أمام الناس ... يجعلني أضحوكة بينهم عندما أغادرهم

وازداد يقيني أنه يفعل هذا غيرة مني ، وخوف من أن يقول الناس انني بنت أثرياء وأصول وقد تزوجت رجلا عاديا مثله الم أقل إن غيرة الرجـال ... تكون أشد كيدا من غيرة النساء ؟!

.. هي

مــؤامـــرة

● نصف افاتنا تبدأ من تصورنا أننا أكثر ذكاء من الآخرين ، وأن الآخرين دائما يصدقون ما نقوله . والذين يقعون في هذا الفخ هم دوما مادة كل نادرة وسبيح كل سخرية

حاولت جاهدا أن أقول لها إن ما تفعله سلوك غير صحيح وغير صحي ، وأن الجمال يكمن في البساطة ، وأن البساطة نقيض للبهرجة ، وأنها قد تجاوزت تلك السن التي يغفر لها الناس فيها لو تبهرجت . وقلت لها إن محلات الاناقة تعرف الآن هذه القطع الرقيقة المصنوعة من الخشب والبلاستيك والزجاج بأذواق رائعة وألوان متنوعة ، لكنها لم تصدق ، ولم تر ما أرى ، وأصرت ان تبتاع وتتزين بقلادات ، تضاهي قطع مجوهرات وطرزا من الزينة معروفة عالميا بانتسابها إلى بيوت كبرى . حاولت أن أفهمها كيف يصدق الناس أن ما ترتديه حقيقي ، وانهم يعرفون إمكانياتنا ودخلنا ، ويعرفون كيف نسكن وما هو مستوانا الحقيقي . بل كيف يصدقون وهي ترتدي هذه القطع فوق فساتين متوسطة الثمن ؟! قلت لها : كيف يصدق الناس أنك ورثت هذا عن جدتك ، أو أن أهلك أهدوك إياه ، وهم يعرفون أباك وأمك وأشقاءك ؟! ولماذا تتصورين - وحدك التي تذهب إلى الأسواق وتتزين بهذه الاشياء ، خاصة أنها منتشرة في كل المحلات ؟!

عندما صدقت ما قاله لها بعض زملائها وصديقاتها بجمال تلك القطع المزيفة التي ترتديها وقيمتها تدهورت حالتها ، وصارت تصر على أنها قطع حقيقية ، وحاولت أن أنقذ صورتها ، فأحدث أطلق تعليقات هنا وهناك ، بروح من الدعابة ، لكي يستقر في ذهن السامعين أننا - هي وأنا - نسخر من كل هذه الأشياء ، وأننا نأصحاب إلى درجة أننا نمرح من أنفسنا ونمرح الجد بالمزاح ، فيتلاشى أثر ادعائها ، لكنها ثارت وادعت أنني أغير منها ، وأقسمت أنها سوف تحرجني لو تكرر موقفي هذا

وبالفعل كنا في زيارة بعض الأصدقاء ، وأدارت هي الحديث - كعادتها - كي تصل إلى قطع مجوهرات كبيرة مثبتة على قاعدة تشبه الذهب ، تحلي بها ياقة فستانها ، وأصرت بأنها حقيقية . وعندما تدخلت كعادتي لأنفي هذه التهمة فوجئت بها تقسم أنها حقيقية ، وتهورت وخلعتها من صدرها وأعطتها لصديقة لها ، قائلة اذهبي إلى أكبر محل مجوهرات في البلد - وسمّت محلا - وهو سيقول لك إن كانت حقيقية أم مزيفة

وأسقط في يدي ، وغادرنا بيت أصدقائنا وأنا أقسم ألا نريهم وجهنا مرة ثانية اتقاء للفضيحة

لكن المفاجأة أن بعض الأصدقاء اتصلوا بنا بعد يومين يدعوننا لسهرة ، وقد قالت صديقة زوجتي بأن أكبر محل مجوهرات قد قال بأن القطعة أصيلة ونادرة ، وأن ثمنها يتجاوز أربعة أرقام ، ونظرت إلى زوجتي بشماتة بالغة وآمنت أن النساء أكثر قدرة على التآمر من كل الرجال

.. هــو

طبيب الأسرة

صيدلية المنزل أم خزانة إسعاف؟

بقلم : الدكتور حسن فريد أبوغزالة

لولا ماجرى عليه الناس من العرف والعادة لكان أحرى بنا أن نلقي بهذا الاصطلاح جانبا ونقتلعه من قواميس اللغة الدارجة ، اذ لا يصح أن نستعمل اسم الصيدلية لمفهوم صندوق الاسعاف الذي نقصد به خزانة أو علبة أو صندوقا ، نلجأ اليه في حالات الطوارىء للتصرف السريع العاقل ، قبل أن يحضر الطبيب أو قبل أن نجد معونة واشرافا طبيا معتمدا . فالصيدلية بمفهومها الصحيح هي مكان تداول العقاقير، من حيث صرفها واستعمالها أو بيعها وشرائها ، والقانون يفرض مواصفات معينة يجب توافرها ، أولها وجود صيدلي معتمد ، يشرف على صرف الدواء واستهلاكه على نحو ما يقرره الطبيب ، وهو شرط لايتوافر في صيدلية المنزل

وربما قد فهم بعضهم أن صيدلية المنزل هي مكان حفظ العقاقير ، حتى يحين استعمالها ، وهذا أمر لايجوز ، لأن العقار يصرف لمرض معين ، وشخص معين ، باشارة طبيب معتمد ، وحيث أن المرضى متفاوتون في أمراضهم ، مختلفون في طبيعة أجسامهم ، فلا مجال اذن لاستعمال دواء لشخص غير الذي صرف له الدواء أصلا ، والا حمل هذا التصرف احتمالات الضرر أكثر من احتمالات الفائدة

ان صيدلية المنزل التي أحرى بنا أن نسميها خزانة الاسعاف لايجب أن تحتوي على مواد أو أجهزة الا بالقدر الذي يمكن لانسان عادي أن يستعمله ، في حالات الطوارىء ، دون أن يتعدى مهمة المسعف الأولى فقط ، اذ لامجال للعقاقير أو الأدوية في خزانة الاسعاف اطلاقا

ومن أخطاء مايجري عليه بعض الناس من حفظ مايسمى « صيدلية المنزل » مجازا (صندوق الاسعاف أو خزانة الاسعاف حقيقة) في الحمام أو المطبخ فهو أمر ضار ، ان لم يكن خطيرا ، لأن الحمام أو المطبخ هما مكانان حاران رطبان ، لايصلحان لحفظ مواد يفترض في حفظها جفاف الهواء ، واعتدال درجة الحرارة ومن هنا فان لخزانة الاسعاف مواصفات علمية ، يمكن أن نوردها بايجاز وعمومية على الوجه التالي

نختار خزانة أو صندوقا ذا حجم معقول ، من خشب أو بلاستيك أو معدن ، ويكتب عليها بخط واضح « خزانة الاسعاف » ولابأس من رسم اشارة

ـة مثل الهلال الأحمر أو الصليب الأحمر ، لال على الغرض ، وتوضع الخزانة في مكان وسط . مناسب ، قريب من الجميع ، وعلى ماع ساسب ، لاتصل اليه أيدي الاطفال ، ويجب ص على اختيار مكان معتدل الحرارة ، خفيف طوبة ، بعيدا عن أشعة الشمس المباشرة

أما ما يوضع في خزانة الاسعاف فهو الأدوات احب توافرها في كل بيت مثل ميزان الحرارة ، لع من القطن ، وأربطة من الشاش ، وأربطة ماطة ، وبعض المحاليل المطهرة ، والأشرطة ماصقة ، وقد يكون هناك مجال لوضع الجبائر المعدنية أو الخشبية ، أما عن صبغات اليود والميكروكروم والكحول فقد رأت السلطات الصحية ايقاف استعمالها ، لما ثبت من ضررها ، وانعدام الفائدة المرجوة منها ، لهذا فلا مكان لها في خزائن الاسعاف ، ويكتفى لتطهير الجروح بالماء الجاري والصابون ، أو ربما السيتافلون وربما جاز لنا أن نضع بعض الأقراص والعقاقير المألوفة الاستعمال ، مثل الاسبرين والباراسيتامول ، أو الاقراص المهدئة للمغص والألم البسيط ، أما ما عدا ذلك فلا يجوز حفظه في حزانة الاسعاف ، كما لايجوز استعماله الا باستشارة طبية معتمدة

بريد طبيب الأسرة

ساسية

● أعاني من بحة في الصوت ، واحتقان ،قيل لي انهما نوع من الحساسية من غبار المنازل فما هي هذه الحساسية ياترى ؟

ف ي

الجزائر

- يذهب بعضهم الى أن كلا منا يعاني من حساسية ما ، بمعنى أن الجسم يرفض قبول هذا و ويعبر عن رفضه له بأعراض شتى ، منها و الجلد أو في العين أو في الجهاز التنفسي ، ومن المألوف أن ترفض كثير من أجسام الناس غبار المنازل لاحتوائه على مواد أو أحياء دقيقة ، قد لاتراها العين ، ولابد لها من تحاليل واختبارات لاستكشافها

لقد شاء الله أن تكون الحساسية التي نعاني منها بسبب غبار المنازل ذات أعراض تتركز في الحنجرة والأحبال الصوتية ، مما يؤدي الى احتقانها ، والى تفاعلات أخرى يمكن للاختصاصي في الأنف والأذن الحنجرة تقصيها واكتشافها

فاذا ماثبت بالاختبار الجلدي صحة حساسية جسمك من غبار المنازل الذي تستنشقه دوما ، فربما تفيدك عمليات الحقن التدريجي بتطعيمات مشتقة من هذا الغبار ، فضلا عن تعاطيك للعقاقير المضادة للحساسية . وهذا أمر يتولاه الطبيب المتخصص

مرض الضوضاء

● أرجو تعريفا بمرض الضوضاء ، وماهي أسبابه ، وأخطاره

ع ع ع
اليمن الشمالي

ـ الضوضاء ليست مرضا جسديا كما نتوهم ، وإنما هي شكل من أشكال تلوث البيئة ، ساقته لنا المدنية وموجة التصنيع ، مع ما ساقته من مصانع وطائرات وسيارات وأبواق ، ووسائل مواصلات اخرى لهذا فالأجدر بنا أن نسميه « المرض الاجتماعي »

والصحيح أن الضوضاء هي أحداث شتى متنافرة ، تصدر عن مصادر عديدة ، بمستوى أعلى من احتمال الأذن البشرية ، فترهقها وتد[illegible] الخلايا العصبية ، ونهايات عصب السمع ، ما[illegible] الى فقدان السمع كليا أو جزئيا

هذا بالإضافة الى التعب والارهاق [illegible] والعصبي اللذين ينعكسان بصورة أمراض [illegible] أطلق عليها اسم « أمراض الحضارة » التي [illegible] الأمراض النفسية كالقلق والاكتئاب ، والأمراض الجسدية النفسية كارتفاع ضغط الدم والقرحة الهضمية

ولاسبيل للعلاج والوقاية من مرض الضوضاء [illegible] بكبح جماح هذه الأحداث ، وادراك الناس لمخاطرها ، وترشيد سلوكهم الى مايسمى [illegible] السكون

ردود سريعة

■ السيد / محمد السيد حامد حجاري ـ كفر الشيخ ـ مصر

ـ ربما كان هناك بعض الخلل العصبي ، والأمر بحاجة الى فحص من متخصص ، فراجع طبيب الأمراض الجلدية

■ السيد / م م ـ حلب ـ سوريا

ـ قصتك تستحق الطرح والمناقشة مع طبيب نفساني متخصص لاستنباط جذورها فربما كانت عوارض الشيزوفرينيا (الفصام) كما ذكرت ، والأمر يستحق الاهتمام حقا

■ السيد / رستم ـ اللاذقية ـ سوريا

ـ اذا كان سقوط الشعر بمعدل ٥٠ شعرة يوميا فهذا أمر في الحدود الطبيعية للانسان ، لايورث صلعا لأن هناك عددا مساويا ينبت في فروة الرأس ، لكن من الأفضل استشارة اختصاصي الأمراض الجلدية ، فهو أعلم وأدرى .

اما العقار الجديد لعلاج سقوط الشعر فاسمه العلمي مينوكسديل ، واسمه التجاري ريجين ومازالت المعلومات عنه محدودة ، لأنه لم يطرح في أسواقنا العربية على نطاق واسع بعد

■ السيد / عبد الناس ـ ع م ـ اسيوط ـ مصر

ـ أنت بحاجة لاستشارة اختصاصي في الغدد [illegible] اذ لايكفي السؤال ، بل لابد من فحوصات

■ الأخ أحمد سالم المشاوي ـ منوف ـ مصر

ـ لغط القلب هو أصوات للقلب ، تنتج من [illegible] يصيب صمامات القلب من مرض ما

وعلى ماتصف فالأغلب أن يكون ما أصابك نتيجة لحمى روماتيزمية ، أصابت القلب ، [illegible] ماتعاني منه من تخلف في النمو وصفرة في الوجه [illegible] في المفاصل هي من أثر هذه الحمى الروماتيزمية [illegible] توجب عليك مراجعة طبيب الأمراض [illegible] الاختصاصي للعلاج فورا

محتوى

وَهـــم

تربطني به صلات قديمة ، مد تفتح وعينا على الحياة ، كان دوما رقيقا ، متوهج المشاعر ، عصبي المزاج ، حاد الانفعال ، يخفي داخله طيبة هائلة ، وقدرة على الحنان لاتحد ، وكانت سماته هذه توقعه دوما في تجارب لايتوقعها وتفرقت بنا سبل الحياة ، وتزوج هو واستقر بعد تجربة عاطفية ناضجة ، وحمدت الله ، وتمنيت أن يخفت قليلا تأجج مشاعره ، إلى أن زارني يوما شاردا وقلقا ، فأدركت على الفور أن رقته وتوهجه مازالا يوردانه مايكرهه وما يعذبه في آن واحد

حدثني عنها ، زميلته في العمل ، رقيقة عطرة ، تفيض حيوية وتألقا ، وبها قدر من المشاغبة والتمرد ، فالناظر إليها يحسبها طفلة صغيرة لم تزل ، وهي تخفي خلف مسام جلدها بركانا من الأنوثة والدعة إنها زوجة وأم ، ولاشيء في حياتها سوى عملها وبيتها ، وعلى الرغم من ذلك فإن اللحظات التي يتعاملان فيها معا في الشركة التي يعملان بها قليلة متباعدة يقول : إن هذه اللحظات تمتلىء بفيض من البوح المكتوم ، والتيار السحري الغامض بينهما ، وتنتهي لحظات مراجعة الأوراق أو تسليمها من قسمه الذي يعمل به إلى قسمها الذي تتولى فيه هي مكانة طيبة . تنتهي اللحظات بإحساس عارم ، وإيماءة رأس ، وبسمة هادئة ، وضحكة متسعة ، وكلمة مجاملة ولأن كليهما يمثل قسما مختلفا في الشركة فإنهما كثيرا ما يصطدمان بعقبات البيروقراطية والاجراءات المكتبية ، وبعد أن يحتدا يعودان ليبحثا عن طريقة تنهي هذه الحدة ، وتأتي اللحظة الدرامية الناعمة . ابتسامة ، فكلمة مجاملة ، ثم يمضي .

ولم أتمالك نفسي من الابتسام وهو يدلل على أن كل هذه الدلائل إشارات وتعبير عن حس مشترك ، وبوح مكتوم ، واعتراف غير معلن ووجدت نفسي على خلاف ما اعتاد مني طيلة عمرنا أصرخ فيه ، طالبا منه أن يفيق ، وأن يكف قليلا عن أحلام وأوهام صنعتها طبيعته الرقيقة المتوهجة حاولت أن أقول له وهو الذي كان على الرغم من توهج مشاعره الدائم شديد التفتح ، كثير الحرص ، حاولت أن أقول له إن أخلاق العمل يكمن فيها حسن الزمالة ، والزمالة تتسع لكل ماذكره وأسهب في وصفه وتحليله ، وليس ذنب إنسان ما ، أي إنسان ، أن يفسر الآخرون تصرفاته على أنها حب أو كره وكل ما تتخيله لايصنع حبا ، إنه يسهم في صنع درجة إعجاب ، لكن كما تقول لي أنت لايوجد بينكما حوار مشترك ، ولا آمال مشتركة ، ولا خصوصية حلم ، ولا نشاط اتفاق ، ولا حتى اختلاف ، كل ما بينكما علاقة عمل محددة متباعدة .

وحاولت أن أوقظه من وهمه العذب المعذب ، لكنه نظر إلى بحزن شديد ، متهما إياي بعدم الفهم وبتبلد الحس ، وغادرني هامسا بأسى ولكنك لم ترها ، ولم تر مثلي هذا البوح المكتوم على الرغم من كل الجسور والعقبات التي بيننا ومضى □

محمود عبد الوهاب

التنازع في العمل
باب في النحو ينبغي حذفه

بقلم · محمد خليفة التونسي

لاحظ نحاتنا ان بعض الكلمات (كالأسماء والصفات) تتغير أواخرها بتغير مواقعها أو وظائفها الـ ... بين مبتدأ وفاعل ومفعول وتمييز ، فترفع أو تنصب أو تجر او تجزم ، فتوهموا ان لهذه التغيرات او الآثار عللا لفظية او معنوية أدت (وتؤدي) اليها كما تؤدي الاسباب الطبيعية في العناصر أو الظواهر الى نتائجها ، اي انهم نهجوا في دراسة الظواهر النحوية المنهج المتبع في دراسة العلوم الطبيعية ، وهذا خطأ صحم ، ومن اجل ذلك توهموا فكرة العامل او العوامل في الاعراب ، ليعللوا بها ظواهره التي تطرأ على أواخر الكلمات بين ضم او فتح او خفض او سكون ، كأنما هذه العوامل ذوات قدرات ذاتية على اداء ما ينسب اليها

وقد أدى بهم الابتداء بهذا الوهم الضخم الى اوهام وراء اوهام ليس لها أي صلة بالدراسة اللغوية ، وأقوى العوامل عندهم الفعل وما يماثله في الاشتقاق فهو عندهم يرفع الفاعل وينصب المفعول

ومن يرجع الى أقدم كتاب في النحو عندنا ، وهو « الكتاب » لسيبويه ، يجد أن نظرية العوامل تتسرب او تتدفق بإلحاح خلال كل ابوابه وفصوله ومسائله النحوية منذ اولى صفحاته حتى نهايتها ، وقد تبعه معظم أخلافه في ذلك فعللوا علامات الاعراب بمثل علله ، ثم توهموا لهذه العلل عللا ثانية ، ثم اوغلوا فتوهموا لهذه العلل الثانية عللا ، وهذا ما يسمى في النحو « العلل الثواني والثوالث » وكلها اوهام في اوهام تقوم في فراغ ، وقد كانت من اسباب تضخم النحو وتعقيده وتصعيبه على طلابه ولا سيما الناشئة ويكفي ان نقلب بابا في احد الكتب النحوية المبسوطة الجامعة ولا سيما المتأخرة لنرى امثال هذه الاوهام والمماحكات تصدع العقول وتورثها الحيرة ، فلا تهتدي الى اي قرار معقول وقد ألفت في العوامل النحوية كتب خاصة على رغم مهاجمة بعض النحاة لها ولا سيما العلل الثواني والثوالث ، وأشهر من هاجموها ابن مضاء القرطبي في كتابه « الرد على النحاة » وكان من آثار القول بعمل الفعل ونحوه ظهور باب « التنازع في العمل »

ما هو باب التنازع عند النحاة ؟ ونوضحه هنا في أيسر صوره ، ووراء ذلك صور اطول ذيولا

يقال « رضع الطفل » و « نام الطفل » فكلتا الجملتين فعل وفاعل ، والذي رفع الفاعل عند نحاتنا هو الفعل السابق له ، ولكن اذا قلنا « رضع ونام الطفل » فأقرب الى الفهم ان نعرب (الطفل) فاعلا للفعلين[1] لأن الحدثين « الرضاعة والنوم » قد استندا اليه وهما صفتان له، وقد تتعدد الاحداث او الصفات التي تنسب الى شخص ، لكن معظم ...

لا دلك،بل يرون ان يستقل كل فعل بفاعله ،
وك عل بفعله ولدلك يعربون الطفل فاعلا
لا- لفعلين (الاول او الثاني على خلاف بين
الب ين والكوفيين) ويقدرون فاعلا مستترا للفعل
الا- ويظهر دلك اوضح ادا كان الفاعل مثنى او
جمع . فلا يجوز عندهم ان يقال « رضع ونام
الطفلان » ويرون الصواب ان يقال « رضع وناما
الطفلان » او « رضعا ونام الطفلان » و « رضع
وناموا الاطفال » او « رضعوا ونام الاطفال » فيكون
الفاعل لأحد الفعلين ، وتلحق بالفعل الآخر علامة
التثنية او الجمع . وتظهر الصورة عندهم أعقد حين
يتقدم فعلان متعديان على الاسم ويقتضيه احدهما ان
يكون فاعلا ويقتضيه الآخر مفعولا ، فعندئذ يرفع
احدهما الفاعل ويعمل الآخر في ضميره فيقال
مثلا نجح فهنأت الصديقان وقابلوني فأكرمني
الاصدقاء ، فيجب دكر الفاعل لأنه العمدة كما
يقولون فلا يحذف ، والعبارتان الاساسيتان هنا
نجح الصديقان فهنأتهما » و « قابلني الاصدقاء
فاكرموني » ولكن نحاتنا يضعون بعض الكلمات محل
بعض على غير ترتيبها الأساسي ، فينشأ هدا
التعقيد

ويشتد ظهور الصورة تعقيدا ادا كان الفعلان
متعديين لمفعولين او ثلاثة ، فمثال المتعدي لمفعلين
قول ابن مالك « اظن ويظناني اخا زيدا وعمرا
اخوين » ولا بد هنا من دكر « اخا » ولا يجوز دكر
ضميره عوضا عنه فلا يقال « اظن ويظناني إياه زيدا
وعمرا أخوين » لان « اخا » مفرد و « اخوين مثنى »
والعبارة الاساسية السهلة هي « اظن زيدا وعمرا
اخوين ويظناني اخا » ومثال الفعل المتعدي لثلاثة
مفعولات ما دكره العلامة الأشموني في قوله
- مني واعلمته أياه إياه زيد عمرا قائما » وقوله

« اعلمني واعلمت زيد عمرا قائما اياه أياه » [٢]
هذا الافراط في ادخال الجمل بعضها في بعض ،
وحشر كلماتها في غير مواضعها لا يستسيغه دوق
العرب الدين يفخرون بين فضائلهم بالبيان ويسمون
لغتهم الفصيحة بل الفصحى ، ولم يذكر نحاتنا
شاهدا واحدا على ما قالوه من كلام نثري فصيح ،
وكل ما استشهدوا به لا يعدو بضعة شواهد كلها من
الشعر ، وكل الافعال فيها لا تتعدى الى مفعولين ولا
ثلاثة بل تتعدى الى مفعول واحد مثل « هوى » في
قول الشاعر

هـو يـنـي وهـويـتُ الـغـانـيـات الى
أن شِـبْـتُ ، فـانـصـرفـتْ عـنـهـن آمـالي

والفعل « ارضى » في قول الشاعر

ادا كنت تُـرضيـه ويُـرضيـك صـاحبٌ
جـهـارا ، فكُـنْ للغيب أحـفظ لـلعـهـد

فهل نسي نحاتنا هؤلاء ان للشعر ضروراته من
الاوزان والقوافي وانه قد يباح للشاعر ما لا يباح
للناثر ، وانه لذلك لا تقام قواعد اللغة على الشعر
وحده »

انهم حين تمسكوا بفكرة العوامل والوثب منها الى
القول بالتنازع في العمل قد اضطروا الى تلفيق امثلة
من اصطناعهم لم يرد نظرها في كلام مأثور ، واللغة
لا تفرض عليها القواعد ، بل يستأنس بأساليبها
لاستخلاص قواعدها والقياس عليها ، اما هده
التراكيب المعتمة المصطنعة فهي أشبه في عجمتها
بالأحاجي والالغاز التي تقصد للمعاياة والتعجيز او
بالرقي والتمتمات الخمشارية التي يلهج بها
المشعودون ليطن الجاهل انهم على شيء فلنضرب
صفحا عن هدا الباب وامثاله صنا باوقاتنا عن العبث
المردود وصيانة لكرامة عقولنا . فالوقت حياة ،
وبالعقل الزم الانسان الفضيلة فاستحق الكرامة □

---

[١] هدا جائز عند الكسائي والفراء ، يراجع باب « التنازع في العمل » في شرح ابن عقيل تصحيح عبد المتعال
الصعيدي ٢١٣ - ٢١٨

[٢] - جع باب التنازع في شرح الأشموني ، تحقيق الشيخ محيي الدين ٢٩٠ - ٣٣٩ ، والخلافات في رافع الفاعل مثلا
همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي ١٥٩/١

جمال العربية

- صفحة شعر
- هكذا غنى الأدباء

حَبْلُ التَّمَنِّي

لميخائيل نُعَيمة

ميخائيل نعيمة من قمم أدبنا العربي في هذا القرن العشرين، من مواليد قريته «بسكنتا» من جبيرة جبل صنين في لبنان، وولد في ١٧/ ١٠/ ١٨٨٩، وتلقى تعلمه العام في مدارس طائفة ارثوذكسية تابعة للامبراطورية الروسية في العهد القيصري. وكانت الابتدائية في قرية بسكنتا، وبداية المرحلة الثانوية في مدرسة الناصرة بفلسطين وكان أول صفه في نهايتها فكوفىء بارساله الى مدرسة في مدينة «بولتافا» في روسيا ليتم تعليمه، فأبقي هناك أربع سنوات كان فيها متقدما على زملائه، وبدأ خلالها ينظم الشعر بالروسية، ثم عاد الى قريته ليلحق بأخوين له في أمريكا سبقاه الى هناك طلبا للرزق وكان يرغب في اتمام تعليمه هناك. وفي مدينة واشنطن دخل جامعتها لدراسة الحقوق وقد أتمها هناك ونال شهادتها سنة ١٩١٦ ولكنه لم يمتهن المحاماة طول حياته اذ كانت نزعته الى الأدب غالبة. وقد أراد الرجوع الى لبنان فحالت دونه الحرب العالمية الأولى التي كانت قائمة يومئذ في أوروبا وكانت الولايات المتحدة مشاركة فيها، وفي سنة ١٩١٨ جند اجباريا في جيشها مع مقتته للحرب، وأرسل مع فرقة الى الجبهة الفرنسية فقضى هناك السنة الأخيرة، وكان من حظه أنه لم يبق في خطوط النار غير تسعة أيام، وفي سنة ١٩١٩ عاد الى أمريكا وفيها سرح من الجيش

وقد عمل فترة في التجارة، ثم اشتغل بـ الصحافة فنشر فيها كثيرا من مقالاته وقصصه وخالط كثيرا من الأدباء أمثاله هناك، حتى اذا كانت سنة ١٩٢٠ ألف عشرة منهم جماعة أدبية سموها «الرابطة القلمية» كان جبران خليل جبران عميدها، ونعيمة أمين سرها، وقد عمرت الرابطة حتى سنة ١٩٣١ حين مات عميدها جبران

وقد عاد أديبنا نعيمة الى قريته في لبنان سنة ١٩٣٢ وهو يقيم هناك حتى الآن وقد اشتهر بلقبه «ناسك الشخروب» والشخروب مرتفع صخري يبعد شرقي قريته بسكنتا بخمسة كيلو مترات، اتخذ منه أديبنا صومعة له، وقد بورك في عمره طولا وعرضا فهو اليوم في بداية سنته التاسعة والتسعين وتواليفه نحو الثلاثين، ولا يزال قلمه حيًّا حفظه الله

وأديبنا نعيمة عبقري متعدد المواهب متنوع الأنشطة الأدبية، تغلب عليه النزعة الصوفية في معيشته وفي آثاره، بدأ نظم الشعر بالروسية وهو دون العشرين ولكنه شاعر مقلٌّ اذ ليس له في الشعر العربي غير ديوان صغير سماه «همس الجفون» وحين كان في أمريكا أخرج كتابا في النقد الأدبي سماه «الغربال» سنة ١٩٢٣، ومسرحية سماها «الآ

وبعد عودته طبع بقية تواليفه ومنها قصة ... سماها « لقاء » ، ومجموعتان من القصص « أنوبطة » و « أكابر » ، ومن كتبه « رواد ... » و « البيادر » و « صوت العالم » « وكان ... » و « النور والديجور » و « كرم على الدرب » ... » و « في مهب الريح » وله كتاب ... ألفه بالانجليزية ثم ترجمه الى العربية وهو الى جانب ذلك رسام ، وقد ضمن ديوانه الشعري بضعة رسوم له ، وكتب سيرة حياته التي طبعت في ثلاثة أجزاء سماها « سبعون » ، كتبها حين بلغ السبعين وهو يؤمن بعقيدتين « وحدة الوجود » و « التناسخ » ، ومثله الأعلى شخصية المسيح عليه السلام ، وفيه مشابه من الشاعر الفيلسوف الهندي « رابندرانات تاجور »

حبلُ التَّمني

ـتمنى ، وفي التمني شقاءُ
وبـسـادي يا ليت كان را وكنا
وبصلي في سربا للأماني
والأماني في الجهر يضحكن منا
غير أني ، وإن كرهت التمني ،
أتمنى لو كنت لا أتمنى
ـمنى وما التمني سوى مهمار
دهر يخشنا للمسير
بصغيرا قد كنت أطلب لو كنت
كبيرا ولي صفات الكبير
وكبيرا ، لو عدت طفلا صغيرا
واستردت نفسي نعيم الصغير

*

وحليا ، لو كنت بالحق مصغى
وأسير العرام ، لو كنت حرّا
وفصيحا ، لو كنت عيّا سكوتا
وسكوتا ، لو كنت أنطق درّا
وحكيما ، لو كنت غرّا ، وغرّا
لو عرفت المكنون سرّا فسرّا
ووحيدا ، لو كان حولي ناس
ومحاطا بالناس ، لو كنت وحدي
وغريبا ، لو كنت ما بين أهلي
وقريبا ، لو طال أو دام بُعدي
ووضيعا ، لو كنت صاحب مجد
ومجيدا ، لو لم يكن لي مجدي
وفقيرا ، لو كان لي بحر مال
وغنيا لو كان لي ضعف مالي
فلكم حالة طمحت إليها
قائلا إن بلغتها قرّ بالي
وأراني ، ما زلت عبد الأماني
أتمنى لو كنت في غير حالي

*

كلنا يزرع الأماني ولا نحـ
ـصد بعد العناء غير الأماني
فالأماني حبل نسير عليه
فوق بحر الوجود كالبهلوان
والأماني يقرض حبل الأماني
كالثواني يقرض حبل الثواني

*

...ى ما زلت أجهل نفسي
وأنادي يا ليتني ولو اني
...لي في داخلي للأماني
والأماني في الجهر يضحكن مني
... أني لا بد أبلغ يوما
فيه أمسي حرّا عديم التمني
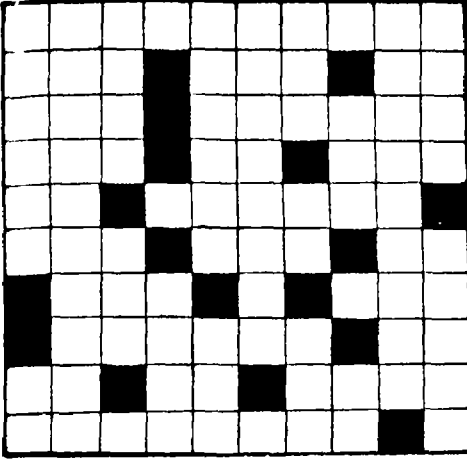
الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى اثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										
٢			■				■			
٣							■			
٤				■			■			
٥	■							■		
٦			■				■			
٧				■		■				■
٨			■							■
٩					■			■		
١٠		■								

كلمات افقية

١ من كتّاب وفلاسفة الثورة الفرنسية
٢ - أول الشيء ، تحاق وتباعد ، بمعنى صرع مقلوبة
٣- من أسّت دون أن تتروج ، من الأبجدية العربية
٤- قام بعمل الرائد ، سدة ، عرض سلعة للبيع
٥- جزيرة برتغالية غرب المغرب ، حرف مكرر
٦- تجدها في باب ، شجر من الصنوبريات ، فصل
٧- أمطر ، أرض غزيرة النبت
٨- حرفان من تابع ، اسم لعائلة مالكة بريطانية
٩- ربابي ، حُسن الحال وكثرة النعمة ، والدة
١٠- كلمة دارجة فصيحها الأحرد

كلمات رأسية

١- مفردها حرة ، أداة لصهر المعدن
٢- عاصمة دولة اسلامية كبرى
٣- كلمة يستثنى بها ، أصل النساء مقلوبة
٤- أصابها الجنون ، أعمل المكر ، هلاك
٥- مفسر أحلام عربي مشهور
٦- سياسي كوبي أسس دولة اشتراكية في بلده ، مشى
٧- غير محير
٨- جمع وعد ، صار ذا مروءة
٩- مدينة سوفييتية تسمى حاليا فولجوجراد
١٠- طمع وسعى لوصول الغاية بشتى السبل ، بحر معكوسة

حل مسابقة

العدد الماضي - ديسمبر ١٩٨٧

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ب	ا	ح	ا	ل	ع	ر	و	س	■
٢	ش	ى	ل	ر	■	ق	ر	ى	ر	ه
٣	ر	ا	د	ي	و	م	■	و	■	ن
٤	ن	د	■	ح	س	■	ص	د	ى	د
٥	و	ى	ل	■	ا	ل	ن	ا	ص	ر
٦	ب	■	و	ل	و	د	■	ح	ر	ك
٧	ى	ن	ر	■	س	■	ص	ف	ح	ه
٨	ل	و	ى	س	■	ص	ح	و	■	ر
٩	■	ا	ن	■	ع	ط	و	ر	ا	ب

مكتبة العرب

كتاب الشهر

THE GREAT DEPRESSION OF 1990

Foreword by Lester Thurow

Why it's got to happen— How to protect yourself

DR RAVI BATRA

الكساد العظيم عام ١٩٩٠م

المؤلف :

برفسور رافي باترا

مراجعة : الدكتور عبد الاله أبو عياش

« شهد العالم خلال عقد السبعينيات وما مضى من الثمانينيات عدة هرات اقتصادية حادة ، بدأت بركود أوائل السبعينيات ، وانتهت مؤخرا بانهيار أسعار العملات وسوق الأسهم ، مما دفع كثيرين من المراقبين الى التحوف من حدوث أزمة اقتصادية عالمية ، كالتي حدثت في أوائل لثلاثينيات ، لكن مؤلف هذا الكتاب يقطع بأن الأزمة قادمة ، ويعيد الى الأذهان شبح تلك الأيام السوداء ، لأن النظام الاقتصادي الرأسمالي برمته في مة حقيقية » .

الولايات المتحدة ودول العالم مقبلة على كساد كبير في عام ١٩٩٠م هذا ما يتوقعه ويؤكد عليه مؤلف هذا الكتاب البرفسور راڤي باترا يقول إن كل المؤشرات والدورات الاجتماعية والاقتصادية التي تتبع مساراتها على المستوى العالمي بشكل عام، وفي الاقتصاد الأمريكي بشكل خاص، تدل على أن التداعي الاقتصادي قادم لا محالة وتستند محاولته على تشخيص المشكلات الاقتصادية والاجتماعية المتراكمة، وإلقاء الضوء على التواترات المنتظمة في دورات التغير الاقتصادي والاجتماعي كمنطلق لتفسيراته وتوقعاته والكتاب ليس اقتصاديا بحتا، وإنما تتداخل فيه أبعاد اجتماعية وفلسفية، يعتبرها المؤلف جزءا لا يتجزأ من أطروحاته، وهو لا يقف عند حد تشخيص المشكلات واستقراء الفرع الاقتصادي الاجتماعي القادم، وإنما يحاول في الفصول الأخيرة تقديم النصائح للقراء حول الوسائل والاجراءات التي تساعدهم على امتصاص الصدمة الاقتصادية القادمة، وكيفية حماية أنفسهم، والخروج بسلام من التداعي القادم

تنبؤات سابقة

يحاول المؤلف اقناع القارىء بقدراته على التنبؤ بمتغيرات المستقبل، استنادا الى أدلة علمية، وليس مجرد تنجيم أو قراءة للمستقبل، ويقول بأن توقعاته الدقيقة تحققت بشكل مدهش في العديد من الأحداث السابقة التي تنبأ بوقوعها في محاضرة له في جامعة أوكلاهوما في ديسمبر ١٩٨٧م، فقد تنبأ بأن يسقط شاه إيران، وأن يستولي رجال الدين على السلطة، وتوقع نشوب الحرب العراقية الايرانية في عام ١٩٨٠، كما توقع بأن أوروبا ستمر بمرحلة ركود اقتصادي خطير في عام (١٩٨٦/١٩٨٧)

وقبل أن نلحص محتويات الكتاب، من الأحرى التعرف على الكيفية التي يفكر بها هذا المؤلف، حتى تتحدد أطروحاته ومنهجيته لفهم الاستنتاجات التي توصل إليها، وكما يعلق الاقتصادي الأمريكي لستر ثورو الأستاذ بمعهد (ماساشوستس التكنولوجي) في تقديمه لهذا الكتاب، أن محللي ومفسري مسارات التاريخ البشري ينقسمون الى مجموعتين، المجموعة الأولى تبني تفسيراتها في إطار التواترات الدورية المنتظمة، بينما المجموعة الأخرى تفسر الأحداث باعتبارها حالات فردية لها خصوصياتها، فالذين يؤمنون بالتواترات الدورية والمنتظمة يتهمون أحيانا بأنهم يحشرون ويجبرون الحالات والأحداث الفردية، ويفسرونها في إطار الدورات المنتظمة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية أما الذين يؤيدون التفسير الفردي للأحداث فيتهمون بأنهم يتجاهلون التأثيرات المنتظمة للقوى الاقتصادية والاجتماعية ومؤلف هذا الكتاب يتبع منهجه المجموعة الأولى التي تفسر الأحداث في إطار الدورات التاريخية المنتظمة وتؤمن بذلك

إن أهم ما يتميز به هذا الكتاب هو أن مؤلفه يعتبر من أبرز المنظرين الاقتصاديين في الجامعات الأمريكية، وهو من أصل هندي وقد حاول أن يبني توقعاته من خلال المزج بين حكمة الشرق وفلسفاته ومدخلات النماذج الاقتصادية الغربية، فالنموذج الذي يرى من خلاله تحليلاته وتوقعاته للكساد الكبير القادم مبني على قانون الدورات الاجتماعية الذي طوره واحد من أبرز علماء الاجتماع الهنود وهو (ب ساركار) بدأ ساركار بتحليل الخصائص العامة للعقل البشري ويقول إنه على الرغم من أن معظم البشر لهم تطلعات وطموحات متشابهة، إلا أنهم يختلفون،

للوصول إليها . ولهذا فإن البشر ينقسمون - الى أربع مجموعات ، والتطور التاريخي - في ... يمر من خلال الأدوار والمراحل التي تتحكم ... هذه المجموعات بالأوضاع الاقتصادية ... الاجتماعية خلال مراحل تطورها ، وهذه ... المجموعات هي العمال ، والمحاربون ، والمفكرون ، والناهبون وتكون السيطرة في المرحلة الأولى لدورة التطور الاجتماعي هي لمجموعة العمال ، وتتميز هذه المرحلة بضعف التماسك الاجتماعي ، والعودة الى البدائية وانهيار القيم والمعنويات ، وانتشار الجرائم والانحرافات ، وتحكم المادية بالمجتمع حتى العظم

المفكرون والمحاربون

وفي المرحلة الثانية تبدأ ولادة مجموعة المحاربين الذين يعيدون تنظيم المجتمعات من خلال السيطرة والقوة وتعزيز السلطة والمركزية ، وتؤدي هذه الصراعات والحروب الى توحيد مجتمعات عديدة تحت راية سلطة القوة ، وعندما تسود قوانين المحاربين وتتعزز قبضتهم وتستقر الأمور ، تتوفر البيئة الحصبة لظهور مجموعة المفكرين في المرحلة الثالثة في دورة التغير الاجتماعي وتستطيع مجموعة المفكرين بقدراتها الفكرية التأثير على الحاكم وتوجيهه من وراء (الكواليس) تعزيزا لنفوذهم ، فالمفكرون يؤيدون المحاربين لخدمة مصالحهم وللسيطرة على عامة الناس، وتستمر هذه المرحلة ما دام هناك توازن بين الفكر والسلطة ، إلا أنه عندما تضعف السلطة ، ويتسلل أشباه المفكرين والانتهازيون والناهبون في مناحي الحياة ، وتتولد مجموعة جديدة من هؤلاء الذين ليس لهم هم سوى الحصول على الماديات ، ولا يصبح لهم هدف سوى الحصول على المكتسبات المادية والثروات وتكديسها وتستخدم هذه المجموعة التي سرعان ما ... وتتضخم ، كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة للوصول الى أهدافها ، ولهذا تنتشر ... والسرقات والجرائم والانحرافات بكل أنواعها ، وتظهر نتيجة لذلك طبقة صغيرة طفيلية من الأثرياء والمرتشين والوصوليين والانتهازيين الذين يتدافعون لتكديس الثروات على حساب الأغلبية التي لا يبقى لها سوى القليل ، ويؤدي هذا التفاوت الاقتصادي الاجتماعي الحاد الى ثورة يقودها المحاربون والمفكرون والعمال لاعادة التوازن الاقتصادي والاجتماعي داخل المجتمعات

إن الاستنتاج الذي يريد مؤلف الكتاب الوصول اليه من خلال تبنيه لقانون « ساركار » في دورة التغير الاجتماعي ، هو أن المجتمع الأمريكي والعالم يمر بمرحلة الناهبين ، فهناك اليوم قلة من الناس تتجمع وتتكدس عندها ثروات طائلة ، بينما أغلبية البشر تعاني من أوضاع معيشية واجتماعية بائسة ويقول إن هذه كلها تنذر بأن هذه المرحلة الرابعة التي تعيشها أمريكا تقترب من نهايتها ، وأن الكساد الكبير القادم هو بمثابة الآلية التي ستعيد لاقتصاد الولايات المتحدة والعالم التوازن المطلوب

دورات الكساد في الاقتصاد الأمريكي

في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٢٩ حدث الانهيار الاقتصادي الكبير في سوق الأوراق المالية في نيويورك ، فتساقطت الشركات وأسهمها ، وأعلنت آلاف المؤسسات إفلاسها وخلال ثلاث سنوات كانت ٨٥ ألف مؤسسة قد أعلنت إفلاسها في الولايات المتحدة ووجد ١٢ مليون ... أنفسهم عاطلين عن العمل ، وهذا العدد يعادل ٢٥ ... من إجمالي قوة العمل في الولايات المتحدة في ذلك العام وقد امتدت آثار الكساد الكبير الى كل العالم الرأسمالي الذي وقف على حافة الانهيار الاقتصادي

إن ما حدث في اكتوبر ١٩٢٩ لم يكن سوى حلقة في سلسلة من حلقات الكساد السابقة التي تكررت أنماطها بشكل منتظم خلال تطور الاقتصاد الأمريكي ، ففي عام ١٧٨٠ شهدت أمريكا أول كساد كبير في تاريخها وبعد ذلك بستين عاما ، أي

في عام ١٨٤٠ ، حدث كساد كبير آخر ، وبعده ثلاثين عاما ، أي عام ١٨٧٠ ، واجه الاقتصاد الأمريكي ثالث كساد كبير ، واضطر الاقتصاد الأمريكي ستين عاما أخرى ليواجه الكساد الكبير في عام ١٩٣٠ إن أطروحة مؤلف هذا الكتاب تؤكد أن دورات الكساد هذه لا تحدث بمحض الصدفة ، أو بطريقة عشوائية وإنما تحدث نتيجة قوى تضغط باستمرار باتجاه تعديل الخلل المتراكم في الاقتصاد الأمريكي وما يتبعه من اقتصاد رأسمالي وعالمي

أين يكمن الخلل اذن ؟

يكمن الخلل في رأي باترا في ثلاثة أبعاد هي الخلل في النظام الرأسمالي المتمثل بدورة النمو المالي والرأسمالي ، وتكديس الثروات في أيدي القلة ، وكذلك الخلل في التضخم ، وعرض النقد ، والخلل في السياسات المالية

وطالما أن جوانب هذا الخلل مستمرة ومتكررة فإن الدورات الاقتصادية المتواترة التي أدت الى فترات الكساد الاقتصادي في الولايات المتحدة ستؤدي مرة أخرى الى ظهور الكساد الاقتصادي الكبير الذي يتوقعه في مطلع التسعينيات فما هي مؤشرات هذا الكساد الكبير ؟

مؤشرات الكساد الكبيرة

يعتقد باترا أن أقصى مدى زمني لاكتمال دورة الكساد الاقتصادي الأمريكي هي ٦٠ عاما ، وأن عام ١٩٩٠ هو نهاية هذا المدى وطالما أنه يؤمن بحتمية دورات الكساد ، فإنه على يقين بأن بداية الدورة الكبيرة في كساد الاقتصاد الأمريكي ستكون حتما في عام ١٩٩٠ ويدعم جدليته بعدد من المؤشرات أهمها أن هناك فروقا حادة في الدخول والثراء بين الأمريكيين ، وأن هذه الفروق ستتجاوز خلال السنوات القليلة القادمة ما عانى منه الاقتصاد الأمريكي في عام ١٩٢٩ ، وقد أدى استفحال هذه الظاهرة الى تزايد أعداد المليونيرية خلال عام ١٩٨٦ وحده ، من ١٤ مليونيرا الى ٢٦ مليونيرا ، كما أن هناك ٥٪ من الأمريكيين يملكون ثروات أكثر من ٤٠٪ من السكان في الولايات المتحدة ومن المؤشرات الأخرى الظروف الصعبة والأوضاع المتداعية للسوق الأمريكية ، خاصة تلك السوق المتورطة بديون تكاد تكون معدومة لدول العالم الثالث وتهدد هذه العوامل الأوضاع المالية للسوق ، وتضعها على حافة الافلاس ويشير المؤلف الى أن أوضاع السوق الأمريكية في الثمانينيات شبيهة الى درجة كبيرة بأوضاعها في العشرينيات وأن المؤشرات الخاصة بالتضخم وأسواق الأسهم والفوائد والبطالة في الثمانينيات تتشابه مع مثيلاتها في العشرينيات ، لكن المؤشر الأسوأ الذي سيكون بمثابة الضربة القاضية هو حجم العجز التجاري والمالي الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الاقتصاد الأمريكي ، فالديون الخارجية المتراكمة على الولايات المتحدة قد وصلت الى ٢٥٠ مليون دولار في نهاية عام ١٩٨٦م وفي الحقيقة أن المديونية الخارجية للولايات المتحدة هي أسوأ بكثير مما تبدو عليه ، فلم يحدث في التاريخ الاقتصادي البشري أن أصبحت الدولة الأقوى والأغنى هي الأكثر مديونية في العالم

وصايا ونصائح

يدعو المؤلف القراء الى اتباع استراتيجية مرنة ، مكونة من عدة بدائل لحماية أنفسهم من عواقب الكساد القادم في التسعينيات ، ويؤكد بأن الوصايا التسع التي يقدمها في كتابه تهدف الى تخفيض المخاطر الى أدنى مستوى ممكن وتعظيم الفوائد ، أما الوصايا

.. في إطار ما أطلق عليها بالاستراتيجية
.. ارية فتتركز على الجوانب التالية :-
.. يد من الادخار ومصروفات أقل
.. خفيض الديون الفردية الى أدنى حد ممكن
الاستمرار حتى عام ١٩٨٩ في الاستثمار في
الـ.. ات والأسهم
- تجنب الاستثمار في العقارات والذهب حتى عام ١٩٨٩ ، وأن لا تشتري ذهبا إلا عندما تنزلق أسعاره الى مستوى ٣٠٠ دولار للأونصة
- البدء ببيع جميع الموجودات الاستثمارية من أسهم وعقارات بعد منتصف عام ١٩٨٩ ، مع الاحتفاظ بسندات الخزينة الأمريكية
- البدء بتسييل الموجودات في أسواق المال في حالة انهيار البورصات العالمية ، بغض النظر عن الخسائر المترتبة على حقوق السحب
- البدء بشراء العملات الذهبية والفضية وأسهم شركات الذهب
- الاستمرار بالاحتفاظ بالسيولة وبالمعادن الثمينة ، بحيث تكون موزعة بين صندوق الأمانات في البنوك وفي المنازل
ويوجه في النهاية نصيحة خاصة لمستثمري المشاريع ، وبخاصة الصغيرة بأن يركزوا استثماراتهم في أعمال الصيانة والتصليح ، لأن المستهلكين سيتوقفون عن شراء أية منتجات جديدة ، ويركزون - بدلا عنها - على إصلاح ما يملكون وصيانته

كلمة أخيرة

هناك احتمالات كبيرة بأن تتحقق توقعات المؤلف وتنبؤاته ، خاصة في ضوء الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يمر بها الاقتصاد العالمي ، فالمؤلف يؤمن بحتمية الدورات التاريخية التي تتفاعل خلالها القوى والعوامل الاقتصادية في تواترات منتظمة ، لتؤدي في النهاية الى دورات الكساد وهو يبني تحليلاته وتوقعاته واستنتاجاته اعتمادا على ما يسميها حارما قوانين الدورات الاقتصادية والاجتماعية ، إلا أن المأخذ الكبير على منهجيته أنها تعتبر امتدادا للتفكير الاقتصادي التقليدي ، فهناك ظروف وأبعاد مستجدة ، تبرز مع التطورات التقنية ، تؤثر على الواقع الاقتصادي ، كما أن هناك حالات فردية يصعب تفسيرها في إطار قوانين الدورات المنتظمة ،

وعلى الرغم من ذلك فالتسلسل والترابط المنطقي في الكتاب يعطي للمؤلف فرصة كبيرة في إثبات مصداقية تنبؤاته وليس أمامنا إلا الانتظار فترة قصيرة ، لا تتعدى ثلاث سنوات ، للحكم على مدى صدق استنتاجاته على ماهو قادم في صورة الاقتصاد العالمي □

الشعراء أربعة أقسام

● قسم علماء الأدب الشعراء تقسيما يمكن أن يعد من المقاييس العامة للشعر ، لكنه لايفيدنا في ترتيب طبقات الشعراء الفائدة المطلوبة ، فقالوا إن الشعراء أربعة أقسام شاعر فحل ، وهو الذي يجيد الشعر ، ولايروي لغيره ، وشاعر خنذيذ ، وهو يجيد الشعر ، ويروي الجيد من شعر غيره ، فهو شاعر ، وعالم بالشعر ، وقد يطلق عليه أيضا الفحل ، فيكون أعم من الخنذيذ ، ثم شاعر وسط ، وهو الذي لايبلغ مرتبة الفحول ، ولا ينحط شعره إلى الرديء ، ثم شاعر وراو شويعر ، وهو الرديء

ساطع الحصري

رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العــربي

عرض جمال وردة

صدر مؤخرا في موسكو هذا الكتاب الجاد الذي يتناول بالبحث والتحليل سيره فيلسوف العروبة « ساطع الحصري » وأفكاره ، فكيف نظر العيون الماركسية اللينينية إلى مفهوم القوميه العربيه ، وإلى افكار منظريها الأفذاذ أمثال ساطع الحصري ؟ .

خلال السنوات العشر الأخيرة انصرفت الكاتبة السوفيتية تاتيانا تيكونوفا لدراسة فكر ساطع الحصري ، وقد حاولت تيكونوفا في كتابها هذا تسليط الضوء على المراحل الأساسية في حياة فيلسوف العروبة ، مع تتبع الاتجاهات الرئيسية في فكره النظري ونشاطه العملي ، مبينة وكاشفة للظروف الاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية التي أحاطت به ، وأثرت في تطور أفكاره وتنطلق الكاتبة السوفيتية في بحثها لهذه الحركة الفكرية الواسعة منهجية ماركسية واضحة ، وبتجرد علمي صارم فهي لم تقيّم طروحات مفكرنا العربي القومي من زاوية مدى قربها أو بعدها من الأفكار الماركسية اللينينية ، وإنما أخذتها في إطارها التاريخي الملموس ، وفي ظروفها الزمانية والمكانية المحيطة بها ، وبذلك تكون هذه الباحثة قد التزمت مبادئ المنهجية الماركسية في دراسة تاريخ الفكر الفلسفي

والاجتماعي ، كما أشار لينين في أحد أقواله

« إن تقييم المآثر التاريخية لا يكون في ضوء ما لم تقدمه الشخصيات التاريخية بالمقارنة مع المتطلبات الحالية ، بل في ضوء ما قدمته من جديد بالمقارنة مع أسلافها »

الوحدة ورص الصفوف

إن الباحث المتجرد حين يقيم هذه الأفكار أو تلك ، يجب ألا يقتصر على النظر إليها من زاوية علميتها فقط ، وألا يكيلها بمعيار الصواب والخطأ فحسب ، بل ينبغي أن يترافق معه معيار آخر هو النفع والضرر ، وفي ضوء ذلك يصبح مفهوما لدينا لماذا تتوقف الدكتورة تيكونوفا عند الجوانب الضعيفة والمحافظة وغير العلمية في إبداع الحصري ، ولم تنخرط في جدال معه حول ما يصادفها من « تشوهات » والتباسات قد تكون خاطئة حول مفهوم النظرية الماركسية في الأمة والمسألة القومية ، فاكتفت الباحثة بالاشارة الى هذا الالتباس أو هذا في فهمه لهذه الفكرة أو تلك

فكرة الوحدة العربية التي لعبت دورا هاما في رص صفوف فصائل حركة التمرد الوطني العربية في فترة النضال ضد السيطرة الامبريالية ما تزال تمثل أحد العوامل الرئيسية في حياة العرب السياسية المعاصرة ، لقد كانت الحركة القومية العربية التي تشكلت في عصر انهيار البنى التقليدية ، تهدف الى تحوير المجتمع ، وتتسم عموما بطابع علماني ، فقد كانت هذه الحركة ترتكز على تشابه المشكلات الملحة التي تعترض طريق التطور الاجتماعي في الأقطار العربية ، وتستند في صيرورتها على وحدة اللغة والتاريخ ، وعليه فان تجربة الوحدة العربية قد جاءت في المقام الاول كتجربة للنضال المشترك ضد الامبريالية ، ومن هنا يأتي التأثير الكبير الذي تمارسه الايديولوجية الوحدوية على العمليات الفكرية الجارية في الوطن العربي ، والمكانة المهمة التي يشغلها منظرو الحركة البارزون في الحياة الاجتماعية العامة

ويأتي في مقدمة هؤلاء المفكر العربي الفذ ساطع الحصري (١٨٨٠ - ١٩٦٨) الذي أرسى أسس التيار العلماني في الفكر القومي العربي لقد كان لأفكاره الأثر البالغ على أيديولوجية القومية العربية وأدبياتها في العقود اللاحقة ، وعلى فكر عدد كبير من الزعماء السياسيين العرب ، وكان لآرائه تأثير ملحوظ على نظرية الاشتراكية العربية التي تشكلت في الخمسينيات والستينيات

لقد بدأ الحصري منذ العشرينيات يسوق البراهين النظرية على وحدة الأمة العربية ، بل لقد كان من القلائل الذين أدركوا أن التيارات الفكرية السائدة آنذاك تقف عائقا أمام المسيرة الوحدوية ، وقد تميز الحصري عن غيره من دعاة الوحدة الذين عولوا على المشاعر القومية بقدرته على رؤية القوى الاجتماعية التي تصلح لأن تكون ركيزة للتوجيه القومي التقدمي ، مما انعكس في نقده الحاد للجانب الرجعي التوفيقي في قومية الأمم المضطهدة الذي بدأ يتكشف جليا بعد الاستقلال ، وهو نزوع بورجوازية البلدان الأكثر تطورا نحو بسط هيمنتها على باقي البلدان الأخرى وفي هذا الاطار راح الحصري

يؤكد على أن الدور القيادي في الحركة الوحدوية يجب أن يكون للأنظمة الساعية لتعميق التحولات الاجتماعية المتطلعة نحو العدل الاقتصادي ، وعلى الرغم من أنه كان شمس عالما التحولات الاجتماعية في البلدان الاشتراكية الا أنه كان يؤمن بامكانية تجنب الصراع الطبقي ، من خلال الاصلاحات الاجتماعية ، وعبر التأثير المعنوي على الطبقات ، وكان يعتقد ان الماركسية تحول دون التلاحم القومي لقد كانت اراؤه وتقييماته تنم عن تأثير ملحوظ بالنظرة السوبرية التي كانت واسعة الانتشار في صفوف المثقفين العرب في مطلع القرن الحالي . ومع تغير الظروف أدرك الحصري دور العوامل المادية في التطور الاجتماعي . لكن هذا رافق لديه مع فهم مثالي للتقدم ، تميل الى إناطة الأولوية فيه بالجوانب الثقافية والنسبية

ومن بين مآثر الحصري يأتي قوله بأن الدعوات الاقليمية الانعزالية تعوق رص الصفوف في الأقطار العربية في جبهة واحدة وكان لمؤلفاته التي يدافع فيها عن عروبة مصر وخطر انعزالها وقع كبير ، خاصة في الأدبيات القومية التي لعب الحصري فيها دورا بارزا في التصدي لتلك النزعات الانعزالية

نقطة الانعطاف

لقد عاش الحصري حياة مديدة ، شهد فيها الكثير من الأحداث السياسية الجليلة التي عصفت بالوطن العربي ، والتي قد ساهم هو نفسه في بعضها وقد كان لهذه الأحداث شأنها في رسم مصيره ، وفي بناء أفكاره ، فلقد كان لانهيار الامبراطورية العثمانية نقطة انعطاف في حياته ، فبعدها غادر الحصري اسطنبول وهو في التاسعة والثلاثين من عمره لينضم الى دعاة القومية العربية في دمشق ولقد سرر في أواخر القرن التاسع عشر تياران فكريان متصارعان ، هما الجامعة العثمانية والوحدة الاسلامية ، وكان المفهوم الأول يعني القول بمساواة كل مواطني الامبراطورية ، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية ، وكان هذا التيار يعكس رؤية برحوارية للدولة ، ولعله كان أكثر تـ ـ بالمقارنة مع التيار الثاني ذي البنى الاقطاعية وفي خو الصراع بين هذين التيارين تكونت اراء سا ـ الحصري الذي ولد من أسرة حلبية في مدينة ص ما عام ١٨٨٠ ، حيث كان والده يعمل قاضيـ في اليمن ، وفي عام ١٨٩٢ التحق بالقسم الداخ في المدرسة الشاهانية باسطنبول التي كانت في ذلك حـ واحدة من بؤر الاختمار الفكري ، والتي فيها ـ ـ العديد من الناشطين في حركة (تركيا الفتاة)

لم يكن اهتمام الحصري بالعلوم الطبيعية اهتمام (أكاديميا) محضا ، وإنما كان يقترن بإيمانه العميق بـ نشر المعارف العلمية بين أوسع فئات الشعب بحسبان مقدمة ضرورية لاعادة تركيب الوعي الاجتماعي الذي يجب أن يتقدم ـ في رأيه ـ سائر الاصلاحات وانطلاقا من رغبته في المساهمة النشيطة في هذه الاصلاحات قدم طلبا الى وزارة الداخلية يعبر فيه عن رغبته في العمل التربوي بإحدى ولايات مقدونيا التي كانت تدار وفقا لنظام دولي خاص تبعا لاتفاق « مورستيغ » عام ١٩٠٣ ، والتي كانت لا تخضع عمليا للادارة الحميدية وقد أصبحت مقدونية منذ عام مسرحا لنشاط أتاتورك والاتحاد التركي وأنصار تركيا الفتاة وقد تحولت فيما بعد إلى معقل للضباط الثائرين في الجيش الثالث العثماني ، واتصل ساطع الحصري بقيادة هذه الحركات جميعها ، لكنه لم ينضم إليها رسميا

ثم عهد إليه فيما بعد بإدارة مدرسة دار المعلمين بالقسطنطينية ، وكانت أهم معاهد البلاد التربوية وقد أعاد بناءها على أسس جديدة تتفق مع احر الانجازات العلمية الحديثة

وبعد سقوط الامبراطورية لجأ الى دمشق حيث التقى بالملك فيصل بن الحسين ، وربط مصيره به حيث أصبح وزيرا للمعارف في الدولة العربية الوليدة ، وبعد معركة « ميسلون » رافق الحصري فيصلا إلى الحجاز ثم مصر ثم روما ، وبعد ذلك ـ العراق ، ليشرف على وضع خطة تربوية جديدة ـ العراق وبقي هناك الى أن أبعد عام ١٩٤١ إثر ـ ـ

حـ . ـد عالي الكيلاني
مفهوم الأمة العربية الواحدة محور نظرية
حـ وقد سبق له منذ أوائل العشرينيات أن
صر. ـريفه الخاص ، الذي يؤكد فيه على العاملين
تو. ـن في تكوينها ، وهما اللغة والتاريخ ، وظل
بـ ـميه على امتداد حياته كلها ، ومع ذلك فمن
حط ـنظر الى فكر الحصري على أنه مذهب سكوني
لا يتبدل ، فبعد انقضاء فترة زمنية قصيرة راح
حصري يدخل تعديلات هامة على نظريته ، فتعلق
بالعوامل التي كان يعتبرها عرضية وثانوية كالدين
ووحدة الارض والعامل الاقتصادي

الثابت والمتحول

ان ابراز الثابت والمتحول في فكر الحصري ،
والنظر إلى العناصر المتحولة في ضوء تغير الشروط
التاريخية وتبدل ظروف الصراع السياسي ، يتيحان
الوقوف على النزعة الأساسية في تطور أفكاره ،
ويجنبان الباحث الوقوع في التقييم الأحادي المجانب
لانشاءاته النظرية ، ومن شأنها كذلك توفير إمكانية
رصد هذه السمات الايجابية المهمة مثل الانفتاح
والديناميكية إن الأمة في نظر الحصري كائن عضوي
له حياته وشعوره ، فاللغة حياة الأمة ، والتاريخ
شعورها ، والأمة التي تنسى تاريخها تكون قد فقدت
شعورها ، واصبحت في حالة من السبات ، غير أنها
تستطيع أن تستعيد وعيها بالعودة إلى تاريخها
القومي ، لكن الأمة إذا فقدت لغتها تكون عندئذ قد
فقدت الحياة ويستبعد الحصري « وحدة الأصل »
من مقومات الأمة ، لأن القرابة بين أفراد الأمم تكون
معنوية أكثر منها جسمانية ، وأن وحدة اللغة تكفل
نوعا من الوحدة في التفكير والشعور ، وهكذا نجد
الحصري يركز على المؤشرات المعنوية مجاريا في
ذلك بعض الفلاسفة الألمان أمثال « فيخته » و « نورو
او فيلسوف الفرنسي المثالي « ارنست
رينان » . وعلى الرغم من هذا التشابه ينتقد
الحصري . ويدحض هذه الاستنتاجات التي تصور
القومي » وعقل الأمة كأشياء أزلية ، وذات

أصل رباني ، والتاريخ في رأيه ليس هو التاريخ
المدون في الكتب ، بل التاريخ الحر في النفوس ،
الشائع في الأذهان إن الوحدة التاريخية تؤدي إلى
تماثل في ذكريات المفاخر السالفة ، وفي المصائب
الماضية ، وإلى تشابه في أماني النهوض وامال
المستقبل وقد لا نبالغ حين نقول إن وحدة التاريخ
بوصفها المؤشر الرئيسي الثاني من مؤشرات الأمة ،
إنما تعني عند الحصري عاملا مفتوح الأبواب للتأثير
الذاتي عليه ويتعزز طردا مع هذا التأثير ، أما الأداة
الرئيسية لهذا التعزز في نشر المعارف التاريخية ، ولهذا
يولي الحصري تعلم التاريخ الدور الحاسم في التركية
الوطنية والقومية

تحولات اقتصادية واجتماعية

وقد تطرق الحصري للمسائل المتعلقة بالاقتصاد
لأول مرة في أوائل الخمسينيات ، وقد كان التفات
فيلسوف العروبة إلى القضايا الاجتماعية
والاقتصادية في تلك الفترة أمرا طبيعيا ، فقد برزت
إلى الواجهة بعد حصول الأقطار العربية على
استقلالها.ان التحولات التي طرأت على البنى
الاقتصادية والاجتماعية قد هيأت الأسبة للانشطار
الطبقي سواء داخل الأقطار العربية أو على الصعيد
الدولي ، وفي ضوء ذلك يسترعي الانتباه تبدل نظرة
الحصري الى العامل الاقتصادي ، ففي البداية كان
الحصري يتجنب الخوض في مشكلة التناقضات
الاقتصادية على الرغم من اعترافه بوجودها ، ثم نراه
يعترف بأن العوامل الاقتصادية تلعب دورا هاما في
حياة الأفراد والجماعات ، وتؤثر تأثيرا قويا في
أحداث التاريخ واتجاهاته ، لكن عدم الفهم
الصحيح لمنطق العلاقات الاقتصادية قد دفع
الحصري الى إنكار صلتها بتكون الأمة ، وإلى
إدراجها في مضمار نشاط الدولة فقط

« إن المصالح الاقتصادية من أقل الأمور التصاقا
بالقوميات ، وأشدها خضوعا لسلطات الحكومات ،
وهنا يتفق الحصري مع النظرة الهيغيلية للدولة ،
فالتنظيم الناجح للحياة الاقتصادية وفقا للمصلحة

العامة يتوقف على طيبة خاطر « الحكومة الحكيمة »

ويعود هذا الموقف - في الكتب منه - الى الظروف الاجتماعية التي كان يعيش فيها الوطن العربي في الحقبة التاريخية التي تشكلت فيها اراء الحصري ، فالتخلف الاجتماعي العام وتعدد الاطر الاقتصادية وضعف التمايز الطبقي وتدني مستوى الوعي ، كل هذه الامور لم تكن لتتيح للمفكرين القوميين الطليعيين - وبينهم الحصري - ان يقدروا العامل الاقتصادي حق التقدير ثم حدثت ثغرات جدية في فهم الحصري للوحدة العربية ، خصوصا بعد فشل التجربة الوحدوية بين مصر وسوريا ، فقد اسرى مفكرنا العربي لشن حملة عنيفة على الفئات البرجوازية والاقطاعية التي تلاعبت بالمشاعر الوطنية ، فصار يعرف الوحدة عن انها تلاحم القوى التقدمية والديمقراطية على طريق التحول الثوري للمجتمع ، كما أعاد الحصري النظر في موقفه حيال القوى الاجتماعية التي تلعب الدور الطبيعي في معركة الوحدة العربية كان في البداية يعول على النشئة القومية لأنجلسيا جديدة ، تعطي الزخم المطلوب للمسيرة الوحدوية . أما في اعماله الأخيرة فقد اقترب فيلسوف العروبة من إدراك ماهية الفئات المعنية فعليا بالاصلاحات الجديدة

رائد في التنوير

لقد كان التنوير اهم ميادين النشاط العلمي لمفكرنا ، حيث كرس له زهاء ستين عاما من حياته ، فالاصلاحات الواسعة التي أدخلها على أنظمة التعليم في العراق وسوريا كانت تهدف أساسا الى تحرير الأذهان من الأوهام الخرافية والغيبية ، بنشر المعارف العلمية وتصفية مخلفات السياسة التعليمية الاستعمارية في الأقطار العربية وفي إطار سعيه من اجل ترسيخ وحدة العرب السياسية كان الحصري يعطي أهمية كبيرة لتوحيد النظم التربوية والتعليمية

إن التقييم الاجمالي لنظرة الحصري القومية يقتضي ان نأخذ بالحسبان تلك الازدواجية التي أشار اليها « لينين » في معرض حديثه عن موقف الماركسيين من النزعة القومية لدى الأمم المضطهدة ، فإلى جانب المنحى التقدمي المتجسد في التوجه المعادي الاستعمار والطابع الديمقراطي العام هناك دعوة الى السلام الطبقي ، وهي دعوة غلبت على اعمال الحصري في اواسط الخمسينيات ، وبعدها اصطدم بالاعتراف بالتناقضات الطبقية عائقا جديا على طريق تحقيق فكرة الوحدة القومية ، لكن ظهور نظرته التي جمعت بين العداء الحازم للاستعمار وبين السير نحو العصرنة الشاملة ، جاء امرا طبيعيا وقانونيا في ضوء الجو الفكري والسياسي الذي كان سائدا في الاقطار العربية في مرحلة نهوض حركة التحرر الوطني ، بيد ان التطور الذي طرا على مذهب الحصري يبين لنا انه كان يتابع باهتمام تغير موازين القوى في الوطن العربي ، وتبدل النزعات الايديولوجية فيه ، ومن هنا فإن الحصري الذي كان مثاليا في المجال النظري كان أيضا واقعيا تماما في رؤيته للواقع العربي لم يتوقع في إطار النظرية المجردة ولم يعد أسير الأبراج العاجية ، وإنما انخرط في معمعة النضال ، واهبا حياته لنشر الرؤية العصرية التجديدية لاذكاء المسيرة الوحدوية للعرب □

● قال معاوية ابن أبي سفيان لابن الكوى صف لي الزمان فقال أنت الزمان ، ان تصلح يصلح ، وان تفسد يفسد

● أكبر خطأ ألا تفطن الى خطيئة نفسك

(توماس كارليل)

يصدر في
يناير ٨٨
كتاب العربي
الثامن عشر
المسرح العربي
بين النقل والتأصيل
بقلم مجموعة من الكتاب
كتاب العربي مرآة العقل العربي

الكتاب السريالية في مصر
المؤلف سمير غريب
الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة
عدد الصفحات ٢١٤ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٦

يؤرخ هذا الكتاب المهم لفترة مهمة من تاريخ مصر الثقافي والفني ، في الثلاثينيات والأربعينيات ، عندما كانت مصر تمر بتغيرات ، وحركات تجديد ، وحركات ثورية ، وحركات تمرد مختلفة التوجهات

في هذه الحقبة على الأخص برزت جماعة أطلقت على نفسها اسم (الفن والحرية) ، ومن أعضاء هذه الجماعة الفنية برز عدد من الفنانين والأدباء من أتباع المدرسة السريالية ، وأثروا حركة التجديد الفني والأدبي المصرية مدة عقود بعد ذلك ومن أبرز هذه الأسماء جورج حنين ورمسيس يونان ، وفؤاد كامل ، وكامل التلمساني وكان منهم الشاعر ، والفنان التشكيلي ، والمخرج السينمائي والمثقف الموسوعي ، وقد جمع بينهم التمرد على الأطر والقوالب الفنية والاجتماعية

■ ■

الكتاب جذور وردة الثلج ، جذر القيروانية ـ شعر
المؤلف سعدي يوسف
الناشر دار الحكمة للنشر ـ بيروت
عدد الصفحات ١٧٠ من القطع الوسط
سنة النشر ١٩٨٧

في هذا الكتاب الجديد يواصل الشاعر الكبير سعدي يوسف إبداعه الفني الذي وصل ذروة جديدة في هذا الديوان

حملته القصيرة المكثفة ، وفكرته الساخرة وسخريته القاسية المريرة ، تجعل من هذا الكتاب سجلا لحالات الشاعر المتغيرة ، وسجلا للمآسي العربية من بيروت إلى المحيط ، إلى عدن

وفي قراءة أخرى نجد أن هذا الكتاب سجل لإبداع سعدي الشعري الذي يجمع بين قصيدة اللقطة ، والقصيدة الطويلة ذات النفس الملحمي والقصيدة الوصفية الشبيهة باللوحة ، لكنها جميعا تحمل أسلوب سعدي الشعري الذي تميز به منذ الخمسينيات ، لكنه الآن أكثر نضجا ، وأكثر مرارة في نفس الوقت

■ ■

الكتاب المصباح ـ قاموس انكليزي ـ انكليزي عربي
المؤلف د نايف خرما
الناشر مكتبة لبنان ـ بيروت ولونجمان ـ المملكة المتحدة
عدد الصفحات ٤٣٤ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٦

يخاطب هذا القاموس المهم أساسا دارسي اللغة الانكليزية ويقدم لهم العديد من المزايا ، فهو يختلف عن المعاجم ثنائية اللغة لأنه يمكن استخدامه معجما انكليزيا انكليزيا ، وفي نفس الوقت يمكن استخدامه معجما ثنائي اللغة ، ولأنه يقدم بالاضافة إلى المعنى الانكليزي حلا كاملة بالمعنى العربي فهو عدة معاجم في معجم واحد

وقد أثبت المؤلف في نهاية معجمه ملحقين

الأو ـص الاختصارات المفيدة للدارس ، والثاني للمـ المشتقة من أقطار العالم المحتلمة

■ ■

الكـ ـ أبحاث جديدة للمستعربين السوفييت
المؤ ـر حماعة من المستعربين السوفييت
الناـ دار ناؤ وكا ـ موسكو
عدد لصفحات ٢٦٠ من القطع الوسط
سنة النشر ١٩٨٦

يحمل هذا الكتاب عنوانا صغيرا كتب بين قوسين ، يشير إلى أنه هو الكتاب الأول لعشرة أبحاث في التراث العربي ، كما يراه المستعربون السوفييت

وفيها خصص بعضهم أبحاثهم للكشف عن المخطوطات العربية في جمهوريات الاتحاد السوفييتي المحتلمة . أنجز الآخرون أبحاثا مهمة حول الأدب العربي القديم ، كالمقامة ، والشخصية التشردية ، والأدب الشعبي ، وخواص الأدبيات التاريخية في مصر مثلا

والكتاب في مجمله جهد قيم ومهم من وجهة نظر جديدة بالنسبة لنا ، وجديدة في إلقاء الضوء على المخطوطات العربية في الاتحاد السوفييتي في نفس الوقت

■ ■

الكتاب كوكب تفاح وأملاح ـ قصص
المؤلف محمود الريماوي
الناشر دار الكرمل للنشر والتوزيع عمان
عدد الصفحات ٨٤ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٧

المجموعة القصصية الثالثة لمحمود الريماوي ، بعـ « العري في صحراء ليلية » و « الجرح الـ ـالي »

ـة حيلة رائقة ، ومشاهد امتزج فيها الواقعي ـري وليس الخيالي ، قصص بعضها يخلو من الحبكة ، والنتيجة هذه المجموعة القصصية الفريدة

أحداث عادية يقدمها الريماوي بسرد غير عادي ، وحوار بسيط يفضي بالقارىء إلى الدهشة التامة ، وجمله مفتحة على شتى المعاني ، بحيث يعاد للجملة البسيطة اعتبارها ، وللكلمة تألقها ، وللمفردة الكلاسيكية القديمة دورها في قصص كل ما فيها ينبض بالحداثة

أجواء الريماوي أجواء بسيطة ، فيها الموظف البسيط ، والحرفي المهلك ، والانسان المتأمل في مسار الحياة الاعتيادي الضائق به ، لكنه لا يستطيع حياله أن يفعل شيئا

■ ■

الكتاب/ الشعر ديوان العرب ـ الشعراء الصعاليك
المؤلف/ عبدالله خلف
عدد الصفحات/ ١٣٠ صفحة
سنة النشر/ ١٩٨٧ م

شغل موضوع « الصعاليك » وشعرهم وأدوارهم كثيرا من الدراسات والكتب ، ومازال هذا الموضوع يشغل بعض الباحثين والدارسين الى يومنا ، وربما الى أجيال لاحقة

وقد تتبع الكاتب مصدر الكلمة ومعناها ، ثم تابع الأدوار التي قام بها الصعاليك في الجاهلية ، وتتبع تاريخ حياة بعضهم ، وتولى شرح قصائدهم والمناسبات التي قيلت فيها ، وموقع ماكانوا يقولونه

* الإسبرانتو
* السلو

الخليل بن أحمد ، والفيروز أبادي ، وابن منظور ، ثلاثة من فحول علماء اللغة العربية اشتهروا بتأليف المعاجم التالية لسان العرب والقاموس المحيط ، وقاموس العين فأي معجم في هذه المعاجم الثلاثة ألفه كل

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٥٠
يناير ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٥٠ » ، واخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ فبراير ١٩٨٨

١ يذكر التاريخ مناظرة لغوية جرت في حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي بين اثنين من ائمة اللغة العربية آنذاك كان احدهم إمام البصريين والآخر إمام الكوفيين ترى من كان هذان الإمامان

* سيبويه والكسائي
* الخليل بن احمد ونفطويه
* المبرّد والأصمعي

٢ من المعروف أن الحروف الأبجدية هي قوام اللغات الحية جميعا وأن هذه اللغات مدينة الى بلدة واحدة او حضارة واحدة كان لها الفضل في ابتكار تلك الحروف فأية بلدة او حضارة كانت تلك

* اثينا في القرن العشرين قبل الميلاد
* رومة في القرن العاشر قبل الميلاد
* اوغاريت أو راس الشمرة في سوريا

٣ الأبجدية المعتمدة في الاتحاد السوفياتي وفي بلدان شرق أوروبا تختلف اختلافا واضحا عن الأبجدية اللاتينية المعتمدة في سائر دول اوروبا فما اسم هذه الأبجدية ؟

* السيريلية
* الهيروغلوفية
* الارية

٤ اي اللغات تقرأ نصوصها المكتوبة من أسفل الى أعلى ؟

* اللغة الصينية
* لغة قبائل المايا

٥ ترى ما اللغة التي يتكلمها طفل نشأ منذ مولده في عزلة تامة ونما وكبر في منأى عن الناس جميعا ؟

* يتكلم لغة البشر الاولى التي تفرعت عنها مع الأجيال لغاتهم الأخرى العديدة

* يتكلم اللغة العربية

* لا يتكلم أية لغة بل ينشأ عاجزا عن النطق والكلام

٦ الاطفال الذئاب هم الاطفال الذين يضلون السبيل بين حين وآخر ، والذين يستقر بهم المقام في الغاب وينشأون بين الذئاب ترى هل في الإمكان تعليم هؤلاء اللغة حين يكبرون ويبلغون سن الخامسة عشرة مثلا ؟

* نعم . يمكن تعليمهم ولكن بصعوبة كبيرة وضمن حدود

* لا ، فهم ينشأون على التخاطب بلسان الحيوان

* نعم ، يمكن تعليمهم اللغة بسهولة ودون أي حدود

٧ اللغات ، كل اللغات ، مصنفة ضمن أسر أو عائلات ، تنتمي اليها تبعا لمعالم ومزايا يعرفها علماء اللغة ما عدا لغة واحدة هي الوحيدة بين لغات العالم والمستقلة تمام الاستقلال عن كافة اللغات الاخرى فأي لغة تلك ؟

* لغة الباسك وهم القوم الذين يعيشون في شمال اسبانيا وجنوب فرنسا ويطالبون بالاستقلال

* لغة سكان جزيرة عيد الفصح وهي الجزيرة الصغيرة النائية الواقعة في بطن المحيط

* لغة سكان جزيرة جرينلند الواقعة بالقرب من القطب الشمالي

٨ أي اللغات تتميز على ما سواها بأبجديتها الكبيرة التي يبلغ عدد حروفها ٧٤ حرفا ؟

* لغة كمبوديا

* اللغة السنسكريتية

* لغة اليابان

٩ أي اللغات تتميز على ما سواها بأبجديتها الصغيرة التي يبلغ عدد حروفها ١١ حرفا فقط ؟

* لغة سكان جزر سليمان

* اللغة البرتغالية

* اللغة المغولية

١٠ لغة الصفير (السِّلبو) بكسر السين وتشديدها ، لغة متداولة في جزر الكناري عامة وجزيرة لاجوميرا خاصة ولكن ثمة لغة صغيرة أخرى يتداولها بعض سكان دولة من دول أمريكا الوسطى فأية دولة تلك ؟

* المكسيك

* كولمبيا

* باناما

١١ من المعروف ان (الفلايوق) لغة عالمية ابتكرها أحد العلماء الألمان سنة ١٨٨٠ ولكن النجاح لم يكتب لتلك المحاولة بقدر ما كتب لمحاولة أخرى قام بها عالم ألماني آخر هو (رامنهوف) ترى ما الاسم الذي أطلقه رامنهوف هذا على اللغة العالمية التي ابتكرها والتي أصابت من النجاح والانتشار اكثر (بقليل) مما أصابته لغة الفلايوق ؟

* السيمافور

* الإسبرانتو

* السلبو

١٢ الخليل بن أحمد ، والفيروز أبادي ، وابن منظور ، ثلاثة من فحول علماء اللغة العربية اشتهروا بتأليف المعاجم التالية لسان العرب والقاموس المحيط ، وقاموس العين فأي معجم في هذه المعاجم الثلاثة ألفه كل منهم ؟ □

حلّ مسابقة العدد ٣٤٧ أكتوبر ١٩٨٧

١ ابن النفيس (أو ابن سيناء الثاني ، مكتشف الدورة الدموية) ، وكان من مواليد دمشق وتتلمذ على ابن الدخوار رئيس أطباء بيمارستان النوري الكبير بدمشق وما لبث ابن النفيس أن لمع اسمه بين الأطباء حتى أصبح من أعظم أطباء عصره

٢ الحارث بن كلدة هو أول طبيب في الاسلام درس الطب في جنديسابور ودخل في حديث مع الملك أنوشروان ، وفي المدينة كلفه عليه الصلاة والسلام بمهمات طبية مختلفة

٣ الكتاب الذي أهداه امبراطور القسطنطينية الى عبد الرحمن الثالث هو كتاب ديوسقوريدس في الطب والنباتات الطبية وقد أوفد بعثة خاصة الى قرطبة تحمل ذلك الكتاب سنة ٩٤٨م ثم عاد فأوفد الراهب نيقولاوس سنة ٩٥١م ليساعد الأطباء العرب الأندلسيين على ترجمة الكتاب الى العربية

٤ كتاب القانون في الطب ومؤلفه هو ابن سينا الذى يلقبونه الشيخ الرئيس أحيانا وأمير الأطباء أحيانا ا ... والكتاب عظيم بحد ذاته قد كان ... تدريس الطب في أوروبا ... قرون وترجم الى عدة لغات عد... طبعه أكثر من أي كتاب اخر ... الكتاب المقدس

٥ أشهر كتب الرازي الطبية هو « الحاوي » وهو موسوعة ... الممارسات الطبية ويقع في ٢٨ مجلدا (و ٣٠ مجلدا) ومما يذكر أن الرازي ... يكتب كتابه الحاوى هذا بقلمه ... كتبه بعد وفاته بعض طلابه ومريديه وذلك بتكليف من المسؤولين واستناد الى مجموعة هائلة من المذكرات التي تركها الرازي واسم الرازي بالكامل هو محمد بن زكريا الرازي وقد توفي سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م

٦ ظهرت سنة ٧٨٠م وفي عهد الخليفة المنصور بالتحديد وهكذا ألحقوا بكل بيمارستان صيدلية خاصة به وانشأوا صيدليات خاصة بالحروب تصحب البيمارستان المنقولة الى ساحة القتال

الا أن الصيدليات بالمعنى الدقيق لم تظهر في أوروبا حتى القرن السابع عشر وكان ذلك في لندن (سنة ١٦١٧) وبمبادرة من جمعية الصيدليات

٧ ولد في ملقا وتوفي في دمشق سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م وقد أمضى أول حياته في الأندلس ثم ارتحل عنها الى المشرق كغيره من الأندلسيين وكتابه المذكور (الجامع - أو المغني - في الأدوية المفردة) هو بلا ريب من أهم كتب التراث العربي الاسلامي وهو أهم كتب السائد في ذلك التراث دون منازع

مارس ابن سينا أبقراط في نظرية قيح
رح ووضع نظريته الخاصة التي
حس نظرية أبقراط وتقوم على
. رورة تنظيف الجروح اذا أردنا لها
سماء . واستعمل على مراحل تلك
سرفات الساخنة مع الخمرة المعتقة
السونة

شمس الدين الاكفاني هو صاحب كتاب
، غنية اللبيب في غيبة الطبيب)

أعظم جراحي السلف الصالح هو بلا
ريب ابو القاسم الزهراوي وهو اندلسي
وعاش في القرن الرابع الهجري (العاشر
الميلادي) وكتابه « التصريف » موسوعة
طبية شاملة وقد تميز بالفصول الخاصة
بالجراحة فكان مرجع الجراحة
الوحيد في أوروبا طيلة قرون

انه ابن سينا أمير الأطباء ، الشيخ
الرئيس ، أبو علي بن سينا وكان فتى
دون السابعة عشرة من العمر حين عالج
والي بخارى ونجح في ذلك حيث
نشل أشهر أطباء العصر وقد رغب
الوالي في مكافأته فلم يطلب سوى
السماح له بمطالعة الكتب التي ضمتها
مكتبة الوالي وكانت غنية بالكتب العلمية
والطبية فسمح له بذلك فما لبث
ابن سينا أن التهم تلك الكتب التهاما
وتوفي ابن سينا سنة ١٠٣٧هـ

قرباديات هي لوائح الأدوية أو
فارماكوبيا كما تسمى في الوقت
صر ومعنى هذا أن تحضير الأدوية
تركيبها لم يكن عشوائيا عند الأطباء
حين قبل نحو ألف من السنين بل انه
فق تلك اللوائح

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٧ أكتوبر ١٩٨٧

الجائزة الاولى جودت أحمد الحمد / اربد / الاردن

الجائزة الثانية نادية عبدالرازق أحمد / البحيرة / مصر

الجائزة الثالثة صلاح محمد حسن / دارارية / الجزائر

الفائزون بالجوائز التشجيعيّة

١ ـ فخر الدين حمودة / صفاقص / تونس

٢ ـ عبدالعلي عبدالحق / بومباي / الهند

٣ ـ عباس النور الحسن النور / الخرطوم / السودان

٤ ـ عمر عبدالرحمن الحراش / طرابلس / لبنان

٥ ـ بنلفقيه لحسن / سيدي نور الجديدة / المغرب

٦ ـ عائشة محمد موسى / جدة / السعودية

٧ ـ وانيس بسام يعقوبيان / حلب / سوريا

٨ ـ هدى علي القطان / السالمية / الكويت .

حتى عهد قريب كانت بطولة العالم للشباب دون ٢٠ سنة تعتبر ميدانا لتأهيل الأبطال السوفييت الصغار في صعودهم الى القمة ، ويتصدر قائمة الفائزين في هذه البطولة أسماء لامعة ، من أمثال بوريس سباسكي (بطل العالم ٦٩ ـ ١٩٧٢) ، وأناتولي كاربوف بطل العالم السابق ، وجاري كاسباروف بطل العالم الحالي ، (وهما يتنافسان حاليا على بطولة العالم للمرة الرابعة منذ مطلع أكتوبر الماضي في مدينة اشبيلية الاسبانية) ، واندريه سوكولوف ، وارتور يوسوبوف اللذان يحتلان الصف الثاني بعد كاسباروف وكاربوف

لكن بطولة الشباب لهذا العام المنعقدة في مدينة باجو الفلبينية التي اشترك فيها ثلاثة من اللاعبين الروس ، وعدد من اللاعبين الأمريكيين والأوروبيين خيبت جميع التوقعات ، إذ تمكن البطل الهندي فسواناثان أناند (١٧ سنة) من سحق جميع خصومه ، محتلاً المرتبة الأولى بنتيجة باهرة (١٠/ ١٣ نقطة)

وقد سبق للبطل الهندي الشاب أن حقق نتائج مشرفة في مبارياته العديدة مع كبار أبطال العالم ، وقد أصبح معروفا بالسرعة الفائقة في اللعب المصحوبة بالحضور الذهني ونفاذ البصيرة وبراعة التخطيط

ويعتبر الدور التالي الذي نقتطفه من هذه المباراة اختبارا لقضية نظرية هامة لافتتاحية (روي لو[...] (١ هـ ٤ ، هـ ٥ ٢ ح ـ و٣، ح ـ [...] ٦ ٣ ف ـ ب ٥) ، وهي الافتتاحية المفـ[...] لدى العديد من كبار أبطال العالم من أمثال الأمر[...] بوبي فيشر (٧٢ ـ ١٩٧٥) ، وبطل العالم الـ[...] أناتولي كاربوف والمعروف أن النقلة (٣ ف ـ ب ٥) تشل حركة الأسود في الوسط ، لكن [...] تكون عليه الحال لو قام الأسود بكل بساطة بمطا[...] الفيل الخطر وابعاده بالنقلة (أ ٦) ، ثم (ب ٥ [...] وأتبعهما بالنقلة (ح ـ أ ٥) ؟

ويرى العديد من المحللين أن هذه [...] الاستراتيجية الصحيحة للأسود في طابق ر[...] لوبير ، وعلى الرغم من فشل الأسود في إثبات ص[...] هذه النظرية على الرقعة الا أن قضية هذه المطـ[...] المثيرة للفيل تبقى معلقة

	□ ف أناند (الهند)	■ س أحدستين (الروبيح)
١	هـ ٤	ح ـ حـ ٦
٢	ح ـ و ٣	هـ ٥
٣	ف ـ ب ٥	أ ٦ (بدء المطاردة [...]
٤	ف ـ أ ٤	ب ٥
٥	ف ـ ب ٣	ح ـ أ ٥

	د ٦
	ح × ب ٣
٣ ـ	و ٦
ـ ٣	ف ـ ب ٧
ـ حـ ٤	ح ـ هـ ٧

الأسود يعاني من عدم قدرته على التبييت

١ ـ هـ ٥	د × هـ ٥
١ و ـ و ٣	و ـ د ٧
١ ـ د ١	و ـ هـ ٦
١ ح ـ د ٥ ! (بديعة)	ح × د ٥
١ هـ × د ٥	و ـ و ٧
١ حـ ٤	ف ـ هـ ٧
١١ ح ـ و ٥	ر ـ د ٨
١ ف ـ هـ ٣	ر ٦

الأبيض مصر على منع الأسود من التبييت ، محيا الفرصة لاحتراق تحصياته

١ ح ـ حـ ٦	و ـ ر ٧
٢ و ـ ر ٣	ف ـ حـ ٨
٢ حـ ٤ ! (ممتازة)	ف ـ د ٦
٢ و ـ و ٣	ف ـ هـ ٧
٢٢ ر(أ) ـ حـ ١	ب × حـ ٤
٢٤ ب × حـ ٤	ر ـ و ٨
٢٥ حـ ٥	و ٥
٢٦ ف ـ ر ٥	ف × ر ٥
٢٧ حـ × ر ٥	و ـ هـ ٧
٢٨ و ـ ر ٣	و ٤
٢٩ و ـ حـ ٤	هـ ٤ (الشكل)
٣٠ د ٦ ! (هجوم ساحق)	و ـ هـ ٥
٣١ د × حـ ٧	ر × د ١ +
٣٢ ر × د ١	هـ ٣ ؟ (رديئة)
٣٣ ر ـ د ٨ +	م ـ هـ ٧
٣٤ ح ـ ر ٨ +	يستسلم

حل مسألة العدد (٣٤٨) نوفمبر (١٩٨٧)

١ ف ـ د ٨	و ٧
٢ ف ـ حـ ٤	م ـ هـ ١
٣ ر ـ ر ١ (مات)	

فائزون في حل مسابقة الشطرنج العدد ٣٤٧ أكتوبر ١٩٨٧

ـ ... باشتراك سنة كاملة

١ ـ محمد أحمد عبدالعال ـ المنوفية / ح م ع
٢ ـ محمد أسامة محمد حسن ـ أم درمان ـ السودان
٣ ـ سارة المعالج ـ صفاقس / تونس
٤ ـ مصطفى ابراهيم رضوان ـ الظهران / السعودية
٥ ـ محمد عبدالوهاب محمد ـ عريان / ليبيا

ـ ... اشتراك ستة اشهر

١ ـ محمد صلاح مبروك ـ مسقط / عمان
٢ ـ حسين المحمد ـ دمشق / سوريا
٣ ـ أنصار أنور يوسف ـ عدن / اليمن الديمقراطية
٤ ـ عرلان حميد ـ مراكش / المغرب
٥ ـ خالد أحمد بغدادي ـ الجيرة / ح م ع

مسألة العدد ٣٥٠ يناير ١٩٨٨

مــات ٤

مهداة من القاريء عبدالكريم المحمد (سوريا)

حوار القراء

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الكويت

وقفة مع رسائلكم

عزيزي القارىء

كل عام وأنتم بخير ، مع بداية العام الجديد ننتهز هذه الفرصة لنتحدث معك حول عديد من الرسائل التي تصلنا منكم ، ونسعد بها لأنها تعبير عن مشارككم لنا ودعمكم المعنوي لجهودنا ، لكننا نشعر أحيانا بالأسى ، لأننا لا نملك الفرصة لنشر الكثير من هذه الرسائل أو التعليق عليها. بعض هذه الرسائل يقترح أبوابا جديدة للرياضة والتعارف والثقافة الدينية ونشر إنتاج الأدباء الشبان ، تشجيعا لهم ، والاجابة على أسئلة القراء في شتى مجالات المعرفة ، وتوجيه الدعوة لاستطلاع أماكن جديدة قديمة ، أو أماكن تقع بها أحداث حضارية ، مثل إنشاء مترو الأنفاق بالقاهرة

وبعض هذه الرسائل يطلب أصحابها كتبا معينة ، مراجع ، مطبوعات العربي ، عناوين أشخاص ومؤسسات ، وبعضها تتحدث عن مشكلات ذات طابع شخصي أو عام ، أو أزمات تحتاج إلى حلول أو مساعدة

بالإضافة إلى الرسائل الأقرب إلى طبيعة الباب ، التي تحتوي على ملاحظات النقد لما ينشر في مجلة العربي ، أو تقدم ألوانا طريفة وجديدة من المعلومات ذات صلة بالمنشور

ونود أن نقول لكل الإخوة ، إننا لا نهمل أي نوع من الرسائل ، حتى وإن لم تسمح الفرصة بنشرها ، أو التعليق عليها ، فالمقترحات الخاصة بالأبواب الجديدة والاستطلاعات أمامنا ونحن نفكر في تطوير أبواب المجلة ، أو وضع خطة الاستطلاعات. وقد أشرنا في مرات سابقة إلى أن أبواباً للرياضة والتعارف مجالها ليس في مجلة للثقافة العامة كالعربي ، فالصحافة اليومية والأسبوعية أقدر على تغطية هذه المجالات ومتابعتها ، والعربي تخدم الثقافة الدينية من خلال ما تنشر من مقالات، لا من خلال باب متخصص ، وتنشر النصوص الأدبية الجيدة بغض النظر عن سن أصحابها ، وهي بهذا تشجع الأدب الجيد بشكل عملي ، دون شروط مسبقة. توفير المعلومات والعناوين والمطبوعات فنقدم منها ما يتصل بما ينشر في المجلة أو بكتبها أو مطبوعاتها ، لأنه متاح لنا ، أما ما عدا ذلك فتوفره المكتبات العامة والمتخصصة ودور النشر ، لأن توفير مثل هذه المعلومات المتفرقة يحتاج وقتاً لا نملكه ، أما بالنسبة لما يتصل بما ينشر في المجلة من آراء ومعلومات فإننا نبادر بنشرها وفق أهميتها بالنسبة لنا وفائدتها

« العربي »

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي" بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

بين المشيمة والسحد «» وردود أخرى

● في العدد ٣٤٥ أغسطس سنة ١٩٨٧ من مجلة العربي عقب الدكتور إحسان جعفر على ما جاء في ملاحظاتنا بعنوان (أخطاء لغوية طبية وعلمية) الذي نشر في العدد ٣٣٦ ، وكان تعقيبه منصبا على كلمة السحد وبديلتها المشيمة

وملخص ما جاء في نقد الدكتور إحسان أن الخلاف كان قد احتدم بين اللغويين والأطباء في عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ حول كلمة السحد ، وأن اللغويين والأطباء كانوا بين مؤيد ومعارض ، وأن أول من وضع مصطلح (السحد) هو الأب استاس الكرملي ، مستندا على أن المشيمة هي العرس (بكسر العين المعجمة) ، ولذلك فالسحد عنده غير المشيمة ثم يذكر الدكتور مويدي هذا الرأي ومعارضيه ، ويعقب على قولهم بأن للسحد عددا من المعاني ذكر منها ما ذكر

وللرد على هذا الرأي نستطلع أولا أقوال بعض اللغويين الكبار في معنى كلمة (السحد)

يقول ابن منظور السحد ماء أصفر غليظ يخرج مع الولد ، ثم يعقب الدكتور إحسان بقوله (فإذا أخذنا بالمعنى الذي انفرد به ابن السكيت يكون معنى السحد هو (البلاسنته) حسب رأي الكرملي ، وخاطر ، والشطي،وحتى ويقول هؤلاء اللغويون في المشيمة إن المشيمة هي العرس (بالكسر) وجمعها أعراس ، وهي جلدة رقيقة تخرج مع الولد إذا خرج من بطن أمه والعرس المشيمة (عند ابن الأعرابي) ذكره ابن منظور والمشيمة محل الولد تخرج معه عند الولادة

١ ـ إن للسحد عدة معان لم يتطرق واحد منها إلى ما هو قريب من صفة العضو اللاصق في جدار الرحم ، الذي منه يتغذى الجنين أو الجميل ، المعروف عند الناس عامة وعند معظم الأطباء بأنه « المشيمة » وهو مصطلح متداول علميا وشعبيا بين الجميع

٢ ـ إن الكرملي أخذ المعنى عن (ابن السكيت) الذي انفرد به في كتابه (القلب والإبدال) ، وعن الكرملي أخذ الآخرون هذا المعنى

٣ ـ إن المجامع العلمية والأكاديمية أخذت المعنى عن هؤلاء العلماء الذين أخذوه عن (ابن السكيت) الذي انفرد وحده بهذا المعنى

٤ ـ إن الكرملي يرى أن المشيمة هي العرس ، أي أنها كل ما يخرج مع الولد من الأقذار ـ حسب رأي صاحب التاج (أي تاج العروس) ـ ولذلك فالسحد عنده غير المشيمة فكيف نوفق بين هذا الرأي وبين أقوال اللغويين من أن السحد ماء أصفر

حوار القراء

سرل مع الولد ، واصفرار في الوجه ، وبأن المشيمة جلدة رقيقة تخرج مع ... خروجه من بطن امه ، وأن العرس هي المشيمة ؟

ثم لماذا نتشبث بمصطلح كثر الجدال حوله ، وبكلمة لها معان متعددة ... وهي ثقيلة على الأسماع ، وغير معروفة عند الغالبية العظمى من الأطباء ... الناس ، ثم نترك كلمة المشيمة وهي أدنى للحقيقة واقرب للفهم والاستعمال ... الناس والاطباء على حد سواء ، أليس لشيوع المصطلح خاصة اذا كان فيه ... من الصواب ، وعليه اجماع كبير دور للتثبت به ، والعمل على استقراره و... وكيف يتفق على ارساء مصطلح لم تتفق عليه غالبية اللغويين ؟ ثم ماذا نفعل ... هذه الكلمة التي اجمع عليها علماء اللغة في معاجمهم ؟

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

مواقع أثرية تطلب الكشف عنها

● طالما تساءلت في قرارة نفسي عن اماكن قرى الانبياء العديدة التي ... القران الكريم ، ولماذا لا تهتم مؤسسة إسلامية بالبحث عن تلك الاماكن ... ما ذكره القران الكريم عنها ؟

نحن نعرف على سبيل المثال قصة « سد مارب » ومكان تواجده استنادا الى ... الكريمة في سورتي سبأ والنمل « لقد كان لسبأ في مسكنهم اية جنتان عن يمين و... كلوا من رزق ربكم ... » (١٥ سبأ)

لكننا لا نعرف موقع مدائن لوط على وجه التحديد مثلا ، على الرغم ... نعرف أن البحر الميت في فلسطين كان يدعى قديما بحيرة لوط ، وأن الله ... وتعالى قد ترك لنا شواهد على ما فعل بمدائن لوط لنتعظ بها «ولقد تركنا منها آية ... يعقلون » (العنكبوت ٣٥)

فلماذا إذن الاهمال في الكشف عن آثار العديد من القرى التي ورد ذكر... القران الكريم مثل قرى قوم هود التي تشير إليها الآية الكريمة « واذكر أخا عاد ... قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه » (الأحقاف ٢١) ... اثار هذه القرى في وديان الأحقاف باليمن

لقد قرأ الباحث الألماني هنريك شيلمان في أوائل القرن الماضي إلياذة هوميروس الشاعر الإغريقي الشهير وتيم بها ، وكرس حياته كلها للكشف عن مكان ... طروادة التي ورد ذكرها في الإلياذة ، فترك موطنه مع زوجته وأخذا يتنقلان ... وشمال بحر ايجة ، ويجريان الحفر على نفقتها الخاصة في محاولة لإثبات ... طروادة إنما هي واقع وليست قصة خيالية والآن ألا يجدر بنا نحن المسلمين ... عن الآثار التي وردت إشارة عنها في القرآن الكريم ؟

محمد طريف د...
دمشق / البحـ...

متوفى متوفي

● وفي العدد ٣٤٣ من (العربي) قام أحد القراء الأفاضل بالرد على كلمة المتوفَى (بصيغة المجهول) ، وأن وصف الميت بأنه متوفي (بصيغة المعلوم) صواب ويفهم من قوله أن قولنا زيد متوفَى ، وزيد متوفِ (بالكسر) كلاهما صواب

إن الفعل (توفى) فعل متعد ، لا يكتفي بفاعله ، بل يتعداه إلى مفعول به ، مثل قولنا توفَى الله زيدا ، على النقيض من قولنا مات زيد ، وذلك أن الفعل (مات) فعل لازم يكتفي بفاعله وإنما يصح أن يقال توفَى زيدٌ أجله ، واستوفى مُدّته ، وأوفى نذره ، وتوفى حقه (اي أخذه وافيا) وهذا يخرج بنا عن الموضوع وعما نحن بصدده من قولنا توفي زيد أي مات فاذا قلت توفَى الله زيدا ، فزيد ماذا تقول عنه ؟ توفي أم توفى ؟

يقول (البستاني) صاحب (محيط المحيط) ومن اقبح أغلاط العامة قولهم توفَى فلان (بصيغة المعلوم) اي مات ثم يذكر الطرفة التالية وهي الطرفة التي ذكرناها في مقالنا انفا قال احدهم مررت بحارة فسمعت رجلا يسأل من المتوفي (بصيغة المعلوم) فقلت الله تعالى فصربت حتى كدت أموت

أما استعمال توفى واستوفى وأوفى في مجالات أخرى غير هذا المجال ، اي خارج معنى مات وامات فهو امر بديهي لا يحتاج إلى قول او جدال

الدكتور محمد صادق زلزلة

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

المجلات العلمية حياتـــــــا ثقافيـــــــة

● تشهد الانسانية اليوم الثورة الصناعية العلمية الثانية ، « ثورة الالكترونيات » ، وهي نقلة نوعية جبارة لا شك ، واتساع للفجوة بين المتقدمين والمتخلفين

تعمل المجتمعات المتقدمة على تربية النشء تربية علمية سليمة ، وتشجع المواهب وأنصاف المواهب ، كما تعمل على جعل الرموز العلمية في متناول الجميع ، مستخدمة بذلك جميع الوسائل التعليمية الممكنة ، من أفلام ومجلات علمية متخصصة ، يتوخى فيها البساطة والتشويق ، كما يقوم المربون بإذكاء روح التنافس في مختلف المراحل ، في البحث والاستقراء ، وهذا يقود إلى إبداع واختراع نحن ـ العرب ـ نفتقر إلى هدوء الأساليب ولو استعرضنا عدد المجلات العلمية التي تصدر في الوطن العربي ، لما تجاوز عددها أصابع اليد ، مع تقديرنا للمجلات التي تهتم بالعلوم الإنسانية ، والتي لا تبخل علينا بمقالات علمية في بعض الأحيان وعلى الرغم من قلة المجلات العلمية ـ كما أسلفت ـ أو ندرتها بتعبير أصح فإننا نجد منها ما يستصرخ طلبا للإنقاذ من الإفلاس ، لأن مردود التوزيع لا يعطي التكاليف ، ولو رفع ثمن النسخة إلى القيمة الحقيقية لفقدت المجلة ٩٥٪ من قرائها ، وهذه كارثة أليس كذلك ؟ !

في الوقت الذي نجد المجلات الأسبوعية الخاصة بأخبار السينما والتلفاز التي لا يجهدها عناء البحث عن خصوصيات الممثلين والمطربين وتوافه الأمور قد غطت مساحة « الأكشاك » ، وتعذر عليّ حفظ أسمائها لكثرتها

سلطان عبده سيف الشيباني
سوريـــــا

حوار القراء

العربي

ـ يسر هذه الرسالة لتشارك القارىء الكريم تأكيده على اهمية المجلات ... ونود افادته بانه يمكنه ان يحصل على افلام الفيديو التعليمية العلمية من مكتبات العربية والمكتبات العلمية المتخصصة ونوادي الفيديو ذات المستوى الجيد

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

رسالة عن « قبيلة جهينة الحميرية » أين كانت وكيف أصبحت ؟

● كان لهذه القبيلة منازل ووديان في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام، وكانت من اول القبائل التي اعتنقت الاسلام عن طيب خاطر . وصحبت في سنته ... والرحال . وحين بدأ انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية حملت قبيلة جهينة الاسلام صوب الجنوب في صعيد مصر . وهناك حطت مصارمها . تدعو الى عبادة الواحد ومكارم الأخلاق . حتى صارت جهينة مضرب المثل في القوة والشجاعة ... في كل ربوع صعيد مصر . والآن بعد ان كثر سكان القبيلة وصار عددهم ٥٠٠ ... نسمة . وضاقت بهم سبل العيش في ارض ضيقة صعبة،صار يعيش على الفدان ... من الارض ـ بل يتصارع عليه ـ خمس أسر أو أكثر . فكيف يمكن ان تحافظ هذه ... على أخلاقها القديمة في الشهامة والكرم ؟

والآن وقد افاء الله على إخوة جهينة القدامى في انحاء الجزيرة العربية ... النفط . افلا ينبغي ان يتجهوا ببعض استثماراتهم في مشاريع يعمل فيها بعض ... القبيلة العربية الاصيلة التي تعيش الآن بالتحديد في شمال غرب محافظة سوهاج ... كيلومترا ؟

محمود احمد ...

سوهاج / جهينة العربية ...

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

مدينة تريم

● هي احدى المدن الحضرمية الشهيرة . قال ياقوت الحموي في معجم البلدان « تريم » اسم احدى مدينتي حضرموت . لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها . ومدينتاها هما شبام وتريم

ويرجع اختطاط مدينة تريم إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وفي ... السبي . ودخل الاسلام الى تريم في السنة العاشرة من الهجرة وقد ارسل الرسول ... اول عامل على حضرموت وهو زياد بن لبيد البياضي . وبقيت تريم تحت ... الاسلامية ايام الخلفاء ودولة بني أمية . حتى قام طالب الحق الكندي بثورته سنة ١٢٩ ... ودخلت تريم تحت شوكة الأباضية وقيام دولة آل راشد

في أواخر القرن الثامن الهجري قامت الدولة الكثيرية الأولى ، واستمر حكمها ثلاثة قرون ، حتى انتزعت السلطة منهم قبائل يافع ، وفي القرن الثالث عشر الهجري برزت مرة ثانية دولة آل كثير والاحتلال البريطاني

ومع إطلالة ١٤ أكتوبر نال الشعب اليمني استقلاله ، وازدهرت مدينة تريم في ظل حكومة الثورة ومن أهم معالمها منارة المحضار التي ترتفع شامخة في سماء تريم ، ويبلغ ارتفاعها ١٧٥ قدما وقد كان بناؤها عام ١٣٣٣هـ ، الخ

سالم هادي سعيد منصور

ح ي د / محافظة حضرموت /تريم

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

هل تتكاثر الخلايا العصبية ؟

● اشكر الدكتور فخري اسماعيل حسن على مقاله العلمي القيم « الذكاء والذاكرة » المنشور في العدد رقم ٣٤٦ من مجلة العربي . وقد جاء في هذا المقال مايلي

« يؤدي تعلم الطفل ممن حوله إلى زيادة كبيرة في سمك القشرة الدماغية المخية ، مما يؤدي الى زيادة عدد الخلايا العصبية وتنشيط الموجود منها »

« ومن المعروف ان الخلايا العصبية يزداد حجمها فقط ، ويؤدي ذلك الى زيادة حجم الجملة العصبية مع تقدم العمر . لان الخلايا العصبية لاتنقسم كسائر خلايا الجسم » فأرجو نشر هذه المعلومة وشكرا

محمود ابو الفتح

جامعة دمشق / معهد طب الاسنان

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يناير ١٩٨٨ م

الدواء

من فجر التاريخ إلى اليوم

تأليف

د. رياض رمضان العلمي

الكتاب ١٢١

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

...البحرية .. خضرة تغسل قدميها في مياه الخليج

20″
CMD 6036 RG
في عالم
26″
CMX2630SR
SANYO Electric Trading Co Ltd

مجلة ثقافية مصورة تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت

[illegible]

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL - ARABI

Issue No. 350-Jan. 1988 - P. O Box . 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic Magazine in Colour Published by · Ministry Of Information - State Of Kuwait.

[illegible]
ص.ب . ٧٤٨ ـ الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ ـ ٢٤٦٨٢٤٢ ـ ٢٤٢٧١٤١
برقيًا "العربي" ـ الكويت ـ تلكس MHR 44041KT
تلفون فكسملى ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: [illegible] الإدارة ـ قسم الإعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات الى : قسم الاشتراكات ـ المكتب الفني
وزارة الإعلام ـ ص.ب : ١٩٣ ـ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشًا	سلطنة عُمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران

أدب وفنـــون :

■ جمال العربيـــة

منتدى العـربي :

صـــورة الغـــلاف

هذه الحسناء من « النمور ... التي هـزت عرش ... وطغيان الغول الأمريكي ، ... الذئب الانجليزي . .

(طالع التفاصيل ص ٣٦)

البيت العربي

مجلة الأسـرة والمجتـمع

تاريخ وتراث وشخص :

مكتبة العـــربي

أبـــواب ثابـتـــة :

الكويت وطن الأمل

ما أن يقارب هذا الشهر على الانتهاء ، حتى توقد الكويت شيبا وشبانا ، نساء ورجالا ، شمعة جديدة في مسيرة استقلالها ، محتفلة بالعيد السابع والعشرين لهذا الاستقلال الذي دخلت معه بكل ثقة واقتدار الساحة الدولية

والناظر الى مسيرة الخير خلال السنوات السبع والعشرين الماضية ، يستطيع أن يلخص هذه المسيرة بعبارة واحدة ، هي أن الكويت بلاد الأمل والمستقبل

فجبرة الكويت في التنمية والتحديث والعمران المادي والمعنوي أصبحت نموذجا يحتذى ، بذل فيه الأهل قادة وشعبا ، مواطنين ومقيمين ، الكثير من العمل والوقت والتضحيات

لقد تم تفاعل ناجح بين الأصالة والتحديث ، قاده رجال توارثوا الحكمة كابرا عن كابر ، فعندما تذكر الكويت الحديثة يذكر رجال انتقلوا الى رحمة الباري عز وجل ، وبقيت أعمالهم شاهدة عليهم ، رجال مثل المرحوم الشيخ أحمد الجابر الذي ولدت على يديه الكويت الحديثة ، وكانت حكمته ، وبعد نظره في التعامل مع المتغيرات ، مدرسة سياسية ويذكر المرحوم الشيخ عبد الله السالم الذي جاء الاستقلال على يديه فرعاه وأنماه ، ثم يذكر المرحوم الشيخ صباح السالم الصباح الذي سار على الدرب فوفى وأوفى

لكن عندما نذكر المستقبل نذكر الأمل الذي يتطلع اليه أهل الكويت بل العرب أجمعون ، فنشاهد بين أيدينا الرجل الصابر الدءوب الشيخ جابر الاحمد الصباح أمير الكويت ، وهو يعمل ليل نهار في ظروف إقليمية ودولية صعبة ، نراه يتابع من مكتبه في قصر السيف العامر كل صغيرة وكبيرة وأمام ناظريه قرآن كريم هو ديدنه في الحكم والتوجيه ، ليجنب سفينة الكويت المخاطر ، ومن أجل أن تظهر كل صباح بسمة على شفاه أطفال الكويت

وعندما نذكر المستقبل نذكر الشيخ سعد العبد الله الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ، كنز الحكمة والتسامح والصلابة

عندما نذكر مثل هؤلاء الرجال فإننا نذكر نماذج القدوة في الوطنية والاصلاح ، نذكر حكم العدل الذى بني على مبدأ الحوار تحت مظلة المحبة ، وعلى تأكيد مواطن الوفاق ، وتقديم العفو عند المقدرة على العقوبة ، نماذج أبت الا أن تتقاسم الرغيف مع إخوة لها في العروبة والاسلام عندما نذكر ذلك تتمثل لنا الكويت الصامدة في وجه الأخطار ، يتكاتف شعبها كي تصبح وطن الامل ، وطن المستقبل

وفي عيد الكويت السابع والعشرين عيد الامل والوطن نزف للكويت وأهلها وإخواننا من أبناء العروبة والاسلام كل تحية وتقدير

المحرر
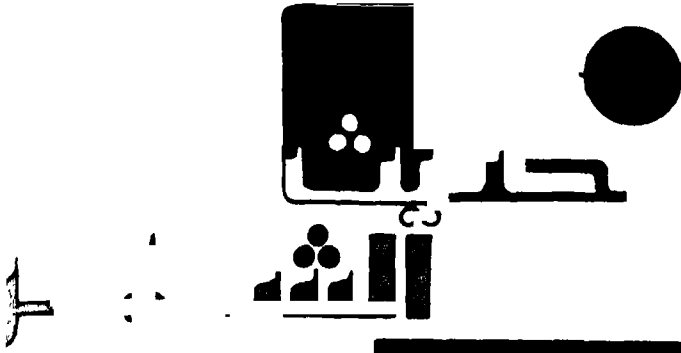
بقلم الدكتور
محمد الرميحي

كان الحديث بيننا عن التراث العربي والاسلامي ، وسرعان بعد ذلك لنصل السؤال الأعم

هل التراث - كما يعتقد البعض - محدد ومحصور فيما يتصل بالعقيدة والشرع ، ام هو - كما يعتقد آخرون - شامل متنوع ، شمول السلوك الانساني وتنوعه ؟

وكان رأيي يتفق مع المعنى الأخير

قال محدثي اضرب لي مثلا

قلت هل سمعت بكتاب « الذخائر والتحف » للقاضي الرشيد بن الزبير ؟

قال ردني

قلت هذا الكتاب جزء من التراث ، بل لقد نشر في الكويت كـ كتاب تنشره وزارة الاعلام في سلسلة التراث العربي ، وكان ذلك قبل ما يقارب ثلاثين سنة حلت (١٩٥٩) ، وكان فاتحة سلسلة رائعة في تحقيق التراث ونشره ، وقد حققه العلامة محمد حميدالله ، وهو من كبار العلماء الذين و

تهم لاظهار محاسن تراث العرب والمسلمين ، وراجعه متخصص كبير هو
حوم الدكتور صلاح الدين المنجد ، وكان التحقيق على مخطوطة نادرة
الكتاب مؤلف في منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر
لادي) اي قبل حوالي تسعه قرون تقريبا (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م) ، أما
ؤلف فقد كان موظفا - كما يعتقد المحقق - في دائرة استقبال السفراء في الدولة
اطميه ، وعن له ان يطرق موضوعا طريفا ، بل موضوعا خاصا لم يعن به -
في اعتقد - إلا القلائل في الحضارة العربيه الاسلاميه ، كما لم يكن هناك حتى
ذلك الوقت من اعتنى به في حضارات أخرى بهذا الشمول

وموضوع الكتاب هو « الذخائر والتحف » التي وجدت في قصور
خلفاء والملوك والقادة ، والهدايا التي كانوا يتبادلونها فيما بينهم والعلاقات
الدبلوماسيه بين ملوك العرب المسلمين بعضهم وبعض ، وكذلك بينهم وبين
ملوك اوروبا والهند ، والرسائل التي تراسلوا بها ، والتحف النادره التي
يهدونها ، فهو يحدد اشكال تلك التحف وطريقه صنعها وتواريخ توارثها ، كما
يحدد اللغه الرفيعه التي يكاتب بها الحكام - الولاة بهذا الخصوص ، فترك لنا
بذلك كثيرا من المعرفه في باب لم يطرقه - بشكل مباشر - إلا قليلون ، كما أن
اعتناءه بهذا الموضوع يدل على الاهتمام الكبير الذي أظهره معاصرو الكتاب
معرفه أشكال الهدايا وأنواع التحف وما دفع فيها من أثمان

الكتاب مكون من ثمانيه ابواب هي

١ - هدايا الملوك والأمراء (وهو أكبر الأبواب)
٢ - الولائم المشهوره والدعوات المذكوره
٣ - الاعدارات* الموصوفه والحذاقات المعروفة
٤ - الأيام المشهودة والاجتماعات في الأوقات المعهودة والمحافل المحشودة
٥ - الغرائب الموجودات والذخائر المصونات
٦ - الترك الموروثات (اي التركات)
٧ - المغانم في الفتوحات والمقاسم في الغزوات
٨ - باب النفقات

والكتاب - بمنهج اليوم - يشكل فهما اقتصاديا سياسيا ودبلوماسيا للزمان
الذي وقع فيه الحدث ، يستطيع الباحث من خلاله أن يتعرف على الأوضاع

---

* الاعدارات تعني الاحتفالات التي يقيمها الوالد لمولوده عند ختانه أو احتفالا بانتهائه من تحصيله
حلة من التعليم

الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، بجانب طرافته ، كما أن لغته سهلة مقر
- إلا فيما ندر - يتيسر معه للقارىء بعد بذل جهد يسير فهم ما يرمي
المؤلف

الثراء صورة العصر :

قلت لصاحبي دون إبطاء دعني انقل لك بعض ما لفت نظري
ففي باب الهدايا ، بعد أن يستعرض المؤلف الهدايا التي قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قيل من هدايا من آخرين ، يصف ما تهادى به المسلمون الاوائل ، ثم يعرج على خلفاء بني أمية وبني العباس ، ويذكر ما أهدى لهم وما أهدوا ، وكيف تصرف بعضهم بتلك الهدايا ومن ضمن ما يعرضه الكتاب قوله مثلا
(ذكر المدائني ان ملك الهند اهدى الى الجنيد بن عبدالرحمن ايام ولايته السند في خلافة هشام بن عبدالملك ناقة مرصعة بالجواهر قد ملئت أخلافها « وهي ضروعها » لؤلؤا ، ونحرها ياقوتا أحمر ، على عجل من فضة ، اذا تركت على الأرض حركت العجل فمشت الناقة ، فبعث بها الجنيد إلى هشام فاستحسنها ، ثم إن الذي جاء بها نزل احلافها « اي حلبها » ، فانتثر اللؤلؤ في عليه ذهب كانت معه ، وفك عنقها فسال الياقوت منه كأنه الدم ، فأعجب بها هشام ولم تزل في خزائن بني امية حتى صارت إلى بني العباس)
وذكر في موضع اخر انه (كان في جملة ما قدم به عبيده بن عبدالرحمن القيسي والي افريقية وسائر المغرب الى هشام بن عبدالملك من هداياه في سنة اربع عشرة ومئة هجرية « ٧٣٢ ميلادية » ، عشرون ألف عبد وأمة ، ومن صفايا الجواري المتخيرة سبع مئة جارية ، ومثل ذلك من الخصيان ، ومن الخيل والدواب والذهب والفضة والآنية ما لا تحصى كثرة)

لماذا اهتم العرب بوصف الهدايا والتحف قبل تسعة قرون ؟

ويحكي ان العلايي ذكر في كتاب « الاجواد » ان صبيحا الكاتب قال
(بعث عمر بن يوسف الثقفي الى هشام بن عبدالملك بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفه ، وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب ، فدخل الرسول اليه فلم ير وجه هشام من طول السرير وكثرة الفرش ، فتناول الحجر والحبة بيده وقال اكتب معك بوزنهما ؟ فقال ومن أين يوجد مثلهما ؟ وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبدالله القسري اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار)
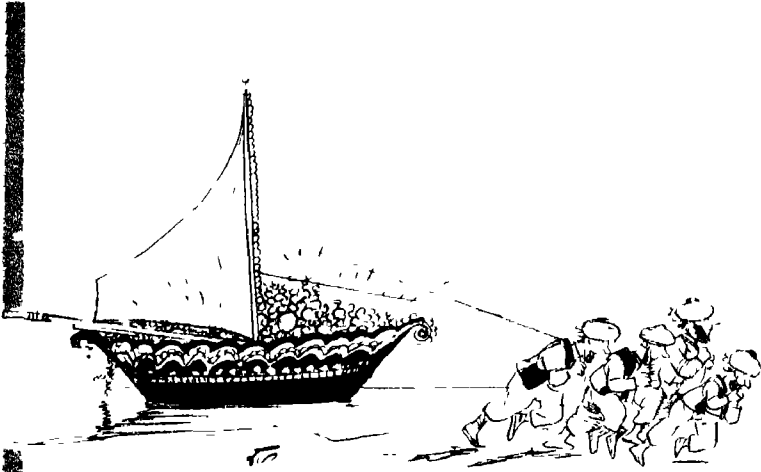
من هده الأوصاف للهدايا واللؤلؤ النادر ، والمبالغ التي قدرت بها ، نستطيع أن نبين مقدار الثراء الذي شهدته الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت

الكتب أول الهدايا :

وحكايه اخرى يرويها الكتاب فيقول

(كتب دهمى ملك الهند الى عبدالله المأمون بالله مع هدية أهداها اليه ، كتابا حمد فيه الله وعدد نعمه عليه وأسرف في ذكر ما يملكه من ثراء وباقي خزائنه من ذهب وجوهر ثم قال

« أما بعد فقد افسحنا استهداءك بأن وجهنا اليك كتابا ترجمته صفوة الأذهان » والتصفح له يشهد على صواب التسميه ، وبعثنا اليك لطفا بقدر ما وقع منا موضع الاستحسان له ، وان كان دون قدرك ونحن نسألك يه الأخ أن تنعم في ذلك بالقبول وتوسع عذرا في التقصير ان شاء الله » ، كانت الهدية جام ياقوت أحمر فتحه « أي فتحته » شبر في غلظ الأصبع ، مملوء .. ، وزن كل دره مثقال ، والعدة مئة دره ، وفرشا في جلد حية تكون في وادي المهراج تبتلع الفيل ، ووشي جيدها دارات سود على قدر الدرهم ، وفي وسطها نقط بيض ، معرورة بالدر ، لا يتخوف من جلس عليها السل ، ومن به السل وجلس عليها سبعة أيام ذهب عنه ، ومُصليات ثلاثة بوسائدها ريش طائر يقال له السمندل « وهو طائر حراقي » إذا طرحت في النار لم يحرق ، وفراورها « أي حواشيها » در وياقوت أحمر ، ووزن مئة ألف مثقال

عودا رطبا إذا ختم عليه قبل الصورة ، وبلاته وبلاتين مناً كافورا محشا ، كا خمسة مثل الفستقة ، واكبر من اللؤلؤة ، مع جارية ستّة طولها سبع أذرع تسحب شعرها ، حسنة البشرة لها اربع ضفائر تعقد ضفيرتين على رأسها تاجا ، وضفيرتان تبلغان الأرض من خلفها ، وطول كل شعرة من أشفار عينيها اصبع ، تبلغ اذا اطرفت الى نصف خدها ، وكان بين ثنيتيها لمعان البرق من ناصع اسنانها)

ويروي الحكاية بعد ذلك عن رد عبدالله المأمون على ملك الهند في كتاب شكر له فيه قوله وهداياه ثم قال

(وقد اهدينا اليك مودتنا لك وهي اوفر حظ المواصلين ، واهدينا اليك كتابا ترجمه « ديوان الألباب وبستان نوادر العقول » ومطالعتك ترجمته تغني عندك فضيلة النعمة ، ومشاهدتك له تغني عندك ما أسميناه به ، وجعلت لذلك عبابا من اهديه ، وهو لطف استقللنا قدرها لك ، ولو كانت الملوك تتهادى على اقدارها لما اتسعت لذلك خزائنها ، وإنما تجرى ذلك بينها على قدر ما يدل على حسن النية وجميل الطوية وبالله التوفيق)

نلاحظ في الرسالتين بين دهمي وعبدالله المأمون ان اهم هدية تبادلاها كانت « كتابا » فالاول أهدى الثاني كتاب (صفوة الأذهان) والثاني اهدى الاول كتاب « ديوان الألباب وبستان نوادر العقول »

ورغم ان الكاتب يشير الى عظيم ما صاحب تلك الهدية من الطرفين من حلل ، وعنبر واصناف من الكسوة والديباج ، إلا أن الأولوية كانت للكتاب ، « بيت الحكمة » ، ولعل تفاصيل الهدايا السابقة ملفتة للنظر ، فهناك فرش من جلد حية خاصيتها تبلغ الفيل تشفي المريض بالسل ! أما الجارية فهي لا شك رائعة الجمال الى درجة المبالغة ، فهي ستة طولها سبع اذرع وشعرها طويل إلى درجة انه يسحب وراءها ، أما رموش عينيها فهي من الطول ان اغمضت وصلت الى منتصف خديها !

ومما يستلفت النظر قصة يرويها الكتاب عن هدية اهدتها « برتا » بنت الاوتاري ، ملكة الأفرنجة الى المكتفي بالله تكرمة له واستجلابا لمودته الهدية كما ذكرت في كتابها اليه (خمسون سيفا وخمسون ترسا وخمسون رمحا فرنجية ، وعشرون ثوبا مسوجة بالذهب وعشرون خادما ، وعشرون جارية ، وعشرة اكلب « كلاب » كبار لا تطيقها السباع ، وسبعة بُزاة وسبعة صقورة ، ومضرب حرير بجميع آلاته ، وعشرون ثوبا معمولة من صوف يخرج من قعر البحر يتلون لونا في كل ساعة من ساعات النهار ، وثلاثة أطيار تكون ببلاد فرنجة إذا نظرت الى الطعام او الشراب المسموم صاحت صياحا

را وصفقت بأحنحتها حتى يعلم دلك)
وقد يكون لبعض تفاصيل هذه القصة طاهر الخرافة كأن تصبح بعض
ـ وتصفق عند رؤيتها للطعام المسموم ، ولكن في هذه الاسارة مماثلة
حو ما النظر ، وهي المكان المتقدم من الصناعة والتدريب ـ بالمعنى الحالي ـ
ى اعتقد البعض وقتها أنه موجود في أوروبا

النفقـــات ـــفي الولائـــم :

عندما ينتقل الكاتب للحديث عن النفقات في الولائم المشهورة ، وبعض
ـ ما انفق من مال على الولائم والرحلات ، يشير إلى ما دكره ابن عفير فيقول
(خرج عبدالعزيز بن مروان الى الاسكندرية في سنة اربع وسبعين ،
ـ فعرضه في طريقه صاحب « بلهيب » فطلب اليه ان ينزل عنده ، فقال له
عبدالعزيز ويحك ان معي جماعة ويلحقك في هذا مؤونه ، فقال أن هذا
الأمر لا يعظم عندي ، ولولا احتمالي لك ولجميع من معك ما طلبت اليك في
هذا ، فلم يزل حتى نزل به ، وكان عبدالعزيز في ألف رجل من خواصه ، مع
كل رجل منهم اثنان وثلاثة ، فاقاموا عنده ثلاثة أيام ، يقدم اليهم الأطعمة
والطرائف في كل يوم ثلاث مرات ، ثم أذن عبدالعزيز لأصحابه في المسير ، فما
راعهم إلا أربعة من النبط يحملون قفة عظيمة تسع ثلاثة أرادب ، في أدبيها
خشبة عظيمة ، يحملها اثنان امامها واثنان خلفها وعليها منديل
وجاء صاحب « بلهيب » فقال « ياسيدي مر بهذا فليقسم بين
اصحابك » ثم كشف عنها فاذا هي مملوءة دنانير فأبى عبدالعزيز أن يقبلها
وقال اجعل هذا فيما سويك من جراحك وبلغ ذلك « أم البلهيبي »
فأقبلت على عبدالعزيز وقالت أيها الأمير لم ترد هديتنا علينا ؟ قال إنا
كرهنا ان نحملكم مؤونه ، قالت والله ما نضرنا هذا ان أخذته ولا ينفعنا ان
تركته وان عندنا لما يغنينا عنه ، فعزمت عليك إلا ما أمرت به ، فيقسم بين
صحابك فأمر به فقسم بينهم حفنا « جمع حفنه » فعمهم أجمعين)

■ الجارية السِنْدِيَّة التي تَسْحَبُ شعرَها وراءَها ، وتصل أهدابها الى نصف خدّيها .. من أهداها لمَن ؟

وثمة قصة أخرى يرويها الكتاب تحكي عن كثرة الانفاق في الولائم
مناسبات الاعراس والمناسبة هي دخول عبدالله المأمون بوران « حديثه »

** بلهيب احدى قرى مصر في منطقة الحيرة فتحها عمرو بن العاص حين فتح مصر ويعتقد أنها قريبة
سان ابى الهول الآن وكان متوليها من أعيان البلاد

بت الحسن بن سهل وعلى لسان ابن عبدوس يقول المؤلف (بلغت النفـ
ثمانية وثلاثين ألف ألف درهم وكان يجري في كل يوم في حملة الخرايات ع
ستة وثلاثين ألف ملاح ، ووصل المأمون أباها بعشرة آلاف ألف درهم ـ ووهـ
ألف ألف دينار ـ ففرقها في قواد المأمون وحشمه ، ووهب لأخيها ألف ألف
درهم وأقطعه « فم الصلح » وكانت قيمته ثمانين ألف دينار ، وكانت نفـ
الحسن بن سهل اليها في هذه الوليمة أربعين ألف ألف درهم وقيل أربعة الاف
الف دينار) ومن قبل ذلك الانفاق المبالغ فيه في الولائم ، ما ذكر من ا
عبدالله المأمون لما أراد ان يزوج ابنه أم الفضل بأبي جعفر محمد بن علي الرضـ
اولم وليمة عظيمة جاء عنها في الرواية على لسان الريان ابن حال المعتصم
(وأبى لذلك إذ سمعت كلاما كأنه من كلام الملاحين في محاوباتهم ، فاذ
بالخدم يجرون سفينة من فضة فيها قلوس من ابريسم مملوءة غالية ، فخضبـ
لحى اهل الخاصة بها ، ثم مدوا الزورق الى اهل العامة فطيبوهم)

والقصة التي يرويها الكاتب تشير الى قدر الاسراف والمبالغة في الانفاق
حين يرسل صاحب الوليمة لضيوفه سفينة « مصنوعة » من فضة يجرها الخدم
بحبال القلوس مصنوعة من ابريسم (وهو نوع من الحرير) وقد ملئت بنوع
مميز من طيب مركب يسمى غالية تكفي لتطييب لحى الخاصة والعامة
جميعا !

إذا انتقلنا الى باب الاعذارات ـ وهي التي ذكرنا ما تعنيه من قبل ـ نجد
مثل هذه القصص التي تتحدث أيضا عن الاحتفال بمناسبة الإجادة والحذق في
حفظ القرآن ، وتقول احداها

(لما حذق المعتز بالله القرآن دعا المتوكل على الله « شفيعا » خادمه
فقال قد عزمت على تحذيق أبي عبدالله في يوم كذا ويكون حطته وحذقته ،
فأخرج من خزانة الجوهر جوهرا بقيمة مئة ألف دينار في عشر صواني فضة للنثار
على من يقرب مني من القواد الأكابر ، وأخرج مئة ألف دينار للنثار على القواد
الذين هم دون هؤلاء ، وأخرج ألف ألف درهم صحاحا بيضا للنثار على من
بالصحن من خلفاء القواد والنقباء وبقية وجوه الناس)

باب الأيام المشهودة : ٥

كيف يؤثر المظهر الخارجي على نفسية الوفد من الخارج ؟ عندما قرأت
هذا الباب وعنوانه « الأيام المشهودة والاجتماعات في الأوقات المعهودة
والمحافل المحشودة » فطنت الى أصول استقبال السفراء الجدد بحرس
وموسيقا فقد جاء في كتاب « الذخائر والتحف » ما يمهد لذلك
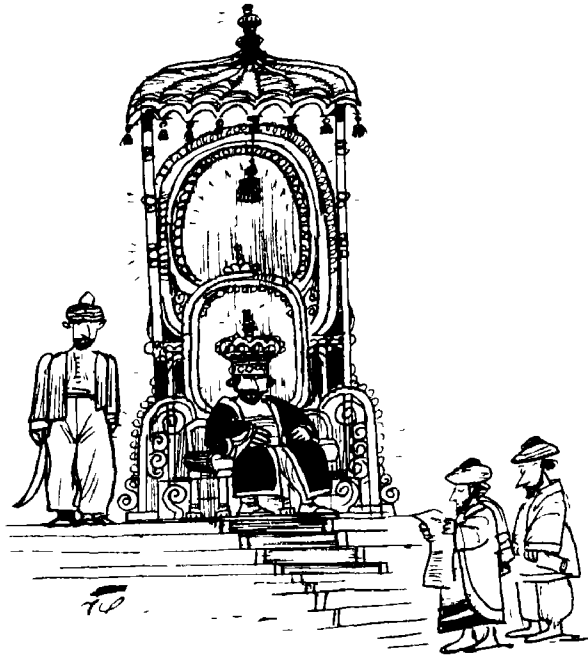
فكانا نصف كيف نستقبل ملوك العجم سفراء ملوك العرب فيقول
: دأب الأكاسرة إذا ورد عليها رسل ملوك العرب والروم أمرت بتعبئة الجيش
في عشر كتائب ، كل كتيبة عشرة آلاف فارس ، بالجواشن المذهبة « وهي
الدروع » والحراب اللامعة والدروع المفرغة والأعلام المذهبة من ساباط
مدائن « وهي الشوارع المسقوفة » الى الايوان ثم يمر بالرسل على كتيبة
كتيبة حتى إذا أشرفوا على باب الايوان رفع لهم عنه وكانا ايوانين متقابلين
بينها فسيح من الأرض ، وفي وسط ذلك قبة من الأرجوان ارتفاعها عشرون
ذراعا مغشاة بأجلة الديباج المنسوج بالذهب الأحمر ، وفيها جامات من البلور
الأحمر والأبيض وأنواع الأصباغ ، وفي وسطها سلسلة من الذهب معلق في
طرفها القمقم والياقوت الأحمر ، وكان الملك يجلس تحت تلك القبة والتاج
معلق على جبينه

وكان الملك يقيم عن يمينه مئة غلام من أولاد الملوك قد ألبسهم الديباج
ضروب من الثياب والقراطق « نوع من الملابس » وفي أوساطهم مناطق « أي
حزم » الذهب الأحمر مرصعة بأنواع الجواهر وعن شماله أولاد المرازبة عليهم
... وفي أوساطهم المناطق ، بأيديهم أعمدة الحديد المذهبة وكان الملك
... أربعين جارية مختارات ، عشرين عن يمينه وعشرين عن شماله
... بين يدي الملك فاذا وقفت الرسل بين يدي الملك أمرت

بالجلوس ، فبادرت اليهم الجحاب بكراسي الذهب والفضة فيجلسون
ويؤدون الرسالة وينصرفون
عن الموجودات بعد الوفيات من (الترك الموروثات) يحكي الكتاب
المؤرخين انه (كان في الجاهلية أربعة نفر من قريش يملك كل واحد
قنطارين من الذهب وهم أبو لهب وامية بن خلف وأبو أحيحه وعبد الله بن
جدعان
والقنطار اربعة الاف ومائتا اوقية ، والأوقية اربعون درهما وهي
وعشرين مثقالا ، ولذلك قال الله تعالى « تبت يدا ابي لهب وتب ، ما اغنى
عنه ماله وما كسب » وقال تعالى « زين للناس حب الشهوات من
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث »)

■ كم هي المبالغ التي صرفت عندما أنهى المعتز بالله ختام "القرآن"

قال ابن حزم الكاتب مؤلفه بعدم امثله مما خلفته امهات الخلفاء
ودووهن ، فنعرف ان العباسة بنت المهدي بالله خلفت ضياعا تبلغ غلتها
كل سنة اربعة الاف الف دينار وكانت غلة الخيزران ام الهادي والرشيد
كل سنة مائتي الف الف وستين الف الف درهم وخلفت شجاع ام المتوكل
خمسة الاف الف دينار عينا وورقا ، وجواهر قيمتها الف الف دينار ، و
الفرش والرقيق والدواب بقيمة ألف ألف دينار ، بالاضافة الى اربع
ضيعة تبلغ غلتها في السنة أربع مئة الف دينار كما وجد في بيت مال
المستعين بالله بعد خلعه احدى وخمسون ومائتي الف ألف دينار ، وفي بيت
ابن العباس ست مئة الف دينار

الكتاب وطبيعة العصر :

لا شك ان كتاب الذخائر والتحف الذي يعبر عن سلوك الانسان
مختلف مواقعه قد أملته طبيعة العصر وطبيعة المؤلف ، فلقد كان العصر الذي
جرت فيه حكاياته وقصصه عصر ثراء وافراط وبذخ يشارك فيه الخلفاء و
فيه عليه الناس والناس في ذلك فريقان فريق يطلب الكسب ويتقرب
اصحاب الأمر للحصول على النعم ويطلب حياة الترف وينالها من
إغداق الخلفاء والملوك بالاموال والتحف أما الفريق الاخر فتستهـ

أول كتا صـ عـ سلس التراد في الكو كـ شاهـ عـ عصـ
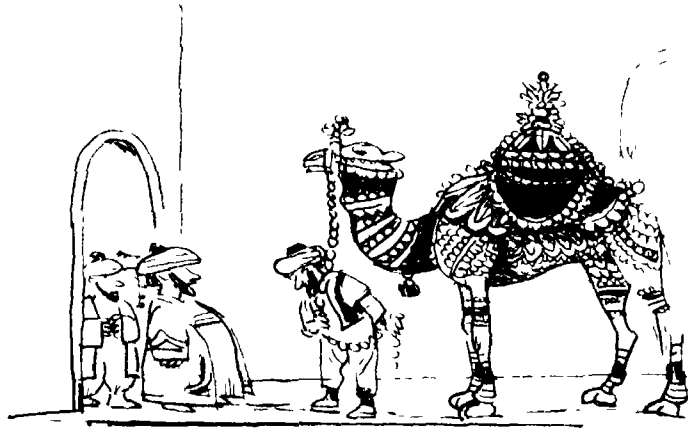
حـ العلمية والفكرية ، يبحثون عن المعرفة من مختلف الطبقات والثقافات
والأجناس

وكان بعيدا عن رحل مثل القاضي الرشيد بن الزبير ان يعيش عن مآثر
العصر الذي اظله ، بما فيه من قصص الترف والمدح والنوادر الغريبة التي
تجري في القصور من أجل ذلك املت عليه طبيعته بعدما أملى عليه عصره
ان يكون هذا المؤلف الجامع المقصي

وجمع هذا القصص الذي يتناول الكثير من الموضوعات عن المطروقة في
ذلك العصر يعد الأول من نوعه الذي التزم اسلوبا جديدا من حيث الاختيار
والتبويب والترتيب وفي تصوري ان القاضي الرشيد لم يقصد الى رواية
حكايات ونوادر وأحداث من ذلك النوع دون ان يكون له هدفه من ابراز بعض
ـ الثقة والاسراف ، وذلك تبصرة لأهل العلم وتذكرة لسائر الناس وكسفا
ـ اسلوب الى اذهان القراء عما يجري في القصور ليسهل على المعلم علمها
وعلى الدارس حفظها وعلى الناقد استيعابها بما في ذلك ابراز بعض جوانب
الحضارة العربية الاسلامية الاقتصادية والفنية والخلقية

ومع كل ذلك فالقارىء لمثل هذا الكتاب التراثي يخرج بحصيلة جيدة
من النادرة الطريفة ، والنكتة اللطيفة ، والقصة المثيرة ، والحكاية المضحكة ،
ـ ترفه عنه كد الجد وتعب الذهن وهو كتاب مثله مثل المائدة تختلف فيها
ـ ت الأطعمة باختلاف شهوات الآكلين

هذا عن كتاب « الذخائر والتحف » أول كتاب تنشره وزارة الاعلام في
ـ ت في سلسلة التراث العربي ولكن ليس معنى أن نتناوله الان هو أن
جهد أول ما تبذله الكويت في مجال نشر التراث العربي فقد التفت

الكويت الى تراثنا العربي وعملت على جمعه واحيائه فإن الكتب هي ـ
الحكمه وهذا استصاف الكويت معهد المخطوطات التابع للج ـ
العربيه ، كما انشأت « قسم التراث العربي » الذي يشرف على ـ
سلسلتين اولاهما سلسله كتب التراث العربي والثانيه سلسله د
في التراث العربي ومن السلسله الأولى أصدرت سته وعشرين كتابا ك
« الذخائر والتحف » الذي تناولناه بالحديث هنا وبعض هذه الكتب
في مجلد واحد مثل كتاب « الأضداد » لابن الانباري ، و « المصون في الا
لابي احمد العسكري ، و « مجالس العلماء » للزجاجي - وبعضها لضخ ـ
صدر في اكثر من مجلد ، ومن ذلك كتاب « الأسرار في مجالس الأشع
للسمشاطي في جزاين ، و « مآثر الأنافه في معالم الخلافه » للقلقشندي في
أجزاء ، وكتاب « العبر في خبر من عبر » للذهبي ، في خمسه اجز ،
وأضخمها كتاب « تاج العروس من جواهر القاموس » ويبلغ أربعين جزء
جزء منها يقارب خمس مئة صفحة وصدر منه حتى الآن خمسه وعشر
جزءا

وكل هذه الكتب التراثيه متنوعه بعضها في اللغة ، وبعضها
الادب ، وبعضها في التاريخ ، وبعضها في النسب ، وبعضها في الشعر

والسلسلة الثانيه (دراسات في التراث العربي) اصدرت منها الكت
عشره كتب كل منها في مجلد ، وهي متنوعه ايضا بعضها في الاد
العربيه ، وبعضها في القصص والقصّاص ، وبعضها في اللغه ، وبعضها
ترجمة شاعر (عبدالله بن قيس الرقيات) أو لغوي (ابن دريد) او عالم (
النفس)

ولا شك انه من دواعي الرضا عن هذا النشاط في ميدان التراث العر
ان الجهد فيه لا يتجاوز ثلاثة عقود والمستقبل أمامه ما يزال ممتدا
الوقت الذي تحتفل فيه الكويت بعيدها السابع والعشرين هذا الشهر ، بـ
الى مرة علميه واحده هي إحياء التراث العربي والاسلامي ، من ضمن عمل
أعمق وأكثر ثراء في مجال الثقافة ومجالات أخرى عديدة في الاجتماع والاقتصـ
والتنمية ولكن البدء بإثارة العقول هو الخطوة الصحيحة في الاتجـ
الصحيح

محمد الرميحي

المرآة الثقافية !

بقلم الدكتور · فؤاد زكريا

الرائد لا يكدب أهله والكاتب يمول

إن أمنيه الأمساب عنده هى أن تتمكن أحيالنا الحديدة من أن تفهم نفسها ، وتفهم العالم ، من خلال أعمال ثقافية ناصحة تصنعها بنفسها

ولكن كيف ؟ هذا ما يشرحه الكاتب في هذا المقال الخلاقي

سعلنى كثيرا ، في السنوات الاخيرة ، سمة من سمات حياتنا الثقافية الراهنة تشكل بعضها حادا وغير متوقع في موقفنا تجاه الثقافة . ففى هذه السنوات الاخيرة حدث التقاء . لم يكن له نظير في اية مرحلة سابقة من . حن نهضتنا الفكرية الحديثة ، بين انصار العودة . الاصول الاسلامية وبين شرائح لايستهان بها من . العرب الذين تشبعوا بالثقافة العربية

. هذا الالتقاء هو الرفض الحاد لحضارة . والدعوة الى شكل من اشكال « الأصالة » . نعم شديد الغموض والالتباس . ولكنه يزداد استخداماته الراهنة اقترابا من المعنى الذى يشاركه . اشتقاق اللغوى ، معنى « الأصولية » ، والعودة . جذورنا المتأصلة والضاربة في أعماق التاريخ

جمع بين خصمين

فلقد كان الوضع المألوف منذ بداية اتصالنا بالغرب في أوائل القرن التاسع عشر هو التضاد بين انصار التراث الذين يرفضون كل فكر دخيل ويتحدون من عراقة الماضى درعا تحميهم من كل إغراءات الحداثة والعصرية ، وبين أنصار التجديد الدائم والتغير المستمر ، ممن يسايرون التيارات المستحدثة أولا بأول ، ويؤكدون أن المقومات الأساسية للنهضة لن تتوافر لنا إلا إذا لحقنا بأسرع واحدث العربات في قطار الحضارة . وقد أصبح هذا التضاد محورا لجميع الكتابات التى تعالج حياتنا الثقافية الحديثة ، وربما أضاف البعض إليه طرفا ثالثا يسعى إلى التوفيق بين طرفيه الأصليين ويقف في منتصف المسافة بينهما ولكن الاطار العام يظل كما هو ،

ويبدو كما لو كان يعبر عن تضاد طبيعي لا سبيل الى الاختلاف عليه. ولكن ما حدث في هذه السنوات الاخيرة قد خرج عن هذا الاطار التقليدي خروجا تاما، وجمع بين الخصمين التاريخيين على ارض واحدة، هي أرض الرفض الحاد «للغرب».

ففي الماضي، كان مجرد الاحتكاك بحضارة الغرب لفترة ما كافيا لأن يحول شخصية شاب ناشئ ينتمي الى بيئة محافظة مثل رفاعة الطهطاوي، في اتجاه الانبهار الشديد بالغرب. اما اليوم، فإن مجموعة كبيرة من المثقفين العرب البارزين الذين عاشوا في الغرب حياة طويلة، واختار بعضهم الاستيطان فيه او الهجرة الدائمة اليه، يقودون الحملة ضد الثقافة الغربية. ويتفق موقفهم في هذه الناحية اتفاقا موضوعيا مع موقف الراسخين الذين رفضوا الغرب منذ البدء، والذين لم يعرف معظمهم عن الثقافة الغربية الا قشورا سطحية.

وبالطبع فإن ما يلفت النظر في هذه الظاهرة ليس موقف الراسخين، لأن هؤلاء ظلوا على الدوام متمسكين بعدائهم للثقافة الغربية، ولم يخرج منهم عن هذه القاعدة سوى فئة ضئيلة أتيحت لها فرص استثنائية للاحتكاك بالغرب. وانما اللافت للنظر

نحو هو هذا التحول الحاد الذي جعل اشد المفكرين العرب تشبعا بالثقافة الغربية يرى ان من علامات نضجه مهاجمة تلك الثقافة التي تشربها واستمد محتوى تفكيره منها وعاش بين ظهرانيها ردحا طويلا من الزمان. فهؤلاء في تكوينهم الثقافي هم ورثة المبهورين بالغرب، وهم احفاد سلامة موسى وشبلي شميل ولطفي السيد ومظهر سعيد. ومع ذلك فقد دار بهم الزمن دورة كاملة، واصبحوا يقفون في الطرف المضاد تماما لاسلافهم الروحيين. وحين يطلع المرء على ابحاثهم الناقدة والرافضة للغرب، ويرى الى أي حد سيطرت المناهج الغربية الحديثة على طرق تفكيرهم، ومدى شيوع المفاهيم والمصطلحات والتعبيرات التي لم تستمد الا من ثقافة الغرب في كتاباتهم، ويدرك ان المنطق الذي

يتحدثون به، والحجج التي يقدمونها، والامـ... يضربونها، ليست الا حصيلة احتكاكهم الد... بالثقافة الغربية، لايملك إلا ان يتساءل هل ... هنا إزاء حالة صارخة من حالات التناقض ال... أم ان الغرب في الواقع هو الذي ينقد نفسه على ... هؤلاء؟

في تصوري ان افضل تشخيص لهذه الظـ... الفريدة هو وصفها بأنها ضرب من ضروب «المراهقة الثقافية». وانا على وعي تام بأن مثل هذه الاوصاف المجازية كثيرا ما تكون مضللة، فضلا عن ان تعميم مفهوم يعبر عن مرحلة من مراحل نمو الفرد - كمفهوم المراهقة على ظاهرة ثقافية عامة - ينطوي على مخاطر لاينبغي الاستهانة بها. ومع ذلك فسوف احاول أن أثبت بعد ذلك ان وصف «المراهقة الثقافية» هو الأكثر انطباقا على الحالة التي نحن بصددها.

المثقفون والمراهقة الفكرية

ان ابرز سمات المراهقة، من حيث هي مرحلة من مراحل نمو الفرد، تعجل استقلال الشخصية قبل الاوان. فالمراهق، حين يشعر بانه وصل الى المرحلة التي اصبح فيها يحمل بعض سمات الانسان الناضج، يتصور نفسه ناضجا بالفعل، ويسعى الى فصم الروابط بينه وبين مرحلة الطفولة التي كان فيها معتمدا على غيره، ويتطلع الى عالم الكبار ومحاكاته ويتوقع ممن ينتمون اليه أن يعاملوه على انه واحد منهم. بل ان المراهق يتصور نفسه أنضج وارشد من الكبار انفسهم، ولذلك يرفض كثيرا من الافكار والقيم والتقاليد السائدة بين الاجيال السابقة عليه وتشتد المشاحنات بينه وبين كل من لـه سلطة عليه داخل البيت وخارجه.

ويبدو لي أن المثقفين العرب المتشبعين بثقافة الغرب، والذين اتجهوا في العقدين الأخيرين الى النقد الحاد من هذه الثقافة، يمثلون بوضوح مرحلة المراهقة في ميدانهم الخاص. فهم يشعرون ... الأوان قد آن لكي يستقلوا عن ذلك الغرب ... استمدوا منه كل زادهم الفكري، وهم يبدون ...

حادة . ويوجهون إليه اتهامات قاسة سرر
طعة الى يسعون إلى إحداثها معه ومع
التفكير في البديل الذي يمكن ان يحل محل
حافة المرفوضة لايشغل من اهتمامهم الا قدرا
ما شغله التفكير في عملية الرفض داتها

وعن ينقص من التراثيين ، الدين يتوافر لديهم دائما
حاضر ، هو ثقافة السلف ، فإن هؤلاء
مستعربين » يعلمون حق العلم أن البديل الراتي
كاف . ويعرفون أن النهضة العصرية في
مجتمعاتهم حديثة العهد من جهة . وان ظروفا
معاكسة كبيرة تحول دون وصولها إلى إى مستوى من
مستويات النضج من جهة أخرى ومن ثم فإن
البديل العصرى بدوره لم يتشكل بعد . ومع دلك
فانهم يصرون على رفض المنبع الذي استمدوا منه
ماشيهم دون أن تكون أمامهم أية صوره واضحة لما
يرفضونه من احله ، ودون أن يكون رفضهم في داته
اسهاما ناضجا في تكوين البديل

رجلي العجوز !

وكما نرى المراهق بان جيل الكبار قد ساخ و
بعد صالحا لشيء ! لاحظ ان العبارة المستخدمة لدى
المراهقين الامريكيين عند الحديث عن الاب هي
رجل العجوز !) فكذلك نسمع لدى هولاء
المستعربين العرب المتمردين على اصولهم اتهامات
لعرب بالتدهور والتخلف والانحلال وهم
يستشهدون بشغف شديد من ستحلر وسوسي
رحاردي وكل من يعرف بعمة « تدهور العرب »
ة متكررة في كتاباته ولم يخطر ببال احد منهم
ساءل اليس سنحلر وسويسي والاخرون
بين تدورهم ؟ فلماذا اذن لايرفض أحكامهم
على اساس انها حرء من « التدهور » العام
حضاره التي ينتمون إليها ؟ والاهم من دلك انه لم
سأل أحدهم ان يقارن بين مظاهر « التدهور »
ب ومظاهره في مجتمعاتنا ، او بين معدله هناك
هنا ، او بين ما يتوقع ان يؤدى اليه التدهور
عندهم وعندنا أما السبب في أن أيا من هده الاسئلة
الهامة لم يُطرح لدى هؤلاء المتمردين على حدورهم
العربية ، فلانهم الا في ضوء مايتصف به تمرد
المراهق من عنف غير عقلاني وغير منطقي في معظم
الحالات

ومن سمات المراهقة ، الخلط الانفعالي بين
المجالات فالمراهق قد لايستمع إلى أى درس يلقيه
المعلم إدا كان يشعر تجاهه بنفور معقود ، مع ان
المفروض أن مجال التعليم منفصل عن العواطف
الشخصية وبالمثل فان هولاء العرب المستعربين
الكارهين للعرب ، حين يشنون على العرب حمله
شعواء على المستوى الثقافي والعلمي . لايصدرون في
حملتهم هده الا عن دوافع سياسة في المحل الاول

فالهدف هو الانتقام من الادلال السياسي الطويل
الذي مارسه العرب علينا وادا لم نكن في استطاعتنا
ان نسوى حساباتنا مع العرب على المستوى السياسي
والعسكري والاقتصادي ، فلا اقل من ان نأخد ثارنا
منه على المستوى الثقافي (الذي هو متاح للجميع)
بل لقد عرفت بعض الحالات لم يكن الهدف فيها اكثر
من تسوية حسابات شخصية ، تراكمت نتيجة
للوضع القلق او للصعوبات التى لابد ان يصادفها أي
عربى يقيم في الغرب ، مهما حاول الاندماج فيه .
بحيث يكون الهجوم على « الحضارة العربية » في هده
الحالات تسوية لاشعورية لثار شخصي

نظم ومؤسسات مُحكمة

على ان هذا الهجوم الحاد على ثقافة العرب ، بما
حمله من دوافع هي في حقيقتها سياسية ، وقد تكون
احيانا شخصية ، يرتكب خطايين اساسيين
أولهما هو الخلط بين الانسان العربى والنظم
العربية فكثير من هؤلاء الرافضين يرتكزون في
رفضهم على تجارب سلبية مع « اشخاص » ينتمون
إلى العرب ومن الممكن جدا ان تكون تجاربهم هده
محبطة حقا ، وان تكون نسبة غير قليلة من العناصر
البشرية في العرب جديرة بالنقد ، أو حتى

بالازدراء ، سواء على المستوى الاجتماعي أو السياسي أو الاخلاقي ولكن الميزة الكبرى التي تمكن العرب من اكتسابها وتطويرها على مر الزمن ، هي وضع « النظم والمؤسسات » التي تتجاوز قدرات الافراد . والتمسك بهذه النظم إلى الحد الذي يرغم الأفراد على الرضوخ لها وهكذا فقد يكون « الفرد » الاوروبي أسوأ مخلوقات الله ، ومع ذلك فإن وجوده وسط نظم ومؤسسات محكمة ، تطورت بعد خبرة طويلة وفرضت نفسها بصورة قاطعة على الجميع ، يرغمه على ان يسلك في الأمور التي تمس علاقته بالاخرين سلوكا سليما وفي اعتقادي ان الحكم على اية حضارة ينبغي أن ينصب على ما وضعته لنفسها من نظم ومؤسسات ، وليس على المستوى الاخلاقي او الاجتماعي لسلوك أفرادها ، أيا كان عددهم ووزنهم

فكرة المؤامرة

اما الخطأ الثاني الذي يقع فيه هؤلاء الرافضون فهو مبالغتهم في الاستناد إلى فكرة « المؤامرة » التي يتصورون ان الغرب يحيكها للعالم هذه المؤامرة يفترض أنها بدأت منذ العهود الأولى للاستعمار الغربي ، حين تمكن الغرب من أن يكتسب لنفسه تفوقا في المجال الاقتصادي والعلمي وفي المستوى المعيشي بفضل نهبه لثروات الشعوب التي استعمرها وهكذا تراكم لديه « فائض القيمة التاريخي » (على حد تعبير واحد من أشهر هؤلاء الرافضين) الذي جمعه من السلب والنهب الاستعماري ، واستطاع توظيف هذا الفائض في اكتساب مزيد من القوة في مختلف ميادين الحياة والفكر

وفي تصوري أن أصحاب هذا الرأي يخلطون بين المراحل التاريخية التي مرت بها أوروبا في مطلع العصر الحديث فالثورة العلمية الحديثة في أوروبا ، على أيدي علماء القرن السادس عشر والسابع عشر ، كانت سابقة زمنيا لعصر الاستعمار ، أي أن أوروبا تقدمت علميا أولا ، وترتب على هذا تقدم تقني ، وبفضل هذا وذاك تمكنت من تطوير الأسلحة ووسائل النقل التي جعلت استعمارها لمعظم دول العالم في ذلك الحين أمرا ميسورا ومعنى ذلك ان البدايات الأولى للتفوق العربي قد سبقت ، زمنيا ، استغلال الغرب للشعوب الأخرى ولاشك أن هذا التفوق قد ساعد فيما بعد على توسع أوروبا في الاستعمار وفي السيطرة على شعوب العالم ، وخاصة في القرن التاسع عشر ولكن الخطوة الأولى نحو إحراز الأسبقية العلمية والتقنية قد تمت في أوروبا بفعل عوامل ذاتية وليس نتيجة استغلالها للاخرين

حب الاتقان

إن القارىء لابد قد استخلص من الصفحات السابقة أن كانت هذه السطور مدافع متحمس عن الثقافة العربية ، حتى ضد أبناء وطنه الذين يسعون الى الاستقلال عنها وإذا كان ظاهر الكلام يوحي بهذا ، فحقيقة الأمر أن ما أود التنبيه إليه هو الحذر من الاستقلال السابق لأوانه ذلك لانني اشارك مثقفي العالم الثالث رغبتهم المخلصة في ان تكون لهم ثقافتهم الخاصة ، وفي أن تتحرر هذه الثقافة من وصاية الثقافة العربية وهيمنتها ومن ابشع الصور في نظري صورة ذلك الشاب المنتمي إلى عالمنا الثالث ، الذي يعوجّ لسانه ويعجز عن التعبير عن نفسه بلغته القومية بعد أن يقضي عاما او عامين في بلد غربي وأمنية الأمنيات عندي هي أن تتمكن أجيالنا الجديدة من أن تفهم نفسها وتفهم العالم المحيط بها من خلال أعمال ثقافية ناضجة صنعناها نحن ، وأن نكف عن النظر إلى أنفسنا وإلى العالم بعيون الآخرين ولكن هذه الأمنية تحتاج الى وقت ، وجهد ، وقبل كل شيء إلى الإتقان

والواقع أن الميزة الكبرى للحضارة العربية هي أنها زرعت في أبنائها حب الاتقان يكفي أن تنظر الى العالم الذي يسهر في معمله ليالي طويلة ، لسنوات عديدة ، ويحرم نفسه من كل متع الحياة ، لأن [illegible] الكبرى هي قهر التحدي الذي تشكله نقطة غا[illegible]

... ان عمله يكفي أن ننظر إلى راقص ... عارف الذي يبلغ درجة من الاتقان ... عها ما لم يكن المرء قد نذر نفسه لفنه ... عات طويلة في كل يوم وفي جميع أيام ... تخلف أو توقف ، في تدريب شاق ... ما يكون مملا ومرهقا للاعصاب.يكفي أن نتأمل رياضي الذي يركز كل حواسه وانتباهه ويتحكم ... بدنه مدهلة في أصغر عضلات جسمه ، ويحاول ... أن يحاور الزمان والمكان والجاذبية الأرضية ... عمل في ذلك إلى مستويات لايحققها المرء إلا حين ... در حياته كلها لهدف واحد هذا ما ينقصنا ، وهذا ... نسعى أن نتعلمه وأن نقتدي به

توفير اسباب القوة الحقيقية

ومن هنا ، فإن من غير المجدي في رأيي أن نهاجم ... رب ونمدح أنفسنا دون أن نكون قد توافرت لنا ... رادة التي تتيح لنا أن نبذل من الجهد بقدر ما بذل ، ونحقق من التفاني والاتقان بقدر ما حقق صحيح ان الهجوم على الغير والرضا عن الذات أمر مريح نفسيا وعقلياً ، ولكنه ما لم يكن مصحوباً بالوسائل التي تجعل أهدافه داخلة في نطاق الممكن ، فإنه لن يزيد عن أن يكون ضربا راقيا من ضروب خداع النفس

إن المراهقة مرحلة خلاقة ، وهي تمثل بداية النضج وبداية تكوين الشخصية المستقلة وحين وصفت موقف فئة معينة من مثقفينا بأنه أشبه بالمراهقة الثقافية ، لم يكن هدفي على الاطلاق هو الهدم ، وإنما كنت أهدف إلى زيادة وعينا بحدود النقد الذي يمكننا أن نوجهه إلى حضارة متقدمة وإلى أن نعد لأنفسنا من أسباب القوة الحقيقية - لا الوهمية - مايتيح لنا أن نقف أندادا أمام ثقافة الغرب ، لا أن نتعجل استقلالا مبنيا على فراغ ، شأن المراهق الذي يتوق إلى حرق مراحل النمو للوصول ، قبل الأوان ، إلى عالم الناضجين □

أقوال

■ **إننا نواجه الآن خطراً من إخوان لنا في العقيدة ، لا لسبب سوى الرغبة في التوسع والسيطرة وتصدير الأفكار الغربية عن مجتمعنا ، وذلك بعد أن كنا نواجه الخطر التوسعي الصهيوني .**

الملك فهد بن عبد العزيز ـ ملك المملكة العربية السعودية

■ **تؤمن الكويت بجدوى العمل العربي المشترك وحتمية المصير ، وإنها دائما مع كل توجه يصب في مصلحة الأمة العربية**

الشيخ ناصر محمد الأحمد ـ وزير الاعلام الكويتي

■ **إن الحقوق الإنسانية التي تتحدثون عنها في الولايات المتحدة الامريكية مقصورة على حق الهجرة أو حق الخروج من الاتحاد السوفيتي وهي - بعبارة أصح - استنزاف العقول ؛ ولكن لماذا لا نناقش هنا أيضا حق آلاف المشردين الامريكيين في المأوى، وحق العاطلين عن العمل ، وحق المرضى في العلاج ؟ !**

الزعيم السوفيتي ميخائيل جورباتشوف

بقايا طواويس في الأفق . . . .
. . . . هذي سماء تزين أركانها
بالدموع التي تتساقط في لحظات الغروبْ
وهذا سحابٌ ممزَّق
فوق نواصي الجبال . . . .
على هيئة الطير يسعى

. . . . سحابٌ على هيئة الكائنات التي تتعاركْ
فُهودٌ تنازل أندادها .
والغزال الذي فر من موته
يتراقص بين شباك الغناء الجديبْ

لماذا الأسى في خريف المغيب ؟
يبعثر هذي العيون الخفيةَ . .
خلف السنين التي أكلتها الطحالب . . .
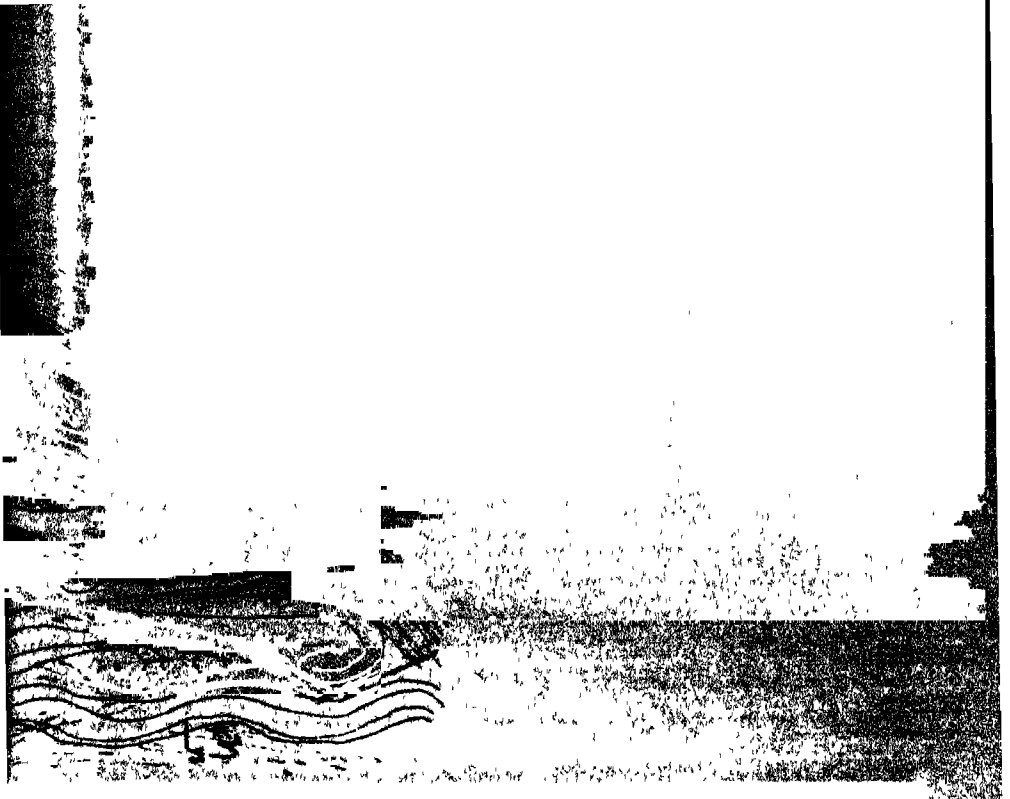
. . . . . . خلف الليالي التي . . .
هرولت في الجراح التي لاتطيب
لماذا الأسى في خريف المغيب ؟
يبلل وجه الأحبة بالماء . .
في شرفات المساء البعيد . .

. . ويسأل هذا الزمان البخيل .
قليلا من الوهم تأوى
إليه القلوب
ويرحل فيه السراب المخادع .
. . حتى يكف النداء الملحُّ
ويهدأ هذا الوجيب

زوايا من الظل . . . .
. . هذا رماد على حافة الأفق

وى
هذى نوافذ تفتح فوق الصحارى
زهر يبوح بأحزانه للنساء
اللواتي تأملن أعضاءهن
نَ المرايا وفارقن
ا حلّفته الطيوب
ارا على ما تبقى من الجسد المضمحلّ
اشدن خمر الليالي القديمة . .
أسا ويلهث بين جبال الثلوج اللهيب
اذا الأسى في خريف المغيب ؟
بلل صوت الأغاني القديمة
الأوجه الغابرة
فر الغزالة . . تسقط بين مخالب . .
لدى الـ.هود التي تتعارك

فوق السحاب الذي مزقته رياح
تسافر بين جنوب البكاء
وشرق النحيب
لماذا الأسى في خريف المغيب ؟
يباغت هذا النداء الأخير . .

. . منَ القلب للحب . . هذا
السؤال الأخير . .
من الورد للماء
هذا الوميض الذي

يتراءى كحلم يخيب
لماذا الأسى في خريف المغيب ؟
يفجر في كل شيء . . .
سؤالا صبياً ولكنه لايجيب

التنمية وقانون الجهد الأقل

بقلم : الدكتور مطانيوس حبيب

تعددت النظريات التي تفسر ظاهرة تخلف العالم الثالث ، فقد أرجعها بعض من مفكري الغرب الى الأصول العرقية ، وأرجعها آخرون الى الاختلافات المناخية ، أو الى سيطرة الدين - خاصة الدين الاسلامي - على تفكير الشعوب العربية والاسلامية . ولأن فروض هذه النظريات غير عملية تصدى لها الكاتب بالمناقشة ، وقدم تفسيرا مهما لظاهرة التخلف هذه من خلال عرضه لقانون الجهد الأقل

ليست التنمية مجرد زيادة في بعض المتغيرات الاقتصادية ، بل إنها حالة تغير شامل ، يتناول كل جوانب المجتمع من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومع هذا فإن النمو الاقتصادي يشكل عاملا رئيسيا من عوامل التغير الاجتماعي والسياسي ، وبالتالي فإنه أساس في عملية التنمية الاقتصادية ومن المعروف أن عوامل النمو الاقتصادي ثلاثة العمل ،ورأس المال والطبيعة ويتفق الاقتصاديون فيما بينهم ، على اختلاف مذاهبهم والمدارس التي ينتمون إليها ، على أن العمل هو عامل النمو الرئيسي ، بل يذهب بعضهم الى إعادة رأس المال الى العمل المتجسد في السلع والتجهيزات الرأسمالية ، ذلك أن كل المواد التي يستخدمها الانسان في عملية الانتاج تتكون من مجموعتين مواد أولية مصدرها الطبيعة ، ومواد مصنوعة وهي عبارة عن نتاج عمل سابق ، سواء كانت آلات أم تجهيزات أم مواد نصف مصنوعة وغير ذلك وهكذا يقصر هؤلاء الاقتصاديون عوامل الانتاج على عاملين . العمل والطبيعة ويذهب فريق ثالث الى أبعد من هذا ، فيرى في العمل المصدر الوحيد لكل انتاج ، ذلك أن الطبيعة - برأي هؤلاء الاقتصاديين - مهما كانت غنية فإنها لا تقدم للانسان أموالا اقتصادية ، اذا لم يبادر هو للعمل من أجل الحصول على المنافع المتوفرة في الطبيعة فالأموال الاقتصادية التي تشكل الثروة - بمفهوم الاقتصادي الانكليزي آدم سميث - مقتصرة على تلك التي تشبع حاجة لدى الانسان . وبالطبع فإشباع الحاجة لن يكون ممكنا ، إلا إذا وضعت السلعة أو الخدمة بتصرف الانسان في زمان ومكان معينين أي إذا أصبحت متاحة له بفضل العمل البشري

● وزير البترول والثروة المعدنية - سوريه .

...ة أن العمل والجهد البشري أساس النمو ...صاد ، وهذا الأخير عماد كل تنمية اقتصادية ...ماعية

...مية اقتصاد الكفاف

...حدد لاقتصادي بويك (Boeke) خصائص ...صاديات المتخلفة ـ ماقبل الرأسمالية ـ بالسمات ...لية التي تجعل منها اقتصاديات متعارضة مع ...صاديات الرأسمالية الغربية أو الاقتصاديات ...تراكية

...منحنيات متناقصة لعرض العمل والمخاطرة ـ ... دافع الربح

...عدم توفر خاصية الاستحداث والادارة ـ عدم ... فائض اقتصادي للتسويق ، تقانة (تقنية) ...ة . واستخدام محدود لرأس المال

...إذا أمعنا النظر في كل خصائص الاقتصاديات ...لفة التي أوردها بويك يمكن أن نعيدها الى عامل ...د ، وهو نقص كمية العمل المبذول ، أي قانون ...د الأقل ، فقد أشرنا أعلاه الى أن العمل هو ...ل الرئيسي في كل نمو اقتصادي ، وبالتالي في كل ... اجتماعي وسياسي وكل ما من شأنه أن ينقص كمية العمل في أي مجتمع لابد أنه سيقود الى ...ره التخلف وعرقلة التنمية الاقتصادية وكل ...ات التي يتصف بها الاقتصاد المتخلف تؤدي الى ...ص كمية الجهد المبذول ، على اختلاف أنواع الجهد ، سواء كان عضليا أو ذهنيا ، فالمنحنيات ...قصة لعرض العمل ترجع في الأساس الى خاصية ...حات المحدودة لدى الانسان ، واكتفائه بتأمين ...ئنه الأساسية ، وعدم رغبته في المزيد من ...ستهلاك ، وهذه الخاصية واضحة في تصرفات ...سان في المجتمعات المتخلفة ، فالانسان في هذه ...تمعات ـ خلافا لنظيره في المجتمعات المتقدمة ـ ... الى معيشة الكفاف ، فالفلاح يكتفي بزراعة ...حول واحد ، أو قطعة محدودة من الأرض ، اذا ... ذلك يكفيه حاجته ، ولا يحاول أن يعمل كل ... لزيادة دخله وكذا الحال بالنسبة للعامل الذي كانت حرة أربعة أيام عمل في الأسبوع تكفيه ، فإنه لا يعمل خمسة أو ستة أيام كما هو الحال بالنسبة للعامل في المجتمعات المتقدمة ، وهكذا قس على جميع فئات المجتمع ، إلا القلة منهم ، يمثلون بذور مجتمع التقدم والتنمية في محيط التخلف الاقتصادي الاجتماعي ، حتى أن غالبية المجتمع تتهم هؤلاء بالطمع والركض وراء الثروة وعدم الشبع من جمع المال إلخ وحتى رجال الأعمال في العالم المتخلف تنقصهم روح الاستحداث والمخاطرة ، فغالبا ما يكتفون بجمع ثرواتهم بأيسر السبل ، دون السعي الى دخول مجالات مجهولة ، قد تعود عليهم بالربح الوفير فروح بناء الامبراطوريات الاقتصادية التي كانت سائدة في العالم الرأسمالي المتقدم ، والتي دفعت كبار المستحدثين ورجال الأعمال الى ركوب المجهول وفتح عوالم جديدة ، غائبة أو تكاد تكون غائبة لدى رجال الأعمال في المجتمعات المتخلفة ، ولذا فإنهم ظلوا بعيدين عن روح المخاطرة ، وبناء المؤسسات الاقتصادية الطليعية ، القادرة على إرساء قواعد التنمية الاقتصادية في بلدانهم يضاف الى ذلك أن سلوك الكثيرين من رجال الأعمال محكوم بأسلوب معيشة الكفاف وهكذا ، فلمجرد أن يحصل أحدهم على مصدر دخل يكفيه العيش بالأسلوب الذي يراه كافيا نراه يميل الى الاكتفاء بما حصل عليه وعدم الرغبة في توسيع نشاطه ، وغالبا ما يميل الى حياة اللهو والانصراف الى انفاق الأموال إن سلوكية الفلاح والعامل والرأسمالي وكل الفئات الأخرى في المجتمعات المتخلفة التي تؤدي في جوهرها الى قانون الجهد الأقل تقود بدورها الى عدم توفر الفائض الاقتصادي ـ الأساس الضروري لاستخدام طرائق إنتاج متقدمة (تقنية عصرية) ، وتوسيع الاعتماد على رأس المال العامل الرئيسي في تطوير انتاجية العمل ، وتسريع وتائر النمو الاقتصادي ـ أي تقود الى عرقلة عملية التنمية

الايديولوجيا والجهد الأقل :

تحاول بعض النظريات تفسير التخلف بعوامل عرقية ، فيميز أصحابها بين العِرق الأبيض والعِرق الأصفر والأسود وهكذا ، مشيرين الى تفوق العِرق

الأبيض على سواء. وقد رفض العالم بأسره إلا قلة منه (الصهيونية وعنصريو جنوب افريقيا) النظرية العرقية ، وأوضحت التجربة التاريخية لشعوب متعددة حطل هذه النظرية ، فالتفوق الاقتصادي الياباني والتحدي الذي تواجهه الولايات المتحدة الأمريكية وأقطار اوروبا الغربية حياله يوضحان بجلاء عدم صحة التفسير العرقي للتخلف ، كما أن امتلاك شعوب بلدان العالم الثالث ناصية التقنية (التكنولوجيا) العصرية ، وارتقاءها الصاعد في معارج التقدم والتنمية ، بعد حصولها على الاستقلال ، يدعمان صحة هذه النتيجة. وكذلك هناك نظريات حاولت تفسير التخلف بالعوامل الطبيعية ، مثل المناخ الحار أو عدم توافر الثروات الطبيعية أو نقص الأمطار إلخ. وهذه النظريات أيضا ليست صحيحة ، فالتطور الاقتصادي الاجتماعي ، وتاريخ المجتمعات المتخلفة الآن يدحضان ادعاءات هذه النظرية ، فالحضارات البشرية القديمة المصرية والحبشية والبابلية والصينية والهندية وبخاصة الحضارة العربية الاسلامية قامت في البلدان التي تسمى الآن نامية ، والتي تعرف بالمجتمعات المتخلفة. وعندما كانت هذه الشعوب في قمة الحضارة العالمية كانت شعوب أوروبا آنذاك تعيش في ظلام دامس ، وأمريكا لم تكن قد اكتشفت بعد.

إننا نعتقد أن التنمية الاقتصادية الاجتماعية نتاج تفاعل عامل الايديولوجيا مع عوامل اقتصادية واجتماعية أخرى ، فالتطور هو نتيجة تفاعل عوامل متكاملة عديدة تمارس دورها بصورة مشتركة فيما بينها ، وليست نتيجة عامل بسيط بحد ذاته ، غير أن كون العمل هو العامل الرئيسي في النمو الاقتصادي ، فإن كل ما من شأنه أن يحفز على العمل سيقود بحكم الضرورة الى زيادة الثروة ، وبالتالي الى تحسين الوضع الاقتصادي الاجتماعي لمجتمع من المجتمعات. لقد لاحظ الاقتصاديون وعلماء الاجتماع أن إحدى صعوبات المبادرة الى التنمية الاقتصادية في عدد من الأقطار النامية تكمن في

التغلب على المقاومة والمعارضة «المؤسسـ... تقوم الأنظمة الاجتماعية غالبا على مفـ... موروثة أكثر صرامة من الغرب الاورو... المفاهيم تعيق بشدة فرص التقدم الـ... الطبيعي أن الايديولوجيا ليست منعزلـ... التقدم الاجتماعي في أي بلد من البلدا... تتفاعل معها ، فالكنيسة الكاثوليكية التي كانت ... أتباعها إلى الزهد والكفر بالحياة الدنيا ... طويلة عاملا من عوامل التخلف في أوروبا ... اضطرتها ظروف الحياة العصرية إلى التساهل ... الصدد ، وما الاصلاحات الدينية مثل الاصلا... الانغليكاني واللوثري إلا رد فعل على ... الكاثوليكية في اتجاهها اللاهوتي ، وعدم ... تحفيز الناس على العمل والانتاج ، وقصورها ... البشر على التقدم والنمو بينها جاءت الروسـ... (الحركة الاجتماعية) لجعل العمل ... العادة ، فحررت شعوب اوروبا على التحلـ... إسار النظرة اللاهوتية للدين ، ودفعتها إلى ... عامل الانتاج ووفرة السلع في الحسبان. يقول ... مونتاجوي (Alan Mountjoy) في كتابه «الـ... والبلدان النامية» إن أحد عوامل التقدم والنمـ... الغرب كان ذلك التحول الذي جرى منذ ... عن ارضاء القيم الثقافية الدينية (يقصد بذلك ... الروحاني الذي كانت تدعو له الكاثوليكية ... إرضاء قيم التملك والكسب ، لأن الغرب ... «أخذ ينظر إلى التنمية بلغة اقتصادية ، أي ... السلع والخدمات بالنسبة للفرد إلى الحد الأقصى ... وبمعنى آخر ان تطور الأيديولوجيا في الغرب ... من قانون الجهد الأقل ، من الزهد بالدنيا إلى ... الجهد الأكبر ، إلى الحصول على أكبر كمية ممكنة ... السلع والخدمات ، وهذا لم يتحقق إلا ... العمل.

يرى الاقتصادي بول بايروك (Paul Bairoch) في كتابه «مأزق العالم الثالث» أن أحد عوامل ... الانطلاق الاقتصادي في اليابان يرجع إلى ... اليابانية المرتبطة بالبوذية اليابانية والممارسة ...

(سـ ...ثة الشنتو) التي جعلت من اليابانيين أكثر
...وحها العالم ونحو العمل من عالم ماوراء الطبيعة
والتأملا... وتجري محاولات حادة في الصين لبعث
الكونفو...سوسية (نسبة للفيلسوف كونفوشيوس)
...حلة ... يدة ، وكذلك تجري محاولات في كوريا ـ
وبخاصة الشمالية ـ لبعث فكرة روتشه ودمجها
بالماركسية ، من أجل التحفيز على العمل وزيادة
الانتاج إن حب العمل والزيادة منه هو العامل
الرئيسي في أية تنمية

...حو وقانون الجهد الأقل :

إنه لأمر يدعو الى التفكير أن يكون الوطن العربي
من أقصاه الى أقصاه مشمولا بالمجتمعات المتخلفة ،
وعلى الرغم من محاولات المفكرين تفسير ظاهرة
التخلف في الوطن العربي والعالم الاسلامي بعوامل
متعددة ، تأتي في مقدمتها ظاهرة الاستعمار ، وما
فرضه على هذه الأقطار من أساليب الهيمنة
الاقتصادية ، وطرق النهب غير الاقتصادي ، فإن
الأمر الذي لا يجد تفسيرا له هو كيف استطاعت

الدول الاستعمارية أن تفرض سيطرتها على هذه
الأقطار ، مع أن عدد سكان المستعمرات أكبر بكثير
من عدد سكان الدول المستعمرة نفسها ؟ ! ولعل
السؤال الأكثر تعقيدا هو كيف استطاعت اوروبا
المدينة بحضارتها وتقدمها للحضارة العربية أن تسبق
الوطن العربي ، وتفرض سيطرتها على أقطاره
كلها ؟ ! صحيح أن الاستعمار كان سببا في عرقلة
التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأقطار المستعمرة
منذ دخوله إليها ، لكن هذه المستعمرات عرفت نوعا
من الركود ، بل والانحطاط قبل أن تطأها أقدام
المستعمرين ألا يعني هذا أن هناك عوامل ذاتية
قادت الى ظاهرة التخلف ؟

لقد حاول اقتصاديون وعلماء اجتماع غربيون
تفسير حالة التخلف التي كانت تعاني منها أقطار
الوطن العربي والأقطار الاسلامية الأخرى بنظرية
الأديان ... رية ، معتبرين أن الاسلام دين قدري ،
حيث يـ... أصحاب هذه النظرية بين دين يحفز على

التطور ـ ويرون أن البلدان التي تقطنها شعوب
بروتستانتية كانت سباقة الى التقدم والتنمية ـ وبين
دين يلعب دور الكابح للتقدم ، حيث أن الأقطار
التي تقطنها شعوب تدين بالكاثوليكية لم تعرف التقدم
إلا بعد أن تم تحررها من سيطرة الكنيسة وقد رأينا
سابقا أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تدعو أتباعها
للزهد بالحياة الدنيا ، وعدم السعي وراء الكسب ،
بينما تعتبر البروتستانتية العمل نوعا من العبادة ،
وتحث أتباعها على العمل لزيادة كمية السلع
والخدمات بالنسبة للفرد الواحد وفي الواقع تلعب
الايديولوجيا دورا هاما في حياة المجتمعات وتطورها
الاقتصادي ، دورا تقدميا أحيانا وسلبيا أحيانا
أخرى ، لكن الايديولوجيا ليست مستقلة عن درجة
التقدم الاقتصادي والاجتماعي والصحيح أن
الظروف الاقتصادية والاجتماعية بحكم كونها تتجه
الى التقدم أو الجمود تقود الى تفسيرات مختلفة
للأديان ، وإلا كيف يمكن أن نفسر الحضارة والمدنية
العربية الاسلامية التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا ؟ ألم
تكن هذه الحضارة وليدة الاسلام ، ذلك الدين الذي
يشيد بالنجاح ، ويشجع المبادرة في المجال الفكري
والاقتصادي ؟ وما الذي تغير حتى دخل الوطن
العربي في مرحلة الركود الاقتصادي والجمود
الاجتماعي ؟

لقد كرم الاسلام العمل ، واعتبره واجبا ، حيث
جاء في القرآن الكريم « فإذا قضيت الصلاة
فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » ، كما حث
رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على العمل ،
وأنزله منزلة العبادة ، فقد امتدح قوم رجلا الى
رسول الله بالاجتهاد في العبادة والغنى عن العمل ،
وقالوا صحبناه في سفرنا ، فما رأينا بعدك يارسول الله
أعبد منه ، كان لا ينتقل من صلاة ولا يفطر من
صيام ، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ
فمن كان يمونه ويقوم به ؟ فقالوا كلنا يارسول
الله قال كلكم أعبد منه ولقد شدد الاسلام على
العمل وإعمار الأرض ، فقد جاءت الآية الكريمة
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

والمؤمنون » ، فحث المسلمين على العمل باعتباره قيمة عليا بذاتها وقد حث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الاستمرار في الانتاج ، ومواصلته مهما كانت الظروف ، فقد قال « إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها ، فليغرسها ، فله بذلك أجر » ويذهب بعضهم الى أنه لا يجوز في الاسلام أن تنفصل الملكية عن العمل ، لأن العمل فريضة وواجب ، يمليه الشرف ، ويضيفون أنه إذا تحولت الملكية عن وظيفتها الاجتماعية الى اداة للترفع عن العمل أو استغلال عمل غيره وجب مصادرتها ، أو على الأقل تحويلها الى ملكية عامة (عبد الغني سعيد تقدمية الاسلام وعالمنا المتطور) من كل ما سبق نخلص الى نتيجة أساسية أن الاسلام دين المبادرة والنجاح ، دين الدعوة للعمل والابتكار ، دين الكسب الحلال المرتبط بالعمل ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده وحرّم الاسلام الربا لأنه مصدر دخل دون عمل ، واعتبر الاحتكار خطأ ، لأنه مصدر لدخل غير مرتبط بالعمل ، فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطيء »

وقد يستغرب أحدنا أو لا يستغرب إذا عرف أن الاقتصاديين وعلماء الاجتماع الغربيين يفسرون حالة التخلف في الوطن العربي والعالم الاسلامي باعتبار الاسلام دينا قدريا يدعو للتواكل وقد يكونون جاهلين بالاسلام ، ولهم من جهلهم به معذرة ، أو يكونون حاقدين على العروبة والاسلام ، فيريدون عمدا الاساءة إلينا ، أو قد يريدون الدفاع عن الاستعمار والامبريالية لتبرئتهما من مسؤوليتهما التاريخية والحالية حيال تعثر عملية التنمية في الوطن العربي والعالم الاسلامي اللذين عانا من الا[ستعمار في] الماضي ، ويعانيان من النهب الامبريالي [في الوقت] الراهن ، فمهم بذلك دوافعهم ، ونحن [...] منهم لكن أحدا منا لا يمكن إلا أن يستغ[رب] [...] يتجول في أقطار الوطن العربي وفي الخار[ج] [...] ملايين من أبناء أمتنا العربية من المترفين [...] الذين يملأون المقاهي والملاهي ، ويعيشون [على] حساب هبات الطبيعة ، ويبددون الأموال [دون] حساب ، ولا يمكن لأحدنا إلا أن يستغرب [...] ويستنكر وهو يرى ملايين الهكتارات من الأراضي العربية غير مستغلة ، وتضطر أقطارنا العر[بية] لاستيراد المواد الغذائية من دول تستخدم هذا الغ[ذاء] سلاحا للضغط علينا ، في نفس الوقت الذي [...] ملايين العمال العرب بغير عمل ، وهم راغبو[ن] [أو] غير راغبين فيه ، والأموال العربية معطلة أو مو[دعة] في المصارف الأجنبية ، تغذي الاقتصاديات الغر[بية] الداعمة لآلة العدوان الصهيوني

إن قانون الجهد الأقل هو السبب الرئيسي [في] عرقلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في وطن[نا] العربي ، وهو يتناقض مع تراثنا وحضارتنا وعقائدنا ، وإنه لأمر مستغرب أن نكون أمة [...] وتنتمي الى هذه العقائد فتبقى متخلفة لقد [آن] الأوان لندفن في دواتنا قانون الجهد الأقل ، و[...] على إعمار الأرض والارتقاء في معارج [...] وليعلم كل منا القول الحق ، قوله تعالى « إن الله [لا] يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » [...] نستهلك ثرواتنا ، ونحكم على أنفسنا بالتخلف وعلى أجيالنا القادمة بالهلاك ذلك أن العمل مصدر كل ثروة ، كما كان يقول ابن خلدون مشيرا الى أرض السودان غنية بالذهب ، لكن البلد يبقى [فقيرا] لأن رفاهية أي شعب لا تتعلق بوجود الذهب [...] بحب السكان للعمل

● قيل لاعرابي ما أعددت لحالي فقرك والغنى ؟

فأجاب الذي أعددته لحفظ الغنى ، هو الذي أعددته لصرف الفقر

الانفتاح العربي

على الحضارات الأخرى

بقلم . الدكتور محمد عمارة

لا توحد في التاريخ القديم أو الحديث حصارة نقية ، أنجرها أنناؤها دون أن تكون لها مع الحصارات الأحرى صلات وعلاقات وتأتر وتأثير .

وحضارة العرب في الماضي ، ومحاولات الانبعات الحصاري في هدا العصر لا تحرج عن هدا الإطار الدي عرفته جميع الحصارات

فما هو احتهاد الكاتب في هذا الأمر ؟

في محتلف ميادين المكر وقد ماياه ، يستطيع العقل أن يرصد ويبصر « الشواهد » على وحود ما هو مشترك فكري عام بين الإنسانية جمعاء ، وماهو « حصوصية حضارية » تتميز بها بعض الحضارات ، وهناك شهادة التاريح التي تدعم هده الشهادة الفكرية ، عندما تؤكد على أن التلاقي والتفاعل اللدين عرفهما التاريح بين الحضارات المع نة ، المالكة لما هو مشترك ، وما هو « حاص » ـ وفق هدا القانون ، وحكمة هدا التمييز ، ... الحضارات ـ وهو معلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية ـ وتفاعلها عندما تتلاقى قدر لا سبيل إلى معالته أو نحسه ، لكنه يتم دائما وأبدا وفق هدا القانون الحاكم التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام ، تفتح له الأبواب والنوافد ، بل ويطلبه العقلاء ، ويجدون في السعي لتحصيله ، وبين ما هو خصوصية حضارية ، يدققون ـ بحذر ـ قبل استلهامه وتمثله ، ويعرضونه على معايير حضارتهم لفرز ما يُقْبل منه ويُتمثّل من ذلك الذي يرفضونه لما فيه من تناقض مع هويتهم الحضارية وقيمهم الاعتقادية ، وأصولهم التي تكون ما يشبه « البصمة » للشخصية الحضارية والقومية التي هي مناط التمير ،

رغم التطور والتفاعل اللذين تمارسهما هذه الشخصية مع الآخرين

مثالان شهيران

ونحن إذا شئنا أن نضرب بعض الأمثلة على تلاقي الحضارات وتفاعلها، الذي عمل خلاله هذا القانون، فإن لدينا مثالين شهيرين وثيقي الصلة بموضوع هذا الحديث

أولهما التقاء حضارتنا العربية الاسلامية إبان نهضتها وازدهارها بالحضارات الفارسية، والهندية، واليونانية، وثانيهما التقاء الحضارة العربية إبان نهضتها بحضارتنا العربية الإسلامية

على أي نحو وفي أي المجالات كان الاستلهام؟ وعلى أي نحو وفي أي المجالات كان الحذر والرفض للغزو الفكري؟

إنها «شهادة التاريخ» على عمل هذا القانون، ندعم «شهادة الفكر» التي قدمناها فيما سبق

ليس هناك شك في أن الفتح العربي للامبراطورية الفارسية، ودخول الفرس بمواريثهم الحضارية الغنية في إطار الدولة الإسلامية قد أتاح أوسع الفرص لتفاعل حضاري واسع وعميق وخلاق بين الحضارة الفارسية وبين الفكر الإسلامي الذي كان هو النواة التي تبلور حولها الحضارة العربية الإسلامية الجديدة. ولقد زاد من فرص هذا التفاعل ما بلغه العنصر الفارسي ـ حامل الميراث الحضاري ـ من مواقع مؤثرة في دوائر الفكر والسلطة، في دولة الخلافة، وبخاصة العباسية منها، وما بلغه العلماء من ذوي الاصول الفارسية، ميدان الفكر من جودة في الابداع، ونبوغ في ميادين العطاء

لكن الراصد لهذا التفاعل بين الفكر الإسلامي إبان تبلور حضارته وبين الميراث الفارسي الوافد والطارىء بعد الفتوحات، يستطيع أن يميز بين ما «قُبل» وبين ما «رُفض» او ووجه بالمعارضة والمقاومة من هذا الميراث

لقد فُتحت فارس في عهد الراشد الثاني عمر بن الخطاب، وكذلك فتحت الأودية الزراعية للأنهار الكبرى في الدولة الإسلامية، النيل، و[illegible] ودجلة، والفرات ولم يتردد عمر بن الخطاب [illegible] تبني النظام الفارسي في ضريبة الأرض الزراعية [illegible] كان يسمى «وضائع كسرى»، وظل [illegible] ومعمولا به حتى عُدّل في ظل الدولة العباسية [illegible] تم استلهام تجربة حضارية، وخبرة قومية، في [illegible] تقدير الضريبة على الأرض الزراعية

حذر العرب

لكن العرب كانوا حذرين كل الحذر، وشديدي الرفض والمقاومة، لكل ما هو خصوصية حضارية فارسية، تتعارض مع معايير الإسلام وجوهر معتقداته، وخصائصه الحضارية المتميزة لقد رفضت الخلافة الإسلامية ـ وهي نمط متميز في نظم الحكم ـ ما تميزت به مواريث الحضارة الفارسية في نظام الحكم وفلسفته السياسية، التي كانت ترى رأس الدولة ـ كسرى ـ ابنا للإله «أهورا ـ مزدا» يحكم باسمه نيابة عنه، زاعما أن لقانونه ونسبه قداسة الاله والدين كذلك رفضت حضارة الاسلامية ميراث الفرس في «النظام الطبقي المغلق»، لمعارضه الجذري مع فلسفة الاسلام في المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات والذين يقرأون مصنفات علماء الإسلام في (الملل والنحل) وصراعهم الفكري مع الفرق والمذاهب غير الاسلامية يدركون المقاومة الباسلة التي ووجهت بها مذاهب الفرس وعقائدهم وفلسفاتهم من [illegible] حضارتنا العربية الاسلامية، فالمجوسية والزرادشتية ومذاهب أخرى مثل المانوية (الثنوية) [illegible] المتعددة، تحتل معارضتها صفحات كثيرة في عشرات المجلدات التي تصدت للوافد الضار المرفوض وكذلك صنع المتكلمون والفلاسفة المسلمون مع «الغنوصية» التي كانت ثمرة هيلينية في [illegible] التصوف والعرفان الشرقي، اتجهت إلى حصر المعرفة بالذوق والحدس وليس بالعقل أو الحواس

فحين فتحت الأبواب للتجارب الإنسانية [illegible] ولعلوم التمدن العملي كان الحذر، بل [illegible] للفلسفات والمعتقدات المخالفة لمعاييرنا الحضارية [illegible]

ـ ء في السياسة أو الاجتماع أو الدين أو ال قات

كذلك كان حال حضارتنا عندما فتحت الشام و سر وبلاد الشمال الإفريقي ، ذات الميراث الـ نطي ففي الوقت الذي تبنى فيه عمر بن الخطاب « تدوين الدواوين » ، وهو خبرة إدارية بـ نطية وسعت الدولة الأموية ممثلة في أميرها خالد بن يزيد (٩٠هـ ـ ٧٠٨م) إلى مدرسة « الاسكندرية » ، فبدأت حركة الترجمة للعلوم الطبيعية والتجريبية وفنون التمدن العملي ، التي سميت « علوم الصنعة » ، في نفس الوقت الذي تمت فيه حضارتنا هذا اللون من المعارف والعلوم والتجارب الإنسانية ، كانت حربها ضد الغنوصية خاصة والهيلينية في الفلسفة والعقائد والتصورات بوجه عام ، وكذلك معارضتها لعقائد المسيحية ومذاهبها التي أخرجتها الروح الهيلينية عن نقاء عقيدة التوحيد كان ذلك شهادة تاريخ التفاعل الحضاري على عمل قانون التمييز بين ما هو خصوصية حضارية وما هو « مشترك إنساني عام » ، فالباب مفتوح لعلوم الصنعة ، موصد أمام شريعة الرومان

عندما التقت حضارتنا الإسلامية بمواريث الهندوس في الحضارة الهندية ، عمل هذا القانون فالبيروني (٣٦٢ ـ ٤٤٠هـ ٩٧٣ ـ ١٠٤٨م) الذي نهض بمهام البعثة العلمية وأعبائها ، عندما عاش في الهند أربعين عاما ، عقب الفتح الغزنوي لبعض أقاليمها ، وقام بدراسة تاريخ الهند وتراثها وحضاراتها دراسة العبقري المتفرد البيروني هذا ، يعلمنا ـ دون أن يعرض مباشرة لقضيتنا هذه ـ كيف ميز أسلافنا في تراث الهند ، بين « الحساب الهندي » و « الفلك » ، فأخذوهما وطوروهما وكذلك صنعوا مع غيرهما من علوم الطب والأعشاب الـ وائية النح فكيف ميزوا بين هذه العلوم الطبيعية والعملية والتجريبية ، التي أخذوها وطوروها ، وبين ديانات الهند ومذاهبها وفلسفاتها ، التي رفضوها ، لتعارضها مع التوحيد الإسلامي ، ومع بية المصدر الديني في الإسلام كديانة سماوية ، نز ـا الوحي على الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

مدى جدّية الاعتراض

وإذا كان الخلاف غير وارد أو غير مبرر ، مع هذه الحقائق التي قدمناها عن عمل قانون التفاعل الحضاري ، في التقاء حضارتنا العربية الإسلامية بمواريث الفرس والروم والهنود ، فإن خلافا وجدلا لابد أن يثورا عندما نقول إن أسلافنا قد أعملوا هذا القانون ، على هذا النحو عندما انفتحوا وتفاعلوا ـ على النحو المعروف ـ مع تراث اليونان ، ذلك أن ترجمة العرب للفلسفة اليونانية واحتفاءهم بهذه الفلسفة ، والمنزلة التي بلغها فلاسفتها ـ وبخاصة « أرسطو » (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق م) ، وأفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق م) ـ في التراث الفلسفي لحضارتنا ، كل ذلك لابد أن يثار كاعتراض على قولنا أن التبني والاستلهام قد وقف عند علوم الصنعة الطبيعية والعملية والتجريبية ، وأن الحذر والمعارضة والرفض قد جابهت الإنسانيات ، والفلسفة في مقدمتها ، ولذلك فلابد من وقفة متأنية ، نختبر فيها جدية هذا الاعتراض ، وصدق مضمونه ، لنرى وجه الحق في هذا الموضوع

وليس هناك خلاف على أن العرب قد سعوا إلى ترجمة العلوم الطبيعية اليونانية ، آخذين إياها من مصادرها الشرقية ـ أساسا ـ في البلاد التي فتحوها ، فترجموا تراث اليونان في الطب والكيمياء والهندسة والرياضيات والميكانيكا (الحيل) والزراعة والمناظر والحساب والمنطق ، وغيرها من العلوم الطبيعية والعملية والتجريبية ، ثم أضافوا إليها إبداعهم الذي شهد به المنصفون من علماء الغرب وأساتذة الاستشراق

كذلك لا خلاف على أن هناك ميادين في المعتقدات والإنسانيات اليونانية قد مر بها العرب ، فضربوا عنها صفحا ولم يترجموها ، ولا حتى للمتخصصين من العلماء ، وذلك مثل عقائد الوثنية اليونانية وأساطير آلهتها ، وآداب اليونان وفنونها

إذن مبدأ التمييز قائم ، وبه وعليه يشهد تاريخ التفاعل بيننا وبين حضارة اليونان ، لكن علامة الاستفهام تطل خاصة بحقل الفلسفة فلماذا أعطى

العرب هذا الوزن الكبير لفلسفة اليونان ، ترجمة وشرحا ، حتى تصححت آثارها في تراثنا الحضاري ؟

وعن هذا السؤال المشروع تجيب الإجابة التي تؤكد صدق واطراد « قانون التفاعل الحضاري » الذي ميز دائما وأبدا بين ما هو خصوصية حضارية وبين ما هو مشترك إنساني عام

لقد كانت المواجهة الأولى بين خصوصيتنا الحضارية وبين الخصوصية اليونانية عندما واجه الإسلام النمط الهيليني في النظر والتفكير الذي كانت « الغنوصية » أبرز مذاهبه في نظريات المعرفة وكانت الهيلينية - كما وجدها العرب في البلاد التي فتحوها - هي « اليونانية الشرقية » التي امتزج فيها الفكر الفلسفي اليوناني بصوفية الشرق وروحانيته ، ومع هذه الفلسفة كانت أولى معارك الإسلام الفكرية

والحقيقة التي يجهلها كثيرون هي أن المسلمين الذين ابدعوا « عقلانيتهم الإسلامية » المتميزة ، وعلم الكلام الاسلامي ، الممثل لفلسفة الإسلام المبسرة ، منذ النصف الثاني من القرن الهجري الأول ، وقبل ترجمة اليونانيات ، هؤلاء المسلمون قد اتجهوا إلى ترجمة الفلسفة اليونانية وترجمة عقلانية أرسطو اولا وبالتحديد لا ليتخذوا منها فلسفة لهم وللاسلام ، وإنما ليردوا بها - كسلاح يوناني - على الهيلينية - وثمرتها الغنوصية - التي هي تأثيرات يونانية ، مزجت بصوفية الشرق ، وروحانية الشرقيين ، فأنصار الغنوصية كانوا - كمتعربي زماننا - أثرا يونانيا في الشرق ، وامتدادا شرقيا لفكرية اليونان ، فعمد علماؤنا وأعلامنا إلى ترجمة العقلانية اليونانية ، ليردوا بها على أنصار اليونان ، وكأنهم أرادوا أن يقولوا لهم إذا كنتم لا تحترمون إلا ماهو وافد ومستورد يوناني الصنع ، فها نحن نحاجكم بأرسطو ، المعلم الأول عند اليونان ، وأبرز عقولهم الفلسفية على الاطلاق ، نحاجكم بالعقلانية اليونانية ، نقضا لغنوصية الأفلاطونية المحدثة اليونانية ، استخداما للأسلحة التي تحترمونها وتعظمونها

أدلة قاطعة

ولنا على هذا التحليل أكثر من دليل

كانت الهيلينية و « الغنوصية - الباطنية » هي « تغريب » ذلك العصر ، والغزو الفكري الذي أصاب به الغرب اليوناني الشرق منذ ان سار الاسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق م) على الدولة الفارسية (٣٣٦ ق م) ، وسائر امبراطوريات الشرقية ولقد عششت هذه الهيلينية توحيد المسيحية الشرقية الأولى ، فلما ظهر الإسلام خاضت ضد المعارك ، في البلاد التي فتحها المسلمون لكن المسلمين بعد أن بلوروا عقلانيتهم المتميزة ، [illegible] فاستعانوا بالعقلانية الأرسطية في نضالهم ضد الفلسفة والغنوص ، فكانت - كما أشرنا - ترجمة الفلسفة اليونانية استعانة بحقيقة الفكر اليوناني على [illegible] صورته الشرقية المهجنة بسلاح معترف به من الغنوصيين !!

وعلى هذه الحقيقة يشهد شاهد من أهلها ، [illegible] المستشرق الألماني بكر (كارل هينرش) (١٨٧٦ - ١٩٣٩) عندما يقول « إننا نرى كفاح المسيحية [illegible] اجل استقلالها ، وتوكيد ذاتها بإزاء الروح اليونانية المجسدة في « الغنوص » يتكرر من جديد في الإسلام في القرون الأولى تحت أسماء أخرى ، فكما كانت المسيحية الأولى معادية للروح الهيلينية كان الاسلام في الصدر الأول على العموم معاديا هو الآخر للروح الهيلينية والميزة الرئيسية للقرآن هي أنه كان [illegible] تأثيرا مضادا للروح الهيلينية في عصر تغلغلت [illegible] الهيلينية وفي اللحظة التي تخطى فيها الإسلام حدود مهده الأول ، بدأ الصراع والتصادم إن المانوية والزرادشتية كانتا بالنسبة للإسلام عدوتين خطيرتين كالمسيحية ، وإن « غنوص » المانوية والمذاهب الشبيهة بها كانت خطيرة على الإسلام خطرا مباشرا لذلك نرى أن أول مدرسة كلامية في الإسلام - ونعني بها المعتزلة - قد استفادت بعضا من أصولها [illegible] بحثها عن طريق كفاحها ضد المانوية وفي [illegible] الألوان من الكفاح تكونت جبهة كفاح [illegible] بأنها ، فالدولة والمذهب الديني الرسمي [illegible]

هنا يسيران في كل مكان جنبا إلى جنب في صف واحد لكنهما في كفاحهما ضد « الغنوص » الذي لا يعرف حد سلطان يهيبان بالروح اليونانية الحقيقية (الفلسفة اليونانية) كي تساعدهما . لقد كان الغنوص يحارب الإسلام دينيا وسياسيا . وفي هذا المضمار استعان المسلمون بالفلسفة اليونانية وعدوا بعد علما من العلوم الدينية العقلية . فكأن الإسلام الرسمي قد تحالف إذن مع الفكر اليوناني والفلسفة اليونانية ضد « الغنوص » الذي كان خليطا من مذاهب القائمة على النظر والمنطق . وعلى مذاهب الخلاص . ومن هنا نستطيع أن نفسر حماسة الخليفة المأمون للعمل على ترجمة أكبر عدد ممكن من مؤلفات الفلاسفة اليونانيين إلى العربية . وقد اعتاد الناس أن يفسروا هذا حتى الآن بإرجاعه إلى ميل المأمون إلى العلم وحبه له . لكن إذا كانت الرغبة في ترجمة كتب الأطباء القدماء قد نشأت عما اشتهرت به المدارس الطبية الكبرى من حاجة عملية إلى هذه الكتب ، فلعل ترجمة كتب أرسطو أن تكون قد نشأت بالضرورة عن حاجة عملية كذلك . وإلا فإنه إذا كانت المسألة مسألة حماسة للعلم ورغبة خالصة في تحصيله فحسب لكان هوميروس أو أصحاب المآسي من بين من ترجمت كتبهم أيضا . لكن الواقع هو أن الناس لم يحفلوا بها ، ولم يشعروا بحاجة ما إليها .

تلك شهادة المستشرق الألماني « بكر » على أن نزعة الفلسفة اليونانية والاهتمام بعقلانية أرسطو خاصة لم تكن عن رغبة في جعلها فلسفة الإسلام والمسلمين ، وإنما كانت استعانة بالعقلانية اليونانية الصريحة على هزيمة الغنوص اليوناني ، كما تمثل في خليط الهلينية والغنوص !

أصول الغنوصية

ونقدر الأهمية المحورية لهذه الحقيقة التاريخية فإنها تستحق وقفة متأنية تجلو حقيقتها كامل الجلاء .

إن الغنوصية ـ كمذهب باطني عرفاني ـ كانت قائمة على إنكار الخصوصية الحضارية ، مثلها في ذلك مثل « الغزو الفكري التغريبي » الحديث والمعاصر . ذلك أنها قد جمعت بالتلفيق خليطا « يونانيا عربيا » ، و « إسرائيليا شرقيا » ، ثم مزجا شديدا محكما ، لكن دون أن نستطيع إخفاء ملامح أصولها الثلاثة :

أ ـ الأفكار القبالية : المتمثلة في الديانة الشعبية « الإسرائيلية » بما فيها من سرية التعاليم ، والرموز الخفية في التوراة ، والقول بإله تصدر عنه الأرواح المدبرة للكون ، ورمزية الأعداد والحروف ، والحديث عن الإنسان باعتباره « العالم الأصغر » الذي جاء على صورة العالم الأكبر .

ب ـ الأفلاطونية الحديثة : كما تمثلت في مذهب أفلوطين (٢٠٤ ـ ٢٧٠م) ، بما تمثله من نزعة توفيقية بين الآراء الفلسفية المختلفة . وكما تمثلت وتبلورت في مدرسة الاسكندرية من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلادي .

جـ ـ الديانات والمذاهب الفارسية : كما تمثلت في مانوية « ماني » (القرن الثالث الميلادي) : تلك التي حاولت التوفيق بين الزرادشتية ، وقالت بثنائية النور والظلمة ، إلهين للخير والشر . وكما تمثلت في المزدكية (إحدى فرق المانوية) .

تلك هي أصول « الغنوصية » كمذهب تلفيقي ، يجعل عقيدته أسرارا يضن بها على غير أهلها ، ويسمو بها على عامة المؤمنين ، وعلى العقيدة « الرسمية » ، ويمزج الدين بالفلسفة ، بمعناها اليوناني المثالي ، ويعتمد في تصور الذات الإلهية على نظرية الفيض والصدور ، الأمر الذي جعله مأوى للمعتقدات السرية والخفية ، بل والملحدة أحيانا .

وكما يقول « ماسينيون » (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م) فإن أصول « الغنوصية » في المرحلة التي تصدت فيها لمحاربة المسيحية الأولى ـ حتى غشت توحيدها ـ كانت « سامرية ـ يونانية » . أي أن « الاسرائيليات » مع الوافد اليوناني قد مثلت أصول « الغنوصية » في مرحلتها المسيحية . أما في مرحلتها الإسلامية ، التي تصدت فيها لمحاولة إفساد عقائد الإسلام ، وتجريد حضارته من خصوصيتها الإسلامية ، فإن أصولها قد كانت ـ إلى جانب الوافد اليوناني ـ مانوية . (أعني آرامية وإيرانية) □

العربي
عيونك
على العالم
التجربة
الكورية
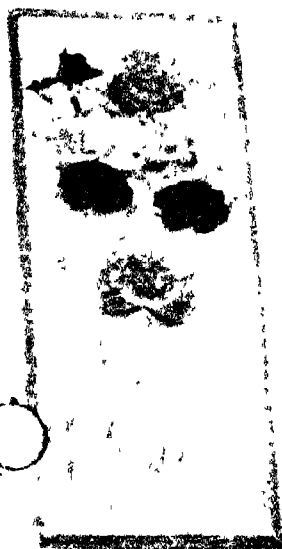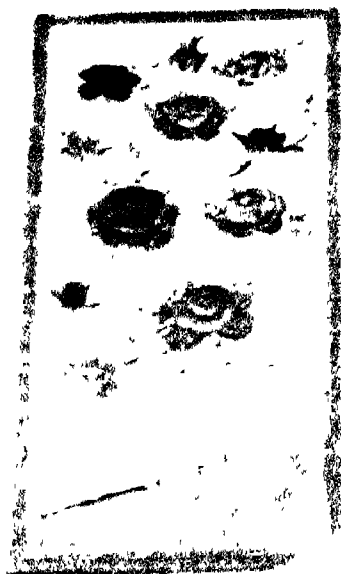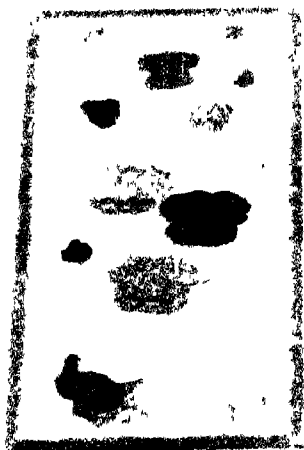
يسمونها في الغرب « النمور الصغيرة » ، لكن الواقع يؤكد أن هذه الد
التي تضم كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة وتايلند وهونج كونج ، هربت عن
الأسد الياباني ، وطغيان الغول الأمريكي ، واستغلال الذئب الانجليزي ، وعر
كيف تسيطر على السوق العالمية بصناعات ومنتجات قد تكون أقل جودة ، لك
أكثر كمّاً ، وذات أسعار تنافسية ، تقبلها الشعوب التي تبحث عن شيء معقول بس
زهيد ، يكون في متناول اليد ، بعدما اعتصرها الوحوش وامتصوا دماءها !
أكبر هذه النمور الصغيرة « كوريا الجنوبية » تشب عن الطوق ، وتمت اس
من الآخرين ، واهتمت بالكيف والكم معاً ، وسارت بخطى سريعة متطورة لمنافس
الوحوش الكاسرة في الغابة الواسعة المليئة بالمتناقضات.فهل استطاعت تحقيق المعجزة
الاقتصادية التي يتحدثون عنها أم ماتزال على الطريق ؟ !
للإجابة عن هذا التساؤل كانت انطلاقة « العربي » الى كوريا ، لتشهد
.وترى وتسجل .ما يجري هناك

العيون الكورية في كل مكان ترحب بك وتحييك ، وتقيسك متأملة أعماقك ، من خلال نزعة اجتماعية راسخة في أرض « الصباح الهادىء » ، وتبعث فيك نشوة السرور بحرارة اللقاء.

وقد يثير استغرابك أن « المملكة المتنسكة » ـ كما يصفونها ـ قد استغرقت وقتا طويلا لتفتح موانيها ومدنها وحدودها للأغراب ، بعد عزلة طويلة أمتدت مئات السنين لكن الصورة تبدو واضحة إذا تتبعت المآسي التي شهدها الكوريون خلال قرون من السيطرة الصينية ، والطغيان الياباني ، والتخريب الدامي طوال حربين رهيبتين ، إحداهما الحرب العظمى الثانية ، وأخراهما الحرب الأهلية الكورية

لكن الفلسفة المتأصلة والفطرة الحالمة والهدوء الذي غرسته العقائد المتنابعة التي مرت بكوريا ـ من الكونفوشيوسية والبوذية « والشامانية » وغيرها من الفلسفات الروحانية ـ هي التي جعلت كوريا « المتنسكة » تواصل الحياة ، رغم المآسي التي شهدتها وقد استطعنا أن نلمح آثارها على ملامح الناس ، وفي نظرات العيون ، وأعماق النفوس

ولكي نفهم الانسان الكوري الحديث ، ونفهم بلاده المعقدة ، ونعيش حياته الثقافية المتباينة ، ونساير المجتمع الكوري في هدوئه والتزام وبساطته ، كان علينا أن نحصل على إجابات ع مجموعة من الأسئلة والمفاهيم ، حول من يكو هؤلاء الناس ؟ وكيف يواصلون مسيرة الحياة ؟ ولما يسعون الأسلوب الذي يسيرون عليه ؟ وكيف استطاعوا أن يحققوا ذلك النجاح الكبير وهم في ذلك الموقع البعيد من الشرق الاسيوي ؟

لعل الموقع الاستراتيجي لجمهورية كوري الجنوبية ، وإحاطتها برا وبحرا بقوى كبير متصارعة ، قد حدد للكوريين دوافعهم ، ليثبتو وجودهم ، ويؤكدوا ثقتهم بأنفسهم ، فإلى الشرق تقع اليابان التي تبعد حوالي ٢٠ كم في أقرب مسافة بينها ، ومن الشمال تحدها كوريا الشمالية المتصلة برا بالاتحاد السوفيتي ، والى الغرب تقع الصين على مسافة ١٩٠ كم في أقرب نقطة إليها عند جزيرة شانتونج الصينية ، وهي تقترب من حدود مشور بانحناء طفيف في اتجاه الشرق ثم نحو الغرب

وشبه الجزيرة الكورية تبلغ مساحتها ٢٢١ ألف كم٢ ، منها حوالي ٩٩ ألف كم٢ تسيطر عليه كوريا الجنوبية ، أي بنسبة ٤٥٪ من المساحة الكلية لشبه الجزيرة ، بينما تسيطر على الجزء الشمالي كوريا الشمالية

اما ... ان كوريا الجنوبية فعددهم حسب آخر
احصاء ... بلغ ٤١ مليون نسمة ، منهم حوالي عشرة
ملايين ... العاصمة سيول ويغلب الشباب على
سكان الجمهورية ، إذ أن حوالي ٥٥،٩٪ منهم دون
الخامسة والعشرين ويمثل سكان الريف حوالي
٢٢ ... من مجمل عدد السكان

... التشور الى الجذور !

يقولون إنك كي تستطيع ان تدرك مكونات
الانسان الكوري ، عليك أن تعمل وكأنك تقشر
بصلة ... إذ عليك أولا أن تنزع قشرتها الخارجية
الخفيفة ذات التأثير والمذاق الأمريكي ، ثم تزيل
الطبقة السميكة ذات المؤثرات اليابانية ، ثم تحرك
بنانه طبقة بعد أخرى من الطبقات الصينية
المتتابعة ، ثم تسبر غور اللب الداخلي للحس
... الفدائي القديم عندئذ ماذا يتبقى ؟ ستجد أن
البصلة لم يبق منها إلا الجذور ، ولن تجد بين يديك
سوى مجموعة من الكسرات والشظايا المتناثرة
المفككة ، وإذا أعدت تجميعها ستظفر بثمرة ، هي
خليط من كل نوع ، ثم لا شيء بعد !

هل هناك غير ذلك يرسم لنا شخصية الانسان
الكوري ؟ لا شك أن هناك تلك الأصول والمؤثرات
النابعة من الجذور التاريخية والجغرافية والاجتماعية
للبلد ...

كتب أحد المؤرخين يقول « إن كوريا كانت
... لة حدودية ، تحيط بها القوى الكاسرة من كل
جانب عاشت قزما بين عمالقة ، وحملا وسط
ذئاب ، وغزالا في عرين سباع فعلى مدى حوالي
... سنة ظلت تلك الملامح واضحة على وجوه
الكوريين ، ويفسر ذلك المعنى مثل شعبي كوري
عندما تتعارك الحيتان ، تصاب صغار الروبيان » !

إن الخصائص التي مكنت الكوريين كشعب
... من الحدود من مواصلة العيش وبدت شديدة
الوضوح في مواقفهم وتصرفاتهم وطباعهم ،
تتحدد في ثلاث صفات أولها المرونة ، وثانيها
... وثالثها القدرة على المزج بين السخرية
... وبين الفكاهة والمرح !

● خريطة كوريا الجنوبية تحيط بها اليابان
والصين والاتحاد السوفيتي

لكن ما لاحظناه هو أن صبر الكوري لا يعني
سلبيته ، وأن مرونته لا تعني ضعف شخصيته ، بل
إن عناده وتحمله يؤكدان في كثير من الأحيان دأبه
ومثابرته وجديته ، وهي ميزة تفسر الميزتين
السابقتين والحديث عن مؤثرات الصبر الصيني أو
التكيف الياباني أو التذبذب الأمريكي ، قد يبدو أقل
من ذلك عمقا ، فالخليط من المكونات الشعبية في
أعماق الكوري ظهرت مبكرة قبل التأثيرات
الخارجية ، لكنها تطورت مع تطور الأحداث وقد
يبدو ذلك بصورة أوضح من خلال متابعة المظاهرات
والمصادمات وحركات الاضراب التي تطالب بمزيد
من دعم الديمقراطية والحرية للشعب ، فهذه
الحركات تمثل تركيبة معادلة جديدة ، ستسفر في
العالب عن تغييرات هيكلية في البنيان السياسي
والاقتصادي للمجتمع الكوري ، الذي أثبت أنه
مجتمع حي ، ارتفعت لديه درجة الحس والوعي
السياسي بقدر ما ارتفع مستواه المعيشي اقتصاديا
ولا شك أن الطفرات الكبيرة التي حققها الاقتصاد
الكوري هي ما شجع العمال على المطالبة بحقهم في

● شـريحة من العـرض الحى للفنـون والموسيقـا والرقص التقليـدى كما يقـدمهـا « البيت الكورى » وأعلنها مستوحى من الطقوس القديمة والمهرجانات الشعبيـة ومن أجملهـا رقصـة المراوح الحية
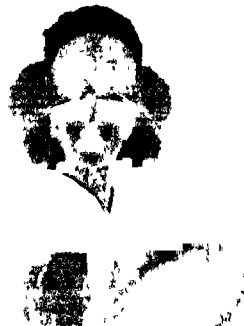
أن يكون لهم نصيب من الثروة الجديدة ، وأن تكون لهم تنظيماتهم الخاصة التي تعبر عن ارائهم بوضوح ، وبحرية مطلقة ، دون تدخل من أي جانب آخر . وقد دعم الطلاب هذا الموقف بتأكيد مطالبهم بالرغبة في التعبير بحرية ، وضرورة حل المشكلة الديمقراطية ، والتوزيع العادل للدخل ، على ضوء الطفرة الاقتصادية ، وهي طفرة لم تتحقق إلا بإرادة الشعب ومثابرته على الجد والعمل ، وقدرته على صنع تطوره المطرد من أجل حاضره ، وحفره الصخر بأظافر من حديد لبناء مستقبله .

النظرة الفلسفية للشعب

طوال جولاتنا ولقاءاتنا ومشاهداتنا أدركنا أن العمل عند الكوري عبادة ، وأن احترام الوقت أساس النجاح . فهذا الشعب يصنع الحياة بالصلابة والتصميم والصبر في آن معا ، وهو يواصل طريقه بالمثابرة والتحدي والحب ، وهو بالعمل والبذل يصنع المعجزات .

ويبدو أن ظاهرة التمدن الحضري وسرعة التنسيق في التنمية الاقتصادية التي صنعها الانسان الكوري قد أحدثتا تغييرا كبيرا في البناء الاجتماعي ، والنظرة الفلسفية للشعب ، فقد اكتسب ثقة متجددة ومشاعر متصاعدة من الاعتزاز والفخار . وأدى ذلك الى تقييم كل جديد على ضوء القيم التقليدية ، خاصة قيمتا البر بالوالدين وحب الوطن . وتضافرت العقائد المحلية لتمكين الشعب من اكتساب رؤية فريدة لنفسه وللعالم أجمع ، كما أكسبته تجارب التاريخ وقيود الحياة الحديثة روح المنافسة والانضباط وتقديس العمل .

فالكوريون شعب يعمل بلا كلل لتحسين ظروف حياته ، وإنجاح خطط التنمية في بلاده . وهم يستيقظون في الصباح الباكر مهرولين الى أعمالهم ، حيث أعلى معدل ساعات عمل في العالم ، يصل الى عشر ساعات في اليوم . وهم ينامون في المساء مبكرا حفاظا على صحتهم ، والتزاما باحترام وقت العمل من أجل سلامة الانتاج .

وهم بالاضافة الى المعدلات الصناعية التي بزُّوا بها كثيرا من الدول بارعون في التجارة . و ... عندهم هي فن التعامل مع الشعوب . وهو ... مكنهم من الانطلاق الى العالم الثالث على الأ... وترويج بضائعهم ومصنوعاتهم حتى في العالم ... نفسه . بالاضافة الى أن الكوري بطبعه بائع ... جيد ، يعرف فن الابتسام وكيف يجتذب الزبون .

إن من يتتبع هذه الصورة في الشعب الكوري ... أنه قد أصبح هناك طبقة متوسطة عريضة من ... ومديري المصانع ذوي المستوى المتوسط ، وطبقة أخرى من صغار رجال الأعمال والعمال المهرة ... طبقتين عليا ودنيا محدودتين .

أعماق الصورة وحديث الأرقام

لابد قبل الخوض في أعماق الصورة أن ... الصفحة المفتوحة للعيان ، وأن نسمع ما يقال ونتابع الاحصائيات والأرقام ، وأن نتجول بين معد... النمو والتطور الاقتصادي .

في البداية التقينا رئيس دائرة الإعلام الخارجي بوزارة الإعلام « بارك شيبيل » ، دار الحديث حول القاعدة الثابتة التي تقوم عليها المعجزة الكورية وسمعنا منه الكثير . قال :

« نحن لا نسمي ما نحققه معجزة ، بل نجاح على أعلى المستويات ، يتحقق بتضافر عناصر أربعة : تخطيط حكومي سليم ، وطاقة عمالية ماهرة ، وثقة عالية بالنفس ، مع تقديس كامل للحقوق والواجبات » .

بهذه العناصر مجتمعة حققت كوريا خلال العقدين الأخيرين أسرع تقدم اقتصادي ، يؤهلها في مدى قصير للحاق بصفوف البلدان المتقدمة . وبعد أن كانت في عداد الدول منخفضة الدخل عام ١٩٦٢ ، بناتج قومي عام لا يتجاوز ٢٣٠٠ مليون دولار أمريكي بالأسعار الجارية ، ومتوسط لدخل الفرد لا يزيد عن ٨٧ دولارا سنويا ، أصبحت في نهاية ١٩٨٦ - وبفضل تنفيذ سلسلة من الخطط الخمسية للتنمية - تحقق ناتجا قوميا يصل الى ٩٤٠٠٠ مليون دولار ، ومتوسط لدخل الفرد لا يقل عن ٢٢٦٨ دولارا . وفي نفس هذه الفترة ازداد حجم

عن... خارجية من ٤٨٠ مليون دولار الى ٦٦٣٠٠ مليون دولار في العام الأخير، بفضل تزايد مبيعات المنتجات الصناعية الى الخارج. وقام التصدير بدور رئيسي في تقدم الاقتصاد الكوري، ولعبت المبادرات الحكومية دورا مهما من خلال تبني تعديلات ضرورية للنقد القدية، وعقود مالية تصديرية قصيرة المدى بالاضافة الى تسهيلات جمركية واسعة، مع تمكين المصدرين من الحصول على المواد الخام الضرورية وتشجيع الاستثمارات الأجنبية.

وهكذا تطورت الصادرات من ٥٥ مليون دولار عام ١٩٦٢ الى أكثر من ٣٥٠٠٠ مليون دولار، وأصبحت نسبة ٩٥٪ من الصادرات تتمثل في المنتجات الصناعية. وأهمها الفولاذ والمعادن غير حديدية والآلات الصناعية والمصانع والسفن والسيارات، بالاضافة الى الالكترونيات والمنسوجات والأحذية والخشب الاسلكاح والاطارات والبلاستيك.

ونظرا لسرعة التنمية الاقتصادية تضاعفت فرص العمل، فزادت نسبة العمالة من ٧٫٧ ملايين مواطن سنة ١٩٦٣ الى ما يزيد على ١٥ مليون مواطن حلول عام ١٩٨٧، وتضاءلت نسبة البطالة من ٨٫٢٪ الى ٣٪ فقط».

التقدم التقني

فهمنا أيضا أن هذا التطور الاقتصادي قد واجه كثيرا من المشكلات، إذ أن أحد الاتجاهات كان في الاعتماد بدرجة أساسية على القروض الأجنبية. مما نتج عنه قروض خارجية، بلغت ٤١ مليون دولار مع نهاية ١٩٨٤. وكان لهذه القروض أعباؤها الضخمة، فلم تساعد الاقتصاد بالتأكيد، لكن مع نظام السوق الدولي، وتحت ضغط الديون الضخمة في امريكا اللاتينية، كان الوقت مناسبا لتقوم كوريا بترتيب بيتها وتنظيمه. ومن ثم ألغت الحكومة خطط الاقتراض، وساعدها على ذلك ضخامة الأرباح المتولدة من عملية تصدير الخدمات، واستمرار التزايد في الصادرات، وبخاصة الصناعات الثقيلة والتكنولوجية سريعة التطور، التي تمثل أكثر من نصف إجمالي المنتجات الصناعية.

ومن أجل مزيد من التطور الاقتصادي والانتاج القومي الذي يتزايد بنسبة تتراوح بين ٦٪ و ٨٪ سنويا، كان العمل يجري على تطوير التقدم التقني في القطاعين العام والخاص، وقد دعمت الصناعات الصغيرة والمتوسطة بمنحها مساعدات مالية، وبتوسيع الحصانات الضريبية.

وسيواصل القطاع المالي سياسة الانفتاح من أجل مزيد من الجذب الاستثماري، مع توسيع برامج التدريب الصناعي العلمي لتطوير المستوى النوعي جنبا الى جنب مع المستوى الكمي. وقد وضعت الخطة السادسة للتنمية على أساس الاهتمام بتزويد قطاع الصناعات بالمعلومات الجديدة في مجال التقدم الصناعي والتقني، لتمكين الصناعات من دخول مضمار المنافسة بشكل مثمر في السوق العالمية.

التصنيع النموذجي

وبدت لنا الصورة أكثر وضوحا، خلال زيارتنا لأحد الأمثلة النموذجية، وهي أحد أشهر المصانع المتخصصة في «الصناعات الالكترونية» وتلقى منتجاتها رواجا عالميا كبيرا. لقد تتبعنا كيف يجري خط الانتاج الكامل في قسم إنتاج التلفزيون، ابتداء من القاعدة الكرتونية الصماء حتى خروج الجهاز بعد اختباره لتعليبه، مرحلة إثر مرحلة، دون أي خلل في التوقيت. وبهذا الحساب الدقيق يتم إنتاج ١٧٥٠٠ جهازا يوميا، ويتوقعون الارتفاع بهذا العدد في خطة هذا العام الى مليون جهاز في السنة.

صورة التطور في الصناعات الالكترونية تبدو مثيرة، بعد أن بات واضحا أن هذا القطاع يعتبر مصدرا مهما للعملة الصعبة، لأنه يعتمد على التصدير بصفة أساسية، كما أن المستقبل مازال يحمل الكثير في هذا المجال. ومع تتبع هذا التطور نجد ـ على سبيل المثال ـ أنه في كل عام يفتتح في المصنع قسم جديد لأحد أنواع الأجهزة الالكترونية. كانت البداية في عام ١٩٧٢، حيث بدأ إنتاج أجهزة التلفزيون. وتلاه افتتاح وانتاج البرادات الكهربائية، ثم جاء دور أجهزة التكييف

● المتحف الحي للحياة التقليدية الساحرة والعادات الأصيلة والتقاليد العميقة والأزياء الملونة والثقافة المتنوعة حيث تعرض عادحها في القرية الفولكلورية

(الصورة العليا) لاثنين من الحرفيين مهمكين في إبحار صاعتهما التقليدية (والصورة الوسطى) للعبة "المرجيحة" بعد أن تبارلت اللاعبات التقليديات للرائرات من الطالبات للاستمتاع باللعبة التي كانت تلعبها الامهات

(اما الصورة السفلى) فللفلاحات في الحقل يعملن تماما كما كانت أمهاتهن تعملن وسط خضرة الحقول في ألارض المزهرة

● (الى اليسار) مشهد عام من قلب القرية الفولكلورية حيث البحيرة والبط السابح في مائها والكشك المقام على النمط التقليدي والمقام في نهاية الجسر الحجري الذي يربطه بشاطىء البحيرة

المعـــالات ومن بعـد ذلك قسم انتـاج الكمبيوترات والموتورات . ثم ماكينات الطائرات واجهزتها الالكترونية وفي عام ١٩٧٨ بدا إنتاج آلة البيع الحاسبة ثم آلات التصويـر الصوتي والتلفزيون وبعدها افران المكروويف ثم الكمبيوتر والآلات الحاسبة والفيديو والأجهزة المكتبية وآلات التسجيل والساعات والمعدات الطبية ومازال الباب مفتوحا كل عام لانتاج جديد .

ولعل صناعة السيارات واحدة من ابرز الامثلة الأخرى ، فقد مرت هذه الصناعة بصدمات كثيرة لكنها حققت بعد ذلك تقدما كبيرا وصنع هناك نوعان بارزان من سيارات لم تكن تنافس السيارات اليابانية وتتفوق عليها في صلابة جسم السيارة وتحمل هيكلها للصدمات وجدها سوقا واسعة في اوروبا وامريكا ودخلت سيارات النقل والحافلات ميدان التصدير والمنافسة بكميات كبيرة ايضا

اما صناعة الحديد والصلب فهي العمود الفقري للصناعات الثقيلة وقد توسعت مصانع بوهانج للحديد والصلب التي امتلكت الحكومة غالبيتها طاقتها الانتاجية فقدرت بحوالى ٩ ملايين طن . وبذلك فهي سابع شركة للحديد والصلب في العالم ثم افتتح مصنع جديد لتضيف الى قدرتها ٣ ملايين طن . ومع نهاية الثمانينيات ستكون كوريا ضمن أول عشر دول منتجة للصلب في العالم

وتعتبر صناعة السفن أول المستخدمين للصلب ، وتمتلك كوريا الآن واحدا من اكبر الأساطيل التجارية في العالم ، وتقوم بالتعامل مع كل أعمال الشحن والنقل بأسعار قليلة نسبيا ، بمعنى أنها أقل تكلفة من السفن اليابانية والأوروبية وفي الوقت الحالي سبقت كوريا جميع منافسيها ، وأصبحت ثاني منتج في العالم بعد اليابان ، ويبدو أنها ستبقى في هذه المكانة عدة سنوات قادمة

أما صناعة البناء والتشييد ، فقد خرجت الى ماوراء البحار ، وأصبحت كوريا تساهم في إقامة مشروعات كثيرة في أوروبا وأفريقيا والوطن العربي وتحقق هذه الصناعة حوالي ١٣ بليون دولار في المتوسط كل عام لكن لا احد يدري ان كان نفس العائد سيبقى على ما هو عليه او انه سيقل مع معاناة بعض الدول من أوضاع مالية بعد اضطراب اسعار النفط والحروب والصراعات التي تسيطر على المناطق التي كانت سوقها مفتوحا للانشاءات الكورية

لقد اكد بارك شيبيل الامال في آفاق المستقبل قائلا

لقد دخلت كوريا بالفعل حاليا في سباق مواجهة التحديات التقنية خلال السنوات القادمة ، وسوف تنميها الاقتصادية خاصة بالمزيد من تطوير صادرات المنتجات عالية التطور جدا التي تم إنتاجها بكفاءة متزايدة ومن خلال قدرتنا الكامنة على التطور في المستقبل سوف تدخل كوريا مع بداية القرن القادم على معدل مرتفع للدخل القومي بحيث يصل الى اكثر من ٢٥ بليون دولار بحلول عام ٢٠٠٠ ، ويرتفع معه متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي الى ٥٠٠٠ دولار ام تحتي سنويا ومن المتوقع ان تحتل كوريا على ضوء هذه النتائج المركز الخامس عشر بين دول العالم من حيث القوة الاقتصادية والمركز العاشر في مجال التجارة

الاعتزاز بقيمة الوطن

ان المعجـزة الاقتصاديـة الكوريـة حقيقة واقعة بالفعل وإذا كان مدير الإعلام قد حدد مقوماتها الأربعة في التخطيط السليم ، والعمـالة الماهرة والتوازن في الحقوق والواجبات ، والثقة في النفس فقد أضاف إليها « شين هون جونك » المدير العام للصحافة الخارجية دافعـا اخر هـو اعتزاز المواطن الكـوري بوطنـه وتاريخه الذي يـدفعـه الى صنع المعجزات

لمسنا هذا الاعتزاز بالفعل في أكثر من مجال ، حتى في المظاهرات والحركات العمالية والطلابية التي اتسع نطاقها في العام الماضي إنهم يـطالبون بمزيد من الديمقراطية ومزيد من الحريـة وهم يصطدمون بقـوات الأمن والجيش ويتبـادلـون رميهم الرصاص

لكن لا تكاد المظاهرة او حركة الاضراب يبحث العمال و لطلاب انفسهم لتطهير مصانعهم ومعاهدهم والشوارع المحيطة بها الاحجار وتنظيمها ، فتبدو في احسن صورة دون تشويه

حتى في حركة الاضراب يكلف العاملون عددا منهم قبل الأضراب بمواصلة العمل في الأقسام ، حتى تتوقف عملية الانتاج وإن قلّت كميتها

واحترام مواعيد العمل واستغلال كل الوقت للانتاج دون أي فقدان في ساعات العمل التي تمتد لأكثر من ٥٤ ساعة اسبوعيا ، تظهر مظاهر الاعتزاز بقيمة الوطن والأمثلة كثيرة بدءا من تطوير الانتاج وتقدمه ، ونظافة الشوارع والامتناع عن القاء ما يشوه نظافتها ونقائها ، والمحافظة على قاعات المكاتب والمصانع والمدارس بخلع الأحذية قبل الدخول ، وتعويد الأسر والأبناء على زيارة المتاحف ومعالم التاريخ القومي لغرس حب الوطن في نفوسهم وحين التقينا بأحد طلاب المدارس قال إننا احد المجتمعات التي تؤمن بقيمة الحرية والديمقراطية كأساس للتحضير بدونه التقدم والنماء المنشود

المد الأسطوري الكوري

حول ما شهدناه من اعتزاز الكوريين بأصولهم وعراقة وتاريخهم القديم وتقاليد الآباء والأجداد ، في حوارنا مع مدير الصحافة الخارجية لوزارة الاعلام خلال مأدبة العشاء التي أقامها لنا نادي الصحافة فقال

ان اصولنا تنبع في الحقيقة من منغوليا ولعلكم لاحظتم أن المرأة الكورية ، وبخاصة في الريف ، لازالت تحمل صغيرها خلف ظهرها برباط يلتف حول وسطها ، وهو نفس ماكانت تفعله المرأة المنغولية وقد لاحظتم بغير شك أن الشعار الذي وضع لدورة الألعاب الأولمبية التي ستجري في سيول هذا العام هو « النمر الكوري »

في حاجة الى تفسير ما يعنيه شعار النمر ، ... الإجابة

النمر الكوري ، عرفه سكان البلاد الاصليين « الباليو اشيانر » أي قدامى الاسيويين ، وقد نزحت الى شبه الجزيرة الكورية قبل حوالي ٣٠ ألف سنة قبائل متحولة أخرى قادمة من جبال « الالطاي » ومن مناطق منشوريا وسيبريا ، وكان لهؤلاء الأقوام الرحل لغتهم . وقد اندمجوا مع السكان الأصليين ، وتكونت مجموعات من الأسر التي تجمعت بعد ذلك لتكوّن عشائر جديدة

ثم ظهرت تدريجيا مجموعات اقليمية أكبر تحالفت فيما بينها ومن بين الوحدات السياسية المتحالفة ذات الطبقات الحاكمة برزت وحدة « روسان » التي نشأت في الشمال واتحدت من الدب والنمر طواطم لها أسس هذه لوحدة الجد الاسطوري « تانجون » وكان تاريخ تأسيسها هو القرن ٢٤ قبل الميلاد ، حيث مازال الكوريون يحتفلون حتى اليوم بعيد التاسيس الوطني في الثالث من اكتوبر كل عام

لكن ماذا عن الدب ، والنمر ، والجد الاسطوري ؟ تروي الاسطورة أن ملكا سماويا يسمى « هوانين » استجاب لرجاء ابنه « هوانونج » للهبوط الى الارض ، وان الملك قد اختار من بين القمم المرتفعة على الارض قمة على جبل « ميوهيانج » مكانا لنزول ولده ومعه ثلاثة الاف من الاتباع من اجل أن ينشر السعادة على الارض وخلال مسير الأمر السماوي التقى دبة ونمرا أعربا له عن رغبتهما في التحول الى هيئة غير حيوانية قريبة الشبه بهيئته وأشار الملك السماوي الى أحد الكهوف وطلب منهما أن يدخلاه ويواصلا الصلاة مائة يوم لتحقق لهما السماء أمنيتهما ، لكن النمر لم يحتمل الاستمرار ، فغادر الكهف متمسكا بالأرض التي عاش عليها ، بينما قضت الدبة المدة المحددة كاملة لتتحول بعدها الى حسناء رائعة الجمال

كانت الرغبة الأولى للمرأة هي أن تنجب طفلا

ولم يجد « هوانونج » ما يمنعه من أن يتزوجها وحلست تحت شجرة الصندل المقدسة تدعو وتبتهل ولم تمض فترة حتى انتفخ بطنها ، وظهر حملها ، وجاءها المخاض تحت جذع الشجرة لتلد

● الانجاز الصناعي في التجربة الكورية يتميز بالدقة والتقنية والمهارة العالية وبالكيف والكم معا. هذا الانجاز الذي يشبه المعجزات لم يمنع الكوريين من مواصلة العمل في ميدان الصناعات التقليدية والفنية التي تؤكد المهارة اليدوية التي تبدعها الأنامل الكورية في مختلف الميادين
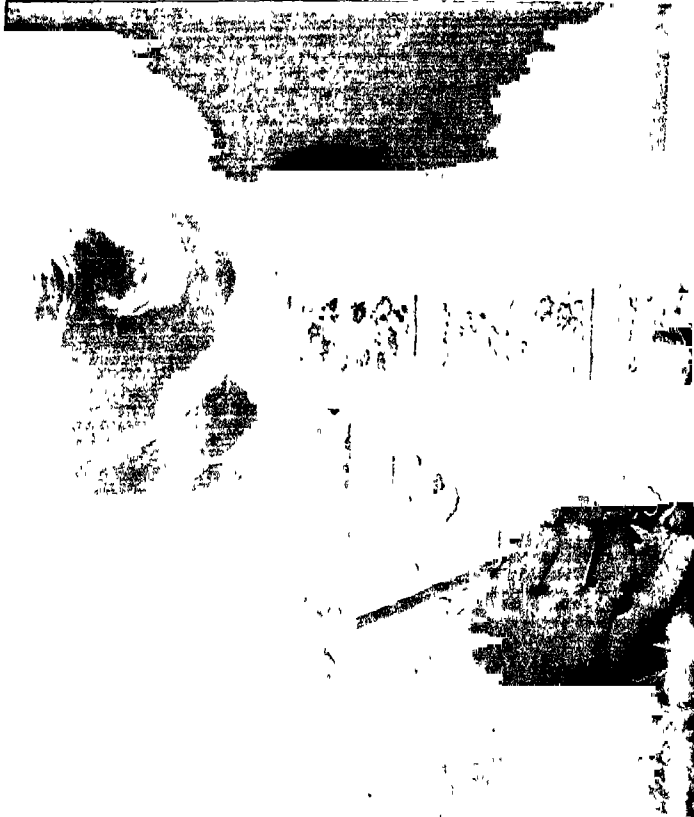
« تانجون » الذي اصبح أول ملك بشري على الأرض .

ويقول الكوريون إن فترة حكم تانجون قد بدأت عام ٢٣٣٣ ق. م. حيث ظل يعلم الناس الزراعة والعلاقات الانسانية.

وأعد تانجون مجموعة من الطقوس لتقديم الصلوات والابتهالات الى السماء. وكانت هذه الطقوس منتشرة انتشارا كبيرا بين النبلاء وعامة الناس في آخر عهد الممالك الثلاث. لكن ممارسة مذهب « التانجونيه » أخذ يفقد بعض الأتباع الى الايمان الصادق. حتى انقرض خلال القرن الخامس عشر. لكن بعودة الاتجاه القومي في أواخر القرن التاسع عشر ظهرت بعض الطوائف الدينية العديدة التي تنادي بإحياء هذه الديانة العريقة. والمهم أن حكم تانجون في كوريا استمر الى عام ١١٢٢م. أي أنه حكم حوالي ١٢١١ سنة. حتى ظهر وجه اسطوري جديد هو « كيجا » أحد أبناء مملكة شانج الصينية. الذي وصل الى كوريا وأعلن نفسه ملكا. حيث استعاد تانجون هيئته السماوية واختفى وما زال تانجون هو النموذج والمثل للوطنية الكورية. ومازال الشعر المتمسك بأرضه وأصله (طوطما) دينيا قويا. ورمزا يعتز به الكوريون ويتخذونه - كما ذكرت - شعارا لدورة الألعاب الاولمبية في العاصمة سيول.

القرية الفولكلورية

لا نستطيع أن ندرك كنه شعب من الشعوب إلا إذا تعمقت في عاداته وتقاليده وعقائده وثقافته المتوارثة. أتيحت لنا هذه الفرصة عندما زرنا القرية الفولكلورية التقليدية على بعد نصف ساعة من سيول. بالقرب من بلدة « سوون ».

هنا متحف حي للحياة التقليدية الساحرة. والعادات الأصيلة. والتقاليد العميقة. والأزياء المبهجة. والحرف العتيقة. والثقافة المتنوعة التي عاشت في أعماق الشعب الكوري منذ مئات السنين.

اخترنا المدخل الرسمي المقام على النمط التقليدي الكوري بفتحاته الثلاث وسقفه القرميدي فعبرنا عريش جاف من قش الأرز. فإذا بنا داخل القرية التي اقيمت على نمط القرية الكورية في القرن التاسع عشر. وهي تضم ٢٥٠ بيتا ومبنى. تمثل كل سمات ومظاهر الحياة القديمة. وأول ما واجهنا الطاحونة الكبيرة التي يديرها ثور تحت عريش مستدير. ثم ورشة السيراميك وأفرانه. حيث يقوم الصناع بأريائهم البيضاء التقليدية بتشكيل أواني الصيني والسيلادون ذات اللون السري المائل إلى الخضرة. وقد استخدمه الأقدمون في مملكةكوريو منذ مئات السنين. وبقيت خلطته وطريقة صنعه سرا امام الكثيرين حتى اختفت. وقبل سنوات عادت لتظهر من جديد بعد أن كشفت مناطق حديدة على الساحل الجنوبي الغربي. أمكن الحصول منها على اصل الخلطة السحرية من المواد الطبيعية. واستطاع احد معلمي قرية « شاوانج » حل رموز لغز تشكيل وأسلوب حرق السيراميك. أما صناعة السلادون فصعبة لانها تستخدم مصادر الطاقة الطبيعية. ونسبة النجاح في صناعتها ليست كبيرة. وحين تعدون الخلطة يعجنونها أكثر من مائة مرة لاخراج الهواء منها باستخدام الأيدي والأقدام. قبل أن تكون جاهزة للتشكيل. ثم تحرق في الأفران بدرجة معينة. ويجري النقش عليها. ثم تدخل مرة اخرى في الفرن لتخرج انية السيلادون اللامعة التي تعتبر أعلى مايباع من هذا النوع في الأسواق العالمية.

كل معالم الحياة

لانكاد نبتعد قليلا حتى نشهد حفل زفاف تقليدي. يرتدي العريس الثياب الأنيقة التي تم تأجيرها من أحد المحلات. الثوب عبارة عن سترة فضفاضة بكمين واسعين وسروال عريض يربط عند الكعبين برباط من القماش. ويتقاطع حاملا السترة فوق الصدر. ويربطان بعقدة. والعريس يرتدي لمزيد من الأناقة معطفا مزركشا. وقد وضع شبه قبعة سوداء معقودة فوق رأسه. أما زي العروس فهو مصنوع من الحرير ذي الألوان الزاهية. ويتكون من بلوزة قصيرة جدا وواسعة. يتقاطع حاملاها عند

ويربطان برباط طويل من القماش ، طويل حتى القدمين يوثق عاليا على وبعد المراسم التي يحصرها الأبوان يشرب الأنخاب التقليدية ، وتعزف الموسيقا ، الزهور ، وتلتف حولها الجماهير

ومن بعيد يسير شيخ ممسكا بيده عليونا طويلا من خشب الخيزران ، وقد غطى رأسه بقبعة عريضة الأطراف مصنوعة من شعر الخيل ، وهو يتهادى بين ممرات ذات السقوف المحمصة المغطاة بالقش

مداخل بيوت القرية ذات أرضية خشبية تجلس عليها النساء ، وكل واحدة منهن تؤدي عملا في بيتها هنا امرأة تكوي ثيابا بصرها بعصرين خشبيين ، وتلك تغزل خيوطا من الحرير تستخرجها من شرانق دود القز الموضوعة في إناء من الماء الساخن

وفي الساحة المواجهة للبيوت نشاهد استعراضا للمشي على الحبال المشدودة ، ومسابقات الطائرات الورقية التي يحاول فيها كل لاعب أن يقطع خيط طائرة خصمه المحلقة عن طريق اعتراضها بخيط خاص به ، ونشهد عروضا ورقصات جميلة يؤديها الفتيات والفتيان بالأزياء التقليدية وأبرز الألعاب هي الأرجوحة الخاصة بالفتيات ، حيث يوضع لوح خشبي طويل يرتكز في منتصفه على كيس مليء بقش الأرز ، وتقف اللاعبتان ، كل واحدة على حد الطرفين ، وتقفزان دوريا لتنزلا على طرف الخشبة ، وهنا تتنافس الطالبات الزائرات في أزيائهن الحديثة مع اللاعبات التقليديات ، بينما صويحباتهن يصفقن في بهجة ومرح

في القرية التقليدية أيضا شهدنا الحداد والنجار والفخاري وأصحاب سائر الحرف يعملون كل في ورشته المهم أن كل شيء يتميز بالنظافة والترتيب ودون تشويه للمكان أو الطرقات

كل هذه الصور من الحياة التقليدية شهدناها في متحف ضخم من النمط القديم مفتوح لعامة الشعب تعرض فيه نماذج من الفنون والتحف ... ثم عروض يقدمها فنانون هم في الواقع

كنوز ثقافية بشرية ، تقدم شريحة من الفنون في كوريا القديمة ، مع ألوان من الموسيقا التقليدية وما يصحبها من رقصات وآلات

الفن في البيت الكوري

شهدنا هذا العرض الحي لأنواع الرقص والغناء والموسيقا التقليدية في « البيت الكوري » أحد هذه العروض لموسيقا كلاسيكية مستوحاة من الطقوس الكونفوشيوسية ، تسمى « الآك » وهناك غير هذا النوع موسيقا ذات أصل صيني كانت تقدم في حفلات القصر في حضرة الملك والحاشية ، تسمى « كانجاك » ، وهي غير الموسيقا ذات الأصل الكوري التي تسمى « هيانجاك » ، يضاف إلى كل ذلك أنواع من التراتيل البوذية والموسيقا الفولكلورية وفرق الفلاحين الموسيقية الشعبية

الموسيقا المصاحبة لرقصة البلاط التقليدية تتميز بالوقار والبطء والهدوء والتعقيد ، تتداخل أنغامها الطويلة الغنية بالزخارف الجميلة والعواطف المقيدة والانفعالات المكتومة أما الآلات الموسيقية التي يلعب عليها العازفون فعتيقة ، أكثرها من أصل صيني ثم طورت من بين هذه الآلات القيثارة والناي ومزمار الغاب ذو الفرعين وأنواع من الآلات الترددية وتصحب صوت المغني دقات الطبول الرتيبة لضبط الايقاع وتتميز الرقصات المصاحبة بالجلال والوقار وحرفية الأداء

على العكس من ذلك نجد أن الموسيقا الشعبية تتميز بالسرعة والحيوية والعاطفة المشبوبة ، تصحبها رقصات طبيعية مفعمة بالنشاط ولا تخلو من حركات رياضية ، تغلب عليها الايقاعات غير المنتظمة ذات التوقيت الثلاثي المركب ، وتستخدم فيها بعض الآلات التقليدية ، وإن كانت تعتمد أساسا على النواقيس المعدنية والطبول الشبيهة بالساعات الرملية المسماة « رانجمو » ، وآلات « الأنوا » التي تشبه النفير ويصحب الرقص أصوات غناء تؤديه فرقة من وراء الستار تبدو كأنها « السلويت » ، وتعطي إيحاء بتعبيرات إنسانية مفعمة بالحياة

تبدو هذه العناصر الموسيقية الغنائية مجتمعة في

● لايخلو أي معبد بودى من المتعبدات اللواتى يقدمن صلواتهن أمام تمثال بودا وهن يجلسن ر ا
واسترخاء وتأمل لساعات طويلة كما تفعل هذه العجوز التى راحت تسبح بالمسبحة وهي تتمتم بالد
(الصورة العليا الى اليمين) أما الصورة السفلى فلراهبتين تمارسان الطقوس البودية وعلى ر

... لاتي وحول دراعيها « الشاسحام » دو الاكمام الطويلة   وفي مدخل معبد « بولعوسكا » تقوم أربعة
... المعبد البودي لارهاب الشياطين والشريرين وسعهم من تحاور البوابة الرئيسية   وتدل طريقة
... ل وتلويها ورسوم الحيوانات الاسطورية على حدران المعبد وأركانه على حيال حصب وهيام حامح.

رقصة الفلاحين الفولكلورية التي يشترك فيها فتيات وفتيان يعزفون على آلات نحاسية وطبول كبيرة والات نفخ ويبدأ العرض بمشهد فوق الحقل الذي يعيش فيه أهل القرية لينتهي في بيت أحد الفلاحين ويرتدي أعضاء الفرقة الموسيقية قبعات ذات ألوان زاهية وتقدم الرقصات في ستة أشكال متتابعة بعضها ذو إيقاع سريع ، وبعضها الآخر بطيء الايقاع ، تصحبها دقات موسيقية على طبول نحاسية وهذه الرقصات مازالت تقدم خلال الاحتفالات الشعبية في القرى بين فترات الراحة في الحقول

الأسلوب الفني للموسيقا الشعبية يبدو في تباين الأنغام اللطيفة الناعمة في العروض المختلفة ولعل من أجمل ما شهدناه رقصة المراوح ، وهي مستنبطة من الطقوس التقليدية ، حيث تستخدم المراوح في رقصة تتباين وتتمازج بين القوة والعاطفة في إبداع فني مبهر

وتحكي الرقصة كيف تحولت المروحة المستقيمة التقليدية مع الزمن إلى مروحة سهلة الطي زينت بزخارف ذات رسوم ملونة ، واصبحت تنسجم مع ألوان الرداء التقليدي للفتيات الراقصات في البلاط الملكي وهن يزين رءوسهن بتيجان من الزهور وتحولت الرقصة التقليدية الملكية بما تبدو عليه من الهيبة والجلال لتصبح رقصة شعبية مفعمة بالمرح والعاطفة ، مع نغمات ناعمة نابضة بالحياة وأكثر المشاهد إثارة في هذه الرقصة عندما تسرع الأنغام الموسيقية بينما تشكل الراقصات باقة واحدة من الأزهار تدور بسرعة ، والمراوح تفتح على آخرها وهي ترتفع وتنخفض بانسجام مع الحركة الدائرية البديعة

ومن أجمل الرقصات التقليدية رقصة الشامانية ، وهي العقيدة القديمة التي مازالت حية في أعماق غالبية الكوريين حتى بعد أن اتبع بعضهم عقائد وديانات أخرى هذه العقيدة هي المنبع الرئيسي للثقافة ، ومصدر فنون الموسيقا والرقص والأساطير والحكايات الشعبية عند الكوريين وتقدم هذه الرقصات في اثنتي عشرة لوحة تقدمها نفس ... بزيائهن الملونة البديعة واعطية الز ... بالأزهار وبين أيديهن المراوح يتلاعبن ... خلال عروضهن التي من أبدعها رقصة « ... » تقدمها راقصة تحكي قصة تقليدية . [illegible] مشاعر الرعبة واللهفة إلى مناداة روحه ... حتى يعود إلى الحياة والرقصة تعبر عن ... المشاعر والأحاسيس و بدفاعات الامل ... الألم النابعة عن اليأس عندما تدرك ... يعود !

اذا كانت هذه هي أنواع الموسيقا ... التقليدي التي تقدم في احتفالات الكوريين ... ومسارحهم ويتسلون بها في رحلاتهم وحفلاتهم ... بالغناء المنفرد أو بالرقص الذي يؤديه ... بدوره ، فإن هناك أيضا أنواعا من الموسيقا ... التي شهدت نجاحا سريعا مع دخول ... في أواخر القرن التاسع عشر وهناك فرق ... عديدة وفرق خاصة بالأوبرا ومعاهد للموسيقا العصرية وتقام حفلات موسيقية يحضرها موسيقيون كوريون أو أجانب . ويلقى إقبالا كبيرا ... عصر ... تطورت فنون في ميدان المسرح ... التكرية ، وهي خليط من التمثيل الصامت « بانتومايم » ورقصات الباليه التي تصور ... دينوية ساحرة . مع رقصات ومشاهد للنصوص ... المتجولين المنشدين على طريقة شاعر الربابة المعروف ، كما أن هناك رقصات الأقنعة التي ... راقصون وممثلون من الجنسين

هناك أنواع أخرى من الفنون ... الكوريون شهدناها خلال زيارتنا للمتحف الوطني للفنون الشعبية ، ففي المتحف تعرض مشاهد ومعد ... الحياة والأعمال الشعبية التقليدية منذ العصور القديمة ، مع اهتمام كبير بعرض الأزياء ... والأثاث والمجوهرات واللوحات الفنية ومن خلال العروض يستطيع الانسان أن يتبين أن الفن الكوري يعكس إحساسا بالبساطة التلقائية والقوة ...

وتدل مشاهد الحيوانات الأسطورية ...

...سة سواء القديمة أو الحديثة على جيال ...سام جامح . هما من صفات الشعب ... سحة في أعماقه

النحت والبودية

... الفنون التي تأثر بها الشعب الكوري ، صدت عمقا جديدا الى أعماقه في النحت ومن ... أن في النحت الكوري القديم قد تأثر بالبوذية حتى صارت اهم موضوعاته صور « بوذا » ... المختلفة ، وتماثيل القديسين البوذيين ... من الشخصيات المقدسة البوذية الأقل ... واجمل ما شهدناه من ذلك في معبد ... أكبر لمعابد البوذية وفي كهف ... لواقع قرب مدينة كيانجو أعني ... لكورية التاريخية بالفنون القديمة كيانجو في ... متحف بلا جدران ، مليء بالآثار التي ترجع في عصر مملكة شيلا ، ومعابد بوذية ومقابر ملكية ... تذكارية مع أقدم مرصد حجري في اسيا على الاطلاق

... هذين الموقعين الأثريين تأن تحركنا من ... بوذا ... لساحي الواقع على بحيرة وسط اودية ... جبال معشاة بالأشجار وبلغنا موقع كهف ... الذي بني عام ٧٥١ م بتماثيله الحجرية ... المنحوتة التي تعتبر من قمم الفن البوذي ... في صدر الكهف تمثال جالس لبوذا ، ... من الجرانيت ، يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار ، ... المشرق ، يعكس تقويما غاية في الدقة وحسابا ... للأبعاد والمسافات ، مع البساطة المدهشة في ... الزوايا والأسس الهندسية والعلمية والتقنية ... في بناء الكهف الذي أقيم منذ اثني عشر قرنا

... المنحوتات الفنية فهي ما يحتويه معبد ... في كاياسان ، حيث أكبر مركز لتدريب ... البوذيين أهم ما يحتويه المعبد تعاليم بوذا ... على ٨٠ ألف قالب من الخشب ويقال ان ... ذهبا الى الصين حيث عثرا على كتاب ... بوذا ، وعندما عاد الراهبان أقاما محرابا لها على جبل كاياسان وهناك بلغ سمعهما أن زوجة الملك تعاني من مرض عضال ، فذهبا وعالجاها بمعاونة بوذا ودعواتها له

ومن أجل أن يشكر الملك صنيعهما أمر ببناء معبد لهما هو ذلك المعبد المسمى « هاينسا » ، حيث حفظت التعاليم الكاملة ويقال انه من الغريب أن حريقين شبا في المعبد والتهما أحشاءها ، ولكن لوحات تعاليم بوذا نجت من الحريقين ولم يصبها أي أذى . رغم أنها محفورة على قوالب من الخشب !

في هذا المعبد البوذي الكبير شهدنا احتفالا دينيا في ذكرى بوذا كانت ساحة المعبد مليئة بالرهبان بينما الراهبات بالزي المقدس ذي الأكمام الطويلة وأغطية الرأس البيضاء ، والكل يؤدون الصلوات ويرتلون على أنغام الات الموسيقا التقليدية ، أمام تمثال بوذا الذهبي وحوله المقدسون من تلاميذه ومريديه

وانتهى الاحتفال برقصة تؤديها راهبتان تمارسان الطقوس البوذية ، وقد وضعتا على رأسيهما الغطاء الأبيض المثلثي وحول صدريهما وذراعيهما « الشالحام » ذي الاكمام الطويلة البيضاء وتبدأ الرقصة المقدسة في هدوء بينما في الخلف طبلة معلقة تتدلى منها اطراف التين وتتابع الموسيقا في سرعتها حتى تصل إلى قمة الاثارة حين تصل الراهبتان الى الطبلة فتدقانها بعصويهما المختفيين تحت الأكمام الطويلة ، لترسل نغمات متسارعة تعبر عن الانفعالات الداخلية مع تفاعل الصراع الروحي في الطريق الى « النيرفانا » وهي مرحلة السمو الروحي التي يمكن الوصول اليها بعد مراحل متتالية من المعاناة والآلام تعبر عنها الحركات والنغمات

العقيدة في الأعماق

لكن ، ماذا عن تأثير العقائد والديانات المحلية والأجنبية على بناء شخصية الانسان الكوري وعاداته وأخلاقياته وثقافته ؟

الواقع أن أغلب العقائد والديانات العالمية الشرقية والغربية ، تلتقي مع العقائد والديانات المحلية التي عاشت في كوريا آلافا من السنين والحرية العقائدية التي يتمتع بها الانسان الكوري

... ة للاختيار بمحض إرادته دون تدخل ... ولعل صورة لمساها بشكل مباشر ... الحقيقة
... كانت بودية طبقا لدين أبويها ، كما أنها ... بمعالم وحكم كونفوشيوس ، لكنها لم تحس ... إلى الكونفوشيوسية بل فضلت عليها ... هي واحدى شقيقتيها ، ولم تتدخل أسرتها ... ذلك التعبير لكنها حين بدأت تدرس اللغة ... كأحد مواد الدراسة الاختيارية في دراستها ... تفهمت القران بلغته ، وبدأت تميل الى ... الاسلام ، يساعدها في ذلك ما اطلعت عليه ... مفاهيم وفضائل هذا الدين ، وتركت اسمها ... الكوري وهو « كواك ليه » واكتفت به اسما عائليا ... اسما ، وفضلت عليه اسما عربيا هو « أحلام » ... به في كل مكان بما في ذلك الجامعة المهم هنا ... أحدا لا يحاول إقناعها هي وشقيقتها بالعودة الى ... القديم وكل من في البيت يؤدي عادته على ... ما امن به دون أي تأثير أو ضغط من الآخرين
هذه الصورة موجودة بشكل أو باخر داخل كل ... في كوريا ، ولكل دين أو مذهب أو عقيدة أو ... معتنقوها حتى اللادينيين الذين يتجاوز ... عددهم ٢٥ ألف نسمة ، يوجد بينهم بضعة الاف ... يؤمنون بأشكال من عبادة الطبيعة ، والاعتقاد بأن ... أرواح تسود هذا الكون كما في معتقدات ... « بودانج » ولا يختلف في ذلك « التايجونجيو » ... يعتقدون في إله ذي أقانيم ثلاثة ، فهو خالق ... ومعلم وملك ديبوي وأبو الشعب الكوري ومعلمه ... وملكه وما تزال هناك طوائف دينية عديدة تنادي ... بإحياء هذه الديانة العريقة كما أن عقيدة مثل ... « الونجهاك » تحيا كمذهب ديني ذي نزعة قومية ، ... واتباعها يرفضون الديانات القديمة الأخرى ، مثل ... الكونفوشيوسية والبودية والتاوية ، على أساس أنها ... فقدت جوهرها ، كما أنهم يبدون الكاثوليكية ... ... من « علوم الغرب » وهم يقولون بأن ... ... الانسان متلازمان لا يفترقان ، وأن جميع ... الناس ... سية ، وأن الجنة موجودة هنا الآن في مملكة ... الأرض ... أثر منها في « مملكة السماء » على أن

● مشهد لاحتفالات « جونج ميوري ريه » وهو اكبر الطقوس الكونفوشيوسية التي تقام في أول يوم أحد من شهر مايو من كل عام

الاعتقاد ذا التأثير الذي ما يزال في أعماق الدينيين ممن امنوا بالبودية أو المسيحية الكاثوليكية أو البروتستانتية هو « الشامانية » التي ما تزال طقوسها تمارس ، وبخاصة في الأقاليم الريفية والمناطق الزراعية ولدى البسطاء ، لابعاد سوء الحظ وتحقيق الآمال في النجاح وشفاء المرضى والابتهال إلى قوى الأرواح السائدة في الكون وتهدئة غضب أرواح الموتى وتخفيف ثائرتهم ورغبتهم في الانتقام ممن خلفهم تأثير الشامانية ما يزال قائما يظهر حتى في معابد الديانات الأخرى ، حيث يوجد في معظم المعابد البودية هيكل صغير أقيم لروح الجبل وللنمر الذي لا يفترق عنه وغالبا ما تكون الصلوات بهذا الهيكل الثانوي الصغير أكثر حرارة من الصلوات التي تقام بالمعبد البودي الرئيسي ، رغم صور بوذا وتماثيله المغشاة بالذهب

أكثر الديانات أتباعا

أما البودية فهي أبرز الديانات في كوريا ، ولها تأثيرها أيضا في أعماق الكوريين ، ويبلغ عدد معتنقيها ٧,٥ ملايين نسمة ، أي نسبة مساوية لجميع الدينيين الذين يعتنقون ديانات أخرى ، ومجموع عددهم لا يتجاوز سبعة ملايين عن البودية وتأثيراتها في كوريا الجنوبية دار حوارنا مع مدير التعليم البوذي « باك لو أو » في المركز الرئيسي بسيول ، فقال لنا
البودية هي الديانة الأجنبية الأولى التي لاقت قبولا

واسع النطاق في كوريا . وقد دخلتها حوالي سنة ٣٧٢ عن طريق الصين بواسطة رهبان مبشرين وحينما اعتنقتها الأسرة المالكة في عهد مملكة شيلا بسبب معجزات نسبت إلى بعض القديسين البوذيين اقتفى السكان أثرها وسرعان ما عمرت سفوح التلال الكورية بالمعابد والأيقونات والأديرة وأبراج المعابد وتماثيل بوذا الصخرية « ميروك » . وتألقت الفنون الهندسية المعمارية والنحت والرسم . والدراسات النظرية البوذية

وإذا كانت البوذية قد فقدت مكانتها بعض الوقت خلال الاضطرابات السياسية في عهد مملكة كوريو وأثناء حكم أسرة « يي » التي طردت رجال البوذية في عام ١٣٩٢ من العاصمة . إلا أنها انبعثت من جديد خلال السنوات الأخيرة . واقتربت في مظهرها من روح العصر . وسعت الى توثيق الروابط مع الحركات البوذية في البلاد الأخرى . واتخذت مبادىء جديدة تسعى لخدمة المجتمع . وتتعاون مع مختلف الديانات في إطار حركة المسكونية العالمية كغيرها من الأديان

إذا كان هذا هو تأثير البوذية في أعماق الكوريين . ففي الأعماق الدفينة منهم أيضا تأثيرات الفلسفة الكونفوشيوسية التي تركت أثرا هاما في تكوين الشخصية الكورية وقد كان التبحر في دراسة مؤلفات كونفوشيوس في الأخلاقيات والفلسفة . هو الطريق الوحيد نحو النجاح السياسي والاجتماعي . خاصة في عهد مملكة « روسان » وكانت الامتحانات التي تنظمها الدولة ويرسب فيها كثير من المرشحين سنوات متلاحقة هي المعيار الوحيد لقبول المثقفين في المناصب الادارية وهذه المناصب هي المهنة الوحيدة التي كان في إمكان أي شخص مثقف موهوب أن يطمع في توليها دون مساس بكرامته

الكل في واحد

الذي لا شك فيه أن العقائد والديانات لها تأثيرها الكبير على الثقافة الكورية ولأن كوريا ظلت فترة طويلة ساحة لصراعات السياسة الدولية . فقد وجدت على أرضها أيضا مختلف [illegible] والايديولوجيات القادمة من الشرق والغ[illegible]

إن أي زائر لسيول سيلفت نظره مش[illegible] والنشاط المرتبطة بوجود الثقافات التقليد[illegible] جنب مع الثقافات الحديثة ومهما تلاقت [illegible] والعقائد العالمية والتقليدية على الأرض الكورية شامانية وبوذية وكونفوشيوسية ومسيحية وإسلا[illegible]

فإن أيا منها لا يستطيع وحده تمثيل الثقافة [illegible] الحديثة . فتحت هذه الظروف يمارس الكو[illegible] حياتهم الروحية بانسجام وتآلف . وكما [illegible] عضو في الأسرة يستطيع اعتناق أي معتقد[illegible] المعتقدات والفلسفات والديانات دون [illegible]

فالجدة قد تكون شامانية . والأم بوذية [illegible] كاثوليكي . والحفيدة بروتستانتية . والابن [illegible] دون أي تفسخ للعلاقات الأسرية [illegible] الاختلاف العقائدي في الأسرة الواحدة فإن الا[illegible] بين الأفراد مظهر اجتماعي واضح

ومنذ القدم كان الكوريون يتجمعون معا لـ[illegible] الأضحيات الطقوسية لعبادة الله . ويمارسون [illegible] والغناء . خلال أداء مختلف الطقوس . فقد يعيشون على نفس الأرض التي تمسكوا بها واحتو[illegible] بجبالها ووديانها وأنهارها وهم على هذه الا[illegible] يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقد[illegible] وعواطفهم وإذا كانوا قد استقبلوا عقائد و[illegible] قدمت إليهم من خارج الحدود . إلا أنهم عرفوا [illegible] يتكيفون معها ويكيفونها مع معتقداتهم الاص[illegible] دون أن يقتلعوا الجذور التي تربطهم [illegible] والأرض والتاريخ

من هنا فإنه لكي نفهم التجربة الكورية علينا أن نفهم الانسان الكوري ولكي [illegible] الانسان الكوري فعلينا أن نسبر أغواره وأعما[illegible] وهنا فقط نكون قد أجبنا عن السؤال الـ[illegible] للبحث عن إجابته

التجربة الكورية هل هي [illegible] معجزة ؟!

إعداد · الدكتور محمد نبهان سويلم

أثناء احتفال الولايات المتحدة الأمريكية بالعيد المئوي لتمثال الحرية عام ١٩٨٦، لاحظ المشاهدون شخصا عرفوه جيدا وهو في عنفوان قوته ، وقد أخذ ذراعه يرتعش بحركات لا إرادية لم يكن هذا الرجل الذي اختير مع شخصيات شهيرة كثيرة ليشارك في الاحتفال المذكور إلا الملاكم محمد علي كلاي

فما الذي حدث « للملاكم الأعظم » حتى صدرت عنه تلك الارتعاشات ؟ وما هو مرضه ؟ وهل هناك إمكانية للشفاء ؟؟

خلال احتفال الولايات المتحدة الأمريكية بالعيد المئوي لتمثال الحرية ، جمعت الهيئة المنظمة نخبة من مشاهير البلاد في شتى الأنشطة ، ليمجدوا المهنة بالمناسبة ، ويرددوا مع الجماهير الأناشيد والأغاني . وكان من بين المشاركين محمد علي كلاي ... ملاكمي هذا القرن لكن راع من شاهدوه ... ارتعاش ذراعه اليسرى ، واهتزازها هزات لا ... أسباب هذه الرعشة معروفة جيدا للأطباء ، وهي رد فعل طبيعي للضربات التي تلقاها طول فترة ممارسته للملاكمة ، ولها نفس مظاهر المرض الذي يصيب العجائز والطاعنين في السن ، ويحد من قدرتهم وحيويتهم ، ويعجزهم عن الحركة والحل والترحال

عادت الأذهان صوب سويديين أربعة ، ثلاثة رجال وسيدة ، قاسمهم نفس المرض ، وحار معهم الأطباء ، ولم يجدوا حلا سوى زرع خلايا جديدة

- خلايا صناعية تحل محل خلايا تالفة ، وتأخذ فيها قطع غيار الآلات والماكينات ، فليست خلايا عصبية

داخل جماجمهم ، بعد أن تقدم العلم وقطع شوطا بعيدا في نقل الأعضاء ، حتى أصبح الأطباء مثل مهندسي السيارات ، يستبدلون قلبا أو كلية أو رئة ، ويضعون الصالح مكان التالف . وعلى الرغم من أن الجراحة على أولئك الأربعة قد تمت ، فإن فكرة زرع خلايا داخل المخ ما زالت غامضة ومجالا طبيا بكرا ، يخافه كثير من الناس ويرتجفون عند ذكره ، فهي جراحة جديدة ، نتائجها غير مؤكدة على الرغم من اعتقاد الأطباء الراسخ بأن هذا الإحلال والاستبدال للخلايا قد يكون في قابل الأيام علاجا جراحيا وحيدا ، يحل قدرا كبيرا من المشاكل التي قد يعاني منها بعض الناس نتيجة إصابة أو مرض •

عالم غامض

إن الاقتراب من خلايا المخ بمشارط الجراحة له - نفسيا - مؤثرات اجتماعية كثيرة ، ومؤثرات علمية أكثر ، فما زال مخ الإنسان عالما غامضا على الرغم من كل الأبحاث والمعلومات المعروفة . وبه أسرار لم تتساقط أستارها ، كما أن الخشية واجبة والحرص مطلوب خوفا من تأثر المخ أو اختلال وظائف قطاعاته ، لكن العلماء يرون أنهم يتعاملون مع عدد محدود جدا من الخلايا ، ولا ضرر ولا ضرار ، والدليل على ذلك نجاح العمليات على الرغم من أن فترة النقاهة قد تطول وقد تقصر

فزراعة خلايا داخل المخ ليست مثل نقاهة مريض استوصلت زائدته الدودية ، تمر عليه ايام معدودات ثم ينهض من رقدته سليما معافى ، ويعاود مزاولة حياته كأن شيئا لم يحدث ، بل إنها عمليات لها آثار بطيئة ، يوما تلو آخر تجمع النتائج الايجابية وتتراكم ، ويبدأ المريض بعد فترة قد تطول إلى عدة اشهر في استجماع قوته ، ليصبح قادرا على العناية بنفسه

يعتقد العلماء انه في غضون سنوات خمس قادمة سوف تصبح جراحات زراعة خلايا المخ أمرا شائعا ، على الرغم من حاجتهم الى معارف اساسية متشعبة عن التركيب البنائي وشبكة الاتصالات الحيوية من الخلايا العصبية

بيد ان هذه العمليات ليست فكرة جديدة او مبتكرة كما يتصور بعضهم ، لكن القوة الاعلامية الحالية قد ركزت عليها اضواءها ، واكسبتها ما ليس لها . ففي عام ١٩٠٣ ميلادية أجرت الباحثة الامريكية اليزابث دوون من جامعة شيكاغو نقل أنسجة مخ فار الى مخ فأر آخر . وقد لقيت عنت معارضة شديدة ، وإثارة قوية ، لكنها صمدت ، ونجحت ، فكان لها سبق الريادة بفتحها هذا السد المنيع من سدود العلم

ان الذين عارضوها ، وصبّوا جام غضبهم عليها اعتمدوا على ما أوردته كتب الجراحة القديمة ، بأن الطفل يولد مكتمل المخ ، وأن بالمخ عددا ثابتا ومحددا من الخلايا ، ثم تبدأ الخلايا في الموت بتدرج وانتظام ، وبذلك ينتهي عمل الباحثة

خلايا المخ تتجدد

ومعنى هذا أن خلايا المخ غير قادرة على صيانة ذاتها وتجديد خلاياها . وقد أكدت الأيام صدق حدس الباحثة ، وسقوط ذريعة المعارضين ، فمن خلال بحوث مرهقة أجراها الدكتور جوفري رايزمان إبان فترة الستينيات أثبتت النتائج أن خلايا المخ تتجدد ، شأنها شأن كل خلايا الجسم ، إذ لا حياة دون موت ، ولا موت دون حياة [illegible] مستوى الخلايا ، ولولا هذا التجدد والنم[illegible] اندمال جرح ، أو التئام كسر عظمة [illegible] الرجل خلايا مخ دمره حادث تصادم مرو[illegible] أن خلايا سليمة على مقربة من خلايا مدمر[illegible] سريعا ، وتمتد مثلما تمتد ذراعا أم حانية ا[illegible] المدمرة ، وتؤدي نفس وظائف الخلايا القد[illegible]

وحتى يفحم الرجل كل الافواه المعا[illegible] لا بد له من دليل لا يأتيه الباطل من [illegible] فلجأ إلى الميكروسكوب الالكتروني فجر[illegible] بخير دليل على صدق مقولته ، وهو نفس ما توص[illegible] اليه عالم أمريكي آخر هو الدكتور فيرناندو نو[illegible] الاستاذ بجامعة روكفلر ، والذي رأى نمو خلا[illegible] لحاء القشرة الخارجية لمخاخ الطيور تنمو و[illegible] وتتبدل كل سنة ، وبذا تتعلم أنغاما جديدة [illegible] فوق الأغصان ، وهذا موضوع طريف ، والبحث[illegible] علمية جديدة ، تجري على مخاخ الطيور المغرد[illegible]

إن انبثاق خلايا عصبية جديدة امر حيو[illegible] والأكثر حيوية منها خلق تشابكات عصبية توص[illegible] الرسائل بين الخلايا ، وتنقل الأحداث ، وتترجم مؤثرات البيئة إلى عقل الانسان ، لذلك ركز الدكتو[illegible] ماريان دياموند أبحاثه على هذا القطاع ، مستخد[illegible] بعض فئران التجارب ، فإذا به أمام حقيقة مؤداه[illegible] الفئران البالغة التي تحيا ضمن إطار بيئة نشطة تجد[illegible] تنمو لها شبكات بالقدر المطلوب

كل هذه الحقائق ـ وسواها كثير ـ جعلت أبحا[illegible] زرع خلايا المخ أمرا ممكنا ، ومع بداية عام ١٩٦٦ ميلادية ، بدأت تجارب محدودة ، مثل نقل خلايا مخ فأر رضيع الى مخ فأر آخر تارة ، ونقل خلايا عين [illegible] وليد إلى عين فأر كامل الصحة ، وقد تم ذلك [illegible] « تكنيك » جراحي بسيط ، يتلخص في إحداث [illegible] صغير ، توضع داخله الخلايا الجديدة

ولو قدر لأحدنا رؤية الخلايا المغروسة لرأى [illegible] دقيقة لونها أبيض ، لو تابعها عدة أيام أخرى سوف يلاحظ نمو الخلايا وامتدادها وتشعبها ، وتجاوزه[illegible] منطقة الغرس ، لدرجة دعت العلماء [illegible]

... وحساب معامل التمدد اليومي ... سحيل مثل هذه المعلومات لو جرت ... خلايا المخ

... سادر إلى الذهن سؤال لماذا عين الفأر ... وهو سؤال جيد نلمح إجابته من قول ... باشر التجارب ، لأن العين جزء متقدم ... هي عضو بارز سهل مراقبته ، وملاحظة ... العرس ، ومدى قابلية الخلايا الجديدة ... للاندماج والتواؤم والتلاحم . أضف إلى ... عدد العبارات . لعل أكثرها أهمية عدم احتواء ... العين على شعيرات دموية ترتبك عملية ...

... الأيام وتكررت التجارب على فترات ... باستخدام خلايا تم اختيارها بدقة متناهية ... شديدة ، حتى أن خلايا من قلب فأر قد ... في عين فأر آخر ، فإذا بالخلايا الجديدة ... للضوء الشديد ، وتتسع مع الضوء ...

... وات حاسمة

... علماء الولايات المتحدة الأمريكية طرف ... من علماء **أوروبا وأطبائها**، وتشكل فريق ... ضم مجموعة رائعة من أعلى التخصصات ... والطبية ، وافرز هذا التجمع الأكاديمي أول ... في العالم لبحث مشاكل مرض باركيسون ، ... مرض سمي باسم مكتشف أعراضه الدكتور ... جيمس باركيسون ، إبان عام ١٨١٧ ... مظاهر هذا المرض زيادة صعوبة الحركة في البلع ... وجمود حركة الوجه ، ورعشة اليدين ... الذراعين وبتقدم مرحلة المرض لا يستطيع ... الاعتناء بنفسه ، وهو مرض يصيب حوالي ... شخص من كبار السن في الولايات المتحدة ... كل سنة

كل هذه الآلام بسبب نقص إفراز خلايا المخ لمادة ... امين

وقد عالج الأطباء هذه الأعراض بأنواع مختلفة من العقاقير والأدوية ، كلها تسبب نوعا من الادمان ، وتولد حاجة إلى زيادة الجرعة ، مما ينجم عنه عودة اعراض المرض للظهور ، لهذا وجدوا ضالتهم في بحث إمكان زراعة خلايا إفراز الدوبامين بنفس النهج الذي تم على المرحلة التجريبية ، وقد حققت النتائج الأولى نجاحا تجاوز ٩٧٪ ولم يفشل العلاج سوى مع فأر واحد من ثلاثين فأرا تم إعداد مخاخهم بحيث يتعذر عليها إفراز الدوبامين ، ثم غرست داخل مناطق الافراز خلايا جديدة

وتدريجيا تطور الأمر إلى التجارب على القردة العليا الأقرب تركيبا إلى الانسان ، وباتت المرحلة الانسانية تقترب من بدايتها ، وإن استحالت فعليا ، إذ يستحيل أخذ خلايا من مخاخ رضع لدرء خطر المرض ، ووقع العلماء في حيص بيص

ولأن الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده ، وعالم باحتياجاتهم ، ومقدر عليهم مآسيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، لم يقصر إفراز المادة على خلايا المخ وحدها" ، فخلق للانسان مصدرا بديلا منذ خلقه الأول ، لم يعرفه العلماء ، بل ظل غائبا عن الأذهان حتى اهتدوا إليه بعد لأي ، فوجدوه أعلى الكلى ، حيث الغدة الكظرية ، فهناك المنبع البديل والاحتياطي الاستراتيجي للمادة الحيوية وقد نشطت تجارب العلماء مرة أخرى على قص بعض هذه الأنسجة ، وإعادة زراعتها في المخ ، وقد ترددوا كثيرا ، وأعادوا تجارب خلايا الغدة الكظرية على الفئران مرة ومرات ، بأن قطعوا الخلايا الى قطع دقيقة رقيقة ، ثم حقنوها داخل خلايا المخ ، وبدأت القطع المدخلة في النمو ، وتحول شكلها الجيبي إلى الاستطالة ، واتخذت هيئة الخيوط العصبية الدقيقة ، ولم تمر عدة أيام حتى نشط إفراز الدوبامين ، وتحسنت الحركة العضلية الشاملة للفئران وعاد إليها اتزانها ، فقرر العلماء نقل التجارب الى الثدييات اقترابا من الوثوقية المطلوبة

... إفراز الدوبامين على جانبي المخ من جهتي اليسار واليمين ، وعالبا يتم غرس الخلايا الجديدة في كلا ...

فور إقرار تعيد التجارب على الانسان سيد المخلوقات

مع بداية عام ١٩٨٢ ميلادية ، وداخل مستشفى كارولينسكا بالسويد بدأت التجارب البشرية تحت مظلة الخوف والرهبة والاستعداد الكثيف لما يتوقعون من ايجابيات وسلبيات ومفاجآت وعبر شق جراحي بالظهر يزال ثلث الغدة الكظرية ، بينما يكون المريض واقعا تحت تأثير التخدير ، ويقسم النسيج الى عشرات القطع الصغيرة ، كل واحدة منها لا تزيد عن ميلليمتر مكعب واحد ، وبعد ذلك يتم تفتيت المكعب الواحد إلى قطع أدق ، تسحب باستخدام محقن خاص ، وعبر ثقب صغير ذي عمق محدود على جانبي الرأس يتم حقن الخلايا الجديدة هذا ما يحدث تماما فهل لنا أن نتابع حالة المرضى الأربعة ؟؟

لم تمض أيام معدودات إلا وتحسنت حالتهم ، واستقرت حالتهم المرضية ، وبعد عدة أسابيع استعادوا قدرا من حيويتهم ونشاطهم ، وعندما فحصت سوائل الأحبال الشوكية عثر على قدر غير ضئيل من الدوبامين وبعد ثلاث سنوات ونصف من الجراحة استقرت الحالة المرضية لثلاثة منهم عند أدنى مظاهر المرض ، وأصبحوا قادرين على المشي والحركة والعناية بأنفسهم

ردود فعل

لقد أحدثت عمليات زرع خلايا المخ ردود فعل عالية واسعة المدى ، اختلط فيها الحابل بالنابل ، وهناك من عارضوا وما زالوا معارضين ، وهناك من أيدوها دون تردد أو تحفظ ، وفيما بين أصحاب الرأيين كل المهتمين ، حتى بدأ فريق بحثي مضاد في الجامعات الأمريكية أبحاثا على تحقيق المادة معمليا من بعض نفايات المواد المخدرة في محاولة لوقف عمليات زرع الخلايا

هنا قد يندهش بعضهم من ردود الأفعال ، ويتساءل لماذا ؟

والاجابة ببساطة أن التخوف ما زال قائما ... من أن زراعة الخلايا قد تعيد لبعض ... هذه الهبة الالهية العالية ، فقد أكد ... لأبحاث الجديدة التي جرت في جامعة ميسوتا الا ... أقرب الى الخيال ، مفاده أن الخلايا المغروسة ... تماما الطريق الذي تنحه صوبه ، وكأنها ... العقل والادراك ، يعرف تماما وجهته واهداف... والطريق الذي يتحتم عليه أحده تحسسا ... وأهدافه فقد لاحظ العلماء أن غرس أنسجة ... العين داخل مخاخ الفئران التي فقدت بصرها ... أن الخلايا الجديدة تعبر كل مناطق المخ ، وتتحد... تردد أو تخط صوب المراكز البصرية الاولية ، ... رائعة من روائع هذا الكون المصعط ... فيكون ولم يحدث أن لاحظ العلماء نمو تشابك عصوية أو اتصالات عصبية خلال هذه الر... الطويلة إلى أن وصلت مكان الهدف على بعد مسا... عظيمة* من موقعها الأصلي ، وهناك شكلت ... الاتصالات ، وأحدثت التلاحمات المطلوبة ، و... للخلايا شعرة خاصة ، وخطة محكمة ، واستر... واضحة وما أن فردت شعيراتها حتى بدأت ... مواقع جديدة ، وتهاجم الخلاياالتالفة ، في ... واضحة لتحديد حيويتها ونشاطها

والمأمول أن يستكمل العلم مسيرته ، فقد ... في هذا الأسلوب شفاء لأناس أنهك قواهم مر... باركينسون والزهيمر

واليوم وبعد أن تجاوز عدد هذه التجارب ... عشر تجربة ناجحة ، وثلاث تجارب فاشلات فشلن فشلا ذريعا ، يبقى الأمل معلقا حتى يصـ... علاج أمراض المخ عملا روتينيا لا خوف منه ، قلق يحيط به ، ويبقى لنا ذكر قول الحق سبحـ... وتعالى

(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليـ... عظيما) □

---

* الأمر نسبي ، إذ ان سنتيمترا واحدا بالنسبة لحركة خلية يعد مسافة عظيمة

وجهاً لوجه
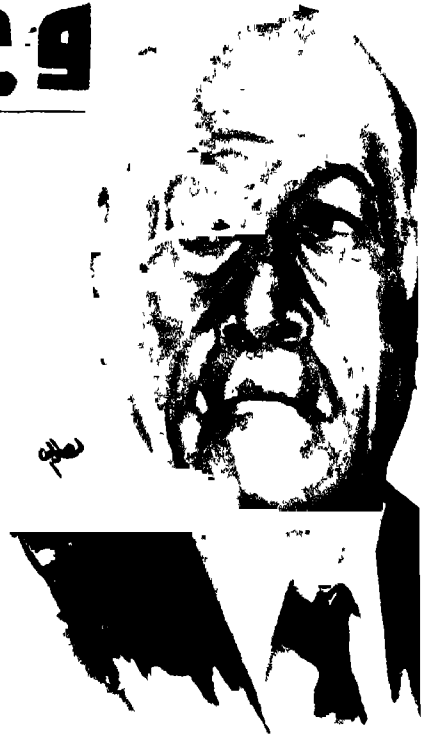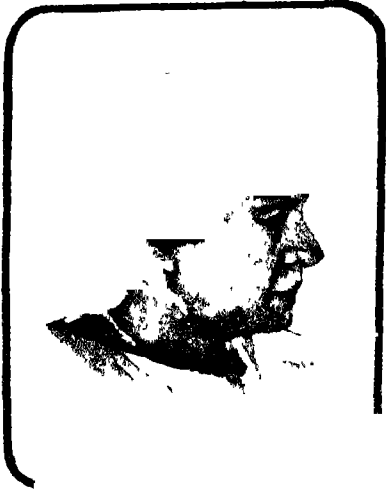
فتحي رضوان و أمينة النقاش

- المصريّون يتباهون بأنهم "أولاد عرب"
- أدرك عبد الناصر أن فلسطين هي بوّابة مصر
- الوحدة العربية .. ضرورة من ضرورات الحياة
- أصبحت زعيماً صغيراً بعد رحلتي للمشرق العربي

فتحي رضوان ليس في حاجة إلى تعريف ، فقد أصبح إحدى الظواهر التي يقرأ عنها ـ وبها ـ كل من له متابعة لقضايا الأمة العربية وأهدافها وأحـ ليس في السياسة فقط ، بل في الأدب والفن والتاريخ ، وفي ميدان العمل العـ برز في ساحته منذ أكثر من نصف قرن كاتبا وصحفيا ومناضلا

يعتبر فتحي رضوان من الجيل الأول لرواد الفكرة العربية في مصر كانت « المصرية » هي الشعار الغالب بعيد ثورة عام ١٩١٩ وقد عاش ـ ... عمره ـ حتى أثمرت أفكاره ، ورأى أول دولة عربية موحدة القصد ... وزير للثقافة في الوطن العربي في وزارة الوحدة

ومازال على الرغم من كل التيارات التي جرت في الأنهار المصرية ... يحمل هذا الإخلاص الثابت للفكرة العربية وحول هذا الثبات ، وبسأته ... دار معه هذا الحوار الذي أجرته الزميلة أمينة النقاش

* أنت من جيل جمع في سنواته بين الدعوة لتحرير مصر والتمهيد للأمة العربية ، وفي نفس الوقت تشكلت في مشروع العرش دعوات لتوسطه الشرقية ، فما هي المؤثرات والملامح الشخصية والعامة التي حققت هذا التزاوج ؟

لقد نشأت شابا عاديا في المجتمع المصري ، وحين تأمل في هذا المجتمع نجد أن كثيرا من التيارات التي تبدو متعارضة أحيانا ، هي في الواقع تيارات متناسقة ، ومنتظمة في آن واحد . فالعروبة والمصرية قد تتعارضان في تصور بعض الأشخاص الخاضعين لمؤثرات بعينها ، كالوقوع أسرى للفكر الغربي دون عقلية نقدية ، أو للانتهازية ، أو لأغراض دنيوية خاصة بالجاه أو النفوذ ، أو لخدمة جهات بعينها ، أو بسبب قصر النظر وعدم الفهم

فالفلاحون وعامة الناس لايعرفون شيئا اسمه مصر ، وهم حين يتحدثون عن مصر ـ أم الدنيا ـ فهم يعنون بها « القاهرة » ، كما كان المثقفون لايعرفون شيئا اسمه العروبة حتى صرت شابا ، فثقافتهم الإسلامية عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين وعن الحضارة في بغداد ، ودمشق ، والأندلس ، وشمال أفريقيا ... مفهومهم ـ في سياق الإسلام وليس العروبة

ولذلك فقد فهمت المصري عبر أمثاله الشعـ وعاداته . فالمصريون العوام لايصفون أنفسهم ... مصريون فقط ، فالمصري لايصف جاره بأنه ... يسكن بجواره ، ولكنه يقول ... عرب ... حين يتباهون بأنفسهم يقولون نحن ... عرب » ، وحين أسبغ الأسماء للمصريين ... بورسعيد والإسماعيلية إبان الاحتلال ... سميت « حي العرب »

من هنا فإن المصري يؤمن بعروبته ، ويعتز بالفطرة ، وعبر حكاياته الشعبية . فعنترة بن شـ عربي ، وهو رمز للشهامة ، والمغني الشعبي ... يحكي بصحبة ربابته قصة « الهلالية » ، وكيف ... ينتقلون من مكان إلى آخر في المنطقة العربية ... خواطر ، أو حوارات سمر ، فهي أمة واحدة

الولادة والنشأة

وأردف قائلا ولدت في حي « السيدة زينـ بالقاهرة ، وهو حي أملك فؤادي وإعجابـ ... حدود وأعتقد أن تاريخ مصر الحديث ... به ، كما أنه حي نموذجي ، يحمل كل خصـ

المصري بمختلف ألوانها ، فالعرب والعروبة والاسلام والمصرية تبرز بسهولة فيه وتتراحم فيها حتى يخيل للمرء أن العروبة تشاعت والاثنتين تراحمان الاسلام ، والثلاث معا في نهاية يوم من العراك محبة وألفة لاسيل لها

وفي هذا الحي قامت جريدة اللواء التي أسسها مصطفى كامل ، واتخذ من دارها مقرا لنشاطه السياسي والوطني ، وفيه أقيم بيت الأمة ـ بيت سعد زغلول ـ الذي اتخذه المصريون لنشاط ثورة ١٩١٩ وإلى هذا الحي انتسب عدد من كبار المفكرين والكتاب ، منهم مصطفى لطفي المنفلوطي ، وعبد العزيز البشري ، وعلى الجارم ، ومحمد الساعي كما شهد هذا الحي أول حادثة قتل سياسي في مصر الحديثة ، حيث قتل بطرس غالي باشا عام ١٩١٠ ، بسبب مشاركته في المحكمة التي أعدمت الفلاحين المصريين في دنشواي ، ثم سعيه لمد امتياز شركة قناة السويس مدة أربعين عاما وفيه أيضا اغتيل السير لي ستاك سردار الجيش المصري وحاكم السودان في نوفمبر ١٩٢٠ وفيه مات أحمد عرابي ومصطفى كامل وسعد زغلول ، زعماء الحركة الوطنية المصرية ، وفي دار من دوره انعقد المؤتمر الوطني عام ١٩٢٠ للمطالبة بعودة الدستور

لماذا الم بي الخوف ؟

في عام ١٩١٩ ـ عام الثورة الوطنية المكانية ـ كان حينا يودع كل يوم شهيدا من شهداء الحركة الوطنية في حارة صحمة ، تشبه المظاهرة ، وترفع عليها واحدا يحمل الهلال والصليب حبا الى جنب

ويستطرد فتحي رضوان « لقد رأيت بعيني في يوم من أحد أيام هذا العام جنود الاحتلال البريطاني يطلقون رصاصهم المسموم ثلاثة مواطنين ، وعدت إلى المنزل بعد هذه الواقعة ، ونفسي غير راضية ، سائلها لم بي الخوف ؟ ولماذا صمت وصمت الآخرون وفيما بعد تكشف لي أن ما حدث لم يكن خوفا ، بل حذر من العدو الذي يرغب في دفعنا لعمل طائش ينتهي بمزيد من القتلى

وأذكر أني في صباي كنت أتابع ـ بعد صلاة العشاء بمسجد السيدة زينب ـ الخطباء الذين يتبادلون بحرارة إلقاء الخطب الوطنية الحماسية دون خوف من تهديدات الانجليز ، أو خشية من بطشهم وتعلمت في قلب هذا المكان فن الخطابة بمعناها الصحيح

ومن قلب هذه المواقف وغيرها تفتحت مداركي ، وترسخت مشاعري الوطنية ، وانتميت إلى هموم الوطن والأمة

بالاضافة إلى حكايات والدتي التي كانت شديدة الطموح ، عاشقة لكل ما هو جميل في الشعر والنثر والرحل ، محبة لرواية سير الملوك ، وبطولات الزعماء ، فضلا عما منحي إياه حي السيدة زينب ، ذلك الحي الفريد الفذ

في هذه الأجواء التي تنفست الهزائم والبطولات ، وودعت الشهداء ، وتوحدت فيها مشاعر الأمة ، وطوائفها امام الخطر الخارجي ، والتحمت فيها مشاعر العروبة والاسلام والمصرية في هذه الأجواء نشأت ، وتنفست المشاعر العروبية ، والاسلامية ، والمصرية فما أنقى صورهم عن طريق الواقع ، لا عن طريق الكتب والمجلات

الرابطة الشرقية

* وكيف نشأت فكرة الرابطة الشرقية ؟

نشأت هذه الفكرة في الثلاثينيات ، بعد أن تبين لي أننا ـ نحن العرب ـ أضعف حلقة في بلدان الشرق ، فقد ساقت لي الصدف فرص التعرف على عدد من الطلاب الشرقيين من تركيا وسمرقند والصين واليابان ، ممن يتلقون العلم في الجامعة المصرية والأزهر كنت آنذاك أشعر أن الحركة الوطنية في

الوطن العربي فريد فكريا وثقافيا وحركيا مقارنة ببلدان الشرق الأخرى . وكنت أبحث عن الوسائل والقدرات التي مكنتا من مواجهة الاستعمار الانجليزي والفرنسي ، كما واجه الأتراك اليونانيين وطردوهم من بلادهم . وكما حرر اليابانيون والأندونيسيون بلادهم من الهولنديين ، ففكرت أن عملا مشتركا بين كل الشرقيين من شأنه أن يصعد بمصر ويقويها ، ويزيل أي خوف من مواجهة الدول الاستعمارية . وتعمقت لدى فكرة الرابطة الشرقية ، ففكرت في عقد مؤتمر للطلبة الشرقيين لتوثيق الروابط بين الوطن العربي والدول الشرقية ، وتوسيع نطاقها ، وأقنعت بها عددا من أساتذة الجامعة ، منهم عبد الرازق السنهوري وأحمد أمين وعلي ابراهيم وعلي مشرفة وأمين الخولي وعبد الوهاب عزام

واستكمالا لجهودي في عقد مؤتمر الطلبة الشرقيين سافرت وأنا في السنة الثانية بكلية الحقوق مع زميلي كمال الدين صلاح - الذي دفع حياته ثمنا لحركة التحرر الوطني الافريقية ، حيث لعب دورا في تعدية تطلعات الدول الافريقية المستعمرة للاستقلال ، حين كان يعمل رئيسا للمجلس الاستشاري للأمم المتحدة في مقديشو ، حتى أعلن استقلال الصومال ، حيث اغتالته القوى الاستعمارية - إلى العراق وفلسطين وسوريا وتركيا ولبنان للدعوة لهذا المؤتمر ، فاستقبلنا استقبال الأبطال ، وفرعنا من كسر حجم الاستقبال لطالبين مصريين لاشأن لهما بعد . وألقيت محاضرات في الجامعة السورية ، تحدثت فيها عن عروبة مصر وعن الوحدة العربية

وحين عدت للقاهرة كتبت عدة مقالات عن رحلتي السابقة في الأهرام والبلاغ ، فكان لها ابلغ الأثر على شخصي ، وعلى فكرة الرابطة الشرقية

بعد هذه الرحلة تحولت إلى زعيم صغير على مقاسي ، لكن مقالاتي أوغرت صدور المسئولين والملك من جانب ، وسلطات الاحتلال البريطاني من جانب آخر ، مما دفعهم لالغاء كافة الترتيبات لعقد مؤتمر الطلبة الشرقيين وكان من أطرف ... التي استندوا إليها أني دعوت في مقالاتي ... مصر للأمة العربية ، وقد فهم الملك ... لزعامة النحاس باشا - زعيم حزب الوفد ... الملك اللدود - مع أني كنت ضد النحاس باشا ، ولم أتعاون معه في أي عمل مشترك ... وطويت فكرة الرابطة الشرقية منذ إلغاء عقد ...

يوليو العروبي

* شاركت بنصيب في ... التمهيدية في السنوات السبع ... ثورة يوليو ، وكنت قريبا من ... فكيف تلقى الفكر العروبي ... وقادها ؟

أستطيع القول بكل ثقة أن عبد الناصر كان ... وفيا جدا لمدرسة مصر الفتاة السياسية ، وكان ... سنوات حكمه الأولى يقلد أحمد حسين في ... خطه المرحلة متكررة المعاني ، وقد أشيع أن المبادئ الستة الشهيرة لثورة ٢٣ يوليو قد بدأت مع ... الثورة ، وهذا غير صحيح ، فلم ترد تلك المبادئ على لسان عبد الناصر ، لا لي ولا لغيري ... تبلورت بعد أن نضج عبد الناصر ، وخاض معارك كثيرة ، فأصبحت هذه المبادئ ليست مبادئ ... الثورة ، لكنها مبادىء تمهيد الثورة

ولقد غزا فكر مصر الفتاة العروبي الخاص بقضية فلسطين ومصر والسودان قلوب أعداد هائلة ... الضباط ، بينهم الضباط الأحرار ، لكن تأثر ... الناصر بالقضية الفلسطينية كان مختلفا ، فقد ... في حرب فلسطين ، وحين تولى السلطة ... كثيرا ، وأخذت أفكاره تتكون من ... والقراءات ، فضلا عما يسمع ويرى ... بوضوح لا لبس فيه أن بوابة مصر ... فلسطين ، وأن إضعاف النفوذ الأجنبي ... كمقدمة لتحرير فلسطين

وا... ع أن أقرر للتاريخ أن البعد العروبي لدى عبد ال... واهتمامه بقضية فلسطين ، والربط بينها وبين ... مصر ، كانت خاصية تميز بها عبد الناصر وحده ... غيره من الضباط الأحرار ، فطوال الفترة التي عد... فيها وزيرا وبعدها عام ١٩٦٤ لم أسمع من أي واحد من الضباط الأحرار الذين يتقلدون مناصب الدولة المختلفة أي حديث أو فكرة تشير من قريب أو بعيد إلى اهتمامهم بالفكر العروبي. لقد كانت العروبة وفلسطين هما من هموم عبد الناصر ، وقد وضع الاهتمام بها وهو قائد وحاكم في مقدمة أولوياته

هزائم مؤقتة أم انحسار

* هل يمكن القول بأن عروبة العرب قد تراجعت في العقد الأخير ، وأن الاحساس بالتوحد والمصير المشترك أخذ في الانحسار ؟

دمعت عينا فتحي رصوان وهو يجيب عن سؤالي قال بأسى

هذا سؤال فيه لبس ، يحتمل أكثر من إجابة ، بعد الهزائم العسكرية المتوالية التي لحقت بالأمة من محيط إلى الخليج فإن فريقا منها أخذ ينشط دفاعا عن مصالحه ويبث سمومه ضد قضية العرب والعروبة ، واتخذ من عبد الناصر وسياساته هدفا لهجومه ، فحدثت أضرار للفكرة العربية وسط هجمة شرسة على كل سياسات عبد الناصر ، الصائبة والخاطئة

وهناك فريق آخر من الأمة يتاجر بالعروبة ، وفريق ثالث يكرهها كراهية رسمية ، لكنه لايعبر عن ذلك صراحة

ولقد أدركنا نحن أبناء هذا الجيل قضية الوحدة العربية وأنها ضرورة في وقت تتوحش فيه الاستعمار ، وأصبحت فيه الوحدة هي العدو اللدود للاستعمار ، فبذل ـ ولا يزال يبذل ـ جهودا مضنية لعمل الانقلابات والمؤامرات واصطناع الحكام المعادين للعروبة والتوحد الفعلي للعرب

لكن الصورة ليست مظلمة ، فإلى جانب هذا وذاك يوجد في الأمة مثقفون وسياسيون لايرضون عن هذا الفساد الذي يستشري في جسدها ، ويزداد تعلقهم في الوحدة يوما بعد آخر ، وإيمانهم عميق بقضيتي الوحدة والعروبة

طويت أوراقي ، وحين هممت بالانصراف كان فتحي رضوان قد أخذ بالاشتغال بإعداد مرافعة عن عدد من المعتقلين السياسيين في أحد الاقطار العربية

شددت على يديه وقلت باسمة

نعم ليست مظلمة تماما ! □

● الاختلاف في الرأي ينبغي ألا يؤدي الى العداوة والا لكنت أنا وزوجتي من ألد الأعداء (سقراط)

● عيّر ثعلب لبؤة بأنها إنما تلد في عمرها كله شبلا واحدا ، فقالت . نعم إلا أنه « أسد »

● تصادق مع الذئاب ، على أن يكون فأسك مستعدا (مثل روسي)

● خير لك أن تشعل مصباحا ضئيلا لايكاد يرى ، من أن تمضي وقتك في استمطار اللعنة على الظلام (كونفوشيوس)

قارة اكتشفناها نغامر في الشرق الأقصى السوفييتي

■ وَجهاً لوجه: د. محمود السَعدي و د. محمود طرشونة

■ العمارة الإسلاميّة في الإمارات العربيّة المتحدة
صادق يلي

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - د. عبد العزيز كامل - د. محمد الجوهري - د. هاني الراهب

فاروق شوشة - د. عادل عبد الكريم ياسين - د. حامد أبو أحمد - د. صباح اسماعيل علي

الصراع "الديمغرافي" بين الشمال والجنوب

بقلم : الدكتور عبد الإله أبو عياش

« لم يعد الصراع بين الشمال والجنوب مقتصرا على قضايا نقل التقنية ، وتمويل التنمية ، وتحرير التجارة وأسعار المواد الخام ، والديون وفوائدها ، فقد دخل عنصر جديد الى ساحة الصراع ، لم يكن أحد يحسب له حسابا ، فقد دفعت الظروف والمتغيرات بالبعد « الديمغرافي » الى بؤرة الاهتمام ، ليصبح بعدا أساسيا في الصراع « الاستراتيجي » الدائر »

لم تعد قضية الصراع « الديمغرافي » مجرد رفاهية فكرية أو متعة للنقاش الأكاديمي ، وإنما أصبحت قضية حيوية ، تمس جوهر وجودنا في حاضرنا ومستقبله . فهناك اليوم مخاوف متنامية في أوروبا بشكل رئيسي من الخلل الحاد في التوازن « الديمغرافي » بين شمال القارة الأوروبية وجنوبها من ناحية ، وبين شمال البحر المتوسط الذي تمثله دول جنوب أوروبا وجنوب البحر المتوسط الذي تمثله الأقطار العربية

لقد أصبحت المخاوف تطرح بأشكال مختلفة ، وبصيغ قلقة من الأسئلة والاستنتاجات والشعارات . ويتوقع عديد من المتنبئين بأنه ستحدث اندفاعات سكانية من الجنوب الى الشمال ، ذلك أن دول جنوب البحر المتوسط تتعرض لضغوط سكانية كبيرة ، بسبب الزيادات العالية في المواليد ، واتساع فئات الشباب فيها ،

خاصة فئة ١٤ سنة فأقل . وقد حدا هذا الوضع بأحد كتاب جريدة « اكسبرس » الفرنسية بول - جان فرانسيسي الى الاعتقاد بأن هناك حربا صليبية جديدة ممثلة بالعمالة المتدفقة من الجنوب باتجاه المدن والأرياف الأوروبية ، بسبب قلة التناسل وانخفاض النمو السكاني وتناقص المواليد في الدول الأوروبية . ويقف هذا الكاتب حائرا أمام التاريخ وتقلباته حين يقول : « بأن أوروبا التي كانت في الماضي تصدر الهجرات السكانية الى أصقاع الدنيا أصبحت اليوم مهددة بالاندفاعات السكانية القادمة اليها من جنوب البحر المتوسط » .

مزيد من السكان ومزيد من الاضطرابات

تشير الأرقام المستقبلية الى أن عدد سكان جنوب البحر المتوسط سيصل الى حوالي ٢٤٥ مليون نسمة في نهاية هذا القرن ، في الوقت الذي لم يكن عددهم يتجاوز ٤٠ مليونا في بدايته . ومن المتوقع أن يصل عدد سكان كل من مصر وتركيا الى حوالي ١٣٠ مليون نسمة ، بينما لن يكون بمقدورهما إطعام أكثر من مائة مليون نسمة في أحسن الأحوال . كما أن استمرار معدلات الزيادات السكانية الى اكثر من ٢ / سنويا في جنوب البحر المتوسط مقابل تناقص مستمر في معدلات هذه الزيادات في أوروبا سيزيد من اتساع الفجوة « الديمغرافية » بينهما . وفي الوقت الذي تشكل فيه فئة الأعمار ١٤ سنة فأقل حوالي نصف مجموع السكان في جنوب البحر المتوسط فانها لا تزيد عن ٢٥ / من مجموع سكان أوروبا .

وتتعزز القناعة اليوم بأن استمرار التزايد المضطرد للسكان سيؤدي الى المزيد من الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، والى تصاعد العنف الدموي والنزاعات الاقليمية المسلحة داخل الدول وعبر حدودها . وتبرز هذه المظاهر الخطيرة في حزام الجوع الممتد من السنغال حتى أثيوبيا وعبر الدول الصحراوية الافريقية التي تعرضت مواردها للهدر والنضوب . ومما زاد الأوضاع سوءا وتعقيدا الظروف المناخية السيئة التي سادت هذه المناطق خلال السنوات الماضية . وقد نجم عن ذلك استفحال ظاهرة التصحر وامتداد الصحراء والكثبان الرملية الى المناطق الزراعية الخضراء التي تحولت الى قفر يباب . وقد صاحب ذلك هجرات سكانية مكثفة باتجاه المناطق الزراعية التي سرعان ما تعرضت هي الأخرى للتدمير مرة أخرى تحت وطأة الجفاف والضغوط السكانية .

ماذا سيفعل الجياع ؟

تشير التوقعات الى أن عدد الجياع في افريقيا سيتضاعف من حوالي ٧ / من مجموع السكان في الوقت الحاضر الى ما يزيد على ١٦ / في نهاية هذا القرن . وسيؤدي هذا الى مزيد من الاضطرابات وربما الانقلابات والتصفيات الدموية . وقد ذكرت اللجنة الاقتصادية للقارة الأفريقية في أحد تقاريرها

ان ا... ـل والسنوات القادمة أشبه ما يكون بالكابو... وسيكون للتضخم السكاني أثر كبير على الموارد ...يعية وستتحول الصعوبات الاقتصادية والمشكلا...ت الاجتماعية المصاحبة لها الى اضطرابات وصراعات دموية ».

يقول نورمان مايرز من صحيفة « غارديان » البريطانية ، وهو من أكثر المراقبين خبرة في الشؤون الأفريقية إنه لا يشك بأن هناك ارتباطا قويا بين التصحر السكاني والنزاعات العسكرية . ويقتطف من كلام الدكتور بطرس غالي وزير الدولة للشؤون الخارجية في جمهورية مصر العربية قوله « ان الحرب في منطقة الشرق الأوسط ستكون حول مياه النيل لا حول المواضيع السياسية القائمة ، فمصر التي تعاني من الآثار السلبية لظاهرة التصحر ستتناقص فيها المنتجات الغذائية بمعدل ٦٪ خلال السنوات العشر القادمة . وستزداد واردات مصر من الحبوب من ستة ملايين طن في الوقت الحاضر الى اكثر من ١٢ مليون طن في نهاية هذا القرن . وهناك من شك في قدرة مصر على تمويل وارداتها في المستقبل في ضوء الديون الخارجية التي تزيد على ٣٦ مليار دولار في الوقت الحاضر ، بينما لا تزيد قيمة الناتج القومي الاجمالي عن ٣٠ مليار دولار .

يقول البروفسور جورج سابيو وهو واحد من ابرز خبراء « الديموغرافيا » لحوض البحر المتوسط بأن استمرار التزايد السكاني سيضاعف من « الضغط نحو المخرج » ، خاصة بعد أن وصلت الدول الخليجية الى مستويات التشبع من اليد العاملة المهاجرة . والمخرج كما يراه هو باتجاه أوروبا . وأن أشد ما يقلقه هو الهجرة غير المشروعة وأسواق العمالة السوداء التي تنتشر اليوم من اليونان الى البرتغال ، ففي الوقت الذي يمكن أن تنجح فيه سياسات الهجرة في الحد من الهجرة المنظمة ، فإنها لن تستطيع كبح جماح الهجرات العمالية غير المشروعة ، خاصة عندما تلتقي مصالحها بمصالح أصحاب الشركات الذين يشترونهم بأبخس الأثمان .

حلم إعادة التوازن

لا شك أن هذا الوضع يحشر أوروبا في عنق زجاجة « ديمغرافية » . ولهذا فإن ما يعنينا هنا ليس هو الأرقام المجردة فقط ، وإنما السياسات والتطورات التي تأخذها أوروبا في الحسبان لمواجهة هذا المأزق « الديمغرافي » . فالأخطار التي تراها أوروبا في بعدها الاستراتيجي لا تقتصر على مجرد الدائرة « الديمغرافية » ، بل تتعداها الى الدوائر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . فالهجرات المستمرة ستؤدي الى استقطابات اجتماعية ، تتمثل في ظهور التجمعات والأحياء السكانية المهاجرة ومدن المهاجرين الذين تزداد ضغوطهم الاجتماعية مع تكاثر أعدادهم . ويرتبط بهذا تغير في أنظمة القيم الاجتماعية ، ونوعية الثقافات ، مما يؤدي الى مزيد

من التنافر الاجتماعي والثقافي بين السكان . وتعتبر الأخطار الاقتصادية أشدها ، لأن انخفاض النمو السكاني في الدول الأوروبية سيزيد من نسبة إسهام العمالة الوافدة ، وضعف الأسواق المحلية في هذه الدول ، مما يؤدي الى تراجع اقتصاداتها ، ودخولها في مراحل الركود الاقتصادي بكل تبعاته وسلبياته.

وهناك اليوم ضواح وأحياء للمهاجرين ، تنتشر في معظم المدن الأوروبية الكبرى ، ففي ألمانيا الغربية وحدها يوجد أكثر من أربعة ملايين عامل أجنبي غالبيتهم من الأتراك ، كما يوجد مئات الآلاف من المغاربة والجزائريين والتونسيين في فرنسا وألمانيا وبلجيكا وغيرها من الدول الأوروبية ، كما ينتشر ملايين الملونين والأفارقة في المدن البريطانية ، وخاصة في لندن والمدن الصناعية الرئيسية ، وتتركز الملايين من دول الكومنولث وغيرها في أكثر المناطق فقرا وتخلفا في هذه المدن ، وتعاني الأيدي العاملة المهاجرة من انتشار البطالة بين فئاتها المختلفة ، ومن تدني معدلات دخولها ، وتردي مستوياتها المعيشية ، ونقص حاد في الحاجات الأساسية والخدمات من صحة وتعليم ، كما أن هناك أعدادا كبيرة تعاني من البطالة الموسمية ، ومن الافتقار الى فرص التعليم والتطور الاجتماعي. وتتميز حياتهم الاجتماعية بالاحباطات المتراكمة ، وزيادة الجنوح والانحرافات بين العاطلين ، خاصة بين فئات الشباب ، وتزداد بينهم المشكلات الاجتماعية الحادة مثل تعاطي المخدرات. ولهذا فإن هذه الأحياء في نظر الأوروبيين ليست سوى بؤر اجتماعية خطرة ، تحمل في طياتها كل احتمالات التوتر والانفجار ، على غرار نمط احتجاجات واضطرابات السود والملونين التي حدثت في المدن البريطانية خلال السنوات الماضية ، كما أن هذه التجمعات تشكل بيئات خصبة لكل التيارات الفكرية والسياسية التي تستهويهم ، وتنتشر بينهم بسرعة مدهشة.

ويبدو على الرغم من كل التحفظات التي يمكن أن تطرح أن ما تسعى اليه أوروبا في استراتيجيتها بعيدة المدى هو إعادة التوازن الى هذا الخلل « الديموغرافي » المتفاقم بينها وبين جنوب البحر المتوسط. و... القول بمفهوم « الاستراتيجية » على أنها لعبة ... والخيارات في إطار الظروف والوضعيات ... فإن البديل أو الخيار « الديموغرافي » يبرز كـ... يواجه أوروبا في الصراع « الاستراتيجي » ... بين الشمال والجنوب. إن أكثر ما يعنينا هنا ... منطقتنا العربية والاسلامية في دائرة هذا الصراع ... أم أبينا ، وهو صراع قائم على خلق السيناريوهات والاضطرابات التي تصب باتجاه إعادة التوازن ... الصورة « الديموغرافية » المهزوزة على جانبي المتوسط شمالا وجنوبا.

الوعي بلعبة الصراعات

إن هذه الحقائق على الرغم من مرارتها هي جزء من الواقع الذي تعيشه أمتنا العربية والاسلامية وهي حقائق تصل الى مرتبة الصدمات التي لابد من تقبلها والتعايش معها والعمل على احتوائها في إطار من العقلانية المبدعة والرؤية المصيبة ، فهذه المنطقة بشعوبها وثرواتها كانت ومازالت مستهدفة . وما لم نجد لنا موطىء قدم في حلبة الصراع يساعدنا على تعزيز مراكزنا لسقي الخيارات ولعبة البدائل في دوائر سيطرتنا وتحكمنا ، أو على الأقل تحت تأثيرنا ، فإن الأثمان التي سندفعها ستكون باهظة مكلفة.

إن قراءة الأحداث وتواتراتها وأنماطها في إطار الرؤية المستقبلية فن وإبداع ، لأن القدرة على ذلك تتيح لنا مواجهة البدائل والبحث في الخيارات التي تمكننا من تجنب المآسي والكوارث التي تتعرض لها منطقتنا بإنسانها وقواها البشرية وثرواتها واقتصاداتها وثقافاتها ، وهي منطقة ستبقى مهددة هشة في غياب الادراك الكامل والوعي العميق بأبعاد لعبة الصراعات هذه ، وإذا ما نجحنا في المشاركة بإدارة دفة الصراع في إطار من العقلانية والوعي المبدع فإننا سنكون قد جنبنا أنفسنا وأهلينا وشعوبنا المخاطر المفزعة والأزمات المدمرة.

وفيما عدا ذلك ، فإن الغيبوبة الفكرية ، والتعامل مع الغيبيات ، وإدارة الظهور للتفكير العقلاني المنظم سيقودونا الى المجهول.

في المجتمع الأمريكي

بقلم : الدكتور محمود الذوادي

في داخل فلسفة النظام الرأسمالي تكمن أفكار إعلاء الفردية ، واحترام الفرد ، وإطلاق المنافسة ، ومع الوقت ، وكلما تعقد النظام الرأسمالي من داخله أصبحت الفردية ملمحا مهما من ملامحه ، لكنها اليوم صارت علامة مرضية بعد أن تفاقمت وتطورت

يبدو أن هناك اتفاقا اليوم بين ملاحظات عامة الناس من جهة ، والدراسات المتخصصة من ة احرى ، بخصوص انتشار ظاهرة الفردية في ـمعات العربية الرأسمالية الصناعية ونعني ردية هنا ميل الشخص ونزوعه أولا وقبل كل ، إلى الاهتمام بنفسه وشؤونه الشخصية ، ميشه في نفس الوقت لأهمية ارتباطات الفرد جماعية ، ومبدأ الاستعداد للتضحية من أجل لح الجماعة الصغيرة أو المجتمع ككل
ومن هنا فرعة الفردية تمثل ملمحا رئيسيا حسة الجماعية للمجتمعات العربية الرأسمالية
ويرى بعض المفكرين العربيين أن ظاهرة د ـ المجتمع الأمريكي تتميز عن أخواتها في بقية ـ الرأسمالية الأخرى ، من حيث ظروفها ا ـ والاجتماعية التي أثرت في مراحل

وفي رأينا أن الكشف عن طبيعة الفردية الأمريكية يمكن أن يكون له انعكاسات بالنسبة لنا كعرب في مجال تحسين مقدرتنا على فهم المجتمع الأمريكي ، وبالتالي التعامل معه ومع أفراده ، تعاملا فاعلا على مستوى العلاقات الشخصية أو القضايا المشتركة ، وفي طليعتها القضايا السياسية الشائكة ، وفي فهم طبيعة الفردية في المجتمعات العربية ، واستشراف تطورها المستقبلي في الوطن العربي الذي يعيش تجربة تغيرات واسعة متأثرة الى حد كبير بالنمط الغربي الرأسمالي ، نتيجة لتأثير وسائل الاعلام الغربي (صحافة - سينما - تلفزيون) واختراقها للشخصية العربية

جذور الفردية الأمريكية

مما لا شك فيه أن للظروف التاريخية والاجتماعية التي عرفها المجتمع الأمريكي منذ عهوده الأولى دورا

رئيسيا فيما تتميز به الفردية الأمريكية كظاهرة نفسية اجتماعية. فهجرة الاوروبيين الأوائل إلى العالم الجديد كانت تمثل بالنسبة لهم إمكانية حقيقية لتحقيق حلم الحرية بأبعادها السياسية والدينية والاقتصادية. ولا يمكن - في نظرنا - فهم ظاهرة الفردية هذه ومراحل تطورها عبر القرون دون ربطها بالحرية كقيمة أساسية في تكوين شخصية الفرد الأمريكي.

فقيم الشخصيات السياسية والدينية للمجتمع الأمريكي الأول كانت تنادي بأهمية الوازع الفردي كمحرك فعال للانسان الأمريكي. فبنجامين فرانكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠) أكد على أهمية مبدأ حرية الفرد في تحسين وضعه اقتصاديا واجتماعيا، وذلك بالاتكال على جهوده الشخصية. وليس غريبا أن يدعو هذا الزعيم الأمريكي الى ذلك، إذ هو مثل « لهذه الدعوة. فهو ينحدر من عائلة فقيرة، إلا أنه استطاع بمجهوداته الفردية أن يتسلق السلم الاجتماعي الأمريكي، ويتصدر الريادة في مجتمعه.

وفي القرن التاسع عشر اشتد عود ما يمكن أن نسميه بالفردية الاقتصادية النفعية، فأصبح كد الأمريكي لتحسين وضعه الاقتصادي مرادفا لتحسين ظروف المجتمع ككل. ولعل هذه الرؤية الاقتصادية كانت متأثرة بفلسفة عالم الاقتصاد البريطاني « آدم سمث » الذي رأى هو أيضا أن المكاسب الاقتصادية التي يحصل عليها الفرد نتيجة لأعماله هي في نفس الوقت دعم لتحسين الوضع الاقتصادي للمجتمع ككل.

لكن الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي « دي تكفل » كان شديد القلق إزاء انتشار ظاهرة الفردية بمعناها الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الأمريكي آنذاك. فالمفكر الفرنسي كان متشائما من مستقبل المجتمع الأمريكي ومصيره، حيث ينعزل فيه الأمريكي عن الأمريكي نتيجة لتزايد اهتمام الفرد الأمريكي بهمومه الشخصية.

ونظرا لتجذر ملامح الفردية في الشخصية الجماعية الأمريكية في عهده أطلق « دي تكفل » على ذلك عبارة « عوائد القلب »، أي أن ... أصبح واقعا لا شعوريا ممتزجا مع خبايا ال... مع الجانب العاطفي للانسان الأمريكي. ... الحمّى الفردية الكاسحة قد تقود المجتمع ال... إلى مجموعة من الأفراد المتصارعين لا المتض... ومن ثم تخلق فرصا لظهور الأنظمة ال... والدكتاتورية. وللوقاية من ذلك يدعو « دي ... إلى تأسيس منظمات جماعية مدنية ... للديمقراطية أن تستمر وتزدهر في ظلها.

اشتداد عود الفردية في القرن العشرين

يلاحظ دارسو ظاهرة الفردية الأمريكية أن عوده قد اشتد أكثر في القرن العشرين على الأخص. ويرجع ذلك أساسا - في نظرهم - إلى عمليات التصنيع، والتحديث، وانتشار سلطة ال... العلمية، وتأثيرها على معظم ملامح المجتمع العصري، بما في ذلك شخصية الفرد نفسه. فالعائلة الأمريكية كوحدة اجتماعية أساسية لتنشئة الفرد على أهمية الصالح الجماعي أو أهمية ال... الفردية قد تأثرت أيضا بالايدلوجية الفردية في ... أطفالها. وبالطبع فإن سيطرة قيم الفردية داخل المحيط العائلي لا بد أن يؤثر على معنى ال... والتضامن الاجتماعيين وممارستهما داخل العائلة وخارجها. فالعرف الأمريكي يشجع الاولاد على الانفصال عن آبائهم وأمهاتهم عند بلوغهم سن الثامنة عشرة، حتى يصبحوا مسؤولين عن أنفسهم ومستقلين عن أي تبعية عائلية أو غيرها. وإذا كانت الثورة الصناعية في الغرب على العموم قد أدت إلى اندثار ما يسميه علماء الاجتماع العائلة الممتدة وظهور العائلة النووية (الصغيرة)، فإن فلسفة التحديث وروح العلوم السلوكية الغربية ساعدت أيضا على تضخم تضاريس ظاهرة الفردية في المجتمع الأمريكي. فمفهوم الحداثة يتضمن أساسا ... تدعو إليها الفردية. فحرية الفرد واستقلاله عن الآخرين تأتي في طليعة القيم التي تنادي ... الحداثة في المجتمع الأمريكي المعاصر. ومن عوامل

...ظاهرة الفردية في المجتمع هو تعامل ... مع رأس المال والمكاسب المادية التي ... اكثر فأكثر في العصر الحديث من أهم القيم ... الانسان الأمريكي اليوم ، فالأجيال ... تتم تنشئتها على أن ما يملكه الشخص من ... ممتلكات هي له وحده ، ويسعى استعمالها ... الخاصة لا غيرها

وهكذا اشتد عود الفكرة والممارسة لأنانية كسب ... واستعماله من جهة ، وتلاشي في نفس الوقت ... الجماعي لاستقلال المال واستعماله من جهة ... ومنه يمكن القول انه بهذا التطور سلب ... استعمال المال من إمكانية قيامه بدوره الاجتماعي ... بين الأفراد والفئات لا كوسيلة عزل ...

ومثال ثان لدور المال في عزلة الفرد عن الآخرين هو تعامل كبار السن مع المال في المجتمع الأمريكي ، فالكثيرون من هؤلاء لهم أرصدة مالية كبيرة في المصارف (البنوك) أو ماشابهها ، ويقومون بكل الاجراءات لربح أكبر نسبة من الفائدة ، وعلى الرغم من توفر المال عندهم إلا أنه من النادر أن يدعو احدهم صديقه أو أصدقاءه لغداء أو عشاء في أحد المطاعم ، ويدفع هو وحده ثمن ذلك ، فالمال بهذا الاعتبار يقوي شوكة الفردية عند الأمريكي العصري عوضا عن كبح جماحها لصالح الروح الجماعية ومن واقع سيطرة روح الفردية على تصرفات المواطن الامريكي الحديث يصبح صعبا عليه فهم سلوك الناس من مجتمعات أخرى ، حيث يستعمل الشخص العادي ماله الشخصي في سبيل الجماعة

الملامح الاجتماعية لظاهرة الفردية

إن نمط الفردية الامريكية لا ينحصر تأثيره على ... استعمال لرأس المال فحسب ، بل يمس ... الاجتماعية للمجتمع الامريكي أيضا ، ... سلوك إنساني ذو طبيعة مشحونة بالمشاعر ... لكنه لم يفلت من تأثير قبضة هذه الفردية ... إذ تحكمه في المجتمع الأمريكي معايير صارمة متطرفة ، فالتقبيل بين الذكور ظاهرة غير مقبولة احتماعيا في هذا المجتمع ، وكذلك شأن ظاهرة التقبيل بين الجنس اللطيف من فتيات ونساء ، وإن كانت معايير التقبيل ، بينهن تتصف بشيء من المرونة لا نجده بين الذكور ، وقد أدت هذه القواعد المتشددة الى سلب التقبيل عفويته التعبيرية ازاء الآخرين ، ومن ثم عزل ، بعض الأفراد عن بعضهم ثم تدعيم ظاهرة الفردية كواقع نفسي واحتماعي وتقليص ظاهرة التقبيل كوسيلة من وسائل التفاعل الاحتماعي الأكثر دفئا صعفت بالتأكيد حرارة العلاقات الانسانية بين أفراد هذا المجتمع ، وهذا واقع أكدته كثير من دراسات العلوم الانسانية والاحتماعية في المجتمع الامريكي نفسه

ولاقت ظاهرة التصافح نفس المصير ، فممارسة التصافح ظاهرة نادرة بين الأمريكيين ، لا تكاد تستعمل خاصة بين الذكور الا في مناسبات معينة ، (مثلا بعد غياب طويل بين الأصدقاء) فاندثار تقاليد التقبيل والتصافح من المجتمع الامريكي الحديث مؤشر واضح على رغبة الأمريكي في عزل نفسه عن الآخرين

وهكذا يمكن القول أن نمط الفردية الأمريكية قد أنشأ عرفا احتماعيا ، نتج عنه تجريد شامل في العلاقات الاحتماعية بين الأفراد ، ومن ثم عزل بعضهم عن بعض

وهكذا فالفردية الامريكية ـ كما حاولنا وصفها هنا ـ هي إفرازة نفسية احتماعية ، تضافرت على تجسيمها ظروف ومعطيات مميزة لطبيعة المجتمع الأمريكي وإن هذه الفردية المتصلة في المجتمع الأمريكي الحديث هي في الحقيقة عرض لعمق التفكك الاحتماعي فيه وفي رأي بعضهم أن النسيج الاحتماعي يعاني من سرطان التصدع ، كما تقاسي البيئة الطبيعية أخطار التصنيع والتقنية الحديثة ، فالحاجة ماسة إذن لانقاذ النسيج الاحتماعي عن طريق الاهتمام بالبيئة الاحتماعية التي تعتبر السبيل الوحيد لضمان استمرار المجتمع الأمريكي كائنا احتماعيا حيا سليما □

ومشاكل العصر

بقلم . الدكتور سمير رضوان

تكررت الكتابات حول « الهندسة الوراثية » وتطبيقاتها في استنباط سلالات
نباتية وحيوانية وميكروبية جديدة
وما الهندسة الوراثية إلا أحد فروع « البيوتكنولوجيا »
ولن نفصل هذه التطبيقات هنا ،
إنما سوف نتعرض لدور « البيوتكنولوجيا » في حل أكثر مشاكل العصر إلحاحا
وهي الطاقة ، والتلوث ، والصحة

انفجر بركان المعارف العلمية مع بداية القرن العشرين . وكان من الطبيعي أن يسعى العلماء في العقود الأخيرة ـ بعد أن تراكمت المعارف العلمية من خلال البحوث ـ إلى استثمار هذه المعارف لتحقيق فوائد يلمسها الإنسان . هذا الاستثمار هو في الواقع أبسط تعريف لكلمة « تكنولوجيا » . ومن الملاحظ أن الدول المتقدمة « تكنولوجيا » هي نفسها التي كانت ومازالت متقدمة في مجال البحوث الأساسية . هذه حقيقة سوف تبقى ثابتة على الرغم من تناسيها في العالم الثالث ، حيث دفع الطموح بعضهم إلى الدعوة لضغط الانفاق .

وقصر البحوث في الجامعات والمعاهد العلمية على البحوث التطبيقية ، قفزا فوق البحوث الأساسية وهو قفز لا يختلف كثيرا عن القفزة الشهيرة لبائعة اللبن التي قرأنا عنها ونحن أطفال ، والتي كانت في طريقها إلى السوق لتبيع اللبن ، وكانت تحلم بأن تشتري بثمنه عنزات تقفز حولها هنا وهناك ، وفي غمرة أحلامها قفزت البائعة المسكينة قفزة طوحت بوعاء اللبن ، فتحطمت معه آمالها المتواضعة

لا مجال لتحقيق تقدم « تكنولوجي » إلا ... البحوث الأساسية . والبحوث « البيولوجية » ... شتى الكائنات الحية ، شأنها شأن مختلف ...

لحو- الأخرى . لقد أمكن استثمار الكثير من ... أجل تحقيق فوائد ملموسة أصبحت تعرف ... « البيوتكنولوجيا » . وسوف تعنى هذه المقالة بمناقشة ... « البيوتكنولوجيا » في حل مشاكل العصر المستعصية . ويسعني أن نتذكر هنا أن تطبيقات الأنواع الأخرى من « التكنولوجيا » كالكيميائية والسرطانية ، قد خلّفت مشاكل مستعصية مثل التلوث بالمواد الكيميائية ، والإشعاعات الضارة ، أما التطبيقات « البيوتكنولوجية » فهي أكثر أمانا من هذه الناحية .

بيوتكنولوجيا »* أم تقنية حيوية ؟

أود في البداية أن أتناول لفظ « بيوتكنولوجيا » - محور هذه المقالة - بتعليق مقتضب . فلاشك أن القارئ قد يلاحظ أنه لفظ غريب عن العربية ، والواقع أنه معرب ، أي منقول بالحروف العربية عن الكلمة الأجنبية ، أما ترجمته فهي « تقنية حيوية » ، ولست أصر على استخدام اللفظ المعرب دون الترجمة من باب الحذلقة ، ولا اعتقادا أن الترجمة لا تفي بالمعنى . وأحسب أن مثابرتي على الكتابة لمجلة « العربي » في مواضيع علمية باللغة العربية دليل يكفي لدفع هذين الاتهامين عني ، على أن إصراري على التعريب دون الترجمة في هذه المقالة هو في الواقع جزء من اعتقادي بضرورة تعريب جميع الألفاظ العلمية حينما نترجم العلم . وأنا ضمن من يخشون أن تبتعد بنا تيار الترجمة للألفاظ العلمية العالمية عن نهر العلم ، فإذا بنا نتحدث وحدنا لغة علمية مختلفة عما تعارف عليه العالم أجمع ، فلكل علم أساسي ألفاظه العالمية المشتقة من اللاتينية أو الإغريقية ، وهي لا تترجم في أي لغة من لغات الأرض ، بل تكتب كما هي ، وكلمة « بيوتكنولوجيا » من هذا القبيل . إنني ضمن من يدعون إلى ترجمة العلوم وتدريسها بالعربية مع تعريب الألفاظ العلمية العالمية حتى لا نقطع شعرة معاوية بيننا وبين العالم ...

تطور « البيوتكنولوجيا »

ذكرنا أن « البيوتكنولوجيا » ليست سوى استثمار المعارف العلمية في مجالات « البيولوجي » من أجل تحقيق فوائد ملموسة ، وعلى الرغم من أن اللفظ حديث - إذ لا يزيد عمره عن بضعة عقود من السنين - إلا أن استثمار الأنشطة الحيوية قديم قدم الإنسان . ولقد كانت « البيوتكنولوجيا » في فجر الإنسانية - بالضرورة - بدائية . وربما اقتصرت على الزراعة الأولية من أجل توفير الغذاء بصورة شبه مستمرة ، بدلا من الصبر والانتظار طول العام ، ثم تعلم الإنسان من خلال التجربة والخطأ - بل والصدفة أيضا - كيف تجري عمليات التحليل والتخمر ، فخمر الصينيون القدماء نقيع الأرز ، وخمر البابليون نقيع التمر ، كما خمر المصريون نقيع الشعير . وعمليات التخمر هذه ليست سوى ضرب من ضروب « البيوتكنولوجيا » الأولية ، حيث كان يستثمر الإنسان انشطة الميكروبات ، دون وعي منه ، في إنتاج المادة المخمرة ، على أن الثورة الحقيقية في « البيوتكنولوجيا » قد اشتعلت في القرن الحالي ، وبلغت ذروتها في العقود القليلة الأخيرة منه ، وذلك بعد أن تكثفت وتراكمت المعارف « البيولوجية » من خلال البحوث الأساسية منذ بداية القرن . ولقد كان اكتشاف الميكروبات وابتكار طرق لعزلها ودراستها في أواخر القرن الماضي بمثابة شرارة أشعلت هذه الثورة ، لا توجد حدود لآفاقها المستقبلية . ونتيجة لهذه الثورة نشأت صناعات حديثة ، تعرف « بالصناعات الميكروبيولوجية » ، وتزرع من خلالها ميكروبات معينة في مفاعلات حيوية ، وتزود بكل ما تحتاجه من مواد غذائية وتدفئة وتهوية ، لكي تصنع في النهاية بعض المنتجات الكيميائية القيمة . والمسألة في أساسها - كما يرى القارئ - لا تختلف كثيرا عن استئناس الماشية مثلا ، وتربيتها وتعهدها بالرعاية ، لتدر علينا لبنا ولحما . وقد أنتجت « البيوتكنولوجيا » ومازالت تنتج من خلال الصناعات

---

* ... نظر الكاتب ، بيد أن هناك أكثر من رأي حول هذا الموضوع

« الميكروبيولوجية » عديدا من المديات العضوية والفيتامينات والأنزيمات والأدوية ، مثل مضادات الحيوية وغيرها كثير. وها هو الانسان يسعى الى ترويض بعض أنواع البكتريا ، لكي تنتج له البروتينات ، ليأكلها ، أو ليعلف بها ماشيته ، وكان من المنطقي أن تتقدم الصناعات « الميكروبيولوجية » وتتطور مع تقدم المعارف العلمية وتطورها ، خاصة بعد اكتشاف العوامل الوراثية ، وآلية عملها ، إذ بات معروفا أن كل مادة ينتجها كائن حي لابد أن يتحكم في صنعها عامل وراثي ، أو عدة عوامل في خلايا هذا الكائن. ومن ثم فقد وجه الباحثون مجهوداتهم صوب دراسة كيمياء العوامل الوراثية ، وإمكان صنعها من مواد أولية في المختبر ، وفصلها من كائن ، وحقنها في خلية كائن آخر ، على أمل أن ينقلوا معها القدرة على صنع منتج معين من كائن الى آخر ، وهذا هو الأساس الذي بنيت عليه الهندسة الوراثية التي أشرنا إليها في المقدمة.

« البيوتكنولوجيا » الحديثة

يمكن الحكم على مدى التقدم الذي حققته « التكنولوجيا » من خلال حجم الاستثمارات فيها وأحدث إحصائية معروفة عن حجم الاستثمارات في مجال « البيوتكنولوجيا » في العالم الصناعي هي إحصائية عام ١٩٨٤ ، التي قدر فيها حجم هذه الاستثمارات بحوالي ٦٨ مليار دولار أمريكي ، ولاشك أن هذا الرقم قد تضاعف عدة مرات خلال السنوات الثلاث الماضية ، ولا يمكن لأحد أن يحصي عدد البحوث العلمية التي نشرت حتى الآن في هذا المجال لفرط كثرتها ، كذلك يصعب تحديد عدد المؤتمرات العالمية التي عقدت للتشاور حول مسائل « بيوتكنولوجية » محددة ، ويصعب أيضا حصر عدد الشركات الصناعية المنتشرة في أرجاء المعمورة التي تعتمد على « البيوتكنولوجيا » المتقدمة في إنتاجها ، وتنتج هذه الشركات منتجات مثل تلك التي ذكرناها من قبل ، ويرتبط إنتاجها دائما بالبحث العلمي الأساسي ونتائجه ، لكي تستطيع أن تواكب كل جديد ... أمثلة ذلك ما تدفعه شركات الأدوية من أموال ... بحوث مضادات الحيوية التي يسعى أن تجد ... بصفة مستمرة. ومن أحدث ما اكتشف ... المجال هو ما أعلنه خلال الصيف الماضي ... علماء الهندسة الوراثية في « المعهد القومي لأمراض الأطفال » بميريلاند في الولايات المتحدة من اكتشاف مضاد قوي للحيوية ، ينتجه أحد الحيوانات وهو الضفدع. ومن المعروف أن جميع مضادات الحيوية التي أنتجها الانسان حتى اليوم قد حصل عليها من ميكروبات أو نباتات ، لكنه لم يسبق ... عرفها بين الحيوانات. ولقد لاحظ الباحث ... إجراء عمليات جراحية على الضفادع أن جروحها تلتئم بسرعة فائقة ، على الرغم من أن المياه التي كانت تعيش فيها في المختبر بعد العملية الجراحية كانت تعج بشتى أنواع الميكروبات. وحثته هذه الملاحظة على دراسة استطاع من خلالها أن يعزل مادة قاتلة للبكتريا من جلود الضفادع ، وهي عبارة عن مضاد للحيوية بروتيني ، وحفظ الباحث اكتشافه بتسجيل براءة اختراع خاصة به ، وقد فازت إحدى شركات الأدوية بحق إنتاجه ، ومن المتوقع أن يطرح في الأسواق بعد سنوات قليلة ، لعلاج حالات كالحروق وغيرها ، على أن أهم تطبيقات « البيوتكنولوجيا » الحديثة هي تلك التي ينوي العلماء من خلالها حل بعض مشاكل العصر الملحة من نقص الطاقة وتلوث البيئة والمشاكل الطبية.

« البيوتكنولوجيا » ومشكلة الطاقة

من المتفق عليه أن مصادر الطاقة الحفرية التي يستخدمها الإنسان الآن سوف تنضب في المستقبل غير البعيد. ونقصد بمصادر الطاقة الحفرية الفحم والبترول واليورانيوم. ولقد شرع العلماء في البحث عن بدائل ممكنة لهذه المصادر ، وعلى الرغم من ... جهودا مكثفة قد بذلت في الدول الصناعية ... استثمار مصادر الطاقة غير الناضبة كالرياح وأشعة الشمس إلا أن الاقتناع قد ترسخ الآن لدى

بأن أكثر الأساليب واقعية لتوفير الطاقة ما بعد النفط هو من خلال ولوجيا » ، إذ يمكن من خلال أنشطة ات » في صناعات « ميكروبيولوجية » ح ما أصبح يسمى « بالبيوكحول » كوقود يل بنزين والانسان كما ذكرنا كان ينتج شروبات الكحولية منذ فجر التاريخ ومازال ينتجها اليوم ، ويعني ذلك أن الخبرة « البيوتكنولوجية » وفرة بالفعل ، وما على الانسان إلا أن يبقي هذا كحول بالتقطير ويستعمله وقودا ولاستكمال حلقة اخترع المهندسون محركات تدور بالكحول لا من البنزين أو الديزل وقد أجريت عليها ارب عديدة أثبتت كفاءتها ، ولسوف يكثر إنتاج هذا النوع من المحركات ، خاصة لصناعة سيارات ، فور انقضاء عصر النفط

و« البيوكحول » مصدر للطاقة لا ينضب أبدا ، ساجه يعتمد على عملية تخمر مادتها الأولية ، وهي اصيل نباتية لا تنضب كالسكر من قصب السكر لبنجر والعنب ، وكالنشا من الحبوب والبطاطس غيرها وطالما كانت هناك زراعة على الأرض وف يكون هناك مصدر للطاقة هو « بيوكحول » ، كن من المتوقع أن تكون هذه الطاقة مرتفعة السعر ارنة بالطاقة الحفرية ، كما أن أسعار الحبوب لسكر وغيرها من المنتجات الزراعية سوف ترتفع تفاعا كبيرا ونستطيع أن نتصور مدى ما سوف سانيه دول العالم الثالث من أجل توفير الغذاء لطاقة ، وإذا لم تتفق الأقطار العربية ابتداء من اليوم ى « استراتيجية » زراعية للمستقبل ، تستثمر من خلالها أراضي غير مستثمرة في السودان والعراق على جه الخصوص ، فمصيرها التبعية السياسية لدول ساعية لا قدر الله ذلك ويقدر العلماء أن الانسان د عصر النفط سوف يخصص حوالي خمس الرقعة زراعية الحالية على كوكب الأرض لإنتاج المادة أولية اللازمة لتوفير الطاقة ، ويا ليتنا ـ نحن العرب ـ ننتبه الى هذه الحقائق ، ونعطيها ما تستحقه من عناية، نسابق الانسان الى البيوكحول لاستخدامه مصدراً للطاقة ، سوف يستثمر أساليب « بيوتكنولوجية » حديثة ، ـ قد تم ابتكارها ـ من أجل استخراج أقصى ما يمكن استخراجه من النفط من الآبار الناضبة والمعروف أن أساليب الضخ الحالية لا تسمح باستخراج الزيت الى آخر نقطة منه ، بل تترك قدرا محسوسا من هذا الخام ، لأن ضخه مكلف وغير اقتصادي وهناك طرق لضخ قدر من هذا الجزء ا... في الآبار من خلال حقنها بالماء ، الذي يدفع النفط الى أعلى ومن عيوب الماء في هذه الطريقة أنه أكبر كثافة من الزيت ولا يختلط به اختلاطا كاملا ، ومن ثم فهو لا يستخلص كل المتبقي منه والوضع المثالي هنا هو حقن الآبار بمواد تقترب كثافتها من كثافة الزيت وقد استطاع العلماء إنتاج مثل هذه المواد بأساليب « بيوتكنولوجية » ، وهي عبارة عن « بوليمرات » تنتجها الميكروبات خلال صناعة « ميكروبيولوجية » عادية ، وهي جاهزة الآن للاستخدام في الوقت المناسب

كما أن هناك دراسات تستثمر أنشطة أنواع من البكتريا ، من أجل استخلاص « اليورانيوم » وغيره من المعادن من الخامات الأرضية التي تحتوي عليها ، وقد وجد أن تحويل هذه المعادن الى كبريتاتها من خلال معالجتها بحمض الكبريتيك هو أقل الطرق المتاحة تكلفة ، على أن عيوب هذه الطريقة تكمن في ضرورة استخدام كميات هائلة من حمض الكبريتيك لمعالجة الكميات الهائلة من الخام الذي يحتوي غالبا على كميات ضئيلة من المعدن ، إضافة الى صعوبة تصميم وعاء ضخم لاجراء هذه المعالجة لذلك استثمر العلماء الأمريكيون نشاط البكتريا المؤكسدة للكبريت لحل هذه المشكلة ، إذ أنهم يخلطون الخام بمسحوق الكبريت ، ثم يضيفون إليه خلايا البكتريا التي تؤكسده وتحوله الى حمض ، وهذا يحول المعدن بدوره الى أملاح الكبريتات التي يسهل فصلها بعد ذلك من الخليط ، وتتم العملية كلها في الحقل

« البيوتكنولوجيا » ومشكلة التلوث

- أصبح التلوث الكيميائي يشكل واحدة من أعقد

مشاكل العصر الحديث ، وأخطر الملوثات ـ كما ذكرنا في مقالات سابقة ـ هي تلك المواد الكيميائية التي شاع استعمالها حديثا ، كمصادات الحشرات والآفات الأخرى ، خاصة إذا كانت هذه المواد تستعصي على التحلل الميكروبي ، فلا تقوى ميكروبات التربة أو الماء على هضمها ، وتبقى في البيئة لتمثل خطرا دائما على صحة البشر وربما على حياتهم ، والأمل أصبح ماثلا الآن أمام أعين العلماء في استثمار الأساليب البيوتكنولوجية من أجل تخليص البيئة من خطر هذه الملوثات ، ومن المصادات الحشرية الخطيرة التي اجريت عليها الدراسات المبيد المعروف باسم « د د ت » ، فقد استطاع علماء الكيمياء تصنيع جزيء بروتيني يسمح تركيبه المراعي باحتواء جزيء « د د ت » في داخله وتعليقه ، وعزله عن البيئة ، ووقاية المخلوقات من شروره إذن يمكن الآن رش هذا المبيد في التربة للقضاء على حشرة ضارة ، وبعد إنجازه مهمته يمكن عزله برش البروتين الجديد على أن المشكلة هنا تكمن في أن إنتاج البروتين بكميات تسمح برشه عملية مكلفة جدا ، والوضع المثالي هو أن نبرمج بعض بكتريا التربة برمجة وراثية ، يمكن بواسطتها أن تنتج خلاياها هذا البروتين باستمرار في التربة وقد استدعى تحقيق ذلك أن قام العلماء بدراسة التركيب المحتمل للعامل الوراثي الذي يمكن له أن يتحكم في تخليق مثل هذا البروتين ، ثم صنعوا هذا العامل الوراثي ، وها هي التجارب تجري على حقن هذا العامل الوراثي في نوع مختار من أنواع بكتريا التربة المسالمة ولا شك أن السنوات القادمة سوف تحمل إلينا نبأ القضاء على مشكلة التلوث بمبيد « د د ت » وسوف يصبح ذلك نموذجا يحتذى به في القضاء على غيره من ملوثات البيئة الكيميائية الأخرى

وهناك أساليب بيوتكنولوجية أخرى مبتكرة للقضاء على ملوثات البيئة ، يعتمد العلماء خلالها على ميكروبات شرهة ، تلتهم هذه الملوثات وتهضمها ، ولا يمكن استخدام مثل هذا الأسلوب إلا في القضاء على الملوثات ذات الأصل الطبيعي ، [illegible] وغيره ، فالبيئة تحتوي دائما على أعداد قد [illegible] هذه الميكروبات الشرهة ، وما على الباحث [illegible] يبتكر الأسلوب المناسب لعزلها ، و[illegible] السلالات شراهة وإكثارها ، ثم استخدا[illegible] الهدف المطلوب ، وقد أجريت تجارب [illegible] الماضي في مقاطعة « وستفاليا » بألمانيا [illegible] على بقعة من الأرض الزراعية ، كانت [illegible] عليها شاحنة تنقل النفط ، فتلوثت به ، وأصبحت لا تصلح للزراعة ، وقد عالج الباحثون [illegible] سلالات بكتيرية شرهة ، استنبطت من [illegible] الدراسة ، وبعد أسابيع قليلة عادت التربة [illegible] مكونات النفط ، وأصبحت صالحة للزراعة [illegible] أخرى

« البيوتكنولوجيا » والمشاكل الطبية

كما هو متوقع أصبح للتطبيقات الطبية نصيب رئيسي من اهتمامات البيوتكنولوجيا الحديثة ، فليس هناك ما يحرص عليه الانسان أكثر من حرصه على صحته وحياته ومجالات البحوث هنا متباينة ، لكن يمكن تصنيفها في مجموعتين متجانستين [illegible] الأولى منهما بأساليب تشخيص الأمراض والثانية بأساليب العلاج

أما استثمار البيوتكنولوجيا في التشخيص [illegible] ينصب في المقام الأول على الأمراض المعدية ، ويهدف الى التعرف على ماهية سلالات البكتريا والفيروسات المسببة لها ، والتعرف على السلالة [illegible] الخطوة التي لابد منها من أجل تحديد الدواء الملائم للحالة ، وهي خطوة صعبة التحقيق ، حيث [illegible] السلالات البكتيرية والفيروسية في أشكالها تتشابه كثيرا يصل الى حدود التطابق غالبا وتعتمد الطرق المتبعة حتى الآن على عزل هذه الميكروبات [illegible] المريض وزراعتها في أوساط غذائية معينة [illegible] دراسات ميكروسكوبية وبيوكيميائية عليها [illegible] هذه الدراسات هي التي يمكن أن تميز بين السلالات المتشابهة التي كثيرا ما تبلغ أعدادها العشرات [illegible]

ل هذه الدراسات تستغرق ربما لا يقل ، وقد يتجاوز أسبوعا في أثناء ذلك ب في جسد المريض يعيث فسادا ، ائج التحاليل والوضع الأمثل هنا هو يمكن بها تحديد ماهية السلالة الميكروبية عزلها من المريض ، وذلك بهدف توفير عليه الحياة كثيرا وتعتمد الطريقة بيوتكنولوجية الحديثة في تحقيق ذلك على النفاذ مباشرة الى تشخيص العوامل الوراثية للسلالة ميكروبية ، إذ لا يتطابق كائنان حيّان أبداً في كيمياء عواملها الوراثية تماما ، كما لا يتطابق شخصان في بصمات أصابعهما

يقوم الدارس بعزل الأحماض النووية (حمض ديوكسي ريبونيوكليك) من السلالة المراد تشخيصها ، ثم حها بكشاف مشع ، حضر خصيصا من أجل شخيص ، وهو يتفاعل بصورة نوعية مع أحماض سلالة واحدة ، ثم يعزل الحمض بعد ذلك ، فحص لمعرفة إن كان قد التصق بالمادة المشعة أم ومن خلال تكرار الاختبار مع جميع الكشافات خاصة بالسلالات المختلفة يمكن التعرف على سلالة في خلال ساعات محدودة ، والسبب في استعمال المواد المشعة هنا هو سهولة التعرف عليها باستعمال أجهزة خاصة

كذلك وفرت البيوتكنولوجيا الحديثة طرقا تشخيص بعض أمراض الدم الوراثية في أطوار الحمل المبكرة مثل هذه الأمراض الخطيرة يتعرف عليها الآن من خلال ملاحظة كريات دم حمراء شاذة الشكل بين الكريات العادية في دم المريض ، واضح ان طريقة التشخيص هذه متأخرة جدا ، إذ تشخص مرضا قد وقع ولا يمكن علاجه والوضع الأمثل هنا هو ابتكار طريقة لتشخيص المرض في الجنين أثناء مراحل الحمل الأولى ، حتى يتسنى للطبيب نصح الوالدين بقطع الحمل حتى لا يأتي الى الدنيا وهو يحمل مرضه في دمه ، بل حتى لا يكون هناك وسيلة لتشخيص المرض في الوالدين أو في أحدهما ، فهو آت منهما على أي حال

وهنا يمكن تبصيرهما قبل الزواج بالمخاطر التي تنتظرهما في أبنائهما ومن خلال البحوث الأساسية أثبت العلماء أن سبب هذا المرض هو اختلال في التركيب الكيميائي لأحد العوامل الوراثية التي حددوها بدقة وتعتمد الطريقة البيوتكنولوجية الحديثة على الكشف عن هذا الخلل الكيميائي قبل ترجمته الى خلل في تركيب الدم ، إذ يفصل الدارس جزءا دقيقا من مشيمة الأم ، ويزرعها في وسط غذائي معين ، لتتكاثر الخلايا ، ثم تفصل الأحماض النووية التي تتكون منها العوامل الوراثية في الخلايا ، وتدرس باستخدام كشاف مشع ، للتعرف على أي شذوذ في تركيب العوامل الوراثية الكيميائية

أما بخصوص استثمار البيوتكنولوجيا الحديثة في العلاج فقد انصب اهتمام الدارسين في هذا المجال على محاولة إيجاد علاج للأمراض الوراثية في البويضة المخصبة ، خلال عملية دقيقة تعرف باسم « العلاج الوراثي » ، ويهدف هذا الأسلوب الى قطع الجزء المعطوب من العامل الوراثي واستبداله بجزء سليم وعلى الرغم من أن الأسس العامة لهذه العمليات الوراثية قد درست بالتفصيل ، وطبقت على كائنات حية عديدة ، إلا أن استخداماتها من أجل علاج الأمراض الوراثية في الانسان مازالت تواجه حواجز نفسية ودينية واجتماعية عديدة

ونشير في النهاية إلى أن البحوث الأساسية قد وفرت الآن أساليب لحفظ الدم سليما عشرات السنين ومن المعروف أن عمليات نقل الدم العادية قد ارتبطت في الزمن الحديث بانتشار أمراض معدية خطيرة ، إذ يكفي أن يكون بين المتبرعين حامل لمرض خطير كي ينتشر هذا المرض من خلال نقل الدم ، لذلك كان الوضع الأمثل أن يتبرع الانسان بجزء من دمه ، وهو في كامل صحته ، ليحفظ طوال عمره في مؤسسة خاصة ، وليكون جاهزا له عندما تطرأ الحاجة اليه ولقد تغلبت البيوتكنولوجيا الحديثة على العقبة الرئيسية الخاصة بطول مدة الحفظ ، حيث لم يكن ممكنا حفظ الدم قبل ذلك إلا فترات وجيزة □

للمناقشة

بقلم . فهمي هويدي

فض الاشتباك الفكري بين المسلمين

لا بديل عن صيغة للتعايش بين أبناء الملة الواحدة ، إذا اختلفت مذاهبهم واجتهاداتهم في أمور الدين قبل أمور الدنيا ، ولا بأس من أن تتعدد المذاهب ، وتختلف طرائق التعبد لله سبحانه وتعالى . شريطة أن يتم الاتفاق على الأصول الجوهرية ، وأن لا تتحول المذاهب الى أحزاب دينية وطوائف ، فالاسلام ليس ملكا لأحد ، والمعرفة به ليست وقفا على أحد دون أحد

إن « الأخ » المسلم ، هو أخ في الدين قبل كل شيء ، وهو جزء منا ، ينبغي المحافظة عليه ، ومد جسور الوصل معه أينما ذهب بفكره ، وحيثما حل بكيانه ، ذلك التزام تفرضه العقيدة أولا ، وتقتضيه المصلحة ثانيا

فحقوق المسلم على المسلم ، من الموالاة الى المؤاخاة لا حصر لها في تعاليم الاسلام ، وإنكار هذه الحقوق أو حتى مجرد إهمالها وعدم الالتفات إليها سلوك يجرح صدق إيمان المسلم ، ويبرئه عند الله منزلة تشينه ولا تشرفه

ثم إن العصبية المذهبية التي تؤدي الى قطع خطوط الاتصال والحوار مع أتباع المذاهب والملل الأخرى ، فضلا عن أنها تخرب وحدة الصف الإسلامي ، وهو أمر بالغ الأهمية بحد ذاته ، فإنها ترتب نتيجتين خطيرتين على المستوى العقيدي . أولاهما إهدار فرصة تصحيح المعتقدات المنحرفة التي تشيع بين بعض ملل المسلمين ، خصوصا عند الأجيال الجد[يدة] التي ورثت تلك المعتقدات ، دون أن تعرف حد الخطأ والصواب فيها ، ومن ثم فقد الـ[...] وتعاملت معها باعتبارها إسلاما صحيحا لا شك ولا مراء

وأخراهما عزل بعض الأقليات الاسلامية [التي] تعيش في عدد من الدول الإفريقية والآسيو[ية] فضلا عن التي تعيش في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، مما يؤدي بمضي الوقت الى تذويب [ها] الخضوع في الواقع الذي يحيط بها ، جيلا بعد جيل وبالتالي ، انحسار الإسلام عن تلك البلاد

الولايات المتحدة الأمريكية نموذج واضح للصد[د] التي نريد أن نطرحها ، فهناك يعيش مجتمع المسلمين السود ، الذين مر انتماؤهم الى الإسلام بمراحل عديدة ، أهمها مرحلتان بارزتان ، فحتى أو[ائل] الستينيات انعقدت زعامة هؤلاء المسلمين لواحد منهم ، اشتهر باسم « ايلايجا محمد » ، وقد [ادعى] لنفسه النبوة ، ومارس تخليطا وتلفيقا في الـ[...] والمعتقدات ، وصلت الى حد إسقاط بعض الفرائض والأركان في مراحل معينة ، واستكمالها في بعض [...] مما يعد نوعا من تطبيق [...] « التقسيط » في الالتزام بالإسلام

... ـتيبات توفي « ايلايجا محمد » ، وتولى
... ابنه « وارث الدين » الذي كان على
... لام أفضل من أبيه ، وبالتالي فقد قطع
... س به في تصحيح عقائد أتباعه ،
... طريق الفهم الصحيح للدين
... المسلمين الآخرين في الولايات المتحدة
... المهاجرين خاصة ـ حافظوا على خطوط
... مع اخوانهم السود ، على الرغم من كل ما
... اعتقادهم من تحريف في الأصول قبل
... ولولا أنهم ساعدوا « ايلايجا محمد » على
... أحد أبنائه لدراسة الإسلام في الوطن
... لولا تلك « الشعرة » لاتسع نطاق
... وفساد الاعتقاد ، ولخسر الاسلام ذلك
... المهم المؤثر في الولايات المتحدة الأمريكية

لقد كانت هناك أسباب كافية لتجريح اعتقاد
هؤلاء الوافدين الجدد الى الاسلام وانتقادهم ، وكان
... كثير في الصبر ـ وليس القبول ـ على ما هو
... وتشوه في فهمهم للدين ولما اقترن ذلك
... سعي حثيث الى التصحيح والتقويم كسب
الاسلام الكثير من أجيال أدركت الحق فاتبعته ،
... عن الباطل حين تبينت لها حقيقته

والنموذج الثاني الذي يحضرنا هنا يتمثل في جموع
المسلمين من شبه القارة الهندية المهاجرين الى مختلف
انحاء العالم ، وهم خليط من أهل السنة والامامية
... سماعيلية والبهرة والقاديانية أو الأحمدية كل
هؤلاء يعلنون انتماءهم الى الإسلام واعتزازهم به ،
... بعضهم له معتقدات لا تخلو من تحريف
... ونحن بين خيارين ، إما أن نوفر لأنفسنا
... صة تعكس نهج الصبر عليهم والسعي
... لتصحيح معتقداتهم ، وإما أن نخرجهم من
... وشأنهم فيستمر انحرافهم ، وتدوب
... المجتمعات التي وفدوا إليها جيلا بعد
...

... بالرد ـ وأحارف ـ داعيا الى الانحياز الى
... ملحا في مناقشة تلك الصيغة
... توفر المحافظة على ملة الإسلام ، وعلى

صف المسلمين

ذلك في الشق المتصل بالعقيدة ، أما على صعيد
المصلحة ففي عالم يتجه الى التكتل والتجمع ، تهدر
فيه مصالح الضعيف ، ولا يكترث فيه بالتشرذم
والفتات ، فإن التقريب بين صفوف المسلمين
واختصار المسافات الاعتقادية بينهم ، هو ركن
حيوي في هذا الاتجاه

وفي كل الأحوال فإن المحيط الإسلامي الواسع
باختلاف ألسنته وألوانه وملله ومذاهبه يظل هو
« المجال الحيوي » ، وربما أيضا « الخزان البشري »
لكل بلد إسلامي على حدة ، والذين أتيح لهم أن
يقتربوا من مجتمعات المسلمين في مختلف مواطنهم
النائية لابد أن يدركوا عمق مشاعر التضامن والتأييد
والدعم التي يستشعرها هؤلاء المسلمون تجاه إخوانهم
المسلمين حيث وجدوا

لقد هوجمت بعض السفارات العربية ، وأحرقت
بعض مقار السفارة الأمريكية في العاصمة الباكستانية
(إسلام اباد) عندما شاع بين المسلمين أن للولايات
المتحدة الأمريكية ضلعا في عملية احتلال الحرم ،
التي قام بها بعض الشباب قبل عدة سنوات ،
واحتشدت صفوف المسلمين في بعض دول اسيا
وأفريقيا على أبواب السفارات المصرية في الخارج
طلبا للتطوع دفاعا عن مصر ، خصوصا عقب
العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ . اما قضية فلسطين
واحتلال القدس الذي يؤرق الضمير المسلم في كل
مكان ، فلو أن باب تطوع المسلمين فتح من اجلها
لتوافدت الالوف من كل فج ، داخلة من باب
الاسلام العريض ، معبئة بلافتته وأرضه وحدها ،
متجاوزة عن كل خلاف ايا كان نوعه

وقبل أن نخوض في أمر الصيغة المقترحة للوصل
بين شتات المسلمين المبعثر ، ننبه الى أمور عديدة في
مقدمتها

* اننا لا ندعو الى إلغاء المذاهب ، لاستحالة ذلك
من الناحية العملية ، كما ذكرنا من قبل ، لكننا مع
الابقاء على هذه المذاهب ، باعتبارها مدارس
فكرية ، واجتهادات عقلية ، تحترم ولا تلزم ،

وهنا نؤيد دعوة أستاذنا الشيخ محمد أبي زهرة الى إلغاء الطائفية ، التي هي بمثابة اجتماع فريق من الناس على رأي واحد دون غيره ، والتعصب له ، « لأن الخلاف الطائفي يشبه أن يكون نزعة عنصرية ، والذين يريدون الكيد للإسلام يتخذون منها منفذا ينفذون منه الى الوحدة الإسلامية ، ولأن وحدة المسلمين توجب وحدة الشعور ، ولا وحدة للشعور مع الطائفية »

لهذا يضيف الشيخ أبو زهرة « نقدر أن الطوائف الإسلامية كلها يجب أن تتلاقى على محبة الله ورضاه ، وتحت ظل كتابه تعالى وسنة نبيه الصحيحة ، والمقررات الإسلامية التي علمت من الدين بالضرورة ، ولا مانع من أن تختلف آراؤنا ، لكن يكون اختلاف آحاد في منازع علمية ، ولا يكون اختلاف جماعات وطوائف ، تجعل الأمة الإسلامية متفرقة متنازعة » (أبو زهرة ـ الإمام زيد ـ ص ١١)

* إننا ندعو الى فض الاشتباك بين أتباع المذاهب والاجتهادات الإسلامية المختلفة ، و « وقف إطلاق النار » فورا بين رموز تلك المذاهب والاجتهادات ، أي أننا نلح على وقف عمليات التجريح المستمرة التي يمارسها بعضهم تجاه اعتقادات بعض المسلمين أو ممارساتهم ، مذكرين بأن تلك الحروب الضارية التي يشنها بعض « السلفيين » في رماننا بصفة دائمة ضد الصوفية ، أو ضد الزيدية والأباضية بين حين وآخر ، غاية ما تحققه أنها تزيد من فرقة المسلمين وتشرذمهم ، وتكرس صيغة تقطيع أوصال الأمة على الصعيد الاعتقادي ، بعد السياسي والجغرافي

إن أي حديث عن وصل بين جموع المسلمين باختلاف معتقداتهم ومشاربهم ، يصبح بغير معنى أو جدوى ، في ظل استمرار التراشق الفكري والتجريح العقيدي الذي يمارسه بعضهم وإذا كان هناك طرف يؤمن حقا بوحدة المسلمين ولم شملهم ، فإن الإيمان يتعارض تماما مع نهج التجريح والاتهام لمعتقدات « الآخر » الإسلامي

* إن لدينا في الكتاب والسنة دليلا ... الطريق السوي والنهج القويم للتعامل ... المسلمين ومذاهبهم ، فعندما ينص القرآن ... سورة النساء على « إنّ الله لا يغْفرُ أنْ يُشْر[ك به] ويغفر ما دون ذلك لمنْ يشاءُ » مرتين ، في الآية ... والآية ١١٦ ، ثم عندما يقرر الله سبحانه وتعالى ... تجتنبُوا كبائر ماتُنْهوْن عنْهُ ، نُكفّرْ عنكم سيئاتكم ونُدْخلْكُم مُدْخلا كريما » (النساء ٣١ ، ... المعنى في سورة الشورى (الآية ٣٧ والنجم الآية ٣٢) ، ثم عندما يعلن النبي عليه الصلاة والسلام على الأمة أن من اجتهد فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر ، عندما تجتمع هذه النصوص ... العقل المسلم ، فإنها تنير له الطريق ... الإطار الذي يمكن قبول الاختلاف في ... وهامش الخطأ المقبول ، ونصيب المجتهد المخطئ إذا حسنت نيته وخانه الصواب

إذا توافرت لنا مثل هذه الضوابط فلماذا ... على أنفسنا ، ونسهم في تعميق جراح أمتنا ... الفجوة بين أوصالها وأطرافها ، وقطع الطريق ... أي أمل في التقارب والوصل الفكري والعقيدي ... استحال في المجالات الحياتية الأخرى ؟

إننا إذا وضعنا الوحدة الإسلامية هدفا لنا ... واتفقنا على أن الانتصار المطلوب هو للإسلام وحده ، وليس لفرقة بعينها أو تيار بعينه ... سنلاحظ ما يلي

١ ـ أن المتفق عليه بين فرق المسلمين ومذاهبهم كثير جدا ، وأن التشبث به وحده كاف للنجاة فالإيمان بالله وبلقائه والسمع والطاعة لما جاء عنه وأداء الأركان المجمع عليها في ميدان العبادات وترك المعاصي المجمع عليها في مجال المحظورات وبناء النفوس على مكارم الأخلاق وأشرف العادات إن هذا كله يقيم أمة لها مكانتها في الدنيا والآخرة لكن جماهير من الدهماء والأذكياء ، شغلت بالاختلافات العارضة ، ولم تحسن استثمار ما ... الإجماع ، فكادت تضيع الإسلام ... الفكري

٢ ـ أن ... اهب الإسلامية الكبرى اختلفت في
روع لا ... الأصول ، وكان من الممكن أن يتعاون
... فيما اختلفوا فيه ، وأن يعذر بعضهم بعضا فيما
... وهذا ما آثره أولو الألباب ، لكن
... بالسباق عكروا الصفو وفرقوا الشمل
ولنضرب هنا مثلا : إن الإيمان بالله ينمو بالنظر
... والتأمل في التاريخ ، وهذا الإيمان أصل
... لا ريب فيه ، فلماذا لا نتعاون على تقويته
... والافادة منه في المعاش والمعاد ، بتكثير
... التي ترسخه في القلب ، وتصحح اثاره في
... والمجتمع ؟

ولماذا لا نتجاوز في ميدان العبادة قضية هل على
... قراءة القرآن في الصلاة ، أم تغني عنه قراءة
... فيها ؟

... نرى من شاء جوار القراءة أو وجوبها ، أو
... ها ، ونترك له وجهة نظره ، فلا نضيع الوقت
... المجادلة حولها ، ونوفر قوانا النفسية والفكرية في
... على الأركان المحدودة ، وهي كما ذكرنا كثيرة

٣ ـ اننا عندما نتأمل في التركة الثقيلة من
... الخلافات التي ورثناها نجد أن بعضها أملاه الترف
... ، وأن بعضا آخر لفظي لا محصل له ، وأن منها
... اشعل ناره الاستبداد السياسي واستبقاه عمدا الى
... هذا ، وأن منها ما يصح أن يكون مسرحا لفكر
... الخاصة ، ويعد شغل الجماهير بها جرما ، وأن
... ما جمده المقلدون المذهبيون لقصور شائن في
... فهم

ومع ذلك فإن الخلاف الفقهي قد كان في
... ، وسيبقى الى آخر الدهر ، لأسباب طبيعية
... عرضنا لها من قبل ، ويجب ألا نتطير من
... الخلاف ، وألا نحاول قتله أو تجاهله ، لكننا
... ندعو عقلاء الأمة لبحث جاد في كيفية
... ، بحيث يستخلص منه ما يمثله من ثراء
... ، ويجتنب ما يفتح الأبواب للشقاق
... محمد الغزالي ـ دستور الوحدة الثقافية بين
... ص ٥٦ بقليل من التصرف)
... معيارين أساسيين يمكن بهما قياس
مشروعية أي خلاف بين المسلمين ، هما :

× أن يكون لكل من المختلفين دليل يصح
الاحتجاج به ، فما لم يكن له دليل يحتج به سقط ، ولم
يعتبر أصلا

× ألا يؤدي الأخذ بالمذهب المخالف الى محال أو
باطل ، فإن كان ذلك بطل منذ البداية ، ولم يسمح
لأحد القول به بحال

وبهذين الأمرين يتميز الاختلاف عن الخلاف ،
إذ الاختلاف المقبول هو ما توافر فيه الشرطان
المذكوران ، مما يجعل القضية محصورة في إطار النمط
العقلي والاجتهاد ، ويحفظ لأساسه المنهجية
والموضوعية ، أما الخلاف المنكر فهو الذي يفقد
الشرطين أو أحدهما ، وهو مظهر من مظاهر التشنج
والهوى والعناد ، وليس له من سبب يمت الى
الموضوعية (د . طه العلوني ـ أدب الاختلاف في
الإسلام ص ١٠٤)

قلنا من قبل ـ مقال الشهر الماضي ـ أننا في التعامل
مع الآخر الإسلامي على المستوى المذهبي
والاجتهادي نفرق بين دوائر ثلاث : محيط أهل السنة
أنفسهم ، ومحيط المذاهب الإسلامية التي لا تختلف
مع أهل السنة في الأصول ، ولا مجال للحديث عن
سلامة اعتقادها ، ثم دائرة المذاهب والفرق الأخرى
التي يثار الجدل حول سلامة معتقداتها ، وأكثرها
كافر أو منطلق من شبه القارة الهندية ، ولا ينفك
يعلن انتماءه للإسلام ووقوفه على أرضيته

وإذ نذكر بأن الدعوة الى الله ينبغي أن تظل في إطار
الحكمة والموعظة الحسنة ، بمقتضى النص القرآني ،
وأن ذلك يستلزم تنمية أسلوب التجريح والاتهام أو
فض الاشتباك الفكري بين أتباع الملل الإسلامية كما
ذكرنا ، فإننا ننبه أيضا أن السعي على هذا الطريق له
مكانه وله أهله ، أعني أن تلك أمور تناط بمجالس
البحث ومجامع العلم ، وبالتالي بالباحثين وأهل
العلم ، ولا مكان لها في المنابر العامة ، ولا على
صفحات الصحف ، فضلا عن أن الخوض فيها
ينبغي ألا يستباح لكل من هب ودب من المتسببين
للكلمة المنطوقة أو المكتوبة

وإذا جاز لنا أن نرتب المهام طبقا لأولوياتها فحسب أن قليلا من الوعي والحكمة يطفىء النار المشتعلة بغير مبرر في محيط أهل السنة بين تيار السلفيين ومن عداهم. ويوحل الجدال حول قبض اليدين أو إرسالهما في الصلاة، وحول إطلاق اللحية وتقصير الثياب، حتى إشعار آخر!

لكننا نعتبر أن القضية الأكثر إلحاحا الآن هي كيفية فض الاشتباك ومد جسور التقارب والتراحم بين أتباع المذاهب الإسلامية التي لا تختلف فقهاؤها حول الأصول والأركان الأساسية في الإسلام.

هنا نجد بين أيدينا مشروعا للوصل والفهم والتفاهم بين فقهاء المسلمين على اختلاف مدارسهم ومشاربهم، عرضه أحد الفقهاء المصريين، وهو الشيخ محمد عيد عباس، وذكره الشيخ محمد الغزالي في مؤلفه الثمين «دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين»، إذ دعا الفقيه المصري الى تأليف لجنة تعيد النظر في التراث الفقهي الإسلامي على أسس خمسة هي:

- تقرير الأحكام الأساسية المتفق عليها بين فقهاء الإسلام، أي التي لم يثر بشأنها خلاف جوهري.
- في المسائل المختلف عليها اختلاف تنوع يؤخذ بجميع الآراء مادامت ثابتة في الشريعة ولا معنى للاقتصار على واحد منها ومخاصمة غيره.
- في المسائل المختلف عليها اختلاف تضاد ينظر في دليل كل مذهب، ويؤخذ بأقوى الآراء وأرجحها دون تعصب لمذهب بعينه.
- في المسائل التي يصعب ترجيح رأي من الآراء فيها، وتتساوى أدلتها في القوة يجوز الأخذ بأي رأي منها، ويحسن تقديم ما يحقق مصلحة عامة للمسلمين.
- يترك من الآراء ما ظهر بطلانه أو ضعفه.

لقد دعا فقيهنا الى تعميم هذا الاتجاه وتسميته «مذهب الكتاب والسنة وجميع الأئمة»، وأيد الشيخ الغزالي دعوته، وتمنى أن تتبناها المجامع الإسلامية المعنية بحاضر المسلمين ومستقبلهم.

على صعيد آخر أورد الشيخ الغزالي في كتابه مشروعا محددا للتقريب بين أكثر مذاهب المسلمين المعتبرة، وحدد عناصره في نقاط أربع

* يتفق الفقهاء المسلمون في مؤتمر ... القرآن الكريم هو كتاب الإسلام ... وهو المصدر الأول للتشريع، وأن ... الزيادة والنقصان وكل أنواع التحريف ... الآن هو ما كان يتلوه النبي - صلى الله ... وسلم على أصحابه، وأنه ليس في تاريخ الإسلام ... هذا المصحف الشريف.

* السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم والرسول أسوة حسنة تتبع الى قيام الساعة والاختلاف في ثبوت شيء من السنة أو عدم ... مسألة نوعية.

* ما وقع من خلاف في القرن الأول يدرس في إطار البحث العلمي، والعبرة التاريخية ولا يسمح بامتداده الى حاضر المسلمين ومستقبلهم، بل يجمد من الناحية العملية تجميدا تاما، ويترك حسابه ... الله وفق الآية الكريمة (تِلْكَ أُمَّةٌ قد خلت لها ماكسبتْ ولكُمْ مَاكسبْتُمْ، ولاتُسْألون عما كانوا يعْملُون) (البقرة - آية ١٣٤)

* يواجه المسلمون جميعا مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة الكثيرة جدا، وعلى ... وتسامح في شتى الفروع الفقهية، ووجهات النظر المذهبية الأخرى (دستور الوحدة الثقافية الإسلامية - ص ١٤٧)

تلك نقاط قابلة للزيادة والنقصان بطبيعة الحال لكنها تظل جديرة بالبحث والنظر من جانب كل من تشغله وحدة الأمة الإسلامية. وهي تعني قبل كل شيء أن الطريق مفتوح، وأن السبل قائمة ... على أهل العلم والعقل إلا أن يتقدموا.

بقيت الدائرة الأخيرة التي أشرت إليها وموضوعها هو العلاقة مع الفرق والملل الإسلامية التي يثار الجدل حول سلامة معتقداتها ومدارسها.

ولا أملك صيغة أو مقترحا محددا في هذا الصدد لكني أكرر لفت النظر الى أهمية الموضوع ... من هم أقدر مني وأعلم الى أن يولوا هذا الموضوع عنايتهم واهتمامهم، دون تفريط في ... إهدار لقيمة الوحدة المنشودة بين المسلمين.

عبد الرحمن الشرقاوي

فارس الكلمة

بقلم : فاروق خورشيد

فرسان الكلمة يتساقطون واحدا إثر الآخر .
قائمتهم طويلة ، يتخطفهم الموت الطبيعي وموت الرصاص والاغتيالات فرداً إثر فرد
والمكلوم ليس الكلمة فقط ، بل الأمة بأسرها ، وعقلها النابض الحي .
ومرة أخـ ى مع فارس اخر من فرسان الكلمة ،
إنه عبد الرحمن الشرقاوي الذي وافته المنية في
١١/١٠ ١٩٨٧ وهو شعلة عطاء .

رحل عبد الرحمن الشرقاوي فجأة ، وكنا على موعد ان نلتقي إثر عودته من موسكو ، فلم يتحقق هذا اللقاء ، ولن يتحقق في هذه الدنيا أبدا

كانت عادتنا أن نلتقي كل عدة أسابيع مرة ، نطرح القضايا والهموم ، ونناقش فيما يمر بحياتنا الثقافية من علل وأعراض وكان سر هذا اللقاء شبه الدوري ما كان يحس به كل واحد منا من راحة ، لأن الآراء تلتقي وتتقارب ، فيجد كل منا في هذا التقارب عزاء لما يجد في نفسه من مرارة تجاه هموم حياتنا الثقافية والفكرية ، بل وهمومنا المصرية والعربية بعامة ، التي نحملها مرغمين بحكم اشتغالنا بالفكر ، وارتباطنا بمعنى الحرية والعدل ، واتجاهنا الى التعبير عن كل هذا إما بالقلم ، فإن لم يكن ففي هذه الجلسات واحة من هجير الصمت ، وضياع الحقيقة ، وصحراء الجهالة التي نعيشها ونعايشها مرغمين

رحل عبد الرحمن الشرقاوي فجأة فاستراح ، فقد كان قلبه يحمل من هموم ناسه وأمته ما يفوق طاقة قلب إنسان عادي ، وكان فكره يمور بمشكلات الثقافة العربية والانسان العربي بما يتجاوز احتمال فكر إنسان عادي . وكان وجدانه ينفعل بهموم وقضايا رجل الشارع البسيط في كل مكان من وطننا العربي ، وهموم وقضايا رجل الفكر المثقف في كل مجمع علمي أو ثقافي في دنيا العرب

كان قلبه لا يعرف إلا نبض الصدق ، ويسد الكذب والنفاق وازدواج الشخصية والتمزق المرضي ، ويبهر نبض الصدق بالألم والأسى ويلتف حول نفسه في حزن عظيم

وكان فكره لا يعرف إلا صوت الحرية ، الحرية له ولأبنائه ولوطنه ولكل إنسان يذوق طعم العبودية والاستعمار والاستغلال والطغيان الغبي الذى يدمر الأمن والسلامة ويفرق بين الأهل والأصدقاء ، ويرفع صوت الرصاص على صوت الحب ، ويدفق أنهار الدماء بدلا من أنهار الخصب والنماء ، ويزرع البغضاء والحقد

وكان وجدانه لا يعرف إلا معنى العدالة ، رغم ما كان حوله من ظلم ، فالغني يزداد غ[illegible] والفقير يزداد فقرا ، وقوم يفقدون أموالهم [illegible] أدوات ترف لا تحصى أغرقنا بها الرأس[illegible] وقوم لا يعرفون ماذا يحمل لهم الغد [illegible] تتضاعف الأسعار عن اليوم السابق أو [illegible] تحمّوا حتى لم يعد فكرهم يستطيع [illegible] كروشهم العالية ، فأخذوا ينادون في [illegible] الشعب كل مكاسبه في الغذاء ذي الأسعار [illegible] لقدراتهم المحدودة ، وفي الكساء الذي [illegible] أجورهم الهزيلة ، وفي التعليم المجاني [illegible] المواصلات السانحة لأمثالهم لا لأصحاب الـ[illegible] الفارهة التي تبنى لها الجسور وتمهد الطرق [illegible] الأنفاق ليخلو سطح الأرض لمرحهم [illegible] الأرض طربا قوم أذهلتهم الدوامة عن [illegible] مستقبلهم بل وحاضرهم ، إذ هم في الطوابـ[illegible] أجل رغيف عيش أو لحوم أو دواجن او [illegible] حصراوات مازالت تيسرها لهم هذه الـ[illegible] الدوامة ، المضيعة العدل أن يجد كل انسان [illegible] فوق أرض الله ، وأن يقول كل إنسان كلمة [illegible] الله ، وأن يعيش كل إنسان أمنه في رحاب [illegible] الله

من قلب القرية

منذ البدء كانت هذه هي تركيبة عبد [illegible] الشرقاوي ، تركيبة القلب الصادق والعقل [illegible] والوجدان المستشرف الى العدل منذ خرج [illegible] القروي - الذي تربى في الكتّاب وحفظ التراث [illegible] التراث الإسلامي والفكر العربي - الى [illegible] ليدرس الحقوق ويجرب القلم ، وقلبه يضطرب [illegible] الصدق ، وعقله يصطرم بنور الحرية ، ووجد[illegible] يتوان نحث عن العدل وفي القاهرة صدمه [illegible] المر ، استعمار انجليزي راسخ بثقله فوق [illegible] أبناء الوطن ووجدانهم ، وقصر مستغل [illegible] متعال يسوم الناس العسف ، ويحكم البلاد [illegible] والنار والتامر مع المستعمر والعسكري لأسر [illegible] والاعتيالات بليل ، وقمع مظاهرا[illegible] بالرصاص ، وإغراقهم في النيل واقع [illegible]

ـلكه ثروات البلد ، وكثرة لا تملك شيئا ،
مع لبعد في المئة ، والكل معرق في دوامة حربية
مها ا ... ء الحربي ، ووزارة تروح ووزارة
، و ... ن يسوء ، والاستعمار ساق رارح ،
ـستقلا ستمر دائم راسح ، والصدق مات
ره صـ والعدل امحى ، والكلمات المطروحة
ـحه معرق الناس في دوامة الواقع المصطنع ،
ـد المستعمر في استعماره
ـاهب الكلمات ، وصاقت السبل ، وهده
ـ الثوارة بحب الوطن وبمعنى الكرامة لا تجد
ـ ملتجأ إليه إلا وقد رصده أعداؤها وأعلقوه
ـوا المنافد نحوه ، لا تجد نافدة تطل منها هبة هواء
لا وقد تدافعت الستائر السوداء لتسدل عليه ،
ـت القضبان الحديدية تمنع كل نسمة حرة ،
ـ معنى حرية . أعجيب إذن أن يبحث
ـقاوي كما بحث زملاء له في جيله عن بارقة أمل
ـاقة نور ؟ أو عجيب حقا أن يتجه الشرقاوي كما
زملاء له الى عدو عدوهم ، على عنده الخلاص ،
ـ لديه ما يجيب عن الأسئلة الحائرة ، ويهدي الى
ـ النور ؟

ويحكي الشرقاوي عن منهجه الجغرافي الذي خلا
كل إشارة الى روسيا ، ويصور لنا حيرته ،
ـره الصغار من التلاميذ أمام هذا الغموض المثير ،
ـو في قصيدته الرائعة « رسالة من أب مصري الى
ـس ترومان » ، التي صدرت عام ١٩٥١ ، أي
قيام الثورة المصرية ، وهو يحكي موقف المدرس
ـاسر حين يسأله تلاميذه عن المجهول ،
ـوع !

وصاح الصغار « وما روسيا ؟
روسيا ! »

تقدم يمس آباءنا وأجدادنا والجدود الكبار ،
ـى ان ـ شى الى ادم فأدركه طائف من وقار ،
وعاد ـول « اسمعوا يا كلاب ، فهم
ـمت ، البلشفيك » .
ـم بد من حوله ، وفي جسمه خبل من
ـر

فقلت له « ومن هم البلشفيك ؟ »
قال « انتظر » .
فأنت غلام غرير العمر ،
وبعد قليل ستتلو الحياة ، وتعرف من أين يأتي الخطر
وفي الحق أني لم أنتظر ،
فما كنت أفهم هذا الخطر .
ولما رجعت الى قريتي سألت أبي « من هم البلشفيك ؟ »
فصفق من عجب قائلا « لقد جن والله هذا الغلام » ،
فمن أين يعرف هذا الكلام ؟ ! »

الهم العام والهم الخاص

ومن هذا المعين الجديد بدأ إيمان الشرقاوي بكفاح الشعوب من أجل الاستقلال ، وبدأ إيمانه بكفاح الطبقة الكادحة مرتبطا كل الارتباط بهمومه الوطنيه المحلية العاجلة . ويشرح الشرقاوي هذه المرحلة من حياته الفكرية ، فيقول في نفس القصيدة

« وقامت شعوب تهز الظلام تشرق أحلامها الهائلة ،
وتعلى على ضربات الفساد بناء مدينتنا الفاضلة
ولما بدأت أعي ما يقال رأيتهم يملأون الطريق ،
تهز الفؤوس ركود الحقول وتعلي بما تحتويه العروق
وكانوا يقولون « يحيا الوطن »
حفاة يهزون ريح الحياة ويستدفعون شراع الزمن
وساءلت أمي عما هناك « ماذا دها القرية الساكنة »
فقالت « يا بني هم الانجليز يثيرون أيامنا الآمنة
وقد أخذوا كل غلاتنا . وقد نصب الماء في الساقية
ولم يبق شيء على حاله سوى حسرة مرة باقية »

امتزج الهم العام بالهم الخاص عند عبد الرحمن الشرقاوي ليصبحا معا همًا واحدا ، ووجد نداءات الخلاص عند الماركسية تتجاوب مع نداءات الخلاص التي يهتز بها قلبه وعقله ووجدانه معا ، وهكذا

انخرط عبد الرحمن الشرقاوي في هذه المرحلة من حياته في التجمعات الماركسية التي ملأت دنيا المثقفين العرب ، وكون مع صديق عمره الرسام حسن فؤاد ومجموعة من الآخرين (لجنة الفنانين والكتاب أنصار السلام) وأصدرت اللجنة العديد من الأعمال الأدبية والمنشورات التي تندد بالحرب ، وتدعو الى السلام العالمي ، كما تهاجم الاستعمار والاستغلال ، وتدعو الى تحرير الشعوب من الاحتلال ، وتحرير ناس الشعوب من الاستغلال والقهر ، وأصدرت هذه اللجنة مجلة الغد ، وظهر فيها العديد من مقالات الشرقاوي التي كانت تتسم بالحدة والشاعرية والثورية الصارخة وبدأ الشرقاوي يغزو الصحافة بكتاباته وفصوله القصصية ، فنشرت أعماله في جريدة المصري الواسعة الانتشار في حينها ، وهي الجريدة التي نشرت له هذه القصيدة ، كما نشرت له روايته الرائدة « الأرض » في حلقات متتابعة كما ظهرت أعماله في (الاثنين) و (قصص للجميع) و (الكاتب) و (المصور) وفي المصور نشر عبد الرحمن الشرقاوي مجموعة من القصص تصور كفاحنا الشعبي في عصور المماليك ، ثم نشرها بعد ذلك في مجموعة قصصية باسم (أرض المعركة)

وإذا كانت (الأرض) عملا واقعيا يستمد حوادثه وشخصياته وحواره من ارض الريف المصري ، وربما من قرية (الدلاتون) بالمنوفية التي ولد فيها الشرقاوي عام ١٩٢٠ فإن (أرض المعركة) عمل مستمد من عمق التاريخ المصري ، ولكنه ليس تاريخ الملوك والأمراء ، وإنما هو تاريخ الشعب ، ناسه البسطاء وكفاحهم الدائم النبيل ويقول صديقنا المشترك الأستاذ سعد لبيب الذي كتب مقدمة هذه المجموعة (تعرض المؤلف لفترة من تاريخنا هي الفترة التي سبقت دخول الحملة الفرنسية الى مصر ، وامتدت حتى وصلت الى بداية الاحتلال البريطاني وبالرغم من أن قصة الكفاح الشعبي لم تبدأ في هذه الفترة ولم تنته عندها كذلك ، إلا أن هذه السنوات كانت غنية حقا بألوان الكفاح الشعبي في صوره المختلفة فكان هناك الكفاح الشعبي ضد المستعمر ، وكان هناك ال[illegible] ضد الحاكم المستبد ، وكان هناك الكف[illegible] لقمة العيش ذلك أنه في الفترة التي [illegible] الحملة الفرنسية الى مصر ، كان الـ[illegible] فعلا هم جماعات المماليك [illegible] العثماني هو الذي كان له حق السيادة [illegible] مصر ولكن هذا الحق لا يتعدى [illegible] وحدها وبالرغم من أن المماليك لم [illegible] في أصولهم ، إلا أن حركات المقاومة الشعبية [illegible] لم تأخذ شكل حركات المقاومة ضد المستعمر [illegible] طول إقامة المماليك في مصر ، [illegible] عادات أهلها وأخلاقهم ولغتهم [illegible] المصريين منهم الى أي شيء آخر [illegible] لم يكونوا على الإطلاق يعملون لمصلحة دولة [illegible] فإنهم لم يعرفوا غير مصالحهم الخاصة [illegible] وضعهم بالنسبة لجماهير الشعب في [illegible] الطبقة الحاكمة المستغلة لا أكثر ولا أقل [illegible] فإن ما قام ضدهم من حركات شعبية كان [illegible] الحركات التحريرية الداخلية أي أن هدفه [illegible] كان وقف الطغيان المحلي)

معركة مستمرة

إن معنى المعركة عند الشرقاوي نابع من [illegible] الأرض ، فهي معركة هذه الأرض ، وهي [illegible] مستمرة لا تتوقف طالما ران على الارض [illegible] والعبودية والظلم وهذا الالتفات الى [illegible] التاريخي لوجود الكفاح الشعبي التفات [illegible] الحياة الأدبية المعاصرة ، فقد كان البحث [illegible] البطل في صورته التاريخية الملحمية القديمة [illegible] دائما من تقريرات المؤرخين عن الملوك [illegible] والقادة الأبطال ، أي مرتبطا بمعالم البطولة في [illegible] الفذ ، والرجل الخارق فجاء الشرقاوي [illegible] عن أبطاله العاديين في حواري مصر [illegible] وحقولها وأسواقها ، وبهذا بدأ تعبيرا [illegible] البطل ومعناه وبدأ أيضا التفاتا أصيلا [illegible] الملامح الشعبية لثقافتنا في الفعل [illegible] الشعب العاديين سواء في رصد كفاح [illegible]

... رصد حياتها في (الأرض) ، وفي ... صية الثانية التي أسماها (أحلام ...) وتناولت نماذج معاصرة من القرية ... امتازت كلها بخصوصيتها الفائقة في ... سية المصرية ، وبالذات الشخصية ... الشعبية ، وتقف قصة (العقرب) في هذه ... صورة فنية رائعة للجمع بين معنى ... الشعبية ، ومعنى العناء والطحن الذي يعانيه ... (الكادحون) كما كان يسميهم الشرقاوي ونحن ... ان قصة (العقرب) من أبرز الملامح في دنيا ... العربية القصيرة المعاصرة

... تصوير عبد الرحمن الشرقاوي لمعركة ... او ارض المعركة ، ممثلا في ناسها ... خوض احداثها ، التفت بشدة وبصدق الى ... (رجل الدين) البسيط في صورة شيخ ... او سيدنا او المقرىء الأعمى ، أو خادم ... او المؤذن أو خريج الأزهر ، أو حافظ ... ومادون القرية وهذا الرجل يلعب دورا ... بارزا في التوجيه الفكري والشحن المعنوي في ... وكذلك في مجتمع الكادحين في المدينة ، ولو ... ظروف الصاعقة قد حتمت التوجه الخاطىء ... الشخصية إلا أن دورها البارز والمؤثر يحتم انه ... من ان يعاد النظر في المحتوى الذي يشكل فكره ... في الفعالية التي قد تكون له ، بل ولابد أن ... له في تربية الجماهير وتكوينها إن هذا ... وان شكل رؤيا نقدية اجتماعية وأدبية ... خصيه من أبرز الشخصيات في المجتمع الشعبي ، ... انه في نفس الوقت يشي بترسب الدين برموزه ... سمه وسادنه وأفكاره في عمق الشرقاوي منذ ... فاذا كان دور الحافز الوطني أو الفكر ... الاشتراكي في تكوين الشرقاوي فإن الايمان الديني هو ... الديني تدور حوله كل الرؤى والأفكار ، ... هذا واضحا في التضمين القرآني في قصيدته ... رسالة من أب مصري الى الرئيس ... يقول فيها موجها الخطاب الى الرئيس ...

« متى سوف تقرأ هذا الكلام ـ سألتك يا سيدي بالحوت
بتيتو ، بديجول ، بالمرسلين
بفاروق بالنقطة الرابعة
وبالدول (الحرة) التابعة
بكل العبيد من العابدين
وبالتابعين ،
وبالتابعات
وبالمرسلات ، وبالعاصفات ،
وبالناطحات ، وبالشاطحات
وبالنازعات ، وبالناشطات ، وبالعارقات »
ويقول في مكان آخر
« ولكن لمن كل هذا العديد ؟
وتلك الحشود ؟
ولكن لمن كل هذا الهريم ؟
لمن هذه النافثات السموم ؟
لمن هذه الناشرات الجحيم ؟
لمن تسرق اليوم أقواتنا لتصنع ما شئت من فاتكات ؟
لمن تحشد اليوم في السابحات ، وفي الغائصات ، وفي الطائرات
وفي الناسفات ؟
لمن هذه الداريات الحطام لمن ؟ ولمن هذه النازعات
لمن كل هذا ؟ لعمرو السماء لتصنع معجزة ؟ »
وإذا كان التأثر اللفظي هنا واضحا بالصياغات القرآنية فهناك إشارة مباشرة الى إحدى قصص القران الكريم وهي أهل الكهف في قوله
« فقلنا لهم « إننا لا نريد سوى أن نمارس معنى الحياة
ونعمل كي يتساوى الجميع أمن أجل هذا نسمى عصاة ؟ »
فقالوا « المساواة ما تطلبون ؟ »
فقلنا « أجل بكلاب القصور ؟ »
فقالوا « إذن أنتم ملحدون »
فقلنا « وكيف ؟ وهل قدست كلاب القصور

كأهل السور)
امانا امانا كلاب التصور فتطمير
اقدسحم يا كلاب
لقد مات كلنا كما عاش كلنا ولم يعد يوما ولى الاله
على انا ما اهباكمو
في اشارة الى كلب اهل الكهف الباسط ذراعيه بالوصيد ، والذى حدد المفسرون اسمه (بقطمير)

محمد رسول الحرية

على ان هذا الامتزاج بين التطلع الاشتراكي المعاصر ، والحس الديني المتوارث يبدو في اروع صوره في كتابه المثير (محمد رسول الحرية) الذى بدا كتابه عام ١٩٥٣ وقدمه الى النشر عام ١٩٦٢ والذى اهداه الى امه قائلا (الى امى الذى غرس في قلبي منذ الطفولة - حب محمد) مؤكدا بذلك عمق الوجود الاسلامي الديني في وجدانه ولكنه يؤكد ايضا انه نظر الى هذا الدين كفكر وكدعوة اساسية لتحرير الانسان . ولا نكتفي منه بتحرير الايمان الساكن عبر المحرك ، أو المنهل الصارع وحسب احب ان يخرج بشخصية محمد من الهالة التي يحيطها بها اغاني المداحين والذاكرين من (لاجل النبي) و (سمعي يارسول الله) و (مدد ياحمد) الى معنى الانسانية في شخصية محمد .

ويعطي الرحلة الحقة الفاعلة لتحرير امه من جهالة الكفر ، وذل الاستكانة ومكابهم التفقر في الصحراء ، وعار العمالة والخضوع للروم مرة وللفرس مرة هذه الصورة تعني تعبيرا في مضمون الشخصية التي تطرحها صور الأدب المحتر الذى يكرر نفس المقولات ، ويقف في مكانه لا يريم

ولكن طموحه كان أكبر من هذا أيضا ، فقد اراد ان يقدم من حياة محمد عليه الصلاة والسلام (قصته) يشكلها الروائي المعاصر فهناك إذن إضافة جديدة من ناحية المضمون ومن ناحية الشكل كذلك

وهو يؤكد قصده الأكيد نحو هذه المحاولة الطموحة بقوله في مقدمة الكتاب (لسنا ... كتاب جديد عن الدين ، يقراه المسلمون ... ولكننا في حاجة الى مئات من الكتب عن ... تمثله الاسلام ، كتب تقرأها المسد ... المسلمين ، تصور العاصر الايجابية ... وتصور ما هو اساسي في حياة صاحب ... نحن في حاجة الى مئات من الكتب ... كافة ، الذين يؤمنون بسوة محمد ... يؤمنون الى تصوير القدر المشترك ... بين الجميع - من دور اصحاب الرسالات ... تصوير الجانب الدعوى الذى اصبح ... مشتركا لكل الناس مهما تختلف دياناتهم ... واراوهم)

الأمر أنه ان نشارك في ثقافة البشر ... من جديد ، بعد عهود التخلف والاستعمار والقهر ، والأمر اننا لا نستطيع أن نقوم بدور في هذه المشاركة اذا ظللنا نقدم لانفسنا ونلاحق ... المعطيات الثقافية التي سادت هذه العصور ... تخلفها ، والامر اخر الأمر ان مهمة ... ان تقوم بدون مهمة ثقافية حقيقية وكفاح ... بالعرب وثقافة العرب ، وكفانا الاصرار ... المتاهد السلبي المقهور المدهش ، وان ... النظر في كل شيء ، في حقيقة تراثنا ... التي قام بها فكرنا ومفكرونا وأبطال حضارتنا ، الفكر الاساسي ، والدفاع عن قضايانا ... وكشف عوامل التخلف ، واستعادة ... الشرقاوي بهذا يشارك في حركة صحيحة ... رفاعة رافع الطهطاوي ومحمد عبده ... الكتاب والمفكرون والمشتغلون في حقول ... والدراسة حتى الجيل الذى سبقه مباشرة ... في أحاديث الأربعاء يعيد بها رؤية التراث ... هامش السيرة يعيد بها رؤية التراث الديني ... يعيد بها اكتشاف عمق الانسان المصري ... و المعذبون في الارض يشارك فيها ... عن الام الكادحين ومعاناتهم وكأنه ... المحددون في الاسلام ومناهج تجد ...

...ة في المهج والمتوارث والمسلمات . ...عبقرياته . وهيكل في كتبه محمد وعمر ...محاولته للكشف عن القرية المصرية و ...المازني في الديوان وفصوله النقدية ...روائية وجاء جيل الشرقاوي ليكمل ...اكي للنظرة الاسلامية . والبعد الأممي ...

البعد الوطني بعد الثورة

وجاءت فرقة الشرقاوي من الرفاق الاشتراكيين ... الثورة المصرية التي كانت جهوده وجهود ... وجهود من سبقوه هي التي مهدت الارض ... وحديد مبادئها إذ انضم الشرقاوي بكل ... وفكره المتمرد والبناء الى كتاب الثورة . ولعله ... طليعتهم وتعمق البعد الوطني في مسرحياته ... مهران) و (عرابي زعيم الفلاحين) بينما ظهر ... القومي العربي وفرض نفسه تماما في (وطني ... (النسر الاحمر) و (مأساة جميلة) وراد ... كشف الشخصية المصرية في رواية ... شوارع الخلفية) ورواية (الفلاح)

...بدأ يتجه في فكره الى اهمية تثبيت المعنى القومي ...وصولا الى الاممية اما أن يحاول الوصول الى الأممية ... تحرر إنسانيا نحو المصري ثم العربي فشيء ... سار الجهد المبذول فيه وهو حجم ... من رفاق الامس . كما هو حجم دائما من ... وأصحاب التحمد الخانق من المساس بأمور ... فكر ومناقشة . فما بالك بالابداع وكتابة ... عن ابطاله وقد استمر الشرقاوي في ... المعاني الانسانية ومعاني البطولة من سير ... الاسلام يدخلهم الى عالم ابطال الانسانية كلها ... العلاج القصصي الجديد . والعلاج القائم

على فهم البطولة التي هي كفاح مشترك في كل مكان من اجل الانسان . فقدم رؤيته القصصية الانسانية لعلي إمام المتقين . وخامس الخلفاء عمر بن عبد العزيز . والفاروق عمر بن الخطاب . والصديق أبو بكر . وابن تيمية الفقيه المعذب . وأئمة الفقه التسعة في كتابه (شخصيات اسلامية) وآراءه في الفكر العربي الاسلامي المتجه الى الشمول وأفق الانسانية الرحب في (قراءات في الفكر الاسلامي) واستمر يدلي بدلوه في مكافحة الارهاب الاستعماري العالمي فقدم (رسالة الى جونسون) عام ١٩٦٧ ومسرحية (تمثال الحرية) في نفس العام و (بالدوين والسلام العالمي) عام ١٩٥٥

ان أطروحة السلام عن طريق الحب . وأطروحة القومية عن طريق التراث . واطروحة المعاصرة عن طريق الاسلام أطروحة مثلت أقانيم رئيسية في حياة الشرقاوي وفكره وعلى الرغم من كل ما قدمته المطبعة العربية من كتب للشرقاوي فإن مقالات عبد الرحمن لم تجمع ولم تطبع . وهي بذاتها ثروة فكرية هائلة . ومتابعة حقيقية لكل الأحداث السياسية والقومية في بلادنا وفي العالم من حولنا وما أجدرها إن جمعت وطبعت أن تضيف الى المكتبة العربية تسجيلا حيا لأحداثها من واقع قلب صادق . وفكر حر ووجدان طامح الى العدل

وما أجدرنا أن نسمي الشرقاوي باسم فارس الكلمة الشريفة . فما أكثر ما ابرز من ملامح الفروسية في أبطال الاسلام والعرب . وفي أبطال الشعب الكادحين على مر التاريخ المصري ما أكثر ما نادى بشرف الكلمة وقدسيتها

وداعا عبد الرحمن . واللقاء حتمي اقترب وأسمع وقع أقدام داعيه □

● لايمكن لاي انسان أن يصبح عالما بمعنى الكلمة ، من غير أن يصير قبل ذلك انسانا بمعنى الكلمة

(نوفالس)

تكييف الأجواء عند العرب

« بادهنج »

ابتكره العرب قبل العالم بسنين

بقلم إحسان جعفر

قد لا يعرف كثيرون أن العرب هم أول من ابتكر مكيف الهواء ، بنوعيه البارد والساخن ، ورغم أن التراث العربي يحفل بذكر هذا الابتكار ، إلا أن أحدا لم يتوقف ليقدم لنا كيف دفعتهم ظروف المناخ القاسية إلى ابتكاره ، وكيف ساعدهم عليه عصر نهضة علمية شاملة »

لا شك أن القاريء عندما يقع نظره على لفظ البادهنج «سيتساءل ما هو البادهنج ؟ وماذا يعنى ؟ هل هو اسم لنوع من العطور ؟ أم هو اسم صنف من الزهر يماثل البنفسج مثلا ؟ أم أن له صلة ما بحجر البادزهر أو الدهنج لن أطيل في تقريب معنى البادهنج إلى الأذهان ، لكن أقول إنه ليس هذا وليس ذاك أيضا ، ولا يمت إلى ما ذكرناه بصلة

والبادهنج جهاز علمي للتهوية ، مصمم ببراعة مدهشة ، على ادق الاسس الفنية ابتكره العرب في العصر العباسي لتكييف أجواء الدور والقصور ، بيد ان كل من تناول هذا الجانب الحضاري « تكييف الاجواء عند العرب وتهويتها » ، لم يشر إلى هذا الجهاز النقي الطريف متقن الصنعة . فآدم متز في كتابه الحافل « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » لم يتطرق إليه في كلامه على طرق تبريد الجو . واتخاذ قباب الخيش والسراديب والمراوح ، ولم يذكره ناصر الحاني في دراسته المفصلة « الحضارة العربية » على الرغم من انه تحدث بـ ... تحديد عن اصطناع العرب لوسائط التهوية

ويلوح أن معنى البادهنج قد استعصى على الدارسين ، فلم يتوصلوا إلى معرفة كنه هذا الجهاز ، حيث لم تنص المعجمات العربية عليه حتى كتب المعرب والدخيل ، فضلا عن ان ... إليه في المصادر الأدبية والتاريخية والفلسفة ... من مقطعين (باد) هواء ، و (نج) فوهة ... المعنى (فوهة الهواء) ، وهي ترد أيضا ... « بادهنج » (بالدال المعجمة) وبادنج وباداهنج حسب اختلاف المصادر

إشارات شتى

ولقد أشار إلى هذا الجهاز دوزي ... المعاجم العربية) بقوله « بادهنج بادنج أنبوب شبيه بأنبوب الموقد أو المدفأة يتخذ ... للتهوية

ـلك شيئا

حعة رحلة ابن بطوطة تبين لنا أنه أتى على

بهار في معرض الكلام على سلطان بركى

« وبعث إلى بيديت يسمى عندهم

كاه) وهو عصي من الخشب تجمع شبه

عليها اللبود ، ويفتح أعلاه لدخول

ح مثل البادهنج ، ويسد متى احتيج إلى

..

وجاء ذكره أيضا في « ألف ليلة وليلة » ، ففي

ـعب إحدى الحكايات ورد القول التالي وفيه

هنج إلى جانب المطبخ »

ووجدنه منصوصا عليه في كتاب « عنوان البيان

بستان الأذهان » لعبد الله الشبراوي ، حيث شرحه

ـ منفذ الذي تجيء منه الريح

وسماه أبو الحسن عبد الكريم الأنصاري

راووق النسيم » يقول

ـحة بادهنج أسكرتنا

وجدت بروحها برد النعيم

ـا من أنيق الشكل سمح

سراه مثل راووق المدام

ـا وجرى الهوا فيه رقيقا

فسميناه راووق النسيم

وجمعه بادهنجات ، وعربيته الملقف ـ وجمعه

لاقف ـ وكان يشيد وسط المبنى ، فوق الأسطح

ى الهواء الملطف ، ويسقطه من فتحات في

سقف إلى القاعات والايوانات ، وكأنه نوع من

في تكييف الهواء ـ وأقدم مثل للبادهنج في مصر

براه في جامع الصالح طلائع بن رزيك ، كما

حد أمثلة أخرى له في المدرسة الكاملية من العصر

يوبي وفي خانقاه بيبرس الجاشنكير

وكان القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح

دين الأيوبي أكثر الناس ولوعا بالبادهنج ، وله فيه

شعر ل وأقدم من ذكره من الشعراء مهيار

ديلمي ـ ٤٢٨ هـ) ، يقول في قصيدة يصف

بها دو ـ مخنوب من بادهنج قد شيد على سطحه

بين مهب الجنوب والشمال

وأهدى الهواء له ناشر

جناحين لو خلاه لطارا

تنصت للريح مستنفها

بأذنين لا يحملان السرارا

إذا عسرت مطلقات الريا

ح لسلكه طل فيه أسارى

فتلفظ منها السموم[1] الشرار

وتلقي الينا النسيم الحرارا[2]

اسس علمية دقيقة

والذي لفت انتباهي أن نصب البادهنج وتوجيه جناحيه لمهب الريح لم يكن اعتباطا ، وإنما وفق أسس علمية دقيقة ، يراعى فيها ما يراعى في تعيين القبلة وجهة المحراب ، وكان يتولى ذلك ويشرف على
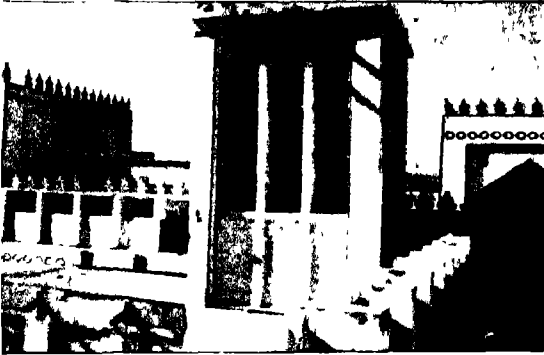
التشييد مهندسون أو فلكيون ، ولهم في تعيين الجهة وكيفية وضعه رسائل عديدة ، لعل من أشهرها « تحفة الأحباب » في نصب البادهنج والمحراب » وهي للفلكي المؤقت المصري المشهور ابن المجدي المتوفى في سنة ٨٥٠ هـ ، ويقول في أولها بعد الديباجة « اعلم أن سمت القبلة بمدينة مصر حماها الله على سبعة وثلاثين درجة ، وسمت البادهنج سبعة وعشرين ونصف ، وكلاهما في الربع الشرقي الجنوبي » ، وما تزال هذه الرسالة مخطوطة تنتظر من يبعثها من مرقدها في دار الكتب المصرية بالقاهرة

والمعروف أنه كان للعرب معرفة ودراية بالأنواء ومهاب الرياح ، ولهم في ذلك دراسات متقدمة

أفادت العلوم الحديثة

وقد أشار القيراطي - وهو شاعر من عصر المماليك - إلى انحراف البادهنج عن سمت القبلة في قصيدة له وصف فيها البادهنج ، يقول

وروحه لطيفة
وذاته منحرفة
عن قبلة الدين أرى
حب الهوى قد صرفه

وربما نصب البادهنج مطلا على البحر ، قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر على لسان بادهنج يسقط نسيم البحر .

أنا سمي من استهج
أنعش الروح والمهج
وعن البحر يا نسيم حدث
(القلب) لا حرج

وكان يبالغ في تشييد جناحيه مع الاحتفاظ بمقاسات معينة لطوله وعرضه وإلى ذلك أشار شهاب الدين بن أبي حجلة في شعر أودعه لغزا

ودي جناح طوله
أضعاف ما في العرض
ما حار في شرع الهوى
وحكمه إذ يقضي
ولم يطر مع كونه
بين السما والأرض

وقد أغرى الشعراء بوصف البادهنج ، ولهم فيه لقطات عديدة ، ومن الطف ما صور به قول برهان الدين القيراطي

يا طيب نفحة بادهنج لم يزل
بهوائه لنفوسنا تنفيس
مصري يجذب الريح من آفاقها
فكأنه للريح مغناطيس

وقول شهاب الدين بن أبي حجلة

وبادهنج تراه
كغصن بان ترنح
يهتز عند العطايا
لأنه يتريح

وللقيراطي قصيدة طويلة - كما ذكرت ... على أحواله وشؤونه وما قاله ملغزا

أهواؤنا المختلفة
قد أصبحت مؤ... ...
في شامخ بأسعد
على العوالي ... ...
ودي جناح لم يطر
وكل طير ال... ...
جناحه طول المدى
يبدي علينا رفـ...
كم من كئيب عاشق
أهدى له منشرفه
ولا يزال مرسلا
لنحوه ملطفه
في الريح صاع قول من
على هواه عنفه

ويقول

هواه تحت طوعه
كيف يشاء صرفه
وكل ما لاح له
من الهواء التقفه

وذم الشعراء النوم في الأجواء المكيفة ، وها ... صدر الدين بن عبد الحق (ت ٧٨٠ هـ) ... ناصحا

في البادهنج لا تنم
فيا لمرضاه دوا...
لا يأمن الشخص الذي
يسرق في الليل الهوى

وكان البادنج يكيف بحسب تقلبات الطقـ... ففي الصيف تكبس مواضع منه بالثلج وكان ... إلى مصر من جبال لبنان وجبل الشيخ ، و... يروح يخرج منه النسيم المبرد ، أما في الشتاء فتو... في منحى منه كوانين فيها الفحم وعنه ... القاضي الفاضل يصف بادهنج ينشر الدفء ... بادهنج شديد الحرور كأنما يتنفس نفس مـ...

رؤيا

شعر : علي منصور

الشُرفُة أُمسيةٌ مَحْظُورَةْ
وكتابٌ مزْهوٌ
نلاحقة البصاصين ،
معرُورٌ بطفولته البرية ، وطباعته السّرية ،
وعلائقهُ المبتوَرة
والمنصدةُ العرجاءْ
ىتصبُ عليها باقةُ خيلاءْ
والأركانُ تغُادرها الدهشة ،
والبهـــــجة ،
والرائحـــة المعتـــادة ،
والداكـرةُ المقهـــورة
منْ هدا الواقف في أعماق الصورة
يضحكُ في الليل ،
ويحشو سحراً . في منقار العصفورة

* * *
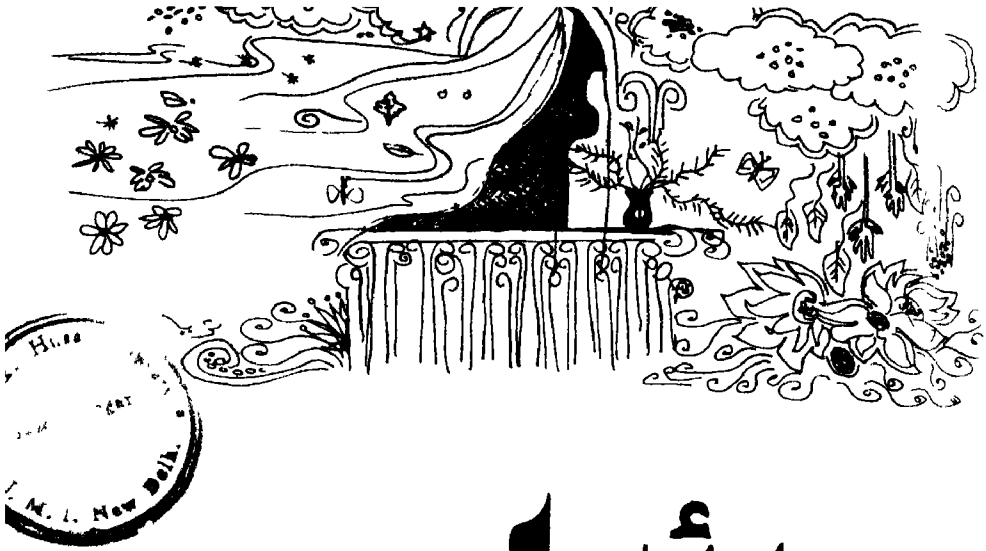
أنقذني يومي مِنّ هذا الصَّحوْ ،
وأغمِضْ عييٌّ الحمقاوين ،
وأفسِحْ قُدام القلبِ سماواتِ الرؤيا ،
وأراضيـــن التذكـــار
الروح يبابٌ
والأعمار بوارْ
والوطن المغترب يفتش عن درٌ ولآلي .
والكل تجاويف ،
تجاويفُ الكل محار
مَنْ هذا الواقف في أنحاء الصورة
يبكي في الليل ،
ويبحث عن أغنيةٍ في رئتيٌ المدنِ المكسورة

* * *

دمعتُكَ البلُّورَةْ
تنساب على استحياءْ
ياوطناً مستاءْ
مِنْ عجز الطبقات المهمورة

معهد العالم العربي

في باريس

قصر للثقافة العربية على ضفاف السين

استطلاع صلاح حزين
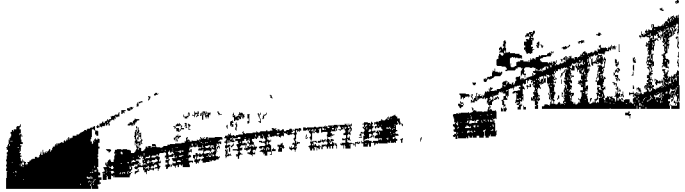
في ذلك اليوم ، في الثلاثين من نوفمبر من العام الماضي ، كانت باريس تودع خريفها الجميل ، فلخريف باريس جماله الخاص ، بألوانه من ألوان أوراق أشجاره التي تراوحت بين الأخضر الذي احتفظ بخضرته حتى في فصل تساقط الأوراق ، وبين الأحمر والأصفر والبرتقالي والذهبي ، وفي الوقت ذاته كانت تستقبل الشتاء الذي لم يكتمل بياض أيامه الآتية

كان كل شيء عاديا على ضفة السين زوارق السياح التي تختار الجسر الذي يربط « جزيرة المدينة » بضفة السين المقابلة ، وتترك كنيسة نوتردام القائمة فوق « الجزيرة » خلفها ، وتمضي مع النهر العظيم ، ويتوجه المثقفون نحو مقاهيهم القريبة من الكنيسة الشهيرة قرب شارعي سان ميشيل وسان جرمان اللذين يشكل التقاؤهما قلب الحي اللاتيني ، ويبدأ رسامو « البورتريه » و « الكاريكاتير » نصب أدواتهم البسيطة، وفتح كراسيهم الخشبية الصغيرة استعدادا ليوم من العمل ويمضي الطلبة والطالبات الى جامعاتهم في ذلك الحي العريق ، الذي شهد إنشاء صروح التعليم منذ أن كان العلم (لاتينيا)

على رصيف سان برنار

وفي شارع غير بعيد عن هذا الجو الذي امتزجت فيه الثقافة بالفن والجمال ، كانت سيارات كثيرة تتوقف بالقرب من بناء ضخم ، صرح هندسي كبير زينت جدرانه ذات اللون المخصر بالنقوش العربية والاسلامية المميزة ، فأضفت على البناء جمالا شديد الخصوصية في هذا الجو الخاص ، وكانت حركة المرور في ازدياد،وجماهير من الناس، فرنسيين وعربا من جميع البلدان يدخلون عبر بوابة البناء الضخم

كان العمل الذي أنجزه المعماريان الفرنسيان المشهوران نوفيل وروبان بمشورة المعماري السعودي السيد زيدان ، قد انتهى لتوه ، فأزيلت شبكة السقالات الحديدية التي كانت تحيط بالمبنى المكون من إحدى عشرة طبقة ، وأزيلت بقايا البقع الأسمنتية عن جدرانه الجميلة ، كما أزيلت القطع البلاستيكية التي وضعت لتحمي الواجهات والأرضيات من التلف ، وبدا المبنى الواقع على زاوية رصيف سان برنار بالدائرة الخامسة من مدينة النور جاهزا لاستقبال الزائرين والمسؤولين العرب والفرنسيين القادمين لافتتاحه رسميا

في حفل الافتتاح كان الكل هناك ، عرب من جميع البلدان التي وافقت على هذا المشروع الضخم ، وفرنسيون ينتمون الى ذلك البلد الذي ارتبط بعلاقات حضارية قديمة مع العرب ، كان هناك الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران ، ورئيس وزرائه جاك شيراك ، ورئيس مجلس إدارة المعهد بول كارتون دو الصلة الوثيقة بالوطن العربي التي أقامها من خلال عمله كسفير في عدد من الأقطار العربية ومنها الكويت وعلى الجانب العربي كان التمثيل رفيع المستوى أيضا

كان هناك الأستاذ الشاذلي القليبي الأمين العام للجامعة العربية ، والشيخ ناصر محمد الأحمد الصباح وزير الاعلام الكويتي،ووفد كبير من الكويت في حفل الافتتاح ، وهناك أيضا كانت فرقة التلفزيون التي أضفت على الحفل جوا شرقيا من خلال رقصاتها وايقاعات موسيقاها التقليدية القديمة

بالاضافة الى هذا الوجود الرسمي كان هناك وجود عربي كويتي غير رسمي تمثل في شركة الأجهزة العالمية التي عرضت أجهزة كمبيوتر حديثة مبرمجتها باللغة العربية ومنها برنامج القرآن الكريم الذي عرض في حفل الافتتاح

جاء الجميع ليضفوا على عمل المعهد الذي تضمه طبقات المبنى الكبير صفته الرسمية

على ضفة السين تلك ينهض المبنى الضخم المقام على مساحة قدرها ٧٢٥٠ مترا،فيما تبلغ مساحة مجمل طبقاته ٢٧ ألف متر مربع

ويشتمل المبنى على متحف احتل ثلاث طبقات من المعهد ، وقد قسمت محتويات المتحف بحيث تحتوي كل طبقة على آثار مرحلة من مراحل التاريخ العربي ، حيث تمثل المرحلة الأولى الحضارة العربية قبل الاسلام ، ومن ضمن معروضات هذه المرحلة

الرئيس الفرنسي ميتران والامين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي يزيحان الستار عن اللوحة التذكاريه

تنتمي للفن القبطي والفارسي والبيزنطي وتمثل حلة الثانية الحضارة الاسلامية العربية ، بينما تمثل حلة الثالثة الحضارة الاسلامية بامتداداتها خارج لن العربي

وفي المعهد أيضا ، المكتبة العامة التى لا غنى عنها أي صرح ثقافي وتحتل المكتبة ست طبقات عت عليها عشرات الآلاف من المراجع في شتى وع المعرفة ، التي كتبت باللغات العربية رنسية والانجليزية بالاضافة الى المجلات صحف والوثائق والخرائط والأشرطة السمعية صرية وتقدم المكتبة تسهيلات تمكن الزائرين متابعة الأحداث الثقافية الخاصة بالوطن العربي ثقافته المتشعبة وبتطوره اليومي ، كما تمكن الباحثين دارسين من متابعة بحثهم الوثائقي المتخصص ى يعتمد الى درجة كبيرة على بنك المعلومات الذي رن فيه - وبأحدث الطرق والأساليب التقنية - علومات ضرورية لأولئك الباحثين

كما تحتوي المكتبة على قاعة لمتابعة الصحف والمجلات اليومية والاسبوعية التى تنقل للقراء الحالة الراهنة في الوطن العربي ، سواء عبر الصحف والمجلات العربية، أو الأجنبية التي تهتم بشؤون الوطن العربي كما تحتوي المكتبة على قاعة للعروض السينمائية ، تعرض فيها الأفلام الروائية والوثائقية العربية أو تلك التى تتعلق بالوطن العربي ، كما تقام فيها المهرجانات والأسابيع السينمائية

والآن ، هاهو المبنى شاخص أمامنا على ضفة السين ، يروي قصة الثقافة العربية فكيف بدأت قصة المعهد ؟

دور جديد قديم :

في الفترة الأخيرة من حكم الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكارديستان طرحت فكرة المعهد من قبل الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت السابق وعلى الفور وجدت الفكرة ترحيبا من جانب الأقطار العربية التى أبدت استعدادا

لتدعيمها على أعلى المستويات ، وفي فبراير عام ١٩٨٠ تم إنشاء معهد العالم العربي ، حيث اتفقت ١٨ دولة عربية مع فرنسا على إقامة المعهد ليكون « مؤسسة تهدف الى تطوير معرفة العالم العربي وبعث حركة أبحاث معمقة حول لغته وقيمه الثقافية والروحية ، كما تهدف الى تشجيع المبادلات والتعاون بين فرنسا والعالم العربي ، خاصة في ميادين العلوم والتقنيات ، مساهمة بذلك في تنمية العلاقات بالتالي بين العالم العربي وأوروبا »

وفي عام ١٩٨٤ انضمت ليبيا أيضا الى الاتفاقية ، وهذا يعني أن فرنسا كدولة قررت أن تكون المركز الذي يمكن لأوروبا منه الاطلال على واقع الوطن العربي ، ولكن ليس من خلال نفطه أو من خلال أمواله أو من خلال علاقاته السياسية ، بل من خلال ثقافته وإسهاماته التي قدمها ومازال لركب الحضارة الانسانية . وبذلك فإن فرنسا قررت أن تلعب من جديد دورها القديم في نشر الفلسفة العربية والاسلامية الذي لعبته في القرون الوسطى ، حين كانت جامعات باريس مركزا لنقل وتدريس فلسفة ابن رشد وابن حزم وغيرهما من فلاسفة العرب المسلمين وعلمائهم . لذا فان العرب ومن خلال معهد العالم العربي سيدخلون ثانية الى أوروبا من باب الثقافة والفنون .

لماذا باريس ؟

ولكن لماذا باريس ، إحدى أهم العواصم الأوروبية وأبرزها ثقافيا ، بكل تأكيد ؟ والجواب خاضع لأكثر من اجتهاد ، لكن كل الاجتهادات تصب في مجرى واحد . ففرنسا ، من بين دول أوروبا جميعا ، تضم أكبر تجمع من العرب ، بل إن هناك أحياء خاصة تتردد فيها اللغة العربية بلهجاتها المختلفة أكثر من أي لغة أخرى . ويقدر عدد العرب الذين يقيمون في باريس وحدها بأكثر من مليون شخص ، ومن بين كل ثلاثة من سائقي السيارات ، هناك عربي ، وهناك عدد كبير من المجلات العربية تصدر في باريس حيث لها القراء والمتابعون . وفي باريس أيضا عدد كبير من المثقفين العرب ، ومنهم من يقدم إبداعاته باللغة الفرنسية . وبالر... من ... تحفظ يمكن أن يثار حول هذه النقطة ، إلا ... احتفـ... الباقية هي أن باريس تكاد تكون المدينة الـ... للقـ... لهذا الدور الثقافي المهم .

في الثامن والعشرين من فبراير سنة ١٩... وقـ... السفراء العرب المعتمدون في فرنسا العقد التأسيـ... للمعهد ، بعد موافقة حكوماتهم على انشـ... كمؤسسة خاضعة للقانون الفرنسي ، تشارك ... الحكومات العربية كأعضاء مؤسسين عن طر... الاسهامات التي يرونها مناسبة ، وضمن الشرو... التي يحددها عقد التأسيس .

وتنص الفقرة الأولى من المادة الأولى على ... معهد العالم العربي مؤسسة تخضع لاحكام القوا... الفرنسية » . ومنذ البداية برز خلاف بين الجا... الفرنسي والعربي على عدد من فقرات عقد التأسـ... للمعهد . المادة الأولى كما ذكرنا تنص على ... « المعهد » خاضع لأحكام القوانين الفرنسية ، أي ... مؤسسة فرنسية أساسا ، وتنص المادة ٢١ من العقـ... على أن الموارد السنوية للمعهد تتألف من :

« ١ - عائدات المخصصات - بما فيها كلما ... جزئيا - المال المعين الناتج عن فائض القيمة والمتحقـ... عن طريق البيع .

٢ - الاعانات التي تقدمها الدولة المؤسسة .

٣ - حصيلة التبرعات المجاز استخدامها .

٤ - المبالغ التي يدفعها الأفراد والمؤسسات ولا... في اطار الأنظمة الضريبية التي تقبل بإعفاء مثل هـ... المدفوعات من ضريبة الدخل أو الضريبة عـ... الشركات .

٥ - من عائد الموارد التي يتم إيجادها بصفـ... استثنائية وبموافقة السلطات المعنية إذا دعـ... الضرورة .

٦ - من عائد المكافآت التي قد يتم قبضها مقابـ... خدمات يقدمها المعهد » .

وهذا يعني أن الطرف العربي ممثلا بالحكومات العربية الموقعة على عقد التأسيس ليس ملزما بدفـ... « المساهمات » في الموارد المالية المنصوص عليها ...

تعقد ، بل مجرد مساهمات غير ملزمة بقوة عقد ثنائي . لكن هذا الطرف لاحظ أن الجانب الفرنسي ومنذ بدأ المعهد نشاطه ، بدأ بمطالبة الجانب العربي بالاسهام في ميزانية التشغيل بما في ذلك رواتب الموظفين والمصروفات الأخرى ، على أن تدفع المصروفات المذكورة مناصفة بين الجانبين الفرنسي والعربي . وخصصت لكل دولة نسبة معينة من هذه الميزانية تدفعها سنويا ، وهي مساوية للنسبة التي تدفعها كل من هذه الدول الى الجامعة العربية ، وبذلك ظلت المساهمات متعثرة .

لجنة مشتركة لجنتان .

ورأى الجانب العربي أنه لابد من إيجاد صيغة ديبلوماسية جديدة تحدد مسؤوليات وواجبات كل من الطرفين بشكل واضح وصريح . لذا اتصل السفراء العرب بوزير العلاقات الخارجية الفرنسي آنذاك كلود شيسون لبحث المسألة معه ، وكانت النتيجة أن تشكل لجنة عربية فرنسية مشتركة تضم في عضويتها سفراء خمس دول عربية هي : الكويت ، تونس ، الجزائر ، سوريا ، ولبنان ، مع عدد من كبار الموظفين في وزارتي الخارجية والمالية الفرنسيتين . وعقدت اللجنة التي مثل الكويت فيها السيد/ عيسى الحمد سفير الكويت في باريس آنذاك ،والذي ترأس الجانب العربي في الاجتماع الأول ،وتركز البحث حول عدد من المسائل هي :

- مسألة هوية المعهد
- موضوع ميزانية التشغيل
- مسألة التوظيف
- موضوع سياسة المعهد الثقافية والاعلامية وكيفية توجيهها
- موضوع حل المعهد

وفي الاجتماع الثاني للجنة اتخذ قرار بتشكيل لجنتين مختصتين :

- لجنة قانونية عربية - فرنسية مشتركة
- لجنة إعلامية عربية - فرنسية مشتركة

وتتلخص مهمة هاتين اللجنتين في حل المشكلات العالقة المعلقة ، والخاصة بهوية المعهد وموارده المالية بالدرجة الأولى ، وكذلك برسم سياسة إعلامية مناسبة،ومتفق عليها للمعهد .

وتوالت اجتماعات اللجنتين ، لكن الإشكالات الأساسية بقيت معلقة دون حل . وفي نهاية عام ١٩٨٥ توصل السفراء العرب المعتمدون في فرنسا الى ثلاث إمكانيات رأوا عرضها على الجانب الفرنسي فيما يخص المعهد وهويته المستقلية . وهي :

١ - إبقاء المعهد على صيغته الحالية والحفاظ على النظام الأساسي في شكله الأصلي ودون تعديل ، وفي هذه الحالة فإن الدول العربية تكون غير ملزمة بدفع أية مساهمات سنوية في ميزانية التشغيل .

٢ - تحويل المعهد الى مؤسسة لها صفة المنظمة الدولية ، وهو مالا يرغب الجانب الفرنسي بفعله .

٣ - إبقاء المعهد مؤسسة فرنسية تقوم الى جانبها اتفاقيات دولية ثقافية تعقد بين فرنسا والدول العربية ، واتفاقيات أخرى تقوم بين الجانبين وتشمل الحصانات والامتيازات للموظفين العرب في المعهد والنواحي الثقافية والمساهمات المالية .

وبقي الجدل مستمرا وتواصلت الاجتماعات ، ولكن دون التوصل الى نتيجة حتى الآن !

نشاط وجدل .

غير أن هذا الجدل وتلك الاجتماعات لم توقف نشاط المعهد الذي بدأ منذ عام ١٩٨٢ ، والذي كان يدار من مبناه المؤقت في شارع « شيرش ميدي » بالدائرة السادسة بباريس ، ففي عام ١٩٨٣ أقام المعهد بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) ، والمجلس الاعلامي للغة الفرنسية معرضا متنقلا للغة والثقافة العربيتين ، وبعد افتتاحه في مدينة بواتييه تنقل الى مدن شاتيلرو وكليرمون فران وليل وليموج ودنكرك وتولوز وغيرها من مدن فرنسا .

وفي عام ١٩٨٤ قدم المعهد في إطار معرض اللغات الذي أقيم في قاعة « العران باليه » بباريس مجموعة من تطبيقات المعالجة الآلية للمعلومات على الاستخدامات المتعددة للغة العربية وتعليمها .

وفي العام نفسه والعام الذي تلاه اشترك المعهد في

الرئيس الفرنسي ومدير العلاقات الثقافية بدر الدين عرودكي و فرقة التلفزيون الكويتية .

الأيام الموسيقية العربية التى نظمها مسرح الاماندييه ، حيث أحيت فرق موسيقية من تونس والجزائر ومصر والمغرب وموريتانيا عددا من الحفلات الموسيقية مثلت ألوانا من موسيقا المشرق والمغرب العربيين ، فيما خصصت حفلات مماثلة أقيمت عام ١٩٨٦ للموسيقا الجزائرية كما شارك المعهد في عدد من المعارض التى قدمت إنجازات ثقافية عربية منها معرض الخط العربي ، وحدائق بلاد الاسلام ، والصحارى العربية ، والعمارة العربية ، وفن الرسم العربي وملتقى الشعوب والفنون الافريقية وألف ليلة وليلة وغيرها

وفي المجال الأدبي وبالتعاون مع منشورات جان كلود لاتيس نشر المعهد ترجمات لسبعة أعمال روائية عربية حديثة لكل من نجيب محفوظ وفؤاد التكرلي ويوسف ادريس وحنان الشيخ وعبد السلام العجيلي واميل حبيبي

ويلاحظ القارىء معنا أن هذه الأسماء الأدبية الكبيرة هي كلها أسماء معاصرة تمثل الرواية العربية في أرقى وأحدث مراحلها ولعل هذه النقطة أن تكون أفضل مدخل للحديث عن نوع الثقافة التي يقدمها المعهد ، وعن الجديد الذى يمكن أن يقدمه هذا الصرح الثقافي الكبير للمواطن الفرنسي والأوروبي .

فقد جاء في كتاب « معهد العالم العربي » الذي نشره المعهد وفي باب رسالة المعهد ، أن هذه المؤسسة الثقافية جاءت وليدة تساؤل عن سبب انعزال الثقافة في أواسط السبعينيات عن حركة انتعاش العلاقة بين فرنسا والعالم العربي في جميع الميادين الأخرى ، فهل كان الفرنسيون في الواقع يلمون إلماما وافيا بالثقافة والحضارة العربيتين ، كانوا يتمثلونها من خلال صورة ناقصة ، كاذبة ، بل ومحقرة في معظم الأحيان فكان لابد والحالة هذه من تقويم تلك الصورة واطلاع الفرنسيين على ذلك التقليد الروحي والفكري المجيد الذي ينحدر منه العالم العربي ،

وإيهامه . أنه وريث حضارة رائعة زاهية ، وان تضاءل ، مجها في بعض العصور ، إلا أن ذلك لم ينل من حضورتها وهي مازالت ميت الأدباء والفلاسفة والعلماء وأهل الفن

لذا تقول الرسالة : اقترحت فرنسا ، ووافقت الدول العربية على إنشاء مؤسسة لا تكون هيئة اكاديمية أو مركز بحوث من الطراز المعروف ، بل تقوم رسالتها الأولى على تعزيز معرفة الثقافة والحضارة العربيتين لدى الجمهور الفرنسي وأضافت الرسالة ، ان المعهد لا يقتصر نشاطه على الجمهور الباريسي بل ذلك الجمهور الواسع غير المميز الذى ربما قل اهتمامه خصيصا بالعالم العربي ، والذي يهدف المعهد الى إثارة فضوله ومده بالعناصر الكفيلة بتعزيز معرفته بالثقافة والحضارة العربيتين

ومن هذا المنطلق ، فقد حدد المعهد لنفسه دور الوسيط والمنسق نظرا لأنه لا يطمح الى التفرد في تحقيق كل شيء ولأنه لا يتوجه بالأساس الى الجمهور « الباريسي » ، فقد أنشأ المعهد شبكة من المراسلين في أنحاء فرنسا ، وجعل من نفسه أشبه « بوكالة للخدمات الثقافية » ، على غرار مركز جورج بومبيدو الواقع في قلب العاصمة الفرنسية

وبكلمات السيد بول كارتون رئيس المعهد الفرنسي فإن المعهد يهدف الى « التقريب بين الشعبين الفرنسي والعربي عن طريق الثقافة ، فهناك واقع عربي وشعب عربي يتعين علينا أن نحمل الشعب الفرنسي على التعرف اليه حق يقدره ، وألا نترك صة العالم العربي تتداعى بسبب أحداث دوافعها الخفية ليست دائما بريئة »

أزمات النشوء :

الصحفي اللبناني باسم الجسر هو المدير العام للمعهد . واليه توجهت « العربي » بأسئلة تستهدف توضيح بعض المسائل التي أتينا على ذكرها والتي ماتزال معلقة ، ومنها الأزمة القانونية ، الخاصة بهوية المعهد الفرنسية ، وبالمساهمات العربية الطوعية والموارد المالية وغيرها .

يرى مدير المعهد أنه ليس هناك أزمة قانونية بالمعنى الحقيقي للكلمة ، فالمعهد لا يشكو من مشكلة مالية ، لا من حيث البناء ولا من حيث التشغيل ، وغاية ما في الأمر أن الأعمال الكبيرة والمهمة لابد وأن يعترض مسيرتها ما يسمى « بأزمات النشوء » ويضيف الأستاذ الجسر ، أن وجهة النظر الفرنسية تقول ان المساهمة الفرنسية تأتي سنويا بانتظام ، وفي وقتها المحدد ، وتندرج حسب حاجات المعهد وضمن قوانين محددة ولكي يستطيع المعهد القيام بمهماته فإن ذلك يجب أن يتلازم مع إلزامية المساهمات العربية التي لا تسدد في وقتها مما يجعل وضع الميزانية المسبق لا يخلو من صعوبات

الجانب العربي بدوره يقول ،- يواصل الأستاذ الجسر - قائلا ان النظام الأساسي ينص على الهبات والتبرعات وليس على الالزام ، كما أن من الصعب قانونيا إلزام دولة بقرار من مجلس إدارة مؤسسة خاصة تابعة لدولة أخرى ، ومن هنا برزت فكرة إعطاء المعهد نوعا من النظام الدولي على غرار اليونسكو ، وغيرها من المنظمات الدولية . فرنسا بدورها رفضت واقترحت تعديل النظام ، ومازال هذا الأمر موضع بحث ودراسة من الجانب العربي

ولكن ماذا عن آفاق الحل حصوصا أن المعهد افتتح رسميا والنشاط فيه مستمر ومتواصل ؟

يجيب الأستاذ الجسر

- أنا لا يحق لي التحدث عن فرنسا أو عن الدول العربية ، لكني أعتقد أن بالامكان التوصل الى حل وسط ، وهو أن المساهمة العربية يمكن أن تبقى على شكل تبرع على أن تتولى السفارات العربية في باريس القيام بمساعيها لجعل هذه التبرعات متصلة ومنتظمة ، وأعتقد أن فرصا جديدة للحل ستبرز من الآن فصاعدا وبعد افتتاح المعهد رسميا

ويستدرك مدير المعهد قائلا « ان المعهد يستطيع - اعتمادا على المساهمة الفرنسية ومداخيله والمساهمات العربية الراهنة - أن يقوم بمهمته ، ولكن إذا أراد مؤسسو المعهد أن يكون له دور مميز وبارز بالفعل ، فلابد من إيجاد طريقة لأن تأتي جميع

المساهمات العربية سنويا ، أو البحث عن طريقة عملية لتوفير هذه المساهمة الضرورية للقيام بهذا الدور المميز وبهذا يمكن أن تلجأ الى مجلس الامناء كما هو متبع في أمريكا وأوروبا ، أو طريقة التي (Sponsering) ويشرح المدير هذه الطريقة بقوله انها باختصار اللجوء الى القطاع الخاص لتمويل المشروعات الثقافية ، انطلاقا من أن كل عمل ثقافي جيد هو على المدى البعيد استثمار جيد . فالبنوك مثلا تحصل على اعفاءات خاصة عندما تتبنى تمويل الأعمال الفنية الثقافية ، كما انها تسهم في ازالة الصورة « الاستغلالية » للبنك أو للمؤسسة المالية ، ويعطي نشاطها بعدا فنيا او ثقافيا يسهم في تحسين صورتها اضافة الى ذلك فان العمل الثقافي والابداعي يعطي مردودا استثماريا حين يصبح جزءا من الدورة الثقافية ، وبذلك فإنه يتحول في النهاية الى استثمار جيد ، واستشهد بمثال عن تمويل مؤسسة استثمارية كويتية إنتاج فيلم عن المهندس المصري الشهير حسن فتحي وأسأل الأستاذ الحسن عن موضوع آخر فقد لاحظت ان قائمة أسماء الدول العربية المشاركة في المعهد قد خلت من مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية فماذا عنها ؟

قال الأستاذ الحسن ان توقيع الاتفاقية بإنشاء المعهد تم بين فرنسا وأعضاء الجامعة العربية ، وكان ذلك بعد خروج مصر من الجامعة العربية إثر توقيعها اتفاقيات كامب ديفيد مع « اسرائيل » ، أما بالنسبة للمنظمة فإن لدخولها شكليات أخرى حيث ان فرنسا لا تعترف بالمنظمة ، فضلا عن ان للمنظمة مكتب تمثيل في باريس وليس سفارة ، وعلى أي حال فإن المعهد وجه يوم الافتتاح دعوة لكل من السفير المصري وممثل المنظمة في باريس ، ومهما يكن من أمر ، فإن هذا لا يعني ان نتجاهل هذين البلدين والإسهامات الابداعية لمثقفيها

آفاق ثقافية

ومن باسم الحسن المدير العام انتقلت الى بدر الدين عرودكي مدير العلاقات والنشاط الثقافي بالمعهد

استهل الأستاذ عرودكي حديثه بالاشـ[illegible] الى ان المعهد قام منذ بداية تأسيسه بعدد من الأنشطة التي استهدفت التعريف بالسينما العربية وبمظاهر حوانب الحضارة العربية القديمة والحديثة

وضرب أمثلة عن الكتب التي تم انجازها ومنها كتاب « الكوفة - ولادة المدينة الاسلامية » للمؤرخ التونسي هشام جعيط الذي كان قد نشر بالعربية في الكويت بإسهام من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وكتاب ضخم من ثلاثة اجزاء نشر بالفرنسية تحت إشراف البروفيسور جورج شلحوت ، وهو من أصل لبناني ، وأسهم فيه كبار الاجتماعيين والمؤرخين والاقتصاديين وهو عن « جنوب الجزيرة العربية » ويتضمن هذا المشروع ترجمة أهم الأعمال الأدبية والفكرية الكلاسيكية مثل كتاب الأغاني وكتب الجاحظ وغيرها من كتب التراث التي ينتظر أن يثير صدورها بالفرنسية ضجة كـ[illegible]

وأضاف عرودكي إن بإمكان الزائر الان الاطلاع على مختلف أوجه النشاط والتطور في البلدان العربية المختلفة من خلال الاف أشرطة الفيديو والأشرطة الصوتية التي توضع تحت تصرفه في المتحف والمكتبة ومركز التوثيق والقاعات السمعية والبصرية بالإضافة الى المعارض المؤقتة التي تقام في قاعتي المعرض التابعتين للمتحف ، أو في قاعة الأحداث الثقافية التي تضم آخر ما أخرجته المطابع العربية فضلا عن المجلات والصحف العربية

هذا ما يتعلق بالجانب التقني والتسهيلات المتوافرة في المعهد ، فماذا عن الفلسفة أو السياسة التي ستقوم عليها الأنشطة الثقافية المختلفة ؟

يجيب عرودكي بأن المعهد يحرص على أن يتم دوما نوع من الحوار بين المفكرين والمبدعين والفنانين الفرنسيين وزملائهم العرب ، ومن خلال هذا الحوار يتم التعرف على أوجه الابداعية العربية ومن خلاله أيضا يمكن للجمهور الفرنسي أن يتابع عبر المقارنة والموازنة ما يتم في وطننا العربي من ابداع . وماألح عليه - يضيف عرودكي - هو أن الموضوعات الابداعية سيبحثها الطرفان و بالنقاش

الرئيس ميتران يستنشق البخور

وتدى كل منها وجهة نظره على قدم المساواة ، ولن يكون الطرف العربي مجرد شاهد أو مستمع ، وأشار في ندوة الرواية العربية التي ستعقد في مارس المقبل ، والتي سيُدعى اليها مجموعة كبيرة من الروائيين العرب والأوروبيين ليناقشوا معا موضوعا مهما هو « الابداع الروائي اليوم »

فيما يتعلق بالأمسيات الشعرية ، يقول ... ودكي ، فإن المعهد سيحاول القيام بتجربة جديدة تقوم على تكوين مشهد مسرحي تؤلف فيه مجموعة القصائد السيناريو الأساسي ، بالاضافة الى عناصر الاضاءة والتمثيل والموسيقا والرقص ، وغيرها من المؤثرات المسرحية ، وهو مشهد يدوم ساعة كاملة ، وفي الوقت نفسه يتم عرض كافة مجموعات الشاعر الشعرية واللوحات الفنية التي رسمت من وحي شعره . والكتب النقدية التي تناولت تجربته الشعرية . ويستمر هذا المعرض الذي يبدأ مع الأمسية الشعرية أسبوعا يلتقي في نهايته الشاعر وجمهوره

أما العروض السينمائية فانها تتناسق مع مهمة المعهد الأساسية ، وهي التعريف بمنجزات الثقافة العربية التي تستجيب أكثر في تعبيرها عن مستوى الابداع العربي الحقيقي

ومن هنا فإن بعض الأعمال السينمائية التي قد تبدو قليلة الأهمية في نظر المثقفين العرب ، تكتسب بالنسبة للجمهور الفرنسي أهمية مختلفة ولا يعود ذلك بالضرورة الى المعايير الفنية الصرفة ، بل ان هناك معايير أخرى اجتماعية تاريخية أو ذات علاقة بتطور الفن السينمائي في الوطن العربي تفرض هذه الأعمال.

ويتم اختيار الأفلام من قبل لجنة مختصة أعضاؤها من العاملين في حقل السينما والمتابعين لمسيرة السينما العربية منذ البداية وحتى انجازاتها الأخيرة

هكذا تكلم القائمون على ادارة المعهد ، وعلى أنشطته الثقافية والابداعية التي لم ينجز الكثير منها حتى الآن ، نظرا لعمر المعهد القصير وطموحاته الكبيرة ، لكن كل الأمور تشير الى أن شيئا كبيرا قد تحقق ، وان المستقبل يحمل معه الكثير من الآمال الكبيرة ، وان كانت المسيرة تبدأ بخطوة واحدة ، فإن مسيرة تقديم الثقافة العربية للجمهور الفرنسي قد بدأت بخطوة كبيرة تنبىء بإنجازات أكبر بفضل ذلك الصرح الثقافي القائم على ضفة السين □

الموسيقي الجوال

من وحي قصة أميركية قديمة

قصة : ريفاز اينانيشفيلي *

ترجمة : يوسف حلاق

في بلاد السويد ، وفي قراها المتناثرة على شاطىء البحر كان يظهر في فصل الصيف موسيقي جوال . كان هذا الموسيقي يرتدي فراكاً ** عتيقاً مهترئاً وقبعة هي الأخرى « كالفراك » عتيقة ومهترئة . كان يجيء الى القرى في زورق شراعي صغير . وكان الزورق « والحرام » ذو المربعات والكمان كل ما يملكه الموسيقي في هذه الدنيا . كان يرسو عند الشاطىء ثم يسحب زورقه من الماء ويخرج كمانه « وحرامه » ويتجه الى ساحة القرية الهادئة وهناك في الساحة كان يبحث عن أنظف مكان ممكن لينشر جريدة ويبسطها على الأرض ويضع عليها الحرام المطوي بعناية وعلى الحرام « جراب » الكمان ، ثم يرفع كمانه الى كتفه ويأخذ في العزف ،

---

* ريفاز اينانيشفيلي من ألمع كتاب القصة القصيرة المعاصرين في جمهورية جورجيا السوفيتية . ظهر بعض من قصصه مترجمة الى اللغة الروسية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى .

** هو لباس رسمي أسود وضيق

وسرعان ما كان الناس كباراً وصغاراً يتحلقون حوله . كانوا يصغون اليه ، بعضهم تعلو وجهه ابتسامة بهجة ، وبعضهم يستغرق في تفكير حزين . الأطفال هم الذين كانوا يبتسمون ، والكبار هم الذين كانوا يستغرقون في التفكير ، وكأنهم يتذكرون أمراً نسوه من زمن بعيد ويصعب عليهم تذكره .

وحين كان يفرغ من عزفه كان يرفع قبعته ويحيي محيياً ثم يضعها على رأسه . وكان المستمعون المغتبطون يلقون بقطع النقود في « الجراب » .

كان الموسيقي الجوال يُدعى أحياناً الى الحفلات التي تقام في القرى ، وفي هذه الحفلات كان يعزف بالدرجة الأولى أنغاماً راقصة . كان يقف في الوسط وحوله الرجال والنساء يرقصون باندفاع ومرح بحيث كانت وجوههم تتوهج . كانوا يسكبون له نبيذاً فكان يرفع كأسه في صحة الراقصين ثم يعيده الى الطاولة بعد أن يرشف منه رشفة تكاد لا تذكر ، ويعود الى كمانه يعزف عليه بمتعة وشغف .

كان بعضهم يقول ان العازف لم يتمكن من أن يصبح موسيقياً كبيراً ، ولهذا أخذ يجوب المدن الصغيرة والقرى ، وكان بعضهم الآخر يؤكد على العكس بأن عازف الكمان لم يصبح موسيقياً كبيراً

لأنه آثر التنقل بين القرى والعزف للناس ... . وكان من الصعب على أي حال أن يرى ... الفريقين على حق .

شيء واحد كان أكيدا هو أن الموسيقي ... طاعناً في السن ، لكنه كان يبدو ، رغم ... موفور الهمة والنشاط تلمع عيناه ... والشباب ، وكانت كتفاه ويداه مفتولة العضلات لكثرة ما كان يجدّف بالمجداف . أما أصابعه فكا... قوية وذات جمال رجالي خاص . لم يكن يتناول ... القليل من الطعام كما لم يكن يشرب اطلاقا كما ... ولم يكن يأبه كثيراً بمبيته . كان يرى أي ظلة أو ... أو مخزن حشائش محققة هبة من الله ، فكان يلف ... بالحرام ذي المربعات ويضع كمانه تحت رأسه ويروح في نوم عميق .

ذات مرّة ومع اقتراب الليل ، والموسيقي ... البحر ، ساء الطقس فجأة . هبط الضب... واصطخبت الأمواج وبدأ النوء . ومع هذا ظل ... الموسيقي يجدّف بهمة باتجاه الشاطيء ، وأخيراً رأى نوراً فأخذ يجدّف مهتدياً به ، فما لبث أن وصل ... منارة ، وما أن صعد الى الشاطيء وتمكن بعد جهد من سحب الزورق حتى انهمر مطر شديد . أخذ الموسيقي الحرام والكمان واحتبأ في المنارة .

هناك طالعه رجل ذو لحية شعثاء كثيفة ، ومظ... يبعث الخوف . كان الرجل يشحذ سكيناً كبيرة حادة كالشفرة ، عصا صغيرة . ردّ الرجل على تحـ... الضيف غير المنتظر بنظرة ثقيلة زاره بها . وسر... سؤاله ، إن كان دخوله المباغت عليه لا يسبب ... ازعاجاً واقلاقاً دون جواب . ظل الرجل حا... يقطع عصيه دون أن يعير القادم أي اهتمام . وبعد... قطع بضع عصي ، نهض ومضى يصعد الدرج ... أعلى حيث الشعلة . وتأكّل الموسيقي الفضول فسأله « أيمكنني أن أصعد معك ؟ » ومضى في أثر... دون أن يتلقى جواباً .

وصعد الى أعلى فوجد نفسه فجأة وسط البحر واللهب . كانت الريح تقذف من البحر قطرات

ـرده تصها فوق الضوء الـذي يكاد يختنق وسط
ـحار كانت المنارة تتأرجح والرحاح يرتج
حس حارس المنارة القرفصاء ودق على الزجاج
ـص سكينه الثقيلة فأوقف ارتجاجه ، ثم مصى
ـحاداة جهار الانارة وهو يتلمس الجدار بيده
وألقى الرجل نظرة الى وجه الموسيقي المبهور ، ثم
حول نظره الى البحر الذي كان يموج في الأسفل كأنه
بركان يغلي وغمغم كأنما يحدث نفسه

ـ كي لا تصل السمن الطريق

ثم هبطا الدرّج الى أسفل وضع حارس المنارة
خبزا وسمكة وجبناً جافاً على الطاولة أمام الموسيقي
واحد يأكل كان يقطع كل قطعة خبز وخبز بسكينه
حادة ثم يروح يمضغها طويلا في صمت ، بينما كان
موسيقي يأكل بإقبال وشهية مصيخاً السمع طول
الوقت الى هدير البحر وصوت المطر لكنه رغم
هذا وجد الوقت ليسأل حارس المنارة من يكون ؟
ومن أين ؟ وإن كانت له أسرة ؟ وأجابه الحارس بسرة
تكاد تكون سرة اعتزاز

ـ ليس لي أحد اني وحيد تماماً

واستغرق الموسيقي في تفكير

ثم سأل حارس المنارة بدوره صيغه ولما أجابه
هذا عن مهنته ، بأنه عازف كمان ، شعر أن حارس
المنارة لم يفهم معنى عبارته فأخرج الكمان من جرابه
وقال

ـ هذه هي آلتي ، وعليها أعمل

ورفع كمانه الى كتفه وأخذ يعزف عزفاً خافتاً ،
وحارس المنارة ينظر اليه في دعة وسكون ولما انتهى
من عزف لحنه كانت عينا الحارس تشيان بتعابير
جعلت الموسيقي يعزف لحناً ثانياً
وثالثاً

وأخيراً وضع الموسيقي الكمان على الطاولة مر
حارس المنارة بيده في رفق شديد على الكمان وقال
والابتسامة تعلو شفتيه

ـ عمل جيد ، كي لا تصل نفوس بني البشر
الطريق

في هذه اللحظة كان هناك انسانان سعيدان على
هذه الأرض □

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

●

« صحيفة الصادقة »

● من المعروف أن الرسول عليه السلام كان ينهى عن كتابة الحديث ، مخافة أن يختلط الحديث بالقرآن ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه »

حتى إذا شاع القرآن بين المسلمين ، وأصبحوا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، ويميزونه عن الحديث ، سمح لهم بكتابة الحديث ، ومن ذلك ماروي أن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال للرسول يا رسول الله ، أسمع منك الشيء فأكتبه ، قال · نعم ، قال عبد الله . في الغضب والرضا ، قال عليه السلام . نعم ، فإني لا أقول إلا حقا وبذلك قد عرف في عهد الرسول مدونات حديثية ، أخرجها بعض الصحابة ، كابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبد الله الانصاري ، وكان أشهرها صحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو التي ضمت ألف حديث ، وقد سماها بهذا الاسم بقوله « هذه الصادقة ، فيها ما سمعته عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وليس بيني وبينه فيها أحد »

اللغة الراقصة

بقلم:
الدكتور حسين العروسي

الرقص حركات إيقاعية تلقائية أو منظمة، يعبر بها الإنسان عن مشاعره وأحاسيسه فرحا في الغالب أو حزنا، وقد يشاركه فيه عدد من الكائنات الحية، بيد أن النحل يستخدم الرقص لغة في التفاهم بين أفراد الخلية، لتحديد، أماكن الغذاء.
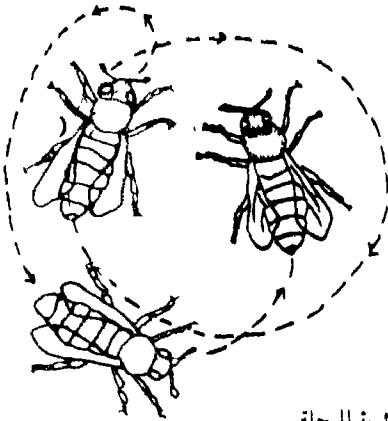
الرقصة الدائرية للنحلة
للاخبار بوجود غذاء قريب (شكل ٢)

إن اللغة طريقة للتعارف والتفاهم بين الكائنات الحية ، وهي في أرقى أنواعها طريقة يتخاطب بها أفراد الكائن الحي ، أي أنها ذات إمكانيات صوتية سمعية يحدث الكائن الحي أصواتا مختلفة ، لكل صوت منها معنى معين ، إذا وصل الى سمع كائن آخر من نفس النوع استوعبه واستجاب له أما الرؤية فعنصر أساسية للتخاطب

لكل نوع من أنواع الكائنات الحية عادة لغة واحدة ، لأنها لغة غريزية ، تتولد في تركيبته الوراثية ، يتفاهم بها أفراد النوع الواحد مهما تباعدوا أو تقاربوا لكن الإنسان يختلف في ذلك ، فلغاته متعددة ، تختلف من موطن الى آخر ، إذ إنها لغات مكتسبة ، يتعلمها الفرد من بيئته ونظرا لتعدد الأصوات في لغة الإنسان واعتماد ذلك كثيرا على استخدام اللسان ، سميت اللغة لسانا ، فقيل لسان العرب ، ولسان الفرس ، وكلية الألسن

وإذا عجز الصوت عن التعبير والتفاهم تحولت لغة التفاهم من الصوت الى الإشارة ، وأصبح الاعتماد الأكبر في اللغة على الرؤية وليس على السمع وأحيانا يجمع الكائن الحي في التعبير بين الإشارة والأصوات المحدودة ، فالأخرس الأبكم قد استعاض عن لغة الكلام بلغة الإشارة ، وأصبح يعبر بيديه وبتعبيرات وجهه عما يريد ، وأحيانا يصدر بعض الأصوات التي تساعده على التوضيح

النحل ترقص

كثير من الكائنات الحية - غير الإنسان - تتفاهم فيما بينها وتتبادل المعلومات ، فمن المعروف أن الدلافين - وهي من الحيوانات البحرية الكبيرة - تصدر أصواتا مختلفة متميزة ، يتفاهم بها أفرادها والكلاب والقطط تصدر أصواتا تختلف في حالة الخوف عنها في حالة السرور أو الجوع أو المخاطبة الجنسية

والغالبية العظمى من الكائنات الحية لا يعرف لها لغات ، وبعضها يتفاهم بحركات معينة ، ومن ذلك النحل - نحل العسل - (شكل ١) ، التي درست دراسة مستفيضة نظرا للمعيشة المنظمة ا [illegible] التي تعيشها ، ونظرا لإنتاجها القيّم الذي أوصى [illegible] القرآن الكريم ، وبين أهميته في بعض آياته

من أهم الدراسات الحديثة على النحل - نحل العسل - ، تلك الدراسات التي أجريت على لغتها وحواسها ، وقد قام بها كارل فون فريتش الأستاذ بجامعة ميونيخ ، نشرها في كتاب سنة ١٩٥٠م [illegible] أعاد نشرها مع بعض الاضافات سنة ١٩٧١م

النحل حشرة تعيش حياة اجتماعية متخصصة ففي خلية النحل تعيش الملكة التي تضع البيض وتعيش الحاضنة التي تقوم بالتربية، وجنود من النحل قائمات على الحراسة ، والنحلة البناءة التي تبني الحجرات التي تتربى داخلها الصغار وأهم عمل النحل التي تقوم بها أعداد كبيرة من شغالات النحل هي جمع الغذاء من الخارج لتغذية أفراد مجتمع النحل ، ولهذا كانت أهم مفردات لغة النحل معنية بالتفاهم على جمع الغذاء ، والغرض الرئيسي من هذه اللغة إفهام أفراد النحل بالمستعمرة بوجود غذاء خارجي مع تحديد بعده واتجاهه ، ولغة النحل ليست لغة صوتية ، لكنها لغة تعتمد على حركات خاصة منتظمة تعرف بالرقصات ، ولذلك اعتبرت لغة النحل لغة راقصة ، أساس مفرداتها حركتان مختلفتان ، تتكرر كل منها عدة مرات يتم الرقص في معظم الحالات داخل خلية النحل ، حيث الظلام دامس والرؤية تكاد تكون منعدمة ، لهذا كان تمييز الحركة أو تفهم اللغة يعتمد على حواس أخرى غير الإبصار ، من ذلك حاسة اللمس ، فتلامس الحشرات القريبة الحشرة الراقصة بقرون استشعارها ، وفي حالة الحديث عن الغذاء تلعب حاسة الشم والتذوق دورا مهما وتصدر الحشرة الراقصة أصواتا مميزة بواسطة ذبذبات عضلات الطيران ، تنبه بها النحل الأخريات القريبات منها وتدعوهن للحضور لمشاهدة الرقصة والتعرف على مكان الغذاء المستكشف

نحل فوق برواز حلية (شكل ١)

الرقصة الدائرية

الرقصة الأولى للنحل رقصة دائرية ، تتحرك فيها نحلة في دائرة ، ثم تغير اتجاهها كلما أتمت دائرة كاملة ، فتتم دائرة في اتجاه حركة عقرب الساعة ، ثم تغير الاتجاه ، وتتم الدائرة الثانية بعكس اتجاه حركة عقرب الساعة ، وهكذا (شكل ٢) ، وتستمر حركة عادة ثلاثين ثانية أو تزيد عن ذلك ، وحتى شاهد الحركة الراقصة أكبر عدد ممكن من النحل ، فإن النحلة الراقصة غالبا ما تنتقل من مكانها الى مكان آخر في الخلية لترقص مرة ثانية وثالثة وهكذا ، ثم تخرج من الخلية لتجمع كمية أخرى من الغذاء .

وتقوم النحلة بهذه الرقصة عند عودتها محملة بالغذاء من خارج الخلية وبهذه الرقصة تفهم النحل أنه يوجد في الجوار غذاء ، قد يكون رحيقا زهريا أو محلولا سكريا أو حبوب لقاح ، وأن هذا الغذاء يبعد عن الخلية مسافة قريبة لا تتعدى مائة متر ، دون تحديد لاتجاه معين وغالبا ما يقترب النحل المجاور من النحلة الراقصة ، ويسير خلفها مقربا قرون استشعاره من جسمها ، ليعرف نوع الحركة ، ويشم رائحة الغذاء (شكل ٣)

أثناء الرقص يترك النحل المتابع للنحلة الراقصة الخلية ، واحدة بعد أخرى ، باحثا عن الغذاء في المنطقة المحيطة بالخلية ، فإذا وجدنه عدن محملات به ، وبدأت كل واحدة منهن في الرقص ليخبرن مجموعة أخرى من النحل ، وهكذا

الحركة الراقصة الثانية

يطير النحل في سبيل البحث عن الغذاء مسافة قد تبعد عن الخلية عشرة كيلو مترات ، لهذا فإن الخبر الذي تعبر عنه الرقصة الدائرية لن يفيد كثيرا في البحث عن الغذاء في المسافات البعيدة ، فإذا بعد الغذاء مسافة كيلومتر واحد ، فإن على النحل أن يبحث عن الغذاء في دائرة نصف قطرها كيلومتر واحد وتقدر مساحتها بثلاثة كيلومترات مربعة ،

ثلاث شغالات تلامس النحلة الراقصة (شكل ٣)

وإذا زاد نصف القطر على كيلومترين تصل المساحة الى أكثر من اثني عشر كيلومترا مربعا ، وإذا وصل نصف القطر الى عشرة كيلومترات زادت المساحة عن ثلاثمائة كيلومتر مربع . والبحث عن الغذاء في مساحة قد تصل الى ٣٠٠ كيلومتر مربع ، أي ثلاثين ألف هكتار ليس بالعملية اليسيرة ، لهذا كانت الحركة الراقصة الثانية للدلالة على الغذاء البعيد مع تحديد دقيق لبعده ومكانه .

عند عودة النحلة الى خليتها محملة بالغذاء الذي وجدته في مكان بعيد ـ مائة متر أو أكثر ـ فإنها تعلن ذلك لأخواتها بلغتها الراقصة ، مؤدية الحركة الراقصة الثانية . تسير النحلة الراقصة على أحد براويز الخلية في خط مستقيم مسافة قصيرة من أعلى الى أسفل أو من أسفل الى أعلى رأسيا ، أو تميل بزاوية معينة عن الخط الرأسي ، وأثناء سيرها تهز بطنها هزا شديدا يمينا ثم يسارا ، وهكذا . وعند وصولها لنهاية الخط المحدد تغير اتجاهها الى اليسار [في] حركة دائرية بعكس اتجاه عقرب الساعة ، لتنتهي [الى] بداية خطها الأول ، وتسير في نفس الخط المستقيم السابق ، وبنفس الاتجاه مع استمرار الرقص و[هز] البطن ، حتى إذا وصلت نهاية الخط غيرت اتجاه[ها] الى اليمين في حركة دائرية ثانية باتجاه عقر[ب] الساعة ، حتى تعود مرة ثانية الى بداية الخط لتب[دأ] الرقص وهز البطن والدوران مرة يسارا وأخر[ى] يمينا ، وهكذا عدة مرات . ويحاول النحل أثناء ذلك يتابع النحلة الراقصة ليتلقى منها الرسالة المطلوبة (شكل ٤) .

سرعة الرقصة تحدد مكان الغذاء

وقد لوحظ أن سرعة الرقصة تزداد كلما ك[ان] الغذاء أكثر قربا ، وتقل كلما بعد مصدر الغذاء فإذا كان الغذاء على بعد مائة متر أتمت النحلة الجا[معة] للغذاء أربعين لفة كاملة في الدقيقة ، وإذا كان الغذ[اء]

الرقصة الثانية
لتحديد خبر
وجود غذاء بعيد
(شكل ٤)
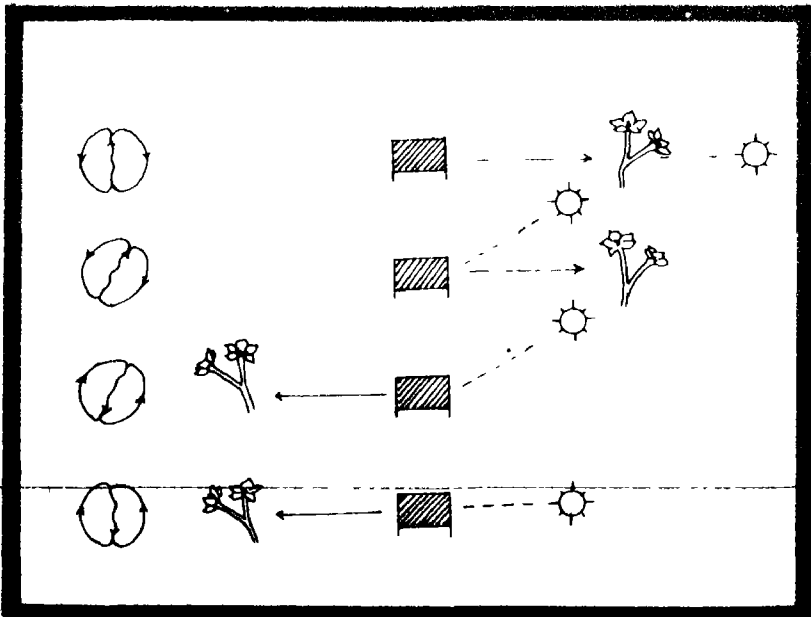
رقصة النحلة
لتحديد اتجاه
مصدر الغذاء
(شكل ٥)

على بعد خمسمائة متر أتمت النحلة أربعا وعشرين لفة في الدقيقة ، وإذا بعد الغذاء كيلومترا واحدا رقصت النحلة بسرعة ثماني عشرة لفة في الدقيقة ، وقد تنزل الى ثلاث عشرة لفة في الدقيقة إذا بعد الغذاء كيلومترين ، ثم الى تسع لفات في الدقيقة بخمسة كيلومترات ، والى خمس لفات عندما يبعد الغذاء عشرة كيلومترات

إن الجزء المهم من الرقصة هو الجزء الذي يتم في خط مستقيم ويصاحبه هز البطن وقد وجد أن زمن هز البطن يزداد كلما بعدت مسافة وجود الغذاء. فقد وجد أن مدة هز البطن تستمر مدة ثانية واحدة عندما يبعد الغذاء خمسمائة متر ، وتزداد الى ثانيتين عندما يبعد الغذاء كيلومترين ، والى أربع ثوانٍ لخمسة كيلومترات

وأثناء حركة هز البطن تحدث النحلة أصواتا معممة ، تنتج عن مجموعة من النبضات القصيرة ، تقدر بحوالي ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة ، تحدثها عضلات الطيران الموجودة في الصدر

ويعتقد أن تحديد النحلة لمسافة الطيران ينتج عن الجهد المبذول أو عن مدى استهلاك النحلة للسكريات في جسمها أثناء رحلة الطيران في الذهاب ، ولهذا فقد وجد أن تقدير النحلة للمسافة يزداد عندما تطير في مواجهة رياح عن تقديرها للمسافة عندما تطير في جو ساكن ولهذا يقل تقدير المسافة عندما تكون الرياح في صالح النحلة عند الذهاب ، أي عندما يكون اتجاه الرياح هو نفس اتجاه الرحلة وكذلك يحدث عند صعود جبل أو الهبوط عنه

تحدد النحلة الراقصة بسرعة أدائها للرقصة وزمن هز البطن بُعد الغذاء من الخلية، ومعنى ذلك أن على النحل الباحث عن الغذاء بعد أن يتلقى الرسالة من النحلة القادمة أن يذهب للمسافة المحددة ، ثم يتجول في دائرة مركزها الخلية بحثا عن الغذاء ، فإذا كان الغذاء على بعد كيلومتر واحد ، كان على النحل الباحث عن الغذاء أن يسير كيلومترا الى محيط الدائرة التي سيقطعها ، والتي يصل طولها الى حوالي ستة كيلومترات وإذا كان الغذاء [illegible] خمسة كيلومترات ، فإن مجال البحث سيصل [illegible] كيلومترا أما إذا بعد الغذاء عشرة كيلو[illegible] فسيصل مجال البحث الى ٦٢ كيلومترا . [illegible] عملية البحث عن الغذاء عملية شاقة [illegible] النحلة القيام بها لذلك كان جزء تحديد مكان الغذاء عن طريق سرعة أداء الرقصة وزمن هز البطن [illegible] كاف للتعرف على مكان الغذاء والوصول اليه وكان لابد من مؤشر آخر يحدد للنحل اتجاهها [illegible] يبحث فيه حتى يتوفر له الجهد الحركي ويزداد [illegible] الغذائي

اتجاه الشمس إتجاه الغذاء

تحديد اتجاه الغذاء يحدده النحل بالنسبة لاتجاه الشمس ، فقد يكون اتجاه الغذاء باتجاه الشمس وقد يكون عكس اتجاه الشمس والنحل القادم بالغذاء لا يقوم بالرقص خارج الخلية ، حيث الضوء ، وحيث يمكن للنحل الآخر رؤيته ، لكنه يقوم بالرقص داخل الخلية حيث الظلام الدامس ولا يوجد ضوء يحدد به النحل اتجاه الشمس ، ولهذا كان لابد من طريقة تحدد بها النحلة الراقصة موقع الغذاء بالنسبة للشمس ، فكانت الجاذبية الأرضية هي الترجمة لعكس اتجاه الشمس واتجاه الشمس يصبح عكس اتجاه الجاذبية الأرضية فإذا كان الغذاء في اتجاه الشمس كان الاهتزاز في الحركة متجها الى أعلى ، أي بعكس اتجاه الجاذبية الأرضية أما إذا كان مصدر الغذاء في الاتجاه المضاد للشمس فإن الاهتزاز في حركة الرقص يصبح متجها الى أسفل ، أي باتجاه جاذبية الأرض ، أما إذا انحرف اتجاه مصدر الغذاء عن اتجاه الشمس فإن الاهتزاز ينحرف عن الوضع الرأسي بنفس زاوية الانحراف عن الشمس واتجاهه (شكل ٥)

سبحان الله الذي خلق فأبدع ، فنوع من مخلوقاته ، ويسر لكل منها سبل الحياة ، بما فطره عليه من صفات ومواهب ، وما وضعه فيها من أسرار ، علمنا قليلا منها ، ومازال في علم الغيب معظمها
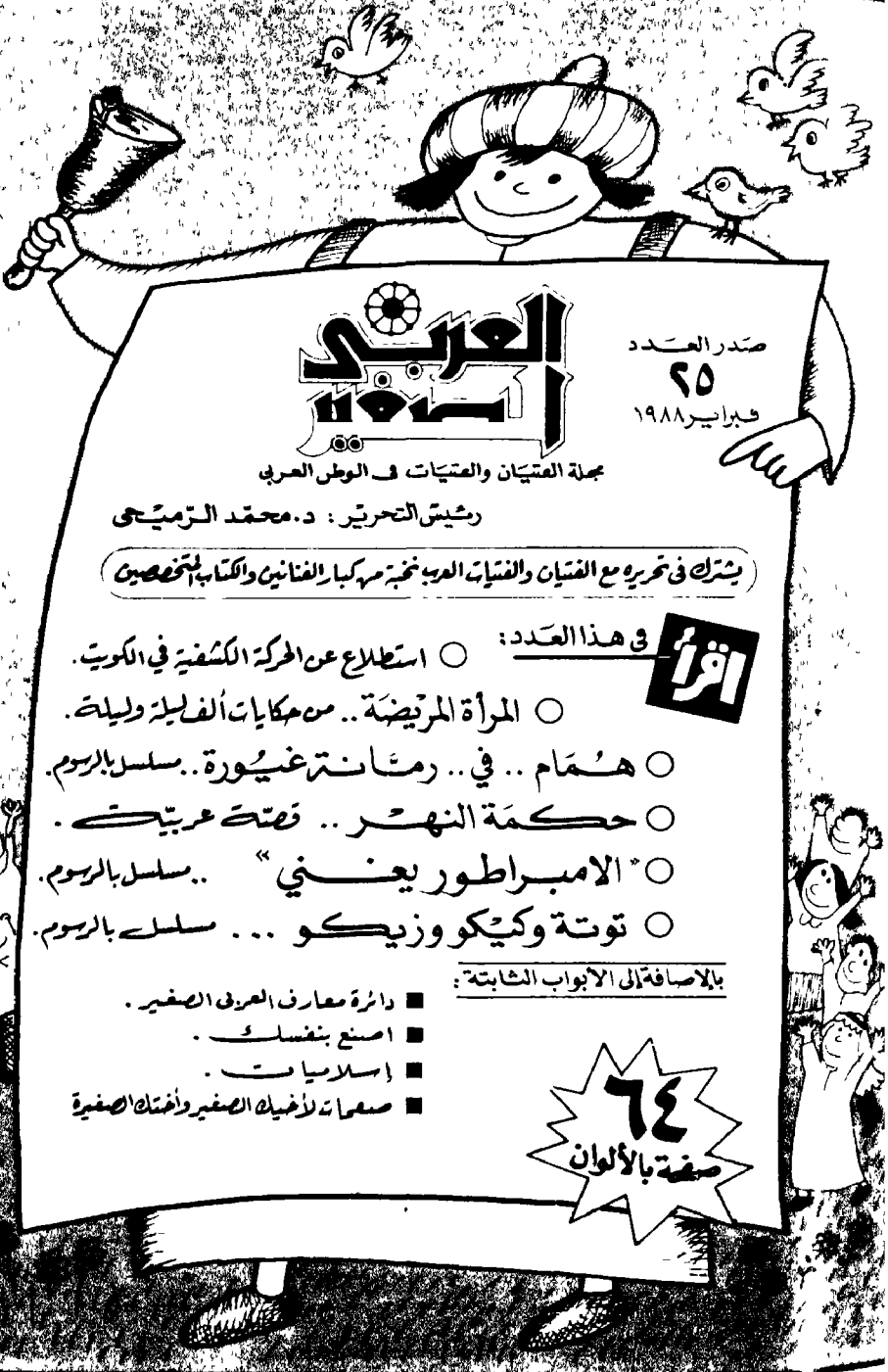
العربي الصغير
صدر العدد
٢٥
فبراير ١٩٨٨
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريره مع الفتيان والفتيات العرب نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
اقرأ
في هذا العدد:
استطلاع عن الحركة الكشفية في الكويت.
المرأة المريضة.. من حكايات ألف ليلة وليلة.
همام.. في.. رمانة غيورة.. مسلسل بالرسوم.
حكمة النهر.. قصة عربية.
"الامبراطور يغني" ..مسلسل بالرسوم.
توتة وكيكو وزيكو ... مسلسل بالرسوم.
بالإضافة إلى الأبواب الثابتة:
دائرة معارف العربي الصغير.
اصنع بنفسك.
إسلاميات.
صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة
٦٤ صفحة بالألوان

النقيض

شعر : راشد عيسى
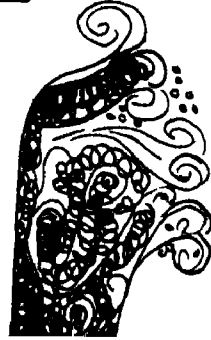
نبيتُ على حُلُمٍ نشتهيه
ونصحو على ضحكات النقيض
إذا اتضحت رؤيةٌ في المساء
يخيط لها الصبحُ ثوبَ الغموض
وإنْ يومض النجم في صيفنا
تُخبِّئُ ليالي الشتاءِ الوميض
[illegible]

مرض الشتاء العنيد

بقلم : الدكتور صباح السامرائي*

تزال السجلات الطبية تحفظ في ذاكرتها أسوأ كارثة صحية
ببها فيروس الانفلونزا في مطلع هذا القرن
لك في عام ١٩١٨ حين انتشر انتشارا واسعا
شرق العالم وغربه ،
دى إلى وفاة أكثر من عشرين مليون إنسان .
ي عام ١٩٥٧ أدى الى وفاة سبعين ألفا
الولايات المتحدة وحدها .
ا هي فيروسات هذا المرض ؟

لاحظ الأطباء أن مرض الأنفلونزا ينتشر بهيئة وباء كل عشرة أعوام تقريبا ، وذلك منذ ام ١٩٤٧ ورغم عدم وجود تفسير شامل لهذه ظاهرة إلا أن هناك ما يلقي بعض الأضواء عليها . ن ذلك . أن كل وباء ينشأ عن تغير في الغشاء الذي لف الفيروس ، وهذا التغير يجعل الفيروس سلك ... فيروس جديد ، ولهذا لاتؤثر فيه ناعة التي اكتسبتها أجسام الناس نتيجة إصاباتهم السابقة بالمرض فيستشري .

تركيب الفيروس

توجد ثلاثة أنواع من الفيروسات التي تسبب مرض الانفلونزا ويرمز لها بالحروف الأبجدية (أ ، ب ، ج ،) ويعتبر فيروس (أ) أوسع تلك الفيروسات انتشارا فهو الذي يسبب أوبئة الانفلونزا ، في حين أن النوع الثاني (ب) لا يسبب

* طبيب ...راقي من مدينة سامراء

إلا إصابات متفرقة لاتبلغ درجة الوباء والنوع الثالث (ح) لايسبب أي مرض إلا نادرا ، ولهذا سيقتصر حديثنا على النوع الأول

يتخذ هذا الفيروس شكل كرة صغيرة جدا يبلغ قطرها (٠,٠٠٠١ ملليمتر) أي أنك لو وضعت عشرة آلاف فيروس أحدها جنب الآخر بهيئة مستقيم ، لبلغ طول المستقيم ملليمترا واحدا إن الغشاء الذي يغلف الفيروس يحوي مواد كيميائية ذات أهمية خاصة ، فهي التي تمنح الفيروس هويته المميزة ، وتحدد طبيعة الأجسام المضادة التي يصنعها الجسم البشري ليدافع بها عن نفسه ضد الفيروسات الغازية وهذه المواد توجد بهيئة مركبين ، أحدهما يرمز له بالحرف **H** وهو مختصر كلمة **Hemagglutinin** والآخر يرمز له بالحرف **N** وهو مختصر كلمة **Neuraminidase** وفي جوف الفيروس ، توجد ثماني قطع من الحامض النووي المعروف الذي يسمى **RNA** ويستطيع هذا الحامض أن يغير تركيب المواد الموجودة في غلاف الفيروس التي رمز لها بالحرفين **H N** وتغيير تلك المواد يعني تغيير « هوية » الفيروس ، فلا تؤثر فيه مناعة الجسم

خلاصة القصة ، وبعيدا عن التفاصيل المعقدة والرموز الأجنبية نستطيع القول أن فيروس الانفلونزا يمتلك مقدرة كبيرة على تغيير نفسه ان انتشار المرض وتكرار الاصابة به ، يجعل أجسام الناس تصنع (اجساما مضادة) تفتك بالفيروس ، وكأنما يجد الفيروس نفسه قد بطل سحره ، ولم يعد يؤثر في الناس بسبب امتلاكهم تلك الأجسام المضادة له ، فيغير هيئته ويتسلل إليهم دون مقاومة ، وعندئذ ينتشر ويستشري

أعراض الانفلونزا

تختلف الأعراض في مدى شدتها اختلافات كبيرة من شخص لآخر ، فقد تكون بسيطة يسيرة ، فلا يشعر بها المصاب ، وقد تشتد حتى تجعل صاحبها طريح الفراش عدة أيام ، وفي حالات نادرة تسبب « ذات الرئة » الذي يكون أحيانا شديد الخطر ، وربما هدد حياة المريض

تبدأ الاصابة بالانفلونزا عند استنشاق [illegible] مع الهواء ، فيصل البلعوم والقصبة الهو[illegible] فترة حضانة تبلغ يومين ، تظهر اعراض [illegible] حمى مفاجئة ، وصداع ، وسعال [illegible] بالتعب ، وآلام عضلية ، وحرقة في ال[illegible] الرغبة في الطعام ، وتستمر هذه الا[illegible] تتراوح ما بين ، يومين ، وخمسة أيام [illegible] تلقائيا وبعض المرضى يظل يشعر بالضعف [illegible] اسابيع بعد أن يشفى

المضاعفات

مرض الانفلونزا لايعد من الأمراض الخطـ[illegible] بل هو مرض سهل ميسور وقلما عد من [illegible] [illegible] ورغم ذلك فانه احيانا [illegible] مضاعفات لاتخلو من الخطر واشهر [illegible] المضاعفات وأخطرها « ذات الرئة » الذي [illegible] بتأثير مباشر من فيروس الانفلونزا حين [illegible] أعماق الرئتين ، أو بتأثير غير مباشر حين [illegible] الفيروس مناعة الجهاز التنفسي فيمهد الطريق [illegible] البكتريا لتغزوه

ومن أجل التفريق بين « ذات الرئة » الناشئ [illegible] الفيروس نفسه ، وذات الرئة الناشئ عن [illegible] البكتريا ، يلاحظ أن الأول ينشأ في وقت مبكر أن المصاب يشعر بأعراض الانفلونزا تشتد عليه [illegible] بعد يوم وتسوء حالته

أما الثاني ، فإن المصاب يشفى من الانفلو[illegible] وبعد عدة أيام تداهمه الأعراض مرة أخرى فيحسب أن الانفلونزا عادت اليه ، وهي في [illegible] « ذات الرئة » وليست انفلونزا ثانية وبالاصابة « ذات الرئة » فان الانفلونزا قد تؤدي ـ نادر ـ التهاب القلب ، والتهاب الدماغ ، والعضلات والاعصاب

ان أكثر الناس عرضة لهذه المضاعفات ، هم [illegible] السن ممن تجاوزوا الخامسة والستين ، والمصا[illegible] بأمراض مزمنة في القلب ، أو الرئتين ، والمصا[illegible] بالسكر ، والمصابون بعجز الكلى المزمن والمرضى (الذين يتناولون العقاقير المثبطة للمناعة

... ـص المناعة) ولهذا تجب وقايتهم من ... للقاح أو العقاقير

... الانفلونزا

... الانفلونزا واسع الانتشار ، وعندما يداهم ... وباء فان معدل الاصابات قد يبلغ ... وفيها عدا المخاطر الصحية ، فان ... الواسع يسبب خسائر اقتصادية كبيرة ، ... معظم المصابين اعمالهم طوال فترة ... وقد بذلت جهود كبيرة من أجل ابتكار ... الناس من المرض ، غير ان المشكلة الكبرى ... في هذا السبيل هي أن الفيروس يغير نفسه ... لآخر ، فيجعل اللقاح قليل الفائدة

... رغم ذلك فقد استطاع العلماء صنع لقاح يقي ... بمعدل اكبر من خمسين بالمئة ، وهذا اللقاح ... فيروسات الانفلونزا نفسها ، تحقن في الجسم بعد ... نشاطها المرضي اي قتلها وعندما تدخل ... الفيروسات الجسم ، تحفزه لصنع اجسام مضادة ... من المرض وفي العادة يعطى ، هذا اللقاح لمن ... الانفلونزا شديدة الخطر عليهم

... اللقاح لايخلو من الأضرار الجانبية ، وأشهرها حمى والام العضلات التي تحصل بمعدل خمسة ... وفي حالات نادرة يسبب اللقاح الحساسية خاصة حين يعطى لشخص مصاب بالحساسية ضد ... لأن اللقاح يحتوي على بعض بروتينات ... ورغم أن اللقاح لاخطر منه على الحوامل ، ... يفضل الا يعطى لهن الا عند الضرورة ... تحسبا لأخطار قد تحصل دون انذار ...

وفي الاتحاد السوفيتي يفضل العلماء استعمال لقاح مصنوع من الفيروسات الحية المضعفة وليس من فيروسات الميتة ، فالمناعة التي يعطيها أقوى ، لأنها ... مضعفة وجهارية

الوقاية بالعقاقير

لقد ... اختبار عدد من العقاقير كوسيلة للوقاية من الانفلونزا ، وتبين أن عقار « أمانتدين » يمنع الفيروس من دخول الخلايا ، فيقي من المرض

ويتصف هذا العقار بأنه سريع الامتصاص من قبل بطانة الجهاز الهضمي بعد تناوله عن طريق الفم ، ويصل أعلى مستوى له في الدم بعد ثلاث ساعات من تناوله وهو يعطى بجرعة ١٠٠ ملغم مرتين يوميا ، غير ان المناعة التي يمنحها للجسم مؤقتة في حدود « ٢٤ ساعة » ولهذا يجب تناوله يوميا طوال فترة انتشار المرض ، وهي الشتاء عادة

ورغم فائدة العقار في الوقاية من الانفلونزا ، فانه ليس شايع الاستعمال ، بسبب تأثيراته الجانبية على الجهاز العصبي التي تظهر بهيئة دوار وعتاد ، وأرق ، وهلوسة ، واضطرابات الادراك للزمان والمكان، وتظهر هذه التاثيرات لدى خمسة بالمئة ممن يتناولون ذلك العقار ، وفي العادة تزول هذه الأعراض بعد التوقف عن تناوله

ولاتوجد تعارض بين اللقاح واستعمال هذا العقار ، بل ان الدمج بينهما ذو فائدة خاصة ، فأثر اللقاح لايظهر الا بعد فترة زمنية معينة ، وخلال هذه الفترة يقوم العقار بالوقاية من المرض ، وهكذا تكون الوقاية مستمرة

العلاج

علاج الانفلونزا هو علاج تخفطي في معظم الحالات ، اي علاج الأعراض ومحاولة الحد من حصول المضاعفات فيعطى المريض العقاقير المسكنة ، والخافضة للحرارة « كالاسبرين والباراسيتول » لتخفيف الصداع ، والام العضلات ، وخفض درجة الحرارة المرتفعة ، وينصح بالراحة وملازمة الفراش من أجل مساعدة الجسم على مقاومة المرض

ولا ينصح بتناول المضادات الحيوية « أمسلين تتراسايكلين الخ » الا عند حصول التهاب ثانوي ناشيء عن البكتريا ، ويمكن التأكد من ذلك بفحص القشع بالمجهر وفي حالات الانفلونزا الشديدة ، ينصح الاطباء بتناول عقار « أمانتدين »الذي يمتلك قدرة علاجية بالاضافة الى قدرته الوقائية □

أرقام

بقلم . محمود المراغي

الحكومة العربية

مازال السؤال التاريخي قائماً ما هو دور الحكومة في المجتمع ؟ واين يقف تدخل الحكومة . او تدخل الدولة . واين يقف نشاط الأفراد ؟ وما هو القدر الذي يتنازل عنه كل طرف للآخر . وما هو القدر الذي يتشبث به كل طرف باعتبار انه صاحب الحق باتخاذ القرار ؟

إنه سؤال تاريخي لأنه شغل فلاسفة السياسة طويلاً . لكن اسفر انقسام في الرأي حول هذه القضية . كان بين فلاسفة النظامين الرئيسيين في العالم . النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي

في الرأسمالية . أو نظام الاقتصاد الحر ارتفع الشعار المعروف

« دعه يعمل . دعه يمر » . وهو شعار ينتهي بنا الى اقتصار دور الدولة على الدفاع . والأمن . والعدالة . والسياسة الخارجية أيضا . أما النشاط الاقتصادي - الاستثمار . والتجارة . والمال . والانتقال . وحق العمل . وحق التشغيل - فكله تابع للأفراد . يقررون فيه ما يشاءون

صحيح ان الدولة الرأسمالية قد احتكرت منذ قرون بعض الأنشطة . مثل الملح او السد او بعض المحاصيل او الثروات التي توفر دخلا للنشاط الحكومي . وصحيح ان تدخل الدولة الرأسمالية حديثا قد امتد لكثير من الأنشطة ايضا . وأصبحت الحكومة على اي حال هي التي تحدد المسار العام للمجتمع . والايقاع الرئيسي للنشاط الاقتصادي لكن ذلك كله في إطار مورد للدولة (قديما) او اطار تنظيم ما هو حر (حديثا)

وقد جاءت الاشتراكية . كما جاءت نظم الاقتصاد الموجه . لتفعل عكس ذلك

وكان المقياس باستمرار لدرجة تدخل الدولة وتعاظم دور الحكومة هو السؤال التقليدي هل هو نظام رأسمالي أو اشتراكي ؟ وهل هو اقتصاد حر أو اقتصاد موجه ؟

خريطة أخرى

واختلف الأمر في الوطن العربي خلال السنوات الاخيرة . فسجلت كل النظم - اشتراكية ورأسمالية - درجة عالية من التدخل واصبحت الدولة في معظم الحالات اكبر صاحب دخل و ... صاحب عمل . وأكبر قوة مؤثرة . إنها ... الأول الرئيسي . بصرف النظر عن ... الاجتماعي !

وتعكس ذلك أرقام اخر تقرير للاقتصاد ... الموحد الذي تساهم فيه الجامعة العربية ... منظمات أخرى هي صندوق النقد العربي و ... العربي للانماء ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول

واسرار هذه الأرقام كم تنفق ... حكومة

وكم يبلغ ذلك من الناتج المحلي الإجمالي ؟
١٩٨٠ بلغت النفقات العامة في الاقطار
٤٩ ٪) من الناتج المحلي الإجمالي ، وفي
تراجع الرقم قليلا ، فأصبح (٤٥ ٪) ،
إنفاق المجتمع يأتي عبر أصابع الدولة ،
حكومة هي التي تقرر ماذا تنفق ، وأين ، وكيف

وفي تفسير هذه الظاهرة تأتي أرقام الإيرادات العامة التي مثلت (٦٠.٦ ٪) من الناتج المحلي عام ١٩٨٠ لكنها بسبب انخفاض أسعار النفط تراجعت عام ١٩٨٦ إلى (٣٥.٢ ٪) ، أي أن الإيرادات الحكومية التي حصلتها الحكومات العربية بداية الثمانينات قد اقتربت من ثلثي الناتج المحلي لكنها بسبب أسعار النفط تراجعت إلى قرب من الثلث فقط

بلغت الإيرادات العامة عام ١٩٨٠ (٢١١) مليار دولار لكنها هبطت بشكل حاد، فاصبحت (١٢٠) عام ١٩٨٦ وتحول الفائض الذي بلغ (٣٩) في العام الأول إلى عجز بلغ حوالي (٣٤) مليارا العام الاخير

إذن فالنفط هو العنصر الحاسم ، لكن عندما انخفضت اسعاره لم ينسحب تأثيره على نمط الانفاق ، تدخل الدولة ، ودور الحكومة الذي بقى كما هو تقريبا بدليل أن نسبة الايرادات العامة للناتج المحلي قد تراجعت إلى مايقرب من النصف ، بينما النفقات العامة قريبة مما كانت عليه ، ولم تنخفض باكثر من (١٠ ٪)

فالتدخل قد أصبح نمطا ، والدور الحكومي أصبح حقيقة يصعب التراجع عنها ، والسؤال في أي المجالات تتدخل الحكومة ؟

مسارات واضحة

توضح الارقام أن هناك تنافسا واضحا بين دولة ... الدور الاجتماعي للدولة وبين تعزيز ... القطاع الخاص عن المجتمع

وبصرف النظر عن المقارنات التاريخية فقد سارت ... على وتيرة متقاربة في نمط الإنفاق ، وإذا أخذنا العام الأخير الذي تتوافر عنه الأرقام وهو عام ١٩٨٦ فإننا نجد

* * أن (٢٦ ٪) من الإنفاق العام الجاري يتجه للأمن والدفاع ، وترتفع النسبة في أماكن الخطر (سوريا ٥٥ ٪ - الأردن ٤٢ ٪) ، كما ترتفع في بلدان النفط ، حيث اجتمعت العوامل الثلاثة ، وهي الامكانيات المالية ، وحداثة تكوين قوة الدفاع ، وتزايد الأخطار وكلها يدفع للمزيد من الإنفاق الدفاعي الذي بلغ في السعودية ذات الدخل الضخم ٢٤ ٪ ، كما بلغ في الكويت وليبيا ٢٧ ٪ من الإنفاق الجاري

* * في نفس الوقت اقترب الإنفاق العربي على الخدمات العامة والخدمات الاجتماعية من حجم الانفاق على الدفاع ، فكانت النسبة للخدمات العامة ٢٣ ٪ ، ونفس النسبة تقريبا للخدمات الاجتماعية

* * لم يتحظ الإنفاق على شئون الاقتصاد (١٣.٣ ٪) ونما لايزيد كثيرا عن بداية الثمانينيات

إذن فالأولوية للأمن والبنية الأساسية والخدمات الاجتماعية كالتعليم والصحة والاقتصاد ـ أي أن الاستثمار الانتاجي المباشر أو الاستثمار المالي له أولية ثانية في منطق الموازنات العامة ، خاصة في أقطار النفط ، لكن ذلك لايعكس انسحابا لدور الدولة من الحياة الاقتصادية ، فدائرة التأثير قائمة في كل الأحوال ، لأن أرقام البنية الأساسية أو الخدمات العامة ، بل وجزءا من أرقام الدفاع يحرك عجلة الاقتصاد ، حيث تضخ الحكومة المال ، فيستقبله مستثمر ومقاول وصاحب بنك وخبير ، الخ

والقطاع الخاص ليس بعيدا ، لكن بصمات الدولة واضحة من خلال حجم كبير من الإنفاق ، كرسته الاتجاهات الاجتماعية في مجموعة من الأقطار العربية ، وكرسته ظاهرة النفط في مجموعة أخرى ، فهل استطعنا أن نوفر لأجهزتنا الحكومية أفضل خبرة ، وأفضل كفاءة ؟ وهل استطعنا أن نضمن الرشد باتخاذ القرارات ؟

والتساؤل خطير ، لأن الحكومة العربية تنفق نصف الدخل ، و... معظم التأثير □

حقيقة معركة بواتييه

بقلم الدكتور سلمان قطاية

لا بد لكل سائح يزور باريس من أن يزور قصر فرساي الفاخر الذي بناه الملك لويس الرابع عشر الملقب بالملك الشمس. وفي إحدى قاعات القصر الكبيرة مجموعة ضخمة من اللوحات التي تسرد أهم المعارك الحربية التي قامت بها فرنسا، وبالتحديد الانتصارات، لأن الأمم تفتخر بانتصاراتها، فتمجد فيها وتعظم، بينما تتناسى أو تقلل من هزائمها. وهكذا لا يوجد ساحة أو شارع يحمل اسم واترلو في فرنسا كلها، بينما يطالعنا هذا الاسم في كل مكان في انجلترا.

يرى شارل مارتيل (٦٨٥ - ٧٤١ م) في اللوحة وهو يوجه ضربة رهيبة إلى قائد العرب، عبد الرحمن الغافقي الذي ينظر إليه بهلع شديد.

ومارتيل كلمة لاتينية، تعني مطرقة، وهو الاسم الأول لشارلمان، أي شارل الكبير مارتيل.

وتروي القصة للفرنسيين الناشئين أن المسلمين هاجموا فرنسا، فتصدى لهم القائد مارتيل، فقضى عليهم في واقعة بواتييه (٧٣٢ م) وقتل قائدهم الأمير عبد الرحمن، التي سماها العرب بلاط الشهداء، لكثرة ما وقع من قتل وتجريح. ويتحد اليوم الفاشست في فرنسا من هذه المعركة مثلاً حتى أن إحدى المنظمات التي تتعرض للعرب بالقتل والغدر تسمى باسم شارل مارتيل. ويقال إن عصابة الشبان العرب، في مرسيليا تألفت

ن الواقع والحقيقة التاريخية يكذبان هذه
...رة المشوهة ، لذا عمدت القناة الثالثة في
... المعروفة بأنها مخصصة للثقافة والفكر إلى بث
... عن حقيقة هذه المعركة ، أسندت مسؤوليتها
... العلماء والمفكرين والمؤرخين
... ستطيع قبل الخوض في الكلام عنها أن ألفت
... إلى بضع نقاط مهمة
- كان العرب أكثر مدنية وحضارة وإنسانيه
٢ - أثبت هؤلاء أن ما يورده المؤرخون العرب هو
حسبه
٣ - كانت خسارة المعركة لأسباب تافهة
٤ - لو كسب العرب المعركة لفتحوا كل اوروبا ،
... كانوا سيتراجعون بعد قليل
حين جاوز العرب جبال البرانس انسابوا غربا
... شمالا وإلى الشرق أيضا ، غربا فاحتلوا كل
الشاطيء اللازوردي الفرنسي ودخلوا ايطاليا ، بل
... جهزوا حملة لاحتلال روما
وفريق منهم ذهب شمالا حتى مقاطعة السافوا
... على الحدود السويسرية

وغربا في منطقة الاكسيتين واللانغدوك حيث ما
... آثارهم في اللغة والصور باقية
وارتمى آخرون شمالا فاحتلوا مدنا كثيرة حتى
... وصلوا بواتييه يعني بذلك انهم احتلوا قرابة ربع
مساحة فرنسا وقطعوا من البرانس حوالي ٧٠٠
... وكان من عادتهم أن يصطحبوا معهم زوجاتهم
و أولادهم وإلى جانب بواتييه - المدينة - يوجد سهل
... واسع يفصله عن المدينة نهر صغير
ضرب العرب خيامهم في السهل استعدادا
... إذ بلغهم أن العدو قد جمع جموعا غفيرة
... للقتال
... العرب - على قول المؤرخين الفرنسيين -
... بالموت والجوع والعطش ، وبإيمانهم أن
... هي مفتاح الجنة ، كما تميزوا بسيوفهم
... وبخيولهم التي لا مثيل لها
العدو فلقد كان ذا حضارة بدائية بربرية ،

وأسلحة بسيطة ، لكنها ماضية ، وخيول ثقيلة
وكان مارتيل قد جال في طول اوروبا وعرضها
حرصا على دفع العرب المسلمين وردهم ، فتجمع
لديه عدد يزيد على ضعف عدد عساكر العرب ،
وذخيرة لا تنضب ، وتشجيع كثير من كل
المسؤولين
وأخذت العساكر مكانها ، ولم يبدأ العرب المعركة
إلا بعد الظهر ، فهجموا على العساكر الفرنجية
وراح هؤلاء يدافعون متراجعين ، بل إن فرقا منهم
بدأت بالانهزام تاركة أسلحتها وعتادها ، وأيقن
العرب بالنصر ، الا ان بعضا منهم اكتشف ان وراء
سور المدينة الكائن على ضفة النهر من الطرف
الاخر ، كنيسة عظيمة فيها كنوز لا تقدر بثمن
هنا هرع كثير من الجنود المسلمين فعبروا النهر
على قوارب صغيرة الى الضفة الأخرى ، وراحوا
يملؤون الأكياس بكنوز من الذهب والفضة
والأحجار الكريمة ، مما وجدوه في الكنيسة ، وساروا
بها على ظهورهم نحو النهر ، ولثقل الأكياس غرق
بعضهم مع القوارب في النهر وسرى الخبر بين
العرب ، فهرعوا أكثر فأكثر يقتتلون فيما بينهم لأخذ
أكبر نصيب من الكنوز
وهنا حدث شيء غير متوقع وغير منتظر ، بل
وغير معروف حتى الان ، فقد سقط الأمير عبد
الرحمن الغافقي قتيلا
لم يستطع المؤرخون حتى الان معرفة أسباب مقتله
وكيفية ذلك ، ربما أصابته سهام أو ضربة !! لا أحد
يعرف

وسرى خبر مقتله كالنار في الهشيم ، فتضعضعت
الصفوف ، وتبلبلت النفوس ، وزادت الفوضى في
الجيش ، فاذا بالليل يسدل ستاره
وكان من عادة الجيوش أن تتفرق بعد المغرب ،
ويقوم كل فريق بجمع جثث قتلاه لدفنها ، وجرحاه
لاسعافهم ، ويستريح الجميع استعدادا لليوم
التالي
وفي صباح اليوم التالي ، لم يسمع الفرنجة أي
صوت أو ضوضاء من الطرف الآخر

فأرسل مارتيل كشافين ، إذ خاف أن يكون العرب قد نصبوا لهم فخا ، فعاد هؤلاء مؤكدين بأنهم لم يروا عربيا واحدا

إذ أن العرب انسحبوا ليلا بقضهم وقضيضهم

هنا عرف مارتيل أنه قد انتصر ، فصاح صيحة النصر ، وقال إنه لابد من متابعة العرب حتى جلائهم التام عن فرنسا ، ومضى في مشروعه اكثر من عشرة أعوام حتى نفذ وعده

ومما يروى أن العرب قد انهزموا ولاذوا بالفرار تاركين ما يملكون للفرنجة !

ومن ذلك أنهم تركوا خيولهم الجميلة الأصيلة ، هكذا كما يدعي هؤلاء ، وعرف الفرنجة الحصان العربي لأول مرة

وهذه القصة تكذب الادعاء ثم هل من المعقول ان يهرب الفارس حريا على الأقدام تاركا حصانه السريع الذي لا يجارى ؟ ثم إننا لم نر ما يذكر بالحصان العربي في أوروبا ـ وفرنسا بشكل خاص ـ إلا بعد الحروب الصليبية ، وعندما عاد ريتشارد قلب الأسد ببعض الخيول العربية

كذلك ادعى أحد المؤرخين في تلك الحلقة التي كما قلت بثت في التلفزيون أنه كان هناك بين ... يهود

فكتبت له أفند دعواه ، لأن شرف الجهاد كان محفوظا للمسلمين ، وكان الآخرون يدفعون ... بدلا عن ذلك ولم اتسلم منه جوابا ؟

وطرح سؤال في نهاية المطاف لو كسب ... المعركة فماذا سيكون المستقبل ؟ فأجيب ... من الصعب على العرب أن يتغلغلوا في بلاد ... يعرفونها ، ولا يطيقون طقسها ثم ان اوروبا المسيحية كانت قد بدأت تشعر بالخطر وتلملم ... وقواتها ، وكانت ستتصدى للعرب مرات ومرات وستضعف مقاومة العرب بسبب بعدهم عن بلاده الأصلية فاذا كانوا قد استطاعوا البقاء في اسبانيا ثمانية قرون فذلك بسبب قربهم من المغرب ونحن نعلم كم مرة جاءتهم النجدة منه يكفي ان نذكر يوسف بن تاشفين ونجدته للمعتمد

والذي املِه وأرجوه أن يتولى احد الاقطار العربية اقامة نصب أو أبدة تذكرنا بالشهيد الغافقي الذي استشهد هناك ، وفي المكان نفسه ، وما أظن الحكومة الفرنسية الا موافقة على ذلك

العبقرية والجنون

اجتمع فريق من المفكرين والأدباء الانجليز بالفيلسوف البريطاني برتراندرسل قبل وفاته بأسابيع قليلة ، ودار الحديث حول العبقرية ، هل هي حقيقة ضرب من الجنون ؟

وطالت المناقشة ، واحتدم الجدل ، دون أن يشترك (رسل) في أية مرحلة من مراحلها ، وأخيرا عندما اقتربت المناقشة من نهايتها أجمع الحاضرون على رأي واحد ، وهو أن العبقري لا يمكن إلا أن يكون مجنونا ، أو مصابا بخلل ما

وبدأ المجتمعون يستعدون للانصراف ، إلا أنهم ما لبثوا أن عادوا إلى أماكنهم مرة أخرى عندما سمعوا صوت (رسل) يناديهم قائلا مهلا أيها السادة ، هل لي أن أسألكم ما الذي يضير العبقري إذا كان مجنونا ، أو مصابا بخلل ، طالما أن هذا الرأس قد أنتج إنتاجا فذا ؟ هل فكرتم في المحارة التي تغوصون وراءها في قاع البحر ؟ هل تعلمون أنها لابد أن تصاب بخلل لكي تنتج لؤلؤة ؟ أنا شخصيا كنت أتمنى أن أصاب بالجنون ، لكي أهتدى إلى وسيلة ، يمكن أن تنقذ البشرية من الهلاك الذي يتهددها

قراءة نقدية لكتاب

بيروت ... بيروت ..

رواية من تأليف صنع الله إبراهيم

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

إن كتابة رواية جيدة ، بكل المقاييس نوع من المغامرة ، أما كتابة رواية عن الحرب الأهلية اللبنانية وتداعياتها فمغامرة تقترب من حافة الجنون ! إذ على الكاتب منذ البدء أن يواجه أسئلة كثيرة ، منها .

كيف يحقق نصيحة همنجواي الشهيرة : « لا تكتب إلا عما تعرف » إذ من ذا الذي يزعم أنه يعرف أسرار هذه الغابة (لبنان) المفعمة بالجمال والحب والكراهية والعنف والقتل ، وتعقيدات التاريخ والجغرافيا ، والنزوعات البشرية والدينية والمذهبية والاقتصادية والسياسية ؟!

من الذي يعرف أفضل وأصدق،من يعيش داخل الغابة ، وقد يغرق في التفاصيل وتحيزاتها أم من يأتي من الخارج فيراها كلها ، ثم يجوس خلالها بعين طازجة غير منحازة ؟؟ وإذا كان من الضروري أن يكون الكاتب محايداً في مرحلة ليعرف أفضل ، ومنحازاً في مرحلة أخيرة ليكتب أفضل ، فمتى ينبغي أن ينتهي الحياد ويبدأ الانحياز ؟؟

عن الكاتب وأعماله .

ومع ذلك فقد فعلها عدد من الكتاب ، كل بطريقته من داخل لبنان ومن خارجها ، وحين فعلها صنع الله ابراهيم بكتابة رواية « بيروت بيروت » سنة ١٩[illegible] لم يدهش كثيرا أولئك الذين تابعوا رحلته مع [illegible] رواية ، فصنع الله ابراهيم كاتب لا يؤثر فقط مواجهة التحديات ، بل صناعتها كذلك ، فحين قدم أول رواية له سنة ١٩٦٦ بعنوان « تلك الرائحة » أحدث نوعاً من الصدمة للقراء وللنقاد معا، سواء بالأسلوب الذي كتب به أو بالتقنية التي اختارها ، ففي الصفحة الأولى من الرواية يتحدث الراوي (شاب خرج من السجن لتوه يرافقه شرطي إلى البيت ليعرف العنوان) هكذا « ذهبنا إلى بيت أخي ، وقال أخي وقد قابلناه على السلم إنه مسافر ، ولابد أن يغلق الشقة ، ونزلنا وذهبنا إلى بيت صديقي ، وقال صديقي أختي هنا ولا أستطيع أن أقابلك ، وعدنا إلى الشارع . »

موقفان كان غيره من الكتاب يكتب عنهما صفحات كثيرة نائحة بالفجيعة في الأخ والصديق ، أما صنع الله ابراهيم فكان قد قرأ كتاب « كارلوس

بيكر » عن حياة همنجواي وأدبه ، وفنته « فكرة جبل الثلج » التي تعني الاقتصاد في التعبير وبدأ يطبقها خلال بحثه عن أسلوب جديد . وخلال بحثه عن تقنية جديدة قدم روايته تلك من خلال تعاقب صوتين للراوي نفسه ، صوت ـ كما قرأنا ـ يبدو وكأنه يترجم بإيجاز وحياد وبرود ما يواجهه في الحياة اليومية ، وصوت آخر للراوي نفسه يبدو وكأنه ترجمة لمشاعر وصور تنثال في داخله من الماضي . ويقوم بناء الرواية على تعاقب هذين الصوتين في نسيج متصل بلا فصول ، وقد وظف الكاتب التباين بين هذين الصوتين لشخصية واحدة في تجسيد الفجوة القائمة بين الراوي وبين مجتمعه الذي يعود إليه بعد خمس سنوات في السجن !! كأن ظواهر كثيرة تشير إلى أن مجتمعه يقوم الآن بإنجاز الأشياء التي سجن الراوي لأنه كان يطالب بها . وكانت تلك هي الفجوة التي يريد أن يعبرها وقبل أن يفيق القراء والنقاد من صدمة « تلك الرائحة » كان الكاتب يقوم بزيارة لموقع السد العالي في أسوان . وكأنه ما يزال يسعى للاقتراب من فهم ما يجري في واقعه الجديد وهكذا جاءت روايته « نجمة أغسطس » سنة ١٩٧٤ تعبيرا عن رغبته في أن يجتاز الفجوة ، ويصل إلى المعنى ، وتجسيدا لرؤيته لهذا الإنجاز ، وتطويرا للتقنية التي بدأها في « تلك الرائحة » ، فهو في « نجمة أغسطس » يجعل من الصوت الداخلي للراوي ، ـ صوت الذكريات والمشاعر ـ مقابلا تعبيريا عن النواة الصلبة الداخلية للسد التي تتكون من طمي ناعم رقيق كالذكريات ، ومن الصوت الخارجي المادي المحايد مقابلا تعبيريا عن الجسم الخارجي للسد الذي يتكون من الصخور والحجارة والحصى !

بين « بيروت . » و « نجمة أغسطس »

قد يلاحظ من قرأ الروايتين أن هناك أوجه شبه واضحة بينهما ، فكلتا الروايتين مقدمة أساساً من خلال شخصية الراوي ، التي نتبين فيها ملامح من شخصية المؤلف ، مما يعطي الروايتين شيئا من طابع السيرة الذاتية وفي كلتا الروايتين يسافر الراوي الى مدينة أخرى ، يجري فيها حدث كبير له أبعاد تاريخية واجتماعية وسياسية ، ويحاول الراوي الاقتـ[illegible] الحدث الكبير في وقت محدود ، بوسائط [illegible] للتعرف عليه واكتشاف معناه ، مما يعطي [illegible] طابع التحقيق الصحفي ومع اختلاف [illegible] الحدثين (بناء السد) و(الحرب الأهلية [illegible]) المشكلات الفنية التي تثيرها محاولة تناول [illegible] الأحداث الكبيرة المتشعبة تكاد تكون واحدة.

أكان هذا هو السبب في أن الكاتب [illegible] رواية « بيروت بيروت » إلى تقنية [illegible] التي استخدمها في « نجمة أغسطس » بعد [illegible] لجأ إلى تقنية مختلفة تماما في رواية « اللجنة » [illegible] بين الروايتين ؟

ألا تعيدنا هذه الملاحظة إلى سؤال قديم [illegible] بأي جانب ترتبط أكثر « تقنية أية رواية » [illegible] الوجود الموضوعي للحدث الخارجي الذي [illegible] وطبيعته

أم بجانب رؤية الكاتب لهذا الحدث [illegible] الفنية ـ إذا صح التعبير ـ وثقافته في هذه [illegible] مراحل نموه وتطوره ؟!

أعتقد أن الوقت قد حان لنقترب أكثر من رو[illegible] « بيروت بيروت » ، لنرى كيف واجه [illegible] مشكلات عمله الفنية ، وكيف التمس لها الحلو[illegible]

استكشاف الغابة

من الفصل الأول وحتى السابع نتابع الراوي [illegible] رحلته من القاهرة الى بيروت لنشر كتاب له [illegible] ومن الصحف العربية والأجنبية التي يقرأها [illegible] الطائرة نبدأ في التعرف على شيء مما يجري في بيروت في الفترة السابقة على تاريخ سفره في اليوم السابع من نوفمبر ١٩٨١ ، وفي الطريق ـ من المطار [illegible] الفندق ـ في شارع الحمراء ، نرى بعض [illegible] مدينة بيروت فندرك أن الحرب الأهلية التي [illegible] رسميا منذ أعوام بدخول قوات الردع العربية [illegible] تزال آثارها قائمة على واجهات المباني ، وفي [illegible] سائق سيارة الأجرة ، وأن طلقات الرصاص [illegible] وحوادث التفجير ما تزال تقطع السكون [illegible] وتحتل عناوين الصحف في الصباح !

ومن الفندق الذي ينزل فيه يتصل برمين [illegible]

بدر والكفاح اسمه « وديع مسيحة » . وكانا قد
عملا بعض الوقت في جريدة واحدة بالقاهرة . ثم
سعين وديع » مديرا لمكتب الجريدة في بيروت منذ
سنوا . ثم استقال حين أصروا في القاهرة على
عودته ويعمل الآن في مكتب خدمات صحفية
خاص . ويصبح « وديع مسيحة » منذ لقائه بالراوي
نوع من الدليل الى عالم بيروت . الظاهر والخفي !
سأل الراوي صديقه وديع بعد أن نزل ضيفا عليه في
شقته الأنيقة
- لا أفهم سر إصرارك على عدم العودة الى
مصر ؟!
- كلما تخيلت نفسي هناك شعرت بالاختناق !
ثم يلوذ بالصمت فلا يلح الراوي بسؤال آخر .
وإن كان سيبقى الى آخر جزء في الرواية يحاول أن
يفهم مغزى هذا الشعور ولكن في موقف آخر يلفت
« وديع » نظر الراوي الى خبر في الجريدة عن سقف
دار نشر يملكها « عدنان الصباغ » الذي قدم الراوي
الى بيروت بناء على اتفاق مسبق معه لنشر كتابه .
عندئذ يتساءل الراوي في جزع
- من تظنه فعلها ؟
وحين لا يتلقى جوابا محددا من صديقه ، يعيد
سؤاله بشكل آخر
- هل « عدنان » مرتبط بجهة معينة من الجهات
المتصارعة في بيروت ؟
- الإجابة صعبة . فقد مضى العهد الذي كان
الواحد يرتبط فيه بجهة واحدة . فالكل يسوعون
ارتباطاتهم تحسبا للمفاجآت
- كنت أفضل التعامل مع « عدنان » فسمعته
طيبة
- لا تكن سادجا ، كلهم متشابهون
ويتأكد الراوي من صدق ما قاله « وديع » بعد
عدة زيارات لدور نشر مختلفة ، ترفع واجهات ثقافية
وتقدمية ، لكن روح التاجر هي ما يتخفى تحتها .
وحين يلوح أن مشروع نشر كتاب الراوي يواجه
بعض الصعوبات ، ويحتاج بعض الوقت فإن وديع
يقدم الراوي لانطوانيت فاخوري التي أخرجت
فيلم تحليليا عن الحرب الأهلية اللبنانية ، وهي في

حاجة لمن يكتب لها تعليقا على الفيلم . ويزيل وديع
شكوك الراوي وهو يجيب عن تساؤلاته قائلا
الفيلم لا علاقة له بأي حكومة . فالمنتج هو مجموعة
تعاونية من السينمائيين اللبنانيين الشبان ، ولا علاقة
لهم بأي حزب أو حركة ، لكن يمكن أن تقول انهم
يساريون بشكل عام
- هل سيدفعون أم يعتبرون الأمر مساهمة مني في
القضية ؟
- سيدفعون طبعا . كل شيء الآن بثمنه !

سيطرة كاملة

سوف يلاحظ القارىء ابتداء من هذا الجزء من
الرواية كيف أن الكاتب المفتون سلفا بفكرة « حبل
الثلج » قد لامس في إحكام سيطرته على ذلك
الأسلوب الخيط الرفيع الذي تختفي عنده الحدود بين
الوظيفية والتلقائية في استخدام اللغة . وفي الحوار، فما
يقوله وديع مسيحة عن عدنان الصباغ يخبرنا عن
وديع بقدر ما يخبرنا عن عدنان ، وعن الوضع في
بيروت في الوقت نفسه ، ولا تكشف المواقف الجزئية
المختلفة سوى عن جزء يسير من كل شخصية ، ومن
الموقف العام ، ليبقى القارىء مشدودا لكل كلمة ،
وكل نأمة ، مشاركا في خلق الشخصية وفهم
الموقف . حتى عندما يعم بيروت هدوء نسبي في أحد
الأيام فإن الراوي ووديع يخرجان معا في نزهة قصيرة
لرؤية معرض للصور الفوتوغرافية من لبنان القديم ،
وفي هذا المعرض نشاهد الحياة القديمة في لبنان ، في
الجبل والسهل ، وفي القصور والأحياء الفقيرة ،
ونرى تعدد الطبقات والطوائف والمذاهب في الأزياء

والأثاث والمباني ، كأن الكاتب يريد أن نبدأ الرحلة من أولها. وهكذا تتطور الأحداث في نسق بارع بين التلقائية والوظيفية ، لكن الرحلة في هذا الجزء من الرواية رحلة في الزمن الحاضر ، أما في الأجزاء التالية فاننا نقترب من التقنية التي تقوم على تقاطع الماضي مع الحاضر في حلقات متواصلة ، لكن الزمن الماضي في هذه الرواية لا يتدفق من خلال الذكريات كما في « نجمة أغسطس » ، بل من خلال شريط سينمائي يدور على « المافيولا » التي تقف خلفها مخرجة الفيلم انطوانيت فاخوري

ماذا عن الفيلم ؟

في البداية شاهد الراوي الفيلم مرة واحدة ، واكتشف بعدها أنه لا يدرك مغزى كل إشارة فيه ، إلا شخص عاش الحرب الأهلية في لبنان ، فأمدته المخرجة بمجموعة من الكتب والوثائق عن تاريخ المنطقة منذ الحروب الصليبية حتى قبيل الحرب الأهلية ، وكان من الطبيعي أن يقدم المؤلف للقارىء الخلاصة نفسها التي خرج بها الراوي من هذه الوثائق ، ليمكنه من متابعة الرواية والفيلم معا. وهكذا جاءت هذه الخلاصة بعد الفصل السابع تمهيداً طبيعيا لتقديم الفيلم للقارىء ، وكان من الطبيعي ليتمكن الراوي من كتابة التعليق بشكل جيد على الفيلم أن يسجل وصفا تفصيليا لمشاهد الفيلم على الورق وقد تم هذا التفريغ على مراحل ، وكانت كل مرحلة تدخل في نسيج الرواية التي تقوم أصلا على ما يشبه رصد يوميات الراوي في بيروت ، وبهذه الطريقة تمكن المؤلف من عرض أجزاء من زمن الحرب الأهلية خلال الزمن الذي يعيشه الراوي (سنة ١٩٨٠م)

الفيلم : مجرد حيلة فنية

سواء أكان للفيلم وجود فعلي أم هو مجرد حيلة فنية لجأ إليها المؤلف لتقديم الحرب الأهلية ، فهذا لا يؤثر على وثائقية المشاهد التي يضمها الفيلم ، إذ يضم عناوين صحف صدرت خلال الحرب الأهلية ، وتصريحات مسئولين ، وصور محاربين وقتلى ، واجتماعات ، ولقاءات ، وسيارات ملـ[...] وطائرات مغيرة ، وبيوت مهدمة ، وأقوال [...] لقائليها ، وشهادات شهود عيان. لكن يبقى سؤال جوهري هو: لماذا لجأ الكاتب الى صيغة الفيلم التسجيلي لتقديم صورة شاملة لـ[...] الأهلية ؟ولماذا لم يلجأ لذكريات فرد أو أفراد ممن عاشوا خبرة الحرب الأهلية ؟

قبل أن نقدم الإجابة عن هذا السؤال نود أن نؤكد أن حكاية الفيلم كلها مجرد حيلة فنية ، لأنه من الضروري أن تنسجم الرؤية الكامنة وراء الفيلم مع رؤية المؤلف ككل ، وهذا يتحقق بشكل أفضل مع هذا الافتراض

أسباب اختيار تقنية الفيلم التسجيلي

صيغة الفيلم التسجيلي تسمح بالتنوع ، ومرونة الاختيار ، وتغطية مختلف المجالات والمستويات في أحداث الحرب الأهلية ، فأنت تقرأ وصفاً للقطة عن حادث يقع في عين الرمانة أو الكارنتينا أو تل الزعتر أو الميناء ، ثم تتابع أصداءه في سائر لبنان أو العواصم ذات الصلة ، وترى الشهود وتسمع شهاداتهم من مختلف الاتجاهات ، وأحيانا يقدم الفيلم أحداثا موازية زمنيا في بلد آخر ، يبدو لأول وهلة أنه لا علاقة له بما يجري في بيروت ، لكن بقليل من التأمل تسفر العلاقة عن وجهها. وأما ذكريات أي فرد عن خبرته في الحرب الأهلية فستبقى محكومة بتجربته ، ومجال حركته ، وهي بالضرورة محدودة

وهم الموضوعية :

صيغة الفيلم التسجيلي تعطي حسا أعمق بالموضوعية ، فاللقطة - أيا كان محتواها - محايدة وواقعية ، والقارىء هو الذي يقوم بدور إيجابي في استنطاق معنى الصورة أو الخبر أو التصريح والربط بين حدث يقع في لبنان وتصريح في سوريا أو القاهرة أو «الكنيست» أو الأمم المتحدة أو واشنطن أو موسكو ، ويصبح القارىء مشاركا في تأليف الرواية ، ومع ذلك فإننا نقول « وهم الموضوعية » ، لأن اختيار الوثائق والأخبار وترتيبها

بي... معين هو في النهاية اختيار يترجم الرؤية الخاصة للمؤلف ، ويبقى أن ضمان تحقق أكبر قدر من الموضوعية في العمل الأدبي رهن بمعنى وثراء ذات الكاتب ، ودرجة وعيه بحقائق مجتمعه وعصره ،

ولأن العالم الخارجي والوجود الاجتماعي يفصحان عن جزء من أسرارهما من خلال الرؤية الخاصة لأي فنان حقيقي بالضرورة ، فهل يمكن أن نجيب الآن عن السؤال الذي طرحناه في بداية المقال حول (إلى أي جانب ترتبط تقنية أية رواية) ؟ من الواضح أنها هنا ارتبطت أكثر بالوجود الموضوعي الخارجي للحرب الأهلية اللبنانية

منهج الفيلـــم :

قدم الفيلم من خلال الوثائق أكثر من وجهة نظر في الموقف الواحد ، مثل المواقف المتعددة من دخول سوريا الى لبنان ، كما أوضح وجهة النظر السورية نفسها

الى جوار تقديم الخطوط الرئيسية لسياسة الجبهتين الأساسيتين المتصارعتين في لبنان ، وهما الجبهة الوطنية والموارنة ، قدم الفيلم أوجه الصراع والاختلاف داخل كل جبهة ، بما في ذلك الاختلافات داخل منظمة التحرير الفلسطينية

واهتم الفيلم من خلال الوثائق بإلقاء أضواء على أسباب الصراع الدينية والوطنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمذهبية في لبنان

أبرز المواقف المزدوجة لبعض الأقطار العربية

اهتم بتوضيح المواقف المستقلة داخل بعض الجبهات ، وكذلك المواقف المتطرفة على الجانبين

أبرز دور « اسرائيل » وبعض القوى العظمى في تأجيج الصراع ، ونشاطها مع عناصر من الموارنة

لقطات لها أكثر من دلالة :

لقطة في أحد الشوارع . من جانبي الشارع ترتفع بعض الأعلام البيضاء ، ويخرج المتقاتلون من وراء المتاريس من الجانبين ، ليشتركوا معا في نهب بعض المحال التجارية في منتصف الشارع ، ويتم تكويم المنهوبات ، ثم يتم اقتسامها بنظام وعدالة ، ثم يعود كل فريق لموقعه ، لاستئناف القتال بعد وقت ، (هنا يتضح أن الفقراء من الجانبين هم الذين يصطلون بنار الحرب)

لقطة لبعض القناصة في أعلى البنايات ، يصوبون بنادقهم نحو أحد المارة ، ويطلقون أولا رصاصة خلفه ، فإذا جرى أطلقوها أمامه ، فإذا وقع على الأرض أطلقوها على يده ، فإذا واصل الزحف قتلوه ، (هنا يصبح القتل لعبة)

لقطة لجماعة مسلحة تهاجم مستشفى للأمراض العقلية ، لتنتزع منه أحد النزلاء بالقوة ، وبعض المرضى ينتهزون الفرصة ليغادروا المستشفى ، مما يوحي بإطلاق الجنون وفي لقطة تالية يشاهد أحد المجانين الفارين يعود إلى المستشفى هارباً من العالم الخارجي

فصل كامل به شهادات بعض الناجين من مذبحة تل الزعتر

رؤية الفيلـــم :

يوحي الفيلم بأنه من التبسيط أن نتصور أن المشكلة هي مجرد صراع بين يمين ويسار ، أو مسلمين ومسيحيين ، أو عرب وغير عرب ، أو قوى وطنية وقوى خارجية ، والمشكلة هي كل ذلك ، وما نجم عنه من أوضاع ومصالح تضاربت وتعقدت عبر التدخلات المستمرة من القوى المحيطة ، مهما ضاقت الدوائر أو اتسعت ، ولذا أجهضت روح المواطنة التي لم تجد فرصة للميلاد الحقيقي ، وأصبحت نجاة الفرد في الانتماء للطائفة أو الحزب ، ونجاة الحزب في الارتباط بقوة عظمى في الخارج والفيلم بهذه الرؤية يضع القارىء أمام مسئولية المشكلة ، ويوحي بأن حل مشكلة الجزء اللبناني مرتبط باتجاه حل مشكلة الكل العربي

اختلال فـي التوازن :

إذا كنا هنا تحدثنا عن الفيلم مرة واحدة ، فإن قارىء الرواية كان يقرأ وصفا لجزء من الفيلم ، ثم يتابع حياة الراوي في بيروت عام ١٩٨٠ ، ثم يعود ليقرأ وصفا لجزء آخر ، وهكذا كأن القارىء يعيش

أحداث الحرب الأهلية ، ثم يعايش نتائجها بعد أعوام في وقت واحد وربما شعر القارئ بشيء من عدم التوازن بين مادة الفيلم التي تقدم نوعا من المعرفة الكمية ـ ربما فوق ما تحتمله رواية ، وبين مادة الحياة اليومية للراوي التي تقدم طرازا آخر من المعرفة الكيفية التي يعني الأدب بتقديمها ، لكننا نلتمس شيئا من العذر للكاتب ، حيث ان المعرفة الكمية كانت شبه ضرورية لامكانية تمثل المعرفة الكيفية ، كما تتجلى في شخصيات الرواية عام ١٩٨٠ إن علاقات الراوي (الذي كان ما يزال يبحث عن ناشر لكتابه وهو يواصل كتابة وصف لمشاهد الفيلم) كانت تتطور مع عدة شخصيات في عدة اتجاهات . علاقته بلمياء الصباغ زوجة عدنان الصباغ صاحب دار النشر الذي وعده بنشر كتابه ، وانطوانيت فاخوري مخرجة الفيلم ، ووديع مسيحة ، وهي كلها وجوه مختلفة من بيروت عام ١٩٨٠م

وجوه من لبنان عام ١٩٨٠

لميـــــاء الصبـــــاغ

كانت تقوم بعمل زوجها في دار النشر أثناء غيابه في الخارج ، وهو غياب أصبح شبه دائم ، بعد حادث نسف أجزاء من الدار امرأة جميلة في منتصف العمر في لقاءاتها الأولى مع الراوي بشأن نشر كتابه كانت تترك لديه انطباعا بإمكانية نشر كتابه ، رغم كل ظروف الدار ، وقد سألته مرة بعدما دعته للغداء في بيتها العامر

ـ هل أعجبك منزلي ؟

ـ جدا ، رغم أني لم أر غير جانب صغير منه

ـ سترى الباقي فيما بعد

ثم تسأله عن الفيلم بطريقة تشي بأن سؤالها عن علاقته بانطوانيت ، وحين لا تتلقى ردا محددا تقول له

ـ أرجو ألا يكون عن بطولات الفلسطينيين

ـ وماذا لو كان ؟

ـ لا شيء سوى أننا مللنا هذا النوع من الأفلام ، ثم إنهم سبب البلاء الذي نعيش فيه !

يمثل هذا الحوار يرسم الكاتب شخصية [illegible] الصباغ ، عبر مختلف اللقاءات مع الراوي . [illegible] أنها كانت في طفولتها تجد الأمان في حضن [illegible] الشخصية ، وفي ظل ظروف مجتمعها الآن [illegible] الموت المجاني ، وفي غيبة زوجها شبه الدائمة [illegible] تسعى بشكل غريزي الى ما يطمئنها فتصبح [illegible] مهربا من الخوف ، أو نوعا من المخدر ، أو [illegible] الحياة ، وقد وجدت المتعة الآمنة المضمونة في [illegible] امرأة تكبرها قليلا ، وتمتلك يدا قوية مثل يد [illegible] أو يد أمها وأحيانا كانت وهي المفتونة بجسد [illegible] العاشقة لذاتها تثور على هذه الصداقة ، وفي [illegible] تجد هذه الثورة متنفسا لها في علاقتها بالراوي الذي ظل طول الوقت يشعر بأن في شخصيتها شيئا مثل السراب

ولعل هذا كان من ضمن الأسباب التي جعلته يفشل في كل محاولات التواصل معها [illegible] الرحلة ومن خلال العلاقة يكتشف الراوي ان دار النشر التي يملكها عدنان تعمل بالتعاون مع دار نشر سويسرية ، تطبع باللغة العربية ، لتوزع منشوراتها داخل فلسطين المحتلة بين عرب يعيشون في شوق الى أية كلمة مطبوعة باللغة العربية ، وطبعا يتم التوزيع بتنسيق مع سلطات الاحتلال ، وبرضاها عما هو منشور !

ويقترن اكتشاف هذه الحقيقة بلحظة كانت تود [illegible] نجاح تواصله معها ، وتصبح رغبته في هذا التواصل مساوية لرغبته في قتلها ، وتتعانق الرغبتان في داخله تعانقا مدمرا ، الى الحد الذي لا يدري هل ما يشعر من نشوة خارقة نابع من رغبته في قتلها ، أم من رغبته في الحصول عليها ، ولا يصبح أمامها من خيار سوى أن تفشل هذا التواصل لكي تنقذ حياتها من يده المجنونة التي لم تكن تدري هل تحيط بعنقها هياما ام غلا

إن لمياء الصباغ هي أحد وجوه لبنان ما بعد الحرب الأهلية !

انطوانيت فاخـــوري

مارونية ، تعمل في حقل السينما بالتعاون مع منظمة التحرير في هذا المجال ، تعكس شخصيتها

ممدات صع في بيروت ، فهي تملك حرية في أن
يعمل نهار ع المنظمة ، ثم تعود ليلا لتبيت في منزلها
في بيروت الشرقية دون أن يؤثر على موقفها من
عائلتها المارونية وتملك حرية بأن تقضي ليلة في
ـه وديع مسيحة ، لأنها سكرت في شقة أخرى ولم
ستطع أن تعود بالسيارة الى بيروت الشرقية يلتقي
ـ وي عندها بنماذج بشرية فلسطينية ، منها أبو نادر
لدي كان يناضل داخل فلسطين المحتلة ، وقام بعمل
طولي خارق ، تحدثت عنه الصحافة طويلا ، ثم
ـحب ، وظل هو بقية حياته يتحدث عن هذا العمل
ر بعد مرة ، ولا شيء آخر ، ومنها شخصية فتى
ـسم فنان اسمه وليد نجا من مذبحة تل الزعتر ،
ـم ان علاجه من أثر الصدمة التي أثرت على قدرته
ى النطق قد تم بنجاح ، وأصبح قادرا على الكلام
لا أنه لسبب لا يعرفه أحد آثر أن يصمت ، وإن بقي
وجهه قادرا على التعبير ، وريشته قادرة على الرسم ،
ـ انه لا يرسم غير صورة واحدة ، وهي خريطة
لسطين و« اسرائيل » ، تمثل فوقها نقطة صغيرة ،
ـ خريطة أخرى للنقطة وهي تكبر ، وتكبير

وحين قدم هذه الخرائط للراوي مع ابتسامة مليئة
بالرغبة في التواصل لم يعرف الراوي ماذا يقول
ـ فهل أتت به انطوانيت الى هنا ليحدثه هذا الفتى
بصموت عن شيء يعرفه الجميع ، لكنه تنبه فجأة
لأمرين ، الأمر الأول أن ما يجري في بيروت والوطن
عـ و يؤكد أنه لا أحد يريد أن يرى هذه الحقيقة التي
ـ فها الجميع ، أما الأمر الثاني فقد بدا في شكل
سؤال رأته انطوانيت في عين الراوي ، فأجابت عليه
عن الفور إنه لم يلمسني ، لكنني لن أتخلى عنه ،
ربما أحبه أكان حبها لهذا الفتى الصامت عما رآه في
تل الزعتر جزءا من حبها للحقيقة التي تبحث عنها في
ـسه عن الحرب الأهلية اللبنانية ؟؟؟
ـ انطوانيت فاخوري هي أحد وجوه لبنان ما بعد
الحرب الأهلية

ـ ـ مسيحة

ربما لم ـ أ مشكلته في بيروت ، ولعلها بدأت في
القاهرة عند ما كان طفلا مع الراوي يقول له

« عظمة زرقاء » ، فينتابه غم عظيم ربما وجد في
بيروت أن مسيحيته التي كانت مصدر قلق ظاهر أو
خفي في القاهرة تمنحه شعورا أعمق بالأمان في
بيروت ، لكن في عام ١٩٧٥ حين بدأت الحرب
الأهلية أدرك فجأة أنه لا أمان لشيء ، وانفجر خوفه
القديم وبالغ الخائف في رؤية مخاوف الآخرين ،
ويسوغ لهم ما يريد أن يسوغه لنفسه ، فلقد كانت
تعليقاته المرتابة في كل شيء ، وكل أحد هي أول
ما أثار شكوك الراوي فيه ، وحين اختفت مفكرة
الراوي من مكانها في شقة وديع ثم ظهرت في مكان
آخر ، بعد أن نفى وديع علمه بها بدأ شك الراوي
يزداد في أن وديع هو الذي فعلها ، لكن لماذا ؟ لم يكن
يعرف !! ولم يتأكد الراوي من شكوكه في وديع إلا
بعد أن تعرض لحادث اختطاف في الشارع ، قامت
به جماعة تتبع إحدى جهات الموارنة ، ومع أنه تم
إنقاذه بجهود وديع وانطوانيت فإن الطريقة التي أنقذه
بها المكتب الثاني في بيروت كانت حيلة المؤلف
ليصيب ثلاثة أهداف بضربة واحدة ، أن يقدم فرصة
عرض ومناقشة لوجهة نظر الموارنة في الرواية من
خلال استجوابهم للراوي ، وأن يكشف عن الدور
البالغ التعقيد الذي يلعبه المكتب الثاني في بيروت ،
وأن يكشف علاقة وديع مسيحة بالمكتب الثاني ، وأن
يسقط آخر ورقة توت كان وديع يخفي وراءها خوفه
القديم والجديد !!

لكن الراوي يقول له ولوديع وهما يشاهدان معا
في آخر ليلة في بيروت مشهدا على شاشة التلفزيون
لسياسي عربي في موقف يهون في ظله كل ما يقوم به
أمثال وديع صدقني أنا لا ألومك أبدا
ـ وديع مسيحة إنه هنا أحد وجوه لبنان ما بعد
الحرب الأهلية ولا شك أن من يقرأ هذه الرواية أو
هذا المقال عنها في عام ١٩٨٨ سوف يتساءل في
دهشة

ـ وهل انتهت الحرب الأهلية اللبنانية ؟ وهل مثل
هذه الشخصيات هي كل نتاجها ؟؟ ثم قد يشعر
بالحاجة إلى إعادة قراءة الرواية أو مواصلة كتابتها
ولعل هذا جزء من إنجاز هذه الرواية □

منتدى العربي

قضية

إشكالية التراث والمعاصرة والتقدم

بقلم . الدكتور هشام بوقمرة

إن وصف المجتمع العربي بالمتخلف أو المتأخر - وهو وصف لا نناقش كثيرا في صحته بالرغم من نسبيته - يشير إلى طبيعة المهمة الأساسية التي تحدد مرحلتنا ، وهي (التقدم) صحيح بشكل عام أن فلسفة التقدم هي التي كانت محرك الفكر الأوروبي خلال القرن التاسع عشر من أجل استنهاض همة « البرجوازية » الوطنية لتحقيق الراسمالية والنمو المادي ، وأن اعتبارها من مهام المرحلة العربية الحالية يدل - في أقل معانيه - على أن قرنا كاملا يفصلنا عن المستوى الأوروبي المعاصر ، لكنه قابل للنقاش والدحض أيضا ، بيد أنه يصبح أمرا واقعا حين نضعه تحت منظار الحوافز الفعلية للنظام العربي فيما يحدده لنفسه من اهداف بشكل عام فالتقدم يطرح في الخطاب الرسمي ، وكذلك في التصور الشعبي يطرح على أنه تحقيق لمجموعة من المنافع والخدمات المادية الداخلة ضمن ما يدعى « باللحاق بركب التطور » وهو يشير - اساسا ، وحصرا - إلى النمط الأوروبي الغربي السائد حتى في البلدان التي اختارت أحلافها في المنظومة الاشتراكية ، والتي - بالرغم من إعلانها المدني للتقدمية واليسارية - ترفض التصور الاشتراكي ، ثم المنهاج المجتمعي السائد في البلدان الاشتراكية

الاستنجاد بالتراث

لكن الخطاب الرسمي نفسه يصر باستمرار على ربط التقدم والتنمية بمجموعة من المعطيات الأخلاقية ، وفي مقدمتها الاستنجاد بالتراث على أساس أنه مفتاح الأصالة ، أو أنه الضامن للاستمرار في نطاق تصور أفقي للزمن ، غير قابل للانفصال رأسه الماضي ، ووسطه الحاضر ، وسواهما المستقبل

إن التراث بهذا المعنى شيء غامض ومضطرب وليس له حدود ، فهو في نفس الوقت ...

، القدم ، كما يمكن أن يكون آنيا ، إذ أن
لحالية هي ماض بالنسبة للتي تليها ، ويمكن
افتتاحية جريدة صباحية تراثا في المساء ،
ء يصبح تراثاً ، وحتى الآن لم يتحدد مفهوم
شكل عقلاني وغاية ما توصلوا إليه هو أنه
ضمن المنظومة الواسعة لهذه المفاهيم الفضفاضة
تعامل بها يوميا دون تحديدها ، والتي قد تكون
أساسيا في تخلفنا الفكري ، وفي تشويش أنظمتنا
، وعدم قدرتنا على السيطرة على الرمز ،
اللغة وجودا خارجا عن العقل ، أي فاقدا
لة

لذلك فإن التراث باعتباره شاهدا غائبا متعدد
وات يمكن أن يُسند إليه أي « تصريح » ، وأن
لى به أي « عقيدة » ، ومنذ حوالي نصف القرن
احة الفكرية العربية تتقاذفه في كل اتجاه ، وهو
ة المضغوطة ، يستجيب بطواعية خارقة لكل
، فأقصى أطراف السلفية تجد في « التراث » لها
صريحا ، وأقصى أطراف اليسارية إن لم تجد فيه
الصريح وجد فيه من التأويل ما يقنع
ي ، وبين هذين الطرفين لم يعدم اتجاه ـ مهما
مرعه ـ أن يجد في التراث مرجعا ، لأن كل
هات تراهن على الجمهور ، ولأن جمهورنا
ـ أساسا في ماضيه المريضة أحيانا ، وكلها
تتحول في مرحلة أخرى إلى نبّاش قبور ، أو
طلاسم ، والمثقفون أنفسهم ـ وهم الذين طرحوا
الموضوع ـ مصابون بنفس الصداع ، واخترنا
ن أن التراث يتضمن قيما إيجابية وأخرى
، وأن فيه نورا وظلاما ، وأن فيه جوانب
ة مشرقة ، وأخرى غائمة مفزعة ، وأن علينا
بعملية انتقاء

ولكن من أي موقع ؟ إن اليسار يقوم
واليمين كذلك ، والسلفيون هم أشد
شاء ونصبا لمحاكم التفتيش في الماضي
هكذا نعود إلى نفس الدوامة إنني لا
موقفا ولا اختيارا ، ولكن حيرة

التحرك بأقدام مثقلة .

ولنبدأ رحلة الحيرة من الواقع بالسؤال التالي أيهما أوكد بالنسبة لحاضرنا ومستقبلنا أن نبني مدرسة أم أن نرمم حائطا ؟ وحين أرى خريجي جامعاتنا يتسكعون بلا عمل على أرصفة القهر والعصب ، أتساءل أيهما أصلح أن نوفر لهم شغلا ، أم أن نخصص ميزانية عريضة للتثبت من نسبة قطعة خزفية ؟ وما الذي يهمني في أن يكون العرب هم الذين اكتشفوا ـ وفي القيروان بالذات ـ قلم الحبر الجاف وأنا أكتب اليوم بقلم ياباني ؟ وأن يكون عمر بن عبد العزيز مثال العدل والاستقامة والإنصاف ، وأنا أعيش العسف والظلم والتسلط ؟

إن الشيء الوحيد الذي يقدمه التراث في كل هذه الحالات سلبي بحت ، فنحن نتعمى بالماضي ، حتى لا نبصر الحاضر ، وحتى ـ وهو الأخطر ـ لا نحدد ملامح المستقبل ، ونحن نتحرك بأرجل مثقلة بقيد ضخم وخانق اسمه الماضي ، يشدنا إلى الوراء ، حتى لنكاد لا نرى المستقبل ، ونحن نعيش وضعا غريبا وشاذا ، يؤطر في عقولنا الشذوذ الفكري ، فأوضاعنا الاجتماعية والاقتصادية والدستورية تحكمها قوانين وضعية « مستوردة » ، بينما يتأطر تفكيرنا المدرسي والجامعي وتُنحت ذواتنا ، داخل أطر ليس لها أي وجود فعلي

حاولت مرة أن أعرف « الحجم المادي » لحضور التراث في واقعنا ، من خلال مثال محدد ، هو النشر ، فأخذت منشورات إحدى الدور الشهيرة في مصر ، فوجدت أن ما يدخل تحت التراث منها لا يصل ـ عدديا ـ إلى الثلث بحساب العناوين ، لكنه يتجاوز الثمانين في المائة بحساب الكلفة ، لسبب بسيط ، وهو أن نشر كتاب فقهي في خمسة أجزاء ضخمة يستوجب من الإنفاق أكثر من نشر مائة عنوان من الشعر والقصة والمسرحية وكافة أنواع الإبداع الأخرى ، وبهذا المعنى يصبح التراث أيضا عائقا للخلق ، إن لم يكن له مانعا !

ويتساءلوا بعد متى اصبح التراث « قصة » و « موقفا » ؟ الا يتنامى مع المد الشعبي ، ويشد بعد الشعبيات مع امتداد الضغط الاصولي ؟ أنا كما قلت لا اقول موقفا وانما اعبر عن حدة ، ولا اظن ان هناك احدا يستطيع ان يفلت منها ، ولكن كثيرين يفهم المسلسلات التلفزيونية عن الاحساس بتداعيها فرد احمد بدوي بدوي شاكر كلامي - اقول على ماذا تدل ظاهرة المسلسلات التلفزيونية التي تعتمد كلها تشكل أو ناحر في التراث ـ فقط ـ هربا من الواقع ، لانه محر وشاذ الناس الذين ماضيا مجيدا وشخصيات ومواقف متمردة في الماضي ' حتى لو ان نهاية الابتذال والاستمرار التجاري تمثلون لناسون مسيحيون ـ كحكايات شخصيات اسلامية تصرف بها المتو والنحوي

على مقال

هل كان الرجل المريض مريضاً ؟

كتب السيد فتحي رضوان في العدد ٣٤٦ من مجلة العربي (سبتمبر ١٩٨٧) ، مقالا بعنوان « هل كان الرجل المريض مريضا ؟ »

لي عليه عدة ملاحظات تجعلني أحاول أن اوضح بعض الامور لتصحيح ما لمسته من الأخطاء التاريخية والجغرافية الواردة في المقال

١ ـ ذكر الكاتب في المقال أن القوات التركية الموغلة في شرق اوروبا قامت بغزوة ساحقة لفيينا ، عاصمة النمسا ، وكانت انذاك امبراطورية مترامية الأطراف ، ذات شهرة ، وكان اسمها امبراطورية النمسا والمجر يملأ الاسماع

والحقيقة التاريخية المجردة ، أن امبراطورية النمسا والمجر تشكلت عام ١٨٧٦ ، بعد انقضاء عهد ال هابسبورغ في حكم الامبراطورية المساوية . فالقوات العثمانية وصلت الى فيينا عام ١٥٢٩ ، أي قبل أكثر من ٣٣٠ سنة تاريخ إعلان امبراطورية النمسا والمجر والمقصود أنها لم تكن في ذلك الوقت إلا « امبراطورية النمسا »

٢ ـ ذكر في المقال أن لجنة ألفت من ... أشرف عليها الانجليز وقدموها على ... (كما يقول صاحب المقال) ، وكانت مهمتها تهيئة أسباب توطين اليهود في سيناء ، وانشاء ... بلدية يهودية في أنحاء سيناء ، « ووصلت ... اللجنة سنة ١٩٠٣ ، وكان من بين شروط ... الدولة أن تحول مياه النيل إلى سيناء »

والآن نستطيع أن نتساءل كيف يمكن ...

ـ سماء بوجود عائق جغرافي ضخم مثل قناة
ـ ؟ هل هذه خطة حالية اتخذت اللجنة
على عاتقها مهمة القيام بها ؟ الا ان قلقنا
عندما نقرأ ان اللورد كرومر رفض الاقتراح .
ساه المطلوبة من النيل يؤثر على المساحة
ـ عة في مصر »

٣ ـ وفي المقال ان وكالات الانباء الدولية ذكرت
ـ ما اقترفته ايديهم في النصف الثاني من
ـ التاسع عشر من مذابح في البلاد التي كانت
خاضعة انذاك لحكمهم ، كمنطقة الارمن والبلغار
اليونان وحرب ورومانيا »

اولا لم نسمع من قبل عن منطقة تدعى
حرب ، وعن شعب يحمل ذاك الاسم (الاصل
ـ د ب) اما التعليق الثاني وهو أن منطقة
اليونان » التي ذكرها كانت مستقلة عن الدولة
عثمانية منذ عام ١٨٢٩ فهل دبرت فيها المذابح
ـ ؟ ثم إن مذابح الأرمن جرت معظمها في بداية
القرن العشرين

٤ ـ الملاحظة الاخيرة على ما ورد في السطور
الاخيرة من قوله عجزت الصهيونية بكل ملايينها
ـ ودها السياسي ودسائسها ، ان توطن يهوديا
ـ حد او تشيء مستعمرة بموافقة الدولة
عثمانية . فالرجل المريض لم يكن مريضا ، ولو تنبه
العرب الى أهمية شفاء الرجل المريض لتغيرت
الأحوال

لابد هنا من التحدث قليلا عن الاستيطان اليهودي
في فلسطين صحيح أن الحكومة العثمانية تنبهت إلى
ـ الهجرة والاستيطان ، وفرضت حظرا مؤقتا على
الهجرة واستملاك الأراضي ، لكنها عادت فرفعت
الحظر ثم عادت ففرضته مرة أخرى تبعا للقوى
الضاغطة عليها واختصارا نقول إن الحكومة
العثمانية ، لم تكن حازمة حزما أكيدا في قضية
الاستيطان والهجرة اليهودية

ـ الهجرة اليهودية الجماعية الأولى إلى فلسطين
ـ ت في مطلع ثمانينيات القرن التاسع عشر
١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ، وارتطمت بصعوبات كبيرة ،
لكنها نجحت في تأسيس ٢٢ قرية يهودية في
فلسطين ، وتوطين حوالي ٢٥ ألف عامل ومهاجر
أما الهجرة الثانية الكبرى فقد حدثت خلال فترة
١٩٠٤ ـ ١٩١٤ (في عهد الدولة العثمانية ايضا) ،
وشملت هجرة ٤٠ ألف عامل ومهاجر ، وشكلت
عصابات مسلحة تحمي المستوطنات

من ناحية ثانية يورد المقال قولا منسوبا إلى
السلطان عبد الحميد عندما « ردع » الصهاينة عن
مطالبهم في السيطرة على فلسطين « لقد ناضل
شعبي في سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ،
فليحفظ اليهود ملايينهم » فهل يعتقد صاحب
المقال أن الشعب المقصود هنا ، صاحب ارض
فلسطين ، هو الشعب الفلسطيني ؟

لعل تسمية « الرجل المريض » والصراع
الاستعماري الذي خاضته الدول العربية ضد الدولة
العثمانية أثارت عواطف كاتب المقال ، ونسي ان
الدولة العثمانية ـ وان كانت في اول عهدها دولة
نشرت الاسلام وفتحت بلدانا كبيرة على غرار ما قد
يخطر في البال من الفتوحات العربية في القرن السابع
الميلادي ـ قد أصبحت دولة تضطلع بدورها في ساحة
الصراع الاستعماري والامبريالي ، في مجال السيطرة
على الشعوب المغلوبة على امرها

هل كانت الدولة العثمانية « سليمة » عندما
قمعت حركات التحرر في المجر وبلغاريا واليونان
وارمينيا وفي الأقطار العربية ؟ وهل من دلائل هذه
السياسة « السليمة» قمع الحركة القومية العربية ،
وتعليق رواد النهضة العربية على المشانق في ٦ أيار في
بيروت ودمشق عام ١٩١٦ ؟ وهل يمكن الاستدلال
على « سلامة » الامبراطورية العثمانية بمجرد مراجعة
التدابير الحازمة التي اتخذتها لمكافحة العنصرية
الصهيونية ، ومكافحة الاستيطان الصهيوني ؟

ثم ما معنى العبارة الأخيرة المهمة في المقال
« ولو تنبه العرب إلى أهمية شفاء الرجل المريض ،
لتغيرت الأحوال » ماذا يعني هذا الكلام ؟ لقد
تغيرت الأحوال فعلا ، وها هي الأقطار العربية
مستقلة فهل المقصود من العبارة السابقة أن

فلسطين لم تكن لتصبح هدفا صهيونيا ؟ وما الدليل على ذلك ؟

يبدو أن صاحب المقال يرى بأن جسد الدولة العثمانية « كان مليئا بالحيوية ، وفياضا بالقوة » في عهد سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) ، وفي عهد سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) ، لأنهما استطاعا ضم أصقاع كبيرة إلى الدولة العثمانية . فسليم الأول احتل سوريا وأرمينيا وكردستان وفلسطين والحجاز والعراق ومصر والجزائر ، أما سليمان القانوني فضم المجر إلى الامبراطورية العثمانية . ومن المؤكد أن كاتب المقال لا يدرك أن السبب الأكبر في ضعف الدولة العثمانية لا يكمن في دسائس الدول الأجنبية بقدر ما يكمن في البنية السياسية والاجتماعية والإدارية للبلاد ، وإلا لما تقوضت الامبراطوريات الأخرى كالامبراطورية الألمانية والروسية وامبراطورية النمسا والمجر

لقد تشكلت في الامبراطورية العثمانية [illegible] السادس عشر طبقة غنية من الاقطاعيين [illegible] للتوسع في احتلال الدول ، ومن جهة ثان[illegible] القوى المتحة في الامبراطورية ، كما أن [illegible] التحرر القومية استمرت طوال الحكم العثم[illegible] سبى بهذا الخصوص حرب التحرير [illegible] وجهود محمد علي ، فقد سعى محمد علي [illegible] حكومة مستقلة عن الدولة العثمانية . [illegible] إلى أبعد حد ممكن ، وأسس أول دولة [illegible] معاصرة ، ولم تكن صلاته بالعثمانيين [illegible] وهو لم يتوان عن محاربة العثمانيين أنفسهم [illegible] هدفه . فهل كانت أهداف وجهود محمد علي [illegible] كانت في نهاية الأمر تؤدي بالضرورة إلى [illegible] الدولة العثمانية ـ أهدافا ذات صلة بالمخطط الاستعمارية ؟ □

هراج ساهاكيا

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

●

التراث العربي ما هو ؟

● يقول الدكتور عبد الحميد يونس « التراث العربي هو مجموع ما ورثناه ، أو أورثنا إياه أمتنا من الخبرات والانجازات الأدبية والفنية والعلمية ، ابتداء من أعرق عصورها إيغالا في التاريخ ، حتى أعلى ذروة بلغتها في تقدمها الحضاري

فالتراث على هذا هو تاريخ الأمة السياسي والاجتماعي ، والنظم الاقتصادية والقانونية التي شرعتها ، ومجموع خبراتها الأدبية ومنجزاتها في الطب والكيمياء والفلك والفيزياء ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، وفن التصوير ، والعمارة والتزيين ، يضاف إلى هذا الخبرات المكتسبة عن طريق الممارسات اليومية ، والعلائق الاجتماعية التي كثيرا ما تصاغ في حكايات وخرافات وأمثال وحكم ومرح تجري على ألسنة الناس بأساليب تعبيرية متنوعة ، تعكس خبراتهم النفسية والوجدانية ، ونشاطاتهم التخيلية ، ومواقعهم الاجتماعية ، ومواقفهم السياسية »

غموض الشعر الجديد

بقلم · سالم عباس خدارة

تواحه الحركة التسعرية الحديدة تساؤلات كتيرة حول طاهرة باررة ،
هي صعوبة وصول القصيدة إلى متلقيها
لما فيها مں عموص سواء أكاں المتلقي ىاقداً أم قارئا عاديا
فما أسباب هدا العموص ؟
وما علاقته باللعة والتقافة والحداتة ؟
وما ألوانه في التسعر الحديد ؟
هدا ما يتعرض له بالماقتسة هدا المقال !

اعلم بدءا أني سأحوص بحرا متلاطم الأمواح ، تكاد الرؤية فيه أن تتلاشى ، لكي ساحاول قدر طاقتي عبوره بسفينتي المتواضعة ، وهي سه لں تكتشف الكثير ، لكنها ستحاول مواحهة كثير

فالحركة الشعرية الحديدة تواحه تساؤلات كثيرة حول طاهرة باررة فيها ، هي صعوبة وصول قصيدة إلى متلقيها نقول طاهرة ، لأن ما أثير حول هده القصية كثير ، ولأن الكثيرين ما رالوا ساءلون شاكين ، سواء أكان الشاكي ناقدا أم قارئا عاديا ، وربما ستطيع أن نصل الى شيء ما حول هده قضية إدا استطاعت السطور التالية أن تحيب عن الأسئلة الآتية

ما أسباب العموص ؟
وما علاقته باللعة ، والحداثة ، والثقافة ؟
وما ألوانه في الشعر الحديد ؟

مفهوم الغموض

بود قبل المصي في حوارنا حول هده التساؤلات أن نقف قليلا لبياں مفهوم العموص ، وهو مفهوم لا يختلف في حوهره بين النقدين القديم والحديث . فكلاهما يرى أن اللعة الفنية يجب أن تتشح بمسحة من العموص حتى تشتاق النفس إلى المراد ، وكلا الموقفين يميز بين العموص الإيحابي والعموص السلبي

يقول عبد القاهر الحرحاني « ومن المركوز في الطبع أن الشيء إدا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى ، فكان موقعه من النفس أحل وألطف ، وكانت به أصن وأشعف »

ويقول في موضع آخر مشيراً إلى المعاني الغامضة « فإنك تعلم على كل حال أن هدا الضرب من المعاني

كاللؤلؤ في الصدف . لا يبرز لك الا ان تشقه عنه ، وكالعربر المتحجب ، لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ، ثم ما كل فكر يهتدي إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول اليه »

وهذا الوعي الدقيق لعملية الابداع الفني هو الاساس الذي ينطلق منه كل حديث حول مفهوم الغموض . فالغموض صفة تلازم الابداع الفني الاصيل . لكن هذا المستوى من الغموض الذي دعا اليه عبد القاهر يتصل بمفهوم الشعر في تلك العصور ، حيث كان معظمه يميل نحو الوضوح ، ومن ثم فان مستوى الغموض سيتأثر بتغير مفهوم الشعر ، اذ كان الشعر التقليدي في مفهومه العام رسما لنسق الوجود كما هو موجود ، نسق الوجود في بنائه الاجتماعية والثقافية والسياسية وهو نسق كان واضح المعالم ، محدد القسمات ، ولم يكن الشاعر يتجاوز هذا النسق الا نادرا ، وكان يواجه في تجاوزه النادر هذا بهجوم عنيف ، كما حدث في حالات مثل أبي نواس ، وابي تمام والمتنبي . اما الشعر الجديد فانه في حالة توتر دائم ، لانه في حالة تجاوز دائم ، بحكم العصر الذي نحياه ، وهو عصر كشف الكثير ولم يعد المكشوف سوى شوقا إلى كشف جديد ، وهكذا يستمر الشوق المتوتر في اكتناه المجهول . فالشاعر الجديد كما يقولون « ينظر الى الاشياء قبل وقوعها وكأنه يستبقها ، ولا يرى الوجود كما هو ، بل كما ينبغي ان يكون »

أسباب الغموض

ومن هنا كان الموقف الجمالي مختلفا ، وهو موقف يستدعي الغموض إلى ساحته في الشعر الجديد ، لان الموقف الاول يرى الفن وفق ظروفه التاريخية تقليدا ومحاكاة . اما الثاني فيراه حدسا ورؤيا . وهذا يعني ان الفن - ومنه الشعر - قد انتقل من مجال إلى آخر ، من مجال واضح المعالم يسيطر عليه العقل والمنطق في الدرجة الأولى ، إلى مجال غائم يهيمن عليه الاحساس والخيال تحت مظلة الرؤيا المتوترة للكون والحياة

فغموض الشعر يرجع في المقام الاول الى هذا السبب ، اي تغير مفهوم الشعر من القديم الى الحديث ، لكن هناك اسبابا اخرى ذكرها [illegible] نستطيع حصرها في الآتي :

١ - اعتماد الشاعر على ثقافته اكثر من [illegible] المباشرة

٢ - التجريب المستمر بدافع الحداثة

٣ - التخلف الثقافي للمتلقي

٤ - ارتداء الرمزية العميقة حجبا [illegible] الواقع

٥ - التركيز التعبيري الشديد . فالشاعر [illegible] حائر بين نوازع كثيرة ، لم يستطع ان [illegible] تجاهها ، ومن هنا يجد نفسه مضطرا كلما [illegible] استطاع ان يتشكل في نصع حمل صور [illegible] يحمل فيها تلك الازمة . لا بد له اذن من [illegible] الشديد . وهذا التركيز يؤدي بكثافة [illegible] الغموض

٦ - اللجوء الى التجريد . وهو ينشأ من [illegible] الشاعر بين الذات والموضوع ، فيلجأ الى [illegible] مستقل له علاقاته الداخلية المغايرة لما هو خارجي ومن ثم يحمل هذا العالم مصابيحه ولعبه [illegible] لوعي المتلقي ، الذي يقع في حيرة [illegible] والتفسير

٧ - التقليد الفج للنتاج الاجنبي . وقد [illegible] النقاد في بيان ملامح الآثار السلبية للشعراء الاجانب في شعراء الحداثة العربية ، مما يجعل ذكرنا هذه الآثار - ومنها اللجوء للغموض - نافلة من القول ، لكن لا بأس من الإشارة إلى أن تأثر شعرائنا بالاتجاهات الأدبية في أوروبا وبخاصة ما دعا اليه الرمزيون من تراسل الحواس ، ومزج المتناقضات ، وما [illegible] السرياليون من الصور الشعرية القائمة على [illegible] التداعي الحر لمعطيات الشعور في غياب أية [illegible] العقل أو المنطق ، قد أدى إلى الغموض

٨ - ضعف الأداة الفنية . وهو [illegible] وحيها ، لأن هذه الظاهرة يجب أن يحكم [illegible]

ـ ن من الشعراء ، وشعراء الغموض
ـ شعراء متمكنون . فإذا كان في شعر
ـ من فإن لغته النقدية تكشف عن آفاقها
ـو أن حظ ابداعه بالنسبة لنقده ، كحظ
ـ الديوان بالنسبة لنقدها مع الفارق بين

ـ ـب عند بعض هذه الأسباب من خلال
ـلاف الغموض بكل من اللغة والحداثة
ـرهي مصطلحات ذات علاقات حميمة فيما

ـوض واللغة

ـ ادونيس : لا يمكن ان نحقق ثقافة عربية
لا بلغة ثورية » وهو يعني « ثورية اللغة » ان
ـمه وبالتالي الكتابة ، قوة إبداع وتعبير
ـعربي في مناخ البحث والتساؤل والتطلع » .
ـرجو ان يودي لغة ادونيس وزملائه إلى
والتساؤل والتطلع . لكن الواقع يكشف ان
ـعة لم يود في مجال الابداع إلا الى الحيرة
والتراجع . ومن ثم ادت إلى سيحة معاكسة
ومي ازدياد تقيد المتلقي بموروثه . وارتيابه في
ـع الشعري الجديد
ـعة في واقعها الاجتماعي أداة اتصال بين
ـكنها في واقعها الفني أداة اتصال وتأثير .
ـت اللغة الفنية وظيفة الاتصال ، فان وظيفة
ـتلاشى . ومن هنا يفقد العمل الفني وجوده
ـ المتلقي واللغة في الشعر هي الشعر .
ـ الشاعر القديم قد ترك لغته مفتوحة عالما
ـ البيان والإخبار وفق ما تقتضيه طبيعة تلك
فان الشاعر الحديث قد أغلق لغته من هذا
ـ لأنه لم تعد ضرورة لوظيفة البيان
ـ الوسائل الأخرى تقوم بذلك خير قيام
ـ ـعة الشعرية لدى التقليديين من القدماء
ـ ـ شكلا للمضمون ووعاء للتجربة ، فإن
ـ ـ القصيدة الجديدة كما يرى أحد النقاد
ـ ـ م الوعاء أو الظرف الذي يحتوي
التجربة ، اذ تصبح التجربة نفسها فعلا لغويا ينبني أثناء عملية الصنع » ومن ثم فاللغة في الشعر الجديد من هذا المنطلق تختلف اختلافا واضحا عن اللغة في الشعر التقليدي . فهي تتحول من مجرد وسيلة في الاداء إلى لبنة من لبنات الدلالة في النص . فمنها فيما توحي به لا فيما تخبر به اخبارا . وفيما تولده في النص من اوضاع جديدة . لا فيما توضع له في الاصل والواقع ان هذه اللغة الجديدة التي تولد في النص اوضاعا جديدة . هي لغة على الرغم من احاسيها . فانها من خلال عملية الابداع المفتعل لدى بعضهم . أدت إلى سلسلة التعمية والابهام
فكل شاعر منكفيء على ذاته يخترع دواله الشعرية لتمايز عن غيره من الشعراء
والحقيقة أن الذاتية حاضرة بقوة في عملية الابداع الفني . لكن الاغراق في افتعال لغة ذاتية يصدم المتلقي . فيسقط في الحيرة واضطراب الرؤى

الغموض والحداثـة

كان النزوع إلى ابداع الجديد . يخلق في فترات من التاريخ صعوبة في التوصيل . فقد صادف الشعر العربي منذ قدوم بشار وأبي نواس وابي تمام والمتنبي هذا الامر . الا أن صعوبة التوصيل قد بدت ملامحها تظهر على نحو جلي في شعر ابي تمام والمتنبي ولعلنا في هذا المجال نذكر عبارة ابي تمام المشهورة عندما سئل لماذا لا تقول ما يفهم ؟ فأجاب لماذا لا تفهمون ما يقال ؟ هذه الاجابة تحمل في طياتها أن المبدع مدرك تماما لما يقوم به . لكن المتلقي هو الذي لا يحاول تجاوز ذاكرته الشعرية . فهو يطلب سماع ما اعتاد على سماعه . على أن هذه العبارة لا يجب أن تؤخذ على علاتها لتسويغ للشعراء الجدد ما يقومون به من عبث تحت وطأة برعاتهم الحداثية إن مقولة أبي تمام يجب أن توضع في إطارها الصحيح . وهو أن معظم شعر أبي تمام مفهوم لدى المتلقين في عصره ، ولم تكن قضية فهم شعره أو شعر المتنبي تشكل ظاهرة كالتي نعاني منها . ذلك أن الغموض كان جزئيا . أي يرد في أبيات قليلة كانت محل إثارة . وكد ذهن .

ومحالا لمثل تلك التساؤلات

والحداثة في الشعر-كما جاء على لسان أحد الشعراء الحداثيين-هي التوكيد على اولية التعبير ، أعني أن طريقة او كيفية القول أكثر اهمية من الشيء المقول ، وأن شعرية القصيدة او فنيتها هي في بنيتها لا في وظيفتها . وهذا القول يحمل في ثناياه التأكيد على وظيفة الشكل في الشعر دون وظيفة المضمون ، مع أحدنا في الاعتبار ان الشكل والمضمون وجهان لعملة واحدة هي البناء الشعري وهذا الاهمال المطلق للمضمون ، يعني نحيه كنتيجة يطرحه البناء الجمالي للنص ، ومن ثم يأتي الشكل التعبيري متابقا ، وتظل الحيرة في كيفية النفاد الى المضمون ، حيث تتمحص القراءة في اغلب الاحيان عن روية نتصادم في منطقها مع منطق العلاقات الواقعية ولعل هذا التكلف في العناية بشكل الشعر ادى الى ضبابية المضمون وتشكله المريب والعناية بالشكل تحت دافع الحداثة أمر لا غبار عليه ، لكن بشرط ان تكون العلاقة بين الشكل والمضمون علاقة ناجحة ، يوكد نجاحها وصولها إلى المتلقي ، وهو وصول يؤكد من زاوية أخرى مدى وعي الشاعر بالحداثة من هذا المنطلق

إن الحاح الشعراء على التجريب المستمر والميل إلى غموض المعنى في الغالب ، هو الذي دفع أحد الباحثين الى أن يقول إن من مظاهر الحداثة في الأدب الغموض في الشعر ، اي ان الغموض مقصود في التجربة الشعرية الجديدة ، بفعل الرغبة في الحداثة ، وأن ما ليس غامضا ليس حديثا وفق هذه المقولة والحقيقة أن الحداثة تعني التجاوز المستمر نحو التجديد ، من خلال رفض الأشكال والرؤى الموروثة أو المطروحة قبل التجاوز ، أمر يدفع له العصر الذي نعيشه ، وهو عصر يختصر القرون في لحظات ، وهذا ما لا يختلف عليه عاقلان ، لكن الذي حدث ويحدث كثيرا في نتاج التجربة الجديدة يخالف مفهوم الحداثة الحقيقي ، الحداثة المطلقة من واقعها ، والمتجاوزة له ، لأن التجاوز فيها ات من الخارج ، من نتاج غريب اللون والطعم والرائحة ، من نتاج القصيدة الانجليزية أو الفرنسية أو الأمريكية ، وهي ساحات تحمل رؤى ... البيئات ، رؤى تختلف عن رؤى الانسان ... وصحيح أن العالم قد أصبح قرية ... يقولون ، والتراث الانساني مشاع لبني ... وأن لنا يدا في صنع الحضارة الحديثة كما ... الحال ، لكن تبقى هناك خصوصية لا ... تجاوزها بسهولة ، خصوصيات كل مجـ... وثقافته وحضارته ، مهما كان مستوى ... وهذه الثقافة وتلك الحضارة . وهي ... وضعها في الاعتبار خلال عملية الاستـ... من الاخرين ، وقد عمل شعراء الحداثة عن ... أو تغافلوا عنها أثناء عملية السابق المحموم لاكتـ... ما هو جديد وحديث

الغموض والثقافة

لهذه القضية طرفان ، المبدع والمتلقي

الطرف الاول المبدع

يرى بعض النقاد أن من اسباب الغموض عند الشاعر الجديد على ثقافته أكثر من اعتماده على ... المباشرة ، فهو ذو ثقافة موسوعية ، لا يستمد ... من التاريخ أو من الأعمال الأدبية السابقة فحسب بل كثيرا ما يستمد من ثقافته العلمية اضعاف ... يستمده من ثقافته الأدبية ولعنا نلمس هذا ... بوضوح من خلال القصائد التي تعتمد ... الأسطورة ، أو التي تحتشد فيها الأساطير حشدا ... المتلقي أمام امتحان عسير نادرا ما ينجح فيه ونحن هنا لا نريد أن نغض الطرف عن أثر الثقافة في ... والشعر ، إنما نريد الكشف عن أسباب الغموض ... القصيدة الجديدة ، فلا شعر بغير ثقافة لكن ... هو ألا تستخدم هذه الثقافة على نحو تصبح ... لا يستطيع المتلقي النفاذ منه أو تسلقه وهذا ... بد منها ، وهي أن تجارب الشاعر لا تعني ... لواقعه أو اكتناهه لعلاقاته الجوهرية فحسب ... ترتبط تجاربه أيضا بالروافد الثقافية التي ... ومن ثم فإن ثقافة الشاعر تشكل جـ... مهم ... تجربته ، بل ربما تشكل هذه التجربة ...

...ـحو ...اه ايديولوجي معين . لكن ما يؤخذ على ...ـع أن تؤدي هذه الثقافة نفسها إلى انفصاله ...المتلـ... . لأن الثقافة المؤدية للغموض الشعري ...تلك الثقافة المنفصلة فصلا تاما عن رؤية ...ـرابع وهذا هو الإسراف الذي أدى الى هذه ...ـسنة . ومن جانب آخر ، فإن اعتماد الشاعر على ...ـته المؤدية إلى الغموض نصطدم بمقولة الالتزام . ...التزام الشاعر إذا كان ما بينه وبين المتلقي كما بين ...شرق والمغرب ؟ اللهم إلا اذا كان التزاما بينه وبين ...من النقاد يكتب لهم ، أو التزاما بينه وبين نفسه ...أسوأ الأحوال

...ف الثاني المتلقي

...ـيرا ما يتهم الشعراء الغامضون أو النقاد ...ـدون لهم المتلقى العربي بقصور ثقافته بل ...ـه يقول أحدهم « إن في مقدمة عوامل ازمة ...القصيدة الجديدة ، هذا التخلف الهائل الذي يعاني ...ـه الجمهور العربي وجهله عن استيعاب ابسط ...ـوط الفن والأدب ، فالأمية والقهر الاجتماعي ...ـياسي وغياب المؤسسات الاجتماعية ...ديمقراطية قد حكم عليه بأن يظل أسير تخلفه ، ...ـعه بعيدا عن التفاعل والانفعال مع أي جديد ...ى الى تجاوز التخلف الحضاري ومواجهته »

...ومن ثم نلحظ هوة واسعة بين الطرفين ، فالطرف ...ول - الشاعر - يعتمد على ثقافته الواسعة ، بينما ...ـد الطرف الآخر على تخلفه أو على ثقافته المحدودة ... حالة حسن الظن هذا ما يراه المدعون ...المساندون لهم في حركة الشعر الجديد ولعل الذي ...ـد من اتساع الشقة بين الطرفين هو هذه الحركة ...ـدية المساندة لهذا الشعر الجديد ، فهي - في ...ـه - بدل أن تيسر صعبا أو تصنع جسرا بين ...ـدع والمتلقي ، إذا بها تريد الأمر سوءا من خلال ...ـه ...ـو الآخر بالغموض ، بل ويطالب ...شعراء ب... ولنستمع إلى أحدهم وهو يمدح الشعر ...ـن ...ـح الناقد ، فكيف القارىء ؟ يقول ... ... ج من الشعر ، الجدير وحده بلقب ...ـعر الشعر - الكشف ، الشعر - الرؤيا ، الشعر - الإضاءة وهو الشعر الذي يطوي على شيفرة شعرية خاصة ومتميزة ، تطرح على الناقد تحديا أساسيا هو تحدي فك رموز هذه الشيفرة الشعرية المعقدة »

وإذا كنا نسلم بشيء من اتهام هؤلاء لجماهيرهم ، فإن هذا الاتهام لا يسهل تسويقه إذا ما حوصر بمثل هذه التساؤلات

لماذا يشكو الجمهور العربي من غموض الشعر الحديث ؟

هل هو جمهور متخلف ايضا ؟

لا أظن أن حداثيا سيقول إن الجمهور الفرنسي جمهور متخلف إذن لماذا عبّر شاعر كبير مثل اراجون موقفه من الغموض فقد خدع هذا الشاعر في حياته بتيار الغموض الذي جرف شعراء فرنسا بين الحربين العالميتين ، لكنه ما لبث أن التصق بشعبه ، فصفع السريالية صفعة قاسية وكانت روحته تتصحه بالبساطة والوضوح حتى يصل صوته الى الجميع

الخلاصـــــة

إن النقد الذي أبدعه شعراء الغموض كان نقدا واعيا في أطروحاته الفنية المختلفة ، لكنه لم يستطع في مجال الإبداع من مجاراته . فقد تاهت السبل بالشعراء في هذا المجال ، فلهثوا تارة وراء الاقتراب من المعاصرة من خلال تقليد القصيدة الأمريكية أو الانجليزية ، كما لهثوا تارة أخرى تحت اسم الجديد وراء الاشتغال بإيجاد مرتكز فكري يجاوز الأفكار ، وليس وراء الوقائع والأحداث

وبعـــد ،

فليس صحيحا كل ما يتكيء عليه التقليديون ، وليس صحيحا كل ما ينادي به الحداثيون ، والصحيح الذي نراه هو النزوع إلى الجديد من خلال استيعاب الماضي والحاضر ، وتجاوزهما ، والتجريب المنضبط ، والتعريب المفيد ، مع مساندة حركة نقدية فاعلة ، لا تصفق بحمق ، ولا تخشى الاتهام□

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم حسين أحمد أمين

قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) سورة الإنسان ٨ - ١٠

عن ابن عباس : آجر علي بن أبي طالب نفسه ليلة يسقي نخلا بشيء من شعير . فلما قبض الشعير طحن ثلثه وجعل منه شيئا ليأكله فلما تم انضاجه حتى أتى مسكين فأخرج اليه الطعام . ثم طحن الثلث الثاني . فلما تم انضاجه أتى يتيم فسأل فاطعمه . ثم عمل الثلث الباقي فلما تم انضاجه أتى أسيرا من المشركين فاطعمه . وقضى يومه ذلك هو وأهله دون طعام . فانزلت فيه هذه الآيات

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى في سورة الحشر (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) قال عبدالله بن عمر : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : ان أخي فلانا وعياله أحوج الى هذا منا . فبعث بالرأس اليه . فاذا به يرسله الى ثالث يرى أنه أحوج اليه منه . فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداوله سبعة ... رجعت الى الأول . فنزلت هذه الآية

كان الناس في الجاهلية يطعمون الطعام ... الغرباء . وربما كان بعضهم يؤثر الاضياف ... ولو كان به خصاصة . غير أن الحافز ... الجود غير حافزه في الاسلام . فاساسه ... كان التقاليد القبلية ، ومقتضيات ... الصحراوية . وكراهة أن توصم القبيلة ... الفرد منها بالدناءة والبخل . والحرص على السمعة وعلى أن تتحدث بجودهم ... الشفقة ومشاعر التضامن الاجتماعي ... الظلم وازالة البؤس . والخوف من ... فاعتبارات ما كانت لتخطر بأذهانهم . ... نجد لها أثرا في قصائد الشعراء الجاهليين ... بجودهم . أو أثنوا على جود غيرهم ... المساكين واليتامى والأسرى بأولى الناس ... تمد لهم يد العون . وبأن يحظوا بثمرات ... كان أولاهم من توسم فيه المحسن ... الجميل . والاسهام في اعلاء الصيت ...

ـ الآيات القرآنية التي نتحدث عنها تقر
ـ . ونذكر في الوقت ذاته بواعث أخرى
ـه في الحراء والشكر ، وتحذر من معبة
ـان كان في ظاهر الآيات حديث عن
ـ أفراد . فإن إعمال الفكر في معانيها
وإمعان النظر في الحكمة المقصودة منها ،
ـ التطلع بأنها إنما تنطبق على العلاقات بين
لمانها على العلاقات بين الأفراد

ـ كارل ماركس في القرن الماضي بأنه من
ـده لنظام الرأسمالي ان يرتد الفجوة بين
معيشة الأغنياء ومستوى معيشة الفقراء ،
ـان تزايد اتساع الفجوة بين الطبقات ان
ـرة الكادحين غير أن الواضح ان الكثير
الرأسمالية (في أوروبا الغربية والولايات
ـد امكنها في القرن العشرين أن تحبط نبوءة
ـن طريق العمل على تضييق هذه الفجوة
ـائل . ورفع مستوى أفراد الطبقة العاملة
حقق قدر معقول من العدالة الاجتماعية
التورة . وبعد أسباب التوتر والسخط
ـلك ، فإن نبوءة ماركس بدأ يظهر صدقها
ـحققها في مجال آخر ما كان هو نفسه ليتوقعه
ـه الا وهو اتساع الفجوة بين مستوى
الدول الغنية والدول الفقيرة مما ينذر الآن
ـعواقب في ميدان العلاقات الدولية لقد
ـدن الدول من تحقيق رفاهة في عيش
ـبين أحيانا الى حد البذخ . في الوقت الذي
ـ المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في دول
ـ كان الفقراء في الماضي أقل إحساسا
ـ تبرما به وثورة عليه من فقراء يومنا هذا
ـ ركون جيدا ـ بفضل الاذاعة والصحافة

والسينما ـ كيف يعيش غيرهم في الدول الغنية المتقدمة ، وما يتقلبون فيه من نعمة وترف فالفجوة قد صارت واضحة لكل عين ترى واذن تسمع ومع وضوحها زاد احساس الفقراء بفقرهم ، وضيقهم بوضعهم وثورتهم على واقعهم اذ يحرمون مما يرون غيرهم يستمتعون به وقد نما عندهم من التطلعات والمطامح ما لم يعرفه أجدادهم ، وما ليس بوسع اقتصاد دولهم الفقيرة أن يُحققه لهم أو يُشبعه

وبالتالي . فقد غلب عليهم الشعور بالقهر والاحباط والسخط والمذلة ، وهي مشاعر كثيرا ما باتت تجد متنفسا لها في حروب أهلية ، أو حروب بين الدول المتخلفة ذاتها او في أعمال عنف وتخريب ، أو في عمليات إرهابية تنفذ ضد مصالح الدول الغنية أو في أراضيها ذاتها وضد رعاياها

وقد بدأت الدول الغنية تستشعر القلق ازاء هذه التطورات ، وتدرك أن أمنها ورغد عيشها لا يمكن الاطمئنان الى استمرارهما ما دامت هناك شعوب ودول خارج حدودها ، تغلب عليها مشاعر الحسد والاحباط والاحساس بالظلم والقهر وقد يحسب رؤساؤها والسلطات فيها ان الخطر منحسر ان هي اتخذت الاجراءات القوية لمحاربة الارهاب ، أو عززت من حراسة مصالحها في الخارج ، أو حدت من دخول رعايا الدول الفقيرة اليها أو أبعدتهم عنها ، أو وحدت جهودها مع جهود غيرها من الدول الغنية لوضع حد لهذا الخطر المستفحل غير ان الخطر ـ في اعتقادنا ـ سيظل ماثلا وقائما ما دامت المظالم ماثلة ، والفجوة بين الشعوب قائمة ، وما دام السعي الى تحقيق العدالة الاجتماعية في نطاق الأفراد والطبقات في الدولة الواحدة لم يتبعه السعي الى تحقيقها بين الدول كافة □

بقلم : برهان الخطي

أيقظه من النوم عين الحلم المرعج ، رأى نفسه بصحبة عدد من مشاهير الشرق الأغنياء ، جالسا في صالة منعزلة بمطعم « مكسيم » في باريس ، أو في لندن ، لايدري بالتحديد وحول مائدة خالية إلا من صحون « البورسلان » الطيبة والملاعق والسكاكين الفضية،جلس في صمت مطبق بانتظار تقديم الطعام إليهم ، وحولهم (شمعدانات) متألقة بأنوارها أمام مرايا محيطة بهم جاء الخدم بمهابة ، يحملون أوانٍ كبيرة ، فوضعوا للجميع وجبة واحدة عجيبة « براغي » صخمة من تلك التي اشتراها

قبل أيام ، طقطقت واستقرت في الصحون لكل واحد منهم ، وانتصب الخدم قريبا منهم با الاقبال عليها !
التفت الى أحدهم يستفسر ، فاكتفى هذا برفع نحوهم ، كأنه يأمره كل قبل أن تبرد براغي اللذيذة ، لكنه لا يستطيع تناولها ولم يبق له الطفو إلى اليقظة

تلمس في النور الرمادي ساعته اليدوية عن السرير ، ما زالت هناك ساعات طويلة حتى إقلاع طائرته أهذا الحلم علاقة بمشكل

* [illegible]

م ـرقية التي تلقاها قبل أسبوع ؟ ولما لم
ال ـدة إلى النوم نهض من فراشه محاذرا إيقاظ
هر بجواره
ـد دقه على راحة يده كان قد تعرف على
ي حفلة أقامها أصدقاؤه بمناسبة عيد رأس
وحول مائدة الدعوة لم يتحاهلها ولم
، عياها الكئيبتان الواسعتان أسرتاه ، وقد
الآخرون ذلك ، وشجعه أحدهم هامسا في
ل منتصف الليل
يا سيل ، ما هذه الرسميات ؟ إن الأعياد نهاية
وبداية لمستقبل جديد
ـدما دقت الساعة الثانية عشرة تقارعوا
وس ، وعلت الهتافات ، وبعد ذلك تبادلا
ام لأول مرة وسط الصحيح ، لكن بابتسامة
من كليهما ، ثم شاركت هي بعد الحاح أحدهم
ص الصاخب كانت حركتها بطيئة لامبالية ،
ـرت إليه طويلا دون مواربة ، فرفع لها كأسه
بعده في الزاوية-خافتة النور-محييا ، فأحابته
، رموشها الطويلة ممتنة ، ثم غرقا بعيدا عن
ما ، هي في الزحام ، وهو في دخان سجائر لم
ب تدخينها
ا انسابت الموسيقا هادئة وحدها تقف أمامه
ا الكئيبتين وخالها الغامض الباهر وقوامها
ق الملفوف بفستان سهرة أسود
نحب الرقص قليلا ؟
ر السائل في قدحه مضطربا وأجاب بنبرة
ة متسلية
، سمين كما ترين ، فإذا تحركت معك بدوت دبا
وصة في سيرك !
بهض بصعوبة متلقيا يدها الممدودة إليه ،
الت وهما يتمايلان بطيئا وسط الراقصين
ب أن يكون رجل في مثل عمرك وحيدا في
ه كهذ !
. نما ك يفكر فيه
عرب تكون فيها فتاة وحيدة مثل حالك !
ـ وحـ ا بإيماءة حرج فيما تلامعت عيناها

وهمهمت
ـ في الأعياد يعود العشاق إلى زوجاتهم
واقترب إليها يطرد عنها وحشة
ـ المتوحدون يتحدبون إلى بعضهم إذن ؟
قالت بأدب جم مشيرة برأسها إلى أصدقائه
ـ هذا من تدبيرهم ، لكن لاتدعي الوحدة وعندك
كالآخرين ثلاث زوجات في بلدك !
داعب أرنبة أنفه بقفا سبابته
ـ المعذرة لكن هذا الانطباع عنا لم يعد عصريا على
الأقل
فرمقته من خلف خصلة شعرها بعذوبة
ـ ما العصري إذن يافرويد هذا العصر البائس ،
خبرني ؟
رفع حاجبيه دهشة
ـ معلوماتك وافية ، لكننا نعاني اليوم من نفس
أمراضكم
هزت رأسها متأثرة ، أومستنكرة وعقبت
ـ إن المرأة في هذه الحال أكثر إحساسا بالوحدة
فضحك
ـ مع هذه الصلعة والسمنة والطلاق يكون إحساس
الرجل بها أقوى
ـ لاتبخس نفسك ، أنت ممتلىء فقط ، والصلعة
علامة ذكاء ، خذ مثلا أغلب العظماء ، أما
الطلاق
سكتت ، وتسللت بينهما أنغام البيانو في جهاز الموسيقا
معومة ينبوع
وفي الشارع كان الثلج قد كف عن التساقط ،
فبدا المدينة في ردائها الأبيض الناصع السميك ،
والمصابيح في أشد لمعانها تركا سيارته الصغيرة
رابضة في مكانها ، ومضيا إلى البيت مشيا
ولما أوصلها بعد أشهر إلى عملها ذات صباح ظلت
غائمة الوجه طوال الطريق ، وكانت كآبتها قد
فارقتها منذ مطلع العام ، فسألها عن حالها لكنها لم
تجب بغير ابتسامة حزينة ، فأدرك ما تحاول اخفاءه
عنه ، ومنذ ذلك الحين والأحلام الثقيلة والكوابيس
تطارده . ألح عليه في البداية حلم عجيب آخر ،

يرى نفسه فيه طفلا قدم إلى بيروت مصححة والدته للاصطياف ، يلعب على « الفيسبر » طويلا ، وحين يعود إلى الفندق يراها شعثاء الشعر تدخن في السرير المكشر ، وعيناها الدامعتان شاخصتان في السقف ... حتى لم يعد يميز في النهار ما اذا كان ما يراه حلما حقا أو ذكرى عن حادثة وقعت فعلا وعلقت في ذهنه كبقعة قطران على رداء ابيض . فكر بالكتابة عن ذلك إلى والديه لتبدد عنه الأوهام ، لكنه خشي وقوع الرسالة بيد ابيه فيسوء التقدير والتدبير فيكتفيه منه قطع المال عنه اشهرا عقابا على بقائه طويلا في الغربة . ولولا مريم لخاطر ... ها قد بدد الحلم القديم باحر أثقل ءكله « براع » صحيحة ، قد سلم الرفيه قبل فيره ... « والدتك مريضة تود أن تراك »

لعله كان سيضرب كل الأحلام بعرض الحائط لولا أنه ما جاء إلى هذا الصقيع البعيد إلا ليدرسها مع ما يدرس ، وليقف على منابعها وتأثيراتها سابقا ولاحقا في حياة كل واحد منا ... والده أيضا دفعه إلى ذلك

- هيا ... هيا يا نبيل ، سافر ، سوف تصبح عالم نفس يملأ ذكره الدنيا ، ما أكبرها حرفة ! تدر ذهبا في الغرب ، وعندما تدر أكثر ، سوف نحتاج إلى أمثالك في المستقبل أكثر من المهندسين والأطباء

لعل مشكلته كانت تبدو هينة جدا لو عرضها اخر عليه ... فهل هي المرة الأولى التي يسمع فيها عن حب رجل شرقي لامرأة لها ماض ، فلا هو قادر على الزواج بها كما يدعوه قلبه ، ولا الافتراق عنها كما تهيب به تقاليد الأجداد

إنما المشكلة الآن في روحه ودمه ، في قلبه وعقله ، ولاسبيل إلى مهادنة ... في معالجته لحادثة بيروت قاده استبطانه لوعيه إلى أن يجعلها كابوسا أو ذكرى حب ، وهو أمر حتمي لتورع أهوائه شرقا وغربا ، فهو صراع بين قديم وحديث ينتصر فيه الأقوى لا الأفضل بالضرورة ! لكنما الأكثر دلالة أن يكتشف حقيقة ما ألح على ذهنه . فإذا كان كابوسا حقا ، وانعكاسا مقلوبا عن الواقع ، فالماضي إذن سليم ، والعيش في هناء واجب ، أما اذا كان ذكرى فعلا ، أي صورة حقيقية للواقع ، فإن ماضيه في هذه الحال وهم مؤكد لابد من إنكاره ومشكلته بالتالي مع ... حوله عقدة حلها في يده

تثاءب على الوسادة مطللا عينيه ... يعرف أنه لن يجد الجواب عن سؤال ... والدته ، فكيف يفاتحها ؟ استبعد فمكاشفة والدته عند زيارته للأهل ... كيف ؟ كيف يحرق هالة القدسية ... وينبش الماضي الذي ظن أنه مات ؟

وراح سابحا الى صباب السـ... يطارده ، ما قصية « البراعي » الصحن ... يأكلها قبل أن تبرد ؟ يكاد يشعر بطعمها ... الآن في معدته ، عليه هضمها بحامض ... أو لفظها الى الخارج تقيؤا ... أتكون هذه ... حضارة عصرنا ؟ أوه ، كلا ، لقد ... بعض علماء النفس المهووسين ... وتحويلها من لقمة عشاء لم تكن ... احتماعية مصيرية خطيرة ... لكن ... وعليه في كل الأحوال أن يتأكد من ... الأقل ... بيروت كابوس أم ذكرى ؟ ... الحل كما يؤكد المنطق ، ولسوف ... حصيمة لاتلحق أذى ، أجل ، سوف ... فراش المرض رأيها في زواجه ... شيء ، فربما تباركه وربما تجد عندها ... البراعي ... كان الصمت مخيما في ... استيقظ ، وكانت حقيبته تنتظره ... ومريم تنتظره في عملها لتوديعها وهو في ... المطار ، والافطار جاهز هناك على المائدة ... مضى الى الحمام ملقيا نظرة عبر النافذة ... بسيول أمطار لايدري من أين أتت ... بعد حلمه المرعج ساعة أخرى أو ... أنه سمع قبل قليل رنين جرس ... باب يفتح أو يغلق

وفاجأه خطاه الى طاولة المطبخ ...

« البراعي » الذي عرفه جيدا من ... تقول

« إنا لله وإنا إليه ... »

إعداد . يوسف زعبلاوي

طريقة جديدة لتشخيص الجلطات وتصلب الشرايين

● هذا جهاز جديد يمكن الأطباء من تشخيص حالات تصلب الشرايين وإنقاذ الكثيرين من هذه الآفة التي كثيرا ما تكون قاتلة . والجهاز جهاز تصوير أولا وأخيرا ولكنه يختلف كثيرا عن أجهزة التصوير القديمة

يسمونه QAD-1 ويتميز بأنه يحتوي على كمبيوتر ويرسم الخرائط ويلون ويصنعه إحدى الشركات في ولاية واشنطن . وأهم ما يذكر عن هذا الجهاز أنه يتيح للطبيب فرصة مشاهدة دم المريض وهو يجري في عروقه ، ويمكنه من تبين هذه العروق في الوقت نفسه وذلك على شاشة الجهاز ودون أي تأخير

أضف إلى ذلك أن الطبيب يرى الدم بلونه الأحمر المعروف ، ويرى الأنسجة بلون رمادي ، ويرى باللون الأزرق الجلطات التي قد تعترض سبيل الدم أو تسبب تغيرا ما في اندفاعه أو مسيرته ، ومعنى هذا أن الجهاز لا يصور فحسب ، ولكنه يشخص ويحدد العلة أيضا . ولا يترك للطبيب أي مجال للاجتهاد أو التخمين ، بخلاف الأجهزة القديمة (duplex system)

والجدير بالذكر أن الفضل في ابتكار الجهاز المذكور ، إنما يعود إلى شركة يابانية . وفي الإمكان تطوير الجهاز بحيث يمكن الطبيب من تشخيص السرطان والحكم فيما إذا كانت الأورام المتسببة بها خبيثة أم حميدة . وكذلك تطويره بحيث يستطيع الطبيب رسم مدى نجاح عمليات الزرع عامة وزرع الكلى خاصة .
ويبلغ ثمن الجهاز الواحد ١٢٥٠٠٠ ـ ١٧٥٠٠٠ دولار
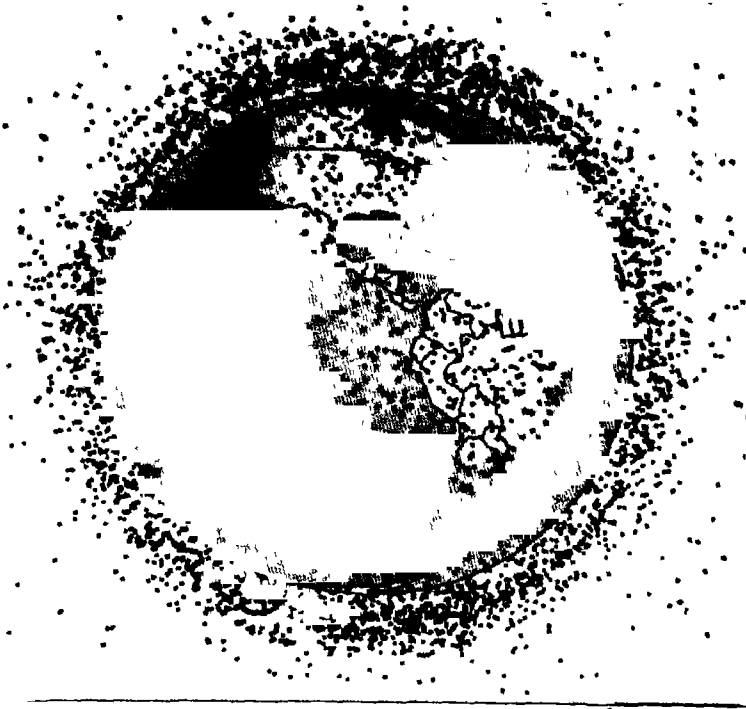
مستودعات خردة في الفضاء

يسعى العلماء الأمريكيون وغيرهم ، إلى تحديد السبل والتكار الوسائل الكفيلة بدراسة نفايات الفضاء وأخطارها ، دراسة شاملة مستوفية وذلك بقصد التمهيد للعمل من أجل القضاء على تلك النفايات ، أو على الأقل الحد من تفاقمها ، وتشمل هذه النفايات السابحة في الفضاء الخارجي والتي تدور حول الأرض كما تدور حول الأقمار الصناعية أقمارا صناعية تالفة ، مفاتيح ومنصات محركات صواريخ مستهلكة ، ناهيك بأجزاء وقطع الأقمار الصناعية التي انفجرت لسبب أو لآخر ، وعددها يزيد على ٩٠ قمرا واستطاع العلماء التأكد من أن تلك النفايات ما لا يقل عن (٧٠٠٠) قطعة بحجم كرة التنس او يزيد

ولا يخفى ما تنطوي عليه (مزبلة الفضاء) هذه من مخاطر ، فهي لا تهدد الأقمار الصناعية فحسب ، ولكنها تشكل خطرا كبيرا أيضا على تلسكوب الفضاء الضخم الذي ستطلقه (ناسا) عما قريب ، وعلى مختبر الفضاء وكذلك على أسلحة حرب النجوم ، فهذه منشآت هامة بالغة التكاليف وذات قيمة علمية كبيرة لا يجوز تعريضها لأي خطر ، ناهيك بخطر النفايات وحسبك أن قطعة صغيرة من تلك النفايات بحجم حبة البازيلا كفيلة بتحطيم قمر صناعي بكامله اذا اصطدمت به ، وقد تبلغ كلفة هذا القمر ١٠٠ مليون دولار ، وهي على كل حال تعتبر تافهة اذا قورنت بتكاليف تلسكوب الفضاء أو المختبر الفضائي أو أسلحة حرب النجوم

والرسم المرافق لهذا الكلام رسم واقعي وقد وضعه جهاز « الكمبيوتر » بناء على المعلومات التي غذوه بها ، وهي تمثل النفايات التي تدور حول الأرض على ارتفاع منخفض نسبيا

حليب من السمن البلدي

● نشرت مجلة لانست الطبية العلمية البريطانية تقريرا هاما للدكتور « جاكوبسون » ، أحد كبار الاختصاصيين في مستشفى شايدر للأطفال في بلدة نيوهايدبارك في ولاية نيويورك

ويؤكد العالم المذكور أن تناول السمن أو الزبد الحيواني (Ghee) باستمرار يعرّض المرء للإصابة بمرض القلب ، ذلك أن الدهن المذكور يحتوي على أكاسيد الكولسترول ، وهي الأكاسيد التي تتكون في الأطعمة التي تحتوي على الكولسترول فيها إذا حفظت هذه الأطعمة لمدة من الزمن بعد اعدادها ، وهي قادرة على التسبب بانسداد الشرايين

وتدل التجارب والفحوص التي أجراها الدكتور « جاكوبسون » على جماعات من الهنود المهاجرين المقيمين في لندن وفي جزر الهند الغربية على ارتفاع نسبة الذين يصابون بتصلب الشرايين بين اولئك المهاجرين ، وارتفاع نسبة الذين يموتون بسبب مرض التصلب

ويشير الدكتور « جاكوبسون » الى أن الزبد الحيواني يدخل في صناعة كثير من المأكولات الهندية ، يذكر منها على سبيل المثال الكاري وهي مأكولات لا غنى للهنود عنها حيثما كانوا

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

استنشاق الانسولين

نجحت مؤسسة الأبحاث الطبية في بوسطن في تطوير أداة تمكن مرضى السكر من تناول الانسولين استنشاقا بالأنف ، لا حقنا في العضلات وقد استغرقت أعمال التطوير هذه خمس سنوات ، لكنها تكللت بالانجاز الذي طالما تطلع إليه العلماء ، وسعى إلى تحقيقه التقنيون ، منذ العشرينيات من هذا القرن

ذلك أن الكثيرين يتذمرون من حقن الانسولين في أجسامهم ، حتى لو كانوا هم الذين يجرون هذا الحقن بأنفسهم

فالأسلوب الجديد لا يتطلب أكثر من استنشاق الانسولين من الانبوب الصغير الذي يحتوي على عدد محدود من الجرعات ، ويسمح باستنشاق الانسولين بضع مرات في اليوم ، وذلك قبل تناول الوجبات لو أمكن وهو يضمن وصول الانسولين إلى الدم بسرعة لا تقل عن السرعة التي يصل بها إلى مجراه في حالة الحقن في العضلات ، ويضمن كذلك تنظيم مقاديره في الدم بمثل الاحكام الذي تضمنه حقن الانسولين في العضلات

والسر في هذا الأسلوب الجديد يعود إلى المادة التي تضاف إلى الانسولين عند تعبئته في الأنابيب الصغيرة ، فهي التي تسمح للانسولين بالتغلغل إلى مجرى الدم ، عقب استنشاقه بالأنف

وتتحفظ مؤسسة الأبحاث الطبية ، وتقول بأن هذا الأسلوب الجديد قد لا يغني بحاجة بعض مرضى السكر الذين قد يضطرون إلى حقن الانسولين مرة واحدة في الصباح ، بالاضافة إلى استنشاقه هذا وقد تقدمت المؤسسة بطلب ترخيص الأسلوب الجديد من وكالة الغذاء والدواء □

سلامة البشرية في سلامة البيئة
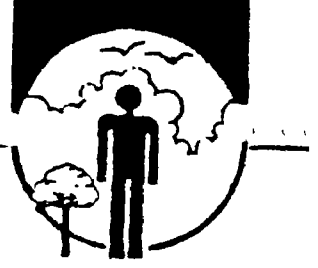
أول اتفاقيـــــــة بيئـــــــة شاملة

أيقن العلماء لأول مرة في الصيف الماضي (٨٧) أن مظلة الأوزون الواحدة بالتلف ، وأيقنوا أن تلفها يعزى ـ دون أدنى شك ـ إلى عدد من المواد الكيماوية التي اكتشفت عام ١٩٧٢ ، ثم دخلت في صناعة الثلاجات وصناعات أخرى عديدة ، نذكر من هذه المواد الرغوة البلاستيكية والفلور وهايدر وكربونات ومواد التنظيف ، ونذكر عن طبقة الأوزون التي أخذت تتلف أنها مظلة ممتدة في الجو على ارتفاع (٦ ـ ٣٠) ميلا ، وأنها تقي الكائنات التي تعيش على سطح الأرض من فائض الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء ، وهو فائض فتاك دون أدنى ريب .

ذلك أن ١٢٠ عالما أتوا من شتى بلدان العالم إلى جنوب شيلي ، وتحديدا بلدة « بونتا اريناس » في أقصى الجنوب ، خلال شهري أغسطس وسبتمبر ١٩٨٧ م ، وذلك للقيام بدراسات مستفيضة لظاهرة تلف الأوزون ... وللتأكد من الأسباب التي أدت إلى تلف مظلة الأوزون الواقية . وقد قام العلماء برحلات جوية علمية (٢٥ رحلة بالتحديد) في أجواء القطب الجنوبي وعلى ارتفاع ٤٠,٠٠٠ (على متن طائرة دي سي ٨) وعلى ارتفاع ... (على متن طائرة من صنع لوكهيد) شقيقة طائرة التجسس U — 2 ، وقد بلغت تكاليف هذه الرحلات والدراسات بلغت نحو ١٠ ملايين دولار دفعتها الولايات المتحدة .

وقد أثبتت دراسات العلماء وأبحاثهم أن طبقة الأوزون الواحدة في ... وأن متوسط نقص كثافتها قد بلغ ٧ ٪ ، وأن هذا التلف شامل لحزام الأوزون ... يلف الكرة الأرضية كلها ولا يقتصر على منطقة القطب الجنوبي وحدها ... طبقة الأوزون في القطب الجنوبي يفوق تلفها في غيرها .

وغني عن البيان أن ثمة أخطارا جسيمة تترتب على هذا التلف إذا لم يوضع حد ، ومن هذه الأخطار انتشار سرطان الجلد ومرض العيون (السد) cataracts وإضعاف جهاز المناعة ، وقد يؤدي تفاقم التلف إلى القضاء على الحياة بكل صورها وأشكالها .

إذن لا عجب إذا تم التوقيع على اتفاقية الأوزون الدولية (في مونتريال ... شهر سبتمبر ٨٧) ، تلك الاتفاقية التي كانت موضع نقاش وجدل طوال السنوات الخمس الماضية والتي وقعتها ٢٣ دولة ، بالاضافة إلى الولايات المتحدة ودول السوق الأوروبية المشتركة ، دون أي تردد ، بعد ظهور النتائج العلمية التي تمخضت عنها أبحاث العلماء الميدانية سالفة الذكر .

الأوزون ... الاتفاقية الأخيرة

تنص هذه الاتفاقية على الحد من انتاج الفلوروهيدروكربونات وأمثالها ، بمقدار النصف تدريجيا حتى نهاية القرن العشرين (١٩٩٩)

بيد ان الاتفاقية استثنت الدول النامية ، فسمحت لها بالمضي في انتاج المواد المذكورة دون قيد أو شرط مدة عشر سنوات ، وذلك حرصا على مشاريع التنمية فيها ، كما سمحت للاتحاد السوفياتي بمواصلة إنتاجها حتى عام ١٩٩٠

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

مبادرة طيبة

لكنها لا تعفي

من المسؤولية

تعتبر مادة بولي كلوريتد بايفيل (PCB) من أخطر المواد الكيماوية الملوثة . وقد أثبتت الدراسات انها مادة مسرطنة ، اي تسبب السرطان ، وذلك قبل نحو عشر سنوات ، فعمدت وكالة البيئة في الولايات المتحدة الى حظرها

ويبدو ان الرقابة المحكمة التي يتطلبها هذا الحظر لم تكن متوفرة في السنوات الماضية ، ذلك أن احواضا كثيرة من مادة (PCB) قد ظهرت في ١٤ ولاية ، دون أن تدري سلطات البيئة عنها شيئا والغريب أن الذي أخطرها بوجود هذه الأحواض لم يكن سوى الشركة المتهمة نفسها

والشركة المذكورة هي شركة خطوط أنابيب الغاز الشرقية (تكساس) فهي التي تملك خطوط أنابيب الغاز التي تمتد من ابار تكساس الى نيوجرسي والتي يبلغ طولها نحو ١٠,٠٠٠ ميل ، وهي المسؤولة بالتالي عن تسرب مادة (PCB) من تلك الأنابيب ، وعن تجمعها في أحواض ، بعضها بمساحة مقدارها فدانان ، وبعمق مقداره ١٧ قدما ، وقد بلغ مجموعها ٨٩ حوضا .

خطوط انابيب الغاز ... تلوث الذي احدثته

وقد أثبتت الفحوص والدراسات التي أجرتها وكالة البيئة أن تلوث التربة حول الأحواض المذكورة قد بلغ ٢٤٠ ضعف الحد الذي تسمح به الوكالة ، وان المادة المسرطنة تغلغلت في باطن الأرض ، وانتشرت حتى أصبحت قاب قوسين من مياه بعض الآبار المخصصة للشرب (٢٠٠ قدم فقط) من هنا كان قرار الوكالة بتغريم الشركة مبلغ (١٥) مليون دولار ، وبإلزامها بالقيام بأعمال تنظيف شاملة للمواقع التسعة والثمانين التي ظهرت فيها الأحواض وهي أعمال تقدر تكاليفها بأكثر من ٤٠٠ مليون دولار وستعمد الشركة الى التخلص من مادة (PCB) إما بحرقها في أفران خاصة عالية الحرارة ، أو بدفنها في المواقع التي تحددها لها الوكالة

الواجهة البحريّة

ارتفعت الجدران الاسمنتية على شاطىء الخليج وامتدت الـ
المرصوفة ، ووقفت اشجار النخيل وسط جزيرة خضراء ، وأصبح مشـ
الواجهة البحرية حقيقة ملموسة تراها العين ، بل غدا معلما سياحيا يجـ
الناس اليه على مدار الساعة لقضاء أحلى الاوقات وأسعدها
الراحة من خضرة الاشجار وزرقة المياه حتى لايبارح لكل من تعـ
يومه من العمل والمسئوليات ومشاغل الحياة المتعددة ، ولاشك ان وجود .
مناسب للعائلة يروح فيه افرادها عن انفسهم يعني متنفسا تقضي فيه الا .
يوم اجازتها بعيدا عن المنزل وخارج جدرانه هكذا كانت البداية و .
مشروع الواجهة البحرية

لمشروع الواجهة البحرية في الكويت قصة بدأت في عام ١٩٧٥ ، حين وضعت بلدية الكويت المخطط الهيكلي للبلاد نصب عينيها ، في محاولة جادة لتجميل شاطىء الكويت على مسافة تمتد ٢١ كم تبدا من منطقة الشويخ غربا وتنتهي برأس الارض شرقا ، حيث كان الشاطىء على امتداد هذه المسافة مجرد اكوام من الاتربة والصخور المختلطة بماء الشاطىء المكدر

ضد الطرد السياحي

يقول السيد محمد السعوسي رئيس مجلس ادارة شركة المشروعات السياحية «كان مشروع الواجهة محاولة من بلدية الكويت ومن شركة المشروعات السياحية للحد من ظاهرة الطرد السياحي الى الخارج ، حيث ان معظم الناس يغادرون الكويت صيفا بسبب شدة الحرارة وطول فصل الصيف . ونحن بالطبع لن نوقف هذه الظاهرة ، وخاصة أن الاحصائيات تؤكد ان ٧٠ ٪ من المواطنين والمقيمين الذين يغادرون الكويت في فصل الصيف يتجهون لقضاء اجازاتهم السنوية في اقطار عربية ، وان ٣٠ ٪ منهم يتجهون الى اوروبا وامريكا »

ويضيف رئيس مجلس ادارة شركة المشروعات السياحية الكويتية

« كما نعلم تماما اننا نضيع انفسنا امام حد ... لكن الواقع اثبت نجاحنا ، ولن اقول ان البحر ... حد من عملية السفر ، لكني اقول انه قد وضع حـ لتفاقم ظاهرة الطرد السياحي ، فاصبح عـ المغادرين في فصل الصيف اقل مما كان عليه ، السنوات الماضية » ويعرضه هذه الفكرة ... محمد السعوسي يقدم لنا دعوة ضمنية للقيام بجـ ميدانية في ارجاء المشروع الكبير نتعرف من خلاله على الواجهة البحرية واهم معالمها

ومنذ البداية ادهشني هذا الجهد الكبير الذي ... في التصميم والتنفيذ ، فلم يكن من السهل انـ مشروع ضخم ، كالواجهة البحرية على شاطىء البحر برماله وصخوره دون تجهيز قدرات هـ تحول ركامات الصخور والرمال إلى متنفس سـ بهذا الحجم ، وكان لابد من عمل مضاعف حـ بدا لي ان ضخامة العمل كانت تمثل تحديا ر... لاصحاب الفكرة فقد كان هناك مايقرب من . فني يعملون في وقت واحد بالمشروع ، ان جـ جهاز اشراف كبير في عدده ومعداته ، وكان هذ ... الفضول والرغبة في معرفة الكثير عن عمليات ... خاصة اننا نرى المسافة الممتدة الى داخل البحر ... اتسعت وازدادت جمالا وقد انحصرت ... من الرمال والصخور من امارة الفحـ ... في ...

● الحصرة تغسل قدميها في مياه الخليج

الإم ت العربية المتحدة لان تلك الصحور تتميز
بالص البارلتية المقاومة للامواج والتاكل ، كما تم
حم نحو ٦٠٠ الف متر مكعب في البر والبحر
وشه ـ عمليات الردم مليونين و ٣٥٠ الف متر
مكعب ، حيث تم ردم مايتراوح بين ١٠ ـ ٣٥ مترا
في اطر المتدة على طول الشاطىء اما الجزيرة
الخضراء فقد كان واضحا انها حظيت بأكبر عملية
ردم فهي تبعد عن اليابسة بمسافة ٣٥٠ مترا وتم
ربطها بالشاطىء عن طريق ممر بري ردم بكامله الى
جانب ٥٠٠ متر اخرى هي قطر الجزيرة

اصلاح ما أفسدته الرياح

كان الجو حارا والعجاج يملأ المكان ، وبالاضافة الى التاثير الذي يخلقه هذا على سير العمل ونشاط المهندسين والفنيين فقد كانت الرياح الشديدة في بعض الاحيان تهدم مايقومون به من انجازات ، وقد اضطرب جماعة كانت تقف معنا لمغادرة المكان الى موقع اخر لاصلاح ما افسدته الرياح وقد لفتت انتباهي تلك الألة الضخمة التي كانت تدق الصحور الموجودة في البحر حيث تشكل طبقة صخرية تتراوح سمكها بين مترين ومترين ونصف ، وقد جلبت هذه الالة خصيصا لاختراق هذه الطبقة الصلبة

وراودني شعور يتراوح بين الاعجاب والدهشة وأنا اتابع سير العمل في ذلك النفق الذي شق تحت شارع الخليج العربي لمد انابيب المياه وخطوط الكهرباء،حرصا من العاملين على حركة المرور ولصعوبة اغلاقه باعتباره شارعا رئيسيا في الكويت

وقد قامت بلدية الكويت المشرفة على عمليات بناء الواجهة البحرية ببناء مختبرات مزودة بأحدث المعد ـ لفحص الصحور البحرية والرمال وترددات المياه وكانت تلك المختبرات خير معين للمقاولين الـذ ـن كـانـوا يعملون في بنـاء الـواجـهـة البحـ ، وقد وصلت تكاليف المشروع الى (٥١) مليو دينار كويتي اقتصاها التصميم والتنفيذ والا ب

كـ ـ تلك هي الزيارة الاولى للواجهةوهي

● برج المراقبة في الواجهة من اعلى سطح الصاعد ان يرى كل اجزاء هذا المشروع ، كما انه يستخدم عادة لرصد حركة السفن.

ماتزال مشروعا ، وكان لابد لنا من زيارة أخرى لنرى عن كثب ما أسفرت عنه كل هذه الجهود المبذولة

رائعا كان ذلك الشاطىء بحلته الجديدة ، وجميلا برماله ومياهه واصوائه واناسه الذين اجتذبهم اليه ليقضوا فيه وقتا ممتعا مع البحر الهادىء والرمال الناعمة

ينقسم المشروع الى خمس مراحل افتتح منها حتى الآن المرحلتان الاولى والثانية وتمتد المرحلة الاولى مسافة ستة كيلو مترات ، وتحتوي على الجزيرة الخضراء التي تبلغ مساحتها ١٦ هكتارا ويمكن الوصول اليها عن طريق ممر طوله ٢٥٠ مترا ،

● الى اليمين
في عيسها سعاده
عامره بالمكان
وبوسائل التسلية
المباحة فيه

يبقى البحث عن المتعة هو هدف كل انسان . فالسباحة متعة ، والتمتع بالرمال الناعمه متعة اخرى من متع البحر . ومما يحبه الأطفال بناء قصور من الرمال واللعب بالاصداف اعلى

في الوسط ما تزال الابتسامة ترافق صغارنا وهم يلهون بعيدا عن رتابه الحياه اليوميه ، مما يزيد في نشاطهم وحيويتهم

الأسفل أسرة تنعم بالسباحه في مياه الواجهة البحرية

● مرسى اليخوت يتسع حوالي ٣٦ قاربا طولها ٣٠ مترا تقريبا والمرسى مزود بكاسرات الأمواج للمحافظة على سلامة اليخوت ، وسهولة عملية الابحار والرسو

وتحتوى على مسرح مكشوف تقام عليه العروض المسرحية والاستعراضات ، كما سيتم استغلال المسرح كذلك لتقديم المحاضرات والندوات

ويتسع المسرح لأربعمائة شخص ، وقد شعرنا بمدى المتعة التي يحس بها الزائرون مثلنا ونحن نجلس على هذا المسرح بالخليج العربي والبحيرة الصناعية الموجودة هناك وهما يشكلان خلفية رائعة تضفي على المكان جمالا فريدا

يوجد في الجزيرة الخضراء كذلك بحيرة صناعية . وهي الى جانب ما تضفيه من منظر بديع على المكان ، فهي توفر امكانية ممارسة ركوب العجلة المائية ، وهي رياضة ممتعة ومحببة لقلوب الكبار والصغار . وهناك ايضا القلعة التي خصصت للأطفال والعاب اخرى متنوعة الاشكال والاحجام

كانت ضحكات الاطفال تتردد مع امواج
وهم يلهون ويمرحون ، وتبدو سعادة الامها
ملامحهن وهن يراقبن اطفالهن وهم يلعبون
من اهم المرافق التي اقيمت في المرحلة الاولى
مرسى اليخوت الذي يتسع ل ٢٦٥ قاربا بطو
مترا كانت المياه في المرسى ساكنة هادئة .
عبرت عن استغرابي لاختلاف حركة الم
الشاطىء بادر احد مهندسي المشروع الى
« لقد وضعنا كاسرات للامواج في المرسى تحافظ ع
سلامة اليخوت ، وسلامة عملية الابحار والر
وتتكون هذه الكاسرات من صخور وقطع
ذات مواصفات خاصة من حيث الوزن . لع
والكثافة لابقاء المنطقة هادئة نسبيا ويحاذي مرس
يوجد ناد لليخوت ، خصص لاصحاب القوار
يضم مطعما ومركزا للتزود بالوقود للقوار
ومواقف خاصة للسيارات لكن هذا ليس كل شي
فيما يتعلق بالتسهيلات الخاصة بالزوار

فهناك ايضا مراكز خدمة ممتدة على طو
الشاطىء ، تقدم المرطبات السريعة الى جانب غ
تبديل الملابس وغرف للاسعافات الاولية بالاضا
الى الهواتف والمرافق العامة الاخرى . وينتشر ع
طول الشاطىء خمسة احواض مكشوفة للسباحة

مقسمة الى حوض رئيسي واثنين للاطفال . وو
للمبتدئين ، وحوض خامس للغطس وقد خصص
مهبط لطائرات « الهليوكبتر » ليستعمل في الحالا
الاضطرارية ، ومن المناظر الجميلة التي راقب
تلك الالسنة الصخرية الممتدة داخل البحر وال
تقف عليها جموع من الناس يقومون بص
الاسماك ، ويشبعون هذه الهواية التي كان
ومازالت حبا يسري في عروقهم ، فالصيد كان
ما احد اسباب العيش في الكويت قديما

وأتساءل عن سبب اختيار هذا المكان على لاحص
لاقامة المشروع فيقول السيد محمد الفلاح
شركة المشروعات السياحية البحر هو
الوحيد والأهم لأهل الكويت ، وقد شعر

● الخضرة تغسل قدميها في مياه الخليج

● الخضرة الفسيحة في احد ... لد ... امكنية ... رشد ... الماسه وهي رئيسة ... مقصد ...

العمران والمهضة الواسعة ماطق سكنية مختلفة وظل الساحل مهجوراً، وحين فكرنا بالمشروع حددنا هذه المساحة لتصبح منطقة جذب سياحي تسمح بارتياد المواطنين للتنزه والترويح عن النفس

من أجلهم

قد يفاجأ كل من يسير في شارع الخليج العربي بالكثافة الزراعية الممتدة على طول الساحل . وقد يدهش لنجاح الزراعة في هذه البلاد الصحراوية شديدة الحرارة لكن الحقيقة انه قد تم اجراء عدد من الاختبارات والتجارب لانتقاء الصالح من النباتات والاشجار التي تتلاءم مع حرارة الشمس الملتهبة ، والتربة البحرية ، وقد اصبحت على المكان جمالا وجاذبية لاتقاوم

و... لنتساءل هل سيمنع هذا المشروع وغيره من المشاريع الترويحية عملية الطرد السياحي الى الخارج ؟

يقول السيد السعوسي « مشروع الواجهة البحرية لن يوقف السفر لكنه سيقلل منه خاصة، وان هناك عروضا كثيرة متوافرة ومتنوعة للناس للتنزه تفي بالغرض وتحد من تكاليف السفر الباهظة ، ومن مخاوف المواطنين الامنية والاقتصادية التي قد يتعرضون لها في الخارج . ولاشك ان النشاط الخليجي المشترك بين دول الخليج العربي سيعزز مشاريعنا الاستثمارية لما لها من مردود جيد على كل الاصعدة ، كما ان تعدد العروض وكثرتها سيزيد من الطلب بالتأكيد ، وان امالنا كبيرة واحلامنا حية . ونحن لانريد ان نقلد احدا ، لكننا نسعى دائما الى الافضل

مازلنا نسير على الرمال الناعمة ومازال نسيم البحر يداعب اوراق الاشجار وهناك عند الشاطىء
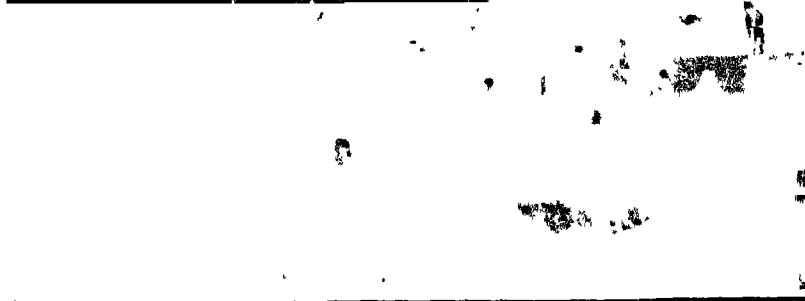
في ساعات الصباح الاولى يبدو الشاطىء هادئا ، فيرتاده بعض الناس الذين يحبون البحر هادئا دون صخب

الذهبي (المرحلة الاولى) كانت تلتف مجموعة من الناس حول بائعي الزهور المتجولين على احد الأرصفة ومجموعة اخرى حول لوحات فنية عرضت على رصيف خاص ، وخصص رصيف ثالث لعرض وبيع المصنوعات والحرف اليدوية الكويتية

وفوق هذه الأرصفة الثلاثة توزع الناس ليحصل كل منهم على اكثر من متعة ، فهم يستمتعون بالبحر وبالرمال ، ويلهو الاطفال بالعابهم ويبحث اخرون عن شيء جديد يمتع كل من جاء للتنزه

لقد بذلت في المشروع جهود ضخمة واستمرت سنوات عديدة بين اقتراح واستشارة وتصميم وتنفيذ واشراف وهو بلاشك يحتاج جهدا اضخم للادارة والصيانة ليظل أفضل متنفس للناس وليكون صرحا شامخا ومظهر جمال دائم

ماذا يقولون ؟

كان الشاطىء يضج بالناس الذين جاءوا للاستمتاع بالطبيعة وبالشاطىء والرمال

قالت لنا احدى السيدات : انه مكان جميل أستمتع به مع اطفالي يوم الاجازة ، فالشاطىء يمتد على مسافة طويلة ويتسع لعدد كبير من الناس ، فلا نجد هنالك ضيقا في المكان ، بل متنفسا جيدا ، يوفر علينا الكثير من نفقات السفر الباهظة فماذا يهم الاطفال سوى اللعب على الشواطىء وبناء قصور من رمال ؟! نحن لم نعتد السفر كل عام ، وبذلك فاننا من رواد مرافق شركة المشروعات ، وان كنا نجد في هذا المكان رحابة اكثر ، ويقول احد الشباب : اجمل مافي هذا المكان انه يترك الناس على راحتهم ، فلا ضغوط تقيدهم او تحد من استمتاعهم بالشاطىء ، وقد انشأت شركة المشروعات السياحية مطاعم ضخمة ، وتركت لمن لايناسبهم ارتياد هذه المطاعم الحرية في اختيار ما يناسبهم من طعام ، ولكن المكان يفتقر الى المقاهي الحميمة التي تقدم المرطبات والمشروبات الساخنة ، بحيث يتمكن الفرد من ان يرتاح قليلا في هذه المقاهي ويستمتع بالمكان دون ان يضطر للجلوس على الرمال او حمل ما يحتاجه من طعام وشراب من البيت

لقد زرت كثيرا من الواجهات البحرية في اكثر من دولة اوروبية ، حيث كانت المقاهي تمتد على طول الشاطىء تغص بالناس الذين جاءوا للراحة والاستجمام

يقول السيد فؤاد الشريف مدير احدى الشركات : يعجبني في هذا المكان بعده عن الشارع العام ، فلا يصلنا ما تنفثه عوادم السيارات الملوثة للهواء ويضمن بقاء اولادنا بعيدا عن الخطر

كانت رحلة ممتعة ، غادرنا بعدها المكان ومازال الناس جالسين فيه وكأن يومهم مازال في بدايته □
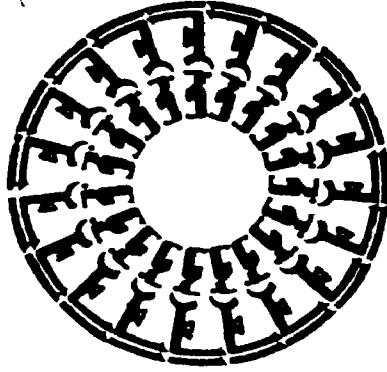
كتاب العربي

الثامن عشر

المسرح العربي

بين النقل والتأصيل

بقلم مجموعة من الكتاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي

المطروقات النحاسية

عند الفنان محمد رزق

بقلم · محمود بقشيش

إن التعبر عن هموم الانسان ومعاناته ـ هزيمة وانتصارا ـ بالكلمة ، والحركة ،
والنغمة والريشة قديم ، وللعرب فيه تراث عريق
اما تجسيم هذه المعاناة بدقائق خلجاتها ، وانفعالاتها ، على النحاس
فتجربة حديثة ، برع فيها قلة من الفنانين ،
يتصدرهم الفنان محمد رزق بتجربته الثرية

بدأ محمد رزق « حياته الإبداعية محاولا كتابة
الشعر ، والقصة ، والعزف على الناي كان
ذلك في قريته « سيف الدين » بمحافظة دمياط التي
تحدث عنها حديث العاشق قائلا « إن اللون
الأخضر وسلاسة العلاقات البشرية ، كانا يعمقان
حنان ـ حلام مستقبلي الوردي في « القاهرة »
بالالتحاق بالجامعة ، والنجومية الأدبية ، وفي
القاهرة تبخرت الأحلام ، ولم التحق بالجامعة ،
ـ لتحق ، بمصنع الحديد والصلب عام ١٩٥٧ ،
تعطلت محاولاتي الأدبية تماما ، وارتبكت خططي
حتى عام ١٩٦٠ »

الصدمة والتحول

كانت صدمة « القاهرة » كبيرة ، فقد حوصر بكل
ما هو مناقض لمرحلة القرية ، فالقاهرة مدينة
عدوانية ، وإن مارست العدوان بطريقتها الخاصة
غير أن الشاعر يقول « وداوني بالتي كانت هي
الداء » كان نافعا له ، فتحفف من النفور الى نوع من
التعايش ، ومع الاعتياد استخرج من ظروفه الجديدة
ممكنات جديدة للابتكار ، فاستبدل اللون الأحمر ـ
لون النار ـ باللون الأخضر ، واستبدل « دينامية »
التحولات الصناعية بالاستسلام « السكوني » للحياة
في القرية ، وشغف بشرائح النحاس الرقيقة ،

● المطروقات النحاسية عند الفنان محمد زرق

والصلة ، وأغرته بالاقتران بها ففعل ومنذ ذلك الحين ظل وفيا لها ، وما أن يُذكر أحدهما حتى يتداعى الآخر الى الذاكرة وجاء عام ١٩٦٢ ، وكان عاما محوريا بالنسبة له ، ففيه قرر الالتحاق بكلية الفنون الجميلة (القسم الحر) ، وهناك التقى بفنان النحاس الرائد (جمال السجيني) يقول زرق عن تلك المرحلة « توجهت الى السجيني ، كي أتعلم منه تقنية النحاس ، غير أنه نصحني بأن أتعلم هذا وحدي ، فالفن لا يلقن ، فتركت الكلية ، ولم أمض بها أكثر من ثلاثة شهور ، وتوجهت الى شارع « خان الخليلي » لمتابعة الصناع المهرة ، والتعلم منهم وأستطيع التوكيد بأن هذا الشارع كان أستاذي الحقيقي » والعجيب أنه حصل في نفس العام على جائزة الدولة التشجيعية في النحت وكان هذا الاعتراف بموهبته دافعا قويا لمواصلة الانتاج الفني ، وتفرغه له فيما بعد تفرغا كليا

قوبلت معارضه الخمسة التي أقامها باستحسان النقاد والجمهور ، ولم يحتف به نقاد الفن التشكيلي فقط ، بل نقاد الأدب أيضا ، فكتب عنه محمود أمين العالم يقول (محمد زرق يطرق النحاس طرقات من نوع آخر ، تحس فيها بألحان الآلات الموسيقية إحساسا بصريا ، تحس بالمطروقات دراما ، حية ، تعبر ، وتفيض بأعماق التجربة البشرية ، ولهذا فهي مطروقاته قصة أحداث بشرية كبيرة ، قد تعبر عنها لفتة سريعة ، أو حركة مبتكرة ، أو إيماءة موحية ومن حركة الأشياء ، ومن بناء الأشياء ، من موقف الانسان إزاء الأشياء يصنعها ويصوغها ويسيطر عليها ، ومن العمل ، والصناعة ، والإرادة الإنسانية ، يستخلص محمد رزق ألحانه ، ثم يروح يصبها ، بل يستخرجها بطرقاته الموهوبة على صفحة من نحاس) وكتب الفنان الناقد « بيكار » . « إن ارتباط الفنان « محمد رزق » ببيئته ، وأبناء بلده ارتباط جذري ، ينعكس في رشاقة الخطوط التي تتماوج ، وتتلوى في سيولة الموال ورقة الناي ، وتبرز آثار المطرقة فوق السطح كأنها إيقاع نقرات الدفوف والطبول ، تزف المشخصات الراقصة فوق

السطح المعدني اللامع » وقال عنه الفنان « حلمي التوني » « تلاحظ فرقا كبيرا ، شاسعا بين أوائل الأعمال التي تتسم بالخطابية والترويق والتي يقل فيها العمق والاحساس الفني ، وبين أعماله الاخيرة التي بلغ فيها درجة كبيرة من البلاغة الفنية ، والتعبير الرقيق المرهف » ومهما كانت الآراء التي أبداها نقاده ، ودرجة اختلافهم في التلقي والتفسير ، فقد اتفق الجميع على أهمية هذا الفنان ، الذي لم يتلق - ربما حسن الخط - أي تعليم منهجي ، ولم يحصل على شهادات ، ولم يتسلح إلا بموهبته وإصراره ، فقدم إضافة في مجال المجسمات النحاسية ، التي بدأها الرائد ، جمال السجيني وأضيف اسمه الى قائمة موهوبي جيل الستينيات ، الذين لم يحصلوا على شهادات عليا ، ولم يتوظف بعضهم في وظائف حكومية امثال عبد الرحمن الأبنودي ، وسيد حجاب ، وأمل دنقل ، وابراهيم فتحي ، وعبد الرحيم منصور ، ويحيى الطاهر عبد الله ، وجمال الغيطاني ، وابراهيم أصلان ، وخيري شلبي ، ويوسف القعيد

تنوع العطاء

إن فطرته ، وسماحته الريفية ، تنعكسان على مجمل رحلته الفنية ، فتطالعنا أعماله ذات الطابع التعبيري الرمزي الحريف (في مجملها) بانعكاس مايدور في الواقع الاجتماعي ، والسياسي المصري ، انعكاسا صادقا ، وتعبيرا في كثير من الأحوال الى الصمود والتحدي ، ويشترك مع « السجيني » في كونهما يعبران عن قضايا الواقع المصري ، ويختلفان في طريقة التناول ، ففي الحس الذي يتجه فيه « السجيني » - في مطروقاته النحاسية - الى « تحميل » الشحنة التعبيرية ، والحرص على الأناقة ، مستعرضا قدراته الأكاديمية في بناء الشخوص ، يواجهنا « محمد رزق » مواجهة مباشرة بأشكال محمومة ، لا تتوقف ساعة عند حلية مهذبة ، بل تتنوع في عطائها ، ودرجة بلاغتها كانت أعماله في مرحلة الشباب عالية النبرة ، ثم صارت في مرحلة الكهولة ترجمة لقول « النفرى »

« إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة [illegible] أعماله حكاية الآمال العريضة التي [illegible] الستينيات ، ثم سقوطها مع الأحلام [illegible]

يختلف « رزق » عن كثير من الفنانين [illegible] رفضه الالتزام بقالب جامد متكرر ، فمن [illegible] تزدحم بالتداخلات الاسلوبية ، ولا [illegible] ملامح حاسمة ، بل تتعايش الاساليب [illegible] واحد ، ففي معرض واحد نلتقي [illegible] تعبيرية حريفة ، الى حوار مستنسخة إسلامية [illegible] بقصد دراسة لون من ألوان الفن الاسلامي [illegible] حوار اشكال تجنح الى التجريد ، [illegible] تقديري أن رفضه أن يوضع في قالب [illegible] مع حرصه على أن يكون صادقا مع [illegible]

الانسان هو الغاية

وربما كانت وجهة نظره أن الحياة [illegible] وخصوبة من ان توضع في تابوت فني ، وبالتالي فتنوع الأساليب يعني تنوع زوايا الرؤية للنحت الواحدة ، وبالنسبة لتمثال النحاس فان الحرص [illegible] التكرار يضعه في إطار صانعي القدور وعلى [illegible] من التداخل الأسلوبي ، فإن موضوعاته تدور محورها الانسان ، شاعرا متألقا أو حزينا ، فلاحا صامدا أو ثائرا ، وريفية سعيدة ، أو وجها غاضبا أو نازفا أو مشوها ومن موضوعاته الرئيسة الأخرى الجياد الجامحة أحيانا ، المكسورة أحيانا أخرى والصفة الثابتة في مجمل أعماله هي « الحركة » التي تأتي تارة من الخطوط المتماوجة والمتصلة ، [illegible] عن طريق التحليل التكعيبي ، حيث الانتقالات المفاجئة بين النور والظل ، وبين الانسان [illegible] وتظهر بعض الحيوانات الأخرى ظهورا غير متكرر مثل الديك ، والعنزة ، والثور

من أهم أعماله المعبرة عن محنة الوطن [illegible] ثلاثة ، تحمل العناوين الآتية « الصمو[د] [illegible] تلخص الشعب في وجه ريفي صريح [illegible] بالغضب والإصرار ، متحفز للمعارك [illegible]

● المطروقات النحاسية عند الفنان محمد زرق

، الوجه على رقبة عملاقة ، غنية بالتضاريس ، بمع في . ستويات خطية متداخلة وتقوم الطرقات المتنوعة . إثراء السطح ، وتحمل اللوحة بتفاصيل دقيقة ومساحات غير متوقعة في بناء الوجه بشكل خاص . فهو لم يقم بتحليل شكل بنائي واقعي .

يلتزم ا... التشريحية للإنسان ، لكنه أنشأ وجها ينتمي الى « العمارة » ، وقد أعاد الأسلوب التكعيبي في الأسية التحريفية الحادة ، كالتحليل المبير لمنطقة اسفل الفم والذقن ، والحفرة على الجبهة

والاساريز وتتسع المجسمة لكثير من الإيحاءات القصصية وقد أدرك الفنان ذلك الطابع ، فقدم ما يشبه النقد الذاتي ، تمثل في عمل آخر يحمل نفس الاسم ، ويختلف في التاريخ ، وطريقة المعالجة .

فقد نفذ « الصمود الجديد » عام ١٩٨٥ بطريقة الطرق ، ونفذ العمل الثاني عن طريق السباكة

. بط العمل الأول بإيحاءات رمزية مثل الشعب المسري ، المزارع الشجاع السمح ، يحاكي . المزنه » ، ويدعوا الى التحدي بينما يمس . الوجه » الثاني تجسيدا لمحنة إنسان عصر العنف

وتنتمي المجسّمة الأولى الى النحت البارز ، والثانية مسبوكة تنتمي الى « النحت الفراغي » ، بل هي اقرب الى العمارة ، بهندسيتها الصارمة ، ومسطحاتها الصريحة ، وملامسها المعمارية ، غير أنه يتاخى هذا الرسوخ المعماري بزلزال يفصل المقطع الأعلى من الفم عن المقطع الأسفل منه ، ويمزق جزءا من الوجه بحدة (كان يريد لهذا التمزيق أن يمتد ، غير أن مساعده صاح قلبي لا يطاوعني لا استطيع مواصلة التشويه !)

صمود ممزق

إدر صمود الثمانينيات صمود ممزق ، مشكوك في امره على النقيض من صمود الستينيات ، القائم على مو..جة الخسارة التي كان يظن أنها عارضة

و.. موضوع « الخيول » مركزا مرموقا في إنتاجه الفني ، ويأخذ نفس التوجهات الأسلوبية ، التي صاغ بها بقية موضوعاته ، كالتقلب بين شاعرية الأقواس ، والتموجات ، وبين صلابة الخطوط المستقيمة ، وصراحة المسطحات العريضة وبعض خيوله تتسيدها الأقواس ، والمنحنيات ، والخطوط المتصلة ، والأشكال المقعرة ، والمحدبة الموسقة ، وبعضها الآخر تتسيده الخطوط المستقيمة الحادة

وإذا تأملنا خيوله الحديدية فإننا نكتشف أنها تسجل مايلم بالوطن من مصائب ، فشموخها القديم قد انكسر ، وعراها الجفاف وتتردد نفس الحالات الوجدانية في موضوعات أخرى كالشاعر الشعبي الجوال ، حيث تتراوح حالته بين الانطلاق والانطواء ، كما تتراوح بين الإغراق في التفاصيل والاكتفاء بما هو جوهري ، غير أن كفة التخليص الذي يقترب من التجريد قد رجحت في مراحله الأخيرة ، وبشكل خاص في مجموعة أعمال تعتمد اعتمادا كليا على حوارية المواسير المستقيمة ، والكرات المعدنية ، وهي من الأعمال القليلة التي تجتمع فيها الخطوط المستقيمة ، والخطوط المنحنية

لقد أعطانا بمواسيره خطوطا صريحة ، وحوارا ذكيا بينها وبين الفراغ الناشىء عنها ، مع إعطاء الإيحاء في نفس الوقت ، ببعض الوحدات الزخرفية الإسلامية ، وقد نجح في استنطاق مواسيره تعبيرات متباينة ، ففي مجسّمة بعنوان « المهزوم » يواجهنا بشكل إنسان يتلقى ضربات من مصدر مجهول ، وفي ثنائية « انسجام » نشعر أننا أمام رقصة « فالس » لعاشقين ، وهكذا ، تختفي الإشراقة القديمة في أفراحه الريفية ، والتغني بالعمل ، والخيول الطليقة ، ومواويل المغني الشعبي يختفي كل هذا ، مستسلما للحزن ، وتتكسر الخيول ، ويتمزق المغني ، وتغيب ليونة الخطوط النسائية ، ويغلب عليها الجفاف ، والحدة ، وتشبه رءوس حراب متقاتلة ، بعد أن تلاشى الوئام والمحبة ، وتاه الحلم الوردي ، ولم يبق غير الانطواء والإحادة في الأداء □

تعد قصة (الكونت دراكولا) قاطن بلاد ترنسلفانيا التي كتبها الانجليزي « برام ستوكر » ملخصا لكل المعتقدات القديمة ، إذ يختلط في (دون جوان الليل) الدم بانعدام الأخلاق.

وحين عالجت افلام توم براوننغ ، ومورنو ، وترانس فيشر ، وبولانسكي موضوع دراكولا سينمائيا كانت معظم تلك الأفلام تشبه دعاية سيئة الصنع للكنيسة ، إذ أن دراكولا يرتعد أمام الصليب . وينتهي منتحرا بدق أخشاب في قلبه لكن السينما على الرغم من ذلك جسدت بالصورة شكلا لدراكولا ، وأحاطته بالخفافيش من كل جانب بل وفي بعض الأفلام كان الكونت نفسه يتحول إلى خفاش.

لماذا اختارت السينما الخفاش ؟

حفظت الذاكرة الجماعية لشعوب وسط أوروبا عددا لا بأس به من الخرافات الدموية ، حيث اختلطت عادات المسيحيين في القرون الوسطى بمعتقدات الشعوب القديمة ، ففي تراث الإغريق ، والفراعنة وروما القديمة ، عدد من الخرافات التي تروي نهوض جثث العيلان ليلا من قبورها لتأكل أجساد الأحياء وتشرب دماءهم . ومن الغريب أن هنود امريكا الجنوبية - في الطرف الآخر من الأرض - ينسبون إلى الإله هيكال ، ذي الرأس الخفاشي بعض الأفعال المشابهة.

وألصقت صفة (مصاص الدماء) للمرة الأولى بالخفافيش التي اكتشفت في أمريكا اللاتينية في كتاب التاريخ الطبيعي لبوفون ١٧٦١ م ، في حين تحدث فولتير عن (الأشباح التي تنهض من قبورها لتشرب دماء الأحياء) - القاموس الفلسفي ١٧٦٤ م.

كانت أجساد الخفافيش ، ولأزمنة طويلة ، تعلق على مداخل البيوت والمزارع لإبعاد (الأرواح الشريرة) ، لكن ذلك لم يكن كافيا للقضاء على مخاوف هذا الجنس . ومن الغريب أنه منذ أن بدأت الحملات البشرية للقضاء عليه ، فإن الخفاش - أو بعضا من أنواعه - أصبح مهددا بالانقراض ، على الرغم من أنه لم يكن قط فريسة معرية لغيره فالإنسان الذي لا يستخدم البندقية لقتله ... بالقضاء عليه بطريقة اكثر فعالية ، وهي تدمير ... البيئي الطبيعي اللازم للحياة.

ويصل عدد أنواع الخفافيش المعروفة ... ثمانمائة ، يقطن معظمها المناطق الحارة ... ٩٠ نوعا منها في أوروبا ، لتشكل بهذا ... معروفة من الحيوانات (المتوحشة) التي تعيش ... أرض العالم القديم . ويجهل سكان المدن ... في معظم مدن العالم أن الخفاش يشاركهم ... تعيش أسرابه تحت الجسور ، وفي كهوف ... ثنايا الأسقف . ولا شك أن زائر بعض بلدان ... لاحظ طيران بعض أنواعه الضخمة وقت الغروب في حين لم يفت زائر افريقيا رؤية (عناقيده) ... المعلقة على أشجار المدن . أما في أمريكا اللاتينية فكثيرا ما تصم أسرابه الطائرة مئات الآلاف كسحابة سوداء تعبر السماء.

طائر الليل الراداري

على الرغم من العثور على كثير من بقايا الوطاويط المتحجرة ، ومن بينها تلك التي عثر عليها في كهوف (ميسل) بالمانيا الاتحادية ، والتي يعود تاريخ بعضها إلى خمسين مليون سنة ، فإن ما نعرفه عن أصل هذا الحيوان قليل جدا.

لقد ظهرت أوائل الوطاويط على سطح الكرة منذ ما يقرب من خمس وستين مليون سنة . وهي تشبه كثيرا الوطاويط المعروفة حاليا . ويميل معظم علماء الإحاثة* على انحدار الخفاش من آكلي الحشرات البدائية ، لكن لا أحد يعرف الاشكال الوسيطة التي تم خلالها ظهور وتطور بعض الاجهزة ... الحاسية التي سمحت لهذه الثدييات ... (السباحي) الذي تمارسه - في عصرنا هذا - بعض أنواع السباحب المجنحة ما بين شجرة و ...

* علم الحفريات - المستحاثات

رصدة ا. بطور جهاز (راداري) عضوي متقدم
برعن ب الموجات فوق الصوتية (هو السونار)
سماها مما مكن هذه الليليات من الصيد في
ظلام التام دون خشية منافسة صائدي الحشرات
نهارين كالطيور

مد حوالي قرنين لاحظ الايطالي (سبالانزاني) أن
خفافيش لا تصطدم أبدا بالخيوط المشدودة وسط
رغم الظلام الدامس لهذا قام بتغطية عيونها
ن بعد ذلك من الأمر شيئا ، وانتهى به الأمر إلى
داها . ليكتشف أن الوطاويط لم تصب بالطرش
حسب بل بالعمى أيضا وبعد مضي مائة وخمسين
ي سنة ١٩٣٠ - قام الهولندي (ديجكغراف)
(م بحي (غريفن) بحل اللغز نهائيا ، وذلك بث
وجات فوق صوتية لا تدركها الأذن البشرية ،
س ردود الأفعال في دماغ الحيوان ، لتتضح لها
ه العالية للخفاش على استقبال الصدى بدرجه
دا ها عشرة مليمترات من القطر . أي ما يعادل
حجم الحشرات الصغيرة جدا

تشابه التركيبة العضوية لكل الخفافيش مهما
حسب أحجامها ، اذ تبسط أطرافها فيما يشبه اليد
ضخمة التي يوجد بين أصابعها غشاء رقيق ويشكل
جمع جناحا أما الأطراف الخلفية التي تدخل في
ه الجناح ، فتنتهي بأقدام مخلبية طويلة تساعدها
ى تعلق مقلوبة على فروع الأشجار إذ تنام
خفافيش متعلقة وقد تدلت رؤوسها أسفل
دمها ، وهذا لا يخفى على أحد

ـه شكل رأس الخفاش أو سحنته يختلفان من
ي لآخر فمنها ما يشبه القردة أو الكلاب أو
ـ الخ أما الزوائد الموجودة فوق أنوفها
ـ مدات عريضة ، يستخدمها كالهوائيات ،
ستقبال صدى الموجات الصوتية ، وهي جميعها
ـ اسنان حادة جدا فحذار أن تمسك بخفاش
ـ احتراز

سع ور أكبرها حجما تسعمائه غرام ، ويبلغ
صغ حجامها غرامين - كالفارق ما بين قطة
در اختلاف أحجامها ، فإن طرق

طيرانها تختلف ما كبرها تلك التي تقطن أوروبا
(وهي عريضة الأجنحة ، ويمكن مقارنتها بطيور
القيقان التي تتراوح ضربات أجنحتها ما بين عشر ،
واثني عشر ضربة في الثانية (١٥/ ١٦ كيلومترا في
الساعة) في حين تستطيع خفافيش أخرى
(أصغر) الوصول إلى سرعة ٥٠ كيلومترا في نفس
الفترة الزمنية

بعض الأنواع - كما لحنا - قادرة على الطيران
الساحي (أو التحلق فترة دون تحريك أجنحتها) -
كطائر القطرس وبعضها قادر على الطيران دون
التحرك من مكانه فوق زهرة ما ، كخفافيش المناطق
الحارة (الحارسة) وعلى عكس ما يظنه كثيرون ،
فإن الخفافيش قادرة على عمل ما تقوم به الطيور ، بل
إنها كثيرا ما تتفوق عليها ، فهي في الغالب أخف
وأكثر رشاقة من العصافير ومن الصعب جدا
إمساك خفاش بشبكة صيد مثلا ، وهو قادر على
التقلب بمقدار ١٨٠ درجة للتعلق على أغصان
الأشجار بالأرجل بالاضافة إلى تسلق للأشجار
كالقطط ، بل إن بعض الخفافيش قادر على السباحة
نقرا على سطح الماء كالأسماك الطائرة والأدهى من
كل هذا قدرة الوطواط على المشي على أطرافه
الأربعة ، وعلى المناورة والمخادعة والكر والفر
(أرضا) إذا ما استدعت ضرورة الصيد ذلك

مصاص الدماء

كمعظم الثدييات البدائية ، تنجب الأنثى واحدا
في السنة ، فالخفافيش حيوانات تعمر طويلا ، - وقد
عثر على واحد منها بمنطقة السارث بفرنسا عمره
ثلاثون سنة ! - ويقرر علماء دراسة التصرف الحيواني
أن الخفاش ذو ذكاء وذاكرة متطورين نسبيا ، فهو
قادر على التأقلم داخل وسط إنساني ، والتعرف على
اسمه إذا ما ناديناه ، بالإضافة إلى تنفيذ حركات
معينة وقد استطاع الباحث الألماني (مارتن
ايرشتروت) مثلا تعويد خفاش على التقاط الطعام
الموجود في راحة يده

في المناطق معتدلة المناخ ، تمضي الخفافيش فتره
بياتها الشتوي مقتاتة على الحشرات الصغيرة ، أما في

المناطق الاستوائية ، فتختلف وجباتها كثيرا ، حسب أنواعها ، فمنها ما يقتات بثمار الفاكهة أو الأزهار ورحيقها ، أو البراعم والديدان والضفادع والعصافير الصغيرة ، بل إن بعضها يأكل الخفافيش الصغيرة

تعيش في آسيا الاستوائية فصيلة من فصائل الخفافيش تسمى (الشقاحة) أو (آكلة الثمار) ، قد يبلغ حجم بعضها ـ وخاصة في ماليزيا ـ ١٨٠سم ولا تنام هذه داخل الكهوف متوارية عن الانظار ، بل إنها تبقى معلقة على الأشجار طوال النهار ،وعند حلول المساء ، تذهب باحثة عن أشجار الفاكهة ملحقة بها أضرارا كبيرة ، وبخاصة أشجار المانغا والخمصيات ، ولا تملك هذه الفصيلة سونارا يمكنها من كشف الحواجز ، لذا يسهل اصطيادها رغم حذرها الشديد حيث يقوم السكان المحليون بداياكا ، بمنطقة بورنيو بأكلها ، أما (اللحاسة) ـ وهي نوع آخر يعيش في مجموعات كبيرة بامريكا الجنوبية واستراليا ـ فمتخصصة في امتصاص رحيق الأزهار واللحاسة خفافيش ضئيلة الحجم ، ذات لسان أطول من جسدها ، ينتهي بما يشبه الفرشاة ، تلعق به الرحيق وهي طائرة متنقلة بسرعة كبيرة من زهرة لأخرى ، لاعبة بذلك دورا طبيعيا أساسيا في تلقيح بعض أشجار تلك المناطق ، كشجرة الخميرة ، ذات الازهار كريهة الرائحة التي تجذب إليها هذا النوع من الخفافيش والخميرة (بضم الخاء) شجرة استوائية عريضة الجذع في ثمرتها لب يؤكل (المهل) رغم ذلك فإن معظم خفافيش المناطق الاستوائية تتغذى على اللافقاريات التي تقوم باصطيادها مطاردة أو مباغتة ، حيث يقوم الخفاش بالتربص في مكان ما ، ثم بفضل سوناره يبدأ في بث موجاته فوق الصوتية بحثا عن فريسته في نطاق قطر الصدى ، وبمجرد عثوره على واحدة يقوم بالهجوم عليها فجأة ، وابتلاعها بعد شلها تماما بفضل أنيابه ويتخصص بعض هذه الخفافيش في اصطياد العقارب السامة التي يهاجمها بسرعة كبيرة دون منحها أي

فرصة للسمعه . لكن يحدث أحيانا أن تقع (حرب رادارات) حقيقة بينه وبين بعض الفراشات ، فلقد اكتشف ان بعض أنواع الفراشات قادرة على رصد الموجات فوق الصوتية التي يبثها الصياد ، وأن بعضها قادرة على بث نفس الموجات التي يستعملها لتشويش موجات الخفاش ، والتمكن من الهرب منه

ويطرح المتخصصون سؤالا عن مدى الخسائر التي تحققها الخفافيش بعالم الحشرات بالمناطق الحارة اذ يستحيل الاجابة علميا على وجه الدقة عن هذا السؤال ، لكن قدرت كمية الحشرات التي تستهلكها مستعمرة خفافيش واحدة (عدة آلاف) بثلاثة أطنان من الحشرات في الليلة الواحدة.

ويوجد الى جانب الخفاش اللحاس ، الخفاش (الصياد) الذي يتغذى على سمكات البرك والأنهار الصغيرة ، اذ تسمح له مخالب أرجله بالتقاط الاسماك الصغيرة التي تقفز على سطح الماء بين الفينة والاخرى ويحدث احيانا أن تأكل الضفادع الخفافيش الصغيرة التي قد تسقط على سطح مياه البرك صدفة ، إلا أن الضفادع نفسها تشكل وجبة شهية لبعض انواع خفافيش أمريكا الجنوبية والهند وهي قادرة على اكتشاف أماكنها عند قيام ذكور الضفادع في البحيرات بالنقيق لاجتذاب الإناث

وكثيرا ما يحدث أن نجد بالهند كهوف خفافيش مليئة بجلود الضفادع وافخاذها ، إذ يبدو ان الخفاش لا يحب أكل الأفخاذ التي يشتهر الفرنسيون بتذوقها وأكلها إن خفافيش الهند آكلة لحوم شهيرة ، وهي تتعدى على الفئران ، بعد أن تقوم بقتلها عضا في رقبتها ، وتتركها مقلوبة الجلد بعد مصها ، كما أنها تأكل العصافير الصغيرة ، وبعض الفواصم وعددا من الخفافيش ويعيش على شواطئ نيوزيلندة نوع من الخفافيش الصغيرة التي تفضل أن تقتات على الجثث ، إلا أن اغرب عادات الخفاش الغذائية بطبيعة الحال ، هي تلك التي يختص بها الخفاش (مصاص الدماء) ، وهو نوع يعيش ... الاستوائية ويمتص دم الثدييات

على خلاف ما يعتقده كثيرون ... مصاص الدماء ضئيل ، إذ يبلغ وزنه ... ٣٠ غراما ، وهو ذو شكل قبيح ، و... وعلى قدر كبير من الذكاء ، يخرج ليلا ... الثدييات ، كالأبقار والخنازير على ال... عثوره على ضحيته يحط على ظهرها ... بأنيابه التي تشبه موسى الحلاقة ... على الجرح ، ويبدأ في مص الدم كالمصاص ... بلعابه مادة ضد تجمد دم الحيوان ... مفتوحا عدة ساعات ، بل عدة ايام في بعض الأحيان ، الأمر الذي يدفع بالخفاش الى ... تكرارا إلى ضحيته العاجزة للاستهلاك ... يشبع ، فقد يمتص كميات هائلة من الدم ... التي لا يستطيع معها الحركة بعد ذلك ... حينئذ ان يمضي فترة الهضم قرب ضحيته ... وسلام !

إن الخطر الحقيقي الذي يشكله هذا الخفاش ... الثروة الحيوانية لبعض البلدان يكمن في انه ناقل ... لبعض الأمراض (الحمى) ، فقد مات عشرة ... البرازيليين محمومين ، لاستهلاكهم لحوم الابقار المصابة ، كما مات لنفس السبب ما يقرب ... ١٥ مليون بقرة لهذا وجب التخلص منه ... العثور عليه صعب لذكائه الشديد ... يصعب التمييز بين مصاص الدماء وخفافيش ... غير ضارة يتم قتلها اقتناعا بانها مسببة الد... لا يوجد هذا الخفاش إلا بامريكا الاستوائية

السلوك الاجتماعي للخفاش

لا يتجاوز عدد انواع الخفافيش التي ... سلوكها بطريقة علمية جيدة التي ... والوطواط ذو حياة اجتماعية منظمة ... يعيش إلا في مجموعة ، وإن كان بعض...

حاناً ـ و ... بكساس مثلا يمكن رؤية بعض أنواعه
ي ... بالملايين ، والتي تبدو للناظر عند
... وجوها ... مكان إقامتها كركان في حالة هيجان

وفي مناطق معتدلة المناخ يعيش ذكر الخفاش
منفصلا عن الإناث ، حتى حلول موسم الإخصاب

بدأ الإناث عند حلول فصل الربيع في تهيئة اماكن
... الصغار ، وتربيتها وحمايتها ، ولا يحق للذكر
... في تلك الأماكن بعد انتهاء فترة الاتصال
... في حين تعتنق خفافيش امريكا الاستوائية
نظاما اجتماعيا غنيا عن التعريف ، هو نظام الحريم
... يسيطر فيه ذكر واحد على ما يقرب من خمسين
... الا ان فترة سيادة الذكر هشة لكثرة منافسيه ،
... ينتهي عند اللحظة التي تبدو فيها إصابته
بالضعف او الارهاق ، ليحل محله منافس جديد

، ككل الثدييات تلد أنثى الخفاش وترضع
صغارها . وهي التي تقوم باختيار أب المستقبل
لصغارها ، عملا بقانون الطبيعة الأساسي
استمرارية حياة النوع الحيواني » وذلك بتحليقها
... ات الذكور الذين يطلقون صرخاتهم الحادة ،

... فجأة واحدا من بينهم . ويحق لنا أن نتساءل
عن أسباب اختيارها لذلك الذكر بعينه من بين بقية
المجموعة إن السبب يرجع ببساطة إلى قدرة الأنثى
على معرفة الذكر الواصل ـ في تلك الفترة ـ إلى قمة
دورة الاستاحية المؤهلة للاخصاب ، ففترة
الاخصاب هي أهم مرحلة من مراحل حياة
الحيوان لأنها تسمح له بأداء دوره الرئيسي في
استمرارية وجود نوعه على سطح الأرض . لكن
الحيوان يمر بعدة مراحل أثناء دورته الحياتية ، إذ
بمجرد ولادته يتعلق بجسم أمه التي ستصبح سريرا
... وهو ... ود منذ ولادته بأظافر حادة ، رغم أن
جلده خال ... ما من الشعر . وبعد مرور عدة أيام
... مع بقية صغار المستعمرة عند خروجها
... قادرة على التعرف عليه عند عودتها

بصرخاته الضعيفة التي تقوى شيئا فشيئا بمرور
الأيام ، فنمو جهازه الصوتي يعني أيضا نمو سوناره

وقدراته على استقبال الموجات فوق الصوتية وبثها ،
وبعد ذلك يبدأ الصغير في الطيران متبعاً أمه التي تقوم
بمساعدته بتلك الموجات حتى يتمكن الخفاش الصغير
من الطيران والصيد وحيدا بعد مضي ثمانية أسابيع
من يوم ولادته

الخفاش حيوان مفيد !

ان ادراك الإنسان المعصري للفوائد الجمه التي
يؤديها هذا الحيوان (المظلوم) للطبيعة لا يرجع في
الواقع إلا إلى السنوات القليلة الماضية ، إذ عرف
الباحثون دوره الرائع في استمرارية حياة غابات
بكملها ، فأنواعه من اكلة الثمار تحلق حاملة وجبها
في نفس الوقت الذي تقوم فيه بنثر حبوب اللقاح
النباتية فوق أماكن طيرانها ، دون نسيان دورها
الفاعل في القضاء على اعداد هائلة من الحشرات
والديدان والعقارب الضارة ، ودون نسيان استفادة
علم الفيزياء النظرية من التجارب والملاحظات التي
اجريت على سوناراها ، فقد أعطت دفعات علمية
تقدمية رائعة في فهم ما فوق الصوت وتطبيقاته

ولربما حل اليوم الذي سيعتبر فيه الإنسان الوطواط
حيوانا مفيدا ، ويكف عن وصمه بأسوأ الصفات ،
ولينتهي كمصاص دماء يملأ ليالي الكثيرين بالكوابيس
المرعبة .

أيضا تعني كلمة خفاش في اللغة العربية ضعيف
النظر ، في حين تعني كلمة وطواط الضعيف الجبان
من الرجال . لكن الخفاش ليس بسيء السمعة في
معظم الحالات . فلقد جاء في (لسان العرب)
للعلامة ابن منظور

قال أبو عبيد ويقال إنه الخطاف (بضم
الخاء) ، قال وهو أشبه القولين عندي بالصواب
لحديث عائشة ، رضي الله عنها ، قالت لما أحرق بيت
المقدس كانت الأوزاغ تنفخه بأفواهها ، وكانت
الوطاويط تطفئه بأجنحتها □

البيت الكويتي القديم..

تعبير عن البيئة وظروف المجتمع

البيت الكويتي القديم

تعبير عن البيئة وظروف المجتمع

بقلم : الدكتور غانم سلطان

« كان المدى هو الصحراء من جهة ، والبحر من جهة ثانية . وعلى شاطىء البحر استقرت الحياة وازدهرت ، وفرضت الصحراء والبحر سكا للحياة ، فامتهن الناس مهنا بعينها ، وسادت تقاليد وعادات وأنماط حياة هي نتاج للبيئة وتأثيراتها وتفاعل الانسان معها وهذه محاولة لقراءة أثر البيئة والمجتمع على مظهر من مظاهر العمران »

تتحدد أنماط الحياة الاجتماعية في أي مجتمع بعدد من العوامل ، وتلعب البيئة بظروفها دورا مهماً مؤثرا ، فالبيئة هي التي تحدد شكل النشاط الاقتصادي ، وهذا بدوره يسهم بشكل فعال في نوع العلاقات الاجتماعية ، وتحديد مكانة التقاليد والعادات السائدة في أي مجتمع وأنماطها

ولا تنفصل هذه (الأسباب النتائج) عن أثر البيئة بمعناها الجغرافي (التضاريس والمناخ) ، فنشاط بلاد السهول الاقتصادي غيره في بلاد الجبال ، ومدن السواحل غير مدن الصحراء ، والبلاد الممطرة غير بلاد الجفاف ، وهكذا

ولا يخرج المجتمع الكويتي عن هذه القواعد ـ صاغها الاجتماعيون لفهم البلدان وتحليلها ـ أثرت البيئة ـ بشكلها الجغرافي المباشر الضار ـ المناخ) ـ في اختيار النشاط الاقتصادي وتحد فكان لعناق البحر بالصحراء أكبر الأثر في النشاط الاقتصادي الأعلى إلى الصيد والبحر والرعي ، وكان للمناخ بقسوته الشديدة أثر واضحة في عديد من مظاهر الحياة ، ولعل أوضح أمثلتها كان في العمران ، فبنفس القدر المناخ في تحديد ساعات العمل ومواسـ مبكرا ، والراحة وقت الظهيرة والعـ

شكل العمران ونمط البناء

المح... وإذ كانت المدن والبلدان تقرأ من مبانيها ، ومن شكل ... ء وتوظيف المساحات وتصميم المباني ، فإن بيوت الكويت القديمة تعد نموذجا حقيقيا لعلاقة البيئة بالجوانب الاجتماعية ومظاهرها المختلفة

المناخ وأثره على العمران

من المعروف أن العناصر المناخية المؤثرة على العمران هي الحرارة والرياح والأمطار ، فبالنسبة للحرارة التي تعتبر من أهم عناصر المناخ ، فقد أثرت على العمران في الكويت لارتفاع درجاتها معظم أيام السنة وتبدو شدة الحرارة بصورة واضحة في الكويت إذا نظرنا إلى النهايات العظمى اليومية ومعدلاتها الشهرية ، حيث نجد أن هذه المعدلات ترتفع في معظم شهور الصيف ، وتصل إلى ٤٣م ، وقد تزيد عن ذلك وتجدر الاشارة إلى أنه حتى لو وصلت كتل هوائية من ناحية الخليج فإن مساهمتها في تلطيف الجو محدودة ، إذ أن درجة حرارة مياه الخليج نفسها مرتفعة ، ويزيد من الاحساس بحرارة الصيف أنها مقترنة بنسبة مرتفعة من الرطوبة

أما في الشتاء فتعتدل الحرارة في الكويت بوجه عام ، حيث أن معدلات أشهر الشتاء لا تنخفض عن ١٠°م ، وذلك باستثناء موجات البرد القارص التي تحدث احيانا ، والتي قد تنخفض درجة الحرارة أثناءها إلى الصفر المئوي أو ربما دونه هذا ومن الملاحظ أن عدد الأيام التي يرتفع فيها متوسط الحرارة عن ٤٠°م على مدار السنة يصل الى نحو ١٢٤ يوما ، وأن متوسط عدد الأيام التي تنخفض فيها درجة الحرارة عن ١٠°م يصل إلى ٧١ يوما فقط

من ذلك يتضح أن صيف الكويت طويل وحار ، إذ يمتد من منتصف ابريل وأوائل مايو إلى منتصف سبتمبر تقريبا ، أما شتاؤها فقصير بارد ، يمتد من منتصف نوفمبر إلى أوائل فبراير ، أما الربيع والخريف فلا يكاد يلاحظ وجودهما ، وإن كان الربيع ... وضوحا من الخريف ولعل ما يساعد على ارتفاع حرارة الصيف في الكويت هو قلة السحب وطول النهار وارتفاع مقدار الاشعاع الشمسي بسبب ذلك وتجدر الاشارة إلى أن للرياح وتغير اتجاهاتها أثره في اختلاف درجة الحرارة بين الصيف والشتاء ، فرياح الشمال تقلل من حرارة الصيف ، لكنها في الشتاء تعمل على جلب السحب والأمطار وخفض درجة الحرارة ، أما الرياح الجنوبية الشرقية التي تهب على البلاد صيفا فتؤدي إلى ارتفاع نسبة الرطوبة ، أما في الشتاء فهي رياح لطيفة تجلب الدفء

أما الرياح وهي العنصر الثاني من العناصر المؤثرة في العمران ـ لا سيما في بيوت الكويت القديمة ـ فإن تأثيرها المباشر ملحوظ على العمران في مدينة الكويت القديمة ، والمراكز العمرانية خارج سورها وتؤثر الرياح على عناصر المناخ الأخرى ، فهي على سبيل المثال تؤثر في اختلاف نسبة الرطوبة بين الجهات الساحلية والجهات الداخلية ، مما يؤثر على توزيع العمران

رياح وزوابع

تسيطر على الكويت صيفا الرياح الشمالية الغربية ، وهي رياح صحراوية ناشطة شديدة الحرارة والجفاف ، ولا تنافسها في ذلك أية رياح أخرى ، ولشدة حرارتها سميت « السموم » تستمر الرياح الشمالية الغربية مسيطرة على الكويت طوال فصل الشتاء ، بيد أنه قد يتغير اتجاهها بسبب الاضطرابات التي تصحب الانخفاضات الجوية التي تتكون على البحر المتوسط ، وتتحرك ناحية الخليج العربي ، عندما تهب رياح جنوبية شرقية أو جنوبية غربية ، لكن الرياح الأخرى دون نسبة الرياح الشمالية الغربية

وتجدر الاشارة إلى أن متوسط السرعة السائدة للرياح الناشطة في الكويت يتراوح بين ١٣ و٣٢ ميلا في الساعة ، ولا يعني ذلك عدم هبوب الرياح بسرعة أكبر من هذا المعدل ، ففي بعض الأحيان تصل السرعة إلى أكثر من ٨٠ ميلا في الساعة ومن آثارها المدمرة في هذه الحالة اقتلاع الأشجار وأعمدة

الكهرباء وتدمير بعض المنازل البسيطة

أما الزوابع الرملية في الكويت فتحدث بسبب المنخفضات الجوية ، وهي من الظواهر كثيرة التردد على الكويت . إذ يبلغ المتوسط السنوي لحدوثها ٢٥٢١ ساعة في العام ، أي بواقع ٧ ساعات يوميا ، ويبلغ المتوسط الشهري لكمية الغبار المترسبة في مدينة الكويت ٦١,٢ طنا / كم² شهريا ، وهو ما يعادل » جرامين / م² يوميا . وتبلغ أعلى كمية منه شهريا (١٠٢,٥) مائة وطنين ونصف خلال شهر ابريل . أما أدنى كمية فتبلغ ، ٢٨,١ طنا خلال شهر يناير

وتتعرض الكويت لهبوب الزوابع الرملية التي ترتفع معها ذرات الرمال إلى حوالي ٣٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ قدم ، وتعتبر هذه الزوابع احد الملامح المميزة لمناخ الكويت ، ويطلق عليها محليا اسم (الطوز) ، وتسود هذه الظاهرة في الغالب خلال فصل الصيف ، خاصة في شهري يونيو ويوليو ويبلغ متوسط عدد أيام حدوثها خمسة أيام في يونيو واربعة في يوليو ، وقد يصل عدد هذه الأيام إلى خمسة عشر يوما ، وقد يهبط عددها إلى يوم واحد خلال أي شهر من شهور الصيف والواقع أن هبوب الرياح قوية ومحملة بالغبار والرمال يتوقف إلى حد كبير على اتجاهها ، حيث يلاحظ الارتباط الواضح بين الزوابع الترابية الناشطة والرياح القادمة من الشمال الغربي خاصة في فصل الصيف وتبدأ الزوابع غالبا بهواء حار ، ثم تعقبه الزوبعة مع بلوغ الرياح سرعة مقدارها ٢٠ ميلا في الساعة أو أكثر ، حيث تصل أحيانا إلى ٤٠ و ٥٠ ميلا في الساعة ، وتتوقف كمية الرمال كذلك على عمق المنخفض الجوي فوق المنطقة ويبلغ متوسط عدد الأيام التي تحدث فيها الزوابع الترابية في فصل الشتاء أربعة أيام ، وفي فصل الربيع عشرة

أما العنصر الثالث من عناصر المناخ فهو المطر ، وقد كان له تأثيره على العمران في الكويت القديمة ، فالكويت تتميز بقلة أمطارها ، إذ يبلغ المتوسط السنوي لكمية المطر فيها حوالي ١٠٠ ملم ، ويتميز سقوط المطر بالتذبذب ومن دراسة ... كمية المطر الشهرية لفترة ١٩٧٨م ـ ... الكويت لوحظ أن متوسط كمية المطر ... ديسمبر ويناير وفبراير تعادل ٧٠٪ من ... يسقط في موسم المطر ، والسبب في تفاوت ... الكويت أنها أمطار إعصارية ، ترتبط بعمر ... وموقعه وخط سيره ، وغالبا ما تصحبها ... الرعدية أما عن موسم سقوط الأمطار ... بانخفاضات البحر المتوسط ، أي أنها ... الشتاء والربيع بين شهري نوفمبر وابريل ... سقطت في أواخر الربيع عرفت باسم « السرايات » ، وتكون مصحوبة بعواصف ... والرعد ، أما في فصل الصيف فيندر سقوط المطر

التصميم ومواد البناء

كان المنزل الكويتي القديم يتألف من طابق واحد في أغلب الأحيان ، وتبنى حجراته على جانب ... جانبين أو أكثر ، ويبدو المنزل دائما بشكل مربع ، مستطيل ، تشغل جوانبه الحجرات والمرافق وظل القسم الأوسط منه يمثل حوش المنزل الذي خصص لاستخدامات كثيرة

وتبنى جدران البيت الكويتي القديم عالية لمتطلبات بيئية واجتماعية ، سيأتي ذكرها فيما بعد أما باب المنزل فغالبا ما يكون على هيئة بابين ، الأول كبير والثاني صغير . الأول صمم ليستوعب دخول الحيوانات كالأغنام والماعز وقطع الأثاث الكبيرة ... الباب الصغير فقد خصص لدخول أهل البيت وزائريهم

والبيت يحتوي على عدد من الحجرات خصص بعضها للنوم وبعضها الآخر للتخزين ، علاوة على استقبال الضيوف ، لا سيما ضيوف رب البيت ... وتتعدد الغرف في المنزل بحسب حجم ... وعدد أفراد الأسرة والمستوى الاجتماعي لأصحابه ... ما يكون متوسط مساحة الغرفة (٤×٦ ... ٢٤ مترا مربعا وكان يراعى أن ...

صعيرة عالية لمتطلبات بيئية ، والحجرات تضم
عومات في جدرانها تمثل ما يسمى بالديكور في عالم
ليوم ، توضع فيها التحف والأدوات التقليدية
بقصد الزينة أو الانتفاع بها
ولم يكن هناك بيت ـ لا سيما بيوت العائلات
الموسرة ـ يخلو من الديوانية ، وهي حجرة استقبال
ضيوف رب الأسرة ، وكان يراعى في تصميمها
الاتساع وكثرة النوافذ الكبيرة الأقل ارتفاعا التي تطل
على الشارع ، وكانت تحتوي على مكان مخصص
لإعداد الشاي والقهوة ويشتمل البيت على مكان
مخصص للحيوانات على شكل حظيرة ، إما منفصلة
عن البيت أو في نطاقه ، ويحدد ذلك حجم الثروة
الحيوانية لدى الأسرة ، إذ أن العدد الكبير من الأغنام
والماعز أو البقر يحتاج لمكان خاص منفصل عن بيت
الأسرة ، بعيد عن أعين أهل البيت والزائرين ، إذ لا
يخفى وجود القاذورات والروائح المنبعثة من مخلفات
الحيوان التي تحتاج دائما للتنظيف
أما دورات المياه فهي عبارة عن غرف صغيرة ،
تزود بالمياه اللازمة وتجدر الاشارة إلى أنه لم يكن
هناك نظام صحي للصرف العام ، فقد كانت
المخلفات تصرف بطريقة فردية وقد تخصص عدد
من الناس من الرجال بالقيام بأعمال التصريف
والتنظيف ، حيث كانوا يستفيدون من بعض
المخلفات الطبيعية في الأغراض الزراعية
وهناك « الليوان » وهو امتداد للأسقف ناحية
الحوش ، تسنده أعمدة تختلف في أحجامها
وزخارفها حسب حالة اصحاب البيت المادية
وغالبا ما يكون « الليوان » مرتبطا بتصميم حجرات
البيت ومرافقه ، فهو إما أن يكون امتداداً لجانب من
سقف الحجرات أو امتداداً لجانبين أو ثلاثة أو
أربعة ليصبح على شكل مستطيل ينقصه ضلع أو
على شكل مربع وسنتحدث عن استخدامات
الليوان في الصفحات التالية
أما سقف البيت فكان جذوع أشجار معينة
مستوردة من الهند ، وتمد فوقها شرائح طويلة من
الخشب تكون على شكل شبك ، يوضع عليها نوع

مخطط للبيت الكويتي القديم

من الحصير مصنوع من البوص (يسمى بواري)
ثم توضع بعد ذلك طبقة من الطين
أما الأسطح فتبنى جدرانها عالية وسنذكر
السبب في ذلك
وتحتوي بعض بيوت أهل الكويت القديمة على
غرفة ملحقة بالسطح ، كثيرا ما كانت تزود
« بالباقدير » ، وهو عبارة عن برج يبنى فوق أسطح
المنازل له أبواب لا تزيد على أربعة ولم يكن هذا
الباقدير يبنى لأغراض جمالية فوق الأسطح وإنما يشيد
لأغراض وظيفية يظهر معها بجلاء تكيف الكويتيين
قديما مع بيئتهم
هذا وقد استفاد الكويتيون من إمكانات بيئتهم في
مجال البناء والعمران ، فاستخدموا الرمال التي تزخر
بها أرض الكويت ، كما استخدموا الطين المتواجد في
مناطق الأودية القديمة حول مدينة الكويت ، هذا
علاوة على استخدام صخور الشاطيء المتوفرة على
جهة المدينة البحرية ، أما الأخشاب ولوازم البناء فقد
جلبوها من الهند وشرق افريقيا

لو نظرنا إلى حوش المنزل أو فنائه في البيت الكويتي القديم لوجدناه متسعا ، وقد وظف هذا الحوش لأغراض شتى منها بناء بركة لتجرين المياه في وسطه ، يكشف غطاؤها أثناء مواسم المطر كي تستقبل كميات من المياه ذات الاستخدامات المتعددة ، كذلك أمكن تغذية هذه البركة من المياه المتجمعة على سطح المنزل عن طريق « المرزام » الذي يوصل به أنبوب مصنوع من قماش الأشرعة لينقل المياه منه إلى فوهة البركة وقد جاء بناء البركة وسط الحوش نتيجة للحاجة الماسة لتخزين المياه ، سواء كانت من الأمطار أو تلك التي يتم شراؤها

ويستخدم « الحوش » لمبيت أفراد الأسرة صيفا حيث تهب ليلا نسمات ريح الشمال ، كما تجلس نسوة البيت في أوقات الضحى في أطراف الفناء الظليلة ، فالجدران عالية ، وهذا العلو أو الارتفاع يوفر الظل سواء كان ذلك داخل المنزل أو خارجه وقد يضم الفناء بئرا تحفر لتوفير المياه الباطنية لبعض الاستخدامات المنزلية ، ومياه الآبار إما مالحة أو مائلة إلى الملوحة

استخدام « الليوان » ينحصر في الجلوس فيه ، لا سيما وقت الظهيرة لتناول وجبة الغداء صيفا ، كما يستخدم للنوم عند القيلولة لما يوفره من ظل وبرودة نسبية كما كان يعلق في أركان « الليوان » الظليلة ما يسمى « الملاّلة » ، وهي سلة يوضع فيها الطعام الزائد عن الحاجة ، وللمحافظة عليه من الفساد في هذا المكان الظليل البارد نسبيا وفي ذلك يذكر السعيدان ما يلي

« الملاّلة » سلة تصنع من الخوص أو الأسلاك ، كانت تعلق في الماضي في حوش المنزل ، حيث تتدلى من العريش أو « الليوان » ، توضع فيها بقايا الأكل لليوم التالي ، كباقي الطعام أو البطيخ أو اللحم ونحوه ـ قبل وصول الثلاجات إلى الكويت ـ وذلك لتتعرض للهواء

وبعض البيوت التي لا يتوفر فيها « ليوان » فإن بناء العريش فيها ضرورة لابد منها يذكر ... أن العريش عبارة عن سقيفة من البواري أو ترتكز على أعمدة من خشب « الجندل » و ... وتصف فوق أعواد البردي أو « الباسجيل » ... مستورد من شرق افريقيا) وتغطى بنسيج ... والحياش وتتخذ ظلا ، ويضيف بأنه لم يكن ... في الكويت القديمة من العريش وقد يسمى ... بالليوان

ومن فناء البيت تخرج على حظيرة ... الغنم الذي يقتطع من فناء البيت ... الظروف البيئية على الكويتيين اقتناء ... والماعز لتوفير المتطلبات الأسرية من ... ومنتجاتها ، ومن الدواجن والبيض ونحو ... بعضهم كان يحتفظ بحيوانات النقل من ... والبغال لعدم توفر وسائل النقل المتطورة في الكويت قديما ، خاصة لنقل السلع والبضائع والماء

وتجدر الاشارة إلى أن بعض الأسر كانت تزرع في فناء المنزل بعض الأشجار المثمرة التي تتلاءم مع ظروف البيئة المحلية كالنخيل والسدر لتفي باحتياجات أهل المنزل وكانت تروى من الآبار التي تحفر في أحد جوانب الفناء

بحثاً عن الظل

وقد نتج عن بناء جدران البيوت التقليدية العالية وتلاصق البيوت وجود شوارع ضيقة أو أزقة بمعنى أدق ، والهدف من ذلك محاولة إيجاد الظل في تلك الشوارع ، بحيث تخفف من حدة أشعة شمس الصيف اللاهبة وقد عرفنا مما سبق طول فترة الصيف وارتفاع مقدار الاشعاع الشمسي وهذا النمط من البناء إنما يعالج هذه الظاهرة عن طريق توفير الظل

وفي نمط بناء الحجرات رأينا أن النوافذ عالية صغيرة ، وهذا النمط من البناء يعالج ظاهرة ... هي شدة الحرارة ، ومن وظائف هذه النوافذ الصغيرة العالية التخفيف من شدة الاشعاع ...

سمك» إضافة إلى التقليل من كمية الغبار أما «الباقد» الذي سبقت الاشارة إليه ، والذي يبنى فوق الأسطح في المنازل القديمة فقد كان يمثل ما يعرف اليوم باسم أجهزة التكييف صيفا يذكر السعيدان ـ أن الكويتيين قد استخدموا الباقدير للحصول على الهواء المنعش ، وذلك قبل أن يعرفوا المراوح وأجهزة التكييف الكهربائية ، وهو عبارة عن برج بارز ، فوق أسطح المنازل ، له عدة أبواب لا تزيد عن أربعة ، تصطدم بها الرياح من كل اتجاه ، فتدخل في تجويف البرج فتصل إلى داخل الغرفة فيلطف جوها وكان يوضع بأسفل الباقدير قطعة من القماش المبلل ، حتى إذا ما هبت الرياح المتربة تقوم بتصفيتها من الرمال العالقة بها ، وكلمة باقدير كلمة فارسية الأصل ، معناها برج الهواء البارد ، وتلفظ قاف الكلمة كالجيم المصرية

ومما سبق يتضح أن « الباقدير » صمم لمواجهة حرارة الصيف وأيامه المتربة ، وفي ذلك تحايل على قسوة البيئة ومعطياتها المناخية الصعبة

هذا وعلى الرغم من أن للأمطار اثارها الايجابية على سكان الكويت قديما ، وتتمثل في توفير المياه وحفظها في البرك ، فإن لهذه الأمطار الاعصارية آثاراً سلبية ، تتمثل في احالة الشوارع غير المرصوفة آنذاك إلى أوحال يصعب السير عليها

كما كانت مياه الأمطار تتجمع في بعض الشوارع الضيقة وتسدها ، وتحول دون المرور فيها ، إلا بعد أن يتعاون الأهالي في ايجاد طريقة لتصريفها وكما تتجمع مياه الأمطار في الشوارع الضيقة فإنها تتجمع أيضا في أحواش وأفنية البيوت القديمة ، وتجعل التحرك داخلها أمرا صعبا ولتصريف هذه المياه لجأ الكويتيون إلى حفر قنوات من الحوش إلى الشارع عبر أسفل الجدران ، مهمتها تصريف المياه إلى خارج البيوت ، وقد سميت هذه القنوات « المداعيب » ومفردها « مدعاب »

ومما سبق يتضح لنا أن الكويتيين قد تفاعلوا مع ظروف البيئة في مجال بناء بيوتهم ، فجاءت أنماط البناء كنوع من التكيف البيئي والتحايل البشري الذي أفرز صورة من التعايش والمواءمة بين الانسان والبيئة في الكويت قديما □

كعكة العرس

● يقال ان كعكة العرس نشأت من التقليد القديم الذي يجعل شراكة العريس والعروس في طعام واحد ، رمزا للوحدة ، ومع الوحدة الغبطة والهناء ، ويقال كذلك ان قدماء الاعريق كانوا يصنعون الكعكة من طحين السمسم بعد خلطه بعسل النحل ، ثم توزع الكعكة على الضيوف ، وفي روما القديمة كان من مراسم الزواج الأولى صنع فطيرة من القمح ، يهبها العريسان الى الآلهة ، ثم يأكلان منها معا

وتوارثت أوروبا هذه الكعكة ، يصنعونها من عجين بلاخميرة ، فهي اشبه بالبسكوت ، ومع تطور فن الطهي زادت الكعكة حجما ، وزادت محتوى ، وتعقدت صناعتها ، فتفننوا في تزويقها ، وهي اليوم مرسم من مراسم العرس قائم دائم ، تبدأ العروس بقطع الكعكة بالسكين يعينها في ذلك عريسها ، وذلك في الحفل الذي يقوم بعد عقد الزواج ، وتوزع على الحاضرين والحاضرات ، وتستبقى للغائبات والغائبين قطع صغيرة منها ترسل اليهم تحية وذكرى

الفحص الطبي الدوري
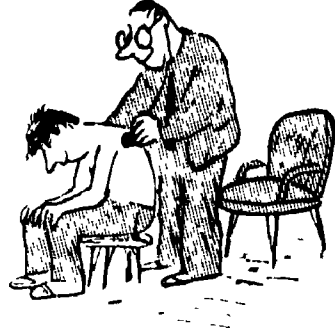
بقلم : الدكتور قاسم طه السارة *

لا يخفى على من يعيش في عصرنا الحاضر كثرة حدوث أمراض القلب والشرايين ، مثل الجلطة والفالج ، وكثرة حدوث داء السكري ، والقصور الكلوي ، والسل الرئوي ، وغيرها ومن المعروف أن مثل هذه الأمراض تأتي نتيجة تطور تدريجي وبطيء ، وقد يستغرق تكامل المرض سنوات أو حتى عشرات السنين

ومن هنا كان للكشف المبكر لعلامات هذه الأمراض وأعراضها ، والمعالجة المبكرة دور هام في تجنب حدوث مضاعفات في مثل هذه الأمراض الوخيمة

والفحص الطبي الدوري يشبه الفحص (الميكانيكي) للسيارات ، فكل من يمتلك سيارة عليه إجراء فحص (ميكانيكي) دوري لها ، وعليه أن يتفقد أجزاءها ، وأن يُغيّر الزيت ويبدّل الإطارات قبل أن تتلف تلفا تاما ، وذلك حرصاً على بقائها تعمل بحالة جيدة ، لأطول فترة ممكنة

وبدن الإنسان هو أغلى ما يملك ، وهو أجدر أن تقدّم له مثل هذه العناية ، وأحق أن يتعهد بالفحص الدوري لكل أعضائه وأجهزته من حينٍ لآخر

إن الفحص الدوري هو قيام شخص سوي يتمتع بصحة جيدة ، سليم من الأمراض لا يشتكي من أيِّ علةٍ ظاهرة ، وليس في عائلته من مصاب بمرضٍ مزمن أو وراثي ، بمراجعة الطبيب أو المركز الطبي المختص ، في فترات زمنية منتظمة كل سنة ، أو كل ستة أشهر ، لتجرى له الفحوص الصحية السريرية ، والمخبرية ، والشعاعية

أما إذا شكا الإنسان من علةٍ ما ، أو كان هناك أحد أفراد عائلته مصاباً بمرض مزمن أو وراثي مثل ارتفاع ضغط الدم ، أو داء السكري ، فتجب مراجعة الطبيب في فترات متقاربة أكثر ، والتركيز عند إجراء الفحوص السريرية أو المخبرية الشعاعية على علامات ذلك المرض ، دون إهمال علامات الأمراض الأخرى

أهداف الفحص الطبي الدوري

١ ـ الكشف المبكر عن الأمراض الخطيرة القابلة للشفاء بالمعالجة النوعية ، قبل أن تظهر أعراضها ويستفحل خطرها ، وقبل أن تصبح معالجتها عديمة الجدوى ، أو عديمة الفائدة ، ومن تلك الأمراض

---

* طبيب من القطر العربي السوري

الحـ ـرة احتشـاء القلب ، وجـلطة الـدمـاغ الفـ ـج » ، وانسـداد الشـرايـين في السـاقـين ، والسر ـان القصبي الرئوي عند الرجال ، وسرطان الثدي عند السيدات ، وارتفاع ضغط الدم ، وداء السكري ، وارتفاع شحوم الدم ، والتدرن الرئوي « السل »

٢ ـ يؤدي التماس مع الطبيب أو مع عناصر المركز الطبي المختص إلى سماع الـوصايـا والارشـادات الطبية التي تكفـل للمرء العيش بصحـة وعافيـة ، مثل

أ ـ استعمال أحزمة الأمان في مقاعد السيارات

ب ـ المحـافظة عـلى الوزن المنـاسب ، وتفـادي البدانة

جـ ـ ممارسة الرياضة بشكل صحي

د ـ تنظيم ساعات النوم

هـ ـ تناول الطعام الذي يحتوي على كمية قليلة من الشحوم ، ومن السكـريـات ، وكميـة وافـرة من الألياف النباتية

و ـ الامتنـاع عن العادات الاجتمـاعية الضـارة بالصحة مثل التدخين ، وشرب الخمر ، وقضاء أوقات الفراغ في المقاهي أو الصالات المغلقة التي تحتوي على هواء ملوث

ز ـ وصايا عامة تتعلق بالأمن الصحي في العمل ، والعناية بأجهزة الجسم المختلفة مثل جهـاز القلب والـدوران ، وجهـاز التنفس ، وجهـاز الهضم ، والجهاز البولي ، والجهاز العصبي الخ

ح ـ وصايا صحية تتعلق بتربية الأطفال ، وتقديم الرعاية الطبية الأولية لهم ، مثل التلقيح ، والتغدية المناسبة

٣ ـ تحسـين نـوعيـة الحيـاة في المستقبـل ، ومواصفاتها ، وبالتحديد في سن الشيخـوخة ، إذ يهدف الفحص الدوري إلى المعالجة المبكرة ، فور كشف العلة أو الاضـطراب السمعي أو البصـري مثلا ، بالتالي يؤدي إلى الوقاية من حدوث الصمم أو العمى في المستقبل

كيفية الفحص الدوري

١ ـ يقـوم الـطبيب بسؤال الـزائـر ، ولا أقـول المريض ، لأن الزائر غالبا ما يكون صحيح البدن ، عن بعض الشكـاوي التي قد يهملهـا بعضهم ، أو يعتبرونها « أموراً طبيعية » ، كالصـداع ، وطنين الأذن ، وكثرة التبول ، ووجع الصدر

٢ ـ يقوم الطبيب بإجراء فحص سريري كامل ، يشمـل الـوزن ، وقيـاس ضغط الـدم ، وقيـاس النبض ، وقيـاس درجة حـرارة الجسم ، وسمـاع دقات القلب ، وسماع الأصوات التنفسية للصدر ، وجس الشـرايـين في العنق والفخـذين والإبـطين والقدمين ، وجس البطن « للتحري عن وجود كتل ورميـة » ، وجس العقـد اللمفيـة ، والـطحـال والكبد ، للتحري عن وجود تضخمات مرضية ، وفحص الفم والبلعـوم ، ومس الشرج ، وفحص الثدي عند السيدات

٣ ـ بعد التأكـد من سلامـة أجهزة الـبدن يحول المـريض إلى المختبـر ، لـدراسـة مكـونـات الـدم وعـناصره ، والبـول ، والتحري عن الـطفيليـات بالبراز

٤ ـ يفضل بعد سن الثلاثين إجراء تخطيط كهربي للقلب ، وتصوير شعاعي للصدر

٥ ـ بالنسبة لمن لديهم قصة عائلية للإصابة بداء السكري ، أو بفرط شحوم الدم ، أو فـرط حمض البول ، يجب إجراء الفحوص المخبرية على فترات متقاربة ، لا تزيد عن ستة شهور

٦ ـ الحـوار أو المناقشة حـول النتـائـج العـامة للفحوص السريرية والمخبرية ، مـع التأكيـد على الحميـة المطلوبـة ، وتغيير العـادات الاجتمـاعيـة السيئة ، وأحيانا التوصية باستشـارة اختصاصي في موضوع معين ، أو دراسة جهاز من أجهزة البـدن بطرق أكثر تعقيدا □

هو.. وهي

تدخل

● إنه شيء لا يطاق . لقد أصبح البيت جحيما ، وحمدت الله أني لم أر لزوجي أمّا ، وأمها توفيت وهو لم يزل طالبا في المرحلة الثانوية . كنت أسمع من شقيقاتي وصديقاتي عن تجربة التعامل مع أم الزوج . لكن ما حمدت الله عليه اتقاء وجودها ، من مخاطره كان أهون كثيرا مما عانيته من شقيقته

فقد تولت شقيقته الكبرى تربية أشقائها بعد وفاة والدتهم ، فصارت هي الأم والأخت . وكان عطاؤها لهم كبيرا وعظيما ، وبقدر عطائها تعاظم لديها إحساس بأنها تمتلكهم وبعد زواجي بشهر واحد بدأ أنفها يدخل في كل أمر في حياتي ، تتابعني بشكل يومي هل أنهيت أعمال البيت ، وماذا أطهو ، وكيف أطهو ، بل وصل تدخلها إلى أكثر مما يحتمل ويطاق ، وصارت تسأل بشكل مباشر بعد أن كانت تسأل بطرق ملتوية ، لكنها مكشوفة ماذا فعلتم بعد أن استيقظتم ؟ هل استحم زوجك ؟

وحاولت كثيرا أن أوقف هذه التدخلات وهذه المشاجرات الدائمة . لكنه كان يبتسم في وجهها ، ويهش لها ، ويقبل رأسها ، ويربت على كتفها ويجلسها بجواره منتظرا إشارة أو لفتة منه طيلة سبع سنوات لم تتغير ولم تكف عن أسئلتها ، ولم تقلع عن صراخها في وجهي طالبة الرحمة للرجل ، لأن صحته لا تروق لها ولم تتوقف عن مناقشتي في مصروف البيت وميزانيته ، وماذا أنفق ، وماذا أشتري ، وتفحصها الدائم لملابسي ، فهذا ضيق ، وهذا قصير ، وهذا وهذا وفي مساء أحد الأيام كنا نسهر معا ، ومعنا والدتي ، ويبدو أن زوجي قد داعبني ، وربت على كتفي مرتين وتجاهلها وعندما جاءت حلمنا إلى المطبخ تساعدني في حمل أطباق العشاء ضبطت زوجي وهو يطبع في وجنتي قبلة مجاملة عادية ، وظلت بقية السهرة كأنها جالسة على موقد نار ، وعندما مضى وقت تلكأت في الانصراف ، فعرضنا عليها المبيت هي ووالدتي فقبلت فورا ، وعندما دخلت غرفتي وجدتها نائمة في سريري ، فقد اشتاقت للنوم بجانب شقيقها وعبثا حاولت أمي أن تقنعها بأن هذا لا يليق ، وأن وأن ، لكنها ادعت المكابرة والمداعبة وأصرت على البقاء في سريري ، فتركته لها ، وذهبت للغرفة الأخرى لأنام مع أمي وابنتي وقلبي يحترق غيظا من برودة زوجي وابتساماته المشجعة ■

هو.. وهي

القوى العظمى

قال حكيم قديماً إننا نرى القشة التي في عيون الآخرين ، لكننا لا نرى ما بأعيننا ، ...رف أن بيتي صار ساحة من ساحات المعارك ...كرى ، طرفاها القوتان العظميان في حياتي ، أمّ ...حتي وشقيقتي ، لقد حاولت كثيرا أن أفهم زوجتي ...شرح لها ، أن شقيقتي هذه بمثابة أمّ ، وأنها ربتنا ...محت من أجلنا أكثر من كثير من الأمهات، وأنني ...بها وأحترم سنها وحياتها التي وهبتها لنا عن رضا ...دراً مني لأنها ضحّت ، والتضحية ليست فرضا ، ...رهت والهبة ليست سلوكا واجبا

...سبحان الله وحده الذي يجعل في قلوب الأمهات ...ه لأبنائهن وعندما تحبا واحدة ـ أياً كانت ـ حبا ...لأمهات ، وتضحي من أجلنا كتضحية الأمهات ...تقدير لها يجب أن يكون عظيما ، وعرفاننا لكل ...فعله يكون متسعا رحبا وعندما عجزت زوجتي ...فهم ، وبدأت ردودها على شقيقتي ـ أمي ـ ...صبح أكثر حدة ، وبدأ صوتها يعلو عليها ، ...صارت سخريتها من تعليمها المحدود تزداد بدأت ...تر هذه الصورة الأخرى ، وأشكو ، وأصرخ عنها ...ت صامتا عليه ، فقد كانت تدخلات أمها منذ ...يوم الأول للزواج لا تطاق ، فإذا ناديت زوجتي ...صوت عال تصرخ لماذا ترفع صوتك على ابنتي ...كذا ؟ وإذا ذهبت إلى لقاء أصدقاء في المساء ...صف وصاحت لماذا تركت ابنتي وحدها في البيت ؟ وإذا اعترضت على طعام أو عدم وجود قميص نظيف أو وجود مقعد مقلوب تصرخ مد يدك واعمل في البيت مثلها ، وساعدها ولا تكف يوما عن الحديث عن الأقارب والصديقات والمعارف وأزواجهن ، وماذا فعلوا لزوجاتهم ، وماذا اشتروا لهن ، والنقود التي يتركونها لزوجاتهم لكي يبعثرنها ، وينفقن منها كيفما يشأن ، ولا تقلع عن الوصفات الشعبية (المقوية) التي أفاضت بها زوجتي تمدها بإرادة مسلوبة حتى علاقتي بأصدقائي لا تكف عن التدخل فيها ، وقد سمعت يوما أني اقترضت صديقا ، فصرخت في وجهي قائلة بدلا من أن تقرضه اشتر ذهبا لزوجتك وفي مساء أحد الأيام أصرت شقيقتي أن تنام بجواري ، فثارت أمّ زوجتي تضامنا مع ابنتها ، وعندما تدهور مستوى كلماتهما أصررت أن أنحاز لشقيقتي ، فقد عز عليّ أن أهين مشاعرها ، ولم يهن عليّ أن أجرح الخمسين عاما من عمرها الذي وهبته لنا وتركت الحرب دائرة ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يوقف أو ينهي صراع القوى العظمى في عالمنا المجنون هذا ؟! □

..هو

غدة البروستاتا تهدد !

بقلم الدكتور محمد عبدالله المشاري

تفيد بعض الدراسات أن ٢٢٪ من الرجال دون سن الأربعين في الولايات المتحدة الأمريكية مصابون بالتهاب البروستاتا ، وأن ٦٠٪ من الرجال الذين تجاوزوا سن الأربعين مصابون بهذا المرض أيضا
إن هذه النسبة العالية ، التي يمكن أن تقابلها نسبة متشابهة على الصعيد العالمي تحتم محاولة تقصي أسباب هذه الظاهرة

إن التركيبة التشريحية لغدة البروستاتا تأخذ شكلا مخروطيا مقلوبا ، تقع أسفل المثانة ، وتحيط بمجرى البول ، وتلامس المستقيم من جهة الخلف وتتكون الغدة من عدة فصوص ، الفص الأوسط وفصين جانبيين ، وتغلف هذه الفصوص كبسولة عضلية ليفية ونسيج الغدة ذو تكوين أنبوبي متفرع ، وتبطن هذه الأنابيب خلايا ظهارية عمودية وتفتح قنوات الغدة في مجرى البول البروستاتي ، ونجد أن القناة الدافقة تخترق غدة البروستاتا لتفتح في مجرى البول البروستاتي

وتقوم غدة البروستاتا بإفراز ٣٠٪ إلى ٤٠ / من حجم السائل المنوي ويتكون سائل البروستاتا من المواد التالية ـ الزنك ، المغنيسيوم ، الكالسيوم ، الكوليسترول ، حامض الستريك ، السبرمين ، الليسوزيم ، حامض الفسفتير ، ووجود هذه المواد في سائل البروستاتا دليل على سلامة عمل الغدة وسلامة نشاطها وتعتمد غدة البروستاتا في عملها على تواجد هرمون « الدايهيدرو تستيستيرون ، وهو الهرمون المذكر

أسباب المرض

قد لا تظهر أعراض المرض واضحة عند كثير من المرضى ، لكن الفحص المجهري لنسيج الغدد المريضة يبين وجود خلايا صديدية وبعض الميكروبات ونجد أن الاصابة بالمرض تبدأ بعد سن البلوغ ، وتزداد امكانية الاصابة بالمرض بتقدم العمر ، وهناك العديد من الميكروبات التي كثيرا ما تكون سببا للإصابة بالالتهابات الحادة أو المزمنة بغدة البروستاتا ، أما أهم هذه الميكروبات فهي - اشيريشيا كولاى ، بروتيس ميرابيليس ، وبعض أنواع من الكلبسيلا ، السودوموس ، كلاميديا ، نايسيريا جونوريا ، مايكوبلازما هوميس وقد تصاب الغدة بأكثر من ميكروب في نفس الوقت

ونسبة إمكانية الاصابة بالنايسيريا جونوريا والكلاميديا والميكوبلازما لا تتعدى ١ من الحالات ، مع ملاحظة أن استزراع سائل البروستاتا غالباً ما يظهر سالبا ، أي خاليا من هذه الميكروبات هذا وتصل الميكروبات المسببة للمرض ...

ـا نتيجة لالتهابات في مجرى البول ، أو و الحالب أو الكلى ، أو قد تصل إليها عن لأوعية الدموية عند إصابة الجسم بؤرة صديديـة ، كالتهاب اللوزتين مثلا ، أو قد تمتد الالتهابات من أعضاء قريبة من غدة البروستاتا مثل المستقيم حيث تصل الميكروبات من خلال الأوعية الليمفاوية ، وقد ينتج الالتهاب من استعمال أدوات جراحية او عند استعمال القسطرة

وتوجد بعض العوامل التي تساعد على تفاقم الحالة مثل احتقان البروستاتا ، والتضخم الحميد ، أو الأورام السرطانية في البروستاتا ، أو ضيق مجرى البول ، أو تقلص عنق المثانة الخ

أعراض المرض

تبدو أعراض المرض غالبا على هيئة حمى ، صداع ، خمول عام ، آلام متفاوتة الشدة في منطقة العانة والقضيب ، والخصيتين ، ومنطقة العجان ـ وهي المنطقة الممتدة من الخصيتين الى فتحة الشرج ـ ، وقد تمتد الآلام إلى أسفل البطن والظهر والجزء الداخلي من أعلى الفخذ ، وقد تصاحب الحالة الام أو حرقة عند القذف ، مع خروج قطرات سائل ذي لون أبيض من القضيب وذلك عند التبرز ، خاصة عند الإصابة بالإمساك

وهذا وكثيرا ما يشتكي المرضى المصابون بالتهاب البروستاتا المزمن من مشاكل في التبول ، ككثرة التبول ، والحرقة في البول ، أو خروج قطرات من البول بعد الانتهاء من عملية التبول ، أو قد تصاحب خروج إفرازات صديدية من القضيب على هيئة قطرة في الصباح

ويجب أن أذكر بأنه قد لا تصاحب الحالة أي أعراض مرضية ، إنما يتم اكتشاف الحالة بعد فحص سائل البروستاتا أو السائل المنوي

و - فحص الغدة بإدخال الأصبع الوسطى في الشرحية ، نلاحظ تضخماً في حجم الغدة مع إحساس المريض بالألم ، خاصة عند الضغط عليها بواسطة الأصبع ، وقد يصاب أحد الفصوص الجانبية أو كلاهما

ونتيجة لوجود الميكروبات في غدة البروستاتا ، قد تحدث تفاعلات مناعية ، مما ينتج عنها قلة عدد الحيوانات المنوية وضعف حركتها ، فلقد تبين من احدى الدراسات أن وجود ميكروبات مثل اشيريشيا كولاي ، البروتيس ، ترايكوموس فاجايناليس ، الكانديدا أليكس ، يؤدي إلى ضعف الحيوانات المنوية أو عدم حركتها ، بينما ميكروبا الاشيريشيا كولاي والكانديرا اليكس يؤديان إلى تلازن الحيوانات المنوية

ومما يلاحظ أن تركيز مادة الزنك في سائل البروستاتا يقل عند إصابة الغدة بالالتهاب ، مما ينتج عنه ضعف في حركة الحيوانات المنوية

توجد بعض الأمراض التي قد تشبه في أعراضها مرض التهاب البروستاتا ، مثل التضخم الحميد لغدة البروستاتا ، عند الرجال المتقدمين بالعمر غالبا وكذلك مرض تصلب المثانة ، وانسداد عنقها ، وضيق مجرى البول الذي كثيرا ما يصاحب بالتهاب البروستاتا ويظهر ضيق مجرى البول غالبا كمضاعفات لمرض التهاب مجرى البول المتعدد الأسباب ومرض السيلان ، لكن نظرا لنجاح علاج هذين المرضين باستعمال المضادات الحيوية ، نجد أن نسبة الإصابة بضيق مجرى البول كمضاعفات لهذين المرضين لا تتعدى ١ / من الحالات

وقد يشبه التهاب البروستاتا في أعراضه مرض اضطراب عنق المثانة ، حيث عند المصابين من الشباب غالباً ، ومن أعراض المرض كثرة التبول ، ونزول عدة قطرات من البول بعد الانتهاء من عملية التبول ، وقد تصاحبه في بعض الأحيان التهابات البروستاتا ولا نستطيع أن نشخص مرض اضطراب عنق المثانة إلا عن طريق تصوير المبال والمثانة وقياس كمية البول □

طبيب الأسرة

قضية الصداع

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

لو سئل الناس عن معنى الألم لعجزوا جميعا عن الاتفاق على الاجابة السليمة ، ومع هذا فالألم هو الحادي الأول الذي يدفع الناس إلى عيادات الأطباء في كل مكان وزمان ، وعندما طلبوا من المتخصصين تعريف الألم لم يجدوا جوابا لديهم سوى أنه إحساس غير مرغوب فيه ، لا يحب الناس تكراره

ولعل أبرز أشكال الألم الذي ينتاب كل الناس في بعض أيام حياتهم هو الصداع

فالصداع هو أكثر أعراض الألم شيوعا بين كافة البشر تقدر الاحصائيات نسبة المرضى الذين يشكون للأطباء من الصداع بما يتراوح بين ١٠ - ١٥٪ ، بل ربما تصل المعدلات في بلد متقدم كالولايات المتحدة الأميركية إلى أعلى من هذه النسبة بكثير ، إذ يقدر عدد مرضى الصداع ممن يراجعون الأطباء كل عام بحوالي ٤٢ مليون إنسان تقريبا

والصداع معاناة شخصية تتمثل في عرض متميز لا يدركه إلا صاحبه فقط ، قد تصاحبه علامات تعين الطبيب على التشخيص ، أو يكون منفردا ليس للطبيب حيلة في تحديده إلا بما يروي المريض ويصف ، ومن هنا كانت أهم درجة في سلم التشخيص هي التاريخ المرضي الذي يقصه المريض على طبيبه وأهم دعائمه هي

أ - وصف الألم إذا ما كان نابضا او ساكنا او حارقا أو واخزا

ب - موضع الألم من الدماغ وجهته ، فبعضه شامل للرأس ، وبعضه في نصفه فقط وبعضه الآخر يتركز في موضع محدد دون غيره ، كأن يكون في مقدمة الرأس أو مؤخرتها أو أحد جانبيها

ج - موعد الألم حيث تتميز بعض الأمراض بمواعيد محددة تلتزم بها ، إذ منها ما يداهم ليلا ومنها ما يداهم نهارا ، وقد يكون الألم عند الاستيقاظ ، أو قد يكون قبيل النوم ، وهكذا

د - مدة الشكوى من الصداع بعض أنواع الصداع يمر مرورا خاطفا يستغرق مدة دقائق او يبقى ساعات معدودة ، وبعض انواعه يستمر ساعات طوالا أو أياما

هـ - العلامات المصاحبة المتميزة لبعض انواع الصداع حيث إن هناك صداعا قد يداهم أعزل دون علامة مصاحبة له ، بينما يداهم صداع اخر مصحوبا بعلامات تعين على تشخيصه ، كاحمرار العين مثلا أو ادمائها

و ـ الم رات والمثيرات هناك عوامل معينة قد تثير نوب الصداع ، وهناك عوامل أخرى قد تهيئها

ز ـ الاعراض التي تسبق الصداع أو تلحق بها وهو ما اصطلح عليه في عرف الطب باسم الباورة أو الاورا Aura) كما هي حال الصداع النصفي التقليدي الذي يسبقه اضطراب بصر ، ورعللة في العين مع هلوسات صوتية وحسية وهكذا

ولهذا فالأسئلة التي يطرحها الطبيب لابد لها من إجابات دقيقة ، تعين على التشخيص الصادق لمعاناة المريض وسببها ومن ثم تحديد علاجها

من الجدير بالاشارة إليه هنا لفهم طبيعة الصداع أن نذكر أن خلايا المخ التي يقدر عددها بحوالي ثلاثة عشر ألف خلية لا تحس بأي ألم إطلاقا ، فهي إذن ليست موضع المعاناة ، وإنما السر في ألم الصداع يعود إلى إثارة ما يعرف بمستقبلات الألم التي تتركز في جدران الأوعية الدموية الكبرى وفي نسيج السحايا ، وهي الأغشية المعلقة للمخ والنخاع الشوكي ، ومن هنا كان سر المعاناة أحد ثلاثة أسباب هي

(١) احتقان في الأوعية الدموية الكبرى للدماغ (ولا دور للأوعية الصغرى داخل المخ) مما يؤدي لانتفاخ جدرانها وبالتالي إثارة مستقبلات الألم فيها

(٢) ضغط على الدماغ كما يحدث في أحوال نزيف المخ أو أورامه أو مع زيادة ارتشاح سائل المخ النخاعي داخل الجمجمة وأنسجة المخ

(٣) الشد على أنسجة المخ أو أغلفته ، ولعل أبرز مثله ذلك الصداع الذي يداهم المرضى عقب إجراء عملية بزل للسائل المخي النخاعي ، وهو صداع يزداد حدة عند الجلوس أو الوقوف ، ويخف مع تخفيض الرأس أو النوم إن فهم هذه الحقيقة يعين على التعامل الصحيح مع قضية الصداع وعلاجها بالوجه الأسلم

لقد تعددت أنواع الصداع كما تعددت أسبابه ، ومن هنا ذهب الأطباء إلى تصانيف شتى للصداع ، يهمنا أن نعرض هنا لأهمها وأكثرها شيوعا ، وهي

١ ـ الصداع العرضي الذي يعاني منه الجميع من وقت لآخر دون مقدمات ، ويتغلبون عليه بوسائل سهلة ، وعقاقير بسيطة ، والأغلب أن يستغنوا عن الطبيب معتمدين في الخلاص منه على أقراص مسكنة ، ومن أهمها الاسبرين والبارسيتامول ، وهؤلاء ننصحهم بالآتي

أ ـ تناول أقراص المسكنات مع الحذر من تعاطيها والمعدة خاوية ، لأن الأسبرين يهيج بطانة المعدة ، ويتلف الأوعية الدموية ، ويؤدي إلى نزيف لا تحمد عقباه

ب ـ عدم الاسراف في تعاطي المسكنات التي قد لا تنفع ، فالطبيب أولى بالمشورة وأقدر على النصح

جـ ـ استعمال الكمادات الباردة على الرأس وتدفئة بقية الجسم بالأغطية والبطانيات

د ـ النوم والراحة ميدان لعلاج الصداع والخلاص منه .

هـ ـ الراحة النفسية والبعد عن القلق والمثيرات النفسية علاج للصداع الطارىء ، فأغلب الأسباب تعود إلى معاناة نفسية

٢ ـ الصداع الأولي ويشمل كل صداع ليس له مرض يبرره ، بل هو الأساس الأول في معاناة المريض ، ومن أهم أنواعه

أ ـ الصداع النصفي الذي ينتمي إلى مجموعة تعرف بالصداع الوعائي ، لأن المعاناة سببها احتلال في أوعية الدم الكبرى المغذية للدماغ من انقباض أو احتقان

والصداع النصفي صورتان ، الأولى تعرف بالصداع النصفي التقليدي ، وهي تتميز بحدوث ما يعرف بالباورة ، حيث يعاني المصاب من اضطرابات بصرية ورعللة في العينين أو هلوسات حسية سببها ضيق في أوعية الدم الدماغية ، ثم يعقبها الصداع الذي يتميز بالمعاناة في نصف الدماغ فقط ، وهذا

الصداع سببه توسع في أوعية الدم عقب انقباضها ، ومن ثم احتقانها بالدم ويدوم هذا الصداع وقتا قد يقصر فيكون في ساعات معدودات ، أو يطول فيبقى أياما متلاحقة . وغالبا ما يداهم الصداع مريضه في فترات متعاقبة متكررة كل بضعة أيام أو ربما كل بضعة شهور

أما الصورة الثانية للصداع النصفي فهي ما تعرف باسم الصداع النصفي الشائع ، ويختلف عن صورة الصداع التقليدي بعدم حدوث الناورة وباحتمال أكبر أن يتملك الدماغ كله لا نصفه فقط

وهذا الصداع يتميز بعدم حدوث انقباض في أوعية مما لا يتيح فرصة لحدوث النـاورة الأولية أو الهلوسات الحسية

هناك علاجات شتى للصداع النصفي المعروف باسم الشقيقة (أو الميجرين Migraine) في لغة الطب العلمية الأجنبية ، ولعل من أهم هذه العلاجات مشتقات الأرجوت

ومن الجدير بالذكر هنا أن نسبة الاصابة بالصداع النصفي التقليدي لا تزيد عن ١٠٪ ، بينما نسبة الصداع النصفي الشائع هي النسبة الغالبة التي قد تصل إلى ٨٠٪ تقريبا ، ولكن العلاج متشابه تقريبا لكليهما

ب ـ الصداع العنقودي وهو أشد أنواع الصداع شدة وحدة وقسوة ، وقد أطلقوا عليه اسم صداع الرحال لأنه يتميز باستئثاره بالرجال المترمتين والملترمين دون النساء ، أما تسميته بإسم العنقودي فلأنه يهاجم ضحيته في نوبات متلاحقة ، تدوم النوبة الواحدة منها ما بين عشرين إلى ثلاثين دقيقة ، حيث يعاني المصاب من ألم حاد شديد يداهم [illegible] دون إنذار على صورة ألم خلف العينين [illegible] الوجه ، مع احمرار في العين وسيولة لدمع [illegible] جفنها مع سيولة الأنف واحتقان الوجه [illegible] غزير

إن شدة الألم تدفع بعضهم إلى [illegible] في الحائط أو ربما قد تدفع بالمريض إلى الانتحار [illegible] غرابة إذن أن يسميه بعضهم الصداع الانتحاري

جـ ـ صداع توتر العضلات

وهذا شكل من أشكال الصداع التي لا دخل [illegible] للمخ ولا لأنسجته ، وإنما سببها انقباض شد [illegible] يصيب عضلات الرأس ، وغالبا ما يستأثر بالاناث [illegible] ويعقب غالبا حالات الانقباض النفسي والقلق والاكتئاب ، أو يصاحب دورة الطمث

ويتميز هذا الصداع بصورة تشابه الشد [illegible] المحكمة مع حساسية وألم عند اللمس او الضغط عليها ، وغالبا ما تداهم النوبة ضحيتها ليلا [illegible] النوم

٣ ـ الصداع الثانوي وهو أنواع شتى لا [illegible] لحصرها في مقالنا هذا حيث إن الصداع يكون [illegible] مصاحبا لأمراض عدة ، منها أورام المخ ، ومن [illegible] نزيف المخ ، ومنها التهاب السحايا أو الحمى [illegible] الانفلونزا مثلا أو الزكام أو التهاب الأنف والأذن والأسنان ، وهذه كلها تعرف عما يصاحبها أعراض أخرى ، وبعلامات يميزها الأطباء ويتعرفون عليها من خلال أبحاثهم وفحوصهم ومختبراتهم ولكل منها علاج للسبب لا للعرض ، وهذا [illegible] الصداع ثانويا

ردود سريعة

● الناصور ـ المملكة المغربية

من الأفضل أن تجرى تحليلا للدم ، لاستطلاع طبيعة المرض وما خلق الله من داء إلا وجعل له دواء

● السيد س ص ـ سوريا

ألا ترى معنا أن الأمر بحاجة إلى العرض على متخصص في جراحة الدماغ للفحص أولا ، وقد [illegible] الاجابة الصادقة على سؤالك ؟

مساحة ود ..

قتـــــل

كنت شاهدا على جريمة قتل ، وللأسف أنها جريمة لا يعاقب عليها القانون ، ولا يستطيع أحد أن يقدم الجاني فيها إلى القضاء . كنت في زيارة لأسرة صديقة ، الأب في نهاية الأربعينيات موظف مرموق ، له مكانة اجتماعية بارزة ، وله في هذه الدنيا ولد وحيد ، طالب جامعي ، ما يزال في السنة الثانية من دراسته ، يتعثر عاما ويجتاز - بنجاح ضئيل - عاما آخر .

ويبدو أنني وصلت في موعد غير مناسب ، فقد كان الحوار ساخنا بينهما قبل وصولي ، فالابن له طلب وحيد ، يتلخص في عدم إكماله دراسته الجامعية ، ويطرح بديلا مذهلا ، سيذهب إلى ورشة إصلاح سيارات ، ويمكث بها عاما أو عامين ، ثم سيفتتح هو ورشة لحسابه . وعندما وصلت أصروا أن يشاركوني في الحديث ، فأخذت أسمع الابن ، وهو يسرد مبرراته ، ردا على قيمة العلم وأهمية التعليم ، وأخذ يصرخ في وجهي : ماذا فعل العلم لكم جميعا أبي وأنت وعمي وبقية أقاربنا وأهلنا الذين تمسكوا بالعلم ، واحترموا قيمته ؟ كلكم متسولون ، وماذا تفعل لكم القيمة الاجتماعية ؟ لا قيمة في أي مجتمع إلا للقوة ، والقوة مصدرها مال أو سلطة ، فماذا منحكم علمكم ؟ ثم ما هي القيمة الاجتماعية ، ياقات بيضاء وجيوب فارغة ، واستدانات سرية ، وتوتر ، وخوف من المرض أو الحاجة ، وحرمان من بعض - بل من كثير من أشكال الرفاهية ؟ طيلة حديث الابن كان لون وجه الأب يتغير ، ثم فجأة وقع من مقعده فاقد النطق ، فقد أصيب بشلل نتيجة انفجار في المخ .

وظلت علاقتي وعلاقتي بالأسرة طيلة الشهور الماضية ، وظل ضميري مؤرقا من هذه الجريمة البشعة . ترك الابن الجامعة ، وذهب ليحقق إرادته دون احترام حتى لرغبة الأب الذي خسر صحته عظامه . وعندما عادت [illegible] ، إنه قد سقط مريضا فاقدا أي صورة حياة على حقيقتها وكلما ذهبت لزيارة صديقي ، طرقت الأسئلة رأسي : كم من أبناء الجيل الذي يعيش ويكبر تحت سمعنا وبصرنا [illegible] ويقتل فينا ؟ وماذا نفعل نحن جميعا [illegible] لتنقذ مجتمعاتنا من أن تتحول إلى مجتمع [illegible] وعلاقات [illegible] ؟

وماذا [illegible] ؟

ماذا [illegible] ؟

[illegible]

بقلم : غسان حتاحت

تعتبر دراسة أسباب الوفيات من الأمور الهامة في الطب ، حتى أن كثيرا من الدول لا تقبل باعتماد مستشفى تعليمي أو كلية طب ما لم تقم هذه المستشفى أو تلك الكلية بتشريح نسبة معينة على الأقل من جثث المتوفين فيها ، وما لم تجر جلسات دورية لدراسة أسباب الوفيات الحاصلة

ولقد توسع هذا الاهتمام حتى شمل دراسة المومياء ، وما يعثر عليه من رسم ، أو حتى من شظايا عظام ، وهكذا نشأ علم (الباليو باثولوجي) أو دراسة الأمراض في الرمم القديمة

وفي كتب الأدب العربي قل أن نجد روايات عن أسباب وفيات المشاهير إلا فيما ندر ، فامرؤ القيس مثلا مات بالجدري كما تروي مراجع المستشرقين ، أو مات بعد أن أهداه القيصر حلة مسمومة ، لأنه عشق ابنته ـ حسب ما تصوره الخيال العربي ـ وأيا كان السبب فإن الروايات تحكي أنه ظهرت عليه قروح أدت الى وفاته ، ولهذا سمي بذي القروح

والحجاج بن يوسف عندما مات بالأَكَلَة ، أسهبت الكتب في وصف فرح الناس بموته أكثر مما روته عن مرضه ، والجاحظ أصيب بالنقرس والفالج في آن ، ثم مات بعد أن وقعت عليه بعض كتبه ، وثقل الكتب القديمة معروف ، ناهيك عن ثقل بعضها من حيث موضوعاتها

وثمة حالات أخرى من مشاهير الخلفاء والأمراء والأعيان قضوا اغتيالا بطعنة رمح ، أو ضربة سيف ، أو ماتوا بالسم ، أو السكتة ، كما يروي الرواة

وبما أننا لا نستطيع دراسة أسباب وفاتهم مما بقي من جثثهم ـ إن بقي منها شيء ـ فلا بد لنا من الاكتفاء بما تذكره كتب الأدب والتاريخ ، وذلك برر بيسر

وهنا نتناول وفاة فارس مشهور ، بل هو أشهر من رثي في الشعر العربي قاطبة ، صخر بن عمرو بن الشريد ، أخو الخنساء ففي قصة وفاته عبر وطرائف ، ونافذة على الطب أيام الجاهلية إذا صدقت روايات الرواة،ورواية وفاته ـ في أحسن الظروف ـ تضم أكثر من اختلاف وتباين ، لكن كيف مات صخر ؟

مما يروى أن صخرا هذا شارك ـ وهو فارس قومه ومدره وعشيرته في أكثر من يوم من أيام العرب ، وفي يوم « ذات الأثل » طعنه ربيعة بن ثور الأسدي

ودخل بعض حلقات الدرع في جنبه ، وبقي مدة
حولًا أشد ما يكون من المرض ، وقد نتأت قطعة
مثل اليد في موضع الطعنة ، ثم استرخت ، وطال
على صخر البلاء ، وكانت أمه وزوجته سليمى
تمرضانه . فضجرت زوجته منه ، وعندما كانت
تسأل عن حاله كانت تجيب لقد لقينا منه الأمرين ،
لا هو حي فيرجى ولا ميت فينسى ، وكانوا إذا سألوا
أمه قالت أرجو له العافية ، وسمع صخر ذلك
فقال بعض أبيات من الشعر ، نلمح فيها خفقة
القلب الجريح ، وأسى النفس اليائسة ، إذ يقول

أرى أم صخر لا تمل عيادتي
وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة
عليك ، ومن يغتر بالحدثان
لعمري لقد نبهت من كان نائما
وأسمعت من كانت له أذنان
وأي امرئ ساوى بأم حليلة
فلا عاش إلا في أذى وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

ولما طال البلاء على صخر قيل له لو قطعت ذلك
البروز لرجونا أن تبرأ ، فقال شأنكم ، الموت
أهون علي مما أنا فيه فقطعوها وقد يئس من نفسه ،
فمات

مما تذكره كتب الأدب يتبين لنا أن بعض حلقات
الدرع قد دخلت في جسمه إثر الطعنة ، وبقيت فيه
وهذه الحلقات تعتبر جسما غريبا لا بد للجسم أن
يحدث رد فعل ضدها ، ويعتمد مدى رد فعل الجسم
على موقعها منه ، فإذا كان ذلك في منطقة عضلية
مثلا ، يحصل تكلس حولها وتبقى مكانها دون كبير
عناء ، أما إذا كانت متسخة فمن الممكن أن تسبب
التهابات وجراحات ، وفي هذه الحالة لا يتوقع أن
يعيش المصاب عاما كاملا خاصة في وقت لم تكن فيه
المضادات الحيوية مستخدمة في العلاج .

أما النتوء الذي تصفه الكتب بأنه بحجم اليد ،
فتختلف الروايات حوله ، بعضها ذكرت أن الأمعاء
قد برزت وهذا أمر يصعب قبوله طبيا ، لأن بروز
الأمعاء لفترة طويلة وهي عارية سيؤدي إلى جفافها
والتهابها وموتها ، أما إذا غطيت بكمادات رطبة
فإنها ـ حتما ـ تصاب بنتن يقضي على المريض خلال
ساعات أو أيام وليس ثمة شك في أن ما برز هو
فتاق أي فتق حصل في موضع الطعنة ، وأن
الأحشاء التي يحويها البروز كانت مغطاة بالجلد بعد
أن شفيت الطعنة ، ويتضح من بعض كتب الأدب أن
هذا النتوء قد برز لاحقا ، مما يؤيد أنه فتاق وليس
أمعاء عارية خرجت إثر الطعنة مباشرة

ونأتي الى اختلاف آراء الأطباء في العلاج ،
فمعظمهم نصح بأن يترك النتوء وشأنه ، لأن قطعه
سيؤدي إلى الموت لا محالة وهو رأي صواب .
فقطع الأمعاء ـ حتى في عصرنا الحاضر ـ على جانب
من الخطورة غير قليل لكن عصر « صخر » لم
يخل ـ كما لم يخل أي عصر آخر ـ من أطباء مغرمين
باستعمال المشرط ، مولعين بإجراء الجراحة ، مهما
كانت الظروف وعملية كهذه تقتضي موافقة
المريض وأهله وكما هو واضح من كتب الأدب فإن
المريض وافق على ذلك بملء إرادته وهنا لنا وقفة ،
فحالة صخر النفسية ـ كما تصفها الكتب ـ كانت مزيجا
من الاكتئاب والهمود واليأس ، وهذه تدفع إلى
الانتحار ، لذلك فإن موافقة المريض على إجراء
عملية خطيرة في مثل هذه الحالة النفسية موافقة
مرفوضة طبيا

مما تقدم نرى أن صخرا كان مصابا بالاكتئاب
النفسي واليأس ، وقد أجريت له عملية جراحية هي
في حد ذاتها خطأ طبي وهكذا فإن وفاته كانت ناجمة
عن حالة نفسية سيئة ، وعن خطأ طبي ، استنكره
أطباء ذلك الزمن ، ويستنكره الأطباء الآن .

لقد مات صخر لكن ما قيل فيه من أبيات رثاء
عصماء ستبقى خالدة ما بقيت لغة الضاد

أعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا
ألَا تبكيانِ لصخرِ النَّدَى
ألَا تبكيانِ الجريءَ الجوادَ
ألَا تبكيانِ الفَتَى السَّيِّدَا
طويلَ النجادِ رفيعَ العمادِ
وسادَ عشيرتَهُ أمْرَدَا

أسئلة وأجوبة

بقلم : محمد خليفة التونسي

١) « أكوء وماكو »

في رسالة من السيد احمد محمد عبدالفضيل محمود (الشويخ الحسوي ـ الكويت) سؤال عن هاتين الكلمتين اللتين تستعملان في الكويت وبعض البلاد الخليجية ، هل هما عربيتان أم خليجيتان ، واذا كانتا أجنبيتين فمن أي البلاد ؟

سمعنا كثيرا هاتين الكلمتين في البلاد التي وردت في السؤال ، ومنها العراق ، وقد استغربناهما في البداية ، ومعنى الكلمتين في الاستعمال « يوجد » و « لا يوجد » او « يكون » و « لا يكون » وهما ليستا عربيتين ولكن يبدو أنهما من أصل عروبي (سامي) او لهما أصل في واحدة او اكثر من اللغات العروبية (السامية) ، ومن هذه اللغات اللغة المنداعية أو المندائية[1] وهي متفرعة من اللغة الآرامية التي كانت منتشرة بين كل شعوب الشرق الاوسط مالم تنتشر فيه لغة عروبية اخرى الا اللغة العربية التي علت بعدها مع انتشار الاسلام فقضت عليها واللغة المنداعية احدى اللغات الأرمية الشرقية ، وكانت مستعملة في العراق من حران شمالا حتى البطائح في جنوبه ، وربما كان استعمالها قد امتد جنوبا الى بقية بلاد الخليج العربي

في هذه اللغة المنداعية نجد لفظ « كا » و « ك معنى يوجد او يكون ، ويقابلها في النفي و « لكا » لايكون « لكا » مكونة من كلمتين اللام وهي بمعنى حرف الجر إلى و« كا » بمعنى موجود التي تقابلها في اللهجة الخليجية « اكو » ، ولسنا نعرف لها كلمة تضارعها وزنا في عربيتنا ، فهي ليست منها

ويعني هنا ان نلاحظ في عربيتنا الفعل « يكون » وهو أجوف بالواو ، فاذا جزم قيل « لم يكن » و « اكن » وقد تحذف نونه كما في قوله تعالى « ولم اك بغـ وقوله « وان تك حسنة يضاعفها » وقوله « قالوا لم نـ من المصلين » وقوله « فان يتوبوا يك خيرا لهم » فهل الكاف هي جذر الكلمة الدال على الوجود و الكينونة ؟

هذا مالا سبيل فيه الى القول الفصل في لغة هي اعرق اللغات الحية وهي العربية ، وهل « اكو » المنداعية التي تفيد الوجود ادخلت عليها « ما » التي تفيد النفي في العربية فصارت « ماكو » الصابئيين كانوا يعيشون في شمال العراق من حران الى جنوبه (البطائح) منذ القرن الاول وامتدت معرفتهم حتى مكة في الجاهلية قلة تعيش في العراق شمالا وجنوبا و

وا حوار المياه لان ديهم يقتصى الطهارة بالماء يمد. فيه لاداء شعائر كثيرة(٢)

بيت شعر وقصيدته وقائله

رسالة من السيد / داود عاى الماصي ورية / دير الزور / سورية) يسأل عن معنى والقصيدة التي هو منها وقائله ، والبيت هو

ساب العراب رحوت أهلي
وعاد القير كاللس الحليب

ولسنا نعرف قائله ولا القصيدة ، وقد سألنا عنها رملائنا هنا فلم نظفر بجواب . ونشر السؤال عن بعض القراء يعرف الجواب ومرجعه . واما لبيت فهو الاستحالة ، لأن الغراب لا يظهر خص الشيب والقير « القار » بطبيعته أسود ، حتى ن يكون ابيض كالحليب

مسارة أسد

قد نشرت في العربي العدد ٣٢٨ في باب حمان . قصيدة عنوانها « مسارة اسد » ونسبناها الى ع الزمان الهمداني » وقد ورد إلينا تعقيبان حدهما من الدكتور سيمون الحائك (الاستاذ مه السوربون / فرنسا) يذكر ان القصيدة لبشر سوانة الثاني من السيد حسن عبود الحمادي ع الوحدة / الميادين / سورية) يذكر مثل وان الشيخ كمال الدين الدميري في كتابه « الحيوان الكبرى » قد ذكر ذلك ايضا عند « عن الهرير » نقلا عن الجوهري

وتشير الى ان القصيدة وردت مع قصة طويلة في مقامة من مقامات بديع الزمان ، وهي اطول انه . ومعروف أنه أسند رواياته كلها الى عيسى ابن هشام ومنها هذه المقامة البشرية ومحورها هو « بشر بن عوانة العبدي » وكلا الرحلين من خيال بديع الزمان وكذلك القصيدة

٤) بالكاد

في رسالة من السيد / محمد المصطفى بن محمد سيديا (بوتلميت / موريتانيا) يسأل عن كلمة « بالكاد » ويقول انه تحير في معناها لا لأنها نادرة ، بل لأنها استعملت من أشهر الأدباء الذين يؤتمون على لغتنا ، وانها استعملت في مجلة « العربي » خلال استطلاع عن الجامع الأزهر

لم نقرأ هذه الكلمة في أية مقالة لأديب متمكن ، ولم تمر بنا في كتاب أو صحيفة الا احسسنا منها نفرة ، والبلغاء لا يستعملونها فيما يكتبون ، بل يستعملها صغار الصحفيين أو الناشئة لانتشارها في الحديث بالدارجة ، وهم ينقلونها عنها بحكم العادة حين يكتبون

و « بالكاد » كلمتان باء الجر و « الكاد » واصلها الفصيح (بالهمز) وهو مصدر ذو معان كثيرة منها الشدة والمشقة وتكلفهما ، وفعله كأد كثأر « يكأد كأدا ، يقال كأدني الأمر ، وتكأدني وتكاءدني ، أي شق علي ويقال مسألة كأداء وكؤود ، أي شاقة صعبة او شديدة ، والدارجة لاتهمز المصدر « كأد » بل تقول « كاد » مثل فار وراس وفاس بلا همز ، والبلغاء لا يستعملون « بالكاد » ويميلون الى مترادفاتها او نحو منها فيقولون مثلا « عبرنا النهر بصعوبة او مشقة » ولا يقال كما في الدارجة « بالكاد عبرنا النهر » ، ولم يمر بنا الفعل كأديكأدكأدا » في كلام بليغ ، ولو استعمل لكان فصيحا مع غرابته □

سدا. هي المداعية ، وقد سقط صوت العين فيها وان كان محتفظا بمكانه في ترتيب أبجديتها التي تشبه الأبجدية في حروفها الاثنين والعشرين الاولى

سراء الكتب الآتية « الصابئة المندائيون » للسيدة دراور ترجمة نعيم وغضبان ، طبع ببغداد ١٩٦٩ و« مفاهيم صابئية مندائية » للسيدة ناجية عادل مراد

« الفانونية للسيدة دراور E S Drower The Canonical Praybook of the Mendaeans

في الصداقة
لأبي تمام

أبو تمام (حبيب بن أوس) الطائي نسبة الى قبيلة طيء العربية لأنه كان منها دماً ، أو ولاء ، أو ادّعاء . ولد في احدى قرى دمشق نحو سنة ١٨٨هـ في أسرة مسيحية فقيرة ، انتقلت في طفولته الى دمشق ، وفيها فتح أبوه حانة ، وعمل هو عند حائك ، ولما بلغ رشده دخل الاسلام وغيّر اسم أبيه « تدوس » الى « أوس » ثم انتقل الى حمص ، واتصل بشاعرها « ديك الجن » فتأثر به وبشعره ، ثم انتقل الى مصر ، واخذ يتكسب بسقي الناس الماء في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، ويستمع الى حلقات العلماء فيه ، وحفظ كثيرا من القرآن والأشعار ، ومضى ينظم الشعر متكسبا ، فيمدح من يطمع في عطائه ، فإن حرمه هجاه ، ثم عاد الى الشام يطوف بربوعها ، وحاول التقرب الى المأمون العباسي في بغداد ، فخاب أمله فيه ، فمضى يتنقل بين ربوع المشرق كالعراق والشام وارمينية وخراسان ، متصلا بكثير من ولاة الدولة وقوادها حتى ذاع صيته فيها ، فاستدعاه المعتصم العباسي وقدمه على سائر شعراء عصره حتى أخمل كثيرا منهم ، وأجزل له العطاء ، ومن أشهر قصائده في مدحه قصيدته في فتح عمورية من بلاد الروم ومطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وقد امتلأت يده بالمال ، وكان جوادا مسرفا في طلب اللذات ، شديد الاهتمام بزيه وزينته وكان اسمر طويلا فصيحا ذا صوت أحش مع تمتمة يسيرة ، ولهذا اتخذ له غلاما فصيحا ينشد قصائده امام ممدوحيه وكان متوقد الذكاء قوي الحافظة حتى قيل انه كان يحفظ مئات الأراجيز والقصائد وفي شعره إشارات كثيرة الى آيات القرآن والسيرة النبوية واخبار تاريخ العرب وتشهد على اطلاعه الواسع على الشعر قبله اختياراته الكثيرة من جاهلية واسلاميا ، واشهرها « ديوان الحماسة » وهو مطبوع وله عدة شروح طبع بعضها ، وفي ديوانه ـ وهو مطبوع ـ كثير من التكلف في محاولة تحسين شعره فقد ملأه بالمطابقة والجناس مما أفقده كثيرا من السهولة والبهجة

وكان سمح الخلق لطيف العشرة وفيا لأصدقائه يشاركهم في ماله وجاهه ، ومع كثرة الاخوانيات في دواوين شعرائنا ، قلَّ ان تجد حلالها في الصداقة مثل لأبي تمام فيها ، كما في هذه الأقباس ، ومنها في فراق الأصدقاء ويسميهم الأحباء

في فرقة الاحباب شغل شاغل
والشكل صرفا فرقة الاحوال

مس بـانـسـانٍ اذا أغـضـبـتُـه ... وحـهـلت ، كـان الحـلِمُ ردَّ حـوابـه
واذا طـربـتَ الى المُـدامِ شـربتَ مـن ... احـلاقـه ، وسـكـرتُ مـن آدابـه
وـراه يـصـعـى لـلحـديـث بـقـلبـه ... وبـسـمـعـه ، ولـعـلـه أدرى بـه

مي ورقـة من صـاحـب لـك مـاحـد ... فـغـداً إذابـة كـل دمـع حـامـد
ـافـرع الى ذُخْـر الـشـئـون وغَـربـه ... فـالـدمـع يـدهـب بعض حهـد الحـاهـد
واذا وـقـدت أحـا ولم نـمـقـد لـه ... دمـعـا ولا صـبـرا فـلـسـت بـمـاقـد
اعـلى يـا ابـس الجـهـم انـك رُفـت لي ... سـيا وحمـرا في الـزلال الـبـارد
لا سـعْـدنْ ابـدا ، ولا تـبْـعَـد ، فـما ... احـلاقُـك الخصرُ الـرُّبـا بـأبـاعـد
ان يُـكْـدِ مـطَّرف الاحـاء فـإنـنـا ... نـغـدوُ ونـسـرْى في إخـاء تـالـد
او يختـلفْ مـاء الـوصـال فـمـاؤنـا ... عـدبٌ تحـدَّر مـن عـمـام واحـد
ويـمـتـرق نـسـبٌ يُـؤلّـفْ بـيـنـنـا ... أدبٌ أقـمـنـاه مـقـام الـوالـد

ولتُ «أحي» قـالـوا «أح من قـرابـة ؟» ... فقلتُ نـعَـم ، ان الـشـكـول أقـاربُ
ـسـيـبي في عـزمـي ورأيـي ومـدهـبي ... وان بـاعـدتـنـا في الأصـول المنـاسبُ
مصى صـاحـبي واستحـلف البثَّ والأسى ... عـليَّ ، فـلي من دا وهـداك صـاحـبُ
ـحـست لصـبـري بعـده ، وهْـومـيِّـت ... وقـد كـنت أبـكـيـه دمـا وهـو عـائـب
عـلى أنها الايـام قـد صـرن كـلُّهـا ... عـجـائبَ ، حتى ليس فـيهـا عـجـائب

صـونـي المـنـايـا يـوم الهُـو بـلـدة ... وقـد غـاب عـني أحمدُومحـمـدُ
حـرى الـلـه ايـام الـمـراق مَـلامـةً ... كـما لـيس يـوم في الـتـفـرُّق يُحـمَـدُ
اذا مـا انـقـضـى يـومٌ بـشـوقٍ مـبـرِّح ... أتى بـاشـتـيـاق فـادحٍ بـعـده غـدُ
فلم يـبـق مـني طـولُ شـوقـي إلـيـهـمُ ... سـوى حـسـراتٍ في الحـشـا تـتـردَّد
خليلي مـا أرتـعـت طـرفي بـبـهـجـة ... أوانـبـسـطت مـني الى لـذة يـد
ولا حُلتَ عن عهـدي الـذي قـد عهـدتمُـا ... فـدومـا عـلى العـهـد الـذي كنت أعهَـد
وان ... نواً دوني بـأنـسٍ ولـذة ... فـإني بـطـول الـشـوقِ والبَـثِّ مُـفـرَدُ

الكلمات المتقاطعة

حل مسابقة العدد الماضي سار ١٩٨٨

مكتبة العربي

كتاب الشهر

تأليف: دونالد ميتشي و روري جونستون / عرض: بهاء الدين محمود

آلة المعرفة

الذكاء الاصطناعي ومستقبل الإنسان

كتاب الشهر

يبدأ المؤلف بالباب الأول من الكتاب بعنوان (القوة غير العاقلة والجهل) ، فيتحدث عن الشعور بالزهو والدهشة اللذين تملكا إنسان هذا العصر في شهر يوليو عام ١٩٦٩ ، حينما استطاع أول إنسان في التاريخ الهبوط على سطح القمر لقد تناولت وكالات الأنباء في جميع أنحاء العالم هذا الخبر المثير ، وقد أيقن الإنسان ـ لأول مرة ـ أن العقول الألكترونية التي ساعدته على إنجاز مثل هذا العمل الخارق لم تُصمَّمْ للقضاء على المشكلات الاقتصادية والحسابية فحسب وإنما تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك بكثير

ثم مرت الأيام والسنون ، وتجادل الباحثون حول موضوعات شتى ، وكان لديهم الإحساس الكامل بقضية سبب الوجود ، ثم حاولوا الخوض في هذه القضية بابتداعهم (كمبيوتر الذكاء) ، ومما يجدر ذكره أن بعض الناس قد اعترض على وسم هذه الآلات بصفة (الذكاء) ، مؤكدا أن الذكاء ماهو إلا ميزة يمتاز بها البشر ، وربما يكون مصطلح الذكاء مُضلِلا في بادىء الأمر ، لكن ما يحدث في واقع الأمر هو أن آلة (الذكاء الاصطناعي) إنما تقوم بمهمتها في حدود ما يُعْطى لها من معلومات ، ومن خلال البرنامج الذي صُممتْ على نهجه ، فتَبْرزُ النتائج تبعاً لهذه المعلومات المعطاة لها ، وكذلك على ضوء البرنامج الذي صُممتْ على نمطِهِ

ثم يتحدث المؤلف في موضع اخر عن (التجوال في كوكب المريخ) ، فيذكر أن من المجالات التي يحتاج الإنسان فيها إلى جهود (آلة الذكاء) مجال غزو كوكب المريخ ، وقد أولت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الموضوع كثيراً من الأهمية تحت ما سمي « مشروع التجوال فوق المريخ » ، وتكمن فكرة هذا المشروع في الاستعانة بإنسان الي (روبوت) للتجول فوق هذا الكوكب العامر ويتم التحكم في هذا (الروبوت) بواسطة [illegible] التحكم عن بُعْدٍ (الريموت كنترول) ، كما يتم تجهيز هذا الروبوت بعدد من آلات التصوير ، والات لأخذ العينات من تُربة هذا الكوكب ، وكذلك الات لارسال المعلومات الى الأرض من على سطح هذا الكوكب الذي ظل الإنسان يحلم منذ امد بعيد بارتياده

النظام الخبير

ثم يتحدث المؤلف في فصل آخر عن (الحاسب الآلي ومساعدته للخبراء) ، تحت عنوان (الكمبيوتر يتصدى للخبراء) ويذكر المؤلف أنه خلال الأربعينيات من هذا القرن استطاع العلماء تصميم أول جيل من أجيال الكمبيوتر التي كان يطلق عليها آنذاك ولفترة طويلة اسم العقول الألكترونية ثم أخذت هذه الآلات بعد فترة وجيزة اسم الآلات الحاسبة (الكمبيوتر) ، إذْ كانت أكثر استخداماتها شيوعا هي عمليات حسابات الأرقام ، وقد تخطت هذه الآلات في الوقت الحاضر مجالات الحسابات العددية إلى ماهو أكثر من ذلك ، فأصبحت تساعد الإنسان في كثير من مجالات الحياة العملية ، إذ لم يعد الإنسان بحاجة إلى أن يسأل الكمبيوتر ما هو الجذر التربيعي للعدد ٣٥,٧٦٩ على سبيل المثال ؟ لكن إنسان هذا العصر يريد أن يسأل الكمبيوتر ما هو الخلل الوظيفي الحادث في جسم هذا المريض ؟ أو ما هو التركيب الجزيئي لهذا المركب الكيميائي ؟ أو ما هي الطريقة المثلى لتصنيع مادة الأنسولين ؟

وغير ذلك من المجالات التي يبحث الإنسان فيها عن كل ماهو جديد وفريد

ثم يبدأ المؤلف حديثه عما يسمى (النظام [illegible]

في الكمبيوتر ، ذلك النظام الذي يستخدم فيه الكمبيوتر على نطاق واسع للبتّ في كثير من الأمور والمشكلات في مجالات الطب والكيمياء والزراعة وغير ذلك

ويكون هذا (النظام الخبير) من قاعدة معرفة ، وآلة استنتاجية ، ويعمل هذا النظام طبقا لقواعد معطاة له مسبقا تبعا لكل مجال يعمل فيه مثل ذلك النظام . ومن المجالات المهمة التي استخدم فيها ذلك (النظام الخبير) مجال البحث عن النفط في منطقة (بحر الشمال) ببريطانيا ، فقد استُخْدم في هذه الاكتشافات النفطية نظامٌ خبير تمّ استحداثه في جامعة ادنبره البريطانية ، وذلك لاكتشاف الخلل والأخطاء التي ربما تعْتري خطط البحث عن النفط في هذه المنطقة المهمة من العالم ، وقد حقق هذا النظام الخبير كفاءة قصوى ، فتحققت تبعا لذلك أكبر معدلات في النفط في منطقة بحر الشمال ، كما يُسْتخْدم نظام خبير آخر في الكشف عن الكنوز الدفينة في باطن الأرض ، وذلك في مجال التعدين ، ويستطيع العلماء باستخدام هذا النظام الكشف عن المخزون الاستراتيجي من المعادن المختلفة في منطقة معينة من الأرض ، كما يستخدم (نظام خبير) آخر في مجالات الكيمياء العضوية للكشف عن التركيب الكيميائي لعديد من المركبات الكيميائية المعقدة ، وذلك بإعطاء معلومات أولية لهذا النظام الخبير عن هذه المركبات ، باستخدام تحليل « مقياس الطيف » ويساعد هذا النظام العلماء والباحثين في معرفة كيفية ترتيب الذرات في كل جزيء من جزيئات مادة كيميائية بعينها ، كما يستخدم (نظام خبير) آخر في المجال العسكري ، وذلك للتعرف على السفن أو الطائرات المعادية بسهولة على شاشات الرادار ، كما يستخدم (نظام خبير) آخر في مجال علم الوراثة ، فيتم التحكم في الحمض النووي الديوكسي ريبوري (D.N.A.) ، وهو الحمض النووي المسئول عن نقل الصفات الوراثية في الكائنات الحية ، وقد ساعدت هذه النظم على نشوء ما يسمى تقنية إعادة اتحاد الحمض النووي الديوكسي ريبوري

وقد فتحت هذه التقنية آفاقا جديدة في مجال علم الهندسة الوراثية ، فتمخض عنها كثير من الإنجازات ، مثل تخليق هرمون الأنسولين وهرمون النمو ، وذلك للمساهمة في إنهاء آلام كثير من المرضى

ثم يتحدث المؤلف في موضع آخر عن علاقة هذا (النظام الخبير) للكمبيوتر بالمجتمع وأفراده ، فيعطي مثالا على هذا باستعانة الأطباء (بالنظام الخبير) في معالجة كثير من المرضى ، ويتساءل هل سيؤدي ذلك إلى نشوء نوع من البطالة بين الأطباء ؟ ويردف المؤلف قائلا إن الكثيرين قد عارضوا مثل هذا النظام المسمى (الكمبيوتر المشخص)

ولا يستطيع المؤلف أن يجيب على تساؤله هذا ، لكنه يعتقد أن هذا النظام الخبير ربما يكون ذا أهمية قصوى لتدريب الكثيرين من الشباب الأطباء ذوي الخبرة المحدودة ومما يجدر ذكره في هذا المضمار أن إحدى الجامعات البريطانية قد أوْعزتْ إلى إحدى الشركات المرخصة لمثل هذه الأنظمة الخبيرة لتنجز لها (نظاما طبيا خبيرا) ، لمساعدة الجراحين الشباب في تشخيص حالات (آلام البطن الحادة) ، لتنمية قدراتهم وخبراتهم في التشخيص والعلاج

نافذة الإنسان

ثم يتحدث المؤلف عن (نافذة الإنسان على العالم) ، فيسرد حادثة تسرب بعض فقاقيع غاز الهيدروجين داخل المفاعل النووي في جزيرة ثري مايل بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة في ٢٨ مارس سنة ١٩٧٩ ، ذلك الحادث الذي أثار القلق والذعر في كثير من الأوساط العلمية في الولايات المتحدة وخارجها ، ثم يتحدث المؤلف كذلك عن ثلاثة إنذارات خرجت من المركز الأمريكي لقيادة الدفاع الجوي الأمريكية بين عامي ٧٩ ـ ١٩٨٠ التي أعلنت أن السوفيت على وشك الهجوم على القوات المسلحة الأمريكية

وقد اتضح فيما بعد أن الإنذار الأول جاء نتيجة لخطأ في تشغيل كمبيوتر هذا المركز ، والثاني جاء

بسبب خطأ في الدائرة المتكاملة لنفس الكمبيوتر . اما الانذار الثالث فكان يبدو متعمدا ، وذلك كمحاولة لقياس مدى استعدادات القوات المسلحة الامريكية إذا ما حدث ذلك الهجوم في الواقع

والغرض كما يقول المؤلف من سرد هذه القصص هو الدليل على أن انظمة الحاسبات الآلية في هذه المراكز قد أصبحت أكثر تعقيدا ، بل اكثر صعوبة على الفهم ، وبالتالي اكثر صعوبة في التحكم فيها اما في الوقت الحاضر فقد استطاع العلماء بناء هذه الالات المعقدة لتؤدي اعدادا اكثر من المطلوب منها . ولذا سمي هذه الالات على مستوى ... لتنجز الكثير من الاعمال في وقت واحد

ثم يتحدث المؤلف في موضع اخر عن التجارب المستقبلة التي تجريها اليابان في مجال صناعة الالات الذكاء . فيذكر أن الحكومة اليابانية ، تخت خططها في هذا المضمار ، فقد اعلنت عن برنامج طموح لبناء الجيل الخامس من هذه الالات خلال فترة التسعينات من هذا القرن . ومن المزمع ان يكون هذا الجيل الجديد من الات الذكاء قادرا على فهم لغات واحاديث البشر المعتادة ، وكذلك ادراك هذا العالم المرئي ، وبالتالي حل العديد من المشكلات التي تعجز الات الذكاء الحالية عن حلها . ولا يلبث المؤلف ان يذكر مدى ما يعانيه اليابانيون من جراء الجدال والمناقشات العديدة حول التأثير المستقبلي لهذه الالات على المجتمع الياباني بأسره . ويزيد ذلك تعقيدا إذا ما علمنا أن الديانة اليابانية « الشنتو » تولي الكائنات المدركة الواعية وبخاصة الإنسان كثيرا من التبجيل والتقديس

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن العقل البشري وقدراته تحت عنوان (التفكير في التفكير) ، فيذكر أن للعقل البشري قدرة هائلة على أداء العمليات الحسابية المعقدة ويحتوي المخ البشري على العديد من المناطق المنوط بها القيام بوظيفة من الوظ... ولقد وقع الباحثون والاطباء - في الماضي ... من أمرهم لتلك الأسباب التي تكشف ... باصابات الدماغ ، فتفقدهم القدرة على ال...

وقد اكتشف العلماء بعد ذلك ان جزءا من ... الايسر للمخ هو المسئول عن التحدث و... الكلام . ثم اكتشف العلماء بعد ذلك ... ذلك ، وهو أن هذه المنطقة نفسها تنقسم ... المناطق المسئولة عن التعامل مع ... وتركيب الجمل الكلامية وحركة ... حركة اللسان عند الكلام ... وغيرها من الوظائف المعقدة

الأساطير تملأ الفراغ

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن رؤية ... ومقدرة المخ على ترجمة هذه الرؤية ... الالوان على مستقبلات الرؤية فوق ... يتحدث في موضع آخر عن الاساطير ... تستطيع ان تملأ الفراغات . فيذكر ان ... وظيفة مهمة في المجتمع . وعادة ما ... الوظيفة إلى نوع من الاكاذيب وإذا ... تستطيع ان تملأ هذه الفراغات العقلية لابناء ... المجتمعات البشرية ، فإن الانسان يشعر ... الاحيان أن الأديان يجب أن تفسر وتشرح ... الأشياء المبهمة الصعبة على الفهم ، ويضرب ... مثالا على ذلك بقوله وإذا ما سألنا ... السماء ؟

فإننا نشعر بالارتياح إذا ما ملأنا الفراغ ... تكتنف مثل هذا التساؤل ، كأن نقول ... سوف تمطر إذا ما شاء الله لها أن تمطر ... المجتمعات البشرية بأعمال إيجابية لاست... هذا المطر ، كأن يرقصوا رقصة المطر ...

لرب سم
ـ يضرب المؤلف مثلا آخر وهو التساؤل العجيب الذي يسأله بعض الناس

اين تذهب الشمس عندما تغرب ؟ ولماذا تسقط في مياه البحر عند آخر كل نهار ؟

وتجيب الأساطير على ذلك بقولهم إنها طائر أحمر كبير يعود إلى عشه كل غروب ، وهناك آخرون يتساءلون وإذا كانت الشمس طائرا كبيرا أحمر يعود لعشه كل مساء ، فلماذا لا تستقر هناك ؟

وما الذي يجعلها تعود من الجانب الآخر في صباح اليوم التالي ؟

وهكذا يمضي المؤلف في سرد الأساطير والخرافات معلنا ان أنظمة (الات الذكاء) يجب أن تستخدم الاساطير مثلما يستخدمها الإنسان ، حتى يتسنى لها التعامل مع الخرافات والأكاذيب . وهذا ما يشكل في الوقت الحاضر مشكلة كبيرة لعلماء تقنية الحاسبات الالية ، وكذلك علماء الاجتماع ، وربما لم تأخذ هذه المشكلة أبعادا كبيرة خلال هذه الايام ، لكنها ربما ستصعب وتتداخل في السنوات القليلة القادمة

ثم يتحدث المؤلف عن الأصوات التي تعالت في الاونة الأخيرة حينما بنى العلماء أجهزة الحاسبات الالية . تلك الأصوات التي ظلت تندب وتنوح على موت الحساب والرياضيات ، إذ لم يعد أطفال المدارس يبذلون جهدا جهيدا للبحث عن الجذر التربيعي لرقم معين ، مثلما كنا نفعل نحن وآباؤنا وأجدادنا منذ عهد ليس ببعيد إن أبناء الجيل الحالي لا يفعلون أكثر من الضغط على أزرار الحاسبات الالكترونية للحصول على ما يريدونه من قيم وأرقام ثم يتحدث المؤلف عن التعلم بالخبرة ، ويذكر عديدا من أنظمة الذكاء التي ابتدعها علماء الكمبيوتر في شتى أنحاء العالم لتنمية قدرات الأطفال والكبار وذكائهم ، حتى لا يكون الكمبيوتر معولا لهدم الذكاء لدى بني البشر ، ثم يتحدث المؤلف عن الاستخدامات الاستقرائية للكمبيوتر ومن هذه الاستخدامات مجال مقاومة أمراض النبات والآفات الزراعية ، فقد استخدم (نظام خبير) لوقاية نبات

(فول الصويا) من بعض الأمراض . ويستطيع هذا النظام الخبير إكتشاف هذه الأمراض وعلاجها ، فقد استطاع هذا النظام الخبير علاج ٣٧٤ حالة من بين ٣٧٦ إصابة تم رصدها ، مما يثبت نجاح هذا النظام نجاحا منقطع النظير في مقاومة آفات النباتات وعلاجها كما تحدث المؤلف كذلك عن استخدام نظام (الكمبيوتر الخبير) في مجال الكيمياء الجزيئية الذي تمكن العلماء عن طريقه استنباط عديد من المركبات الجديدة التي لم توجد من قبل ، وأمكن تخليق عديد من هذه المواد على ضوء هذه الاستنتاجات والاستنباطات باستخدام هذا النظام الخبير

فن عباد الشمس

ثم يتحدث المؤلف عن استخدامات (آلة المعرفة) في مجال الأدب والفن ، فيسأل المؤلف سؤالا مهما هل من الممكن أن تبدع آلات المعرفة والكمبيوتر أعمالا فنية مبتكرة في مجالات الرسم والنحت والشعر والموسيقا ؟ ويجيب المؤلف على سؤاله هذا ، فيذكر نجاح العلماء في الحصول على عدد من اللوحات المرسومة بواسطة الكمبيوتر ، وذلك بعد إمداده بالبرنامج المراد اتباعه خلال عملية الرسم ، أما في مجال النحت فقد أمكن كذلك للعلماء الحصول على عدد من النماذج في فن النحت باستخدام الميكروكمبيوتر ، بعد توصيله بعديد من الآلات الرافعة والبرنامج المراد اتباعه خلال هذه العملية ، وكذلك في فن الموسيقا الذي استطاع فيه العلماء الحصول على عديد من الأعمال الموسيقية بمساعدة الكمبيوتر أما أغرب ما في هذا المضمار فهو إبحار القصائد الشعرية بواسطة آلة المعرفة أو الكمبيوتر ، وفي هذا المجال تم إمداد الكمبيوتر بنظام للمفردات اللغوية ، وكذلك ببرنامج للهيكل العام للقصائد الشعرية (THE POETRY FRAMEWORK) الذي عن طريقه يقوم الكمبيوتر بترتيب الجمل أو الكلمات المعطاة له ، بحيث يشكل في النهاية القصائد الشعرية ، وقد تمكن العلماء من

الحصول على عدد من النماذج الشعرية ، مثل المجموعة الشعرية المُسمّاة (لحن عباد الشمس)
ومن هذه المجموعة نقتطف هذه القصيدة
موسيقا قديمة لأطفال الفضاء العميق
(العوالم الثلجية
تسبح في هذه الكواكب الأسطورية ،
إنها تصبح في هذا الغبار المحْميّ خلال الأزمنة البلورية ،
ان بذورك قدْ انتشرتْ ،
لقد أضيئتْ بومضات سرْمديّة ،
ثم ضاعتْ في هذا المحيط الفارغ
إني طفْلُ الأبدية ،
اسقط في هذه الحياة
في كل الاتجاهات والزوايا)

ولا يستطيع العلماء حتى الآن التنبؤ بما سوف يكون عليه هذا المجال من مشاركة الكمبيوتر في العملية الفنية الإبداعية ، إنها لم تتعدّ حتى الآن مرحلة المحاولات والتجريب ، ومنْ يدري ، فلعلّ الغد يحمل أكثر من ذلك في هذا المجال

ويتحدث المؤلف في الباب الأخير عن آلات المعرفة بوصفها اختراعا لكل البشرية ، فيذكر أن التحدي الحقيقي للولايات المتحدة وأوروبا ـ تقنية هذه الآلات إنما يكمن في السباق اليابان المضمار إن هذا التحدي لا يعود بأي حال المواهب في الولايات المتحدة ، وإنما يعود الأمر إلى نقْص في عملية الابتكار ، ثم يؤكد تحت عنوان « الخطرُ الأصْفرُ » أن هذا والتنافس القائمين الآن بين أمريكا واليابان تقنية الذكاء الاصطناعي سوف يحسم الصراع الصناعي والاقتصادي الحادث الآن هاتين الدولتين ، وينْهي المؤلف حديثه في هذا بدعوته إلى إنشاء معهد عالمي ، ولكن (حنيف) ، حيث يبدأ فيه العلماء جهود للارتقاء بتقنية (آلات الذكاء) على نطاق واسع ويدعو المؤلف إلى وجوب استقلال هذا المعهد عن التأثيرات السياسية والضغوط المالية ، وأن يضم الكثير من المواهب والخبرات والعلماء المتخصصين في هذا العلم المستقبلي

يستطيع العلماء في وقت وجيز أن يحققوا الكثير من الإنجازات في هذا المضمار الجديد الذي يعلق عليه كثير من الآمال ، لتحقيق الخير والسعادة لبني البشر في شتى مجالات الحياة والفن □

الديـــــوك زعيمهـــــا أكثر صياحا

● يظهر أن الزعامة شيء لا بد منه ، حتى بين الحيوانات ، والزعامة هذه تظهر جلية بين الديوك ، وقد تساءل بعض العلماء عن الديكة ، أيها أكثر صياحا ، وأيها أكثر زعامة ، وهل الزعامة هي التي تخلق الصياح ، أم أن الصياح هو الذي يخلق الزعامة وقاموا بالتجربة

جاءوا بعدد من الديوك ، وجعلوا كل واحد منها في بيت ، وأحصوا صياحها ، فلم يجدوا بينها فرقا ذا بال ، ثم جاءوا بدجاجات ، وأدخلوا الديكة عليها ، فقامت بين الديكة المعارك ، كل واحد منها ينقر صاحبه ، وانجلت المعارك عن ديك أقر له الآخرون بالزعامة ، ومنذ أن حل هذا الديك أعباءها ظل يصيح ويصيح عشرين مثلا مما يصيح الآخرون ،ثم أخرجوا هذا الديك من مملكته ،وأبعدوه عن الدجاجات ، فقامت المعركة بين الديكة الباقية ، وتغلب أحدها ، وتزعم ، وزاد صياحه أضعافا عن صياح سائر الديكة

الصياح إذن هو شارة الزعامة ، والزعامة هي التي تخلق الصياح يا ترى ما تكون نتيجة هذه التجربة لو طبقناها على الناس في أركان الأرض جميعا ؟

دراسة في أزمة علم الاقتصاد الرأسمالى والفكر التنموى الغربى

تأليف الدكتور رمزي زكي /عرض : رافع البرغوثي

الأزمة المعاصرة في علم الاقتصاد الرأسمالي ، الأزمة الراهنة في الفكر التنموي ، أزمة الديون العالمية في ثلاث قضايا يتناولها كتابنا لهذا الشهر ، ويعالجها المؤلف في سياقها التاريخي ، في إطار قوانين الأزمة العامة للرأسمالية ، ويقدم للقاريء ثروة معرفية في كتاب يجمع بين العمق والبساطة

يرى المؤلف أن الأزمة التي تشهدها الدول الرأسمالية منذ مطلع العقد الماضي ، والتي شملت مجمل النظام الاجتماعي الرأسمالي المحلية والعالمية ، ليست أزمة دورية عادية ، تمثل نقطة تحول حاسمة في تاريخ ... ة ، وأن إمكانات التغلب عليها تتجاوز كل ... لوف في مملكة الفكر الاقتصادي البرجوازي

الأزمة في ثلاثة محاور

ويطرح المؤلف « السؤال الجوهري الذي تسعى هذه الدراسة للاجابة عنه ما هي البدائل المطروحة على ساحة الفكر الاقتصادي البرجوازي المعاصر للخروج من هذه الأزمة ؟ وهل هذه البدائل تقدم حلا شافيا لأزمة الرأسمالية في مرحلتها الراهنة ؟ »

وللوصول إلى الاجابة يتناول الدكتور رمزي زكي

من عملية التنمية ، وإغفال إمكانات أخرى لزيادة الناتج القومي ، واتساع فجوة الموارد المحلية

عدم الثقة بالنفس وتزايد الاعتماد على الغير وقد أدى تأثير مقولة « نقص المدخرات المحلية وعدم كفايتها لتمويل التنمية » إلى الإفراط في الاعتماد على التمويل الأجنبي ، وما تبع ذلك من آثار سلبية ، وحصاد مر

نحو فكر تنموي جديد

يرسم الدكتور رمزي زكي في الجزء الثالث من هذا البحث أهم ملامح الفكر التنموي الجديد الذي تمخض عن المراجعات الانتقادية للفكر التنموي التقليدي ، وتتمثل تلك الملامح في

تغيير منهج التحليل فمفهوم المعاني الحقيقية لمصطلحي « التخلف » و « التنمية » يتطلب منهجا جديدا قادرا على الاحاطة الشاملة والتاريخية والمعاصرة بالظاهرتين اللتين يشير إليهما ، وتزايد الادراك بأن التنمية حدث حضاري شامل ، وليست مجرد نمو اقتصادي

الرؤية الجديدة في تفسير التخلف فهو ظاهرة نسبية تاريخية ، يجب البحث عن القوانين التي حكمت نشأتها وتطورها من منظور تاريخي اجتماعي والعلة الأساسية للتخلف الراهن هي التبعية للعالم الخارجي ، ويجب تحطيم طوق التبعية بكل مكوناته

عودة الاهتمام ببحث العلاقة بين التوزيع والتنمية ، واعتماد نمط التوزيع على نمط التنمية

الرؤية الجديدة للتنمية كتنمية هدفها الجوهري تحقيق التنمية الاقتصادية المستقلة التي تستهدف رفاهية إنسان العالم الثالث ، ويكون توجهها الأساسي نحو الداخل ، وتتحقق بالاعتماد على الذات أساسا ، وتتم بالمشاركة الشعبية ، وترفع مستوى معيشة أغلب السكان ، وتتضمن الوصول إلى التقنية الملائمة للواقع الاقتصادي الاجتماعي ، ذات الكفاءة الاقتصادية

الاهتمام بالاطار العالمي الملائم للتنمية وقد بدأت الدول المتخلفة تعي أهمية استثمار الموارد التي تملكها في العلاقات الاقتصادية الدولية ، وضرورة تعاونها وتضامنها لمواجهة الأوضاع غير المتكافئة في النظام الاقتصادي العالمي

أزمة الديون العالمية

تحت عنوان « أزمة الديون العالمية والامبريالية الجديدة ، الآليات الحديثة لاعادة احتواء العالم الثالث » يناقش الدكتور رمزي زكي الجذور الحقيقية لأزمة الديون العالمية ، وآثار النمو الانفجاري لديون البلاد المتخلفة ، وإعادة جدولة الديون والرضوخ للامبريالية الجديدة

وهو يستعرض تطور مشكلة الديون تاريخيا ثم يشير إلى أن نهاية الستينيات وبداية السبعينيات تمثل نقطة تغير نوعي في منحى المديونية الخارجية وفي خطورة ما تمثل بالنسبة للبلاد المدينة ، وهي تشكل أهم آلية من آليات الامبريالية الجديدة المعاصرة لاستعادة هيمنتها المباشرة على البلاد المتخلفة

ويلقي الضوء على أهم آثار النمو الأخطبوطي للديون الخارجية للبلاد المتخلفة التي تتمثل في النزف العكسي للموارد ، وإضعاف القدرة على الاستيراد ، والانزلاق في طريق انكماشي خطر وهرب الأموال إلى الخارج ، والتورط في فخ إعادة جدولة الديون

ويسلط المؤلف الضوء الكاشف على قصة إعادة جدولة الديون ، والرضوخ للامبريالية الجديدة موضحا أن على البلاد المدينة التي تلجأ إلى هذه العملية أن تقبل بالادارة الخارجية المباشرة لاقتصادياتها ، وينبه إلى الدور الخطير الذي يلعبه صندوق النقد الدولي في تكييف البلاد المتخلفة المدينة مع متطلبات مواجهة الرأسمالية العالمية لأزمتها

وفي نهاية الكتاب ملحق للبحث الشامل عن صندوق النقد الدولي والأموال المهربة للخارج « يعرض فيه المؤلف أشكال تهريب الأموال وأسباب اهتمام المنظمات الدولية بهذه الظاهرة ويؤكد استحالة عودة هذه الأموال إلى بلادها

...دع الى مكافحة هذه الظاهرة ، بفرض سلطة الدولة في مجال الاستيراد والتصدير والنقد الأجنبي

ملاحظات

الكتاب قيم بكل المقاييس العلمية ، فقد تناول الكاتب قضايا في منتهى الاهمية ، وعالجها بعمق في سياقها التاريخي ، وعرض ما توصل إليه ، بأسلوب بسيط ، لكن المؤلف - كما نرى - لم يعط التيارات الثلاثة التي تناولها حقها من التحليل ، لتكون إجابته عن السؤال الجوهري الذي سعى إلى الاجابة عنه شاملة تامة

فبعد تناول الكينزية اكتفى بسرد الاتجاهات التي اتجهت إليها من قبل مدارس واتجاهات مختلفة ، ولم يجد محاولا لمسيرة الكينزية وأسباب فشلها ، والاسباب التي تنفي إمكانية الرجوع إليها في صورة محدثة

وإن كان صحيحا مايشير إليه المؤلف من أن النقديين أعطوا الأهمية الارتكازية للنقود غير أنه لم يلاحظ أنهم لم يعطوا أهمية لدور العلاقات والسياسات النقدية في التأثير على معدل النمو الاقتصادي في المدى البعيد ، وعجزوا عن توضيح كيفية تأثير النقود على أداء النظام الاقتصادي وحين يقرر المؤلف أن الخلاف الوحيد بين الكينزية والنقدية يدور حول الحد الأمثل لتدخل الدولة في الحياة الاقتصادية ، فإنه يجانب الدقة ، حيث أن أبرز قضية هي الخلاف حول الأساليب التي يجب أن تتبع ، والوسائل التي يجب أن تستخدم لتنظيم الدولة الاحتكارية للاقتصاد

وأود في النهاية الاشارة إلى حقيقة أرى أنها فاتت المؤلف ، وهي مساهمة الانفاق على التسليح في تضخم المديونية الخارجية لدول كثيرة ، ففي عام ١٩٨٢ - على سبيل المثال - أنفقت دول أمريكا اللاتينية وحدها أكثر من ٢١ مليار دولار في ميدان التسليح ، وأنفقت الكثير في بناء مصانع الأسلحة ، وما واكبها من إنفاق غير منتج ، وقد ساهم رفع سعر الفائدة في دول حلف الأطلسي في سحب أموال كثيرة من الدول المتخلفة ، ومنها دول أمريكا اللاتينية ، وكانت الولايات المتحدة التي زادت إنفاقها العسكري بشكل كبير منذ عام ١٩٨١ قد طلبت من حلفائها أن يحذوا حذوها ، وتطلب ذلك أموالا كثيرة ، فلجأوا إلى الأسلوب المذكور (ورفع سعر الفائدة) لاحتذائها ، وتم فعلا تهريب الأموال إلى أمريكا وأوروبا العربية □

■ لاسفاهة في المهن ، إنما السفاهة في الأشخاص . (هوجر)

■ إذا اجتمع المال الرديء والمال الأصيل في الأسواق اختفى المال الأصيل . (مثل إغريقي)

■ إذا قُلْتُ المُحَالَ رَفَعْتُ صوتي . . وإنْ قُلْتُ اليقينَ أَطَلْتُ هَمْسي

(شعر المعري)

■ عجبت لمن لايجد القوت في بيته كيف لايخرج على الناس شاهرا سيفه

(أبو ذر الغفاري رضي الله عنه)

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب / تاريخ السينما السوريه
١٩٢٨ - ١٩٨٨
المؤلف جان ألكسان
الناشر / وزارة الثقافة السورية - دمشق
عدد الصفحات / ٣٠٠ من القطع الكبير
سنه النشر / ١٩٨٧

جان ألكسان ، صاحب كتاب « السينما السورية خلال خمسين عاما » « والسينما في الوطن العربي » ، يقدم هذا الكتاب الجديد تعريفا بالسينما السورية ويتابع مسيرتها خلال ستين عاما

والقيمة الاساسية في الكتاب هي القيمة المرجعية والتوثيقية

فهو مرجع للسينما السورية منذ بدايتها وتتبع لفروعها المختلفة ، كالسينما الوثائقية والتسجيلية والروائية

وبالاضافة الى هذه المتابعة الجدة لصناعة السينما في سوريا يتعرض المؤلف لنشاط النادي السينمائي في سوريا وكذلك لاوضاع دور السينما والجمهور المتردد عليها ، مما يجعله مرجعا مهما لأي مهتم بشؤون السينما في سوريا

■■

الكتاب / نحو تنمية عربية تعتمد على الذات
المؤلف / د سعيد محمد ابوسعده
الناشر دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع - قبرص
عدد الصفحات / ١٥٣ من القطع الكبير
سنه النشر / ١٩٨٧

ينتمي هذا الكتاب الذي يحمل عنوانا [illegible] « تنمية وتعبئة مصادر المياه في الوطن العربي » مجموعة من الكتب يشير اليها في تصديره [illegible] الاستاذ عبدالله محمد علي وهي كتب [illegible] الكويت عن المعهد العربي للتخطيط [illegible] موضوع واحد هو « الاعتماد على الذات » [illegible] في الكتب المذكورة من جوانبه المختلفة [illegible] والتقنية والاقتصادية والتنموية الخ

وبذلك فإن الكتاب يأخذ اهمية مزدوجة باعتبار دراسة قائمة بذاتها ، وكذلك باعتباره [illegible] سلسلة من الكتب التي تقدم جديدا [illegible] العربي

■■

الكتاب / البئر الأولى - فصول من سيرة [illegible]
المؤلف / جبرا ابراهيم جبرا
الناشر / رياض الريس للكتب والنشر - [illegible]
عدد الصفحات / ١٩٣ من القطع [illegible]
سنة النشر / ١٩٨٧

يختار جبرا ابراهيم جبرا البئر رمزا ومدخلا لكتابه سيرته الذاتية ، فهو يذكر أول ما يذكر ان البئر [illegible] اول ماتسأل عنه عائلته عند انتقالها من دار [illegible] اخرى جديدة

والبئر الأولى ايضا هي رمز الحياة الاولى [illegible] كانت بئرا حالية جاهزة للامتلاء بالخبرة [illegible] والحياة بكل ما فيها من تعقيدات و[illegible] ومدهشات

وتمتد مرحلة البئر الأولى عند جبرا [illegible]

الاولى وحتى عام ١٩٣٢ ، عند انتقال عائلته
قط رأسه في بيت لحم الى القدس ويروى
لقصص التي عاشها في تلك الأيام باعتبارها
من الذكرى والحلم والكثافة الوحودية
وية الشاعرية لكنه يؤكد حضوره ابدا في
ما من النفس

■■

كتاب / في الايقاع الروائي
ؤلف / الدكتور احمد الزعبي
ناشر / دار الأمل ـ عمان
دد الصفحات / ١٠٨ من القطع الكبير
نة النشر / ١٩٨٦

دم المؤلف كتابه باعتباره مساهمة « نحو منهج
في دراسة البنية الروائية » ومنذ البداية يعتمد
ـ على تعريف يوحين ارسكين للايقاع باعتباره
ار المقصود الموظف لغايات فنية ونفسية وفكرية
عمال الفني
من هذه النقطة ينطلق الكاتب ليرصد « عالم
ـة والأزمنة والاحداث في حركتها وتغيرها
نها ومدلولاتها » التي تشكل بناء الرواية
مارها وهندستها
فيما عدا المقدمة فإن الكتاب مجموعة دراسات
سة لهذه الفكرة على عدد من الروايات العربية
ـ وهي السفينة والمستنقعات الضوئية وموسم
ـرة الى الشمال واللص والكلاب وتلك
حة

■■

حـ ـ الحنون
مو ـ عبلة الرويني

الناشر مكتبة مدبولي ـ القاهرة
عدد الصفحات ٢١٦ من القطع الوسط

الجنوبي ، هو امل دنقل الشاعر الكبير الذي رحل
عن دنيانا عام ١٩٨٣ ، وهي عنوان لاحدى آخر
القصائد التي كتبها أمل وهو نزيل المستشفى في مرضه
الأخير والكتاب هو قصة السنوات الأخيرة من
حياة امل التي قضى معظمها مريضا في معهد
السرطان ترويها زوجة أمل كاتبة القصة المصرية عبلة
الرويني
والكتاب رغم قسوة موضوعه ، فهو يسرد
أحداث موت شاعر كبير ، فإن به قدرا من العذوبة
والجمال وكشفا لخبرة ابداعية وانسانية كبيرة

■■

الكتاب نظرية الحضارة
المؤلف ادوارد ماركاريان
ترجمة عبدالله حبه
الناشر دار ناؤ وكا ـ موسكو
سنة النشر ١٩٨٧

تقدم أكاديمية العلوم السوفيتية التي أشرفت على
اصدار هذا الكتاب المؤلف باعتباره شخصية علمية
متعددة الاوجه والاهتمامات وهو أمر يمكن اكتشافه
بسهولة لحظة البدء بقراءة الكتاب
يضع ماركاريان مفهوما خاصا للحضارة باعتبارها
الوسيلة الخصوصية للنشاط الانساني وآليتها في
التكيف ومن خلال بحثه في نشوء الحضارات
الانسانية يستفيد المؤلف من شتى معارفه العامة
واهتماماته الخاصة وبشكل أو بآخر يعتبر هذا
الكتاب استكمالا ونقدا في الوقت نفسه لمسألة علم
الحضارة التي دأب على تناولها منذ الأربعينيات عالم
الحضارة الامريكي المعروف ليزلي وايت □

● اذا صادقت رجلا ذا أهلية ، فتدبر كيف يمكن ان تكون مثله ، واذا صادقت رجلا
عديم الأهلية ، افحص نفسك (كونفوشيوس)

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٥١

فبـــراير ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة . ترسل الاجابات على العنوان التالي

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٥١ » . وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ مارس ١٩٨٨

١

من المعروف أن أقصر سور
الكريم هي سورة الكوثر (٣ آيا
هي أقصر آياته ؟

٢

هل من المذاهب المسيحية ما يبيح تعدد
الزوجات وأي مذهب هذا

٣

ديانة السيخ تعتقد بتناسخ
الأرواح ولكن هل تعتقد بوحدانية
الله ؟

ـ نعم تعتقد وقد جارت الدين
الحنيف في هذه العقيدة

ـ لا تعنيها الوحدانية ولا تبالي بها شأنها
في ذلك شأن الكونفوشية

ـ لا تعتقد فهي ديانة وثنية

٤

من المعروف أن انتخاب البابا الجديد
يجري في اجتماع سرّي يجمع
كرديالات الكنيسة الكاثوليكية جميعا
ويتم باقتراع سرّي وعلى أساس ثلثي
الأصوات بزيادة صوت ويعرف أهل
الفاتيكان أن عملية الانتخاب هذه قد تمت
لدى تصاعد الدخان من احدى مداخن
الفاتيكان ترى ما لون هذا
الدخان أبيض أم أسود ؟

٥

أيهما أكثر عددا في العالم البوذيون أم
الكونفوشيون ؟

٦

أيهما أكثر عددا في العالم المسيحيون
أم المسلمون ؟

ـ المسيحيون فهم يفوقون المسلمين
عددا بحوالي ٣٠٠ مليون نسمة

ـ المسلمون،فهم يموقون المسيحيين عددا بحوالي ٣٠٠ مليون نسمة
ـ متساويان تقريبا

٧ أي المذاهب الدينية قامت به ودعت إليه امرأة ؟ متى كان دلك وأين ؟ وما اسم هده المرأة ؟

٨ « عامل الناس مثل ما تريدهم أن يعاملوك » هدا مبدأ سليم في السلوك الانساني دون أدنى ريب ولكنه يرقى إلى مرتبة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أحد الأديان التالية

ـ الكونفوشية
ـ الهندوسية
ـ الزرادشتية
فأي دين هدا ؟

٩ من المعروف أن أهل اليابان درجوا على تأليه امبراطورهم (الميكادو) وعبادته فأي دافع فعلوا دلك ؟

ـ انطلاقا من نعرة قومية عسكرية متطرفة اشتهرت بها اليابان في العصر الحديث
ـ محاكاة لتقاليد قديمة
ـ بدافع معتقداتهم الدينية

١٠ فرقة (كراي ما) فرقة دينية هندية تقدس الفئران ولو تسنى لك زيارة معبد هده الفرقة لرأيت حشود الفئران تسرح فيه وتمرح ترى أين يوجد هذا المعبد في أية مدينة وأية ولاية من مدن الهند وولاياتها

١١ أتباع الديانة الزرادشتية لا يدفنون جثث موتاهم في التراب ولا يحرقونها في النار فمادا يصنعون بها ؟
ـ يلقون بها في أعماق البحر أو النهر لتأكلها الأسماك
ـ يصعدونها فوق أبراج عالية لتأكلها النسور
ـ يحنطونها ويحتفظون بها في سراديب منازلهم

١٢ ترجموا القرآن الكريم ، كما هو معروف الى كل اللغات تقريبا ، ولكن هل ترجموه إلى لغة الاسرانتو ؟!

تعليمات هامة للمشتركين في المسابقات الثقافية

١ـ كوبون المسابقة · يجب أن يلصق ، من الآن فصاعدا ، على الغلاف الذي يتضمن ورقة الأجوبة . وكل غلاف لايحمل الكوبون ملصقا عليه بإحكام يهمل
٢ـ الاسم والعنوان يجب أن يكتبا على الغلاف بالاضافة إلى تسجيلهما على ورقة الأجوبة نفسها ، وذلك بخط واضح . وكل غلاف لايحمل اسم المرسل وعنوانه يهمل .
٣ـ ورقة الأجوبة درج بعضهم على انتزاع صفحة الأسئلة من المجلة ، واستعمالها للاجابة عن تلك الأسئلة ، بحيث تصبح صفحة أسئلة و أجوبة في آن معا . فتصبح مشوشة ، وتصعب قراءتها . وهذا أسلوب غير مقبول يحكم على الرسائل التي تنتهجه بالاهمال .

حل مسابقة العدد ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧

١ الشاعر العباسي المقصود هو البحتري

٢ الكتان هو أقدم الألياف السيحية التي عرفها الانسان في تاريخه فقد عثروا على بقاياه ضمن آثار العصر الحجري في سويسرا وانتشرت زراعته وصناعة نسجه في مصر القديمة أما القطن فلم يظهر ولم ينافس الكتان الا في القرن الثامن عشر وأما الخيش (الجوت) فلم تنتشر زراعته وصناعته خارج بلاد الهند لا في القرن الثامن عشر ولا بعده

٣ الشجر المقصود هو شجر جوز الهند في بعض فصائله

٤ السعوف، ومفردها سعفة، هي جريد النخيل والخوص (بتسكين الواو وضم الخاء) هو ورق النخيل في عرف العرب ومفردها (خوصة)

٥ يأكل التمر ... النبات
يأكل السائح وهو ورق ...
يأكل العجل وهو حذر ...

٦ شجرة الخاك ... وسري لانكا

٧ شجرة بروسيموم يوسلي ... أمريكا الجنوبية وفي فنزويلا بصفة خاصة والطريف أن عصيره ... الشجرة لا تشبه لبن البقر فحسب - وهي تشبهه لونا وطعما - بل وتشرب أيضا ... الغداء على نحو مايشرب لبن البقر

٨ استخرج الاسريين أول ما استخرج من شجرة الصفصاف ... بالتحديد وكان الأسقف ادوارد ستون الانكليزي من أوائل الذين اكتشفوا سر هذا اللحاء العلاجي سنة ١٧٥٨

٩ السيكويا هي شجرة ... العملاقة وهي أضخم شجر ...

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧

* الجائزة الأولى فواز عثمان آغا ـ الكويت

* الجائزة الثانية افراح سيد حسن محمود ـ الخرطوم ـ السودان

* الجائزة الثالثة آبي جوزيف اشجيان ـ المتن ـ لبنان

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ فاطمة جميل نجار ـ المدينة المنورة ـ السعودية

٢ ـ شريف حجاج ـ الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية

٣ ـ عبدالحليم اكر ـ حلب ـ سوريا

٤ ـ الشتيوي نصر بالنور ـ مدنين ـ تونس

٥ ـ عبدالغني عبدالهادي ـ عمان ـ الأردن

٦ ـ بهنان عبدالله ـ زنقة الكويت ـ المغرب

٧ ـ زاهد طاهر سعيد ـ بابل ـ العراق

٨ ـ علي سعيد ـ ممباسا ـ كينيا

ـه تبلغ ٨٠ مترا طولا و ٢٤ مترا محيطا
تحوي على ٢٠٠٠ طن من الخشب
والسكويا شجرة معمرة ايضا وقد تبلغ
من العمر ٤٠٠٠ سنة . أما شجرة البيان
التي تنمو في الهند وسري لانكا فتعرى
ضخامتها الى كثرة جذوعها وفروعها
وقد بلغ عدد الجذوع في بعض الاحيان
٣٠٠ جذع أو يزيد

البونساي شجيرة أو شجرة قزمة
تقن اليابانيون تطويرها وزراعتها ضمن
وان صغيرة لتبدو للناظر وكأنها أشجار
بيرة مضغوطة

السعوف اذا جردت من خوصها
سحت جريدا ومفرد الجريد جريدة

هذا بيت شعر من خمرية أبي الحفص
فارضي وهو من المتصوفين
لدامة هي الخمرة ، كما هو معروف
ـن المعنى المقصود في الشعر الصوفي
ـ المحبة الالهية

معركة بلا سلاح

من الأسماء الخالدة في تاريخ اللعبة اللاعب الكبير « بيتروف » (١٨٠٠ ـ ١٨٦٧) وهو لاعب روسي فذ ، ينسب إليه الدفاع المشهور المعروف باسمه والحق أن هذا الدفاع معروف منذ مطلع القرن الخامس عشر للميلاد ، وقد قام بدراسته وتحليله والتعليق عليه العديد من كبار اللاعبين والمحللين الشطرنجيين من أمثال لوبير وداميانو وبوبرياني ولكنه ينسب الى بيتروف لأن الفضل يرجع إليه في إحيائه وممارسته ونشره

وتعرف هذه الافتتاحية كما سبق ان ذكرنا بدفاع بيتروف ، ومع ذلك فهي أقرب الى الهجوم منها الى الدفاع ، لأن الأسود يواجه تهديد حصمه للبيدق « هـ ٥ » بتهديد مماثل للبيدق « هـ ٤ » ، ولهذا الهجوم العديد من المزايا أهمها حرمان الأبيض من الميزة التعبوية التي تمنحه إيّاها نقلة البدء والذي من شأنه أن يتسبب للأبيض بمضايقات جمة ويملأ طريقه بالمزالق والأفخاخ

ولايزال دفاع بيتروف الذي يعرف أيضا بالدفاع الروسي يحظى بشعبية كبيرة لدى كبار اللاعبين والكثير منهم يدينون له بالعديد من الانتصارات الباهرة التي حققوها في ميادين الصراع الدولي والتفريعان الأكثر شيوعا في الرد على هذا الدفاع يتمثل أولهما في أحد « هـ ٥ » بالحصان ... ويتمثل في مصاعفة الهجوم على « هـ ٥ » ... البيدق « د ٤ » وهو ما يعرف بتفريعه ... (نمساوي وبطل العالم بين ١٨٨٦ ـ ١٨٩٤) ... التالي بين الاستاذين الكبيرين (شورت و... يعتبر مثالا جيدا على هذه التفريعة من د... بيتروف

□ شورت (بريطاني)	■ تيمنو (ارحـ...
١) هـ ٤	هـ ٥
٢) ح - و ٣	ح و ٦
٣) د ٤ (مضاعفا الهجوم)	ح × هـ ٤
٤) ف د ٣	د ٥
٥) ح × هـ ٥	ف - هـ ٧
٦) حـ ٤ (لابعاد الحصان)	ح - و ٦
٧) ت	ت
٨) ح - حـ ٣	د × حـ ٤
٩) ف × حـ ٤	ح (و) د ٧
١٠) ف - و ٤	ح - ب ٦
١١) ف - ب ٣	ح (٨) د ٧
١٢) و (وزير) - و ٣	ح - و ٦
١٣) ر (و) ـ هـ ١	حـ ٦

بيه ٥ على العمود)

ب ر ٥ — أ ٥

الصرد الفيل الذي أقصّ مصححه

ر هـ ٣ — أ ٤

ب و ٧ + — ر × و ٧

كل)

حي الأبيص بفيله لكشف الشاه الأسود وتحطيم

بياته ومن ثم الاستفادة من تفوقه التعبوي

ح × و ٧ — م × و ٧

ر (١) هـ ١ — ب و ٨

ح هـ ٤ — ر - أ ٥

ح × و ٦ — ر × و ٦

هل كان يستطيع أحد الفيل بالرح ؟

ر هـ ٨ — و د ٦

و حـ ٥ + — م - ر ٨

ر هـ ٧ ! (بديعة) و × هـ ٧ (مضطرا)

ر × هـ ٧ — ب × هـ ٧

و هـ ٨ + — يستسلم (لماذا ؟)

ل الجواب مع حل المسألة فيضاعف فرصك في

ر

مسألة العدد ٣٥١ (فبراير ٨٨)
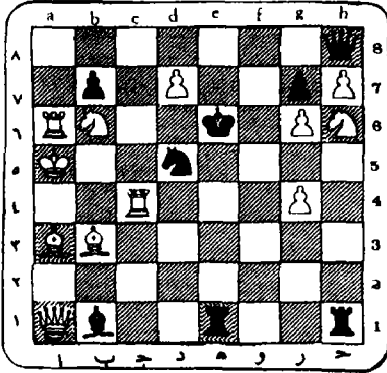
مات ٢

مهداة من القارىء حليل شموس

(دمشق)

حل مسألة العدد ٣٤٩ ديسمبر ١٩٨٧

١) ح حـ ٤ — ر × حـ ٤

٢) م - و ٢ — حـ ٣

٣) م - و ١ — حـ ٢

٤) ح - و ٢ (مات)

الفائزون بحل مسابقة الشطرنج العدد ٣٤٨ ـ نوفمبر ١٩٨٧

الفائزون باشتراك نصف سنة

١) احمد عبد المنعم ـ الجيزة/ ج م ع

٢) ع الحاويش ـ بيروت/ لبنان

٣) حـ يشي فؤاد ـ فاس/ المغرب

٤) ب المولى عبد الرضى ـ المناقد/ السودان

٥) عمرو الريات ـ مصر الجديدة/ ج م ع

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١) عبد الله آدم بن سلام ـ طرابلس/ ليبيا

٢) عماد مصطفى دحبور ـ عمان/ الأردن

٣) أسامة علي قاسم ـ جدة/ السعودية

٤) منصور بن بركة ـ باريس/ فرنسا

٥) عبد الله أحمد علي ـ دبي/ الامارات

حوار القراء

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الكويت

تقدم العلم وتلوث البيئة هل هما مترابطان ؟؟

● نشرتم في عدد تشرين الثاني ١٩٨٧ من مجلتكم (العدد ٣٤٨) مقالا للدكتور سمير رضوان (تقدم العلم والبيئة) . ولي ملاحظات على المقال أوجزها بما يلي :

١ - جاء في مطلع المقال قوله « زماننا يركض ساقين أحدهما العلم والثاني التلوث ، وللتقدم العلمي انهاره الذي قد يصرف الأنظار - ولو الى حين - عن التلوث المصاحب له كظله . والعارف بواطن الأمور يضع يده على قلبه إشفاقا من كل تقدم علمي جديد ، فهو يدرك أن هناك جانبا مظلما لهذا الانجاز غالبا » .

وجاء في عنوان فرعي بارز قوله « التلوث إفراز التقدم العلمي » . وجاء في فرعي آخر قوله « حتى التقدم الزراعي قد أفرز تلوثا » الخ .

الواقع أن ما يوحي به الكلام السابق الى قاريء أو سامع ليس من مسلمات الأمور ، وإنما هو مسألة فيها نظر .

صحيح أن الإنسان يعمد الى الافادة من انجازات العلم وابتكاراته بالسعي التقني ، وصحيح أن خطي سير العلم و التقنية متوازيان ، لكن هذا لا يعني أن أحدهما تقع بالضرورة على كاهل الآخر .

ويبقى النشاط الانساني في مختلف صوره وأشكاله اساس التلوث لكن فالإنسان يستطيع أن يلوث بيئته حتى بأبسط أنواع نشاطه ، كالصرف الصحي للإنسان وحيواناته مثلا .

والتقنية نشاط من أرقى أنواع النشاط الانساني ، ومع ذلك فليس من سبيل الى الحد مما تفرزه بعض فروعها من ملوثات خطيرة إلا سبيل التقدم العلمي ، فيه التقدم العلمي في صالح الإنسان ورفاهيته وسعادته وتزويد عقله بأذرع طويلة تخترق عوامض الطبيعة وأسرارها واحدا بعد آخر . وإني أقول ذلك على الرغم من أن الدكتور رضوان قد أشار في ثنايا مقاله الى أن على العلم أن يخوض معركة كبرى هي معركة الحد من اثار التلوث .

وفي هذا السياق لابد من ذكر مقولة من المقولات التي تثيرها مشكلة التلوث هذه الأيام ، وهي مقولة (الانحراف التجاري بالعلوم) ، وهذا التعبير المهذب ينطوي على معان كبيرة ، تعكس الضوء على الأسباب الحقيقية للتلوث ، وعلى أسباب تضخم حجمه .

٢ - وتحت عنوان « التلوث بالنترات » جاء قوله « إن من الضروري ... كميات الأسمدة النتروجينية محسوبة بدقة ، بحيث لا تزيد عن حاجة ...

علي هذه الصفحات .. ترحب "العربي" بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

وإلا تحولت الزيادة الى تلوث ، كما هو واقع الحال الآن ويسعى الباحثون بدأب لكي يتوصلوا الى طريقة لتحقيق ذلك ، والى أن يتوصل العلم الى تلك الطريقة يتحتم على البشرية أن تتعرض لآثار التلوث الناجمة عن سوء استخدام الأسمدة النتروجينية

لكن واقع الأمر هو أن الأبحاث العلمية قد توصلت حتى الآن الى مستحضرات اطلق عليها اسم مثبطات النترجة ، وهي مركبات عضوية من زمرة (كلور البريدين) ، تحول دون عملية ازالة النترجة البيولوجية التي تقوم بها مجموعات من البكتريا [illegible] النترات الى النتروجين وأما [illegible] التي ستطلق من التربة الى الجو [illegible] مثبطات كذلك [illegible] عمل النترات في التربة ، ومن ثم تحول دون تلوث مصادر المياه [illegible] النترات في المسطحات الزراعية نفسها

فالمثبطات تبطئ عملية النترجة وتعرقلها مدة شهرين من الزمن تقريبا ، وتحافظ على النتروجين في التربة وفي السماد النتروجيني نفسه على صورة امونيوم وقد دلت تجارب (سميرنوف وبورانين) في الاتحاد السوفياتي على ان استخدام مثبطات النترجة يؤدي الى زيادة المحاصيل زيادة كبيرة ، ويرفع من فاعلية الاسمدة النتروجينية

٣ ـ وجاء تحت العنوان الفرعي السابق نفسه إن تلوث التربة بالنترات يؤدي الى انطلاق اكاسيد النتروجين الى الجو ، وهي تأكل طبقة الاوزون التي تغلف الكرة الارضية ، ولولاها لهلكت الحياة الراقية برمتها

والحقيقة هي ان الأشعة الخطرة هي الأشعة فوق البنفسجية ، لاسيما ذات الموجة القصيرة منها ، وحزام الاوزون يحمي الأرض واحياءها من تلك الأشعة التي إذا ما وصلت الى الأرض دون أن يعوقها الاوزون فإنها كثيرا ما تؤدي الى انتشار سرطان الجلد في الناس ، والى نقصان التركيب الضوئي في البلانكتون ، وهو غذاء الأسماك الأول في المحيطات ، والى إحداث تغيرات وراثية في النباتات   الخ

رياض كلالب

مدرس الفيزياء في كلية الهندسة الكيميائية والبترولية بحمص ـ سوريا

● وقد تلقت « العربي » ردا على تعقيب القارىء الكريم من الدكتور سمير رضوان جاء فيه

لم يرد فيما كتبت ما يمكن أن يعتبر دعوة الى سد العلم أو محاولاة التقدم التقني ، كما لا يستقيم مثل ذلك مع كوني أحد المشتغلين بالبحث العلمي منذ ثلاثة عقود ، إلا أنني

حوار القراء

لست ممن يفتنهم التقدم التقني الذي أوشك أن يصبح لكثير من غير المشتغلين به « إله القرن العشرين » فأنا من المتحمسين للبحث العلمي والتقدم التقني التبصر الواعي بنواقصهما ، وهي عديدة وحينما يخدرك أحد من أخطار تحدث في طريق مهم تسلكه ، فهو حينئذ لا يحول بينك وبين غايتك ، بقدر ما يسعى لجعل سعيك سالماً آمناً

أما ما جاء في تعليق القارىء عن استخدام مواد مثبطة لإنتاج النترات في التربة فلابد أنه يعلم أن قائمة هذه الكيماويات لا تقتصر على ماذكر ، بل هي أطول من ذلك بمراحل ، إذ منها أيضاً الأريد ، والثيوبوريا ، والايزثيوسيانات ، والنيتروبيرين والتراي كلورو أسيتايدات ، وغيرها كثير لكن ألا يرى القارىء أنه ... مضمون تعليقه أن العلم يلجأ في معالجة التلوث بالنترات إلى مواد كيميائية معظمها سمية ، وهي أيضاً ملوثات غير مأمونة العواقب ؟ أليس في ذلك مايؤيد ماذهبت اليه من أن التقدم العلمي لايفتأ يفرز تلوثاً مع معظم الخطوات التي يخطوها ؟

أما الملاحظة الخاصة بأن طبقة الأوزون تمتص الأشعة فوق البنفسجية فهي صحيحة ، وأنا غالباً ما أحرص في كتاباتي على تجنب الألفاظ التي لا يعرفها إلا المتخصصون ، مما دفعني إلى استخدام لفظ « الأشعة الكونية » ، قاصداً ما يصل الأرض من الكون الخارجي من إشعاع ، فانزلقت بذلك ـ سهواً ـ الى تسمية نوع من الأشعة موجاتها أقصر من فوق البنفسجية وجل من لا يسهو للقارىء شكري على هذا التصويب وعلى اهتمامه عامة

الصندوق الكويتي للتنمية

العربية

● متى أنشىء الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ؟ وما هي مصادر تمويله ؟ وما هو دوره في عمليات التنمية على المستوى العربي والدولي ؟ وكيف تتم الرقابة عليه ؟ وما هي المشاريع التي ساهم فيها الصندوق ؟

أحمد محمد كمال ...
محافظة المنوفية ـ جمهورية مصر العربية

ـ أنشىء الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية في ديسمبر ١٩٦١ بهدف تقديم الدعم والمعونة والقروض الميسرة للأقطار العربية الشقيقة ... مشروعاتها ، ولعدد من الدول غير العربية ، إضافة الى تقديم المعونة الفنية

يبلغ رأس ماله ٢٠٠٠ مليون دينار كويتي ، مصدرها الميزانية العامة ... والصندوق مؤسسة عامة مستقلة إداريا وماليا وفنيا والمقر الرئيسي للصندوق ... الكويت

ولقد سبق لمجلة « العربي » أن قامت باستطلاع موسع عن الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية في العدد رقم ٣٣٩ - فبراير ١٩٨٧ يمكن للقارىء الكريم الاطلاع عليه للاستفادة الكاملة

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

لماذا أقرأ ؟

● **قرأت كعادتي بعض الوقت وإذا بي أشعر فجأة بضيق واكتئاب ، فدعتني رغبة ملحة للخروج من غرفتي رجعت الى نفسي أفتش في حناياها عن سبب هذا العارض الذي لا مبرر له ، وبعد أن أعياني البحث والتفكير عدت الى حالتي ، وفجأة وضعت يدي دون مقدمات على العلة التي استغربت أيما استغراب بأنها لم تخطر لي على بال**

• **إن علة اكتئابي ليست شخصية أو فردية ، فنحن نولد وأعناقنا مطوقة بلائحة لا نهاية لها من المحرمات والممنوعات التي تخدرنا ، وتشل فينا كل قدرة على الإبداع عدت الى حالتي ومآلت إليه بعد قراءة ما بين يدي ، فوجدت أن ما قرأته كان عدة مقالات صغيرة ، حملت العناوين المرعبة التالية (تلوث البيئة وخطر الموت ، عودة الى الانحطاط ، هجرة العقول ، المستقبل النووي ، خطر السرطان أم خطر الايدز الخ) ، وهنا ضحكت بصمت ، واطمأنت نفسي ، لأن حالتي ليست آفة أو مرضا عصويا ، وإنما هي نتيجة حتمية لما قرأته من هذه المقالات لأولئك الكتاب الذين يلملمون من مجلات العالم ما يدعو الى القنوط واليأس ، ليتسرب الى بيوتنا عن طريق صاحبة العصمة التي تدخل دون استئذان ، وليصيبنا ما أصابني من ضيق ووهن ويأس واكتئاب**

يركن المرء الى كتاب يفرغ فيه عناء يومه ، ويهرب ولو الى حين من عالمه الصاخب المضني ، وإذا به يمسي أتعس وأسوأ حالا

هاني خليل
سوريا - اللاذقية

- يبدو أنك تبحث عن نوع من القراءة ، يسليك وينسيك متاعبك ، مع أنك في بداية الرسالة تتحدث عن الخوف والممنوعات التي تشل القدرة على الإبداع والانطلاق

إن الإنسان السوي هو القادر على أن يحتفظ بتوازنه وتفاؤله ، مع إدراكه الحقيقي لحجم التحديات والأخطار التي تواجهه وأنواعها ، ويجد السعادة الحقة في مواجهة هذه المشكلات والعمل على تذليلها وحلها

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

شرح لوحات فنية

● **عندما تقومون بنشر لوحة فنية دون تعليق أو شرح يجد بعض القراء صعوبة في تذوقها ، فحبذا لو قدمت المجلة شرحا مفصلا للوحات الفنية المنشورة ، لإفادة الهواة ، وياحبذا لو أصبحت هناك إرشادات من رسام محترف ، فالمجلة هي همزة الوصل بين القارىء والثقافة**

عدنان الخروت
سوريا

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

فبراير ١٩٨٨ م

أدب أمريكا اللاتينية

قضايا ومشكلات

القسم الثاني

تنسيق وتقديم : فرناندث مورينو

ترجمة : أحمد حسان عبد الواحد

مراجعة : د. شاكر مصطفى

الكتاب ١٢٢

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب 23996 الكويت

تصدرها
جامعة
الكويت

مغامر يكتشف قارة !

عمران إسلامي في الإمارات العربية

العناكب كائنات مبدعة !

مجلة ثقافية مصورة تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL - ARABI
Issue No. 352 March. 1988. P O Box 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by .
Ministry Of Information - State Of
Kuwait.

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون . ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيًا "العربي" الكويت - تلكس MITR 44041KT
تلفون فكسملي . ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات الى قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص ب : ١٩٣ - الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيها استرلينيا
مصر ٣٠ قرشا	سلطنة عمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشا	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران

محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

أدب وفنون :

العناكب كائنات مدعة

■ جمال العربية

منتدى العربي :

تاريخ وتراث وأشخاص :

تربية وعلم نفس :

اجتماع :

مكتبة العربي

أبواب ثابتة :

صورة الغلاف

تاجر مغامر توجه نحو شرق سيبيريا وجعلها لعملياته وأطلق اسمه على أكبر مدنها من هو ؟

(طالع التفاصيل ص ٦٨)

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

تتابع العربي مسيرتها في إثراء الثقافة العربية في عدد الربيع ، هذا الذي بين يديك ، عدد الربيع والثقافة ، الذي يساير التحرك النهضوي والبطولي في أرضنا العربية المحتلة ، أرض أهلنا في فلسطين التي قام أطفالها بالوقوف أمام أعتى آلة حربية وفاشية في هذا القرن .

فكتب لك د أسعد عبد الرحمن عن موضوع يهمنا جميعا ، وهو « هل قامت المرأة العربية بدورها في التنشئة الوطنية » ، كما كتب لك د عبدالعزيز كامل في موضوع نحب أن نتابعه هو « العلمانية » ، لكنه يناقش في هذه المرة موقفها في كل من شطري الشمال والجنوب على كرتنا الأرضية ، ويكثر الحديث عن التربية على أنها مفتاح لحلول مشكلات كثيرة تواجهنا في وطننا العربي ، فيتساءل د سعيد اسماعيل في مقاله في هذا العدد عن (هل التربية هي الدواء لكل أمراض المجتمع ؟)

أما الدكتورة وسمية الحوطي فكتبت لنا عن الابداع لدى العناكب ، فقد كان المعروف أن الابداع مقصور على الانسان . لكن هل هو كذلك ؟

أما الطموحات والعقبات التي تواجه محاولات البحث عن علاج لمرض الايدز ، واللقاحات التي تجرى تجربتها فهي موضوع المقال الذي كتبه سمير صلاح الدين شعبان

ويناقش فهمي هويدي ما وراء لافتة « حرب الله » التي أصبحت إحدى قضايا العصر . وفي ميدان الرياضة والتمهيد للدورة الأولمبية القادمة كتب لك عادل شريف عن قصة الأولمبياد منذ البداية

هذه بعض القضايا التي تقدمها لك العربي في هذا العدد ، وهناك موضوعات أخرى مثرية للثقافة ، استطلاعات وزوايا ثابتة ، يتناول كتابها الجديد في العلم والمعرفة والأدب

المحـــرر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

عقد التنمية الثقافية

أفكار وتساؤلات !

تحتفل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو هذا العام ببدء عقد سمته « العقد العالمي للتنمية الثقافية » (٨٨ ١٩٩٧) وأهداف هذا العقد كما حددتها تلك المنظمة أربعة هي

١ ـ مراعاة البعد الثقافي للتنمية .
٢ ـ تأكيد الذات الثقافية وإغناؤ ها .
٣ ـ زيادة المشاركة في الحياة الثقافية .
٤ ـ النهوض بالتعاون الثقافي الدولي .

هذه الأهداف الأربعة ، وإن كانت ذات أهمية لأقطار وشعو كثيرة في العالم ، فهي مهمة لدرجة قصوى لنا نحن العرب ، في المرحلة التاريخية التي نعبر فيها منحى تنمويا وسياسيا بالغ الخطر والأهمية .

إلا أن الاشكالية في نظري ، هي كيف يمكن شرح هذه الأهداف العامة وتبسيطها وتوصيلها لمهم عقد التنمية الثقافية من جهة ، ومن ثم كيف يمكن تبني هذه الأهداف كي تصبح أهدافا مقبولة ومدمجة في إطار الثقافة العربية المعاصرة من جهة أخرى

هناك بغير شك عقبات ·

العقبة الاولى هي مشكلة مفهوم الثقافة ، فرغم الحديث عنها وتناولها يوميا في الصحف السيارة أو بين السراة (النخبة) إلا أنها مازالت مفهوما خلافيا بين الكثيرين ، بعضهم يتصور أنها مرتبطة بأشخاص ، فالمثقف هو من يعرف ويعلم في أمور متعددة نسبيا ، وربما هو الحاصل على درجة علمية جامعية أو ما فوقها ، أو قد يكون هو من يجعل الثقافة طريقة في الحياة وتتعدد المفاهيم لتتسع أو تضيق ، لتنحصر أو تشمل ، ولكن هذه المفاهيم - حتى الأكاديمي منها - مستعصية على فهم الشخص العادي

فالثقافة ، هذا السهل الممتنع ، تعني في نظري مدركا كاملا من الحياة المادية والفكرية التي يبتكرها الانسان لينظم بها حياته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، ليكسب الانسان بها انسانيته

والعقبة الثانية هي أن الثقافة مؤسسة اجتماعية ، بمعنى أنها تصدر عن التجمع الانساني وتصب فيه ، والثقافة أيضا لها وظيفة وتحقق هدفا ، كما أن الثقافة في النهاية تبرز ملامح المجتمع في فترة معينة أو في عصر معين .

■ الموروث الثقافي والاجتماعي قد يقف عقبة أمام خطوات التنمية

لذلك فإن المثقف انسان يملك رؤية واضحة لمجتمعه ، بشكل عقلاني ، وما يريد أن يكون عليه هذا المجتمع ، وهو قادر على الفهم والتحليل والاستنتاج ، هذا الفهم يتيح له امكانية استخدام أمثل لقدرات العقل وفق المناهج العلمية للتفكير .

والعقبة الثالثة : هي ان وظيفة الثقافة ليست وظيفة ضيقة - كوظيفة الآلة - التي تؤدي عملا ما محددا رتيبا ، فوظيفة الثقافة مرتبطة بالبعد المستقبلي ، بنزوع الانسان الدائم لتحرير ذاته ومجتمعه . لذلك فانه في

المراحل الحرجة التي تواجه الأمم ، يكثر الحديث عن « دور المثقف ـ « دور القدوة » ممن يملكون تصورا شاملا أو قريبا الى التشمول لتق حلول لمشكلات مجتمعهم

وليس غريبا أن يحمل مفهوم الثقافة في لغتنا العربية معنى أقر إلى (تقويم ما اعوج) ، والتقويم يحدث إذا كان هناك معيار وقيم ع يراد الوصول اليها

بهذا المفهوم الاجتماعي التقويمي ، المادي والمعنوي ، نط التقافة

ومن هذا المفهوم يظهر لنا الارتباط الوثيق بين (التقافه) و (التنمية)

والتنمية مـاذا تعـني ؟

التنمية أيضا مفهوم خلافي من جهة ، وغامض من جهة أخرى ، ونبذل جهدا لتبسيطه ، فالتنمية تعني اطرادا ونموا مقصودا ومخطط ومحددا له وظائف وأهداف ، وهو يتباين بذلك عن النمو العشوائي الذي يصيب بعض المجتمعات وفق قانون الحركة والزمن والتراكم ولذلك فنحن نرى ان المقابلة بين الدول النامية والدول المتقدمه . تتم على أفضل وجه إذا قابلنا بين التمار الفجة للأولى واليانعة للثانية ، التي تتمثل في نتائج ومحصلات التنمية وانعكاساتها على الحياة ، وتتم أيضا في الجذور ، أعني المحاور الأساسية للمجتمعات والقطاعات الرئيسه للانتاج .

ومفهوم التقدم ينطوي على تراتب ، فهو يعني أن هناك مجتمعات أكثر تقدما وأخرى في طريق التقدم (نامية) لكن أليس (التقدم) او (النمو) هو حصيلة تدخل الانسان في الطبيعة ، وما يتلو ذلك من قيم ومفاهيم هي إحدى نتائج هذا التدخل ؟ بمعنى أن الرعاية الصحية والرعاية الاجتماعية والمنازل الحديثة والطرق المعبدة الخ هي جزء من تلك النتائج

إذاً يمكن النظر إلى التنمية باعتبارها حصيلة ما حققه الانسان و صنعه في الطبيعة ، انها كل ما صنعته البشرية باستغلال مواهب الانسان المادية والفكرية

ويصدق في هذا الصدد القول إن تمايز الانسان عن غيره من المخلوقات هو أنه كائن يستخدم وسائل غير مباشرة لتحقيق أغراضه وهذا المقياس صحيح أيضا بين مجتمع وآخر ، فالمجتمع الذي تقتصر فيه وسائل النقل على (الدواب) هو مجتمع لم يغير كثيرا في وسائل الطبيعة بالمقارنة مع مجتمع يستخدم وسائل النقل الأكثر تقدما كالقطار أو السيارة !

وكذلك فإن مجتمعا يستخدم الوقود كالنفط وغيره في تسيير مواصلاته وتسهيل تنقلاته هو مجتمع أكثر تقدما من الآخر الذي ما يزال يستخدم العجلة مثلا

محصلة النقطة التوضيحية السابقة أن الاختلاف بين المجتمعات ، يظهر في أنّ واحدا منها طور مهاراته وابتكر أدوات لخدمة أغراضه بشكل أكثر من المجتمعات التي يملك أفرادها مهارات أقل

ومجتمع ينظم نفسه ويجدد طرق قيادته من أجل تحقيق إنجاز أكبر بجهد أقل وبفارق نوعي ملحوظ . هو بالتأكيد متقدم على مجتمع لا يستطيع تنظيم نفسه ، أو يطور مهارات أفراده

هنا تأتي الثقافة بالتصور الذي وضحناه آنفا ، لتلعب دورها في قضية التنمية ، فهي إما أن تقلل من المعوقات والعقبات التي تعرقل التطوير والتنظيم في ذلك المجتمع ، وإما أن تضاعف من المعوقات وتراكمها .

وتلك هي معركة المثقف .

وليس الأمر بالسهل ، فلقد قلنا ان الثقافة مؤسسة اجتماعية ،

فهي ناتجة عن المجتمع ومختلطة به ، وتدخل خيارات ذاك المجـ
وظروفه وقيمه وتاريخه كلها كأجزاء من الثقافة السائدة

وهنا ترتبط عملية الثقافة بالتنمية ، أو التنمية بالثقـا
وبالأحرى تصبح « التنمية الثقافية » أحد الشروط الأساسية للـ
بمعناها الشامل

بمعنى آخر كيف تسهم الثقافة المجتمعية ، والمثقفون . في تمـ
الطريق لتحقيق تنمية حقيقية أي تحقيق سيطرة أكثر للانسان عـ
الطبيعة في المجتمع المعني

حل هذه المعادلة ليس سهلا ، فهناك بعض الموروث الثقـ
والاجتماعي قد يقف عقبة أمام بعض الخطوات التنموية ، والخطورة في
هذا المقام أن هذا الموروث يحمله (انسان) وهنا يختلف (الانسان
كأداة للتنمية عن بقية الأدوات كلها

فالأدوات الهامدة (الطبيعية) لا تقاوم مستخدميها ولا تمتعض
منهم ولا تخجل ولكن الانسان له ارادة ومشاعر وقيم وأولويات ، ولذ
فإنه أصعب أدوات التعبير على الاطلاق من هنا تأتي مقولات
« الاستثمار في الانسان » و « التثقيف للانسان »

هذا ما يفسر إحدى الاشكاليات الرئيسية في التنمية العربية
فلقد ظن بعضنا لفترة طويلة أن مجرد قبول طريق (اشتراكية الدولة)
(الليبرالية الاقتصادية) يستطيع أن يوصلنا إلى مجتمع اشتراكي أو دو
رأسمالية !! أي يجتذبنا إلى نادي البلدان الأكثر تقدما ، وهكذا تـ
المحاكاة لهذا النظام أو ذاك ، ولكننا نرى اليوم أن الأقطار العربية الـ
اختارت هذه المحاكاة أو تلك ، لم تتمتع بها كثيرا بل ربما شوهت مفاهـ
كثيرة لديها .

لقد فاتنا الدرس الأساسي وهو أنه من أجل تنمية واقعية نابعة
المجتمع ، لابد من هوية ثقافية ، تأخذ من الموروث الثقافي من جهـ
وتثري من نتائج العصر من جهة أخرى

التفاعل الثقافي :

من أجل تنمية نابعة من المجتمع ومحققة لأهدافه لابد من ـ
عن هوية المجتمع الثقافية . ولقد طرحت قضية الهوية الثقافية ـ
وتفاعلها مع الهويات الثقافية الأخرى كثيرا على ساحة الفكـ ـ

المعاصر ، بل أستطيع أن أقول ان هذه القضية طرحتها ثقافات أخرى متعددة قبلنا ، في البحث عن الأصيل في (الأنا) والدخيل في (الآخر) وأن نطرحها من جديد هنا ـ بعد أن تناولها كتاب عرب منذ قرن ونيف ـ فذلك يعني أنه مازال هناك قول يقال في هذا الصدد ، وهو في تقديري أمر صحي

وفي كل مرحلة من التاريخ عندما تطرح أمة قضية هويتها الثقافية وعلاقتها بثقافة الآخرين ، فذلك يعني أن هناك حوارا حيويا داخليا بغرض تحديد كل من (الأنا) و (الآخر) بشكل واضح ، ومن ثم تحديد التفاعل بين (الأنا) و (الآخر) ومدى حدود التداخل والاختلاف

هذا الحوار هدفه الوصول إلى توافق ثقافي ، ومن ثم توافق تنموي صحيح يقود الأمة إلى النهوض وهو حوار يتصاعد في نطري بشكل أكبر في أوقات الأزمة الفكرية والتنموية والحضارية ، فهو لا يطرح بشكل واسع في أوقات المسيرة الاعتيادية لشعب أو لثقافة تؤثر وتتأثر بالآخرين بشكل متفاعل طبيعي ، ولكنه يثار فقط عندما يبدأ التفاعل بين ثقافات تشعر إحداها (بالضعف) في نفسها أو بالقوة في الأخرى أو الأخريات ، ولقد ثار هذا النقاش لدى الروس في القرن الثامن عشر عندما بدأ الاحتكاك بين الحضارة الغربية (الصناعية) وحضارة روسيا القيصرية (الزراعية / الاقطاعية) ، وأدى هذا الاحتكاك غير المتوازن إلى إثارة نقاش حاد بين المثقفين الروس في ذلك الوقت لفترة طويلة حول

حصوصية وأصالة الثقافة (السلافية) في مواجهة الروح (الكوبـ
و (الشمولية) التي يمثلها الغرب الحديد . وقد انقسم المثقفون إم
شاحب للنزعة الاوروبية كليا أو إلى قابل نتلك النزعة كليا أو إلى فئة
هده وتلك

فالشاحب لهده النزعة ، أصبحت أوروبا بالنسبة له مصـ
للأفكار المخربة ، التي تنتصر للعقل على حساب كلية الكائن الانسا
حيث نظر الى العلم الأوروبي على أنه محدود ومؤقت ، وأن الأحلاق
المجتمع الصناعي أخلاق نفعية الخ المقولات المصادة أما القا
بالروح الاوروبية على أنها نهصة فكرية وصناعية حديدة فقد
باهتمامها بالعلم والمعرفة والعمل والتنظيم ، وأن دلك كله قاعده
تطور احتماعي ، ولابد من الأخد بها وتبنيها

وهناك فئة ثالثة من المفكرين أرادت المراوحة ما استطاعت بين
القابل والرافض لإيجاد حط وسط

ويقول لنا التطور التاريخي ان داك النقاش الكبير قد حسم بشكل
من الأشكال ، بدءاً من اصلاحات بطرس الأكبر ثم الثورة البلشفية في
مطلع هدا القرن ، ولكن هذا الحسم ـ وهنا بيت القصيد ـ جاء حاملا
الهوية الثقافية الروسية

ويكاد النمودح يتكرر في اليابان بدءا من نهاية القرن التاسع عشر
وبداية القرن العشرين ، ونمودج آحر في الصين وفي كوريا

■ معركة المثقف هي العمل على إزالة المعوقات والعقبات التي تحول دون نمو المجتمع وتقدمه

الـدرس المستفاد من كـل تلك النمادج يتلخص في أن الحـد
الحديثة تقنية كانت أم قانونية أم اقتصادية ، هي مزاوجة بين نتائج العقل
والعمل والتنظيم السائد في الغرب وبين محتوى وطني محلي أي ثقافة
وطنية ، لا تنقل فقط ولكن تستوعب وتهضم ثم تقدم نمودجا خاصـ
بها .

انها ليست الانقطاع الثقافي أو الانفصال عن المسيرة الثقافية
السابقة ولا هي أيضا (الاندماج) الذي يفقد الهوية ، ولكنها مزاوجة
ناجحة بينهما .
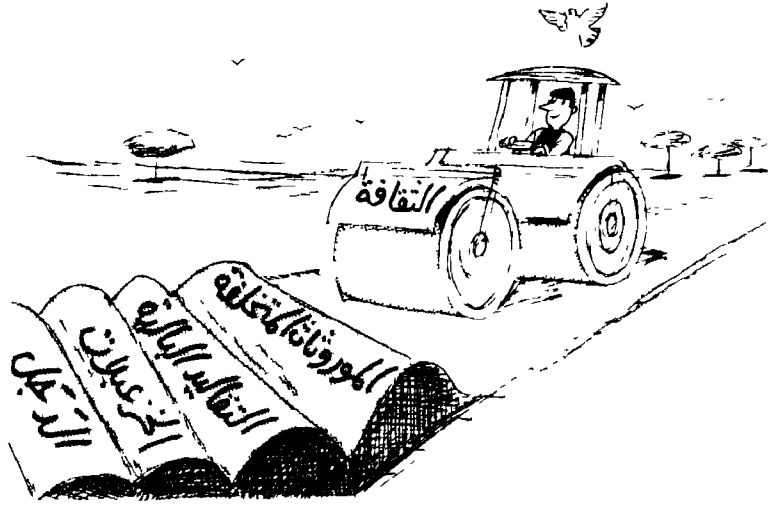
تلك المراوحة تعتمد على عناصر عديدة منها ما تملكه تلك الثقافة
ن تراث حضاري سواء كان قديما وراسخا أو كان جديدا وهشا ، ومنها
إذا كانت الأمة قد تعرضت للاستعمار الحديث ومدى قوة هذا
'ستعمار في تشتيت الهوية الثقافية لتلك الأمة الخ من العناصر .
حانب ذلك فإن المراوحة الناجحة ليست محصلة تفاعل تلقائي تأتي من
سها عن طريق تشابك العناصر الهامدة ، إنما يؤثر فيها الانسان
حيويته وطاقته وآماله بما يريد وبما لا يريد ، بما يطمح أو لا يطمح لأمته
، تكون .

وهي أيضا مراوحة لا يمكن أن تتم في أمة تغيّب دور العقل
رقص الحديد ، وترى كل اجتهاد خروجا عن مألوف وكل تفكير تخريبا
مجتمع

صيغة تنموية عربية :

محاولة الوصول إلى هوية ثقافية عربية هي إحدى الخطوات
رئيسية للوصول إلى صيغة تنموية ، ولكن هذه المحاولات ظلت حتى
ن تحت صيغة التجربة والخطأ ومنذ قرن تقريبا طفق أهل الفكر
بر يدخلون في حوار كبير ومازالوا يطرحون موضوعات (الهوية
ثقا) و (الغزو الثقافي) و (الأمن الثقافي) أو (الاستلاب الثقافي)

أو (اليقظة الثقافية) الى آخر المصطلحات العديدة التي تصب و .
الاطار

الملفت للنظر أن المساهمين في هذا الحوار الكبير ـ وان تعدد انطلاقاتهم الأيديولوجية ـ يكادون أن يصلوا اليوم إلى نفس النتائج بحثهم عن تفاعل حيوي وإيجابي بين الثقافة العربية الاسلامية و الهويات الثقافية الأخرى ، هذه النتائج ـ إن استثنينا الغلاة ـ هي الد إلى تفاعل حيوي وفعال . ولعل مثالاً يتكرر في الكتابات الحديثة يبد مثل قول « علي عقلة عرسان » في مقال له نشره سنة ١٩٨٥ حو الشخصية الثقافية العربية والغزو الثقافي فبعد جهد في توصيف وتشخيص الشخصية الثقافية العربية والغزو الثقافي يقول (ليس العلاج في أن نقفل على أنفسنا الأبواب والنوافذ فنتقوقع خوفا أو صا أننا أفلسنا ولابد ألا نكتفي بالعودة إلى التراث عودة تعبيرا عن العصر الذي نحن فيه ، وليس العلاج في أن نطلب من الثقافات الأخرى الغازية أن تكف بلاها عنا وليس الحق في أن نهجر القديم)

هذا النوع من الحلول لابراز الهوية الثقافية المعاصرة يكاد يظهر في معظم الكتابات فالدعوة ليست إلى الانغلاق ولكنها ليست إلى الانفتاح ، والدعوة ليست إلى العودة إلى التراث ولكنها ليست إهمالا له . هذا النوع من النقاش في تقديري لا يصل إلى نتيجة ، إن الاشكالية التي أمامنا هي كيف نصل إلى نوعية حياة أفضل لجماهير العربية ؟ لن نستطيع أن نصل إليها إلا إذا كانت لدينا « قدرة حضارية » أي ما نستطيع أن نحققه للانسان من حيث السيطرة على الطبيعة وتسخيرها له ، وانتظام المجتمع ، وتلبية حاجات العقل إلى الفهم

عِنْدَما تَطْرح أمّة
قضيّة هُويّتها
الثقافيّة ، فإنّ ذلك
يَعْني أنّ هنالك
حوارًا حَيَويًّا داخلها

، لادراك وحاجات النفس إلى الايمان والثقة

هذه القدرة الحضارية بمكوناتها تلك تحتاج منا إلى سبر أغوار ثقافتنا الموروثة وتأصيل ما يساير تلك القدرة الحضارية وتوسيعها وتعزيزها ، وتجاوز العناصر المعوقة لها في ثقافتنا كعدم الاعتماد على العقل والايمان بالخرافة وكراهية التنظيم وطلاق العلم ! وأن نحارب كل ذلك على رؤوس الأشهاد

إنه خيار ابتكاري يجعلنا نؤمن بأن التفاعل الحضاري والثقافي من سنن الحياة ، وان نحدد بأقصى ما يمكن من الدقة والوضوح جوهر « القدرة الحضارية » وقشور الحضارة أو ما يقرب من القشور ، كل ذلك باتجاه تحقيق مستوى أفضل للحياة لجماهير أمتنا

عُسْـــر الحـــداثـــة :

إن كان ثمة عسر للتحديث في وطننا العربي فإنه عسر لابد من مواجهته ثقافيا ، فالوطن العربي في كل أقطارنا يواجه اليوم بتحولات عميقة

تحولات أقحمت علاقات اجتماعية جديدة ، فحل بها مجهول العلاقة ، والعلاقة غير المباشرة بدلاً من العلاقة الحميمة والدافئة ، وحلت الآلية محل العضوية وحل الاحساس بالزمن متسارع الوتيرة محل الاحساس القديم بوفرة الزمن ، كما حل التنظيم والتعقيد محل التلقائية والعفوية ، وساد معيار الفاعلية والمنفعة محل الوفاء والقرابة أمام هذه التحولات يسارع البعض إلى ردود فعل احتجاجية مرتدين إلى الرمز والمتخيل والتقليدي حماية للذات والجماعة من الاضطراب ، ويسارع البعض الآخر بالمطالبة بالاندماج والذوبان . هذا التحول ليس تلقائيا ولا يسيرا فهناك صراع يصاحبه في أكثر من مجال على رأس تلك المجالات المجال الثقافي .

لذلك فإن التنمية الثقافية عملية شاقة وعسيرة ومكلفة أيضا ، ولكنها من أهم المهمات التي يجب التصدي لها لخلق تنمية حقيقية نابعة من المجتمع . □

محمد الرميحي

لعربي ـ العدد ٣٥٢ ـ مارس ١٩٩١ م

العلمانية والدين

بين الشمال والجنوب

نماذج من التطبيقات

بقلم الدكتور عبدالعزيز كامل

كان أكثر الحديث في تقسيم العالم الى شرق وغرب ، ثم سرت فوق اليابان والشعوب السلافيه وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي ، وجذورها اسيويه فأصبح الحديث عن شمال متقدم وجنوب أقل نموا في الشمال نطاق العلم والقوة والثروة ، وفي الجنوب ـ أو أكثره ـ نطاقات التخلف والضعف والجوع ولكل منهما حظ من العلم والدين ، مع اختلاف في أمرين أساسيين مدى هذا الحظ ، وأسلوب التفاعل بين العلم والدين . وفي هذا الحديث نماذج تطبيقية من النطاقين ومواقع العلمانية فيهما

لنبدأ بالنموذج الياباني وهو نموذج يجتذب أنظار العالم لأكثر من سبب قيامه القوى ودخوله المعترك العالمي الذي بدأت خطواته منذ القرن التاسع عشر ، تعاظم قوته في النصف الأول من القرن العشرين

التفجير الذري وتدمير هيروشيما وناجازاكي عام ١٩٤٥ وهو تفجير غير مسبوق وغير ملحوق حتى الآن كان « هدية » التقدم العلمي الأمريكي الى الشعوب الأسيوية أولا ، ونقطة تحول في النظرة إلى آثار العلم على مسيرة الانسان ثم كيف استطاعت اليابان أن تعيد بناء قوتها معتمدة على الفكر والابداع ، حتى أصبحت المنافس الاقتصادي الأخطر أمام الولايات المتحدة

ولقد قامت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية بدراسات متعمقة في العقل الياباني ، تستهدف شيئا وراء مجرد التحليل والمعرفة ، وهو إعادة تركيب هذا العقل ، أو صياغته من جديد ، ليدور في الفلك الأمريكي بخاصة والغربي بعامة وكان على اليابانيين من ناحيتهم أن يبذلوا الجهد الجديد والمكثف والمتواصل للمحافظة على هويتهم دون انطواء ، والتقدم في المجال العلمي والتقني والاقتصادي ، بحيث تصبح هذه المجالات الثلاثة الركائز التي تقوم عليها الحياة الجديدة ولا بد من جذور تنبع من عقائدهم أقول عقائدهم حيث التعددية عنصر أساسي من عناصر الحياة اليابانية وهي التي نتوقف عندها في هذا الحديث

الجمع بين الأصالة والتطور

لم يكن أمام « الميكادو » بعد الهزيمة الذرية في الحرب العالمية الثانية الا التسليم ، وكان في ذهنه صيانة « العامل البشري » لأنه الرصيد الأكبر الذي ستقوم عليه اليابان الجديدة وكان الامبراطور بعيد النظر الى درجة يستطيع أن يرى فيها طريق المستقبل ، رغم التفجير والاشعاع الذري هكذا فكر البعيد وهكذا كتب وصيته لولي عهده

ولا نستطيع أن نتصور بعثا حضاريا لا يستند الى الموارث الذاتية ، والى عناصر القوة من خصوصيته ، والى هذا ذهب المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية الذي عقدته منظمة اليونسكو في مدينة مكسيكو في شهري يوليو وأغسطس عام ١٩٨٢ والذي أعلن قناعة الأعضاء بالعالمي المعاصر ، باحترام الثقافات وحقها في التعبير عن ذاتها وتنميتها ، دون أن تكون ظلالا لدول كبرى أو توابع لحضارات عملاقة

كانت اليابان ابرز هذه النماذج القادرة على الجمع بين الأصالة والتطور فلننظر الى هذا الأمر بتفصيل أكثر ، وبخاصة في زاوية العلاقة بين العلم والدين ، أو بين العلمانية الوافدة والأديان القديمة والجديدة (وأرجو ألا يظن القارئ هنا خطأ ففي اليابان أديان جديدة ظهر بعضها بعد الحرب العالمية الثانية)

وسنرجع الى كتاب ديل ساوندرز عن « البوذية في اليابان » وقد صدرت طبعته الثالثة عام ١٩٨٠ عن دار تشارلس تتل في طوكيو وفيه فصل عن عهد الميجي (١٨٦٨ - ١٩١٢) يليه مسح للبوذية اليابانية ، وفصل عن الأديان الجديدة ، وهي الفصول الثلاثة الختامية للكتاب (من ص ٢٥٥ الى ٢٨٦)

ففي القرن التاسع عشر حدث تنافس وصل الى

شيء من الصراع بين البوذية ، والشنتوية ، والمسيحية الوافدة التي جاءت مصاحبة للتوسع الغربي ورأت البوذية نفسها في الميزان ماموقفها من التحدي الغربي وكيف تستطيع تأكيد قيمها ومقابلة المتغيرات الجديدة ؟

ولنذكر أن الحكومة اليابانية أقرت الشنتوية دينا وطنيا عام ١٨٧٠ باسم « دايكيو » أو العقيدة الكبيرة وأنشأت إدارة حكومية للدين والتربية ، وأعطت البوذية مكانة رسمية ولكنها دون الشنتوية ، وفي عام ١٨٧٣ سافرت بعثة بوذية الى أوروبا وأمريكا لدراسة التنظيمات الغربية الدينية ، وكيف تعمل ورأوا هناك مكانة العلم في حياة الانسان ، والعناية المتزايدة بالفكر والحرية والارادة الانسانية وعادوا ليفسروا البوذية بأنها دين توحيدي ، وأنها أقرب الى روح العلم من المسيحية التي تذهب الى الايمان بقوى علوية لها القدرة على تغيير العلاقات بين الأسباب والنتائج ، وهي العلاقات التي يقوم عليها العلم وذهبوا الى أن البوذية - كالعلم - تعترف بتبادل التأثير بين جميع الاشياء (ص ٢٥٨ من المرجع السابق) وأرسلوا مبعوثا آخر عام ١٨٧٥ الى جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة ، لمزيد من الدراسة عن أسباب نجاح المسيحية

الابداع العلمي

لقد أثمر المزيد من الفهم والاتصال بالعالم الخارجي الاحساس بضرورة فصل العوامل الوطنية (الشنتوية) عن العوامل الدينية البحتة (البوذية) مما أدى إلى إلغاء « الدايكيو » أو « العقيدة الكبيرة »

وأحس الجميع بضرورة سياسة حكومية جديدة تستطيع أن تقابل التغيرات والتطورات السياسية

وتراجعت الصراعات الدينية بين البوذية والشنتوية ، وبرز من وجه الغرب ذلك التحدي الحضاري الجديد ، وبخاصة في العلم والتقنيات وهو الذي خاضت فيه اليابان تجربتين كانت أولاهما قبل الحرب العالمية الثانية ، وهي مرحلة ارتبط فيها العلم بالاقتصاد بالقوة العسكرية بالنظرة التوسعية ، وكانت الثانية علمية اقتصادية ... الأكبر هو « الابداع العلمي » على المستوى ال... ورصيدها الأكبر هو « العقل الانساني » الق... يوم على فتح آفاق جديدة

وفي هذا « الابداع » يلتقي العلم مع ... الفكر البوذي الذي يذهب الى التأمل ال... « الاستنارة » او « الساتوري » اذا استخد... اصطلاح القوم

والاستنارة هي كشف ذاتي لطريق جديد وكانت من قبل في عالم الاشراق وفلسفة الحياة وهي الآن - بالاضافة الى مواريثها-أو بتطوير مواريثها - في عالم العلم والتقنيات

والأديان الجديدة التي ظهرت في اليابان تلتقي عند ركيزة الاستنارة أو الكشف ونستطيع القول بأنها تكون - مع بعضها البعض ، ومع الأديان القديمة - مجمعا من الفكر الديني « بانثيون » لو أخذ... اصطلاحا قديما حديثا مستخدما في الغرب

واستهدفت الديانات الجديدة ملء الفراغ الروحي الذي نجم عن الصراع بين الأديان وبخاصة ماكان بين البوذية والشنتوية ، وقد تحررت هذه الأديان الجديدة من الطبقية الكهنوتية ، وتجنب الفصل القديم الدقيق بين رجال الدين من ناحية ، وبين المؤمنين العلمانيين من جهة أخرى وأي مثقف من هؤلاء وهؤلاء له القدرة ، وله الحق ، في إمامة العبادات أو قيادتها ، وأكثروا جميعا من استخدام وسائل الاعلام الحديثة من الاذاعة المسموعة والمرئية والمطبوعات الجميلة والمبسطة

وأبرز ما في هذه الديانات أن أحدا منها لايدعي احتكار الحقيقة كلها وكل منها يقبل الآخر ويتعايش معه على أساس من المساواة وقد اتسعت أرض السماحة بينها - مع بعض استثناءات - ... وصل الأمر بينهم الى تكوين منظمة الأديان الجديدة للتعاون المشترك والاعلام بهذه الأديان وليس غريبا عندهم أن يجمع فرد بين دينين فتكون له مقدسات شنتوية في داره ، ويتردد على معبد بوذي أو جدمعابد هذه الأديان الجديدة

مقارنة :

سيعة الفكر الديني في الشرق الأقصى - وبخاصة في اليابان - تختلف اختلافا اساسيا عن التشدد والتعصب والصراعات العتيقة التي نجدها في كل من (شبه القارة الهندية الباكستانية)، وفي أرض العرب حيث الفواصل والحدود، والتي سبق ان شاهدتها اوروبا في الصراع بين الكاثوليكية والبروتستانتية، والتي بلغت ابعادها البشعة في محاكم التفتيش التي أقامها الكاثوليك في أسبانيا بعد سقوط غرناطة واخراج الحكم الاسلامي منها عام ١٤٩٢ ومطاردة كل من لا يعتنق الدين أو المذهب الكاثوليكي

لقد تخطى اليابانيون ارض الصراع التي لا يزال يمر من مفكرينا رافعا اسلحته الفكرية فيها، واتجهوا الى قبول التحدي الحضاري وذهبوا الى تعميق التعددية الدينية والتعايش بين الأديان والعقائد والمذاهب وأصبح المصنع او «المؤسسة» وحدة اساسية - مع الاسرة - في بناء المجتمع الجديد ورفع انتاجيته فحياة اليابان هي في انتاجها وابداعها والوقت اغلى عندهم من ان يضيع في نقاش نظري مما يأكل اوقات الكثيرين عندنا، ويستنزف حيوية شبابنا، دون مردود على حاضر او مستقبل

كذلك لم يقف اليابانيون امام الحضارة الغربية الغازية موقف الانبهار، ولكن موقف الاختيار ثم الابتكار بدءوا مقلدين في بعض الأوقات، ثم أصبحوا «مجتهدين» لم يدوموا في صراع المذاهب والعقائد. ولم تضطرب خطاهم في طريقهم الصاعد الذي اختاروه جامعا بين اصالتهم وانفتاحهم حاملا شخصيتهم النامية المتطورة، قادرا على «الاستنارة» وكشف الجديد

وأختم هذا الحديث عن التجربة اليابانية بقصة قصيرة ذكرها الفيلسوف الياباني د. ت سوزوكي في كتابه «مقدمة الى مذهب الزن البودي» (ط ١٩٧٤ عن دار ايدر) وفيه يخصص الفصل السابع عن ساتوري (او الاستنارة) باعتباره كسبا لوجهة نظر جديدة ويذكر أن راهبا بوديا كان يبحث عن الاستنارة، وصاحبه في رحلته معلم صديق، وقال له «اني راغب في عونك ولكن هناك أمورا ينبغي ان تقوم بها بنفسك فأنت اذا كنت جائعا او ظامئا، هل أستطيع أن آكل او أشرب نيابة عنك؟ وأنت وحدك الذي تستطيع ان تحمل جسدك وأنت على هذا الطريق»

وفتح هذا القول بصيرة الراهب في وجوب الاعتماد على النفس في كشف الطريق (ص٩٠) والاعتماد على الذات - عمليا - فردي، كما هو جماعي ووطني ويبدو عميقا وقويا في مجتمع متجانس كالمجتمع الياباني

الغرب : سوق مركزي للمذاهب .

والذين ينادون عندنا بالعلمانية، انما يلمسون جانبا واحدا من حياة الغرب، مع تعدد مفاهيم العلمانية هناك، كما ذكرنا في مقال سابق (العربي ٣٤٩ ديسمبر ١٩٨٧) وفي عرض العلاقة بين العلمانية والدين في أوروبا منذ القرن الخامس عشر حتى الآن يمكن الرجوع الى بحث بيتر برك وعنوانه «الدين والعلمانية» وهو الفصل الحادي عشر من الجزء الثالث عشر من الطبعة الجديدة لتاريخ كمبردج الحديث / ١٩٨٠

والغرب سوق مركزي للمذاهب ترى فيه الذين ينكرون الدين أساسا وكأنهم - في جوهرهم - يذهبون الى ماذهب اليه قدامى العرب وسجله القرآن الكريم «وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا، نموت ونحيا، وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون» (الجاثية ٢٤) وقد لقيت من هؤلاء علماء كباراً لا علاقة لهم بأصل الوجود ولا حساب الآخرة، وحياتهم وجودهم، وهما محصوران بين مولد وموت، لا يعنيهم قبل ذلك ولا بعد

وترى هناك الذين يتمسكون بنصوص ونبوءات العهد القديم والجديد تمسكا حرفيا، حتى فيما يتعلق بالحروب المدمرة التي ينتهي بها عالمنا الى خراب وأمامي الآن كتاب الصحفية الامريكية جريس

السـ ـه المقدس معاده مشركه في معبد واحد يكانون في صوليو حيث الكل في واحد

هالسل وعنوانه « النبوءة والسياسة الانجيليون المتاصلون على طريق الحرب النووية » (وهو صادر عن دار لورنس هل ـ كنكتكت ـ الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٦)

ويبشر هؤلاء المتاصلون الانجيليون بأن الدمار الذري لا يمكن تجنبه ، وتتجه رسالتهم الى اقناع كبار المسئولين الحكوميين في الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل وغيرهم بذلك وتصل اصواتهم وبخاصة عبر التلفاز الى اكثر من ستين مليونا من المشاهدين ويتبنى اليمين المسيحي الجديد ، والحزب الجمهوري ـ بنجومه الجديدة الصاعدة ـ هذا الاتجاه ويبدو أن لهم موارد مالية غير محدودة ولهم موقع في فلسطين حيث الكيان الاسرائيلي « للمعركة الكبرى الاخيرة ، لأن هذه ارادة الله » وهؤلاء يجدون المزيد من دعم الترسانة الحربية الأمريكية ، وبالتالي دعم اسرائيل ووصلت بعض نبوءاتهم الى كلمات رئاسية في الولايات المتحدة وفي هذا المجال الاعلامي تبرز اسماء بات روبرتسون ، جيمي سواجارت ، جيري فالول هؤلاء وغيرهم يبشرون بأن الحرب النووية هي التي تمهد لعودة المسيح الى الأرض

هذه هي معركة « هرمجدون » وقد جاءت في الاصحاح السادس عشر عدد ١٤ ـ ١٦ من رؤيا يوحنا اللاهوتي وفيها يتنبأ كاتب الرؤيا أن هذا الموقع سيتحول الى ساحة للرب ، ويجتمع فيه كافة ملوك الأرض في يوم قتال الرب ! وتقع مجدو في مرج ابن عامر ، وهي على خط المواصلات بين القسمين الشمالي والجنوبي من فلسطين ، ولها مكانة استراتيجية من قديم

لقد أهدت المؤلفة كتابها الى الذين يحثون عن السلام وذكرت تجربتها في رحلتها الى الأرض المقدسة مع جيري فالول ، وخصصت فصلا عن جهود اسرائيل في التحالف مع اليمين المسيحي الجديد (ص١٤٥ ـ ١٦٠) وثلاثة فصول عما تجنيه اسرائيل من هذا التحالف (ص١٦١ ـ ١٨١) وهي

(؟ مكاسب المال ، مزيد من الأرض ، مزيد من
ر عة » الدعم المسيحي في الأرض الأمريكية !
، تحدث الكتاب عن ان هذه الجماعات - من
يمين المسيحي الأصولي الجديد المؤيد لاسرائيل -
صل عددها الى مائتين وخمسين وذكر اسماء
ابرز هذه المنظمات ونماذج من الأدوار التي قامت بها
أيدا لاسرائيل وعونا لها على تحقيق النبوءات
خصصت الكاتبة الفصل الأخير عن مزج الدين
السياسة (ص١٨٥ - ١٩٤)
وتختم الكتاب بفقرة جاء فيها

« في عظات جيري فالول وغيره من التلفزيين
لانجيليين افتقدت حديثهم عن الموعظة على الجبل
(وهي أروع عظات المسيح الانسانية) وافتقدت ان
يخبرونا ان المسيح اختار طريقا غير قائم على القوة
لحربية ، ان طريقه لم يكن الغاء لحق الفرد في
لملكية ، ولا الغاء للبحث عن الحكم السياسي في
هذه الأرض لقد جاء داعيا الى التقدم بالحياة
وإثرائها لقد جاء برسالة السلام وبالسلام علمنا
ان نحافظ على الحياة وان نريدها جمالا
(ص٢٠٠) »

إن بين الذين رأيناهم ينكرون الدين ومصدره
الالهي نكرانا تاما ، ولا يرونه الا ظاهرة اجتماعية ،
وبين الأصوليين الذين يتمسكون بحرفية النصوص
الداعية الى الحرب الكونية والدفاع عن الخراب
والتخريب بين هؤلاء وهؤلاء في الغرب ينتشر
حشد من المذاهب والآراء بين اقصى العلمانية
واقصى الحرفية النصية في الدين

والآن أين الطريق ؟

أردت بهذا الحديث أن أؤكد أربعة مبادىء هي
التعددية ، التعايش ، الاختيار ، الابداع
والتعددية تقتضي حسن دراسة التراث اولاً، وفهم
الحاضر واستشراف المستقبل ، والقدرة على التحليل
اولا ، والتركيب ثانيا ، لتكوين صيغة تستطيع ان
تستجيب لمسئوليات الحاضر وهو في طريقه الى بناء
مستقبل

والتعايش يقتضي ان تتسع آفاقنا لندرك أننا لسنا
وحدنا في هذا العالم العريض ، واننا لكي نمارس حق
الاختيار ، علينا ان نعترف به لغيرنا ، ومن الاختيار
علينا ان نصعد الى مستوى الابداع

ولا أود أن نبدأ من بعيد وليكن البدء بعالمنا
العربي ومن حوله عالمنا الاسلامي ففي ارض
الحضارات العريقة من الطبيعي ان تتعدد الآراء
والمذاهب ، فماذا علينا لو كان للفرد معتقده الذي
يحترمه الآخرون ، كما يحترم هو معتقدهم فتكون
صلته بمعتقده « دينا » وتكون نظرته الى معتقد غيره
« ثقافة » وليس هناك ما يدعو الى نزول الخلافات
المذهبية والعقائد الى صراعات الحياة اليومية لتكن
دراسة الخلافات « علمية » للمعرفة ، وليكن
التعاون فيما نلتقي فيه ، وهو كثير

وعلى الذين يعيشون في وطن واحد واجبات نحو
هذا الوطن ان يحافظوا على ارضه وعلى وحدته
الوطنية ، وان يقبلوا التحدي الحضاري الداعي الى
التقدم ، وان يبذلوا الجهد متعاونين

وعلى الذين يعيشون في اوطان متجاورة وتجمعهم
لغة او عقيدة او حتى مجرد الجوار ، ان يؤمنوا
بالتعايش ، واذا كانت بينهم فروق مذهبية فلا يذهب
معها الود وان يحاولوا الاشتراك في مشروعات
اوسع لمقابلة مسئوليات الحياة وليدعوا أحقاد التاريخ
للتاريخ ، وليدعوا التقليد في كل من العلمانية
والتعصب الممقوت وليكن لهم الحق في ان يصنعوا
لأنفسهم تاريخا جديدا يقوم على التعددية والتعايش
والاختيار والابتكار ولتكن هذه الأربعة نحوها
لكعبة الفكر الصاعد الى الغد

ان الاختيار بين الثنائيات في ذاته قيد ، فلعل وراء
الثنائية فكرا ثالثا او رابعا ، هو استثمار افضل ما في
الحاضر لبناء المستقبل ومن أجل ذلك ذكرت
النموذج الياباني بشيء من التفصيل ، وأشرت الى
هذا الحشد الهائل من الأفكار والفلسفات ، لتكون
لدينا القدرة على استنبات الأفكار ، لا مجرد
استيرادها دون مراعاة للعوامل الطبيعية
والبشرية □

رسالة إلى أبي

شعر : فاروق شوشة

فاحاني الذي اكتشفت أنت في نفسي حللت
في صوتي المرتج بعض صوتك القديم
في سحنتي بقية من حزنك المنسل في ملامحك
وفي خفوت سرتي ـ إذا انطفأت ـ ألمح انكسارك
وأنت عارفا حينا ،
وحينا مقبلا ،
وراضيا ، تأخذنا في بردك الحميم
حينـــا ،
وحينا عاتبا مغاضبا
فأنت في الحالين لن تصدنا
وتستخير الله ، أن تكون قد عدلت
فاحاني أنك لم تزل معي
وانت شاخص في وقفتي الصماء ، والتفاتتي
أرقبني فيك
وأستدير باحثا لدي عنك
تحوطني ، فاتكيء ،
تمسك بي إذا انخلعت
تردني لوجهتي
مفتحا كآبة الليل المعتم ،
الآن عدنا ، اختلطنا
صرت واحدا

وصرت اثنين
عدت واحدا
مك انفصلت واتصلت وانفصلت واكتملت
. ادر كم من شحوك السيل قد حملت
اضمه لعربتي
ومن عنائك المرير للزمان كم شهدت
فاكملت معرفتي
واسعت أحزان قلبي اليتيم
بالرغم من أبوتك
وانت ناصحي المجرب الحكيم
. سحبى من شقوتك

* * * *

ان
تراك في مكانك الوثير مانحي سكينتك
وقد فرغت من رغائب الحياة
فاسكنت شيحوختك
على مدرج الصفاء والرضـا
وصار نحوس الدائرة
يكون لاكتمالها الفريد
ها اند ود بك
انا المحب الذي عرفته المفتون بالنزال

واسك
حينما يفاخر الاباء بالسوة الرحال
مكسرا أعدو إليك
اشكو سراب رحلتي
وعربتي
ووحدتي
محتميا بما لديك من أبوتي
ولم يزل في صدرك الرحيب متسع
وفي نفاد الضوء من بصيرتك
جلاء ظلمتي وكربتي
فامدد يديك للذى قد عاله الطريق
واحترقت سهامهم صميمه فلم يقع
لكنه أتاك ، نازفا ، مصرحا
دماؤه تقوده إليك
وندبة في جبهته
وصرخة مكتومة يطلقها إذا امتقع
هذا ابنك القديم
وابنك الجديد
يبحث فيك عن زمانه
وحلمه البعيد
فافتح له خزائنك

تعليم اللغات الأجنبية في الوطن العربي نظرة على الأبعاد الاجتماعية والحضارية

بقلم . الدكتور عبده عبود *

مع ثوره المواصلات ، واتساع الفجوة العلمية بين دول الغرب والعالم الثالث ، تزايد الاقبال على تعلم اللغات الأجنبية . ولظروف تاريخية سادت اللغات الأوروبية هذا المضمار ، حتى طغت على اللغات القومية لبعض البلاد النامية

وحتى لا تتعرض اللغة العربية لمخاطر الاهمال والازدواجية يجب مواجهة هذه الظاهرة بنتائجها

توجد في الوطن العربي حركة ثقافية دءوبة واسعة ، يشارك فيها الكبار تماما كما يشارك فيها الصغار ، وينخرط فيها الرجال ، تماما كما تنخرط فيها النساء إنها حركة تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها وبالقدر الذي تتسع فيه هذه الحركة تكثر وتتنوع المؤسسات التعليمية التي تمارس فيها ، ومنها الرسمي والخاص ، والمحلي والأجنبي ، وهذه المؤسسات تبدأ بالمدارس والمعاهد والجامعات الرسمية ، وتمتد فتشمل المدارس والمعاهد الخاصة ، الصباحية منها والمسائية ،والمراكز الثقافية الاجنبية التي قلّ أن تخلو منها عاصمة عربية أما الاسباب والدوافع التي تحدو هذه الاعداد الهائلة من [illegible] للاقبال على ممارسة تعلم اللغات الأجنبية فهي كثيرة ومتنوعة والتلميذ والطالب يتعلمان اللغة الأجنبية لأنها مقرر مدرسي أو جامعي ، لا ينتقل [illegible] صفه أو سنته الدراسية إن لم ينجح فيه [illegible] الأعمال فيتعلم اللغة الأجنبية لحاجته إليها [illegible] وتعامله مع شركائه الأجانب والشيء [illegible]

* باحث ومترجم من القطر العربي السوري

. . ال عن السائح الذي يقضي إجازته في بلد
حسير ، أما ربة البيت التي كبر أولادها فربما تتعلم
بعه ا سية من باب قضاء وقت الفراغ بهواية ممتعة
بعه سرد امتلة على الدوافع التي تحدو الناس إلى تعلم
بعه احسية ، لكنها بالتأكيد ليست كل الدوافع
وعموما يمكن التمييز على هذا الصعيد بين نوعين
ـــــن من المتعلمين ، الأول هو أولئك الناس
لدين يكتسبون لغة أجنبية لأسباب عملية أو مهنية
وهذا النوع يسعى إلى إجادة اللغة الأجنبية واكتسابها
بصورة نشيطة وفاعلة ، بغية التمكن من توظيفها
عملا ومهنيا ، كرجل الأعمال في تجارته ، والدليل
سياحي في تعامله مع السياح ، والمترجم في
مل النصوص الخ اما الفئة الثانية من
ـعلمين فتكسب اللغة الأجنبية هواية ، ولا تريد
وظيفها عمليا أو مهنيا ، لذا فهي لا تسعى بالضرورة
. اجادة اللغة الأجنبية بشكل فاعل ، بقدر ما يهمها
حصول على معلومات ومعارف حول تلك اللغة ،
. حويه من أدب وثقافة ، ولعل أقرب الناس إلى
هذا النمط هم دارسو اللغات القديمة (الميّتة) التي
ـت خارج إطار التداول والتعامل ، كاللاتينية
لاغريقية واللغات السامية القديمة وقد وُجد
هذان النمطان من متعلمي اللغات الأجنبية جنبا إلى
جنب ، وعلى مدار تاريخ تعلم تلك اللغات ، وكان
ـوجودهما أثره في تحديد المضامين والمناهج وطرق
تدريس المتبعة

تاريخية الظاهرة

يمكن بغض النظر عن صحة هذا التصنيف
جدواه ، يظل تقريبيا قابلا للاستبدال ، لأن تعلم
لغات الأجنبية ، كغيره من الظواهر الثقافية ظاهرة
. . حية ، لها مقوماتها ووظيفتها الاجتماعية
الحضارية فتعلم اللغات الأجنبية في بلدان العالم
ـث مثلا يتم في ظل ظروف تاريخية ، ويؤدي
. . . عية حضارية ، تختلف إلى حد بعيد عن
. . . التعلم ووظيفته في المجتمعات الصناعية
. . . بيها وشرقيها فمن المعروف أن تعليم

اللغات الأجنبية في أقطار العالم الثالث قد نشأ في مسار احتكاك تلك المجتمعات بالدول الاستعمارية ، التي لم تفرض على تلك الأقطار سيطرتها العسكرية والسياسية والاقتصادية فقط ، بل فرضت عليها في الوقت نفسه سيطرة ثقافية ، كان التبشير الديني والسيطرة اللغوية ، بمعنى فرض لغة الدولة الاستعمارية على البلد المستعمر ، أخطر أشكالها وقد بلغت الهيمنة اللغوية في بعض الحالات درجة محاولة القضاء التام على اللغة الوطنية ، كما فعل الاستعمار الفرنسي في أقطار المغرب العربي على سبيل المثال إذن لقد اقترن الاستعمار العسكري والاقتصادي والسياسي في معظم الأحيان باستعمار ثقافي لغوي ، يمثل استمرارا واستكمالا للشق الأول من العملية الاستعمارية وبعد أن انحسر الاستعمار في شكله القديم عادت الأقطار المتحررة وطنيا إلى إحياء لغاتها القومية ، وسعت إلى نفض غبار الاستعمار اللغوي عن كاهلها وهذا هو ما نسميه في الوطن العربي « التعريب » ، وهو عملية مستمرة ، طويلة الأجل ، متعددة الجوانب ، أخذت تبرز في الأعوام الأخيرة في شكل تعريب المصطلحات العلمية والعلوم في المقام الأول

لكن بعد أن تحررت شعوب العالم الثالث من الاستعمار المباشر وجدت أن الحاجة لم تزل ماسة لتعليم اللغات الأجنبية ، ولا سيما لغات الأقطار المتطورة صناعيا ، وهي لسخرية التاريخ لغات القوى الاستعمارية السابقة بالتحديد ، أي الانكليزية والفرنسية فالهوّة الاقتصادية والتقنية والعلمية والثقافية بين العالم الأول والعالم الثالث كانت تكبر عاما بعد عام ، مما أسفر عن وقوع العديد من دول العالم الثالث في تبعية اقتصادية وعسكرية وتقنية جديدة وحتى الأقطار التي سلمت نسبيا من الوقوع في تلك التبعية وجدت نفسها في حاجة ماسة إلى جسر الهوة الاقتصادية والتقنية والعلمية السحيقة التي تفصلها عن الأقطار الصناعية المتقدمة ، وهذه مهمة لا يمكن الاستغناء فيها عن تعليم اللغات الأجنبية في مسار السعي لانجازها ، فهذه اللغات

تفتح الطريق إلى الكنوز والثروات العلمية والفكرية والثقافية للمجتمعات المتطورة. وهكذا أصبح لتعليم اللغات الأجنبية في ظل الواقع التاريخي للدول النامية وظيفتان متضادتان. الأولى هي تكريس التخلف والتبعية، وذلك في الأقطار التي تسود فيها بنى اقتصادية وسياسية متخلفة تابعة، حيث تمثل السياحة والسمسرة والبغاء والوكالة قطاعات أساسية. في تلك الأقطار يتعلم الناس اللغات الأجنبية على نطاق واسع جداً، كي يتواصلوا مع سادتهم تواصل «التابع» و«المتبوع»، وبلغة الطرف المسيطر، لا المسيطر عليه. فهذا أمر طبيعي ومنطقي، كاستمرار لجدل «السيد» و«العبد» الذي تحدث عنه الفيلسوف الألماني المعروف «هيجل».

أما الوظيفة الثانية (البديلة) التي يمكن لتعليم اللغات الأجنبية في بلدان العالم الثالث أن يؤديها فهي أن يكون عاملاً مساعداً في التطور والتنمية. فاللغات الأجنبية ضرورية بالنسبة للكوادر العلمية التي تُرسل إلى الخارج من أجل الدراسة والتدرب والاطلاع، وهي ضرورية جداً من أجل ترجمة الأعمال العلمية والفكرية والأدبية المهمة إلى اللغات المحلية، ولا غنى عن اللغات الأجنبية في استخدام المراجع والمصادر العلمية المكتوبة بتلك اللغات، إضافة إلى ضرورتها من أجل متابعة ما يستجد في العالم الخارجي سياساً واقتصاديا وعسكريا وعلميا وثقافياً. تلك هي الوظيفة التي يمكن أن يضطلع بها تعليم اللغات الأجنبية في مجتمع العالم الثالث الذي يريد أن يسلك طريق التطور الاقتصادي والسياسي والثقافي المستقل، وأن يتحرر من التخلف والتبعية.

ومن الملاحظ أن تعليم اللغات الأجنبية يتمّ في البلدان المتخلفة التابعة على حساب اللغة القوميّة التي تضمر، ويتراجع دورها بشكل مواز لضمور الاقتصاد والثقافة الوطنيين، ولنمو القطاعات الاقتصادية الطفيلية التابعة، كما تأخذ أجزاء واسعة من المجتمع باستخدام اللغات الأجنبية في تواصلها اليومي، بدلا من استخدام اللغة القومية. الأجنبية ترمز في تلك المجتمعات للانتماء إلى الـ[illegible] العليا، خلافا للغة القومية التي تُترك للشرائح [illegible] من المجتمع. ومن مظاهر هذا «التثاقف» الـ[illegible] في ظل التخلف والتبعية تطعيم اللغة المحلية [illegible] بالمفردات والتعابير الأجنبية التي ترمز للا[illegible] العالم المسيطر، وهذا ما نلاحظه مثلا في [illegible] الأوساط الاجتماعية العربية التي تمثل لغتها الـ[illegible] مزيجا من العامية واللغة الأجنبية، حيث [illegible] «مرسي» بدلا من «شكرا»، و«طانط» بدلا من «عمة» و«باي» بدلا من «إلى اللقاء» [illegible]

أما في المجتمعات التي تريد السير على طريق التحرر من التخلف والتبعية، فيسعى أن يكون لتعليم اللغات الأجنبية وظيفة نهضوية وتنموية حيوية، ولا يجوز أن يتم اكتساب تلك اللغات على حساب تعليم اللغة القومية وتطويرها، بل يجب أن يترافق مع تكثيف تعليم هذه اللغات وتطويرها. فتعليم اللغات الأجنبية يمكن أن يساهم في إغناء الثقافة الوطنية وتطويرها، لأنه يؤدي إلى ترجمة عديد من الأعمال العلمية والفكرية والأدبية العالمية إلى اللغة القومية، فتتحول إلى لغة عصرية، تستوعب كلّ ما في العصر الحديث من معطيات علمية وثقافية.

على ضوء الوظيفة التي يضطلع بها تعلم اللغات الأجنبية في بلد من العالم الثالث تتحدد أيضا مسألة [illegible] لغات أجنبية يجري تعلمها. ففي الأقطار التابعة يكون تعليم اللغات الأجنبية مقتصرا على لغة الدولة الاستعمارية السابقة، أو لغة العاصمة الصناعية المهيمنة حالياً، بينما تُهمل لغات المجتمعات الصناعية الأخرى، ناهيك عن إهمال لغات أقطار العالم الثالث. أما في المجتمع الذي يريد أن يسلك طريق التطور الاقتصادي والحضاري المستقل فلا بد لتعليم اللغات الأجنبية من أن يشمل لغات أقطار صناعية مختلفة، إضافة إلى بعض لغات شعوب العالم الثالث، والشعوب التي تربطه بها علاقات جوار وتاريخ وحضارة مشتركة. وهكذا فإن [illegible]

اللغات الأجنبية ليس مسألة تربوية بحتة ، بل هو قضية ثقافية سياسية من الطراز الأول ، لذا لابد من أن يكون المدخل إلى مناقشة هذه القضية هو أن نطرح على أنفسنا الأسئلة التالية

ـ ما هي الحاجات الاجتماعية الحضارية التي يلبيها تعليم اللغات الأجنبية ؟ وما هي وظيفة هذا التعليم بالنسبة لمجتمع من العالم الثالث يقف أمام خيارين مصيريين لا ثالث لهما التخلف والتبعية الدائمين ، او التقدم والتطور الاقتصادي والحضاري المستقل ؟

ـ ما هو أثر تعليم اللغات الأجنبية على اكتساب اللغة القومية (اللغة الأم) ؟ هل يتم على حسابها ، ويمثل بذلك شكلاً خطيرا من أشكال الغزو الثقافي ، أم يترافق مع تطويرها وإغنائها وبذل جهود ماسة من أجل تعليمها للأجانب وغير الناطقين بها ؟

أهداف عملية

إذا اتفقنا على الوظيفة الاجتماعية الحضارية لتعليم اللغات الأجنبية في ظل الواقع التاريخي العربي المعروف (واقع التخلف والتبعية من جهة ، ومحاولات التقدم والنهضة من جهة أخرى) ، يصبح بإمكاننا أن نخطو خطوة أخرى لنتساءل عن الأهداف العملية (البراغماتية) في مجتمع نام ، يودّ أن يسلك طريق التقدم والتحرر من التبعية إن الهدف العام لابد أن يتمثل في تدريب (كوادر) تجيد اللغات الأجنبية ، وتعمل في مختلف المجالات التي تقتضي حاجات المجتمع المذكور أن تعمل فيها ولعل أهم هذه المجالات

ـ الترجمة بأشكالها المختلفة الخطية ، والشفهية ، والفورية ، والتتبعية ،والعلمية والأدبية ، والصحفية والعسكرية ، فالترجمة هي ـ [illegible] رأينا أبرز المجالات التي يجب الاستفادة منها ضمن حدود لغات أجنبية ومن المعروف أن الشرط الضرور[ي] الأول الذي ينبغي توافره في المترجم هو [إ]جادة الـ[لغة] الأجنبية (لغة المصدر) ، إضافة إلى [إ]جادته لـ[لغته] الأم (لغة الهدف)

ـ إضـ[افة] إلى المترجمين يحتاج المجتمع النامي إلى اتقان علمائه وباحثيه اللغات الأجنبية ، كل في حقل اختصاصه ، بحيث يتمكنوا من استخدام المراجع والمصادر العلمية الأجنبية ، والاستفادة من أحدث ما توصلت إليه البحوث الدولية من طرائق ونتائج ومعارف ومن البديهي ألاّ يعني ذلك إحلال اللغات الأجنبية محلّ اللغة القومية كلغة للعلم

ـ يحتاج المجتمع النامي كذلك إلى إعلاميين (صحفيين) يجيدون اللغات الأجنبية بصورة جيدة ، ليتمكنوا من مخاطبة الرأي العام العالمي بصورة ناجحة ، وكسر الحصار الاعلامي المحيف الذي تضربه القوى المسيطرة على كلّ بلد نام يحاول أن يشقّ طريق التقدم والتطور المستقل

ـ أما المجال الدبلوماسي فيحتاج بطبيعة الحال إلى (كوادر) تجيد لغة البلاد التي تعمل فيها دبلوماسياً ، فالدبلوماسي الذي لا يتقن تلك اللغة ، إلى جانب إتقانه للغة التداول العالمية يشبه المحارب بلا سلاح

تلك هي بعض ـ وليس كلّ ـ المجالات العملية التي يحتاج فيها المجتمع النامي بصورة ماسة إلى أناس يتقنون لغات أجنبية لكن أية لغات ؟

أية لغات أجنبية ؟

من البديهي أن المجتمع العربي بحاجة إلى أناس يجيدون لغات المجتمعات الصناعية المتطورة ، ما دمنا نريد توظيف الاحاطة بتلك اللغات في تعاملنا الاقتصادي والعلمي والثقافي مع تلك المجتمعات التي تشكل تحدياً كبيراً بالنسبة للوطن العربي (والعالم الثالث كله) وما دام الأمر كذلك فمن الطبيعي والمنطقي أن نولي تعليم لغات المجتمعات المذكورة أهمية خاصة ، أما هذه اللغات فهي في المقام الأول الانكليزية لغة التداول العالمية في هذا العصر ، واللغة الأم لعدة أقطار صناعية متطورة

ـ الروسية لغة القوة العظمى الثانية في عالم اليوم ، والدولة القائدة في المعسكر الشرقي وفي المقام الثاني الفرنسية والألمانية والاسبانية وكلها لغات أوروبية

لكن لا يجوز لتعليم اللغات الأجنبية في الوطن

العربي أن يقتصر على هذه اللغات ، بل يجب أن يشمل لغات شعوب تجمعنا بها روابط الجوار والتاريخ المشترك والحضارة الاسلامية . إنه لأمر محزن حقاً أن يضطر العربي للتفاهم مع الايراني والتركي والباكستاني والاندونيسي بالانكليزية أو الفرنسية ، وألا يعرف شيئا عن لغات شعوب تجمعنا بها « منظمة المؤتمر الاسلامي » ، ويعيش الآلاف من أبنائها بين ظهرانينا ، مثلما يعيش الآلاف من أبنائنا في أقطار تلك الشعوب . ترى ألا تستدعي الروابط المشار إليها آنفا أن نُدخل لغات الشعوب المجاورة في تعليم اللغات الأجنبية ؟ (كيف وعلى أيّ مستوى ، تلك مسألة أخرى يمكن مناقشتها إذا أقررنا بالمبدأ) . أولا يساعد ذلك على أن نفهم جيراننا بصورة أفضل ، فتزيد بالتالي فرص التفاهم معهم ، ويخفّ التوتر الناتج عن سوء الفهم « عبر الثقافي » ؟

تساؤلات نطرحها وفي الذهن حرب الخليج الرهيبة ، والصراعات الكامنة بين عدد من دول العالم الاسلامي . إذا كان تعلم اللغات يقرّب الشعوب فلماذا لا نطبّق هذا المبدأ على علاقتنا بالشعوب المجاورة ؟

لكن كيف تبدو الأمور على صعيد واقع تعليم اللغات الأجنبية في الوطن العربي ؟ على صعيد الواقع يكاد هذا التعليم أن ينحصر في لغتين أوروبيتين ، هما الانكليزية والفرنسية ، أي لغتي القوتين الاستعماريتين السابقتين ، الامر الذي يعني استمرارية المرحلة الاستعمارية على هذا الصعيد . اما لغات الأقطار الصناعية المتطورة الأخرى كالألمانية والروسية والاسبانية فلا تدرّس الا على نطاق ضيّق جدا في بعض الأقطار العربية . وبالنسبة للغات الشعوب الاسلامية وشعوب العالم الثالث فليس لها حتى اليوم مكان في تعليم اللغات الأجنبية في الوطن العربي ولو على نطاق ضيق . لذا فإننا لا نذهب بعيدا إذا قلنا انّ هذا التعليم يمثل إلى حدّ بعيد استمرارا للحقبة الاستعمارية التي عاشتها معظم الأقطار العربية ، ومرآة للتبعية التي تعيشها المنطقة العربية إلى هذا الحد أو ذاك .

بعض النتائج

لقد أصبحت النتائج المترتبة على هذا الـ[illegible] الأولي المؤقت لمشكلة تعليم اللغات الأجنبية [illegible] الوطن العربي واضحة ، وتتلخص في ضرورة [illegible] الثنائية الموروثة من المرحلة الاستعمارية ، وإحلال تعددية لغوية محلها ، بحيث ينسجم تعليم اللغات الأجنبية مع الحاجات الاجتماعية والحضارية [illegible] الواقع التاريخي للمنطقة العربية ، باعتبارها جزءا من العالم الاسلامي والعالم الثالث ، وباعتبارها مؤلفة من عدد من الأقطار النامية التي ينبغي عليها أن تسعى لفك قيود التخلف والتبعية . أما إلغاء الثنائية وإحلال التعددية اللغوية فيعني بالتحديد :

١ - إدخال لغات أوروبية مهمة أخرى كالروسية والألمانية والاسبانية ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأخيرة ليست لغة اسبانيا فقط ، بل هي لغة قسم كبير من شعوب أمريكا الجنوبية أيضا .

٢ - ادخال لغات بعض الشعوب الاسلامية المجاورة كالفارسية والتركية والأوردية والسواحيلية ، إضافة الى لغات بعض شعوب العالم الثالث كالصينية والفيتنامية والهندية والكورية .

ومن الطبيعي ألاّ يتم إدخال اللغات الأجنبية المذكورة بالصورة نفسها ، فهناك بعض اللغات التي يجب أن تدرس على نطاق واسع ، أي على مستوى المدارس الاعدادية والثانوية ، كلغات أجنبية رئيسية ، بينما يكفي في حالات أخرى أن تُدرس على نطاق واسع أي على مستوى المدارس الاعدادية والثانوية كلغات أجنبية رئيسية ، بينما يكفي في حالات أخرى أن تُدرس تلك اللغات في أقسام خاصة في الجامعات . اما أن تغيب هذه اللغات غيابا تاما وألا يوجد عندنا ولو عدد محدود من المختصين فيها ، فهو أمر غير مقبول .

وبعد ، فإذا عرفنا لماذا نتعلم اللغات الأجنبية ونعلّمها ، وأية لغات نتعلم ونعلّم [illegible] حسمنا الجانب الثقافي السياسي لهذه المسألة [illegible] تطرح مسألة كيف نعلّم ونتعلم اللغات الأجنبية

المؤشرات الاجتماعية

من ضرورات العصر

بقلم الدكتور محمد الجوهري

رغم كثره ما كتب عن « المؤشرات الاجتماعيه » في الخارج أساسا ، ورغم ان ميدان « المؤشرات الاجتماعيه » تتصل أوثق اتصال بحياه المواطن العادي ومستقبله ، كما تتصل بعمل المخطط وصانع القرار السياسي . إلا ان مستوى دراية المثقف العادي به مازالت متواضعه

لالقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع اهتم بتقدم لك الكاتب هذا المقال

... المؤشرات الاجتماعية في تعريف بسيط ... عبارة عن بيانات كمية او كيفية عن ... اكثر من جوانب الحياة الاجتماعية ، مكنها ... توشر » ـ بحسب طبيعتها ـ على واقع هذا ... كأن نختار متوسط العمر في مجتمع ما ، او ... نصيب الفرد من الدخل القومي ، او متوسط ... يستهلكها الفرد من الطاقه سنويا في ... و نصيب الفرد من غرف المسكن

... لك ليست كلها « اجتماعية » كما نرى ... ... صحي ، وبعضها اقتصادي ، وبعضها ثقافي ، وبعضها اجتماعي خالص . ولكن المقصود بصفة « الاجتماعية » انها تدل على طبيعة الواقع الاجتماعي او على نوعية الحياة او مستوى الحياة الاجتماعية في المجتمع الذي نتحدث عنه وهذا تحفظ مبدئي لئلا يفهم البعض ان المؤشرات التي نقصدها هي نفسها من طبيعة اجتماعية

المؤشرات الاجتماعية والسياسة

واللافت للنظر أن الدفعة القوية التي تلقتها حركة المؤشرات الاجتماعية ، أو دراسة المجتمع باستخدام المؤشرات ، قد جاءتها ومازالت تأتيها من المجال

السياسي بهذا الاهتمام بفهم المسرح الاجتماعي ، والرغبة في ملاحقة التغير الاجتماعي ورصده ، واستخدام هذه المعرفة في رسم السياسة الاجتماعية . كل ذلك اهتمام صبغته سياسي ، وهو في النهاية يخدم صانع القرار السياسي في مجال التخطيط الاجتماعي وهذا يفسر لنا جانبا من هذا النمو المتزايد في الاهتمام العلمي بالمؤشرات الاجتماعية

والوجه الآخر لهذا الارتباط السياسي هو اتصال استخدام المؤشرات الاجتماعية بمفهوم جديد اسمه « نوعية الحياة » وهو مفهوم تكتنفه القيم ، وإن كان لا ينقصه العلم ، ولكنه مشحون بالطبع بدلالات ومعان سياسية ، بحيث أصبح تحسين نوعية الحياة جزءا من برامج الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية والاتجاهات الفكرية ومعرفة نوعية الحياة القائمة ، وبالتالي تحديد التحسينات والتطوير المنشود في نوعية الحياة ، وكذلك رصد ما يطرأ من تغيرات على نوعية الحياة ، كل ذلك يتم من خلال المؤشرات الاجتماعية واستنادا إليها

ويجب أن نوجه النظر عند هذه النقطة إلى ملاحظة لا تغيب على فطنة القارىء ، فمفهوم نوعية الحياة هذا لم يظهر إلا في المجتمعات المتقدمة ، مجتمعات الرفاهية واليسر التي أحدثت توجه الاهتمام ـ بعد توفر الضروريات وحدوث الإغراق حتى بالكماليات ـ إلى العناية بنوعية الحياة . وليس بكم الأشياء المتوفرة في هذه الحياة أو التي توفرها هذه الحياة لم تعد المشكلة توفير الرغيف ، فقد توفر وفاض . ولكن أصبحت القضية أي نوع من الخبز هو المفيد للهضم ولبناء الأنسجة والحفاظ على الشباب وأقل مساهمة في زيادة الوزن اهتمام باختصار قضية الاهتمام « بالكيف » أو « بالنوع » بعد توفر « الكم »

ولا يصح أن يغيب عن الأذهان أن استخدام المؤشرات الاجتماعية كان محلا للانتقادات أو على ـ أحسن الفروض ـ موضوعا للمآخذ والتحفظات التي كانت تقدح في كفاءتها كأداة لوصف الواقع الاجتماعي ، والتعبير عنه تعبيرا دقيقا ودالا الطبيعي أن تتزايد هذه الانتقادات مع النمو استخدام المؤشرات الاجتماعية ولكن ال ذلك عندي بسيط غاية البساطة هل ضعفت المؤشرات الاجتماعية امام هذه الانتقادات و وانزوت ، ام انها متصلة الجهود ، مستمرة ا الاجابة واضحة وكربما التاكيد عليها ان اسم المؤشرات الاجتماعية في نمو مستمر اذن معنى أن النقد قد شحذها وزاد من قدرتها ورفع لأنه وجه أصحابها إلى نقاط ضعفها و العيوب التي ينطوي عليها استخدامها ، وما فيه صاحبها من تضليل ، والنتيجة الطبيعية النقد صادرا من عاقل إلى عاقل ـ أن يؤدي هذا في نهاية الأمر إلى زيادة تدقيق الأداة ، وإضفاء من الاحكام عليها ، بحيث تصبح أغنى المميزات ، وأقل في العيوب وهذا هو ما حدث تقريبا

استخدام المؤشرات الاجتماعية كيف

ومن أمارات الصحة في حركة المؤشرات الاجتماعية أن بدأت إبان ازدهارها المعاصر بطرح عمق بعض الجوانب والمشكلات النظرية المتصلة باستخدامها فعملية اختيار المؤشر ليست قضية « عملية » يسيرة متاحة للجميع ولكنها ان تستند إلى اطار نظري يتم في نطاقه الاستخدام ، وتستمد منه هذه المؤشرات دلالتها بمعنى أي جوانب الحياة هو الأكثر أهمية احتار موشرا يقيسه ويعبر عن ظروفه ؟ هذه نظرية متوسط الدخل أم كمية الطاقة أم أسرة المستشفيات ، ام كمية الأمتار المربعة المزروعة حدائق في المدن لكل عدد من الأفراد عدد أجهزة المذياع ، أم عدد أجهزة التلفزيون مقاعد المسرح ام السينما الخ ؟ تساؤلات لا يصح أن تخضع للاختيار العشوائي المزاج الشخصي ، ولكن للرؤية النظرية

هـ ما قصدت اليه من القول بأن التوسع في استخدام المؤشرات دفع أصحابها الى الاشتغال بقضايا الاطار النظري لأعمالهم

ثم ان التوسع في عملية القياس ينطوي بالضرورة على تطوير للقواعد والاجراءات المنهجية المتبعة في علم الاجتماع ، أو في غيره من العلوم التي تدرس المجتمع والتي يستعين بها المشتغل بالمؤشرات الاجتماعية فالتدقيق المنهجي ضرورة لتطور ونمو العمل في ميدان المؤشرات الاجتماعية وهذا بعض ما حدث فعلا ولذلك لا نغالي اذا قلنا ان تطور هذه الحركة العلمية قد ترددت أصداؤه على الصعيدين النظري والمنهجي لعلم الاجتماع ولم تكن تلك الاعمال العلمية الجديدة هدفا في ذاتها ، او ترفا ، أو اضافة الى التأملات والأفكار والتصورات المتاحة ، ولكنها كانت اسهامات ذات طبيعة عملية تطبيقية ، وهذه ايجابية هامة فالجهد النظري العادي يفقده صاحبه ولا يتوقف عنده كثيرا ، يتسع مدى جدواه وتتبين درجة كفاءته في فهم الواقع الذي ينظر له اما الاسهام النظري لأصحاب هذه الحركة الجديدة فهو يحمل في طياته « مؤشرات » الحكم على كفاءته وجدواه . ويفصح عن القيمة التي ينطوي عليها واعتقد اننا نتفق جميعا على أهمية هذا البعد

ليس هذا فحسب لقد عملت حركة المؤشرات الاجتماعية على تحقيق اسهام علمي فريد ، اذ اعطت دفعة قوية للبحث العلمي المتعدد التخصصات ، او لتكوين الفرق العلمية ذات التخصصات المختلفة المساندة في نفس الوقت فالمؤشرات بحكم طبيعتها تنتمي الى فروع علمية متباينة ولا يستطيع باحث واحد ان يدعي التخصص فيها والتعامل معها منفرده كما أنه ان لم يحتج الى زملائه عند اختيار المؤشر وتصميمه ، فانه بالتأكيد سوف يحتاج اليه عند تحليل الدلالات واستنطاق المؤشرات وقد أثمر ذلك التعاون ، من بين ما أثمر القاء ضوء جديد على مشكلات قديمة مما تداوله العلماء الاجتماعيون ، واختلفت حوله اجتهاداتهم كما قاد ذلك الى بعض النتائج غير المتوقعة ، من حيث اثارة الشكوك في بعض الافكار التي كانت تبدو مستقرة وراسخة من قبل ، مثل أفكار مجتمع الرفاهية . ومدلول الرفاهية ، وهل يجسن البحث عن الرفاهية ، أم عن نوعية أفضل للحياة ، قد لا تكون هي الأكثر رفاهية هل مائدة الطعام الأكثر رفاهية هي الأكثر صحة ؟ وهل قطعة الزي الأغلى هي الأكثر ملاءمة ، وهل وهل كل تلك تساؤلات ارتبطت في حقيقة الأمر ومازال بمفهوم نوعية الحياة من ناحية ، وباستخدام المؤشرات الاجتماعية من ناحية أخرى

إنجاز ضخم وشهرة متواضعة

على أنه من العجيب برغم كثرة ما كتب عن المؤشرات الاجتماعية ، في الخارج أساسا ، وعلى ضخامة الانجاز العلمي الذي تحقق في هذا الميدان ، إلا أن مستوى دراية المثقف العادي بها مازال متواضعاً أشد التواضع ، بحيث لا نستطيع أن نفترض في القارىء المثقف اطلاعا على بعض منجزات هذه الحركة الجديدة وقد يجوز أن يحدث ذلك في ميدان اخر من ميادين العلم لا صلة له بالحياة اليومية للمواطن العادي ، ولا صلة له بالقرار السياسي اليومي ، ولكن ميدان المؤشرات الاجتماعية ميدان يتصل أوثق الاتصال بحياة المواطن العادي ، ومستقبله ومستقبل أولاده ، كما يتصل اتصالا هاما بعمل المشتغل بالتخطيط وصانع القرار السياسي ولعل اسهامنا المتواضع هذا يساهم في اثارة بعض الاهتمام بهذا الميدان ، لأننا لا يصح أن نترك أنفسنا وحياتنا هكذا نهبا للظروف والمتغيرات الطارئة ، وانما يجب أن نحرص على رصد ما يجري ، وفهم هذا الواقع الماثل أمامنا ، والمشاركة في توجيه مسار الحركة الاجتماعية المستقبلة فالنشر والتعريف بهذا الميدان البحثي الهام واجب على الدارس المتخصص لا ينبغي أن يقصر فيه

والحقيقة أن الفهم الشائع لمدلول المؤشرات أو استخداماتها يكاد ينحصر في ناحيتين:الأولى في استخدامها كنوع من الأمال التي لا تخلو من المبالغات

او الاغراق في التفاؤل ، الى حد ان يتصورها البعض بديلا عن السياسة ، اعني هنا سياسة التخطيط او سياسة التنمية نفسها بحيث يصبح حسن المؤشر هو الهدف وهو البديل عن اي سياسة او رؤية .

كيف ذلك ؟ نحن نقول الآن مثلا ، ان المتوسط السنوي لاستهلاك الفرد في بلد ما من الطاقة الكهربائية كان منذ ثلاثين عاما ١٠٠ كيلووات ساعة وانه الآن يبلغ ٢٠٠ كيلووات ساعة فهذا في نفسه دليل تحسن ونمو وتقدم ونحن نستهدف ان نرفع هذا المتوسط في عام ٢٠٠٠ الى ٣٥٠ كيلووات والمسؤول الذي يطرح هذا يريد ان يثبت كفاءته في ادارة هذا المرفق ، ويدعو الى استمراره في العمل بنفس الاسلوب لمدة عشرين عاما اخرى وهو لا يتساءل ، كما لا يتيح لنا الفرصة كي نتساءل ، ما هي تكلفة هذه الطاقة ؟ ما هي الآثار السلبية للاساليب المتبعة في انتاج هذه الطاقة (كتلوث البيئة مثلا) ، هل استخدمنا في انتاج هذه الطاقة الاسلوب الارخص والانظف ؟ ما هو توزيع هذا الاستهلاك بين المدينة والريف ؟ ما هي الابعاد الطبقية لاستهلاك هذه الطاقة ؟ ما هي معدلات الاستهلاك المنزلي ، والصناعي ، والصناعي الزراعي منها ... الخ كل تلك تساؤلات في صميم سياسة انتاج الكهرباء واستهلاكها وتوزيعها والتخطيط لها ، انها سياسة الكهرباء ولا يصح ان نختزل هذه السياسة الى ارقام او الى مؤشر واحد قد يكون أصم او قاصرا وهذا ما قصدت اليه عند القول بان استخدام المؤشرات قد يحل احيانا - عند التناول ومع المبالغة - محل السياسة

اما المشكلة الاخرى فهي الصورة التابعة عن المؤشرات في استخدامها عند تقييم مشروع اجتماعي ففي هذا الاستخدام تتعرض المؤشرات لتحديات عديدة بسبب الاختيار المتعرض لانواع المؤشرات التي تخدم غرض مستخدمها فان الذي يتعرض لتقييم المشروع مدافعا عنه بسبب اثبات نجاحه اختار من المؤشرات ما يخدم ذلك والعكس بالعكس

والخلاصة ان من شرور هذه المشكلات نجد ان المؤشرات الاجتماعية يمكن ان تساهم في الفعل الاجتماعي الموجه على مستويات محددة انها تستطيع المساعدة في التحكم في نتائج المرغوب فيه وغير المرغوب كما نستطيع ان نعرف انها لا تستطيع سواء في السياسة او الاقتصاد في اي مجال تستخدم فيه ان تولد الموافقة الاقناع اوتوماتيكيا . كما انها لا تمكن باي حال من الاحوال ان تحل محل القرار وتقوم مقامه ان ندرك بوضوح ان المؤشرات الاجتماعية ليست اكثر من اداة في يد صانع القرار وهي وان كانت اداة فعالة ودقيقة ومحددة ، الا انها ليست في النهاية اكثر من اداة

والقرار ضروري اولا عند اختيار مؤشر موضوعه ، ومجاله ونطاق تطبيقه وطرق التطبيق الخ كل تلك قرارات هامة قبل تحديد المؤشر ثم يكون القرار ضروريا بعد ذلك ايضا (بعد قراءة المؤشر والوقوف على نتائج البحث)

واعتقد انا نتفق على وجود نقص في الثقافة الدقيقة بالمؤشرات الاجتماعية لدى غير المشتغلين بعلم الاجتماع ، وليس فقط بين المثقفين قراء العربية وهذا الوضع لا يتناسب مع قرباه من اهمية المؤشرات وحساسية الدور الذي ان تلعبه في حياتنا المعاصرة والمأمول ان تحفز على المشاركة في معالجة هذا النقص وتقديم تفسير صورة دقيقة لطبيعة المؤشرات الاجتماعية واستخدامها □

■قال عمرو بن عتبة لمؤدب ولده

«ليكن أول إصلاحك لنفسك ، فإن عيون الطلاب معقودة بك»

"البئر الأولى"

فصول من سيرة ذاتية

تأليف : جبرا ابراهيم جبرا

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

البئر في الحياة هي تلك البئر التي لم يكن العيش دونها ممكنا ، فيه تتجمع التجارب ، كما تتجمع المياه ، وحياتنا ما هي إلا سلسلة من الآبار ، نحفر واحدة جديدة في كل مرحلة ، لنعود إليها كلما ضرب الجفاف أرضنا ، فماذا قدم لنا الروائي العربي « جبرا ابراهيم جبرا » في بئره الأولى عن طفولته ؟ وكيف ؟

لماذا لم يزدهر فن كتابة السيرة الذاتية في أدبنا العربي الحديث مثلما ازدهر فن الرواية ، مع السيرة الذاتية من أقرب الأشكال الأدبية إلى الرواية ؟

لعل جوهر المشكلة هو أن مناخ الحرية والممارسة الديمقراطية في مجتمعاتنا العربية لا يسمحان لكتابنا أن يطوروا هذا الشكل الأدبي إلى المستويات التي وصل إليها غيرنا في الآداب العالمية ، حيث يستمد هذا الشكل قيمته وأهميته من تقديمه لمستويات عالية من الصدق فيما يتصل بحياة الكاتب الخاصة والعامة وخبراته الشخصية في مختلف المجالات ، مهما اصطدم هذا الصدق بما هو سائد في المجتمع من قيم أو نظم أو تيارات ، ولسنا هنا بصدد تحديد المسئولية في عدم نضج الممارسة الديمقراطية وتمثل الأفراد لفكرة الحرية ، فالكتاب مسئولون بالتأكيد عن تأخر هذا النضج أكثر من غيرهم ومسئولون بالتالي عن انزواء هذا الشكل الأدبي الذي يقوم أساسه على القدرة على مواجهة النفس ، ومواجهة الآخرين ، وسبر أعماق الذات وأحوالها والواقع الاجتماعي الذي تعيش فيه ، وتعاني ... أو من

أحد
ويوازي خوف بعض الكتاب فيما لو كتبوا بصدق عن حياتهم وتجاربهم - في مثل مجتمعاتنا - من المساس بأشخاص أو أوضاع تتصل بهم ، خوف مثل هذه المجتمعات التي اعتادت الازدواجية في حياتها ، من أن تمس هذه الكتابات استقرارها ، وسلامها الظاهري ، وربما لهذه الأسباب يؤثر عدد من الكتاب أن يقدموا جوانب من حياتهم ومن تجاربهم الشخصية من خلال أعمالهم الروائية ، حيث يتاح لهم أن يمارسوا الصدق الذي يتطلعون إليه دون حرج أو خشية ، لأن ما يتحدثون عنه لا ينسب إليهم أو إلى من يحرصون عليه من أشخاص أو أوضاع بشكل مباشر ، مثلما فعل « فتحي غانم » في عدد من رواياته !

ومع ذلك فإن السير الذاتية الموجودة في حياتنا الأدبية ما تزال تعكس بشكل أو بآخر جوانب من هذه الأزمة ، وتتفاوت تفاوتا واضحا في درجة ما تقدمه من الصدق والمواجهة وقيمة ذلك ، وبخاصة ما يتصل بمسائل في الدين والجنس والسياسة

تقاليد فنية للسيرة الذاتية

نتيجة لما تقدم يلوح أن هناك نوعا من القصور في إرساء تقاليد فنية لهذا الشكل في أدبنا ، للتفريق بين السيرة الذاتية التي يكتبها الكاتب عن حياته ، والتي يكتبها كاتب عن غيره من الكتاب ، أو المذكرات التي قد يكتبها الساسة أو العلماء أو الفنانون عن حياتهم وتجاربهم ، ومع أن فن السيرة الذاتية يستخدم الكثير من تقنيات الرواية إلا أنه يحتاج بالضرورة إلى بلورة قواعده الخاصة في أدبنا ، فهو فن يختلف من وجوه كثيرة عن الرواية ، فالسيرة الذاتية تدور حول شخصية محورية واحدة ، تتعدد من حولها الشخصيات التي قد تظهر مرة أو مرات ثم تختفي تماما للزمان والمكان في السيرة الذاتية قيمة وثائقية لا يملك كاتب السيرة الذاتية حيالها الحرية التي يتمتع بها الروائي ، ومن هنا تبرز إشكالية تحقيق درجة ، الوحدة والانسجام اللذين لا بد منهما لأي عمل فني وكاتب السيرة الذاتية يملك حق الانتقاء فيما يتصل بأحداث حياته أو حياة مجتمعه ، في إطار رؤيته لتلك الحياة ، لكنه لا يملك حق إعمال ما هو جوهري أو ثابت ، كما لا يملك حق تغييره ، فيما يختار !

الطفل هو والد الرجل

آثر كاتبنا جبرا ابراهيم جبرا لأسباب ذكرها في مقدمة سيرته الذاتية أن يقتصر في « البئر الأولى » على أحداث طفولته حتى سن الثالثة عشرة من عمره ، واختار الأحداث « التي تفرض نفسها على الذاكرة ، وتنصح في دمه برقة لا يملك تفسيرها » وإذا كان كتاب السيرة الذاتية - كما أشار الكاتب في مقدمته - يميلون إلى تجنب فترة الطفولة بسبب صعوبتها الخاصة ، فإنه آثر الاهتمام بهذه المرحلة ، مستذكرا قول الشاعر « وردز ويرث » أن « الطفل هو والد الرجل » ، لكن عن رغبة في التأكيد على روعة تلك الفترة من حياة الانسان في حد ذاتها ، ربما لقربها من أصل الكينونة !

و « إذا كان كتاب السيرة الذين يهتمون بهذه المرحلة قد جرت عادتهم أن ينظروا إليها بعين النضج ، فهم يحاولون استيضاح ما جرى لهم في الماضي ، ويستبقون النقاد بشأن تجربتهم بأن يعلقوا هم عليها ، وينقدوها » ، فإن كاتبنا يقول عن منهجه في العودة إلى تلك المرحلة « لقد حاولت أن أعود ، فأحيا تلك الفترة من جديد طفوليا ، دون تحرق للتحليل ، ودون أن أفلسف ما جرى ، أو أعقب عليه بالضرورة »

وعن بعض المشكلات التي واجهها الكاتب يقول « إن الطفولة ليست قصة واحدة ، بل هي قصص متباينة ، يصعب في معظم الأحيان وصل أجزائها إلا بشيء من الحيلة الروائية » مضطرا بطبيعة الحال إلى الانتقاء والحذف ، مدركا مشكلة الكاتب الأبدية ، وهي كيفية توفيقه بين سيولة التجربة ، و « شكلانية » الكلمة

وإذا كان كاتبنا الكبير قد أخفى الكثير من أسرار فنه في عملية الاختيار هذه ، وإعادة التشكيل والتركيب ، وإذا كان قد آثر الاختفاء وراء هذه

لذات الطفولية ، فإن علينا أن نكتشف من خلال هذه العملية مغزى هذا الاختيار وهذا التشكيل ودلالاته ، وكيفية توفيق الكاتب بين سيولة التجربة « شكلانية » الكلمة ، وكيفية تحقيقه درجة ملائمة من الوحدة والانسجام بين قصص الطفولة المتباينة ، إلى أي مدى أسهم ـ وهو الخبير بفن الرواية ـ في بلورة تقاليد فن السيرة الذاتية

محاور أساسية

كيف تابع الكاتب « ذاته الطفولية » وهي تنمو مع الأيام وعيا ومعرفة وعاطفة ؟

إذا ألقينا نظرة شاملة على جملة الأحداث التي اختارها الكاتب من مرحلة طفولته نجد أنها تعطي نمو هذه الذات في عدة محاور أساسية

المحور الأول نموها باتجاه اكتشاف التناقض بين نزوعه القوي ـ كطفل ـ نحو الحرية والتلقائية اللعب والمشاركة ، وبين حدود الصرورة التي فرضها المجتمع أو الطبيعة

المحور الثاني نموها باتجاه اكتشاف ما في الطبيعة من جمال وتناغم وثراء ، يخاطب أشياء في ذاته ، يسعدها وتغنيها ، وما فيها أحيانا من قسوة ، وعدم مبالاة ، وعنف وغموض ، تقابل أشياء في ذاته أو ذوات الآخرين ، تصل أحيانا إلى ذروتها في فعل الجريمة

المحور الثالث نموها باتجاه اكتشاف تعقد العلاقة بالآخر ، فثمة حاجة ملحة إلى الاقتراب منه ، وثمة حاجة إلى وجود مسافة بيننا وبينه ، فالآخر ليس نمطا واحدا ، فقد يكون أقرب إلى القسوة والشر كمطرس الكندرجي ، وقد يكون أقرب إلى المرح والطيبة كالعم حنا ديبان المغني الأعمى الح

المحور الرابع نموها باكتشاف التعليم شرطا لتوسيع حدود الحرية والتلقائية والتفرد ، وتضييق حدود الصرورة

المحور الخامس نموها باتجاه اكتشاف ملامحها الخاصة أو المنابع الأولى لهذه الملامح ، مثل اهتمامه بالأدب والرسم والموسيقا ، والاعتزاز بقيمتي الحرية والتفرد دون رغبة في التنافس أو السباق

وفي بدور هذا الاختيار تكمن جذور الـ... والانسجام في أحداث هذه السيرة ، وتتحقق ... في عمق هذا العمل عبر ايقاعات حركة ... تتمثل في هذه المحاور التي ينتظم كل نمو مجموعة من تجارب الطفولة ، تدور كلها حول ... خبرة واحدة ، يقدمها الكاتب في مستويات ... في أزمنة مختلفة ، ومواقع مختلفة ، لكنها كلها ... نمو خبرة واحدة واتساع مداها

وتتحقق هذه الوحدة كذلك خارجيا في ... حركة مكانية عبر الزمان ، فمن بيت إلى بيت ... بيت لحم مهد المسيح في فلسطين في العقد ... من هذا القرن كانت أسرة الصبي ... وراء بيت أقل أجرة ، ونتيجة لهذا الانتقال ... الصبي ينتقل بدوره من مدرسة إلى مدرسة ... المدارس الصغيرة التابعة لبعض الكنائس التي ... بأطفال بعض الطوائف المسيحية ، إلى ... الوطنية التي تضم أبناء بيت لحم والقرى ... لها ، على الرغم من تعدد طوائفهم أو أديانهم ... هذا التنقل كان عمر الطفل يزداد ونمو ... وخبرته بنفسه وبالناس آخرين في مواقع ... الطفل عن نمو وعيه ، كما تفصح بلدته ... خلال هذا الوعي عن شوارعها وبيوتها ... وناسها وعاداتها ، وحين يتم انتقال الأسرة من ... بيت لحم إلى مدينة القدس يكون الصبي قد ... الثالثة عشرة من عمره ، ويكون قد تعرف ... بلدته من خلال أثر إيقاع هذه الحركة ... والزمان في وقت واحد وقبل أن نتحدث ... الايقاعات الفنية داخل فصول السيرة ... تعطي اللمسات الأخيرة في بناء وحدة ... نعود لنقدم نموذجا لأحداث المحور الأول ... تعامل معها الكاتب .

الطعام ليس لعبة

ليس مصادفة أن تكون أول خبرة ... في سيرته وهو في الخامسة من عمره تدور ... الذي طبخت فيه الأم للأسرة وللأب ...

.. في طول النهار - عامل بناء - طبخة شعبية ، بسيطة مصنوعة من اللبن ، اسمها « هيطلية » ، إن احتفاء الأسرة البالغ بهذه الطبخة يتحدث كثيرا عن حالة الفقر التي تعيش فيها الأسرة ، ربما أكثر مما يتحدث عنها وصف البيت ذي الحجرة الواحدة التي تسمى حانا ، مما يشي بأصلها كدكان للبيع ، حجرة بلا نوافذ لكنها دائما - وفي كل مرة ينتقلون فيها - يكون حولها « حاكورة » فيها بعض الأشجار ، ومكان لتربية الدواجن وبعض الماعز ، وبئر للماء ، فوجود البئر ضرورة حياة في بلدة تعيش أساسا على مياه الأمطار

ويتحدث الطفل إلى أصحابه في الشارع عن الطبخة التي عندهم ، فلا يصدقونه ، ولا يجد طريقة لإثبات صدقه ، سوى دعوة الأولاد لرؤية الطبخة التي أوصته أمه بألا يقترب منها حتى تعود من السوق ، وحتى تبرد ، ويذهب معه الأولاد بعد أن اطمأنوا لعدم وجود أمه ، فيأتون على كل ما طبخته الأم في لحظات ، ويفاجأ الأولاد بعودة الأم التي تكاد ترى ما فعلوه بطعام الأسرة فتطلق صرخة تدفع بهم جميعا - ومعهم ابنها - إلى الفرار للشارع فرعا وخوفا وأثناء تجواله في الشارع يرى مجموعة من الحمال تشرب معا من إحدى الآبار بحوار صاحبها ، ينصت ويتفرج عليها دون تعليق من الكاتب (لاحظ المفارقة) ومع أن الكاتب يسوق هذه الخبرة بأسلوب هادىء محايد يخلو من أي انفعال أو مبالغة أو تعليق ، فإن هذه الخبرة تكشف للطفل على نحو قاس أن الطعام الذي تمتلكه الأسرة هو فقط للأسرة ، وأنه ليس شيئا مما يشترك فيه الأولاد الذين يحبون أن يشتركوا في كل شيء وكأنه لعبة ، فالطعام ليس لعبة

.. كان اللعب هو وسيلة الأطفال لتوسيع حدود عالمهم ، فقد كانت هذه الخبرة أول اكتشاف لحدود الضرورة ، أو عوائق التلقائية والحرية ، وتتكرر مثل هذه الخبرة عبر أحداث أخرى ، وبمستويات تسمو وعيه ، ففي أول مدرسة - لأن خبرة التعليم فيها لم تكن تقدم من خلال اللعب - يحول الطفل أدوات التعليم إلى لعبة ، فيصنع « الطقاعات » من أوراق الكراس الوحيد الذي داخ بالأمس من أجل الحصول على ثمنه ، ويستل الصور الجميلة الموجودة في كتاب « الانجليزي » الذي يمتلكه أخوه يوسف ، ليحولها إلى صور في « صندوق الدنيا » ، أول لعبة يصنعها بيده ، ثم يحطم الأولاد اللعبة التي صنعها من أحلامهم ، ويتركونه باكيا ، وحين يأتي أخوه الذي يتوقع منه العقاب ، ويبصر دموعه ، يواسيه ويقول له مثيرا حيرته وكبرياءه في وقت واحد « لا تترك أحدا يراك باكيا » ! فيصنع حاجزا جديدا بينه وبين الأولاد ، بعد أن وضعوا أول حاجز بتدميرهم لعبته

في مرحلة تالية ينجح « الأب دوماجي » الذي يشرف على ملعب « دير أبونا انطون » في أن يقدم لأطفال « بيت لحم » التعليم الديني والمهني واللعب والسينما (في أول عهد للمنطقة بها) على مائدة واحدة ، ويراوح بذكاء بين التلقائية والضرورة ، ويمنح جوائز لأكثر الأولاد مواظبة على الحضور للدروس الدينية وللملعب ، ويحصل صبينا على جائزة ، عبارة عن - بوتين - زوج فاخر من الأحذية ، وتفوق فرحة الصبي وأسرته بهذه الجائزة أي فرحة عرفها في حياته ، وتحفظ أمه الهدية في مكان أمين ليلبسها الصبي في عيد الميلاد ، لكن حين يقترب العيد تقوم الأسرة التي لا تمتلك نقودا لشراء اللحم اللازم لمثل هذا اليوم بعد صيام قاس دام خمسة وعشرين يوما - ببيع « البوتين » الفاخر مضطرة ، لكي تشتري لحما للأسرة ، وتعوض الصبي بزوج قديم من الأحذية من أحد محلات اليهود المغاربة في مدينة القدس

إن خبرة اكتشاف الوجوه المتعددة للضرورة تواصل نموها من مصادر مختلفة من المدرسة والبيت والكنيسة والشارع والطبيعة ، إنها - كما أشرنا - تأتي من الأطفال أنفسهم ، من اللعب نفسه ، من الحرية عينها ، فالأولاد الذين يلعب معهم لعبة العالم والمغلوب يسببون له جرحا بليغا في وجهه ما يزال يحمل آثاره حتى اليوم وذلك حين أصر بسبب عناده

ن العالم دائما حلافا لقواعد اللغة ؟
ذا يحقق الكاتب التلازم بين سيولة التجربة
كلانية » الكلمة ، وينظم في خيط واحد
ث التي تنمي حرة واحدة بمستويات مختلفة ،
درجة من الوحدة والانسجام بين قصص
ة المختلفة

لمنهج نفسه ينسج الكاتب الأحداث التي تدور
نقية المحاور في علاقة الصبي بالطبيعة ،
نه بغيره ، واكتشافه لأهمية التنظيم طريقا
، حدود الحرية وتضييق حدود الضرورة ، ثم
ه ملامح ذاته الخاصة

ب الكاتب في رسم الشخصية

الأغلب يجسد الكاتب الشخصية من خلال
ها قولا أو فعلا ، لكنه يلجأ أحيانا إلى تقديم
ـ فنية منفصلة ، تحمل تعبيرا رمزيا عن
صية ، يعمق جانبا من جوانبها ، فقصة
ك التي تعود الأب أن يرويها لأبنائه تقدم صورة
: للأب نفسه وتكاد تكون تعبيرا عن موقفه من
، موقف الزاهد الراضي المقتنع بأن ولوج
ل في سم الخياط أيسر من دخول الغني في
ت الله وشجرة الزعرور القوية المتفردة عن
ا حولها من نباتات الوادي وأشجاره صورة
ـ للأب الصامد الصابر الذي يحمي أولاده من
صف الحياة ، ويجترح في داخله الرضا
ـياء ، والقناعة بالعزة ، والشموخ والتفرد في
ك بالتواصل مع الناس ، فهو لا يترك العمل في
مع تقدم السن ، ويقبل على أي نوع منه ، ولا
، أمام ضربات المرض ، ويتحمل أقسى أنواع
ج ، كالكي بالنار ، متشبثا بآخر أمل ، حتى
ك أولاده لزمن يعرف كم هو قاس لا يرحم
لأم هي الوجه الآخر للأب ، تكافح في البيت ،
ي بغير حدود ، وتعرف كيف تحافظ على القرش
رياء معا ، تقدم لمعلم ابنها الدجاج المحشو
هو فوق طاقة الأسرة من أجل كرامة ولديها في
سة ، لكنها ترفض أن يشترط المعلم هذا النوع
طعام لحضوره

وحين تلجأ الأسرة لتربية الخنازير لزيادة دخـ
تطلب من ولدها أن يحسب تكاليف علف الخنـ
التي توفرها من بقايا أثمان كل شيء ، حتى لا يكو
مثل جحا الذي يشتري عشرين بيضة بشلن ويبـ
خمسة وعشرين بشلن ، ليقول عنه الناس انه تاجر
وتعرى الدجاجة (القرقة) بأن تنام على ما عندهـ
من بيض البط ، ليصبح لهم تسع فراخ « توصوصـ
حول الدجاجة ، وتشعر الدجاجة بأنه قد غرر بهـ
حين تجد فراخها تسبح في حوض الماء الذي تنسـ
وهي خائفة على حافته ، بينما يشعر الابن الذي يشاهـ
المنظر أن الطبيعة تكشف له عن بعض أسرارها

حكاية نعوم

نعوم عبيط القرية وصعلوكها ، لا بيت له لكن
كل البيوت تفتح له أبوابها ، ولا عمل له ، لكنه
مستعد للقيام بأي عمل يستكفه أصحاب المهن
الأخيار يعطفون عليه ، والأشرار لا يعبأون بأن
يخففوا عنه شرهم نتعرف على حواري البلدة إذ
نتعرف عليه ، ليست مشكلته الوحيدة إشباع حاجته
من الطعام ، بل هو مثل كل الأطفال في حاجة إلى
الأصدقاء ، وتقوده الحاجة إلى الأصدقاء إلى مزابل
بيت لحم ، فنتعرف على أحد الوجوه الخلفية
للمدينة ، فمزابل البلدات والقرى الفقيرة أشد
فقرا ، وعلى الرغم من ذلك فهو يجد فيها ما قد يسد
جوعه أحيانا ، وما قد يرشو به الصغار ليصبحو
أصدقاء له إن نعوم هو الشخص الزائد عن الحاجة
في القرية ، لكن لا يستغني عنه الصغار أو الكبار
أو المؤلفون ليقدموا من خلاله مالا يمكن تقديمه من
خلال غيره ؟

إيقاعات فنية داخل الفصول وخلالها

لاستكمال اللمسات الأخيرة في الوحدة الفنية
للسيرة يقوم الكاتب بتوفير عدة إيقاعات فنية ، خلال
مجموعة تقابلات يلتقطها الفنان الخبير بصناعة الـ ـه
من الأحداث والمواقف والأجواء الطبيعيـ ـل
السيرة ، فتحقق للسيرة درجة عالية من الوحدة
والتناغم والانسجام
من أمثلة هذه الايقاعات

في الفصل السادس يقدم الكاتب مقابلة مؤثرة بين أحزان الانسانية التي تبعثها الطقوس الدينية أسبوع الآلام الذي يسبق عيد القيامة ، وبين روعة الطبيعة وجمالها المتجدد في الربيع الذي يأتي مقترنا باسمه برمز هذا العيد !!

وفي الفصل العاشر يعيش صبينا خبرة أول تعرف على جريمة قتل كان يجلس مع القاتل قبل ساعات من ارتكاب جريمته ، وكان مبهورا بملابسه العربية القادم بها من تشيلي ، وبقوته غير العادية التي تمكنه من ثني قطعة نقود بيده عدا ذلك لم يكن فيه شيء غير عادي ثم قدر لصبيّنا أن يبصر في اليوم التالي دم القتيل متناثرا متجمدا على مساحات واسعة ، مما يشي بعنف مقاومة القتيل للقاتل ويتذكر صبينا أن هذا القتيل كان ضحية للقوة التي أعجبته بالأمس ، ويتذكر قصة الثأر التي سمع عنها من قبل المرتبطة بشجرة كان يخاف المرور تحتها ، لأنها شهدت جريمة قتل قديمة لم يثأر لها أصحابها أتكون هذه الجريمة الجديدة تلبية للثأر القديم ؟ ومتى ينتهي مسلسل العنف ؟ ومن أي شخص يحدث العنف في المدة القادمة ؟

في الفصل الحادي عشر مباشرة يقدم الكاتب قصة الناسك ، بما تحمله من صور ساحرة لجمال الطيبة والقناعة والتواضع والرحمة التي تبني الحياة في مواجهة القتل والعنف !

وتتكرر في السيرة مثل هذه الايقاعات التي تقوم على التقابل بين النقائض أو النظائر مثل الأب وشجرة الزعرور ، في تفرد كل منهما ، وروعة صموده وجمال كبريائه ، ووحدته ، وسوسن الأخت الصغرى وقطتها « فُلّة » في حياتها الناعمة القصيرة ، وموتها المفجع ، وصلاة الأولاد بالسريانية التي لا يفهمونها ، وحركة أبي الحرادين والأولاد يقولون له « صلّ صلاتك يا حردون » ، وخبرة العطش القاتل في رحلة التلاميذ الى جبل قريطون ، ثم خبرة الارتواء من بئر طبيعية باردة في قلب الجبل ، حيث تبدو الطبيعة واهبة للحياة والموت بمثل هذه التقابلات تمكن الروائي جبرا ابراهيم جبرا أن يعي السيرة التي كتبها بالعديد من جماليات الفن الروائي

نظرة شاملة

يمكن القول بأن الكاتب الروائي جبرا ابراهيم جبرا قدم في « البئر الأولى » وثيقة رائعة تنبض بمستويات عالية من الصدق عن طفولة كاتب ، ولمحات عن حياة مدينته ، وهي مدينة بيت لحم في ثلاثينيات هذا القرن قدم للقراء وللباحثين في مصادر الكاتب الينابيع الأولى التي ارتوى منها جبرا وحبه العميق للأدب والرسم والموسيقا ، سواء في شوارع المدينة وناسها ، أم طبيعتها الغنية ، أم في المدرسة الوطنية في بيت لحم ، أو المدرسة الرشيدية في القدس ، والأحداث التي حفرت مجاريه الغائرة وأحزانه الجليلة ، وحوافزه العميقة للتفرد والحرّية ، واختيار الطرق الصعبة لكن هل كان حرص الكاتب على أن يكون محايدا وموضوعيا في صفحات هذه السيرة وراء ضبطه الشديد الى حد الاختناق لمشاعر الطفولة في بعض المواقف التي عاشها بطل هذه السيرة ؟ وهل بدا الكاتب محايدا أكثر مما ينبغي وهو يصور خبرة العطش والضياع في جبل قريطون ، بل وهو يصور رؤية الصبي لتجربة الكي بالنار التي يتعرض لها إنسان عزيز عليه ، هو والده ؟

لقد افتقدت بعض المواقف نتيجة لهذا الضبط الشديد عفويتها الطبيعية بالنسبة لطفل في هذه المرحلة من العمر ربما نسي العديد من القراء تفاصيل من سيرة « الأيام » لطه حسين ، لكن هل نسي أحد ذلك الشجن الدائب في أحزان طفل أعمى بالغ الحساسية في قرية مصرية في بدايات هذا القرن ؟ وهل نسي أحد شعوره العميق بالقهر أمام ضغوط الحياة وقسوتها وظلامها وهو المتطلع في شغف إلى الاحساس بكل ما فيها من جمال ورقة ؟

وهل ظلم الكهل أباه الطفل حين حق غنائيته وعاطفيته الطبيعية باسم الموضوعية ؟ □

للمناقشة

بقلم . فهمي هويدي

لافتة « حزب الله » !

تشكل لافتة « حزب الله » واحدة من أكثر الصياغات خطورة في العمل السياسي الاسلامي قديمه وحديثه ، لأن احتماء أي فريق بها ، يصنف الآخر الاسلامي ، الواقف في نفس الساحة ، بحسبانه مغايرا أو نقيضا ، ممن يطلق عليهم « حزب الشيطان » ، وبذلك ينتقل الحوار السياسي من كونه اجتهادا مشروعا ومطلوبا في أمور الدنيا ، ليصبح معركة بين الايمان والكفر

لقد كنا على موعد مع مناقشة إشكالية « الآخر » - السياسي - في الواقع الاسلامي . بعدما فرغنا من الحديث عن « الآخر » في مجال الاجتهاد الديني ، وكان مفترضا أن ينصب جوهر المناقشة المستجدة على محاولة تصور صيغة العمل السياسي في المجتمع الاسلامي ، وهل يحتمل أحزابا أم لا ، وبالتالي هل يحتمل الاختلاف والمعارضة أم لا

ولست أخفي أنني عندما مضيت أعد لهذا البحث وجدت أن ثمة معوقات في الموضوع لابد أن تزال من البداية ، والقياسات ينبغي أن تستجلى ، وكان على رأس تلك المعوقات والالتباسات مختلف التأويلات التي حملت بها تعبير « حزب الله » ، وفكرة الأحزاب عموما ، الأمر الذي يصب في النهاية باتجاه مصادرة حرية العمل السياسي ، وإلغاء دور « الآخر » في الواقع الاسلامي

ونحن اذ نسجل أن الموقف التقليدي للحركات الاسلامية الكبرى الرافض لفكرة الأحزاب قد تغير سواء بتطور فكر هذه الحركات ، او بحكم الضرورات السياسية التي أملت على تلك الحركات إعادة النظر في مواقفها (والجماعة الاسلامية في باكستان ، والاخوان المسلمون في مصر نموذجان يضرب بهما المثل في هذه النقطة) ، نسجل ذلك حتى لكي نلاحظ ان التيار السائد بين الفصائل الاسلامية الجديدة يتخذ موقفا حادا من قضية حرية العمل السياسي والتعدد الحزبي ، ويتبنى ذلك النفر المتعسف الذي يسقط عبارة « حزب الله » على حياته السياسية ، وهو ما يعزز دعوتنا إلى ضرورة استجلاء اللبس والتخليط في هذه الدعوة

درجات المحظور

وقبل أن نشرع في محاولتنا فإننا نسجل نقطة مبدئية ، يتعين الاتفاق عليها أولا ، وهي تتعلق بـ المعيار الذي يقاس به المحظور في الاسلام حدود

يمكن أن يقال عندها ان هذا « التصرف » أو تلك صيغة » مرفوض اسلاميا ، ودون أن يوضح تلك حدود . فمن الطبيعي أن يختل الميزان وتتخبط ... ، بحيث يزعم كل طرف أن ما يقوله هو رأي الاسلام

وهذه هي الحجة التي تلقى عادة في وجوه الاسلاميين ، كأن الأمر خال من الضوابط والمعايير . لكنه ليست هناك وسيلة لحسم أي خلاف فكري بين مسلمين . مع ان هناك الحرام الصريح الذي فصله القرآن والسنة . وهو نوعان صغائر وكبائر . هناك المكروه تحريما . وهو ما كان الى الحلال أقرب . ومحرما وهو ما كان إلى الحرام أقرب . وهناك المشتبهات التي لايعلمهن كثير من الناس من وقع فيها وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول حمى يوشك أن يقع فيه

هذه درجات المحظور التي يمكن الرجوع اليها والاستدلال بها . وليس فيها ان عدم وقوع الحادثة في العصر الاسلامي الأول مما يمكن ان يعد ابتداعا يجب ... ، لان البدعة المكروهة هي في امور الدين . ... العبادة بالدرجة الاولى

استنادا إلى هذا المنطق ، وإلى القاعدة الشرعية التي تقول إن الاصل في الأشياء الاباحة لنا أن نقرر بضمير مطمئن ان كل ما ليس منهيا عنه في القرآن والسنة هو من الأمور المباحة شرعا ، حتى وإن لم يجر العمل عليه في عصر النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته

على سبيل المثال ، فإن أدبيات حزب التحرير الاسلامي تقرر أن نظام الاسلام ليس جمهوريا . ... نظام خلافة وان الاسلام يمنع تحديد مدة ... رئيس الدولة ، بل يبقى مدة حياته ، مادام ... تطبيق كتاب الله وسنة رسوله ، وقادرا على ... أعباء الحكم . فالحديث يقول « اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي ما أقام حدود ... الخلفاء الراشدون لم تحدد لهم مدة زمنية معينة ... اجماع من الصحابة ، كما أن نص البيعة يدل ... المبايعة على السمع والطاعة ، على كتاب الله وسنة رسوله » - (نقض مشروع الدستور الايراني ، ونص الدستور الاسلامي المقدم من حزب التحرير في ٣٠ أغسطس « آب » سنة ١٩٧٩ - ص ٣٨)

فقه أم اجتهاد بشري

لا بأس أن يتبنى أي تيار مايراه مناسبا من مواقف واجتهادات في مجال العمل السياسي ، لكن أخطر ما في هذا الكلام أنه يعرض بحسبانه رأي الاسلام وحكمه . في حين أن الذي يعتد به حقا في التعبير عن رأي الاسلام هو نص الكتاب والسنة . وهو ما يمكن أن يوصف بأنه الدين أو شريعة الله أما ما عدا ذلك فهو اجتهاد بشري ، إذا باشره أهله فهو فقه يحترم ولا يلزم

والنص الذي ورد في السياق استدلال في غير موضعه إذ ليس فيه أكثر من مطالبة المسلمين بالطاعة ، ما لم يؤمروا بمعصية ولا نعرف كيف استخلصت الجهة التي صدر عنها هذا الكلام أن النص يمنع تحديد مدة زمنية لرئيس الدولة ، فضلا عن أننا لانعلم بأن هناك نصا شرعيا يلزم المسلمين بصيغة واحدة للحكم ، كالخلافة

نحن نفهم ان تقدم المواقف باعتبارها اجتهادات في التصور الاسلامي ، لكننا نرفض أن يتبنى طرف رأيا يستنبطه من واقع اجتهاده وتقديره الخاص ، ثم يعرضه علينا بحسبانه رأي الاسلام زاعما بأن الاسلام يقبل كذا أو يرفض كذا ، فذلك تدليس في عالم الفقه والفكر ، لايقره عقل أو نقل '

ولئن كانت الخلافة هي الصيغة التي مورس بها حكم الاسلام في فترة زمنية سبقت ، وإذا كان الخلفاء الراشدون قد تبوءوا مناصبهم حتى لقوا الله فتلك مجرد سوابق تاريخية ، لاتستند إلى نص شرعي يلزم بها . وإنما يظل الفيصل في هذا الأمر أو ذاك - طالما غاب النص - هو تحقيق مقاصد الشريعة ، وبالتالي تحقيق مصلحة الناس

مقاصد الشارع ومصالح المسلمين هما الميزان

لمعتمد الذي يستدل به في تقدير الحكم الشرعي ، أو ، تقييم أي تصرف أو واقعة ، إذا لم يتوافر النص لشرعي على هذا اتفق علماء الأصول وفقهاء لسلمين في كل زمان

يهمنا للغاية تقرير هذا المبدأ في مناقشة موقف الآخر » السياسي ، وتحديد هامش الحركة المتاح مامه في الواقع الاسلامي ، وهو في موقع الاختلاف و المعارضة

حزب الله وحزب الشيطان

أولئك الذين استخدموا لافتة « حزب الله » ، وقسموا الناس الى فريقين ، أحدهما هو « حزب الله » ، والآخر هو « حزب الشيطان » ، استخلصوا هذه العبارات من القرآن الكريم ، مثلما استلوا مفهوم التفرقة بين الاتجاهين من السياق القرآني نفسه ، الذي تردد أكثر من مرة في سورة المجادلة ، حيث ذكرت الآية (١٩) « ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » ، أما الآية (٢٢) فقد أشارت الى المؤمنين الذين يعتزون بدينهم فلا يتوددون إلى أعداء الله ورسوله ، ووعدتهم برضا الله وجنته ، ثم قالت « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون »

وعلى اختلاف التفاسير القرآنية المعتبرة ، فإن عبارة « حزب الله » تنصرف إلى مجموع المؤمنين ، وليس الى طائفة أو فئة محددة منهم ، والفرق جد شاسع بين المعنيين ، خصوصا في أمر بهذه الدقة والحساسية أما « حزب الشيطان » فهم مجموع المشركين الذين يحاربون الله ورسوله

يقول ابن كثير في تفسيره (إن الآية ٢٢ من سورة المجادلة « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر » نزلت في أبي عبيدة عامر بن الجراح ، حين قتل أباه (المشرك) يوم بدر ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم « ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته »)

(وقيل في قوله تعالى « ولو كانوا آباءهم » نزلت في أبي عبيدة لما قتل أباه (المشرك) يوم بدر أبناءهم » نزلت في الصديق فقد هم يومئذ بقتل عبد الرحمن الذي كان على الشرك ، « أو إخوانهم » نزلت في مصعب بن عمير ، فقد قتل أخاه عبيد بن عمير (المشرك) يومئذ ، « أو عشيرتهم » نزلت في عمر فقد قتل قريبا له (مشركا) يومئذ أيضا ، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث فقد قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة (المشركين) يومئذ ، والله أعلم

أضاف بن كثير وقوله تعالى «أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون » ، أي هؤلاء حزب الله ، أي عباد الله ، وأهل كرامته وقوله تعالى . « ألا إن حزب الله هم المفلحون » أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال « إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » ـ ابن كثير جـ ٦ ـ ص ٥٩١

مقارنة غير صحيحة

في تعليق صائب على هذه النقطة ذكر الاستاذ محيي الدين عطية في بحث له بمجلة (المسلم المعاصر) أن المقارنة بين « حزب الله » الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وبين مصطلح الحزب السياسي الذي برز في القرن العشرين مقارنة غير صحيحة ، تؤدي بالضرورة الى نتيجة باطلة ، وهي تكفير كل من لاينتمي الى الحزب السياسي الذي يرفع هذه اللافتة ، وإخراجه من الملة ، بسبب إعطائه الولاء لحزب آخر غير « حزب الله »

ويضيف إن القضية في القرآن الكريم قضية إيمان وشرك ، وليست قضية فروق سياسية في برامج العمل الوطني أو الاصلاح الاجتماعي ، أو غير ذلك مما تقوم من أجله الأحزاب السياسية في زماننا (العدد ٣٧ من مجلة المسلم المعاصر ـ ص ١٨٦)

ولعلي أضيف إلى ما ذكره الاستاذ محيي عطيه أن السياق القرآني كله يتحدث عن حالة حرب أو مواجهة مسلحة بين المسلمين وغيرهم ، ... حالة حياة أو موت ، وبقاء أو فناء ، الأمر الذي ... يعني أن الأمر لايكون بهذه الصيغة لو كان هناك ... إلى التعايش والتفاهم وحسن الحوار

ذكر الاستاذ عطية تعليقه ، في مجال نقده لكتاب ـدره أحد قيادات العمل الاسلامي في القطر ـوري ، هو الاستاذ سعيد حوى ، عنوانه « جند ـ ثقافة وأخلاقا » وكان مما قاله مؤلف الكتاب على ـفحة ١٨٥ ما نصه

« ولعل أعظم مظهر عملي للولاء المحرم الذي خرج به صاحبه من الاسلام في عصرنا ، هو الولاء حزب غير « حزب الله » ، مهما كان نوع الحزب والأسس التي قام عليها ، مادام لاتتمثل فيه صفات « حزب الله » وأخلاقه وأهدافه . وذلك أن نظام الحزبية الحاضرة يقوم على اعطاء الولاء الكامل في فروعه كلها للحزب ولقياداته دون تردد ، مهما كان نوع هذه القيادات وطبيعة أفرادها ومبادئها وهناك وهم سائد عند طبقات الناس الذين أعطوا ولاءهم حزب سياسي أو زعيم ، وهذا الوهم هو أنهم يكتفون أن تكون شعارات هذا الحزب لاتعارض الاسلام . ولو سلمنا جدلا بأن هناك حزبا غير إسلامي ـ وهذا غير صحيح واقعيا ـ فهل هذا كاف ؟ ان العمل الإسلامي الصحيح هو الذي لا يعارض الاسلام . وفي نفس الوقت يتبنى أهدافه وطريقه مثل هذا يمكن أن يعطى الولاء ، أما الاكتفاء بالأول فانه نوع من التضليل الذي يرافقه عادة هدم الاسلام »

جاءت عبارات الاستاذ حوى عاكسة لذلك الخلط الفادح بين المصطلح القرآني الذي انصرف إلى معسكر الايمان في مجموعه ، وبين المصطلح السياسي المعاصر الذي ينصب على فصيل سياسي دون غيره في ذلك المعسكر

ولعلنا نجد أصلا لذلك التأويل في مؤلف الاستاذ سيد قطب « في ظلال القرآن » الذي اكتمل صدور أجزائه في بداية الستينيات ، بينما كتاب الاستاذ حوى قد صدرت طبعته الأولى في أواخر السبعينيات ، ففي تعقيبه على الآية (٢٢) من سورة المجادلة يسجل الاستاذ قطب أن « البشرية تنقسم إلى حزبين اثنين ، حزب الله » « وحزب الشيطان » ، وإلى رايتين اثنتين راية الحق وراية الباطل ، فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق ، و أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت ر[ا]ية الباطل وهما صفان متميزان لايختلط ولايتميعان »

ثم يضيف إن الآية توحي « بأنه كان الجماعة المسلمة من تشده أواصر الدم والقر وحوادث المصلحة والصداقة ، مما تعالجه هذه الا في النفوس ، إلا أنها في نفس الوقت ترسم صو لطائفة كانت قائمة كذلك في الجماعة المسلمة ، تجردوا وخلصوا ووصلوا الى ذلك المقام »

تعدد الأيديولوجيات

على الرغم من أن كلام الاستاذ قطب ينصرف المعسكر الاسلامي في مجموعه ، إلا أننا نجد عبارته الأخيرة فرصة للتأويل ، تفتح الباب لامة حصر لافتة « حزب الله » في طائفة من المسلمي وليس كل المسلمين ، خصوصا إذا وضعنا في الا الافكار التي بثها الاستاذ قطب في مؤلفه « معا الطريق » التي تصف مجتمع المسلمين القائم جاهلي ، وأن المجتمع الاسلامي الحق لايقوم تنشأ جماعة من الناس (المسلمين) تقرر أن عبو الكاملة لله وحده (المعالم ـ ٩٦)

وقد حدث هذا التأويل من جانب الدين بالم تبني آراء الأستاذ قطب ، حتى وجدنا في أدب « جماعة الجهاد » المصرية أن الديمقراطية تـ قاعدة تعدد الأحزاب و تلك القاعدة تختلف الاسلام اختلافا جذريا ، ذلك أن تعدد الأحـ لاينشأ إلا عن تعدد « الايديولوجيات » في الم فتحتاج كل منها إلى التعبير عن نفسها ، والد لفكرها ، وجمع الانصار للاعتماد عليهم في ال نحو كرسي الحكم ، بينما الحكم في الدولة الم لاتتنازعه ايديولوجيات مختلفة ، لسبب بسيط ه الحكم وسلطته لاتكون إلا في أيدي المسلمـ والمسلمون ليست لهم إلا عقيدة واحدة ا واحد ، ومنهج واحد ، ومن ثم فلا خلا

أيديولوجية » بينهم ، كتلك القائمة في المجتمعات ديمقراطية ، وبناء عليه فليس هناك في المجتمع لاسلامي الا حزبان ، « حزب الله » المأمور بإقامته ، و « حزب الشيطان » وقيامه ممنوع (دراسة للجماعة غير منشورة ، عنوانها « محاكمة النظام السياسي المصري »)

استثمار لافتة حزب الله

الصحيح المثار حول تعبير « حزب الله » على شذوذه ومحدوديته ليس جديدا في المسيرة الاسلامية ، فالطبري يذكر في تاريخه أن سليمان بن صرد الخزاعي (زعيم التوابين) قد سمى أتباعه الذين خرجوا معه لقتال عبدالله بن زياد والجند الأمويين (حزب الله) ، لكن أبا بلال مرداس بن أدية المتوفى ٥٠ هجرية كان قد فعل ذلك فيما يتصل باتباعه (سماهم حزب الله) منذ عام ٤٨هـ ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، إذ تكررت التسمية من جانب الشيعة والخوارج منذ مقتل سليمان بن صرد سنة ٥٤ هجرية ، إذ ظل كل منهما يطلق على جماعته (حزب الله) مرات كثيرة ، حتى آخر القرن الأول ، وإن ظهرت بعد ذلك تسميات أخرى ، تحفل بها كتب التاريخ المختلفة (د رضوان السيد ـ مفاهيم الجماعات في الاسلام ص٤٣)

لقد كان واضحا منذ ذلك الوقت المبكر حرص بعض الجماعات الاسلامية على تمييز نفسها واستثمار لافتة (حزب الله) بكل ما يحمله التعبير من معان جليلة ، لصالح دعم موقفها ، وتحسين المسلمين حولها ، في مواجهة الفرق الأخرى

مع ذلك فإن تحذيرنا يظل قائما ، من عواقب الخلط بين مفهوم المصطلح القرآني وبين المعنى المعاصر لكلمة (حزب) ودعوتنا تظل ملحة الى ضرورة التصدي لذلك التخليط الخطر ، وكشفه قبل أن تنتشر عدواه ، ويشيع بين الناس حقا ان مقتضى الايمان الصحيح هو أن ينخرط المسلمون في جماعة أو حزب بعينه ، وإلا فهم متورطون في مربع الكفر ومنتمون الى حزب الشيطان

ذلك أيضا تدليس فكري مكشوف ، لكنه في الوقت عينه إرهاب فكري واجب رفضه □

■ لو كان لابن ادم واديان من مال لابتغى ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . (حديث شريف)

■ قال رجل لابن مسعود إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق علي ، فقال له ادهب ، هو عصى الله فيك فأطع الله فيه

■ رب همّة أحيت أمّة (الإمام علي كرم الله وجهه)

■ إن العصيان المدني دحر للقوة (غاندي)

■ إن العروبة ـ يا بلابلها ـ روح على كفّ الفتى ودم (جورج صيدح)

■ وتسألني السبيل الى مجاهدة مستعمر مسلح ؟ السبيل أن تحب الحرية ، لأن الحياة بدون الحرية موت . (مكرم عبيد)
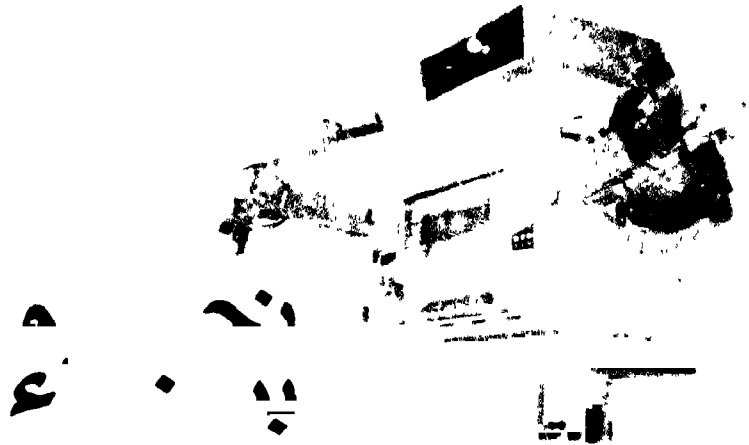
آلة ذكية

بقلم : الدكتور علم الهدى حماد

« لم تنقطع محاولات الانسان لاستنطاق الالة ، ودفعها للتفكير ، وإذا كان العالم الآن يقف على مشارف جيل جديد من الحاسوب ، أو ما يسمى جيل الذكاء الاصطناعي فإن مسيرة الانسان منذ بدء التاريخ كانت تراكما وراء هذا الانجاز العلمي » .

يتحدث الخبراء عن صنع الة لها نفس المقدرة الانسانية في التفكير والتقدير واتخاذ القرار ، أي تتميز بالذكاء،وحيث ان هذا الذكاء من صنع الانسان وليس طبيعيا اطلق عليهاسم« ذكاء اصطناعي » ويقع بعضهم في خطأ تسمية هذا الذكاء بالذكاء الصناعي . وتصحيح التسمية بأنه اصطناعي أو « صنعي » ينطلق من عملية التقليد والمحاكاة لذكاء الانسان

لا ... أن ما يحدث الآن من تقدم وتطور علمي سريع لم تشهده القرون التي سبقت ، وما به من طفرات علمية لها أبعاد لا يمكن الحكم على مداها في إطار البيئة الفكرية الحالية ، ولهذا نجد أن رأي المفكرين لم يجتمع على مستقبل تلك الطفرات ، ومدى قدرة الانسان على الوصول الى الهدف المرجو ، وطول الفترة الزمنية

يتضح من الدراسات أن التاريخ المنقول حافل بقصص فيها آلات وتماثيل تحاكي الانسان ، وقد أراد لها صناعها أن « توحي بأن الحياة تدب فيها ،

ويتصور المشاهد انها تتحرك أو تتكلم مثل الانسان ، أو يمكنها الفهم والتصرف

إن تمثالي فرعون « أمينوفيس الثالث » المشيدين في مصر منذ حوالي ٣٤٠٠ سنة ، المعروفين بتمثالي ممنون ، والموجودين في الأقصر حتى الآن ، كانا يخرجان أصواتا عالية عند شروق الشمس ، حسب ما ذكره شاهدو عيان وهو مسجل فيما تركوه من كتابات

بين الخيال والحقيقة

كما يلاحظ خلال القرون الوسطى ظهور الفلكيين العرب باختراع آلة سموها الزرقاء ، وكان الادعاء بانها تحاور وتجادل في أمور الفلسفة وادعاء البابا « سيلفيستر الثاني » تملكه إنسانا آليا (روسوت) يستشف الطالع ، ويعرف المستقبل ويرد بنعم أو بلا عند توجيه السؤال اليه وقام المبشر المسيحي « رومان لول » في القرن الثالث عشر بنقل فكرة الآلة العربية « الزرقاء » الى أوروبا التي اشتهرت حينئذ بقدرتها على الرد في المسائل الفلسفية ، باسم « ارس ماجنا » وادعاؤه بقدرتها على المجادلة في أمور الديانة المسيحية ، وقد تكونت تلك الآلة من اسطوانات معدنية تدور ، وكلما توقفت إحداها ظهر رقم في طرفها ، ومن ثم تتم مقارنة الرقم برقم يظهر في كشف يحتوي على الأفكار أمام الأرقام ، وهكذا وبمقارنة الارقام التي توقفت عندها الاسطوانات بالارقام في الكشف يمكن استخراج إجابة فلسفية لأي سؤال !!

وخلال القرن الرابع عشر قام صانعو الساعات بصناعة ساعات ضخمة ، على هيئة تماثيل على شاكلة الانسان ، تتحرك وتصدر أصواتا ، واخذها العامة على أنها بشر آلي .

وظهرت قصص ألف ليلة وليلة في مصر خلال القرن الخامس عشر ، لتملأ العقول قرونا عديدة بالخيال ، ووصلت الى اوروبا ، وترجمت الى الفرنسية في عام ١٧٠٤ ، ثم الى الانجليزية في عام ١٨٣٩ وقد تبعتها ترجمات أخرى وقصة علي بابا الذي عرف سر مغارة الأربعين حراميا ، و « الشمرة » التي تفتح بابها وتغلقه ـ « افتح سمسم »و « اقفل يا سمسم » فقد كانت كلمتا السر اللتان بدونهما لا يمكن تحريك الحجر الذي يسد مدخل تلك المغارة الا ينطبق ذلك الوصف ... لها القدرة على تلقي المعلومة « الشفرية » وترجمتها لفعل وهو تحريك الصخرة التي تسد باب المغارة بفتحها أو قفلها وقصة الحصان الأبنوسي ... يطير بتوجيهات الراكب فمن وصفه نحسب أنه ... وقصة بساط الريح الذي يأخذ المرء الى أي مكان يشتهيه راكبه ، وكأنه طائرة بها ربان آلي يسمع ويطيع

وليس بغريب أن يتمنى الانسان وجود ... تسمع وتطيع وتنفذ ، وتكون رهن إشارته ، حتى ... كانت من صنع خياله فقد ظهر عبر التاريخ في ... المجتمعات ما يمكن تعريفه بالهروب من المستحيل ... بتخيل عدم « الاستحالة » ، وما زالت حتى الآن ... جميع الثقافات أساطير شعبية وملاحم أنطلقت من ... وحي الخيال ، تدور حول تسخير الانسان لآلات تسمع وتطيع (وان لم تذكر كلمة آلة)

وفي القرن السادس عشر ادعى استاذ الفيزياء والجراحة باراسيلساس في بازل أنه اكتشف وصفة تحضيرية لصنع انسان اصطناعي على النحو التالي

١ ـ توضع بعض الحيوانات المنوية لانسان في جرة محكمة ويختم عليها

٢ ـ تدفن الجرة مدة أربعين يوما في روث حصان

٣ ـ عند استخراجها ستكون في شكل انسان لكن شفاف

٤ ـ لابد من اطعامه بدم بشري حتى يصل عمر أربعين أسبوعا وبعد ذلك يصبح قادرا على العيش معتمدا على نفسه

وفي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر زادت معلومات التقنية الآلية وانتشرت معها التماثيل المتحركة آليا ، وأصبحت أكثر ... في عواصم اوروبا مثل تلك الساعات الضخمة التي يخرج منها عند اشارة الوقت تماثيل ... تتحرك

.. ركات مختلفة ، وتصدر أصواتا تحسبها كلاما

وظهر في أدب القرن التاسع عشر وكتاباته الانسان الاصطناعي من وحي الخيال ، وكان أكثر تطورا من تلك التي كانت في ميادين أوروبا وقلاعها. ففي عام ١٨١٥ كتب اي تي هوفمان قصة « رجل الرمال » وقد ظهرت فيها امرأة آلية وفي عام ١٨٧٠ كتب ديليبس ، باليه « كوبيليا » التي تحولت فيها عروسة آلية الى انسانة ومن المعروف أن أكثر المشاهير في عالم الانسان الاصطناعي في كتابات القرن التاسع عشر هو فرانكشتاين

وبالمقارنة نجد أن قصص الخيال العلمي المنتشرة في عصرنا الحالي تصارع في شطحاتها وخيالها عن المستقبل ما جاء مجتمعاً في جميع العصور التي سبقت

ولم يكن فيما جاء أي تأكيد على أن هناك من كان قادرا على بناء آلة ذكية بل كان مجرد تعبير عن الأمل في ذلك وتمني وجوده

الذكاء الاصطناعي والعلم

يعتبر القرن التاسع عشر فاتحة للتفكير الجدي في اختراع آلة مفكرة ، حيث جرى البحث عن حل المشكلة الكبرى في هذا الحقل ، ألا وهي كيفية وضع المعلومات في أسلوب يمكن للآلة معالجتها ومن الطبيعي أن تكون فكرة المعالجة في ذلك الوقت آلية وليست رقمية

اتخذ عالم الرياضيات جورج بول في القرن التاسع عشر الخطوة الاولى نحو اتجاه « الرقمية » فيما سمي بجبر جورج بول نسبة اليه وبذلك ظهر النظام الثنائي الذي أمكن استخدامه ليس في تمثيل الدالات الرقمية فحسب ، بل في دالات المنطق الأولية أيضا ، فتم تمثيل المتغيرات ، إما الف وباء أو صح وخطأ ، او رقمي ١ وصفر

وم ثم قام تشارلز بابيدج في منتصف القرن التاسع عشر باستخدامه الجزئي لذلك الجبر بتصميم حاسوب رقمي ، اطلق عليه اسم الآلة التحليلية وقامت عملياتها بحساب العجلات التي تدور في اتجاه حر حسب نوعية المدخلات واستخدمت

البطاقات المثقبة كمفتاح أمني لا يمكن بدونها استخدام الآلة ويعتبر أهم تقدم أحرزه بابيدج في آلته ، كونها رقمية فقد كان العديد من التصاميم السابقة واللاحقة للآخرين تعتمد على القياس ولا تحسب بل تقيس ، فتلك الآلات يمكنها قياس المسافة بين نقطتين ، بينما يمكن للحاسوب الرقمي تحديد الاختلافات وعلى سبيل المثال يمكن للحاسوب الرقمي أن يحدد فيما اذا كانت الدائرة الكهربائية مقطوعة أو موصولة ، وعليه فان أجزاء المنطق الحاسوب الرقمي مثل مفاتيح أو أزرار الاضاءة إما ان تكون في حالة وصل أو قطع ، ويمكن لأجزاء المنطق ان تعد المفاتيح التي في حالة وصل والتي في حالة قطع ، وعليه يمكن الحساب بينما يلاحظ المنطق في الآلة القياسية ما هو الا قياسات ، فمثلا نجد أن قياس درجة الحرارة يتم بقياس درجة الحرارة في هذه الغرفة ثم في غرف اخرى ، ثم تقاس في جميع الغرف (لكنها لا تجمعها) للتوصل الى درجة الحرارة الكلية والمشكلة في الآلة القياسية هي أنها معوقة بزمنها ومن الصعوبة بل من المستحيل في كثير من الأحيان تمثيل اشكال عديدة من المعرفة ، واجراء الحساب من خلال القياس

ومع ذلك فقد كانت هناك مشكلة في بناء الآلة الرقمية ، وهي الحاجة الى تقنية لتمثيل حالتي الوصل والقطع ، وحيث ان هذه التقنية لم تكن موجودة في القرن التاسع عشر ، كان مستحيلا بناء آلة بابيدج

وكانت أهم تقنية فتحت الطريق لبناء الحاسوب رقمي هي المفتاح الكهربائي ، ففي ١٩٤٤ بني « هـ ايكس » آلة استخدم فيها ... مفتاح من مفاتيح بدالة هاتف ، وكانت معوقة وبطيئة جدا ، لكنها كانت البداية وتبع ذلك الجيل الثاني للحاسوب الرقمي الذي استخدم فيه الصمام المفرغ وهكذا فتح الحاسوب الرقمي الباب لدخول الذكاء الاصطناعي

وقدم « تورنج » تصميما نظريا فقط لآلة رياضية هدفت الى اختبار امكانية حل درجات معينة المعضلات الرياضية بشكل رقمي ، وكان عملها

دخال شريط طويل مقسم الى أجزاء ، يترك كل جزء منه خاليا او يثقب به رمز لرقم ما ، ويمر الشريط داخل الآلة جزءا بعد جزء ، وان كانت عملياتها محدودة . فقد كان في إمكانها إجراء أي عملية يمكن ان يرمز فيها بالجبر المنسوب الى جورج بول اي « ١ » و « صفر » .

وقامت حكومة بريطانيا خلال الاربعينات بإنشاء آلة كولوسس ، التي يرجع عديد من المؤرخين الفضل اليها في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وتوجد قصة طريفة حول هذا الموضوع فقد حصلت بريطانيا من المانيا في بداية الحرب آلة لصياغة « الشفرات » السرية وحلها . وكانت في شكل آلة كاتبة فيها عجلات من المفاتيح وحروف الطبع . واطلق عليها اسم « الآلة اللغز » . فاذا كان العمل هو ترميز رسالة يقوم الطابع بتحريك العجلات الى رقم معين ويطبع كما هو معتاد ، وتظهر الرسالة المطبوعة في شكل رمزي . واذا كان العمل هو حل « الشفرة » يقوم المستلم بتحريك العجلات الى رقم معين ، ويطبع الرسالة كالمعتاد فتظهر مطبوعة بحروف الهجاء . وكانت الصعوبة الاساسية التي واجهتها بريطانيا هي استحالة معرفة تركيبة الارقام . حيث كان الالمان يغيرونها يوميا ، وكان لابد لبريطانيا من حل المشكلة حتى تتمكن من معرفة أسرار المانيا ، وهنا قام تورنج مع مجموعة من العلماء بإنشاء آلة كولوسس ، وسميت « العملاقة » . وكلما حصلت بريطانيا على رسالة رمزية مرسلة من المانيا اخذت منها الحروف « الستة الأولى » التي تعادل التركيبة في « الآلة اللغز » ، وتلقم لآلة تورنج ، وعندئذ تدار العجلات لفحص أي توافق ممكن للحروف ، حتى يمكن التوصل لواحد منها يمكن أن يقود الى رسالة مفهومة .

وفي عام ١٩٥٥ تم تركيب أول حاسوب يلعب الشطرنج ، وإن كان بطيئا جدا وأداؤه سيئا ، فقد كانت كل مقلاته فاتوية . في عام ١٩٥٧ وضع برنامج في حاسوب من نوع « اي بي ام » ليلعب الشطرنج بشكل مقبول على مستوى الهواة .

ثورة المعلومات .

وكما حدث في أواخر القرن التاسع عشر من ثورة صناعية ، أدخلت العالم في مرحلة لم يسبق لها مثيل شملت الانتاج المكثف ، واحدثت تغييرا شاملا للمجتمعات وقلبت الاوضاع التي كانت سائدة وأثرت على جميع المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية ، وما يتبعها من شئون مختلفة ، فان ما نمر به الآن في العقد الأخير يعتبر ثورة أخرى ، تشابه الثورة الصناعية يمكن تعريفها بأنها « ثورة المعلومات » . وهكذا نجد ان عصرنا الحالي هو عصر المعلومات ، فقد مرت البشرية من قبل خلال عصور مختلفة بداية بعصر الحجر ... ومهدت الثورة الصناعية لعصر التقنية . فان عصر المعلومات هو امتداد لعصر التقنية ، مبني على التطورات والاكتشافات العلمية لذلك العصر .

يكون الحاسوب حجر الزاوية في ثورة المعلومات ، والأساس في تغيير نمط المعيشة والعلاقات المجتمعية والفردية ، وفتح آفاق جديدة وبوابات على عالم ... من فرص توسيع حدوده باستمرار . وتعتبر السيارة مثلا تاريخيا موازيا للمفهوم التقني المتصور للحاسوب حاليا ، فقد أدت السيارة في تغيير الملامح المجتمعية واتجاه الفرد للفرد ، ولم يكن ذلك التأثير مصاحبا لاختراع السيارة بل كان مصاحبا لانتشار استخدامها . كان من الطبيعي وجود المعارضين والمتحمسين حسب مصلحته ، ومع كل سيارة جديدة صوت من المعارضة ، وأصبحت السيارة جزءا يتجزأ من الحياة العامة والفردية .

وكما دخلت السيارة في حياة الانسان ... الحاسوب ، فهو مايزال في مهده وما نشاهده ... الانطلاقة في بحر العلم ، وما سيجود ... الأبحاث خلال الحقبة القادمة خاصة ... الحاسوب سيكون أبعد من كل تصور .

التقدم في مجال الحاسوب

باستعراض التقدم التقني في مجال الحاسوب لابد أن نأخذ بعين الاعتبار أن قدرة الانسان على التنبؤ محدودة. وإن نظرته للمستقبل تحمل دائما في طياتها ما تحدده المفاهيم الخاصة في عصره، أي أن ما تمليه عليه البيئة بما فيها من مقومات ومتغيرات سينعكس على استنباطاته واستنتاجاته. وبالرجوع الى التاريخ نجد ان اللورد «كيلفن» رئيس الجمعية الملكية البريطانية في عام ١٨٩٥ قال انه من المستحيل أن تطير آلة أثقل من الهواء وقد ظهر خطؤه بعد سنوات. وأخطأ تشالز ديويل مدير مكتب حقوق الاختراع الامريكي في عام ١٨٩٩ بقوله ان كل شيء يمكن اختراعه قد تم اختراعه. وهكذا حتى مع وجود مثل هؤلاء الاشخاص على قمة المؤسسات العلمية المعنية بالتقدم التقني واحاطتهم بكل الامكانات العلمية فان ذلك لم يمنعهم من النظر الى المستقبل بقيود حاضرهم وبما أملته عليهم ظروف العصر، وفي حدود المنظر السائد لمجتمعهم. أي أن هؤلاء المسئولين لم يخدموا وان وقعوا في خطأ الحكم على المستقبل والتنبؤ بما سيكون.

ولا يوجد ادنى شك في ان ما يحاول العلماء رسمه للمستقبل بكل ما فيه من مؤشرات يعتبر «اطارا» لتحولات لا يمكن استيعاب كل ما فيه من تقدم تقني وهذا هو ما ينطبق على مجال المعلومات بشكل عام، والحاسوب بشكل خاص.

إمكانيات الحاسوب

ما هي قدرات الحاسوب ومحدوداته؟ يمكن تحديد قدراته كما يلي:

١ - تكرار العمليات المتشابهة دون كلل او اجهاد ملايين بل بلايين المرات

٢ - السرعة الفائقة في العمليات، حيث يمكن حساب معادلة رياضية في وقت أسرع من عالم رياضيات بمقدار ملايين المرات

٣ - مرونة في تنفيذ العمليات بشكل يصمم استخدام البرامج المتخصصة او العامة، حسب ما يراه المصمم

٤ - الدقة المتناهية في تنفيذ العمليات المطلوبة. ومراجعة تلك العمليات للتأكد من صحة الحلول

وتتلخص في ما يلي

١ - عدم القدرة على التفكير (حتى بعد الابحاث السابقة لا يمكن حتى الان تحديد عملية التفكير)، لكن حسب الفهم المتعارف عليه أن التفكير يدخل ضمن إطار الذكاء. فالحاسوب آلة غير قادرة على التفكير حيث انها تنفذ الأوامر التي تعطى لها بشكل تلقائي وبدون تصرف ذاتي منها.

٢ - لا يوجد حدس او بديهة في الحاسوب. أي أن المخرجات ما هي الا انعكاس لعمليات تتم حسب الاوامر في المدخلات. ولا عجب أن الانسان باستخدام الحدس يمكن أن يجد الاجابة على سؤال فجأة دون الدخول في عمليات حسابية معقدة، تعتمد على متغيرات مختلفة.

وبذلك يمكن القول بأنه حتى يأتي الوقت الذي يمكن فيه بناء آلة لها قوة الذكاء. فلابد من تركيز البحوث على معالجة المشكلات الرئيسية المتعلقة بدراسة الذكاء في الانسان. وحيث ان الحاسوب آلة تنفذ برامج ذات خطوات محددة وأوامر للعمليات لا تحيد عنها قيد شعرة. فلا توجد لديها القدرة حتى الآن على تقليد ذكاء الانسان

تقليد ذكاء الانسان

استخلصت البحوث مدى أهمية دراسة الانسان بما له من قدرات عقلية. وكيفية عملها. حتى يمكن تقليدها بجعل الحاسوب قادرا على فهم اللغة، والتعلم من الخبرة وتكوين علاقات ربطية بين ما يفرزه وما يدركه بالخبرة. وكما يتضح فإن مجرد فهم عملية التفكير الانساني وخطواتها في غاية الصعوبة، وما زالت أسرارها مغلقة. اضافة الى أن العقل الذي يعتبر من المعضلات التي حار فيها العلماء والفلاسفة منذ الأزل، لا نجد ما يكفي من إجابات على ما يخرج علينا من استفسارات، وحتى مع التقدم العلمي

السريع فان الحيرة في العقل الانساني ما زالت مسيطرة

وما نعرفه هو أن المخ يحوي حوالي مائة مليون (اي مائة الف مليون) خلية عصبية ، وحوالي مائة تزليون (اي مائة مليون مليون) وصلة تربط بين تلك الخلايا العصبية وللتوضيح فإن مجرد محاولة رسم الوصلات في المخ تعتبر اقرب الى المستحيل .

وحيث لا يمكن فهم كيفية عمل المخ ، فان التركيز ينصب على دراسة كيفية قيام الانسان بحل المشكلات التي تتعلق سلوكه من ناحية الذكاء والكفاءة والقصدية ولابد في هذه الأحوال ان نكتشف كيف يكون الانسان ذكيا ، وكيف يمكن تقليد ذلك أي لابد ان نعرف كيف يقوم الانسان بانتاج التصرف الذكي ، وما هو المنهاج المتبع في العقل لخلق الذكاء ، وما هي آلية ذلك ؟

هنا نتوقف لنبين أن كلمة الذكاء التي يظهر معناها في القواميس ، لا يوجد لها معنى علمي متفق عليه ، ولم يتم حتى الآن اكتشاف قوانين كمية طبيعية تتعلق بالذكاء ، وعليه فان مفهوم الذكاء يتغير كلما زادت المعرفة عن ذكاء الانسان

العناصر الرئيسية للذكاء الاصطناعي

يمكن تمثيل عناصر الذكاء الاصطناعي حسب ما هو موضح في الشكل المدرج الذي تظهر فيه العناصر في دائرتين ، واحدة داخل الأخرى ، وكل واحدة منها بها أربعة عناصر ، وتعتبر العناصر في الدائرة الداخلية هي الأساسية والتي تستخدم في التطبيقات هي التي تظهر في الدائرة الخارجية

لقد امكن للباحثين في الذكاء الاصطناعي اكتشاف ان السلوك الذكي لا يرجع الى طرق الاستنتاج ، بل الى المعرفة التي يمتلكها الشخص ، والمعرفة المكتسبة خلال حياة الانسان هائلة الى درجة استحالة قياسها ولذلك لابد من وجود طرق يمكن بها تمثيل تلك المعرفة بشكل يسمح بسهولة برمجتها واستعادتها

استشراف المستقبل :

لا شك ان البحوث المستفيضة في حقل الذكاء الاصطناعي قد تمكنت خلال السنوات الخمس الأخيرة من تحقيق اكتشافات لم يسبق لها مثيل ، ومع عدم القدرة على بناء الآلة الذكية تم تحقيق أحرا[illegible] صغيرة من الحلم ، ووجد الروبوت الآن في المصانع وهو يقوم بقطع ألواح الصلب ولحامها مثلا . ويعتمد الروبوت في عمله على برمجة معينة يمدها تنفيذ آليا لكنه ما زال أخرق أعمى ، وهو يتكون من قطع معدنية وأسلاك ، ولا يمكنه حاليا تنفيذ أكثر من حركات محدودة ، متكررة يستفاد منها في خطوط تجميع السيارات

ان ما خرج علينا به العلماء مؤخرا وهو ما عر[illegible] بمشروع الجيل الخامس للحاسوب (أي الآلات ذا[illegible] الذكاء الاصطناعي) الذي يؤمل تحقيقه في التسعينات وسيكون تأثيره كبيرا على الطب والتعليم والعلـ[illegible] والصناعة والهندسة وجميع الأنشطة بشكل لم يحـ[illegible] البشر من قبل ولم يروه فيما سبق من تقنية

وقد يجود علينا المستقبل مع التقدم العلمي وال[illegible] باختراعات ومساهمات في بناء آلة ذكية ومع إ[illegible] بعضهم بامكانيات العلم غير المحدودة وبأنها [illegible] وقت إن لم يكن عاجلا فسيكون آجلا [illegible] بعضهم أنه من المستحيل انتاج آلة كالانسان [illegible] وترى وتسمع وتتكلم ـ « والله يعلم و[illegible] تعلمون » صدق الله العظيم ☐

يصدر ١٥ أبريل

كتاب العربي

التاسع عشر

الفلسطينيون

من الاقتلاع إلى المقاومة

بقلم مجموعة من الكتّاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي

أرقام

بقلم . محمود المراغي

للرجال.. تقريباً

اين تقف المرأة العربية في سوق العمل ؟ هل أصبحت تنافس الرجل ، ام انها ما زالت تفضل البيت ؟ ماذا عن وضعها الآن ؟ وماذا عن وضعها في مطلع القرن الواحد والعشرين ؟

هناك رقم قد يثير الدهشة : فالتوقعات ألا تزيد نسبة مساهمة المرأة العربية لمجموع القوة العاملة عن (١٣ ٪) او بالتحديد (١٢.٩ ٪) عام (٢٠٠٠) ، أي انه مقابل كل سبعة رجال سوف يكون هناك امرأة واحدة في سوق العمل . فاذا عرفنا ان مقولة « المرأة نصف المجتمع » مقولة احصائية أيضا ، فان ذلك معناه انه في مقابل كل امرأة عاملة سوف يكون هناك خمس او ست نساء غير عاملات يؤثرن البقاء بالمنزل !

الأرقام قد تثير الدهشة لان الاعتقاد الشائع انه مع انتشار التعليم ومع التقدم الاقتصادي وضع انساع مجتمع المدينة وتطور التقاليد ، تزاحم المرأة الرجل في فرص العمل .

ارقام التقرير الذي نحن بصدده تنفي ذلك ، وتقدم دليل توقعاتها من المسيرة التاريخية القريبة للمرأة .

وابتداء نقول إنها دراسة جادة ، فصاحب التقرير هو الصندوق العربي للانماء الاقتصادي بالاشتراك مع امانة جامعة الدول العربية ، ومنظمات اخرى .

وموضوع التقرير : مستقبل الاقتصاد العربي ، والتقديرات تبدأ من الواقع ، ماذا كان عليه عام ١٩٨٠ ، ١٩٨٥ ، اذا بدأنا على هذا النحو تأكدت لنا هذه الحقيقة « وهي ان المرأة ما زالت تحتل اهمية ... للعمالة في سوق العمل » والتوقع طبقا لـ ... ١٩٨٥ ، الا تزيد نسبة مشاركة النساء في قوة العمل العربية عن « ١٠ ٪ » تقريبا ، وذلك بينما ... (٣٨ ٪) في دولة غربية مثل فرنسا و (٤٦ ٪) في دولة شرقية مثل بولندا .

الفرق اذن هائل ، ففي بولندا تجاوز ... النساء اللاتي في سن العمل ان يشاركن بالفعل في سوق العمل ، وفي فرنسا يقترب الامر من ذلك ... ، اما وطننا العربي فالامر مختلف .

الأولى .. صومالية

في التحليل ، نجد ان الملامح تختلف من بلد لآخر . وفقا للاحصاءات المعلنة لعام ١٩٨٠ ... الصومالية هي الأولى في سوق العمل العربي ... هناك ما يقرب من (٣٠ ٪) من القوة العاملة نساء مشتغلات . والنسبة شبه ثابتة خلال ... عشر عاما سابقة .

على الطرف الآخر يأتي العراق لتسجل ... اشتغال للمرأة . فالنسبة لا تزيد عن (٢ ... ١٩٨٠) وهي نفس النسبة بزيادة ضئيلة ... اليمن الديمقراطية والعربية اليمنية .

في الترتيب تأتي المغرب تالية للصومال ...

، ١٩/) وتأتي السعودية تالية للعراق واليمن
ـ ث تقف النسبة عند (٤٫٨ /)
لتفاوت ادن شديد بين بلد واحر ، فهل يكون
العامل الاقتصادي هو الأساس

أغنياء وفقراء

الاحصاءات العربية والدولية يجري اعدادها على
أساس اقتصادي في اغلب الاحوال ، والوطن العربي
في هذه الاحصاءات ينقسم لدول تسع ذات دخل
مرتفع وهي دول النفط ودول ست ذات دخل
متوسط
ودول ست ذات دخل منخفض وتضم الأخيرة
جيبوتي والسودان والصومال وموريتانيا واليمنين
ما هو موقع المراة العاملة في كل مجموعة من هذه
المجموعات ؟ طبقا لأرقام (١٩٨٠) ايضا فإن
مساهمة النساء في دول الدخل المتوسط سان في
مقدمة نساء الاردن ومصر وتونس وسوريا ولبنان
ـ نعت ـ مثل (١١،٤) من القوة العاملة
ـ ت من هذه النسبة نساء الدول ذات الدخل
منخفض بينما تقتصر مساهمة المراة العاملة في
لدول ذات الدخل المرتفع على (٥ ٥) من
مجموع القوة العاملة
معنى ذلك ان مشاركة الاعلى دخلا تكاد توازي
بالضبط ـ نصف مشاركة الاقل دخلا . ويستوي في
ذلك الدول ذات الكثافة السكانية العالية كالعراق
والجزائر مع الدول ذات الكثافة السكانية الصغيرة
مثل قطر والامارات ولكن . واستثناء من ذلك
سجل البحرين نسبة اشتغال للمرأة تعادل
(١٥٪) وسجل الكويت نسبة اشتغال تعادل
(١٢٪)

خمسة عوامل وسؤال

هل يمكن أن نفسر خروج المرأة أو عدم
خروجها للعمل على أساس اقتصادي ؟
مع أن ذلك يلعب دورا ، ولا تعنيه النسبة
المرتفعة لاشتغال المراة في بعض الدول الخليجية التي

تلعب في حالة البحرين ضعف النسبة في مصر على
سبيل المثال حالة البحرين أو الكويت لا تعني
العنصر الاقتصادي فارتفاع نسبة المشتغلات قد يمثل
اقبالا من المرأة الكويتية او البحرينية على العمل ،
لكنه يمثل أيضا نسبة الوافدات في سوق العمل

على أي حال فإن عوامل أخرى تدخل في تفسير الظاهرة دون شك أعني ظاهرة انخفاض نسبة مشاركة النساء

من هذه العوامل الدين والتراث والتقاليد .
فالحلال والحرام والمسموح والممنوع عناصر في اتخاذ
القرار عند المرأة العربية
ايضا من هذه العوامل انتشار تعليم الفتيات ،
ومن الطبيعي ان يكون ذلك مع الانتقال للمدن
عنصرين ضاغطين لتزايد النسبة
ويبقى سوق العمل . فبينما تلعب انتشار انشطة
كالصناعة والسياحة والخدمات دورا في جذب المرأة
للعمل فان ضيق سوق العمل في بعض البلدان
تلعب دورا كبيرا في طرد المراة وعودتها للبيت لقد
انتشر في الاونة الاخيرة وفي بعض اسواق العمل
مثل السوق المصري عبارة « للرجال فقط » و سارت
على ذلك كثير من المؤسسات العامه والخاصه
وفسرت حرفيا للمبدا الدستوري الذي يساوي المرأة
بالرجل بأن المراة أقل انتاجا والمراة المتزوجة اكثر
اعباء ، ومشاكل رعاية الطفولة تؤثر على انتاجية
النساء
على اي حال فانه اذا كان جديرا بالبحث لماذا لم
تشارك المراة كقوة انتاجية بالقدر الكافي في سوق
العمل
فانه جدير بالبحث أيضا ظاهرة الارتداد في أنحاء
من الوطن العربي . فالكثير من الرجال الآن
يفضلونها « ربة بيت » حتى لو اكملت تعليمها
وحصلت على أعلى الشهادات !
والأكيد أن الكثير من النساء ايضا قد أصبحن
يفضلن ذلك وكاد سوق العمل أن يصبح
« للرجال تقريبا » وهو ما تشير له الأرقام
الرسمية !

التربية

هل هي الدواء لكل أدواء المجتمع؟

بقلم : الدكتور سعيد اسماعيل علي*

منذ أفلاطون حتى العصر الحديث ثمة أفكار فلسفية تؤكد ضرورة التربية وأهميتها في مواجهة المشكلات، وصنع التغيير، وقيادة التطور. فإلى أي مدى يمكن للنظام التربوي وحده في هذا العصر أن يقوم بقيادة التغيير وصنعه؟

حول هذه القضية المهمة يقدم لنا الكاتب أفكاره ورؤاه

عندما أذن القرن الخامس قبل الميلاد بالأفول، وبدأ القرن الرابع، أصاب الحياة الاغريقية زلزال، بدأ يبث التباين والاختلاف بين القيم السائدة، وأضحى هناك اضطراب عظيم في العلاقات الاجتماعية، شهد بأن هناك خللا واضحا في بنية المجتمع، يصعب معه على الفرد أن يبصر الطريق الصحيح الذي يتيح له النجاح في الحياة

هنا تقدم فريق من الناس يؤكد أن الأمر يتطلب عددا من المهارات، إذا تزود بها الفرد وتدرب عليها فإنه سيبصر الطريق الصحيح، وهؤلاء هم جماعة السوفسطائيين. وقد حددوا هذه المهارات بأنها تدور حول تزويد الطلاب بطائفة من الخطب المعدة التي تمس موضوعات معينة، تتكرر في المناسبات الخاصة، كالمرافعة أمام المحاكم، وبالجمل والعبارات البراقة، أو مجموعة من المعلومات المتناثرة التي يمكن استخدامها كلما سنحت الفرصة. ولا ينسينا هذا أن بعضهم قد قام بدراسة مستفيضة دقيقة للمشكلات القائمة، وبدراسة مبادىء التاريخ السياسي والتاريخ الطبيعي السائد حينئذ، وبدرس القدرة على الحوار وتنمية المقدرة البلاغية بالتمرين على إلقاء الخطب العامة.

ومن الواضح أن أمرا كهذا يعتبر صيغة خاصة لـ « تربية المواطن الاغريقي »، تبدو في شكلها صيغة لا غبار عليها، لكن المشكلة كانت تكمن في ... الفكرة العامة للسوفسطائيين هي أنه لا توجد أفكار ولا مقاييس عامة للسلوك، لأن « الإنسان مقياس الأشياء جميعا »، كما قال « بروتاجوراس » أحد مشاهير رجالهم. ولما كان القصد من (الإنسان) هنا هو الفرد، فإنما نرى من هذه العبارة أن تلك النزعة التي ترعرعت في المجتمع اليوناني، والتي كانت تهدف إلى زيادة تأكيد ... الذاتية في الحياة الخلقية وفي العملية التربوية ... وصلت على أيدي السوفسطائيين إلى أقصى ... أن تصل إليه، فمبدؤهم هو مبدأ تشجيع ال...

* استاذ أصول التربية - كلية التربية - جامعة عين شمس

و ـ الإطلاق

كان السوفسطائى إذن ينادي بأن للفرد أن يقرر غاياته في الحياة ، وأن يضع مقاييس السلوك التي يراها مناسبة لإنجاز هذه الغايات ، كما أن له أن يقرر مدى خدماته للدولة ، ومدى مراعاته للعادات القديمة والتقاليد والأخلاق ، وواضح من هذا أن مواجهة الخلل الاجتماعي القائم تقتضي من وجهة نظر هؤلاء بداية فردية ، ترتد إلى الفرد نفسه ، أي أن تربية الفرد بما يؤهله للنجاح انطلاقاً من معاييره الخاصة هي الوسيلة

التربية جهد قومي عام

لقد أفزع هذا سقراط الذي أطلق عبارته الشهيرة (اعرف نفسك) مشيرا بذلك إلى ضرورة البدء بدراسة كل إنسان لذاته ، مما يشير إلى فردية نقطة الانطلاق عنده ، إلا أنه سار خطوات إلى الأمام ، متقدما على السوفسطائيين بإلحاحه على ضرورة الوصول إلى معايير عامة موضوعية ، تتيح إطارا قيميا أخلاقيا ، يقوم على المعرفة ، وأن هذا هو السبيل لدحر الاضطراب القيمي والخلل السلوكي ، فالعمل التربوي هنا يبدأ بالفرد ، لكنه يتجه إلى المجتمع

وإذا كنا نقول إن تلك من غير شك كانت خطوة تقدمية ، إلا أن الخطأ الذي وقع فيه سقراط هو تصوره أن مجرد (التعليم) لابد أن يؤدي إلى (التربية) ، أي أن معرفة الفضيلة تؤدي حتما إلى السلوك الفاضل ، لأنها قد تؤدي إلى ذلك ، لكنها ليست مؤدية إليه (بالضرورة) ، فالسلوك الفاضل هو الذي يحتاج بالضرورة إلى (معرفة) ، وإلى (تعليم) ، لكن ما الذي يضمن لنا السلوك الفعلي ؟ فليس منا من لا يعرف قيمة الصدق وفضيلته ، لكن هل منا من لم يكذب بصورة أو بأخرى ، حتى لو كان هذا الكذب معلقا أحيانا بذلك الغلاف الرقيق المسمى (الكذب الأبيض) ؟؟

ثلاث طبقات

تلميذ سقراط النابه أفلاطون خطوة أكثر تقدما ، ينظر إلى العمل التربوي جهدا قوميا عاما ، وليس عملا فرديا ، حتى لو قام على أسس موضوعية عامة ، فصحيح أن الإنسان لكي يسلك فلابد أن يعرف ، لكن ضمان السلوك لا يمكن أن يتم إلا في مجتمع يقوم على العدالة ، وتلك كانت نتيجة غاية في الروعة وصواب الرأي ، لكنه مع الأسف الشديد أخطأ الوسيلة إلى ذلك فكيف ؟

لقد تساءل أفلاطون كيف يصبح العدل المطلق أساسا للحياة الاجتماعية ؟ وأجاب بتقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات لكل طبقة نظام تربوي خاص ، وهذه الطبقات هي

أ) طبقة المنتجين وتشمل الزراع والصناع وأصحاب المهن ، ووظيفتها تحصيل الغذاء ، وتموين الجماعة ، وفيها « ميل إلى الشر »

ب) طبقة الجند وعليها توسيع رقعة المملكة ، وحفظ كيانها ، ودفع الغارات عنها

جـ) طبقة الفلاسفة ولها الزعامة الفكرية ، وولاية الحكم ، وعليها أن توفق بين العناصر المختلفة ، حتى ينقطع كل واحد لتأدية الواجب عليه ، وإذ ذاك يسود العدل ، وتتحقق السعادة

اساس التربية

يمكن عن طريق نظام تربوي عام يدخل الفرد فيه منذ طفولته الكشف عن (المعدن) الذي يتكون منه ، من خلال ما يمر به من امتحانات في نهاية كل مرحلة من مراحله ، فإذا ما التزمت كل طبقة بالوظيفة المؤهلة لها ساد العدل في المجتمع ، فإذا ما حاول التجار أن يسيروا مقاليد الحكم فسد المجتمع ، وإذا ما استولى العسكريون على السلطة فإن مآل المجتمع إلى الظلم ، والفلاسفة والمفكرون وحدهم هم القادرون على قيادة المجتمع ، في مناخ يسوده العدل والوئام والانسجام

فالجهد التربوي وإن كان جهدا قوميا عاما ، إلا أنه قام على منطلقات فلسفية ، تمتلىء بالثغرات ، وليس هنا مجال للإشارة إليها ، كما أن الغاية من هذا الجهد ، على الرغم من أنها تتجه أيضا إلى المجتمع كله ، إلا أن ما اصطنعه من وسائل وأساليب من شأنها أن تودى به ، والوسائل كما نعلم لابد أن تتكافأ

شد فا مع غاياتها ؟!

ولا نود بطبيعة الحال أن نستطرد ، فنثقل على القارئ بقصة التربية على مر العصور ، ذلك أن « الحكاية » قد استمرت وامتدت عبر التاريخ ، لتضم عدداً كبيراً من المفكرين ، كل منهم يكون عادة مهموما بمجتمعه ، ومشكلاته ، وقضاياه ، وآماله ، وطموحاته . فيتأمل ويدرس ويشخص ، وكثيراً ما يخلص إلى نتيجة مشابهة . وهي أن التربية دواء ناجع وأن التعليم هو الشافي . بل إننا لنتذكر أن « بروسيا » بعد هزيمتها من نابليون ، وجه فيلسوفها الكبير (فخته) سلسلة نداءات إلى الأمة الألمانية مؤكدا فيها أنهم إذا كانوا قد ألقوا السلاح ، إلا أن هناك « سلاحا آخر » لا يستطيع أحد أن يحتلها ، تتمثل في عقول الألمان وقلوبهم ، وأن السلاح الذي لم يلق بعد ، والذي عن طريقه يمكن لهم أن يذودوا عن حياضهم هو « التربية الحقة » ؟

التربية في العصر الحديث

وفي تاريخ مصر الحديث ركبت الحركة الوطنية على الجهد التربوي ، وسيلة تتوسل بها إلى التغلب على الاستعمار البريطاني ، بحيث كان مصطفى كامل يحتفل كل عام (بما يشبه عيد العلم) بخريجي بعض المدارس التي أنشأها ، ومن المعروف أنه هو الذي أطلق الشرارة الأولى لانشاء جامعة أهلية ، تعد القيادات الوطنية القادرة على الوقوف في وجه المحرب الانجليزي ، بل لقد ذهب إلى حد القول بأن الانجليز إذا تركوا مصر طوعا أو كرها ، وظلت البلاد على ما كانت عليه من الجهل ، فسوف يظل الاحتمال قويا بعودة الاحتلال مرة أخرى

ومن المعروف أن الخلاف الذي حدث بين محمد عبده والأفغاني ، كان يدور حول أن الأول ينهج نهجا (إصلاحيا تربويا) ، بينما كان الثاني يريد نهجا ثوريا

ولعل هذا ـ وأمثلة غيره أكثر من أن تعد وتحصى ـ كان سببا في أن تتجه أصابع الاتهام إلى المربين ، وبخاصة عندما تضيق بالمجتمع السبل ، وتتكاثر عليه الهموم والمشكلات ، حتى بالنسبة لبعض المشكلات والظواهر ذات الطبيعة المادية

بل أحيانا نسمع بعض الأصوات التي ترتفع أعقاب الهزيمة العسكرية بأن السبب لا يرجع نقص في السلاح والعتاد ، صحيح أن السبب لم يكمن في الأساليب والتكتيكات والاستراتيجيات لكننا حتى إن أحسنا وضع هذه الأساليب والتكتيكات والاستراتيجيات ورسمها ، فإنها مع الإعداد الجيد للانسان بالتربية المختلة ، يصبح كل هذا هباء ... رماد

ومن العجيب حقا أن نرى بعض المؤسسات ... من ضعف العاملين بها وهم من خريجي الجامعة ... الجدد ، مما يجعلها توجه أصابع الاتهام إلى الجامعة لأنها لم تحسن إعداد الكوادر) القوة القادرة على الإنتاج والخدمة ، فيبحث المختصون في الجامعة الأسباب . فإذا بهم ـ غالبا ـ يقذفون بالكرة ... المدرسة بادعاء أن الجامعة تتلقى نوعيات من الطلاب الذين أسيء توجيههم وإعدادهم في المدارس ... بحيث يصبح صعبا عليها أن تحسن تشكيلهم وإعادة تكوينهم . فكأننا في داخل النظام التربوي نفسه يحاول كل قطاع أن ينفي عن نفسه التهمة ... في شبكة المدرسة

ليس بالتربية والتعليم وحدهما

والذي نود قوله هنا أننا نظلم التربية كثيرا عندما نتصور أنها وحدها هي القادرة بالفعل على مواجهة ما يعانيه المجتمع من مشكلات وآفات • يمر به من أزمات ، وذلك للأسباب التالية

١) التربية أولا ليست مسئولية المؤسسات التعليمية المختلفة ، مثل المدارس والمعاهد والجامعات وما يتصل بها من مراكز وفروع ... يطلق عليه (التربية المدرسية) ذلك أن ... المواطنين يخضع لمؤثرات عديدة ، وهو إذا ... بجهاز استقبال ، فإن هناك عشرات من أجهزة الارسال تعمل عليه ، تأتي في مقدمتها أجهزة الإعلام الحديثة من تلفاز وإذاعة وصحف ومجلات ... السينما والمسرح والأندية ودور العبادة ... حياة الانسان بـ ٦٠ عاما ، فإنه يقضي ...

سنوات التعليم من الصف الأول الابتدائي الى نهاية التعليم الجامعي ، ما يقرب من ١٦ عاما ، يعني ذلك أنه يقضي خارجها ٤٤ عاما ، فكيف نحملها مع ذلك المسئولية الكبرى ؟ فإذا ما عرفنا أنه يقضي ربع الـ ١٦ سنة في عطلات عادة ، يبقى ١٢ سنة وبالطبع فهو لا يقضي اليوم كاملا بالمدرسة ، بل في أحسن الأحوال يقضي ما متوسطه ٦ ساعات ، أي ربع اليوم ، وبالتالي فالمدة الحقيقية التي يقضيها الانسان بالمدارس والجامعات لا تزيد عن ٣ سنوات ميلادية ؟ فلنقارن اذن أثر ثلاث سنوات بمؤثرات أخرى تمارس عملها طوال ٥٧ سنة . ألسنا نظلم التعليم بذلك ظلما فاحشا ؟؟

٢) يتناول فعل التربية جوانب ثلاثة في صياغة وتشكيل الانسان جانب معرفي ، وجانب مهاري ، وجانب وجداني ، الأول يتمثل في جملة الحقائق والمعلومات التي تحويها قطاعات المعرفة المختلفة مثل التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والكيميائية وهكذا والثاني يتعلق بالأساليب والوسائل المتمثلة في مهارات القراءة والكتابة واللغة ، وعديد من المهارات العملية المختلفة والثالث يتصل بالقيم والاتجاهات

وإذا كانت المؤسسات التعليمية تستطيع أن تفعل الكثير في الجانبين الأول والثاني ، فإن جهدها متواضع بالنسبة للجانب الثالث ، وهو أخطر جوانب ، فهو الذي يشكل الدوافع والغايات وأساليب العمل واتجاهاته صحيح أن الجمهرة الكبرى من المربين تعي تماما ضرورة التكامل بين هذه جوانب الثلاثة ، إلا أن المستوى التطبيقي ينبيء عن جهد متواضع في المجال الثالث ، خاصة أن جانبي الأول والثاني يستهلكه معظم الجهد

البيئة والمجتمع

٣) التربية ماهي إلا نظام ضمن منظومة ضخمة هو المجتمع . تضم عددا من النظم الأخرى ، مثل النظام الاقتصادي ، والنظام السياسي ، والنظام ... والنظام الثقافي وهكذا يتأثر بها ويعمل ... خلالها ، بل إنها هي التي تفرض أحيانا المعطيات التي يتعامل بها ومعها . فالنظام السياسي عادة يضع الأهداف ، ويرسم الفلسفة التي تشكل المناهج والمعاهد لتحقيقها ، والنظام الاقتصادي يحدد مقدار الميزانيات وأوجه الانفاق ، مما يلعب دورا أساسيا في حجم العمل التربوي ، والنظام الأسري هو الذي يفرز الأولاد والبنات وحجم المادة الرئيسية التي يعمل عليها النظام التربوي ، ومن الخطأ الظن بأنهم يأتون الى المدرسة وهم (صفحة بيضاء) ، فهم عادة يجيئون بعد السنوات الست الأولى من العمر ، تلك التي يكتسب الإنسان فيها عادة الدور الأساسية لكثير من جوانب شخصيته

كذلك فان الطبقة المسيطرة هي التي توجه التعليم وفقا لمصالحها الخاصة ، ولا تسمح به للآخرين إلا بالحد الذي لا يهدد هذه المصالح ، وبالطريقة التي تحكم بها هذه الطبقات بحيث لا تخرج عن حدودها

نقول هذا ونحن بالطبع على وعي بأن النظام التربوي نفسه يعود فيؤثر على هذه النظم ، كأن يمد النظام الاقتصادي بالكوادر الفنية المختلفة وهكذا إلا أن هذا لا ينفي المقولة الأساسية التي نذهب إليها ، وهي أن هذه الوضعية تجعلنا ننظر إلى النظام التربوي كمجموعة عازفين على نوع معين من الآلات في فريق موسيقا لا قيمة ولا فاعلية حقيقية له إذا لم يكن هناك تنسيق عام .

٤) ليست « الأخلاقيات » من الأمور التي يسهل ايجادها بقرارات وقوانين ولوائح ، ومجرد « الوعظ » و« النصح » لا ينشئها ، لأنها « إفراز » للبنية العامة للمجتمع ، إن كان خيرا فخير ، وإن كان شرا فشر ان المواطن الذي يعيش في مجتمع زراعي تقليدي ، يجد « التراب » والحشرات والطين وروث البهائم جزءا أساسيا من بيئته ، ولا يلحظ ضررا مباشرا لها عليه ، بل ويستفيد من بعضها (روث البهائم يستخدم كوقود بعد تجفيفه) ، ولذلك فان النظافة عنده لا تعني نفس ما تعني لمواطن آخر ، يعيش في مجتمع صناعي متقدم ، لا يرى في بيئته شيئا من هذا ، بل ان بعض

(التراب) ربما يتسبب في تعطيل أجهزة وآلات تقدر بالملايين ، ونفس الشيء بالنسبة للمحافظة على المواعيد

ومن ثم فإذا كان المجتمع تقوده عصبة من المرتشين واللصوص ، وإذا كان المجتمع تسوده علاقات الاستغلال والقهر ، وإذا كان المجتمع لا يكاد يخرج من حرب إلا ويجد نفسه مقبلا على حرب أخرى يصبح من العبث أن يقف مرب - مهما أوتي من القدرة على التأثير والبيان والأساليب ، لينصح (بالأمانة) و (الورع) و (الوفاء بالعهد) وما إلى ذلك

موظفون وحوار

٥) ثم إن النظام التربوي رغم أنه كالنظم الأخرى ـ جزء من جسم المجتمع - إلا أنه في العصر الحديث خاصة ، بدأ يفقد استقلاله ليتسم بالتبعية في أغلب الأحوال ، فالكم الأكبر من أجهزة التعليم ومؤسساته أصبح ملكا للدولة ، وهي التي تنفق عليه ، وهي التي تستخدم خريجيه ، مما يجعل لها دائما اليد العليا ، بحيث يعجز المربي أن يقرر ما يرى أنه الأصوب خارج السياسة التي ترسمها الدولة له ، ولعل من أبرز الأمثلة التي يمكن أن تبين ذلك ، ما كان عليه الأزهر عندما كانت له أوقافه التي يمول بها ذاته ، ولعلمائه أن يختاروا شيخهم ، ففي هذه الفترة كان له من حرية الحركة ما مكنه أن يقود حركات الاصلاح في المجتمع ، بل ويقود شيوخه جيوش الثورة ويرهبون الحكام والمستبدين ، حتى اذا فقد موارده الذاتية ، وتحول علماؤه وشيوخه إلى (موظفين) تختارهم الدولة وتعينهم ، فقد الكثير من قياديته

وهكذا نجد أننا نظلم النظام التربوي كثيرا ، عندما نبالغ ونلقي على أكتافه العديد من المسئوليات التي تشترك معه نظم أخرى في تحملها ، حتى إذا انهلنا عليه بسياط النقد وهنا نجد أننا إذا حاولنا نبحث لماذا تعثرت جهود مصلح كبير مثل محمد ... الذي تبنى منهج الاصلاح التربوي ، فسوف نجد ... قد أخطأ كثيرا عندما تصور امكان تحقيق ما يريد ... ظل احتلال يمسك بقبضته الحديدية على القـ... السياسية ، ويفرغ البلاد من قدراتها العسكر... ويطحن اقتصادها بأساليب الاستغلال ، ولعل ... ما يذكرنا برد الأفغاني عليه عندما طرح منهج... « اذهب إنما أنت مثبط »

الداخل والخارج

إن عددا غير قليل من التربويين ترتفع أصوا... الآن ، بأن مواجهة المشكلات التي يعاني منها النظا... التربوي نفسه لا يمكن أن تتم من داخله ، بل لا ... من أن يجيء ذلك من خارج ، ففي بعض المناط... المتخلفة عندما توجه جهود لمحو الأمية مثلا ، لا يُقبل عليها الناس ، مما يجعل البعض يعكف على أساليـ... التربية ومناهجها ونظمها واقتصادياتها ، بحث عن صور فعاليات أكثر ، بينما لو وجهت الجهود الى الـ... الاجتماعية لتطويرها اقتصاديا مثلا ، فسوف تبر... الحاجة الفعلية الى التعليم ، ويسعى الناس الى طر... أبواب التعليم مهما كانت صعيمة

ولعل هذا أيضا يفسر لنا تلك الظاهرة المألوفة ... البلدان المتخلفة عندما يتعلم عدد من أبناء قرية ... يهجروها للاقامة في المدن ، مما يحرم القرية ... فرص التطور ، ويفرغها دائما من امكاناته ، ذلك لأن بنيتها الأساسية عادة تظل كما هي ، بحيث إذ... حرؤ متعلم تعلما متقدما على البقاء فيها ، فانه لا ... فرصة لممارسة ما تعلمه وتوظيفه ، بل يعلوه الصد... والجمود □

● لاتركل ماتراه عينيك ، ولاتسمع كل ماتسمعه اذنك (شكـ...)

● ماتريد نيله بالارهاب ، يسهل عليك بالابتسام (ستيو...)

مكتب المتابعة

المسابقة الثالثة في البحث الاجتماعي

في إطار الاحتفال بالأسبوع العربي الخليجي الثالث للعمل الاجتماعي، المقرر إقامته في المملكة العربية السعودية خلال شهر شعبان ١٤٠٩هـ الموافق لشهر مارس ١٩٨٩م يسر مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية أن يطرح المسابقة الثالثة في البحث الاجتماعي.

تهدف المسابقة إلى دعم حركة البحث العلمي وتشجيع المهتمين والمشتغلين في الحقل الاجتماعي والإنمائي على الإسهام في دراسة القضايا والمشكلات والظواهر الاجتماعية في الدول العربية الخليجية السبع الأعضاء في المجلس، وهي الإمارات العربية المتحدة والبحرين والمملكة العربية السعودية والعراق وسلطنة عمان وقطر والكويت.

شروط المسابقة:

- أن يعالج البحث إحدى القضايا أو الظواهر الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي الخليجي. ويمكن أن يغطي نطاق وموضوع البحث الدول العربية الخليجية السبع مجتمعة ودولة واحدة أو أكثر من الدول الأعضاء.

٢ـ أن يتوفر للبحث الشروط العلمية المرعية.

٣ـ ألا يكون البحث قد فاز بجائزة في مسابقة أخرى.

٤ـ ألا يكون المتقدم للمسابقة قد فاز بجائزة من جوائز هذه المسابقة من قبل.

٥ـ ألا يكون البحث قد تم تقديمه من قبل لنيل درجة علمية أو أكاديمية.

٦ـ ضرورة أن تتم الإشارة إلى ما إذا كان البحث المقدم قد سبق نشره في إحدى المجلات المتخصصة أو عرضه على أحد المؤتمرات أو اللقاءات.

٧ـ ألا يزيد عدد صفحات البحث عن ١٠٠ صفحة فولسكاب، وأن يرفق به ملخص من حوالي ٥٠٠ كلمة.

٨ـ آخر موعد لاستلام بحوث المسابقة هو ١٧ محرم ١٤٠٩هـ الموافق ٣٠/٨/٨٨

٩ـ لمكتب المتابعة حق نشر البحوث الفائزة وفقاً لما يراه مناسباً.

١٠ـ البحوث التي لم تفز في المسابقة سوف لن تعاد لأصحابها.

١١ـ ترسل ثلاث نسخ من البحث مطبوعة أو مكتوبة بخط واضح، باللغة العربية وذلك على العنوان التالي:

مكتب المتابعة ـ ص.ب ٢٦٣٠٣ ـ البحرين

١٢ـ سوف تمنح لأصحاب البحوث الثلاثة الفائزة في المسابقة شهادات تقديرية وجوائز مالية موزعة كالتالي:

الجائزة الأولى: (٢٠٠٠) دينار بحريني، ما يعادل (٥٢٠٠) دولار أمريكي

الجائزة الثانية: (١٥٠٠) دينار بحريني، ما يعادل (٣٩٠٠) دولار أمريكي

الجائزة الثالثة: (١٠٠٠) دينار بحريني، ما يعادل (٢٦٠٠) دولار أمريكي

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم / حسين أحمد أمين

قوله تعالى (يومئذٍ يصدُرُ النّاسُ أشتاتاً ليُرَوْا أعمالهم فمن يعمل مِثقالَ ذرّةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرًّا يره) الزلزلة (٦ - ٨)

في تفسير الفخر الرازي نزلت في رجلين، كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة، ويقول ماهذا بشيء، وإنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه! وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالغيبة والكذبة والنظرة، ويقول ليس علي من هذا شيء، إنما أوعد الله بالنار على الكبائر، فأنزل الله عز وجل يرغبهم في القليل من الخير، فإنه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب، فإنه يوشك أن يكثر

جاء الاسلام ومجتمع شبه الجزيرة العربية يعاني أشد المعاناة من أمرين فوضى في الحياة الروحية والدينية، ومظالم فادحة في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وقد ربطت السور القرآنية منذ البداية بين مبدأي التوحيد والمساواة بين البشر، وأكدت الصلة الوثيقة بين التقوى وبين العدل، والمعروف والاحسان، وضرورة الجمع بين الايمان بوحدانية الله والعمل الصالح وقد حفلت السور المكية بالآيات التي تحض قريشا على البّر، وتحررهم أن أموالهم حقا معلوما للسائل والمحروم، وبسائر اطعام المسكين، والرحمة في معاملة اليتامى والأسرى وأبناء السبيل، وفك الرقاب، غير أن أهل مكة أن يعيروا هذه الآيات التفاتا، واستكبروا أن يأتي من يرشدهم إلى أوجه الانفاق من ثرواتهم وما يوسع النبي عليه الصلاة والسلام طوال مدة إقامته بمكة أن يفرض على أهلها من النظم ما لا ترضاه أنفسهم

أما في المدينة فقد اختلف الوضع، وبات بمقدوره أن ينفذ من الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية تقبله المهاجرون والأنصار بالرضا فهو فرض الزكاة على الموسرين، وحرم الربا، وأوى الى وكبارُ الصحابة فقراء المسلمين وضعفائهم كبيرة، وأشرفوا على توزيع الصدقات ... تنفيذ ما أمر القرآن أمة المسلمين بالعمل ...

غير أنه الى جانب الميادين التي ...

تطبيق التشريعات الجديدة فيها ، كان ثمة أخرى مما يتطلب نضجا أكبر ، ووعيا أعمق ، مما توفر لعامة المسلمون في تلك الحقبة من تاريخهم ، وهم حديثو العهد بالجاهلية ، وهنا في هذه الأخيرة لم يرد تشريع ، وإنما اكتفى القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام ببيان الاتجاه الذي ينبغي على الفرد والمجتمع أن يسيرا فيه ، وأن يعملا قدر وسعهما على تبيه ، فإن كان القرآن الكريم قد أقر حقوقا أوسع للنساء والرقيق مثلا ، فلا شك أن روح الآيات تشير بوضوح إلى الطريق الذي يجدر بأمة المسلمين أن تنهجه في المستقبل بصددهم ، ألا وهو تحقيق المزيد ، فالمزيد من حقوق المرأة واستئصال شأفة الرق ، وهما أمران ما كان عامة المسلمين في زمن الرسول قادرين على تفهم حكمتها ، أو تبين جدواها

ففي مثل هذه الميادين إذن نجد في القرآن والسنة النصح والتوجيه ، لا التشريع ، والوعد بالأجر والثواب ، لا التهديد بالعقاب والتقريع ، ومبادىء الأخلاق ، لا أحكام القانون وبوسع الأمة متى نضجت بمرور القرون ، واتسعت مداركها ونطاق خبراتها ومعارفها ، وعمق فهمها لأغراض القرآن وغاياته وأخلاقياته ، أن تحقق هذه الغايات تتبي مالم سه الأولون ، وبفتح الأبواب التي أعطانا القرآن الكريم مفاتيحها ، وأرشدنا الى كيفية استخدامها

غير أن المسلمين ـ في ظننا ـ لم يفعلوا ، بل ساروا بعد . من النبي والخلفاء الراشدين في طريق لا يتفق في كثير أو قليل مع المقاصد القرآنية ، فقد أدت الفتوحات الاسلامية مثلا إلى زيادة رهيبة في عدد الرقيق ، وفي عدد الجواري والاماء ، وهي زيادة أدت سيان هدف تحرير العبيد (فك الرقاب) ، وأس . إلى وضع الحرائر ، وانتقصت من حقوقهن وحريتهن كذلك فإنه بدلا من أن يكرس علماء المسلمين الجهد في سبيل النظر إلى القرآن نظرة شاملة باعتباره وحدة متكاملة ، ثم الخروج بعد ذلك بما قد نسميه « أخلاقيات القرآن » ، يصوغونها في نظام شامل ، يتخذونه أساسا لوضع قواعد الشريعة ، رأيناهم يتصدون للآيات فرادى دون أن يلقوا بالاً لروح القرآن في مجموعه ، ويستخرجون منها ومن السنة أحكاما متناثرة ، لا يجمع بينها رابط أو صلة عضوية ، وينسون أو يتناسون أنه حتى بصدد الشعائر الاسلامية كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، كانت ثمة أغراض اجتماعية واقتصادية ، وأبعاد سياسية بالغة الأهمية ثم إذا بهم بعد قرون قليلة يغلقون باب الاجتهاد بدعوى أن كافة المسائل الرئيسية قد تمت مناقشتها جملة وتفصيلا ، ووضعت الحلول النهائية لها ، فلا يحق أن يوصف أحد منذ ذلك الوقت وإلى أبد الآبدين بأنه أهل للاجتهاد

وفي رأينا أننا كنا وما نزال في أمس الحاجة إلى الاجتهاد ، خصوصا فيما يتصل بالأخلاق القرآنية فإن كانت الآية التي تتحدث عنها تشير الى محاسبة دقيقة للبشر عن أعمالهم ، كبيرها وصغيرها ، دون تفصيل لما يندرج في مضمار الشر ، ودون تحديد لكل ماهو أهل للمثوبة أو العقاب ، فالواضح أن الله سبحانه وتعالى قد ترك للمؤمنين مهمة استشفاف كنه إرادته ، ومفهوم الأخلاق الاسلامية من روح الكتاب المبين ، وسيرة رسوله الكريم ، ومن الخطوط الرئيسية العامة في القرآن والسنة ، كما ترك لهم تحقيق المقاصد التي ألمح إليها دون أن يورد أحكاما بصددها ، وذلك على ضوء مدى نضج أهل كل زمان ، واحتياجات كل عصر ومشكلاته وتحدياته □

تقارير عن حالة مرضية

قصة بقلم الدكتور : هاني الراهب

■ التقرير الأول .

عن الفتى الـذي أحلتمـوه اليـا للفحص الـطبي ، بغية التـأكد من ادعـائه التعب ، نفيدكم ما يلي ان الفتى محمد يوسف الكمالي ، عضو وحدة الفتيان الفنية ، خالي الجسم من أية أمراض وقد قمنا بجميع الفحوص والتحاليل اللازمة ، البولية والدموية منها والجرعية ، فلم نعثر على أي أثر يشير الى أن أنسجته وخلاياه تشكو من التعب أو نطير التعب أو امكانية التعب ان بدنه يقوم بوظائفه العضوية والحيوية على أكمل وجه ، كما أنه يتلقى ما يحتاج اليه من غذاء ونوم ورعاية ونظرا للتناقض الصارخ بين ما وصلنا اليه عن حالة الفتى الصحية وبين ادعائه الارهـاق والعجز عن متـابعة البرنامج الفني المعروف للوحدة . وخوفا من أن نكون مخطئين في تحليلنا وتشخيصنا ـ فالأمانة العلمية مطلوبة دائما ـ قمنا بزيارة لرفاقه في الوحدة . وطلبنا منهم بعض المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع وكان الفتيان متعاونين اتم التعاون . وذكر لنا كل على حدة معلومات متطابقة مع معلومات رفاقه ومع مكتشفاتنا السريرية إن هذا كله يتعلق بالحالة البدنية للفتى محمد يوسف الكمالي ، وليست العقلية

■ التقرير الثاني

عن الفتى الذي أحلتموه الينا بغية التاكد من سبب وقوعه مغمى عليه وهو يقوم بدوره في البرنامج الجديد لوحدة الفتيان الفنية ، نفيدكم ما يلي أن الفتى محمد سليم الخيرودي متعب فعلا ، وإلى درجة تستلزم انقطاعه عن العمل لمدة عشـرة أيام ، رغم مانعرفه عن ضرورة بقائه في وحـدته طوال فصل المهـرجـانـات والأعيـاد ويعـود السبب اليه هـو شخصيا فقد شاء ، ودون سبب مقبول أن يتستر على تعبه ، ورفض مـراجعة الـطبيب بشأن حس سخيف يراوده بأن أحدا مايسرقه ، مع أن بعض

رفاقه بضحه بمراجعة الطبيب ، وحذره من سوء العاقبة ، وخاصة الاضطراب الذي يمكن أن يصيب موسم المهرجانات والبث التلفزيوني وهكذا استفحل تعبه وتأصل ، بسبب تكتمه وقد حاولت ان أتبين كيف لهذا الوهم ان يفرخ هذا التعب ، فلم يظهر لدي أي خلل في وظائفه العضوية والحيوية ، مما يجعل هذا التعب ظاهرة علمة محيره فعلا ، وإن كنا نأمل بإذن الله التوصل الى سرها وماهيتها

■ التقرير الثالث

عن الفتى الذي أحلتموه الينا بغية التأكد من تلكئه أثناء عرض البرنامج الفني لوحدة الفتيان ، نفيدكم ما يلي في الفحص الطبي الاول تبين لنا أن الفتى محمد سيف الدين حعباوي ، عضو وحدة الفتيان الفنية ، يشكو فعلا من التعب ، وان هذا التعب واصل الى درجة الإرهاق ، رغم ان الأشعة والتحاليل لا تعاني من مرض محدد بعينه وكان هذا الفتى قد أسلم الى حالته الصحية الجديدة ولكنه بادر الى مراجعة أطباء يعملون خارج الوحدة وقد افادنا رفاقه أنه لم يخبر احدا بهذا التصرف العريب لشاد ، وانهم اكتشفوه بوسائلهم الخاصة ولسوء الحظ ، لم يستطع هؤلاء الأطباء مساعدته او التخفيف عنه ، او حتى معرفة كنه مرضه . رغم اهتمامهم البالغ فيه بكل ذلك ولدى زيارتي الثانية للفتى وجدته ممددا على سريره في المهجع الفني إن مرضه ما يزال غامضا تماما . وأن موته لايمكن أن يفسر الا بكونه قضاء من الله وقدرا عز أنني لا أستطيع ان أوصي بدفنه الآن في الستة والفينة يحيل الى أن قلبه ينبض نبضا لا يمكن تحسسه في الاحوال العادية

■ التقرير الرابع

عن الفتى الذي أحلتموه الينا لفحصه بعد انتحاره . نفيدكم ما يلي بعد التحريات ، تبين لنا أن الفتى محمد ماجد درمامي أقدم على الانتحار فعلا ، وبملء ارادته وتصميمه ، دون ان ... الانتحار أحد من رفاقه أو مرؤوسيه او ... أسباب حياته وبعد التحريات تبين لنا ايضا ... يشكو من ورمة في جبينه بحجم حبة الكرز ... عندما يكون وحيدا أو شبه وحيد ، ويختفي ... يختلط مع الآخرين ومن المؤكد ان هذه الو... كانت لتستعصي على المعالجة الطبية ، لكن ... المنتحر لم يشأ أن يعرضها على الطبيب ، متعمد... نحو يشير الاستعراب أن الطب لا يستطيع ... قهرها وبعد التحريات تبين لنا ان ظهور ... كان يخلق في الفتى المنتحر أزمة عصبية متوترة و... سوداويا ، فيتلكأ في التدريبات الفنية ، وينسى ... أو بعض العبارات في دوره ، ويعجز عن ... المبدع مع رفاقه ، وحتى عن مجرد الانسجام ... رفاقه يرون ذلك ولا يصدقون ، نظرا لان ... المنتحر كان الأكثر مرحا ونشاطا وانتاجا ... ايمانا ببرنامج وحدة الفتيان الفنية وبرسالة ... عامة .

■ التقرير الخامس

عن طبيب وحدة الفتيان الفنية ، الدكتور ... صادق الرمتاوي ، الذي أحلتموه الي بلحظ... موته المفاجيء ، نفيدكم بما يلي لم يكن ... يشكو من أي مرض معين على ما يبدو ... احزم أن موته الغامض هذا ليس انتحارا ... انتفاء الكدمات والرضوض والكسور ... من أية عقاقير أو محلولات تسبب الوفاة ... أن أحزم أيضا أن بدنه خال من أي خلل ... او عطب في الأنسجة والأجهزة وهذ... المرحوم قد توفي قبل الأوان وكذلك فمن ... لا يكون أحد قد تسبب في موته ، ... ومقبول هو ان موته اقترن برسالة كتبها ... وأرخها يوم الوفاة نفسه ، والرسالة تنفي ... الموت والتسبب فيه عن أي من أقرانه ، ... وخاصة رفاقه في الوحدة والشيء العر...

لم يحدث لأحد من قبل ، أنه كان عارفا بدنو أجله وهو في حالة عالية من الوعي والصحة ـ علما بأن موته ، كما سبق وأكدنا ، لم يكن انتحارا

■ التقرير السادس

عن طبيب وحدة الفتيان الحديد ، الدكتور محمد رسيح تمتاري ، الذي أحلتموه اليّ للنظر في أمر موته المفاجىء ، لحظة شاهد عناصر البرنامج الفني لوحدة الفتيان يتهاوون على الأرض فاقدي الوعي ، نفيدكم ما يلي من الفحوص الأولية تبين لنا أن المرحوم الدكتور تمتاري توفي بالسكتة القلبية اثر مشاهدته لأبنائه الفتيان ، الذين كان قد فحصهم قبل ساعتين ، ينهارون على الأرض بلا حراك إن هذا لدل على عظيم احساسه بالمسؤولية ، فرغم تأكده أن أحدا من الفتيان لايشكو من أي مرض على الاطلاق ، ومع أن ما حدث لا يدمغه بأية مسؤولية ، كان حسه بالفاجعة من القوة حيث أودى بحياته ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم قل لن يصيبكم الا ماكتب الله لكم

■ التقرير السابع

بعد معاينتي للمرحوم الدكتور تمتاري ، عاينت الفتيان الذين أحلتموهم اليّ للنظر في أمر إغمائهم المفاجىء ، فلم يتبين لي أي شيء إن حالة هؤلاء الفتيان تخرج عن دائرة علمي وخبرتي ، وخاصة سقوطهم كلهم في لحظة واحدة لقد استعملت فيهم كل ما ابتكره العلم الحديث من منبهات ومنشطات ومعششات ومنشطات ولكن دون فائدة انهم جثث هامدة جميع وظائف البدن العضوية والحيوية عندهم معطلة خاصة دوران الدم لكن الشيء الوحيد الذي يحول دون تقديم شهادة وفاة باسمهم ، هو أن قلوبهم ما تزال تنبض

●

إهداء

● يعترف الدكتور طه حسين بأن زوجته كانت وراء كل أعماله الكبيرة ، بل وراء حياته الناجحة كلها ، ويخاطب زوجته التي أهداها كتابه الضخم « مع المتنبي » بادئا بقوله تعالى « ومن اياته أنْ خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

صدق الله أيتها الزوجة الكريمة ، وتمت كلمته ، ففي ظل هذه المودة درست هذا الشاعر العظيم ، وفي ذرا تلك الرحمة أمليتُ هذه الفصول ، وإن قلبي ليملؤه البر ، ويغمره الحنان حين أذكر ما كنت تبذلين فيه أثناء ذلك من حث لي على الراحة ، ورغبة إلى في التروض ، وإلحاح علي في الاستمتاع بنعيم الحياة ، وجمال الطبيعة في جبال الألب ، وما كنت تلقين به عطفك من إباء وإعراض ، وما يثور في نفسك من غضب مصدره الرحمة والاشفاق ، وإني لأعلم أني كنت في ذلك قاسيا جافيا ، ولكني أعلم أني مدين لهذه الجفوة ، بتلك القسوة بهذا الكتاب ، فأذني لي في أن أقدمه إليك ، لعله ينسيك من ذلك مالا تزالين تذكرين

مغامر يكتشف قارة في الشرق الأقصى السوفيتي!

استطلاع :
سليمان الشيخ
تصوير :
طالب الحسيني
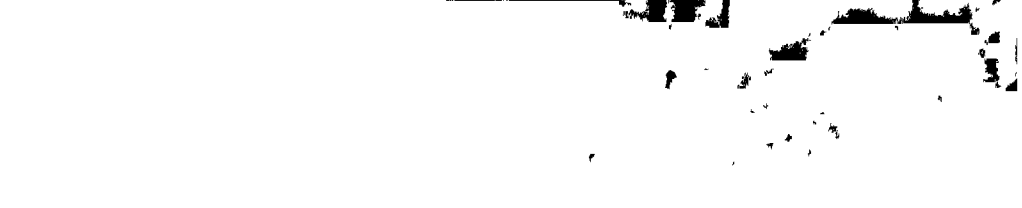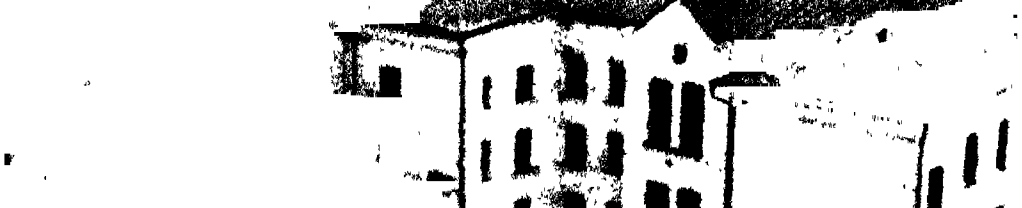
إن حلقت بالطائرة من الكويت مدة تزيد على ست ساعات متوجها إلى الاتحاد السوفيتي ، وقطعت حوالي خمسة آلاف كيلومتر تكون قد وصلت مدينة موسكو عاصمة جمهوريات الاتحاد السوفيتي فقط

لكن وصولك إلى الشرق الأقصى السوفيتي ، وإلى مدينة خباروفسك على الأخص يحتاج إلى رحلة طيران أخرى تتجاوز مدتها ثماني ساعات . تبدأها من موسكو ، فتقطع مسافة تصل إلى عشرة آلاف كيلومتر ، وبذلك تصبح قريبا من جمهورية الصين الشعبية ، واليابان أيضا فكيف تم اكتشاف تلك المنطقة النائية ؟

لو راجعنا قائمة الاكتشافات والمكتشفين في شتى المجالات ، فإننا سنجد أن للمغامرة والمغامرين ، وكذلك للصدفة دورا مهما ، وأثراً بيناً ، وهكذا كانت رحلات ومغامرات قام بها فاسكو داجاما ، وكريستوفر كولومبس ، وابن فضلان ، وابن بطوطة ، وماجلان ، وغيرهم ممن ارتادوا البحار واليابسة والمحيطات بحثا عن عوالم ودنيا جديدة

وقد أفلحوا في توريثنا عوالم جديدة ، أدخلوها في قواميس حياتنا ، بعد أن كانت نسيا منسيا

وكما أن موجة الكشوف والاكتشافات كانت عنواناً على مراحل معينة في جنوب أوروبا ووسطها ، فانها حملت نفس السمات تقريبا في أطرافها أيضا

هكذا انطلق المكتشفون الروس في مراحل لاحقة لاكتشافات الأوروبيين الآخرين ، وولوا وجهتهم نحو الشرق ، فاكتشفوا امتدادهم السيبيري الرحب ، ثم خطوا خطوات أخرى ، جعلتهم يغسلون أرجلهم في المحيط الهادي

وكما أن الحافز الاقتصادي والمغامرة والمجد الشخصي وغير ذلك كانت وراء كثير من اكتشافات دول أوروبا الغربية حسب المصطلح السياسي السائد في هذه المرحلة من الزمن فان اكتشافات الروس لم تختلف عنها بشيء

شولوخوف المكتشف

إن شولوخوف التاجر المغامر وليس الأديب قد شارك مع غيره من التجار والمغامرين في الكشف عن ولاية الاسكا التي بقيت روسية ردحاً من الزمن ، ثم باعها أحد القياصرة بحفنة من الدولارات للولايات المتحدة الأمريكية !

وسيمون ديجنيف هو الذي اكتشف مضيق بيرنغ الفاصل بين قارتي آسيا وأمريكا ، وأطلق اسمه على أقصى نقطة في المضيق

أما خباروف ـ كان تاجراً مغامرا ـ فانه قد توجه نحو جنوب شرق سيبيريا ، وجعلها منطقة لعملياته ، وقد تميز عن غيره برسم خريطة للمنطقة بقيت زمنا طويلا معتمدة لدى الجغرافيين . وقد أطلق اسمه على مدينة من أكبر مدن المنطقة هي خباروفسك ، وسميت منطقة الاكتشافات الجديدة هذه شرق سيبيريا في البداية ، إلا أنهم اكتشفوا بعد ذلك أنها بحر متلاطم من المساحات ، تصل مساحتها إلى مساحة قارة أو تزيد ، فأطلقوا عليها إسم الشرق الأقصى السوفيتي ، وقسموها إلى جمهوريات ومحافظات ومناطق ذات حكم ذاتي ، داخل جمهورية روسيا الاتحادية بعد قيام ثورة سنة ١٩١٧ ، وهي جمهورية ياقوتيا ذات الحكم الذاتي (ألحقت بالمنطقة سنة ١٩٦٣) ، وأقاليم ومناطق خباروفسك ، وماري تايم ، وماغادان ، وكمشاتكا ، وسخالين وجزر كوريل ، ثم منطقة آمور

فما هو هذا الشرق الأقصى ؟ وكيف أصبح روسيا ثم سوفيتيا ؟ وما هي حكاية خباروف وخباروفسك ؟

شرق وأقصى

تصل مساحة الشرق الأقصى السوفيتي إلى حوالي ٦,٢١٥,٩٠٠ كيلومتر مربع ، أي ربع مساحة الاتحاد السوفيتي ، إلا أن هذه القارة الـ[illegible]

الـواسعة لا يـريد عـدد سكانها عـلى سبعة مـلايين ونصف مليون نسمة تقريبا ، تحتل الجبال ثلاثة أرباع هذه المساحة . كما أن الغابات تحتل ٤٠ / منها ، وفيها مئـات الأنهار ، وأكـبرهـا نهر ليـنـا وطـولـه ٢٩٣٠كيلومترا ، يليه نهر أمور وطـولـه ٢٧٤٠ كيلومترا ، وهو يسير على حدود الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي مسافة تزيد على ٥٠٠ كيلومتر

يحيط بالشرق الأقصى السوفيتي من الشمال بحر تشوكوتكا وبحر سيبيريا الشرقية ، وهـو من بحار المحيط المتجمد الشمالي ، ومن ناحية الشرق المحيط الهادي ، وبحاره بـرينغ وأوخـوتسك ، واليـابان ، ومن الغرب والشمال الغربي تمر الحدود على سلاسل جبلية ، أما في أقصى الجنوب فالحدود تتصل بحدود الدولة المحادية للصين والمحيط الهادي

ونظرا لاتساع هذه المناطق التي تصل مساحتها الى ٤ الاف كيلومتر من الشرق الى الغرب ، ومثلها من الشمال الى الجنوب فإن تنوعا واختلافا كبيرا في المناخ يمكن تسجيله بين منطقة وأخرى ، فقد تصل الحرارة الى ٧٠ درجة ستتجريد تحت الصفر في بعض مناطق ياقوتيا في الشمال ، في حين انها قد تصل الى مافوق الثلاثين درجة في بعض مناطق خـاروفسك وامور

وقـد أثر هـذا التباين والاختـلاف في درجـات الحـرارة على تـنـوع حيوانـات الطبيعـة والـظواهـر الطبيعية ، فتجد الدب القطبي والأيل في الشمال ، والنمر الأسيوي في الجنوب ، وغيرهما من الحيوانات ذات الفـراء والجلود الثمينـة كـالغـزلان والثعـالـب والوعول والسمور ، ويؤثر هذا التنوع عـلى تنوع ساتات الطبيعة والطيور ، والثروة البحرية كما ان الشرق الأقصى غني بثرواته الطبيعية « المطمورات » كالفحم الحجري ، والنفط والغاز الطبيعي والحديد والذهب ، والزئبق والنحاس وغيرهـا وفي هذه المناطق مساقط مياه تنتج طاقة تمثل ثروة تضاف الى الثروات الأخرى

من ذاكرة التاريخ

تذكر المصادر التاريخية ان مايطلق عليه اسم الشرق الأقصى السوفيتي الآن ، كانت تسكنه قبائل ومجموعات تعود في أصولها الى منشوريا (مقاطعة

اقليم خاروفسك

صينية تحادي الحدود السوفيتية الآن) ، وإذا ماكان الروس قد سيطروا على سيبيريا ، في القرن السادس عشر والسابع عشر ، فإن نظرية « التمدد » خارج ذلك « الصقع » قد راودت بعض المغامرين والتجار وقطاع الطرق ايضا

هكـذا خـرجت البعثـات من قلب سيبيـريـا ، وسـاحت في مساحـات الشـرق الأقصى (بعضهـا رسمي ، وبعضها الآخر من المغامرين الخارجين عن طاعة الحكومة أحيانا أخرى) التي كان يمكن أن يسير فيها الانسان دون أن يقابل أي إنسان آخر مسافة تزيد على مائتي كيلومتر (وقد تسير الآن مسافة تزيد على ٥٠ كيلومترا ولا تجد عماراً أو قرية أو إنسانا)

وقد توجه سيمون ديجنيف وغيره نحو الشمال ، في حين أن فاسيلي بور ياكوف ، وايروفي خباروف وايفـان مـوسكفيتين وغيرهم قـد تـوجهـوا نحـو الجنـوب سمـع موسكفيتين هذا من السكـان المحليين ان بحرا كبيرا يحادي يابسة بلادهم ، فانطلق مـع فرسـانه القـوزاق سنة ١٦٣٩ كي يتـأكـد من المعلومـات ، وتحقق وصولـه الى المحيط الهـادي ، وبقي مدة سنتين في تلك المنطقة

وفي سنة ١٦٤٣ وصل بورياكوف مع جماعة من المسلحين الى منطقـة آمور وبقـوا فيها مـدة ثلاث سنوات ، يناوش المنشوريين ويناوشونه

● ساحة الرواد
نعش فيها الحمام
سلام (الى اليمين)
(والى أعلى) القبار
و « الكوريس »
والعائلة على حافة نهر
آمو في مدينة
خباروفسك وفي
(الوسط) العائلة
المحمية وسيدتان
في خريف العمر
تتناجيان ربما عن
ذكريات مضت
و (أسفل) مرسى
القوارب والسفن
على نهر امور في مدينة
خباروفسك لاحظ
طراز البناء القريب
من الطابع الصيني

وفي سنة ١٦٤٩ جاء خاباروف مع رجاله وتوجه ، نفس المنطقة - موضوع استطلاعنا التي سميت خاباروفسك فيما بعد - واشتبك مع المنشوريين هنا ، وبنى قلعة دفاعية على ضفة نهر امور سنة ١٦٥م ثم جاءت بعده حملات اخرى على رأسها ستيبانوف وباشكوف

وقد استغلت السلطات القيصرية بعض المصاعب التي واجهتها السلطات الصينية ، فعقدت معها معاهدة « ايكوف » سنة ١٨٥٨م فأصبحت بموجبها الضفة اليسرى من نهر امور وماجاورها من أراضٍ تابعة للقيصرية الروسية ، وبعد ذلك أخذ الروس يستوطنون مناطق الشرق الأقصى ويتزايدون فيها

إطلالة على الواقع

عندما وصلنا الى مطار خاباروفسك في اواخر الصيف الماضي أشار علينا مراسل وكالة نوفوستي في المدينة ان نعيد ضبط ساعاتنا لتتواءم مع التوقيت المحلي الذي كان الفرق بينه وبين توقيت مدينة موسكو حوالي ٨ ساعات ، فاذا كان الوقت في خاباروفسك هو الساعة الثامنة صباحا ، فانه منتصف الليل في موسكو

تركنا موسكو ظهر ذلك اليوم وشمسها تلعب مع الغيم الخفيف لعبة سباق في تبادل الأدوار ، إذ تظهر واضحة بأشعتها وحرارتها احيانا ، وتختفي خلف ستار الغيوم احيانا اخرى ، الا اننا عندما اقتربنا الى خاباروفسك اكتشفنا أن نوافذ الطائرة قد غطت زجاجها بعض حبيبات المطر ، قلنا انها قد تكون من الندى أو الرطوبة ، لكن الرذاذ كان يداعب الطبيعة وما عليها عندما وصلنا المدينة

وفي المساء خرجنا نستطلع معالم المدينة ، فاذا بضوء الغروب على الرغم من وجود الغيوم والمطر قد بقي مسيطرا على مشهد الطبيعة حتى حوالي الساعة العاشرة مساء هدتنا كشافات قوية الانارة الى « الكورنيش » الذي يحادي النهر عندما كنا نهبط نحوه ، واكتشفنا ان النهر واسع كالبحر ، وانه يحيط بالمدينة من عدة جهات ، كما اكتشفنا اننا لسنا وحدنا داخل غابة الأشجار التي تحتل التلة ، والتي تنحدر تدريجيا فتقف حدودها عند حدود المياه قلت اننا لم نكن وحدنا في غابة التلة الصغيرة ، كنا نسمع أصواتا

عن بعد ، أو وقع أقدام ، أو نغمات موسيقية تتر... بين الحين والآخر ، إنهم العشاق أو بعض شبا... المراهقين ، كانوا يمارسون بعض « شقاواتهم وأحاديثهم ، ويملأون ليل الغابة همسا ، وأحيا... صخبا وموسيقا

كانت بعض المنارات الصغيرة ترسم حدودا ... بحر المياه الممتدة أمامنا ، وكانت بعض المراسي ومكاتب الحجز والارشادات تلاطمها الأمواج قررنا العودة الى الفندق بعد ان ازداد هطول المطر لنكتشف ان الفندق يكتظ بروّاده من الايطاليين والاسبان واليوغسلافيين والانجليز ورعايا الدول الاسكندنافية ، ونسبة كبيرة من السوفييت واليابانيين وغالبية الرواد من السياح الذين شاهدناهم في المطار اما قادمين او مغادرين يأتون في مجموعات مدة معلومة الزمن

إذن فالشرق الأقصى بما فيه من غنى وتناقض في الطبيعة هو مقصد السياح على الرغم من مشقة السفر والبعد

سوسلوف في خباروفسك

في اليوم التالي بدأ برنامجنا الرسمي في زيارة شخصيات مدينة خاباروفسك ومعالمها ، فكان لقاؤنا الأول في مبنى فرع اللجنة المركزية للحزب

حدثنا السيد سوسلوف الأمين العام للحزب ، وهو ليس مطر الحزب على صعيد الاتحاد السوفييتي كله قال « مدينتنا خاباروفسك التي حملت اسم المكتشف خاباروف مدينة شابة ، عمرها لا يصل الى ١٣٠ سنة ، وقد تطورت من نقطة عسكرية الى قرية ثم الى مدينة ، ثم الى عاصمة لمنطقة خاباروفسك كلها ، حيث وصل عدد سكان المدينة الى مايقارب ٦٠٠ ألف نسمة ، وتبلغ مساحة المنطقة كلها حوالى ٨٢٥ ألف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها يزيد على مليون ونصف مليون ، يخضع الاقليم لتأثيرات قارية ، فتسود فيه الرطوبة خاصة في فصل الصيف نتيجة لقربه من المحيط الهادي ومعظم المنطقة حتى ، وأكثر من ٥٠/ منها مملوءة بالغابات التي ... حيوانات (كالدب والنمر) وطيور ونباتات وأشجار هي خليط مما هو موجود في الشمال البارد والجنوب الحار يقسم الاقليم الى ٢٢ ناحية ادارية على وجه التقريب ، مما فيها مقاطعة بيرو...

المحادية للحدود الصينية ، ولا تبعد مدينتنا عن الحدود الصينية إلا ٣٠ كيلومترا فقط ، وفيها حوالي ١٢٠ نهرا كبيرا وصغيرا ، أهمها وأكبرها نهر آمور الذي ينبع من المرتفعات المغولية ، ويقطع منطقتنا خط سكة حديد سيبيريا الذي يصل الى أبعد نقطة في الشرق الأقصى المتمثلة في مدينة فيلا دفستوك ، وهو الخط القديم الأول ، كما أن خط « بام » بايكال - آمور - الذي يزيد طوله على ثلاثة آلاف كيلومتر يمر في منطقتنا مسافة تزيد على ٧٠٠ كيلومتر ، وقد تم « تدشينه » رسميا سنة ١٩٨٤م ، وعليك أن تلاحظ أن اهم مدننا وأشهرها قد قامت على هذين الخطين ، وعلى سواحل المحيط الهادي

وتابع السيد سوسلوف - تماما كاى مسؤول - ذكر المعلومات المتعلقة بالمدينة والمنطقة ، محاولا قدر الامكان تقديم اوجه الايجاز ، قائلا اننا بعيدون نسبيا عن المناطق المركزية في بلادنا ، لذلك فاننا نحاول قدر الامكان الاعتماد على انفسنا في شتى مجالات الحياة ، اننا نصنع كل شيء تقريبا ، كما اننا نستورد ما نحتاجه من البلدان القريبة لنا ، كالصين الشعبية واليابان وغيرهما

سألت اما زالت تجارتكم قائمة مع الصين ؟

اجاب نعم ، ما زالت قائمة ، يستوردون منا حاجتهم منا ، ونستورد ما نحتاجه منهم ، ولم يؤثر الاختلاف إلا في بعض المجالات

* هل انتهت مشكلة الحدود على نهر امور بينكم وبين الصين ؟

- مازالت المفاوضات قائمة ، ونأمل ان تنتهي الى حل يرضي البلدين وأضاف السيد سوسلوف بعد المؤتمر ٢٧ للحزب الشيوعي السوفيتي سنة ١٩٨٥ ركز جهودنا لحل مشكلة السكن ، وهذا لا يعني انها مشكلة مستفحلة ، صعبة الحل ، بل انها مشكلة من مشاكل عديدة نسعى لمواجهتها وحلها ، ونأمل ان يحصل جميع الأفراد على شققهم الخاصة ، وقد وضع هذا الأمر على رأس الخطط التي تنتهي مع نهاية هذا القرن

وقد بدأت بعض المصانع العمل حسب الربح والخسارة ، كما بدأت بناء بيوت سكنية لعمالها ، اضافة لما تبنيه الدولة ، كما ان بعض المصانع قد بنى المستوصفات والاستراحات والمستشفيات وغيرها للعاملين فيها

ومضى السيد سوسلوف قائلا إننا نقدم الكثير ، لكن احتياجات الناس دائما اكثر ، إننا سنحدث حوالي ١٥٠٠ مقعد للتلاميذ سنويا ، ونبني مدرستين جديدتين كل سنة ، ومع ذلك ففي بعض المناطق تعمل مدارس على فترتين صباحية لعدد من الطلبة ومسائية لآخرين غيرهم ، إن مهمتنا هي توفير مدارس اكثر ، كي تصبح الدراسة على فترة واحدة فقط وتحدث السيد سوسلوف عن المستشفيات والعيادات (يوجد لديهم ٤٠ طبيبا لكل ١٠ آلاف نسمة) وعمل مزارع الدولة ، والمزارع التعاونية ، ومشاكل الخدمات في المدينة ، وغيرها ، وذكر ان ٧٠ ٪ من سكان المنطقة يعملون في المدن ويسكنون فيها ، نظرا لتركز المصانع والادارات في هذه المدن ثم علق في الحقيقة ان هناك خدمات مختلفة تنقصنا ، لكننا مع ذلك نعرف نقاط ضعفنا ، ونسعى لتقويم مجمل الخدمات لتوفير حياة مناسبة لجميع الناس

وسيط مهم

عن الجوانب الثقافية في المدينة تحدثت السيدة غالينا غشروفا السكرتيرة في اللجنة المركزية لمدينة خاباروفسك فقالت إن موقع مدينتنا ساعدها على أن تكون ميناء تجاريا ممتازا ، إذ ينقل عبر نهر امور وعبر مدينتنا كثير من المصنوعات والمنتجات الى دول الشرق الأقصى كالصين واليابان وكوريا وغيرها ، وتتلقى بعض احتياجات بلادنا عن هذا الطريق . وخاباروفسك ميناء نهري . لكنها ليست الوحيدة في هذا المجال ، لأن مدنا غيرها في الشرق الأقصى السوفيتي تمارس هذا الدور خاصة الموانيء البحرية منها

وقد مارست مدينتنا دورها التجاري بنجاح ، وهي تلعب نفس الدور على الصعيد الثقافي ايضا ، فهي مدينة سياحية ، ومحطة سياحية وثقافية مهمة ومنها يمكن الانتقال سواء بالطيران ، أو بخط سكة الحديد او عبر النهر وكثير من الفرق الفنية والثقافية تجعل من هذه المدينة محطة للانتقال بين الشرق والغرب ، ويوجد فيها ثلاثة مسارح كبيرة درامي ، وموسيقى ، ومسرح الاطفال ، إضافة الى ٢٨ ناديا ثقافيا ، وحوالى ٢٠ دارا للسينما ، وفرقة للموسيقا

● مطعم كورى يدار حسب السياسة الاقتصادية الجديدة ، لكن بقيت المحاسبة فيه حسب الطريقة القديمة !

السيمفونية ، وتصدر فيها صحيفة يومية ، توزع في المنطقة كلها ، اسمها « نجمة المحيط الهادي » ، ويطبع منها ١٦٠ ألف نسخة ، وصحيفة يومية للشباب ، و١٦ صحيفة تابعة لمؤسسات ومصانع محلية ، ومجلة شهرية ثقافية اسمها « الشرق الأقصى » ، يطبع منها مائة ألف نسخة ، و١٣ معهدا دراسيا عاليا ، كمعهد البولتكنيك ، ومعهد الطب ، ومعهد الهندسة الخاص بالسكك الحديدية ، ومعهد الاقتصاد ، وغيرها ، بالاضافة الى ١٨ مدرسة تقنية فوق مستوى الثانويه لتخريج « الكوادر » المتخصصة للعمل في المصانع والمنشآت الصناعية والادارية . و٨٠ مدرسة ثانوية ، ومدرسة للفنون العامة ، واخرى للفنون الموسيقية ويصل عدد الطلبة فيها الى حوالي ٨٠ ألف طالب في كل مراحل الدراسة وقد أضاف السيد الكسندر بوشاريكوف مدير ادارة الثقافة في منطقة خاباروفسك كلها،معلومات اخرى حول الثقافة ، فقال يوجد ٦٠٠ ناد ثقافي في المنطقة كلها تقريبا ، كما ان فيها حوالي ٦٤٠ مكتبة عامة ، و١١ متحفا ، منها متحفان في مدينه خاباروفسك وحدها ، الأول مقصور على تاريخ الشرق الأوسط كله ، والثاني مقصور على مدينة خاباروفسك نفسها ، بالاضافة الى ١١ استراحة ثقافية ، ومدرسة « كوادر » للذين يتأهلون للعمل بالمكتبات العامة ، واخرى متخصصة بتخريج « الكوادر » الذين سيعملون في قضايا الريف الثقافية

سألت الأمين العام للحزب والسيدة السكرتيرة كيف تنظرون الى السياسة الاقتصادية الجديدة ؟ والا توجد مخاطر في بروز مراكز استغلالية طفيلية ؟

أجاب السيد سوسلوف أرى انه لا توجد أخطار في السياسة الاقتصادية الجديدة ، التي قضت بادخال ظاهرة كانت على « هامش » السوق والاقتصاد لتصبح جزءا منها ، ولقد تم ادخال الأعمال التي يقوم بها المتقاعدون وربات البيوت والموظفون الذين يمارسون اعمالا فردية بعد دوامهم الرسمي وغيرهم للمشاركة في دورة الاقتصاد رسمياوعلنيا، وبامكان اية مجموعة تجد تجانسا في عملها تأسيس تعاونيات مختلفة ، وان هذا الاجراء قد أدخل قوى جديدة في مسار الاقتصاد السوفيتي ، وهذا لا يعني ان كل من يقدم طلبا لممارسة عمل خاص او اقامة تعاونية سيحصل على موافقة مباشرة ، فالأمر يتطلب دراسة الجدوى ، وظروف العمل ، والقدرة على سداد الضرائب دون استغلال الفرد لجهود الآخرين . هذا الأمر لم يطلق على عواهنه ، بل إنه يخضع للرقابة وتقدير الجدوى وأضاف السيد سوسلوف سترى ذلك بنفسك عندما تزور احدى التعاونيات

مطعم تعاوني كوري

قبل ان يبدأ الرفاق والرواد بارتياد المطعم التعاوني الكوري الذي تم افتتاحه في الشهر الخامس من سنه ١٩٨٧ والذي يدار حسب نظام التعاونيات الجديد ، التقينا بمديره السيد الكسي كيم ، قال انا من مواليد كازاخستان عام ١٩٥٦ ، وقد انتقلت للعمل في الشرق الأقصى ، أصولي كورية لكني سوفيتي (توجد أقلية من اصل كوري في المنطقه وعلينا ان نتذكر بأن السوفييت ساهموا في تحرير الكثير من مناطق الشرق الأقصى قبل الحرب العالمية الثانيه وأثناءها وبعدها من الاحتلال الياباني ، ومنها كوريا الشمالية)

وأضاف الكسي كنت عاملا في مصنع كساوي واخر معاش تقاضيته في المصنع كان ٢٠٠ روبل شهريا (يعادل حوالي ٢٢٥ دولارا أمريكيا حسب سعر الصرف الرسمي) ، وقد وجدت لدي الرغبة في الطبخ والادارة ، فشجعني الأصدقاء ثم شجعتني السلطات المحلية على افتتاح هذا المطعم (يحتوي على ١٥ طاولة تقريبا ، ويقدم فيه الطعام الكوري والصيني والروسي والياباني وطعام دول اسيا الوسطى السوفيتية)

* هل أنت عضو في الحزب ؟
ـ لا ، لست عضوا في الحزب
* من منحك البيت الذى تسكنه ؟
ـ أملك بيتا خاصا
* ما هي خطوات انشاء المطعم ؟

ـ من خلال اتصالاتي بالأصدقاء كونا مجلس ادارة للمطعم من خمسة أشخاص ، عضوان متقاعدان وربة بيت ، أما الاثنان الأخران فقد كانا موظفين مستقلا ، وتفرغ الأعضاء لادارة « تعاونية المطعم » ، بينهم مدير التعاونية والمفتش والمحاسب إلخ وقد ساهم آخرون في التعاونية كذلك

واستأجرنا المكان من الحكومة بمبلغ ٣٠٩ روبلات شهريا ، كما أننا نشتري الخامات والمعدات من الأسواق الحكومية ، ومن أسواق الريف ، وندفع مصاريف اخرى مقابل استئجارنا للطاولات والكراسي ، وندفع مصاريف كهرباء ، وغيرها

وقد دفع المؤسسون جزءا من رأس المال ، كما ان الدولة منحتنا قرضا وكنا متخوفين في البداية وقد نشرنا اعلانا في الصحف كي نلفت نظر الزبائن ، الا ان العمل نجح وجاء الزبائن ، وها نحن مازلنا مستمرين

وقد أنشأنا صناديق تعاونية لتطوير المكان وتحمل مصاريفه والتأمين عليه ، وصندوقا للتأمين الشخصي على العاملين فيه ، وما يتبقى نصرفه على احتياجات اسة اخرى ، وما فاض عن ذلك من الدخل يوزع على العاملين فيه يعمل في المطعم ٢١ عاملا وعاملة من أصول كورية وصينيه وروسية ، وجميعهم سوفيات ، وزبائن المطعم كما نرى من جميع قوميات الاتحاد السوفيتي (بدأ الرواد في تلك اللحظة يتوافدون على المطعم)

يعمل العمال في فترة التأسيس ١٢ ساعة يوميا ، وقد قررنا ذلك لهذه المرحلة ، وأرى ان العمل مدة ٨ ساعات هو الأنسب لقدرة الانسان ، ونحن نعوض العاملين عن الساعات الاضافية

* ما هو سعر الوجبة الواحدة ؟

- الوجبة الكاملة ذات الأطباق المتعددة تصل الى ٣ روبلات (حوالي ثلاثة دولارات ونصف دولار)

* ألا ترى ان هذا الثمن عال بالنسبة لدخل الناس ؟

- إننا نضع سعر الوجبات بناء على دراسة تكلفة الخامات والمصاريف الأخرى التي تتبعها ، وارى أن سعرها مقبول معقول ، وإلا لما رأينا هذا الاقبال من قبل الرواد كما ترى

* ما هو المعدل الوسطي للمعاش الشهري للعامل في مطعمكم التعاوني ؟

- انه يصل الى ٤٥٠ روبلا على وجه التقريب

* ما تقييمك للتجربة حتى الان ؟

- نحن أشخاص بسطاء كادحون ، نعمل لأجل الأخرين وراحتهم ، وهدفنا ليس الربح ، ومع ذلك ، التجربة من وجهة نظري ناجحة مربحة ، وتمثل استجابة لرغبات نسبة ليست قليلة من الناس ، وأساسها جدد من تقاعدوا أو ربات البيوت او الطلبة وغيرهم كي يصبوا جهودهم في مجرى الاقتصاد العام ، وان يمارسوا نشاطاتهم ضمن القوانين المرعية ، وليس سرا (السوق السوداء)

* هل يمكن ان يقلك ناتج العمل هذا مع غيرك من العاملين الى مرحلة الغنى وحيازة اموال كثيرة ؟

- إننا نعمل في إطار مجتمع اشتراكي ، ونظام السوق في مجتمعنا يختلف عما عداه ، إننا لا نمارس استغلال ناتج عمل الآخرين ، لأن تأسيسنا للجمعية - المطعم - كان دافعه ليس الربح ، بل خدمة الناس ، وكلمات الشكر التي تلقيناها ونتلقاها من زبائننا تمثل ثروة وحافزا لنا لتجويد عملنا وتحسينه

نذير المطر

تحتل الغابات مساحة قد تصل الى ما يزيد على ٥٠٪ من مساحة اقليم خاباروفسك ، لذلك فانه من الطبيعي ان تولي السلطات اهتماما لهذه الثروة الطبيعية المهمة ، من حيث استفادتها منها بصناعة الأخشاب والورق

وقد أنشأت (السلطات) معهدا علميا ، متخصصا لدراسة الغابات اعتبارا من سنة ١٩٣٩م ، حدثنا السيد الكسندر شيخاور رئيس المختبر فيه ، فقال كان المعهد وحيدا في اربعينيات هذا القرن ، الا أن الحاجة حتمت التوسع في عمل المعهد ، فتم افتتاح ١١ قسما تابعا له ، مع سبعة مختبرات ، ويعمل فيه ٢٠٠ عالم وعامل ، همهم دراسة كل ما يتعلق بالغابات واشجارها دراسة علميه ، وقد ألحق بالمعهد في خاباروفسك محمية صغيرة مساحتها ١١ هكتارا ، تنمو فيها جميع انواع الأشجار المتوافرة في المنطقة ، وهذا يوفر للدارسين والباحثين افضل الفرص للدراسة والمتابعة وأضاف السيد الكسندر بعد ان رافقنا في جولة داخل الغابة المحمية إن الأشجار المتوافرة في المنطقة هي خليط من اشجار المناطق الباردة والحارة ، تماما كمثل كثير من ثروات الطبيعة الأخرى ، كالحيوانات والطيور وغير ذلك

منها الأرز والصنوبر والبلوط والحور والباتولا ، والاجاص ، والتفاح ، والعنب البري ، والتوت ، ولا ننس أن في منطقتنا تتوافر جذور الجنسنغ التي يحاك حول مفعولها الصحي كثير من الأقاويل ،

● خـــاسـوب قــدمـــاء
تــلابـسـهــم المختلفــه
وســاشــهــم المـمـيــره
اللماعة ـ أعلى ـ متحف
مـديـنـة حـــاروفـسك
وأطفـال يرون التـاريـح
مجسـدا ـ وسط ـ الجد
ستيـان والجـدة مـايـا
يحتضـان حفيـدتهـما
تاتيانا ـ أسفل داخل
كيسة مدينة حاروفسك
وجوه تـطق بـالخشـوع
والرحاء والى (اليمين)
مصـنـع للمصـانـع في
الشرق الأقصى البعيد

ويوجد غيرها من النباتات التي يستفاد منها في صناعة الدواء . وينتج في المنطقة ١٪ العسل الطبيعي في الاتحاد السوفيتي . ويعيش فيها عشرات من أنواع الطيور والحيوانات

ولم يكتف السيد الكسندر بإطلاعنا على أشجار المحمية ونباتاتها . بل رافقنا الى غابة حقيقية . تبعد عن مدينة جاروفسك حوالي ٢٤ كيلومترا . ومساحتها تقارب ٢٢ ألف هكتار

إن كثافة الأشجار قد جعلت رطوبة المكان مرتفعة . لذلك أحد العرق يسح على أبداننا ونحن نتجول فيها . وقد أحدثت الغربان الكثيرة في الغابة تطلق أصواتها المميزة . كما أن صوت طائر « الكابيوك » قد أخذ يتردد ويضرب على مابعداه وقد أكد السيد الكسندر بأن صوتي الغربان والكابيوك هما نذير بأن المطر قادم لا محالة (وتساقطت رشفات من المطر وتتابعت بعد ذلك) تجولنا بين أشجار الأرز والصنوبر والنباتات ووجدنا كثيرا من الكمأ ينمو ضيعا بين الأشجار وبعضه كان ينمو حتى على الصخور . وقد ... السيد الكسندر ان بعض أشجار الأرز في الغابة يزيد عمرها على ٥٠٠ سنة . وذكر انه بالاضافة إلى ان الغابة ثروة طبيعية فهي متنزه طبيعي للسكان يسرحون فيها . ويتعايشون مع الطبيعة البكر بكل مافيها من طيور وحيوانات وأشجار ونباتات وتلال وجبال وصخور .

حريف العمر

طلبنا من مرافقنا بأن لا تنحصر زياراتنا بالمكاتب والورش والمصانع الرسمية . وكنا نريد ان نخترق علب الأسمنت المغلقة . ونصل الى المعايشة مع العنصر الانساني الذي يسكنها . نريد بشرا لا يحدثوننا عن الانجازات والمشروعات . بل عن احلامهم واحباطاتهم . وآمالهم . وما حققوه . وما لم يستطيعوا تحقيقه في رحلة حياتهم . وعن التوهج والعنفوان والصورة التي آلوا اليها الآن

وهكذا . انتقلنا الى احد الأحياء . بعض عماراته قديمة نسبيا . ومساحاته تمتلىء بالأطفال وصياحهم ومرحهم . بعضهم يمتطي الدراجات وآخرون سكنوا في العربات وأسلموا قيادها للأمهات . وبعض العجائز جلس على أبواب البيوت كنسائنا الشرقيات تماما . وبعضهن جلس على مقاعد تحاذي البنايات . يهذرن . وربما يسترجعن أياما مضت

شقة عادية فيها غرفة نوم . وغرفة صالون ومطبخ وحمام . ولاشيء غير ذلك . وفي الشقة رجل وامرأة مسنان . هما ستيبان بوليكوبين . ومايا . ترافقهم حفيدتهما تاتيانا . لقد أحيلا الآن على التقاعد ومضى قطار العمر بهما فوصل الى محطة الخريف فكيف كانت رحلة الحياة ؟

ـ قال الرجل : لقد عملت مدرسا فيما حوالي ٥٠ سنة . ١٧ سنة منها في مدرسة واحدة في جاروفسك . وقد تخرجت في مدرسة المعلمين بيروبيجان سنة ١٩٥٣ بالمراسلة . وكنت اذهب الى بيروبيجان لأداء الامتحانات فقط . كان معاشي في البداية ٦٠٠ روبل . وانخفض مع تقدم السن وانخفاض حمل المسؤوليات الى ٢٥٠ روبلا . اما معاشي التقاعدي فهو ١٣٢ روبلا فقط

* هل يكفي هذا المعاش ؟

ـ نعم يكفي ويزيد . فالبيت قد حصلت عليه بمعاونة المعلمين . وحصلت على قروض لتسديد ثمنه سبعة الاف روبل . اسددها خلال ٢٥ سنة . اني ادفع حوالي ٢٥ روبلا في الشهر . يضاف الى ذلك حوالي عشرة روبلات للكهرباء والماء . والباقي اصرفه على المأكل والملابس وغير ذلك

* من ... ؟

ـ لقد ولدت في منطقة جاروفسك

* والسيدة مايا ؟

ـ انا من مواليد منطقة تبعد عن مدينة موسكو حوالي ٢٥٠ كيلومترا . بعد أن تخرجت في معهد المعلمين أخبرونا بأن نقصا في « كوادر » المعلمين يعاني منه جاروفسك . فطلبت ان يرسلوني إليها . فعلا حضرت سنة ١٩٤٩ مدرسة للغة الروسية . وفيها الرجل الحديث وعلق . لقد تعرفت على ... سنة ١٩٥٠ . وعندما أخبرتها برغبتي في الزواج منها أرسلت رسالة الى أهلها . وجاءتنا الموافقة . ... الى مكتب الزواج وعقدنا قراننا في نفس تلك السنة

* لماذا لم تذهبا الى الكنيسة ؟

ـ نحن ماديان وحزبيان في نفس الوقت . لذا ... الطقوس الدينية غير مهمة بالنسبة لنا

* وبعد ذلك ؟

ـ هنا بادرت المرأة الى مسك زمام الحديث ، وتركت للرحل بعض التعليقات الجانبية البسيطة ، قالت لقد عشنا مع والدي زوجي حوالي تسع سنوات ، ثم توفيا بعد ذلك ، وقد أنجبنا بنتا وولدا ، البنت تزوجت ، وذهبت لتعيش مع زوجها المدرس الذي تخرجت معه في معهد المعلمين في مدينة كومسومولك الواقعة في منطقة خاروفسك ، ولهما ولد وبنت

أما الولد فقد تزوج أيضا ، ويعيش في مدينة نوريلسك في الشمال ، أما بالنسبة لأهلي ـ مازالت الزوجة تتحدث ـ فإن ابي توفي أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبقيت امي ، وكنا نزورها من فترة واخرى الى ان توفيت ، أما اخوتي فقد جاءوا الى مدينة خاروفسك ، وعملوا فيها ، ونزورهم ويزوروننا

* سألت الرحل ثم مضى على تقاعدك حتى الآن

ـ قال لقد مضت سنة على تقاعدي ، ولم التحق بعمل آخر حتى الآن ، إني استريح وادرس الفرص كي اتابع العمل

* هل عندكم سيارة ؟

ـ أجابت المرأة يوجد عندنا نقود كافية ، لكننا لا نريد شراء سيارة .

واضاف الرجل إني كمحترف سائق قد كافحت ضد الساسيات فإن عندي سهولات عديدة لشراء الاشياء التي اريدها ، لكني لم امارس السياقة في شبابي ففضلت عدم السياقة في شيخوختي

صاحب القرار

* من صاحب القرار في البيت ؟

ـ نظر الرجل الى زوجته وعلق إننا نتشاور في كل ما يصادفنا في حياتنا ، ونتخذ قرارا مشتركا

* ـ ألم تكن فرصة للعيش في مناطق اخرى قريبة من موسكو أو المدن الاوروبية المركزية الاخرى ، فهل فكرتم ؟

ـ اجابت المرأة بحسم ، لقد أحببنا المنطقة ، وأمضينا معظم حياتنا فيها ، فلماذا نغادرها ؟ لقد كنا نمضي ـ ـ طيرانا في الخمسينيات كي نصل إليها ومع ذلك لم نكرهها ، ولم نغادرها على الرغم من كل المشاق انها مناطق جميلة واسعة ، وطبيعتها غنية ، وهي ـ ـ في ركب التقدم تماما كالمناطق المركزية

* كيف تمضيان أوقات فراغكما ؟

ـ قال الرجل إننا نقرأ أدب بوشكين ، وشولوخوف ، وتشيخوف ، وغيرهم ، كما أننا نتابع كتابات الأدباء الجدد ، مثل ايتماتوف ، وراسبوتين ، وشوكشين وغيرهم

* هل اطلعتما على الأدب العربي مترجما ؟

ـ لا ، لم نقرأ أدبا عربيا مترجما ، قرأنا ألف ليلة وليلة فقط ، ووجدنا فيها خيالا بديعا ، إضافة الى القراءة ، فإننا نشاهد الأفلام السينمائية والعروض المسرحية ، ونهتم بالزراعة أيضا ، إذ أننا منحنا قطعة أرض تبعد حوالي ١٥ دقيقة عن المدينة ، نزرعها خضراوات وبعض الأشجار المثمرة ، كما أنني أهتم بالرسم والنحت على الخشب ، وهي مهنة أفنيت فيها حياتي ونزور الاهل والجيران والأصدقاء تماما كغيرنا من الناس

النصوص أم النفوس ؟

وعندما غادرنا الشقة ، ومضينا في طريقنا كنـ العجائز جالسات على المقاعد بـ... الأولى ويثرثرن رغم عن عمر متقدم .

واقترب زميلي المصور لالتقاط بعض الصور من فأسرعن بعضهن المناديل التي تغطي جزءا من رؤوسهن على وجوههن ، وابتعد زميلي وتظاهر بالاستسلام ، لكنه شغل عدسته المكبرة ، فحصل على لقطات المصور .

همس مرافقنا ما رأيكم بزيارة الكنيسة ، والتعرف على جانب من جوانب الحياة الدينية في هذه المدينة البعيدة ؟

ـ أجبنا إننا نمقت التعصب ، ويهمنا الاطلاع إذا ما كان ذلك يثري موضوع استطلاعنا ، ويطلعنا على جوانب لم نتطرق إليها من قبل في الحياة السوفيتية

كان الوقت ظهرا (الثلاثاء ١٩٨٧/٨/٤) يحيط بالكنيسة سور خشبي ، وحتى الكنيسة نفسها فإن أجزاء منها مبنية من الخشب ، وتتكون من طابق واحد بسيط عادي ، وفيها قاعة كبيرة للصلاة ، وبضع غرف أخرى ملحقة دخلنا القاعة الكبيرة ، مجموعة من نساء كبيرات في السن يغطين رؤوسهن بمناديل ، يركعن أو يأتين بحركات التثليث المعروفة ، وقس يلقي موعظته ، وشموع كثيرة في المكان ، وبعض الصور التي تمثل السيد المسيح في

مراحل عمره المختلفة

عندما انتهى القس الشاب فاليري فاسلييف من إلقاء موعظته التحق بنا ، وجلسنا معا على احد المقاعد الكسرة . قال : إن الكنيسة تعرف باسم « ولادة المسيح » ، ويمكن للانسان عند طائفة الأرثودكس أن يصبح راهبا دون أن يدخل في معهد ديني ، فإن ذلك يعتمد على الاطلاع الشخصي والثقافة الشخصية الدينية ، (كان يتكلم بتؤدة وبحذر ، ويجيب بعد أن يتمعن بالسؤال مليا)

* الا توجد معاهد دينية مسيحية في الاتحاد السوفيتي ؟

- إنها موجودة ، اثنان للتعليم العالي في راعورسك ، في ضواحي موسكو ، والثالث لينغراد ، كما توجد ثلاثة معاهد أخرى للدراسة المتوسطة - مستوى ثانوية عامة - في لينغراد وراعورسك واوديسا

* كيف أصبحت قسيسا في مجتمع لا يحض على التدين ؟

- لقد تخرجت من معهد العلاقات الدولية في موسكو سنة ١٩٧٤ كنت شابا ولم يكن يعنيني الدين . عندما أصبح عمري ٣٠ سنة (من مواليد ١٩٤٧) وبعد قراءتي المتعمقة للكتب المقدسة أحدث ميولي تنامي نحو الدين ، ووطدت في نفسي أن أصبح قسيسا ، فراسلت الأكاديمية الدينية في راعورسك . وتلقيت دروس الدين بانتظام وواصلت أتعلم بالمراسلة . ثم كرست نفسي لخدمة الدين ، فجئت الى حاروفسك ، وتوليت رعاية هذه الكنيسة والوعظ فيها . إن هدفي هو خدمة الناس

* لقد كان المصلون أقلية ، وغالبيتهم نسوة مسنات في السن

- نعم إن ذلك صحيح ، لكنهم يردادون أيام الآحاد وفي أيام الأعياد ، أما اليوم فهو يوم عمل ، والناس مشغولون في أعمالهم ، وحياتهم المادية تشغلهم وحتى في أيام الآحاد يأتي للصلاة رجال قلة .

* هل هناك إجراءات رسمية تحد من حرية الصلاة ، أو تمنع أحدا من الدخول

● سح مطقه حساروفسك الكثير من المواد ـراعه والصناعية وهذا هو سوق الحصار

● ساء عمع الطابع الأوروبي بالصيى في الشار الرئيسى من مديه حياروفسك

عبادة ؟

ـ أجاب بدبلوماسية لا أشعر بأي ضغط من أية جهة ، ولا أحد يمنعي من أداء عملي ، وأبواب الكنيسة مفتوحة للجميع

* هل أنت راض عن وضع الناس الايماني ؟

ـ لو قلت إني راض عن ذلك فإني أكون قسيسا سيئا . إني أحرص دائما على القيام بواجبي ، وعمل كل ما أعتقد أنه خير ، ودائما أشعر بأن عليّ أن أعمل أكثر مما عملت

* هناك أقاويل كثيرة عن اضطهاد المؤمنين في الاتحاد السوفيتي ، فما هو تعليقك ؟

ـ لا أعرف كثيرا عما يقال ، ولا أريد الخوض في مناقشة هذا الأمر ، وباعتقادي أنه توجد في كل مجتمع تصورات خاطئة عن المجتمعات الأخرى ، وربما يكون بعض هذه التصورات سلبيا وغير صحيح ، والحقيقة أكثر تعقيدا من التصورات

* من خلال اطلاعك على الكتب المقدسة ، هل تجد ... التي تشحن الخلافات قائمة في النصوص أم في النفوس ؟

ـ أنا متيقن بأنه لا يوجد تناقضات وعداء بين الأديان ، إنما المصالح والأهواء هي التي تشعل نار الفتن بين الناس . لقد دعانا السيد المسيح عليه السلام إلى محبة بعضنا بعضا والى السلام ، فإذا لم نتبع ذلك فإن الذنب ذنبنا نحن البشر ، وأنا على يقين بأن الكتب المقدسة تحتوي على كل ما هو ضروري لخلاص الانسان والسير على الصراط المستقيم

مصنع المصانع

إن منطقة خباروفسك غنية بالمعادن والثروات الطبيعية كالحديد والخشب والفحم ومساقط المياه والنحاس والتنك وغير ذلك ، وتوجد في خباروفسك مصفاة كبيرة للنفط ، يصل إليها من منابعه في جزيرة سخالين ، كما أن الثروة السمكية النهرية والبحرية متوافرة بكثرة ، ويتم استخراج الكافيار الأحمر من سمك السلمون في بعض الموانئ النهرية والبحرية في المنطقة

إن وجود هذه الثروات وغيرها حتمت قيام ناعة مزدهرة في المنطقة ، كي تستجيب للمتطلبات حلية أولا ، وكي تساهم مع غيرها من المناطق في فير حاجات السوق السوفيتي

هذه هي المقدمة التي ذكرها لنا السيد اليكسي مارزين القائم بعمل مدير مصنع الآلات التي تصنع لآلات في مدينة خباروفسك بحضور مجموعة من يادات المصنع . وذكر السيد اليكسي أن المصنع قد أسس سنة ١٩٥١ ، وكان عدد العاملين فيه ١٥٠ عاملا ، في حين أن عددهم قد وصل الى ١٥٠٠ مهندس وعامل الآن ، بينهم ٥٤٧ امرأة وفتاة ، والشبان والشابات بينهم يصل عددهم إلى حوالي ٣٠٠ فرد

* سألت : في كل ورشة أو مصنع زرناه في الاتحاد السوفيتي وجدت أن القائمين على العمل فيه يقدمون « جرد حساب » عن المساكن التي بنوها للعمال ، والاستراحات أو روضات الأطفال التي بنوها لأطفال العاملين وغير ذلك . فهل هناك أزمة في هذا المجال تحاول المؤسسات مساعدة الجهات الحكومية في حلها ، أم أن المقصود هو بيان الجانب الانساني الذي يركز على أن حقوق العمل لا تتركز في جانب واحد هو جانب الأجر المادي فقط ؟

ـ تمعن السيد رفاررين لحظة في السؤال ، وألقى نظرة على زملائه ، ثم قال : إذا كان العمل حقا لكل إنسان في بلادنا فإن تقديم خدمات أخرى غير الأجر هي حق أيضا ، لذلك فإن إدارات المصانع وغيرها معنية تماما بتوفير أفضل الأجواء والخدمات ، كي تجعل من حياة العاملين أكثر تقدما ورفاها . صحيح ان الجهات الحكومية ما زالت توالي الجهود للتغلب على ازمة السكن على سبيل المثال ، لكن مع ذلك فالزيادة المطّردة في عدد السكان تحتم التوجه لزيادة عدد الوحدات السكنية ، وتكثيف العمل في هذا المجال ، لذلك فإننا نحاول من جهتنا المساعدة في هذا المجال ، وتقديم مساكن مناسبة للعاملين في المصنع . وقد بنينا ١٦٥ شقة في العام الماضي . وهذا العام ، كما أنه يوجد ناد خاص بالعاملين . ومعسكر للطلائع ، وفندق ، وروضة أطفال تتسع لحوالي ٢٨٠ طفلا ، ومطعم يتسع لحوالي ٣٠٠ فرد

ووضعنا في خطتنا أن نبني ٦٠ شقة جديدة سنة ١٩٨٨ ، كما أن الآلات مصنعنا سيتم تحديدها كاملة في عام ١٩٨٨ أيضا ، وسنبدأ بالعمل من خلال برنامج الربح والخسارة اعتبارا من بداية نفس العام . وفي نهاية خطة الخمس سنوات القادمة فإننا سنصنع الآلات مبرمجة « بالكمبيوتر » ، كما أننا وضعنا في خططنا علاجا لمسألة قلة المعروض من الشقق السكنية لينال كل إنسان حقه كاملا اعتبارا من سنة ١٩٩٥

* هل نسبة الحزبيين في المصنع كبيرة ؟ وهل هناك حالات محاباة للحزبي على حساب غيره ؟ وهل هناك ما يمنع أن يكون الانسان غير حزبي ؟

ـ نظر السيد رفاررين نحو مسؤول الحزب في المصنع وعلق : ها قد جاء دورك ، فعلق : إن كل العاملين في المصنع هم أعضاء في النقابة ، وهذا انتماء طوعي لا قسري ، والنقابات قوية وناقدة في بلادنا وليس كل من هو عضو فيها هو حزبي ، أما الحزبيون في المصنع فإن نسبتهم لا تصل الى حوالي ١٠ ٪ ومثلهم يوجد أعضاء في منظمة الشبيبة « الكومسمول » ، ولا توجد تفرقة عندنا بين الفرد الحزبي والفرد غير الحزبي ، ولا يقسر الانسان على الانتماء للحزب أبدا . ونسبة الحزبيين في المصنع مقاربة تقريبا لعدد الحزبيين بالنسبة لعدد السكان في كل البلاد . إن التجويد في العمل وتقديم مبادرات لصالح العمل قد يقوم فيها الحزبي وغير الحزبي لكن على الحزبي ان يكون قدوة في تحمل النشاطات والأجور في المصنع تخضع لأهمية وخطورة العمل الذي يؤديه العامل ، بغض النظر إن كان حزبيا أو غير ذلك ، فإننا ضد سياسة التفرقة في هذا المجال وفي غيره ، وأي خطأ في هذا المجال فإن المسؤولين عنه يحالون الى محاكم متخصصة

تاريخ في متحف

جولة الختام في اليوم الأخير من زيارتنا اشتملت على زيارة بيت الأزياء في مدينة خاباروفسك ووجدنا فيه اهتماما بالأزياء التقليدية المحلية لشعوب المنطقة ، ومحاولة لتقريبها ومواءمتها لأزياء العصر كما وجدنا اهتماما بالأزياء العصرية الحديثة

ثم انتقلنا لزيارة متحف مدينة خاباروفسك دليلة المعرض ناتاليا سوبالسكايا ذات الصور الملونة لخصت لنا تاريخ المنطقة من خلال بعض

ـار فقالت لقد تم تأسيس المتحف سـنة ١/ م ، وتجدون فيه كما ترون بعض عظام انات المنطقة المنقرضة كالماهوت وغيره معظم ئل التي سكنت حوض الشرق الأقصى السوفيتي ـاصة في منطقة خاروفسك هي قبائل مغولية ـول وقد بقيت منها أقليات الآن ، بعضها يعد ـلاف وبعضها بالمئات ، وقد أقامت بعض هذه ـيات ـ من قبل ـ دولا لها في المنطقة إلى أن حطمها ـب التتار المغول ، وبقيت دولة المغول قائمة حتى ـن الرابع عشر ، ثم تفككت واضمحلت ، ثم ، الروس في القرن السادس عشر ، إلى أن ـرت لهم الأمور في القرن الثامن عشر

ماذا عن التاريخ الحديث ؟

ـد سادت السلطة السوفيتية المنطقة اعتبارا من ـس ـ اذار ـ سنة ١٩١٨ ، إلا أن اليابانيين ـكلير والروس البيض المعادين للسلطة السوفيتية ـوا قواتهم في مدينة فلاديفوستك ، فقامت الحرب لشرق الأقصى واستمرت إلى أن حررت ـات السوفيتية اخر معقل للقوى المعادية في نوفمبر ١٩٢٢ وأثناء الحرب العالمية الثانية لعبت ـت الشرق الأقصى السوفيتية دورا كبيرا في تحطيم ـوم الالماني الذي استهدف مدينة موسكو سنة ١٩

وبعد أن تم تحطيم الزحم الالماني تم الالتفاف إلى ـابين ، فشاركت القوات السوفيتية في تحرير ـن الشمالية وكوريا الشمالية ، كما دخلت جزيرة ـالين ، واستعادت جزر كوريل من اليابانيين ـا بعد أن سيطروا عليها اعتبارا من سنة ١٩٠٤ وفي بداية أيلول ـ سبتمبر ـ من سنة ١٩٤٥ وقعت ـكومة اليابانية اتفاقية إنهاء الحرب والاستسلام ـامل

هل الروس هم الأكثر من بين سكان المنطقة ؟

ـ سكان منطقة الشرق الأقصى حاليا هم خليط ـزيج من شعوب وقوميات الاتحاد السوفيتي ـدد ، إضافة إلى الأقليات من السكان المحليين ، ـ طبيعي أن يكون الروس هم الغالبية من ـم لأن الروس هم العدد الأكبر من بين ـعب ـ والقوميات السوفيتية وهناك من غير ـروس ، وكرانيون وبيلوروس وغيرهم ، كما ان القوميات المحلية الصغيرة تمثل ١٣/ بالمائة من السكان ، وأكبر قومياتهم الناناي ، وعددهم حوالي عشرة آلاف نسمة ، يليهم الايفنك ، وعددهم حوالي أربعة الاف نسمة ، والأولشي ، وعددهم حوالي ٢٥٠٠ نسمة ، ثم يليهم النيفخي ، والايفن ، والاوديغي ، والاوروشي الذين يصل عددهم إلى حوالي ٥٠٠ نسمة

* بماذا تفسرين عددهم القليل وهم سكان المنطقة الاصليون ؟ ألم يرتكب الروس مجازر أوصلتهم إلى هذا العدد القليل ، تماما كما حصل للهنود الحمر في امريكا ؟

ـ ان المصادر التاريخية لا تذكر شيئا مما تذهب اليه ، فإن الزحف التتاري المغولي ـ كما ذكرت ـ هو الذي تعرض لدول المنطقة المحلية ، وجاء الروس بعد أن تفككت دول المغول في المنطقة ، ووجدوا هيمنة منشورية ، فخاضوا حروبهم مع المنشوريين التابعين للامبراطورية الصينية ، إلى أن تمت لهم السيطرة على المنطقة بعد منتصف القرن التاسع عشر تقريبا لقد وجد الروس أن السكان المحليين قد أصبحوا أقليات ، فأحيوا ملامحهم القومية الخاصة ، ونموا مناطقهم

قبل الرحيل

أبت طبيعة الشرق الأقصى إلا أن تريبا حالاتها المتقلبة ، ففي صباح يوم مغادرتنا كان البرق يلمع والرعد يدمدم ، وهطل المطر بغزارة بعد ذلك ثم أخذت مساحة اللون الأزرق تتزايد في صفحة السماء ، وقل المطر ، وخف عصف الريح كان من المقرر ان نذهب برحلة نهرية لاستكشاف معالم نهر امور ، فحيرنا الطقس وأربكنا ، وشجعتنا الانفراجات التي حصلت ، فمضينا قدما في متابعة الرحلة بعد أن ارتدينا الثياب الثقيلة ، وتزايدت الانفراجات ، وبدأت الشمس تلمع بنورها الوهاج ، مما دفعنا الى التخفيف من ملابسنا الثقيلة ، وعندما عدنا من حيث انطلقنا كان كورنيش النهر غاصا بالناس ، بعضهم يتمشى بعد أن خلع ملابسه الثقيلة ، وبعضهم الآخر أبى إلا أن يمارس هوايته المفضلة وهي السباحة فيما كانت مجموعة من قدماء المحاربين بأزيائهم العسكرية ونياشينهم يحتفلون ويغنون □

كائنات مبدعة !

بقلم : الدكتورة وسمية الحوطي

يتوهم الانسان أنه وحده ـ دون الكائنات الحية ـ الذى يمتلك القدرة الابداعية
ولكن العلم ـ وهو يكشف للانسان غموض العوالم المحيطة به ، بفتوحاته
وانجازاته ـ يؤكد :
ان الكائنات الأخرى تمتلك هذه القدرة .
فالعناكب التي لا تحظى منا الا بالضيق والمطاردة تبني عالمها بقدرة إبداعيه
فذة .

رسم يوضح بعض اجزاء العنكبوت
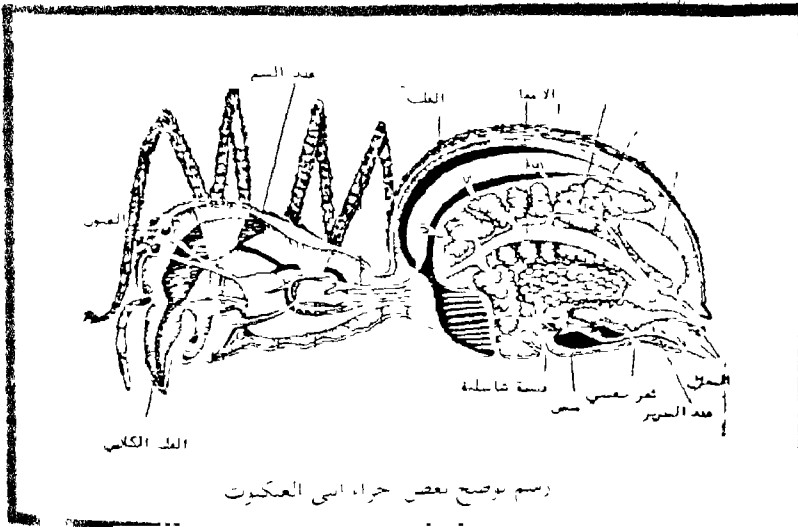
تحكي الأسطورة الاغريقية انه كان في سالف الازمان عذراء جميلة ، تسمى اراكني . تجد في السطرير والحياكة . ولها صيت دائع في هذا المجال ، وقد وصل بها الغرور أن تحدت إله الحكمة والفنون والصنائع السوية عند الاغريق ، الاله أثينا ، ودعته إلى مسابقة تقام بينهما في فن التطريز ، وتمادت في هذا التحدي بأن اعلنت على الملأ انها سوف تفوز على الاله أثينا ، وتنحيه جانبا عن مرتبة الألوهية في فن الصنائع السوية . ولما تناهى الى سمع الاله اثينا ما بدعته اراكني قام بسرقوس كل ما قامت العذراء بحياكته من لوحات فنية عقابا لها على فعلتها . وعندما رأت اراكني ما حدث لعزلها حزنت حزنا شديدا ، وقامت بشنق نفسها ، بتعليق رقبتها باحد الخيوط التي تستعملها في الحياكة وعندما علم اثينا بذلك ندم على ما فعله بعزل العذراء ندما شديدا ، وقام بفك الخيط عن رقبة اراكني وحولها الى خيط من الحرير ، ثم قام بتحويل الجسد الميت إلى عنكبوت ، واسبغ عليها صفة البراعة في التطريز بخيوط الحرير التي تملكها ، وان تظل قادرة على الحياكة حتى آخر يوم في حياتها ، حتى لا تحزن مرة اخرى على ما اصابها من فعله .

واليوم نرى العنكبوت تقوم بعمل تصاميم أنيقة من الحرير الذي تخرجه من جسمها .

مأثورة الحكايات

ان العناكب من الحيوانات التي حيكت حولها كثير من الخرافات والأساطير ، فكثيرون يعتقدون أنه اذا ما مشت العنكبوت على الثوب القديم الممزق فإنها تعمل على إصلاحه وإعادة حياكته ، وإذا قتلت العنكبوت أثناء سيرها على الأثواب فإن تلك الاثواب سوف تصبح ممزقة وبها ثقوب كثيرة والانجليزي يردد قولا مأثورا مفاده أنه اذا أردت أن تعيش سلاما فدع العنكبوت تعيش سلاما ، لانه يتفاءل إذا وجد عنكبوتا تمشي على ملابسه ، لان ذلك يعني هبوط ثروة مالية على صاحب الثوب ، وهنود النيفاكو في الولايات المتحدة الامريكية ماهرون في الحياكة .

ويشيع بينهم أن مهاراتهم تلك قد تعلمها أجدادهم على يد عنكبوت تحولت إلى امرأة لتدربهم على فن الحياكة ، ويهدد هؤلاء أطفالهم بأن المراة العنكبوت ستعاقبهم اذا لم يكفوا عن الشغب والشيطنة

أما حكايات العنكبوت في الاسلام فقد قصتها كتب الهجرة النبوية ، فعنكبوت الغار هي احد أسباب نجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابي بكر الصديق رضي الله عنه من الكفار الذين لاحقوا الرسول عند هجرته من مكة الى المدينة ، وقد كرم الله العنكبوت بتسمية سورة كاملة باسمها في القرآن ، قال الله تعالى: «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت» . والمعروف ان انثى العنكبوت هي التي تقوم بالحياكة وبناء البيت دون الذكر

حيوان يشبه الحشرات

توجد العناكب في جميع انحاء كوكب الأرض ما عدا القطب الشمالي ، ويتراوح حجمها من ٠٫٥ مم الى ٩ سم ، وطول ارجلها قد يصل الى ٢٠ سم وذكورها اصغر من اناثها ، ويوجد ٣٠٠٠٠ نوع من العناكب في العالم .

تنتمي العناكب الى شعبة المفصليات التي تعتبر اكبر شعب المملكة الحيوانية . كما أنها تعتبر من اكثر الكائنات لأنها عمرت كل انواع البيئات [illegible] والبحرية والجوية وشعبة المفصليات تضم [illegible] طوائف القشريات مثل الربيان ، والحشرات [illegible] النمل ، ومتعددة الارجل [illegible] وأربعين ، والعنكبيات مثل العناكب والعقارب

ولذلك فالعنكبوت تشبه الحشرات ، ولكن جسمها مقسم الى جزأين بدلا من ثلاثة ، واجزاء [illegible] بخصر دقيق ، ويحمل الجزء الامامي [illegible] بالاضافة الى فم وستة أزواج من الأطراف [illegible] الاخيرة منها تستعمل للمشي [illegible] للعناكب ثماني أرجل ، وتختلف بذلك عن [illegible] التي لها ست أرجل فقط ولأرجل [illegible] قوية لالتقاط خيوط الحرير من أماكن [illegible] ويتحور الطرفان الأولان لتكوين الفك [illegible]

تي تحتوي على غدد السم الذي تنبه العنكبوت في سم ضحيتها ، أما الطرف الثاني فيتحور إلى يد لماسة فيها غدد تناسلية طرفية في الذكور ، تنقل حيوانات المنوية من الجهاز التناسلي قبل نقله الى سم الأنثى أثناء التزاوج ، والجزء الثاني من جسم عنكبوت يحتوي في مؤخرته على ثلاثة أزواج من لغازل أو الغازلات التي تعمل على إخراج الحرير ، بفضل هذه الغازلات تعدد إنتاج الحرير الذي يخرج سائلا على هيئة سائل لزج ، يغلظ ويتماسك عند عرضه للجو الخارجي

والعنكبوت لا تنتج الحرير لاقتناص الفريسة فقط، بل تستعمله كذلك لتبطين الشقوق الأرضية التي ضع فيها بيضها وبعض العناكب تستعمل حرير وسيلة للانتقال من مكان الى اخر ، إذ تحيط لعنكبوت نفسها بكيس من الحرير يعمل كبالونة أو سطاد يطير مع الرياح ، حاملا العنكبوت إلى مسافات طويلة

والعناكب لا تحيك في الجو البارد ، لكنها تنتظر ظهور السحب ، فاذا ما رأى أحدنا كميات كثيرة من خيوط العنكبوت المحيكة فعليه ان يتنبأ بسقوط لامطار أو يتوقع ذلك بعد تلبد السماء بالسحب

وغالبا ما تخدر العناكب ضحيتها بحقنها بالسم ، بالنكوك الكلابية ، وبذلك تشل حركتها دون تلها ، ثم تتغذى على سوائلها ، بعد أن تمسكها جيدا وتصب عليها مواد كيماوية لترطبها ولا تتغذى العناكب على الجدار الصلب الذي يحيط بالحشرة ، بل على المكونات الداخلية للجسم فقط

هناك كثير من أنواع العناكب التي تعيش خارج لمنازل أو داخلها ، وتبني أعشاشها على الجدران وخلف حنفيات الحمامات والمطابخ وفي الكويت توجد أنواع كثيرة من العناكب ، وربما هي من طرفها وإن كان لا يلاحظها الانسان عادة لأنها تعيش ... الأزهار ، وهي العنكبوت السرطانية (أو العنكب ... القبقب) . وقد سميت كذلك لأن شكلها يشبه السرطان أو « القبقب » ، ولأنها تهاجم ضحيتها بسرعة ... من جهة جانب الضحية ، وليس من الأمام ، تماما مثل ما تفعل « قباقب » السواحل البحرية وتعيش العناكب السرطانية على الأزهار ، وتتلون بألوانها المختلفة ، فمنها الأبيض والأصفر والوردي ، وتتخفى بذلك عن الأعين وهذه العنكبوت لا تنسج حريرا لصيد فريستها ، لكنها تتمتع بالصبر وطول انتظار الضحية ، حتى تقترب من الأزهار باحثة عن غذائها مثل الفراشات والنحل والذباب الذي يزور الأزهار لجمع الرحيق وعند ذلك فقط تنقض العنكبوت السرطانية بسرعة ومهارة على الضحية وتحقنها بالسم الذي يؤثر على الجهاز العصبي للضحية ، فيشل حركتها . وبعد ذلك تقوم العنكبوت بعمل شق بواسطة القرون الكلابية في جسم الضحية ، للتغذي على سوائلها

« الحياة الجنسية »

قبل أن يعزم الذكر على ملاقاة الأنثى للتزاوج يقوم برش نفسه بالسائل المنوي ، حتى يأخذ عبيره بلب الانثى عندما تشمه ، ومن ثم يذهب للبحث عن أنثى ، وعندما يجدها يقترب محاولا امساكها بأرجله الملماسية ، حتى تحس بوجوده ، وتشتم رائحته ،

وبعد ذلك يقوم بالامساك بها جيدا بواسطة أرجله الخلفية ، ويدخل الحيوانات المنوية في جسدها بواسطة يده الملماسية وفي بعض الأحيان لا ترغب الأنثى باقتراب الذكر منها ، فتعبر عن ذلك الرفض برفع أرجلها الأمامية وهز جذعها لاخافته وتحذيره من الاقتراب ، وعندما لا يفهم الذكر مغزى حركاتها ويتمادى في الاقتراب منها تقوم بالامساك به وقتله بث سمومها في بدنه وفي بعض أنواع العناكب ينجح الذكر في الاقتراب من الأنثى الرافضة بالقوة ،

وذلك بإنزال أرجلها المرفوعة إلى الأرض وربطها بخيوطه الحريرية ليمنعها من الحركة ، حتى يفرغ من نقل حيواناته المنوية اليها ، ثم يهرب مسرعا قبل أن تخلص نفسها وتقتله وتضع العناكب (مثل العنكبوت السرطانية) بيضها في فترة الصيف على طبق من الحرير ، تقوم بتغليفه بالحرير ، وتضع الأنثى تلك البيوض المغلفة بين أوراق النباتات أو بين

الخطوة الاولى لبناء النسيج الدائري للعنكبوت

انصاص الاوراق المتساقطة من الاشجار وبعض العناكب لا ترمى بيضها هكذا ، لكنها تقوم بصنع خيمة من الحرير ، وتقبع فيها لمراقبته حتى يفقس ولا تغادر الأم بيضها طول فترة الحضانة ، وتتحمل من قلة الغذاء وبعض الأمهات يبحثن عن الغذاء الموجود قريبا من مكان وضع البيض . ولا يبتعدن كثيرا عنه ويفقس البيض فتخرج منه صغار تشبه الكبار في كل شيء ، حتى في الالوان وتقوم الأم بتغذية صغارها عن طريق الفم بسوائل جاهزة قامت بتحضيرها ، وعندما تكبر الصغار قليلا تشارك الأم في اصطياد الحشرات ، وذلك قبل أن تكون مستعدة للانفصال نهائيا عن الأم والاعتماد على ذواتها في صيد الغذاء وجمعه وهناك كثير من الحيوانات التي تتعدى على العناكب مثل الطيور والزواحف والضفادع والخنافس والديدان عديدة الأرجل ، كالنمل والدبابير ، كما أن العناكب قد يتعدى بعضها بعض

إنتاج الحرير

يعتبر انتاج الحرير في العناكب عملية ... يستعمل فيها العناكب الخيوط الحريرية لحماية ... من الجفاف والعوامل الجوية ، هذا في المقام الأول ... ثم يأتي استعمال خيوط الحرير لصيد الفرائس ... تتعدى عليها وتستطيع العناكب إنتاج سبعة ... مختلفة من خيوط الحرير ، تختلف باختلاف ... العنكبوت ، ونادرا ما تجمع الأنواع السبعة في ... واحد من العنكبوت ، فنوع يستعمل لـ... الضحية بعد شل حركتها لتحفظ طازجة ... الاستعمال ، ونوع ثان يستعمل لحفظ ... ويكون مثل الكيس ، وهذا النوع موجود في ... دون الذكور ، ونوع ثالث يستعمل لتقييد ... الضحية عندما تبدي بعض المقاومة وتحاول ال... المصيدة ، وهذا النوع عبارة عن خيوط ... لزجة ، وهكذا

يعادل قطره خمسة أضعاف ذلك . وحرير العناكب هذا لا يستعمل لصناعة الأقمشة الحريرية لأنه مطاط قابل للشد والجذب . ولكي ننتج رطلا واحدا من هذا الحرير فانا نحتاج إلى (٦٦٣٥٢٢) عنكبوتا . والمعروف ان سكان شاطئ حوض الباسيفيك قد استخدموا حرير العناكب في صناعة شباك صيد الاسماك ، وفي صناعة الأكياس والحقائب وأغطية الرأس وشباك صيد الطيور

العنكبوت يصنع المصيدة

تستعمل العناكب خيوط الحرير لحياكة المصائد التي تقتنص بها فرائسها . ولعمل أكياس خاصة للبيض وكلنا نعرف شكل نسيج العنكبوت الدائري الذي نراه على زوايا الجدران . لكن هذا شكل واحد فقط مما تستطيع العنكبوت حياكته لاصطياد الضحية . وهناك اربع طرق مختلفة لعمل المصائد . فهناك العنكبوت التي تصنع بابا تقف وراءه مترقبة اقتراب الضحية . ونسمي هذا « الباب السحري » . وهناك العنكبوت صانعة النسيج على شكل كيس يشبه المحفظة او الجيب . أما النوع

رمي الشباك على الضحية

الثالث الذي يجدر بنا معرفته والوقوف عنده فهو ما تقوم به العنكبوت المهندسة التي تنسج مصائدها هندسية رائعة

اما العناكب ذات « الباب السحري » فهي عناكب لا تتحرك كثيرا ، بل تقضي جل وقتها في نسج باب قوي على مقدمة نفق أرضي تحفره لتقضي فيه نهارها ونشط اثناء الليل . فعندما حل الظلام تقوم تلك العنكبوت الليلية بفتح بابها السحري بواسطة الأرجل والرأس . وعندما تمر الحشرات بالقرب من الباب دون أن تلاحظه فانها تتعثر بأرجل العنكبوت المترقبة . وتسقط في الفخ . فتلتقطها العنكبوت حينئذ بسرعة . وتجرها الى داخل النفق محاولة بث السم في جسدها كي تشل حركتها

أما العناكب ذات النسيج الكيسي فتحك انبوبا طويلا من الحرير ، داخل حفرة في الارض . بحيث يبرز طرف الانبوب الى الخارج على هيئة اصبع وتكمن العنكبوت خلف الجدار الداخلي لهذا الأصبع . وحالما تشعر بعبور حشرة على الجدار الخارجي للأصبع فانها تعمل بسرعة فائقة وتسحب الفريسة الى الداخل

اما العنكبوت المهندسة فهي اعتياديا تحوك شبكة على شكل « سقالة » او ارجوحة ذات ثلاثة اتجاهات تتدلى من نهايتها خيوط من مادة صمغية وتعتمد طول هذه الخيوط على نوع الفريسة . ومكان وجودها فإذا كانت لحشرات زاحفة مثل النمل فترى الخيوط تلامس الأرض . أما اذا كانت لحشرات طائرة مثل الذباب فترى الخيوط مقيدة ومدلية في الهواء وغالبا ما تكون هذه الأرجوحة مصيدة على الاشجار والنباتات التي تزورها الحشرات للحصول على الغذاء

ولا يستطيع المرء منا أن يلاحظ هذه الخيوط المتدلية نظرا لشدة رقتها وشفافيتها ويمكن مشاهدتها فقط أثناء فصل الربيع بعد صباح ندي حيث تشاهد قطرات الندى تتلألأ بين هذه الخيوط بعد سقوط أشعة الشمس عليها

تتعلق درات الجليد في سوم بارد عليها وهذه العنكبوت تحس حاكمة الأرجوحة الدائرية في الوسط ، ساطرة الى الأسفل مترقبة مرور الفريسة ، وس يرى العنكبوت عنس سلام في وسط المصيدة التي حاكها من الحرير لا يتخيل ان

تقوم هذه المخلوقة الضعيفة بعمل هذه التصاميم الرائعة ، خصوصا عس الدعائم الحريرية التي قد تصل بين شجرتين او بين نهرين صغيرين ، وطول هذه الدعائم قد يصل الى متر واحد في بعض الاحيان وبعد بناء الدعامات الاساسية تقوم العنكبوت بحياكة بقية المصيدة على هيئة دوائر متقابلة

او تجعلها متكاملة على شكل خيوط مستقيمة او منحنية والعنكبوت قبل البدء في البناء تبدأ بدراسة الموقع اولا من حيث الاتساع والظروف الجوية والبيئة التي سوف يتم فيها البناء وتستطيع صغار

العنكبوت المهندسة ان تبدأ في التصميم بعد الخروج من البيض مباشرة ، حيث ان خبرة البناء والتصميم وراثية للصغار وليست مكتسبة من الآباء ، فسبحان من علم العنكبوت فن التخطيط والهندسة وبعد النظر حتى تقوم بالبناء على اسس مدروسة تدوم ساوها فترات ، وتصمد أمام الظروف المناخية وللدلالة على عبقرية هذا النوع من العناكب نأخذ عنكبوت الحدائق التي تبني عشها بين جذعي شجرة ، فإن الأنثى تقوم أولا بقياس المسافة بين الجذعين بواسطة خيط رفيع من الحرير ، وعندما تعرف المسافة بدقة ترجع الى موقعها الاول ، متلمسة طريقها عن طريق هذا الخيط الذي هو مقياسها ، وبعد ذلك تبدأ بتكوين خيط سميك من الحرير ، تمده من الموقع الأول الى الثاني كجسر يربط بينهما ، وقد تقوم بالتخلص من الخيط الذي استعملته للقياس أو قد تتركه ليدعم الخيط الثاني نفسه ، وبعد ذلك تبني الجزء التالي بعمل خيوط تدعم الخيط الذي اتخذته جسرا

ومع هذا فإن كثيرا من الناس يعتقدون أن العناكب حشرات وأنها حيوانات سامة خطرة ، تعيش في

بناء المصيدة بنهايات خيطية لزجة

أماكن قذرة ، في حين يرى بعضهم أنها كائنات جديرة بالدراسة والبحث والاقتناء كحيوانات أليفة نتعلم منها الانسان الصبر والأناة في حياكة الحرير

إن العناكب غير مضرة للانسان ، بل على العكس من ذلك ، هي حيوانات مفيدة ، تتغذى على الحشرات الضارة التي تدخل البيت مثل الذباب .

والحقيقة أن الانسان قد يعفر لقطته الأليفة المدللة إذا هجمت على طيور الحديقة ، وربما على الطيور المستأنسة كالببغاء ، لكنه يقتل العنكبوت التي تخلصه من كائنات مضرة ، تعمل على نطافة منزله من بعض الآفات

وقد نجد العذر لربة البيت في قتل العنكبوت ، لأنها تترك كثيرا من الخيوط على الجدران التي قامت بتنظيفها □

راحة البال ...
لا تقدّر بالمال ...
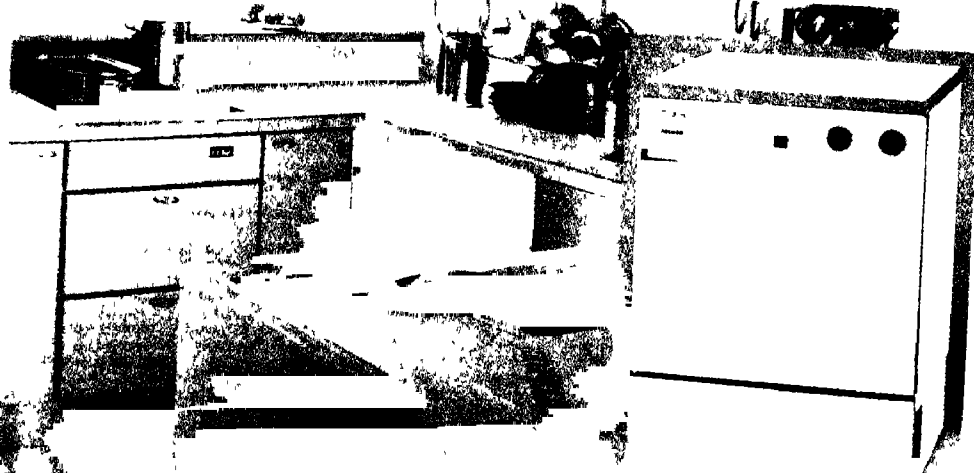
د. محمود المسعدي و محمود طرشونة

■ لا يوجد أديب نسيج وحده فقط

■ الأدب .. هو اللغة قبل كل شيء

■ مصيبة اللغات .. هي المحاكاة !

■ أسعى إلى أن يكون الإنسان خليفة الله في الأرض

لا نبالغ إذا قلنا ان محمود المسعدي من أشهر الكتاب التونسيين ، وقد عرف خارج بلده بعد الشاعر أبي القاسم الشابي ، وقد ساعد على ذيوع هذه الشهرة ظهور روايته « السد » وما رافق ظهورها من اهتمام . ثم اشتغاله في العمل السياسي وتقلده المناصب القيادية

ولد المسعدي بقرية « تازركة » القريبة من العاصمة التونسية في ٢٣ يناير (كانون لثاني) ١٩١١ . تلقى تعليمه في تونس ما بين ١٩٢٦ و١٩٣٣ ، ثم درس الاداب في جامعة السوربون ، وحصل فيها على الاجازة في اللغة والأدب العربي عام ١٩٣٦ ، ثم شهادة الماجستير عام ١٩٤٧ . بعد عودته من فرنسا عمل أستاذا للأدب في الثانويات ، وانتقل الى التدريس في معهد الدراسات العليا ، بعد أن حصل على الماجستير ، ثم صار أستاذا محاضرا في معهد الدراسات الاسلامية في جامعة باريس ما بين ١٩٥٠ و١٩٥٣

بعد استقلال تونس شغل عدة وظائف إدارية في وزارة التربية ، ثم تولى منصب وزير التربية الوطنية من ١٩٥٨ الى ١٩٦٨ ، فمنصب وزير دولة (وزير بلا وزارة) بين ١٩٦٩ و١٩٧٠ ، فوزيرا للشؤون الثقافية من ١٩٧٣ - ١٩٧٦ . وفي عام ١٩٨١ انتخب رئيسا للبرلمان التونسي

شارك المسعدي في الحياة الأدبية منذ الأربعينيات ، اذ كان في تلك الفترة رئيس تحرير مجلة المباحث الأدبية . ونشر في عام ١٩٥٥ كتابه المشهور « السد » الذي قامت منظمة « اليونسكو » بترجمته الى الفرنسية ، ثم أصدر كتابه الثاني « حدث أبو هريرة قال ... » في عام ١٩٧٣ ، وبعد ذلك كتاب « تأصيلا لكيان » عام ١٩٧٩ ، وهو مجموعة مقالات في الفلسفة والأدب والثقافة . وأصدر عام ١٩٨١ رسالة الدكتوراة بعنوان « الايقاع في السجع العربي »

أما محمود طرشونة فهو باحث وناقد وقصاص ، ولد عام ١٩٤١ ، ويعمل أستاذا للأدب العربي في كلية الآداب في تونس . وتناول كتابه الأول أدب محمود المسعدي وعنوانه « الأدب المريد في مؤلفات المسعدي » (١٩٧٨) ، أما كتابه الثاني فكان تحقيق لكتاب « مائة ليلة وليلة » ، ودراسة عنه . وكان كتابه الثالث دراسة شاملة عن الأدب المقارن

وقدم طرشونة رسالة دكتوراة الى جامعة باريس ونال عنها لقب « دكتور دولة في الاداب » بعنوان « الهامشيون في المقامات العربية وقصص الشطار الاسبانية » ، وهي دراسة مقارنة بين الأدب العربي والأدب الاسباني . كما كتب طرشونة عدة ابحاث ومقالات أدبية مختلفة .

* نلتم العديد من الجوائز الوطنية والعالمية - اخرها جائزة مركوز - فهل هذا تتويج لاثار ادبية معينة ، ام لمجموع النشاط الفكري الذي قمتم به طيلة عشرات السنين الماضية ؟

- ان الجوائز الوطنية التي نلتها كانت تقديرا لمجموع انتاجي الأدبي ، أما الجائزة الاخيرة فهي جائزة تمنح للرجال الذين يسهمون في سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأنشطتها في مختلف بلدان العالم ، ولهم كذلك إسهام وعمل نشيط في ميدان التفاهم والتعاون بين الشعوب والأمم في نطاق المجهود الجماعي للبشرية

* هناك العديد من الروائيين الذين تأثروا بأدبكم ، وأشاروا الى ما سمي « مدرسة المسعدي » ، وقد نشرت روايات طريفة مثل « النفير و... لفرح الحوار ، و« مدونة الاعترافات والأسرار » لصلاح الدين بوجاه ... في نظركم أركان هذه المدرسة وما ...

أود أن أقول أولا اني لا أحبذ استخدام مصطلح مدرسة » في مثل هذا السياق ، أولا لأن هذا اللفظ لمعروف في تاريخ الأدب مترجم عن لغات ورويية ، وثانيا لأني أعتقد أن الاتجاهات والتيارات الأدبية التي تجمع في وقت من الأوقات بأواصر القربى الفكرية بين عدد معين أو غير معين ، قليل أو كثير ، من الأدباء والمفكرين ليس فيها مايشير إليه لفظ « مدرسة » أو إمامة أو تتلمذ ، إني أظن أن ماشعروا به هو صلة رحم فكرية ، وأعني بذلك أن الجامع هو الرأي والاحساس ، فقد شعروا بها في أعماق وجدانهم عندما قرأوا ماكتبت ، وحققوا حقيقتهم الوجودية ، واستكملوا الوعي بماهم عليه وبحسب ماطمحوا إليه ، شعروا بهذه الصلة في القربى التي برزت بعد الاطلاع على أدبي أو التأثر به ، فلا يمكن لأي أديب أو مفكر أن يقول إنه عصامي مطلقا ، أو أنه نسيج وحده ، بل هو نتاج أو افراز مجموعة من التأثرات والانفعالات التي ينتهي هو بحكم عبقريته الشخصية بافرازها من مجموع هذه العوامل والعناصر التي كان لها عليه تأثير ، وما ينبغي البحث عنه هو أوجه الشبه وصلات القربى ، قلت أني أربأ بهؤلاء وبكل من ينتسب الى مدرسة أدبية أن يجعل رائدها في مقام الامام الذي يؤثر ويعلم ، لأن الأدب لا يمكن أن يكون أصيلا اذا كان تعلما

* هم في الحقيقة لم يعمدوا الى المحاكاة ، بل انطلقوا من طريقة ذكية في توظيف اللغة ، لأداء معان معاصرة لنا ، ويمكن ان نعتبر هذا الاعتماد على اللغة العربية الفصيحة الأصيلة التي نجدها في كتب التراث احدى هذه المقومات ، أما القضايا فمختلفة

- ملاحـ[illegible]ـكم هذه وجيهة ، لأني عندما تحدثت عن وجوه ا[illegible]ـه أو التجانس كنت أعي أن هؤلاء الأخوة في الأد[illegible]ـد أدركوا مافي أدبي من جهاد أردت به هذا النفع ا[illegible]ـد في حياة اللغة العربية ، لأني - كما قلت في مراتـ[illegible]ـديدة - أعتقد أن الأدب هو اللغة قبل كل شيء ، لما لها من طاقات تفجير للفكر ، وبما لها من طاقات الايحاء ، واللغة العربية من بين اللغات التي لها في هذا النوع من الطاقات مايجعلها في نظري من أثرى اللغات في العالم لذلك عندما بدأت أكتب وأنا أحيا قضايا الوجود الانساني في عالمنا المعاصر ، لم أجد غير اللغة العربية قادرة على الاضطلاع بهذا الأمر ، فقد وجدت فيها مايمكن الكاتب من التعبير عما في نفسه ، وجدتها أقدر لغة على الاستجابة لكل هذا ، وأعني باللغة العربية بطبيعة الحال اللغة الفصحى التي لم تفسدها المحاكاة والتأثر باللغات الغربية ، سواء كانت الفرنسية أو الانكليزية ، ولم تنل من عبقريتها ، لأن مصيبة اللغات هي المحاكاة

المسعدي والوجودية

* يقول طه حسين إن الوجودية أسلمت على يدي محمود المسعدي ، هل توافقون على هذا الرأي ؟

- أتذكر ذلك ، وأود أن أذكر بهذه المناسبة ماكان لي من حوار عبر الأثير ، مع هذا الكاتب الأديب الذي رفع الكتابة والأدب في الوطن العربي الى درجة بقيت شرفا للعروبة كلها ، شرفا ليس فيه البهرج ولا المجاملة قال هذا لما تفضل بنقد كتاب « السد » ، وكتب ماكتب فيه من اطراء ، وهدى قراء « السد » الى القضايا الجوهرية التي عالجتها فيه ، وقد ادرك مافيه من أدب فكري أو ذهني ، ورأى أنه من نوع المؤلفات الأدبية التي تعالج قضية المسؤولية الوجودية وأنا أعتقد أن الأدب إفراز للتوترات والتفاعلات الجماعية التي تحدث في صلب المجتمع ، وهو من وجه آخر قصة المغامرة الوجودية ، ومحاولة جواب عن السؤال الذي هو مرد كل وجود الانسانية ، وخلاصة الكيان الفردي والجماعي وقد تحدثت عن هذا السؤال في مقدمة كتابي « تأصيلا لكيان » ، وقلت « من أنا ؟ وممن أنا ؟ وأين السبيل مني اليّ أو مني إليك ، مني إلى الكون أو إلى ماوراء الباب الذي وراءه العدم ؟» هذه هي

الأسئلة التي حولها يدور معظم مايوحد في كتاباتي ، حصوصا في كتاب « السد » من مشكلة الفعل وقدرة الانسان ، ومامعى فعل الانسان ؟ ومامدى حلود الفعل الانساني ؟ ولئن أول الكثيرون ـ ومنهم طه حسين ـ نهاية « السد » على انها خاتمة مأساوية تشير الى الفشل ، فذلك لأن الخاتمة كانت إسلامية ، ترجع القضية كلها إلى ماجاء في الاسلام من أن الانسان فان ، وأن المنزلة التي أراد الله أن ينزل فيها الانسان هي من جهة منزلة خليفة الله في الأرض ، المسؤول بأن يكون حينئذ ـ بتكليف من ربه ـ خالق مصيره ومعبر الكون بقيامه بالعمل الصالح ، وأن يعطي لوجوده في الكون معنى يكون قائما على الخير هذه الرسالة التي عرضها الله على السموات والأرض وما بينهما ولم يقبلها غير الانسان ، لم تشأ الأقدار أن يصحبها الخلود للانسان فردا فردا ، وإن كانت الأقدار كتبت للجنس البشري مدى من البقاء ، لا يعلمه الا الله لأن العالم كله محكوم عليه بالفناء ، وبالطبع فالفناء العاجل هو فناء الانسان الفرد ، وكل مايقوم به من عمل لابد أن ينتهي في نهاية الأمر بالموت ، وحتى العمل الذي يقوم به الانسان والبشر جيلا بعد جيل ، ويحققون به المعجزات ، عبر فترات مختلفة ، سواء بأرض مصر أو بأرض العراق أو غيرها من الأراضي العربية أو الصين أو اليابان ، بلغت أوجها ثم زالت ، ولم يبق منها غير الآثار وبهذا فالانسان مدعو إلى أن يبقى في منزلته التي أرادها له الله ، وشرّفه بها ، مثل سعي غيلان في سبيل خلق الخير وسبيل الانشاء ، في سبيل إعانة الحياة حتى تتغلب على الموت ، الموت النهائي وهذه كلها معان لا تخرج بطبيعة الحال عن إطار التفكير الاسلامي حول المنزلة الانسانية وشرفها وعظمتها

من الأدب الى السياسة

* كنتم في الأربعينيات تنحون أدبا رفيعا ، ثم توجهتم الى النضال الوطني ، وما أفضى إليه من تحمل مسؤوليات حكومية وبرلمانية ألا يعني هذا صعوبة في الجمع بين الفكر والسياسة في واحد ؟

ـ أنا في الحقيقة لا أرى تناقضا أو تنافرا جوهريا ـ النشاط السياسي والنشاط الأدبي والفكري ، وأعـ أن من يرى في ذلك تناقضا لا يأخذ بعين الاعـ خصائص المزاج الشخصي ، فمن الأمزجة ما ينصـ كليا على ما يشتغل به ، ولا ينتقل الى نشاط آخر ، بصفة كلية ، أي أنه لا يستطيع أن يقوم بعمل الا انقطع إليه انقطاعا كليا ، بحيث يمتلكه ، ويسـ بعقله وفكره ووجدانه ، وأنا رجل نشاط واحـ لغرض واحد ، وحياة واحدة ، أو بعبارة أخرى [illegible] رجل عشق وحياة ، فما دمت قررت أن أنصرف [illegible] نشاط فأنا أتجه إليه بكليتي وخالص مهجتي [illegible] « حدث أبو هريرة قال » يمكن أن نحدد ما يسمى إلى قصة الترامي الاجتماعي ، فقد شعر أبو هريرة بحدود المغامرة الفردية الضيقة ، وشعر بأنه ناقص محدود الكيان ، مقصوره ، اذا لم يتسع بكيانه الى الجماعة ، وقد تجاوز بطبيعة الحال تجربته هذه [illegible] مراحل أخرى من مغامرته الوجودية ، لكن الظروف التاريخية التي مررت بها بعد أن اتجهت اتجاهي الأول تغيرت ، فقد بدأت كفاحي السياسي عن طريق الكفاح الثقافي في سبيل الدفاع عن ثقافتنا العربية الاسلامية ، وما يمثله التراث الفكري للطاقة الخلاقة الكامنة في تراثنا الثقافي ، كان ذلك اول اتجاه بدأت به للخروج من عالم الأدب البحت الى عالم النشاط الفكري والثقافي الأوسع مجالا ، باعتبار ان الظروف التاريخية اضطرتني واما الحض كياني للاعتراف بـ الاحتلاء في عالم الأدب او « خلوة » الأدب حسب الاصطلاح الصوفي فيه نوع من التقاعد ، عن معنى القعَدية الذين كانوا يقعدون ، أي يتحدثون ويبحثون ، بينما المجتمع الذي كنت اعيش فيه كان مهددا بالفناء ، ومهددا بالاندماج في غيره وطمس هويته بالاضافة الى ماضاع من سيادته ، بعد كان مهددا في كيانه بالذوبان والتلاشي

وعلى الرغم من انني اعتقد أن الأديب الذ [illegible] من موقع الأدب فقط يكون خادما لقومه [illegible]

واجبي ان أدخل الكفاح السياسي ، لكن الترامي حولي في هذا الميدان واضطلاعي بمسؤوليتي لم يسمح لي بعد ذلك من أن أتخلص من هذا الكفاح وكنت أود بهذا العمل إعادة بناء الكيان الانساني والكيان الأخلاقي والكيان الفكري الوجداني للانسان التونسي عن سبيل التربية فاضطلعت مدة عشر سنوات بمهام وزارة التربية والتعليم . وكان لي شرف وضع مخطط التنمية التربوية ، ووضع برامج التعليم الابتدائي والثانوي ، فكانت برامج وطنية قومية عوضت البرامج الفرنسية الاستعمارية ، كما كان لي شرف انشاء الجامعة التونسية هذه هي قصة ابتعادي عن النشاط الأدبي البحت ، لكني ما أزال مع ذلك ادعو الله أن يمكنني من العودة الى النشاط الأدبي البحت ، حتى أتمكن من صياغة الكثير مما ألقيته حبرا على ورق ، مذكرات عديدة ، ووريقات

لموحي الذي كان

** انتم تشرفون على الدخول في السنة الخامسة والسبعين من عمركم كيف كان حصاد العمر في نظركم ؟ وهل حققتم ماكنتم تطمحون اليه في عهد الشباب ؟

عبارة « هل حققت ماكنت أطمح اليه في شبابي ؟ » لا تطابق تصور ما بنفسي ، فلا يمكن ان أقول إني كنت في شبابي أطمح الى شيء معين ، كنت في شبابي أتساءل عما ينبغي أن أكون حتى يكون للحياة معنى، حتى أبرر وجودي في الكون مبررة تبرع عني وحده ، وتخرجني من حيز عبثية الوجود اذا لم أجد أنا معنى لوجودي فلست اذن بانسان ، بل أكون في مرتبة الحيوان الذي لا أظن أنه يتساءل عن معنى وجوده . أريد أن أبرر وجودي بالنسبة الى نفسي فقد جاء في « حديث الصمت »مايلي « قالت دابة لعمران ذات عشيّ دائبة الروح هذا الأفق الذي فيه تغرب الشمس ، ألا نغرب فيه نحن يوما مع الغاربين ؟

قال الشمس لا تغرب ، وإنما هو أن تتطاوح بها الأوساع وتقصر عنها العين . وليس المغرب مكانا ، وإنما هو مدى البصر وآخر النظر وأما الأفق وسكت عمران كأنما سحر وانطلق فقالت فأين الحد ؟ ألا مغرب ؟ ألا نهاية ؟ قال لا نهاية ، لأي كان ولا لأي كون ، لا نهاية للأفق التوق الكون الأبد ، لأنه واجب الوجود . وانما العرض الحياة ، والعرض زائل وللعين وحدها ، للضمير وحده ، للوجود وحده ـ دون الكيان ـ مغرب ونهاية عندها ينتهي قالت وهل نسيت داعي البقاء ؟ أليس أن الأفق الانسان ؟ فلو أفلت وحلم أضغاث أحلام ؟ أليس أن الأفق حلم مما هو توق وجهاد وشوق الى الأبد سؤال ؟ قال بلى »

فالانسان أبدا حيرة ، وليس هناك جواب نهائي ، بل الجواب نفسه لا يزال أفقا لا حدّ له ، كل مطمحي في الحياة أن يكون لي في حياتي هدف وقد كنت في أدبي « حبيبي كنت أروم أن أفتح مسلكا الى كياني الانساني ، وأقضي حجًا الى موطني المفقود وفاء حنين الى الذات الجوهر الفرد وتوليد للعشرة من معدن الوحشة ، وإشهاد على أن تاج الكيان مركب من العشق والعناء » ، كما قلت في مقدمة كتابي « حدث أبو هريرة قال »

هذا ما أردت أن أقول أن تبقى ناري أي شعلتي في الوجود في معناه الانساني السامي ، إني أشعر أني حققت الى درجة ما الغاية التي يكون بواسطتها الانسان خليفة الله في الكون □

من عندي نظام ،° والنظام عندي هو الاقتصاد ، أي البيان بلا زيادة أو نقصان .
(توفيق الحكيم)

دور المرأة العربية
في التنشئة الوطنية

بقلم : الدكتور أسعد عبد الرحمن

تلعب الأم دوراً كبيراً في عملية التربية الوطنية والتنشئة الاجتماعية عموما فما هو أثر الواقع الاجتماعي العربي على المرأة ، وما تأثير ذلك كله على عملية التنشئة الاجتماعية لدى أطفالنا ؟ الكاتب يحاول أن يجد إجابة على هذا السؤال

تبقى الأسره العربية حلقة هامة جدا في المجتمع العربي مثلها في ذلك مثل الأسر الـ ـلفة في مجتمعات العالم الثالث عير أن دور الا ـرة في المجتمع العربي ـ رغم الأثر السلبي لبعض الـ ـمل المستجدة التي سنتحدث عنها لاحقا ـ ما يزال نا ـ متفوقا بقوة ـ وبشكل لا ينازع ـ بالمقارنة مع دو الأسرة في المجتمعات الصناعية وعلى الأخص الرأسمالية العربية

كذلك ، ما يزال دور الأم في الأسرة العربية مركزيا ومحوريا على غرار أدوار الأمهات في مجتمعات العالم الثالث وفي السياق ذاته ، فان دورها ـ رغم الأثر السلبي لبعض العوامل المستجدة التي سنتحدث عنها لاحقا ـ ما يزال متقدماً وفاعلا من حيث وزنه وقوة تأثيره ، وبشكل لا ينازع بالمقارنة مع أدوار

، في المجتمعات الصناعية وبالذات الرأسمالية

نانة دور المرأة العربية ـ والأم صلب وجوهر
في المجتمع بشكل عام مسألة مشهود بها قولا
في الاطار التاريخي بدءا من العصور الجاهلية
ن ملكة سبأ ، زنوبيا ملكة تدمر ، واعتزاز
ل بالأم وتسميتها باسمها (الخ) مرورا
، صدر الاسلام وارتقاء مكانة المرأة وخصوصا
لسفة الاسلامية التي مثلها ابن رشد يوم « عقد
ب في المجتمع على تخلفها ، ومنعها من ممارسة
ها » ، وعبر المرحلتين الأموية والعباسية وصولا
هد النهضة ومواقف رموزها المتنورة
ير ان دور المرأة في سياقه التاريخي قد تأثر كثيرا ـ
هو متوقع ـ بواقع وضع المرأة العربية في المراحل
لفة وهو واقع مرير على وجه الاجمال بمجراه
ريخي ، رغم حالات التحسن النوعي النسبي
حلي ومجيء الاسلام نموذجا على ذلك ، ورغم
ن الاستثناءات النسوية الفردية المتميزة بقوة
عها الذاتي وكي لا نهرب من الواقع الراهن الى
ريخ ، سنقل فورا الى تعداد بعض أبرز ملامح
ع المرأة الراهن لما لذلك من تأثير مباشر على دور
أة العربية بشكل عام ، ودورها في التنشئة الوطنية
بكل خاص ويتألف هذا الواقع من محددات
معوقات بعضها غير مباشر وعام

معوقات والمحددات غير المباشرة

١ ـ تتعرض المرأة العربية لقهر مثلث أو ثلاثي
لأبعاد يتمثل أولا في القهر الذي يتعرض له المجتمع
لكبير الذي تعيش فيه ، ويتجلى ثانياً في القهر
لاجتماعي الطبقي داخل المجتمعات العربية ،
ويتبدى ثالثاً في القهر الناجم عن كون المجتمع العربي
مجتمعا ذكوريا يتسلط فيه الرجال عليهن

٢ ـ هذا الثلاثي من القهر المهيمن تاريخيا على
رأس المرأة العربية جعلها بالاجمال الأعلى عرضة
لقهر « ذاتي نفسي داخل عقل ووجدان كل امرأة
عربية » بحيث أصبحت تحس بالدونية
والاستضعاف وعدم الأمان ، مهما كانت قدراتها
وملكاتها الموضوعية ، وقد ثبت أن السلطة الأبوية
تمنع الأناث أكثر مما تمنع الذكور في مجالات الحياة
اليومية ووقائعها المختلفة مثلما أن نسبة امتثال الشابة
لسلطة المنع الأبوية هي نسبة أعلى هذا عدا
الدور الذي تلعبه في النطاق ذاته المؤسسات
الاجتماعية المتوارثة والتربوية والتعليمية والاعلامية
التي تعزز مثل ذلك الشعور بالدونية والاستضعاف
وعدم الأمان

٣ ـ المرأة العربية ـ بغالبيتها الحالية الساحقة في
المستقبل المنظور ـ مفترسة من وحوش الأمية
والجهل

٤ ـ المرأة العربية ـ على وجه الاجمال ورغم
التحسينات التي طرأت هنا وهناك ـ لا تتمتع بالمساواة
في الحقوق وفي الفرص بل وتعاني من عدم المساواة
والظلم

وعلى الرغم من أنها حصلت في بعض الأقطار
العربية على حقوق قانونية واسعة ومحددة فانها في
أقطار عربية أخرى ما تزال محرومة من الحد الأدنى
لتلك الحقوق .

٥ ـ تهميش دور المرأة في العمل السياسي
المعاصر كانت مشاركتها في مراحل النضال من
أجل الاستقلال واسعة ، لكن مع النصر الجزئي او
الكلي جرى تهميش دورها اللاحق وقد أكدت
الدراسات المحددة أن نسبة النساء العاملات أصلا في
الحركة الثورية والحزبية العربية المعاصرة والحالية
نسبة قليلة سواء على صعيد العضوية أو القيادة ولا
يساعد في ذلك موقف القيادات الثورية ذاتها التي
بقيت ذكورية على نحو حاسم كذلك ، اذا استثنت
التنظيمات النسوية العديدة الملحقة بالنظم السياسية
ذاتها ، فان مساهمة النساء في العمل النقابي تبقى
محدودة وذلك قياسا الى نقابات الرجال في الوطن
العربي وقياسا الى مشاركة المرأة نقابياً على صعيد
دولي وهذا التهميش لدور المرأة في العمل السياسي
يجعلها بالتأكيد غير مؤثرة ولا فاعلة داخل النظام
السياسي لتحسين أوضاعها الخاصة

٦ ـ المرأة العربية في شرائح الطبقة الوسطى

والبرحوارية وعلى امتداد معظم المجتمعات العربية الرئيسية ـ وكذلك الرحل ـ عانت وما تزال من تلويثات وتشويهات المرحلة النفطية الاستهلاكية التي عمرت المنطقة بأمواجها طوال الفترة منذ أوائل السبعينيات وحتى أوائل الثمانينيات . ومن أبرز ملامح هذه التلويثات والتشويهات : الغاء الدور الانتاجي للمجتمع بما في ذلك أدوار الرحل والمرأة وتأسيس الوعي الزائف لدى المرأة العربية على أيدي أجهزة الاعلام والتربية على أساس أنها مخلوق ضعيف وبحاجة الى الوصاية واشراف الآخرين ، واغراقها بصورتها بوصفها أنثى تولد أنثى وتعيش أنثى وسلاحها أنها أنثى مهمتها ارضاء أو اغواء أو كسب الرجل بعيدا عن قيم الانتاج والمشاركة والمساواة ، ثم دفع المرأة/ أولاً وأخيراً وبالذات ابنة الطبقة الوسطى والعليا نحو الأنماط السلوكية والاستهلاكية التي يندرج ضمنها ليس الابتعاد عن المشاركة في الانتاج فقط ، وانما المساهمة المؤثرة في تبديد الأموال على المظاهر الاستهلاكية بدءاً من العيش بين المساحيق التجميلية والاقتناءات المظهرية والتظاهرية والكسل واهمال شؤون العائلة وتربية الأبناء والقاء مسؤولية البيت والأبناء على كاهل العمالة الأجنبية بكل ما في ذلك من أضرار متضاعفة بالأجيال الجديدة .

٧ ـ وهنالك التأثير المجتمعي المعاصر المغمور بطوفان من السلبيات المتمثلة في الوقائع الصلبة والقيم الخاطئة والتدميرية : الهزائم المتتالية ، التفرقة والتجزئة ، تفتت المجتمعات الى مكوناتها الفسيفسائية ، التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية والاعلامية ، وتقدير « العمل الفردي الذاتي » مقابل « العمل التعاوني المشترك » ، وتأكيد « نزعات التقليد والامتثال والابتداع » بدل « نزعات التجديد والتجريب والابداع » ، وتعزيز حالات « تجاهل الواقع والتطلع الى أنماط خارجية واصطناع حلولها الجاهزة » مقابل « التعاطف مع الواقع وتطويره و... الحلول الذاتية المناسبة » ، وتأكيد حالات

« الاغتراب والبحث عن الخلاص من خلال القمة أو التعالي أو الفكاك بالهجرة الى وطن آخر » بدل « تكوين الولاءات والانتماءات القومية والوطنية » ، والتركيز على « الطموح المثالي » مقابل « الرغبة في الانجاز الممكن » ، وبث « الفكر الهلامي والعمل الانتهازي » بدل « التوجه العلمي فكراً وعملاً » ، وترسيخ « التسلط التقني التخصصي » بدل « المشاركة الشعبية على مختلف مستوياتها » ، وتشجيع « تراكم الثروة المالية » مقابل « خلق مصادر الثروة المجتمعية » ، وتأصيل نزعات الوصول الى الهدف « من أقصر الطرق الوهمية وغير المشروعة والمغامرة أحياناً » ، بدل « طرق المعاناة وبذل الجهد المتواصل وصولاً الى الهدف » .

هذه هي ـ باختصار شديد ـ أبرز العوامل العامة المعوقة والمحددة لدور المرأة العربية في مجال التنشئة الوطنية بشقيها الاجتماعي والسياسي . الا أن جميع هذه العوامل تندرج تحت اطار خاص عنوانه العوامل غير المباشرة . ورغم صعوبة الفصل بين ما هو مباشر وما هو غير مباشر ، فان بالامكان وضع الاصبع على مجموعة محددات لدور المرأة العربية في التنشئة الوطنية نجملها على نحو مخروطي ، أي بالانتقال من المحددات في الدوائر الأضيق الى المحددات في الدوائر الأوسع .

المعوقات والمحددات المباشرة

١ ـ معوقات ومحددات ترتبط بالمناخ السلبي أو غير المشجع السائد في العائلة النووية الصغرى . وفي هذا السياق المحدد تجدر الاشارة الى عدد من الدراسات والملاحظات الميدانية التي أكدت الدور المعوق الذي يمارسه الأب أو الشقيق أو الزوج أو أحيانا الولد . وخصوصاً الذكر البكر وبالذات في المناخات التقليدية . وغالباً ما ترتبط الاعاقة هنا بحرية المرأة ذاتها في ممارسة العمل الوطني والسياسي العام وما يتركه ذلك من أثر عليها وعلى البيئة المباشرة المحيطة بها في مجال تنشئة الأبناء تنشئة وطنية .

٢ ـ معوقات ومحددات نابعة من الاطار الأوسع

شامل للعائلة الممتدة ، سواء اتخذت هذه شكل شيرة أو « حمولة » أو غير ذلك ومن هنا تلقى على اهل المرأة العربية ضغوط اضافية تزيد من الضغوط لمقاة عليها أصلا من العائلة النووية

وفي هذا النطاق الأخير ، حتى لو أدت ظروف ـرأة الى تمتعها بحرية واسعة أو مقيدة ، فان تأثيرات السلبية الوافدة من الاطار العائلي الأوسع سرعان ما تقلص أو تأكل كل أو بعض الحرية لتوفرة

٣ ـ معوقات ومحددات متأتية من المدارس المعاهد والجامعات التقليدية وبخاصة في بعض بلدان العربية المعروفة تاريخيا بهذا النوع من لؤسسات التعليمية ، ناهيك عن البلدان التي شهدت رجوعا (كي لا نقول ردة) في مجالات التربية التعليم بسبب صعود قوى تقليدية الى السلطة أو بسبب تنامي هذه القوى وممارستها لدور القوى ضاغطة على النسق السياسي (اللوبي التقليدي لمحافظ)

٤ ـ معوقات ومحددات يفرضها النسق القيمي لسائد في المجتمع الكبير فاذا كانت قيم هذا لمجتمع من النوع الذي له أثر سلبي على حرية لمرأة ـ وغالبية المجتمعات العربية كذلك ـ فإن ذلك شكل اضافة كبيرة جديدة الى التأثيرات السلبية لضاغطة عليها في نطاقي العائلة النووية والممتدة لا يسعف المرأة العربية كثيرا كونها تتمتع بنوع من لحرية في النطاق العائلي ذلك أن ارهاب النسق لقيمي السلبي السائد في المجتمع الكبير لا بد من أن ترك دوما بصماته على المحصلة النهائية لحرية حركة لمرأة

٥ ـ وأخيراً ، نأتي الى محددات النسق السياسي القائم وتجدر هنا ملاحظة أن معظم الانساق السياسية العربية ـ العصرية نسبياً والمحافظة التقليدية ـ هي أنساق جوهرها الغاء حالة التسييس (لدى الرجل والمرأة على حد سواء) ان كانت حالة قائمة أو منع التسييس من أن يقع واذا أضفنا الى هذه الحالة السياسية العربية ـ القريبة من درجة

« الطبيعة الثانية » ـ كون عدد من هذه النظم العربية تتحرك ـ منذ فترة ليست بالقصيرة ـ على منحدر منطق الاعتدال التفريطي نتيجة تقاعدها عن متابعة ومواجهة التحديات الوطنية والقومية ، عندئذ نستطيع أن ندرك أي نوع من التنشئة الاجتماعية والسياسية هو المسموح به سواء على صعيد الرجل أو المرأة أو الأبناء ولا حاجة بنا هنا للتوكيد على أن التنشئة المتوقعة هي التنشئة الاستهلاكية النفعية الانانية التي لا تساعد في أي من عمليات التعبئة أو التحشيد الاجتماعي / السياسي الوطني

لقد كانت المرأة العربية دائما وبالذات عندما ساعدها الوضع الموضوعي القائم ، أو على الاقل عندما لم يقمعها ذلك الوضع ويحد من حرية حركتها ـ امرأة فاعلة في نطاق التنشئة الاجتماعية والسياسة السليمة التي صبت دائما الماء في طاحونة التنشئة الوطنية فالوقائع والدراسات المتخصصة تؤكد أن المرأة ـ قبل الاسلام وبعده وبالذات في سنوات صدر الاسلام ـ لعبت دورها كاملاً في تنشئة الأبناء التنشئة الاجتماعية والسياسية السليمة وكثيرا ما كان ذلك من خلال طرح نفسها كنموذج يحتذى أو من خلال ابداء استعدادها لتقبل ـ كي لا نقول للترحيب أو للحث ـ على افتداء ابنها لنفسه دفاعا عن قيم النبل والشجاعة والمروءة ونشر الرسالة لاحقا ثم ان المرأة العربية مارست دورا مشابهاً بعد تجاوز مراحل الانحطاط الموضوعي وبالذات مع بدء معارك الحرية والاستقلال ومما تجدر ملاحظته هنا للاهمية القصوى كون المرأة العربية ، حتى عندما كانت ضحية للأمية السائدة ، نجحت بوعيها الفطري ـ النابع من كونها مجسدة وناقلة أمينة للتراث التاريخي النضالي وللتقاليد الاجتماعية والسياسية السليمة ـ نجحت في أن تلعب دورها كاملاً ، ليس في مجال التنشئة الوطنية السليمة فحسب ، وانما ايضا في مجال الدخول الفعلي في خضم العمل النضالي التحرري الاستقلالي وشاهدنا الكبير على ذلك هو الدور النضالي الكبير الذي لعبته المرأة العربية في ال

ابان مراحل الاستقلال على امتداد ساحات الوطن العربي ، والدور المعاصر الذي تلعبه ، مثلا ، الأم أو الزوجة والبنات في الأرياف والمخيمات الفلسطينية حيث لم تصبها تلوثات المرحلة الراهنة السائدة فهل هي صدفة أن تكون أكثر سنة ـ وعا لا يقارن ـ من الشهداء والمعتقلين الفلسطينيين من أبناء الريف والمخيم ؟

غير أن هذا الدور العظيم للمرأة العربية سرعان ما وقع على وجه الاجمال ضحية العوامل المقيدة والمحددة والمثبطة ـ القديمة والمستحدثة المباشرة وغير المباشرة ـ التي أشرنا اليها آنفا ليس هذا فحسب ، بل انه ربما كما نشهد ـ ومنذ فترة ليست بالقصيرة ـ حالة من تغييب ذلك الدور واستبداله بنقيضه وبخاصة لدى معظم الشرائح الاجتماعية المنتمية الى الطبقة الوسطى والطبقات العليا ففي ظل مجتمع مقموع ، ومحبط ، وواقع فريسة للعقلية الاستهلاكية ، كيف يمكن لقيم وأدوار التنشئة الوطنية أن تنمو ليس عند النساء فحسب بل وعند الرجال كذلك ؟

أفكار للمستقبل وللتغيير

ليس المرء في حاجة لذكاء كبير ليستنتج ـ في ضوء ما ذكر سابقا ـ أن مسألة تغيير وتطوير دور المرأة في التنشئة الوطنية هي مسألة نضالية بكل ما في العبارة من معنى وهي كذلك مسألة مرهونة ـ تباعا ـ بتغيير وتطوير دورها العام الشامل من ناحية أولى ، وهو الأمر المرهون بالتالي بأحداث التغييرات الجذرية المطلوبة في المجتمع ككل من ناحية ثانية فتحرر المرأة وتحرر عملية ممارستها لأدوارها المختلفة ـ ومن ضمنها دورها في التنشئة الوطنية ـ ليست مسألة منفصلة عن صيرورة بناء المجتمع الجديد المنشود ـ الـ [illegible] مي والمستقل والعادل اقتصاديا ، والمعافى والمتقدم ثقـ [illegible] ، والديمقراطي سياسيا فلا دور ـ أي دور ـ للـ [illegible] ة في ظل استمرار القهر القومي للمجتمع ، و [illegible] القهر الطبقي لقواه الأساسية ، والتمسك بالـ [illegible] ع الذكوري المتخلف اجتماعياً وعلى أساس الـ [illegible] الكاملة والهيمنة المطلقة للرجل وبذلك

نرى أن المسألة تعود الى بدايتها باعتبارها ليست مسألة نضالية فحسب ، بل كونها ، أيضا تحتاج الى نضال طويل ومستمر هو من مسؤولية الجميع ـ رجالا ونساء واذا كانت التوجهات الالحاقية الداعية الى دور نضالي تابع للمرأة،توجهات جديرة بالتجاوز ، فان التوجهات الانفصالية الداعية الى انفراد المرأة هي كذلك توجهات انفعالية وعاجزة دون أن يلغي ذلك تمايز وطليعية نضال المرأة ضمن المجرى العام للنضال غير أن الحل الشامل المنوه عنه إنما هو ـ بحكم طبيعته ـ حل بعيد المدى ولا يمكن ولا يجوز الركون الى هذه الوصفة « الثورية » الشاملة والعامة ، وكفى الله المؤمنين القتال

فكما أن المسألة مسألة نضالية وعلى المدى الطويل فهي مسألة جدلية جوهرها أنها نضالية يومية أيضا فكسب هذه « الحرب » بشكل نهائي مرهون بكسب المعارك الصغيرة والكبيرة المتتابعة وفي النهاية ، لن يقام البناء الكبير للمجتمع الجديد المنتصر الا على تراكم الأرضية الملائمة من الانتصارات الصغيرة فالمرأة ، من جهة أولى ، مطالبة بأخذ زمام أمورها بيديها والسعي الفوري لتحرير نفسها من أسرها لنفسها ومن الوعي الزائف المتراكم على نفسيتها والذي ولد لديها عقدة النقص ومشاعر الدونية هذه مهمة أولى لا بد من أن تباشرها المرأة سواء على الصعيد الفردي المبادر ، أو على صعيد العمل النسوي المنظم

واذا ما أنجزت المرأة هذه المهمة ، أو بالأحرى أثناء قيامها بانجاز هذه المهمة ، تغدو مطالبةً فورا بالالتحام مع الواعين من أبناء الجنس الآخر المطالبين بتحرير المرأة واطلاق إمكاناتها ، ليوظف كل ذلك في خدمة وظيفة توعية الرجل بالوعي الجديد المتضمن ترسيخ الوعي بانسانية ومواطنية المرأة وبعدم اقتصار وظيفتها على الانتاج البيولوجي للأطفال وعلى متابعة نموهم البيولوجي والاجتماعي فحسب وهذا الأمر قمين بوضع البداية لتحرير المرأة على مستوى العائلة والاطر الاجتماعية الأوسع وذلك من خلال ارساء الوعي الجديد الذي يرد للمرأة انسانيتها

مواطنيتها وهذه خطوة تراكمية باتجاه أحداث لتعبير الشامل المنشود

وما أن يتم ذلك ، أو في أثنائه ، لا بد من أن لتحم الصفوف على جبهة نضالية جديدة هي جبهة لتربية والتعليم وهي مسألة ممكنة جدا وخاصة ان لأرقام في الوطن العربي تؤكد التوجه الحاسم باتجاه أنيث العملية التعليمية وخاصة في المراحل الأولى المتوسطة وهنا يجب أن يتضح تماما أن المطلوب يس محو الأمية الأبجدية فحسب ، وإنما العمل لحثيث أيضا على محو الأبجدية « الحضارية الثقافية » ناء الوعي العام للمرأة بعد انجاز الوعي الخاص قضاياها وتحدياتها الخاصة بها وهذه خطوة تراكمية اتجاه احداث التعبير الشامل المنشود

ثم تبدأ في هذه الأثناء معركة دخول المرأة الى معترك العمل الأساسي وتوسيع ذلك الدخول ليس على الأساس الكمي المستند الى « الأرقام الصماء » فحسب ، وإنما على أساس الاعتراف الحاسم بها وصفها مواطنة وانسانة وهذه خطوة تراكمية باتجاه حداث التعبير الشامل المنشود

وأثناء احداث هذه التراكمات جميعها ، لا بد من أن تستعيد المرأة ـ والرجل كذلك ـ حقوقهم السياسية وذلك من خلال استعادتهم لحقهم في النضال السياسي وليس صحيحاً أن الواقع الراهن في الوطن العربي يقف حائلاً صلبا ومانعاً شاملاً دون تحقيق عملية الاسترداد للحقوق تلك ، انها ـ حقا ـ مهمة ليست سهلة بل انها مهمة صعبة ، لكن ألم نقل منذ البداية ان المسألة مسألة نضالية في الأساس ؟ ثم من يستطيع ـ حقاً ـ أن يحول بين المرأة (والرجل) ودورهما في التنشئة الوطنية لأطفالها ؟ لا أحد فعلا طالما أن المرأة (والرجل كذلك) قد قررا استعادة أدوارهم السياسية وقررا أن لا تحول التضحية المتوقعة بينهما وبين ذلك ، أو بين أبنائهم وتحقيق ذلك فالتنشئة الوطنية ـ هي اللبنة الأولى ـ التي لا تعد الأبناء لمستقبل أفضل فحسب وإنما تعد الأبناء لمثل ذلك المستقبل أيضا وهكذا نعود الى جدلية هذه المسألة النضالية فبقدر ما يشهد الوطن تنشئة وطنية بقدر ما يصبح الوطن حقيقيا وعلى صورة أبنائه المؤمنين به □

ما هو المقياس الحقيقي للحب ؟

● يقول الكاتب الفرنسي اندريه مالرو إن المقياس الحقيقي للحب هو الاستمرار ، فلو استمرت مشاعرنا بنفس الدرجة مهما لاقينا ، فهذا هو الحب ، بينما يرى الكاتب الروسي انطون تشيكوف أن التضحية هي أفضل مقياس للحب ، فنحن حينما نحب نشعر أن أشياء كثيرة صارت أتفه مما كنا نتصور ، ومن خلال الحب نكتشف في داخلنا استعدادات جديدة ، وقدرات على فعل ما تخيلناه مستحيلا ، وكلما ازداد الحب اتفقنا على أن التضحية مهما كانت فإنها أقل ما يجب أن نعبر به عن حبنا

أما الشاعرت س اليوت ، فيرى الحب مثل الزهور التي تنمو وتتفتح وتنشر أريجها بعض الوقت ، ثم تموت وتبقى بعض الرائحة العطرة عالقة في أوراقها التي ذبلت ، وهو يرى أنه كما أن أنواع الزهور متعددة فإن أشكال الحب تختلف من أرض لأخرى ، ومقياس الحب يتحدد حسب خصوبة كل أرض

بين هجوم الجراثيم ودفاع الجهاز الهضمي

بقلم : الدكتور صباح السامرائي

تلم بالإنسان بعض الأعراض التي يحتار في تفسيرها ، خاصة إذا تعددت احتمالاتها ، فيلجأ بعضهم إلى وصفات شعبية أو عقاقير سبق استخدامها ، مما قد يسبب مضاعفات يسهل تلافيها إذا ما توفرت لنا المعرفة بالأعراض المرضية وعلاجاتها الأولية ، والإسهال كعرض مصاحب لكثير من الأمراض له مسبباته . فما هي ؟ وما أنواعه ؟

يمتلك جهاز الهضم عدة « خطوط دفاعية » ، تقيه من غزو المكروبات التي تسبب الإسهال و... من الأمراض . أول هذه الخطوط هو حامض ... « HCL» الذي يقتل أي مكروب يتسلل مع ال...ام أو الشراب ، ولهذا لا يجوز الإسراف في

تناول الأقراص المضادة للحموضة ، لأنها توهن ا... الدفاعي المنيع . الخط الثاني هو حركة الأ... وتقلصاتها المستمرة التي تطرد المكروبات الم... الموجودة في الأمعاء ، فلا تدعها تتكاثر بص... كبيرة ، لأنها إذا تكاثرت أعدادها غدت غير مسا...

قد تسبب الإسهال،لهذا فإن العقاقير المثبطة لحركة لأمعاء مثل أتروبين ، كودائين ، لوموتيل ، لا تخلو من الضرر . أما المكروبات المسالمة - ما لم تتكاثر وتستشري - فتعتبر هي الخط الدفاعي الثالث ، لأنها تفرز بعض المركبات ، - كحامض اللبن - التي تعكر على المكروبات المرضية عيشها . لهذا فإن كثيراً من المضادات الحيوية التي تفتك بالمكروبات المسالمة - مثل أمسلين - تؤدي إلى الإسهال ، أما الخط الدفاعي الرابع الأخير ، فهو الأجسام المضادة التي تصنعها الأمعاء ، والتي تقضي على المكروبات حين تتجرأ على اقتحام الأسوار.

حركة السوائل في الأمعاء :

الإسهال هو ازدياد سيولة الغائط أو كميته أو ازدياد عدد مرات التغوط . فإذا زادت كمية الغائط عن ٣٠٠ غرام في اليوم الواحد ، أو زاد عدد مرات التغوط عن ثلاث مرات فهذا يعني الإسهال . ويختلف عدد مرات التغوط من شخص إلى آخر ، إذ يتراوح ما بين مرتين أو ثلاث يومياً ، ومرتين أو ثلاث أسبوعياً ، ولكي ندرك كيف يحدث الإسهال لا بد من حديث موجز عن حركة السوائل في جهاز الهضم.

إن كمية السوائل « الماء » التي تمر في جهاز الهضم تبلغ عشرة لترات في اليوم الواحد ، وتقوم الأمعاء الدقيقة بامتصاص ٩٠٪ من هذه السوائل ، أي تسعة لترات ، ويمتص القولون تسعة أعشار اللتر ، أي ٩٠٠سم^3 ، فلا يبقى سوى ١٠٠سم^3 ، أو ١٥٠ ، وبذلك فإن ما يطرح مع الغائط من السوائل هو ١٪ - ١,٥٪ من كمية السوائل التي تمر في جهاز الهضم.

والإسهال يحدث إذا اضطربت حركة السوائل في جهاز الهضم ، كأن يقل امتصاص السوائل ، أو يزداد إفرازها من قبل بطانة الأمعاء ، ومعنى ذلك ازدياد كمية الماء التي تطرح مع الغائط ، فتزداد كميته وسيولته ، ويزداد عدد مرات التغوط . وهكذا فإن كل العوامل التي تؤدي إلى الإسهال ، إنما تفعل ذلك عن طريق تأثيرها على حركة السوائل في الأمعاء.

حالات الإسهـــال

يقسم الإسهال حسب وقته ، وعلاقته بالطعام والصيام ، فالإسهال الذي يحدث في الصباح يجعل المرء يشعر برغبة جامحة في التغوط أثناء تناول وجبة الفطور أو بعدها بقليل ، وفي بعض الحالات يتغوط المصاب ثلاث أو أربع مرات ، بسبب تهيج القولون ، وهذا النوع من الإسهال منشأه الحالة النفسية ، والقلق والتوتر أيضاً يسببان الإسهال ، أما الإسهال الذي يحدث في المساء ، ويوقظ المرء من نومه فهو ناشيء عن مرض عضوي.

من علاقة الإسهال بالصيام ، هناك حالات شائعة ، تحدث بعد تناول الحليب ، ويرافقه تجشؤ وغازات ، وإحساس غير مريح في البطن ، ويختفي المرض بعد الامتناع عن الحليب ، أو الامتناع عن أي طعام . فهذا الإسهال ، ناشيء عن نقص « خميرة اللاكتيز » المسؤولة عن هضم سكر الحليب وبالتالي فنقص أية خميرة من الخمائر المسؤولة عن هضم الكربوهيدرات - النشويات - يتسبب بإسهال يبدأ عند تناول ذلك الطعام ، ويزول عند الصيام عنه ، أما الإسهال الذي يستمر مع الصيام ، فهو ناشيء عن أحد الأمراض التي تصيب الأمعاء ، وتجعلها تفرز كميات كبيرة من السوائل ، وعلى رأس تلك الأمراض الهيضة « الكوليرا » ، وإصابة الأمعاء « بالمكورات العنقودية » وغيرها.

وهناك تصنيف آخر للإسهال يعتمد على الفترة التي يستغرقها ، وما يرافقه من أعراض جهارية كالحمى ، والتعب ، وارتفاع عدد خلايا الدم البيضاء ، ووجود الدم والقيح والدهون في الغائط أو عدم وجودها . هذا التصنيف خطوة أولى في الطريق إلى التشخيص.

فالإسهال الحاد الذي يداهم المرء فجأة ، ويستمر عدة أيام فقط وترافقه أعراض جهارية ، ود... الغائط ، دليل على التهاب القولون أو تقرحه ... « للزحار الاميبي ».» والتهاب القولون التقر... وغيره ، والمضادات الحيوية قد تكون أحد ...

هذا الإسهال ، غير أن الأعراض الجهازية لا ترافقه إلا بدرجة محدودة ، أما الإسهال الحاد المترافق مع الأعراض الجهازية دون وجود دم أو قيح في الغائط ، فهو بالتأكيد ينشأ عن تسمم الطعام ، أو التهاب المعدة والأمعاء الفيروسي

وآخر حالات الإسهال هي الإسهال المزمن أي الذي يستمر شهوراً أو سنوات ، فإذا لم ترافقه أعراض جهازية ، ودم ، فهو الذي ينتج عن حالة نفسية أو ينتج عن نقص خميرة اللاكتيز ، أو عن تناول المضادات الحيوية ، أو على إثر عملية جراحية في الأمعاء ، أما اذا رافقه تناقص في الوزن ونقص في الفيتامينات فهو « سوء امتصاص » ، وإذا رافقه دم في الغائط ، دون أعراض جهارية ، فهو التهاب المستقيم المتقرح ، أو هو أورام القولون

إسهال المسافرين

يصاب المسافرون بالإسهال ، وتتراوح نسبة الإصابة ما بين ٢٥ ٪ ـ ٥٠ ٪ حسب المنطقة التي يسافرون إليها ، وتكون النسبة أكبر لدى المسافرين من البلدان الصناعية المتحضرة إلى البلدان النامية ، وتظهر أعراض الإسهال عند بلوغ المسافر غايته ، أو بعد فترة تتراوح ما بين أسبوع وأسبوعين ، وأحياناً بعد عودة المسافر إلى بلده ، وغالباً ما يكون الإسهال حاداً ، يداهم صاحبه فجأة ، لكنه غير مترافق مع الغائط ، بل يرافقه ألم في البطن ، وغثيان وتقيؤ ، وإحساس بالتعب ، وربما ترافقه الحمى والقشعريرة وفي معظم الحالات يكون الإسهال قصير الأمد ، إذ يستمر عدة أيام ثم يزول تلقائياً ، وفي بعض الأحايين يكون شديد الخطر وبخاصة في البلدان الموبوءة ، مثل بنغلادش التي يؤدي الإسهال فيها إلى نسبة عالية من الوفيات

وسبب هذا الإسهال في كثير من الحالات (٤٠ ـ ٧٠ ٪) نوعاً من البكتيريا يسمى « E. Coli » ، وهناك مكروبات وطفيليات أخرى قد تكون هي السبب ، مثل « السالمونيلا » ، و « الجارديا » ، و « الأميبا » ، وغير ذلك وفي بعض الحالات ، لا يظهر للإسهال أي سبب واضح

تحليل الغائط

يعتبر فحص الغائط في المختبر من الوسائل المهمة في تشخيص أسبابه ، ويكون الفحص بالنظر أولاً ، وبالمجهر ثانياً ، ثم بالتحليل الكيميائي

فبالنظر ترى كمية الغائط ، فإذا كانت أقل من ٢٠٠ غرام في اليوم الواحد فالإسهال عصبي المنشأ ، ومن مظاهر هذا النوع كثرة مرات التغوط ، وقلة كميته في كل مرة ، أما إذا كانت كميته أكثر من كيلوغرام في اليوم الواحد فالإسهال ناشيء عن سوء امتصاص ، أي أن الأمعاء لا تمتص الماء والغذاء بصورة كافية ، فيطرح قسم كبير منه مع الغائط ، أو أنه ناشيء عن مرض يؤدي إلى زيادة إفراز الماء من قبل الأمعاء

وباستخدام المجهر يمكن اكتشاف الدم ، لأن وجوده يدل على التهاب الأمعاء أو تقرحها ، كما في الزحار الاميبي ، والتهاب القولون التقرحي ،

وغيرها وقد نشاهد الديدان والطفيليات وبيوضها ويستخدم التحليل الكيميائي إن وجدت زيادة في حموضة الغائط ، لأنها دليل على نقصان خميرة اللاكتير ، وهي الخميرة المسؤولة عن هضم سكر الحليب « لاكتوز » ، فإذا قلّت بقي السكر دون هضم كامل ، فيتحول إلى حامض اللبن الذي يزيد « حموضة الغائط » ، وكذلك الأمر مع نقصان أية خميرة من الخمائر الهاضمة للكربوهيدرات

هل من عـــلاج ؟

إن حجر الزاوية في العلاج هو معرفة سبب الإسهال، ولأن هناك مئات الأسباب ، فلن نتناول العلاج بالتفصيل ، بل سيقتصر الحديث على المبادىء الأساسية في العلاج ، أي طرق العلاج التي لا بد منها في كل حالة من الحالات مهما كان سببها

أهم هذه المبادىء تعويض المصاب عن السوائل المفقودة ، فالاسهال يؤدي إلى فقدان كمية كبيرة منها ومن الأمـلاح ، ولا بـد من تعـويضهـا ، ويمكن التعويض عن طريق الفم ، إذا لم يكن المريض مصابا بحالة تقيؤ شديدة ويمكن تحضير المحلول المناسب في البيت ، وذلك بأن يؤخذ مقدار ملعقة طعام من الملح ، وملعقة طعام من الصودا ، وأربع ملاعق طعام من السكر ، وتضاف جميعها إلى لتر ماء - أو أقل من اللتر قليلاً - ، ويشرب المريض هذا المحلول بعد إضافة مادة تمنحه نكهة طيبة - إن وجد - أما إذا المريض يتقيأ بشدة فلا فائدة من إعطائه أي شيء طريق الفم ، لأنه سيطرحه مع القيء ، ولا بد نقله إلى المستشفى ليعطى السوائل عن طـ الوريد

إن العقاقير المثبطة لحركة الأمعاء - مورو كودائين ، أتروبين ، لوموتيل - شائعة الاستعمـ لأنها توقف الإسهال بسرعة ، غير أن هناك خلاف الأطباء حولها ، فبعضهم يرى أن الإسهال عمـ دفاعية ، يقوم بها الجسم لطرد المكروبات أو السموم، فإذا أوقفت حركة الأمعاء، تتهيأ الفرصة للمكروبات لاختراق الأمعاء ، ولهذا فلا بد من موازنة دقيقة ، بين فائدة تلك العقاقير ومضا ر المحتملة ، وهذا من شأن الطبيب

وينصح الأطباء كل مسافر أن يقي نفسه من الإسهال بطرق بسيطة معروفة ، لكنها فاعلة فعندما يحل في بلد جديد عليه الاهتمام الشديد بالنظافة،والسكن في فنادق نظيفة جيدة التهوية وعدم تناول الأطعمة المكشوفة من الباعة المتجولين ومعظم الأطباء لا ينصحون بتناول المضادات الحيوية القاتلة للبكتريا كوسيلة للوقاية من إسهال المسافرين ، وبعضهم ينصح بها للعلاج فقط ، من عقار « ستربين » ، بالإضافة إلى العقاقير المضادة للإسهال □

● ليس هناك من يستطيع خداعك بقدر ماتستطيع أنت خداع نفسك

(غرينيل)

● ان لك في مالك شريكين ، الحدثان والوارث ، فان قدرت ان تكون أقل الشركاء حظا فافعل

(ابو ذر الغفاري)

● سأل الممكن المستحيل ، أين تقيم ؟ فأجابه في أحلام العاجز (طاغور)

● أدنى أخلاق الشريف كتمان سره ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه

(المهلب بن أبي صفرة)

منتدى العربي

قضية

عصر السرقات الأدبية

بقلم : مصطفى سليمان *

يشهد عصرنا ـ عصر الطباعة والاتصال الثقافي ـ ظاهرة مرضية ، تصيب المثقفين والمتثاقفين بشكل لم تعرفه العصور القديمة ، وهي السرقات الأدبية .

ذلك لأن العصور القديمة قد شهدت ظاهرة السرقات الأدبية على نطاق ضيق ، نظرا لمحدودية انتشار الكتاب في تلك العصور ، وتباطؤ الاتصال الثقافي بين الشعوب مقارنة بعصرنا

لابراهيم عبد القادر المازني مقال طريف ، عن السرقات الادبية أعادت نشره مجلة الدوحة عدد ـ أغسطس ١٩٨٣) وقد أوضح فيه أن الاستاذ عبد القادر حمزة قد أثبت استنادا على ما وقف عليه وكشف عنه علماء الآثار المصرية والتاريخ المصري القديم أن (هوميروس) شاعر الملاحم اليونانية قد أخذ كثيرا من قصائده وقصصه من المصادر وقد نشر عبد القادر حمزة النصوص ، وأثبت أن (هوميروس) قد استبدل الأسماء المصرية بأسماء اغريقية

في التاريخ القديم

يصف المازني أن (هيرودوت) المؤرخ الاغريقي الكبير يقول عن (هوميروس) كلمة لها مغزاها ، ذلك أنه يصف عمله بأنه (تنظيم) ، ويقول عنه في موضع آخر أنه وضع (إطارا)

* كاتب صحفي من القطر العربي السوري

للقصص ، و (جمعها) ، ومعنى هذا أن هوميروس) لم يبتكر قصصه ، وإنما جمعها ورتبها

أما الشاعر الانجليزي (ملتون) مؤلف (الفردوس المفقود) فقد اقتبس موضوعه ، ومواقفه، وعباراته - حرفيا أحيانا - عن شاعر إيطالي مغمور ، كان معاصرا له ، حتى عثر (سورمان دوجلاس) على نسخة وحيدة من رواية (أداموكانتو) لمؤلفها الايطالي (سرافينوديللا سالاندرا) ويروي المازني أن عباس محمود العقاد أعاره قصة (تاييس) - مؤلفها (أناتول فرانس) - ليقرأها ، وبعد عدة أيام أعاره قصة انجليزية أخرى من تأليف (تشارلز كينجزلي) اسمها (هايبشيا) ، وكان العقاد يريد أن يلفت نظره إلى التطابق الكامل بين الروايتين

والغريب أن النقاد يتهمون المازني والعقاد أنهما استوحيا كثيرا من أشعارهما ، من المجموعة الشعرية الانجليزية الشهيرة باسم (الكنز الذهبي) !!

وقد أفرد نقادنا العرب القدماء كتبا خاصة ، وفصولا غزيرة المادة لقضية السرقات الأدبية ، وبخاصة في مجال الشعر ، باعتباره الفن الابداعي العربي الأساسي ، وهذا ما نجده عند الآمدي ، والجرجاني ، والثعالبي ، والحاتمي ، وأبي هلال العسكري ، وما نجده في تعليقات للشعراء أنفسهم على قصائد غيرهم وكل هذا يؤلف مادة غنية للبحث ، كما هو موجود في موسوعة الأدب العربي العظيمة « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني واتهامات أبي فراس الحمداني للمتنبي مشهورة في بلاط سيف الدولة الحمداني وقد كان المتنبي أعظم شاعر يتعرض لتهمة السرقات الأدبية لأنه قد ملأ الدنيا ، وشغل الناس وكانت هناك اتهامات ظالمة في حقه ، كما نجد في الرسالة الحاتمية في الكشف عن سرقات المتنبي ، حيث نجد تجريحات مضحكة ، مبتذلة ، تؤكد أن الحاتمي قد قضى وقتا طويلا وجهدا في تلفيقها وتجريحها ، أكثر مما قضاه المتنبي في نظم قصائده

السطو على بحوث كاملة

غير أننا لم نعثر خلال مطالعتنا في أمهات التراث العربي ومظانه على إغارة شاعر من الشعراء على قصيدة كاملة لشاعر آخر ، وادعائه أنها من إبداعه ثم نجد في عصرنا الراهن ، اذ يسرق بعض الكتاب - ومنهم أساتذة - بحوثا كاملة ، وينسبونها إلى أنفسهم زورا وبهتانا ، ونحن في عصر الطباعة والانتشار السريع الواسع لوسائل الاعلام والتثقيف من الكتب ، والمجلات والصحف وهذه بعض الأمثلة

نشرت مجلة « الأسبوع العربي » بتاريخ ٢٢ - ١ - ١٩٧٩ موضوعا عن القصة العراقية . بقلم (جوزيف كيرور) ، بعنوان « بحث عن الإنسان وحرية الجسد » وكان نقلا حرفيا عن بحث للكاتب القصصي (عبد الستار ناصر) من العراق وقد نشر في مجلة « الموقف الأدبي » بالعدد ١٢ - نيسان (ابريل) ١٩٧٥ - بعنوان « إشارات أولى في القصة العراقية المعاصرة » ، ولم يتغير غير العنوان

أما الأستاذ المغربي (محمد محمد الخطابي) فقد كشف جذور بحث للدكتور (محمد التونجي) نشره في دورية (اللسان العربي) الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط ، المجلد الثالث عشر ١٩٧٦ إذ قال الأستاذ الخطابي إن بحث الدكتور التونجي « رأي في جذور الضمائر العربية » ، يكاد يكون اقتباساً كاملاً عن بحث للأستاذ عبد الحق فاضل ، نشره في الدورية نفسها عام ١٩٦٧ بالعدد الخامس

أما الدكتور (ابن عبد الله الأخضر) الجزائري فقد كشف في مجلة الطليعة الأدبية العراقية - فبراير ١٩٧٩ - أن عبد الجبار محمود عندما نشر بحثا في المجلة نفسها بعنوان « أثر ألف ليلة وليلة في المسرح الأوروبي » في عدد أكتوبر ١٩٧٨ ، كان مقتبساً حرفياً من مصادر ذكرها الدكتور الأخضر دون أن يشير كاتب البحث إلى صفحات تلك المصـ

وفي العدد الرابع من المجلد السادس - مجلة

« المورد » العراقية الفصلية وحد الدكتور عماد عبد السلام من كلية التربية بجامعة بغداد أن السيد فاحر الرراق المناع قد نشر بحثاً في مجلة « المورد » عن مؤلفات عبد الكريم الجيلي في عدد خريف ١٩٧٨ ، كان الدكتور عماد عبد السلام قد نشره « حرفياً » في مجلة « الأقلام » العراقية ، في العدد الخامس ١٩٧٠

أما بول شاءول ، المحرر الثقافي في مجلة « المستقبل » الأسبوعية فقد أجرى لقاء مع المستشرق الفرنسي (حان فونتين) مؤلف كتاب (الموت والبعث عند توفيق الحكيم) ، وفي هذا اللقاء - العدد ١٠٩ - ٢٤ مارس آذار ١٩٧٩ - قال فونتين هناك سرقات في مسرحية « أهل الكهف » فقد أخذت من (النظرة إلى الخلف) لإدوار بيلامي ، ومن (الزمن الحلم) لهنري رينيه لونورمان ، وقد وجدت عند الحكيم جملاً مترجمة حرفياً عن هاتين المسرحيتين ، بل لقد وجدت بعض المواقف منقولة ، هذا إلى جانب (١٩) عملاً مستوحى من أعمال غربية

الاستيحاء والسرقة

ونحن لا نحكم بأن « الاستيحاء » سرقة ، لا بد أن نعترف بأن السرقة سرقة !

منذ سنتين أو ثلاث على ما أذكر ، قرأت أن بـ الصحفيين الفرنسيين أثاروا حملة شعواء على أ. أساتذة التاريخ في السوربون ، لأنه يورد في ك اقتباسات من كتب غيره ، دون ذكر المرجع ، وضع الاقتباس ضمن علامات التنصيص المعروف وكانت النتيجة أن الأستاذ أوقف عن عمله ، حـ أعاد طبع كتبه وفق أصول منهج البحث العلمي

ومنذ مدة أسقطت إحدى الجامعات العربية صـ الأستادية عن الدكتور عبد الحسين القطيفي ، لخيا، للأمانة العلمية

لكن الذين يغيرون على إبداع الآخرين ا يرتدعون ولا يستسلمون أبداً ، وطالما كان هنا إبداع فسيكون هناك من هو على استعداد للإغار، عليه لكي ينسبه إلى نفسه

على مقال :

الطيَران حَول العالم دون توقف

قرأت مقال « الطيران حول العالم دون توقف » في العدد ٣٤٤ لشهر يوليو ٨٧ م وفي الـ ور الأولى من المقال يورد الكاتب الاستاذ المهـ س سعد شعبان مايلي عندما كتب الأديب الفر ي « جول فيرن » قصته الخيالية « حول العالم ثـ ـ يوما » في أواخر القرن الماضي قبل استخدام الطائرات لم يكن يتصور أن شطحات خياله يمكن أن تتحول يوما ما إلى حقيقة ، وخاصة أن الوسيلة التي تنقل بها بطل الرواية من بلد إلى آخر ، حينذاك، هي البالون الذي كان اختراعا جديدا

والحقيقة أن بطل الرواية « حول العالم في ثمانين يوما » واسمه السيد « فوج » لم يستخدم البالون بل

الوسائل التي استخدمها في رحلته هي العربات
رها الخيول . القطارات البحارية . السفن
ية ، والفيل في الهند والرحافة الجليدية التي
ا الهواء أي وسائل انتقال متعددة بعضها
اختراعات حديثة مثل القطارات البحارية
ها قديم قدم الحضارة الانسانية مثل الفيل
ة التي تجرها الخيول والرحافات الجليدية وليس
. فقط

لجدير بالذكر أن جول فيرن نفسه قد ركب
في احدى تجاربه الأولى في فرنسا وعلى ذكر
فيرن « ١٨٢٨ ـ ١٩٠٥ » فقد كتب هذا الكاتب
سي العديد من الروايات والمسرحيات وان
كتبه تعتمد على الخيال العلمي ، ومن أشهرها
الى أعماق الأرض ، من الأرض الى القمر ،
ن ألف فرسخ تحت الماء ، الجزيرة الغامضة »
ا

في قصته رحلة الى أعماق الأرض تصور الكاتب
ا من العلماء،وقد نزل إلى أعماق الأرض
دما فتحة بركان خامد ليجد عالما غريبا من
صورات والسرحسيات والمستنقعات ، ثم
هذا الفريق بعد رحلة من المغامرات من فوهة
فيروف في لحظات كان يتأهب فيها للثوران
في قصته ، من الأرض إلى القمر ، فيتخيل أن
ضم مدفعا هائلا يبنى على الأرض ويقذف
لة مزودة بالطعام والاكسجين الى خارج نطاق
ة الأرضية لتواصل رحلتها الى القمر لتحط على

القمر وتعود الى الأرض منطلقة من القمر بواسطة
صواريخ الدفع الذاتي وتهبط في المحيط مستخدمة
مظلات واقية

وفي قصته « عشرون ألف فرسخ تحت الماء »
يصمم بطل الرواية الكابتن نيمو غواصته العجيبة
النوتيلس (أمريكا تطلق نفس الاسم على احدى
غواصاتها) ويتم صنع أجزاء تلك الغواصة في أقطار
متفرقة ليعود نيمو إلى تجميعها على جزيرة نائية وتقوم
برحلة طويلة تحت الماء تحطم أثناءها العديد من
السفن،وتقوم سفينة أمريكية بتعقبها ولكنها لا تفلح في
اصطياد هذا « الوحش البحري » الغامض وهدف
نيمو من بناء هذه الغواصة هو مساعدة الضعفاء
والانتصار للمظلومين والمضطهدين ، حيث كان
نيمو ومن معه يستغلون الكنوز الغارقة في السفن
وإيصالها الى حركات التحرر في العالم ومن طريف
ما تخيله في هذه الروايات أن هناك نفقا تحت الأرض
يربط بين البحر الأحمر والبحر المتوسط

وبعد ،

لايمكن في هذا الباب « منتدى العربي » الكتابة
باسهاب عن أعمال « جول فيرن » ولكن يمكن القول
انه كان دقيقا في تخيلاته وتصوراته ، إذا علم أنه
تصور وجود الغواصة قبل اختراع أول غواصة
بخمسين عاما على الأقل ، وقبل اختراع الغواصة
التي تعمل بالنترول بمائتين وسبعين عاما □

سليمان أحمد الهيماوي

● لو كان الاستبداد رجلا وأراد أن يحتسب نسبه لقال أنا الشر وأبي الظلم وأمي الاساءة وأخي الغدر وأختي المسكنة وعمي الضر وخالي الذل ، وابني الفقر وابنتي البطالة وعشيرتي الجهالة ووطني الخراب !

(الكواكبي)

● أنا لا أهدي إليكم ورقا	غيركم يرضى بحبر وورق
إنما أهدي إلى أرواحكم	فكرا تبقى إذا الطرس احترق

(ايليا أبو ماضي)

«ماريو فارجس ايوسا»

وأدب الواقع والتجريب في أمريكا اللاتينية

بقلم : الدكتور حامد أبو أحمد

عملت الظروف السائدة في بلدان أميركا الجنوبية ـ وهي نفس الظروف التي تعم بلدان العالم الثالث ـ على ظهور جيل من الأدباء ، قدر له أن يكون معبرا أصدق تعبير عن الظلم الاجتماعي والتفاوت الطبقي الكبير الذي تعاني منه شعوب تلك البلدان وقد اشتهر من أولئك الأدباء جابرييل جارثيا ماركيز ، لكن ماريو فارجس لا يقل عنه أهمية

ينتسب ماريو فارجس إيوسا إلى الجيل التالي مباشرة لجيل جابرييل جارثيا ماركيز (ولد ماركيز عام ١٩٢٨ ، وولد إيوسا عام ١٩٣٦) ، وكان في بداية حياته الأدبية من أشد المعجبين بماركيز ، فكتب عنه دراسة ضخمة ، في سبعمائة صفحة تقريبا ، نشرت في إسبانيا عام ١٩٧١ لكن يبدو أن الأيام قد فرقت بين الأستاذ وتلميذه ، وباعدت بينهما المسافات ، ومن ثم أحجم ماريو فارجس عن إعادة طبع هذا الكتاب القيم مرة أخرى ، على الرغم من أن كتبه غالبا يعاد طبعها في العام الواحد أكثر من مرة ، حتى ان قصته « من قتل بالومينو موليرو ؟ » ، صارت تطبع كل شهر مرة تقريبا ، منذ أن صدرت في أوائل عام ١٩٨٦م

وقد لفت ماريو فارجس نظر النقاد إليه منذ شبابه الباكر ، حتى جعله ناقد كبير هو لويس هارس عاشر عشرة أدباء كبار من أمريكا اللاتينية ، من أجيال سابقة (مثل خورخي لويس بورخيس ، وخوان كارلوس أونيتي ، وخوليو كورتاثار وجارثيا ماركيز ... إلخ) عندما تحدث عنهم في كتابه الشهير « أدباؤنا » الذي صدر في نوفمبر عام ١٩٦٦ وقد بدأ لويس هارس حديثه عنه بقوله . « نحن في عام ١٩٦٦ نواصل الطريق نحو اكتمال فن القصة في بلادنا ونحن في حالة صعود مستمر وحتى الآن لا ندرك رأس القمة بوضوح ، لكن المحرك (الموتور) تتولد عنه يوما بعد يوم طاقات أكثر ، والدليل على ذلك هو فارجس ايوسا ، فمنذ أربع سنوات تقريبا عندما كان عمره ستة وعشرين عاما ، وله من الأعمال الأدبية عملان فقط ، هما مجموعة قصص قصيرة ورواية ، منذ ذلك الحين برز اسمه بقوة بصفته أحد كتابنا الشبان ، وكان يتميز

عيره بموهبته الفذة ، وباحلاصه لفنه ، لقد كان ، فبدا كأنه ولد وفي مهده لغة من نار وعصا ية ، وهو يملك القوة وحرارة الايمان والطاقة اعية الحقيقية وقد حاءته الشهرة سريعا لأنه ها بشرف ، واستحقها بكفاءة واقتدار »

اية الأولى

العملان اللذان أشار إليهما هارس هما عته القصصية الأولى « القادة » التي نشرت عام ١٩ ، وحصلت على حائزة « ليوبولدو ألاس » تحمل اسم ذلك الأديب الاسباني الواقعي من ن التاسع عشر ، والعمل الآخر هو روايته ل « المدينة والكلاب » التي حصلت ـ وهي ت مخطوطة ثم نشرت عام ١٩٦٢ـعلى إحدى ائز الأدبية عام ١٩٦٣ في برشلونة باسبانيا ، صلت في نفس العام على حائزة النقد ، وترجمت صدورها إلى حوالي عشرين لغة منها الانحليزية رنسية ، والالمانية والايطالية والروسية والبولندية سويدية والفلندية والنرويجية والبلغارية ولندية وتعتبر هذه القصة هي البداية الحقيقية ته الأدبية يدور موضوع القصة حول تجربته خصية في المدرسة العسكرية ليونثيو برادو في ليما و) التي دخلها عام ١٩٥٠ وظل بها حتى عام ١٩ ، فقد تركت هاتان السنتان انطباعا سيئا جدا اكرة الفتى الموهوب ، لأنها كانت أشبه بمجتمع سه شريعة الغاب ، ولابقاء فيه إلا للأقوى شرس كان القانون السائد في تلك المدرسة ن قوة وعنف ، فبدت المدرسة كأنها تمثل في نظر نظرية داروين المعروفة خير تمثيل وقد وصف س إيوسا في قصته أوضاع المدرسة بكثير من سخرية ، مستخدما التقنيات الحديثة في فن قص وعلى الرغم من أن القصة قد نشرت في نيا ، أي خارج بلده بيرو ، إلا أنها قد بيعت في بأعداد كبيرة لدرجة أن المسئولين في المدرسة سكرية أصيبوا بكثير من الحنق تجاه هذا الكاتب ب ، فأصدروا بيانا وصفوا فيه ماريو فارحس اد العقل ، وذلك بعد أن جمعوا ألف نسخة من الكتاب وقاموا بإحراقها في احتفال رسمي

وتحدث اثنان من الجنرالات فقالا« إن هذه القصة نتاج عقل مريض » ،ووصفا كاتبها بأنه عدو بيرو ، وهدداه بسحب المواطنة عنه ، وتعريته من كل قيمة وطنية مقدسة

لكن هذا الهجوم الشرس على القصة زادها شهرة وشعبية ، ولفت الأنظار بقوة تجاه كاتبها الشاب الذي أصبح بين يوم وليلة أحد الكتاب المعدودين وفي عام ١٩٦٥ انتهى من كتابة روايته الثانية « البيت الأخضر » التي نشرت خلال نفس العام في برشلونة أيضا ، وقد لقيت من النجاح والانتشار مالقيته روايته الأولى ، وحصلت على مجموعة من الجوائز مثل جائزة النقد (١٩٦٦) والجائزة الدولية للأدب التي تحمل اسم « رومولو جايجوس » عام ١٩٦٧ وهي جائزة يمنحها المعهد القومي للثقافة والفنون الجميلة في فنزويلا ، وكانت قيمتها المادية في ذلك الوقت ٢٢ ألف دولار

رؤيته للواقع الاجتماعي

ظهر ماريو فارجس إيوسا بموهبته الفذة في بلد مثل بلادنا ، يشغل الأدب فيه جانبا هامشيا ، ويكاد يكون مجرد ملء لوقت الفراغ كما يقول لويس هارس في كتابه المذكور ويعود ذلك لأسباب كثيرة ، منها الأزمات الاقتصادية ، والحكومات الدكتاتورية العسكرية ، والفروق الطبقية الهائلة ، والتخلف ، والظلم الاجتماعي ، وغير ذلك من أسباب تحول بين الأدب وبين أن يصبح عاملا مهما من عوامل التوعية الجماهيرية يقول المفكر المكسيكي أوكتافيو باث في كتابه (رمن العيوم) « إن أمريكا اللاتينية تعاني من نفس المشاكل التي تعاني منها بقية دول العالم الثالث

مثل الاعتماد الاقتصادي والسياسي والثقافي على الخارج ، والظلم الاجتماعي ، والفقر المدقع ، حوار الثروة والتبذير ، وغياب الحريات العا... والقمع والحكم العسكري ، وعدم استق... المؤسسات ، والفوضى ، « والديماجوج... والفساد ، وتخلف المواقف الأخلاقية ، و ... حس الذكور ، والتخلف في العلوم والتقنية

تسامح في مجال الآراء والمعتقدات والعادات »

ولذلك فإن الغالبية العظمى من مثقفي أمريكا اللاتينية يرون في قارتهم جحيما يلتهم في أتونه المستعر كل ما هو طيب ، وكل واحد منهم ينظر إلى هذا الجحيم من زاوية مختلفة يقول الناقد حوسيه لويس مارتين في كتابه « قصص فارحس إيوسا » (ص ٣٩) « إذا كان الروائي حاييحوس قد حاول أن يرى نوعا من الجحيم اللاتيني الأمريكي بعينيه المتروبوليتين في رمه ، فإن حوان رولف قد حاول في قصته « بدرو بارامو » خلال الخمسينيات أن يرى بعدا آخر لهذا الجحيم من وجهة نظر أخرى ، وقدم فارحس إيوسا في الستينيات شاشة أخرى للجحيم الأمريكي اللاتيني بعيون بيروية »

ومن خبرة ماريو فارحس بالحياة في أمريكا اللاتينية وتمرسه فيها رأى كيف يكون الظلم في هذه البلاد قانونا والجهالة فردوسا ، ففي كل مكان من هذه القارة المترامية الاطراف تجد الاستغلال ، والفروق الطبقية ، والبؤس والتخلف الاقتصادي والثقافي والأخلاقي وقد عرض فارحس هذه الأشياء في مقال له نشر عام ١٩٦٧ في مجلة « العالم الجديد » (العدد ١٧) بعنوان « الأدب نار » ، ووصفها بأنها كالتنين في قصص الفرسان الذي يلتهم أحشاءه ، إنه تنين من الداخل ، يتمثل في شياطين الطبقات المميزة ، والنزعة العسكرية ، والاقطاعيات الفوضوية ، والرقابة ، وسيطرة جنس الذكور ، « والديماجوجية » ، والقواعد الصارمة ، والبيروقراطية البرجوازية التي تقوم بخدمة السلطة ، وتنين من الخارج يتمثل في التبعية الاقتصادية ، والاعتماد على الخارج أمام هذا الواقع المؤلم وجد الكاتب أنه مطالب بشحذ أسلحته الدلالية والجمالية حتى لو اضطر للدخول في معركة غير متكافئة ضد مواجهين لسواء وحرج منها مدحورا ، أو تعرض حرق كـ في احتفال رسمي كما أشرنا إلى ذلك من قبل ٠ و ن ماريو فارحس أن بلاد العالم الثالث ـ مما فيها أمر اللاتينية ـ تعاني من حالة فساد جماعي ، لكلهم مـ د ، وكلهم مشتركون في هذا الفساد ، إما بالفعل وإما بالتواطؤ أو بالصمت واللامبالاة فالواقع إذن في غاية السوء ، لكن الحياة يجب أن تتغير ، والقصاص مدعو للمساعدة على إحداث هذا التغيير والخروج من هذه الأزمة الجماعية ، فالقصاص يعمل ذلك على نحو ما ذكر فارحس إيوسا في مقاله المذكور آنفا بكتاباته القصصية ، فهو يستخدم فيها كل ما يساعده للوصول إلى هذا الهدف ، كالاحداث ، والأحلام ، والمشاهد ، والمحاورات ، والرؤى ، والكوابيس لكن هذا التغيير يجب أن يتم بوعي أسلوبي كامل ، يدخل في عالم الحداثة ، وبلغة إسبانية أمريكية ، أي نابعة من واقع أمريكا اللاتينية نفسه إن لغة فارحس أيوسا ولغة كل كتاب أمريكا اللاتينية وشعوبها هي اللغة الاسبانية ، لكن هؤلاء الكتاب المحدثين بحسهم المرهف ووعيهم بواقع مجتمعهم وقضاياهم الساخنة استطاعوا أن يثروا هذه اللغة ثراء عظيما ، ويدخلوا عليها تعبيرات وأساليب تندرج في سياق جديد ، تتمثل فيه كل عناصر الوجود المتأزم في أمريكا اللاتينية وأبعاده

يقول حابرييل حارثيا ماركيز في المحادثات التي أجراها معه صديقه بلينيو ميندوثا ونشرت عام ١٩٨٢ (عندما كتبت قصة « الورقة الساقطة » ـ أولى قصصه ـ كنت مقتنعا تماما بأن أجود القصص هو مايكون تعبيرا شعريا عن الواقع) ولعل هذا هو الفرق الكبير بين الواقعية القديمة والواقعية المعاصرة أو الجديدة ، ولهذا يرى ماريو فارحس أن التجارب التي عاشها الكاتب واستوعبها يجب أن تدخل حومة الأسلوب ، كي تحمل أقنعة جديدة ، وتنصهر وتتحول ، ثم تخرج على نحو آخر يمكن وصفه بالشاعرية وإذا لم يتم التعامل على هذا النحو مع الواقع حكم على هذه التجارب بالجمود ، أو الترف ، وبذلك تفقد خاصيتها الحقيقية

مستويات الواقع

تحدث ماريو فارحس في أكثر من مناسبة سواء في مقالاته أو في كتبه أو في أحاديثه فقال .« انه يحاول ان يكتب مايسميه«القصة الشاملة » ، وهي كذلك ،

لأنها تأتي من رؤية شمولية للواقع وقد انطلق في رؤيته هذه من منطلق تأثره بقصص الفروسية التي انتشرت في إسبانيا في أواخر العصور الوسطى وبدايات عصر النهضة . ولذلك يقول « إنهم ـ يقصد مؤلفي هذه القصص وقد كانوا مجهولين ومازالوا كذلك حتى الآن ـ كانوا يقصون مايرونه ، وما يعتقدون فيه ، ومايحسون به وكان وصفهم للعالم ، وتمثيلهم له ، على عكس ماكان يحدث في الأنواع الأدبية الأخرى ، فهو شامل غير حرفي ، أو بالأحرى هو شمولي إن مبدعي هذا النوع كانوا يحاولون إظهار الواقع بكل مستوياته ، وبكل أبعاده ، وكانوا يريدون أن يصمموا قصصهم الحقيقة برمتها » (من مقال « القصة » في مجلة « دفاتر الأدب » عام ١٩٦٩)

وقد تحدث النقاد في أمريكا اللاتينية عن خمسة مستويات للواقع في قصص ماريو فارجس يوجزها فيما يلي -

١ ـ المستوى الحسي ويتسم بالموضوعية ومتابعة الأحداث اليومية العادية ، ورمزه هو الزمن التاريخي العادي

٢ ـ المستوى الأسطوري ويتسم بنقضه للزمن التاريخي ، واستقبال الشيء الخارق للعادة كأنه أمر واقعي ، وطاقته الرمزية

٣ ـ مستوى الحلم وهو سوريالي في المقام الأول ، يحمل عناصر غريبة من الفانتازيا ، والحلم ، واللاشعور ، والكابوس والزمن فيه هو الزمن النفسي الذي أصبح يمثل أساس الزمن في علم النفس

٤ ـ المستوى الميتافيزيقي وهو في جوهره فلسفي ، ذو طروحات عالمية خالدة

٥ ـ المستوى الصوفي ببعده البشري الالهي الذي يجعل من الانسان ضميراً للكون كله

وقد استطاع ماريو فارجس بموهبته الفذة أن يستخدم بعض هذه المستويات بمهارة واقتدار في قصصه ، في محاولة للوصول إلى الهدف الذي يبتغيه ، وهو القصة الشاملة ، أو الاقتراب من ذلك على الأقل

وقد تطلب منه ذلك اللجوء إلى أنواع معينة « التكنيك » ، مثل البناء « الباروكي » (المحـ بالمفاهيم والمحارات) ، والتناسق النغمي وتـ المعجم اللغوي والأكواب الموصلة ، وغير ذلك تقنيات فصلها نقاده في كتب كاملة ، مثل جو... لويس مارتن في كتابه « قصص فارجس ايو... ولامجال للحديث عنها باستفاضة الآن

ومع لجوء فارجس إلى « تكنيكات » فنية ... وحديثة معقدة إلا أنه لم يغفل قط مسألة الوصو... القاريء ، لدرجة أن القاريء يحس أن هذا الكا... يكاد يكون له هدف واحد من وراء كل « تكنيك... هو إلغاء المسافة بين القصاص وبين القراء ... يحس الواحد منهم كأنه أحد أبطال الرواية ، ... قد اشترك مع المؤلف في كتابة العمل وهذه ميـ... لاتتاح إلا لكبار الكتاب

موضوعاته

إن الموضوع الرئيسي الذي يمثل العمود الفـ... في أي عمل روائي لماريو فارجس هو « الفرد ... ضحية لمجتمع متعفن » ، وتتفرع عن هذا المو... موضوعات أخرى كثيرة ، تكشف عن الأ... العميقة التي يعيشها مجتمع يحمل كل أمراض ... الثالث ، وهذا الفرد يمكن أن يكون شخصاً و... أو مجموعة من الأشخاص وهذا الشخص ... ـ عادة ـ بصفتين رئيسيتين ، إحداهما أنه بر... وأخراهما أنه مخدوع على نحو ما ، مما يؤدي الى سقوطه وموته في أغلب الأحيان

في قصة « محادثة في الكاتدرائية » نجد الـ... الرئيسية في غاية البراءة ، تقع ضحـ... البيروقراطية التي تحكم حلقاتها بأسلوب حد... بلاد العالم الثالث ويتم البحث عن ... جدوى ، لأن كل شيء يحتاج إلى أورا... « وبروتوكولات » ، وحركات « هيـ... قصته « من قتل بالوميتو موليرو » ... دوالبراءة ضحية لمصالح الطبقة ... المجتمع ، أو التي يسميها فارجس إ...

ـمان »، وهذه الطبقة تستحل سفك الدماء من أجل ـطية جرائمها ضد الأبرياء الآمنين . ونجد هذا ـت اللغز في كل قصص فارجس إيوسا بدءا من ـوعة « القادة » حتى قصته الأخيرة . وفي رواية ـلمدينة والكلاب » يكشف هذا القصاص عن ـانون الغاب المرادف للنزعة العسكرية » ، فإما أن ـل أو تؤكل كما جاء على لسان إحدى الشخصيات ـرجم هذه الكلمات على نحو آخر ، إما أن تحطِّم ـسد وتعكِّر صفو من لم يسيء إليك وإما أن يتم ـخلص منك» إنه قانون الذئاب الذي تحدث عنه منذ ـون الفيلسوف الانجليزي توماس هوبز . ويبدو ـ يطبق على نحو واسع في بلاد أمريكا اللاتينية ـذكر كلنا مظاهرات « الأمهات » في بيونس ـس في الأرجنتين خلال فترة الحكم العسكري ، ـن طفن بالشوارع مطالبات بعودة أبنائهن المختفين ـذين تم تصفيتهم جسديا في غياهب السجون ـلمعتقلات . وبما أن المدرسة العسكرية كانت هي ـات نفسه ، فقد جسد فارجس هذا المجتمع في ـصصه ابتداء من « المدينة والكلاب » حيث نجد ـدرسة التي يدرس فيها كويار على نفس هذا ـمط ، ونجد مكتب الجريدة التي تعمل فيها رفاليتا ـ « محادثة في الكاتدرائية » كذلك. وهكذا نجد في كل ـقصص ذلك المكان الذي تتحقق فيه شريعة ـغاب ، ويأكل القوي فيه الضعيف بلا رحمة.

ويطلق القصاص مثل كل كتاب أمريكا اللاتينية ـن تجربته الشخصية ، ولا يجد حرجا في الحديث عن ـصور التي ألهمته هذه القصة أو تلك ، وعن ـلأشخاص الذين أوحوا له بشخصيات رواياته ـبون جارثيا ماركيز مجيبا عن سؤال لصديقه بلينيو ـمندوثا ... المحادثات المذكورة سالفا عندما سأله ـساهم نقطة الانطلاق عندك في كتابة أي ـقصة ؟ » نقطة الانطلاق عندي صورة مرئية ، ـظن أن ... قصة تظهر عند بعض الكتاب انطلاقا من ـكرة أو ... ـرم معين ، أما أنا فأنطلق دائما من صورة ـلخصوص ... قيلولة الثلاثاء » كتبتها بعد أن رأيت ـسيدة و ... ترتديان ملابس سوداء ، وتحملان مظلة ، وتسيران تحت شمس الصيف المتقدة في قرية تشبه الصحراء . « والورقة الساقطة » جاءت تأثراً برؤية عجوز يحمل حفيده إلى القبر . ونقطة الانطلاق في « الكولونيل لايجد من يكاتبه » جاءت نتيجة لرؤية رجل ينتظر قاربا في سوق باراكيا في صمت بالغ ، وبعد ذلك بسنوات في باريس كنت أنتظر خطابا أو طردا بريديا على أحر من الجمر الخ ».

ويحدث نفس الشيء بالنسبة لقصص ماريو فارجس ، فهي عالم صور مختزنة في الذاكرة لشخصيات وأحداث وتجارب عاشها المؤلف ، وانفعل معها ، سواء بالقبول أو بالرفض ، بكل أحاسيسه ومشاعره بصفته إنسانا مرهف الحس ، يقظ الضمير ، يؤمن بأن رسالة الأديب هي التمرد على الأوضاع الظالمة ، وكل مظاهر التعسف والتسلط والاستغلال والفوضى . يقول في محاضرة ألقاها عام ١٩٦٦ ، أي في بداية حياته الأدبية :

« من الضروري أن نذكر مجتمعاتنا بما ينتظرها ، وننبهها إلى أن الأدب كالنار ، وأن الأدب يعني عدم الرضا بالأوضاع القائمة ، ويعني التمرد ، وأن أصل وجود الكاتب هو الاحتجاج ، والمعارضة والنقد ، وعلينا أن نشرح لهم أنه ليس هناك حلول وسط فإما أن يلغي المجتمع للأبد تلك القدرة الانسانية المتمثلة في الابداع الفني ، ويقضي بذلك على هذا المحرض الاجتماعي وهو الكاتب ، وإما أن يقبل الأدب ويحتضنه ، وفي هذه الحالة لن يكون لديه من وسيلة الا قبول هذا الوابل المنهمر من الانتقادات ، والسخريات ، والهجاء الذي يتحول من العرض إلى الجوهر ، ومن الفاني إلى الخالد ، ومن السطحي إلى قاعدة الهرم الاجتماعي ».

وكاتب هذا شأنه . فضلا عن تجويده الفني وقدرته الابداعية الخلاقة ، جدير بأن يقول عنه نقاد أمريكا اللاتينية ـ ويؤكدون ـ أن الأدب الحقيقي في هذه القارة بدأ بأديب من بيرو هو الإنكا جارثيلا سودي لافيجا (١٥٣٩ ـ ١٦١٦م) ، وبلغ قمته في أيامنا الحاضرة بكاتب آخر من بيرو أيضا هو ماريو فارجس إيوسا □

الألعابُ الأولمبيَّة لهـا تاريـخ

بقلم : عادل شريف

الاستعدادات تجري الآن في « سيول » عاصمة كوريا الجنوبية لاستضافة الدورة الأولمبية الرابعة والعشرين . التي تقام على مدى ستة عشر يوما حسب الـ ميثاق الاولمبي من ١٧ سبتمبر حتى ٢ اكتوبر ١٩٨٨ الألعاب الاولمبية التى تقام كل أربع سنوات لها قصة ورحال . وتاريخ !

الألعاب الاولمبية قديمة وعريقة بدأت قبل الميلاد بألف عام في « اغريقيا » وهي بلاد « الاغريق » وكانت الالعاب مرتبطة بطقوس دينية وثنية ولا تقام إلا في « اولمبيا » بشمال غرب اليونان التي كانت عاصمة الاغريق الدينية المقدسة

واذا كانت الألعاب مجهولة التاريخ بسبب الزلازل والاعاصير وقلة الأدلة والوثائق المكتوبة أو المحفورة على الحجر فإن المؤرخين المحدثين يرون انها بدأت في عام ٧٧ ق م لأنه اول تاريخ « مكتوب »

يؤكد الاحتفال بالالعاب الاولمبية المنسوبة الى ... اوليمب أعلى جبال اليونان حيث كان « زيوس » كبير الالهة يعيش فوق قمته كما كانت الاساطير تؤكد منذ تلك الايام العابرة

والاكيد أن الأغريق اخذوا الالعاب الا... الفينيقيين سكان الساحل الشرقي للبحر ... هواة الهجرة والترحال الذين بنوا اول ملعب ... في العالم ومزجوا بين الرياضة واقامة ... الوثنية أي الاحتفال بمهرجانات ... ورياضية معا كان الاغريق يقيمون ...

الملعب الرئيسي في سيول مستعد الان لكل التحديات

دائما ، ومرة كل أربع سنوات ، والعريب أن البرامج الرياضي للالعاب الاولمبية « القديمة » لم تكن يتضمن سوى سباق واحد !! وكان سباق جري بطول « الاستاديون » أي الملعب ، وكان طوله ١٩٢ مترا ، و٢٧ سنتيمترا وكان أول فائز اوليمبي هو « كوروسوس » الذي كان طاهيا من ولاية « ايلليس » وقهر كل منافسيه وهو عار تماما مثلهم ، فهذه كانت تقاليد تلك الايام الخوالي

وبمرور الأيام وكر الاعوام أضافوا مسابقات أخرى الى « الاستاديون » مما اضطرهم لمد فترة المهرجان الرياضي - الديني الى خمسة أيام كانت ثابتة الموعد عندما يكتمل القمر في شهر يوليو ولذلك كانت الناس تشكو من توافر الحشرات وعندما اشتكوا من قلة الماء بني ثري يوناني نافورة ضخمة على حسابه . فشربت الناس شاكرة كما تعلن من السبيل » العربي ، ويوليو تموز - هو شهر حر الصيف في اوليمبيا من زمان وحتى الآن

لا للنساء ولاولمبيا

وكانت تقاليد الاعريقية القديمة تحرم على النساء دخول اوليمبيا ومعابدها المقدسة باستثناء كاهنة معبد « ديميترشاو » وكانوا يقتلون كل من يقبض عليها في داخل « اوليمبيا » بالقائها من فوق جبل « تيبايون » ولم تنج من القتل سوى « كالليباتيرا » التي تنكرت في زي الرجال وادعت انها « مدرب » ابنها الذي دربته واشركته في بطولة « الملاكمة » للناشئين وعندما فاز حثت من الفرحة فوقع عنها ثوبها فانكشف امرها ولكنها احادت الدفاع عن نفسها بأنها من عائلة تضم عديدا من الأبطال الاولمبيين ، فعفوا عنها لسمو مكانة هؤلاء الأبطال . وإن قرر المسئولون اشتراك المدربين في الألعاب « عراة » تماماً مثل كل اللاعبين .

وعندما اتسعت الامبراطورية الرومانية التهمت كل جيرانها ومن بينهم اليونان وكان الرومان يغارون من الاغريق لتقدمهم في العلوم والفنون والآداب والثقافة ، والرياضة و . ووصلت الغيرة - وهي نار تحرق ان لم تكبح - الى حد اصدار الامبراطور الروماني « ثيودوسيوس » قراراً جائراً ظالماً في سنة ٣٩٣م يقضي بالغاء الألعاب الاولمبية بتهمة انها تشكل مهرجانات « وثنية »

نالف المسيحية التي كانت روما قد اعتنقتها بعد جهود طويلة من الوثنية وقهر المسيحيين والقائهم طعاما للاسود الجائعة !

وكانت اليونان في ذلك العهد ولاية تابعة لروما ومن ثم كان عليها الطاعة والامتثال رغم ان اعريقيا كانت تعشق الالعاب الاولمبية عشقا مبرحا وكانت العاصمة اثينا بعد ازدهار الامبراطورية اليونانية قد فتحت باب الاشتراك في الالعاب لجميع البلاد التابعة للاعريق

وطال رقاد الألعاب الاولمبية حتى بدأت حملة البارون الفرنسي « بير دي كوبيرتان التي جاءت من وحي حفريات الألمان في « اوليمبيا التي كانت قد اندثرت بفعل المحن والزمن والعواصف والزلازل وفيضانات نهري « الفيوس » و « كلاديوس » ودي كوبيرتان » في حملته حملة شهيرة

لقد كشفت ألمانيا عن بقايا اوليمبيا

فلماذا لا تعيد فرنسا امجاد اوليمبيا القديمة ؟ و

وقد كان ، فقد نجح دي كوبيرتان وتشكلت اللجنة الاولمبية الدولية في ١٨٩٤ وعهدت اثينا بتنظيم « أول » دورة اوليمبية عصرية صيفية تمييزا لها عن الدورات الاوليمبية الشتوية الخاصة بألعاب الجليد - في صيف ١٨٩٦ فكان ذلك القرار خير تكريم وتشريف لبلاد الاعريق مهد الالعاب الاوليمبية

كوربوس الجديد

والطريف أن دورة اثينا « الصيفية » اقيمت في الربيع في ١٦ ابريل ١٨٩٦ الذي وافق عيد اليونان القومي وكان اول بطل احرز ميدالية ذهبية في الاولمبياد الحديدة العصرية هو الأمريكي جيمس كونوللي الذي فاز بمسابقة الوثبة الثلاثية ، فوضعوا على رأسه اكليل الغار المكون من اغصان الزيتون وتلك طريقة تكريم ابطال « اوليمبيا » القديمة فأغصان الزيتون رمز للسلام

وفيه اشارة الى معاهدة السلام الاجباري التي كانت تفرض السلام في فترة الالعاب الأولمبية القديمة لضمان وصول المتنافسين الى اولمبيا وعودتهم منها في اطمئنان وامان وان عجزت الدنيا في الالعاب الاولمبية الحديثة فرض مثل هذا السلام لان الحروب مسببة الكروب منعت اقامة دورات ١٦ و٤٠ و١٩٤٤ لان اله الحرب مارس مارس مداعباته الثقيلة وفرض على الدنيا الحرب والخصام بدلا من الحب والسلام

شعبية . جارفة

وقررت اللجنة الاوليمبية الدولية عقد الالعاب في مدينة واحدة - فالمدن هي التي تنظم الدورات وليست الدول - رغم مطالبات بذلك وكانت ركيزة القرار قائمة على العدل ، ففي تعيير المدينة المضيفة ...

مسابقات كرة السلة للسيدات دخلت الأولمبياد

لاولمبية من الازدهار والانتشار،وترسيب لمفاهيمها فلسفتها واهدافها الشريفة السامية الصادقة فهي تلك تعميق الود والتفاهم والانسجام بين شعوب كوكب الارض ، وتدعيم السلام العادل الشامل بل حول عشاق فلسفة الحركة الاولمبية ان اعظم مرجان على سطح كوكب الارض - أي الالعاب الاولمبية - هو البديل الوحيد المعقول والمقبول للحروب !

فالمنافسة في ميادين هذه الالعاب يمكن ان تلغي الاقتتال في ميادين الحروب

ترى هل ستتحقق للبشرية هذه الاحلام الذهبية الوردية السلمية ؟

تصاعدت شعبية الالعاب الاولمبية الى حد لم يتصوره اكثر المتفائلين تفاؤلا ، وكسر عدد الدول المشتركة فيها حاجز المائة دولة ، وعدد اللاعبين واللاعبات حاجز العشرة الاف نسمة وكانت العاب اثينا ١٨٩٦ شديدة التواضع فقد اشترك فيها ٣١١ لاعبا من ثلاث عشرة دولة ، تنافسوا في تسع لعبات ، اما الالعاب ١٩٨٨ التي ستنظمها « سيول » عاصمة كوريا الجنوبية فقد ارتفع عدد المسابقات - المدرجة في برنامجها الرياضي الى ٢٥ لعبة وسيكسر عدد الدول المشتركة حاجز المائة وخمسين دولة - مالم تحدث مقاطعة كما حدث لدورتي موسكو « ٨٠ ، ولوس انجلوس ٨٤ - وسيحطم عدد اللاعبين واللاعبات حاجز الخمسة عشر الف مشترك

منافسة ساخنة

ولا ادل على حب المدن لاستضافة الالعاب الاولمبية - الى حد الطمع والجشع - من أن لندن وباريس ولوس انجلوس نظمت كل منها الألعاب مرتين ومن ان بعض المدن مثل تورينتو برمنجهام الانجليزية - تنافس اثينا في استضافة العاب ٩٦ بروح غير رياضية فهذا العام هو العيد المئوي « للألعاب الأولمبية العصرية واسا عاصمة اليونان - مهد الأولمبياد - هي أجدر من شرف التنظيم في هذا العيد الذي لا يتكرر سوى مرة واحدة في كل التاريخ ، ولذلك تقوم ميلينا مركوري الممثلة السينمائية السابقة ووزيرة الثقافة الحالية في اليونان بحملة عالمية واسعة النطاق لاقناع الدنيا كلها و « الخالدين » بأحقية أثينا في التنظيم دون منافسة

و« الخالدون » هم أعضاء اللجنة الاولمبية الدولية التسعة والثمانون فهناك « خالدون » في كل مجالات الحياة وعلى ذكر « الخالدين » ندعو من فوق صفحات « العربي » القراء بكل روح سمحة الى فكرة أمينة شبيهة معمول بها في الغرب ، وهي قاعات الخالدين « التي يضمون اليها في كل عام اسماء خمسة او عشرة ممن قدموا خدمات جليلة للألعاب الرياضية حثاً للاخرين على بذل مزيد من الجهود المخلصة الأمينة في مجال الرياضة السمحة النبيلة

اول عربي

كان اول عربي اشترك في الالعاب الاولمبية هو بطل السلاح (المبارزة بالسيوف) المصري احمد حسنين الذي اشترك في ألعاب ستوكهولم الاولمبية ١٩١٢ عندما كان طالبا يدرس في جامعة انجليزية ثم اصبح فيما بعد احمد حسنين « باشا » رئيسا للديوان الملكي في مصر

وأول عربي احرز ميدالية اولمبية ذهبية هو بطل مصر في رفع الاثقال سيد نصير الذي فاز بذهبية خفيف الثقيل في دورة امستردام ١٩٢٨ وحمل كل ما اهدوه من زهور وورود الى غرفة جاره ومواطنه ابراهيم مصطفى فكانت فالا حسنا لان ابراهيم فاز في اليوم التالي بذهبية وزن خفيف الثقيل في المصارعة الرومانية

بعد ذلك توالت الانتصارات العربية الاولمبية الذهبية ففاز العداء التونسي بذهبية الخمسة الاف متر جري في دورة مكسيكوسيتي ١٩٦٨

وفي دورة لوس انجلوس عام ١٩٨٤ . اصبحت البطلة المغربية نوال المتوكل أول عربية تنال ميدالية

ذهبية وكان ذلك الانجاز التاريخي المبهج في مسابقة ٤٠٠ متر حواجز وفي نفس الدورة نال البطل المغربي سعيد عويطة ذهبية ٥٫٠٠٠ متر جري.

والى جانب هذه الانتصارات الذهبية المبينة فاز بعض ابطال العرب بميداليات فضية وبرونزية وديبلومات المراكز من الرابع الى السادس وهم ابطال من مصر وتونس والجزائر ولبنان والعراق والمغرب

ومن الاعماق نرجو كل الخير والنجاح للاعبينا ولاعباتنا في دورة « سيول » التي ستنظمها عاصمة كوريا الجنوبية من ١٧ سبتمبر الى ٢ اكتوبر إن شاء الله

لا . . . لحواء

والطريف أن « دي كوبيرتان » باعث الألعاب الاولمبية الحديثة كان على رأس المعارضين لاشراك « حواء » في الألعاب الاولمبية الجديدة اسوة بالمتبع في الالعاب القديمة حيث كانت ألعاب مخصصة للنساء فقط ولكن ليس في اولمبيا ـ ولكن الحواءات قمن بهجوم مضاد على حملة « دي كوبيرتان » ونجحن في الاشتراك في الدورة الثانية التي نظمتها باريس «مدينة النور» كما يسمونها في عام ١٩٠٠ عندما اصبحت « شارلوت كوبر » بطلة التنس الانجليزية اول حواء تحوز ميداليات اولمبية فقد انتزعت من المضيفات الفرنسيات ميداليتي فردي السيدات والزوجي المختلط ، فكرهتها كل فرنسا وكانوا يدللونها بلقب « شاتي » المشتق من اسمها « شارلوت » وبعد عودتها منتصرة ظافرة الى لندن استقبلتها قفشة قالت واين ميداليتك الثالثة ياشاتي ؟

او لم تكن هناك مسابقة في الثرثرة ؟

وقد اشتركت الفتيات العربيات لاول مرة الالعاب الأولمبية في دورة ميونيخ ١٩٧٢ ، واخذ زمام المبادرة فتيات المغرب وسوريا ولبنان

حاتم . . اليوناني

وبعد أن نجح « دي كوبيرتان » سكرتيرا عام اول لجنة اولمبية دولية ـ قبل أن يرأس اللجنة فيما بعد ـ في تدويل الالعاب ، اي عدم تثبيت اقامتها في اثينا واحدة بعد التدويل أخطر المشاكل وهي « التمويل وكاد فقر اليونان يقضي على فكرة دي كوبيرتان ، وان بقي على فكرته الخلاقة مجرد فكرة على الورق وفي الوجدان

ولكن يونانيا ثريا جمع ثروته الطائلة وامواله الهائلة من الحياة في الاسكندرية والمتاجرة في القطن المصري تقدم في كرم حاتم الطائي العربي وأنقذ الموقف وبرع مليون دراخمة اصلحوا بها ستاد أثينا القديم الذي كان يتسع لأربعين الف نسمة في الأيام الخوالي وحددوه وعصروه ، وهل كان يمكن اقامة العاب اولمبية بدون ملعب رئيسي ؟

إن اجمل تحية قدمت الى المواطن اليوناني « جورج افيروف » انهم اقاموا له تمثالا في مدخل ستاد الـ المرمري المستطيل تكريما لما قدمه من عطاء في سخاء أنقذ « أعظم مهرجان رياضي على سطح كوكب الارض » من مواصلة الرقاد □

نحو ثقافة عربية أفضل

● يقول الدكتور قسطنطين زريق في مقالة له « بعنوان نحو ثقافة عربية أفضل »

إن وراء كل حضارة قلة مبدعة من الناس قلة تتميز عن الكثرة لا بالمال الجاه ، أو القوة المادية ، أو الزعامة الشعبية ، بل الاستحقاق الذاتي طبيعة وكسبا تحقق القيم وتعممها في المجتمع ، قلة تعمل لا لذاتها بل لغيرها ، قلة لاتتعالى ولا تتحـ بل تحب وتخلص وتعطي ، قلة متألقة متعارفة ، منها تنطلق نوى التقدم ومجاري الابـد ومصادر الخلق والابداع

إعداد : يوسف زعبلاو

أمل جديد للذين يعانون من السكري وأمراض الشيخوخة

● كانت بلا ريب ندوة طبية خطيرة ، تلك التي عقدت في جامعة روشستر نيويورك في مطلع شهر يوليو سنة ١٩٨٧ فقد صمت نحو ٥٠٠ باحث طب تواعدوا لمشاهدة شريط فيديو تظهر فيه السيدة (تس فولنربي) التي كانت تعاني م مرض باركنسون أحد أمراض الشيخوخة ، وشفيت من مرضها هذا تبعا للعمل الجراحية التي أجريت لها في المركز الطبي في جامعة فاندربلت في مدينة ناشفيل حقا قد يكون شفاؤها مؤقتا ، ولعل أكثر العلماء الذين شاهدوا الشريط لم يغفلوا عن ذلك الاحتمال ، ومع ذلك فقد تملكتهم الدهشة ، كلهم دون استثناء ، ذلك أن مرض باركسون - كان في نظر الجميع - مرضا عضالاً لا يسمح بشفاء مؤقت أو غير مؤقت

وأول ما يذكر من أعراض مرض باركنسون هذا ، أنه غالبا ما يصيب المسنين فيتسبب لهم بالرجفة في أطرافهم ورأسهم ، ويتسبب لهم أيضا بانحناء في الظهر ، وتباطؤ في الحركة ، وقد تشمل أعراض المرض جمودا في الوجه يذكر المرء بالنهاية التي لا مفر منها لانسان ولا مهرب أعني الموت .

ولعل أكثر ما يعنينا من أعراض مرض باركنسون هنا هو التيبس الذي يصيب العضلات ، فقد كان في طليعة الأعراض التي عانت منها السيدة (تس) ، والغريب أن تيبس عضلاتها لم يسمح لها بالمشي الى الامام ، وإنما الى الوراء فحسب وذلك نتيجة الآلام المبرحة التي ترتبت على مشيتها السوية . وشاهد العلماء والباحثون (على شاشة الفيديو) كيف اضطرت المرأة المسكينة الى المشي الخلفي المعكوس أثناء مرضها ، وكيف اعتدلت مشيتها وأصبحت سوية في أعقاب العملية الجراحية المذهلة التي أجريت لها

نقول مذهلة لأنها كانت عملية زرع تناولت المخ نفسه . فقد انتزع الجراحون جزءاً من المخ تلفت خلاياه ، بل ماتت فأدى موتها الى ظهور تيبس العضلات الذي ذكرنا ، وظهور أعراض اخرى لمرض باركنسون ، انتزعوا تلك الخلايا الميتة وزرعوا مكانها خلايا أخرى حية انتزعوها من غدة (الأدرينال التي في جسم السيدة (تس) نفسها . فالفئتان من الخلايا تفرزان نفس المادة التي هي الدوبامين ، فهما اذن نظيرتان ، ويمكن للواحدة منها أن تقوم مقام الأخرى ، هذا

إذا نجحت الزراعة ولم يرفض الجسم الخلايا المزروعة ، وقد أثبت الواقع نجاحها ١٠٠٪ لا في عملية السيدة تس فحسب ، بل في العمليات الأخرى الرائدة التي أجريت في مستشفيات السويد والمكسيك في المدة الأخيرة

ولم يقف العلماء والباحثون عند هذا الحد ، وتساءلوا لم تنترع خلايا الأدرينال من جسم المريض نفسه ولا تنترع من الأجنة المطروحة ، أو أجنة بعض الحيوانات ؟ وما أسرع ما أثبتت التجارب أن خلايا الأجنة هذه لا تقل فاعلية عن الخلايا المزروعة من جسم المريض نفسه

وتساءل العلماء كذلك لم لا تجرى عمليات زرع أخرى شبيهة لمعالجة أمراض أخرى شبيهة ، أو غير شبيهة كمرض الزهايمر وهنتجتون وهما من أمراض الشيخوخة الخطيرة ، ولم لا تجرى لمرضى السكر فيترع من سكرياسهم الخلايا الميتة التي توقفت عن افراز الانسولين ليزرع مكانها خلايا حية تنترع من سكرياس الأجنة لاسيما وان هذه العملية قد جرت على الحيوان بنجاح تام طوال السنوات القليلة الماضية ؟ لا عجب اذن أن أجريت هذه العملية مؤخرا لحوالي ثلاثين من مرضى السكر !

■■■

الماء سر الحياة وسر الشفاء من الأمراض

الفرشة المائية ومبتكراها .

● من المعروف أن آلام الظهر هي أكثر الآلام انتشاراً بعد الصداع . ومن المعروف أن أكثر هذه الآلام مرده الى تقلص في عضلات الظهر ، وان السبيل الى معالجة أكثر هذه التقلصات إنما يكون في الراحة أو اللصقات أو كمادات الماء الساخن وقد يضاف الى ذلك بعض حبات الأسبرين أو البنادول وقد لا يضاف وقد تبين للمتخصصين منذ زمن أن للفرشات التي ننام عليها أثرا كبيرا في آلام الظهر ، فهي تسببها إن آجلا أو عاجلا ، إن كانت فرشات طرية ، وتساعد على الحد والوقاية منها لو كانت فرشات غير طرية ولا تتجوف عند النوم عليها كأن تكون مصنوعة من قطن،قليلة السمك ومفروشة فوق قاعدة خشبية

لا عجب اذن أن راجت فرشات الماء مؤخرا على ماسواها ، وقد وجد فيها الكثيرون من ضحايا ألم الظهر ضالتهم المنشودة علما بأن هذه الفرشات ليست جديدة ، وقد ظهرت في أمريكا في الستينيات أو قبلها ، ولكن الجديد انما هو الاقبال على استعمالها وشرائها فقد تضاعف حجم صناعة هذه الفرشات في الولايات المتحدة من ١٣ مليون دولار سنة ١٩٧١ الى ٢٠٠٠ مليون دولار في الوقت الحاضر ، وتعتبر أسرع صناعات الفرشات نموا وأكثرها رواجا ، وقد أصبحت تستأثر بخمس مبيعات الفرشات كلها في الأسواق الأمريكية ، وحسبك أن عدد ما بيع من فرشات الماء في سنة ١٩٨٦ في الولايات المتحدة وحدها قد بلغ ٤ مليون فرشة ، وأن ٧٥٪ من هذه الفرشات بيعت لأناس تجاوزوا الثلاثين عاما ، ويعانون في الغالب من ألم الظهر أو التهاب المفاصل أو الأرق

وفرشات الماء أنواع وصنوف كثيرة ، ولعل الطراز الأكثر رواجا هو ...

يضمن قلة تموج الماء في داخل الفرشة بطريقة أو بأخرى وقد يليه رواجا الطراز المجهز بسخان وضابط للحرارة ، فهو يتيح للمرء الدفء المطلوب بالقدر المطلوب

بقي أن نشير الى أن سر فرشات الماء يكمن في مرونتها المحدودة ، وتكيفها وفق حاجات الجسم ، فهي تضمن مساندة الجسم في نتوءاته وتجويفاته على السواء

■■■

على أبواب طائفة جديدة من المضادات الحيوية

دلت الأبحاث العلمية التي أجراها أحد العلماء الباحثين في مختبرات الكيمياء الحيوية في الكلية الملكية في لندن أن أحد صنوف الضفادع يتمتع بقدرة عجيبة على مقاومة الالتهابات ، فقد ثبت للباحث (مايكل كانون) أن الجروح الكثيرة الكبيرة التي أحدثها في عدد كبير من ضفادع « زنوبس » Xenopus صمدت وظلت نظيفة من الميكروبات التي قد لاتسلم منها جروح ، وبخاصة اذا كانت كبيرة ، وبحث العالم عن تفسير لتلك الظاهرة الغريبة ، فوجده في طائفة من المواد ، توجد في جلد الضفدع الذي ذكرناه ، وهي مواد تشبه البروتينات في بنيتها ، يفرزها جلد الضفدع في الوقت المناسب ، فتقف حجر عثرة في وجه البكتريا ، وتمنعها من مهاجمة الجروح التي يعاني منها الضفدع

وتعرف هذه المواد المضادة باسم ماجنين(Magainin) ، ويعلق بعض العلماء أملا كبيرا على استخراج مضادات حيوية جديدة منها ، قد لاتقل فاعلية عن البنسلين وأشقائه

■■■

حذار من نوعية الأكل لا من كميته

دلت الدراسات والتجارب التي أجراها علماء أمريكيون برئاسة الدكتور دوجلاس نلسون - وهو بروفسور متخصص في الفسيولوجيا في جامعة نورث وسترن - على أن البدينين الذين يعمدون الى حمية قاسية بقصد تخسيس الوزن ، ثم يعودون الى الافراط في الأكل ثانية معرضون أكثر من غيرهم للاصابة بارتفاع ضغط الدم . يقول الدكتور نلسون « يظن الكثيرون أن ارتفاع ضغط الدم في بني الانسان يرتبط أكثر بوزن الجسم ، وأن النجاح في تخفيض الوزن بالحمية يضمن لضغط الدم الهبوط السوي . لكننا نستطيع التأكيد على أن نوعية الطعام الذي يتناوله الانسان - لا وزنه - هي الوسيلة التي تتحكم بضغط دمه » .

وقد شملت احدى تجارب الدكتور نلسون ١٩ فأرا ، جرى تسمينها بالأكل حتى أصبحت بدينة ، ثم قسمت الى فئتين ، فئة من ٩ فئران ، استمر الباحثون في تغذيتها والافراط في اطعامها على نحو متواصل ، وفئة أخرى من ١٠ فئران حرص العلماء على التراوح في اطعامها ، أي أنهم جوعوها حينا ، ثم أتخموها بالطعام حينا آخر ، وهكذا . فماذا كانت النتيجة ؟! لم تسجل الفحوص أي ارتفاع يذكر في ضغط الدم في الفئران التسعة ، وسجلت ارتفاعا في ضغط دم الفئران العشرة .

وهكذا اتضح للعلماء الباحثين أن نوعية الأكل لا كميته هي العامل المؤثر في ارتفاع ضغط الدم وهبوطه .

الشمس هي المسؤولة

يؤكد علماء الطقس والمناخ أن تزايد الحرارة في جو الأرض ما هو الا نتيجة لتزايد غاز ثاني اكسيد الكربون فيه ، وقد اصطلحوا على تسمية هذه الظاهرة بظاهرة البيت الزجاجي (Green House) ، واعتبروها حقيقة مسلما بها

الا أن بعض العلماء ـ وهم من الألمان ـ لم يسلموا بحقيقة تلك الظاهرة باعتبارها التفسير الوحيد لتزايد حرارة جو الأرض ، فقد وجدوا في بقع الشمس وفي ألسنة اللهيب المنطلقة منها ـ وكلتاهما تذهب ثم تعود ، أو تضعف ثم تزداد قوة ، كل ١١ سنة ـ أثرا قويا مباشرا في طقس الأرض ومناخها ، إذ دلت دراساتهم على أن حرارة جو الارض تقل تبعا لعودة تلك البقع الى الظهور ، ووجدوا ان ظهور بقع الشمس واختفاءها ذو صلة وثيقة بحركة الرياح عند خط الاستواء ، ففي السنوات التي تهب فيها هذه الرياح من الغرب إلى الشرق تقل البقع الشمسية ، وتنخفض حرارة جو الارض ، والعكس بالعكس ، فهذه الحرارة ترتفع وبقع الشمس تكثر في السنوات التي تهب فيها الرياح التي ذكرنا من الشرق الى الغرب

■■■

المعلبات كانت نعمة فأصبحت نقمة

تغلغلت المعلبات في حياتنا حتى حسبناها قديمة قد ابتكرت منذ قرون عديدة ، وهي في الواقع حديثة جدا ، ابتكرها الانكليزي بيتر ديوراند سنة ١٨١٠م

لكن تعبئة الأطعمة في علب تحفظها وتضمن وصولها إلى أسواق قريبة وأخرى بعيدة قد أحدثت ما يشبه الثورة في حياة الناس دون أدنى ريب ، فلولا التعليب لتعذر صنع معجون الطماطم ، ولتلفت ملايين الأطنان من هذا النبات السريع التلف ، ولولا التعليب لتعذر حصول كثيرين من سكان البادية والأرياف على ما هم بحاجة إليه من أطعمة معدية ، وقل مثل ذلك في الجيوش المتحاربة ، وقد أصبح توافر المعلبات شرطا أساسيا من شروط خوضها القتال ، تماما كالأسلحة والذخيرة ، وحسبك أن صناعة التعليب قد تعاظمت في السنوات الأخيرة حتى بلغ مجموع الأصناف المعلبة في سنة ١٩٨٦ ما يزيد على (٢٠٠٠و١) صنف ، وبلغ مجموع علب الألمنيوم (سهلة الفتح) التي صنعت في السنة ذاتها (٦٩٠٠٠) مليون علبة

ودارت الأيام فإذا بالمعلبات التي كانت باعثا على الإعجاب في وقت

يقبل الناس على جمع العلب الفارغة في أمريكا إما بقصد الحركة التي تحتاجها أجسامهم أو من أجل الربح أو في سبيل حماية البيئة

تصبح باعثا على الاستياء ، فقد ثبت أنها مصدر كبير من مصادر تلوث البيئة ، والمقصود هنا العلب الفارغة التي يحرص الناس على التخلص منها كالقمامة

وهكذا ظهرت في أمريكا صناعة أو تجارة جديدة ، هي صناعة جمع العلب الفارغة ، فقد انطلق آلاف الأمريكيين يجمعون العلب الفارغة من صناديق القمامة الموجودة على الشواطىء أو في الشوارع أو في مراكز التجميع التي لا تخلو منها مدينة أو قرية ، يجمعون العلب الفارغة ليبيعوها ، ويجنوا الأرباح من بيعها

ومما يذكر أن جامعي العلب الفارغة في شيكاغو يجمعون ما يقارب (١٢٠٠٠) طن من العلب الفارغة كل سنة ويعتبر المدعو سام هارلي في « بالم بيتش » في فلوريدا بطل جمع العلب الفارغة ، وقد بلغ مجموع ما جمعه منها في ١٢ سنة ما يقارب المليون علبة (بالضبط ٩٤٤٠٠٠ علبة) ، وقد باعها بمبلغ (١٠,٠٠٠) دولار والأمريكيون كما يعرف الكثيرون لا يجدون أية غضاضة في القيام بأي عمل قذر أو غير قذر مادام هذا العمل يضمن لهم الربح .

ولا يخفى أن الذين يقبلون على شراء العلب الفارغة هم في الغالب من الشركات الصناعية التي تملك صناعات تحويلية بصفة خاصة ، ونذكر على سبيل المثال أن شركة رينولدز متالر قد دفعت في سنة ١٩٨٦ مبلغ ٩٣ مليون دولار ثمنا للعلب الفارغة التي اشترتها ، وقد بلغ وزن الألمنيوم في هذه العلب نحو ٣٠٥ ملايين باوند ، أي ما يكفي لصنع ٨٠٠٠ مليون علبة جديدة

على أن جني الأرباح ليس هو الباعث الوحيد على جمع العلب الفارغة في أمريكا ، فبعض جامعي العلب يتوخون الحركة والرياضة التي تتطلبها أجسامهم وفق توصيات الأطباء ، وبعضهم يتوخون مكافحة التلوث وحماية البيئة ، لكن الربح يظل هو الباعث الرئيسي على جمع العلب الفارغة في معظم الحالات

ومن طريف ما يذكر أن جون إدكروفت البالغ من العمر ٥٠ سنة قد عمد إلى جمع العلب الفارغة ، وذلك بقصد تسديد ضرائب قديمة فاجأته الحكومة بطلب سدادها، ومع أن مجموع هذه الضرائب لم يقل عن ١١,٤٦٦ دولاراً فإن جون قد نجح في تسديدها كلها من ثمن العلب الفارغة التي جمعها بنفسه ◻

يشهد الوطن العربي بمدنه وقراه حركة عمرانية هائلة ، فالمدن تتمدد في الصحراء ، أو في قلب الأراضي الزراعية ، والطرق تنشق ، والعمارات ترتفع كتلا خرسانية متعددة الأدوار والأشكال والتخطيط والتصميم والبناء مستلهم من أنماط العمارة الغربية وفنونها ، حتى فقدت المدينة العربية شخصيتها

لكن دولة الامارات العربية وهي تعيش هذه النهضة العمرانية تتحسس الطريق ، بتجربة مهمة نحو استلهام فنون العمارة العربية الإسلامية ، بحثا عن مواءمة البيئة ووصلا بحضارة أصيلة

منذ بداية الخمسينيات وأقطارنا العربية الخليجية تشهد نهضة عمرانية واسعة ، نتيجة للنشاط الاقتصادي المتزايد ، بعد تفجر النفط في أراضيها

ولقد بدأت هذه النهضة بطيئة الخطا ، لكن سرعان ماتزايد إيقاعها ، حتى أصبحت ظاهرة المدن الجديدة المنتشرة في ربوع الصحراء من أبرز المعالم التي تفاجيء زائر هذه الأقطار

ولقد أقيمت المدن الجديدة ، وأعيد تجديد المدن القديمة واحيائها على أحدث أساليب تخطيط المدن وتقنياتها التي توجب توفير كل الخدمات التي تستلزمها حياة الإنسان المعاصر ونشاطاته المختلفة ، فبالإضافة إلى المساكن المتعددة في مستوياتها ، والموزعة على أحياء متكاملة ، نجد الميادين والساحات الخضراء ، والحدائق والشوارع الواسعة ، ومرافق الصرف الصحي ، والمرافق الكهربائية والصحية ، ودور الترفيه ، وكذلك الأسواق المتكاملة التي يجد فيها المواطن والوافد والزائر كل احتياجاته

ودولة الإمارات العربية المتحدة من أقطارنا العربية الخليجية التي برزت فيها هذه النهضة العمرانية ، حيث شهدت الإمارات السبع المكونة لهذه الدولة الفتية نموا عمرانيا صحيا ، استلزمه التطور الاقتصادي بعد ظهور النفط في حقولها

ولأن جوانب هذه النهضة العمرانية متسعة ومتعددة فمن الصعوبة الإحاطة بكافة مظاهرها في تلك الامارات السبع باستطلاع واحد ، لذا سنقصر حديثنا في هذا الاستطلاع على إمارات ثلاث ، هي « أبو ظبي » ، و « دبي » ، و « الشارقة » ، ونحاول من خلال رصدنا بعض معالم التطور العمراني فيها ان نسلط الأضواء على تجربة استلهام فنون العمارة العربية الإسلامية وطرزها التي تمارسها بنجاح حكومة دولة الامارات المتحدة ، ونثير بالحوار أهمية مقومات هذا الطراز المعماري الذي ماتزال اثاره باقية في وطننا العربي وعالمنا الإسلامي تثير الاعجاب والإبهار

أبو ظبي كبرى الإمارات

إمارة « أبو ظبي » أكبر الإمارات السبع مساحة إذ تبلغ مساحتها نحو ٦٧٣٤٠ كيلومترا مربعا ويبلغ عدد سكانها حوالي ٦٧٠١٢٥ نسمة حسب آخر إحصاء أجري عام ١٩٨٥ م ، أما أهم مدنها فهي مدينة « أبو ظبي » ، ومدينة العين ، ومدينة رابد ، وعاصمتها مدينة « أبو ظبي » عاصمة دولة الإمارات المتحدة في نفس الوقت ، ومقر وزارات الحكومة الاتحادية ومؤسساتها ، ولقد أدركت امارة « أبو ظبي » مبكرا أهمية التخطيط لنهضة عمرانية تواكب التطور الاقتصادي ، فبدأت باستخدام العوائد النفطية منذ بداية عقد الستينيات في ترسيخ خطط البناء والعمران ، وأقامت مجامع من الوحدات السكنية في مدينتي « أبو ظبي » و « العين » ... بالمساكن الشعبية ، ونموذج هذه الوحدات ... على الطراز العربي القديم ، يتكون من عر... وصالة للمعيشة ، بالإضافة إلى المرافق الصر...

ولقد وزعت هذه الوحدات مجانا على المواطنين الذين لايملكون سكنا خاصا بهم

ثم أنشأت حكومة « أبو ظبي » دائرة للخدمات والمباني التجارية ، يشرح الأستاذ عبدالله يوسف الرعاي وكيل دائرة التخطيط في إمارة « أبو ظبي » مهامها فيقول « المواطن الذي يمتلك أرضا ويريد استثمارها ببناء عمارة تجارية عليها ، يعد مخططا هندسيا لمشروعه ، ويقدمه إلى هذه الدائرة ، لتقوم بدراسته ، وتقدير كلفته المالية لتقدم إليه قرضا بفائدة بسيطة . ولقد استفاد من هذه القروض الميسرة عدد كبير من المواطنين . كما أن الدائرة يسرت لبعض المواطنين الحصول على قرض آخر ، يسمى « قرض الانتفاع من البناية » لبناء منازلهم الخاصة في المناطق النموذجية التي حددتها الحكومة لسكن الأهالي »

وأقامت الحكومة في منطقتي « الشهامة » و « المصفح » عدة وحدات سكنية ، بلغت نحو عشرة آلاف مسكن بمرافقها الصحية والاجتماعية ، وأجرتها للعمال الوافدين الذين يعملون في المشاريع الكبيرة التي شرعت الحكومة في إقامتها

طموحات ومبادرات

لقد اولى المسئولون في إمارة « أبو ظبي » عناية فائقة لتخطيط المدينة ، حسبما يستدعيه التخطيط ، من دراسة لاحتياجات المواطنين المستقبلية ، واحتمالات النمو في عدد السكان ، وفي النشاطات الاقتصادية المختلفة ، وكذلك متطلبات المشاريع الانمائية وحول هذه القضية حدثنا الأستاذ أحمد خلف نائب مدير بلدية « أبو ظبي » قائلا « لقد استعنا منذ البداية في خططنا التنموية العمرانية بالبيوتات الهندسية الاستشارية العالمية ، فعهدنا إليها وضع خطط مدة عشر سنوات ، تستوعب كل المرافق الرئيسية ، مثل الطرق وشبكات المياه العذبة ، وشبكة المجاري الصحية ، والكهرباء والجسور ، ومواقف السيارات ، والحدائق والمتنزهات العامة ... هذه الخطط تلافيا لبعض السلبيات التي وقع فيها ...رانا في بعض الأقطار العربية الخليجية حين تخطيط ...ريعهم العمرانية ، ففي تخطيطنا للشوارع داخل المدينة ـ مثلا ـ لم نقم ببناء أية جسور خرسانية لاستيعاب حركة المرور داخلها ، وإنما استعنا بالإشارات الضوئية والشوارع الجانبية لانسياب حركة المركبات في شوارعنا ، ومن المعروف أن إقامة الجسور في قلب المدينة يؤدي إلى تشويه جمال الشارع ، وحتى العديد من المباني الجميلة بهذه الكتل الضخمة من الخرسانة » ويضيف قائلا « والحق أننا قمنا بإنشاء بعض الجسور خارج نطاق المدينة ، وبخاصة قرب شارع المطار ، وذلك لتسهيل انسيابية المرور ، وربط شارع المطار بالطرق الرئيسية التي تؤدي إلى المدن الرئيسية بالإمارة ، وبخاصة مدينتي « العين » و « الشيخ زايد » ، ثم بالمناطق الصناعية التي استحدثت في السنوات القليلة الماضية ، وربطها كذلك بالطريق الرئيسي الذي يربط إمارة « أبو ظبي » ببقية الامارات الأخرى ، لاسيما إمارة « دبي » المجاورة لنا »

وزائر « أبو ظبي » تلفت نظره بشدة أعداد كبيرة من المباني الحديثة والوحدات السكنية الخاصة ، ابرزت في واجهاتها ـ بل وفي تقسيماتها ـ الأنماط المعمارية والهندسية المستمدة من الفن المعماري العربي الاسلامي ، مما أوجد طابعا هندسيا وجماليا ، تتباهى به شوارع « أبو ظبي » وباقي إمارات الدولة

وعندما أبدينا إعجابنا بهذه الظاهرة أكد لنا المسئولون أنها توجه تخطيطي ، حرصت حكومة دولة الإمارات أن تمزج فيه بين تراثنا المعماري الذي يحظى بالقيم الجمالية الرائعة ، والجوانب الوظيفية للعمارة التي تلائم طبيعة بيئتنا ، وبين ابتكارات الحضارة الحديثة باستخدام المواد ، وتجديد الأشكال

ولذلك فقد أصدرت الحكومة قانونا ، يلزم كل مالك يقيم بناء حديثا أن يضفي على تصميمات مشروعه ـ خاصة واجهاته ـ اللمسات المستمدة من الفن المعماري العربي الإسلامي ، كي يبرز التجانس المعماري والجمالي بين مكونات مدننا ، والتأكيد على هويتنا المتميزة الأصيلة ، بعد أن استغرقت مدننا العربية منذ فترة طويلة ولأسباب عديدة في تقليد

النمط الأوروبي في العمارة والبناء ، مما أفقدها شخصيتها .

الخضرة بهجة للعين والقلب

أثناء تجوالنا في شوارع مدينة « أبو ظبي » جذبت أنظارنا أشجار النخيل واللوز والنارجيل وهي تضفي على هذه الشوارع منظرا جميلا وتكسر حدة الإحساس بجهامة الطقس ، وبضخامة العمارات المنتصبة على جانبي الشوارع الواسعة بارتفاعات تصل إلى خمسة عشر طابقا ، وبخاصة خلال فصل الصيف شديد الحرارة وفضلا عن هذه الأشجار تزدان الشوارع بالمساحات الخضراء الكثيرة المنتشرة في أنحاء المدينة ، فتضفي عليها مسحة جمالية ، وتكسبها ليونة ملحوظة ، بالإضافة لكونها متنفساً لسكان المدينة وبخاصة الاطفال منهم وقد كانت مثار حوار لنا مع المهندس « أحمد خلف » فقال « إن حكومة « أبو ظبي » وهي تولي عملية تخطيط المدن عنايتها ، قد أعطت شبكة مياه الأمطار والصرف الصحي أهمية خاصة ، وحرصت على توصيلها لكل المناطق الأهلة بالسكان لأنها مرفق حيوي ، كما أعادت استخدام هذه المياه بعد معالجتها بالطرق الحديثة لري المساحات الخضراء ، وتشجير الشوارع بالأنواع التي تناسب المناخ المتسم بالحرارة المرتفعة ، والرطوبة ، والتربة المالحة وهذه الشبكة تغطي نحو ٩٠٪ من مدينة « أبو ظبي » ، وتستهلك منها أكثر من ٢٠ مليون غالون يوميا ، وتعد تجربتنا في ري هذه المسطحات الخضراء وأشجار الشوارع تجربة ممتازة ، تستحق الدراسة »

ولقد أضفت النوافير والأشكال الفنية المستوحاة من تراثنا العربي في حدائقنا وفي المسطحات الخضراء مزيدا من الإحساس بالجمال الذي تخلقه الأشكال الهندسية الرائعة للنباتات المختلفة ، فمن تراثنا المحلي أقمنا نوافير على شكل « دلة » القهوة العربية المعروفة ، ومقاعد جلوس للمواطنين على شكل خيمة عربية ، وأقمنا أيضا عدة نوافير على شكل « صدفة اللؤلؤ » التي كان لها دور حيوي مهم في حياة آبائنا وأجدادنا ، في كل أقطارنا الخليجية قبل مرحلة النفط الحالية

ولقد راعى مخطط شوارع المدينة توفير مساحات واسعة ، تستخدم مواقف للسيارات والمركبات ، كما أن توزيع المؤسسات والدوائر الحكومية على أنحاء المدينة أعطى حركة المرور انسيابية مريحة ، وقلل إلى حد كبير من الاختناقات المرورية

والاهتمام بالمدن الأخرى في الإمارة لايقل عن الاهتمام بمدينة « أبو ظبي » ، فمدينة « العين » ثانية مدن الإمارة التي تكثر فيها آبار المياه العذبة ، مما جعل القطاع الزراعي فيها يصبح نشيطا ، تحتضن جامعة الإمارات بكلياتها السبع ، بالإضافة إلى المجمعات السكنية الجديدة ، والشوارع الواسعة ، والميادين العامة ، والمتنزهات والمرافق السياحية ، وعلى مشارفها « مدينة ترفيهية »

وتخطيط المدن بهذه الكيفية المتوازنة بين المرافق والقطاعات المختلفة يخلق تكاملا وظيفيا وجماليا ، يذكرنا بمدن الحضارة العربية الإسلامية في عصورها الزاهية ، كبغداد ودمشق والقاهرة ومدن الأندلس

دبي مدينة التجارة

تأتي إمارة « دبي » في المرتبة الثانية بعد إمارة « أبو ظبي » من ناحية المساحة ، إذ تبلغ مساحتها نحو ٣٨٨٥ كيلومتراً مربعاً ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٤٣٠ ألف نسمة ، وقد عرفت « دبي » منذ القدم بأنها أحد المراكز المهمة للتجارة في منطقة الخليج العربي ، فموقعها الاستراتيجي وخبرة أهلها المتوارثة في التجارة ، أهّلاها لأن تسمى « مدينة التجار » ، وقد ازدادت أهميتها كمركز تجاري في السنوات الأخيرة بعد إنشاء مينائي « راشد » و « جبل علي » وتطويرهما ، وأصبحت المركز الرئيسي لتجارة « الترانزيت » (استيراد البضائع من دول العالم ثم إعادة تصديرها إلى أقطار المنطقة ودولها)

وهذا النشاط التجاري استلزم وجود نشاط مصرفي مكثف ، لذلك يوجد في دبي عدد من البنوك المحلية والعربية والأجنبية ، تؤمن للحركة التجارية التسهيلات الائتمانية والمصرفية ، وتسهم في كل الأنشطة الاقتصادية بفروعها المختلفة ، وفي عملية

النمو الاقتصادي للامارة .

لذلك لا تستغرب الازدهار العمراني الذي تشهده هذه الإمارة مواكبا لحركتها التجارية الواسعة

والمسئولون في هذه الإمارة يولون اهتماما كبيرا للتخطيط العمراني فيها ، وتجميل مرافقها ، لاسيما أنها كانت قبل تدفق الثروة النفطية في أراضيها ذات نصيب وافر في العمران والبناء ، فقد عرفت المباني ذات الأدوار المتعددة في وقت مبكر يقول الاستاذ « قاسم سلطان » مدير بلدية « دبي » « لقد قمنا منذ عام ١٩٦١ بتكليف أحد المكاتب الاستشارية العالمية بوضع أول مخطط هيكلي لإمارة « دبي » ، فكان مخططا بسيطا ، أدى دوره في تلك الفترة ، لكنه لم يعد ملائما للتطورات السريعة في هذه الإمارة ، فقمنا بتطويره أكثر من مرة ، ليستوعب هذه التطورات ، ويلبي الاحتياجات المتزايدة للنشاطات الاقتصادية ، ويشبع احتياجات أهلنا في الإمارة »

مخطط لسنة ٢٠٠٥

لقد سعى المسئولون في إمارة « دبي » ليتجاوزوا ببصيرتهم وطموحاتهم اللحظة الراهنة إلى المستقبل القريب ، فوضعوا مخططا عمرانيا للإمارة - أسهمت فيه مكاتب هندسية استشارية عالمية - حتى سنة ٢٠٠٥ ، يتميز - كما يقول المهندس ، عبدالله الفيض ، رئيس قسم التخطيط في بلدية « دبي » - أولا بتلافي نواقص التجارب السابقة ، وثانيا بالاستفادة من الابتكارات الحالية ومدى ملاءمتها لاحتمالات التطور المستقبلية ، وثالثا بالاهتمام بمكونات البيئة الأساسية من مرافق وطرق وخدمات ، وبالالتزام بالقانون الذي يعطي للنمط المعماري العربي الإسلامي أولوية في اختيار الشكل ، والواجهات والوظيفة في المباني الجديدة

ترميم الآثار القديمة

من التوجهات الجيدة لإمارة « دبي » التي تستحق الرصد والعرض محاولتها للحفاظ على الآثار القديمة بترميمها أو الإبقاء على بعضها بحالته القديمة ، شواهد على جهود الأجداد والآباء الذين عانوا حياة قاسية وعن هذا التوجه يحدثنا الأستاذ قاسم سلطان مدير بلدية « دبي » « في غمرة نهضتنا الحديثة بطفراتها السريعة نسينا تراث الآباء والأجداد أو تناسيناه ، فأزيل الكثير من المباني القديمة ، لكننا حاولنا تدارك الأمر ، فاحتفظنا ببعض الأسواق القديمة ، ونقوم بترميم ماتبقى من المباني أو تقويتها ، أو إعادة إنشائها بنفس الأسلوب القديم

وإعادة بناء قصر الشيخ سعيد بن مكتوم تعد من ابرز النماذج الناجحة لهذا التوجه ، فقد استفدنا من مكونات القصر القديم الصالحة للاستخدام كالنوافذ والأبواب ، ثم أعدنا تركيبها في القصر الجديد الذي بنيناه بنفس الطريقة القديمة مستعينين بما في حوزتنا من صور « فوتوغرافية » له ، وبالعمال والفنيين القدامى ، وبالأساليب والمواد الحديثة ، لكن بطريقة لا يلحظها من يزور هذا القصر

وهناك عدد من المباني القديمة تدرس بلدية « دبي » ترميمها ، منها مبنى المدرسة الأحمدية التي تعد من أقدم مدارس الإمارة ، بالإضافة إلى مجموعة من الأسواق التجارية القديمة في « دبي » و « الديرة » ، تحاول بلدية « دبي » الابقاء عليها ، أو إدخال بعض التعديلات الضرورية عليها لتبقى نموذجا للطراز المعماري المحلي الذي كان سائدا في منطقة الخليج في تلك الفترة

امتزاج القديم بالحديث

لقد أعطى الموقع مدينة « دبي » سحرا خاصا يمتع زائرها والمقيم بها ، ففي المنطقة التجارية يمتد لسان من الماء ترسو فيه عشرات من السفن الخشبية المستخدمة لتحميل البضائع وتفريغها وتوجد على ضفافه بعض العمارات الحديثة بصورها المعكسة على صفحة الماء منظر رائع يمزج ما بين الماضي والحاضر ، ويستدعي من الذاكرة معاناة الأجيال السابقة وهي تمارس نشاطاتها ، وتبدع في ابتكار الوسائل والأساليب التي تمكنها من التعايش مع الظروف المناخية القاسية ، فتقسيمات البيوت من الداخل تسمح لدورة الهواء - بنظام التبريد الداخلي الطبيعي - أن تخفف حرارتها الشديدة . والا...

دات شوارع صيقة مسقوفة ، فيها منافذ علوية للتهوية

مازالت « دبي » تحتفظ ببعض الأسواق التقليدية إلى جانب البنايات الحديثة التي ترتفع على جوانب الشوارع ، بحوانيتها الممتلئة بالسلع الواردة من أنحاء المعمورة ، والمشيدة على أحدث أساليب البناء التي تعتمد على ابتكارات الحضارة المعاصرة وإبداعاتها في تخفيف قسوة الظروف المناخية

وحتى لايزداد التنافر بين الوحدات المعمارية في الامارة فقد ألزمت حكومة الإمارة المواطنين المنشئين لوحدات سكنية خاصة أو تجارية تنفيذ القانون الذي صدر بهدف الحفاظ على النمط المعماري العربي الإسلامي في واجهات المباني وتقسيماتها ، مع الاستفادة من معطيات العلم والتقنيات الحديثة

لذلك أصبح مألوفا للعين أن ترى الأقواس والخطوط اللينة ، والأعمدة العالية الرشيقة ، والمصمات في النوافذ والأطر المختلفة في كثير من المباني ، بالإضافة إلى استخدام الحجر الذي يستورد من الأردن والعراق لكسية الواجهات بدلا من الكتل الخرسانية التي تطلى بألوان لا تصمد لتقلبات المناخ

وعن استخدام الطراز المعماري الإسلامي يقول الاستاذ قاسم سلطان « إن للمعمار الاسلامي طابعا فريدا مميزا ، وهو مناسب لطبيعة مناخ بلادنا ، ومناسب لعاداتنا وتقاليدنا أيضا ، وإننا نؤكد للاستشاريين العالميين والمحليين أهمية هذا الطراز من المباني ، وضرورة اتباعهم لأنماطه في المشاريع العمرانية المزمع إنشاؤها ، ونأمل في القريب العاجل ان نعمم هذا الطراز من الفن المعماري رفيع المستوى مشاريعنا الكبرى ، ومبانينا العامة والخاصة

الشارقة

تعد الشارقة الإمارة الثالثة بين إمارات دولة الامارات العربية المتحدة ، إذ تبلغ مساحتها نحو ٢٦٠٠ كيلو متر مربع ، أما سكانها فيبلغ عددهم نحو ٢٧٠ ألف نسمة • بدأت خطة التنمية العمرانية لمدينة الشارقة مع بداية عام ١٩٧٣ ، عقب اكتشاف النفط في هذه الإمارة بكميات تجارية في عام ١٩٧٢ ،

وقد ارتكزت هذه الخطة على إنشاء مدينة تنتمي من حيث التنظيم والتنسيق إلى أسرة المدن العالمية المعاصرة ، مرتبطة في نفس الوقت ارتباطا وثيقا بروحها وطابعها وتصميم مكوناتها الاساسية بالتراث الحضاري لفن المعمار العربي الإسلامي ، بخصائصه الأصيلة المتميزة وفي هذا الإطار المزدوج الذي يجمع بين الأصالة والحداثة تم تخطيط مدينة الشارقة بمبانيها ومرافقها العامة ، وقامت بلدية الشارقة ببناء مجموعة من مرافقها العامة ومباني إداراتها الحكومية على الطابع الإسلامي ، منها مبنى دار الحكومة ، ومبنى البريد العام ، ومبنى بلدية الشارقة ، ومبنى دار القضاء ، ومبنى مركز الثقافة ، ومبنى السوق المركزي ، ومبنى سوق المحرة يقول المهندس عبد الطبيخي مدير التخطيط والمساحة في بلدية الشارقة « لقد استهدف التخطيط الجديد لمدينة الشارقة تحويلها إلى مستوطن سكني ، تتوافر فيه أهم مقومات الحياة الاجتماعية الحديثة ، وإلى بيئة قادرة على استيعاب مرافق الخدمات التجارية ، والصناعية الحالية ، والمتوقع نموها على المدى البعيد ، لذلك جاءت الخطة مشتملة في تقسيمها على ثلاثة قطاعات رئيسية ، وهي قطاع المناطق السكنية ، وقطاع المناطق الصناعية ، وقطاع المناطق التجارية وقد أطلقنا على القطاع الأخير اسم قطاع المنطقة التجارية السكنية ، لأنه يضم مجموعة من العمارات الشاهقة التي يصل ارتفاعها إلى أحد عشر طابقا ، خصصت الطوابق الأولى منها للأنشطة التجارية والمصرفية ، بينما خصصت طوابقها العلوية لسكن رجال الأعمال والمشتغلين بالأنشطة التجارية المختلفة

جسور وأنفاق

لقد توفرت قاعدة متكاملة من مرافق الخدمات العامة الحيوية ، وأعطيت عناية خاصة لمرافق المياه ، والكهرباء ، والمجاري ، والجسور ، والأنفاق ، حيث قامت الإمارة ببناء ثمانية جسور علوية فوق بعض التقاطعات الرئيسية داخل مدينة الشارقة ، تسهيلا لحركة المرور ، خاصة في ساعات الذروة ، ولمواجهة الزيادة المطردة في أعداد المركبات ، وهي

● نافورة اللؤلؤة في مدينة « أبوظبي » ، هي أحد الأشكال الجمالية المستوحاة من التراث المحلي (إلى أقصى اليمين) وإحدى الحدائق العامة في مدينة العين في إمارة « أبوظبي » (إلى الأعلى)
وإلى (اليمين) سوق المحرة في مدينة الشارقة وهو أحد الأسواق الحديثة ذات الطابع العربي الاسلامي

جسور مزدوجة، يبلغ عرضها نحو ٤٥ قدما، بينما تتراوح أطوالها بين ٦٥٠٠ قدم و ٢٥٠ قدما، كما أقيمت خمسة أنفاق للمشاة في المناطق الحساسة من الشوارع الرئيسية في المدينة، بلغت تكاليفها نحو ٤٨ مليون درهم.

مساكن شعبية

ومن المشاريع الاسكانية التي قامت بتنفيذها بلدية الشارقة مشروع المساكن الشعبية الذي يهدف إلى توفير البيت الصحي الحديث الملائم للأسرة ذات الدخل المحدود، أو الأسرة التي لايصلح مسكنها التقليدي للسكن بسبب ضيقه أو تعرضه للسقوط، أو عدم توافر الشروط الصحية للاقامة فيه، وكذلك للأسرة التي لاتملك بيتا لظروفها المالية أو لأسباب أخرى. وقد أولت حكومة الشارقة عناية خاصة بهذا القطاع من المساكن، وسعت لتوفير المناسب من هذا النوع من المساكن للمواطنين، بالاشتراك مع الحكومة الاتحادية التي تسهم بنصيب وافر في هذا المجال. وقد وصل عدد ما تم تنفيذه وتوزيعه من هذه المساكن على مواطني إمارة الشارقة نحو ٣٥٣٢ مسكنا، قامت حكومة الشارقة بتنفيذ نحو ١٨٠١ مسكن منها على نفقتها الخاصة، بينما أسهمت الحكومة الاتحادية ببناء الباقي، وهو ١٧٣١ مسكنا.

سوق الشارقة المركزي

أما أهم مشروع يحمل لمسة من الفن المعماري العربي الإسلامي الذي تبنته إمارة الشارقة في البداية ثم أصبح توجها عاما حرصت دولة الإمارات العربية على تنفيذه في العديد من مشاريعها العمرانية، فهو سوق الشارقة المركزي، وسوق آخر أطلق عليه اسم سوق المحرة. وسوق الشارقة المركزي أقيم على مساحة تقدر بحوالي ثمانين ألف متر مربع على ضفاف بحيرة «خالد» في مدينة الشارقة، ويعد هذا السوق الأول من نوعه في دولة الإمارات العربية، من حيث هندسته وتصميمه الإسلامي، وقد بلغت تكلفته الاجمالية حوالي ٨٥ مليون درهم، أي حوالي ٢٢ مليون دولار أمريكي، ويتكون هيكله من جناحين رئيسيين في مبنى مكون من طابقين، يشتملان على ثمانية «بلوكات»، والجناحان متصلان بجسرين ممتدين بينهما، ويطل أحد جناحي المبنى على بحيرة «خالد» الاصطناعية، بينما يطل الجناح الآخر على أحد الشوارع المهمة في المدينة. ويبلغ عدد المحلات التجارية التي يضمها السوق نحو ٦٠٠ محل تجاري، بمساحات تتراوح بين ١٤ مترا مربعا و ٢٦ مترا مربعا، وللسوق مرافقه الخاصة، كما زود بوسائل التكييف التقليدية التي عرفتها منطقة الخليج، وتعرف باسم «البوادجير»، وهي عبارة عن فتحات على شكل معين، تقام عادة في أعلى المبنى، ليمر الهواء خلالها من الأعلى إلى داخل المبنى، فيلطف درجة الحرارة في الصيف. وسوق المحرة هو السوق الثاني الذي استخدم في تصميمه وتنفيذه الطراز المعماري العربي الإسلامي، وبخاصة الطراز الأندلسي، وقد تم إنجازه هذا العام.

لماذا فن العمارة العربي الإسلامي؟

إن التوجه لاستلهام الفن العربي الإسلامي في العمارة في تصميمات المباني الحديثة يشكل نقلة مهمة في هندسة البناء والتخطيط العمراني بدولة الامارات العربية المتحدة، ولأنها تجربة تستحق المتابعة بالدراسة والتقويم، ومن ثم الاستفادة منها بتعميمها في تخطيط مدننا العربية، كي تخرج من تقليدها للمدينة الأوروبية، ناقشنا مجموعة من المهندسين المعماريين من ذوي الخبرة في التصميم الهندسي، والاشراف على تنفيذ عدد من المشاريع في كل من دولة الامارات العربية والكويت، وقد تركزت المناقشة معهم على قضية أساسية تدور حول مدى ملاءمة العمارة الإسلامية بالصورة التي عرفناها عبر تاريخنا لنمط حياتنا المعاصرة بكل تعقيداتها وإضافاتها.

قال المهندس «عبيد الطبيجي» مدير التخطيط والمساحة في بلدية الشارقة: «إن هذا التوجه نحو بناء المعمار على طريقة المهندسين الإسلاميين قد ارتبط بتاريخنا العربي الإسلامي، ثم بعـ... وتقاليدنا، وقد طبقنا هذا التوجه على مجموعة من

لمرافق والمنشآت في إمارة الشارقة ، منها السوق المركزي في مدينة الشارقة ، ومبنى الحكومة ، وسوق المحرقة ، والديوان الأميري ، ومبنى البلدية ، ولاشك أن فن العمارة العربية الإسلامية لايقتصر على القباب والأقواس فقط ، وإن كانت هذه من احد معالمه ، وإنما تتجلى فوائد الفن المعماري العربي الاسلامي في التوزيعات الداخلية والأروقة والساحات المسقوفة التي يحتويها هذا البناء ، ومايوفره من جو ظليل ، وبخاصة في منطقة حارة كمنطقتنا ، لقد راعى « الاسطى » القديم هذه الظاهرة ، فبنى الأسواق المسقوفة ، واستغنى عن النوافذ العريضة بفتحات مناسبة ، تسمح بدخول الضوء المطلوب ، واستخدم « البادجير » في تلطيف جو المسكن ، وتقليل نسبة الحرارة ، وكان « الاسطى » القديم يتحاشى اتجاه الشمس ما أمكن ذلك من هنا نستطيع القول ان طراز العمارة العربية الإسلامية يفي بالغرض المطلوب ، ويناسب مستلزمات حياتنا الحاضرة ، إذا أدخلنا عليه بعض التعديلات الضرورية »

أما المهندس سالم خالد المرزوق فيقول « لقد تضمنت قرارات مؤتمر المهندسين العرب في دورة انعقاده الأخيرة قرارا يقضي بالمحافظة على الطراز المعماري العربي الإسلامي وتشجيع ذلك والحقيقة ان بعض أقطارنا العربية قد تبنت هذا الأسلوب ، في حين لم تستقر الفكرة أو تتضح عند بعضها الآخر ، ويرجع السبب الرئيسي إلى أن الكثير من المكاتب الهندسية غير العربية لا تعيش الجو والحضارة العربية التي نعيشها نحن ، ومن الطبيعي أن تكون متأثرة بحضارتها هي ، مع أن العمارة هي إطار أساسي للحياة ، فمن خلالها نعيش ونتعبد ، وننام ونعمل ، ونتعلم ونحتفل ، لذلك فنحن في حاجة إلى إيجاد تشريعات ملزمة لجميع المكاتب الهندسية بتبني فن العمارة العربية الإسلامية التي تعكس مقومات بيئتنا وثقافتنا وعناصرهما على حقيقتها ، إذ لا يكفي أن نزين مبانينا من الخارج أو من الداخل بأشكال ونقوش معينة لنعبر عن الطابع الإسلامي ، بل يجب أن نتتبع مقومات الطابع في الهيكل الأساسي للتصميم إنني أنادي هنا ومن خلال مجلتكم واسعة الانتشار بتعيين هيئات مختصة على مستوى جامعة الدول العربية أو منظمة المدن العربية ، يشترك فيها اختصاصيون في التخطيط والعمران ، لوضع أسس ومقاييس إرشادية لفنون العمارة العربية الإسلامية على أن يشمل ذلك كل النواحي العمرانية ، انطلاقا من البيئة الصغيرة للعائلة وهي المسكن ، والحي ، المنطقة والمدينة والمجتمع بكامله ، مرورا بالساحات والمباني العامة وغيرها ، وأن يرصد لهذه الهيئات الأموال اللازمة ، مع توفير تقنية متقدمة لدراسة أساليب البناء والمواد المناسبة لهذا النوع من المعمار

وأود أن أشير هنا إلى نقطة مهمة ، وهي تصور بعضهم بأن المغالاة في الزخرفة هي التعبير عن العمارة العربية الإسلامية ، وهذا تصور خاطيء وقد يكون هذا سببا في إحجام كثيرين عن تصميم منشآتهم وفقا لطراز العمارة العربية الإسلامية فالزخرفة بحد ذاتها عنصر قد لا يكون هو الأهم على المدى الطويل ، وقد يكون تصميم منزل بحوش داخلي وبمواد عادية أكثر تعبيرا والتزاما بفن العمارة العربية الإسلامية من منزل اخر ، صمم على طراز غربي بنقوش عربية إسلامية داخلية أو خارجية

أما المهندس حامد عبدالسلام شعيب ففي رأيه أن قد طغت مدننا الحديثة والعمارة الحديثة على أشكال المدينة القديمة ، وفي غالب الأحيان هدمت أجزاء من المدينة القديمة لتحل محلها مبان حديثة ، لاتمت إلى تراثنا العربي الإسلامي بأية صلة ، لكن لحسن الحظ في السنوات الأخيرة قد بدأ الناس بتفهم هذا التراث المحلي العربي الإسلامي ، فأخذوا بترميم ماتبقى من مبان قديمة ، وإبراز طابعها المميز في كثير من أقطار العربية وإن إمكانية إيجاد طراز معماري حديث يطور العمارة المحلية لتكون مناسبة لتقاليدنا وتناسب الطقس أمر قد يحتاج إلى فترة ليست بالقصيرة للاتفاق على أسسه ومقوماته ، لذلك أطالب جامعاتنا ومؤسساتنا المعنية أن تقدم لنا دراسات جادة لإيجاد

● العمارات الحديثة متعددة الأدوار في مدينة « أبوظبي » (إلى اليمين) ، و(أسفلها) الأقواس والنقوش العربيه الاسلامية التى تزرر على واجهة سوق الشارقه المركزى ، وإلى (أعلى اليسار) « الفلل » السكنيه الحديثة فى المناطق النموذجية في إمارة « أبوظبي » ، و(إلى اليسار) دلة القهوة العربية وهي أحد الاشكال الجمالية التي استلهمت لتصمي على الحدائق جمالا ورونقا ، و(أقصى اليسار) المساحات الخضراء المنسقة ، إحدى سمات « كورنيش » مدينة « أبوظبي »

تصاميم معمارية ، تعكس متطلبات حياتنا الحاضرة ، ومستلزماتها ، وتناسب تراثنا العربي الإسلامي الخالد »

منظمة المدن العربية والمعمار العربي الإسلامي

كان لابد أن نلتقي بالأستاذ عبدالعزيز العدساني لنناقشه في هذا التوجه الجديد للعمارة العربية الإسلامية بحكم موقعه وهو الأمين العام لمنظمة المدن العربية . وعند لقائنا به قال « إن المحافظة على الطابع المعماري العربي الإسلامي للمدينة العربية هي أحد أهم الأهداف التي تسعى منظمة المدن العربية لتحقيقه ، فالمدينة العربية الإسلامية كانت صورة لثقافة سكانها ، وانعكاسا لظروفهم الاقتصادية والاجتماعية ، ترتبط بوحدة حقيقية ، تجعل منها نمطا قريب التشابه بوجود العناصر الأساسية بها ، من أسوار للحماية ، ومسجد جامع للعبادة ، وحمامات وأسواق متخصصة ، بالإضافة إلى الثقافة العربية الإسلامية التي كانت تجمع بينها مهما تباعدت ، لكن هذا الإبداع العربي الإسلامي تراجع ، وبدأت حركة تغريب واضحة تغزو مدننا ، وأصبح الغرب بعد استعماره عدداً من أجزاء الوطن العربي مؤثرا في أفكارنا وأساليبنا التخطيطية لمدننا وهندستها ، وبذلك انتقلت التقاليد المعمارية الأوروبية إلى مدننا ، ومن ثم أصبحت المشكلة التي نواجهها تنبيء بمخاطر كبيرة ، الأمر الذي يستدعي بذل الجهد لحصر الضرر ، والدعوة لإعادة الاعتبار للطراز المعماري العربي الإسلامي ، والهوية العربية الإسلامية لمدننا ، لذلك استخدمت منظمة المدن العربية من أجل هذا الغرض وسائل عديدة ، فعقدت الندوات والمؤتمرات ، وأصدرت العديد من الكتب التي تحتوي على دراسات لأنجع السبل لإعادة الاعتبار إلى المعمار العربي الإسلامي ، ثم رأت المنظمة أن هناك حاجة لوسيلة أكثر فاعلية لاستقطاب الاهتمام بالعمارة العربية الإسلامية فخصصت جائزة أطلقت عليها اسم جائزة منظمة المدن العربية ، الجوائز المعمارية »

ويضيف الأستاذ عبدالعزيز العدساني قائلا « لقد انطلقت المنظمة بإيجادها لهذه الجوائز من إيمانها بالمستوى الرفيع للتراث المعماري العربي الإسلامي ، وهو ماتشهد عليه المآثر التاريخية الراقية في العمارة وتخطيط المدن ، كما أرادت بالجائزة تثبيت الحفاظ على التراث العربي الإسلامي المعماري فكرا وفنا ومضمونا ، وتشجيع المنافسة بين المدن العربية في مجال الترميم وإعادة الاستخدام للمعالم التراثية والتاريخية ، ثم خلق روح الإبداع والتطوير بين المعماريين العرب ، وتشجيعهم على استلهام عناصر التراث العربي الإسلامي في أعمالهم العمرانية ، بالإضافة إلى خلق أجيال عربية مؤمنة بمبادىء الفن والفكر المعماري العربي الإسلامي ، لتعمل على تطبيقه وإبرازه وتطويره

وتتكون الجائزة من ثلاث جوائز معمارية هي جائزة المشروع المعماري ، وتخصص لأحسن مشروع معماري ينفذ في مدينة من المدن العربية الأعضاء بالمنظمة ، على أن يمثل مرفقا عاما ، يبرز فيه جهد المهندس في استلهام التراث العربي الإسلامي

وجائزة التراث المعماري ، وتخصص لمدينة عربية ، تقوم فيها مراجع متخصصة للمحافظة على جزء مهم من المدينة التاريخية وإحيائه ، وذلك بمواصلة أعمال الترميم ، وإعادة توظيف المعالم والأبنية في الحياة اليومية ضمن خطة علمية مدروسة

وجائزة المهندس المعماري ، وتخصص لمهندس عربي تقديراً لجملة من الأعمال التي قام بها تؤكد روابطه وإيمانه بالعمارة العربية الإسلامية ، وتشريفه لها في كل الأعمال التي خطط لها ونفذها . ومدة الجوائز تمنح كل سنتين ، والترشيح لها مفتوح أمام كل من له صلة بالمعمار العربي الإسلامي . وقد جعلت المنظمة مقر الجائزة مدينة الدوحة عاصمة دولة قطر □

بقلم / المهندس سمير صلاح الدين شعبان

منذ اكتشاف الاصابات المتسارعة للفيروس الوبائي لمرض « الايدز » أو نقص المناعة المكتسبة ، والذعر يمتلك البشرية كلها وقد راح العلماء والباحثون المتخصصون ـ خاصة في دول الغرب حيث النسبة الكبرى من المصابين « بالايدز » ـ يسابقون الزمن والمرض ، لاكتشاف لقاح أو علاج حاسم

ويبدو أن هناك بدايات تبشر بالتفاؤل ، ولكنها ما تزال بدايات لطريق صعب طويل

توصل بعض الباحثين إلى لقاحات ضد مرض « الايدز » ، يمكن أن تجرى اختبارات عليها ، أما الدواء فيبدو أمره أكثر تعقيدا ، لأن فيروس الايدز « هيف » من النوع الكامن ، ولم يتم التوصل بعد إلى علاج للأنواع الكامنة ، وهي الأخطر

لهذا فإن الدراسات والأبحاث ماتزال مستمرة مكثفة بحثا عن لقاح يمنع انتشار هذا الوباء الذي يهدد معظم سكان كوكبنا الأرضي بالفناء

طموحات متفائلة

المعروف أن التلقيح (التطعيم) يمثل واحدة من أقدم الطرق التي ابتكرها الأطباء لحماية الانسان من خطر الاصابة بمرض محدد ، والمهم في الأمر أن فائدة اللقاح تقتصر على الأشخاص الذين لم يسبق لهم الاحتكاك بالجرثوم المسبب للمرض ، وهذا يعني ـ مع الأسف ـ أن لقاح « الايدز » لن يفيد المصابين به حاليا الذين تقدر منظمة الصحة العالمية عددهم في سائر أنحاء العالم بحوالي ٥ ـ ١٠ ملايين ، ولا يسع هؤلاء إلا العيش على أمل نجاح الباحثين في التوصل إلى دواء ناجع على جناح السرعة ، قبل فوات الأوان

يتساءل عديد من الناس بحق « لماذا فشل الباحثون حتى الآن في التوصل إلى لقاح فعال لوباء « الايدز » مع التقدم العلمي الباهر في مجالات علم

مخطط توضيحي لآخر ما نعرفه عن فيروس الايدز يركز أكثر الباحثين اهتمامهم بكلا بروتيني الهالة (١) و (٢) المتموضعين مثل الدبابيس على غشاء جدار الفيروس (٣) يمثل الجسم الداخلي المخروطي النواة (٤) التي تحيط نفسها أيضا بهالة من البروتين (٥) تختص النواة الحمض الريبي النووي RNA لمادة الفيروس الوراثية (٦) والانزيم ترانسكريبتاز العكسي (٧)، الذي يميز أسرة الفيروسات الارتجاعية

تكمن مهمة هذا الانزيم في تحويل رسل الحمض الريبي النووي (RNA) إلى حمض ريبي نووي منقوص الاكسجين DNA بعد ذلك فقط يتسنى للفيروس زرع مورثاته في المادة الوراثية للخلية المكونة

صـورة بمجهر راستر الالكتـروني تـبين المـرحلة الاولى مـن اجتياح فيروسات الايدز الملونة صنعيا - باللون الازرق - لسطح احدى خلايا المناعة (خلـيـة ت (T-CELL) فإذا قضى على هذا النوع من الخلايا عندها تنهار مناعة الجسم ضد الامراض
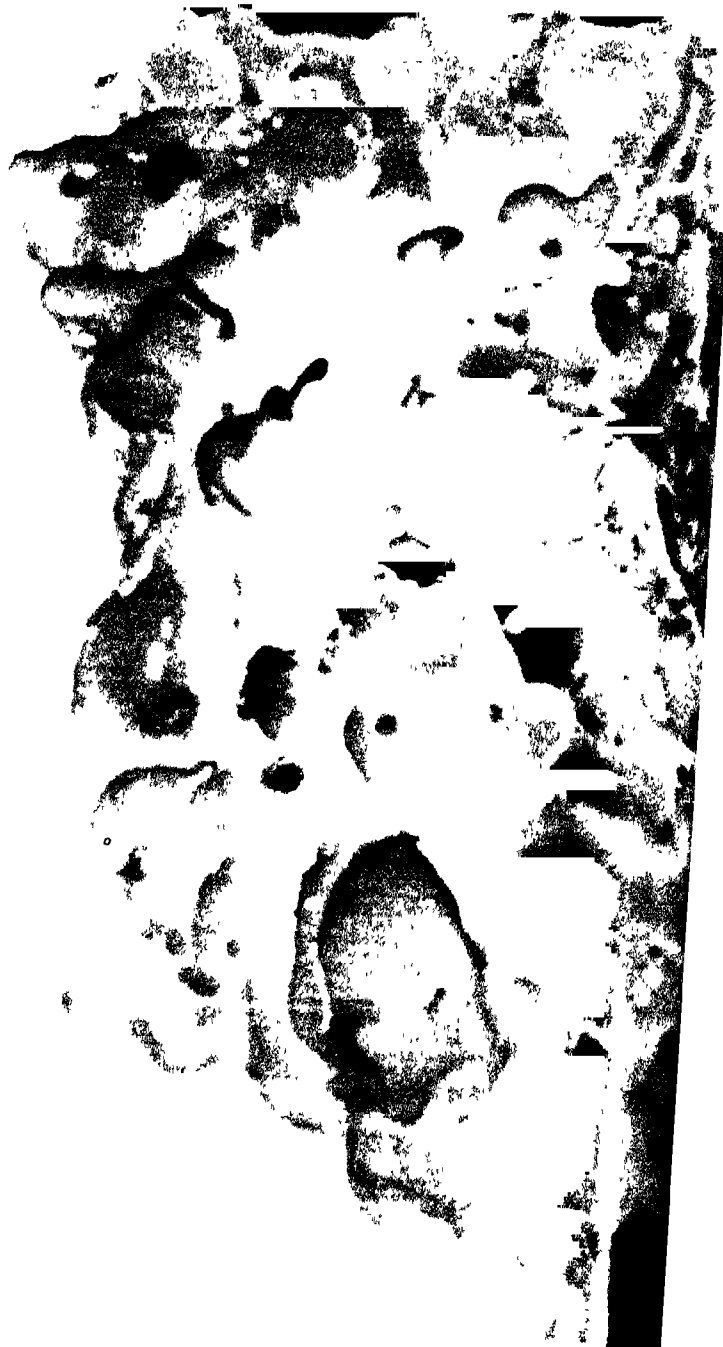
حياء (البيولوجيا) والكيمياء وهندسة المورثات ، يرها ؟ »

ويجيب المتفائلون عن هذا التساؤل بأن الأمر لا دو كونه « مسألة وقت » ، وينتمي إلى هذه الفئة رمحدودة الطموح عالم الأحياء السويدي البروفسور ور موريں في جامعة أبسالا

وتجدر الاشارة هنا إلى أن تفاؤله يستند إلى نجاح ـ ، طاقمه ـ في تحضير ما يزيد على ٢٠ لقاحا ضد بيروسات الممرضة للحيوانات باستخدام تقنيته ناصة التي أثبتت جدارتها في كل مرة لذا لا ى مبررا جوهريا يحول دون نجاحها مع فيروسات ف (فيروس فقد المناعة المكتسبة عند البشر)

تعتمد تقنية موريں على مادة حاملة للقاح ، أطلق ليهـا اسم « ايسكـوم » (أي المعقـد المحـرض ماعة) ، تتميز بتحريض لحملة مناعة الجسم ، بعول يزيد حوالي ١٠ مرات بالمقارنة مع اللقاحات قليدية وكانت النتائج الأولية مشجعة إلى حد عه إلى الاعراب عن اعتقاده ـ في حزيران (يونيو) اضي ـ بإمكان البدء بالتجارب على القردة قبل نهاية عام الحالي

ومع هذا يبدو تفاؤل موريں هادئا جدا بالمقارنة ع الطموحات الخارقة للباحث الفرنسي الدكتور بيـل راغـوري الـذي انتقدت مجلة الـطبيعـة بكليرية تهوره بالاقدام في بداية العام الحالي على قيح نفسه مع مجموعة صغيرة من المتطوعين بزيج صر بواسـطة هـندسـة الجينـات ، مؤلف من يروسات مجرصة لجـدري البقر والايـدز ، دون لحصول على موافقة مسبقة من منظمة الصحة العالمية سورة سريـة وقد خـالف الخط راغوري حينـما صل على « حماية لظهره » من قبل منظمة الصحة في ـاصمـة زائـير (الكنغـو) التي أعلنت دعمهـا شجيعها لباحثي هذا المشروع

وبعد ذلك نشر راغوري النتائج الأولية لتجربته رسالة وجهها إلى مجلة « الطبيعة » عنها قال فيها إن محص الأولي للدم قد أعطى نتائج إيجابية حسب عائه

كل هذه الأدلة وكل هذا الطموح المتهور لم يكفيا للمخاطرة والاقدام على التجربة الحاسمة التي تقطع الشك باليقين ، وهي حقن المتطوعين بفيروس هيف الخطر ولو تجرأ راغوري ونفذ هذه التجربة على عدد من البشر بنجاح لأصبح بطلا ، ولدخل تاريخ الجنس البشري من بابه العريض ، أما في حال الفشل فسوف يدفع المتطوعون الثمن الفادح لانقيادهم وراء أوهام الأمان القاتل

عقبات وعثرات

يرجع الفضل إلى علماء القرن التـاسع عشـر في اكتشاف حقيقة مهمة هي يثار جسم الانسان بنوع محدد من الجراثيم المجرصة ليفرز أجساما مضادة لها فور اتصاله بها ويمكنه أن يتعرف عليها مرة أخرى

وكان من البديهي تسخير هذا الكشف الحاسم في تحضير عديد من اللقاحات الناجحة للوقاية من عدد من الأمراض التي كانت تفتك في الماضي بـالاف البشر كل سنة

لذا ابتكر العلماء تقنيات تلقيح مختلفة ، تتوافق مع مقتضيات كل مرض على حدة ، وقد شهدت تطورا سريعا في السنين الأخيرة بفضل الفتوح الرائدة في مجالات « البيولوجيا » الجزيئية وهندسة المورثات ، وغيرها ومع الأسف ليس بمقدورنا تسخير كل تقنيات التلقيح للوقاية من فيروس الايدز

تعتمد واحدة من أشد تقنيات التلقيح فعالية على استخدام واحد من أقرباء الجرثوم الممرض ، لتكاثر في جسم الانسان دون أن تظهر عليه أية اعراض للإصابة وعلى سبيل المثال يقي فيـروس جدري البقر ـ عديم الضرر ـ من عدوى الجدري البشري

لكن من المتعذر سلوك هذا الطريق مع فيروس هيف للسببين التاليين

١ ـ ليس من المعـروف حتى الآن فيما إذا كـان لفيروس هيف أقرباء على الإطلاق ، إذ يبدو بمعظم الباحثين كأنه « مقطوع من شجرة »

٢ ـ في ١٩٨٣ أعرب الدكتور لوك مونتانـ عن اعتقـاده بأن مجـرض الايدز هـو « فيروس ـرجـ ارتجاعي » من النوع الذي يولج مورثاته الجـ ـه في

البروفسور المناضل بروزموزين

المادة الوراثية للخلايا المصابة ، وهذا قد يؤدي ـ حتى في حال العثور على قريب لفيروس هيف ـ إلى الاصابة بالسرطان بعد مضي سنين طويلة على عملية التلقيح

طريقة أخرى أثبتت جدارتها في الوقاية من عدد من الأمراض ـ مثل الانفلونزا ـ تعتمد على الجراثيم الميتة » أصلا أو الموقوفة قدرتها على التكاثر ، بالاعتماد على طرق المعالجة الفيزيائية أو الكيميائية

ومع الأسف فإن هذه الطريقة تتعثر بعقبة كأداء تمثلها البحوث الأخيرة على فيروس الايدز وحياته الخاصة . فقد أضحى من المعروف أن فيروس هيف يحيط نفسه بهالة خارجية ، ويدخل في بنائها لبنات مصنوعة من أنقاض أغشية كريات الدم البيضاء للانسان المصاب ، وهذا يعني ببساطة أن اللقاح المعتمد على طريقة الجراثيم الميتة ستمخض عنه أيضا أجسام مضادة لكريات الدم البيضاء التي تشكل دعامة أساسية في مناعة الجسم ، مما قد يسهل إصابة الناس بالأمراض الأخرى

لذا يركز تفاؤل معظم الباحثين على ما يسمى اللقاح المشطور » ، وهنا يأخذ المرء بروتينات هالة الجرثوم ويضعها على حامل (تكسي) ملائم يبقى ملتصقا معه

مثلث الايدز

لا يستغرب المرء حينما يسمع أن حوالي ١٥ (من أصل ٢٠) من مجموعات الباحثين العاملين في مجال لقاح الايدز ، قد تركز اهتمامها على « اللقاح المشطور » هذا ، وتمخض عن هذا التركيز تبلور مثلث عالمي ، تشارك فيه أربع مجموعات

(١) المجموعة الأولى بقيادة البروفيسور روبرت غالو في المعهد القومي للصحة في بيتيدا

(٢) المجموعة الثانية بقيادة البروفيسور بيرنها موسى في المعهد المذكور أعلاه

(٣) المجموعة الثالثة بقيادة البروفيسور بيرنهارد كورث في معهد باول ايرليش في فرانكفورت

(٤) المجموعة الرابعة في شركة الأدوية « إيمونو » (اي المناعة) في فيينا

ويجدر التذكير هنا بمؤهلات اللقاح الناجح ، ففي الحالة العامة يجب أن يكون اللقاح قادرا على تنشيط حملة مناعة الجسم وحثها على إفراز الأجسام المضادة للجرثوم . وبعبارة أخرى يجب أن يحتوي اللقاح على تلك اللبنات من هالة الجرثوم التي تستنفر القوى الدفاعية لجسم الإنسان « الأجسام المضادة » ، لتتعرف على هذه اللبنات فتهاجمها ، وترتبط معها لتشكل معقدا « فاضحا » يلفت نظر القوى الدفاعية الأخرى لحملة المناعة مثل « الخلايا القاتلة » التي تقوم بتدميرها

إثر ذلك يقوم الجسم بتركيب ما يسمى « خلايا الذاكرة » ، وهي عبارة عن خلايا دموية متخصصة بإنتاج نوع وحيد من الأجسام المضادة ، الملائمة لمقاومة الجرثوم الذي أثار نشاطها في اللقاء الأول ، وبعد ذلك تتولى خلايا الذاكرة هذه عملية الحراسة ، وتتحرك ذهابا وإيابا مع الدم . وعندما تلتقي مع « عدوها الخاص » تبدأ بالانقسام السريع ، وتجهز خلال ساعات معدودة أسطولا ضخما من الأجسام المضادة ، يقضي على الفئة القليلة من الجراثيم المتسللة ، قبل تكاثرها وخروجها عن طوق مقدرة

احسار بلقح البشر	احسار بلقح الحيوان	تجارب الانابيب	لقاح تجريبي
أول اختبار على مجموعة بشريه في بواكير ١٩٨٧ . الفاعلية مجهولة حتى الآن . هنا يقف راغوري	سيبت تجارب القرود أساس اللقاح ، ودلائل مناعيته حسب ادعاء دانييل راغوري	تعرفت الأجسام المضادة البشرية الى بروتينات هيف السطحية	
	أول اختبار على الشمبانزي في بواكير ١٩٨٧م ، لم تنشر النتائج بعد هنا يقف مثلث الايدز	تعرفت الأجسام المضادة البشرية الى بروتينات هيف السطحية	
	سوقع سوريس أولى تجارب الشمبانزي في نهاية ١٩٨٧	يتوقع سوريس أولى التجارب المخبرية خلال شهور معدودات	
		النتائج الدقيقة غير معروفة هنا يقف فون بير	

التسابق إلى لقاح الايدز

لقاح جدري البقر/ الهيف

اللقاح المشطور

هندسة المورثات تصنع بروتينات هيف السطحية

لقاح المعقد المحرض للمناعه

تحمل بروتينات على التكسي هنا بلف موريس

استحصال التكسي « العاريه »

هندسه المورثات تصنع بروتينات هيف السطحية

مصل الأجسام المضاده المستحه

الأجسام المضادة مستحة ضد هيف

مستنبت ينتج أجساما مضاده مستنسخة ضد هيف
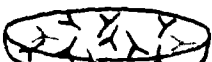
مزيج أجسام مضادة من دم مصاب بالهيف

الجسم الدفاعية

لم تبق هذه التصورات محصورة ضمن نطاق العموميات ، ففي حالة الايدز نجح العلماء في كشف لبنات هالة فيروس الهيف التي تتعرف عليها حملة مناعة جسم الإنسان ولا يتسع المقام هنا للإسهاب في الحديث عن هذه اللبنات ، وأكتفي بالإشارة الى أن كلا منها يتألف من بروتين مع جذر سكري ، لذا يطلق على أسرتها اسم البروتينات الغليكورية ويتم التمييز بين أفراد هذه الأسرة بالنظر الى حجم الجزيء

وفي حالة فيروس هيف يطلق على كلا البروتينين الغليكوريين اسم بروتين الغليكور ٤١ وبروتين الغليكور ١٢٠

ويتم إنتاج هذين البروتينين ضمن خطة تقسيم العمل بين المجموعات الأربع لمثلث الايدز من قبل مجموعتي العمل الأمريكيتين في بيثيدا ، وقد قامت هاتان المجموعتان (الأولى والثانية) بتطوير طريقة تعتمد على هندسة المورثات لإنتاج بروتينات فيروس هيف ، وهنا يسخر الباحثون الأمريكيون فيروس « جدري البقر معدل الجينات » في إنتاج هذه البروتينات على نطاق محدود

لكن تجارب اللقاح تتطلب تأمين كميات كبيرة من بروتينات الهيف ، وهذا ما تكفلت به شركة ايموبو النمساوية (المجموعة الرابعة) التي تتمتع برصيد قيم في مجال لقاح الايدز ، إذ يعيش في الاصطبل الخاص بها حوالي ٦٠ شمبانزيا

والشمبانزي هو النوع الحيواني الوحيد ـ المعروف حتى الآن ـ الذي يتعرض للإصابة بعدوى هيف ، وإن كان لا يبدي أعراض الايدز ، ولذلك لا بد لبحوث أساليب الاختبار من المرور على محطة الشمبانزي قبل تجربتها على البشر

وتقع مسؤولية بحوث مناعة الشمبانزي هذه على عاتق الطاقم الذي يقوده البروفسور رابنهارد كورت في فرانكفورت الذي يهتم بشكل خاص بالإجابة عن التساؤل هل يحرض تلقيح الحيوانات تركيب أجسام مضادة للهيف ؟

وقد تم البدء بالتجارب على الحيوانات الأربعة الأولى بلقاحين تجريبيين ، يحتوي الأول منهما على واحد من بروتينات الهيف فقط ، بينما يحتوي الآخر على كلا البروتينين معا ، علما أن الحامل « التكسي » ، هو في كلا الحالتين مينا (هيدروكسيد) الألمنيوم وفي حال ظهور المؤشرات الأولى لنجاح اللقاح سيتم حقن الشمبانزي بجرعة عادية من فيروس الهيف ، ونقل عدوى الايدز إليه

قفص تحريض المناعة

وهنا تبرز أهمية بحوث البروفسور السويدي « المتفائل » برور مورين التي تسعى الى حمل بروتينات هالة الهيف على ما يسمى « المعقد المحرض للمناعة » يتم استخلاص المعقد المحرض للمناعة « ايسكوم » من جذع إحدى الأشجار الاستوائية ، ويمتاز هذا المعقد بأنه مشابه لبروتينات هالة الهيف لكونه من البروتينات السكرية ، لكنه يتميز ببنية فراغية فريدة ، فهو عبارة عن « قفص كروي » يشبه كرة قدم حديثة مصنوعة من الأسلاك

وبمقدور المرء استخدام هذا القفص ـ حسب تصور مورين ـ لحمل بروتينات الهالة الخاصة بأي نوع من أنواع الجراثيم المحرضة التي تصنع « طوقا » ، يشبه عقد اللؤلؤ ، ويحيط بالمعقد المحرض للمناعة ، وبذلك يتم تقديمها في أشكال يسهل على حملة المناعة تمييزها

وهذا ما شجع البروفسور كورت على التعاون المكثف مع البروفسور مورين وتزويده ببروتينات هالة الهيف المنتجة بواسطة هندسة المورثات

ولعل أهم ما يؤخذ على هذه الطريقة الواعدة عدم تجريب استخدام المعقد المحرض للمناعة في جسم الإنسان إطلاقا ، إذ ليس من المعروف حتى الآن ما إذا كان يولد ردود فعل ثانوية (جانبية) ... الحساسية أم لا

لقاح الجدري والايدز

لتلافي هذه العثرة تحاول مجموعات عد... الباحثين الفرنسيين والامريكيين تطوير لقـ... ـلاد...

بطريقة يمكن تسميتها تجاوزا « استراتيجية حدري البقر » وهنا أيضا يتم الانطلاق من ثنائية بروتينات هالة الهيف ، مع الاستعاضة عن الحامل السابق بفيروس حدري البقر

ومما شجع على خطوة الاستدال هذه الاستخدام الناجح على مدى عقود طويلة لهذه (الفيروسات) في الحالة الحية للوقاية من حدري البشر ، إلى حد دفع منظمة الصحة العالمية إلى الإعلان عن انقراض هذا المرض على النطاق العالمي

وتسخير فيروس حدري البقر للحصول على لقاح الايدر يقتضي تعديل الفيروس الأصلي بتقنية هندسة المورثات ، وهذا يوجب بساطة زرع ثنائية الهيف في المادة الوراثية لفيروس حدري البقر ، تماما كما يقوم المخرج بحشر مشهد جديد بين فقرات الفيلم السينمائي أثناء عملية المونتاج

ولعل أهم ما يميز المزيج الهندسي الوراثي هذا صلاحيته للوقاية من الحدري والايدر معا وهذا السبيل قد سلكه الطبيب « المتفائل » دانييل زاغوري

إلا أن الكيميائي الحيوي الطبيب الدكتور يوهانس لوور الذي يعمل تحت قيادة البروفسور كورت قد أعرب عن اعتقاده بارتباط استراتيجية حدري البقر هذه بخطرين محدقين

الأول تمخض عن لقاح حدري البقر أعراض مرضية ، مما أدى إلى سحبه من أسواق ألمانيا الاتحادية في سبعينيات القرن الحالي

الثاني الجهل المطبق بتبعات المعالجة الهندسية الجينية للفيروس الطبيعي وهذا أمر لابد من استيضاحه بأدق التفصيلات

يضاف إلى ذلك عقبة أخرى ، فمن المعروف أن معظم سكان الأرض ملقحون ضد الحدري ، وهذا يعني : حالة استخدام المزيج الهندسي الوراثي المقترح ، خلايا الذاكرة عند هؤلاء البشر ستتعرض إلى المتسللين الجدد من حدري البقر على الفور ، وبذا تكبحها قبل أن يتسنى للجسم البشري تركيب أجسام مضادة لفيروس الهيف ، وعليه لا

في المرحلة الأخيرة تذوب الفيروسات مع أغشية جدران الخلايا

يتوقع لهذا اللقاح أية فائدة باستثناء المواليد الجدد أو أولئك الذين لم يعطوا لقاح الحدري في الماضي !

آفاق المستقبل

بعد كل الذي استعرضناه من العقبات والعثرات التي تعترض طريق لقاح الايدر ، لا يستغرب المرء ارتباك الباحثين أمام التساؤل الملح للأفراد العاديين متى سيصبح لقاح الايدر في متناول جميع البشر ؟ وهنا يلجأ العلماء إلى المماطلة والتسويف أما الذي كسر طوق الجمود ، وحالة الانتظار، تلك المفاجأة التي أذهلت باحثي لقاح الايدر في سائر الدول العربية ، فقد أعلن البروفسور روديغرفون بير في برلين الشرقية عن نجاحه في إنتاج أجسام مضادة قادرة على مكافحة فيروس الهيف بواسطة طريقة الاستنساخ ، ويشير البروفسور فون بير إلى إمكانية إنتاج الأجسام المضادة في المستنبتات الخلوية زهيدة التكاليف ، القادرة على فضح فيروس الهيف ومكافحته

ولو حقنت هذه الأجسام المضادة في دم الإنسان لبقي في مأمن من عدوى الايدر فترة من الزمن وأسارع هنا إلى التذكير بأن هذا الدعم « السلبي » لحملة المناعة ليس من ابتكار باحثي الايدر في السنين الأخيرة ، إذ يتبع منذ مدة طويلة في وقاية الاوروبيين المسافرين إلى المناطق الاستوائية من مرض التهاب الكبد مثلا

وبذلك تكللت جهود الباحثين بابتكار « مصل » يحقن جاهزا في دم الإنسان ، ليقيه خطر عدوى الايدر فهل يرضى علماء العرب بهذه المناعة السلبية ؟ □

قصة قصيرة

كل ما يأتلق

للكاتب الهندي :
جاغاديش موهانتي *
ترجمها عن الانجليزية :
د. [illegible]

لا يتخيل أحد عادة أن مجرد قرط بإمكانه إثارة مثل تلك الجوانب القيمة في قصص كثيرة ، ولكن هذا ما حدث ، فقد كان مجرد قرط صغير ، ولكنه أصبح مادة رئيسة للنقاش في المكتب ، وأخذ كل امرىء يأتي بقصة من كنوز تجاربه الخاصة .

في الطريق إلى المكتب ، كان « أروناف » قد التقط قرطاً ساقطاً على الأرض ، يأتلق تحت أشعة الشمس ، أدرك أنه قرط لفتاة ، سقط منها في حركة عشوائية

عرض القرط على كل واحد في المكتب ، السيد « هاريبادا » ، الكاتب في الديوان هو الذي رآه في البدء ، وقد قال : « إنه من نحاس ، [illegible] بحلية ذهبية في عرض الطريق ؟! » ، [illegible] « أروناف » ، فقال : ولم لا ؟ [illegible] صغيرة ، ويمكن أن يكون قد سقط من [illegible] ورد عليه السيد « هاريبادا » قائلا : [illegible] من الأقراط تسقط ، ولكن هذا القرط [illegible] إنه نحاسي ، ومن جهة أخرى [illegible] [illegible] » .

والعثور عليه من الطوالع السيئة »

دب الخوف في قلب « أروناف » ، وهو يستمع إلى كلمات مساعد الرئيس في تجويف مظلم داخل دماغه ، طائر مشؤوم بدأ يحوم ، وعمامة معتمة ألقت ظلها على وجهه ، فارتعش قليلا

ولكن السيد « هاريادا » قال « لا معنى لذلك ، هذه مجرد خرافة ، تخيل قول ذلك في عصر العلم هذا ! »

وكان مساعد الرئيس على وشك أن يقول شيئا على سبيل الرد ، ولكن السيد « موهانتي » قال « لست أدري لماذا أنت تخالف دائما ؟ هل من أحد أن تعرف ؟! أنا شخصيا أعرف كم يمكن أن يكون مشؤوما العثور على الذهب ، في العام الماضي عثرت على هدية ذهبية فتوفي والدي ونهب بيتنا ، وفقدنا كل شيء في ذلك العام ، ومن جهة أخرى كان علي أن أضرب في الأرض طولا وعرضا بحثا عن عمل ، وكأني أتعقب سرابا ، إلى أن ألقيت عصا الترحال في هذا المكتب »

نما خوف « أروناف » ، رفت عينه اليسرى ، وهذه علامة أكيدة على أن أمرا سيئا سيحصل ، وعلى صفحات نفسه البيضاء بدأ يطبع كل ما يحتمل من أخبار سيئة ، وسرعان ما ارتعش حينما حاول أن يمحوها ، أحس كما لو أنه في زورق مثقوب ضائع في بحر من الحظ العاثر

وتدخل السيد « هاريادا » فدل « أروناف » على طريق الخلاص بقوله « اذهب إلى الصائغ ، فإذا كان القرط من ذهب فعلا ، ثم تصدق بخمس روبيات من ثمنه ، ضعها في المعبد ، لا يمكنك في الواقع أن ترمي بثلاثين روبية »

وافق الجميع على الاقتراح ، ولكن « أروناف » كان ما يزال قلقا ، وهو يحكم قبضته على القرط

انتهى الدوام الصباحي في المكتب الساعة الثانية عشرة ، فخرج « أروناف » الى بائع تبغ ، وعرض عليه القرط ، رماه الرجل بنظرة فيها الدهشة ، ثم حك القرط براحة يده ، وقال « لا ياسيدي ، ربما كان مكسوا بالذهب ، أو النحاس ، ولكنه ليس ذهبا خالصا ، ألا ترى العلامات السود التي أحدثها في راحة يدي »

ليس ذهبا ؟! أحس « أروناف » بالحيرة ذهبا فبإمكانه أن يستفيد بشيء منه على الأقل ماذا بإمكانه أن يفعل بقرط نحاسي ؟!

وبينما كان « أروناف » يتناول غداءه ، عرض القرط على نادل المطعم ، فقال له مؤكدا « إنه قرط ذهبي ، من ذهب السامبالبور الخالص » رأى « أروناف » وميض أمل ، ولا سيما عندما أضاف النادل قائلا « ألا ترى روعة السامبالبور في القرط ؟! إن المشكلة في هذا النوع من الذهب تكمن في أنه لا يتألق »

ألحان عذبة بدأت تحقق في قلبه ، طيور الأمل حلقت في سماوات فكره ، ولكنه حالما أغلق عينيه ليتذوق طعم السعادة ، حذره نادل المطعم قائلا « ولكن العثور على الذهب ليس حميدا ، إذ يقال إنه مرتبط بجلب الحظ السيىء »

توقفت الموسيقا ، الطيور غابت ، وطافت على وجه « أروناف » عمامة سوداء من الذعر ، العثور على الذهب غير حميد ، ماذا يمكنه أن يجلب ؟ الجلب موتا ؟ حادثا ؟ حريقا ؟ نهبا ؟ رأى موكب جنازة جثمان أي ميت يحمل الناس ؟ أغمض عينيه ، وجد والده ، الذهب يحيط بعنقه ، آه ، يا إلهي

روح شريرة تسحق امرأة عجوزا ، اللصوص ينهبون البيت ، المرأة العجوز ملقاة فاقدة الوعي محطمة الجمجمة ، وجهها مشوه ، تستعيد وعيها تصيح « ولدي ، أين ولدي ؟ »

« أروناف » ملقى خارج سيارة في حادث ... مقطوعة ، والدماء نافرة منها ، وهو يتدحرج على الأرض

ترك « أروناف » المائدة مرتعشا ، ولما شرع تناول طعامه ، ومضى إلى حوض المغسلة قال النادل « اترك القرط معي ، أعرف جوهريا سأطلب منه أن يفحصه » ، شك « أروناف » الأمر ، هل يحاول النادل خداعه ؟! قال له داهب الآن الى الجوهري » ، عبر النادل ...

أمله وهو يقول « لا بأس »

قلق « أروناف » ، أحكم قبضته على القرط الملفوف بورقة

الحر في الخارج لاهب ، أدرك أنه من المستحيل أن يمضي في حر الشمس . لقد اعتاد أن يقيل بعد الظهر ، ولكنه نادى سائق عربة « الحركشة » ، وطلب منه أن يوصله إلى الجوهري

الدكان الأولى معلقة ، وفي الثانية يقعد ولد صغير أخبره أنه لا يعرف شيئا عن الذهب ، وفي الثالثة قال له الصائغ « معذرة سيدي ، إن طفلا ولد اليوم في منزلي ، ولا أستطيع أن ألمس الذهب قبل أن أغتسل »

كان سائق العربة قد ضجر ، فقال له « هناك محل آخر على بعد ميل واحد ، ولكن من المؤكد أنه معلق في هذا الوقت من النهار ، والأفضل أن تأتي إليه في المساء » ، هل في إمكان السائق أن يفهم قلق « أروناف » ؟! ولذلك قال له « دعنا نذهب إلى ذلك المحل أيضا » ، وعندئذ كان لابد من أن يأخذ السائق ثلاث روبيات ، وقد قال فيها كلمته الأخيرة

ومع ذلك فقد كان المحل معلقا ، وعاد « أروناف » إلى البيت ، وقد قرر أن يحاول ثانية في المساء ، فعليه أن يعلم إذا كان القرط مصنوعا من ذهب ، وإذا كان كذلك فكم بإمكانه أن يجلب له ، ولكن من المحتمل أن يغشه الجوهري ، وعليه أن يحضر معه الرئيس المساعد في المكتب ، وإذا وجد أن القرط من ذهب ، وإذا حصل به على ثلاثين روبية فعليه أن يتصدق بخمس روبيات في معبد « شيفا » ، أو قد يتصدق بروبيتين اثنتين في كل من معبد « شيفا » و معبد « فيشنو » ، وبروبية واحدة في معبد « لاكشمي »

لكن ماذا لو كان ثمة حادث سيىء ؟! أو حظ عاثر ؟ إن عينه اليسرى ترف في الأيام الثلاثة الماضية ، وهذا طالع شؤم أكيد ، وهو لم يتسلم أي رسالة من أهله ، هل هناك من هو مريض في الأسرة ؟

قلق « أروناف » على بيته المبني بالقش في القرية ، والنار مصدر خطر عام ، ولا سيما خلال الصيف

في غرفته الصغيرة بدّل ثيابه ، وبينما هو يعلق سراويله أراد أن يأخذ بعض النقود الصغيرة من جيبه ، وعندئذ صدم ، فلا قرط هناك ، نقّب داخل الجيوب ، قلب باطن السراويل والقميص الى خارج ، ولكن ليس ثمة أثر للقرط

بحث في الأرض ، بين الأشياء ، يبدو القرط كما لو أنه تلاشى في الهواء ، أين يمكن أن يكون قد سقط ؟ في العربة ؟ في الطريق ؟ في دكان الجوهري ؟ ما رقم العربة ؟ هل يمكن أن يتعرف على السائق وأن يميزه ؟

ارتدى ثيابه وخرج ، الحر في الخارج غير محتمل . أين يمكن أن يذهب ؟ كيف يمكنه أن يستعيد القرط ؟ أي طريق عليه أن يسلك ؟ استند إلى إطار الباب ، ليس من المستحسن أن تفقد الذهب ، ولا أن تعثر عليه ، ولكنه لا يعلم إذا كان القرط ذهبا أو نحاسا ؟!

لقد كان عبئا حقيقيا سقط عليه ، وقد ذهب الآن عنه ، أحس بفراغ كما لو أن هنالك شيئا ما قد فقد ، كم هو غريب أن يحس قلبه بالفراغ لمثل ذلك الشيء الصغير وظل « أروناف » يقف مستندا إلى إطار الباب □

● اذا ضمن الشرق الشباب والمستقبل فقد ضمن كل شيء وهانت عليه خسارة الحاضر وإن كانت جسيمة (عباس محمود العقاد)

هُـوَ هٰكَـذا ، يَبْـدُو هُنـاكَ وَيَخْتفِي ... يَـدْنُو ويَبْعُـدُ حِـينَ يَلْمَـحُ مَـوْقِفِي

يَـبْدُو لِعَـيْنِـي غَـيْرَ مَـرْئِـيٍّ وَإِنْ ... شَـدّ الجُفُـونَ إليـه كَيْـمَا تَقْتَـفِي

أَنْفَـاسُـهُ تَهَبُ النَّسَـائِمَ حِـرْفَـةً ... فِيهَـا تَـلُوذُ مِنَ الـرُّكُـودِ وَتَشْـتَفِي

هُـوَ بَـاعِـثُ الأَهْـوَاءِ بِي لٰكِـنَّـنَـا ... شَـتَّـانَ بَـيْنَ حِـيَـادِهِ وَتَـطَرُّفِي

مَـا مَـرَّةً أَدْنَيْـتُ مِـنـه حَـرَائِقِـي ... مَـكْـتُـوبَـةً إلَّا وَأَطْـفَـأَ أَحْـرُفِي

هُـوَ زُهْـدُ أَيَّـامِي الحَكِيـمـةِ مِثْلَمَا ... هُـوَ حُمْقُ أَحْـلَامِي الَّتِي لَا تَـكْـتَفِي

هُـوَ هٰـكَـذَا يَـبْـدُو إِذا غَـنَّـيْـتُ فِي ... أُنْشُـودَتِي أَوْ فِي تِـلَاوَةِ مُـصْـحَـفِـي

وَإِذا انْـصَـرَفْتُ مَـعَ الحَيَـاةِ أُحِسُّـهُ ... خَـلْفِي يُـزَكِّـي أَوْ يُـعِيْـبُ تَـصَـرُّفِي

فَـأُدِيْـرُ رَأْسِـي نَحْـوَهُ فَـلَا أَرَى ... إِلَّا بَـقَـايَـا هَـاجِـسِـي وَتَخَـوُّفِي

وَالصَّمْتُ مَـزْرَعَـةُ الظُّنُـونِ ، وَإِنّ لِي ... فِـيهَـا حَـصِـيْـدَ تَحَـرُّكِي وَتَـوَقُّـفِي

وَأَنَـا المُـعَـبَّـأُ فِي النُّهُـوضِ لِهَـاتِفٍ ... نَـادَى ، فَـأَيْقَظَ فِي الظَّلامِ تَشَـوُّفِي

لَبَّـيْـكَ ، لَكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ وَمَـا الَّـذِي ... تَبْغِـيـهِ مِنِّي ؟ كُنْ بِهٰـذا مُنْـصِـفِي

أَتُـرِيـدُ قَلْبِي ؟ قَـدْ وَهَبْتُـكَ فَـوْقَـهُ ... صَدْرِي ، وَأَكْتَافِي العِـرَاضَ ، وَمِعْطَفِي

أَتُـرِيـدُ إِعْـلَانِي لأَمْجَـدِ كَـوْكَـبـاً ؟ ... إِنَّ الـكَـوَاكِـبَ لَا تَخُـونُ وَلَا تَـفِـي

أَنَـا مَحْضُ مَـا تَهَبُ الحَيَاةُ لِعَـابِـرٍ ... فِـيهَـا ، وَمِنْهَـا قَسْـوَتِي وَتَـلَطُّفِي

أَنَـا أَلْفُ صَـالِحَـةٍ تُـرِيْـكَ عُبُـوسَهَـا ... أَوْ أَلْـفُ شَـرٍّ بِـابْتِـسَـامٍ يَخْـتَـفِي

البيت العربي

عقد في حياتنا

- مركب النقص
- عقدة الذنب
- مركب الكمال

□ أبناؤنا.. والرجولة المبكرة

عُقدٌ في حياتنا

• مُركّب النقص
• عُقدة الذنب
• مُركّب الكمال

اعداد / محمد صوف*

« تزخر جمل حوارنا ومناقشاتنا بتوصيفات نفسية كثيرة ، وما أسهل أن نقول ان فلانا مصاب بكذا ، أو يعاني من كيت وكيت ، دون أن نعرف بشكل حقيقي دلالة الألفاظ ومعانيها . وهذه محاولة لفهم ثلاثة من أكثر المصطلحات النفسية شيوعا »

مركب النقص هو أكثر التصورات اللاشعورية المحمّلة بالانفعالات التي تملك القدرة على تغيير السلوك الإنساني . وتجدر الاشارة هنا الى أهمية تفادي الخلط الذي يقوم به عدد كبير من الناس عندما يعتبرون الشعور الواعي والمحدود بالنقص مركب نقص ، ناتجا عن نقص فعلي ، سواء كان جسديا أو اجتماعيا أو مهنيا . يمكن للرجل أن يشعر بالنقص إذا كانت قامته قصيرة بشكل غير عادي ، مع علمه بأن تفوقه العقلي أو الاجتماعي أو المهني قد يعوض هذه الخسارة ، وأنه ليس دون معاصريه . وقد تشعر امرأة بنفس الشعور ، لأن شفتها العليا مشقوقة ، أو لأن عمودها الفقري منحرف ، أو لأن عندها تشوها ما ، مع وعيها بمميزاتها وشعورها بأنها ليست أدنى الفتيات الأخريات .

وإذا كان لدى هذين الشخصين أسباب لا واعية لشعورهما بالنقص (كالشعور بالذنب مثلا) فإنهما لا يريان العناصر الإيجابية التي تعوض خسارتهما ، ولا يريان غير هذه الخسارة ، ويعتبران نفسيهما أضعف من أمثالهما ، اذاك سيكون هناك مركب نقص ، وندرك فورا أن هذين الشخصين كانا سيتعذبان من عقدة النقص لنقص جسدي لا يؤدي سوى دور إضافي .

« خلف القناع »

وهنا أيضا يقع خلط في الألفاظ ، ونسمع كثيرا عن مركب النقص أو الشعور بالنقص عندما يتعلق الأمر ببساطة بخضوع صريح يتماشى مع احترام الشخص لذاته .

كيف يتجلى مركب النقص بطرق ليست مختلفة فقط ، بل أحيانا متعارضة ؟

قد يتبلور عند شخص يبدو خاليا من كل ... خارجي ، كما قد يبحث على شعور مُحمّر بالنقص . وقد يتكون الحافز من عدة عوامل ، عيب جسدي ، ضعف مهني ، نقص ثقافي أو اجتماعي ...

* تم إعداد هذا المقال استناداً على دراسة للاختصاصية السويسرية الدكتورة ج . ستيفاني شير بولبير

وليس هذا سوى شعور واع ، ومجموع التصورات اللاواعية تدفع الشخص الى الشك في نفسه ، والتصرف كمن يراه الناس جميعا ضعيفا وعديم القدرة

وقد يبدو الذي يعاني من مركب النقص خجولا مترددا بسيطا دون أن يعرف لماذا هو هكذا ، كما أنه يستطيع أن يظهر في شكل معاكس تماما ، فتصل تدخل عناصر التعويض لدرجة أن الشخص يبدو مصابا بمركب الكمال ، مع أن هذا المركب لا يوجد الا مظهريا إن الشخص الذي يتعالى ويحدث الناس بادعاء ، ويعتبر نفسه فوق الناس ، لمصاب غالبا بمركب نقص ، يصر على تعويضه في نظره وعلى احفائه عن الآخرين

وهكذا نرى رئيس مؤسسة أو ضابطا قليل الثقة في نفسه يصرخ في وجه مرءوسيه بدل أن يحدثهم بهدوء ، لأنه قليل الثقة في سلطته ، وبالتالي فهو يحتاج الى سماع نفسه وهو يصرخ حتى يطمئن ، وكذلك حال الأب أو الأم ، فقد يشعر الأب أو تشعر الأم بارتجاج السلطة ، فيمارس أحدهما الطغيان ليتأكد في كل لحظة من قوته وإذا حفرنا تحت قشرة تعاظم نابليون أو هتلر وتساميهما فسنعثر الى جانب الشخصية العبقرية والديناميكية على مركب نقص طاغ ، لدرجة أن المصاب يندفع الى الفتوحات المتزايدة ، حتى يتأكد من عظمته ونستطيع أن نحدث تحق عن مركب الفاتح ، ولنتذكر شباب هتلر الذي كان يرسم البطاقات البريدية لكسب لقمة العيش ، وكان يعطيها لأحد أصدقائه ليبيعها في الشوارع ، لأنه كان خجولا جداً من القيام ببيعها بنفسه

عموما يظهر مركب النقص على شكل تعويض ، أي بواسطة الكبرياء العدوانية والتعالي العدواني ، وروح النقد ، وكل المظاهر السلبية ، ويرجع هذا المركب الى حمل حامله فطا إلا إذا غلب لديه طبع طيب أساسا ، يصحح مظاهر التعويض هذه عنده

و... أشياء قليلة قد تؤدي الى مركب نقص أكبر من ال... ـف الجسي عند الرجل والبرود الحسي عند المرأة ، ومعروف عند كل واحد أن الفاقدين للقدرة الحسية والنساء الباردات حسيا هم في العالب يملكون طباعا صعبة التحمل ، لكن أحد هذه الأسباب المترددة بكثرة لمركب النقص هو للأسف نتيجة لتربية الخضوع التي تمارس على الأطفال ، فكثير من الآباء يدعون مع اطفالهم من ان يصيروا متكبرين وغير بسطاء فيمارسون عليهم القسوة والعدوانية ، ويهينونهم باستمرار بأحكام وملاحظات لا يستطيع الصغار مواجهتها ، فيعتقدون في النهاية أنها صحيحة

لنعط أمثلة

● لإيرين صوت جميل ، وهي تحب الغناء منذ مدة ، وتغني في المناسبات ، وطبيعي أن صوتها ليس قادرا على أداء أكثر «١٥ سنة» ، تغني كما يغني أقرانها وشاء سوء الحظ أن يثير صوتها الطفولي أباها الذي

يتقد غناؤها بصوت مرتعش ، وكلما فاحأها تعي تهكم عليها ـ أنت تنافسين الماعر ـ حتى ان الطفلة شعرت بالإهانة ، وتوقفت عن الغناء ، لأنها اعتقدت فعلا أنها تغني كالماعز ، وأن صوتها فظيع ، وقد أصيبت الى هذه الإهانات تهكمات من أقارب تحبهم ، فتولد لدى الطفلة مركب نقص ، وأصبحت تنتقل من فشل الى فشل ، حتى جاءت طبية نفسية فبعثت في نفسها الاحساس بقيمتها الحقيقية

● من ثلاثة إخوة أتم اثنان مرحلة التعليم الثانوي ، وانتقلا الى مرحلة النضج ، أما الثالث فكان مهيأ أكثر للحياة العملية ، فتعثر في الثانوية الى أن تم فصله من المدرسة وإدخاله الى معهد يتلقى فيه مهنة يدوية ، وعلى الرغم من أنه يكسب المال ولا يكلف والديه شيئا فإنه لم يستطع التخلص من مركب النقص الذي تكون لديه كان أخواه يعرفان القراءة وهما في سن الرابعة ، وكان هو يهمك في الحديقة وفي سن السادسة كان يحاول القراءة بصعوبة شديدة ، مما كان يثير مقارنته بأخويه بصيغة لاذعة ، وتهكم أخويه عليه وقد ردد أصدقاؤه أن أخويه اللذين هيئا لعمل فكري لن يكونا غنيين ، في حين أنه يستطيع في يوم من الأيام أن يكون ذا تجارة وغنى ومع ذلك لم يتوصل الى كسب ثقته في نفسه وفي كل مناسبة يحاول إثبات ذاته كان والده يقول له « أنت لم تستطع حتى انهاء تعليمك الثانوي » ، محطما بذلك الاطمئنان الداخلي لابنه وقد ظل يعتقد أن التاجر بحكم ماهيته أدنى من المثقف هذه الفكرة العبثية لا تقاوم التحليلات الا أنها تجذرت في مركب لا واع ناتج عن الصدمات المتكررة التي عاشها في طفولته

ونستطيع ذكر أمثلة مماثلة لايحدها حصر عن عدد كبير من الآباء، يبدون غريبين متناقضين في حمل الكراهية والحب لأطفالهم في وقت واحد ومن الجمل التي يلقي بها الآباء على الأبناء مثلا « أنت لا قلب لك ولا ضمير ، ولن تكون نافعا في شيء أبدا » ، « ستذهب في النهاية الى السجن » ، «أنت مصيبة حياتي ، أنت عار على عائلتك ، أختك لطيفة رقيقة ، وأنت فظة، تبدين كبليدة صغيرة » ، « إنك لا تعرف ماهي المجاملة » هذه عبارات التقطتها بالصدفة ، وقد سمعها في طفولتهم وحتى في شبابهم أشخاص موهوبون جديرون بالتقدير قد قابلتهم ، وكان لي حظ في تخليصهم من مركب نقص يعانون منه بسبب أسلوب آبائهم

ومما لاشك فيه أن عددا من المربين ـ غير الآباء ـ يستعملون هذه العبارات المقيتة ، كالمعلمين والمعلمات ومربيات الأطفال ، لكن صدورها من أشخاص غير مقربين نفسيا للمراهق أو الطفل لايؤثر ولايصدم كثيرا مثل صدورها من أقارب محبوبين يكون لأقوالهم وقع قوي على النفس

« صدمات متوالية »

إن الأسباب التي تؤدي الى تكوين مركب نقص قد تختلط عند مريض واحد ، ويمكن لنا القول ان صدمة أولى في هذا الاتجاه قد تفتح الطريق لصدمة تالية تحدث مايسمى في علم الاحياء « التحسيس » ، فإن « من لدغته الأفعى يخاف من الحبل » ، وإن كل من شعر بالنقص وأهين مرة أولى يكون قد تم تحسيسه لهذه النقطة ، وقد تجعله كلمة غير مؤذية أو مرض ليس فيه خطورة يحس أنه قد أهين لدرجة أن كل من يصاب بمركب نقص غالبا ما يصير ذا حساسية متزايدة ، ويشعر دائما أنه المقصود بشيء في حين أنه غير ذلك

ويتضح لنا إلى أي درجة يفسد مركب النقص طبع صحيته تجاه أمثاله وصحية كهذا لا يجد القدرة على الشعور بالحب الذي بفقده تغدو الحياة مليئة بالآلام أكثر من احتوائها على الفرح ، ويصير غير قادر على الشعور بالطمأنينة والسلام

وقد يكون مركب النقص منبعا لآلام كبرى فإذا كانت لدى المصاب بالنقص شجاعة المواجهة والتحرر فقد يرى أن حياته قد تتبدل

عقـدة الذنـب

هي إحدى العقد التي تجوب الطرقات ؟ المتحضرة ، ونستطيع القول بأنها عالميه بدرجات متفاوتة ، وهي في بعض الأحيان

وفي الأغلب ليست واعية إلا جزئيا ، وأعراضها الخارجية أقل ظهورا من أعراض مركب النقص ، لكنها أكثر إيلاما وإرهاقا للمصاب ، سواء كان الذنب حقيقيا أو خياليا ، فإن حامل هذه العقدة يشعر بأنه دائما متابع بالانتقام ليل نهار ، وأن الخوف والخجل الواعي واللاواعي من عقاب غير محدد حاصر مخيف بقدر ماهو غير محدد وهو هنا يوجد بالطبع حسب درجات تختلف من الشعور الخفيف بالضيق حتى العصاب الحاد ، ويمكن لطفل أن يكون مصابا بحزن غير محدد ، في أوقات متقطعة ، فيحمر خجلا عندما يسمع سؤالا حول عمل مشين « من فعل هذا ؟» ، وقد لا يكون ضميره مرتاحا أبدا ، ومع ذلك يتواصل مع الحياة بشكل عادي مرح أحيانا ، لكن الوضع يتفاقم مع الأيام ، فالشخص الذي يشعر بالذنب وبالخوف من العقاب ينتهي الى رد فعل عنيف ، كمن يدافع عن نفسه عندما يهدده خطر (وهنا يجب البحث خارج حدود المعقول ـ مثلا التمييز بين الحقيقة والخيال وميكانزمات الهذيان بالعذاب)

الأسباب والأصول

والآن بعد أن عرفنا كيف تتمثل عقدة الذنب لنظر في أسبابها وأصولها ، وهي متعددة ، وليس من السهل ضبط بعضها ، لا لأنها غير واعية ، بل لأنها تنتمي جزئيا الى الغرائز البدائية التي تبدو فطرية إن لم تكن وراثية

وعلى رأس قائمة الأسباب الواعية الى حد كبير نموضع من جديد ، نتيجة أخطاء التربية التي يرتكبها عدد من الآباء يولد الطفل لا اجتماعيا ثم يتعلم من أسرته كيف يحترم قواعد المجتمع الذي ينتمي اليه ، ويجابه بسلسلة من الإزعاجات في كل لحظة ، ويرى الطفل رغباته الصغيرة تقمع ، وأ... ته تباد ، ويرى نفسه يضرب على أصابعه لأنه أخذ ... شيئا أعجبه ، ويسمع الشتائم لأنه سحب ملاءة أو ... مزهرية ، وفي كل لحظة يلام على تصرفاته ، ويدرك بسرعة أنه إذا فعل ما يعجبه سيلاقي غصب الذين يعيش تحت رحمتهم ، وهو غضب يجعله يشعر بسحب المودة عنه ، وهذا ما لا يستطيع أن يطيقه ، لأن أشياء في داخله تحذره من فقدان عناية الذين يتعلق بهم ، إنه الموت بالنسبة له ، وإنه يخضع خوفا وحبا في البقاء ، ويتعلم كيف يعتبر الأفعال التي تمثل بالنسبة له خطرا رديئة وحسنة ، تلك التي تساهم في ضمان الاطمئنان الذي لا يستطيع الاستغناء عنه

وكلما كبر تأكدت لديه الرغبة في الإخلال بين الحين والآخر بالقواعد الاجتماعية ، وشعر بالجرأة على ذلك ، مصيبا غالبا الكذب أو التظاهر بالطاعة حتى يتعرض لأذى الجزاء والعقوبة ويولد هذا التصرف شعورا واعيا بالذنب ، قد يصبح مزعجا لدرجة تدفع الطفل إلى ارتكاب حماقة كبرى ظاهرة تؤدي الى معاقبته ثم يشعر بأنه قد أدى ثمن حماقته ، لينقص من شعوره بأنه الجاني حتى هنا لا يمكن لنا أن نقول إن الأمر يتعلق بأخطاء في التربية ، إذ أن ترويض الحيوان الصغير البشري أمر ضروري ، ولو تم هذا الترويض برقة وذكاء لا يوقظ سوى احساسات واعية مرتبطة بالذنب ، لن تكون وحدها أساس عقدة نفسية إلا إذا عايش الطفل وسطا مصابا بوسواس مرمن

والأمر يختلف عندما تتدخل مثل الأقوال التي ذكرتها آنفا عندما تحدثت عن مركب النقص الذي تسببه هذه الأقوال إذ أن لها تأثيرا مضاعفاً يهمنا منه الآن

١ ـ التأثير المباشر الطفل الذي يسمع دائما أولياء أمره يتهمونه ، ينتهي به الأمر الى الاعتقاد بأنه مخطيء

٢ ـ التأثير غير المباشر تحت سيل الأوامر والاتهامات يكون رد فعل الطفل داخليا بالغضب والعدوانية ، ولا يستطيع إظهارهما ، فيحتفظ بها في داخله ويكبتهما في اللاوعي ، فيشعر الطفل بالذنب ، وإذا كان هذا الذنب لا شعوريا ساهم آليا في تكوين عقدة الذنب إذن فالسبب الرئيسي لعقدة الذنب هو الاتهامات العشوائية الصادرة عن الآباء أو الأمهات

إلى جانب هذه الأسباب التي تختلف آثارها حسب طبيعة حساسية المريض ودرجتها ، هناك سبب آخر مجهول في العالم ، عميق في اللاوعي ، نستطيع أن نقول عنه ـ دون مبالغة ـ أنه متعدد الحضور ، موجود في كل مكان ، وعند كل فرد على درجات مختلفة ، انه التعارض العميق الفطري اللاشعوري ، الموجود وفق قانون الطبيعة بين جيلين متتابعين ، وقد يدهش هذا التأكيد ـ دون شك ـ بعض القراء الذين سيصفونه بالتعسف ، وهو أمر يفهم لأنه يصدم المفاهيم المتلقاة حول العلاقات الموجودة بين الآباء والأطفال ، لهذا فاني أشرح هذا المعطى بشكل اكثر إيضاحا ، فمن المعلوم في كل مكان تقريبا أن الاباء يحبون أطفالهم ، وأن الأطفال يحبون اباءهم ، وهذا صحيح في أغلب الحالات

لكن الى جانب هذا هناك حرب صامتة تسود بين الشيوخ والشبان في عدد من الأسر إن إحدى ميزات التحليل النفسي الحرية أن يعرف العدد المدهش للآباء الذين يكرهون أبناءهم عن وعي او عن لاوعي ، أو يخافون منهم دون أن يعوا ذلك لنفهم لماذا تكون الأمور هكذا لن نفعل خيرا من العودة الى ما نعرفه عن أخلاق رجل الكهوف الى ما يمكن أن نلاحظه لدى بعض القبائل المتوحشة في أفريقيا هنا يبدو التعارض الموجود بين جيلين متتابعين بوضوح للملاحظ العادي إن الجيل الجديد ـ كل يوم ـ يزداد حيوية ، ومتطلبات ويطلب مكانا أكبر في الشمس والذكور الأكبر سنا يملكون كل ما للعشيرة ـ خاصة النساء ـ فيشعر الشبان بضرورة إنقاص عددهم ، فيقتلونهم ، وهذا ما يحدث بين الحين والآخر يرى هؤلاء الكبار بعين الخوف هذا الجيل الجديد ينمو ويشكل خطر نزع ما يملكون وبخاصة النساء الشابات ولا يستطيعون أن يتمنوا موتهم لأن قوة الشبان ضرورية لحياة العشيرة أو القبيلة ، لكن نزعتهم الى التقليص من خطورتهم بخصيهم ماتزال قائمة ، حتى اننا نجد آلاف المخصيين في بعض الشعوب الافريقية ، وعند بعض الشعوب الأخرى ويظل المخصي قائما بشكل رمزي : لن يقبل الذكر الذي قطعت إحدى خصيتيه مثلا في صف الرجال . ويرغب الآباء في أن يجهل أبناؤهم هذا المجال أطول مدة ممكنة ، ويغضبون دون سبب عندما يبدي الأبناء الرغبة في الدخول الى مجال الجنس وكل هذا مشروع لاعتبارات أخلاقية ، لكن السبب العميق لهذا السلوك اللاواعي هو ضمن ماذكرنا

مركب الكمال

نستطيع أن نقول عن مركب الكمال أنه ملازم لعقدة الذنب ، على الرغم من أننا لا نعثر عليه كثيرا كما هو الشأن بالنسبة لعقدة الذنب ، وهو يطبع بعض الأفراد الذين لا يرضون عن أنفسهم ولا عما يفعلون بهذا المركب ، إن هؤلاء التعساء لا يطلبون من أنفسهم دون وعي منهم اقل من الكمال إن الشعور اللاواعي الذي يؤدي الى هذا الموقف يختلف الكبرياء شعور لا واع ، كذا مركب النقص . لكن العامل الرئيسي هو عقدة الذنب ويتبين على الفور أن الامر يتعلق بالتعويض ومن جديد تكون التربية الخاطئة هي الأصل وقد جاءتني يوما أم بطفل في العاشرة ، سريع الانفعال وعصبي ، تقول « لا أفهم ، نحن لا نعنفه ولا نضربه أبدا ، وإذا لم يحصل على درجة الكمال في دراسته نقتصر على عقوبته بأن يقضي يوم الأحد في الفراش قلت سيدتي ، هل تستطيعين أن تقولي بكل صدق هل تحصلين على الكمال في كل شيء ؟ كيفما كان الحال فإن الأمر يختلف بالنسبة لي قالت السيدة تصور أني لم أفكر في هذا قط » وهكذا يعمل عدد من الآباء على تربية « عصاب الكمال » لدى أطفالهم ونحن نعي أن التربية لن تنتج هذا التأثير إلا على أشخاص حساسين جدا

« من حولنا »

لعلنا الآن نحرص على أن نقل هذه المصد[illegible] من مفرداتنا اليومية ، وأن نمعن النظر فيمن [illegible] وفي أنفسنا ، فقد نكون بشكل أو بآخر ، و[illegible] دون وعي نسهم في إصابة واحد ممن نحب [illegible] الحالات □

أبناؤنا...

والرجولة المبـ... ـة

اعداد : ريم الكيلاني

من منا لم يعش تلك المرحلة الحرجة من العمر التي تنتقل بالأطفال إلى عتبة الرجولة ؟ ومن منا لم يبحث الوسيلة المثلى من أجل تعامل مثالي مع الأطفال الرجال

قد يظن البعض أن الخوض في اعماق المراهق للتعرف على مشاعره وعواطفه أمر سهل ، على الرغم من كل ما يحدث له من تغيرات جسمية وعقلية وعاطفية واجتماعية ، غافلين عن نظرة المراهق لنفسه بعدما أصبح رجلا من وجهة نظره الضيقة على الأقل ، حيث بدأ الشعر يظهر في مناطق من جسمه وعلى وجهه ، واخشوشن صوته ، متناسين إحدى اهم المواجهات للمراهق في هذه المرحلة وهي كيفية تقبل الأم لهذا التغير الجذري في طفل الأمس ، واي حرج قد تواجهه في تربيته وتوجيهه

طفلي يغدو رجلا

تقول إحدى الأمهات بدأت ألاحظ أن ابني يجلس كثيرا في شرفة المنزل ، مهملا مداكرته ، صار يكل واجباته المدرسية عرض الحائط وحينما حاولت مراقبته من بعيد وجدته يتعمد الجلوس في الشرفة كي يراقب الجارة وهي تقوم بالاعمال المنزلية خلال ... البيت

و... ثانية - يصر أحد على مجالسة ضيوفنا كلما اتى أحدهم لزيارتنا ، وقد اكتشفت ذات مرة أن عينيه قد اتجهت نحو ساقي سيدة جالسة أمامه

وتقول أخرى اعتدت جمع الملابس كل يوم سبت لغسلها ، وكأمر طبيعي كنت أخرج كل ما في الجيوب من أوراق حتى لاتبتل بالماء ، لكن المفاجأة أذهلتني ، فقد وجدت صورة امرأة خليعة قد قطعت من إحدى المجلات الأجنبية في أحد جيوبه

ويبدو أن الأم في أكثر الحالات تنسى أن المراهقة لها خصائصها ومتطلباتها ومشاكلها أيضا يقول كلاباريد العالم النمساوي « تنتقل المراهقة بالطفل من دائرته الذاتية الضيقة المقصورة على نفسه إلى بداية الخروج من قوقعة الذات والاتجاه إلى الجنس الآخر الذي تتطلع الذات إلى بلوغ درجة أعلى من النمو والاشباع من خلال التكامل معه ، وهذا يقود إلى دراسة الوسط الذي يعيش فيه ، دراسة أساسها الحرية والتمرد على أوامر الوالدين »

الرجولة في قمقم

وعلى الجانب الآخر يتقمص المراهق دور الأب

أحيانا ، ويحاول ممارسة سلطاته .

يقول أحد الشباب من حقي أن أمنع أمي من التحدث مع هذا الشخص ، فهو لايحول نظره عنها ، وينظر اليها بعيون وقحة ، وهي تجلس معه في كامل زينتها وأناقتها ،من حقي ـ لأن ابنها الأكبر ورحل البيت في غياب والدي ـ أن أحدد لها ما ترتديه من ملابس فلا تسبب لي حرجا أمام أصدقائي الذين يحسدونني على جمال أمي

وصورة أخرى من الصور التي تواجه الشاب المراهق تتمثل في قول أحدهم كنت سعيدا بدعوتها لي للمذاكرة في بيتها ، حيث الهدوء ، لكنها كررت دعوتها لقضاء الليل عندها ، متحججة بالوحدة التي تعيشها بعد أن هجرها زوجها ، لكن والدي كان يصر على رفض هذه الدعوات ، مصمما على رخّي في قمقم الطفولة

ويقول آخر كلما وطأت قدماي المنزل أمطرتني أمي بوابل من الأسئلة ، كأنني أقف في محكمة عسكرية ، ثم تقترب مني وتحاول أن تشم في فمي رائحة السجائر ، وتمتد يديها إلى جيوبي لتبحث عن أدلة أخرى !

القانون السحري .

تناول عدد كبير من علماء النفس دور المراهقة بالدراسة والبحث حتى لم يعد يخلو أى كتاب في علم النفس من تناول هذه المرحلة المهمة من العمر التي يكون فيها النمو الجسدي أسرع من النمو الوجداني والعقلي ، مما يخلق فجوة بين الرجولة المبكرة والرجولة الحقة ، وقطعا لايوجد هناك قانون سحري يصل بالمراهق إلى النضج دفعة واحدة ، فالنضج يحتاج إلى عمر وعمل ومعرفة بالذات ، ومسايرة للواقع ، وتقبل للأمور التي لايمكن تغييرها ، والتخلي عما لايمكن تحقيقه من أحلام اليقظة

الفطام النفسي :

يتجه المراهق في هذه المرحلة لاكتساب حقوق جديدة خارجا من إطار المنزل وسلطة الوالدين إلى المجال الذي يراه هو مناسبا ، فإذا لم يؤخذ باللين أصبحت الثورة النفسية جزءا من طبعه

يقول الدكتور كمال مرسي استاذ علم النفس التربوي بكلية التربية بجامعة الكويت لكل مرحلة من مراحل نمو الانسان خصائص تميزها عن غيرها من المراحل

ويستقر في أذهان كثير من الناس بعض الأخطاء الشائعة عن مرحلة المراهقة ، حيث ينظر العالمية للمراهق على أنه شخص مضطرب متمرد ، لايحط في مكان إلا يكون سببا في مشكلة ، وكأن العصيان خاصية حتمية مقترنة بهذا الفرد

والحقيقة العلمية مخالفة لمثل هذه الاعتقادات . فالتشكك في سلوك المراهق يعني أننا ندفعه للمشاكل دفعا ، ومن ثم إلى سوء علاقته بمن حوله واضطرابها

ومن ضمن الدراسات والبحوث المتعددة التي أجريت حول تلك المرحلة الحرجة في حياة الانسان ظهرت نظريتان . إحداهما تقليدية قائمة على أساس نظرية الامريكي « ستانلي هول » الذي يعتبر المراهقة مرحلة للعواصف والضغوط معللا ذلك بعمليات البلوغ الجنسي في هذه المرحلة التي تخلق اضطرابات نفسية وعاطفية تكون سببا في حالة التمرد تلك

وهناك نظرية أخرى تؤكد بالضرورة خطأ النظرية السابقة من حيث أنه ليس كل مراهق هو بالضرورة صاحب مشاكل ، بل إن كثيرا من المراهقين قد مروا بهذه المرحلة بسلام وهدوء فهي اذن ـ تبعا للنظرية الثانية ـ مرحلة نمو ونضج عقلي وفكري ، إلى جانب أنها مرحلة نضوج وتفتح جسمي كذلك

وهذه النظرية التفاؤلية جاءت بعد دراسات وأبحاث تؤكد صحتها ، فلو كان للاضطـ[illegible] الهرموني دور في تغير أخلاق الفرد وسلوكياته [illegible] الحال كذلك بالنسبة للمراهق في البيئة الـ[illegible] حيث يعيش الشاب أو كثير من الشباب دور الـ[illegible] هناك دون أدنى اضطرابات وجدانية أو سلوكـ[illegible] الرغم مما يحدث له من تغيرات جسمية

والعبء الأكبر الواقع على كاهل الوالدين [illegible] جعل الابن يرضى عن نفسه ، بمعنى أن لايحقر[illegible]

يسحران من نبرات صوته الخشنة ، ولا من مظاهر البلوغ الظاهرة في جسمه وعلى وجهه ، لأن رضا المراهق عن نفسه أحيانا يعني رضاه عن الآخرين ، وهذا ما يساعده في الاتجاه نحو التوافق الاجتماعي

حق غير مشروع

ويستطرد الدكتور مرسي تنحصر مشاكل المراهقة في قضيتين رئيسيتين القضية الأولى منها ـ وهي الرئيسية ـ هي قضية البلوغ الجنسي فالرغبة الجنسية لدى الانسان حاجة فطرية تنشأ معه وقد ظهرت في بدايات القرن العشرين نظرية إشباع الرغبات (فرويد) التي ترى ضرورة إشباع رغبات الأطفال والشباب الجنسية ، حتى لايصاب أحد منهم بالعقد النفسية ، وهذه النظرية قد أدت إلى اختلاط الفتى بالفتاة وتفاعلهما معا واليوم وبعد خمسين عاما اكتشف النفسانيون خطأ هذه النظرية ، ورأوا أن التربية لاتقوم على إشباع الرغبات ، وإنما على تنمية الضمير ، وتصريف الرغبات ، وإعلائها وتنظيمها ، وإشباعها بطرق مشروعة ومن هنا كان لابد من إيجاد حل لهذه النظرية المدمرة ، خاصة أن ٩٠٪ من الفتيات و ٩٨٪ من الفتيان في دول أوروبا وأمريكا قد مارسوا الجنس دون زواج ، وقد حملت على الأقل ٤٠٪ من الفتيات ، وهذا يعني تخلفهن عن الركب العلمي والاجتماعي ، ويقع العبء هنا على التربية التي من شأنها إعلاء الرغبات بإيجاد نشاطات تشغل الشباب عن هذه القضية دون زجر أو تهديد

ويجب أن نذكر هنا أن الاشباع الجنسي ليس حقيرا ودنيئا إذا أشبع بطريقة مشروعة ، لأن ذلك ... في وجود الانسان ، فطبيعي مثلا أن ينظر الشاب الى النساء ويختلس النظر إليهن ، لكن ... عملية تنمية الوازع والضمير هنا خاضعة ... وللأسلوب الذي يتعامل به الأهل مع ... ، فوجود الأب ضروري للشاب في هذه ... ، فهو أقدر من الأم ـ خاصة إذا لم تكن ... على توجيه ابنه دون خجل أو حرج ونحن ... دور الأم ودور التعليم عند الأم بعيدها في ... ات على أسئلة ابنها بأسلوب أكثر نضجا

وأقرب إلى العلمية ، كما يجعل الحديث أكثر صراحة ووضوحا

الانبطار المضطرب .

أما القضية الثانية ـ وهي رئيسية أيضا ـ فهي قضية اثبات الذات ، وهذه مرتبطة باشباع الرغبات الشخصية ، حيث يميل المراهق إلى الاعتماد على نفسه في اختيار نشاطاته ، فإذا ما منع من إشباع حاجاته من قبل أسرته تراه يلجأ للحيل النفسية الدفاعية لاثبات الذات ، ومن هذه الحيل ما يسمى (بالخلفة) ـ خالف تعرف ـ حيث يعمد الشاب إلى الاتيان بأفعال قد تثير الوالدين لمجرد لفت الانتباه ، وهذه الظاهرة نجدها لدى البالغين الذين حرموا من الاعتماد على النفس في مرحلة الطفولة ، إما بسبب قسوة شخصية الوالدين أو بسبب التدليل المفرط ، فيضطر الشاب إلى إثبات ذاته بواسطة الاتجاه نحو فعل يلغي العادات الضارة كالتدخين مثلا

وتفوت الأهل هنا ضرورة سلخ الابن في هذا العمر من بوتقة الدلال التي تعود عليها حتى باتت مبرّرا لكثير من التصرفات ، في حين أن الشاب لو اعتاد منذ نعومة أظفاره الاعتماد على النفس ، واتخاذ القرار لحصل على قدرات تدريبية ، توفر له سلوكيات جيدة ، ومهارة في التعامل مع مشاكل الحياة ، ولتقبل الوالدين وجهات نظره وقراراته التي اعتاد عليها ، أما الطفل الذي ينشأ في أسرة متسلطة لا تسمح له باتخاذ القرار وممارسة حقه الطبيعي في الاسرة فسيبقى ـ مهما كبر في نظر والديه طفلا صغيرا عاجزا عن مثل هذه الأمور

وعلى الأسرة كذلك أن تنمي لدى المراهق مشاعر الأمن والطمأنينة والتقبل حتى لو أخطأ ، فمثل هذه المشاعر تزيد من ثقته بنفسه وبوالديه ، ومن ثم بالمجتمع ، وتبقى المراهقة على الرغم من كل الدراسات والبحوث مرحلة بحاجة الى الوعي بمتطلباتها ، كي يتم الانتقال الى المراحل التي تليها بصورة عادية طبيعية خالية من التعقيدات ومتجاوزة لكل السلبيات □

هو.. وهي

[illegible]

هو..

● كأني روحين يحدث بيننا خلافات ، ويمتد الخصام ، فيظلل الصمت علاقتنا ، وعقب كل خلاف وثورة وحدة تختلط مشاعري وتتشابك ، وأصبح غير قادرة على الحديث معه أو الجلوس أمامه ولا راغبة في ذلك ، بل حتى النوم معه في غرفة واحدة ، لكن لأن الحياة لابد أن تسير وتمضي فإنني أحاول أن أتعايش في أيام الخصام هذه كي أصل إلى لحظة المصالحة

إلى أن حدث آخر خلاف بيننا ، وكان سببه - كالعادة - سببا بسيطا تافها ، لكن لأن ثورته - كالعادة أيضا - كانت حادة فقد ظلل الخصام حياتنا ، فتركت غرفتنا ونمت مع ولدينا ، وفي اليوم التالي عندما سألني ولدانا ماذا بك يا أماه ؟ قلت لهما باختصار إن أباكما أغضبني وأخطأ في حقي واستمرت أيام الخصام بيننا ، ومن أجل طلبات البيت التي لاتنتهي كنت أرسل أحد ولدينا إليه ، يطلب منه ما نريد خبزا أو طعاما ، ويبلغه إذا ما سأل عنه أحد أو يسلمه رسالة وصلته ، وكلما مرت الأيام ازداد اعتمادي على ولدي كرسولين بيني وبينه ، على الرغم من أنه عندما يريد شيئا كان يأتي إلى باب الحجرة ، ويقول ما يريد دون أن يوجه خطابه إلي ، أو يناديني باسمي إلا أنني رفضت أن أسلك سلوكه ، فهو يفعل هذا رغبة منه في الإسراع بالمصالحة ، وكان ينتظر مني أن أرد عليه أو أتحاور معه ، لكني أصررت على أنه لابد أن يجلس أمامي ويعتذر ، حتى جاءت عطلة نهاية الأسبوع ، واصطحب ولدينا معه للنزهة الأسبوعية كعادته مساء كل خميس ، يتمشون قليلا أو يذهبون إلى إحدى الحدائق العامة أو إلى دار سينما ثم يعودون إلى البيت عاد في ذلك اليوم وقد تغير وجهه ، ودخل غرفتنا ونادى علي ثم أغلق الباب وانفجرت ثورته. لماذا حكيت لولدينا عما بيننا ؟ وماذا يقول هو عندما يبكي أباه أمامه يطلبان منه أن يحسن معاملتي ؟ وكيف تقبل - هكذا يقول - زوجة وأم أن توسط ابنيها بينها وبين زوجها ؟ وتداخلت الكلمات ، وازدادت ثورته ، واحتقن وجهه كان مني إلا أن فتحت باب الغرفة ، وناديت ولدينا كي يريا أباهما ويشهدا عليه

..هي

قا، ت ة !

● لم أكن أتصور قط أن يدفع العناد والأنانية بأي زوجة إلى أن تنسى دورها ورسالتها كأم ، فقد كان تقديري دوما أن الأمومة مقدمة على ماعداها ، وأننا حين نصبح فإننا جميعا ـ اباء وأمهات ـ ننسى ذواتنا ، ونمنح حياتنا راضين لأبنائنا ، بل قد يصل بنا الأمر ـ في تقديري ـ إلى أن نتغاضى عن كثير من حقوقنا ثمنا لكي ينمو أبناؤنا بشكل صحي ناصح ، بلا عقد أو مخاوف كنت أقول لها كثيرا تعالي نوصي ردة فعلك عندما نغضب أو نختلف ، تعالي ندخل غرفتنا ، ولا نتناقش أمام ولدينا ، حتى لايصل إلى سمعهما رشاش الخلافات أو الاختلافات ، وقلت لها لايوجد في العالم كله زوجان لايدب بينهما خلاف ، لكن العقل يقضي بألا يشعر ولدانا به ، ولابلمسان آثاره ، لكنها تغضب عصبة أطفال ، وتجري من أمامي ، وتذهب إلى ابنينا وتحتضنهما ، وتبكي ، وتترك غرفتها وتجلس طوال اليوم مقطبة الجبين دامعة العينين ، حتى يسألها ابنانا عما بها ، فتبدأ في الشكوى إليهما مني

وم تنصفني يوما ، ولم تر قط أن أكثر من نصف خلافاتنا يبدأ بسوء تصرفها ، ولم تتذكر قط أنها وسط الخلافات كثيرا ما تلقي بألفاظ وبصوت لايتحملها احد وعندما تزداد حدة ثورتي أو أحاول الرد عليها تجري لى ابنيها وتحتضنهما و ، لها كثيرا ليستمر خصامنا إلى ما شاء الله أن لكن ليس من حسن التربية أن يعرف ابنانا حلاء ، ولا أن ترسلي لي طلباتك عن طريقهما ،

تعالي قولي ما شئت ، وهذا لايعني المصالحة أبدا ، لكن الظلم أن ندخل ابنينا في دائرة الخوف والقلق والميل لطرف أكثر من طرف ، فمن القسوة أن نشوه داخل ابنينا صورة أحد والديهما حاولت أن أفهمها ، لكن دون جدوى ، حتى فوجئت بابني يتوسطان لها ، وعندما استدرجتهما في الحديث اكتشفت أنهما يعرفان كل تفاصيل الخلافات من وجهة نظرها هي طبعا، وأنهما يشعران بأني ظالم ، وأن أمهما مظلومة معي ، وعدت إلى البيت وأنا لاأرى من أمامي ، وصرخت في وجهها ، إنها قاتلة ، تقتل أرق المعاني في نفسيْ ابنينا انتصارا لأنانيتها فما كان منها إلا أن صرخت على ابنيها تشهدهما علي ألم أقل إنه لاجدوى منها ؟

طبيب الأسرة

قضايا منزلية

أطفالنا يحبّون "الشيكولاتة"

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

أطفالنا من عشاق « الشيكولاتة » ، وربما شاركهم كثيرون منا في هذه المحبة ،لا لقناعة منهم أو منا بفائدتها ، ولابعراقة تاريخها ، وإنما لطعمها اللذيذ المحبب ، وسهولة هضمها

غير أن الأطفال ما قبل القرن السادس عشر لم يكونوا على غرار أطفال هذا الزمان ، لأن « الشيكولاتة » لم تكن معروفة لهم ، فهي بضاعة مستوردة من المكسيك ، والفضل في استحلابها لقائد اسباني شهير ، يدعى فرناند كورتيس غزا المكسيك بأساطيله عام ١٥٢٠ ، فالتقى هناك بأهل المكسيك من الهنود الحمر من قبائل الأزوتيك وقد وجد القائد كورتيز أن الأزوتيك مغرمون بطعام يحضرونه من حبوب حمراء ، يخلطونها بالمحليات ، ويطلقون عليها اسم تيوبروما كاكاو الذي يعني بلغة الأزوتيك « طعام الآلهة » ، ولما عاد القائد الاسباني إلى بلاده كان معه في حملة ما حمل طعام آلهة الأزوتيك من حبوب التيوبروما كاكاو ، وقدمها هدية متواضعة إلى رهبان أحد الأديرة تبركا منه وطلبا للغفران

وقد أطلق الرهبان اسم لوز الهند على هذه الحبوب التي تشبه اللوز حقا ، ونسبوها الى ما ظنوه أرض الهند سحقوها وأضافوا إليها السكر والحليب حتى استحالت الى معجون لذيذ الطعم ، سهل الهضم ، هو أول أشكال « الشيكولاتة» في التاريخ

تسللت حبوب لوز الهند أو التيوبروما كاكاو (طعام الآلهة) عبر جبال البرانس لتغزو القارة الأوروبية ، ومن بعدها كل بلاد العالم القديم ، فوقف منها الناس مواقف شتى ، إذ أن منهم من عاداها ، فحرمها أو اتهمها بالسمية ، ومنهم من أغرم بها وعشق التهامها

وبليت مع الأيام كلمة (التيوبروما) فيما صمدت كلمة (كاكاو) ، لهذا أصبحت كلمة مشتركة في كل لغات العالم في زمننا

فما هو موقفنا نحن أبناء هذا الجيل من هذا « الكاكاو » أو « الشيكولاتة » ؟

قد تعيننا المعرفة العلمية لمحتوى الكاكاو وتركيبه على إصدار حكم صادق في قضية « الشيكولاتة » ، واتخاذ موقف عادل محايد

لن نطرح « الشيكولاتة » على بساط المناقشة ، لأنها تركيب معقد من حبوب الكاكاو والحليب والسكر والفواكه والنقل ، وهذا أمر معروف ، وقد تبين الناس فوائدها الغذائية ، وتبينوا أضرار الاسراف فيها - لو كانت هناك أضرار - ... سنطرح أمر الكاكاو نفسه

فالكاكاو هو مسحوق للحبوب التي تؤخذ من ثمرة قريبة الشبه بالخيار ، قد خططها ... بالأخضر والأصفر ، ولعل أهم ما يميز تركيبها ... احتواؤها على مادة شبه قلوية ، تدعى الثيوبرو... وهي قريبة الشبه بالكافيين الذي اشتهرت به ... والشاي ، لهذا فالثيوبرومين وإن كان أضعف ... من الكافيين إلا أنه مادة منبهة منشطة للدورة ال...

مدرة للبول
هذا الى حانب حامض قابض ، هو حامض التنيك الذي يتوافر بكثرة في الشاي
إن حبوب الكاكاو شأنها شأن الحبوب الأخرى ، فهي غنية بالدهون التي تتراوح ما بين ٢٥/ إلى ٤٠/ التي يطلقون عليها اسم ربدة الكاكاو
وهناك نسبة عالية من النشويات في تركيب الكاكاو ، لهذا يعتبر الكاكاو « والشيكولاتة » مصدر طاقة حرارية عالية بفضل هذا التركيب النشوي الدهني ، إذ تصل قدرة مائة جرام منه في تزويد الجسم بالحرارة إلى حوالي ٤٥٠ سعرا حراريا
هناك نسبة عالية من الزلاليات في الكاكاو ، تصل إلى حد ١٢/ ، ويمكن أن نتصور قدر هذا الزلال إذا ما قارناه باللحوم التي لاتزيد بأية حال عن ٢٠/
وهناك نسبة عالية من النشويات في تركيب الكاكاو ، ولهذا يعتبر الكاكاو والشوكلاتة مصدر طاقة حرارية عالية بفضل هذا التركيب النشوي الدهني ، إذ تصل قدرة مائة جرام منه في تزويد الجسم بالحرارة إلى حوالي ٤٥٠ سعرا حراريا
وإذا ما قلبنا الصفحة لنستطلع تركيب الكاكاو من أملاح وفيتامينات ، فستقنعنا الأرقام بغنى هذا الغ المحبب بالكالسيوم الذي يصل إلى ما يقترب ما يح الحليب من الفسفور والحديد الذي ينافس الل والكبد

ربما لن نجد الفيتامينات متوفرة في الكاكاو استثنينا فيتامين (ب) الوفير فيه
لهذا لايمكن الا أن نصدر حكمنا على الشوكولا بارتفاع قيمتها الغذائية ، مما يبرر لأطفالنا غرام بها ، وإن كان غراما قائما على غير علم منهم ، غير الأمانة العلمية توجب علينا الحذر ، والتحذير الافراط في هذا الطعام المحبب ، تجنبا لعسر الهض أو الاضرار بالمرضى الذين يتوجب عليهم الامتنا عن تناولها أو الاسراف فيها على أقل تقدير

وهؤلاء هم ضحايا الحساسية والقرحة الهضمي والتهاب المفاصل والنقرس ومرض السكر وحصيا الكلى وارتفاع دهنيات الدم وأمراض القلب بالاضافة إلى من يعانون الامساك وعسر الهضم وآلا المفاصل الروماتيزمية (الرقية)
هذه هي قصة الشيكولاته التي يقبل أطفالنا عل التهامها بنهم يحسدهم عليه الكبار

ردود سريعة

* السيد أنس ابراهيم اغا ـ اللاذقية ـ سوريا
من الأفضل أن تستفسر عن مراكز علاج النطق من وزارة الصحة السورية ، فهي الأدرى والأعلم
* السيد ا م م
من الأفضل لك مراجعة طبيب متخصص في الأمراض الجلدية ، فالمهم ليس إزالة البقع وإنما هو علاج السبب
* السـ المبروك أحمد حويل ـ جالو ـ ليبيا
١ ـ ع ، تحريك المصاب بالعمود الفقري أساس من اسس سعاف الأولي ويترك أمر نقله للمسعفين المد بين
٢ ـ ا ـ المهدئة والمهلوسة تؤدي الى الادمان والاص بالجهاز العصبي
٣ ـ لا ـ أن للقهوة والشاي أضرارا خطيرة ، إلا مع الا ـ فيهما ، وليسا أخطر من تدخين السجائر إطلاقا
٤ ـ لم نسمع عن صلة بين التدخين والاشعاع
٥ ـ ضعف البصر والنزيف داخل العين من مضاعفات مرض السكر إذا أزمن
* السيد عبد المجيد آيت الطالب ـ الرباط ـ المغرب
لاتظن أن هناك علاقة بين حادثة سيارة والاصابة بفقر الدم
* السيد / ساع حمدان ـ العين ـ أبوظبي
لم يصل الطب بعد إلى أي عقار لشفاء مرض السكر ، وكل العقاقير إما منشطة للبنكرياس الكسول ، أو هي لتعويض المصاب بهرمون الأنسولين المفقود .
* السيد ر أ ـ أسفي ـ المغرب
ننصحك بمراجعة طبيب عيون متخصص

* السيد س ع - حمص - سوريا
ننصحك بمراجعة طبيب تجميل متخصص لأن الحالات لاتتشابه

* ت ت - بيروت - لبنان
طول الشاب في سن ١٥ سنة ما بين ١٦٠سم و ١٧٦ سنتمترا ، أما الوزن فهو بين ٥٥ كيلوجراما و ٦٥ كيلوجراما ، لهذا فإنك مازلت في الحدود الطبيعية للطول والوزن ، وقد يزيد طولك بضعة سنتيمترات أخرى بعد ذلك ، فلا تقلق

* السيد س م الجزائر
عقار المينوكسيديل لعلاج الصلع لم يطرح في الأسواق العربية حتى الآن ، ولعله يجد طريقه الى الصيدليات قريبا

* السيد كسوس حميد - الدار البيضاء - المغرب
الاستجماتيزم هو عدم انتظام تحدب قرنية العين ، والناظر لايمكن له تمييزها إطلاقا ، وعلاجها هو استعمال النظارات المناسبة التي يصفها لك المتخصصون

* القاريء م س - مراكش - المغرب
ننصحك أن تراجع اختصاصيا في الأمراض التناسلية في أقرب فرصة ممكنة ، حتى لاتتعقد الأمور

* الأخ سامر مسكيه - طرابلس - لبنان
أنت صغير السن ، وأمامك متسع من الوقت لتزيد طولا ووزنا فلا تقلق

* الأخت ح م ب الاسكندرية !
يبدو أنك تعانين من التهاب داخلي ، ولابد لهذا الأمر من تحليل وكشف طبي ، لمعرفة طبيعته ، وهذا الأمر لايتولاه سوى طبيب متخصص في أمراض النساء . صارحي والدتك بالأمر لتساعدك ، فالمرض ليس فيه ما يعيب

* أ ع ح - الدار البيضاء - المغرب
راجعي اختصاصيا في الجراحة لفحص حالتك

* الأخ عماد ابراهيم فياض - المحلة الكبرى - مصر
حبذا لو زودتنا بتقرير عن مرضك من طبيب ، حتى نجيبك بدقة عما تسأل عنه

* م ع م لمعوس - اليمن الجنوبي
لطفيليات الجيارديا والأميبيا علاجات ناجحة ، فاستشر اختصاصيا في الأمراض الباطنية ، ويا حبذا لو كان متخصصا في الجهاز الهضمي ولا شك أنك ستجده في مدينة عدن

* ح ع ع - المنوفية - مصر
ننصحك بمراجعة اختصاصي الأمراض الجلدية لفحص حالتك أولا . فربما تحتاجين الى علاج بالهرمونات ، أو تحتاجين لازالة الشعر بالكهرباء

* السيد ناجي - صنعاء - اليمن
لم نتبين طبيعة مرضك من رسالتك لهذا نرجو تزويدنا بتقرير طبي من أي طبيب معتمد ، حتى نفتي في أمرك بإذن الله

* السيد أحمد محمد التطوري - الاسكندرية - مصر
بعض الأمراض الجلدية قد تكون وراثية ، أو أن هناك استعدادا وراثيا لها إذا ما توفرت للمرض ظروف مواتية
غير أن أغلب الأمراض الأخرى ليس لها أي علاقة بالوراثة ، وبخاصة الأمراض المعدية والمطلوب هو تحديد المرض لتكون الاجابة أكثر دقة

* المعدب أ م د س - حمص - سوريا
ننصحك باستشارة طبيب متخصص في أمراض الغدد الصماء ، فقد تأخر افراز الهرمونات الجنسية لديك على ما يبدو ، وبعد ذلك ستجد الأمور تسير سيرا طبيعيا

* ح ن - تازه - المغرب
ليس هناك ما يعرف بمرض البرد إطلاقا ، فاذا لم يكن مرضك حمى روماتيزمية فراجع طبيبا آخر متخصصا وماهرا

* السيد / س س أ م - الزقازيق - مصر
الميوكسوديل علاج لسقوط الشعر الموضعي . اما حالتك فهي نقص في الافراز الهرموني ، مما يستوجب مراجعة طبيب متخصص في الغدد الصماء في أقرب وقت

* السيد / محمد ابراهيم عبد الرحيم - عمان - الأردن
لم يصل إلى علم الطب أن هناك علاقة بين الكهرباء وسرطان الدم الذي احتاروا في البحث عن سبب مباشر له

* السيد / أ ع ح - قنا مصر
لاداعي للقلق ، فأنت طبيعي ، ولا أثر لما ذكرت على الزواج أو الانجاب

مساحة ود..

نمـوت وقوفـاً
ولانعيش راكعين

تكمن قيمة الحياة كلها في بعض المعاني ، ودونها تصبح الحياة رحلة بهيمية لا معنى لها ولا قيمة ، ويستوي البشر والكائنات الأخرى ، تولد لتعيش ، ثم تموت ولا تضيف شيئا ، فهي لا تنتصر لقيمة ، ولا تعلي مبدأ ، ولا تضحي من أجل معنى أعمق وأنبل

في أزمنة التخاذل والتراجع تغيب هذه المعاني كثيراً وتختفي القيم الانسانية الراقية من مفاهيم الأفراد ، كقيم الحق والخير والجمال والمعرفة ، ويقابل هذه الحالة اختفاء قيم الشرف والنبل والتضحية والوطنية والكبرياء لدى الشعوب كتعبير مجتمعي عن تردي الأفراد

ووسط حالة الحزن العام التي نحياها نحن العرب أبى أطفال فلسطين ونساؤها وشبابها الذين يسبحون في السابعة عشرة من العمر إلا أن يضيفوا إلى حياتنا معنى نبيلا رائعا

فخرج آلاف الأطفال والنساء ، يواجهون الرصاص وقنابل الغاز وعصي الاحتلال وأحذية القتلة بصدورهم العارية ولحمهم الحي وقطع الحجارة الصغيرة ، وامتلأت شوارع المدن العربية التي ترزح تحت الاحتلال بصيحات النبل والشرف ، بالذين انتفضوا انتصارا لكرامة وطن مغتصب ، وغضبا للأرض التي دنستها أحذية الغزاة

يخرجون في الصباح مدركين أن عودتهم إلى منازلهم أمر مشكوك فيه ، وأنهم سيدفعون ثمنا لن يقل عن الموت أو الاعتقال ، وعلى الرغم من ذلك تمتلىء بهم الشوارع والطرقات وأسطح المنازل

شعب بأكمله ينتصر لقيمة الأرض والوطن ، ويضحي بما هو زائل من أجل ما هو أكثر بقاء ، وعلى شاشات « التلفاز » العربية تطل علينا شوارع غزة والقدس والخليل وعديد من المدن والقرى وهي تمتلىء بالأطفال وهم يرقصون رقصة الحجارة في رشاقة فرسان زمان غير زماننا هذا ونبلهم

سألني صديق أشك في صدق نواياه عن جدوى مايفعله هؤلاء العزل في مواجهة حرب ألة طاغية ، وهل هذا سيحرر شبرا من تراب ؟ وأدهشني السؤال ، وأفزعني ، فقلت له . يكفي هؤلاء أنهم يموتون بشرف وكبرياء انتصارا لمعنى معنوي راق ، غاب عن كثيرين منا . فهم يقدمون الموت ثمنا للحياة .

يكفي هؤلاء أن كل الذين ملؤوا مسمع الدنيا عن حقوق الانسان وعن الحرية انكشفت عوراتهم عندما لم يروا من حقوق الإنسان إلا بضعة جنود من الصهاينة أصابتهم حجارة أبناء الأرض السليبة . يكفي هؤلاء أنهم انتصروا لهذا المعنى العربي الجميل الذي غاب عنا طويلا ، هذا المعنى الذي كنا نردده ونحياه في زمان المد الجميل ‹ نموت وقوفا ولانعيش راكعين !! □

محمود عبدالوهاب

الأطفال والأدب الشعبي

بقلم : الدكتور محمود ذهني

عندما ترجمت كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة الى الآداب الأوروبية ، أحدثت ترجمة كل منهما ردود فعل كبيرة ، فاقتبس منها الكتاب ، وتأثروا بهما في كثير من مجالات الكتابة الأدبية ، وبخاصة في كتابة قصص الأطفال . فهل أولاهما كتاب قصص الأطفال عندنا عناية مماثلة ؟

الانتاج الأدبي العربي يمكن تصنيفه في ثلاثة ألوان متمايزة ، هي : الأدب الرسمي ، والأدب العامي ، والأدب الشعبي . وكل لون من هذه الألوان له مجموعة من الخصائص والسمات التي تميزه عن غيره ، فالأدب الرسمي هو أدب الصفوة ، أصحاب المراكز الرفيعة والمستويات العليا ، سواء كانت في الفنى أو السياسة أو الثقافة . لهذا فإن منشئ هذا الأدب الذي سوف يقدمه لأصحاب تلك المستويات العليا لابد أن يتخير له موضوعا من الموضوعات التي تدخل في دائرة اهتمامهم ، وأن يصوغه في لغة فصحى ، تتحرى أقصى درجات الفخامة والضخامة والأناقة والتصنع ، وتحت هذا اللون من الأدب يدخل كل شعر المديح والهجاء الذي شغل العصور الأولى من تاريخ أدبنا العربي ، كما يدخل تحته أيضا شعر المناسبات .

ولما كان هذا الأدب لا يدخل في اهتمام عامة الناس ، بل إنهم لا يعيرونه التفاتا ، ويعيشون بعيدين عنه ، حيث يضمه أصحابه ، ذوو النفوذ والسلطان ، مدونا في كتب فوق أرفف المكتبات ، ثم يأتي الاستعمار الثقافي ليفرضه على الدراسات الأدبية ، ويفرد له وحده الميدان في المدارس والجامعات ، مدعيا أنه الانتاج الوحيد للقريحة العربية ، واللون الوحيد الذي يمثل فن العرب الأقدمين

والأدب العامي هو ذلك الأدب المحصور في نطاق اجتماعي ضيق ، حيث يقدم نفسه لعدد قليل من البشر ، تجمعهم لهجة لغوية واحدة ، فينغلق فهمه على أصحاب اللهجات الأخرى لنفس اللغة ، ولا يهتم إلا بالأحداث اليومية الجارية لتلك الجماعة ، فيبتعد عن الوجدان الإنساني العام ، أو المشاعر البشرية المشتركة .

أما الأدب الشعبي فهو الأدب الذي يصل الى الشعب بكل طبقاته ومستوياته وأفراده ، أو [illegible] أصح ، هو الأدب الذي يختاره الشعب ، حيث [illegible] أنه يعبر عن شعوره الجمعي العام ، ويؤد [illegible] مهمات الفن في الحياة التي تبدأ بنقل التع[illegible] الوجدانية ، وتنتهي بالتسلية والترفيه ، وبين [illegible] والنهاية عدد كبير من المهمات التي تتفاوت م[illegible]

أدبي الى آخر

فالأدب الشعبي يتتج أساسا باللغة العامة ، حتى يستطيع الوصول الى جميع الأفراد ، ولا غضاضة بعد ذلك في أن تتناقله كل جماعة بلهجتها الخاصة ، وإن استمر محتفظا بخصائصه الشعبية

أدب الشعب

الأديب الفنان لا يستطيع أن يصنف نفسه ، أو ينصب نفسه أديبا رسميا أو عاميا أو شعبيا ، لكنه بحكم كونه فنانا ينتج ما ينفعل به ، فإن حاز انتاجه خواص الأدب الرسمي كان رسميا ، وإن أخذ سمات الأدب العامي كان عاميا ، أما إذا اختارته جماهير الشعب لتضمه الى مواردها الفنية وغذائها الروحي ، فإنه يكون بذلك أدبا شعبيا

وصاحب الأدب الشعبي لن يتمتع - للأسف - بهذا اللقب ، فهو لن يطلق عليه في حياته ، لأن سمات الأدب الشعبي لا تتحقق إلا بعد أمد طويل ، ولن ينعم به بعد مماته ، لأن الأدب الشعبي لا يحفل كثيرا بشخص قائله ، وإنما يترك نفسه لطبقات الشعب ونطاقاته المختلفة ، يشكله كل منهم طبقا لاحتياجاته ، ويدخل عليه من التعبير والتعديل والتبديل والاضافة والحذف مايلائم ظروف بيئته ومتطلبات حياته ، ومقتضيات عصره

فالى أيهم يتجه الأدب الشعبي في بداية انتاجه ؟

إذا أراد الأدب الشعبي أن يصل الى الشعب بأكمله فلن يتجه الى صفوة المثقفين ، مثلما يفعل الأدب الرسمي ، فيستغلق فهمه على العامة من المتعلمين وغير المتعلمين ، في حين أنه إذا توجه الى عامة الشعب بإمكانياته الفنية فسوف يستطيع جذب أصحاب الثقافة على اختلاف مستوياتهم .

كذلك لن يحاول أن يكون في مستوى الكبار ، فيفقد الأطفال ومن هم في مراحل الصبا والشباب ، وهـ نصف الشعب ، لكن يمكنه أن يتجه الى الصغار وبـ الكبار في نفس الوقت

ـس هـذا غريبا علينا الآن ، في حياتنا المـ ـة ، فالسيرك ومدينة الملاهي وحدائق الألعاب وأشباهها تنشأ للأطفال أساسا ، ومع ذلك فإن إقبال الكبار عليها يفوق إقبال الصغار . لقد وجد « والت ديزني » مبتكر الرسوم المتحركة في السينما الذي أنشأ في أمريكا مدينة الملاهي الشهيرة باسمه « ديزني لاند » أن عدد الكبار الذين يؤمونها يبلغ عشرة أضعاف عدد الصغار ، الأمر الذي حفزه على انشاء مدينة جديدة هي « ديزني ورلد » (أي عالم ديزني) .

ونحن نعرف أن الفولكلوريين يرجعون بداية علم الفولكلور ، وتسميته بهذا الاسم الى العالمين الألمانيين « الأخوين جريم » - وليم ويعقوب أو « فلهايم وحيكوب جريم » وذلك من خلال كتابهما « حكايات البيوت » وهذه الحكايات في حقيقتها قصص للأطفال

ثم كتاب « ألف ليلة وليلة » الذي يعتبر درة الأدب الشعبي العربي ، أليست حكاياته هي التي كانت تحكيها الجدات والأمهات لأطفالهن ؟ وأنها كانت - حتى الجيل الماضي - الزاد الثقافي والمتعة الوجدانية التي لا يرضى عنها الطفل بديلا ، ولا ينام إلا بعد أن يسمع واحدة من تلك الحكايات ، مهما تكررت عشرات المرات ، بل ربما تعلق بواحدة منها فيطلبها دائما لتحكى يوميا ، وتلك هي طبيعة الأطفال .

أما الذين يبحثون في أزمة الشباب المعاصر ، فإني أوجه أنظارهم الى واحد من أهم أسبابها ، وهو حرمان أطفال الأجيال الحديثة من هذا الزاد الوجداني التربوي منذ أن انقطعت المرأة عن أطفالها،وانشغلت عن بيتها وأولادها ، دون أن تقدم لهم البديل المناسب ، ففقد الأطفال متعة الأدب الشعبي ، وفقد الأدب الشعبي أرضا كان مسيطرا عليها .

أما الدول المتقدمة ، فحين حدث فيها هذا ، سارعت بإعداد البديل ، وهو مطبوعات للأطفال تقدم لهم الأدب الشعبي في صورة جديدة معاصرة ، مستفيدة من التقدم العلمي المذهل ، ومن تقنية العصر .

ولعل أفضل مثال لذلك حكايات « هانزكريستيان اندرسن » التي نسجها على منوال الحكايات التراثية

التي جمعها الأخوان جريم ، ثم جاء « والت ديزني » وحولها الى رسوم سينمائية متحركة ، بعد أن طبعت في طبعات متعددة ، مزينة بالرسوم والألوان .

ومثل ذلك « خرافات لافونتين » الشاعر الفرنسي الشهير الذي نظم مائة وأربعين خرافة من خرافات الحيوان ـ أي الفابولا ـ وأخذ عددا غير قليل منها عن حكايات « كليلة ودمنة » لابن المقفع

اختلاف واسع

اذا كان الأدب الرسمي أدبا ثابتا يتطلب سلامة النص ، وتوثيق الأصل ، وصحة النسب ، فإن الأدب الشعبي أدب متغير متطور ، لا يبقى على حال واحدة ، بل يغير شكله من عصر الى عصر ، ومن مجتمع إلى مجتمع ، ومن بيئة الى بيئة ، ومن مجال الى مجال . فالحكاية الشعبية مثلا قد يكون لها أصل مدون في كتب التراث ، لكنها تحكى بطرق مختلفة متعددة تناسب كل منها زمن حكايتها ، والبيئة التي تحكى فيها ، وحال المتلقين

من أوسع طرق الدراسات الفولكلورية الآن « المنهج المقارن » الذي يحاول أن يتتبع مسارات الحكاية الشعبية وانتشارها ، والاختلافات بين أشكالها ، ويثبت ذلك في فهارس فولكلورية ، أو يوقعها على خرائط

يقسم علماء الفولكلور الحكاية الشعبية الى عدد من الألوان ، يأتي على رأسها لونان أساسيان هما الحكاية الخرافية المسلية أو حكايات الجان ، وحكايات الخرافة الحيوانية أو « الفابولا » ، ثم يأتي بعد هذين القسمين ألوان أخرى كالحكاية الغرامية ، والحكاية الفكاهية ، والحكاية التعليمية ، والحكاية الأسطورية وغيرها

ولم ينس علماء الفولكلور أن يوضحوا أن هذا التقسيم تقسيم نظري تقعيدي الى حد كبير ، شأنه في ذلك شأن التقسيمات والتقنينات التي تتناول العلوم الانسانية بصفة عامة ، والفنون والآداب بصفة خاصة ، فهدفها أساسا دراسي تنظيري فقط ، أما في الواقع فمن المتعذر وجود اللون النقي الذي تتوافر له جميع الخواص ، وتتمازج فيه وتختلط ، وأقصى ما نطمع فيه هو أن نجد في الحكاية لونا يغلب على غيره من الألوان ، أو لونا أساسيا وألوانا أخرى فرعية أو مكملة ، وغالبا ما يكون اللون الأساسي هو أحد القسمين الرئيسيين للحكاية الشعبية ، وهما حكايات الجان « وفابولا » الحيوان

وإذا أمعنا النظر في هذين القسمين الرئيسيين فسوف نجد أنهما ـ شكلا وموضوعا ـ يتوجهان أولا وقبل كل شيء إلى الأطفال ، أو لعلنا نقول إن مكانهما الطبيعي هو « أدب الطفل » ، وأنهما إذا كانا من الأدب الشعبي الفني الحقيقي فإنهما سوف يستطيعان الوصول إلى الكبار أيضا ، ثم إلى المثقفين والدارسين ، وتلك شيمة الأدب الشعبي

وقد كان فناننا العربي « ابن المقفع » فولكلوريا بالسليقة حين قال في مقدمة درته الخالدة « كليلة ودمنة » « وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض . أحدهما ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة ليسارع إلى قراءته أهل الهزل من الشبان فتستمال به قلوبهم ، لأنه احتوى على النوادر من حيل الحيوان والثاني اظهار خيالات الحيوان بصنوف الأصباغ والألوان ، ليكون أنسا لقلوب الملوك ، ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور . والثالث أن يكون على هذه الصفة ، فيتخذه الملوك والسوقة ، فيكثر بذلك انتساخه ، ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام ، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا ، والغرض الرابع ـ وهو الأقصى ـ وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة » (ص ٧٣ ط المطبعة الأميرية سنة ١٩٣١)

أليست هذه أهم سمة من سمات الأدب الشعبي الذي يقدم لجميع أفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم وأعمارهم ، فيجد فيه كل منهم ما يناسبه من غذاء روحي ، ويغترف منه ما يروم من مهمات العر . الحياة ؟

صور متعددة

هكذا نجد أن الحكاية الشعبية لا تتمسك بصـ موحدة ثابتة ، أو بشكل محدد ، وإنما يمكن أن ـ

أكثر من صورة وأكثر من شكل ، ليس بسبب تلاف الزمان والمكان فحسب ، بل بسبب اختلاف تلقي كذلك ، سواء من حيث المستوى الثقافي ، أو عمر الزمني ، وغير ذلك من أسباب

تفسيراً لهذه الظاهرة يقول المتخصصون إن عنصر الأصلي في الحكاية واحد أو ثابت ، وتتغير حوله عناصر الربط ، والشكل البنائي ، فيتنج ها عشرات الحكايات المتحدة في الفكرة المختلفة في شكل ، وبالتالي مختلفة في الهدف أما الأستاذ اروق حورشيد فيطلق عليها اسما أرق ، استعارة ن المصطلحات الموسيقية ، فيقول إنها « تنويعات لى أصل فولكلوري »

والعناصر الأصلية لكثير من الحكايات الشعبية شابه عند كثير من الشعوب ، على الرغم من بعد كان أحدها عن الآخر ، أو صعوبة الاتصال بينها لتفسير ذلك ظهرت نظريتان علميتان أولاهما نظرية لتشابه التلقائي ، نظرا لتشابه الطبيعة الانسانية في خواص عمومية ، تشمل جميع البشر في كل مكان ، بالتالي فإن العنصر الأصلي لحكاية ما يمكن أن ينشأ في بيئات مختلفة لا اتصال بينها

أما النظرية الثانية فهي نظرية هجرة الحكاية الشعبية ، حيث تنبت ـ كعنصر أصلي ـ في بيئة معينة ، ثم تنتقل منها إلى البيئات الأخرى ، لتكتسي كل منها بمجموعة من عناصر الربط التي تؤهلها لملاءمة بيئتها الجديدة ، وهذه النظرية هي أساس عمل « المنهج المقارن » في الدراسات الفولكلورية

وسواء صحت هذه النظرية أو تلك ، أو كان لكل منها نصيب من الصحة ، فإن للحكايات الشعبية العربية تأثيرا مباشراً فاعلا في الأدب الشعبي الأوروبي ، منذ أن ترجم المستشرق الفرنسي « أنطوان جالان » حكايات ألف ليلة وليلة عام ١٧٠٤ وقد انبثقت عنها في فرنسا وألمانيا آلاف الحكايات الشعبية التي حذت حذو ترجمة جالان أو نسجت على منوالها ، بحيث يمكن القول بأن « الليالي » أصل من الأصول التي نتج عنها نبض الحكاية الشعبية الأوروبية .

أما حكايات « كليلة ودمنة » فقد ترجمت إلى الفرنسية قبل « الليالي » بكثير ، فقد ظهرت أول ترجمة لها عام ١٦٤٤ ، لكنها لم تنتشر وتشتهر إلا بعد أن جاء الشاعر الفرنسي الشهير « لافونتين » ، واقتبس منها عشرين حكاية نشرها ضمن خرافاته عام ١٦٧٨

ويمكننا القول بأن « حكايات الجان » منذ أن جمعها الأخوان جريم ، « وفابولا » الحيوان منذ أن نظمها لافونتين ، سواء كانت مقدمة للأطفال أو للكبار ، قد فتحت أمام أدباء أوروبا وأمريكا الباب واسعا لينتجوا الآلاف المؤلفة من قصص الأطفال التي أخذت منها بعض لبنات أصولها أو احتذت بها ، أو نسجت على منوالها ، فأثرت بذلك وجدان ناشئيها ، وما فاض منها صدرته إلينا ضمن ثقافتها الغربية التي تريد أن تفرضها علينا

عودة الى الأصول

أما نحن العرب فقد حاكمنا « الليالي » ، ووجهنا إليها تهمة إفساد الخلق والحض على الرذيلة ، وأهملنا « كليلة ودمنة » واعتبرناها تراثا أثرياً لا يتمشى مع العصر ، فبقي أطفالنا دون زاد ثقافي قومي ، يعطيهم الدفعة الوجدانية التي تتطلبها الحياة ، ويمنحهم القدرة على مواجهة ذلك الغزو الاستعماري الثقافي

واليوم ، حين يستشعر بعضنا هول ما آل إليه حال شبابنا وأطفالنا من ضعف ثقافي ، وما ظهر من أثر ذلك على سلوكهم وقيمهم وأخلاقياتهم ، راحوا ينشدون العون من الغرب والشرق ، ويطالبون بالنقل عنهم وترجمة كتبهم وفاتهم أنهم بذلك يمكنون لثقافتهم الاستعمارية من التغلغل في وجداننا ، ويحطمون أسمى ما يتطلبه بناء الإنسان العربي

ولم يدر بخلد هؤلاء أن لنا تراثا عربيا ، من واجبنا إحياؤه وتقديمه غذاء روحيا قوميا لهؤلاء الناشئة ، وأن هذا التراث قادر على ذلك أمين عليه ، لأنه كان النبع الذي استقى منه الغرب الأوروبي ثقافته ، بعد أن عرف كيف يستفيد منه الاستفادة المثلى ، ويضعه في الثوب الذي يناسب بيئته ، ويحقق أغراضه . □

□ صفحة لغوية

«الحاسوبُ» و«الحَيْسُوبُ»

بقلم / محمد خليفة التونسي

من دواعي الأسف أن بعض اللغويين بيننا يحاولون احتكار التشريع اللغوي تحريما وتحليلا ، أو منعا وإباحة،ويقيمون أنفسهم كهانا في اللغة ، ويرون انهم اصحاب القول الفصل في قضاياها ، مع انه لا كهنوت في اللغة ولا في الدين ، وهم احرص على النزوع الى التحريم حين لا يجدون أن اللفظ مذكور بمعناه الجديد وتركيبه الجديد في معجم أو في نص مأثور ، ويتخذون هذه الحجة لتحريمه ، والالحاح في مطاردته ، وفي وصفه بأنه دخيل ، أو مولّد ، أو عامي ، للتنفير منه حيث ظهر على لسان أو قلم ، ولو أنهم اقتصروا بهذه الحجة نفسها على التوقف في إبداء رأي لكان لهم بعض العذر ، وليس عمزهم لأي لفظ بهذه الاوصاف أي معابة مادام له وجه في الفصيحة مع قيام الحاجة اليه ولكن لا مفر من التسليم به لوقته مادامت الحاجة اليه قائمة ، وله وجه ـ أي وجه ـ في الفصيحة ، وليس هناك لفظ آخر فصيح يؤدي معناه ، والضرورات تبيح المحظورات في الدين واللغة وفي كل مجال بشري

عند ظهور السيارة والدراجة والقطار مثلا بيننا كنا نسميها بأسمائها الأجنبية « الأوتوموبيل » « والبسكليت » و « الوابور » أو مع بعض التحريف ، ثم اهتدى بعض فضلائنا الى تسميتها هذه الاسماء الفصيحة الثلاثة ، مع أن هذه الاسماء لم تكن تدل قبل عصرنا على ما تدل عليه الآن

ونزعة التحريم على النحو السابق نزعة و[...] ضارة باللغة والناطقين بها ، وقد لا تدل [...] الاخلاص لها ، أو الغيرة عليها ، والثقة بها ، [...] ما تدل على جمود الفكر أو ضيقه أو كسله أو حس[...] بقدر ما تدل على الحذلقة وحب التسلط

مادامت اللغة ـ أي لغة ـ حية تتداولها الأل[...] فلابد ان تساير معيشة الناطقين بها ، فتهمل أل[...] وتستجد الفاظ ، وانما مثلها في ذلك مثل الجسم ا[...] في تطوره ، تموت فيه خلايا وتتكون خلايا جد[...] مادام حيا ، ولا تتوقف فيه عملية الهدم والبناء [...] يموت ، وقد تستعمل الكلمة بعد اهمال ، ومن أ[...] الاوهام الاعتقاد بأن أي لغة قد تمت معاني وألفاظ[...] ان المعايش تفاجئنا أو نفاجئها كل يوم بجديد ، [...] بينا في صفحة سابقة أن قوام أي لغة أو لهجة أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية و[...] معجماتها ، فالمعجمات تتجدد أو ينبغي أن [...] هدما وبناء مع تجدد الالفاظ لتجدد الا[...] والكشوف والاختراعات وأساليب المعيشة ، [...] في كل يوم تلد جديدا

الحاسوب

أكتب هذا وبين يدي كلمة « الحاسوب [...] بدأت تشيع الآن للدلالة على الأداة التي

كمبيوتر » تعريبا للكلمة الأجنبية Compute) ، وعلى هذا النحو بدأت تسمى ...ا حين عرفناها ، أو تسمى « العقل الالكتروني » ...انا ، وشكرا للمجتهد الذي ترجمها بكلمة « الحاسوب » فأصلها الأجنبي هو الفعل (Compute) بمعنى يحسب، ملصقة بلاحقة (er)

لتدل الكلمة على انها صفة للفاعل فيكون معنى الكلمة هو « الحاسب » أو « الحاسوب » أو تدل على اسم أداة ، وكثيرا ما تستعمل صفة الفاعل للدلالة على الأداة مثل الحاجر ، والقائم ، والحاجب ، ثم إن الحاسوب يدل على صفة الفاعل والأداة ايضا

ووزنه « فاعول » ، وعلى هذا الوزن أيضاً وردت في لغتنا عشرات الكلمات ، كثير منها يدل على صفة الفاعل ، واسم الأداة ايضا ووزنه « فاعول » ، وعلى هذا الوزن وردت في لغتنا عشرات وعشرات من الكلمات وكثير منها يدل على صفة الفاعل مثل حاسوس ، قاشور ، ناطور ، ناطور ، وكثير منها يدل على أدوات مثل راقود ، راووق (للخمر) وحاروف ، وحازوق ، وقارور (قارورة) ، كابول (حبل) ، ناقوس ، ساحور ، كانون ، ناقور (قرآنية) ، وبعضها يدل على معان اخرى وعلى هيئتها كلمات معرّبه مثل سابور (شاه ...ور ، أي ابن الملك) وحاموس (كاوْموش ، أي البقر ـ الاسود)

ويفضل استعمال كلمة « الحاسوب » لانطباقها على هذه الأداة فإن معظم اعمالها تقوم على الحساب ، مع تقدم اطوارها ، أو أحيالها ومجالات استعمالها ، وإن كانت اليوم قد ازدادت تعقيدا واستوعبت أنشطة جديدة كما شاهدنا ذلك في أحدث اجهزتها عندنا اليوم ، ويفضل استعمالها وتخصصها لطرافتها بهذه الآلة كي نفرق بينها وبين الحاسبة وهي الأداة الالكترونية الصغيرة في الأيدي والجيب ، ...ا الحاسـ...ب » أفضل أيضا من « العقل الالكتروني » لأن ...ك... واحدة أفضل من كلمتين ، ثم ان استعمال ...رة « العقل الالكتروني مضللة » لأن هذه

الأداة آلة مقيدة بما يدخلها من معلومات ، والعقل أبعد ما يكون عن الآلية ، وفي هذه التسمية مهانة للعقل الذي شرف الانسان على سائر المخلوقات

الحيسوب

وبهذه المناسبة نود احياء كلمة « حيسوب » وهي من جذر كلمة حاسوب وبمعناها ايضا ، وكنا قد اطلعنا عليها في بعض بحوث الفلك القديمة ، وإن نسينا مصادرها الآن لقدم العهد بها ، ولكنا وجدنا بعض المهندسين الفلكيين في العراق يستخدمونها الآن لتدل على العالم المختص بالبحوث الفلكية فهي مخصصة به ، ولا تعم كل حاسب والكلمة من جذر عربي (ح س ب) ووزن عربي « فيعول » ، وعلى وزنها كلمات فصيحة كثيرة مثل « طيفور ، ديجور ، صيهود ، صيخود ، حيشوم ، قيصوم ، حيزوم ، قيدود ، بزيادة الحرف الثاني فيها جميعا) وكل منها صفة تدل على تلبُّس موصوفها بمصدرها ، وقد تدل على معنى آخر بسببيله

ويلاحظ في الأوصاف التي يكون الحرف الثاني فيها زائدا انها غالبا دالة على الوصف بمصدرها الثلاثي على اختلاف وزنها ، مثل حيدع (خادع) ، فيصل (فاصل) ، قيعر (متقعر في الكلام) صيرف (صارف) ، صيقل (صاقل) ، حيطف (حاطف) ، ومثل غيداق (الكريم) ، وهيذار (الهاذر) ، وقيعار (المتقعر في الكلام)

هذا ولغتنا ـ كما نعلم ـ اشتقاقيّة كبقية اخواتها العروبية (السامية) ، وكل ما فيها من فصيح الأسماء والصفات والأفعال محكوم بوزنه ، والأوزان عشرات وعشرات ، فمنها ما تذكره الكتب الصرفية ومنها ما سكتت عنه ، ولكن قد تستدركه المعاجم وقد تذكر بعض معانيه وتهمل بعضا ومهما يكن الأمر فإن هذه الأوزان قائمة ، وأمثلتها من الالفاظ قائمة على كثرة أو قلة ، ومن الممكن توليد آلاف الالفاظ على وفق هذه الأوزان مما لم يرد في نص ولا معجم ، وقد نتناول بعض ذلك في صفحات قادمة والله المستعان . □

□ صفحة شعر
□ هكذا غنى الأبناء

لأمية بن أبي الصّلت

هذه ثلاث مقطوعات ، أولاها لشاعر (نجهله) كان راضيا عن ابنه ، لأن هذا الابن كان بارا بأهله ، فأبوه يظهر اعجابه وفخره به

والمقطوعة الثانية لشاعرة لا نعرف إلا انها من قبائل هوازن التي كانت حول ظهور الاسلام تسكن في حيرة الطائف بالحجاز ، وهذه الشاعرة تشكو عقوق ابنها حتى بلغ من عقوقه انه كان يضربها ويمزق ثيابها ، ونحس خلال انكارها عليه ذلك ، ما تبطنه من عواطف الأمومة ، فهي تذكر احتضانها له في صغره حين كان عاجزا حتى شب وظهرت علامات الرجولة على طلعته ، وتكاد تبرئه من ذنب العقوق ، وتلقي اللوم في ذلك على زوجته التي تتظاهر بالدفاع عنها ، وبحاجتهم اليها ، ولكنها في سريرتها تغتبط بتعذيب الأم على يد غيرها وتتمنى لو استطاعت هلاكها

والمقطوعة الثالثة للشاعر أمية بن أبي الصلت الذي كان معاصراً للنبي عليه الصلاة والسلام . وكان مطلعا على بعض العقائد الدينية السابقة وأطراف من سير الأنبياء ، ولقي في تجارته الى الشام بعض الرهبان والقسس في الأديرة والكنائس ، وكان نزاعا للتدين ، فانتهى الى ايثار الزهد ، والشك في عبادة الأصنام ثم انكارها ، ومال الى عبادة الله . وكان يأمل اصلاح أحوال قومه باصلاح عقائدهم وعاداتهم ، فلما ظهر النبي عليه السلام خاب أمله في النبوة فوقف من النبي وأصحابه موقفا عدائيا الى ان توفي سنة ٢ هـ بعد غزوة بدر الكبرى

والشاعر في مقطوعته يُذَكِّر ابنه بفضله عليه طفلا ويافعا ، وتعاطفه معه في شكاواه كأنه هو المصاب دونه ، ثم يذكر ألمه لعقوق ابنه حين بلغ سن الرجولة وانتظر خيره ، فجزاه شرا ، كأنه هو صاحب الفضل على ابيه ، وكان أقل ما ينتظر منه معاملة الجار في الحماية وحسن التواصل ، ومن الموازنة بين المقطوعتين الأخيرتين في موضوع العقوق يظهر الفرق بين شعور الأمومة وبين شعور الأبوة

غبطة أب ببر ابنه

رأيت «رباطاً» حين تم شبابه … وولى شبابي ـ ليس في بره عَتْبُ [١]
اذا كان أولادُ الرجال حزازةً … فأنت الحلالُ الحُلوُ، والباردُ العذب [٢]
لنا جانبٌ منه دميثٌ، وجانب … اذا رامه الأعداء ـ ممتنعٌ صعبُ [٣]
وتأخذُه عندَ المكارم هِزَّةٌ … كما اهتزَّ تحت البارِح الغُصُنُ الرطْب [٤]

* * * * *

أم تشكو عقوق ابنها

ربَّيتُه، وهو مِثلُ الفرخ أعظُمُه … أُمُّ الطعام ترى في جلدِه زغَبا [٥]
حتى اذا صار كالفُحَّال شذَّبه … أبَّارُه، ونَفَى عن متنه الكَرَبا [٦]
أضحى يمزِّقُ اثوابي، ويضربُني … أبعد شيْبيَ يبغي عندي الأدبا
اني لأبصر في ترجيل لِمَّتِه … وخطِّ لِحيتِه في خدِّه عجبا [٧]
قالت له عُرسه يوما لتُسْمِعني … «مهلا، فإن لنا في أُمنا أرَبا»
ولو رأتني في نار مسعَّرة … ثمَّ استطاعتْ ـ لزادت فوقها حَطَبا

* * * * *

أب يشكو عقوق ابنه

غدوتُك مولودا، وعُلْتُك يافعاً … تُعَلُّ بما أُدْني إليك، وتَنْهَلُ [٨]
اذا ليلةٌ نابتك بالشكو لم أبِتْ … لشكواك إلا ساهراً أتمَلْمَلُ [٩]
كأني أنا المطروقُ دونك بالذي … طُرِقْتَ به دُوني، وعيني تَهْمِل [١٠]
فلما بلغتَ السنَّ والغايةَ التي … إليها مدَى ما كنْت فيك أومِّل
جعلتَ جزائي غلظةً وفظاظةً … كأنك أنتَ المنعمُ المتفضِّلُ
فليتك إذْ لم ترعَ حقَّ أبُوَّتي … فعلتَ كما الجارُ المجاورُ يفعل

---

(١) ليس في بره عتب بره تام لا مأخد عليه

(٢) حرارة ألم في القلب من عيظ أو سحط أو عيره

(٣) دميث لين

(٤) هزة نشاط وراحة ـ البارح الريح الحارة

(٥) ام الطعام المعدة

(٦) الفحال طلع النحل الذكر شذبه أباره أصلحه مصلحه نفى عنه الكرب قشر عنه علاقه

(٧) اللمة شعر الرأس يجاور الأذنين، وترجيلها تسريحها بالمشط أو غيره

(٨) ـ وتنهل النهل (بفتحتين) الشربة الأولى، والعل والعلل (بفتحتين) الشرب بعد الشرب تباعا

(٩) ـك أصابتك اتململ أتقلب

(١٠) طروق المصاب تهمل تفيض دموعا

الكلمات المتقاطعة
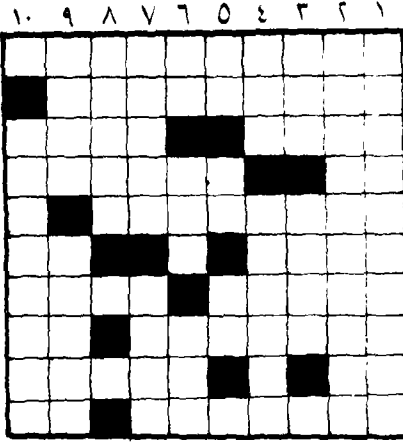
يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

كلمات أفقية

١ ـ إمام مذهب إسلامي خالف الحسن البصري واعترل مجلسه
٢) الاسم العلمي لغاز النشادر
٣) روائي بريطاني مشهور ، أخطاء أو زلّات
٤) يوم مبتورة ، من أسماء قطر عربي افريقي شقيق
٥) من رواد النهضة الفكرية العربية في مصر
٦) يحدث ليلا ، تجدها في موج
٧) مكسوة بالزينة ، من المحرّمات في الاسلام
٨) مدينة ساحلية في قبرص ، صار حلالاً
٩) حرفان متشابهان ، كتاب تجمع فيه القصائد
١٠) من جمهوريات الهند الصينية ، أداة ترفع بها السيارة

كلمات رأسية

١) مقبرة فرعونية مشهورة
٢) مدرج يتسع لمائة ألف متفرج في روما
٣) حفظ ، مطليّ مبعثرة
٤) عاب أو اعتاب ، هداوي مبعثرة
٥) رسو مبتورة الأول ، طس مقلوبة ، أحفى الكلام
٦) حرف مكرر ، كاف أو تام ، دال على المودّة
٧) وديعة مبعثرة ، طويلا
٨) يا وطن عبر مرتبة
٩) طمأنينة ، أداة يبرى بها الخشب
١٠) فاتح تتري دموي أحرق بعض العواصم العربية

حل مسابقة
العدد الماضي فبراير ١٩٨٨

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ت	ا	ج	ا	ل	ع	ر	و	س	■
٢	ر	م	ا	ي	ا	ن	ا		ى	ل
٣	ي	ب	ط	ن		ا	ب	ب	ج	س
٤	ا	ا		ش	ا	د	ن		م	ا
٥	ق	ى	س	ت		ل	د		و	ن
٦	■	ر	ب	ا	ن		ر	د	ن	ا
٧	ن	س	و	ي		ص	ا	ن	د	ل
٨	ق	ت	ر	ن		ق	ن	ا	■	ع
٩	و	ب	ه		ب	ك	ا	ن	■	ر
١٠	ر	ت		ش	ر	ع	ن		ص	ب

يقع الكتاب في ١٥٦ صفحة من القطع الصغير ، ويحتوي على أحد عشر فصلا وينتهي بملحق لنظرية « بياجيه » في تطور الذكاء

تتميز مؤلفة الكتاب التي تعمل في قسم علم النفس بجامعة ادنبرة في انجلترا ، بأنها عملت فترة مع كل من « بياجيه » « وبروز » أثار الكتاب في مستهل صدوره عام ١٩٧٨ ضجة عالية ، لما طرحه من آراء حريئة ، استوجبت طبعه عدة طبعات كانت السابعة منها عام ١٩٨١ ، فقد بدا كأنه يهز جوانب صرح مدرسة بياجيه ومدرسة السلوكيين الارتباطية ، فالمؤلفة تعارض موقفا جوهريا ، تتفق فيه هاتان المدرستان ، وتختلفان كثيرا فيما عداه ، إذ يتفق كل من « بياجيه » و « هل » - أحد رواد المدرسة السلوكية - على أن الطفل لا يكون قادرا قبل السابعة على المحاكمة العقلية وهذا الاتفاق مضامينه التربوية الواسعة التي لا يسعنا تجاوزها وقد عرضت المؤلفة مجموعة الاختبارات التي تتطابق بنيويا مع اختبارات « بياجيه » و « هل » ، وتوصلت إلى نتائج وتفسيرات معارضة لها وهي بذلك تقف مع عالم التفكير « دي بونو » الذي يصر على عدم وجود « أبقار مقدسة في التربية »

ويضفي على الكتاب أهمية ما كتبه « برونر » أحد أبرز التربويين الذي تزين عباراته صفحة الغلاف الأولى ، إذ يصف الكتاب بأنه « واحد من أقوى الكتب وأحصفها وأكثرها توازنا ، وأفضلها بما يقدمه من معلومات في مجال تطور عقل الطفل ، وذلك فيما نشر منها خلال عشرين عاما أما مضامينه التربوية فبالغة الأهمية »

أطفال في باحة مدرسة

تقدم المؤلفة مدخلا لكتابها ، يبرر دوافعها في تأليفه ، فتصف مشهدا مثيرا لأطفال في باحة مدرسة واسعة ، يغمرهم الحبور ، وينكب كل واحد منهم على شيء يشغله ، وتقول بعد ذلك ·

« بينما كنت أعيش هذا المشهد تبادر إلى ذهني تساؤل عما سيكون عليه حال زائر يجهل واقعنا ، إذ غالبا ما سيظن أنه وقع في « اليوطوبيا » ، خاصة إذا ما قيل له إن هؤلاء الأطفال ينتمون إلى حي فقير في إحدى مدننا الكبيرة

وعندما أطلقت لعقلي العنان عجبت عما سيكون لهذا الزائر من موقف إذا ما تجاوز المشهد ، وبادر إلى دراسة السلوك والأحاديث للأطفال الآخرين الذين يوجدون في فصول معينة من نهاية السلم التعليمي المدرسي والذين قد يكونون أشقاء وشقيقات أكبر سنا لهؤلاء الأطفال أنفسهم ، فيجد أولئك الكبار على وشك ترك المدرسة والحبور يملؤهم لقرب خلاصهم من المدرسة لقد تخيلت هذا الزائر وهو يقرأ صحفنا ، ويتابع برامجنا التلفزيونية ، التي تندب بلا انقطاع مصائبنا التربوية ، حيث المعايير الهابطة والمراهقون الذين يجهلون مبادىء القراءة والحساب ، ويتركون المدرسة بالآلاف غير مؤهلين لكسب عيشهم ، يملؤهم الشك ، ويتجرعون الهزيمة سلما ويتحررون من أوهام الآمال الكاذبة

لابد لمثل هذا الزائر من المسارعة إلى التحرر من أوهام الوقوع في « اليوطوبيا » ، إلا أن الحيرة تتملكه حين يعجز عن فهم ما يحدث وتكرس المؤلفة جهدها في هذا الكتاب لتحري أسباب هذا الواقع المأساوي ، إذ كيف يبدأ الأطفال استقبال المدرسة بالحبور ، ويغادرونها بمثل تلك الهزيمة القاسية ؟ وتحاول المؤلفة أن تقدم ما يفيد لتغيير هذا الخاتمة المفجعة فتؤكد في الفصل الأول « الخبرة المدرسية » على ضرورة فهم الاشكالية التي تبحث عن إدراك ما الذي حدث خلال الانفعال ، من بداية جيدة ، إلى مثل هذه النهاية السيئة . وتبدو الخبرة المدرسية سيئة على العموم لمعلمي الأطفال غير السعداء ولا يكو[ن] أمام المعلمين - للأسف - إلا اتخاذ قرار دفاعي يصف هؤلاء الأطفال بالغباء ! فقلما يتاح لهم الخيار لتقرير

إدا كانت الأشياء التي يعلموها غبية ، أو أن النظام يتسم برمته بالغباء ! فهل هناك احتمال آخر غير الاقرار بإحماقهم من يفعل دلك ؟

ولا توحد للمجتمع كله ـ أو على الأقل ، للجزء المسئول من المجتمع عن الأهداف التربوية ـ إلا نتيجتان دفاعيتان ، الأولى ترى أن عدداً كبيرا من الأطفال يتسم بالغباء . والثانية ترى أن هناك عددا كبيرا من المعلمين لا يؤدون واجباتهم بإتقان فأين موقع الحقيقة في هذا الشأن ؟

مستويات الكرب المدرسي

وترى المؤلفة أنه لم يعد في طاقة المجتمع احتمال مستويات الكرب المدرسي الراهنة ، خاصة أن جهود الباحثين قد أسفرت عن إلقاء أضواء جديدة على المهارات الأساسية للتفكير واللغة ، لا يجوز تجنبها

وتنتقل المؤلفة في الفصل الثاني « القدرة على اللاتمركز حول الذات » لمعالجة وجهة نظر « بياجيه » في هذا الشأن ، فتنتقد اختبارات بياجيه لاحماقها في إعطاء صورة صادقة عن الطفل ، إذ يزعم بياجيه أن طفل السادسة أو السابعة قناة اتصال رديئة ، لكونه يتصف بالتمركز حول الذات ، وبالضعف في قدرة الانفصال عنها وقد كان هذاالزعم محوراً لنظريته حول قدرات الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة ثم تستعرض المؤلفة دراسات هيوز ولويد وآخرين ، حيث صمموا اختبارات لها بنية اختبارات بياجيه ، إلا أن عرضها كان مختلفا ، وخرج هؤلاء بأن الأطفال لا يتمركزون حول الذات بالقدر الذي يزعمه بياجيه وتعتقد المؤلفة أن لهذه مضامين بعيدة في فهم طبيعة الأطفال ، وما يجب أن تزودهم به المدرسة

[illegible]لج المؤلفة في الفصل الثالث « تعليم اللغة » ، [illegible] المقولة المركزية لتشومسكي التي تقول بأننا [illegible] قدرة فطرية ، تختص باللغة أو بطبيعة نظامها ، [illegible] كيف يتسنى للطفل ـ قبل السابعة ـ الذي [illegible] المحاكمة العقلية ـ كما يزعم بياجيه ـ أن يكون قادرا على إدراك النظام اللغوي الدقيق كما يقول تشومسكي ؟ وكيف يعجز الطفل عن أشياء كثيرة تبدو يسيرة للراشد ، بينما يكون قادرا على استنباط قواعد معقدة للغة الانسانية ؟ فترد بذلك على بياجيه وتشومسكي معا

وتعود المؤلفة في الفصل الرابع « للاستدلال الاستنتاجي » ، أهو إحماق في المحاكمة العقلية ، أم إحماق في الفهم ؟ فتناقش آراء بياجيه حول اختباراته الخاصة بالمجموعة الجزئية والمجموعة الكلية ، وتبين أن الأطفال لم يفهموا لغة الفاحص ، وتعرض اختبارات مماثلة بنيويا لها ، بلغة مختلفة ، فيتفهم الأطفال الاختبارات ، ويؤدونها بشكل مقبول

وتقدم في الفصل الخامس « الواقع وما يجب أن يكون عليه الحال » دراسات تجريبية مثيرة ، ترد فيها على تجارب بياجيه و « هَلْ » ، وتخلص إلى أن الأطفال لا يتمركزون في أية مرحلة حول الذات كما يزعم بياجيه ، وأن قدرات الأطفال في الاستنتاج الاستدلالي ليست محدودة

وفي الفصل السادس « القول والمحتوى » تتابع المؤلفة تحديها لآراء بياجيه ، فتناقش اختبارات « المحافظة على الكم » ، وسبب إحماق الأطفال فيها ، وتطرح تجارب مماثلة ، لم يخفق الأطفال فيها

قليل من النجاح وكثير من الفشل

وتقدم في الفصل ـ السابع « التفكير اللامستوطن والقيم الاجتماعية » مناقشة مستفيضة للتفكير الصوري أو المجرد ، وهو ما سمته « اللامستوطن » ، فتعرض دراسات تبين قصور الراشدين ، بل حتى خريجي الجامعات في مثل هذا النوع من التفكير فتقول

« لا يمكننا أن نتقن نظاما صوريا ، مالم نكن قد تعلمنا كيف نتجاوز حدود الادراك الانساني ببضع خطوات ، وما يزال الأسلوب الناجح للعمل على مساعدة الأطفال لفعل ذلك في مراحلهم المبكرة غير معروف لنا ومن ثم فإننا ننتهي إلى عدد قليل من مرات النجاح مع حصيلة مفزعة من الفشل »

أما الحل ، فواحد من اثنين

إما أن نجري تغييرا في نظام القيم ، فنهبط بالفكر من خلال موقف يعادي الفكر ، وإما أن نجري تغييرا في نظام القيم دون إنكار لمهارات الفكر وذلك بتخفيض الوزن النسبي لهذه المهارات مع زيادة جوهرية في قيمة أخرى ، هي مهارة اليد « والمؤلفة تدافع عن وجهة النظر الثانية »

وفي الفصل الثامن « صعوبة الطفل مع التعليم المدرسي » ترى المؤلفة أن الصعوبة تكمن في عدم قدرة الأطفال على الوعي بالكلمة المكتوبة ، فالكلمة المكتوبة تشجع على وعي الفرد بتفكيره ، ولعل لها صلة بتطور التحكم الذاتي الفكري ، وهي تصر على توفير السبل لجذب الطفل إلى القراءة كمفتاح لتطوير فكر الطفل وتتطرق المؤلفة في الفصل التاسع « إمكانات المدرسة » إلى أن هذه الامكانات أعظم بكثير مما يستفاد منها وتعاود الاصرار على توفير السبل لوصول الطفل إلى الكلمة المكتوبة ، إذ أن هذا طريق الوعي

وترفض المؤلفة مفهوم « السرعة » في القراءة ، وتؤكد على القراءة المتأملة ، وتنهى عن « بطاقات العرض الخاطف » ، إذ تتيح هذه الفرصة للتخمين ، وتنأى بالطفل عن الوعي والمؤلفة لا تخشى وقوع الطفل في الخطأ إذا اهتم المعلم بتبصيره به ، وتلمح أن لهذا فائدة لا يستهان بها

صياغة عقل المستقبل

وتقول في الفصل العاشر « الرغبة في التعلم » إن الأطفال يبدون امارات مشجعة ، تحث على السيطرة على البيئة ، إلا أننا لا نشجع الكفاءة ، أي أننا نقودهم إلى الاتكالية ، فنكر عليهم فرصة اختبار قدراتهم المتميزة في المبادرة أو في أداء الأفعال المعقولة ، مما يعيق رغبتهم في التعلم وتصر المؤلفة على عدم تأنيب الطفل ، بإطلاق صفات مهينة عليه ، فهذا من أسباب عزوفه عن التعلم وتصر المؤلفة على ضرورة احترام شخصية الطفل ، فهو يعي جيدا هذا الأمر ، ويتحسسه وتؤكد على التشجيع المعنوي ، وتنهى عن التشجيع المادي ، حتى تلك النجوم التي ترسم على كراسته ! وترى أن هذا يسبب إحراجا ذاتيا للأطفال الذين لا يحصلون عليها ، مما يدفعهم إلى عدم الايمان بقدراتهم فيتسبب ذلك في إحباطهم . وتتساءل المؤلفة مرارا عما إذا كان المعلمون يحترمون الأطفال حقا ، وعما إذا كان الأطفال يشعرون بذلك ، فترى أن هذا شرط يجعل المدرسة لا تبدو سجنا

وتعرض المؤلفة مناقشة مثيرة في الفصل الختامي ـ وهو الفصل الحادي عشر « عقول الغد » ، فتطرح رؤاها التربوية حول صياغة عقل المستقبل ، وترى أن الأطفال ليسوا نباتا ينمو بطريقة طبيعية واحدة ، لكنهم كائنات تطيق التعلم ، للوعي بقدراتها العقلية ، فيجب أن يكون هناك متسع أرحب في المجتمع ، لغير أفراد النخبة الألمعية ، فسيادة هذه النخبة ، مع وجود فجوة كبيرة بينها وبين باقي أفراد المجتمع يؤدي إلى طغيان وكارثة اجتماعية وتصر المؤلفة على ضرورة عدم ازدراء العمل اليدوي ، بل تدعو لرفع قيمته ، ليصبح حبا إلى جنب مع المهارات الفكرية ، وبهذا يكون هناك مجتمع يتمتع باستقرار أفضل

أما الملحق فإنها تعرض فيه ملخصا لأعـ ـ باحثيه ، دون نقد لها ويعتبر هذا الملحق ـ ـ من أفضل ما يمكن تقديمه من خلاصات في الاطار

● الكتاب هو الجليس الذي لا ينافق ، ولا يمل ، ولا يعاتبك إذا جفوته ، ولا يفشي سرك

(ابن الطقطقي)

من المكتبة العربية

الهمداني

لسان اليمن

دراسات في ذكراه الألفية

بقلم : الدكتور حسين عبد الله العمري

في عام ١٩٨١ أشرفت لجنة الهَمْداني على انعقاد الندوة العلمية العالمية ، بمناسبة الذكرى الألفية للسان اليمن الحسن بن يعقوب الهَمْداني ، شارك فيها كثيرون من المهتمين والمتخصصين والمستشرقين المرموقين . ومنذ عامين صدرت الأبحاث التي ألقيت في الندوة في كتاب بالعنوان المذكور ، وفيما يلي عرض لهذا الكتاب

أخيرا أصدرت «جامعة صنعاء» للعلماء والباحثين المهتمين بفكر علّامة العرب الكبير في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) بن أحمد الهمداني ، كتاباً مهماً عكف على ومراجعة طباعة فصوله المختلفة باللغتين والانجليزية الأستاذ الدكتور يوسف محمد ، أمين عام لجنة «الهَمْداني» التي أعدت علمية العالمية بمناسبة الذكرى الألفية «للسان اليمن» التي عقدت في جامعة صنعاء (٢١ - ٢٧ ذو الحجة ١٤٠١هـ / ١٩ - ٢٥ أكتوبر ١٩٨١م) ، وحضرها وشارك في محاوراتها عدد كبير من العلماء والمتخصصين العرب والمستشرقين المرموقين ، ولاقت نجاحاً كبيراً ، لتوافر جهود كل المتخصصين في جامعة صنعاء وأعضاء اللجنة التي أولتها الدولة أيضاً اهتماماً خاصاً ، فكان رئيسها الفخري نائب رئيس الجمهورية الأستاذ عبد العزيز عبد الغني ، ثم لتجمع ذلك العدد من الباحثين الذين كثيراً ما تاقوا

للقاء في ندوة أو مؤتمر خاص بعَلَم شامخ كالهَمداني الذي لم يلق قبل تلك الندوة ما يستحقه من البحث والدراسة ، لتعدد الجوانب والميادين التي أبدع فيها ، وكان من أهم نتائج تلك الندوة وفوائدها صدور البحوث والدراسات في هذا الكتاب القيم عن جامعة صنعاء بعنوان « الهَمْداني لسان اليمن دراسات في ذكراه الألفية » تحرير الدكتور يوسف محمد عبد الله ، وقد طبعته « دار التنوير للطباعة والنشر » بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م

تماثل واختلاف

الكتاب ـ بعد مقدمة مدير الجامعة الشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح وكلمات افتتاح الندوة ـ جاء في قسمين

الأول « الدراسات باللغة العربية » وفيه تسع دراسات أو فصول ، أملت على المحرر طريقته (وهي المثلى) في ترتيبها أبجدياً على أوائل حروف أصحابها في أن تكون « ترجمة الهَمْداني » هي آخر تلك الفصول ، التي تناول كل منها جانباً محدوداً من لسان اليمن ، ولعل الأوجه أن تكون الترجمة هي أول الفصول تعريفاً ومدخلاً للكتاب وبخاصة أنها كانت بقلم المحرر نفسه الذي التزم الطريقة أو المنهج منعاً لأي حرج أو سوء فهم لأنه هو المحرر ، وقبل ذلك أو بعده لم تكن تلك الترجمة المفيدة في الواقع مجرد تعريف تقليدي بصاحبها ، بل « صياغة جديدة » لحياة علامتنا الهمداني سنعرض لها فيما بعد

أما (القسم الثاني) فقد خصص للدراسات التي أسهم بها باللغة الانجليزية ثلاثة عشر باحثاً ، جلهم من كبار المستشرقين المتخصصين في الثقافة والحضارة اليمنية القديمة والإسلامية ، أمثال « البروفسور » الفرد بيستن (اكسفورد) ، وزميله « البروفسور » س. ب سرجنت (كمبردج) ، والبرت جام (واشنطن) ، ووالتر موللر (ماربورج المانيا) وغيرهم ، مع آخرين من الجيل التالي أمثال المستشرق السوفيتي ميخائيل بيتروفسكي (لينتغراد) ، وزميلنا في جامعة كمبردج الدكتور روبرت ولسن ، الذي نال درجة الدكتوراه بعد أن أمضى في اليمن بضع سنوات ، متتبعاً في دراسته المهمة لأسماء الأماكن في صفة الجزيرة للهَمْداني ، وعن هذا الموضوع كان إسهامه في الكتاب

لقد رجحت كفة فصول القسم الثاني على القسم الأول ، وربما لو تمكن علاّمة الجزيرة الكبير الشيخ حمد الجاسر المختص بالهمداني وشيخ المؤرخين الدكتور جواد علي من الحضور والمساهمة ، وكذلك لو كتب بالعربية « البروفسور » عباس الهمداني ، (نجل المرحوم المؤرخ حسين فيض الله الهمداني) اسهامه القيم « الهمداني في بداية سلطة همدان على اليمن » ، لكان القسمان متناصفة ، بيد أن هذا الاستطراد لا علاقة له بمحتوى تلك الدراسات وأهميتها ، فالقسم الثاني مكمل لدراسات الأول ، والعكس صحيح ، ومن ذلك مثلاً ذلك المبحث الذي عقده الباحث العالم الدكتور محمد عبد القادر بافقيه عن « الهمداني والمثامنة » الذين « لا يصلح الملك لمن ملك حمير إلا بهم » يكمله من جانب آخر أول دراسة القسم الثاني « للبروفسور » بيستن عن « الهمداني والتبابعة » ،والأمر نفسه مع فارق في التحليل والتوسع المرجعي في تناول الدكتور رضوان السيد لموضوع مهم شائك ، طالما جرّ على صاحبه المحن والخطوب ذلك هو « القحطانية واليمانية عند الهمداني » ،ففي القسم الثاني مبحث للمستشرق بيتروفسكي بعنوان « الهمداني والأحبار القحطانية » وتضفي دراسة الدكتور يوسف فان إس (أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة توبنجن الألمانية) المعنونة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر السياسي للهادي » أهمية خاصة في هذا القسم ، لكونها دراسة في الفكر السياسي في العصر الذي نشأ فيه الهَمْداني وعاصر ـ منذ تأسيس الهادي يحيى بن الحسن (ت ٢٩٨ هـ / ٩١٠م) للمذهب الزيدي في اليمن ، ثم سجن بالسجن أيام الناصر أحمد بن الهادي (ت ٣٢٥ هـ / ٩٣٧م) لوضعه كتابه المشهور « القصيدة الدامغة » التي عارض بها قصيدة الكميت بن زيد الأسدي (ت

١١هـ / ٧٤٣م) ، وردّ فيها على من كانوا
تعصبون على قبائل اليمن ومثال أخير للتشابه
لتكامل بين دراسات القسمين تلك الدراسات
متعلقة بأحد حقول الهمداني التي أبدع فيها ـ أعني
الجغرافيا) ـ ومن أحسنها بحث الدكتور عبد الله
...بية عن « أهمية الهمداني للجغرافية التاريخية لليمن
القديم » الذي استهله بقول المستشرق النمساوي
...برنجر (ت ١٨٩٣م) قبل أكثر من قرن وربع قرن
... أن « صفة الجزيرة الى جانب كتاب (أحسن
التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي يعتبران أهم
...ملين جغرافيين قدمهما العرب »

وقد عني بحث « البروفسور » (فرنر مادلنج)
أستاذ الدراسات العربية بجامعة اكسفورد ـ في
القسم الثاني ـ بما يمكن أن يكون توضيحاً لتلك
العبارة التقريرية لشبرنجر في دراسته عن « معارف
الهمداني الجغرافية في ضوء معارف القرنين الرابع
الخامس الهجريين (الحادي عشر للميلاد) ، فكتابه
صفة جزيرة العرب » الذي نشره المستشرق الألماني
...للر قبل قرن (ليدن ١٨٨٤ ـ ١٨٩١م) هو أهم
مصدر تاريخي جغرافي عن اليمن والجزيرة في القرون
الإسلامية الأولى ، كتب في ذروة ازدهار الأعمال
الجغرافية العربية قبل « مسالك » ابن حوقل (ت
٣٦٠هـ / ٩٧٧م) ، وأحسن التقاسيم للمقدسي
... ي توفي ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)

وهكذا نجد أن مختلف فصول القسمين يكمل
بعضها بعضا ، غير أن قيام جامعة صنعاء بنشر
بحوث القسم الثاني باللغة الانجليزية ، « دون ترجمة
و تلخيص نابع من الحرص على التوثيق ، ونقل
لصور... كما كانت والجامعة تنوي في الوقت القريب
ترجمة هذه الأبحاث إلى اللغة العربية ، ونشرها في
كتاب ...ستقل » كما ذكر الدكتور المقالح في تقديمه ،
ولعله ...يحصل ذلك قريباً وفي طبعة قادمة تحوي
القسم... ...عاً ، فتيسر بذلك للباحثين والقراء العرب
الاطلا... على أول دراسة شبه متكاملة عن لسان
اليمن ... ـ عباقرة العروبة والإسلام

التعريف بالهمداني :

الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، أبو محمد ،
لسان اليمن ، عالم ، مؤرخ ، جغرافي ، فيلسوف ،
شاعر ، سياسي ، ولد بصنعاء (١٩ صفر ٢٨٠هـ /
٨٩٣م) وبها نشأ ، طاف البلاد والجزيرة العربية ،
واستقر بمكة أكثر من ست سنوات حين كان في
الخامسة والعشرين من عمره بغرض العلم
والتحصيل ، ورغم تعرضه « لأذى حرِّ مكة
وهجيرها إلّا أنها ـ فترة مكة ـ كانت من أخصب سني
التحصيل لديه ، حيث تفتحت له آفاق المعرفة ،
وانفتح له فيها باب نفيس من المنطق فازداد منه » ثم
عاد إلى اليمن وبقي بصعدة ، قاعدة أئمة الزيدية
والمحطة الهامة على طريق التجارة الممتد من أقصى
جنوب اليمن عبر مكة إلى بلاد الشام ، وكان
لاستقرار أوضاع صعدة السياسي والاقتصادي ـ
بعكس صنعاء التي كانت نهباً لأكثر من قوة سياسية
آنذاك ـ أهمية خاصة جعلتها « تستقطب كثيراً من
العلماء والأدباء والشعراء وطلاب العلم ، وكذلك
التجار من داخل اليمن وخارجه ، فقامت فيها حركة
أدبية وفكرية ، وانتعشت فيها التجارة ، فكان أن
أفاد الهمداني من فنون العلم التي كانت تزخر بها ،
كما أسهم فيها بنصيب وافر ، لا سيما في علوم الأخبار
والأنساب والشعر » وهكذا مال الهمداني إلى
الاستقرار بصعدة « وعمر فيها داراً وامتلك عقاراً
واستطاب المقام بها » ، كما ينقل لنا المحرر عن
الهمداني بيد أن شخصية كالهمداني ما كان يمكنه أن
يعيش خاملاً أو في سلام ، فقد قضى شبابه منذ استقر
بصعدة ثم كهولته ، ليس في محراب الفكر والتأليف
فحسب ، بل كان له مع رجال عصره من حكام
وأمراء ، وعلماء وشعراء شأن وأخبار وصراع كثير ،
بلغ ذروته بمحنته الكبرى بقيده وسجنه في قصر
صنعاء على يد أميرها أسعد بن أبي يعفر الحوالي
بأمر إمام صعدة الناصر أحمد بن
الهادي يحيى بن الحسن ، واستمر سجنه ومعاناته
واحداً وعشرين شهراً و ١٩يوماً (بين ٢٤ شوال سنة

٣١٩ و ٢٧ شعبان ٣٢١هـ) ، لكنه « لم يبلغ مأمنه بعد إفلاته من حفظته في الطريق ، ثم احتبائه إلاّ في حوالي ١٧ ذي القعدة من عام ٣٢١هـ » ، ويرجح بحق الدكتور يوسف محمد عبد الله بأن مأمنه كان مدينة « ريدة » من بلاد قاع البون ، على بعد ١٠٠كم شمال صنعاء ، وفيها قضى الهمداني شيخوخته وبقية عمره (ص ١٩٦) ، عاكفاً على مؤلفاته وكتبه التي لم يصل إلينا إلاّ بعضها ، ومن الغريب أن يكون تاريخ وفاته غير معلوم على وجه اليقين ، بيد أن التاريخ الشائع الذي ذكره ابن صاعدة الأندلسي (ت ٤٦٤هـ / ١٠٧١م) ، في كتابه « طبقات الأمم » وهو عام ٣٣٤هـ لم يعد صحيحاً ، وقد سبق للمؤرخ المحقق القاضي محمد الأكوع أن نبه إلى ذلك ، وهو ما ناقشه العلامة حمد الجاسر في مقدمته النفيسة لطبعة الأكوع « صفة جزيرة العرب » ١٩٧٤م ، وعاد إلى بحثه الدكتور يوسف عبد الله في آخر ترجمته للهمداني حيث رأى بعد عرضه لكل ما سبق من افتراضات وتخمينات « بأنه عاش إلى ما بعد ٣٣٤ وربما بعد ٣٣٦ بسنوات أيضاً ، لكن ليس هناك دليل قاطع بذلك » (الكتاب ص ١٩٨) ولقد أفادنا الدكتور يوسف كثيراً بترجمته الجديدة التي أعاد فيها صياغة المعلومات المبثورة عن حياة العلامة الكبير ، مستفيداً بشكل خاص من المقالة العاشرة من كتاب « سرائر الحكمة » للهمداني المفقود التي نشرها العلامة الأكوع قبل نحو عشر سنوات ، والتي أماطت اللثام عن معلومات وأخبار ذكرها الهمداني عن نفسه ، بعضها في معرض وضعه تطبيقات لعلاقات البروج والقرانات الفلكية التي يتناولها في تلك الرسالة اليتيمة الهامة ، كتحديده تاريخ مولده (الذي لم يكن معروفاً) ، وذلك « يوم الاربعاء ١٩ من صفر سنة ٢٨٠ لعشر ساعات مستوية من النهار يكون الطالع من الميزان أحد عشر جزءاً ونصفاً بالتقريب ثم يضيف في نصّ الرسالة ـ تحقيق ما ظهر من دلائل الطالع ، وهو أن المولود يصاب بنكبتين عظيمتين من الأعداء ، ثم يؤرخ لإحداهما يوم الثلاثاء ، يوم أحد عشر من رجب من سنة ٣١٥ ، ولثانيتهما يوم الاثنين من شهر شوال سنة ٣١٩ » (ص ١٨٧) ويذكر لنا الدكتور يوسف عبد الله بهذا الصدد أن الدكتور أوسكار لوفجرن أستاذ الدراسات السامية بجامعة اوبسالا السويدية قد نقل عن القاضي الأكوع التنويه بتاريخ ميلاد الهمداني ، لكن لم يتسن له الإفادة من المقالة المذكورة عندما كتب مادة « الهمداني » في دائرة المعارف الاسلامية (الانجليزية) والدكتور لوفجرن قد ساهم في الواقع بدراسة في القسم الثاني من الكتاب بعنوان « اكتشافات لتراث الهمداني »

الخسارة الفادحة

إن الخسارة الفادحة في ضياع كثير من أعمال الهمداني لا يعادلها أي خسارة أخرى،إلا ضياع أو فقد أعمال ومؤلفات لعلماء آخرين أمثاله من أعلام أمتنا الذين أسهموا بناء ذلك النسيج الحضاري العربي الإسلامي المبدع الذي كان جسراً وضوءاً هادياً للإنسانية في طريقها إلى عصر النهضة عبر ظلمات الغرب فيما يسمى بالقرون الوسطى ، ولقد كان ـ وما زال الأمل قائماً عند الباحثين والعلماء ـ (في) العثور على بعض مؤلفات الهمداني المفقودة أو أجزاء منها ، وذلك على الرغم من أن مؤرخاً مثل القفطي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) قد أشار في « إنباه الرواة ١ / ٢٨٣) وقبل قرابة ثمانية قرون إلى أنه من المتعذر وجود نسخة كاملة لأهم مؤلفات « لسان اليمن » كتاب « الإكليل » الذي يحتمل أن بعض أجزائه الستة المفقودة قد أحرقت من قبل بعض القبائل للمنازعات والخلافات القبلية التي أشرنا إلى بعضها ، ومع ذلك فبعد العثور عليها ونشر الأجزاء الأربعة المعروفة (١ و ٢ و ٨ و١٠) ما زال أمل الباحثين والمهتمين في العثور على أي جزء من الأجزاء الأخرى قائماً ... شأن بقية أعماله المفقودة

لقد كان الهمداني أبرز رحال عصره في ... وأحد علماء العرب في ذروة الحضارة ... الإسلامية ، وقد نقل لنا المحقق القاضي ... الأكوع في موضوعه عن « أوليات الهمداني ...

بها » ما ترجمه المؤرخ اليمني الكبير محمد بن الحسن الكلاعي الحميري (ت ٤٠٤هـ / ١٠١٣م) الذي كان من الجيل التالي بعد الهمداني ، وله كتب لا يعلم بعد وجودها ، ما نصه :

« كان الحسن بن أحمد الهمداني الأوحد في عصره ، الفاضل على من سبقه ، المبترز على من لحقه ، الذي لم يولد باليمن مثله علماً وفهماً ولساناً ، ورواية وإحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة ، والغريب والشعر ، والأيام والأنساب ، والسير والأخبار ، والمناقب والمثالب ، مع علوم العجم ، والهندسة ، والاستنباطات الفلسفية ، والأحكام الفلكية » (ص ١١١)

وحتى تكتمل صورة الهمداني في هذه العجالة نختمها بشهادة مستشرق عظيم عميق المعرفة ، متعدد المواهب ، هو العلامة الروسي « كراتشكوفسكي (١٨٨٣ - ١٩٥١) » الذي رسم لنا شخصية الهمداني « من وجهة نظر استشراقية محايدة » كما وصفها الدكتور المقالح في مقدمته المركزة ، فقد جاء في كتاب (تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب) لكراتشكوفسكي عن الهمداني

« وفي مصنفاته ترتسم أمام ناظرينا شخصية فذة لوطني متحمس ، بل خبير كبير بأنساب العرب وتاريخ الجزيرة العربية نفسها ، وبخاصة آثارها القديمة » ، وهو أمر نادر بين العرب ، ومما يدعو إلى الدهشة حقاً أنه استطاع فك رموز الكتابة العربية (الحميرية) القديمة في جنوب الجزيرة ، ويقف مصنف الإكليل الذي يقع في عشرة أجزاء دليلاً ساطعاً على سعة معارفه ، فقد أفرغ فيه جماع معرفته بالأنساب والتاريخ والآثار ، بل حتى لأدب الحميريين سكان الجزيرة في القدم ولم يكتف في كتابه بعرض المادة الأسطورية التي تجمعت في الأدب العربي بعد الإسلام ، بل بذل قصارى جهده ليقف منها موقف الناقد ، وذلك على ضوء دراسته للنقوش التاريخية »

ذلك هو لسان اليمن ، في ذكراه الألفية التي يكون صحيحها بعد مرور ١١٢٥ عاماً من مولده أو ١٠٧١ عاماً - تقريباً - من تاريخ وفاته غير المؤكد □

أولهم محمد

● يقول الكاتب الامريكي مايكل هارت في كتابه الشهير « الخالدون مائة »

لقد اخترت محمدا ﷺ في أول هذه القائمة ، ولا بد أن يندهش الكثيرون لهذا الاختيار ، ومعهم حق في ذلك ، ولكن محمدا هو الانسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي ، فمحمد دعا إلى الاسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات ، وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا وبعد ١٣ قرنا من وفاته فإن أثر محمد مايزال قويا متجددا ، وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ، ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا إلا محمدا فهو ولد سنة ٥٧٠م في مدينة مكة ، في منطقة متخلفة من العالم القديم ، بعيدا عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن ، لقد آمنت بأن محمدا هو أعظم الشخصيات أثرا في تاريخ الانسانية كلها

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب المرتحى والمؤحل ـ رواية
المؤلف عائب طعمه فرمان
الناشر دار بابل ـ دار الفارابي ـ بيروت
عدد الصفحات ١٣٩ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٦

عائب ، صاحب النخلة والجيران ، وخمسة أصوات ، وغيرها من الروايات التي ترصد حركة المجتمع العراقي وترسم شخوصه النابضة بالحياة ، يعود في هذه الرواية الأخيرة مختلفا

فعكس الروايات السابقة التي كان يجمع بينها ذلك الوصف الدقيق لشوارع بغداد وأزقتها واحيائها الشعبية ، وذلك الرسم للشخصيات التي تنتمي الى الفئات والطبقات الشعبية والمثقفة ، تتحدث « المرتحى والمؤجل » عن نماذج من العراقيين الذين عاشوا مغتربين عن وطنهم لسبب أو لآخر لفترة طويلة ، ثم يستيقظون على الزمن الذي يضيع من بين أيديهم ، وتنقضي فصول من حياتهم دون أن يدروا

وبعكس روايات عائب الأخرى أيضا ، فإن الشخصية وليس المكان أو الحدث هو العنصر الأبرز في هذه الرواية الجميلة

■■

الكتاب شخصيات وأدوار في الثقافة العربية الحديثة
المؤلف محمد دكروب
الناشر مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت
عدد الصفحات ٢٧٦ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٧

ليس هذا الكتاب تجميعا لمقالات متفرقة كتبت في أزمان مختلفة عن « شخصيات مختارة » من الفنانين والأدباء والمفكرين كما قد يتبادر الى الذهن فور رؤية غلاف الكتاب ، بل هو عمل في حديد وحده ، رغم احتوائه بالفعل على مقالات كان المؤلف نشرها في الصحف والمجلات اللبنانية سابقا

فالاسماء التي ذكرت على غلاف الكتاب الامامي والتي تضم صلاح جاهين وتوفيق يوسف عواد وحسين مروة وغسان كنفاني وبول غير اغوسيان وحنا مينه ورئيف خوري وعاصي الرحباني وآخرين . تظهر في هذا الكتاب بصورة ابداعية جديدة يتعاون فيها فن المقالة الأدبية وفن القصة وفن المقالة الصحفية بهدف رسم صورة قلمية لشخصية ما ، لينتج هذا المزيج الفني المتكامل في كتاب يحمل من الجمال بقدر ما يحمل من الفائدة

■■

الكتاب أزمة التحليل النفسي
المؤلف أريك فروم
ترجمة محمود منقذ الهاشمي
الناشر وزارة الثقافة السورية ـ دمشق
عدد الصفحات ٢٤٠ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٦

في هذا الكتاب الذي حمل عنوانا فرعيا هو « دراسات حول فرويد وماركس وعلم النفس الاجتماعي » جمع عالم النفس الشهير أبرز نقاد الفرويديين الجدد ضمن بعض مقالاته التي نشرها في بداية حياته العلمية ، في الثلاثينيات ، بالاضافة الى كتابات أخرى كتبها بعد ذلك بكثير ، فكان هذا الكتاب المهم والمثير في آن واحد

وقد أخذ الكتاب عنوانه من أول دراسة في الكتاب

وقد حملت نص العنوان ، وفيها يتناول الأزمة التي وحد علم النفس فيها لأسباب عديدة منها بروز الطب النفسي كمنافس أساسي لعلم النفس الذي يصمه فروم بأنه رسالة ، ثم يتعرض للمحاولات العديدة التي قام بها بعض العلماء الفرويديين لتحديده كما يتعرض لذلك التيار في علم النفس الذي حاول أن يستفيد من الفرويدية والماركسية في الوقت نفسه ، علما بأنه أي فروم واحد من أبرز هؤلاء

■■

الكتاب بحوث سوفيتية جديدة في الأدب العربي
المؤلف مجموعة من المستعربين السوفييت
ترجمة محمد الطيار
الناشر دار رادوغا ـ موسكو
عدد الصفحات ٢١٣ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٦

يقول كاتبا مقدمة الكتاب ، اللذان جمعا مادته ، ان هذه البحوث « الجديدة » ، بالاضافة الى البحوث « القديمة » ، التي قام بها المستشرقون السوفييت لدراسة الأدب العربي تشكل جزءا من عمل ضخم يقوم به باحثون سوفييت من تسعة مجلدات تحت عنوان « تاريخ الأدب العالمي »

ويتضمن الكتاب دراسات حول مختلف عصور الأدب العربي القديمة والحديثة ، كما تتضمن المقالات الكثير من الآراء الجريئة والجديدة الخاصة بهذا الأدب ، وخاصة الأدب العربي في القرون الوسطى والسير ، والملاحم الشعبية العربية ، التي تقع في نقطة متوسطة بين الملحمة والرواية يقول احدى المقالات وبالاضافة الى ذلك كله ، هناك دراسات في الرواية الفلسطينية والمسرح المصري ، وغير ذلك من مقالات جيدة وممتعة من وجهة نظر جديدة

■■

ال... ـ بابا نويل لايهدي وطنا ـ مجموعة قصصية
المؤلف توفيق المبيض
الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب
عدد الصفحات ٢٢٢ من القطع الوسط
سنة النشر ١٩٨٧

أطلق المؤلف على مجموعته هذه التي صدرت ضمن سلسلة قصص عربية اسم « حكايات معاصرة من فلسطين » ولأن فلسطين واحدة ، والفلسطينيين موزعون في أنحاء العالم المحتلة ، فقد كان مسرح هذه القصص فلسطين والمنافي الفلسطينية

ومع أن المؤلف قسم عمله هذا الى ثلاثة أجزاء الا أن قصص المجموعة من وجهة نظر اخرى تتوحد لترسم صورة كاملة للحياة الفلسطينية في حالاتها المحتلفة ، من فلسطيني المنفى البعيد في لندن حتى الفلسطينيين المقيمين في أرضهم بغزة ، ومن الفلسطيني المثقف الى الفلسطيني البسيط ، ومن الفلسطيني المكافح من أجل عيشه الى الفدائي المكافح من أجل بلده

■■

الكتاب رسالة في الطريق الى ثقافتنا
المؤلف محمود محمد شاكر
الناشر دار الهلال ـ القاهرة
عدد الصفحات ٢٥٧ من القطع الصغير
سنة النشر ١٩٨٧

ظهرت هذه « الرسالة » الى ثقافتنا التي كتبها العلامة محمود شاكر لأول مرة مقدمة لكتابه الشهير عن المتنبي الذي نشر في الثلاثينيات فأصبحت جزءا منه تعاد طباعتها مع طباعة الكتاب

وقد رأت دار الهلال أن تصدر هذه « الرسالة » في كتاب مستقل فكان هذا الكتاب الذي يمس قضايا تراثية ومعاصرة عديدة ، تمتد من زمن الشعر الجاهلي الى النصف الأول من هذا القرن ، وتغطي حقولا عديدة كالنحو واللغة والتذوق والاستشراق التي تشكل أساس ثقافتنا العربية المعاصرة □

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٥٢
مـــارس ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاحابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاحابات على العنوان التالي
محلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٥٢ » ، وآخر موعد لوصول الاحابات اليا هو ١٥ أبريل ١٩٨٨

١ - مقر السطب الاسلامي في الكويت ، آية من آيات فن العمارة الاسلامية الحديثة ، وقد افتتحه سمو الأمير في مطلع السنة الماضية (١٩٨٧) ترى كم بلغت تكاليف هذا المقر الرائع ؟

* حوالي مليون دينار
* حوالي ٣ ملايين دينار
* اكثر من ٦ ملايين دينار

٢ - أضخم مكتبة عامة في العالم تشغل مساحة تزيد على ٦٤ فدانا ، وتحتوي على رفوف يبلغ طولها فيما لو مدت كالقضيب ، ٨٥٦ كيلومترا ترى أين توجد هذه المكتبة الكبرى ؟

* في واشنطن
* في لندن
* في جلاسكو

٣ - أي قصور السكن التالية هو أضخم قصر للسكن في العالم

* قصر سكن البابا في الفاتيكان
* قصر سكن سلطان بروناي
* قصر بكنجهام

٤ - ما هو أضخم مبنى حكومي في العالم ، والمقصود هنا المباني التي تشغلها الوزارات أو الدوائر الحكومية ، وذلك بقصد تصريف أعمالها الادارية ؟

* مبنى اسكوتلند يارد في لندن
* مبنى ك ح ب بموسكو
* مبنى البنتاجون في ولاية فرجينيا

٥ - المقر الجديد لمجلس الامة الكويت مبنى ضخم ، ومتميز

هندسته ، وقد صمم مدحله على هيئة حيمة ، أما المهدس الدي وصع تصميم هذا المبى الرائع فمهندس داعركي اشتهر اكثر ما اشتهر بوصعه تصاميم دار من دور الاوبرا تعتبر في طليعة دور الاوبرا العالمية روعة وحمالا فأي دار هده ؟

* دار الاوبرا في كوبنهاحن
* دار الاوبرا في باريس
* دار الاوبرا في سيدني باستراليا

٦ ـ أي المباني التالية هي ناطحة السحاب الأولى في العالم ؟

* مركز التحارة العالمية بيويورك
* برح سيرر في شيكاعو
* الامبيرستيت في بيويورك

٧ ـ يتقاضى أعلى فندق في العالم ٣٠٠٠ دولار عن كل ليلة يقضيها المرء في أحد أحنحته ، ترى أين يوجد هذا الفندق ؟

* اسبانيا
* الولايات المتحدة
* اليابان

٨ ـ أكثر الفنادق في العالم فنادق تحارية أقيمت بقصد الاستثمار وجني الأرباح ترى أي هذه الفنادق التحارية هو الأضحم ؟

* فندق هيلتون لاس فيحاس في امريكا .
* فندق روسيا في موسكو
* فندق والدورف استوريا في امريكا

٩ ـ تعتبر (ديزني لاند) المدينة الترفيهية الاولى في العالم من حيث عدد الدين زاروها منذ افتتاحها في سنة ١٩٥٥ ، وقد بلغ مجموعهم في غضون الثلاثين سنة التي انقضت على افتتاحها

* ٢٥٠ مليون نسمة
* ١٠٠ مليون نسمة
* ٣٠ مليون نسمة

١٠ ـ أي الأبراج التالية هو أعلى برج في العالم ؟

* برج ايفل في باريس
* برج الاداعة المستقلة في بريطانيا
* برج تورنتو في كندا

١١ ـ المصاعد السريعة حرء لا يتجزأ من المباني العالية ولولا مصاعد الركاب لما قامت لناطحات السحاب قائمة ، ترى أين يوحد أسرع مصعد للركاب في العالم ، علما أن سرعته تبلغ بالضبط (٦٠٩.٩) متراً في الدقيقة الواحدة

* امريكا
* اليابان
* الاتحاد السوفيتي

١٢ ـ شهدت احدى العواصم العربية مؤخرا ظهور مكتبة عامة تتميز بفخامة مبناها وروعة هندستها فأية عاصمة هذه ؟

* دمشق
* بيروت
* الخرطوم

حل مسابقة العدد ٣٤٩ ديسمبر ١٩٨٧

١ انه مبنى الجامع الكبير في اسلام أباد ، ويعتبر هذا المسجد تحفة معمارية لا يضاهيها في الجمال والروعة مبنى آخر ، ويتسع صحن المسجد لنحو (١٥٠٠) مصل ، كما يتسع الفناء المحيط به لنحو ٣٠٠ ألف مصل

(راجع صفحة ٧٠ من عدد يونيو ١٩٨٧)

٢ عين العذاري أشهر المعالم السياحية في البحرين ، وهي عبارة عن ينبوع من الماء العذب يتدفق ليكون البحيرة الرائعة التي تحيط بها الحدائق الغناء

(راجع صفحة ٨٨/٨٩ من عدد أكتوبر ١٩٨٧)

٣ التتاثان انغوشيتان من أنغوش القفقاس ، فمنطقة جبال القفقاس في الاتحاد السوفياتي تسكنها شعوب كثيرة ، نذكر منها شعب الشاشان وشعب الداغستان ، وشعب البلكار ، وشعب الكباردين ، والاوسيت ، والشركس ، والشعب الانغوشي وكلها شعوب قفقاسية .

(راجع صفحة ١٣٤ من عدد مايو ١٩٨٧)

٤ أسلوب الري بالأفلاج وهو الأسلوب المعتمد في سلطنة عمان منذ أقدم الأزمان وتجدر الاشارة الى أن عدد مافي عمان من أفلاج يبلغ (٤٠٠) فلج ، يتفاوت طولها ، ويتراوح بين ١٠٠ متر و ١٢ كيلومترا أو يزيد

(راجع صفحة ١٤٧ من عدد ستمبر ١٩٨٧)

٥ إنه سوبرنوفا ١٩٨٧م ، وقد شاهده الفلكيون في شهر فبراير ١٩٨٧ ، وهذا السوبرنوفا يمثل الانفجار الذي رافق احتضار نجم وقع قبل ١٧٠,٠٠٠ سنة في مجرة سحابة ماجلان الكبرى ، أي أن الفلكيين شاهدوا في فبراير الماضي ما قد حدث قبل ١٧٠,٠٠٠ سنة

(راجع صفحة ١٥٤/١٥٥ من عدد أغسطس ١٩٨٧)

٦ انه جسر المحبة ، جسر السعودية ـ البحرين ، يبلغ طوله ٢٥ كيلو مترا ويتفاوت عرضه بل عرض الجسور الخمسة التي يتكون منها من ٥ أمتار ـ ٩ أمتار ، أما تكاليفه فقد بلغت (١٠٠٠) مليون دولار

(راجع صفحة ١٣٦ من عدد ديسمبر ١٩٨٧)

٧ تمثال الحرية مصنوع من صفائح نحاسية من الخارج ، وهيكل فولاذ من الداخل وذلك وفقا للتصاميم التي وضعها جوستان ايفل ، المهندس الفرنسي المسؤول عن انشاء برج ايفل الشهير في باريس ، أما القاعدة التي يقوم عليها التمثال فمصنوعة من الجرانيت والأسمنت المسلح ويبلغ طول التمثال وحده ٤٦ مترا ، ويبلغ طوله الاجمالي (بما في ذلك القاعدة) ٩٣ مترا و... طريف ما يذكر أن تمثال الحرية في مد...

٨ نيويورك له شقيق توأم مازال قائما على ضفاف نهر السين في باريس ، ويبلغ طول هذا الشقيق الأصل ٢,٧ مترا ، وقد نحته النحات برسهولد ، وفيما عدا ذلك فالتمثالان نظيران

المواد التالية تزيد افراز اللعاب

السكرور ومحاليل حمض الليمون وحمض الخل والقلويات اللادعة ويزداد افراز اللعاب أيضا في حالة التسمم بالرصاص ، وبالتدخين ، وبعض المخدرات كالكلورفورم أما المواد التي تنقص افراز اللعاب فهي

الليغنوكائين والكوكائين وذلك تبعا لتخديرها الموضعي

(راجع صفحة ٣٨ عدد ستمبر ١٩٨٧)

٩ ان للدلفين عدداً من (المعدات) شأنه في ذلك شأن البقر والماعز ، وقد دلت الدراسات المكثفة أن الدلفين يركز الملح في الكلى تماما كما يفعل الجمل

(راجع صفحة ١٠٨ عدد ستمبر ١٩٨٧)

١٠ فتح المسلمون البحرين في شهر محرم من العام السابع الهجري ، أما القائد الفاتح فهو العلاء بن الحضرمي

(راجع صفحة ٧٠ من عدد أكتوبر ١٩٨٧)

١١ بلغت تكاليف مقر الطب الاسلامي ٦,٥ ملايين دينار كويتي ، أما الذين تبرعوا به فهم حرم المرحوم يوسف المرزوق وأبناؤه

(راجع صفحة ١٣٠ عدد ستمبر ١٩٨٧)

١٢ منطقة كاهوتا هي التي يقع فيها مفاعل الباكستان النووي

(راجع صفحة ٨٧ من عدد يوبيو ١٩٨٧)

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٩ ديسمبر ١٩٨٧

الجائزة الأولى : مسرور أحمد بن محب الرحمن الأعظمي / يولي / الأعظمي ـ الهند

الجائزة الثانية : محمد يحيى الدباغ / سوريا / حلب .

الجائزة الثالثة : أشرف مصطفى إبراهيم عوض / مصر / شبين الكوم .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ نبيهة محمد ناجي / اليمن الديمقراطي .
٢ ـ فيصل عبد الغني عبد الوهاب / بغداد العراق .
٣ ـ خالد أحمد الأغا / دبي / الامارات العربية المتحدة .
٤ ـ سهيل موسى يوسف السكر / الرياض / المملكة العربية السعودية .
٥ ـ عالية عبد الجواد عبد أحمد القدورة / الكويت / الصليبية .
٦ ـ موسى عبد المجيد محمد عباينة / إربد / الأردن .
٧ ـ المنجي السوخلائي / الجمهورية التونسية .
٨ ـ جلال صلاح / درارية / الجزائر .

أخيرا انتهت واحدة من أكثر مباريات البطولة تشويقا وإثارة في تاريخ اللعبة، باحتفاظ بطل العالم جاري كاسباروف (٢٤ سنة) بلقبه، وبقائه بطلا للعالم حتى عام ١٩٩٠، وبالتعادل (١٢ - ١٢) مع متحديه على البطولة، مواطنه السوفييتي أناتولي كاربوف (٣٤ سنة) وقد استمرت هذه المباراة المثيرة التي كانت شغل محبي اللعبة الشاغل طوال الأسابيع العشرة التي استمر فيها اللعب في مدينة اشبيلية الاسبانية حتى الثلث الأخير من شهر ديسمبر الماضي. قال كاسباروف ردًا على تهنئة رئيس الاتحاد الدولي للشطرنج الفلبيني فلورنسيو كامبوميير له بالفوز «لقد ارتكبنا - كاربوف وأنا - أخطاء عديدة أثناء المباراة، خصوصا في الجولتين الأخيرتين»

والحق أن المباراة وبخاصة في الجولتين الأخيرتين كانت مشحونة بالقلق والتوتر، فقد كان عرش الشطرنج يهتز بشدة تحت أقدام كاسباروف، بعد الفوز الدرامي الذي حققه متحديه في الجولة الثالثة والعشرين، حيث أصبح متقدما عليه بنتيجة (١٢ - ١١)، ولم يعد يحتاج الآ إلى التعادل في الجولة الأخيرة لاستعادة عرشه السليب، في حين كان يتوجب على كاسباروف الفوز بالدور ليحقق التعادل ويحتفظ باللقب، وهو أمر يكاد يكون مستحيلا، لكنه مع ذلك تحقق، وتمكن كاسباروف من الاحتفاظ باللقب، مخيبا جميع توقعات المحللين الذين كانوا يعتقدون أن لا أمل لكاسباروف مطلقا بالاحتفاظ باللقب. وقد اعترف كاسباروف نفسه بذلك بقوله عشية فوزه «لقد كان لكاربوف إمكانات في العرض أفضل من إمكاناتي، لكنه أضاعها، وقدّم لي البطولة على طبق من ذهب»

أما كاربوف فقد قال وهو يتحسّر على الفرصة الذهبية التي تركها تفرّ من بين يديه «لقد كان اللقب بين يديّ، لكني أضعته في اللحظة الأخيرة!»

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه المباراة كانت نسخة مكررة من مباراة عام ١٩٨٥، عندما فاز كاسباروف بالجولة الثالثة والعشرين، وأعقبها تعادل لكاربوف حينئذ. ومهما يكن من أمر فإن الجائزة (٢,٧ مليون دولار وسبعمائة ألف) التي سيتقاسمها مع كاسباروف مناصفة ستكون له خير عزاء.

وسنقتطف لكم الجزء الحاسم من الجولة الأخيرة، (انظر الشكل أعلاه) بعد النقلة (٣٠)

	□ كاسباروف	■ كاربوف
٣١	ح - هـ ٥	ح × أ ٤
٣٢	ر × حـ ٨ +	ح × حـ د

٣٣	و ـ د ١ !! (بديعة)	ح ـ هـ ٧
٣٤	و ـ د ٨ +	م ـ حـ ٧
٣٥	ح × و ٧ (معوضا البيدق)	ح ـ ز ٦
٣٦	و ـ هـ ٨	و ـ هـ ٧
٣٧	و × أ ٤	و × و ٧
٣٨	ف ـ هـ ٤	م ـ ر ٨
٣٩	و ـ ب ٥	ح ـ و ٨
٤٠	و × ب ٦ (محاما)	و ـ و ٦
٤١	و ـ ب ٥	و ـ هـ ٧
٤٢	م ـ ر ٢	ر ٦
٤٣	و ـ أ ٥	و ـ ر ٧
٤٤	و ـ حـ ٥	و ـ و ٧
٤٥	حـ ٤	حـ ٥ (لايقافه)
٤٦	و ـ حـ ٦	و ـ هـ ٧
٤٧	ف ـ د ٣	و ـ و ٧
٤٨	و ـ د ٦	م ـ ر ٧
٤٩	هـ ٤	م ـ ر ٨
٥٠	ف ـ حـ ٤	م ـ ر ٧
٥١	و ـ هـ ٥ +	م ـ ر ٨
٥٢	و ـ د ٦	م ـ ر ٧
٥٣	ف ـ ب ٥	م ـ ر ٨
٥٤	ف ـ حـ ٦	و ـ أ ٧
٥٥	و ـ ب ٤	و ـ حـ ٧
٥٦	و ـ ب ٧	و ـ د ٨
٥٧	هـ ٥	و ـ أ ٥ (معادلة يائسة)
٥٨	ف ـ هـ ٨ !	و ـ حـ ٥ (مصطرا)
٥٩	و ـ و ٧ +	م ـ حـ ٨
٦٠	ف ـ أ ٤	و ـ د ٥ + (عير محدية)
٦١	م ـ حـ ٢	و ـ حـ ٥
٦٢	ف ـ ب ٣ (مناورة بديعة)	و ـ حـ ٨
٦٣	ف ـ د ١	و ـ حـ ٥
٦٤	م ـ ر ٢	يستسلم

حل مسألة عدد يناير (٣٥٠)

١	ر ـ هـ ٨ +	م ـ أ ٧
٢	ر ـ أ ٨ +	م × أ ٨
٣	و ـ حـ ٨ +	م ـ أ ٧
٤	و × ب ٧ (مات)	

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج العدد ٣٤٩ ديسمبر ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ فيانة العبد ـ عمان / الأردن
٢ رمضان حابر عباس ـ الاسكندرية / ح م ع
٣ حليل الدويلة بافطوم ـ المهرة / اليمن الديمقراطية
٤ مريم الطريحيم ـ دمشق / سوريا
٥ لميس وليد ـ كاليفورنيا / أمريكا

[الفائز]ون باشتراك ستة أشهر

١ هاتف الحجيلي ـ الأنبار / العراق
٢ أحمد السيد ـ السويس / ح م ع
٣ نادر أبو عيطة ـ الشعيبة / الكويت
٤ نور عثمان ـ شتوت عارت / المانيا العربية
٥ مدثر محمد ـ السحانة / السودان

مسألة العدد ٣٥٢ مارس ١٩٨٨

مات ٣
مهداة من القاريء
عبدالغفور البكار (المغرب)

حوار القراء

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الكويت

استطلاع الموصل :

● السيد رئيس التحرير

إن مجلتنا الرائدة « العربي » هي في الواقع سمير في المهجر الشاتي ، ودليل في الغربة ، نستنشق منها عبير اللغة والأهل والوطن

وقد كان استطلاعكم عن الموصل رائعا روعة الموصل « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه » وفقكم الله للمزيد

الدكتور/ أحمد الحوادي

دبلن - جمهورية ايرلندا

■■■

تعريب العلوم

● مما يسر الخاطر وتطيب له النفس أن تتبنى مجلة « العربي » « دعوة التعريب » ، وتخصص لها جزءا من صفحاتها الغالية ، معبرة عن آمال قديمة جديدة ، مازالت حبيسة في صدور كثيرين من العرب ، وكثيرا ما يعبر عن هذه الآمال على صفحات الكتب والجرائد ، لكن سرعان ما تنسى ، ويعود الوضع على ما كان عليه

إن المناداة بتعريب العلوم جميعا دون استثناء حق طبيعي من حقوق هذه الأمة . ولا نظن أن عربيا واحدا يختلف معنا حول هذا الموضوع محل الخلاف ، كما كنا نسمعه ، من أكثر المخلصين يدور حول التوقيت والوسائل

وطرح « العربي » لهذا الموضوع يساهم بإذن الله كما نتمنى ، بالتعجيل في الوقت ، والتسهيل بالوسائل

ونحن هنا في هذه « العجالة » لا نريد أن نمس أهمية التعريب للأمة العربية ، ولا الخسائر التي تنالها من التدريس بغير لغتها ، لأن غيرنا قد كفانا هذا ، لكننا ونحن مجموعة من الأطباء والمهندسين الكويتيين ، المبعوثين للدراسات العليا بالمملكة المتحدة الذين لا تمثل اللغة بالنسبة لهم مشكلة كبيرة ، وبحكم هذا الواقع نتصارح بما واجهناه في بداية حياتنا الطبية والهندسية من صعوبات وعوائق ، كانت اللغة الأجنبية تمثل قاعدة لها ولو أن هذه الصعوبات مرت مرور الكرام لهان الأمر ، لكنها أبعدت بعض زملائنا ، وأدت إلى تأخير بعض آخر منهم ، كما أننا في يومنا هذا على الرغم من هذه السنوات العديدة مايزال زميلنا البريطاني يتفوق علينا ، بشكل واضح في كل ما يتصل بأمور اللغة التي لها أحيانا قصب السبق في التفوق العلمي

ولو أردنا أن نسرد الأمثلة التي نعلمها عما تفعله اللغة بالأطباء وغيرهم من العرب ، وكيف أدت إلى تعطيل دراستهم لما وسعنا المجال ، لكننا أردنا أن نعـ عن

علــى هــذه الصفحــات .. تــرحب "العــربي" بنشــر ملاحظات وتعليقات قــرائها الأعــزاء علــى مــا ينشــر فيها من آراء وتحقيــقات

استعدادنا للمشاركة التي نرجو أن تجد لها قبولا على بساطتها ، وجميعنا كدارسين للدراسات العليا على استعداد للمساهمة في أي حقل وبذل أي مجهود يطلب منا ، حتى تسر آذاننا بسماع لغتنا الجميلة وهي تصدع بين ردهات العلم ، فتكون حقيقة لدفع أمتنا العربية إلى الأمام

م ابراهيم الرهيف/ د بدر بورسلي/ د حمود الصباح/ د خالد الصالح/ د ريدان المريدي

م - سعد المريرعي/ د شهاب الشهاب/ م عبدالناصر العثمان/ م محمد الحسيني

■■■

● تقوم جهات عديدة في دولة الكويت بتبني فكرة نشر ما يتم تعريبه من علوم المعرفة في لغات شتى ، ومجلة « العربي » هي إحدى تلك الجهات التي تتبنى فكرة التعريب ونشر المعرب مبكرا ، كما أن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب يصدر - على سبيل المثال لا الحصر - مجلة « الثقافة العالمية » ، وتصدر مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ترجمة للمجلة الأمريكية للعلوم ، وهناك جهات أخرى تقوم بنفس الجهد في فرع من هذا السبيل

ومجلة « العربي » إذ تبارك بادرتكم الطيبة هذه وترحب بنشر كل ما يؤيد هذه الفكرة أو يضعها موضع التنفيذ ، وتفتح صفحاتها لنشر الترجمات والمقالات الملائمة في هذا المجال ، بحدود الخطة المرسومة للنشر في « العربي »

■■■

● مجلة العربي من المراجع الموثوق بها نظرا لتحري الدقة والأمانة العلمية فيما ينشر فيها

وقد تمتعت بقراءة المقال المنشور في العدد رقم ٣٤٧ اكتوبر ١٩٨٧ م ، ص ١٢٩ - ١٣١ بعنوان (وعاد الأوركس إلى موطنه) وأود الحديث عن الاسم الصحيح لهذا الحيوان الذي له مكانة سامية لدى العرب قديماً وحديثاً

فقد جاء في ص ١٢٩ سطر ١٠ (والأوركس من بقر الوحش)

لقد ذكرت الاسم أو التعريب الصحيح إلا أن كاتب المقال قد ذكر في صفحة ١٢٩ س ٦ و ٧ وكذا تحت صورة هذا الحيوان أن اسمه (ظبي الاوركس) ، وتكرر ذلك في صفحة ١٣٠

ومن الإنصاف أن نقول ان إطلاق لفظ ظبي على إحدى بقر الوحش من الأوهام

العربي

قــر الــوحـش
عــلاقــة
ـاشــرة
ـه بـالـظبـاء
طـلاء

حوار القراء

الشائعة والصواب أن لا يسمى « طبي الاوركس » لأن الطبي من فصيلة أحرى لا علاقة لها سقر الوحش ، وتفصيل دلك كما يلي -

المها حمع مهاة ، وهي الأنثى من نقر الوحش ، و(الدكر) هو (الثور)

قال امرؤ القيس

(فعادى عداءً بين ثورٍ ونعجةٍ دراكاً ولمْ ينضحْ بماءٍ فيُغْسَلِ)

واسم نقر الوحش العلمي LUCORY X (PALLAS)

أما ORY X « أوركس » فهو الاسم الانجليزي

واسمه المتداول في الجزيرة العربية والهلال الخصيب (الوضيحي)

ومن الصفات التي يتميز بها نقر الوحش عن فصيلة الظباء -

١ ـ الذيل الطويل الذي يصل إلى حوالي نصف قائمتيه الخلفيتين ، وبنهايته خصلة من الشعر كثيفة ، تمتد إلى ما بعد نصف قائمتيه ، بينما ذيل الظبي والوعل صغير جدا ينثني إلى أعلى ، على شكل يشبه نصف دائرة

٢ ـ الرأس طويل كبير بالنسبة لرأس الوعل والظبي ، وفي حاجبيه وكذا في جبهته لمعة أو خط أسود

٣ ـ في الرأس قرنان عموديان حادان ، تتخللهما نتوءات دائرية بارزة تزيد القرنين قوة وصلابة ، ويتراوح طولهما في متوسط العمر بين ٥٠ و ٧٠ سم

٤ ـ ثدي (المهاة) له أربع حلمات كما هو مشاهد في البقرة الأهلية تماما

٥ ـ العينان واسعتان نجلاوان كحيلتان ، بشكل يثير الإعجاب ، حتى أن بعض الشعراء الجاهليين والإسلاميين شبهوا عيني المرأة بعيني (المهاة)

وحسبنا قول علي بن الجهم شاهدا

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

هارون أحمد ...

ـ مكة ...

❋❋❋

تحية من لبنان الجريح

● السيد رئيس التحرير

تحية طيبة وبعد ، ،

أسمى التهاني القلبية أبعثها إليكم من لبنان الجريح بمناسبة الذكرى ... والعشرين لصدور العدد الأول من مجلة كل العرب مجلة « العربي » الغراء ، ...

سرا إذ أقول إن « العربي » هي المنهل العذب والمعين الذي لا ينضب لقارىء العربية في كل أصقاع الأرض

إن كل آيات المديح والاطراء تظل عاجزة عن الوفاء بحق « العربي » ، وأرجو ألا تعتبرني مجاملا ، فالحق يقال على رءوس الأشهاد

وفقكم الله في قيادتكم الرشيدة لرفعة المجلة ، ولأداء عملكم الدءوب للارتفاع إلى أعلى المستويات العالمية

تحياتنا وتقديرنا للكويت أميرا وحكومة وشعبا ، وفي رعاية الله ، وإلى الأمام

سعد الدين مصطفى العالي
بيروت - لبنان

■■■

ـــربي فــي
ـزائـــــر

● الدكتور رئيس التحرير

لشدة تمسكنا وارتباطنا الوثيق بمجلة « العربي » فإن انقطاعها المفاجيء منذ شهر مايو ١٩٨٧ قد ترك في أنفسنا فراغا كبيرا ، لذا أطلب منكم أن تعملوا على إرسال مجلتنا المفضلة إلى الجزائر ، فهي رافدنا الوحيد في تلقي المعلومات ، وإنارة السبيل لنا وتوثيق ارتباطنا بوطننا العربي وعالمنا الإسلامي ، وحافزنا على التفكير في مستقبل أمتنا

بن حليمة عبدالوهاب
طالب جامعي بمعهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية - الجزائر

■■■

● إن من أهدافنا الأساسية إيصال مجلة « العربي » إلى كل قارىء في كل بقعة من البقاع ، لكن تواجهنا في بعض الأحيان معوقات خارجة عن إرادتنا ، فمشكلة وصول المجلة إلى القراء في الجزائر ليس لنا فيها أي تدخل فهي راجعة للموزع المسئول في الجزائر

نأمل أن يحل هذا الموضوع في أقرب وقت ، وأن تكون « العربي » بين أيديكم في أقرب فرصة ممكنة

■■■

الإنجـازات
ـلـمـيـــة في
ـــــرن
ـ ـين :

● كتب إلينا الدكتور ياسر عبدالفتاح آدم حول ما نشرناه في العدد (٣٤٩) بخصوص الابتكارات الجديدة في طب العيون ، ونقتطف فيما يلي بعض ما ورد في رسالته المهمة

« يجري تصحيح قصر النظر جراحيا بإحداث قطوع بواسطة أشعة الليزر ، وذلك على السطح الأمامي للقرنية ، أما عندنا هنا فليست الأشعة هي السبيل ، وإن كانت جراحة هذه العملية لا تستغرق سوى ربع ساعة أو نحو ذلك ، وتجري تحت التخدير الموضعي

كما أن الجهاز الخاص بهذه العملية متصل بتلفاز وفيديو داخلي ، لتسجيلها وعرضها على الطلبة الموجودين في حجرة العمليات أو المتواجدين في حجرة مجاورة ، ليتسنى لهم مشاهدتها على شاشة التلفاز ثم إننا نرجو إعداد ملحق خاص بأهم

الأحداث العلمية في مختلف المجالات ، يشمل أهم الإنجازات العلمية في القرن العشرين

د ياسر عبدالفتاح آدم
طبيب بشري ـ الاسكندرية / ح م ع

■■■

العربي

● نشكر الدكتور ياسر على اقتراحه الذي كان موضع اهتمام « العربي » البالغ في المدة الأخيرة ، علما بأن الهدية السوية التي ورعتها « العربي » مع عدد يناير ١٩٨٨ الممتار قد تضمنت عشرات من تلك المحرات شرحا وتصويرا

■■■

حول حشرة السوكيدو .

● كتب إلينا بعض القراء معقبين على ما نشرناه في باب البيئة ، بالعدد (٣٤٨) حول حشرة (السوكيدو) مؤكدين أن هذه الحشرة ليست وقفا على أمريكا ، وأنها توجد في بلادهم أيضا (الجماهيرية واليمن) ، وذلك خلافا لما تذهب إليه المصادر التي اعتمدناها في هذا الموضوع

يقول الأخ رمضان مسعود ربيع منصور (فالوت ص ب ٦٦٧٣١ الجماهيرية العربية الليبية) « توجد هذه الحشرة في الجماهيرية ، وعلى الجبل العربي على الأخص (حبال نموسة) وذكرها يحدث طنينا مزعجا لا تحدثه أنثاها وهذه الحشرة لا تصدر طنينا في الليل ولا في الصباح الباكر ، وإنما بعد شروق الشمس بحوالي ساعتين . ومن طريف ما يذكر أن أهالي القرية (قرية فرسطاء ، قريتي أنا) يقولون عن طنين « السوكيدو » أنه عبارة عن نصيحة يوجهها ذكر السوكيدو إلى الفلاحين ، كأنه يحضهم على الجد والاجتهاد رغم حرارة الجو فإن كان حر هذا اليوم شديدا فقد يكون حر الغد أشد »

ويقول رشيد أحمد مرشد (من الرياض ـ السعودية) « تقولون إن حشرة « السوكيدو » لا توجد إلا في أمريكا ، وهذا خطأ ، فالحشرة موجودة في اليمن ، حيث تعرف بالصرير ، ويقال إنها لا تظهر إلا مرة واحدة كل ١٧ سنة ، ويكون ظهورها في فصل الصيف

■■■

ردود خاصة مركز الطب الإسلامي

● كتب إلينا كثيرون من قرائنا حول استطلاع مركز الطب الإسلامي المنشور في « العربي » عدد سبتمبر الماضي (١٩٨٧) ، وتوجه كثيرون منهم إلى مركز الطب الإسلامي مباشرة ولما كان القصد من كتابة هذه الرسائل ـ كلها أو أكثرها ـ هو الحصول على عقاقير أعشابية تعالج ما يعاني منه كتاب تلك الرسائل من أمراض فإننا نقدر لهؤلاء القراء اهتمامهم ، وندعو لهم بالشفاء العاجل ، ونود أن نلفت نظرهم إلى الملاحظات التالية

١ ـ لا يعقل أن يتم علاج الأمراض عن بعد ، دون فحص أو تشخيص أو تحـ ـل أو تصوير ، ولا يعقل أيضا أن ترسل العقاقير بالبريد لتعالج بها تلك الأمراض التي يجـ تشخيصها والتأكد من أعراضها ، ويصدق هذا على التداوي بالنباتات الطبية ر ما يصدق على المستحضرات الكيماوية ومن هنا تبدأ مهمة مركز الطب الإسلامي وفي

في تشخيص الأمراض ، فهو مركز طبي لا مستودع عطارة ، وهو لا يصف الدواء إلا بعد التأكد من الداء

٢ ـ كدلك لا يعقل أن يرسل المركز عقاقيره النباتية بالبريد ، حتى في الحالات التي تكون فيها الأمراض مشخصة معروفة ولو أباح لنفسه المعالجة بالمراسلة لما بقي لديه من الوقت ولا من العقاقير ما يفي بحاجة المرضى الذين يترددون عليه يوميا ، وقد بلغ مجموعهم ٢٠,٠٠٠ أو أكثر

٣ ـ ثم إن مركز الطب الاسلامي لا يقرر اعتماد عقار نباتي ووصفه لمرضاه إلا بعد أن يستوفي دراساته وتجاربه الخاصة على دلك العقار ، إذ لا بد أن يتثبت من فاعلية ذلك العقار العلاجية أولا ، ومن خلوه من أي قدر من السمية ثانيا ، ولا بد له أن يتأكد من خلوه أيضا من أية آثار جانبية ضارة ، هدا بالإضافة إلى حرصه على تحديد الجرعة الطبية المناسبة الخ لذلك كان لا مفر له من اهمال اقتراحات بعض القراء بشأن عقاقير نباتية اهتدوا إلى فوائدها العلاجية مهما كانت تلك الفوائد كبيرة

■■■

جهاز سبر المياه الجوفية :

● كتب إلينا كثيرون يستوضحون عن جهاز سبر المياه الجوفية (وادي) (راجع العربي عدد ٣٤٥) ، ويطلبون عنوان الشركة السويدية التي تصنعه

وإننا نقدر لهؤلاء القراء اهتمامهم ، لكن كثيراً من المراجع العلمية تتجنب في الغالب ذكر عناوين الشركات المنتجة التي تكون مبتكراتها موضع حديث تلك المراجع ، وذلك حرصا منها على تجنب الدعاية لتلك الشركات

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مارس ١٩٨٨ م

ثقافة الأطفال

تأليف

د. هادي نعمان الهيتي

الكتاب ١٢٣

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص. ب ٢٣٩٩٦ الكويت

لن تموت
لم تعد عذراء !

العـدد ٣٥٤ السنة الحادية والثلاثون مـايو ١٩٨٨

مجـلة ثقـافية مصورة تصدر شهريًا عن وزارة الإعـلام
بدولـة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

Issue No. 354 May. 1988. P.O.Box 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information - State Of
Kuwait.

ص.ب : ٧٤٨ ـ الصفـاة
الرمـز البريـدي 13008 - الكـويت
تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ ـ ٢٤٦٨٢٤٢ ـ ٢٤٢٧١٤١
برقيًا: "العربي" ـ الكويت ـ تلكس MIIR 44041KT
تلفون فكسملى : ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسـم رئـيس التحـريـر

الاعلانات يتفق عليها مع الإدارة ـ قسـم الاعلانات

الاشتراكات
ترسل الطلبات الى : قسـم الاشتراكـات ـ المكتب الفني
وزارة الاعـلام ـ ص.ب : ١٩٣ ـ الكويت
على طالـب الاشتراك تحويـل القيـمة بموجب حوالـة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسـم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العـربي ٤ د.ك. باقي دول العـالـم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العـراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائـر ٤ دنانير	الإمـارات ٥ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغـرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيـا ٣٥٠ درهمًا
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطـر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصـر ٣٠ قرشًا	سلطنة عمان ربع ريال	فـرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	لبنـان ١٥ لـيرة	أمـيركا دولاران

محتويات العدد

« اليونسكو » عطاء الثقافة والعلم والتربية ص ١٣٢

ـ الجميلة لم تعد عذراء ص٦٨

ـبـ وعـلوم :

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والمواد غير المنشورة تعبر عن آراء أصحابها

منتدى عربي :

تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :

صورة الغلاف

الانتفاضة الفلسطينية الراهنة حلقة جديدة من سلسلة انتفاضات فلسطينية لم تنقطع منذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧

[طالع الملف الفلسطيني ص ٣٥ ـ ٦٣]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

في إطار الاهتمام بالقضية الفلسطينية وبمناسبة مرور اربعين عاما على النكبة وبعد ان طرأ عليها عنصر جديد منذ أشهر تمثل في انتفاضة الشعب الفلسطيني بقيادة « أطفال الحجارة » . . وجدنا ـ عزيزي القاريء ـ أن نقدم لك ملفا خاصا عن فلسطين ، يستعرض حلقة جديدة في سلسلة طويلة من النضال . . . وقد شارك في تحرير الملف الدكتور شفيق الغبرا فتحدث عن فلسطين من الاقتلاع الى الصراع من أجل البقاء ، وتوفيق أبو بكر عن الجيل الفلسطيني الجديد تحت الاحتلال ، ود . عبدالوهاب المسيري عن الأقليات اليهودية وظهور الرأسمالية في العالم ، وأمين هويدي عن اسرائيل كتهديد نووي ، ورياض معسعس عن فرنسا وجذور الصهيونية غير اليهودية

لم يشغلنا الملف عن تقديم العديد من المقالات في مختلف المجالات الثقافية التي عودتك العربي أن تضعها بين يديك فالدكتور عبدالله عبدالدايم يحدثك عن الايديولوجيا الناعمة ، وهي الموجة الجديدة في الغرب كما يقدم لك الدكتور عبدالرحمن زكي ابراهيم مقالا عن الاسلام والتوازن الاجتماعي ، كما يكتب فهمي هويدي عن التعددية والمعارضة في الاسلام ، وفي المجالات العلمية والطبية يحدثك د علي مبارك عن علمين عربيين في سماء الطب ، ود أمل المخزومي عن كهربائية الجسم والامراض النفسية . كما يستعرض د . سمير رضوان معارك الاستنزاف بين البيئة والانسان . ويقدم لك المهندس سعد شعبان الجديد عن المشاريع الأوروبية لغزو الفضاء

ولأن « العربي » هي عيونك على العالم فقد انطلقت الى تايوان لتقدم لك الجميلة التي لم تعد عذراء . والى باريس لتحدثك عن اليونسكو وعلماء الثقافة والعلوم والتربية والى موسكو لتجري وجها لوجه مع الجنرال دراغونسكي الحاصل مرتين على لقب بطل الاتحاد السوفيتي

وهكذا تختار لك « العربي » باستمرار كل جديد ، فهي تهدف الى أن تضيف الى معرفتك واطلاعك كل مفيد في مختلف الميادين الثقافية . وهي بذلك تضع في اعتبارها أنك من يقف وراءها باستمرار ويشد عضدها

« فالعربي » دائما في خدمة قرائها على طريق الإسهام بمادتها التحريرية في إغناء الثقافة العربية . □

المحرر
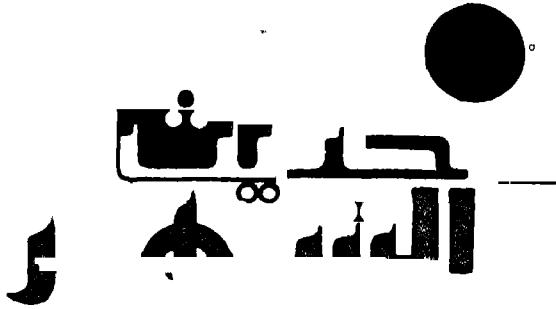
ـ وأن ما يحدث هو طريق عبقري في المقاومة .

ـ وأن التوقعات والواجبات المستقبلية هي أهم ما يجب أن نساهم فيه في هذه المرحلة من الثورة .

ثـورة مسـتمرة :

ومن الاختصار الى التفصيل :

بادىء ذي بدء ، لقد وقعنا جميعا ـ في وسائل الاعلام العربية ـ في اشكالية ليست سهلة ، عندما وصفنا ما يقع هناك في فلسطين على أنه (انتفاضة) ، انها في حقيقة الأمر ثورة ، أو قل استمرار لثورة ضد الاحتلال ، قد تتأجج هذه الثورة وتخلق لها طرقا ووسائل اعلان عن نفسها ، وقد تخبو وتختفي قليلا تبحث عن وسائل جديدة ، لكنها ثورة متراكمة تعبر عن رفض أهلنا في الأرض المحتلة ، ومعهم كل العرب الشرفاء ، أن تظل فلسطين تحت هذا الاحتلال العنصري المدمر ، ثورة لها عـ[illegible] بكل ما جاء قبلها من نضالات وثورات منذ مطلع هذا القرن موصولة بكـ ما سوف يجيء بعدها من نضالات وثورات حتى تحقيق التحرير الكـ[illegible]ـل ، ثورة تقول إن للشعب العربي حضارة فيها من روح المقاومة الد[illegible] .

ما يحدث في الأراضي المحتلة هو استمرار لثورة

ماهو شبح الذي يطارد الاسرائيليين؟

فهي في أعماق الانسان الفلسطيني العادي ، وهي كذلك في أعماق الانسان العربي العادي . من هنا فإن ما جرى في الأشهر القليلة الأخيرة ويجري على الساحة الفلسطينية يجب أن نسميه باسمه : ان ما يحدث هو « استمرار للثورة »

ولقد كشفت هذه المرحلة من الثورة التي سماها البعض (بثورة الحجارة) عن أمرين : أولهما هو عبقرية المواطن الفلسطيني البسيط الذي كان الغضب يأكل من أعصابه يوميا على امتداد السنوات الطوال السابقة فقد كشف عن عبقرية تمثلت في المقاومة الايجابية في الشوارع والحواري والأزقة بطريقة يصعب - حتى الآن - أن يواجهها المجتمع « الاسرائيلي / المعسكر » هذه العبقرية تمثلت بقذف ذاك المجتمع - المعسكر - بالحجارة أمام أعين العالم ، هذه العبقرية تمثلت في بساطة الوسيلة ، « فاسرائيل » لديها حتى الآن من الوسائل ما يمكن أن تواجه به الكثير من مظاهر المقاومة - وخاصة المسلحة - لكنها لم تكتشف بعد وسيلة تقضي بها على هذه العبقرية ، الأهم من ذلك كله ان اكتشاف هذا الطريق سوف يؤدي الى اكتشاف طرق اخرى جديدة لا تستطيع المؤسسة العسكرية والسياسية « الاسرائيلية » احتواءها مثل ما عجزت عن احتواء ثورة الحجارة .

شبح الصليبيين :

الأمر الثاني الذي كشفت عنه ثورة الحجارة هو السقوط على أرض الواقع لمقولات وممارسات صهيونية كثيرة . هذا السقوط لم يكن مفاجئا للعرب ولا حتى للعالم الثالث ، لكنه كان قائما (نظريا) فأصبح مشاهدا ملموسا لا يمكن لأحد انكاره . فما هو هذا السقوط ؟

دعوني أشير إلى مصدر « إسرائيلي » في هذا الموضوع - حتى لا يبدو الحديث وكأنه طمأنة للنفس - هذا المصدر « الاسرائيلي » هو عبارة عن كتاب نشره في العام الماضي الكاتب (بنيامين بيت حلاحمي) وعنوانه « الاتصالات الاسرائيلية : من تسلحه اسرائيل؟ولماذا؟ » وأهمية هذا المصدر انه نشر قبل التحرك الجديد (ثورة الحجارة) لأهلنا في فلسطين يقول الكاتب في إحدى فقرات الكتاب :

(إن هناك شبحا يطارد المجتمع « الاسرائيلي » وقادته ، هذا الشبح هو شبح الصليبيين الذين أنشأوا لهم مملكة في القدس في القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم ليطردوا بعد ذلك بمائتي سنة . . وأشباح أخرى حديثة

تطارد « الاسرائيلي » كمصير المستوطنين في الجزائر وروديسيا وجنوب افريقيا . . مشكلة المشروع الصهيوني الحادة هي كيف يتجنب مصير دولة الصليبيين ؟) .

ويرى الكاتب أن القادة « الاسرائيليين » قد تفتق ذهنهم تاريخيا عن حلين لتجنب ذاك المصير :

الحل الأول هو التحالف مع قوة خارجية عظمى ، والحل الثاني هو تطوير أسلحة ذرية فتاكة لردع أي محاولة تحرك عسكري تقليدي صدهم من الجيران !

يضيف الكاتب (ان التحالف مع قوة خارجية عظمى لا يمكن الوثوق بها الى الأبد . لكن القوة النووية والردع االعسكري يمكن أن يخيفا الآخرين) .

لنتذكر أن هذا الكلام قد قيل قبل (ثورة الحجارة) ومن هنا يأتي قولنا عن عبقرية الطريق التي تبنتها هذه الثورة ، فهذه الوسيلة قد أسقطت كلا من الحلين (التاريخيين) : التحالف مع قوة عظمى ، وتخزين ترسانة سلاح .

مشكلة المشروع الصهيوني الحادة هي كيف يتجنب مصير دولة الصليبيين

« فإسرائيل » تستطيع أن تقصف المفاعل النووي العراقي مثلا وتبرر ذلك أمام العالم ، بدواعٍ أمنية عديدة ، وقد لا يقبل البعض ذلك التبرير لكنها فعلت ذلك .

وتستطيع أن تهاجم سوريا عسكريا تحت شعارات مختلفة ومختلقة ، أو أن يقوم « الجيش الاسرائيلي » بضرب أهداف قريبة أو بعيدة كما حدث تكرارا في لبنان ومخيمات الفلسطينيين أو في أقطار عربية أخرى مثل تونس والأردن ومصر في أوقات سابقة ، أو افتعال حرب مباشرة مع العرب .

كل ذلك يمكن ان تفعله « اسرائيل » . وقد لاحظ أحد المراقبين أن « اسرائيل » تأتي بعد الولايات المتحدة في قائمة أكثر المتورطين في عدد الحروب . . منذ الحرب العالمية الثانية .

هذه القوة العسكرية هي التي أوجدت سمعة ضخمة « لاسرائيل » لد ، الدكتاتوريات الصغيرة في كثير من أنحاء المعمورة . فهذا (المجتمع المع سكر) يصرف حوالي ٣٠٪ من مجموع إنتاجه القومي على السلاح وما يتف ع منه من أنشطة .

ولكن هذا (المجتمع المعسكر) كما قلنا لم يستطع أن يضع باعتباره ثو ‹ داخلية يمكن أن يقوم بها المواطنون الفلسطينيون العزل إلا من ايمانهم

ثـورة الحجـارة استطاعت وحدهـا الدّق على الجـدار الغـربي الصّـلد

صحيح أن رئيس الحاخامات دافع ـ من خلال اختيـاره لبعض الحوادث وإغفال بعضها ـ عن موقف « اسرائيل » إلا أن الحوار بحد ذاته لفت نظر الجمهور البريطاني إلى صور لم يكن يراها في السابق ، وهو حوار ينشر في مجلة « التايمز » التي لها ثقلها في تشكيل الرأي العام البريطاني .

إن « اسرائيل » لا تعنى كثيرا بالموقف السياسي للعالم الثالث حيالها ، والوقائع تحدثنا عن ذلك . فـاليوم لا تـوجد أكـثر من ٧٥ دولة تعتـرف «بـإسرائيـل» ولكن كثيرا منهـا من دول الشمال الغني المؤثـرة ، في حين أن ما يقارب المائة والخمس عشرة دولة تعترف « بمنظمة التحرير الفلسطينية » ، لكن معظمها من العالم الثالث ، واسرائيل لا تقيم وزنـا لقرارات الامم المتحدة أو حتى مجلس الأمن ، فقرار مثل مساواة الصهيونية بالعنصرية لم يؤثر في « اسرائيل » ومنذ ١٩٦٧ أقامت الأمم المتحدة مؤسسات عديدة للتعامل مع القضية الفلسطينية ومع قضايـا المواطنين في الأرض المحتلة وعقدت كثيرا من المؤتمرات ، وقدمت هذه المؤسسات الكثير من المبادرات التي تحولت الى قرارات فيما بعد ، ووقفت « اسرائيل » وحدها ترفض هذه القرارات في وجه المجتمع الدولي ، وفي بعض الأوقات فإن صوتا آخر هو صوت الولايات المتحدة كان يؤيد ويدعم الصوت « الإسرائيلي »

لقد حاول مجلس الأمن ـ على سبيل المثال ـ إصدار حوالي مائتي قرار ضد « اسرائيل » ، بعضها رفض عن طريق (الفيتو) الامريكي وبعضها عطل بعد أن صدر

هذه القرارات في النتيجة تمثل الرأي العام العالمي ، خاصة في دول العالم الثالث والدول المحبة للسلام والعدل التي قد لا تكون لها قوة تنفيذ ، لكن هذه القرارات هي كتابة على الحائط كي يراها المجتمع الدولي دليلا على حق العرب وباطل « اسرائيل » انها بداية دخول « اسرائيل » نفق المرحلة الحرجة ، لكن الأهم من ذلك موقف الرأي العام العربي وبخاصة في الولايات المتحدة التي بدأت ثورة الحجارة تدق على جداره الصلد .

ثورة الحجـارة : المنـاخ والشـرارة .

تعـددت التفسيرات التي قـدمت حتى الآن لما يحدث في الأرض المحتلة ، بعضها كان سريعا والآخر عاطفيا ، وبعضها الآخر لم يخل من ... ، وأفضل التصورات القريبة الى العقل والمنطق ان قاعدة التحرك ... الصلب هو التراكم الذي حدث خلال الاربعين عاما الماضية من

حروب وتحالفات وتنظيمات ومناورات فشل بعضها ونجح بعضها الآخر ، وسقط على الدرب آلاف الشهداء ، فكانت حصيلة هذا النضال الفلسطيني والعربي بكل عثراته تلك الأيادي العبقرية التي حملت الحجر وقذفته في وجه الاحتلال ، يعضدها الأب والأم والجد على الارض وفي المنفى .

وان ابتعدنا عن التعميم الى تحديد التفاصيل ، فإننا نجد شروطا علمية قد توافرت وواكبها مناخ صالح ، ثم حدثت شرارة ثم التحام وترابط الداخل بالخارج .

المناخ الصالح تعددت مدخلاته ، منها السلبي ومنها الايجابي ، لكنها جميعها شاركت في تكوين «المناخ الصالح» كالنار واللحم ، يتعاونان لينتج عنهما أكلة شهية ، ونحن موضوعيا لا نستغنى عن اللحم ، كما لا نستغني عن النار .

لعل الموقف (الإسرائيلي) من القضية برمتها منذ أن بدأت قد زاد في عمق الجرح وازداد ألم الفلسطينيين والعرب ، لعل هذا الموقف بأشكاله المختلفة من اعتقال ومصادرة وحرمان وتجويع وقتل قد كان أحد أهم العوامل في إعداد المناخ الصالح ، ونتيجة مواقف التعنت الصهيوني الاستفزازية تلك لم يكسب الى صفه بعد أربعين عاما من الاحتلال أية شريحة أو بعضا من شريحة احتماعية من أهلنا هناك ، ز د على ذلك الوضع الانساني الذي تركت فيه القرى والمدن العربية في فلسطين ، والوضع اللاإنساني الذي أصبحت عليه المخيمات التي يعيش فيها الفلسطينيون في الأرض المحتلة ، حتى أصبح شعار المرحلة ان « الشاة المذبوحة لا تخشى السلخ » ولم يقم أي احتلال عرفه الانسان المتمدن منذ فترة طويلة بمثل هده الممارسات .

عامل آخر من عوامل إعداد المناخ الصالح ، هو مالاقاه ويلاقيه الفلسطينيون في بعض ديار هجرتهم ، ولعل ما قامت به بعض منظماتهم من تصرفات قد اتسمت في وقت من الأوقات بقصر النظر أو عدم الفهم ، ولا يمكن استبعاد أن (اسرائيل) تدخلت في بعض تلك التصرفات عن طريق (الأعمال السرية) التي تجيدها ، بل تتفوق فيها لضرب إسفين بين الفلسطينيين وبيئتهم الطبيعية ، ولعل لبنان من بين شواهد أخرى دليل على ذلك ولا أود ذكر المزيد .

إلا ان حصيلة هذه النجاحات والأخطاء في البيئة الخارجية ... إيجابيا على الداخل ، فقامت المنظمات المختلفة خلال عشرين عاما ...

حركة لتاريخ لا تتجمد في مكان وزمان

مــاهى "العبقريــة" التىعجزت "إسرائيــل" عـــن مواجهتها حتى الآن؟

حتلال الأخير (١٩٦٧) بتشكيلات كانت عسكرية في البداية دائيين) لكنها بعد سنة ١٩٨٢ غيرت من بناء هياكلها كي لا تقتصر على ناصر القابلة والقادرة على العمل العسكري ، وهي بطبيعتها تحتاج الى تعداد فكري وكفاحي عالي المستوى ، بل تحولت الى العمل ماهيري ، وبالحد الأدنى من الالتزام . وهكذا كانت الأرض صالحة في سوات الأخيرة لقيام جبهة وطنية عريضة في داخل الأرض المحتلة .

كما غيرت المنظمات من شروطها ، فبعد هذه المسيرة الطويلة تبين أن ـلة (الايديولوجية) الضيقة تعمل على العزل بدلا من الضم ، فبدأت تلك الايديولوجيات على اختلافها تذوب خضوعا لمواقع المقاومة على ـس . ولعل المؤتمر الفلسطيني الأخير في الجزائر كان محصلة حقيقية نضج التنظيمي ، وبعد ذلك المؤتمر أصبحت هناك جبهة وطنية شبه ، تذكرنا ـ حتى عن طريق المكان ـ بجبهة التحرير الجزائرية التى وحدتها أحد أهم عوامل نجاحها في التحرير .

ثورة الحجارة أسقطت أحلام المحتلين الإسرائيليين التقليديين؟

ومن عناصر المناخ الصالح ما ينطبق عليه القول المأثور (رب ضارة نافعة) ، فقد كان التشرذم العربي الذي ظهر على الساحة في السنوات الأولى من الثمانينيات محبطا ومنذرا بنذر خطيرة ، وهكذا جاءت القمة العربية في عمان التي سميت قمة الوفاق والاتفاق ، وإن كان البعض يعتقد أن الموضوع الفلسطيني لم يأخذ الحيز المرجو فيها ، إلا أن نتائجها العامة التي أعادت الأمل للعرب قد أثرت بشكل إيجابي فيما حدث بعد أسابيع قليلة في الأرض المحتلة .

هذه بعض مكونات المناخ الصالح الذي نضجت من خلاله ثورة الحجارة ، أما الشرارة فقد كانت شهداء (قبية) أو شهداء الطائرة الشراعية الذين تمكنوا بجسارة وبطريقة مبتكرة أيضا من الوصول إلى مفصل من مفاصل (اسرائيل) العسكرية ، جاء بعده شهداء مخيم جباليا عندما قتلت سيارة « اسرائيلية » عمدا مع سبق الاصرار أربعة شهداء وهم يسيرون أبرياء في الشارع العام ، تلك هي الشرارة التي فجرت الوضع الذي كان يتراكم لفترة طويلة

وبعد ذلك تم التلاحم بين الداخل والخارج ، وأفرزت الثورة هياكلها التي ما زالت على طريق التحرير الطويل تسير

ثورة الحجارة : التوقعات والواجبات :

من المتوقع أن تزداد حركة الانشقاقات في (المجتمع العسكري الاسرائيلي) ويصبح الفرز واضحا بين اتجاهين . الاتجاه الاول يمين يطالب بأقصى ما يمكن اتخاذه ضد المقاومين الفلسطينيين ، هذا اليمين يتصف علميا بضعف الرؤية التاريخية بعيدة المدى ، فهو يعتقد أن الوضع الراهن لابد أن يتجمد عند نتائج حرب ١٩٦٧ ، وإن لم يفعل فيجب شن حرب ضده ، وكانت النجاحات الجزئية التي حققها باتجاه هذا التجميد معززا في الامعان بتجاهل حركة التاريخ ، وحركة التاريخ لا تتجمد في مكان أو زمان ، وقوانين الشعوب أقوى من إرادة مستوطن أو مستعمر . أما الاتجاه الثاني في المجتمع العسكري « الاسرائيلي » فسوف يبحث عن حلول وسط تستطيع أن تحتوي هذه الثورة ، وقد يتفتق ذهنه عن أمور ليست في حسبان هذه الساعة . هذا الاتجاه يجب وضعه تحت المجهر ، ورصد تحركاته والتفاعل مع مناوراته بخطط بديلة .

بقلم : الدكتور عبدالله عبدالدائم

تمحيص « الأيديولوجيات » وتنقيحها وإعادة النظر فيها ، بل ووضعها موضع التساؤ ل والشك ، مواقف ليست جديدة ، وإن لبست تبعاً للأحداث والملابسات حللا متجددة ، وتصويب « الأيديولوجيات » ، وتسديد مراميها في ضوء تقدم الحضارة الإنسانية وتطور مظاهرها وآثارها أمر مألوف كذلك ، لاسيما بعد ظهور الثورة الصناعية في تاريخ الإنسانية منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، لكن بروز موجة جديدة في الغرب تبشر « بالأيديولوجيا الناعمة » هو الجديد في الأمر فما هي هذه « الأيديولوحيا » ؟

إن أضخم مراجعة عرفتها « الأيديولوجيات » في العصر الحديث سواء انتسبت الى اليمين أو اليسار ، هي تلك التي ولدتها الثورة العلمية التقنية المختلفة في الطبيعة لا في الدرجة كما يقول ثقات المحللين عن الثورة الصناعية التي سبقتها

ولعل أبرز نتاج تلك المراحعة التي أطلقتها هذه الثورة العلمية التقنية مانجده في ذلك الكتاب الذي وضعه فريق كبير من الباحثين في معهد الفلسفة التابع لأكاديمية العلوم التشيكية بإشراف « رادوفان ريشتا » الذي حملت ترجمته الفرنسية عنوان « الحضارة على مفترق الطرق » عام ١٩٦٨ ولقد تم تأليف هذا الكتاب بدعوة من الحزب الشيوعي التشيكي قبل أحداث « ربيع براغ » الشهيرة عام ١٩٦٨ ، تلك الأحداث التي أطاحت بأصحاب الاتجاه السياسي الحديد في الحزب ، وأطاحت معهم بالحصاد الفكري « الأيديولوجي » الذي عبر عنه هذا الكتاب ومحور هذا الكتاب هو تحليل النتائج التي تنجم عن الثورة العلمية التقنية ، وبيان ما تمليه من تعديل في « الأيديولوحية » السائدة

وعلى منوال هذا الكتاب ـ بل تحت تأثيره الم[illegible] كتب « روجيه غارودي » عام ١٩٦٩ كتابه [illegible] « منعطف الاشتراكية الكبير »

وفي الجانب الآخر ، جانب « الأيديولوجية » الرأسمالية اليمينية ، ظهرت أيضا مؤلفات عديدة ، تحاول أن تعيد النظر في « الأيديولوجيات » الرأسمالية ، في ضوء التقدم العلمي التقني ، وما ولّد من عالم متسارع في تغيره ، وما أدى إليه من خضوع مسيرة الانسان ومصيره لارادة الاقتصاديين و« التكنوقراطيين » ومديري الانتاج ، ومن أبرز الأمثلة على هذه المؤلفات كتابات «ماركوز» الشهيرة العديدة ،« وبوجه خاص كتابات «ألفين توفلر»، بدءا بكتابه الشهير الذي أحدث دويا صارخا ، ونعني كتاب « صدمة المستقبل » (وقد ظهر عام ١٩٧٠) ، وانتهاء بكتابه الذي ظهر عام ١٩٨٣ ، وعنوانه « ارهاصات ومقدمات »

ومن خلال تنقيح « ايديولوجيات » اليمين و« أيديولوجيات »اليسار ظهرت تيارات تحاول أن تقول بالتقارب المحتوم بين هاتين « الأيديولوجيتين » ، وبزوال الفروق الحادة بينهما تدريجيا ، بحكم التقدم العلمي التقني كذلك ، وكأنها تتنبأ بولادة « ايديولوجيات » واحدة ، لابد أن يمليها في نظرها تغير البنى الاقتصادية والاجتماعية تغيرا متماثلا في البلدان المختلفة ، بفعل انتشار آثار الثورة العلمية التقنية في كل مكان

« الأيديولوجيات » وحاجات الانسان

لقد كانت هذه المحاولات جميعها ـ محاولات التنقيح والتصحيح ومحاولات الجمع والتوفيق ـ تعبيرا عن جهود فكرية دائبة ، همها أن تجد « الأيديولوجيات » الملائمة للعصر ، وأن تتنبأ « بالأيديولوجيات » المرجوة في المستقبل وكان وراء تلك الجهود دوما الواقع الجديد المتغير الذي تحدثه في عالم العمل وأدوات العمل وعلاقات العمل وحياة العـ التطورات السريعة التي تتم بسبب الثورة العلـ التقنية التي تجاوزت بالثورة الصناعية الى مجـ مابعد الصناعة ، والتي شاعت فيها الآثار الاجـ اعية والانسانية الفريدة « للأتمتة » ، ولـ ـ الذاتي للآلة ، والتي غزت عوالم جديدة ، غيرت العلاقات الانسانية ، ورسمت لها اطارا جديدا كل الجدة ، كعوالم الألكترون والذرة والفضاء والمحيطات والهندسة البيولوجية والنسل وسوى ذلك

الفردوس الموعود

من هنا بدت جهود مراجعة « الأيديولوجيات » في ضوء ذلك كله أمورا طبيعية ، بل لازمة ، وأخذ الكثير من المنظرين يبشرون بمجتمع جديد ، أبعد عن الصناعة واستعبادها للانسان ، وأقرب الى حاجات الانسان الحقيقية ، وأدنى الى إرواء منازعه ورغباته وصبواته ، سواء كانت جسدية أو فكرية أو انفعالية ومن أبرز من تنبأ بمثل هذا الفردوس الجديد «دانييل بيل »من جامعة « هارفارد » في كتابه « نحو مجتمع مابعد الصناعة » (عام ١٩٧٣) ، وعالم الاقتصاد الفرنسي « جان فوراستييه » في العديد من كتبه ، لاسيما كتابه الشهير « أمل القرن العشرين الكبير » (الذي ترجم الى العربية منذ عقدين ونيف) ، وكتابه « تاريخ الغد » ، وكتابه « الأربعون ألف ساعة » ، بل حتى كتابه (مع ابنته) « من فرنسة الى أخرى » الذي ظهر في آخر عام ١٩٨٧ .

على أن هذا الفردوس لم يتحقق ، ولا تشير الاتجاهات السائدة الى إمكان تحقيقه خلال حقبة معينة ، ولا تكشف عن بوادر تبشر بمخاضه وولادته ، بل إن كل شيء يشير الى أن عالمنا يشهد أزمات متزايدة في شتى جوانب حياته ، وعلى رأسها الأزمات الاقتصادية ، كما أن كل شيء يشير الى أن هذه الأزمات آخذة في التزايد عاما بعد عام وعقدا بعد عقد

ولاشك أن بروز أزمات العصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، وانتشارها وشمولها العالم المتقدم والعالم النامي على حد سواء ، جديرة بأن تجند أقلام الكتاب وأفكار المنظرين في سبيل البحث عن سبل الخروج منها وقد فعل ذلك كثير من الكتاب والباحثين والعلماء في مختلف

الأمصار ، ومن شتى ميادين المعرفة ، وأدى ذلك الى مراجعات « أيديولوجية » متباينة المنازع

الأيديولوجيا الناعمة

غير أن ثمة منزعا ـ هو قصدنا في هذه الكلمة ـ أخذ في الشيوع والذيوع ، لاسيما خلال الثمانينات ، يثير كثيرا من التساؤل والعجب ، بل والاستنكار . وهو على الرغم من غرابته منزع شائع لدى كتاب ومفكرين عديدين في الغرب[1] . بل يكاد يكون هو المنزع الشائع لدى كثرة كاثرة من الشبان هناك ، وهذا مادفعنا الى الحديث عنه وتفنيده ، لاسيما أنه منزع لا يخلو من إغراء ، وأن أشعته بدأت تسري الى عالمنا النامي نفسه ، وأن تربة الواقع العربي ـ كما سنرى ـ مهيأة لغزوه . إنه المنزع الذي يواجه الأزمات مواجهة تبدو إيجابية ، لكنها في أعماقها تعبر عن استسلام للواقع وخضوع له ، ذلك أنه يدعو الى ماسماه « هوبيج » و« باريس » في كتاب لهما حديث (ظهر في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٧) باسم « الأيديولوجيات الناعمة » إن صحت الترجمة (Soft ideologie) .

ومن العسير تلخيص افكار أصحاب هذا الاتجاه (وهي أفكار مبثوثة على نحو غير منظم في كتابات العديد من المفكرين في الولايات المتحدة وأوروبا) ، وحسبنا أن نقول ـ بلغة برقية ـ إنه اتجاه ينكر المشروعات الحضارية الكبرى (أي الأيديولوجيات) التي تحاول بناء المجتمعات بناء جديدا ، ويرى ان عهد هذه المشروعات الاجتماعية عهد قد مضى وانتهى ، وفي مقابل ذلك يدعو الى « ايديولوجيات متواضعة » [illegible] ، ضمنها أن توفر حدا ادنى من الوفاق الاجتماعي الشامل في أي مجتمع . ومن هنا نرى أنه اتجاه يقبل بالواقع ، ويخضع لقوة الأشياء ، ولا تحمل الأيام غير طباعها ، ويرى أن أزمات هذا الواقع وصعوباته (وهي أزمات لا ينكرها) لاسبيل الى معالجتها ، بل لاسبيل الى معالجتها بوجه خاص عن طريق « ايديولوجيات كبرى » هي في نظره عاجزة ، بل هي عنده أدهى وأمر ، اذ تزيد في الداء وفي تعقيد الأمور ، وتؤدي الى أخطر سبحة فيما يرى . يعني التسلط والتحكم والبربرية . وكل شيء عند أصحاب هذا الاتجاه أفضل من الرؤى « الرومانسية » و« الرسالات » الفكرية الحالمة ، تلك الرؤى والرسالات التي عانت الانسانية منها الكثير . وفي مقابل تمجيد أصحاب الرؤى والرسالات والمناضلين في سبيلها ، يمجد أصحاب هذه « الأيديولوجيا » (أو اللاايديولوجيا) الفرد اليائس القانع الرقيق الناعم في آن واحد ، وفي مقابل المجتمع الذي تسيطر عليه قيم « الذكورة » الصارمة يرسمون صورة لمجتمع حر « أنثوي » رحيق رقيق

الفرد قبل المجتمع !

ذلك أن الفرد وسعادته ومتعته وحريته أهم أهداف أصحاب هذه « الأيديولوجيا » ، [illegible] يدعون الى « الفردانية » في حالتها النقية الصافية المجردة من كل مشروع [illegible] ، [illegible] بزعمهم عصر الصراعات والتمرد والثورة ، والأوهام والمشروعات الاجتماعية الطوباوية ، عصر الاستمرارية وعدم الاكتراث راحة [illegible]

[illegible] الى عصر المتعة الفردية والتفتح [illegible] الحمائل [illegible] والأيديولوجيات التقليدية [illegible] مسبقة متحجرة في ظلها وحوله [illegible]

---

(١) من بين [illegible]
« فرانكفورت » في ألمانيا (ادورنو ، هوركهايمر [illegible]) [illegible]
وبعض الذين اطلق عليهم اسم الفلاسفة الجدد في فرنسا ، وكتاب متفرقون امثال « ادجار موران » و« [illegible] »
واندريه بركوف وجيل ليبوفتسكي و« غي سورمان » و« جان بودريار » و« ميشيل مافيسولي » و« موران [illegible] »
وسواهم كثير

ولأنها عائق دون المتعة الفردية

و« الأيديولوجيا » الجديدة هذه ترفض التأزم والمأساوية وترقب الحلول المعجزة ، وهي حين تدعو الى المتعة والارواء المحسوس للأهواء تدعو الى ذلك دعوة انية ، ولا تقبل التأجيل ، فلا حاجة عندها الى المرور أولا « بالمطهر » - مطهر المشروعات الاجتماعية الكبرى - من أجل تحقيق السعادة الفردية ، ولا حاجة من أجل العثور على السعادة لانتظار قيام الثورة الاجتماعية او زيادة الدخل القومي ، بل علينا أن نقطف السعادة والمتعة الآن وهنا

« الأيديولوجيا » الناعمة والأخلاق

ومع ذلك لا تهمل هذه « الأيديولوجيا » الناعمة القيم الخلقية ، بل تعنى بها ، لكن عنايتها تتم من منظور خاص ، فالأخلاق عندها تستند الى الخوف أولا وقبل كل شيء ، ومطمحها الوحيد في عالم تقر بأنه ناقص وغير كامل هو الحيلولة دون الشر والسوء ، ذلك السوء الذي تحدده أولا وقبل كل شيء في البربرية والعرقية والفاشية ونظائرها ، إنها تهتم بمساعدة الحبشة مثلا ، وكل ما يتصل بالاحسان والصدقة يغريها ، وهي تشعر بآلام الإنسانية ، وتدرك أن العالم قاس ومرعب وظالم ، لكن حسبها ، وهي الناعمة الرقيقة ، أن تعلن أن هذا العالم غير مقبول ، وأن تدعو مع ذلك الى الحياة فيه ومعه و... البطولة الخلقية غير غائبة عن نظرها ، غير أن ... بها هو ذلك الثالوث النجاح والرياضة والمال ... بها تلك القدرة على المغامرة والكسب والنجاح ، ... النواح وشكوى الزمان والتبرم من فراغ الحياة أو ... مجتمع فاسد مفسد ، فتلك مواقف بالية ، ومن ... كذلك أن يحمل المرء المجتمع مسؤولية مآسيه ... ، وكل مايتصل بالصحة والجسد يحمل المرء ... هذه « الأيديولوجيا » قيمة خلقية خاصة ، ... هو في آن واحد مصدر للمتعة ورأسمال ... تثميره) وإخصابه

في عالم الاتصال .

على أن أوضح ما في هذه « الأيديولوجيا » الناعمة إكبارها الخاص للاتصال ، ولوسائل الاتصال الحديثة ، والنظر إليها كأنها النهر الذي سيغير وجه الخليقة ودخول وسائل الاتصال والمعلوماتية وسواها الى مجتمعاتنا واتساع نطاق استخدامها من أهم مايوحي لها بالأمل ويزداد شأن هذه الوسائل بعد ولادة الجيل الثالث ثم الرابع من الحاسبات الألكترونية والأمل معقود على هذه الوسائل من أجل خلق عالم انساني موحد يسوسه العقل والعالم في سبيله إلى الانتقال من المجتمع الصناعي المستهلك للموارد الطبيعية الى المجتمع المعلوماتي المبدع للمنتجات المادية المطور للملكات الانسانية

ويشط بنا القلم إن نحن حاولنا أن نفصل الحديث عن أهم قسمات هذه « الأيديولوجيا الناعمة » ولعلنا ندرك من خلال هذا العرض الخاطف ومن خلال هذه اللقطات العاجلة لأهم معالمها ، أنها في خاتمة المطاف دعوة الى الخروج من « الأيديولوجيات » والمشروعات الاجتماعية الكبرى ، وقبول بالواقع مهما تكن مساوئه واتفاق على الحد الأدنى من الاصلاح وتمجيد للفرد والحياة الفردية ، وجنوح الى السعادة والمتع الآنية ، ورفض للسياسة بالمعنى التقليدي لهذه الكلمة ، واصطناع لبعض المواقف الخلقية الانسانية التي تصدر عن الشفقة والتعاطف ، واكبار لمجتمع المعلوماتية والاتصال وما يولده من لقاء ووفاق على مستوى كل مجتمع ، وعلى مستوى الانسانية ، وابتعاد عن كل مايشير العنف والسلطة ، وأخذ بالحلول المؤقتة والجزئية والناعمة لعلنا ندرك من خلال ما عرضنا أن « الأيديولوجيا الناعمة » لا تنكر أن ثمة أزمة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، غير أن ذلك كله في نظرها لا يحول دون البحث عن ضروب صغيرة من السعادة ، ذلك أن البحث عن الخير المطلق كان ومايزال وهما ، وقد آن الأوان لكي نتحرر من الأوهام كلها

« أيديولوجيا » النهاية

وقد يعجب القارىء لوجود مثل هذه «الأيدولوجيا » ، بل قد يحسب أننا غلونا في وصف قسماتها وصفاتها والحق أنها « ايديولوجيا » ذائعة ـ كما سبق أن ذكرنا ـ لدى الكثير من الكتاب والباحثين والمفكرين ، ولدى عدد كبير من الشبان في المجتمعات العربية ، بل لعل القارىء يدرك أن السير في مثل هذا المنزلق في الغرب أو في سواه أمر متوقع ، بوصفه رد فعل عاجر ، لكنه متجلبب بجلباب الحداثة والتجديد ، على الأزمات الكبرى التي تعصف بالعصر ، والتي لا تبدو قريبة الزوال ،

ولا يتبين أبناء الانسانية بوضوح حتى الآن أين مستقرها ، وأيان موعد انحسارها ، وما السبيل الى مغالبتها ان هذه « الأيديولوجيا » تذكرنا (ولكن بلغة أحدث وأعمق) بالنزعات التي ظهرت وتظهر بين الحين والحين ، والتي تدعو الى النكوص عن الحضارة العالمية والعود الى حياة الطبيعة ، فرارا من مآسي الحضارة ولئن كان القضاء على مآسي الحضارة لايكون الا بالايغال فيها من أجل تقويمها من داخلها ، فكذلك لا يتم التخلص من عجز « الأيديولوجيات » بانكار « الأيديولوجيات » جملة وتفصيلا ، بل يكون بتطويرها وتجديدها ، ومثل هذه « الأيديولوجيات » الداعية الى زوال « الأيديولوجيات » لا تعدو في واقع الأمر أن تكون فرارا من الواقع ومن الجهد ومن التفكير الجاد في مصير الانسانية ، إنها كما يقول بعضهم ليست سوى وضع مسيرة الانسانية بين حاصرتين (معترضتين) لابد أن تزولا بعد حين ، وهي بذلك لا تبرهن على نهاية « الأيديولوجيات » بمقدار ما تفصح عن كونها « ايديولوجيا » النهاية ، نعني « الأيديولوجيا » التي تعلن نهاية السعي من أجل تغيير الانسانية ، وذلك الوجه الضاحك الذي تحاول أن تصطنعه لن يقنع أحداً أمام تفاقم المشكلات العالمية والأزمات الحقة الكبرى التي ستواجهها الانسانية فيما يبدو

على أن من الانصاف أن نقول ان ثمة منطلقا ايجابيا يدفع القائلين بهذه « الأيديولوجيا » ، نعني حرصهم الشديد على الحرية الفردية ، وعلى الديمقراطية ، ذلك الحرص الذي يصل بهم الى حد رفض « الأيديولوجيات » مادامت تعني دوما في نظرهم حق أصحابها في التسلط والتحكم ، وممارسة الظلم والطغيان باسم المجتمع المنشود ، ومادامت الأفكار والمبادىء قد تنقلب أحيانا ـ كما حذر من ذلك ماركس نفسه الى تتويج رائع للبربرية (على حد تعبيره) ، غير أنه لا حاجة الى القول ان سبيل التغلب على مزالق « الأيديولوجيات » هذه ليس سبيل رفضها ، بل سبيل البحث الجاد الذي هو ضالة الانسانية دوما وأبدا ، عن الدمج العضوي المتكامل بين حرية الفرد وحرية المجتمع بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية كما يقال

« الأيديولوجيا الناعمة » والمجتمع العربي

وبعد ، قد يقول قائل أين نحن من هذه « الأيديولوجيات » التي هي نتاج التأنق الفكري المفرط الذي نجده في المجتمعات العربية ، ووليدة طراز الحياة التي يعيشها أبناء تلك الجماعات والحق أن الأرضية التي ولدت مثل « الأيديولوجيا » الناكصة الهاربة ليست غريبة كل الغرابة عن الأرضية التي يسرح فوقها مجتمعنا العربي وسائر المجتمعات النامية ، فالأزمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية التي تعاني منها هذه المجتمعات النامية ،

والتي هي في أحد جوانبها انعكاس للأزمة العالمية هي عندنا أيضا ، كما هي في الغرب أزمات ترمتنا شذرا ، ونرمقها شذرا ، دون أن ندرك بوضوح سبل الخلاص منها ، ودون أن نقوى على تـ[illegible] مشروعات مجتمعية قادرة على تجاوزها ومـ[illegible] فالتربة صالحة عندنا كذلك لولادة مثل هذه الـ[illegible] التي وجدناها في تلك « الأيديولوجيا » التائهة [illegible] المواقف التي تغلف استسلامها وعجزها [illegible] حديدة تدعو إليها ، لا تخلو من إغراء ويسر ولا يعوزها التحليل المتأنق الحديث ، غير أنها في أ[illegible]

ـرير لانصراف طاقات أبناء المجتمع نحو مصائرهم ـلفردية ومتعهم الذاتية ، ودفع لهم نحو اللامبالاة ـوعدم الاكتراث ولن نتهم بالغلو إن قلنا إن بذور مثل هذه المواقف أصبحت منبثة لدى الكثير من أبناء الجيل الشاب بوجه خاص في سائر أرجاء المجتمع العربي ، بل لعلها أدركت جيل الكهول والشيوخ ولئن كان المجتمع الغربي قادرا بفعل تقدمه وآليات بنيانه الذاتي المتطور على امتصاص مثل هذه الاتجاهات ، بله مقاومتها ، فان مجتمعنا العربي الناشىء قد يصاب في قلب حركة تقدمه كلها حين تغزوه مثل هذه المواقف اللامبالية ، وهو في ريعان حياته الجديدة

من أجل « أيديولوجيا » عربية حية

الحق أن معالجة مشكلات مجتمعنا العربي والبحث في مصيره لابد أن يأخذا بعين الاعتبار حصاد التجربة العالمية وانعكاساتها ، وأن يجنبا هذا المجتمع في الوقت نفسه مخاطر هذه التجربة والمنظرون الطامحون لبناء مشروع المستقبل العربي لا يمكن أن يهملوا مثل هذا التواصل والتآخذ بين التجربة العالمية والتجربة العربية ، ولابد أن يضعوا هذا المشروع في موضعه الصحيح ، وموقعه الصحيح ، من حياة العصر كلها ، ومن هنا كان البحث عن معالم « الأيديولوجيا »العربية المدركة للعصر والعالمة بواقع الوجود العربي وبموقعه في العصر والمتطلعة نحو المستقبل فصلا عن اتصالها بالماضي أهم ما ينبغي أن تشحذ له أقلام المفكرين العرب في أيامنا هذه وقد أزف الحين من أجل بناء « ايديولوجيا » حية تجنب المجتمع العربي مزالق العصر ، عن طريق وعي هذا العصر ، ووعي الواقع العربي في آن واحد ، وتقوى على مغالبة أزمات حاضره وصياغة صورة مستقبله □

الخيل أبدع اكتشافات الانسان

● يقول العالم الفرنسي « بوفون » ليس في مملكة الحيوان نوع يتداخل تاريخه مع تاريخ الانسان كالجواد ، فهو الحيوان الوحيد الذي لا يعرف إلا في الحالة الأليفة ، فالجواد أبدع اكتشافات الانسان

وإننا عندما نعود بالفكر إلى فجر الحضارة الانسانية نجد أن من العسير أن نفصل بين حياة هذا الحيوان والعمران الانساني ، فمنذ أطلت الخيل على التاريخ البشري نجدها لا تحيا إلا في ظل الانسان ، وهي لم تكن فقط للانسان المطية التي تشاطره حروبه وأمجاده ، وإنما الرفيق الأمين الذي يشاركه متاعب العيش ومباهجها

أما العالم بلوتاك فيقول إن ظهور الخيل وترويضها لخدمة الانسان كانا من العوامل الحاسمة في تسيير التاريخ القديم ، فان قيام الكثير من الممالك القديمة كان رهنا بمدى ارتباط شعو[بها] بالخيول السريعة الخفيفة ، أو بمدى تحسينها لوسائل استخدامها إن الجواد يبدو في كل صـ[ـفـ]ـحة من صفحات التاريخ ، وفي كل لفته من أساطير الشعوب ، فكم من معركة قرر مصير[ها] [جـ]ـوده وسرعته وإن الكلمة التي أطلقها أحد غزاة العالم الجديد عندما قال وإنما [تد]ين بنصرنا إلى الجواد بعد الله » تصح على الكثير من الفتوحات الانسانية في طريقـ[ها نـ]ـحو التقدم

العربي - العدد ٣٥٤ - مايو ١٩٨٨م

الإسلام والتوازن الاجتماعي

بقلم : الدكتور عبد الرحمن زكي ابراهيم*

لم يكتف النظام المالي الاسلامي بتمويل النفقات العامة للدولة ، بل استهدف المساهمة في إقرار التوازن الاجتماعي ، وحين وضع الاسلام مبدأ التوازن الاجتماعي شرح فكرته ، وأوضح أنه يتحقق بتوفير الغنى لسائر الأفراد

إن التوازن الاجتماعي هو التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة ، لا في مستوى الدخل ، أي أن يحيا جميع الأفراد مستوى واحدا من المعيشة ، مع الاحتفاظ بدرجات داخل هذا المستوى الواحد ، تتفاوت بموجبها المعيشة والتفاوت هنا تفاوت درجة ، وكلمة الدرجة تفيد وجود أصل الصفة محل الاشتراك ، والاختلاف إنما هو في مقدارها فقط . فالغنى يجب أن يكون قاسما مشتركا بين الجميع ، والاختلاف من فرد لآخر إنما يكون في مقدار الغنى ، وليس في أصل الغنى وأساسه ، وإلا لما كان اختلاف درجة ، وإنما كان اختلافا جذريا ، كالتناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي

ومسئولية الدولة على أساس مبدأ التوازن الاجتماعي لا تفرض عليها إشباع الحاجات الضرورية للفرد فقط ، بل تفرض عليها أن تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة التي يحياها أفراد المجتمع الاسلامي ، والكفاية من المفاهيم المرنة التي يتسع مضمونها كلما ازدادت الحياة العامة في المجتمع الاسلامي يسرا ورخاء وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن حد الكفاية في حديثه بأنه « قوام من العيش » ، أي ما به تستقيم حياة الفرد ويصلح أمره ، ويكون ذلك بإشباع احتياجاته التي تجعله يعيش في مستوى المعيشة السائد ، دون فجوة واسعة تفصل بينه وبين غيره

وقد أدرج الاسلام التوازن الاجتماعي ضمن أهداف نظامه المالي ، انطلاقا من حقيقتين ، إحداهما كونية والأخرى مذهبية . فالحقيقة الكونية هي

---

* استاذ الاقتصاد - كلية التجارة - جامعة الزقازيق ، مصر

...ت أفراد البشر في العقول والمفهوم ، وغير ذلك
القوى الظاهرة والباطنة . أما الحقيقة الأخرى
القاعدة المذهبية للتوزيع القائلة بأن العمل هو
...اس الملكية وما لها من حقوق

...لاختلاف بين الأفراد

...الاختلاف بين الأفراد في الخصائص والصفات
...سية والفكرية والجسدية سنة كونية ثابتة دائمة في
... مجتمع بشري على الاطلاق ، لا سبيل لإنسان أو
...م الى تغييرها . وهي أن الله سبحانه وتعالى أخضع
...يعة للتمايز في المواهب والامكانيات والمقدرة على
...بداع والاختراع ، وحدة الذكاء ، وسرعة
...ديهة ، وهم يختلفون في قوة العضلات ، وفي ثبات
...عصاب ، الى غير ذلك من مقومات الشخصية
...نسانية التي وزعت بدرجات متفاوتة بين أفراد
...س البشري

هذه الاختلافات بين الأفراد في مختلف الخصائص والصفات حقيقة مطلقة ، ليست ناتجة عن أحداث عرضية في تاريخ الانسان ، أو على أساس ظرف اجتماعي معين ، فالناس يختلفون في مواهبهم وإمكاناتهم الخاصة قبل أي تفاوت اجتماعي بينهم في التركيب الطبقي للمجتمع ولا يمكن لنظام اجتماعي إلغاء هذا التفاوت في تشريع أو في عملية تغيير لنوع العلاقات الاجتماعية

العمل المشروع مصدر الملكية

قد قرر الاسلام أن العمل سبب الملكية ، واتخذ من العمل على هذا الأساس أداة رئيسية في جهاز التوزيع الاسلامي ، لأن كل عامل يحظى بالثروات الطبيعية التي يحصل عليها بالعمل ، ويمتلكها وفقا لقاعدة « أن العمل سبب الملكية » ومن هذه القاعدة يمكن أن نستنتج أمرين هامين

الأول السماح بظهور الملكية الخاصة ، حيث تمتلك الانسان العامل الأموال التي أنتجها ، ذلك أن

في الانسان ميلاً طبيعيا الى الاختصاص بنتائج عمله عن الآخرين ، لكن نوعية الحقوق التي تترتب على هذا الاختصاص لا تتحدد وفقا لميل طبيعي ، وإنما يحددها النظام الاجتماعي وفقا لما يتبناه من أفكار ومبادىء . وقد تدخل الاسلام في تحديد حقوق الاختصاص ، فأنكر بعضها ، واعترف ببعضها الآخر وفقا للقيم والمثل التي يتبناها ، فقد أنكر حق المالك في الاسراف والتبذير بماله ، وأنكر كذلك حقه في تنمية أمواله عن طريق الربا ، لكنه أجاز له تنمية هذه الأموال عن طريق التجارة ضمن حدود وشروط معينة .

الثاني تحديد مجال الملكية الخاصة ، حيث يقتصر نطاق الملكية الخاصة على الأموال التي يمكن للعمل أن يتدخل في إيجادها أو تركيبها دون الأموال التي ليس للعمل فيها أدنى تأثير ، وعلى ذلك فالثروة الخاصة هي كل مال يتكون أو يتكيف طبقا للعمل البشري المتفق عليه ، أما الأموال التي لا يمتزج بها العمل البشري فلا تدخل في المجال المحدد للملكية الخاصة ، وإنما هي أموال مباحة إباحة عامة أو مملوكة ملكية عامة

التفاوت في الدخول والثروات

نتيجة للايمان بالحقيقتين السابقتين يظهر التفاوت بين الأفراد في الدخول والثروات ، فإذا افترضنا أن مجموعة من الأفراد استوطنت أرضا ، وقامت

بإعمارها ، وأنشأت عليها مجتمعا ، وأقامت العلاقات بين الأفراد على أساس أن العمل هو مصدر الملكية ، ولم يمارس أي فرد عليهم أي لون من ألوان الاستغلال نحو الآخر ، فسوف نجد بعد فترة من الزمن أن هؤلاء الأفراد يختلفون في ثرواتهم تبعا لاختلافهم في الخصائص الفكرية والروحية والحيوية ، وهذا التفاوت أمر يقره الاسلام ، لأنه وليد الحقيقتين اللتين يقرهما معا ، ولذلك تكفل الاسلام بتوفير الايرادات العامة ، لكي تمارس الدولة تطبيقها لمبدأ التوازن الاجتماعي ، وذلك بوسيلتين رئيسيتين هما -

١ ـ فرض التزامات مالية ثابتة تؤخذ بصورة مستمرة كالزكاة

٢ ـ إيجاد قطاعات عامة ، وتوجيه الدولة الى استثمار تلك القطاعات

الزكاة أهم الفرائض المالية الثابتة ، والدولة هي التي تجمع الزكاة وأمرها غير متروك للأفراد ، ولم يكتف الاسلام بحصيلة الزكاة ، وإنما قرر أن في المال حقا سوى الزكاة ، ذلك أنه إذا لم تكف الزكاة لسد حاجات الفقراء ، فإن للسلطة العامة أن تأخذ من الأغنياء بعد الزكاة ما يمكنها من سد هذه الحاجات ، وهذا الحق لا يتقيد ولا يتحدد إلا بالكفاية ، فيؤخذ من مال الأغنياء القدر الذي يقوم بكفاية الفقراء

والى جانب الالتزامات المالية والضريبية هناك القطاع العام الذي يعتبر حائلا دون احتكار الأقوياء للثروة كلها ، ورصيدا للدولة ، يمدها بالأموال اللازمة لممارسة التوازن الاجتماعي ، واعطاء كل فرد حقه في العيش الكريم من ثروات الطبيعة ،

حيث يقر الاسلام حق الجماعة كلها في ثروات الطبيعة التي خلقت للجماعة كافة لا لفئة دون أخرى ، ولعل أروع نص تشريعي يؤكد حق الجماعة كلها في الانتفاع بثروات الطبيعة قوله تعالى في سورة الحشر : « مَا أَفَاءَ اللهُ على رسولِهِ من أهل القُرىَ فَلِلهِ وللرسولِ ولِذي القربى واليتامى والمساكين وابنِ السبيلِ كي لا يكونَ دُولَةً بين الأغنياء

نم » ، فإذا كان الوضع المحظور هو أن يكون المال
ة بين الأغنياء ، فإن التطبيق العادل لتداوله بين
س كافة هو توزيعه بينهم في ملكيات متفاوتة
ارق

ريعات تمنع تركز الثروة

بالإضافة الى الوسيلتين السابقتين هناك مجموعة
التشريعات الاسلامية ، ذات صلة وثيقة بمبدأ
ازن الاجتماعي ، ويكفي أن نشير هنا الى محاربة
سلام لاكتناز النقود ، وتحريم الفائدة على رأس
، وتشريعه أحكام الإرث والوصية ، ونهيه عن
حتكار ، وإلغائه الاستثمار الرأسمالي للثروات
بيعية ، الى غير ذلك من الأحكام

ومن أحكام الاسلام تحريم كنز المال ، لأنه حق
مة ، وحق فقرائها ، ينفق منه لدفع الحرمان ،
تأمين على العيش ، وتعهد الضمائر بما يؤيد
ارع الحق والعدل والخير ، وتوفير الرعاية
صحية ، والدفاع عن الأمة في مواجهة عدوها ،
ل نفقة تعود على الأمة جماعة وأفرادا برخاء العيش
نفقة في سبيل الله ولا يقر الاسلام الربا ،
ث أنه كسب غير مشروع ، يؤدي الى تركيز الثروة
أيدي الأغنياء ، ويؤدي الميراث والوصية بالملكية
تجزئة في محيط من يرثون ومن لا يرثون من ذوي
ربى وغيرهم ، وليس هنا مجال لتفصيل ذلك ، أما
حتكار فقد نهى الاسلام عنه ، حيث أنه وسيلة
كير الثروة بطريقة جائرة ، لا تحقق تكافؤ الفرص
جميع

وفي الرأسمالية يستمد الفرد مبرر ملكيته للموارد الطبيعية على أساس مبدأ الحرية الاقتصادية ، فالمذهب الرأسمالي يعتبر أن كل ثروة طبيعية يسيطر عليها الفرد تصبح ملكا له ، طالما أن ذلك لا يتعارض مع حرية التملك الممنوحة للآخرين ، وعليه فلن تكون هناك قيود تحد من حرية الملكية الخاصة لكل فرد ، إلا صيانة حق الآخرين في حرية التملك ، وهنا فالحقوق الخاصة في الموارد الطبيعية تعتبر مظهرا من مظاهر حرية الانسان في ظل النظام الرأسمالي ،

بينما هي في ظل الاسلام مظهر من مظاهر جهد الانسان وعمله ، ولن يكون العمل مصدرا لتملك المال مالم يكن بطبيعته من أعمال الانتفاع والاستثمار ، وليس من أعمال الاحتكار والاستئثار ، فأعمال النوع الأول ذات صفة اقتصادية بطبيعتها ، أما أعمال النوع الثاني فهي تقوم على أساس القوة ، ولا تحقق انتفاعا ولا استثمارا مباشرا ، ولن تكون القوة مصدرا للحقوق الخاصة أو مبررا كافيا لها

فحسب الانسان أن يقلع عن اتخاذ القوة المادية ـ مسلحة أو غير مسلحة ـ مصدرا للحقوق ، أما القوة الاعتبارية ممثلة في الربا والاحتكار ونحوهما من ضروب الاستغلال فذلك مالم يكن ينكره الوعي المتدني يومئذ ، لقرب العهد من أساليب القوة السافرة ، ولعجزه عن النقد والتحليل ، وتبين ما في ذلك الأسلوب من جور ومجانبة للعدل والحق □

● قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه . « من تتهمه فلا تأتمنه ومن تأتمنه فلا تتهمه » .

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « الاجتهاد خير بضاعة »

● قال لقمان لابنه . « لا تعاشر الأحمق وإن كان ذا جمال فإنه كالسيف حسن مخبره قبيح أثره »

● لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه (ابن الزبير)

الارضُ ترجمكم حجارتُها
ويفقأ عينكم شوكُ النخيلْ
في القدسِ في العشّارِ
في ميسان في أنحاءِ هزّة
في الجليلْ . .
يتعانقُ الحجرُ النخيل
يعمّد الدّمُ مهرجانَ البعث
في الليلِ الثقيلْ . .

* * *

هذا زمانٌ تستفيقُ به البشاره
ويطلُّ القسّامُ
للطفلِ المدجّجِ بالحجاره
يختالُ سعدٌ
في الصفوفِ
تشقّ خيلُ الله فجر القادسيةِ
من جديدْ
ينهار بيتُ النارِ
تُطفيءُ صولةُ الفرسانِ نارَه

* * *

الهيكلُ المهدومُ
والايوانُ
والبغي العنيدْ
وهمُ السكارى
والطغاةِ الشاربين دَم الاسارى
ليلٌ تمزّقه خيول الفتحِ
في الفجرِ الوليدْ .

● ● ●

هذا زمانٌ تستفيقُ به الحجاره.

تندى

تُبرعمُ ألفَ حلمٍ مُزهرٍ

أحلى منارَه

هذا زمانٌ

ينهضُ البرديُّ فيه حَرْبَةً

سَيْفاً

وتشتعلُ المياه

والضادُ في حُضنِ الخليلِ

يَضُمُّها للقلبِ

ينزفُ دونَها

تبقى شِعارَه

للمناقشة

بقلم : فهمي هويدي

التعددية والمعارضة في الإسلام

التعددية السياسية ثمرة طبيعية للحرية ، والحرية هي الوجه الآخر للعبودية لله وحده ، بالتالي فإن مصادرة هذه الحرية بأية صورة من الصور هي بمثابة عدوان على حق الله سبحانه وتعالى ، سواء من حيث انها استلاب لحق المجموع في التعبير ، أو من حيث انها إخلال بعبودية الناس لله ، وفي إراداتهم ليتوجهوا بالامتثال والعبودية لغير الله

فالشورى ـ قاعدة الاساس في النظام السياسي الإسلامي ـ لاتتحقق بالصورة المرجوة إلا في ظل هذه التعددية والتعاون على البر والتقوى يقود إلى التعددية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا ما أريد لهما ألا يتحولا إلى فوضى فإن التعددية تضمن لهما الفاعلية وعمق التأثير . والقاريء المدقق في الخطاب القرآني يلحظ أنه ضد « الأحادية » على طول الخط ، فهو دائم الاشارة إلى « أولي الأمر » بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد

ومن هذا المنطلق استقرت القاعدة الشرعية التي تقول « تصرف الفرد في المجموع ممنوع » وفضلا عن ذلك فإن الخطاب القرآني دائم الحث على إعلان الرأي والجهر به ، حتى اعتبر الفقهاء ذلك الإعلان واجبا وليس حقا فقط ، وعد المقصر في ذلك الواجب آثما ، يحاسب على تقاعسه ذاك أمام الله يوم الدين

ولئن دعا القرآن المؤمنين لكي تنفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم ، فإذا نفر آخرون ليعنوا بشئون الدنيا عبر مناهج مختلفة للاصلاح ففي ذلك توسيع أكيد لمحيط الخير والتسديد وكما قلنا قبل ذلك مرارا فإنه إذا كانت التعددية في المذاهب الفقهية قد أثرت العقل والواقع الإسلاميين عبر التاريخ فلماذا نتردد في الإفادة من ثراء آخر محقق نجنيه من وراء التعددية السياسية ؟

إن مصادرة الرأي الآخر بحجة اتقاء الفرقة هو دعوة لإهدار مصلحة محققة تحسبا لمفسدة محتملة . وهو مالايقول به عقل أو نقل ، ناهيك عن أن إهدار تلك المصلحة يشكل ذلك العدوان على حق الله الذي أشرنا إليه الذي هو ـ في قضية الحرية تحديدا ـ يعد في الوقت نفسه إهدارا لأحد مقاصد الشريعة

إن إساءة استخدام الحق لا تعالج بمصادرة أصل الحق ، وإنما تواجه بتقويم الاساءة ، وتوفير الضمانات اللازمة لعدم وقوع تلك الاساءة تلك بديهية لانحتاج إلى التذكير بها ونحن بصدد الحديث عن التعددية السياسية ، خصوصا إزاء الدعوات التي تقاوم فكرة التعددية ملوحة بمخاطر الفرقة المنهي عنها شرعا وربما جاز لنا أن نقول إن تلك الفرقة المنكورة هي التي تؤدي إلى تمزيق الصف وتفتت الكيان الاسلامي ، وهي مرتبة لايختلف أحد على رفضها ، لكن الذي نتحدث عنه هو ذلك التعدد الذي يثري ويبصر ويتيح الفرصة لتلاقح الآراء وإنضاج المواقف ، وإشراك الأمة في تقرير أمورها ومصائرها ، عبر قنوات شرعية فاعلة

نعترف بأن الأحزاب السياسية ليست هي الصيغة المثلى لتحقيق التعددية السياسية ، لكننا نقر الوضع

ـنه بأنها الصيغة المتاحة المعتمدة في رماننا ، ولايملك
ـصف أن يغض الطرف عن مساوىء النظام الحزبي
ـي تدفع بالمرء أحيانا إلى التعصب لحزبه ، سـواء
ـن على حق أو كان على باطل
لكن الانصـاف يقتضي أيضا أن نـوازن بين كمّ
ـصالح التي يحققها توفير ذلك النظام ، وبين مثـل
ـث المفسدة المحتملة التي يمكن تجنبها بترشيد الوعي
ـسياسي
وتظل قضيتنا الأساسية هي التعددية السياسية ،
ـتاحة الفرصة للرأي الآخر أن يعبر عن ذاته ، وأن
ـكون له حضـوره الشرعي واعتبـاره في السـاحـة
ـسياسية ، أما صيغة هذه التعدديـة وتفصيلاتهـا ،
ـكيفية ضمان عدم انحراف نظامها عن مقاصده ،
ـلك أمور تالية في ترتيب أهميتها
ولربما سأل سائل عن موقف النصوص الشرعية
ـن تلك التعددية التي ندعو إليها.وردنا على مثل ذلك
ـساؤل من شقين أحـدهمـا أن هنـاك تكـاليف
ـمقاصد شرعية ، لايمكن الالتزام بها أو تحقيقها إلا
ـظل التعددية ، وهي التي أشرنا إليها قبل قليل ،
ـا الشق الثاني فيتمثل في خلو النصوص الشرعية عن
ـكم يحول دون المضي في تلك التعددية ولئن قال
ـحد الفقهاء ـ كما ذكرنا في المقال السـابق ـ إنها من
ـملة المصالح المرسلة التي لنا أن نطرق بابهـا لنجني
ـثمارها إلا أننا نضيف هنا أنها أيضا تعد من مقتضى
ـسياسة الشرعية التي عرفها ابن عقيل بأنها « ماكان
ـن الأفعـال بحيث يكـون النـاس معـه أقـرب إلى
ـصلاح وأبعد عن الفسـاد وإن لم يشرعـه الرسـول
ولا نزل به وحي »
ولأن الأصـل في الأشياء الإبـاحـة ، ولأن الله لم
ـحصر طريق إحقـاق الحق وإرساء العـدل في فرع
ـاحد وأبطل غيره ، ولأنه « إذا ظهرت أمارات الحق
ـقامت أدلة العدل ، وأسفر صبحه بأي طريق كان ،
ـثمة شرع الله ودينه ورضاه وأمره » فإن « أي طريق
ـستخرج بها الحق ومعـرفـة العـدل وجب الحكم
ـبوجبها ومقتضاها » ، وهو المعنى الذي أبـرزه ابن
ـالقيم في « اعلام الموقعين » واستخدمنـا كلمـاتـه
وعباراته بقليل من التصرف (حـ ٤ ـ ص ٣٧٢)
وفي رصد رؤية الاسلام لقضية التعددية وعنايته
بالرأي الآخـر فإن البـاحث لايسعه إلا أن يسجـل
تقديره للمنهج الذي عولج بـه الموضـوع في كتاب
« المعـارضة في الاسـلام » لمؤلفـه الـدكتـور جـابـر
قميحة ، الأستاذ بجامعة عين شمس في القاهرة
ذلـك أن المؤلف وهو يقـدم لبحثه أفـرد الفصل
الأول لما أسماه « الضمانات والمرتكزات » ، وذكر أن
الاسلام قدم ضمانتين أساسيتين تكفلان للرأي الآخر
الحصانة والبقاء الضمانة الأولى تتمثل في تـأكيده
على قيمة الحرية ، والضمانة الثانية تتمثل في اعتبار
العدل محور الشريعة ومدارها أما مباشـرة الرأي
الآخر أو المعارضة فإنها تركز على أمرين هما الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، والشورى (ص ١٩ ـ
٦٠)
على أرضية الحرية والعدل ، ومن خلال الأمـر
بالمعروف والشورى فإن البـاب ينفتح واسعا لممارسة
المعـارضة التي هي تـرجمة عمليـة لفكرة التعـدديـة
السياسية التي ندعو إليها
وإذا استعرض المؤلف نماذج من تلك الممارسات
في العصر الاسلامي الأول فإنه قدم لنا وقائع مما جرى
في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام (غزوات بدر
وأحد والأحزاب وصلح الحديبية) عندما كان للرأي
الآخر دوره وحضوره ، ثم ماجرى في مرحلة الخلفاء
الراشدين من ممارسات مماثلة ، لكنه مر سريعا على
تجربة الإمام علي بن أبي طالب مع الخوارج ، وإن
سجّل بعضا من ملامح هذه التجربة بحسبانها طورا
جديدا في المعارضة، حيث ذكر أنه كان قصارى جهد
المعارضة الأولى عزل وال أو القصاص منه ، أو عزل
الخليفة (كما جرى في عهد سيدنا عثمان بن عفان) ،
أمـا المعـارضـة الخـارجيـة ، فقـد أخـذت صـوراً
وامتدادات أبعد من ذلك بكثير ، فهي وإن انطلقت
من الحكم على أشخاص كعثمان وعلي ، والحكم على
وقائع كالتحكيم ، فإن هذه الآراء الأولية تطورت
إلى ايديولوجية « مفصلة في الحكم والمجتمع والحلال
والحرام » (ص١٩٠) ، ذلك فضلا عن أن تجربـة

المعارضة في عهد الإمام علي تعد نموذجا للمعارضة الحربية المسلحة التي واجهت الحكم الاسلامي في مراحله المبكرة

لقد أشار المؤلف إلى ملامح هذه التجربة ، لكنه لم يتوقف عندها طويلا على الرغم من خصوصيتها وخصوبتها وأهميتها ، ذلك أنها مليئة بالدروس التي يتعين علينا أن ندقق في ملابساتها ، لنستوعب الحدود التي يحتملها الواقع الإسلامي لمباشرة ماسميه في زماننا المعارضة السياسية أو المسلحة

ولعلنا لانبالغ إذا قلنا إن الفكر السياسي الاسلامي يبقى الكثير من الاجتهادات على دروس تلك التجربة ، الأمر الذي يدعونا إلى أن نحاول استخراج تلك الدروس وما استخلصه فقهاء المسلمين منها

فهناك تيار بارز بين فقهاء المسلمين يضم عديدا من أهل السلف والخلف استقر رأيه على أن الواقع الإسلامي يحتمل المعارضة السياسية التي يمكن أن تذهب بعيدا في النيل من القيادات الحاكمة سواء في سياساتها أو مدى إيمانها ـ (الخوارج كفروا الإمام على فوق المنابر وتركهم وشأنهم) ـ لكن الذي ليس مقيدا عند هؤلاء المعارضة المسلحة التي تهدد كيان الدولة الاسلامية [illegible] تخرج وحدتها

[illegible] يوسف القرضاوي من [illegible] المعاصرين القائلين بذلك ، استنادا إلى قول الإمام علي [illegible] [illegible]

أن [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible]

[illegible]

بين الفقهاء [illegible] أضاف القرضاوي ـ أن [illegible] الخوارج [illegible]

الكبيرة [illegible]

الإمام (لم [illegible]) ([illegible]

السبيل جـ ٢ ، ص [illegible])

وقد روى الغزالي في « [illegible] » أن قضاة البصرة استأذنوا الإمام علي في أن [illegible] من الخوارج وغيرهم ـ الذين حاربوه ـ [illegible]

كما كانت تقبل قبل حربهم له ، لأنهم حاربوا عن تأويل ، وفي رد شهادتهم تعصب وتجديد للخلاف (القرضاوي ـ شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان ـ ص ٦٢)

ومما يقوله الماوردي في هذا الصدد « وإذا بغت طائفة على المسلمين وخالفوا رأي الجماعة وانفردت بمذهب ابتدعوه ـ فإذا لم يخرجوا عن المظاهرة بطاعة الإمام ، ولا تحيزوا بدار اعتزلوا فيها ، وكانوا أفرادا متفرقين تنالهم القدرة وتمتد إليهم تركوا ولم يحاربوا وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب لهم وعليهم من الحقوق والحدود

(ذكر الماوردي مقولة الإمام علي التي مررنا بها ثم أضاف) فإن تظاهروا باعتقادهم وهم على اختلاطهم بأهل العدل أوضح لهم الإمام فساد ما اعتقدوا ليرجعوا (بالحوار بطبيعة الحال) ، وجاز للامام أن يعزر منهم من تظاهر بالفساد أدبا وزجرا ولا يتجاوزه إلى قتل أو حد . فإن اعتزلت الفئة الباغية أهل العدل ، وتحيزت بدار من مخالطة الجماعة ، فإن لم تمنع عن حق ، ولم تخرج عن طاعة لم يحاربوا ، وإن امتنعوا حوربوا » ـ (الأحكام السلطانية ص ٤٧)

(وللسرخسي صاحب المبسوط [illegible] الإمام علي للخوارج [illegible]

ذلك الحلام [illegible]

الخروج ([illegible]) [illegible]

بالحبس والقتل [illegible] على أن [illegible]

(للامام) لايرجعون [illegible] لم [illegible]

[illegible] بنسبته إلى الكفر ، وفيه دليل على [illegible] يقتلون دفعا لقتالهم حين يعزمون على القتال [illegible] والتحيز دون أهل العدل » (جـ ١٠ ص ١٢٥ ، ١٢٦)

[illegible] النصوص والضوابط الهامة تطرح بين [illegible] نماذج من اجتهادات فقهاء المسلمين للحدود والضوابط التي يسوغ للمعارضة أن تتحرك ضمن ظل الواقع الاسلامي وأحسب أن تلك الحدود [illegible] صاغها الباحثون صياغة عصرية لاستخلصت إطارا متقدما للغاية لمباشرة ما نسميه [illegible]

ـسياسية أو التعددية الحزبية ولو اجتهدوا في لاصافة إليها من واقع التطورات السياسية الراهنة لأثروا الفكر السياسي الاسلامي ثراء له قيمته الكبرى

ولعل من الأمور التي تحتاج إلى اجتهاد في زماننا الضوابط الايديولوجية التي يجوز للمعارضة أن تتحرك في حدودها ، أعني أننا إذا قبلنا نظريا بالمعارضة السياسية ، وقلنا إن المعارض ينبغي أن تكفل له كل الحقوق والضمانات طالما أنه لم يلجأ إلى العنف المسلح ، استنادا إلى كلام الإمام علي واجتهاد الفقهاء المبني عليه فما هي الحدود الفكرية أو الايديولوجية التي يجوز للمعارضة أن تنشط في إطارها ؟

فقد أشرنا في المقال السابق إلى فتوى ابن تيمية التي تجيز الأحزاب التي تدعو إلى الخير والحق ، وتمنع الأحزاب التي تقوم على محادة الله ورسوله ، وهي الفتوى التي عقب عليها الدكتور محمد العوا قائلا بجواز التعددية الحزبية ، « شريطة أن تلتزم هذه الأحزاب بقيم الاسلام وتعاليمه ، ثم تترك بعد ذلك لتدعو إلى ما تشاء من برامج سياسية واقتصادية واجتماعية » ـ (في النظام السياسي للدول الاسلامية ـ ص ٨٤)

ونحن نفهم أن يفتح الباب واسعا للتعددية التي تقوم على أرضية إسلامية ، كما نفهم أن تحظر الأحزاب التي تقوم على العداء للإسلام ، وإنكار تعاليمه ، لأن ذلك يعني التصريح بنقض أساس الدولة وإهدارها نسميه النظام العام للمجتمع ، وهو مما لا تسمح به أية دولة في عالمنا المعاصر ، مهما بلغت طبيعة الممارسة الديمقراطية فيها

أقول إننا نفهم هذا وذاك ، لكن الذي يمكن أن يثير تساؤلا هنا هو:ماذا عن التيارات الفكرية التي تقف بين النقطتين ؟ أعني تلك التي لا تقف على كامل أرضية الاسلام ، ولا تقف على كامل أرضية المعادين له من قبيل ما نسميه الأحزاب الليبرالية أو العلمانية أو الاشتراكية التي لا تتخذ بعض تياراتها المعتدلة موقفا معاديا للاسلام على الجملة ، لكن ربما كانت لها بعض التحفظات على حدود التطبيق الاسلامي وقضية النظام السياسي ، أو دعوة الفصل بين الدين والسياسة نموذج لذلك من حيث ان بعض الذين يرددون هذه الدعوة مسلمون مؤمنون بالله ، ولا يمكن تصنيفهم بحسبانهم ممن يحادون الله ورسوله ، أمثال هؤلاء هل يوجد لهم مكان في ساحة التعددية التي نرجوها للواقع الاسلامي ؟

الأمر يحتاج إلى مناقشة واجتهاد ، وإذ أعترف بأني لست من أهل الاجتهاد إلا أنني قد أزعم انتسابا إلى « أهل المناقشة » ، مما يدحر قد يوفر لي قسمة اجتريء من خلالها على الرد بالايجاب عن السؤال !

وهو إيجاب ليس مطلقا ، لكنه مشروط بأمرين اثنين أولهما - أن يظل الخلاف مع هذه التيارات في الفروع وليس في الأصول الإسلامية ، علما بأن مسألة الحكم على ضرورتها وأهميتها هي من الفروع وليست من الأصول بحسبانها فعلا وليست اعتقادا

وثاني الشرطين أن يكون الفيصل في واجبات والتزامات كل طرف مشارك في التعددية السياسية والفكرية هو العهد المكتوب بين الجميع ، وإذا كانت تجربة «الصحيفة» التي أنشأها الرسول عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة من مكة إلى المدينة ، هي صيغة مبكرة لمثل ذلك العهد ، واتفق الباحثون لاحقا على اعتبارها أول دستور مكتوب في الاسلام ، بل في التاريخ الانساني ، فإننا نذهب إلى أن دستور الدولة هو العهد الذي تلتزم به أمة الإسلام بكل مللها وفصائلها الفكرية والسياسية . وما هو متفق عليه في ذلك الدستور لا يجوز لأحد نقضه أو العمل على هدمه ، وإلا وقع تحت طائلة القانون

نعم كانت الصحيفة عهدا بين المسلمين وغير المسلمين ، لكننا نستقي الفكرة ونقيس عليها مذكرين بأنه لم يكن هناك وجود لفرق أخرى في ذلك الوقت المبكر من التاريخ الاسلامي

في إطار تلك الحدود والضوابط فلسنا نرى ما يمنع أي تيار فكري أو سياسي من أن يثبت حضوره ، ويمارس دوره في أي مجتمع إسلامي معاصر . والله أعلم □

يونيو ١٩٨٨

العربي

اقرأ في العدد القادم من

استطلاعات

كريت
من هنا دخل الانجليز
ومن هنا خرجوا!
سليمان الشيخ

كينيا
الوجه الآخر
لأفريقيا
محمود عبدالوهاب

- مجلة اسمها الاسلام!.... د. عبدالعزيز كامل
- أربعة خيوط في نسيج انتحار شاعر! .. د. محمد جابر الأنصاري
- يكاد المريب يقول خذوني!...... شريف الراس
- النخبة العربية والاغتراب... د. هاني الراهب
- أضواء جديدة على قضية قديمة!.. عبدالرزاق البصير
- الجديد في علاج الأرق...... د. أمل المخزومي
- الموت ظلماً واغتراباً!

يوسف القعيد

كتاب الشهر:

- متاعب محجبة .. .. .. عرض خالد عباس
- لوحات تسر الخاطر!.... عرض عادل ثابت

وجهاً لوجه: • نجيب أفلاطون • نجاح عمر

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي د. محمد نبهان سويلم
د. علياء شكري د. أنيس فهمي أبو المعاطي أبو النجا
د. عبدالمجيد زراقط فهمي هويدي ابراهيم زعرور

٤٠ عاما على نكبة الشعب الفلسطيني

بقلم : الدكتور شفيق الغبرا *

منذ أربعين عاما تحول الشعب الفلسطيني من حالة المواطنة والاستقرار الى حالة اللجوء والشتات . وكلمح البصر سقطت آمال الاستقلال الوطني والمستقبل الحر ، لتطغى عليها حياة المنافي والبحث عن الوطن السليب . أما كيف أخرج الشعب الفلسطيني من بلاده ، وكيف تعامل مع نتائج الاقتلاع والتشريد ، فهذا ما ستحاول هذه المقالة توضيحه .

من أوائل نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، أي قبل ٤٠ يوما من اعلان قيام دولة « اسرائيل » ودخول الجيوش العربية الى فلسطين ، شنت القوات الصهيونية هجوما مسلحا كان جزءا من خطة عرفت بخطة داليت . وقد شملت منطقة الهجوم الساحل الفلسطيني والمناطق الاخرى الواقعة غرب القدس . وخلال نيسان (ابريل) ارتكبت مجزرة دير ياسين ، وهزمت القوات الفلسطينية القليلة العدد والضعيفة التدريب بعد استشهاد قائدها عبد القادر الحسيني في معركة القسطل ، وسقطت مدن يافا ، وحيفا ، وطبريا وطوقت عكا . وقد نتج عن هذه المرحلة اقتلاع ما يقارب ٣٠٠ ألف مواطن فلسطيني من مدنهم وقراهم ، خرجوا بحالة فزع وهلع شديدين ، بعد رؤية ما حل بأبناء قرية دير ياسين فقد تركت المجزرة أثرا نفسيا عميقا على مجتمع عربي أعزل من السلاح ، ينقصه الكثير من التنظيم بعد ن

* مدرس العلوم السياسية ـ جامعة الكويت

● عجوز فلسطيني وجنود اسرائيليون .. هو الباقي وهم العابرون .

السكان ، على الرغم من كل أشكال الهجرة اليهودية العلنية والسرية التي سهلتها بريطانيا وامتلك الفلسطينيون ٩٢٪ من الاراضي الفلسطينية ، و ٩٠٪ من الاراضي المزروعة . أي أن الملكية اليهودية لم تتجاوز ٧٪ من الأراضي الفلسطينية .

ومع نهاية الحرب ، وتوقيع اتفاقات رودوس احتلت « اسرائيل » ٧٧,٤٪ من أراضي ومياه فلسطين (٢٠,٨٥٠ كيلومترا) وخضعت بقية أراضي فلسطين ٢٣,٦٪ أي الضفة الغربية والقدس الى حكم الأردن ، بينما خضعت غزة للادارة المصرية

نتج عن هذه الحرب فقد الفلسطينيين لأراضيهم ومزارعهم ، وقراهم ومدنهم ، كما دمرت محلاتهم وبنوكهم . ومستشفياتهم ومدارسهم ، وأحزابهم ونواديهم ، أي أنهم فقدوا وطنا كاملا أما دولة « اسرائيل » ، فقد أقرت فور قيامها ، حق كل يهودي بالهجرة لفلسطين ، بينما منعت الفلسطينيين بعد طردهم من ممارسة حقهم بالعودة . وهكذا وإبان السنوات الأولى من قيام الدولة ، جاء مئات الالوف من المهاجرين ليملأوا المدن والقرى والأحياء الفلسطينية الخاوية ، وليزرعوا الارض التي زرعها الفلسطينيون عبر القرون . واستمرت « اسرائيل » بسياسة سحق كل ما هو فلسطيني ، فدمرت ٤٠٠ من القرى الفلسطينية في الاراضي التي احتلتها عام ١٩٤٨ ، لتقيم على أنقاضها المستعمـ ... ات والمنتزهات . وصدرت قوانين اسرائيلية بمصاد ... كل أملاك اللاجئين ، كما سنت قوانين على ... صادرت فيها أغلبية أراضي الاقلية الفلسطـ ... التي استطاعت البقاء على الارض عام ١٩٤٨ ... تحولت « اسرائيل » منذ انشائها الى أداة مهم ...

الارض والغـاء الـوجـود الفلسـطيني المشكـك بشرعيتها ، وتحقيق حلم الدولة اليهودية القوية الممتدة والمسيطرة على العرب والفاصلة بين مشرقهم ومغربهم .

الرد على النكبة

في الايام والشهور الأولى من لجوء ١٩٤٨ انزوى اللاجئون الفلسطينيون يلعقون جراحهم وسط برد الشتاء في خيام أصبحت علامة لمأساتهم . ولكنهم وعبر دور مميز لعلاقتهم الاسرية والقروية والبلدية القديمة نجحوا باعادة تشكيل مجتمعهم . فبينما استطاعت « اسرائيل » أن تحيل وطنا كاملا الى حطام ، دمرت مؤسساته ، واقتصاده ، وبنيانه ، الا أنها لم تستطع أن تلغي روابط الدم والقرابة . فقام الفلسطينيون في الشتات وفي كل مراكز وجودهم باحياء روابط الدم وروابط القرية والمدينة الاصل ، وروابط الصداقة والمعرفة القديمة . ونتيجة لذلك بدأت تبرز اشكال هامة من المساعدة والتكافل الاجتماعي التي سهلت السفر ، والعمل والتعليم والتنقل لهذا الشعب المنكوب . ففي السنوات الاولى من النكبة كان هم الفلسطينيين توكيد قدرتهم على تحويل أسرهم وقراهم الاصلية الى حاضن اجتماعي كبير يعمل في ظل غياب المؤسسات والارض والوطن .

وقد شكلت مرحلة البحث عن لقمة العيش والعمل والانتاج مدخلا هاما لاستعادة التوازن في الذات الفلسطينية المحطمة . وبينما كان جيل الآباء في الاسرة الفلسطينية يعاني حسرة الغربة وتبعة فقدان الارض وفقدان ما بناه كدحهم وجهدهم خلال عقود من العمل ، كان جيل شاب يتحرك ليأخذ زمام الأمور بيده ، فيهاجر من الخيام الى المدينة ، ومن بلد ...ب الى آخر ، من أجل اعالة اسرة ممتدة ، وارسال ...وة والاخوات الصغار للمدرسة أو الجامعة .

...قة جديدة مع الارض

...كن المجتمع الذي نجح بحماية بناه الاجتماعية بعد ...كبة لم تكن أبعاده لتتكامل دون الارض . فلا يوجد بناء اجتماعي بعيدا عن أرض مرتبطة تتفاعل معه وتمده بأسباب البقاء والاستمرار . و... الارض سلبية ، أصبحت قوة الذاكرة والعاط... أي قوة البعث الروحية وسيلة لحضور الأرض أوساط مجتمع النكبة . وهكذا ومنذ الايام الا... للجوء ، كانت محاولات العودة للارض كبير...

ولكن « اسرائيل » تصدت لهذه المحاولات ، فال... القبض على الكثير من الفلسطينيين ، قبل إع... طردهم ، قتلت بعضا منهم وذلك للحد من ظا... التسلل عبر الحدود العربية بهدف العودة . وه... شكل هذا المانع للعودة بداية تجذر فكرة ال... المسلحة ، أي قيام الفلسطينيين بالعودة وم... السلاح للاشتباك مع القوات الاسرائيلية ... تعترضهم .

وأخذت الارض بعد النكبة الكثير من الم... المستمدة من واقع علاقة السكان التاريخية بها . أرض الأجداد وأرض الوطن ، أرض القر... المهدومة وأرض المدينة الاصل ، إنها أيضا أر... الانبياء وأرض الاسراء والمعراج . هي ال... والذكريات ، فيها قبور الآباء والاجداد التي ف... زوارها ، إنها الجذور التي لاتحيا نبتة بدونها . وه... نقل الفلسطينيون حنينهم للارض وارتباطهم بها اطفالهم المولودين في الشتات ، فنشروا بين الا... الصاعدة قصص الحصاد والنبع ، وقصص ال... والزيتون ، وعلموهم أخبار القرية الاسيرة وال... المهدوم . هكذا رسمت الذاكرة ، الا... الفلسطينية ، فبعثتها حية بناسها وعلاقاته... بأفراحها وأحزانها .

الكفاح المسلح

ولكن التماسك الاجتماعي والارتباط بالارض ... يكونا كافيين وكان لابد من محور جديد فهي أ... كفاحية سياسية ، تسهم في رحلة العودة لفلسطين... ورغم أن جذور هذا المحور تعود لاعلان الك... المسلح الفلسطيني عام ١٩٦٥ ، الا أن حرب ٦٧ وسقوط بقية فلسطين (غزة ، والضفة الغر...

وانقسامات وشتات جديد . ووضعت الفلسطينيين في وضع هو أقرب لخيام الهزيمة التي نصبت لهم قبل أربعين عاما . وهكذا جاء هبوط ما بعد ١٩٨٢ بعد مرحلة طويلة من ارتفاع الآمال (في الاعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٨٢) ليخلق أرضية أساسية لانتفاضة الفلسطينيين الكبرى على الاحتلال .

الانتفاضة : مرحلة تاريخية مهمة :

لقد ادخلت انتفاضة الأرض المحتلة الصدام التاريخي ، بين المشروع التهويدي الاحلالي والمشروع الفلسطيني الاستقلالي ، مرحلة استقطاب وصراع جديدين . فكما أرست معركة الكرامة في آذار ١٩٦٨ بداية علاقة جديدة ، بين الشعب المشتت من أرضه والصهيونية المستوطنة للارض (أساسها العنف المسلح القادم من الشتات) ، أرست الانتفاضة الفلسطينية بداية علاقة جديدة ، أساسها المواجهة بين قوة الاحتلال المدججة بالحديد والسلاح ، وقوة الشعب المحصنة بالايمان والاتباء . وبهذا التشكيل الجديد للعلاقة بين سلطان السلاح وسلطان الايمان ، قطعت فلسطين أشواطا مهمة من المسافة الواقعة بين الاستعباد والتحرر . فمنذ اللحظة التي ألقى الفلسطينيون متاريسهم الجماعية الاولى ، ورأوا كيف يتقهقر الاحتلال لدقائق أو لساعات أمام حجارتهم ، اكتشفوا لانفسهم وجودا جماعيا جديدا ، وقوة كامنة مصدرها وعيهم لآفاقها وامكاناتها . فامسكوا حلقة مهمة في لحظة تاريخية قائمة ، ليعيدوا عبرها تشكيل روح المجتمع الفلسطيني والعربي برمته . لقد حطموا اغلالا مكونة من الخوف والرهبة ، وكسروا حواجز أقامها لنا العدو في قلوبنا . لقد بدأوا برسم ألوان لحياة مستقبلية فلسطينية ـ عربية جديرة بهم .

إن فلسطينيي الارض المحتلة الذين أعادوا للتحرر الفلسطيني نبضه ، المتصدرين لمهمة حل ارث الثورة الفلسطينية المعاصرة ، والمستندين على بنى اجتماعية مؤثرة ، هم أكثر الفلسطينيين وعيا باشكال العمل النضالي الفعالة . لقد تعلموا الكثير على مدى العشرين عاما الماضية . إنهم الاكثر معرفة بالعدو لذا فانهم لايخشونه . وبينما هم ، الأعلم ، من بين كل الفلسطينيين بنقاط ضعف منظمة التحرير الفلسطينية ، هم الاكثر تمسكا وارتباطا بشرعيتها ، فهم الاعلم بأن جسر تقرير المصير والدولة الفلسطينية لايمكن أن يمر الا عبر تمسكهم ومساندتهم بالكيان الفلسطيني المتكامل الاطراف والقارش للمسألة الفلسطينية كقضية شعب موحد بالداخل والخارج . فلا تحرر من دون اداة وطنية للنضال ، تترجم الاضراب ، والعصيان والثورة ، الى لغة تحررية عربية عالية الابعاد .

آفاق جديدة

على مدى أربعين عاما قطعت مسيرة الفلسطينيين من أجل البقاء أشواطا كبيرة . ومن الانتكاسات والهزائم خرجت الموجات الفلسطينية المكافحة للصهيونية . ففي البداية كان اللجوء ، ثم الرد على اللجوء بالسعي للحفاظ على التماسك المجتمعي واحياء الذاكرة الخصبة . ثم جاءت موجة التحرر الوطني والكيانية الفلسطينية التي جمعت الفلسطينيين حول ممثل شرعي هو الأول لهم منذ اقتلاع ١٩٤٨ .

وقد واجهت الحركة الوطنية الفلسطينية نكسات ومآزق كبرى . ولكنها ونتيجة لانتفاضة الارض المحتلة التاريخية ، اكتسبت بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بعدا جديدا وآفاقا مهمة ، أساسها انتقال مركز ثقل الحركة الوطنية الفلسطينية الى الارض المحتلة ، أي الى داخل احشاء الكيان المحتل .

ان قصة الفلسطينيين التاريخية ، التي بدأت مع أواخر القرن التاسع عشر ، هي قصة الحرمان من تقرير المصير . هذا الحرمان المرتبط بالاقتلاع والسحق والمعاناة ، قد شحن العاطفة ، والذاكرة والارادة وخلق جدلا فلسطينيا خاصا بالصراع .

فأينما تكون « اسرائيل » فإن فلسطين تسعى لاثبات حضورها . وحيث يرفع العدو علمه يرفع الفلسطينيون أعلامهم . وأمام ارادته تنمو اراداتهم . إن صهيونيته ثبتت فلسطينيتهم وعنصريته عمقت عروبتهم . □

[illegible] ١٩٦٧م على الحدود [illegible] المدججين بالسلاح ، وهم يجوبون مدنه وقراه ، باحتيال وعنصرية ، ينصبون الحواجز ، ويعتقلون العشرات ، ثم ينطلقون بسياراتهم العسكرية إلى مواقعهم المحصنة وقواعدهم ، وكبر هذا الجيل على الوعود العربية بالزحف المقدس الذي لم يأت بعد ، وسمعوا من آبائهم كيف انتظروا المارد العربي الجبار ، بعد النكبة الأولى ، وبعد الخروج الكبير عام ١٩٤٨ ، وكيف تركت ربات البيوت في مدن فلسطين وقراها كل شيء على حاله في المنزل ، على أمل العودة ، بين عشية وضحاها ، كما تقول كل الاذاعات العربية التي لايمكن أن تتفق جميعها مرة واحدة ، على قول ما لا يمكن (وما لايريدون)

[illegible] سمع الفتيان تلك الحكايات المرة كالعلقم من آبائهم ، واختزنوها في ذاكرتهم ، ولما كبروا رأوا أن التاريخ يوشك أن يعيد نفسه معهم ، فقرروا ألا ينتظروا الفرج من الخارج ، وقرروا أن يحملوا العبء على أكتافهم .

تقول الطالبة حميدة من جامعة بير زيت . « لقد فهمنا في وقت مبكر أنه إذا أردنا تحرير وطننا فلا بد أن نضحي بأنفسنا . معظم رفاقي دخلوا السجن ولم يعد ذلك يرهبهم » وفي ندوة عقدت بالعاصمة الأردنية في ديسمبر ١٩٨٦م ، بدعوة من منتدى الفكر العربي وجامعة القدس المفتوحة ، قدم منذر صلاح رئيس جامعة النجاح الوطنية الذي أبعدته سلطات الاحتلال ، بحثا عن التعـ[illegible]

الأرض المحتلة . وفي النقاش الذي أعقب المحاضرة قال د . صلاح « إن الجامعة كانت تلتقي الطلاب الذين دخلوا السجون أثناء دراستهم الثانوية من الأقساط الجامعية ، وتبين أنه لا بد من تنظيم دقيق لهذه العملية ، إذ أن أكثر من نصف الطلاب سبق لهم أن دخلوا سجون الاحتلال لفترات متفاوتة » .

ولذلك ، وحتى تصبح شخصية طلابية قيادية ، لايكفي أن تحمل كل صفات القائد الطلابي المتعارف عليها في الجامعات ، بل لا بد أن يكون لك رصيد آخر ، وهو قضاء بضع سنوات في زنزانات الاحتلال الصهيوني وسجونه حتى تقبل بك جموع الطلاب والطالبات قائدا نقابيا .

شروط القياديين

والاستفتاء الشهير الذي أجرته صحيفة الفجر المقدسية وشبكة التلفاز الاسترالي ، وإحدى الصحف الأمريكية ، وأشرف عليه د . محمد شديد ، من جامعة النجاح في آب ١٩٨٦م ، يوضح الحجم الهائل للثمن المباشر الذي يدفعه السكان في الداخل الذين قرروا حمل العبء منفردين ، لمقاومة الاحتلال . وقد كان السؤال الخامس والعشرون الذي طرحه الاستفتاء على عينة من ١١٠٠ شخص ، من مختلف المدن والقرى والمخيمات في الضفة الغربية ، ومن مختلف الشرائح الاجتماعية . هو : هل تعرضت أنت أو أحد أفراد أسرتك لأي من الاجراءات التالية :-

١ - اعتقال سياسي . ٤٧,٥ ٪
٢ - ضرب أو معاناة جسدية أو تهديد من قبل لسلطات « الاسرائيلية » : ٥٠,٧ ٪
٣ - منع السفر : ٣٤,١ ٪
٤ - ...عاد أو إقامة جبرية ١٥,٧ ٪
٥ - ...ضايقات أو إهانات مباشرة على الحواجز : ...,٧ ٪
٦ - ...ع التجول . ٧٤,٢ ٪
٧ - ...م أو إغلاق منازل : ١٧,٦ ٪
٨ - غرامات مالية : ٦٦,٧ ٪
٩ - مصادرة أراضي أو أملاك من قبل السلطات « الاسرائيلية » : ٢٢,٨ ٪
١٠ - لم أتعرض لأي إجراء : ٣,٦ ٪

لو قرر السكان - والجيل الجديد هو طليعتهم القيادية - أن ينتظروا عملا من الخارج ، لتحرير أرضهم وإرادتهم ، لما كانوا مضطرين لتبني هذه المقاومة العنيدة التي دفعت الغالبية الساحقة منهم ثمنا مباشرا لها ، كما أوضحت نتائج الاستطلاع التي وردت في السؤال السابق ، وبخاصة أن الاحتلال كان مستعدا لو ابتعد الناس عن مثل هذه المقاومة أن يكون معهم « ليبراليا » إلى أقصى الحدود ، للتباهي بالصورة « الديمقراطية » المخادعة « لاسرائيل » أمام العالم ، وكذلك من أجل دفع بروز قيادات جديدة شابة ، تتعامل مع الواقع الجديد ، وتذعن لمعطياته ، وتقبل بالأمر الواقع .

اتساع الهوة

وقد كان بعض الاستراتيجيين في الكيان « الاسرائيلي » يراهنون طول الوقت خلال السنوات العشرين الماضية أن يكون الجيل الجديد الذي عاش في رحاب الاحتلال أكثر واقعية ، (بالمعنى « الاسرائيلي » لهذا التعبير) ، وأن يقبل التفاوض والتعايش بالشروط « الاسرائيلية » ، وقد أوضحت حقائق الحياة أن شيئا من تلك النبوءات لم يتحقق .

تقول احدى الاعضاء في هيئة الحقوق المدنية في « اسرائيل » : « خلال عشرين سنة نما جيل (فلسطين الاحتلال) ، وجيل (يهود الاحتلال) ، والنتيجة مذهلة عند الطرفين ، إذ تزداد الهوة اتساعا مع مرور الزمن » .

هذا الجيل الجديد ليس جيل الشعارات الكبيرة التي تميز بها تاريخ الحركة الوطنية السابق ، بل هو جيل عرف ثغرات عدوه ، وحاول خوض معاركه للنفاذ من هذه الثغرات .

وأهم الثغرات التي بات الجيل الفلسطيني الجديد في الأرض المحتلة يركز عليها هي (الأزمة التي تعيشها « اسرائيل ») ، أقصد الأزمة المستقبلية

الحالية بمنظور التوازن السكاني « الديمغرافي » ، فالحركة الصهيونية التي حاولت تسويقها لدول العالم ، هي ضرورة إيجاد دولة خاصة لليهود : « دولة يهودية خالصة لأفراد الشعب » .

كان يقول عنها هرتزل ، مؤسس الصهيونية السياسية : « دولة يهودية مثلما فرنسا فرنسية وكنتاكي أمريكية » لكن استمرار الاحتلال لأكثر من مليون ونصف مليون فلسطيني ، يكاثرون بمعدل ضعف التكاثر اليهودي ، إضافة لسبعمائة ألف فلسطيني مزروعين في المثلث والجليل والنقب داخل الكيان « الاسرائيلي » ، كل ذلك يهدد يهودية الدولة مع نهاية هذا القرن ، وبخاصة مع ازدياد منسوب الهجرة المعاكسة (النزوح من اسرائيل) . ومع نضوب منابع الهجرة اليهودية لفلسطين المحتلة ، نضوبا لا يكاد يكون كاملا ، باستثناء بضع مئات يفدون من الاتحاد السوفيتي ، ومن الدول الأوروبية .

الأزمة في نظر الجيل الجديد

الجيل الفلسطيني الجديد يعرف جيدا هذه الأزمة الحادة التي تعيشها « اسرائيل » ، فقد تحدثوا عنها جميعا بمناسبة مرور عشرين عاما على الاحتلال ، وللذلك يصعد نضالاته مستشرفا آفاق المستقبل بالكثير من الطمأنينة ، إذ ليس أمام الأعداء في نهاية المطاف إلا التسليم بالانسحاب ، أو ضم هذه المناطق وإعطاء السكان الجنسية « الاسرائيلية » ، لتصبح الدولة دولة ثنائية القومية ، وهو أبعد ما يكون عن دولة يهودية ، كما أرادها الآباء المؤسسون الأوائل ، أما الاحتمال الثالث وهو طرد العرب الفلسطينيين من أراضيهم ، فهو احتمال أمامه صعوبات لا حصر لها ، فإبعاد أربعة مناضلين في يناير الماضي دعا مجلس الأمن للاجتماع ، وأحدث ضجة دولية واسعة . فكيف سيكون الأمر مع ابعاد مئات الآلاف من وطنهم ؟!

هذا احتمال لم يعد ممكنا ، طالما أنه لم يتم عشية حرب حزيران ١٩٦٧م . فالمأزق الديمغرافي سيحول « اسرائيل » لنموذج جنوب افريقيا في المستقبل القريب ، بل إن الانتفاضة الوطنية المجيدة قد أظهرت تلك الدولة العبرية بشكل صريح مكشوف ، وكأنها النموذج الأكثر مقتا من نموذج جنوب افريقيا .

يقول المفكر « الاسرائيلي » « عيدي تسيمح » : « الآن يولد في البلاد عرب أكثر من اليهود ، وفي غضون الثلاثين عاما ستصبح مثل جنوب افريقيا ، حيث تكون هناك أكثرية عربية ساحقة ، لقد قال موشي أرينز أنه مستعد لمنح سكان المناطق الجنسية « الاسرائيلية » ، وهذا يعني تسليم تل أبيب وبيت ألفا وصناعة الطيران إلى أيدي العرب . إن غباء سياسيينا يكمن في أنهم لايعرفون أن هناك مشكلة على بعد دقيقتين ، ولا يفقهون شيئا في ديناميكية الزمن » .

لكن شموخ الانتفاضة الوطنية الباسلة وعظمتها أنها اختصرت الثلاثين عاما التي تحدث عنها المفكر « تسيمح » ، وجرت المشكلة التي هي على بعد دقيقتين ، لتصبح مشكلة راهنة ، وتصبح « اسرائيل » في نظر العالم كله وفي نظر الرأي العام العالمي « جنوب افريقيا » جديدة ، كما تكتب كل يوم غالبية صحف العالم في القارات الخمس .

شمعون بيريز يصف الادانة الدولية الكاملة للكيان « الاسرائيلي » من خلال صور التلفاز للقمع الصهيوني لأطفال الحجارة ، ويقول بحسرة وألم « لقد انتصر التلفاز على الدبابة » ، لكن في الحقيقة أن إرادة الانسان العربي في فلسطين هي التي انتصرت على « اسبارطة » المسلحة بالتقنية الامريكية حتى الأسنان تقول المحامية الاسرائيلية فيليسيا لانجر في كتابها (رجال الحجارة) ·

« في آخر القرن العشرين زمن لا يعقل أن يظل فيه بروميثيوس راسخا في القيد » بل لعل هذا هو الاستنتاج الأساسي لدروس الحجارة التي تقصف مهر آخر القلاع العنصرية في عالمنا المعاصر □□

الأقليات اليهودية وظهور الرأسمالية في العالم

بقلم : الدكتور عبدالوهاب المسيري

لم يكن ليهود أوروبا وجود متجذر في المجتمعات التي عاشوا فيها ، بل كان وجوداً عائماً ، يعيش على الإختلافات بينها . وعندما تحولت المجتمعات الأوروبية إلى المرحلة الرأسمالية كان للمال اليهودي دور خاص يلقي عليه الكاتب بعضاً من الضوء .

يمكن القول بشكل عام أن يهود العالم العربي والإسلامي لم يلعبوا دورا اقتصاديا متميزا ، ولم يضطلعوا بوظائف اقتصادية خاصة مقصورة عليهم دون بقية أعضاء المجتمع ، ولذا فإنهم لم يلعبوا دوراً خاصاً أو متميزاً في نشأة الرأسمالية أو في المشروعات الرأسمالية الحرة في العالم العربي الإسلامي ، خاصة أن البلاد العربية والإسلامية التي أسست نظاما اقتصاديا يتبع نموذج الاقتصاد الحر (مثل تركيا ودول الخليج ولبنان) لم يكن فيها أقليات يهو[دية] كبيرة ، وحتى حين وجدت ، كما هو الحال في المغ[ر]ب ، فهي لم تسهم بشكل خاص في تاريخ المغ[ر]ب الاقتصادي . هذا التعميم لاينفي بطبيعة الحا[ل] وجود أي شكل من أشكال التميز بين الأقلية اليهو[د]ية والأغلبية ، فهذا ضد طبيعة الأشياء

سومبارت وفيبر

لكن الوضع في العالم الغربي يختلف بشكل جوهري . ويرى العالم الألماني فرنر سومبارت (١٨٦٣ - ١٩٤١) ان ثمة علاقة قوية بين أعضاء الطوائف اليهودية في الغرب (خاصة يهود المارانو) ، وظهور الرأسمالية وتطورها . ويقدم سومبارت أطروحته في مقابل أطروحة ماكس فيبر . فقد وصف فيبر اليهودية القديمة بأنها كانت ديانة فريدة في العالم القديم لعقلانيتها وعدم تأكيدها لأهمية السحر أو الأسطورة ولتوجهها الدنيوي (في مقابل الديانات الشرقية الأخرى) . وبتأكيد تحكم الإنسان في مصيره وبيئته . وكل الصفات الآنفة تبين أن اليهود قد ظهرت بينهم روح الإنجاز . ويرى فيبر أن ثمة علاقة واضحة بين روح الإنجاز وإحساس

لسان بالتحكم في مسيرة حياته من جهة وتوجيه و للمستقبل من جهة أخرى . وهي أحد العناصر ساسية التي تؤدي إلى التراكم وظهور الرأسمالية . ع هذا لم يجد فيبر سوى علاقة واهية غير مباشرة ، الأخلاق اليهودية وروح الرأسمالية (لم يكتب ابه الشهيرة عن علاقة الأخلاق البروتستانتية وح الرأسمالية التي طرح فيها تصوره للعلاقة بينهما) .

يرى سومبارت ، على عكس فيبر ، أن الأخلاق يهودية أكثر علاقة بالرأسمالية من البروتستانتية . ليهودية لا تحرم التجارة وإنما قامت بتنظيمها ، بل شجيعها وقد أبدت اهتماما خاصا بالأعمال المالية ن أجل تحقيق الربح . ولا يوجد في اليهودية علاقات أخروية أو غير دنيوية ، ولا تشجع على زهد (ويمكن أن أضيف أن عدم استقرار فكرة بعث في اليهودية والفكر الأخروي بشكل عام قد جع الاتجاهات الدنيوية) . وتشجع اليهودية لاعتدال والتحكم في الذات ، والتعبير عن مواطف والدوافع من خلال قنوات معترف بها ينيا ، مما كان يعني في واقع الأمر تحويل طاقات يوية هائلة للنشاطات الاقتصادية (ماهو في الواقع تحقيق الربح ؟ ليس الترشيد الاقتصادي سوى تطبيق لك القواعد التي صاغت الديانة اليهودية من خلالها حياة اليهود على النشاطات الاقتصادية ، كما قال سومبارت) .

ويمكن أن نضيف أن اليهودية قد حرمت الاقراض بالربا بين اليهود ولكنها أحلته بين اليهودي وغير اليهودي مما فتح الباب على مصراعيه لليهود للاشتغال بالأعمال المالية . وبتراكم رأس المال (وقد رأى سومبارت هذه الأخلاق على أنها ذات « روح سامية » في مقابل الروح الآرية ، ولذا استفاد النازيون من كتاباته) .

وأطروحة سومبارت متطرفة بسبب عموميتها ، فهو يحاول أن يفسر تجربة الأقليات اليهودية الاقتصادية في الغرب استنادا للنسق الديني . وهو نسق يحتوي كل العناصر التي أشار إليها ، ولكنه يحتوي أيضا على عكسها . فاليهودية ، خاصة في كتب الأنبياء تحتوي على أخلاقيات اشتراكية متطرفة - إن صح التعبير - كما أن مفهوم اليوبيل الخاص بتوزيع كل الأراضي كل خمسين عاما يمنع أي تراكم للثروة إن طبق . وتعطي اليهودية الحاخامية مرتبة دنيا للتجارة ، فالشخصية الأساسية في الجيتو لم يكن التاجر وإنما كان العالم التلمودي الذي يدرس التوراة . ولو كان النسق الفكري الديني هو الذي يفسر الدور الاقتصادي لكان دور يهود الأقطار العربية يشبه دور يهود وسط أوروبا في القرن التاسع عشر . ولكن الأمر عكس ذلك تماما .

ولكن مع هذا ثمة عنصرا من الصحة في أطروحة سومبارت . فالنسق الديني اليهودي (في صياغته الأولى ثم في صياغاته التلمودية) يخلق ترابطا اختياريا بين اليهودية والرأسمالية لايمكن إنكاره ، وهو ترابط يخلق تربة خصبة يمكن للرأسمالية كأخلاق وكنسق أن تنمو فيها . ولكن لعل العنصر الحاسم في تحديد العلاقة بين أعضاء الطوائف في أوروبا وظهور الرأسمالية هو علاقتهم بالمجتمع الغربي ودورهم فيه . وأهم سمات هذه العلاقة هي أن موقع اليهودي ظل خارج علاقات المجتمع الاقطاعي الاقتصادية والدينية والأخلاقية ، فكان شخصا غريبا بمعنى الكلمة فقد كان يهوديا في مجتمع مسيحي ، وعضوا في طبقة وسيطة لاتنتمي لا للمستغِلين ولا للمستغَلين .

وقد اضطلع أعضاء الطوائف حتى بداية عصر الثورة التجارية ، بدور تجاري هام رغم هامشيته فكانوا يقومون بنقل الفائض الزراعي والسلع الترفية ، ويؤدون وظائف مالية وتجارية مختلفة في غاية الحيوية للمجتمع الإقطاعي ومع هذا فهي لاتقع في صميم العلاقات الإنتاجية لهذا المجتمع ، ولم يكن بوسع بقية أعضاء المجتمع القيام بها . وقد كان يتم « التسامح » تجاه اليهود طالما أن المجتمع كان في حاجة لهم ، ولكنهم لم يعطوا قط حقوقاً قانونية محددة مثل حقوق وواجبات أهل الذمة في الإسلام . وكانت تصدر مواثيق خاصة تؤمن حقوقهم وتحدد واجباتهم

تدار الضرائب المفروضة عليهم وأماكن إقامتهم . ـانت هذه المواثيق تلغى في أي وقت تنتفي فيه اجة لليهود أو لدورهم الاقتصادي ، فكان بالتالي طردهم . وكان يشار لليهود على أنهم « أقنان اط » ، أي أنهم كانوا خاضعين للملك أو براطور مباشرة بل ويعدون ملكية خاصة له ون له وحده بالولاء الأمر الذي حقق لهم قسطا را من حرية الحركة ، ولكن زاد من عزلتهم عن : قطاعات المجتمع .

ركي والثابت

وقد نتج عن ذلك أن وجود اليهود في الحضارة ربية كان يتسم بعدم التجذر أو الإنتماء الكامل لأي كيل ثقافي أو طبقي محدد فتحولوا إلى عنصر بشري مي يحتفظ برأسماله على هيئة نقود سائلة يمكن ها بسهولة من مكان لآخر . وقد دعم من هذا جاه أنه كان لايسمح لليهود في معظم الأحوال راء العقارات الثابتة .

إن اليهود لغربتهم وعدم تجذرهم وبسبب الطبيعة ائلة لثروتهم تحولوا إلى عنصر بشري متحرك ضوعي ومجرد ، موضوعي لأنه ينظر له دائما من ارج ، ومجرد لأنه لا يوجد داخل سياق محدد ، سبح أعضاء الطائفة يجسدون ضربا من الاقتصاد ركي المجرد داخل الاقتصاد الزراعي الثابت طبيعي ، وقد وصل هذا التجريد إلى قمته في فليم الكامل لعلاقة اليهود بالمجتمع ، وفي احلال لاقات القانونية التعاقدية محل العلاقات التقليدية خصية المبنية على كلمة الشرف والثقة التي كانت ئدة في المجتمع الاقطاعي . فكانت المواثيق التي ح لليهود تحاول أن تنظم كل جوانب العلاقات ـكنة بين المجتمع المسيحي وأعضاء الطائفة ، وهي لاقة كان الهدف منها ، بالنسبة للطرفين ، الربح قتصـ دي المحض . وفكرة القانون اللاشخصي وصـ العلاقات البشرية (علاقات إنسانية بين ياء علاقات إنتاج بين بشر) هو الجوهر النفعي اقتصـ والمجتمع الرأسماليين .

لكن هذا ، أي عدم انتماء اليهود وتموضعهم وتجريدهم ، إلى جانب وجود التبادل الاختياري بين اليهودية والرأسمالية تحول أعضاء الطائفة إلى الخميرة التي ساعدت على نشوء الرأسمالية ، دون أن يكونوا بالضرورة السبب الوحيد أو حتى الأساسي في العملية التاريخية المركبة التي أدت إلى ظهور الرأسمالية .

ويظهر دور أعضاء الأقليات اليهودية كخميرة للنظام الرأسمالي في الغرب في كثير من النشاطات التي لعبوها وفي إبداعاتهم ، فهم كانوا من أوائل من طوروا فكرة الأسهم والسندات التي تحقق تراكما رأسماليا يمكن توجيهه لأي مجال استثماري قد يظهر ؛ أي أنهم أسرعوا بعملية تجريد النقود بفصلها عن الأفراد وعن الرغبات البشرية والعواطف والأخلاق ، وزادوا من كفاءتها كرأسمال ، وجعلوا مقياس الكفاءة الذي يطبق عليها هو معدل الربحية وحسب .

واليهودي الذي تم استبعاده من النظام الإقطاعي كان يقع خارج نطاق قيم المجتمع الدينية والأخلاقية ، كما أن قيمه التجارية الموضوعية المجردة كانت مختلفة عن القيم المسيحية التي كانت تنظر بعين الشك للنشاط التجاري ككل وللربا على وجه الخصوص ، وتهدف إلى أن تجعل من السوق مكانا يلتزم بالحد الأدنى من الأخلاق ، وبأفكار مثل فكرة الثمن العادل والأجر الكافي ، وضرورة إتاحة الفرصة لكل التجار لتحقيق ربح معقول مع وضع حد أقصى للأرباح ، وقد أدت هذه الأخلاقيات (المختلفة من منظور رأسمالي دنيوي) التي تخلط بين الاقتصاد والأخلاق إلى الحد من دينامية التجارة . أما العنصر اليهودي فلم يكن يدين بالولاء لمثل هذه الأخلاقيات ولذا لعب دوراً أساسيا في تحطيمها وفي تقويض دعائم هذا الضرب من الاقتصاد المحافظ الذي تتداخل فيه العناصر الاقتصادية بالعناصر الأخلاقية والدينية . فأسهم أعضاء الطائفة في عملية العلمنة والترشيد ، أي فصل العنصر الاقتصادي عن العناصر الأخرى ، بحيث ظهر اقتصاد تجاري مبني على التنافس، وعلى محاولة تعظيم الربح ويطرح فكرة

[illegible]
إنتاج [illegible] الاستهلاك على [illegible]
[illegible]
كما كان اليهود [illegible] بسبب عدم انتمائهم من أكثر العناصر حركية وتحررا من قوانين السوق الاقتصادية كقيمة مطلقة . فنجد أنهم حاولوا دائما أن يوسعوا من نطاق السوق ومن انتشاره (وهي العملية التي انتهت إلى تحويل المجتمع بأسره إلى النمط الرأسمالي والتي أطلق عليها ماركس عملية « تهويد المجتمع ») . فكانوا دائما يبحثون عن أسواق جديدة وعن زبائن جدد وعن سلع جديدة ، كما انهم كانوا على استعداد لأن ينتجوا سلعا أقل جودة وأقل تكلفة عما كان ينتجه الحرفي أو التاجر في العصر الوسيط الذي كان يعتز بحرفته وتجارته ، وتعود على انتاج سلعة بعينها يرقى بها إلى مستوى معين من الجودة ، لايمكنه أن يتنازل عنه أو يتهاون فيه ، فحرفته كانت جزءاً من ميراثه الشخصي .

بشر عابرون للقارات

ولعل من العناصر الأساسية التي جعلت من اليهود خبرة للنظام الرأسمالي أنهم كانوا عنصرا بشريا « عابرا للقارات » إن صح التعبير ، فكان يهود بولنده على علاقات تجارية ومالية وثيقة مع يهود ألمانيا ، ومع يهود الشرق ، وهكذا . وقد أسهم هذا في تسهيل عملية التجارة الدولية وتوسيع نطاق السوق . كما أنه سهل عملية جمع المعلومات التجارية ، مما جعلهم قادرين على المنافسة .

وقد لعب يهود شرق أوروبا (بولنده) دورا خاصاً . فالباعة اليهود ، وكذا اليهود الذين كانوا يقومون بأعمال الفنادق الصغيرة وتقطير الكحول وتربية الماشية في المناطق الريفية وجمع الضرائب (الأرندة) لحساب كبار الملاك ، ساعدوا على إدخال عناصر التبادل واقتصاد المال . وكان نشاط صغار التجار اليهود في المناطق الريفية يشجع انتاج فائض زراعي لزيادة استهلاك البضائع غير الزراعية ، كما كان يسهم في إبعاد جزء من قوة العمل الزراعي عن الأراضي ، وتوجيهها إلى صناعة الأكواخ المنزلية وخدمات النقل ، وهذا النشاط هو الذي ساعد على خلق قوة عمل غير زراعي في المناطق الريفية تعتمد على الأجور أكثر من اعتمادها على العائد من الأرض .

وبظهور النظرية المركنتيلية زاد الدور الذي يلعبه اليهود داخل النظام الرأسمالي . فهذه النظرية تجعل من « مصلحة الدولة » المبدأ المقبول لدى الجميع بحيث يتم الحكم على الإنسان لا حسب انتمائه الديني وإنما بمدى نفعه للدولة . وقد ظهرت في هذه الفترة فكرة مدى نفع اليهود وفتح المجال أمامهم للاسهام في جميع النشاطات الاقتصادية . وابتداءً من منتصف القرن السابع عشر استعان الملوك والأمراء في وسط أوروبا ـ في ألمانيا وغيرها من الدول ـ باليهود في كثير من النشاطات الاقتصادية مثل التجارة الدولية ، وتمويل الجيوش وعقد القروض والصفقات .

لكل ماتقدم نجد أن تاريخ الطوائف اليهودية في الغرب مرتبط بتاريخ الرأسمالية في كثير من الوجوه . ومن الملاحظ أن كثيرا من الدول التي كانت لها مشاريع تجارية أو استعمارية كانت ترى أن العنصر اليهودي عنصر أساسي في هذه العملية ، ويمكن الاستفادة من خبراته ورأسماله ، ويمكن توظيفه في أماكن نائية وجديدة ، فهو عنصر مجرد دينامي . وقد تم توطين اليهود في بولنده في القرن الرابع عشر (مع التجار الألمان) لتشجيع الاقتصاد التجاري ، ثم تم توطينهم في أوكرانيا بعد ضمها إلى بولنده لنفس السبب . كما تم توطين اليهود في كثير من المستعمرات الاستيطانية والمراكز التجارية التابعة لانجلترا وهولنده في العالم الجديد .

وقد رحب كرومويل بتوطين اليهود في انجلترا حتى ينعشوا الاقتصاد الانجليزي وحتى يكونوا جواسيس له يأتون له بالمعلومات التجارية وسمحت فرنسا ليهود المارانو المطرودين من أ[illegible]انيا بالاستيطان في بعض المراكز التجارية الهامة فيها مثل بايون وبوردو . وقد كان توطين اليهود يأخذ عادة النمط التالي : يبدأ توطين اليهود السفارديم [illegible] من خبرات تجارية مالية ورؤوس أموال وافدة لأن[illegible]

دولية في الدول الغربية والدولة العثمانية ، ثم يجمعهم في معظم الأحوال جماعات من اليهود الاشكناز الذين بدأوا في الهجرة بعد ثورة شميلنكي .

هذه هي البانوراما العامة للدور الذي لعبه اليهود في تكوين الرأسمالية والاقتصاد التجاري ، ويمكننا الآن أن نترك المرحلة التكوينية لنرى أثر ظهور الرأسمالية على أعضاء الطوائف اليهودية ومقدار إسهامهم في الاقتصاد الرأسمالي ذاته . . ونلاحظ أن دور يهود غرب أوروبا يختلف عن الدور الذي لعبه يهود وسط أوروبا وشرقها . وهذا يعود إلى معدلات النمو الرأسمالي في هذه البلاد وإلى علاقة اليهود بالمجتمع ككل . ووضعهم فيه ، فهم في فرنسا وانجلترا وهولنده لعبوا دورا ثانويا ، أو لنقل لعبوا دور الجزء في الكل الاقتصادي الأكبر الذي كان قد اكتسب كثيرا من ملامحه الرأسمالية الحديثة في غيبة اليهود ، وكان يتبعه مشروعه الاستعماري الضخم ، ولذا لم يلعبوا سوى دور منشط جزئياً . أما في شرق أوروبا فإن المجتمعات الأوروبية هناك لم تكن متطورة بمافيه الكفاية ، ولم يقدر للرأسمالية (التي نشأت في مرحلة متأخرة) أن تتطور ، ولم يكن لها مشروع استعماري مهم ، وانتهى الأمر بأن حل النمط الاشتراكي في الإنتاج محل النمط الرأسمالي . ولذا تحول اليهود هناك اما إلى طبقة عاملة أو طبقة برجوازية صغيرة لاوظيفة لها ، وكان من بينهم رأسماليون ولكنهم كانوا نسبة صغيرة لاتتجاوز ٢٪ .

أما وسط أوروبا ، وخاصة المانيا ، فقد ظهر فيها النظام الرأسمالي وأخذ يتطور بسرعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتبلور لألمانيا مشروعها الاستعماري الخاص . وكان اليهود يشكلون عنصرا هاما في عملية التطور الرأسمالي هذه ولكن تم ضرب الرأسمالية الألمانية ومشروعها الاستعماري ثم تحويل المانيا نفسها الى مايشبه المستعمرة بعد اتفاقية فرساي . وحينما عاودت محاولة التصنيع مرة أخرى لم يتم ذلك حسب النمط الرأسمالي الحر ، وإنما تم بتدخل الدولة . وقد راح الرأسمال اليهودي ضحية هذه العملية .

ويتضح تباين معدلات إسهام أعضاء الطائفة في نمو الرأسمالية من بلد لآخر في علاقتهم بالمدن ومدى تركزهم فيها . وظهور المدن وازدياد أهميتها كان يعني أن الوظائف المالية والتجارية الهامشية القديمة أصبحت تحتل المركز . وقد صاحب ذلك تحول في وضع اليهود . فبدلا من كونهم عنصراً بشريا متحركا يحمل رأسمال متحرك ، ويتحرك على أطراف المجتمع تحولوا إلى عنصر بشري يقطن المدينة في داخل المجتمع وليس على هامشه ، لأنهم أصبحوا جزءاً لايتجزأ من الاقتصاد الوطني . وقد أتاح ظهور الرأسمالية فرصة أمام الرأسمال اليهودي المتحرك في أن يدخل الاقتصاد الجديد بنسبة أعلى من الرأسمال المحلي غير اليهودي الثابت (المستثمر في العقارات والمزارع) . وهو الأمر الذي تم انجازه في انجلترا وفرنسا ثم المانيا . أما في شرق أوروبا فعلى الرغم من أن تركز أعضاء الأقلية اليهودية في المدن قد ازداد ، إلا أن سياقه الطبقي كان مختلفا ، إذ أن وجودهم في المدن هو الذي حولهم إلى بروليتاريا .

أما بخصوص علاقة الصهيونية بالرأسمالية فيمكن القول أنها ليست مباشرة ، فالصهيونية ليست جزءاً من التشكيل الحضاري الغربي وإنما هي جزء من التشكيل الإمبريالي الغربي ، يخدم مصالحه الاستراتيجية تحت ظروف خاصة ، هي ظروف الاستيطان في فلسطين . ولذا ، لم تصر الامبريالية الغربية أو البرجوازية اليهودية الغربية أن يأخذ المشروع الصهيوني شكلا رأسماليا محددا ، وإنما سمحت له أن يأخذ الشكل الاقتصادي المناسب ، الذي يضمن بقاءه حتى يستمر في خدمتها . وقد تم التوصل إلى أن الأشكال الجماعية في الإنتاج هي أنسب الطرق لتنفيذ المشروع الصهيوني الاستيطاني الاحلالي ، ولذا بينما كانت الولايات المتحدة المكارثية تحارب الشيوعية في الولايات المتحدة كان الصهاينة في الخمسينيات يحتفلون بعيد العمال في مايو وينتسبون إلى الدولية الاشتراكية ويتلقون المعونات بسخاء من الحكومات الغربية ومن أعضاء الأقليات في العالم الرأسمالي ، ويقومون على خدمة الإمبريالية ! . □

« اسرائيل » تهديد نووي

بقلم : أمين هويدي

ليس هناك مايثبت أن « اسرائيل » لاتملك القنبلة النووية ، لذا فاحتمال وجودها واستخدامها في حرب قادمة ضد العرب يبقى واردا .

ولأنه لاتبدو في الأفق نهاية للصراع العربي « الاسرائيلي » فإن تهديد « اسرائيل » النووي يبقى قائما . لكن كيف ؟ وضمن أي الظروف ؟ في هذا المقال محاولة للاجابة .

لايبدو في الأفق أن للصراع العربي « الاسرائيلي » نهاية قريبة ، لأنه لم « يفرغ » بعد من العوامل الحقيقية التي أدت اليه ، ولأن « اسرائيل » في نفس الوقت تعتقد أن « القوة » هي الحل الوحيد لكل مشاكلها ، الأمر الذي يجعلها تستخدم « القوة » بكثافة وهي تمارس السياسة ، سواء على المستوى الاقليمي أو العالمي ، فهي لاتؤمن « بالدبلوماسية » وسيلة من الوسائل لحل التناقضات ، ولاتؤمن بسياسة « الاقناع » ، بل تميل دائما الى تطبيق سياسة « التخويف » ، وبذلك تصاعدت « غرائزها » العدوانية بمرور الزمن ، وخاصة أمام « تقوقع » الارادة العربية وعجزها عن رد العدوان .

هذه العقيدة العدوانية تجعل من « اسرائيل » « حالة خاصة » ، لاتتمشى مع التغير الذي حدث في مفهوم « الصراع » في ظل العصر النووي ، فالتعريف الشائع للصراع هو أنه « تصادم ارادات وقوى بين خصمين أو أكثر ، حيث يكون هدف كل طرف من الأطراف تحطيم الآخر كليا أو جزئيا ، بحيث تحكم ارادته في ارادة الخصم ، ومن ثم يمكنه أن ينهي الصراع بما يحقق أهدافه وأغراضه » هذا التعريف لايتمشى أبدا مع التطور الخطير الذي حدث في ممارسة الصراع ، اذ أصبحت الصراعات الاقليمية« صراعات اقليمية عالمية » في حقيقتها ، وان كانت«اقليمية» في ظاهرها ، وربما أصبحت هذه الصراعات الاقليمية « صراعات اقليمية بالو...

[illegible] وعلى ذلك فانه أصبح من المحتم أن يصل الصراع
الى نقطة بين « الهزيمة » و « الانتصار » ، أي أنه
يمكن ألا يحظى بتحقيق « الأغراض الكاملة » أو
« الأمن المطلق » لأي طرف من الأطراف ، بل
يقتصر ما يحققه على « الأغراض الناقصة » أو « الأمن
المتبادل » للأطراف المتصارعة - بعض الانتصارات
وبعض الهزائم - الاكتفاء بالممكن وليس التطلع الى
المرجو - وبذلك أصبح الغرض من الصراع ليس
تحطيم ارادة الطرف الآخر ، بل تليين هذه الارادة
ليتم التلاقي في منتصف الطريق ، فالسلام الحقيقي
لايمكن فرضه بالقوة ، لأنه ان تم ذلك أصبح السلام
مجرد « وقفة » في طريق الصراع ، اذ تكون
الاتفاقيات المفروضة معبرة عن « توازن القوى » بين
الموقعين عليها ، وليس « توازن مصالحهم » ،
فالسلام الحقيقي يعبر عنه بالمعادلة الآتية :

السلام الحقيقي اختفاء الجوانب المادية والمعنوية
للصراع + تطبيع العلاقات .

أما اذا تم التطبيع دون القضاء على الجوانب المادية
والمعنوية للصراع فان هذا يعتبر مجرد « تسوية
مؤقتة » ، تزول بتغير « موازين القوى » لصالح هذا
أو ذاك .

وعلى ضوء ادارة الأزمات بالعقيدة التي شرحناها
أصبح كل من توازن القوى والردع ركنين أساسيين
في الصراع الدائر بين العرب و « اسرائيل » .

وتوازن القوى - في رأيي - هو الحالة التي تصل
فيها أطراف النزاع الى وضع يتعذر عليها في ظله
اللجوء الى استخدام القوة لفض النزاع ، واذا لجأت
الى استخدام القوة يكون القتال محدودا وفي أضيق
الحدود ، أو أنه هو الذي يحقق الاستقرار
الاستراتيجي بالعمل على التقليل من اشتعال
الحروب والحد منها لو استمرت . ومعنى ذلك أن
« التوازن القوي » عامل مهم في تحقيق « الردع »
الذ[ي] نعني به منع الأطراف من اللجوء الى القوة في
تحق[يق] أغراضها ، أو هو في عدم استخدام القوة على
الر[غم] من توافرها ، أو هو في تجنب القتال . ويهدف
« ال[رد]ع » الى منع قوة معادية من اتخاذ قرار باستخدام

[illegible] أو [illegible] على [illegible]
باستخدام أسلحة القتال [illegible] موقف معين .

وعلى ذلك فالاستراتيجية الرادعة لا تستخدم
أسلحتها ، لأنها تعمل على المقاربة بين المخاطرة
المتوقعة والمصلحة المحققة . ولابد أن نفرق بين
الردع والقتال ، فالردع يهدف الى منع العدو من
استخدام قرار بالتدخل أو العدوان . أما القتال
فيهدف الى اجبار الطرف الآخر على اتخاذ قرار بقبول
الشروط المطلوب فرضها عليه . ويفشل « الردع »
حينما يبدأ « القتال » .

وواضح أن الصراع الدائر في المنطقة بين
« اسرائيل » والعرب وهو صراع بين فرض الأمر
الواقع الذي تقوم به « اسرائيل » ورفض الأمر الواقع
بواسطة العرب - قد أثبت أن توازن القوى التقليدي
بين الأطراف لم يصل الى حد يمكن أحدها من تحقيق
كل أغراضه ، كما أثبت فشل الرادع التقليدي ،
بدليل أن القتال مستمر، تتخلله فترات سكون ، تعيد
فيها الأطراف تنظيم قواها ، ليبدأ القتال من جديد .
وسبب فشل الرادع التقليدي « الاسرائيلي » هو أنها
قلبت مفاهيم الردع ، فبدلا من استخدامه لمنع
القتال استخدمت القتال وسيلة للردع ، أما سبب
فشل الرادع التقليدي العربي فيرجع أساسا الى وجود
فجوتين ، الأولى تتمثل في الفجوة بين توافر وسائل
الردع وغياب العزيمة على استخدامها مما أوجد
الفرصة للعدوان الصغير أو الكبير للمرور دون
عقاب أو توقع العقاب ، والفجوة الثانية تكمن في
غياب العمل العربي المشترك ، على الرغم مما يحققه
من ضمان وأمان .

الرادع النووي « الاسرائيلي »
بديل لرادعها التقليدي عند فشله

أدت السياسة التوسعية « لاسرائيل » وخوفها من
التعرض لضغوط عالمية أو اقليمية تحول بينها وبين
ضم الأراضي الى لجوئها الى تصعيد سلم الردع
التقليدي الى منتهاه ، ولم يعد ذلك كافيا لحالة القلق
المزمنة التي تعيشها من جراء خوفها من يوم تتخلى فيه
الولايات المتحدة الامريكية عن تأييدها الأعمى لها ،

أو وصول العرب الى حالة التعادل التقليدي معها Conventional Parity فتلجأ الى الخيار النووي ـ وقد عبر « ايغال آلون » في كتابه « إنشاء الجيش الاسرائيلي وتكوينه » عن ذلك بدقة حينما قال : « يجب على اسرائيل الا تسمح ـ مهما كانت الظروف بجعل وجودها يعتمد على ضمان خارجي لعدة أسباب . فقد يؤدي ذلك الى خضوع « اسرائيل » لضغط سياسي حول حل النزاع العربي « الاسرائيلي » يكون في صالح الأعداء . أو قد لاتكون الدولة الضامنة متفقة معنا تماما في تقديرنا للموقف . أو قد تصلنا مساعدة حلفائنا بعد فوات الأوان في حالة الحرب . وأخيرا فإننا نعيش في عالم « اصنعها لنفسك » . واستمرار بقائنا يعتمد على قدرتنا الذاتية في الدفاع عن أنفسنا دون معاونة خارجية » .

وهناك عوامل أخرى الجأت « اسرائيل » الى الخيار النووي اهمها :

١ ـ سرعة تآكل السلاح التقليدي في المعارك الحالية

ففي حرب اكتوبر ١٩٧٣ مثلا ألقى الجانبان ٥٠٠٠ دبابة ، ٢٠٠٠ طائرة في معارك ضارية ، وكانت الخسائر جسيمة في الأرواح والمعدات طوال الأسابيع الثلاثة التي استغرقتها عمليات القتال ، حتى وصل معدل الخسائر الى تدمير أكثر من دبابة كل ١٥ دقيقة ، وأكثر من طائرة كل ساعة ، وهذا العامل في صالح العرب لقدرتهم المتفوقة على تحمل الخسائر . ومن الأيام الأولى لحرب ١٩٧٣ تبخرت الامكانيات « الاسرائيلية » ، ورفعت القيادة « الاسرائيلية » شعار « انقذوا اسرائيل » Save Israel وهي تطلب تعويض المعدات من الولايات المتحدة .

٢ ـ زيادة تكلفة الرادع التقليدي وتعقيده :

وصل الجيش « الاسرائيلي » الى حده الأقصى ، ومن الصعب زيادة حجمه أكثر من ذلك ، للتناقض بين الزيادة في الحجم مع الضرورة الحتمية للبناء الاقتصادي للدولة ، ومواجهة استيطان المهاجرين الجدد ، وبناء الصناعات الحديثة ، والتوسع في برامج التعليم والصحة وقد وصلت « اسرائيل » الى نهاية حدود قدرتها على تطوير الأسلحة التقليدية وشرائها ، ولذلك فإن السلاح النووي يحل مشكلة الردع بتكاليف أقل ، وبصورة ثابتة . ثم عاد دايان في حديث الى يديعوت احرونوت في ١١/٤/١٩٧٦ ليؤكد أن « اسرائيل » وصلت الى أقصى حدود القدرة على استيعاب كمية اضافية من الأسلحة التقليدية ، ويجب الوصول الى خيار نووي ، حتى يعرف العرب أننا نستطيع تدميرهم ... اننا لانستطيع أن نطور الى ما لانهاية أجيالا جديدة من الطائرات ، وتحول البلاد الى مخزن سلاح كبير ، وعلينا التزود بسلاح مدمر ، كرادع للأقطار العربية ، اذ لانستطيع اللحاق بكميات السلاح الضخمة التي يتزود بها العرب . » .

وهناك عوامل أخرى لاتقل أهمية عن العاملين السابقين ، تعمل حافزاً « لاسرائيل » للاتجاه الى الخيار النووي ، مثل صعوبة حيازة العرب للرادع النووي في المدى القريب ، وخاصة بعد أن أعطت لنفسها الحق في تحديد المستوى التقني الذي لايجوز للدول الاقليمية أن تتعداه ، وكذلك لاستنزاف الطاقات العربية ، خاصة بعد أن بدأ العرب في تعبئة مواردهم .

بعض « الاسرائيليين » يعارضون الخيار النووي « الاسرائيلي » ، منهم أبا ايبان ويسرائيل جاليلي ، على اساس أن الرادع النووي « الاسرائيلي » سوف يصبح حافزا للرادع النووي العربي ، أو حافزا لدخول روادع أخرى الى المنطقة ، على أساس أنه ليس بالضرورة أن يردع السلاح النووي بسلاح من العائلة نفسها ، كما يرى أصحاب هذه المدرسة أن الرادع النووي « الاسرائيلي » لايحل المشاكل التي

دمت الى السعي اليه ، وأنه يزيد من عزلة «اسرائيل» بل هناك من يشكك في أن «لاسرائيل» قدرة نووية أصلا ، وخاصة بعد اتباعها سياسة «الردع بالظن» .

ويؤيد هذا الاتجاه تقرير لجنة الخبراء التي شكلها السكرتير العام للأمم المتحدة ، بناء على تكليف منظمة الدولية والمقدم الى اللجنة المتخصصة في الدورة ٣٥ لعام ١٩٨٠ ، اذ ينص على «وجود دول نووية غير معلنة مثل جنوب افريقيا و«اسرائيل»» ، وفي ١٩ يونيو ١٩٨١ قدمت لجنة الخبراء تقريرا ورد في البند ٥٥ منه النص الآتي : «هناك اقتناع عام عند الخبراء الفنيين أن لدى «اسرائيل» القدرة على صناعة قنابل ذرية ، وتتوافر لديها امكانيات الاطلاق» .

وعلى أي حال ، وإزاء الغموض والشك هناك تصورات أربعة عن قدرة «اسرائيل» النووية :

التصور الأول : أن «اسرائيل» تملك فعلا عدة رؤوس نووية ، وأجهزة لإطلاقها .

التصور الثاني : أن «اسرائيل صنعت أجزاء عدة رؤوس نووية ، وحفظتها مفككة في مخازنها ، لإعادة تجميعها في فترات محدودة ، حينما تدعوها الضرورة لذلك .

التصور الثالث : أن «اسرائيل» حصلت على المعرفة التقنية لصنع سلاح نووي ، وتوقفت عند ذلك ، لتفادي التعقيدات الدولية ، ولتجنب كثرة النفقات .

التصور الرابع : أن «اسرائيل» لاتملك المعرفة التقنية لصناعة سلاح نووي ، ولذلك فإنها لاتملكه ، بـ[illegible] ي بمنع أي دولة اقليمية من الحصول على هذا [illegible]

، فان حيازة «اسرائيل» لقدرة نووية من نوع [illegible] غالب ، وهناك قاعدة ذهبية في التعامل الاستراتيجي هي أنه مالم تتوافر لديها معلومات مؤكدة عن نفي وجوده يظل احتمالا قائما ، لابد من وضعه في الحسبان ، منعا من أن تفاجئنا الأيام بموقف تصعب مواجهته .

٣ ـ تقييم الرادع النووي «الاسرائيلي»

ترى «اسرائيل» أن القوانين التي تنظم الحروب تفقد قوة الزامها اذا تعارضت مع تحقيق أغراضها .

أو اذا وقفت حائلا دون مواجهة أخطار عهدها ، فالضرورات تبيح المحظورات كما تأخذ بنظرية «حق المحافظة على الوجود» «Self Preservation» ، أي اتخاذ اجراء وقائي في دولة أخرى ، لوقف عدوان منتظر ، تحت شعار الضربة الوقائية ، أو الضربة الجراحية ، على الرغم من أن هذا الاجراء يعتبر تدخلا أكثر منه دفاعا عن النفس ، ويعتبر عدوانا بكل المعاني ، مثل قيامها في ٧ يونيو ١٩٨١ بضرب المركز النووي العراقي وتدميره «اوزاريك» بالقرب من بغداد . وخطورة هذا الإجراء أن «اسرائيل» لم تعد تكتفي بخرق الحدود الدولية للدول المجاورة فحسب ، بل أخذت تخترق الحدود الدولية اختراقا رأسيا على الرغم من المسافات الشاسعة ، والقوانين الدولية . والأخطر من ذلك رد فعل القوتين العظميين الذي كان أقرب الى المباركة والتشجيع منه الى الاحتجاج والعقاب . واعتبرت الدولة النووية فعلا في حالة دفاع شرعي ضد دولة وقعت على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ، بل أخضعت نفسها لاجراءات تفتيش وكالة الطاقة الذرية .

وعلينا في ضوء هذه العقائد الشاذة أن نقيم الرادع النووي «الاسرائيلي» في ضوء مقارنته مع الرادع التقليدي الاقليمي والرادع النووي العالمي

أولاً : الفرق بين الرادع التقليدي الاقليمي والرادع النووي الاقليمي

الرادع التقليدي الاقليمي	الرادع النووي الاقليمي
أكثر مصداقية في الدفاع أو الهجوم أو ضد أعمال الفدائيين والمتسللين ، وليس على استخدامه في القتال قيود دولية .	لم يستخدم في القتال بعد هيروشيما وناجازاكي ، ولايمكن استخدامه الا في الضرورة القصوى ، في حالة تعرض البقاء للخطر ، وعليه قيود دولية اختيارية لمنع انتشاره .
يستهدف القوات المسلحة كأسبقية أولى ، والأهداف المدنية كأسبقية ثانية في حالة الصراع العربي « الاسرائيلي » .	يستهدف الأغراض المدنية الممتازة كأسبقية أولى لعدم توافر الرءوس النووية أو وسائل الاطلاق الكافية .
خطورته في قوته التدميرية .	خطورته الحقيقية في الاشعاعات الحرارية ، والاشعاعات الفورية (أشعة جاما والنيترونات وجزيئات الفا وبيتا الناتجة خلال دقيقة واحدة من الانفجار » أو الاشعاعات الآجلة (التلوث نتيجة السحب التي تهبط على الأرض) .
تحديد الأغراض وتحليلها ، وتجميع المعلومات عنها يحتاج الى خطة معلومات معقدة ، تشترك فيها جهود المخابرات المختلفة .	الأغراض هنا أغراض القيمة المضادة ، كأسبقية أولى وتكون أهداف القوة المضادة كأسبقية ثانية ، والمعلومات عنها متيسرة حتى من المصادر المكشوفة .
فرص نجاح الرادع تعتمد على منابع من القوى المركزية .	يعطي حرية أكبر لصاحب القرار .
يحتاج الى عدد من القوة البشرية وتجهيزات ومعدات ضخمة متطورة .	تشغيله يحتاج الى عدد محدود من الأفراد
لكي يصل الى نتيجته الحاسمة لابد من أن يصل الى أعلى درجات العنف .	يمكنه أن يصل الى أغراضه بالاستخدام المحدود والمتدرج .
وسائله متوافرة لدى أطراف الصراع .	هناك احتكار نووي « اسرائيلي » .

نخرج من ذلك بحقيقتين محددتين :

* أن الرادع النووي « الاسرائيلي » يحل لها مشاكلها من ناحيتي ارتفاع تكلفة الرادع التقليدي والقوة البشرية .

* ويحقق لها حرية القرار ، خاصة في فترة الاحتكار النووي .

وهناك عامل مهم ، يحتاج الى بحث تفصيلي ، وهو مايتعلق بالمصداقية ، أي بمصداقية استخدام السلاح النووي في القتال في الصراعات الاقليمية ، وخاصة وهو في يد جهة « كاسرائيل » ، وهذا يقودنا الى مقارنة استخدام الرادع النووي على المستويين العالمي والاقليمي .

ثانيا : الفرق بين الردع النووي الاقليمي والردع النووي العالمي

ـ من الخطأ الفادح التعميم في موضوع الـ[illegible]ع النووى ، ليس على المستويين العالمي والاق[illegible]مي فقط ، بل بين الأقاليم المختلفة أيضا وفي د[illegible]ل الاقليم الواحد لاختلاف الظروف والمخ[illegible]

اح . فعلى سبيل المثال لم يكن من المحتمل أن
ستخدم « اسرائيل » الرادع النووي حينما عبرت
ات المصرية القناة في ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، لكن
من المحتمل استخدامه لو أن الموقف تطور الى
ة ساحقة تهدد وجودها ، أو لو أن القوات
سرية عبرت حدودها عام ١٩٦٧ ، وحققت
صارات تهدد كيانها حينما كانت القوات المصرية في
تز حشدها بالقرب من الحدود السياسية .

١ - واذا كان هناك هذا التفاوت بين المستوى
لي والاقليمي فانه لا يجوز والحالة هذه تطبيق
انين التي تنظم عملية « ادارة الأزمة أو الصراع »
مستوى القوتين العظميين على المستوى الاقليمي
صراع العربي « الاسرائيلي » ، اذ لا يعقل تطبيق
عد الاشتباك بالمدفعية على اشتباك يحدث
ادق ، كما لا يمكن تطبيق قواعد الاشتباك بين
ن في أرض المعركة على اشتباك يحدث لتفريق
هرات . فعلى المستوى العالمي يملك السوفييت
، من الرءوس النووية الذرية وكذلك
يكان ، أما على المستوى الاقليمي فيمكن اعتبار
لدولة نووية - كما ورد في تقرير السكرتير العام
مم المتحدة عام ١٩٨١ - اذا امتلكت ١٢ رأسا
، على الأقل مع وسائل اطلاقها ، اذ يعطي هذا
م القدرة على ضرب أربع مدن ، بواقع ثلاثة
س ذرية قوتها ٢٠ كيلو طنا لمدينة واحدة أو ١٢
: اذا خصص لكل منها رأس ذَرِّي واحد . واذا
نا احتمال الأخطاء التي تحدث بواقع رأس واحد
كل ثلاثة رءوس فيمكن للاثنى عشر احداث
ر جسيمة في مدن يتراوح عددها من ٣ - ٨ .

١ - هذا التفاوت في الحجم المتاح على المستويين
ي والاقليمي غير معنى المصطلحات الفنية المتفق
، مثل : القوى النووية لمسارح العمليات
، والتدمير غير المحتمل ، والتدمير المؤكد ،
ل ـجات الردع ، والرد المرن،والتعادل
ر.

١ - تتعدد المستويات في الرادع النووي
ليم ، اذ لا يوجد ما يسمى « الردع المتدرج » ،
بل وتوجد على المستوى العالمي : الحرب النووية
التكتيكية وكذلك الاستراتيجية ، وهذا غير موجود
على المستوى الاقليمي .

٥ - لايحتاج الرادع النووي الاقليمي الى نفس
الترتيبات المعقدة التي يحتاجها على المستوى العالمي ،
فلا هو يحتاج الى قيادات وأجهزة سيطرة تعمل من
الجو ، ولا الى تحصينات هائلة ، ولا الى قاذفات
حاملة للقنابل الذرية على درجة استعداد وهي تطير
في الجو خوفا من ضربها وهي على الأرض ، ولا الى
صواريخ عملة على قطارات تجري على قضبانها .

٦ - الصفوة الحاكمة التي تمسك بزمام الرادع
النووي العالمي صفوة « نصف عاقلة » ، تجري
حوارها على أساس حسابات منطقية ، لكن الصفوة
التي قد تدير الرادع النووي الاقليمي صفوة اما
مجنونة أو جاهلة أصول الصراع . ولنا أن نتخيل
رادعا نوويا تحت سيطرة مناحيم بيجن ، أو اسحاق
شامير ، أو ابرييل شارون ، وفي هذا الصدد يقول
الجنرال بوفر : « في ظل الانتشار النووي سيكون
المصير في يد عدد متزايد ليس بينهم الا قلة يمكنها
تحمل هذه المسئولية الثقيلة . ان افتراض الجنون بين
هؤلاء الرجال شيء متوقع ، لكن الأكثر توقعا
والداعي للقلق المتزايد في نفس الوقت هو عدم
المعرفة ، اذ أن المشكلات المتعلقة بالسلام والحرب
أصبحت بالغة الدقة ، مما يجعلها غير مفهومة تماما
لكل رجال السياسة الذين تأتي بهم المصادفة الى
السلطة ، كما أن بقاء بعض المفاهيم التقليدية في
الحرب التي لاتصلح لمفاهيم اليوم قد تُسبب وقوع
كوارث مروعة ، وباختصار فان الانتشار النووي
مدعاة لأقصى درجات القلق ، فلا يمكن أن يتحقق
الاستقرار الا في الدول النووية العاقلة ، ولابد من
الحذر من وضع أعواد الثقاب في أيدي الأطفال » .

ونخرج من ذلك أن المقاييس التي تتحكم في
الروادع النووية على الصعيد العالمي لايمكن أن
تتحقق وتطبق في الصراعات الاقليمية . ومعنى ذلك
أن استخدام الرادع النووي في القتال في حالة توافره
أكثر احتمالا في الصراعات الاقليمية ، وهو أمر

[illegible] ١٩٦٨ ؟

مما لا يمكن [illegible] ، وخاصة أن التاريخ قد سجل لنا أن [illegible] سلاح مثل مرحلة الاخيرة الا استخدم فيها .

وهذا المفهوم الذي يميز الصراعات النووية العالمية عن الصراعات النووية الاقليمية هو الخطر الحقيقي الذي نتوقعه من « إسرائيل » النووية ، وخاصة اذا ظلت تؤمن أن القوة هي العامل الوحيد للممارسة الدبلوماسية .

لكن هل الرادع النووي « الاسرائيلي » يمكنه فرض استقرار اقليمي لايحققه توازن المصالح لأطراف الصراع ؟ وهنا أيضا تختلف الآراء بين مؤيد ومعارض .

١ ـ فالذين يرون أن الرادع النووي « الاسرائيلي » يفرض استقرارا ظالما جائرا يؤيدون وجهة نظرهم بآراء عديدة أهمها : ـ

أ ـ الخوف الذي يفرضه الرادع النووي الذي يعمل كلقاح مهدىء للعنف .

ب ـ الرادع النووي هو الوسيلة الوحيدة للسباق في التسليح التقليدي مع العرب ، فالرادع النووي « الاسرائيلي » هو البديل الوحيد للرادع العربي التقليدي ، اذ يفرض الاستقرار على أساس قاعدة « التدمير » المرفوض أو غير المحتمل Unacceptable Deterrence .

ج ـ الردع المحقق عن طريق الرادع النووي « الاسرائيلي » يفرض فترة هدوء اجبارية ، تكون بمثابة تمهيد لتهدئة التوتر فالتقنية تؤدي الى زوال الحروب الذي يؤدي بدوره الى السلام

د ـ الاحتكار النووي « الاسرائيلي » يفرض الاستقرار ، وفي حالة تعدد القدرات النووية في يوم ما سوف يتحقق الاستقرار عن طريق الرعب النووي ، أو الخوف من التدمير المتبادل لتوافر القدرة على الضربة الثانية لدى كل الأطراف ، وهذا كفيل بتردد كل الأطراف في اللجوء الى الضربة الأولى ، أي العدوان .

٢ ـ وفي المقابل هناك آراء تعارض ذلك ـ ونحن منهم ـ ونرى أن الرادع النووي « الاسرائيلي » لايمكنه أن يفرض استقرارا جنحا للآتي : ـ

أ ـ الرادع النووي بالحجم المحدود ليست لديه المصداقية اللازمة لردع أي حرب تقليدية عادلة .

ب ـ يمكن مواجهة الرادع النووي برادع آخر من فصيلة أخرى لايقل تأثيرا عنه ، وهو ما سميناه « الرادع فوق التقليدي » ، وهو عبارة عن الأسلحة الحارقة أو الكيماوية والبيولوجية .

ج ـ القدرة العربية على امتصاص الضربة الأولى أكبر من القدرة الاسرائيلية ، حتى على المستوى النظري .

د ـ كل طرف رهينة عند الطرف الآخر ، فاذا كان الشعب العربي رهينة عند « الاسرائيليين » فالشعب « الاسرائيلي » رهينة عند العرب .

وعلى « اسرائيل » أن تجيب عن الأسئلة الآتية ، لتعرف الفرق بين قدرة العرب على امتصاص الضربات مقارنا بقدرتها : ما الذي كان يحدث « لاسرائيل » لو واجهت نفس موقفنا في حرب ١٩٦٧ بعد ضرب قواتنا الجوية ؟ وما الذي كان يحدث لها لو ضربت تل أبيب والقدس وبير السبع بالغازات والمدفعية والصواريخ كما ضربت السويس والاسماعيلية والقاهرة وبحر البقر وحلوان والمعادي وبيروت وبغداد وحمص ودمشق ؟

الخاتمة :

إن « إسرائيل » وهي تسعى لفرض استقرار إقليمي يحقق لها مطامعها أخذت في تصعيد مستوى الروادع حتى وصلت إلى الرادع النوو[illegible] ، ولكن للاستقرار جناحان : توازن القوى وتو[illegible] المصالح فالاتفاقيات التي تحقق الاستقرار إن عب[illegible] عن قوى الموقعين عليها كانت اتفاقيات رديئة : [illegible] تمت تحت مظلة نووية ، والاتفاقيات الرديئة هي [illegible] حتى بعد تغيير توازن للقوى ، ولذلك فإن الاتف[illegible] يجب أن تكون عاقلة تراعي توازن المصالح لأ[illegible] وحده سواء كانت تقليدية أو نووية لن تحقق [illegible] استقرار

فرنسا وجذور الحركة الصهيونية غير اليهودية

بقلم : رياض معسعس *

قبل إعلان الحركة الصهيونية رسميا في مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ لم تكن الصهيونية حركة يهودية ، بل كانت مرتبطة بشكل وثيق بأعتى دول الاستعمار الغربي ، وإن كان الدور البريطاني معروفا في إنشاء الصهيونية غير اليهودية فإن دور فرنسا لم يكن ليقل خطورة .

هذا المقال محاولة لتتبع ظهور الصهيونية غير اليهودية في تلك الدولة الاستعمارية منذ البدايات الأولى حتى وعد بلفور .

كثيرا ما يعتقد بعض الناس بأن الصهيونية أيدلوجيا وتطبيقاً هي وقف على الطائفة ـية التي تعمل على ترويجها وتنفيذ مخططاتها دون ـا ، بيد أن هذا الاعتقاد خاطيء ، فالصهيونية ـليهودية هي أشد فاعلية وخطرا من الصهيونية ـنية ـسها في مواقف ومواضع شتى .

وكا ـلأحداث التاريخية ، والوثائق العديدة على ـمه ـية غير اليهودية كانت ومازال الأداة ـسية ـ، عملت على ترسيخ أقدام اليهود في فلسطين العربية ودعمهم ماديا ، وسياسيا ، وفكريا .

ويطول المقام إذا أردنا التحدث عن هذه الظاهرة بأكملها ، والتطرق لجميع جوانبها ، ولنشأتها في البلدان المختلفة ، على الرغم من الترابط العضوي بين جميع أطرافها ، لذا فإننا نقصر مقالنا هذا على فترة معينة وبلد معين .

إن الصهيونية كايديولوجية وحركة سياسية منظمة، لم تطف على السطح على صعيد فرنسا مثلا ، ولم يظهر

* ـنب ـلقطر العربي السوري مقيم في باريس .

[illegible] القرن التاسع عشر ، إلا أن [illegible]
[illegible] ،
المؤتمر الصهيوني الأول في بال عام ١٨٩٧ لم يكن الانطلاقة الأولى ، بل كان تتويجا لتطورات مختلفة ، ومراحل عديدة اكتمل تشكيلها في رحم الأحداث والانقلابات السياسية والاقتصادية في أوروبا منذ بداية عصر النهضة .

اليهود والماشيح

ولاستكمال الصورة وتوضيحها لابد من العودة إلى الجذور الأولى في المسألة اليهودية ، فبالنسبة للمسيحية الكاثوليكية التقليدية لم يكن في أدبياتها أدنى إشارة إلى مقبولة الاساطير اليهودية في عودة « الماشيح » وقيادته لشعب الله المختار إلى ارض الميعاد ، وطبقا « للعقيدة الكاثوليكية » « فان اليهود كانوا قد طردوا من فلسطين إلى منفاهم في بابل قصاصا لهم لاقترافهم الذنب الأكبر ، وأن أرض فلسطين هي ملك للمسيحية ، وعندما أنكر اليهود أن عيسى بن مريم هو المسيح ، نفاهم الله مرة أخرى إلى الأبد وأبقى وجودهم كأمة ، أما كأفراد فبإمكان أي يهودي العودة إلى الايمان الحقيقي وطلب الخلاص الروحي باعتناقه المسيحية » . حتى أن بيير لرميت عندما راح يدعو أوروبا المسيحية إلى القيام بغزو فلسطين لم يكن يقوم بذلك ليعيدها إلى « أصحابها اليهود » ، وإنما كان من أجل طرد المسلمين الكفار ، وإقامة « الامبراطورية المسيحية » ، حتى أن الصليبيين عندما احتلوا بيت المقدس جمعوا يهود المدينة في الكنيس وأحرقوهم فيها أحياء

ففلسطين بهذا المفهوم تعتبر الوطن المقدس الذي أورثه المسيح لأتباعه المسيحين

وخلاصة القول ان الصهيونية غير اليهودية حتى عصر النهضة كانت غائبة تماما عن أوروبا ، غير أن قدوم مارتن لوثر ، وانبثاق حركة الاصلاح الديني قد قلبت المفاهيم رأسا على عقب ، فمبادىء لوثر كانت مغايرة تماما لمبادىء الكاثوليكية ، لاسيما ما يخص المسألة اليهودية ، إذ أن التغييرات اللاهوتية في الحركة الدينية الجديدة قد روجت لفكرة أن اليهود له حضارة ، وأضحت من فكرة « أرض الميعاد » . كما [illegible] إعادة اكتشاف « العهد القديم » في الحركة البروتستانتية واعتباره عنصراً أساسيا في مذاهب الحركة ، بعد أن كان مهملا من قبل الكاثوليكية ؛ قد عزز النزعة اليهودية ، ودعم وجهة نظرها في الأوساط المسيحية الجديدة ، فأضحت بذلك فلسطين أرضا يهودية في الفكر المسيحي في أوروبا البروتستانتية ، ويبدأ منذ ذلك الوقت الاهتمام بتحقيق النبوءات التوراتية ، لاسيما « العصر الألفي السعيد » الذي هو الاعتقاد بعودة الماشيح المنتظر الذي سيقيم مملكة في فلسطين تدوم ألف عام .

وبهذا يمكن القول بأن القرن السادس عشر كان بداية التأكيد على الشخصية اليهودية . وقد استمرت هذه الحركة في الانتشار عبر القرون اللاحقة إلى أن بلغت ذروتها في القرن العشرين مع مذهب « العصمة الحرفية » المنتشر في أمريكا ، الذي يقول بأن « اسرائيل » في وضعها الحالي هي التحقيق الواقعي للنبوءة في العصر الحديث .

امتدت أفكار الاصلاح الديني إلى فرنسا ، وقد حلت معها ـ بطبيعة الحال ـ فكرة « العصر الألفي السعيد » التي وجدت من يروجها ، ويعمل من أجلها ، ففي بداية القرن السابع عشر كتب اسحق دولا بيرير كتابه « دعوة اليهود » الذي دعا فيه إلى مد يد العون لليهود ومساعدتهم في العودة إلى الأرض المقدسة ، ثم تبعه قس فرنسي آخر هو بيير غوريو ليطالب بإعادة تأسيس المملكة اليهودية في أرض الميعاد في كتابه « استكمال النبوءات »

وقد تعدت هذه الأفكار رجال الكنيسة إلى كبار المفكرين الفرنسيين كجان جاك روسو وباسكال ، فظهرت في كتاباتهم الدعوة لقيام دولة يهودية ، ثم تعدتهم هذه الفكرة لرجال السياسة الذين وجدوا فيها خير وسيلة للوصول إلى مآرب سياسية واقتصادية في الشرق .

نابليون بونابرت : صهيونية الامبراطور

لقد طرحت قضية اليهود إبان الثورة الفرنسية ، وفور إعلان حقوق الانسان أعطي اليهود حق

● جندي اسرائيلي يصفع فتاة فلسطينية على مرأى من العالم .

« امبراطورية الشرق » ، بيد أن الأوساط الفكرية استمرت في نشر الفكرة الصهيونية وتأييدها ، وفي عام ١٨٧٣ عرض الكسندر دوما الابن مسرحيته « زوجة كلود » التي يتحدث فيها عن حقوق اليهود في فلسطين ، وضرورة إعادة بناء دولتهم ، وفي الفترة نفسها أسس المليونير اليهودي ادموند روتشيلد أول مدرسة زراعية سميت « مكيف اسرائيل » ، وذلك بمساعدة « الرابطة اليهودية العالمية » .

ولم تمض سوى بضع سنوات حتى ظهر البيان الأول للصهيونية الحديثة في عام ١٨٨٢ الذي يدعى « بالانعتاق الذاتي » الذي دعا إليه ليو بنسكر أحد اليهود الروس القاطنين في المانيا ، وتبعه تيودور هرتزل في عام ١٨٩٥ بإصدار كتابه « الدولة اليهودية » ، متأثرا بفضيحة الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس الذي اتهم بالتجسس لصالح المانيا ، والذي أثار الجدل والانقسامات في أروقة السياسة الفرنسية ، كما حدث لدى الشعب الفرنسي ، إذ جند كثير من السياسيين والمفكرين أنفسهم للدفاع عن اليهود . ويمكننا على سبيل المثال ذكر الشاعر الكاتب شارل بيجي الذي خصص كثيرا من أشعاره وكتاباته للدفاع عن اليهود ، والدعوة لعودتهم إلى فلسطين ، وأميل زولا في كتاباته الشهيرة . وقد احتدم الصدام بين مناصري دريفوس الذين كانوا يأملون من خلاله اليهود ، وبين مناهضيه الذين كانوا يضمرون في أنفسهم كراهية لليهود ، حتى أعيد الاعتبار للضابط الفرنسي ، وانتهت هذه المسألة التي وصفت بمحاكمة العصر لصالح اليهود ، غير أن مضاعفاتها كانت من الأهمية بمكان بحيث جعلت قسما من الرأي العام الفرنسي يتعاطف مع قضايا اليهود والصهيونية .

القرن العشرون : قرن الصهيونية

إن البذور التي زرعتها الصهيونية خلال القرن التاسع عشر في مختلف الدول الغربية كانت تنبئها بمحصول وفير ، لا سيما أن رياح الأحداث التاريخية كانت تسير وفق ماتشتهيه سفن قادة الصهيونية ومؤيديها ، فمنذ بداية القرن العشرين ساعدت الحكومات الفرنسية المتتالية الحركة الصهيونية عن الاتصال بيهود شمال أفريقيا ، بعد أن وضعت يدها على تونس والمغرب ، بالاضافة إلى الجزائر التي ضمتها إلى أراضيها كما أسلفنا ، وبذلك تمكنت الصهيونية من حث هؤلاء اليهود للهجرة إلى فلسطين ، ليكونوا أوائل المرتزقة في عصابات الهاجانا ، والأرغن ، وشتيرن ، ويضاف إلى ذلك أن فرنسا قد ساعدت على دق إسفين التفرقة والبغضاء بين الجزائريين العرب والجالية اليهودية لخلق شرخ في صلب المجتمع المغربي ككل ، حتى أنها منحت اليهود الجنسية الفرنسية لتسهيل فرنسة الجزائر وفصل الطائفة اليهودية عن وطنها الأم

وقد ساعدت هذه العملية على هجرة عدد لابأس به من يهود المغرب إلى فلسطين ، إذ شهدت فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى موجتين رئيسيتين من الهجرات اليهودية (١٨٨٢ - ١٩٠٣) كان لها أكبر الفضل في التمهيد لقيام « دولة اسرائيل » فيما بعد .

وبعد اشتعال الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ وانقسام دول العالم الكبرى إلى كتلتين متصارعتين دول الحلفاء (بريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا ، وايطاليا ، والولايات المتحدة) ، ومجموعة دول المحور (المانيا والنمسا ، والدولة العثمانية) وجدت بريطانيا في فترة من فترات الحرب بأنه لابد من تصعيد الحرب في منطقة الشرق ، بعد أن واجهت دول الحلفاء صعوبات عسكرية في المنطقة الغربية .

وقد رأى لويد جورج أن احتلال فلسطين بات أمرا ضروريا عاجلا ، على الرغم من حصول فرنسا على منطقة الجليل الأعلى من فلسطين حسب اتفاقية (سايكس / بيكو) ، وتمهيدا للاحتلال عمد لويد جورج إلى تعزيز صلته بالحركة الصهيونية وبيهود فرنسا ، تقديرا منه للنفوذ الصهيوني ليهودها اللذين يسيطران على السياسة الفرنسية ، إمكانات هذين النفوذين المالية الهائلة والمهيمنة على الاقتصاد الفرنسي .

كتاب العربي مرآة العقل العربي

علماء عربيان في سماء الطب

بقلم : الدكتور علي مبارك*

في التاريخ العربي الاسلامي كثير من مشاهير الأطباء أمثال الرازي وابن سينا والزهراوي وغيرهم ممن رفعوا راية الطب العربي ، وقد حظي البعض منهم بنسب متفاوتة من اهتمام المعاصرين ، لكن الزهراوي والرازي ظلا يفتقران إلى من يقدمهما وينوه بذكرهما .

من هو الرازي ؟ . . هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي . ولد في مدينة (الري) احدى مدن بلاد فارس في عام ٢٥١ هـ المصادف ٨٦٥ م ، وتوفي في عام ٣١١هـ المصادف ٩٢٥ م عن عمر ناهز الستين عاما ، وتذكر بعض المصادر أنه بلغ الخامسة والستين . وربما اشتق لقبه (الرازي) من انتسابه إلى مكان ولادته (الري) .

لقد كان حظ الرازي أوفر من حظ أترابه علماء الطب في انتشار اسمه وشهرته وقد يكون مرد ذلك إلى أنه مارس الفلسفة في مقتبل عمره على نطاق واسع ، اضافة إلى ولعه بالعلوم والدراسات الموسيقية ، فاشتهر بالفيلسوف والموسيقي قبل ممارسته الطب والجراحة ، وقد ألف الكثير من كتب الفلسفة ، كما أنه اهتم بالدراسات التاريخية أيضا ، فكان مؤرخا مرموقا آنذاك

الرازي الطبيب

لم يكن الرازي طبيباً حتى سن الأربعين حيث بدأ يتجه بشكل حاد ومكثف لدراسة العلوم ا[لطـ]ـبية ،

* طبيب أول رعاية الأمومة - الخدمات الطبية - الكويت

كرس لها البقية الباقية من حياته

وقد خلد الرازي أعماله الطبية في مؤلف ضخم طلق عليه عنوان « الحاوى » ، ويضم هذا المؤلف كل دراساته الخاصة والمقتبسة في الطب فقط وكان قد بدأ في مدينته الرى ، ثم انتقل بعدها إلى بغداد . وقد خصص جزءا من دراساته هذه للبحث في أمراض الأطفال ، وربما يعد أول طبيب اسلامي انتبه إلى أهمية هذا الجانب الخاص بطب الأطفال ، فصنفه وحصره في مؤلف خاص به ضمن كتابه (الحاوى) ، واعتبر ذلك بادرة فريدة للتخصصات الفرعية في ممارسة الطب في بغداد اشتهر ببراعته في علاج مرض الجدري والحصبة ، وكيفية التفريق التشخيصي بينهما ، حتى أصبح مرجعا في هذين النوعين من الأمراض اذ كانا من أكثر الأمراض انتشارا ، فقام الرازي بوصف كل منهما وصفا تفريقيا دقيقاً اعتبر فيما بعد قاعدة طبية معترفا بها وقد ترجمت فيما بعد إلى اللغة الانجليزية في القرن التاسع عشر ، أي بعد وفاته بتسعة قرون كما أن كتابه (الحاوى) قد ترجم بالكامل للمرة الأولى إلى اللغة اللاتينية في القرن الخامس عشر ، وقد بلغ وزنه اثنين وعشرين رطلا ، وان آخر الترجمات قد تمت في عام ١٩٢١ بواسطة أحد الاساتذة الباحثين يدعى (براون) تحت عنوان (الطب العربي) ، ولكن المؤسف أن معظم هذه الاعمال قد فقد من المكتبات العالمية .

المنهج المقارن

الجدير بالملاحظة أن الرازي في كتابته الطبية كان يعتمد اسلوبا علميا معروفا هو الاقتباس والمقارنة في الآراء والأفكار . أى أنه يذكر أعمال الآخرين فيناقشها ثم يطرح أعماله الخاصة بالمقابل ، ويخرج منها بفكر هو حصيلة مجموع الأفكار والاعمال المطروحة ، وبهذا أوجد الرازي أول بادرة من هذا النوع في المؤلفات العربية .

يحتوى كتابه (الحاوى) على الكثير من التقارير المفصلة عن حالات مرضية مختلفة أبرز فيها براعته في طريقة تناول الحالات المرضية وعلاقتها بالتاريخ المرضي السابق للمريض . بهذا اقتبس طريقة سلفه

مجموعة اخرى من الأدوات الجراحية التى استعملها الزهراوي في علم الولادة

الطبيب الاغريقي (أبوقراط) ، وكذلك اعتمد طريقة الاستعانة باجراء بعض التحاليل المخبرية خاصة على عينات من البول للوصول إلى تشخيص الأمراض .

الرازي الكيمياوي والجراح

وكما برع في الطب الباطني وعلوم الأمراض الأخرى ، برع الرازي كذلك في علوم الكيمياء الدوائية ، والتغذية وكيمياء السموم وبخاصة تأثيرات سموم الأفاعي فعمل على تصنيف هذه المركبات والأعشاب المختلفة بشكل مبسط وسهل ، واستطاع أن يمزج بعضها البعض ليستخرج مركبات دوائية مختلفة من هذه الاعشاب ، وعالج فيها حالات الجدري والحصبة والحميات الاخرى وأدخل عبوات الأطفال حسب أعمارهم أيضا .

وقد ضمن أعماله هذه واعتبرها مكملة أو ملحقة بالجانب الجراحي من الطب ، وألف لها كتابا آخر تحت عنوان (المنصوري) ، ويقال إنه اختار لها هذا الاسم تكريما لحاكم المدينة آنذاك (منصور بن

الزهراوي يعالج مريضا مصابا بكسر في العضد

اسحق) ، وقد ضمن فيه بالاضافة إلى ذلك أبوابا مختلفة تتعلق بكيفية التعامل في شراء العبيد وتوصيات طبية للمسافرين وعلى الرغم من أنه كتب الكثير في الجراحة إلا أنه لم يتوفر لنا الكثير من المعلومات عن أنواع العمليات الجراحية التي كان يجريها كما فعل خلفه (الزهراوي) ، وربما كان قد صمم بعض الأدوات والآلات الجراحية إلا أنها غير مشهورة

الزهراوي

كانت الآراء إلى وقت قريب مختلفة حول اسم وكنية هذا الرجل الكبير ، وقد يعود السبب في ذلك الى أننا لم نأخذ عنه من كتبنا العربية والاسلامية بل من ترجمات أجنبية اختلفت كثيرا في كتابة اسمه بشكل صحيح وقد ذكر له مالايقل عن اثنى عشر لفظاً إلا أن بعض الكتب التاريخية الطبية العربية تقول إن اسمه الكامل هو . أبو القاسم خليفة بن العباس - أو ابن عباس - الزهراوي وفي كتب أخرى القرطبي، كما ذكرت تلك المصادر أنه ولد في عام ٩٣٦م وعاش سبعة وسبعين عاما ، وتوفي في عام ١٠١٣م ، وكما كانت الآراء مختلفة حول اسمه وكنيته لم يتأكد تاريخ وفاته بالضبط وقد توفي في مسقط رأسه على الأكثر إن اكثر المصادر العربية المتوافرة تؤكد أنه ولد في مدينة (الزهراء) التابعة لقرطبة آنذاك في اسبانيا ، ومازال تحمل نفس الاسم باللغة الاسبانية ، ومن المؤكد أنه لقب بالزهراوي نسبة إلى مكان مولده هذا ، وكذلك بالقرطبي نسبة إلى قرطبة وقد تزامنت معظم سنين حياته التي عاشها مع الفترة التي ازدهرت فيها الدولة الاسلامية في الاندلس ، واعتبرت احدى الفترات الذهبية للدولة الاسلامية ويقال إنه كانت له حظوة وتقدير كبيران لدى السلطان عبدالرحمن الناصر ثالث حكام الاندلس آنذاك نظرا لمكانته العلمية و[illegible] في ممارسة وتطوير العلوم الطبية ، وقد حد[illegible] في ذلك

كونه ولد وترعرع في هذه البقعة التي سميت بالزهراء مؤخرا لأنها كانت محببة لدى السلطان الناصر ، فاهتم بها وشجع العلماء على تطويرها لتكون مركزا علميا وأدبيا بارزا بالإضافة إلى مركز قرطبة

الطبيب والجراح

لقد برزت قابليات وامكانات هذا الرجل الكبير في ممارساته المتعددة في كل فرع من فروع الطب ، وما يهمنا هو الاضافات التي ادخلها الى الطب آنذاك سواء في حقل العلاج أو في اختراع وتصميم الآلات الجراحية المختلفة وقد امتلأت صفحات كتابه (التصريف) بالعديد من التصاميم والصور المختلفة للآلات والأدوات التي استعملها في الجراحة ، وكان آنذاك قد اطلع على التراث الطبي الاغريقي والفارسي ، وخرج بنتائج مهمة منها أنه أكد على أهمية دراسة وفهم التشريح كأساس وضرورة لممارسة الطب في الوقت الذي كان هذا العلم غير واسع الانتشار ، فيما عدا مدرسة العالم الاغريقي (هيروفيليوس) الذي أنشأ مدرسة وذلك لتدريس تشريح الجسم البشري في القرن الثالث قبل الميلاد ، وهكذا بنى الزهراوي أساسا متينا لتطوير علوم الطب الباطني والابداع في الجراحة في الوقت الذي لم يكن الغرب يعرف عن الجراحة واساليبها ومداخلها إلا النزر اليسير،وظل الغرب على هذا النحو حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي حين ترجمت مؤلفات الزهراوي بالكامل ليتوكأ الغرب على علومها ، ويستحوذ من ثم على معظم ما جاء فيها

وكما برع في هذين العلمين ، كذلك برع الزهراوي في علوم العقاقير والمستحضرات وكثيرا ما كان يطلق عليه لقب (الجراح الصيدلي) ، فاستطاع بذلك أن يدمج هذين الشقين في علاجات الكسور وحا... ت الوثي وتمزقات أربطة المفاصل . كما برع في علاج كسور العمود الفقري بشكل خاص وخطا خطو... واسعة في جراحة بتر الأطراف ولم تقتصر عمليات الجراحة التي كان يجريها ، بل برع في ع... المسالك البولية وتحطيم حصاة المثانة أيضا بوا... أدوات وآلات من تصميمه وغير هذا كثير مما يع... ذلك الوقت طفرة هائلة في علم الجراحة ، حتى حقل طب الاسنان والفم فقد ذكر في كتـ... (التصريف) بعض عمليات تقويم الأسنان

الزهراوي وعلم الولادة

كان الزهراوي أول من اخترع آلة ال... (الجفت) الذي يستعمل في توليد الجنين عندما ت... ولادته في المرحلة الثانية من الولادة وقد نسب الاختراع مؤخرا إلى الطبيب الانجليـ... (شامبرلين) كأول مكتشف للملقط ، وهذا حـ... فالحقيقة أنه سابقة فريدة للطبيب الزهراو... بالاضافة إلى أنه كان أول من استعمل طريقة اخـ... المشيمة المحبوسة بعد ولادة الجنين بالضغط ... الرحم خلال جدار البطن والمسماة حاليا (طر... كريدي) والمنسوبة خطأ لشامبرلين ايضا كما استطاع أن ينقذ المرأة الماخض من خطر الموت الولادة عندما يكون الجنين مشوها أو مصابا باستـ... الرأس بأن اخترع أداة لخرق جمجمة الجنين وافر... من محتوياتها لتسهيل عملية نزوله ، وللزهرا... طريقة توليد مميزة استعملها في بعض الحالات ، وجدت مؤخرا باسم أحد الاطباء المعاصرين هـ... نجد أن الغرب لم يكتف باقتباس ما وصل إليه ال... والاطباء العرب والمسلمون بل نسبوا اكتشـ... لأنفسهم والصمت العربي تجاه هذه التجاوز... ليس بجديد إذ أننا اعتدنا على الصمت حـ... اغتصاب اشياء كثيرة من تراثنا وما اكثرها !

إن الكتابة عن هذا العملاق لاتكفيها صفحـ... قليلة ، بل إن أمجاده بحاجة إلى تقييم وتحلـ... مسهبين وقد يخرج القارىء بنتيجة واحدة في الحالات المشابهة لتاريخ حياة الزهراوي وهي حيثما توافرت الحرية الفكرية كانت طاقات الابـ... وزخم العطاء وافرة ، وعلى العكس فإن الـ... وتقييد حرية الفكر أو حتى الفكر الموجه بتيار... سياسية معينة قد لاتبدع الابداع المطلو...

حين نزل المستعمرون البرتغاليون عام ١٥٩٠ على ساحل الجزيرة . تصايحوا في إعجاب « أوه . . فورموزا . . فورموزا » وكانوا يعنون بلغتهم البرتغالية « الجزيرة الجميلة العذراء » !

لكن « تايوان » الجميلة لم تعد عذراء ، بعد أن حملت في أحشائها شعبا جديدا ، آباؤه من المضطهدين والنازحين والمهاجرين والمطاردين والصيادين والقراصنة ، وجدوا في أعماقها موئلا طيبا ومستقرا خصبا ونما الشعب الوليد ليصبح تنينا عملاقا جسده أسطوري ، وقلبه صيني ، وعروقه يغذيها دم من كل لون ، وراح يبني لنفسه مستقبلا واعدا عامرا بالآمال ، طوع له كل ما يملك من قدرة على الإبداع ، ليصنع ما يشبه المعجزات !

قالت لنا وهي تنتقي كلماتها بالعربية الفصحى في لكنة صينية محببة لا تستغربوا ، فقد غير ...اتذتي اسمي الصيني في الكلية إلى « عواطف ...ؤلي » فهم يرون أنني أستحق الانتساب إلى ...لامة النحوي اللغوي « أبو الأسود الدؤلي » ...رصي على النحو والصرف والنطق بلسان عربي ...يم

وكانت بالفعل تجيد الحديث بالعربية تماما كواحدة ... بناتها ، كما كانت تستخدم الكثير من الأحاديث ...ريفة والآيات القرآنية ، وتضعها في أماكنها ...صحيحة ، رغم أنها لم تدخل الاسلام إلا حديثا ، ...د أن تنقلت في سنها الذي لم يتجاوز العشرين ، بين ...لسفة الكونفوشيوسية والعقيدة البوذية ، حتى ...تارت الاسلام ولغة القرآن عن إيمان واقتناع

ولم نستغرب ذلك كثيرا فقد التقينا في تايوان ...سلمين كثيرين يتحدثون العربية بطلاقة ، واتقان ...هم مرافقنا موسى وزميله عثمان اللذان انطلقا بنا ...ر وصولنا الى العاصمة « تايبيه » لنشهد المهرجان ...كرنفالي الكبير في الساحة الكبرى للقصر ...جمهوري ، حيث كانت ترخر بالأعلام الحمراء ...للافتات زاهية الألوان ، والزينات البديعة ...رائعة ، بينما الجميع مستغرقون في رقص وغناء على ...نام الموسيقا التي تشدو فتملأ الأجواء وتبعث المرح ...لبهجة في القلوب

وكانت المناسبة هي اليوم الوطني الذي يحتفلون فيه ...حتفالا مردوجا بإزاحة حكم أباطرة « المانشو » في ١٠ أكتوبر ١٩١١ ، وباعلان الدكتور « صن يات سين » قيام جمهورية الصين الوطنية في أول يناير عام ١٩١٢ في الأرض الأم ، على أساس المبادىء الثلاثة للشعب « القومية والديمقراطية ، والرفاهية الاجتماعية » وهي المبادىء التي حملها معه « شيانج كاي شيك » وأنصاره ورجال « الكومنتانج » حين اضطروا للانتقال الى عاصمتهم الجديدة « تايبيه » ، بعد أن سيطر النظام المناهض لهم على الوطن الأم ، وبدأوا يصنعون المستقبل الجديد في الموطن الجديد تايوان

جزيرة الكرنفالات

اسم « تايوان » لم يعد غريبا على آذان الكثيرين منذ أغرقت أسواق العالم منتجات صناعية من كل لون وبمختلف الأشكال وأقل الأسعار ، تحمل العلامة التجارية للصين الوطنية ولكن أغلب الذين سمعوا وعرفوا قد لا يتصورون أن تايوان ليست أكثر من جزيرة يبلغ طولها ٣٩٤ كم وعرضها في أكثر مناطقها اتساعا ١٤٤ كم ، يسكنها هي وتوابعها أقل من عشرين مليون نسمة ، ولا تز... نسبة مساحتها عن ٤ في الألف من مساحة الص... الأم ثالث أكبر دولة في العالم مساحة ، وصا... أكبر عدد من السكان يتجاوز عددهم ١٢٠٠ مل... نسمة وتبدو تايوان إلى جانب الصين الك... جزيرة قزمية على شكل سمكة تستلقي في مياه ... الصين ، يفصلها خليج فورموزا غربا عن الـ...

وبي الشرقي للصين الشعبية القارية بمسافة حوالي
٢ كم ، كما لا تبعد كثيرا عن هونج كونج
لصين في الجنوب وكوريا في الشمال ، ويتجه
ها الى اليابان في الشمال الشرقي وفي السنوات
يرة ألغت تايوان اسم فورموزا الذي أطلقه عليها
تغاليون ، ولم تتحول إلى جمهورية مستقلة إلا بعد
نتقل إليها شيانج كاي شيك يوم ٧ ديسمبر ١٩٤٩
لمن تايبيه عاصمة انتقالية جديدة لجمهورية الصين
طنية

لاحون يرقصـــون

قبل أن نشهد الاحتفال الرسمي بالعيد الوطني ،
رنا ما قالته لنا صاحبتنا
ـ ترون أننا شعب يحب المرح والرقص والموسيقا
مناء توارثنا ذلك عن الأمهات والآباء
قلنا عنهم أغانيهم وموسيقاهم ورقصاتهم وحتى
ايلتهم الشعبية وإحدى هذه الحكايات تحكي
ـب ما جاء في الأساطير القديمة أن « التنانين »
ت منذ عهد بعيد تتواثب وهي ترقص وتغني مرحا
مياه الشاطىء الصيني . وتقلب في صخب رمال
ع ومن هذه الرمال المقتلعة أقامت التنانين
يرة على شكل سمكة أسطورية ملونة تستلقي في
وء على مياه بحر الصين هي تلك الجزيرة التي
ش عليها الآن تايوان

نيـن الصينـــي

حكاية التنين والرقص والغناء هي أبرز العروص
ـ شهدناها خلال المهرجان الكرنفالي الكبير بدأ
ـرص باقتراب التنين الرمزي الضخم بألوانه
اهية محمولا على الأعناق والأكتاف ، ليسيطر على
ساحة بين أنغام الموسيقا الصاخبة طول التنين
لاسيكي المنفوخ بالهواء لا يقل عن مائتي متر وهو
حرك راقصا صاخبا ، ويحمل أطرافه أكثر من مائة
. الراقصين في الملابس التقليدية يدورون
فتيرن ، وهو يتلوى ويتثنى بين صفوفهم بطريقة
ـرة في رقصات غاية في الدقة والبراعة والتناسق
لتـ ـم والجمال ومن فم التنين تنطلق نفثات
خابـ ـتباينة الألوان وكأنها انطلاقات ألسنة اللهيب
ستـ ـه يرسلها خلال رقصته المجنونة الثائرة ولا
دأ ـ ـه إلا حين تحيط به مواكب الزهور التي تضم

خريطة تايوان المستلقية بجوار الصين الأم

فتيات في عمر الزهور ، يرقصن في أزياء تمثل التنانين
الصغيرة وسط الورود والرياحين الزاهية الألوان
وإذ يستمر العرض نتذكر صورة التنين كما نعرفها
ونراها مرسومة أو منحوتة في مختلف المعالم التاريخية
والدينية ، وفي رسوم الفخاريات الفنية وعلى جوانب
الطائرات والفوانيس الورقية التي تنتشر في كل مكان
في الصين

مهرجان الزهور والألوان

ونعود لمتابعة عروض المهرجان
موجات جديدة من طالبات الكليات والمعاهد
العليا في أزياء متباينة الألوان . كل مجموعة بلون
خاص ، يحملن الورود أو البالونات والأعلام أو
المراوح ، ويتلاعبن بها في تشكيلات بديعة ، لينتهي
موكبهن بزهرات في زي الفراشات تتراقص
أجنحتهن الحريرية المفتوحة ذات الألوان الزاهية
المبهجة وتتابع موجة إثر أخرى من الصغيرات
اللاتي يقدمن استعراضا رائعا بطول الساحة وعرضها
في تشكيلات من الألعاب والرقصات وباقات
الزهور ثم تطلق آخر مجموعة منهن بالوناتها الملونة
لتطير فتغطي سماء الساحة متراقصة هي الأخرى في
تناغم وتنسيق متكامل غاية في الإبداع

طوابير العرض في الساحة الكبرى . وصورة « صس يات سين » تتصدر واجهة القصر (الى اليمين) وفتيات في عمر الزهور خلال الاستعراض الراقص في المهرجان الشعبي (الصفحة المقابلة) بينما تطير فراشة بشرية وهي تتراقص بأجنحتها الحريرية ذات الألوان الزاهية (أسفل)

ولاستكمال الجو الاحتفالي والعيون مشدودة إلى السماء ، يجري عرض جوي بالطائرات التي تنفث خيوطا طويلة ملونة وتقدم تشكيلات بهلوانية يؤديها طيارون مبدعون ، قبل أن يهبط المظليون من الأجواء ليتنزلوا في ساحة المهرجان

وتتوالى العروض ويتقدم موكب الزهور ولاعبات الاكروبات والألعاب البهلوانية المثيرة على الدراجات البحارية مما يستقطب أنظار الجماهير المتابعة لها في انبهار يحبس الأنفاس .كما تتوالى جموع المؤدين لمشاهد الأقنعة والأسود في عروض تمثيلية متميزة ، لينتهي المهرجان بطوابير العسكريين والمجندات والملائكة البيضاء والفلاحات والعاملات في مشاهد رائعة مثيرة

ولأن تايوان بلد الأعياد والمهرجانات ، فإن الاحتفالات تتكرر مرة أخرى في المهرجان الغنائي الموسيقي الشعبي الذي أقيم على مسرح الدولة الكبير في المساء ونشاهد عروضا استعراضية أخاذة حاوية الكثير من فنون المسرح والتسلية بعض العروض تقدم ألعابا تكررية تمثيلية فكاهية يشارك فيها الأطفال ، من بينها مشاهد لمجموعة من الصغار وقد صبغت وجوههم بخطوط ذات لون أحمر زاه لتماثل أشكالهم هيئة القرود في القصة الأسطورية القديمة « رحلة الى الغرب » حيث يقدمون أعمالا تمثل القوى السحرية الخارقة وضمن العروض نشهد رقصة الأسد الفولكلورية التقليدية يقدمها رجال يدخلون في جسم لأسد رمزي ، يؤدي كل منهم ببراعة تامة وتناسق حركات الأسد الحقيقية حين يقرقع بفمه ويطبق أسنانه ويصدر الزئير والصيحات التي تثير إعجاب المشاهدين وينتهي الحفل بمشهد من أجمل المشاهد يؤديه صغار لا تتعدى أعمارهم الرابعة ، يعرضون قصة الصيادين الذين جاءوا ينصبون شباكهم لاصطياد العصافير ، ولكنها تتجمع وتتكتل معا حتى توقع الصيادين في نفس الشباك !

في الليل نجد أنفسنا في غمار الزحام الكبير في الساحة الواسعة التي تتوسط القصر الجمهوري وقاعة صن يات سين التذكارية والضريح الضخم لشيانج كاي شيك الباحة تتألق بالأضواء الملونة والأعلام الحمراء التي تتدلى على الجدران ، وفي كل ركن منها تقدم عروض وألعاب بهلوانية مثيرة ، وتنطلق طوال الليل الألعاب والصواريخ النارية تشد أنظار عشرات الآلاف من العمال والفلاحين القادمين من المدن والقرى المجاورة ليسهروا طول الليل في رقص وغناء ، وهم يتبادلون التهاني بالعيد الوطني الكبير . ويشعرون أنهم يستحقون المزيد من الاحتفالات . فهم يرون أنفسهم رموز التقدم والازدهار والرخاء الذي يعيش فيه شعب تايوان

مجتمـــع إنتـــاجي

يقول مرافقنا وهو يشير إلى الكتل المتراحمة من الفلاحين والعمال لقد حقق هؤلاء من خلال جهدهم وكفاحهم زيادة لا تصدق في الإنتاج وهو إنتاج لا يعطي فقط احتياجات الغذاء لهذه الأرض المكتظة بالسكان ، بل يحقق فائضا ضخما من المحاصيل الزراعية يتم تصديره بملايين الدولارات التي تشكل عائدا هائلا لموارد البلاد وقد أوجدت القوة الشرائية المتنامية للمزارعين أسواقا جديدة للمنتجات الصناعية ، مما عزز الصناعة الحقيقية وشكل أساسا سليما للبرنامج المبكر للبناء من جديد ويتم ذلك من خلال السياسات الاقتصادية الهادفة للوفاء بالحاجات الأساسية للشعب ، وهي الغذاء والكساء والاسكان والاتصالات والتعليم ثم الرفاهية والاستجمام ولا شك أن تحقيق هذه الأهداف على نحو منصف وعادل جاء نتيجة المساواة في ملكية الأراضي وفي الثروة الاجتماعية هذه المساواة أدت إلى التحسن الكبير في رفاهية الشعب والى التنمية الصناعية للبلاد

ويمكن إدراك أن كل خطة إنمائية استطاعت أن تحقق أكثر مما كان متوقعا منها ، بفضل دأب هؤلاء الفلاحين والعمال وشجاعة التخطيط وكفاءة القيادات والنتيجة هي إقامة مجتمع إنتاجي ذي صورة مدهشة لعل شعبه من بين أسعد شعوب العالم

ازدهــار اقتصـــادي

والحقيقة أن الازدهار الاقتصادي يسير بخطى سريعة متطورة في جمهورية الصين الوطنية الـ لا يعترف بها دبلوماسيا سوى ٢٢ دولة ، لكنها تـ مل تجاريا واقتصاديا مع دول العالم كافة، بما فيها ـين الشعبية ذاتها ، التي وصل حجم التجارة معها من

ـلال هـونـج كـونـج الى ١١٤٠٠ مليـون دولار ـريكي والمثير أن الميزان التجاري الخارجي الذي ـان يحقق عـام ١٩٧٦ فـائضـا يبلغ ٥٦٧ مليـون ـولار ، قد حقق عام ١٩٨٦ فائضا يقدر بحوالي ١٦ الف مليون دولار أمريكي ، حتى أن تايوان أصبحت هي الدولة الثانية في العالم ـ بعد اليابان ـ التي تحقق فائضا يتزايد باستمرار في ميزانها التجاري ، كما أن الاحتياطي النقدي المتراكم في خزانتها قد تجاوز ٣٠ مليار دولار

ولتأكيد صورة هذا الازدهـار تقول الأرقـام ان إجمالي الانتاج القـومي تجاوز ٦٠ بليـون دولار عام ١٩٨٥ مع معدل نمو تجاوز نسبة ١٠/ سنويا أما دخل الفرد السنوي الذي لم يكن يتجاوز ١٠٠ دولار في عام ١٩٥٢ فقد بلغ في نهاية عام ١٩٨٦ حـوالي ٣٧٥١ دولارا يرتفع مع نهاية هـذا العام الى ٥٠٠٠ دولار ، وهي إحدى أعلى النسب في العالم ، وتكاد تضع تايوان في مصاف الدول المتقدمة ، وإن كانت لا تصل الى مستويـات اليابـان التي تتجاوز ١٥ ألف دولار للفرد سنويا

قال لنا الدكتور يومنج شو وزير الاعلام « إن الحكومة تبحث الآن ـ مـع وجود الفـائض النقدي الضخم ـ تشكيل مؤسسة لاقـراض الدول النـامية بفوائد مبسطة وعلى آجال طويلة ، كما يجري بحث اقتراح بتخصيص ١٠ مليارات دولار تقـدم للدول النامية كمنح لا ترد

وقد حقق العام الماضي ازدهارا اقتصاديا وسياسيا كبيرا وأدى ذلك إلى أن سمحت الحكومة منـذ شهر يوليو الماضي للأهالي بـاستبدال أي كميـة من العملة المحلية الى أي عملات صعبة وأن يودعها في أي بنك دون قيـود ، بالاضـافة الى السمـاح لأي شخص أن يحول سنويا في حدود خمسة ملايـين من الدولارات الأمريكية أو ما يعادلها الى الخـارج لأي غرض »

ولكن هناك شيئاً يجب ألا ننساه

فالواقـع أن هذه الصـورة المزدهـرة التي تعيشها تايو ـ ، ما كان يمكن أن تتحقق إلا من خلال تدفق الأمـ ـن الاميركية التي انهالت عليها ـ وما تزال ـ في صو مساعدات ومعونـات واستثمارات ور٠وس أموا وتقنية متقدمة ، هدفها الرئيسي أن تبدو تايوان في صورة متألقة جذابة متطورة ، لتكون شوكـة في جنب الصين الشعبية

فمنذ تبنت الولايات المتحدة الامـريكية شيـانج كاي شيك لمواجهة النظام الشيوعي في الصين الأم ، انهالت المعونات الامريكية عسكريا واقتصاديا بشكل مباشر وفي أقصى نطاق ممكن ، كما انهالت المساعدات في سخاء أمريكي فريد ، وتدفقت مئات الملايين من الدولارات وملايين الأطنان من الذخائر والأسلحة على جمهورية الصين الوطنية وكان كل ذلك وراء الازدهار الذي شهدته تايوان»والأمـوال الامريكيـة تتدفق كالشلال عليها ، وهو أمر لا ينكره في الحقيقة جميع المسئولين على جميع المستويات

وكـان علينـا أن نعـود الى التـاريـخ وننقلب صفحاته

من عمـق التـاريخ

في القديم كانوا يسمونها « جزيرة الكنز » (باو ـ داو) ، فهي عندهم جنة عدن الخضراء ، ببحارها الـزمرديـة وشمسها الـذهبية ، الغنيـة بمواردهـا ، الخصبة بأرضها ، الواعدة بالأمل والقوة الكامنة

هكذا كانت تايوان في نظر سكانها الأقدمين !

حكايات الكنز الموعـود اجتذبت الكثيـرين على مدى التاريخ كان القراصنة والمطاردون والمنفيون والمغامرون والتجار والمزارعـون والصيادون جميعـا يهربون من الشواطىء المزدحمة في الصين الكبـرى تجذبهم مغناطيسية قوس قزح !

ووجد الصينيون أن الخضراوات والفواكـه تنمو بسرعة ووفيرة في أرض الجزيرة الخصبة ، بعكس ما كانت تمنحه أرضهم الأصيلة كما أن بطن الأرض عامر بالمصادر المعدنية من فحم وحديد وكبريت مما يشجع على إقامة مجتمع جديد ، وهي غنية بالأحجار الكريمة من الحاديت الأخضر والأوبال والمرجان مما يغـذي اتجـاهـاتهم الفنيـة في الصنـاعـات اليـدويـة التقليدية

ومع مر السنين تحولت تـايوان لتصبـح مركـزا للتبادل التجاري الحر بخطوط مـلاحية مـع الصين واليابان وهونج كونج ، أبرز ما تنقله سفنها البضائع المهربة بعيدا عن عيون الجمارك

ثم تتابعت الغارات على تايوان وجاء اليابانيون والهولنديون الذين راحـوا يعلمون الصينيين كيف

كل بنات تايوان يشاركن في الكرنفالات حتى فتيات القبائل التقليدية من الجنس الأصيل الذي يعيش في الجبال يقدمن رقصة « الياي ياي » (الصورة العليا) أما فتيات الجيل الجديد من طالبات الجامعات المجندات يسرن في خطوات عسكرية رشيقة (في الوسط) بينما الزهرات الصغيرات من الجيل الجديد يتلاعبن بالورود والمراوح والبالونات في تشكيلات غاية في الابداع (أسفل)

وعلى الصفحة المقابلة ثلاثة مشاهد من المهرجان تشترك فيها العصافير الصغيرة والفتيات الراقصات مع فرحة الصغير على كتف أبيه

يخلطون الدخان مع الأفيون ليدخنوه واستطاعت أسبانيا أن تضع أقدامها على أرض الجريرة حيث أقامت قواعد لها في الشمال كانت موضع هجمات الهولنديين الذين تمكنوا من طردهم عام ١٤٦٢ وفي نفس العام غزا « المانشو » القادمون من منشوريا جميع أنحاء الصين بما في ذلك تايوان ، وامتد حكمهم من عام ١٦٤٤ حتى عام ١٩١١ ، وهو حكم آخر عصور الأباطرة في الصين

في وسط تلك الفترة جرت أحداث أعادت تايوان الى سجلات التاريخ فقبل أن تصل جيوش المانشو إلى بكين وجه آخر أباطرة « منج » قائدا من رجال تايوان البحريين اسمه « شنج شي لونج » ليقود بقايا جيوشه وعندما شنق الامبراطور نفسه بعد هزيمته ، قرر القائد « شنج » أن يحتفظ بالقوات التي بين يديه ، ثم تزوج فتاة يابانية أنجبت له ولدا أسماه « شنج شنج هونج » وحمل الابن لواء أباطرة منج بعد رحيل أبيه وعرف باسم « كوكسنجا »

البطـل القـومي

على رأس جيش قوامه مائة ألف رجل وأسطول يضم ثلاثة آلاف سفينة شراعية واصل « كوكسنجا » الحرب ضد المانشو مدة اثنتي عشرة سنة من عام ١٦٤٦ ، واستطاع أن يستعيد العاصمة الجنوبية « نانكنج » ، غير أن جيوش المانشو عادت فأرغمته على التراجع الى سواحل تايوان ، حيث قطع نفس الطريق الذي قطعه بعده بثلاثمائة عام ، القائد العسكري الجمهوري « شيانج كاي شيك »

في تايوان واجه كوكسنجا المستعمرين الهولنديين الذين اعتبروه قرصانا استهانوا به وفي عام ١٦٦١ أبحر كوكسنجا الى الشاطىء على رأس ٣٠ ألف مقاتل في أسطول شراعي كبير ، وأرغم ثلاثمائة مقيم و ٢٢٠٠ جندي هولندي على الانسحاب والتحصن في ثلاثة حصون ساحلية ، وتواصل الحصار مدة عامين استطاع كوكسنجا بعدها الاستيلاء على قلعة زيلندا ، وسمح للقائد الهولندي ومن بقي حيا من رجاله بمغادرة الجزيرة ومنذ تلك اللحظة بدأت الهجرة الصينية الكبرى عندما تبع كوكسنجا الكثير من الصينيين للاستيطان في تايوان وهم الذين يشكلون الآن الغالبية العظمى للسكان الحاليين الذين يعرفون بالتايوانيين

ومع انسحاب اليابانيين والأسبان والهولنديين أصبحت تايوان من ممتلكات كوكسنجا ، الذي حكمها باقتدار كبير ، وتمسك بالتقاليد والفنون والثقافة التقليدية الصينية ولكن فترة حكمه لم تدم أكثر من سنة واحدة إذ مات في سن الثامنة والثلاثين ، واعتبره أهل تايوان بطلا قوميا برغم أن الجزيرة سقطت - لضعف أبنائه - في يد المانشو بعد أربعة وعشرين عاما

وإذا كان كوكسنجا يعتبر بطلا قوميا عند أهل تايوان ، فثمة رجل يعتبرونه بطلا قوميا آخر ، وصانعا لتاريخهم الحديث إنه « شيانج كاي شيك » ، الذي أقاموا له نصبا تذكاريا وتمثالا ضخما ، ولا يمكن لأي زائر لتايبيه إلا أن يضعه في برنامجه ويدور في متحفه الذي يحكي تاريخه بالقلم والريشة والصورة والتسجيل السينمائي .!

المتحف والنصب التذكاري

اخترقنا بين البوابة الرئيسية وقاعة النصب التذكاري ممرا طوله ٣٨٠٠ متر ، لنصعد ٨٩ درجة تصل بنا الى مدخل القاعة التي يبلغ ارتفاعها ٧٠ مترا ، يعلوها برج دو إفريزين دائريين مصلعين من القرميد الأزرق يتوسط القاعة تمثال برونزي ضخم للرئيس شيانج كاي شيك ارتفاعه أكثر من ستة أمتار وزنته ٢٥ طنا وعلى الجانبين المحيطين بالجدار وراء التمثال نقش مكتوب يلخص فلسفته في الحياة « أن تعيش هو أن تخلق حياة طيبة لكل الناس »

وننتقل إلى قاعات المتحف الخاص الذي يحكي تاريخ الرئيس شيانج ومن خلال الصور والرسوم والمعلقات الخاصة والنياشين والوثائق وصفحات الصحف والمجلات وبخاصة الأمريكية نتابع تفاصيل الأحداث في حياته التي وزعت على إحدى عشرة قاعة لكل منها عنوان موضوعي

الانحدار من عائلة ذات أصل ونسب ، ... نجيب وثائر بطل ، الالتحاق بالأكاديمية العـ ... ية والانضمام للثورة الوطنية ، البعثات الشر... البعثة الشمالية والوحدة الوطنية ، حمله لواء مـ... ـه الشيوعية ، الخلاص الوطني والمقاومة ضد الـ...

الوقوف في وجه الاتجاه الشيوعي ، الاندماج من أجل الاحياء الوطني ، الاسهام في العلاقات الدولية، الحزن المروع لفقد البطل القومي

قصـــة الثـــورة

في سجل التاريخ الحديث المعروض في قاعات متحف شيانج كاي شيك عرض لكل ما يتفق مع الصورة المضيئة لبطل قومي ولكن هناك أشياء أخرى تم التجاوز عنها ولم يأت ذكرها أو تصويرها كما شهدها تاريخ الثورة الصينية ، وكما ذكرتها المراجع والكتب المعاصرة التي تحكي قصة هذه الثورة وأحداثها !

ونعود مرة أخرى لنقلب صفحات التاريخ

تحت حكم « المانشو » ، رزحت الصين تحت نير دكتاتورية استبدادية وطغيان إقطاعي لا يعمل حسابا لمئات الملايين من الفلاحين الذين كانوا يمارسون حياة شاقة بالغة القسوة وإذا كانت أسرة المانشو - وبخاصة في القرن الثامن عشر - قد أغلقت أسوارها على نفسها في وجه التجار الاوروبيين الذين حاولوا دون جدوى اختراق أبواب الصين ، إلا أن الوضع انقلب تماما لسوء حظ الصين مع بداية القرن ١٩م

كانت الدول الاوروبية في ذلك الوقت تعيش ثورتها الصناعية الكبرى ، مريحة المجتمع الزراعي القديم ، ومصوبة عيونها نحو الصين وجاراتها الآسيوية ، على أمل أن تستولي على خاماتها لتشغيل مصانعها ، وعلى منتجاتها الزراعية لتأمين الطعام لشعوبها ، بالاضافة إلى إخضاعها لسيطرتها لتكون ميدانا لأسواقها

وقع الصدام المفتوح في هذا الاتجاه ضمن سلسلة ضربات موجهة ضد الكرامة الوطنية للصين ففي سنة ١٨٤٢ شنت بريطانيا حرب الأفيون ضد الصين وأتيحت الفرصة للاستعمار بكل أشكاله ودوله للانقضاض وإنشاب مخالبه لاقتطاع ما يريد من جسد الصين وكان لابد من اليقظة وقيام ثورة كاسحة سواء ضد آخر حكام المانشو الضعاف [illegible]حادلين أو ضد الغزاة المستعمرين ولكن [illegible]لافات والأيديولجيات والخيانات شقت صفوف [illegible]ار حتى انتهى الأمر إلى حرب أهلية داخل الصين [illegible]ها حيث لعب شيانج كاي شيك دورا يستحق التسجيل

فقد سار الجنرال على درب « صن يات سن » الذي أقام حزب « الكومنتانج » (جمعية تجديد الصين) ورفع علم الثورة على فساد المانشو مما أدى إلى سقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية برئاسة الدكتور صن ، وعندما تولى شيانج كاي شيك القيادة بعد موته عمل على إعادة البناء الوطني ومواجهة المعتدين اليابانيين الذين احتلوا منشوريا وأجزاء من الصين وتايوان وواصل الجنرال قيادة الشعب الصيني في مواجهة الغزو الياباني حتى انتهت الحرب العظمى الثانية باستسلام اليابان واستعادة الأراضي المحتلة وبعد وضع الدستور القائم على أساس مبادىء الشعب الثلاثة للدكتور صن ، انتخب الجنرال أول رئيس دستوري في التاريخ الصيني عام ١٩٤٥ ، وزار تايوان للاعلان عن انتهاء الحكم الياباني غير أن الحزب الشيوعي الصيني كان قد بدأ حركته لضرب حزب الكومنتانج وبدأ الزحف للاستيلاء على السلطة وبرغم المقاومة الشديدة لم يجد الجنرال إلا أن ينتقل بحكومة جمهورية الصين الوطنية عام ١٩٤٥ إلى مقاطعة تايوان لمواصلة البناء الوطني من العاصمة الجديدة تايبيه وانتقل مع حكومة الكومنتانج إلى تايوان ما يزيد على مليونين من المؤيدين من بينهم الجنود الذين اشتركوا في الحرب الطويلة ضد اليابانيين وبعد ذلك ضد الشيوعيين

كانت تايوان في ذلك الوقت متخلفة تماما بعد أن استغلها اليابانيون مدة خمسين سنة باعتبارها مصدرا لتزويدهم بالمحاصيل الزراعية وبدأت حكومة الجنرال عملية إعادة البناء بمساعدة الصينيين التايوانيين لتحويل المقاطعة المتخلفة إلى طراز للمجتمع الصيني الحديث الذي تنبأ به الدكتور صن يات سن . ولأول مرة أتيحت لجمهورية الصين الوطنية الفرصة لتنفيذ مبادىء الشعب الثلاثة دون التدخل العسكري وكان أساس السياسات الاقتصادية للمبادىء الثلاثة هو الوفاء بالحاجات الست الأساسية للشعب الغذاء ، والملبس ، والاسكان ، والاتصالات ، والتعليم ، والرفاهية والاستجمام ومن خلال تنفيذ هذه السياسات شهدت تايوان الازدهار الذي حقق ما يشبه المعجزات في عهد حكومة الكومنتانج

عـدمـا تخـتـرق
البوابة الـرئيسية الى
قـاعـة الـنـصـب
التـذكـاري الضخم
للرئيس شيانج كاي
شيك تلفت نظرك
فخـامـة المـدخـل
بشكله التقليـدي ،
وأفـاريـزه المسقفـة
بالقرميد الأزرق
بينما القاعة المفوشـة
المزخرفة بالـديكور
النـارر في سقـفهـا
يتـوسـطهـا تمثـال
بـرونـزي ضخـم
لشيـانـج شيـك
ارتفاعه أكثر من ستة
أمتـار ولا تكـاد
تـتـرك الـنـصـب
الـتـذكـاري حتى
تـدخـل في خضم
الـطرق المحيطة التي
تـبدو ساحـات حية
كلهـا حـركـة دائـبة
زاخرة بالحياة

باي باي . . تايوان !

الجميلة ولو لم تعد عذراء ما تزال آية في لجمال والازهار

وهل أروع من جمال ثقافي زاخر بكل الألوان لفنية والرقص والغناء والموسيقا والتمثيل والأوبرا والنحت والخط والابداع في أعمال الخزف واليشب والسيراميك والزخرفة والرسم والتلوين ؟!

وإذا كنا قد شهدنا في الاحتفال الكرنفالي بالعيد لوطني ألوانا رائعة من المرح والموسيقا والغناء والاستعراضات ، إلا أن ذلك قليل من كثير مما تزخر به أيام تايوان من احتفالات ومهرجانات وأعياد وعروض شاملة لكل الفنون ، تمشيا مع المبادىء لثلاثة التي أعلنها الدكتور صن الذي دعا إلى تطوير سوية وطنية وحكم ديمقراطي والاهتمام برفاهية لشعب ، وهي أفكار وتعاليم ما تزال تؤثر تأثيرا كبيرا على الشعب الصيني في تايوان الذي ما يزال يؤمن بأنها مستوحاة من المبادىء الكونفوشيوسية التي تركز على أهمية العلاقات الأخلاقية بين جميع الناس وأهمية كرامة الانسان ، وهدفها الخير والحرية والمساواة والاخوة على أساس المعتقدات الصينية القديمة ، كما أنها تؤمن بأن التسلية والترفيه هي إحدى الحاجات الرئيسية لحياة الشعوب

من هنا كانت الأعياد والمهرجانات من أبرز معالم الحياة في تايوان وهي لا ترتبط فقط بالمناسبات الوطنية ولكن بالمناسبات الدينية والتقليدية منها بوجه خاص

الاحتفالات المحلية الدينية التي تجرى للآلهة الحامية للشعب في تايوان تسمى « باي باي » وتتميز بمهرجانات زاخرة بالألوان نهارا ، والسهر والمرح والولائم ليلاً ، حيث تبدأ دائما بتقديم الطعام والشراب على الموائد لأرواح الأسلاف والآلهة التي تتناولها أولا حتى تشبع بطبيعتها الروحانية التي لا تتغذى بالماديات ، تاركة للمحتفلين بقايا الطعام ليتناولوه ، وهو بالطبع كل ما وضع على المائدة من أطعمة دون أن ينقص منها شيء مادي

تقام أبرز الأعياد الدينية في ذكرى ميلاد كونفوشيوس معلم الصين العظيم منذ ٢٥٠٠ سنة ، حيث يحتفل به كل الصينيين تحت اسم « عيد المعلم » تبدأ الاحتفالات مع مطلع الفجر في المعابد الكونفوشيوسية بجميع أنحاء تايوان ، وتتضمن عزف الموسيقا على الآلات الموسيقية القديمة ، والرقصات الطقوسية التقليدية ، وعرضها الواحدة تلو الأخرى من الفنون المستوحاة من الطقوس الكونفوشيوسية

المعلم الفيلسوف عرف في جميع أنحاء العالم بتعاليمه الأخلاقية فالأخلاق مطلبه وهمه الأول ، وعلاج المجتمع لا يتأتى إلا بتجديد أخلاقي قائم على تنظيم حياة الأسرة على أساس صالح قويم والانسان الكامل الأسمى في رأيه يتمتع بفضائل ثلاث هي الذكاء والشجاعة وحب الخير والقاعدة الأساسية التي تقوم عليها أخلاق الرجل الأعلى هي العطف الفياض على الناس جميعا ، وألا يغضبه أن يسمو غيره من الناس ، وهو يجمع الصفات الخلقية لهذا الرجل الأعلى في عبارة تبدأ بها الاحتفالات الكونفوشيوسية في جميع أنحاء تايوان يرددها المحتفلون جميعا « يضع الرجل الأعلى نصب عينيه تسعة أمور فأما من حيث عيناه فهو يحرص على أن يرى بوضوح ، وأما من حيث وجهه فهو يحرص على أن يكون بشوشا ظريفا ، وأما من حيث سلوكه فهو يحرص على أن يكون وقورا ، وفي حديثه يحرص على أن يكون مخلصا ، وفي تصريف شئون عمله يحرص على أن يبذل فيه عنايته وأن يبعث الاحترام فيمن معه ، وفي الأمور التي يشك فيها يحرص على أن يسأل غيره من الناس ، وإذا غضب فكر فيما قد يجره عليه غضبه من الصعاب ، وإذا لاحت له المكاسب فكر في العدالة والاستقامة »

إيمانا بتعاليم كونفوشيوس وتمجيدا له يستمر الاحتفال بمولده منذ الفجر وطوال اليوم ويشارك الشباب والطلبة صغارا وكبارا في تقديم رقصات تقليدية وموسيقية تعبيرا عن احترامهم لمعلم الصين الأول

الاحتفالات القمرية

احتفال آخر له قيمته هو الاحتفال بأول الـ‍ـ‍ـه القمرية في ذلك الوقت يتوقف كل شي

فالاستعدادات قائمة في كل بيت في الليلة الأخيرة السنة المنتهية ، وقبلها بأسبوع يكون إله الطبخ

؛ قد صعدا لتقديم تقريرهما الى إله السماء حول
ى في البيوت وخلال الأيام السبعة يكون كل
، مشغولا بتنظيف البيت وإعادة صباغته وتلوينه
جاز كل المشتريات والأطعمة المطلوبة من
ق ، وتزيين الغرف بالأزهار والورود ، وتعليق
الآلهة الحارسة على مداخل الأبواب .
عند غروب شمس الليلة الأخيرة تجتمع العائلة
داخل البيت ، بينما تكون جميع الأبواب قد
ت بالشمع والورق الأحمر لمنع ثروة العائلة من
ب وتبدأ المأدبة الكبيرة التي تكون قد أعدت
صا لهذه المناسبة وقبل تناول الطعام يحى كبير
ة رأسه ويتبعه الآخرون لتقديم تحية التكريم
سلاف وعندما ينتصف الليل تجرى إزالة
ـام عن الأبواب لاستقبال الآمال والتمنيات
، للعام الجديد ثم تنطلق الألعاب النارية
ي السماء وتظل مستمرة حتى الفجر ذلك هو
الوحيد من السنة الذي تخلو فيه جميع الشوارع
لناس لوجودهم داخل البيوت ، والذي ينتهي
بجلوس رب العائلة لتلقي تهاني جميع أفرادها ،
ى الصغار منه هدايا العيد
ثمة عيد آخر كانت تتعطل فيه الأعمال لأسبوع
سبوعين ، بمناسبة اكتمال القمر في أول شهور
، حيث يجرى مهرجان الفوانيس الملونة التي
ي بها الشوارع والبيوت والمباني الحكومية
لية ولكن عطلة هذا الاحتفال تقلصت الآن
ومين أو ثلاثة وإن ظلت القناديل والفوانيس
، في كل مكان

تفالات والأساطير

يكاد يخلو أي احتفال أو مهرجان في تايوان من
، مباشرة أو غير مباشرة مع أسطورة تروى
جان وسط الخريف يكاد يكون صاحب أكبر
من الأساطير الرومانسية الصينية التي تروى عن
والطعام الرئيسي الذي تقدم خلاله « كعكة
» متباينة الأشكال بعضها حلو وبعضها مالح
، محشوة بالفواكه والجوز والبندق والتذوق
- صنف منها إجباري على الجميع !
احتفالات الربيع تغلق جميع المحلات في
مدة أسبوع ، ويتمثل المهرجان التقليدي في

تبادل الظروف الحمراء المسماة (هونج باو) وهي
معلقة على هدايا نقدية للأصدقاء تتباين حسب
تخمينات الحظ التي ترفق في أوراق صغيرة ولكن
أسوأ ما يمكن أن يقع فيه أحدهم هو أن يصله رقم ٤
فهو شؤم على صاحبه لأنه يماثل كلمة الموت وقد
لاحظنا بالمناسبة أن رقم ١٣ ملغى تماما في طوابق
الفنادق وفي كل مكان لأنهم يتشاءمون منه أيضا !

مهرجان قوارب التنين نوع آخر من الاحتفالات
الشعبية في تايوان ، يجرى في اليوم الخامس من الشهر
القمري الخامس في ذلك اليوم تجرى سباقات
القوارب المزخرفة بألوان التنين في الأنهار التي تخترق
مختلف المدن في تايوان ويقول لنا مرافقنا « ان
هذا الاحتفال يقام حريا على تقليد قديم يرتبط
بأسطورة شعبية تحكي أن طالبا موهوبا اسمه
« شوبوان » في القرن الثالث قبل الميلاد لم يحظ
بتكريم الامبراطور لمواهبه ، فانطلق الى النهر حيث
أغرق نفسه وأسرع الناس الى قواربهم يحاولون
إنقاذه وانتشاله ولكن عبثا ، إذ كان قد اختفى في
أعماق المياه وظل الناس كل سنة يستقلون
القوارب ويتسابقون في الأنهار في ذكرى تلك
المناسبة وذات يوم ظهر « شوبوان » في الحلم لأحد
الفلاحين يستجدي طعامه من بعدها ظل الناس
يلقون حبات الأرز في النهر من أجله وبعد فترة
ظهر « شو » في حلم آخر وهو يقول ان الأسماك
تلتهم الأرز الذي يلقى إليه ، ويطلب أن يلقى الأرز
في لفافات من أوراق شجر الخيزران مربوطة بخيوط
متينة وهكذا بدأ الناس يصنعون لفافات الأرز
التي يسمونها « ترونج ترى » ويلقونها في الأنهار
قربانا لروحه في مثل ذلك الوقت من كل عام ، حيث
تجرى في الاحتفالات سباقات زوارق التنين
النهري »

أوبرا تايبيه

الجميلة التي لم تعد عذراء رفضت أن تعود
الى أيام الفقر والشقاء والظلام ، وآلت على نفسها إلا
أن تمارس حياة الترف والرفاهية والزخارف
والزينات ، وتعيش الليالي المترعة بالأضواء
والألوان . ولم يعد يهمها أكثر من أن تبدو متألقة
كغانية ، مترفة كنحلة ترتشف الرحيق من كل ما تحط

الأوبـرا هي من
الحياة الذي يربط
القديم والحديث في
تايبيه وليس أشد
حـادية من مشهد
بطلة أوبرا « المحطية
المحمورة » وهي
تقدم للجمهور كل
ما يرضي المشاعر
التقليدية للصينيين
المحبين للألوان
والأصوات والتمثيل
والرقص
والاكروبات
(الصفحة المقابلة)
أما الصور الثلاث
اليمنى فالعليا
لسور الصين العظيم
كما يقدم في « نافذة
على الصين »
والوسطى لرقصة
فولكلورية على
مسرح المهرجان ،
والسفلى لأحد
مشاهد موكب
الزهور

عليه من ورود وأزهار وتصوغ عطرها لتجتذب القلوب وتدير رءوس العاشقين

وليس أشد جاذبية من الأوبرا بموسيقاها وألوانها وألحانها ما يستطيع أن يحقق للياليها كل ذلك

ولكن الأوبرا الصينية هي موضع الاهتمام الذي يستحق المتابعة ، وهو ما فعلناه عندما حضرنا عرضا في دار الأوبرا في تايبيه ، حيث تغلق الأبواب ولا يسمح بالدخول بعد بدء العرض ورحنا نتابع في انبهار أحداث قصة « المحظية المحمورة » !

الأوبرا كفن من أجمل الفنون تمتزج دائما بالموسيقا والغناء وليس مثل الأوبرا الصينية ما يرضي المشاعر التقليدية للصينيين المحبين للألوان والأصوات والتمثيل والرقص والأكروبات وإذا كانت الأوبرا الصينية قد ولدت في بكين عام ١٧٩٠ عندما دعا الامبراطور « تشيان لونج » الفنانين من جميع أنحاء الصين لعرض فنونهم في احتفالات القصر ، إلا أنه حرم في نفس الوقت على النساء أن يشاركن في التمثيل ، فكان الرجال يقومون بأدوار النساء ، وقد مثلوها تمثيلا بلغ من إتقانه أن النساء حين سمح لهن في أيامنا هذه بالتمثيل من جديد ، كان لا بد لهن أن يعملن جاهدات على تقليد مقلديهن حتى يضمن النجاح ومع هذا فقد استمر التمثيل الذي يمكن تسميته الأوبرالي ، وإن كان بعيدا تماما عما يقدم في الأوبرا العربية ، وكانت العروض تقدم في الحانات ونوادي الشاي وكان لا بد للممثلين أن يتقنوا الرقص والألعاب البهلوانية حتى يمكن لهم أن يجتذبوا انتباه النظارة الذين كانوا أثناء مشاهدة العرض يشربون ويأكلون ويتحدثون ويساومون الباعة الذين يقدمون لهم الدخان والشاي والمرطبات تلك الصورة ليست بعيدة عما شهدناه خلال العرض فقد كان المشاهدون مشغولين بشراء المرطبات والمأكولات من « نادل البوفيه » وتبادل الحديث الذي يرتفع أحيانا دون اعتبار لما يجري .

ولم يكن النظارة ينتبهون إلا حين تستلفت أنظارهم قطعة مثيرة جميلة أو عالية الصوت ، مما حمل الممثلين يلجأون الى الصراخ بأعلى أصواتهم أثناء الأداء لكي يسمعهم المشاهدون وكانوا في أغلب الأحيان يلبسون أقنعة على وجوههم حتى يسهل على النظارة فهم أدوارهم !

قمم الابداع الفني

يقولون في تايبيه ان تايوان ستبقى حصنا للثقافة والقيم الصينية وأنماط الحياة التقليدية ومتحفها الذي أقيم على النمط الهندسي لقصور عصر سونج ، بحديقته الواسعة ذات الأسوار التي تحيط به يضم مجموعة عالمية صحمة من قمم الابداع الصيني

من بين ما شهدناه من هذه القمم أثناء زيارتنا للمتحف الوطني ما شرحت لنا تفاصيله ومعالمه مرافقتنا عواطف الدؤلي

يضم المتحف أكثر من ٧٠٠ ألف تحفة تحكي ماضي الصين ، منها الأواني الفخارية المشغولة من عصر ما قبل التاريخ ، والبرونز القديم ، والأنسجة المزدانة بالرسوم والصور ، واللوحات الزيتية من العصور الوسطى ، والتماثيل المثيرة ، والقطع الخزفية الحساسة ، والبورسلين واليشب الأحمر والمجوهرات الرائعة ، وبالتقريب أبرز إنتاج إنسان شرقي يمكن تصوره من مختلف فترات التاريخ

وتحف الخزف والصيني والسيلادون تعد بالآلاف في متحف تايبيه ، الذي جمع فيه أبرز القطع التي نقلتها إليه حكومة الصين الوطنية وهي تنتقل من الصين الأم الى تايوان وكل هذه التحف مزخرفة وملونة ذات لمعان لم ينطفىء برغم مرور مئات السنين وأروع المعروض منها تماثيل الأباطرة والأميرات والآلهة الى جانب تماثيل كونفوشيوس وبودا والمقدسين الآخرين ، بالإضافة إلى الأواني والمزهريات ذات النقوش البديعة التي لم تتغير ألوانها وكل هذه القطع الثمينة لا تقدر بمال حتى أن إحدى قطع البورسلين المهربة بيعت في مزاد أقيم في لندن بمائة ألف جنيه استرليني !

هكذا تتبعنا معالم الثقافة الصينية في المتحف الوطني في تايبيه وهي ثقافة تربط الصين الأم وتايوان على طريق الوحدة

حلم الوحدة

تايوان مجتمع ديناميكي حديث واقتصادي متطور ، يتمتع بالكثير من النشاط والطموح غير المحدودة والابتكارات الفنية البارزة والصناعات اليدوية الموروثة ، تماما كما يحافظ على القيم والأخلاقيات التقليدية المرتبطة بتعاليم كونفوشيوس

وفي تايبيه يمكن تتبع أصول الثقافة الصينية منذ عهد الامبراطور الأحصر الذي وحد القبائل في المملكة الوسطى حوالي عام ٢٧٠٠ق م مما يعني امتداد التاريخ المسجل الى حوالي خمسة آلاف سنة لعل ما مر بالصين من أحداث محفوظ في تايوان لم يستطع أي شيء على مدى التاريخ تمزيق وحدة الصين مهما اتسعت أنحاؤها فالثقافة وأنماط الحياة حتى اللغة لم تتغير في كل مناطق الصين مما جعل العلاقات الداخلية وثيقة ثابتة

وإذا كانت الأيديولوجيات الحديثة قد حفرت خندقا بين الصينيين ، فإن النظام الجمهوري الوطني في تايوان الذي يحكم من تايبيه ، والنظام الجمهوري الشعبي في الصين الذي يحكم من بكين ، كلاهما يقول انه هو نفسه حكومة كل الصين وكل من الحكومتين لا تجادل في حقيقة أن تايوان إنما هي إقليم مكمل لأقاليم الصين الكبيرة فالوطنيون يحكمون وفقا للنظام الرأسمالي والانفتاح الحر ، بينما الشيوعيون يحكمون على الأسس السياسية التي وضعها كارل ماركس ولينين وكلتا الحكومتين تريدان إعادة توحيد تايوان مع الصين الأم « تحت نظامها » !

وبرغم الطريق السياسي المسدود بين النظامين ، فإن أيا منهما لم يطفىء جذوة العادات الصينية الموروثة وللحقيقة فإن الثقافة الصينية التقليدية أصبحت هي العامل المشترك الذي ترتكز عليه جهود الصين الوطنية على أمل الوحدة ويؤكد قادتها بحزم على أنهم أصحاب الحق الشرعي في حكم كل الصين في مواجهة الحقائق السياسية لأنهم ـ كما يقولون ـ يحكمون تبعا للتقاليد والملسمات والنواميس الصينية المتوارثة وتعاليم كونفوشيوس ما تزال تحكم المجتمع في تايوان وبعد أن تمتعوا بمستوى مريح للحياة والمقاييس والاستقرار السياسي عادوا الى تدعيم وإحياء الفنون وتطويرها بخطى واسعة في الموسيقا والأوبرا والرقص والمسرح وفنون صناعة السينما الحديثة ، وذلك استعدادا لإعادة الروابط الثقافية الكاملة مع الصين الأم حين توحدها تايو ١٩٨٠ م

.. الحلم تبدو ملامحه من خلال ما قاله رئيس جمهورية الصين الوطنية « شيانج شنج كو » في آخر خطاب له بمناسبة العيد الوطني قبل وفاته التي حدثت في يناير الماضي « إن حزب الكومنتانج الذي تحمل أعباء تعبيد طريق تقدم أمتنا التاريخي ، يأمل في التعجيل بحلول النصر وإعادة توحيد الصين تحت المبادىء الشعبية الثلاثة ومن خلال ذلك سوف نرفع قريبا علمنا الوطني ، الرمز الخالد للحرية والعدل والمساواة والغد المشرق الدائم في كل أنحاء الصين إننا نأمل من كل الصينيين أن يكرسوا أنفسهم للعمل على تحقيق هذه المهمة التاريخية وبذلك سوف يرفرف علمنا الوطني على الوطن الأم في أقرب تاريخ ممكن » !

الأمل الذي يراود أحلامهم في تايبيه هو أن تنتصر الصين الوطنية ذات العشرين مليون نسمة ، على الصين الشعبية ذات الألف ومائتي مليون نسمة وأن تضمها الوحدة معها تحت علمها وفي ظل نظامها !!

لعل الأمل والحلم في الوحدة هو ما جعلهم يقيمون مدينة قزمية صغيرة أطلق عليها اسم « نافذة على الصين » في منطقة لونجتان ، تضم ٧١ نموذجا من أشهر معالم الصين التاريخية في منمنمات مصغرة ، تعبر عن الأساليب المختلفة للحياة في مختلف عصور المجتمع الصيني وأبرز النماذج المقامة في المدينة النموذجية مختارات من معالم الصين الأم ، بينها سور الصين العظيم وممر شويونج ومعبد السماء في بكين والمدينة المحرمة بما فيها القصر الملكي وقاعة الرواج الامبراطورية ، ومغارات لونجمان وحدائق سوشو التقليدية والباجودا البوذية في معبد فوكنج وقصر لونج شينج والقصر الصيفي في شنتا وقاعة إلهة السماء في معبد شيي ، كل ذلك بالاضافة الى نماذج من أبرز معالم التقدم في تايوان وحياة المجتمع في كل الصين

الهدف الرئيسي لإقامة « نافذة على الصين » هو أن يغرسوا في أذهان أبناء الشعب في تايوان التعلق بالصين الأم التي يحلمون بضمها وتوحيدها مع الصين التايوانية !

وهو حلم يتصورون أنه يمكن أن يتحقق ذات يوم تعود فيه الجميلة التي لم تعد عذراء . الى أحضان الأم الكبرى حتى لو تمت الوحدة في عهد أحفاد جيل قادم جديد

الإسلام في تايوان

مسجد تايبيه الجامع على الطراز الهندسي الاسلامي

قال لنا الامام « تنج فنج » - وهو في نفس الوقت رئيس قسم اللغة العربية في جامعة شنج شي الوطنية - حين التقيناه داخل المسجد الجامع في تايبيه بعد أن انتهت صلاة الجمعة

قدم الاسلام الى الصين خلال حكم الامبراطور تاي تشونج (٦١٧ - ٦٤٩ م) ثاني أباطرة أسرة تانج ونزل بالبر الصيني عدد كبير من المسلمين بعد عام ٦٥١ م واستقر عدد من التجار العرب في بعض الاقاليم الساحلية الجنوبية وحين قامت جمهورية الصين في عام ١٩١٢ بعد سقوط آخر الأباطرة قدم مسلمون كثيرون إلى تايوان مع جيش « كوكسنجا » مهاجرين من أرض الصين الأم ، كما ازداد عدد السكان المسلمين في الجزيرة مع وصول أفواج أخرى من المسلمين في عام ١٩٤٥ من الصين الام وكان اكبر عدد وصل الى تايوان بعد ذلك عام ١٩٤٩ مع انسحاب شيانج كاي شيك وحزب الكومنتانج من الصين الشعبية حيث بلغ عدد من لحق بهم من المسلمين حوالي ٢٠ الف الآن يقترب عدد المسلمين في تايوان كلها من مائة الف مسلم . ويقيم في تايبيه العاصمة وحدها ما لا يقل عن ثلاثين الف مسلم يمارسون شعائرهم الدينية ويؤدون صلواتهم في مساجدها ، وأكبرها مسجد تايبيه الذي أقيم عام ١٩٦٠ وهو أكبر مساجد تايوان ويسمونه المسجد الجامع

ليس هذا المسجد هو الوحيد في العاصمة فهناك مسجد آخر ، بالاضافة الى عشرة مساجد أخرى موزعة بين مدن شانجلي وتايشونج وكاوهسنج في كل هذه المساجد تبدو صورة رائعة للمجتمع الاسلامي المتعاطف المتكافل

ونحن ننفق من صندوق الزكاة لرعاية وتشجيع الصغار والشباب ونقدم جوائز للمتسابقين الذين يحفظون القرآن ، كما أن هناك جوائز كبيرة لمن يختم الكتاب الكريم

حين سألناه هل تنفقون على الفقراء من أموال الزكاة ؟ أجاب في ابتسامة مضيئة المسلمون هنا لا يعانون من الفقر ، فالجميع من أصحاب الدخل المرتفع ، وهم قادرون وغير محتاجين ، بل إن عددا منهم من أصحاب الثراء الكبير تمشيا مع طبيعة الازدهار الاقتصادي الشعبي في تايوان ومع هذا فنحن نتلقى أموال الزكاة من أغنياء المسلمين في البلاد كما تصلنا بعض التبرعات من الدول الاسلامية الغنية ومن بينها السعودية مما يزيد قدرتنا على استكمال المنشآت وإقامة المساجد الجديدة وملحقاتها من قاعات لالقاء الدروس الدينية وتحفيظ القرآن والتوسع في الأنشطة الاجتماعية والتثقيفية وقد أنشأنا مكتبات تضم الكتب والمراجع الاسلامية ، وإن كنا في أشد الحاجة مع ذلك الى المزيد

وهذا هو ما لمسناه بالفعل حين دخلنا قاعة مكتبة مسجد تايبيه هناك مجموعات كثيرة من كتب

ا سلامية الحديثة لكنها تفتقر الى وجود الكثير من الـ تب التراثية والتفاسير والحديث ، وهو أمر لعله يحـ اهتماما من الجامعات الاسلامية والجامع الازهر

والكتب في أغلبها بالعربية التي لا يجيدها الا القليل من المسلمين في الصين ، والقليل جدا منها مترجم الى اللغة الصينية

ومع ذلك فالعريب أن خطبة الجمعة تلقى كلها باللغة العربية الفصحى ثم بعد ذلك يقوم نفس الخطيب بإعادة إلقائها باللغة الصينية

المسجد الجامع الكبير

المسجد مقام على مساحة كبيرة يتوسط أحد أكبر شوارع تايبيه وهو مشيد على الطراز الهندسي الاسلامي وينقسم المسجد الى قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء كما يوجد على الجانب الايمن من المدخل قاعة للمؤتمرات والندوات التي تعقد في المناسبات الاسلامية مثل المولد النبوي الشريف وليلة النصف من شعبان وأيام شهر رمضان المبارك والعيدين والى الجانب الايسر يفتح الباب على مكتبة المسجد ، وبجوارها المقر الرئيسي لمشيخة المسلمين حيث نلتقي بفضيلة الشيخ داود دانتج شيخ المسلمين في تايوان

حين نلتقي بالشيخ الذي يقترب من الخامسة والسبعين نعرف أنه من خريجي الازهر حيث أوفد عام ١٩٣٣ ، وتلقى العلم على كبار المشايخ والأئمة ويقول لنا

كان الأزهر الشريف يستقبل كل عام حوالى مائة مبعوث من الصين حيث يدرسون اللغة العربية والعلوم الاسلامية وكنت أنا في ذلك الوقت قد أنهيت تعليمي في مدينة شنغهاي حيث تعلمت اللغة العربية وحفظت القرآن الكريم مع أبناء عائلتي قبل أن أذهب الى القاهرة لاستكمال تعليمي الديني على حساب البعثة الفؤادية في الازهر الشريف وحين انتقلت الى تايوان مع إخواني من موفدي الأزهر عملنا معا على المشاركة في رعاية أبناء المسلمين

وحين بدأت في تايوان مسيرة الازدهار الاقتصادي الكبير عملنا على إقامة المساجد في مختلف المدن وكان أولها المسجد الجامع الكبير في تايبيه

المصلون الصينيون أثناء أداء الصلاة

يقول الشيخ الكبير داود دانتج المسلمون هنا يؤدون شعائرهم بمنتهى الحرية وهم يصومون رمضان ويقيمون مآدب الافطار ويتابعون أخبار قضايا المسلمين في فلسطين ، وهم يتعاطفون مع أبناء الأرض المحتلة ، كما يهتمون بأنباء الحرب بين العراق وايران ويسيئهم أن تستمر طوال هذه السنوات بين دولتين مسلمتين جارتين

ويضيف الشيخ ان جميع المسلمين في تايوان ملتزمون بأداء فريضة الحج الى مكة ويؤديها كل مسلم ولو مرة واحدة في حياته وتتابع الجمعية الاسلامية للحج كل سنة تسهيل مهمة الحجيج الصينيين الذي يبذلون قصارى جهدهم لاداء هذه الفريضة طالما أن موقفهم المالي يسمح لهم بذلك .

ونسمع من الفنان التقي المسلم شيي شيغو الذي أدى الفريضة العام الماضي عن مدى تأثره بمظاهر الايمان والمساواة التي شهدها حيث يقول « هل أروع من أن الحجاج الذاهبين الى مكة يصرفون النظر عن مراتبهم و جنسياتهم ومراكزهم الاجتماعية وثرائهم ليتساووا في زي واحد بسيط مع بقية المسلمين ، لا فرق بين غني أو فقير ، كبير أو صغير ، أمير أو مسكين ، الجميع متساوون دون تمييز أو تعصب ، وكل مسلم يرعى اخاه المسلم ، فهل هناك أروع من تلك الانسانية في الاسلام . » □

بقلم : سعد شعبان

الطموح المصحوب بالارادة والسعي لا بد أن يتجسد في الواقع بإنجازات ملموسة يستفيد منها أصحابه . هذا هو الدرس الذي تعطيه تجربة الدول الأوروبية في مضمار غزو الفضاء ، حيث ستمكنها خططها وإنجازاتها - بالعمل المشترك - من المنافسة مع الدولتين العظميين في هذا المجال

عندما بدأ عصر الفضاء عام ١٩٥٧ بإطلاق أول قمر صناعي سوفيتي احتدمت المنافسة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة

وكانت هناك أصوات أوروبية تنادي دائما بأنه لا بد أن يكون لأوروبا برنامج فضائي مستقل يرفعها عن مستوى التبعية ، لأي من الدولتين الكبريين

وكانت فرنسا تتزعم هذا الاتجاه بحرارة ، وبخاصة بعد أن تصاعدت المشروعات الأمريكية والسوفيتية إلى مستوى إطلاق أقمار التجسس وسفن الفضاء ، والهبوط على القمر ، ثم إرسال سفن الفضاء نحو الكواكب فتكونت المنظمة الأوروبية لأبحاث الفضاء في أوائل الستينيات

وكانت باكورة خططها تصنيع صاروخين صغيرين ، أطلق عليهما اسمين هما « أوروبا - ١ » ثم « أوروبا - ٢ » وقد أفلح الصاروخان في إطلاق أقمار صناعية صغيرة الحجم محددة الغرض للأبحاث العلمية ، حملت أيضا نفس الاسم « أوروبا »

ومنذ عام ١٩٧٥ بدت الجهود الأوروبية كطفل يحبو إلى جانب مارد يعدو وعدّل اسم المنظمة إلى « وكالة الفضاء الأوروبية » (إيسا) على غرار وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » وقد تألفت الوكالة الأوروبية من أربع عشرة دولة أوروبية

وخلال هذه المدة لم تكف بعض هذه الدول عن عقد اتفاقيات ثنائية مع الاتحاد السوفيتي أو أمريكا ، على لون من ألوان التعاون المحدود وكان على قمة هذا التعاون اشتراك بعض رواد الفضاء الأوروبيين في بعض الرحلات الفضائية وتجلى ذلك في لحاق « الرائد الفرنسي « باتريك » في إحدى رحلات المكوك الأمريكي عام ١٩٨٥

لكن كانت باكورة التعاون الفاعل بين

« ...اسا » الأمريكية و « إيسا » الأوروبية مشروعا ...دا ، تمثل في بناء معمل بحوث علمية أوروبي ، أطلق عليه اسم (سباسلاب) ليوضع فوق متن مكوك الفضاء الأمريكي وفي رحلة ديسمبر عام ١٩٨٣ كان يشغل حجم المكوك الفارغ كله وكان يدير العمل في هذا المعمل عدة علماء أحدهم ألماني ، وكانوا يمثلون تخصصات في الفلك والكهرباء والعلوم

ولقد برهنت هذه المشاركة الأوروبية الأمريكية على أن العقلية الأوروبية قادرة على السير في ركب غزو الفضاء بخطوات فاعلة

وبدأت شركات أوروبية تستأجر حمولات في مكوك الفضاء الأمريكي لإجراء تجارب صناعية وبيولوجية وعلمية ، لها آثارها على الإنجازات الفضائية

الوليد يتحول إلى عملاق

كانت نقطة البداية في خطط وكالة الفضاء الأوروبية هي صنع صاروخ دفع ، له قدرة على دفع الأقمار الصناعية ، ثم ظهر إلى الوجود الصاروخ « اريان »

ولقد كان هناك خلاف وجدال حول الاسم ، فقد كان الاقتراح الأول الذي طرحه الفرنسيون هو (ماريان) ، ثم استقر الرأي على أن يصبح (اريان) تشبها بآلهة الحب عند الإغريق

ولقد أثبتت صواريخ اريان جدارتها في دفع عدد كبير من الأقمار الصناعية بدءا من عام ١٩٧٩ ، سواء لدول الوكالة الأوروبية أو لدول أخرى ، وكان إطلاق كل هذه الأقمار يتم من قاعدة الاطلاق الفرنسية « جوايانا » في أمريكا الجنوبية وقد ساعد وجود هذه القاعدة على بذل قوة أقل في دفع أقمار الاتصالات إلى المدار الثابت فوق خط الاستواء ، وكـ... ضمن هذه الأقمار القمر الصناعي العربي الأو... « عربسات ـ ١ » الذي أطلق في فبراير عام ...٩٨٥

و...هر من صواريخ اريان إلى الوجود ثلاثة أجيال متعا... هي « اريان ـ ١ ، ٢ ، ٣ » ، وكان لكل واحد منها مزايا متقدمة عن الأخرى ولقد سنحت فرصة ذهبية لصواريخ اريان عندما وقعت كارثة انفجار مكوك الفضاء الأمريكي تشالينجر في يناير ١٩٨٦ ، فقد حدث توقف لمشاريع الفضاء الأمريكية المتعلقة بالمكوك ، وما زال متوقعا لها أن تظل كذلك حتى يونيو ١٩٨٨ ، ولذلك تحولت المنافسة التجارية لإطلاق أقمار صناعية لدول عديدة ، وأصبح لدى المنظمة الأوروبية « ايسا » مئات التعاقدات لإطلاق أقمار صناعية لأغراض مختلفة ، حتى بلغت ١٥٠ عقدا ، باعتبارها الوسيلة الوحيدة لرفع الأقمار إلى الفضاء بل إن وجه العجب هي أن بعض الشركات الأمريكية قد تعاقدت مع الوكالة الأوروبية لإطلاق أقمارها

غير أنه قد حدثت نكسة أصابت مشروع الصاروخ اريان في مايو ١٩٨٦ ، عندما انفجرت إحدى مراحله ، وكان مخصصا لحمل قمر أمريكي من طراز « انتلسات » ، لذا اضطر الأوروبيون بعد ذلك إلى توقف دام ١٦ شهرا ، ليتداركوا بعض الخلل في التصميم ، حتى عادت إليهم الثقة بعملية الإطلاق الناجحة رقم ١٩ التي تمت في سبتمبر عام ١٩٨٧

ثلاثة برامج طموحة

خلال السنوات العشر الأخيرة كانت الأحلام تحوم حول عدد من المشروعات الفضائية ، تفتقت عنها قرائح علماء وكالة الفضاء الأوروبية ، بعضها تجاوز الطاقات المالية المتاحة ، فشطح بعيدا عن الامكانيات ، وبعضها كان يمثل ضربا من الخيال يحتاج إلى سنوات من البحوث العلمية لتذليل كثير من الصعاب

غير أن أوروبا خرجت من مؤتمرها الأخير في نوفمبر ١٩٨٧ متحدة الكلمة ، على وضع أولويات للمضي في ثلاثة برامج محددة ، حتى لا تزداد فجوة التخلف بينها وبين الأمريكيين والسوفييت ، ولكي تكون لها ملامح مميزة في غزو الفضاء . وقد اجتمعت كلمة كل الدول الأوروبية على هذه المشروعات عدا بريطانيا التي امتنعت عن

الصاروخ الأوروبي ايريان

التصويت ، لأن لها مشروعات أكثر طموحا ، لكنها تصر على الاحتفاظ بأسرارها ، وعدم الكشف عنها .

أما المشروعات الأوروبية الثلاثة فهي

١ ـ مشروع الصاروخ اريان ـ ٥

٢ ـ مشروع مكوك الفضاء الأوروبي « هرمس »

٣ ـ مشروع المحطة المدارية الأوروبية « كولومبوس »

ومن الواضح أن مشروع الصاروخ (اريان ـ ٥) هو حجر الأساس ، لأنه سيكون تطويرا للطرازات القائمة حاليا التي كان آخرها (اريان ـ ٣) ، حتى يستطيع أن يرفع إلى الفضاء أجساما أكبر من الأقمار الصناعية مثل المكوك الأوروبي « هرمس » ، ولذلك فستكون حمولة (اريان ـ ٥) « ١٧ » طنا ، وهذا يعادل ثلاثة أمثال الحمولة التي يرفعها الصاروخ (اريان ـ ٣) المستخدم حاليا ولذلك فإن (اريان ـ ٥) سيصل طوله إلى ٤٢ مترا ، وهو أطول بكثير من (اريان ـ ٣) ، كما سيتكون الصاروخ الجديد من طابق أساسي يحوي ١٢٠ طنا من الهيدروجين والاكسجين السائل ، وجهازين معمليين كبيرين يعملان بالوقود الجاف بسعة ١٧٠ طنا ، ليعطيا قوة دفع قدرها ٤٥٠ طنا

وقد كانت هناك خلافات بين الدول الأعضاء في وكالة الفضاء الأوروبية بالنسبة لخطة تمويل الصاروخ (اريان ـ ٥) ، غير أن هذه الخلافات قد وصلت إلى نهاية ، وسيكون الصاروخ المذكور معدا للانطلاق عام ١٩٩٥

المكوك الأوروبي « هرمس »

يجري بناء المكوك الأوروبي « هرمس » ليكون على شكل طائرة مقاتلة ، ذات جناحين مثلثين (دلتا) ، على غرار المكوك الأمريكي ، وإن كان يصغره في الحجم بنسبة ٢٥٪ وسيمكن للمكوك الأوروبي أن يتسع لثلاثة رواد فضاء ومن المقدر أن يفرغ من بنائه عام ١٩٩٧

ويبلغ طوله ١٧,٩ مترا ، والمسافة بين جناحيه ١٠,٢ أمتار ، ويمكنه أن يحمل حمولة قدرها ٢١ طنا ، وهي تقل عن حمولة المكوك الأمريكي كثيرا

وكشأن المكوك الأمريكي الذي أنهى شكل سفينة الفضاء المخروطية التي كانت تستخدم مرة واحدة، فقد وضع تصميم المكوك الأوروبي « هرمس » لكي يكون كطائرة تروح وتغدو ، مثل حركة مكوك النسيج عدة مرات ومن المقرر أن تمتد مهامه في الفضاء مددا تتراوح بين أسبوع وشهر ولكي تتوالى هذه المهام رصدت ميزانية المشروع لبناء طرازين منه ، حتى إذا فرغت مهمة واحدة منها ، وبدأ الفنيون بإجراء عمليات الصيانة عليه ، كان المكوك الآخر جاهزا للعمل ومن المقرر أن يتمكن كل مكوك من القيام برحلتين كل عام في المرحلة الأولى ، ثم تزاد الى أربع أو ست رحلات سنويا بعد ذلك

وسيكون بناء المكوك « هرمس » في القاعدة الفرنسية بتولوز ، بينما يكون الانطلاق من المركز الفضائي « كورو » الموجود في « جوايانا » الفرنسية في أمريكا الجنوبية الذي تقرر إدخال عدة تعديلات وتوسعات عليه ليلائم خطوات المستقبل وسوف يكون اطلاق « هرمس » بواسطة صاروخ « اريان ـ ٥ » الذي يجري تصميمه ليلائم هذه المهمة ، بينما سيكون هبوطه فوق مدرج طائرات عادي ، طوله يقرب من ثلاثة كيلو مترات ونصف ولقد اختيرت قاعدة « إيستر » الفرنسية لهبوطه في أول الأمر ، حتى يتم إعداد مدرج الهبوط في قاعدة « كورو » ، كما سيكون ممكنا أن يهبط في قاعدة ادواردز الأمريكية المخصصة للمكوك الأمريكي أو في القواعد الأمريكية الأخرى في هونولولو أو داكار أو جزيرة برمودا

وقد رصد للمشروع مبلغ ٤,٤ مليار دولار ، لتحقيق عدة أغراض ، أهمها القيام ببحوث علمية مستقلة عن التجارب الأمريكية ، والعمل متنقلا فضائيا إلى الأجرام الفضائية الصناعية كالمحطات المدارية ، سواء الأمريكية أو السوفيتية أو

الأ‍ وبية ، وبخاصة المحطة « كولومبوس » التي
ـ صع على مدار قرب نهاية هذا القرن ، كما
ـ كه أن يكون شاحنة فضاء تمد المحطات المدارية
بالمد ‍ والعتاد

المحطة المدارية « كولومبوس »

وصعت « وكالة الفضاء الأوروبية » خطة لتصنيع محطة مدارية تتكون من أربع كبسولات مختلفة التصميم والأغراض ، لمواصلة استكشاف الفضاء ، ومداومة إجراء البحوث العلمية اللازمة من هذه الكبسولات ، وسيكون ذلك بواسطة الوسائل الالكترونية المستخدمة ، أو بواسطة رواد الفضاء ، ولذلك أطلق على كل كبسولة اسم مختلف ، وستوضع بها معدات وأجهزة تختلف عن الأخرى

وتقدر التكلفة الاجمالية لهذا المشروع بمبلغ ٣,٩ مليارات دولار ، ومن المقدر أن يفرغ من المراحل كلها قرب عام ١٩٩٨ ، وهو موعد لا يبعد كثيرا عن الموعد المحدد لإطلاق المستعمرة الفضائية الأمريكية وأكبر الكبسولات الفضائية الأوروبية يمكن أن يتسع لثلاثة رواد فضاء ،وسيتم اطلاقها بواسطة مكوك أمريكي عام ١٩٩٦ تقريبا لتصبح جزءا من المحطة المدارية الأوروبية

أما المعمل الثاني فسيكون العمل فيه اليكترونيا ، ويمكن أن يتردد عليه رواد فضاء من آن لآخر ، إذ سيمثل العنصر الأساسي في المحطة المدارية الأوروبية ، وسيكون إطلاقه عام ١٩٩٨ بواسطة صاروخ « اريان ـ ٥ »

أما الكبسولتان الثالثة والرابعة فستعملان اليكترونيا دون أي تدخل من الإنسان ، وستكون إحداهما مخصصة للتحليق على مدار يمر فوق قطبي الأرض ، بدءا من عام ١٩٩٧ م

ولضمان استمرار العمل في المحطة المدارية الأوروبية يجري تصميم شاحنة فضائية ، سيطلق عليها اسم (أوريكا ـ بي) ، وهي عبارة عن معمل صغير لحمل أدوات ومؤن ومعدات يبلغ وزنها أربعة أطنان إلى المحطة المدارية الأوروبية ، وسيمكن تكرار إطلاق هذا المعمل

المعارضة البريطانية لماذا ؟

ليس غريبا أن تقف بريطانيا وحدها ، في موقف المعارض لهذه المشروعات الفضائية الأوروبية ، فالطموح البريطاني أكبر كثيرا من هذه المشروعات الأوروبية إلى حد وصف بعضهم له بأنه أقرب إلى الخيال ، فلدى بريطانيا مشروع متقدم لطائرة فضائية أطلق عليها اسم « هوتول »

ويعتمد مشروع « هوتول » على استخدام محرك ذي تصميم جديد ، يسمح للطائرات بالوصول إلى طبقات الجو العليا ، وتجاوزها إلى طبقات الفضاء ، ثم العودة ثانية إلى الأرض والهبوط كأي طائرة عادية ، ومعنى ذلك أن تتحول الطائرة في المستقبل إلى مكوك فضاء ، يمكنها أن تقلع وتهبط كل يوم دون حاجة إلى إجراءات صيانة معقدة كما يجري على المكوك الأمريكي حاليا ولا شك أن العقبة الأساسية أمام تحقيق هذه الفكرة الخيالية ، هي التوصل إلى نوع من الوقود ، يسمح بتحويل الطائرة إلى سفينة فضاء ، لكن دون الاعتماد على أنواع الوقود التقليدية المستخدمة حاليا التي يلزمها مستودعات كبيرة تشغل الجزء الأكبر من حجم مكوك الفضاء وتمثل أيضا أكبر وزن فيه

ولقد قامت بحوث كثير من العلماء منذ عدة سنوات على فكرة استخدام الطائرات ، لوقود يعتمد على الأكسجين الذي يستمد من الهواء الذي تطير فيه الطائرة ، وعلى الهيدروجين الذي يمكن أن يضغط سائلا في مستودعات على متنها ويتخلى عن الصورة التقليدية لمحركات الاحتراق الداخلي المستخدمة حاليا ، فتصبح بذلك الطائرة أخف وزنا ، وأكثر قدرة على بلوغ مدارات في الفضاء ،وبالتالي تصبح قادرة على حمل حمولات أكبر وزنا ، كما سيكون بامكانها الطيران بسرعات يمكن أن تبلغ بين ٢٠ ، ٣٠ مثلا لسرعة الصوت (سرعة الصوت = ١٢٢٤ كيلو مترا في الساعة على سطح الأرض) ولا شك أن هذه التغييرات الجذرية في تصميم الطائرات الجوية الفضائية تقف أمامها بعض العقبات

المكوك الأوروبي هرمس

التي أهمها ضرورة تركيب سبائك معدنية جديدة تستطيع الصمود لدرجات الحرارة العالية ، لمقاومة الاحتكاك بهواء الغلاف الجوي

فضلا عن أن الوسيلة التقنية لن تتيسر بعد لاستخراج الاكسجين من الجو أثناء الطيران

غير أنه في عام ١٩٨٢ قد توصل مهندس بريطاني شاب يدعى « آلان بوند » إلى اكتشاف معادلة علمية ، تسمح بفصل اكسجين الهواء من الجو ، لاستخدامه في محركات الطائرات كعامل لحرق الايدروجين وقد تبنت بعض الشركات الكبرى البريطانية هذا الاكتشاف ، وعلى الأخص شركة « رولز رويس » الشهيرة بصناعة محركات الطائرات ، وما زال هذا المشروع سرا من الأسرار الصناعية التي تحتفظ بها بريطانيا لنفسها .

واستغلالا لنفس الفكرة قامت شركة « بريتش ايروسباس » عام ١٩٨٤ بصنع نموذج مصغر لطائرة أطلقوا عليها اسم « هوتول » لتعمل بنظرية الشاب « آلان بوند » ، وذلك على فرض أن هذا النموذج تصغير لطائرة ، لو صنعت فسيكون طولها ٦٢ مترا ، ويمكنها أن تصعد إلى سقف ارتفاع قدره ٢٦ كيلومترا ، بحمولة قدرها ٢٠٠ طن ، وسيمكنها أن تطير بسرعة تبلغ خمسة أمثال سرعة الصوت ، ولن تستغرق لبلوغ هذه السرعة بعد الاقلاع غير ثماني دقائق فقط ، وسيكون بإمكانها أيضا الصعود إلى مدارات في الفضاء الخارجي والعودة منها .

ولم تلق الفكرة البريطانية للطائرة « هوتول » ترحيبا في أوساط وكالة الفضاء الأوروبية ، لأن البريطانيين رفضوا الكشف عن الأسرار العلمية لاستخلاص أكسجين الهواء ، كما رفضوا الكشف عن تصميم المحرك الجديد ، واقتصر اقتراحهم ع[illegible] أن يعمل الخبراء الأوروبيون تحت إشرافهم المباشر ، لكي يحققوا صناعة الطائرة هوتول التي تعتبر طا[illegible] جوية فضائية ، وذلك بغية أن تبتعد « المنظمة الأوروبية » عن المضي في إنتاج المكوك الفضائي « هرمس » الذي يعتبر مشابها للمكوك الأمريكي . بل أصغر منه ولا شك أن للفكر البريطاني وجاهته ، لأنه سيجعل للأوروبيين قصب السبق إلى شيء جديد ، هو جمع مزايا الطائرة والمكوك في جسم واحد . وسيضع البشرية أمام نوع جديد من المحركات ، سيطور في صناعة النقل الجوي في المستقبل ، ويفتح آفاقا جديدة لما يمكن أن نطلق عليه تعبير « السياحة الفضائية » للركاب العاديين الذين ليس لزاما أن يكونوا روادا للفضاء ، ذوي لياقات بدنية ونفسية عالية وسيكون له ميزة الاقتراب من واقع الحياة بسرعة نقل الركاب بالطائرات المدنية التي لم تتجاوز سرعاتها حتى الآن ٢,٢ ماخ (سرعة الصوت) ، إذ سيكون في مقدور « هوتول » أن تقطع المسافة بين لندن واستراليا خلال ٤٥ دقيقة فقط ، لكن كثيرا من الخبراء الأوروبيين ما زالوا يشككون في الافتراضات البريطانية لاستغلال أكسجين الهواء ، ويعتقدون أن الأفكار البريطانية عن « هوتول » لا تعدو أن تكون لونا من ألوان التعصب والجري وراء السراب

ومن هنا أتت المعارضة البريطانية لمشروعات أوروبا الفضائية ، إذ امتنع ممثلوها عن التصويت في مؤتمرهم الأخير في لاهاي وهكذا لن تمضي حقبة التسعينيات ويبدأ القرن الجديد إلا وستكون حلبة المنافسة في سباق الفضاء قد غصت بأعضاء جدد إلى جانب الروس والأمريكيين .

كما سيكون أيضا في الحلبة أعضاء آخرون ، ما زالوا يقفون على عتبات التخطيط ، وهم الصينيون واليابانيون

ولا شك أن الطفرة التقنية التي سيصنعها [illegible] حرب الكواكب الأمريكي ستضع العالم أمام [illegible] جديد ، سيجعل من الفضاء ساحة مزدحمة [illegible] جديدة غير الأقمار الصناعية وسفن الفضاء [illegible]

وجهاً لوجه

الجنرال دراغونسكي و سليمان الشيخ

- الصهيونية .. حركة سياسية عنصرية فاشية تتاجر بالدين
- الوطن السوفييتي لجميع شعوبه . لمن يؤمن بدين . ومن لا يؤمن
- الانسان الحر لا يضطهد الآخرين . وهذا عكس ما يفعله الصهاينة
- الضابط العربي كفء . والعيب ربما في صاحب القرار السياسي !
- الفشل الآني او الوحيد ليس قدراً مستمراً او دائم

الجنرال دافيد ابراموفتش دراغونسكي من مواليـد سنة ١٩١٠ ، في قـريـة سفيـاتسك التي تقـع على الحـدود المشتركة بين روسيـا الاتحاديـة وأوكـرانيـا ، وبيلوروسيا ، تخرج في أكاديمية فرونزه العسكرية سنة ١٩٤١ ، ثم تخرج في أكاديمية الأركان العامة سنة ١٩٤٩ . منح لقب بطل الاتحاد السوفيتي مرتين: الأولى سنة ١٩٤٤ والثانية سنة ١٩٤٥ . حاصل على أوسمة ونياشين وميداليات مهمة من أعلى المؤسسات في الاتحاد السوفيتي وخارجه خاض وشارك وقاد معارك مهمة ضـد القوات النازية الألمانية في كثير من جبهات الحرب ، وأصيب بأكثر من جرح فيها عضو اللجنة المركزية للرقابة منذ سنة ١٩٧١ . منح رتبة فريق أول منذ ١٩٧٥ ، عمل مديرا للأكاديمية العسكرية لتدريب الضباط الأجانب منذ سنة ١٩٦٩ إلى سنة ١٩٨٥ التي درس وتخرج فيها عشرات الضباط العرب من أقطار عربية عديدة ، يرأس الآن الجمعية السوفيتية المعادية للصهيونية .

سألت الجنرال الذي مازال يحتفظ بلياقة بدنية تجعله يبـدو أقل من عمـره الحقيقي بحوالي عشرين سنة ـ

* يـوحي اسمك بـأنك تتبـع الـديـانـة اليهودية ، فهل يمكن أن يعادي اليهودي الصهيونية ، وأن يكون على رأس الجمعية التي تعاديها ؟ !

ـ إن اليهودية ديانة كبقية الديانات ، أما الصهيونية فهي حركة سياسية تتاجر بالدين أحيانا

صحيح أني ولدت لأبوين يهوديين لكـي عشت وناضلت في صفوف الحركة الشيوعية المعادية للنازية والفاشية والصهيونية ، وهأنا أتابع نفس الطريق ، بل إنني على رأس الجمعية المناهضـة للصهيونيـة في بلادي ، إنني مواطن سوفيتي في الدرجة الأولى إن بلادنا تحتوي على عشـرات القوميـات والشعوب ، لكن ولاءنا في الأساس للدولة السوفيتية ، كما أنـه توجد أديان عديـدة في الاتحاد السـوفيتي ، وبعض الأفراد متدينون ، لكن الوطن السوفيتي للجميع ، لمن يؤمن بدين ، ولمن لا يؤمن

لايوجد عندنا من يسأل عن قوميتك أو دينك ، بـل يهمهم أخلاقـك وأفعـالـك وسلوكـك ، لقـد اختلطت الشعـوب والقوميـات لدينـا وصمهم من يؤمن بـالـديـانـة اليهـوديـة ، وحصـل التـزاوج والتمازج ، وكثيرون لم يعد يعنيهم الدين أو الأصل السابق ، إن الإتحاد السوفيتي دولة أممية

روحتي روسية ، وابنتي تزوجت رجلا أوكرانيا ، وعندما بلغت ابنة ابنتي ١٦ سنة من عمرها طلبت أن يكون لها جواز سفر خاص بها ، وجاءت تسألني من أكون ؟ وإلى أي شعب أنتمي ؟

أجبتها أنت فتاة جميلة ، أنت سوفيتية

هناك جمهوريات وقوميـات وشعـوب عـديدة في الاتحاد السوفيتي ، لها مكوناتها الثقـافية الخاصة ، لكن لايوجد مطلقا مايمنع انتقال هذا الفرد أو ذاك إلى جمهورية أخرى ، كما لايـوجد مـايمنع من أن يعلن الفـرد أنه أوكـراني مـع أنـه قـد يكـون من أبـوين داغستانيين ، وكثيرون يعلنون أنهم روس مع أن موطنهم الأصلي قد يكون استونيا أو مولدافيا أو أرمينيـا أو تركمـانيا ، أو غـير دلك ، وقـد يحدث العكس .

لقد خضت معارك كثيرة ، في جبهات عديدة وكان يوجد بين ضباطي وجنودي من ينتمون إلى ٣٠ قومية من قـوميات الاتحـاد السوفيتي ، من يدين بالمسيحية أو الإسلام أو اليهودية ، أو لا دين

ي دين ، لكنهم جميعا كانوا يدافعون عن الوطن ، قد طردوا المحتلين ، وانتصروا على النازية لم يكن نسأل عن الهويات القومية أو الديانات ، بل كنا نقاتل من أجل انتصار الوطن ودحر المعتدين إن بلاد السوفيت لجميع شعوبها ، وهي ترفع راية ومباديء أممية وتطبقها

الكيان « الإسرائيلي » :

* كيف تنظر لحتكم إلى الصهيونية ؟ وبالتالي كيف تنظر إلى الكيان « الإسرائيلي » وممارساته ؟

- إن الحركة الصهيونية ماهي إلا حركة عنصرية ، لأنها تضمن أدبياتها بأن اليهود شعب الله المختار ، إنها حركة البورجوازية اليهودية ، ربيبة الحركة الرأسمالية العالمية التي تقوم على استغلال الشعوب واستعمارها وليست صدفة أن يقف ماركس ولينين ضد الأفكار البورجوازية بما فيها الأفكار الصهيونية

أما بالنسبة للكيان « الإسرائيلي » فهو قائم على الأفكار الصهيونية العنصرية ، وقد وظف نفسه ضمن الآلة الرأسمالية الأمريكية ، ووقف ضد أماني الشعوب في التحرر والانعتاق

لقد استخدم الصهاينة ضد الفلسطينيين وغيرهم من العرب نفس الأساليب التي استخدمها هتلر ضدهم ، فقد طردوا الفلسطينيين من أرضهم ، وعرضوهم للقتل والتدمير ، واتبعوا سياسة العدوان على أقطار عربية أخرى ، واحتلوا أراضيها لقد كان اليهود ضحايا النازية ، ثم اتفقوا مع الرأسمالية العربية ، فسهلت لهم الهجرة إلى فلسطين ، فاحتلوا أراضي الفلسطينيين ، واضطهدوهم وإن اليهود في فلسطين ليسوا أحرارا ، لأن الحر لايضطهد أحرار الآخرين

* ماهو الحل حسب وجهة نظركم ؟

ن وجهة نظرنا هي نفس وجهة نظر حزبنا ودولتنا ، أي أننا ندعو إلى عقد مؤتمر دولي للسلام ، تحضره جميع الأطراف ، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية لإعطاء الفلسطينيين حقوقهم

* وهل يمكن عقد مثل هذا المؤتمر وعلى رأس الدولة « الاسرائيلية » حزب الليكود ، أو حتى تجمع المعراخ - العمل - ؟!

- إنني أعتقد بأن قيادة شامير لن تحقق سلاما حقيقيا في المنطقة ، لكن وجود شامير يجب ألا يمنعنا من رؤية نمو حركة تقدمية ، وسوف يفهم الناس في « إسرائيل » الأخطاء التي حدثت ، وسيميلون نحو السلام إن عاجلا أو آجلا لقد كنا نعتبر كل الماني عدوا أثناء الحرب العالمية الثانية ، ومع ذلك فإن جمهورية المانيا الديمقراطية قد ولدت في تلك الأيام ، وسارت على خط يعادي النازية إن الزمن ليس وليد مرحلة واحدة ، وعلى الإنسان ألا يبني حساباته على لحظات آنية ، صحيح أن العرب مشتتون الآن ، وقد يكون فيهم ضعف ، إلا أن ذلك ليس قدرا غير قابل للتغيير

لقد اجتمعت ببعض نواب « الكنيست » وحذرتهم من المستقبل ، وقلت لهم إن التطور ليس ملك يمينكم فقط ، ولن تستمر المساعدات والحماية الخارجية في تثبيت أركانكم ، عليكم بالسلام مع جيرانكم وأتذكر في هذا المجال ماكانت تردده والدتي

« الجار الحسن ، أفضل من الأقارب الأغنياء »

ولقد انسحبنا أمام الغزو الألماني المفاجيء سنة ١٩٤١ حتى أبواب موسكو ، وقد استخدموا أفضل جيوشهم ، وأفضل صناعاتهم المتطورة ، فلم نقو عليهم ، فانسحبنا ، لكننا استوعبنا الدروس ، وقوينا أنفسنا ، وأعددنا الخطط المناسبة ، وانتقلنا من الدفاع إلى الهجوم ، ثم بددنا قواتهم ، ووصلنا إلى عاصمتهم برلين . لقد دفعنا ثمنا باهضا ، وهذا صحيح ، لكننا حررنا بلادنا ، وأسهمنا في تحرير شعوب كثيرة ، وقضينا على الفاشية والنازية .

وإنني كثيرا ماأقول ذلك لبعض الإسرائيليين ، لكنهم ، أو على الأصح بعضهم يجيبني · سنقاوم ،

وسنعتمد على أصدقائنا في أمريكا والدول الغربية
وكنت أقول إن ذلك لن ينهي المشكلة ، ولن يبقى الوضع على ماهو عليه زمنا طويلا

بيروبيجان واليهود :

* لقد زرت بيروبيجان المقاطعة اليهودية السوفيتية ذات الحكم الذاتي ، ووجدت أن اليهود فيها أقلية ، علما بأنها كانت ـ كمشروع ـ هي الرد السوفيتي على المشروع الصهيوني ، فلماذا اليهود أقلية فيها الآن ؟ وهل كفت الدولة السوفيتية عن اعتبارها مشروعها المضاد للصهيونية ؟

ـ لقد تم تأسيس مقاطعة بيروبيجان منذ حوالي ٥٠ سنة ، والتحق بها اليهود وغير اليهود حسب رغباتهم وطلباتهم الحرة صحيح أن المشروع في البداية كان يستجيب لرغبات بعض اليهود لكي يعيشوا في مجتمع خاص بهم ، ويراعي هذا المشروع مكوناتهم الثقافية الخاصة وقد استجابت الحكومة السوفيتية لهذه الرغبة ، وبخاصة أن اضطهادا قد لحق باليهود أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وكان كثيرون منهم يعيشون في مناطق قريبة من ألمانيا وبولونيا (أوكرانيا بيلوروسيا ، مولدافيا) ، وعندما حصل الاحتلال الألماني لتلك المناطق فإن كثيرا من اليهود لجأوا إلى مناطق أخرى في الاتحاد السوفيتي ، ثم قامت الثورة ، وأصدرت قوانين سمحت بموجبها أن يعامل اليهود تماما كما يعامل أي مواطن سوفيتي من أية جمهورية أو منطقة ، بعد أن كانت القوانين القيصرية تحصر وجودهم في المناطق المشار إليها من قبل
هكذا بدأت تجمعات اليهود تتزايد في موسكو ولينينغراد ثم في أوديسا وغيرها من مدن ، وصولا إلى سيا الوسطى ، ثم وصلوا حتى إلى فلاديفوستك في لشرق الأقصى السوفيتي ، ثم طرح مشروع بيروبيجان سنة ١٩٢٨ كي يكون مقاطعة خاصة اليهود ، ومازال المشروع قائما ، ومايزال اسمها « المقاطعة اليهودية » ، ومازال اليهود فيها حتى الآن .

* لكنهم أقلية فيها ، على الرغم من أنها تحمل اسمهم ، وهم ليسوا الأغلبية في هذه المقاطعة

ـ لقد تأسس المشروع بغرض تجميع اليهود في هذه المقاطعة ، إلا أن هذا الأمر لايتم بالقسر والضغط ، فإننا دولة أممية ، وبإستطاعة المواطن السوفيتي ـ كما ذكرت لك ـ أن يستوطن أي مكان يريد ، وخاصة إذا ماوجد عملا مناسبا فيه ، لذلك فإن اليهود الآن يبلغ عددهم حوالي ١٧ ألف مواطن في بيروبيجان ، من بين حوالي مائتي ألف من السكان ، وقد وجد بعضهم أن موسكو هي الأنسب له ، من حيث العمل والمعيشة وتحقيق الذات فبقى فيها ، وغيرهم وجدوا أن الأمر مناسب لهم في أماكن أخرى ، فبقوا فيها هكذا هي الحياة في الاتحاد السوفيتي

* لكن بيروبيجان تختلف ، إنها المشروع السوفيتي المضاد للمشروع الصهيوني

ـ لاتنس أن الصهاينة قد بدءوا العمل بمشروعهم منذ حوالي مائة سنة تقريبا ، وكرسوا له كل إمكاناتهم وعلاقاتهم

* ألم يكن يهم السوفيت إنجاح مشروعهم في بيروبيجان ؟ لقد وجدت عائلات يهودية في بيروبيجان جاءت من الأرجنتين ، وبعضها جاء من النمسا وبريطانيا وغيرها ، وهذا دليل على أن السوفييت كانوا يخططون لتجميع [illegible] عدد من اليهود ، وليس يهود الا[illegible] السوفيتي فقط في بيروبيجان ، فما الـ[illegible] حدث ؟

ـ إن الأمر ببساطة يعود إلى أن السوفييت لايستـ[illegible] إجبار اليهود أو غيرهم على الانتقال إلى هذا الـ[illegible] ذلك ، وبيروبيجان بلاد بعيدة ، تقع في [illegible] الأقصى السوفيتي على حدود الصين ، والـ[illegible]

يا و ...ش فيها كانت تكتنفه صعوبات كثيرة من

* إن بيروبيجان كما أفهم وكما جاء في الأدبيات السوفيتية في مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن هي مشروع « قومي » لليهود ؟

قد كان ذلك في البداية ، إلا أن كثيرين لم يقبلوا المشروع ، على أساس أنهم سوفييت وأمميون ، علموا الروسية ، اللغة التي توحد بين شعوب وميات الإتحاد السوفيتي . وعاشوا في بيئات روها وعرفوها وتعايشوا مع سكانها وأصبحوا زءا منها ، فلماذا يغادرونها إلى مناطق أخرى دة ؟

سكري والسياسي :

* لقد كنت على رأس الأكاديمية التي درس وتخرج فيها مئات الضباط الأجانب ، ومنهم ضباط عرب ، أود منك أن تجري مقارنة بين ضباطنا والضباط الآخرين في الاستيعاب والعقلية ؟

ناك برنامج واحد موحد نظري وعملي في كاديمية ، وهو يطبق على جميع الضباط ، ويتولاه ن الأساتذة ، وقد كان الضباط العرب ـ حسب ي مدرسيهم ـ من خيرة الضباط استيعابا وتحصيلا ميا ، بل إن بعضهم حصل على أعلى التقديرات ، م يتعلمون بسرعة لغة وعلما

* إذاً لماذا ظهرت ومازالت تظهر بعض الثغرات في كفاءاتهم عندما يعودون إلى بلدانهم ؟

قد يكون ذلك ناتجا عن قصور في صاحب القرار سيا...ي أو الموجه السياسي .

* لقد شاعت مقولات إثر هزيمتنا سنة ١٩٦٧ بأن السلاح السوفيتي غير كفء لمواجهة الأسلحة العربية فما هو تعليقك ؟

ـ إننا نملك وثائق كثيرة عن حرب عام ١٩٦٧ . لقد مضت أكثر من عشرين سنة على تلك الحرب ، وإن كثيرين من العسكريين قد درسوا هذه الحرب وقيموها

لقد كان الدعم الأمريكي « للإسرائيليين » كبيرا ، وهناك تفصيلات لم تنشر في حينها عن هذا الدعم   لقد تم التخطيط لهذه الحرب بالتعاون بين الأمريكيين والإسرائيليين ، ولقد مارس « الإسرائيليون » أعلى درجات الخداع وأشاعوا في إعلامهم أنهم بصدد الدفاع وليس الهجوم ، لكنهم كانوا قد حضّروا أنفسهم للهجوم ، وفي الوقت المناسب بادروا بالهجوم

لقد واجهنا وضعا مشابها مع الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد وقع السوفييت مع الألمان اتفاقية عدم اعتداء وهجوم ، إلا أن الألمان كانوا قد جهزوا أنفسهم للعدوان ، فاعتدوا علينا ، مما اضطرنا للتراجع والانكفاء حتى حدود العاصمة موسكو ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلا ، فأعددنا عدتنا ودحرناهم وأسقطنا النازية .

إن الخداع قد لعب دوره الصاعق عام ١٩٦٧ ، لكن ذلك لم يستمر طويلا ، لأني كعسكري أثق بأن الفشل الآني أو الواحد لايمكن أن يكون قدرا مستمرا أو دائما لقد تحسن الأداء العسكري العربي في حرب سنة ١٩٧٣ ، وكان متميزا   أما بالنسبة للسلاح السوفيتي وعدم كفاءته فإني أعتقد بأن من يروج لذلك فإنه يروج لنكتة فظة ، إذ لماذا يكون السلاح السوفيتي كفواً في هذا المكان ولايكون كذلك في مكان آخر ؟

إن الأداء العسكري العربي لم يستمر بصورة مناسبة سنة ١٩٧٣ ؟

لقد ذكرت لك من قبل أن المشكلة هي مشكلة صاحب القرار السياسي .

الإنسان والآلة :

أيهما أهم . الإنسان أم الآلة في الحروب المعاصرة ؟

- لقد كان الأمر دائما ومنذ فجر التاريخ يعتمد على الاثنين ، الإنسان والآلة معا ، ودون توافق بين الاثنين فإن خللا يحدث ، كما أنهما يجب أن يكونا في حال جيدة

* هل يصح القول بأن هذا السلاح دفاعي ، والآخر هجومي ؟

- أعتقد أن السلاح - أي نوع منه - كان منذ فجر التاريخ هجومياًودفاعياً في نفس الوقت ، فإن المدية تستعمل للدفاع والهجوم معا ، والدبابة والصاروخ ، وأي سلاح آخر يستعمل للغرضين

الصهيونية والاتحاد السوفيتي :

* هل الصهيونية قوية في الاتحاد السوفيتي إلى درجة دفعكم لتأسيس لجنة لمناهضتها ؟

- إن عمل لجنتنا لايقتصر على داخل الاتحاد السوفيتي ، إن لنا علاقات عديدة مع منظمات وأنظمة كثيرة ، ونقوم بفضح الأفكار والنشاطات الصهيونية بواسطة كل الوسائل المتاحة كالصحف والبرامج الإذاعية والتلفازية ، ونقيم بالتنسيق مع منظمات أخرى ندوات ومحاضرات ضد الصهيونية ، ولاتقتصر علاقاتنا بمنظمات دول شرق أوروبا أو ذات النهج الاشتراكي ، بل لنا علاقات مع منظمات معادية للصهيونية في أوروبا الغربية وأمريكا ومناطق أخرى ، وهذا يدل على أن وعي بعض الناس قد نما ، واكتشفوا حقائق الصراع ، فوقفوا مع حق الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية على الرغم من الدعاية الصهيونية الكثيفة القوية

أما من حيث نشاطنا داخل الاتحاد السوفيتي فيمكن القول بأنه لاتوجد منظمة صهيونية لها وجودها العلني داخل الاتحاد السوفيتي ، إنما توجد عناصر تتأثر بالدعاية الغربية المضادة للاتحاد السوفيتي المؤيدة للصهيونية و « إسرائيل » ، وينشطون في مجال تشجيع هجرة اليهود إلى خارج الاتحاد السوفيتي

* هل لجنتكم وحدت لهذا الغرض أي لأجل مكافحة الهجرة ؟

- لقد وجدت لأجل هذا الغرض ولأجل غيره . إننا نعقد الندوات والمحاضرات ، ونصدر المنشورات والكتيبات ، ونستعمل كل وسائل الإعلام المعروفة لكشف أهداف الصهيونية ، وتوضيح مصار الهجرة والمناداة بإعطاء الحقوق الشرعية للفلسطينيين وغير ذلك

الهجرة في الميزان :

* كيف تنظر لجنتكم إلى موضوع الهجرة ، وخاصة هجرة اليهود إلى فلسطين ، وانعكاس ذلك على العلاقات العربية السوفيتية ؟

- علينا أن نضع موضوع الهجرة ضمن إطاره الصحيح ، هناك نص صريح من نصوص الأمم المتحدة ينص على جمع شتات العائلات والأقارب ، بعد أن شتتت الحرب العالمية الثانية العائلات ، لذلك فإن الهجرة قد أصبحت حقا قانونيا لمن يرغب فيها ، وخاصة إذا ماوجد أقارب يدعون الراغب ويتكفلون به هكذا سارت الأمور بعد الحرب لدى جميع الدول ، لاسيما الدول التي شاركت فيها ، وكما هاجر الآلاف ، بل ومئات الآلاف من شتى قوميات الاتحاد السوفيتي إلى خارجه ، فإن الاتحاد السوفيتي قد استقبل مئات الآلاف من العائدين أيضا ، ومازال الأمر مستمرا إلى الآن .

أما بالنسبة لهجرة اليهود فإن هذا الأمر قد أصبح يستعمل سلاحا مضادا ، وخاصة في سنين « الحرب الباردة » ، والغريب أن الضجة والغبار والدعاية التي يستعملها أعداء الاتحاد السوفيتي تنجلي و... ليكتشف العالم أن ما نسبته ١٠ إلى ١٥٪ فقط من اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفيتي يتجهون إلى « إسرائيل » ، والباقي يهاجرون إلى الو...

المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية وكندا واستراليا وغيرها

إن شعار حقوق الإنسان هو أحد شعارات « الحرب الباردة » الذي يستعمله الغرب لأجل خدمة المصالح الصهيونية فقط ، وكي أطلع قراء مجلة « العربي » وبالتالي العرب والعالم أجمع على حقيقة الأمر فإنني أذكر بأن كثيرا من المهاجرين عندما علموا بأن « إسرائيل » وبعض الجهات المؤيدة لها يطالبون بتغيير خط رحلة طيران المهاجرين من فيينا إلى بوخارست ثم إلى « إسرائيل » مباشرة ، دون أن يمنحوا خيار السفر إلى جهات أخرى غير ذلك ، فإن كثيرين من اليهود سحبوا طلبات هجرتهم

والأمر كما ترى مضحك تماما إذا كان الغرب ينادي بحقوق الإنسان فعلا وقولا فلماذا لا يحتج على السلطات « الإسرائيلية » التي تريد مصادرة حق الهجرة والتنقل ، وتجبر المهاجر كي يتجه إلى تل أبيب بدلا من أن يكون حرا في التوجه إلى أي جهة يشاء ؟

الهجرة والعرب :

* ألا تؤثر هجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة على العلاقات الفلسطينية السوفيتية بخاصة ، وعلى العلاقات العربية السوفيتية بعامة ؟

- إنها تؤثر ، وهي عامل سلبي ، لكن على أصدقائنا العرب أن يتفهموا الوضع كما هو ، فإن هذا الأمر هو أحد الأسلحة الموجهة إلى سمعة الاتحاد السوفيتي وهيبته ، إضافة إلى أنه حق من حقوق الإنسان ، وعليك ألا تنسى أن الكثيرين ممن يحملون الجنسية « الإسرائيلية » الآن قد هاجروا من الأقطار العربية .

ومع ذلك فإن لجنتنا تتابع برنامجها في فضح الصهيونية وتوضيح مضار الهجرة . إلخ .

* كيف تتعاملون مع من يرغب بالعودة إلى الاتحاد السوفيتي ؟

لقد منحت السفارة السوفيتية في واشنطن - على سبيل المثال - ٢٥٠ شخصا إذنا بالعودة إلى الاتحاد السوفيتي في الأشهر الستة المنصرمة من عام ١٩٨٧ ، ويوجد ١٢٠٠ طلب تحت الدراسة أيضا

ويدرس الطلب دراسة مستفيضة قد تمتد سنوات ، لاكتشاف دوافع العودة ، وألا يكون الشخص قد تورط مع جهات معادية للسوفييت إلخ . وبعد ذلك وعندما تقتنع الجهات المعنية بأن مقدم الطلب نادم ويريد التكفير عن هجرته بالعودة إلى الوطن ، فإنه يتم الإيعاز للجهات المختصة لتوفير عمل وسكن مناسبين له إننا نأخذ اتفاقية هلسنكي - حقوق الإنسان - بعين الاعتبار ، ونفهم بأن المقدم على العودة شخص ارتكب خطأ بحق وطنه ، ويريد تصحيح هذا الخطأ

* هل يمكن أن نقابل بعض العائدين ؟

- لقد تولت الصحف نشر مقابلات مع بعضهم ، كما تولى التلفاز والإذاعة نشر مقابلات مع بعض العائدين ، ويمكن أن نوفر لكم بعض الصحف التي نشرت المقابلات

* ولماذا لانقابلهم شخصيا ؟

- إن بعضهم يرفض المقابلات ، وغيرهم لايسكنون في العاصمة ، كما أن الفصل هو فصل صيف وإجازات ، وقد غادر بعضهم العاصمة إلى مناطق الاصطياف في الاتحاد السوفيتي

* ألا يمكن تدبير مقابلة حتى مع فرد أو عائلة من العائدين ؟

- إن الأمر صعب . (هكذا أجاب أحد مساعدي الجنرال ، وأضاف أقترح أن تتركوا لنا أرقام غرف الفندق الذي تسكنونه ، وسنتصل بكم ، أو نتصل بوكالة نوفوستي كي نخبركم إذا ماجد جديد) .

شكرت الجنرال ومساعديه بعد أن زودونا ببعض صور القصاصات من صحف سوفيتية أجرت مقابلات مع بعض العائدين .

وبدأت أسعى عن طريق علاقاتي الشخصية للوصول إلى بعض العائدين ، وفعلا فإنني قد وصلت . □

قراءة نقدية لكتاب

السيد من حقل السبانخ

رواية عن المستقبل

من تأليف صبري موسى

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

هل كتابة رواية عن مشكلات الإنسان في القرن الرابع والعشرين نوع من الترف الفكري والفني ، أم أن كتابة رواية عن المستقبل يمكن من بعض الوجوه أن تكون مثل كتابة رواية عن الماضي محاولة لرؤية الحاضر من موقع مغاير بحثا عن إمكانية أفضل لفهم هذا الحاضر ، والحوار معه ، والتماسا للاتجاه الصحيح لتطور الإنسان ومساعدته على السير فيه ؟

بغض النظر عن الفروق بين رواية عن التاريخ وأخرى عن المستقبل ، فالعنصر المشترك بينهما هو أن الحاضر موجود فيهما بشكل أو بآخر ، وأن هذا الحاضر هو مصدر الخبرة العامة المشتركة بين الكاتب وقارئه التي منها ينطلقان ، سواء بتمثل الماضي في رواية تاريخية أو تخيل المستقبل في رواية عنه !

وقد كان من الطبيعي أن تظهر الرواية التاريخية أولا إلى الوجود ، وأن يبلور النقد الأدبي قيما نقدية حولها ، وأن تبقى رواية المستقبل أو ما يعرف باسم رواية الخيال العلمي حتى الآن تحتل هامشا محددا على حافة أي حركة أدبية ، وأن تثير من الأسئلة أكثر مما تملك من الأجوبة ، وبالتالي فسوف تبقى الحاجة ماسة إلى التماس أجوبة عن هذه التساؤلات من أين يبدأ كاتب رواية الخيال العلمي ؟ أمن الفروض العلمية التي لم تتحقق بعد ، أم من النظريات العلمية المطبقة بنجاح في مجالات محدودة واحتمالات تطبيقها على مجالات أوسع وأخطر ؟ وماذا ينجم عن احتمالات تحققها ؟

وكيف يرسم كاتب الخيال العلمي شخصياته ، بل وما هو مفهوم الشخصية في مثل هذه الروايات وكيف يقدم الكاتب المعلومات اللازمة للقارئ لكي يتواصل مع هذه الشخصيات التي لا سبيل لفهم سلوكها فضلا عن التفاعل معه إلا من خلال معه

هـذه المعلومات التي تؤثر في محيط الشخصيات ، وبالتالي في سلوكها ؟

وإذا كنا نعرف أنه لا توجد هناك صورة واحدة لمستقبل واحد ، بل هناك احتمالات لمستقبلات عديدة ، فهل ينحاز الكاتب لإحدى هذه الاحتمالات وتكون روايته تفسيراً لانحيازه ، أم يختار مستقبلا عريضا تتصارع فيه التيارات كما هو قائم في الحاضر ؟! وكيف يكون الصراع بين شخصيات الرواية التي تعكس هذه التيارات ؟ هل سيكون صراعا فيه نبض حياة المستقبل كما يتخيلها الكاتب أم يسقط الكاتب في شرك الأفكار والاتجاهات والمعلومات ؟

وأين تكمن القيمة في مثل هذه الروايات ، هل في المعلومات وجدتها ، أم في روعة الخيال القائم هذه المعلومات ، وقدرته على الاقناع والإثارة ، في صدق النبوءات التي تحتوي عليها الرواية ، وما ذلك من تأحيل للحكم على قيمتها ؟!!

بعض قصص الخيال العلمي تقتصر على متابعة تحقيق فرص علمي وحيد في مجال معينه ، مثل مسرحية « لو عرف الشباب . » لتوفيق الحكيم التي كتبها في الأربعينيات ، وصور فيها إمكانية أن يسترد شيخ طاقة الشباب ، فماذا تفعل شخصية يتاح لها أن تمتلك المعرفة والطاقة في وقت واحد ؟!

وبعضها قد يغامر بتصوير حياة عريضة في إطار متغيرات كبيرة ، في مجتمع بأسره ، مثل مسرحية « رحلة إلى عالم الغد » لتوفيق الحكيم أيضا ، ورواية عام (١٩٨٤) لأورويل ، ورواية « السيد من حقل السبانخ » التي نتناولها في هذا المقال وإذا كان النوع الأول يمكن أن يظفر في العادة ببناء دقيق محكم فإن النوع الأخير يواجه تحدي الحاجة لتحقيق الانسجام والتوازن والوحدة ، وكلها ضرورية لأي رواية ولو كانت رواية من الخيال العلمي !

بناء الرواية

يرتكز بناء هذه الرواية على محورين أساسيين ، المحور الأول حادث خروج « السيد هومو » عن البرنامج المرسوم خلال عودته من عمله ذات يوم في حقل السبانخ ، ومن هذا الحادث تتداعى أحداث القسم الأول من الرواية ، إذ نتعرف على جميع شخصيات الرواية من خلال مواقفها ، وطريقة تفسيرها لهذا الحادث ، ويكون هذا الخروج عن البرنامج بمثابة الشرارة التي تفجر المشكلات والأفكار والتساؤلات ، ويحتدم صراع الشخصيات حول معزى هذا الحادث المفجر ، وينصبح هذا الصراع في تيارين أساسيين ، تيار يقوده النظام الحاكم في مجتمع القرن الرابع والعشرين ، ويرى في هذا الخروج مؤشرا على خلل في هذا الفرد ، ينبغي علاجه وتطويقه ، حتى لا يتوالى انتشاره ، وتيار يقوده « سروف » المعارض ، وهو عالم كان يحتل مكانا مرموقا في النظام ، لكنه انفصل عنه ليقود المعارضة ضده ، ويرى في خروج السيد هومو وأمثاله دليلا على خلل في النظام ، ويتخذ من « السيد هومو » رمزا لتيار المعارضة

المحور الثاني

محاضرة حول « مستقبل الجنس البشري » يقيمها النظام ليحسم فيها الصراع الدائر بينه وبين المعارضة ، ومن هذه المحاضرة والمناقشات الدائرة من حولها ينجلي الصراع عن فوز النظام وحصوله على الأغلبية اللازمة لإقرار برنامجه الجديد عن التطور الانساني في المرحلة القادمة ، ويختار « بروف » وتياره ومعهم « هومو » بطل روايتنا (رجل السبانخ) أن يخرجوا من مجتمع القرن الرابع والعشرين الذي يستعد لمواصلة رحلته في الكون ، ويعودوا إلى الأرض القديمة التي قد أصبحت غير صالحة للحياة بعد الحرب الالكترونية الأولى في نهاية القرن العشرين ، يعودون للبحث عن إمكانية تحقيق مسار مختلف لتطور الإنسانية وهكذا يبدو محورا الرواية ، وكأن أحدهما يدور ليفجر المشكلات والآخر يدور ليحسمها !

شخصيات الرواية

كما ألمحنا فإن الكاتب يقدم شخصيات الرواية من حيث علاقتها بحادث خروج « السيد هومو » عن البرنامج ، وابتداء نعرف أن السيد « هومو » قد شعر فجأة برغبة غامضة في ألا يواصل السير في الطريق المعتاد لكن إلى أين ؟ ولماذا ؟ يبدو أنه لم يفكر طويلا في هذين السؤالين ، فقد أسلم نفسه لشعور غامر بالارتياح فقط لمجرد إحساسه بأنه كسر ذلك البرنامج ، وتمكن من الإفلات من قبضته ، لكن هذا الشعور بالارتياح لا يدوم طويلا ، فالشارع الذي يسير فيه يمضي بين جدارين مرتفعين من البلاستيك السميك الشفاف ، لا توجد به فتحات أو نوافذ أو دكاكين ، ويكاد يخلو من المارة ، عدا أعداد قليلة من العاملين في معامل البروتين النوعي التي توجد أسفل الأبراج السكنية ، وهم لا يعبأون كثيرا بتحيته التي يلقيها عليهم ، فهم في طريقهم إلى أعمالهم وفق برنامجهم ، وينتهي به المسير إلى محطة السفر إلى الفضاء الخارجي ، التي لا يوجد فيها سوى أولئك الذين حانت مواعيد سفرهم وفق برنامج محدد ويبدو أنه خارج البرنامج ـ أي برنامج ـ لا مجال لشيء سوى الشعور بالتعب والإنهاك والجوع . والغريب أن يصبح هذا هو الجديد المثير بالنسبة للسيد هومو ، فهو لم يجرب هذه المشاعر من قبل ، تلك المشاعر التي تشير المعلومات التاريخية أنها كانت تصيب الإنسان القديم ، وهكذا كان على السيد هومو في النهاية لكي يتخلص من وطأة الشعور بالتعب والجوع والانهاك ، ولكي يتحدث أيضا عن ذلك لزوجته وأصدقائه ، أن يعود إلى البرنامج ، وأثناء غيبة السيد هومو في مغامرته يقدم لنا الكاتب السيدة ليالي زوجة هومو من خلال بحثها عن أسباب تأخر زوجها في العودة ، ثم نتعرف على صديقه « دافيد » ، لأن الزوجة بحثت عن زوجها عنده ، ثم نتعرف على أعضاء لجنة التحقيقات الممثلة للنظام ، لأن زوجها مَثُل في اليوم التالي أمام أعضاء اللجنة لسؤاله عن أسباب خروجه عن البرنامج ، ثم نتعرف على « بروف » في أحد ملاهي المناقشات العامة ، وهي أماكن أعدها النظام ليستطيع من يشاء من أفراد المجتمع في القرن الرابع والعشرين أن يقول فيها ما يشاء بصراحة تامة في أي شيء ولو كان ضد النظام (هايد بارك القرن الرابع والعشرين) وقد ذهبت السيدة ليالي ودافيد إلى هذا الملهى لمتابعة تحقيق اللجنة مع زوجها على شاشات العرض هناك قبل أن يسمح لها بمقابلته في مركز التحقيق

وقد استمعت إلى أقوال زوجها أمام اللجنة ، وإلى تعليقات المتابعين في ملهى المناقشات ، ومن أهمها تعليق بروف الذي كانت تراه لأول مرة

حول هذا المحور تتحرك أحداث الرواية في إيقاع هادىء نوعا ما ، ربما لأنه مثقل بوصف الكاتب لملامح الحياة في مجتمع القرن الرابع والعشرين ومثقل بتساؤلات كل شخصية عن مغزى خروج السيد هومو عن البرنامج ، وتفسيرها لهذا الحادث ومن هذه التساؤلات نتعرف على جوانب من الشخصيات ، وجوانب من هموم العصر ومشكلاته وتطلعاته ، ونقتحم عالم هذه الرواية .

تساؤلات أفراد أم تساؤلات عصر

هل كان خروج السيد هومو عن البرنامج مجرد تصرف عفوي كما يقول أمام أعضاء اللجنة ، وأنه بممارسته كان يمارس نوعا من الحرية أم أن تصرفه هذا يشكل ثغرة في النظام؟ ولو أنهم أطلقوا الحرية لكل فرد كي يتصرف على سجيته في أمر كهذا لانفتحت في النظام آلاف الثغرات ، لتدخل منها كل عيوب البشرية القديمة ، مثل الإهمال والفوضى والكسل والكذب ، كما يقول أعضاء اللجنة ؟

وهل يعالجون حالته ـ كما عالجوا حالات سابقة بدأت تظهر في الآونة الأخيرة ـ باعتبارها نتيجة لسأم من حياته الروحية أو حياته المهنية ، فيلجأون إلى « الكمبيوتر » لإعادة ترويجه أو لتغيير مهنته مع أن « الكمبيوتر » هو الذي اختار له مسبقا روحته ومهنته ، ولم تسبق له شكوى من أي منهما ؟!

أم أن المسألة كما قال « بروف » في ملهى المناقشات

« ليست قضية افتقاد الحرية ، بل هي افتقاد الجمال ، فقد ابتعد مجتمع القرن الرابع والعشرين ـ بسبب اعتماده الساحق على التقنية المتطورة جدا ـ عن فطرة الطبيعة الخلابة وجمالها السحري الذي أصبحنا لانشاهده إلا في أفلام الأرشيف السينمائي القديم ، وأن هذا هو السبب في حالات الخروج عن البرنامج ؟ » .

إن حديث السيد « بروف » عن ضرورة العودة إلى الطبيعة في ملهى المناقشات يثير حيرة السيدة ليالي زوجة هومو وهي تبحث عن معنى لخروج زوجها عن البرنامج كانت لديها تساؤلاتها الخاصة النابعة من علاقتها بزوجها ، فهل يكون لما يقوله السيد « بروف » عن العودة إلى الطبيعة علاقة بذلك ، لقد [illegible]ب منها أن تخبر زوجها حين تزوره في مركز ال[illegible] حقيق أن يعتمد في دفاعه عن موقفه على فكرة ا[illegible]اد الطبيعة ، وليس افتقاد الحرية ، لكن دافيد [illegible]يق زوجها يؤكد للسيدة ليالي « أن العودة إلى ال[illegible]يعة مستحيلة ، فنحن نحيا بالفعل في طبيعة بديلة أكثر ملاءمة ، وأن المعادلة الصعبة التي يواجهها النظام هي إنتاج أكثر لتحقيق عدالة وفيرة يتطلب تزايدا آليا على حساب المساحة الطبيعية » ولا ينتظر السيد « بروف » حتى تنقل السيدة ليالي رسالته إلى زوجها ، بل يبادر بالاتصال به في مركز التحقيق ، ويحدد له موعدا للقائه ، ولا ينتظر حلول الموعد ، بل يشرح له فكرته باختصار عن أن سبب خروجه عن البرنامج هو افتقاده للطبيعة بسبب سيادة العبيد الآليين « الربوتات » الذين يقومون عنا بغالبية الأعمال التي كنا نقوم بها ، فهؤلاء العبيد الآليون هم السادة الجدد ، وهم سر تلك الظواهر ال[illegible] على التعاسة التي بدأت تظهر هنا وهناك

وتصبح هذه الفكرة نوعا من الإلهام « للسيد هومو » ، فقد كان قبل أن يتصل به « بروف » وبعد استجواب اللجنة له يتأمل في شجرة صناعية تسقط أوراقها كما كانت تفعل أي شجرة طبيعية ، وكان يفكر أن البشرية تطورت حقا من عصر النحاس الأحمر معدن الصناعات الكهربائية إلى عصر الالمنيوم معدن الطيران إلى عصر التيتانيوم معدن سفن الفضاء ، لكن من حق الإنسان المعاصر أن يتساءل إلى أين ؟ إن الشعار الذي يرفعه النظام الآن وهو « من الإنسان الفرد إلى الإنسان الملاك » لم يعد قادرا على أن يمحه الثقة القديمة يقول لزوجته السيدة ليالي وهي تحاول أن توضح له أنه ربما يكون هناك نوع من الخلل في علاقتهما الجنسية قد أدى إلى خروجه عن البرنامج

ـ لا ، ليست هذه هي المشكلة ، إنني أشعر أن كلام السيد « بروف » يقترب من الحقيقة ، فكلما ازددنا تقدما في الكون فقدنا إحساسنا بذواتنا ، وازدادت حاجتنا لابتكار أدوات وآلات أكثر تقدما ، إننا قد نصنع كائنات تتفوق علينا ، بل لعلنا فعلا قد أصبحنا عبيدا لهذه الآلات كما يقول السيد « بروف »

لكن السيدة ليالي التي كانت تشعر بشرود زوجها وهو معها في الفراش كانت تتفاعل مع فكرة « بروف » بطريقة مختلفة ، فهي تدرك أن الإنسان

حده هو النوع الوحيد الذي تحصل فيه الأنثى على نشوة الجنسية ، وأنه استطاع أن يوفر لنفسه شكلا ن أشكال التناسل يقوم على الاختيار الذي ينتج تنوع والتمايز ويدفع بالتطور إلى الأمام . ولقد ظل لذا الانسان عبر مسيرته الطويلة متأرجحا بين رغبته ، اشباع غرائزه من ناحية وبين اعترافه بالمسئولية لاجتماعية من ناحية أخرى . وليس في الحيوانات لها من واجه تلك المشكلة ، فالحيوان إما أن يكون رديا أو اجتماعيا ، والإنسان هو وحده من تطلع إلى ن يكون فرديا واجتماعيا في وقت واحد . وهاقد صلت أداة الاختيار الجنسي بالإنسان في هذا العصر لى أنهم يصنعون بطريق التكاثر الخلوي في الأنابيب سخا متماثلة من أم جميلة وذكية وأب قوي وبارع ، هم ينتجون من هذه النسخ في المعامل بالآلاف ، لعمل في الخطط الانتاجية المبرمجة

أتكون تلك هي الخيانة التي ارتكبها الانسان وهو قف على قمة تطوره ضد الطبيعة ، فبدأت الطبيعة تنتقم منه ؟ أما « دافيد » فقد جلس يستمع إلى « هومو » بعد أن عاد من التحقيق ، وهو يعقد مقارنة شيرة بين حال الإنسان في القرن الرابع والعشرين وهو يعيش بعقل مسترخ في كسل تأملي لديد بينما لوحات الباردة والساخنة تأتي إليه عبر الأنابيب ، بين الكائنات الضخمة التي انقرضت في الماضي لبعيد لأن أجسامها الثقيلة ظلت تربطها بالأرض تحت ظلال أشجار الغابات الاستوائية السحيقة لقدم ، بينما تطورت الثدييات لأنها أحدت تتسلق لأشجار العملاقة ، وتتاح لها فرصة التحرك والتأمل في عالم رحب من الأضواء والأزهار والبراعم والحشرات

ويتساءل دافيد باستنكار

- لكن من المؤكد أن لدينا عقولا تعمل لتدير هذا المجتمع الذي يوفر الحياة السعيدة لكل فرد ، فالذين يشغلون المراكز القيادية على جانب كبير من الذكاء

- نعم ، لكن في المقابل فإن جميع الذين لا يشغلون المراكز القيادية مطلوب منهم سهولة الانقياد والمهارة الخالية من « العاطفة » ثم يتابع « هومو »

إن أوضاعنا في عصر العسل لا تهدد الذكاء الانساني فقط باعتمادنا على العبيد الآليين (الروبوتات) ، بل إنها تطمس الإرادة الفطرية التي تقود غريزة الارتقاء في البشر

- أتريد أن تقول إن لحظة التوقف التي انتابتك هي وليدة انتباه مفاجيء لافتقاد الإرادة

- أجل ، أن تجد نفسك تعمل فقط ما هو متوقع ، ومعتاد أن تعمله !

جدل الشخصية والقضية

واضح من استعراض هذا الجزء من الرواية أن القضية المحورية فيها هي قضية التطور من أين وإلى أين وكيف ؟ وأننا نتعرف على كل شخصية من خلال تكيفها أو عدم تكيفها لذلك التغير الذي يحدثه التطور التقني الهائل في الطبيعة ، سواء طبيعة الأرض أو طبيعة الإنسان الذي يعيش عليها ، ومع أن الكاتب بدأ الرحلة من موقف محدد هو خروج السيد هومو عن البرنامج ، ثم مواقف الآخرين منه ، فإننا مع مسار الأحداث كنا نتعرف على الشخصية من خلال موقفها من الفكرة ، وأحيانا على الفكرة من خلال حديث الشخصية عنها أو تفكيرها فيها وقد يلاحظ القاريء في الصفحات الماضية طغيان الفكرة على حساب الشخصية ، وأن احتياجات توضيح الفكرة وشرح أبعادها للقاريء كان هو الذي يفرض الجرعة والأولوية ، وشيء مثل هذا قد حدث بالنسبة للمعلومات ، ففي صفحة ٣٧ من الرواية ، وأثناء التحقيق مع « هومو » يستطرد مندوب النظام العام في حديث عن إنجازات النظام في توزيع العمل والطعام والكماليات الخ

وهذا الحديث لا يقتضيه الموقف ، حيث يتوجه إلى « هومو » ، والمفروض أنه يعرفه جيدا ، لكن الكاتب في الحقيقة كان يحتال لتقديم هذه المعلومات لقاريء القرن العشرين عما تم إنجازه في القرن الرابع والعشرين ، وواضح أيضا أن جوهر الدراما في هذه الرواية هو دراما الأفكار والاتجاهات المتصارعة ، وأن الأساس النفسي لهذا الصراع

ـاحيا ، وباستثناء شخصية « هومو » التي كانت احيدية بمعنى من المعاني ، وشخصية روحته ليالي إن بقية الشخصيات كانت أحادية الجانب ، لا يبرر ـها إلا ما يتصل بالموقف من قضية التطور

إن الايقاع السائد في هذا الجزء من الرواية ما هو لا إيقاع التساؤلات الحائرة بحثا عن إجابات غير ؤكدة ، وفي هذا الجزء من الرواية يتم التركيز على لأصوات التي تصنع المعارضة ، وإذا كنا قد سمعنا شياء عن وجهة نظر النظام خلال التحقيق مع هومو » ، فهي من النوع الذي يهيء القارئ لاستماع لوجهة نظر النظام الكاملة وهي التي يرد بها ن الأسئلة الحائرة في الجزء الأول من الرواية ، دلك في المحاضرة التي يلقيها ممثلو النظام في القاعة لكبرى ، حيث تواعد بروف وهومو على اللقاء ـ ثناء التحقيق ـ في ثالث أيام الإجازة الأسبوعية ليقودا لمعارضة ضد النظام !

مستقبل الجنس البشري

في القاعة الكبرى المعلقة التي بنيت على شكل مخ شري لأنها هي التي احتفظت بكل ما تبقى من لحضارة الانسانية في القرن العشرين بعد أن دمرت الحرب الالكترونية كل شيء ، وقف مندوب النظام يلقي محاضرته التي هي عبارة عن برنامج ثوري للخطوة التطورية القادمة ، ولمعالجة حالات الخروج عن البرنامج التي تكررت في الفترة الأخيرة

وفي القاعة كان بروف وهومو ومن معهم من المعارضين يجلسون ليستمعوا إلى المحاضرة ، ويعلقوا عليها قبل التصويت على البرنامج الذي تتضمنه

ـوت النظام

وتقوم المحاضرة على الخلاصات التالية

تذكير الناس بالنظرية التي ترجع الكوارث ـبرى التي حدثت للإنسانية وعاقت تطورها ، ي كان آخرها الحرب الالكترونية في نهاية القرن ـشرين إلى أن دماغ الإنسان يحتوي على قسمين ، قسم خاص بالغرائز والانفعالات ، وقسم خاص بالمنطق والتفكير ، وأنه بينما تطور القسم الخاص بالمنطق بقي القسم الخاص بالغرائز دون تطور »

الطفل البشري يظل عاجزاً ومرتبطا بوالدته مدة أطول بكثير من المدة التي يقضيها أي صغير آخر من المخلوقات الأخرى وبسبب هذا الالتصاق الطويل ينمو مع هذا الطفل التعصب الأعمى للأفكار والمعتقدات الموروثة دون تفكير

إن العملية التربوية القائمة على فصل الأطفال عن وعاء الأم سواء في المرحلة الجنينية أو مرحلة الطفولة من خلال خطة الولادة المعملية التي بدأ تطبيقها في نصف القرن الأخير قد أثمرت نماذج متحررة من الإحساس الفردي ، ومرتبطة تماما بالنظام العام وأهدافه التطورية

إن هؤلاء الطلائع يحملون منذ سنوات مسئولية التنمية البشرية في المجتمعات الجديدة فوق سطح كوكب القمر ، وهي مهمة تستدعي البقاء في الفضاء الخارجي عشرات السنين ، وهو شيء لا يستطيع احتماله الاشخاص الذين ولدوا ونشأوا في أحضان عائلاتهم ، حيث يستولي عليهم الحنين والقلق ، ويؤثر على تفكيرهم وطريقتهم في الأداء ذلك الشعور بالاغتراب عن الأسرة

لهذا أيها السادة فإن خطة التوصل إلى بشر عقلانيين التي يسير فيها النظام بتدرج يجب أن تسير بسرعة أكبر ، فالوقت لا يسمح بهذا الترف الوجداني بالعودة إلى التفكير في الطبيعة التي تعبر عنها تلك الحالات الشاذة التي بدأت تظهر على بعض الأفراد هنا وهناك ، إنها نذر بأن الشعور الفردي الذي يقود إلى المخالفة والتعصب ما يزال كامنا يهدد المسيرة البشرية الجديدة

ثم يبدأ المحاضر بناء على هذه الفروض والرؤية المبنية عليها بطرح برنامج النظام الجديد الذي يقوم على فكرتين :

ـ مواجهة الحالات العارضة للانقطاع عن البرنامج بمعالجة عقول أصحابها كيميائيا بحيث تعود

يهم السيطرة العاقلة على أنفسهم
ـ إعلان الغاء مؤسسة الزواج ، وبهذا الإلغاء حول الشعور تجاه الابن المجهول تلقائيا تجاه كل لأبناء في المجتمع البشري

صوت المعارضة

* إن النظام يتحدث عن تطوير العقل وإلغاء لغرائز دون أن يلاحظ ذلك الهبوط المستمر في ستوى الذكاء البشري ، نتيجة لسيادة المنطق الآلي لميكانيكي ، دون أن يلاحظ التناقص بين هبوط ذكاء لإنسان في الوقت الذي تزداد كفاءة العقول الصناعية حتى أصبحت قادرة على الاختراع ، ووضع لتصاميم واختزال الخبرات السابقة

إن البرنامج الذي تقترحونه سوف يجعل عقول لأشخاص تعمل دون إرادة أصحابها ، وأن تتفاهم هي مستقلة عن ردود فعل أصحابها

* إن الانسان الفرد هو البداية والنهاية ، وهو لغاية والوسيلة ، ودون ذلك فأنتم صائرون إلى حالة شبه ما هو قائم في مملكة النحل ، وهي صورة قديمة ن صور الحياة ، ومن التنظيم الاجتماعي

وقبل التصويت الذي يسفر عن فوز برنامج النظام ستمر المساجلات بين المؤيدين والمعارضين التي تتسع لها الرواية ، ولا يحتملها هذا المقال

نظرة شاملة

إذا كان من الممكن مناقشة الجوانب الفنية في مثل هذه الرواية في هذا المقال ، فمن الذي يملك حق مناقشة الجوانب العلمية الموزعة على شتى العلوم لبحتة أو الاجتماعية ؟ ومع ذلك فلا أقل من إثارة بعض التساؤلات

في ضوء التجربة البشرية التاريخية قد يبدو مقبولا ذلك الفرض القائل بأن طول فترة حضانة الطفل البشري تسهم في خلق مناخ للتعصب والفردية والاختلاف ، لكن ماذا عن مشكلات البديل الذي يقترحه النظام ؟ فطول فترة حضانة الطفل متعلقة بخصوصية طفولة البشر وليس بالزواج ، واحتمال أن يحل التعصب للنظام محل التعصب للأسرة والوطن قائم ، المهم أن مشكلات البديل لم تطرح . بل لم تعرف على نطاق تجريبي واسع ومن يملك حق الحديث عنها ؟؟

تلجأ الرواية إلى منهج أقرب إلى الحسم بين التيارات المتصارعة في المجتمع الإنساني ، مع أن الجدل بين هذه الاتجاهات قائم في ذات الفرد مثلما هو قائم بين القوى الاجتماعية . والسؤال هو هل التحدي المطروح هو إزالة الاختلاف بين الأفراد مع أنه أحد مصادر الثراء والتنوع والتفرد ثم التطور ، وأحد مصادر الجمال حين يؤدي إلى التكامل والتناغم ؟

أم أن التحدي الحقيقي هو المحافظة على الاختلاف والتنوع دون أن يقودنا ذلك إلى التعصب والدمار ، بمعنى أن يتعلم البشر كيف يقلبون الاختلاف ، ويتعاملون معه بنجاح لخدمة التطور ؟

ويتم ذلك من خلال صيغة أو مركب جديد يذيب التناقض السابق ويؤدي إلى خطوة تطورية أكثر تقدما

على الرغم من أن الصراع في الرواية بالدرجة الأولى صراع أفكار وتيارات ، يمتد على نطاق عديد من القضايا ، فقد حققت الرواية درجة عالية من الوحدة والانسجام بين حركة الشخصيات والأفكار والرؤى ، وأكدت ما تميز به الكاتب الروائي صبري موسى في كل أعماله السابقة من جدية والتزام بقضية تصبح في رأسه ، ومهارة فنية عالية ◻

● اذا مارأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه ، وأنت تعصيه ، فاحذره
(الامام علي)

يَدُ رَجُلٍ مِثْلَهُ !

بقلم : محمود الريماوي

ما ان استعد لأخذ مكانه وراء الطاولة حتى سمع تحية الصباح من أول « زبون » جاء يشتري علبة كبريت نعم ، علبة واحدة تكفي رد التحية وهمّ بمناولته ما طلب ، فاذا بالشاب يقترب منه ، ويرسل إليه نظرات ثاقبة ، ويقول بصوت محمص لكنه مسموع اليوم إصراب يا حاج لماذا فتحت الدكان ؟

(استغرب الحاج . لم يكن يعرف)

ـ هـل يجب أن أغلق الـدكـان حتى ينجـح الاصراب ؟ لا أحد يشتري ولا أحد يبيـع ، أليس هذا إصرابا ؟

قال ذلك بنبرة متبرمة ، وهو يتفرس في الشاب الذي لا يعرف قسماته ، ولا يعرف من هو وما اسمه ، لم يكن متأكدا من صحة ما قاله ، وكل ما في الأمر أنه لا يريد أن يترك نفسه نهبا للحرج ، أمام هذا الشاب الواقف . الصحيح أنه لا يعرف بالاصراب ، ولعله اليوم الأول

ـ الاصراب يعني أن تغلق المحلات أبوابها ، ولا تذهب الناس الى اعمالها ، ولا يـذهب الاولاد الى المدارس ، ولا يتحدث أحـد مع جنـودهم ، أنت تعرف ذلك يا حاج

ـ أعرف ، لا تجعلهم يسمعوك ، خذ كبريتتك واعـرف أين تولعهـا ، تتحدث مثـل ابي محمـد ، أخذوه ، هل تعرفه ؟

ـ طبعا أعرفه ، سيحرج محمد

تـأكد الحـاج (الذي عـلى نية الحـج) أن جرار الطاولة ليس به نقود ، اطمأن وتنهد ، واتجه الى باب الدكان ليغلقه قرفص ، وأخذ يعالج القفل ، فإذا بجندي يعتمر خودة يلكزه من الخلف في كتفه

ـ أنت ماذا تفعل ؟

ـ أغلق دكاني

ـ لماذا تغلقها ؟

ـ تريد أن تشتري شيئا ؟

ـ لاأريد أن أشتري

ـ لماذا تسأل ؟ هذه دكاني أغلقها وأفتحها متى أريد
ـ قف وتكلم معي ، قف ، يقولون لك لاتفتح فلا تفتح ، افتح تفتح
ـ من هم يا أفندي ؟
ـ المحربون ، أنت محرب مثلهم
ـ نعم ؟ حقيقة على لسانكم هذه النعمة ، لا أحد يخرب البلاد غيركم

لم يجب الحدي المتأهب ، فقد هرب الى زاوية الشارع ، وانضم الى مجموعته ، إذ رأى صبية يتراكضون أغلق الحاج الباب وتلفت يميناً وشمالاً ، ومشى في السوق عائدا الى البيت لم يكن على عجلة من أمره فهل حرج من البيت ليعود اليه بعد ساعة واحدة ؟ تطلع حواليه ، المحلات جميعها معلقة ، إنه إضراب حقا ، قال لنفسه « لو على الاضراب بضرب ١٠٠ سنة » ، وشعر بالرضا لانه تحدى الحدي وأغلق الدكان كان لايغلق الحاج الدكان إلا للذهاب الى الصلاة ، وقد شعر وهو يتمعن في الشوارع الخالية ، بشيء من الخشوع الذي يسبق الصلاة « ماذا يعملون بمحمد الآن ؟ » ، ودمعت عيناه ، وتمنى لو أنه كان موعد صلاة ليصلي ، ويدعو له من كل قلبه

ـ قف أنت الى أين تذهب ؟
ـ الى البيت
ـ أين البيت ؟
ـ تعرفون أين البيت ، البيت الذي أخذتم منه محمدا
ـ أسأل عن البيت فتقول محمد ، من محمد هذا ؟
ـ محمد ابني وأنا أبوه ، لماذا أنت خائف ؟ دعني أمر
ـ أنت مجنون
ـ أنت خالع

أكمل الحاج طريقه ، لكن لم يذهب الى البيت ، فماذا يفعل هناك ؟ لكن أين يذهب ؟ لقد أغلق تجارته البائرة ، وها هو يمشي كالمأخوذ ، لماذا لا يطلب مقابلة محمد ؟ لن يوافقوا ، سيذهب ، إن ذهب فلسماع الاهانات فقط ، لأنهم لايخجلون

محمد ابن السادسة عشرة الوحيد الذي عندهم إخوته الأكبر منه فاتهم خارج البلاد ، وأخته الـ[illegible] متروحة منذ خمس سنوات أخذوه في الواحدة بعد نصف الليل ، انتزعوه كالوحوش من سرير[illegible] وضربوه ، وليس عنده سلاح ، لماذا تأخذو[illegible] هكذا خاطبهم وهو يندفع اليهم ، فدفعوه بعيدا ثلاثة أمسكوا بمحمد ، وأخذوه بسرعة ، ولقد مضى على ذلك عشرة أيام منذ ذلك اليوم والحاج لاينام والحاجة لا تنام ، ولا حتى الارض ولا الملائكة و[illegible] السماء تنام ، لا أحد يقبل الظلم ، لا العباد [illegible] الارض ، ولا رب العباد في السماء ، الدنيا تغيرت [illegible] أيام ، والناس ما عادت تخاف أو تحسب حساب لشيء .

كل شيء له أوان ، فما طار طائر وارتفع إلا كم[illegible] طار وقع ، الجنود فقط هم الخائفون ، ومع كل هذ[illegible] الاسلحة والطائرات والدبابات والهراوات فهم خائفون فكيف لو كانوا بلا أسلحة ؟ وكيف لو كان معنا نحن أسلحة ؟ ولم يرهم خائفين كما يراهم هذ[illegible] الايام

ـ لاتذهب من هذا الشارع يا عم
ـ لماذا ؟ ومن أي شارع سأذهب ؟
ـ من أي طريق ، فالجنود يضربون الشباب
ـ والشباب ؟
ـ يضربون بالحجارة
ـ بالحجارة ؟! ماذا تنفع الحجارة يا بني ؟
ـ وهل الكلام هو الذي ينفع ؟ اختر لك طريقاً آخر

انتظر قليلا حتى ذهب الشاب ، ولم يختر طريقة آخر ، بل أكمل طريقه بطيئا ، وسمع أصـ[illegible] طلقات الرصاص ، ورأى سحب الدخان ، [illegible] صرب صحيح كان يمشي على مهل ، ثم [illegible] لاستطلاع ما يجري حوله ، كأنما ينتظر هاتفا [illegible] يذهب الآن ، وماذا عليه أن يعمل . الشباب [illegible] كلهم شبانا ، فهناك الصغير والكبير ، يناديه [illegible] بعضا ، ويظهرون ويختفون بلمح البصر ، [illegible] ملثمون وبعضهم مقنعون ما أشجعهم [illegible]

. . صغيرا ، في عمر محمد ، بل يمكن أصغر ،
.. أسمع عن الثورة ، ورأيت بعض الثوار
.. قهم الطويلة ، نعم كان معهم بنادق ، فهل من
معقول أن تقوم ثورة بالحجارة ؟

فتح راحة يده ونظر إليها فرأى الشقوق المحفورة
فقط في اليد الحافة ، وحاول أن يتذكر ملمس البندقية
، يده ، يد رجل مثله لا ، لم أحمل بندقية ، فقد
كنت صغيرا ويتيما أيضا ، ولم يعطني أحد بندقية ، ولم
أعرف من أين تؤخذ البنادق ، كنت صغيرا ،
١أو١٥ سنة ، أصغر من محمد ولكنك
مرت سأقف هنا الآن ، فقد يمر أحد أعرفه
ا هو دكان العطار مغلق وهذا صالون أبي رباح
مغلق ، ومقهى أبي يوسف مغلق ايضا أين ذهب
الناس ؟ مضى العمر ولم تحمل سلاحا وها هو
محمد مثلك شجاع نعم ، لكنه لم يحمل سلاحا

وأنت تقول للجنود صادقا بأنه ليس عنده سلاح ،
كل الأسلحة مع اليهود ، هل خلق الله الأسلحة
لليهود ؟ لا إله إلا الله لست مذنبا ولست
جبانا ، ولا يقدر أحد عمل ذلك

هز رأسه بأسى وندم ، وفتح راحة يده مرة
أخرى ، فرأى الشقوق المحفورة ، وكاد يطعمها ،
طعن يده ببصقة ، ثم تمتم ، فماذا لو رآه أحد يفعل
ذلك ، ألا يعتبره بالجنون ، كما فعل الجندي
الاسرائيلي » (الخالع) ؟ ثم انتبه إلى أنه واقف في
مكانه يحدث نفسه ، فانتفض ، ودفع كتفيه ، وعبر
ول ثم حاجبي ماذا يحدث هنا ؟ لقد أصبح في
منتصف المسافة تقريبا بين حشد الجنود وجموع
المتظاهرين ، وأخذته المفاجأة حتى أنه لم يكترث
سحب الدخان الكثيفة والحجارة المتطايرة ، ولم
يلفظه سوى اطلاق نار غزير باتجاه المتظاهرين ،
باتجاه مجموعة من هؤلاء على أحدهم وقد سقط
رص لا تقل إنه محمد ، محمد بخير ، وهذا الشاب
علم الله مدى خطورة اصابته هذا الذي يحدث
ماما ، وأنت لاتبكي لماذا إذن هذه الدموع ؟
كاد عتنق بينما الشباب يقذفون مصادر الدخان
السير بمزيد من الحجارة ، بالحجارة ، لم لا ؟ !

ألا يبني الحجر بيتا ويرفع سوراً ومئذنة ، ويشج
رأس كل محتال رنيم ؟ ما بك واقف ؟ هل أنت
غريب ؟ أنت مع من ؟

انحنى الحاج فجأة كأنما يهم بالركوع ، أو كما
ينحني مزارع على ثمار الحقل ، وتناول مثلهم أول
حجر صادفه ، التقطه واستدار وقذفه هه
هل أصابهم ؟ وبحث عن حجر آخر ، حجر أكبر ،
وقذفه بعزيمة أشد هه ، وتناول حجرا آخر
وصوبه جيدا هذه المرة نعم إنه يشعر بالخجل
لأكثر من سبب ، ويغالب خجله بتصويب المزيد من
الحجارة ورحم ابليس بها ، إلا أنه لم يخجل حين
سقطت كوفيته ولم يرفعها ، فليس به حاجة إليها
الآن ، وقد استبد به لهاث حار طويل متقطع ، جعله
يلهج بالشكر واللعنات ولا يدري على من ومن
لا يرى عن مد نظره سوى ذراعه الحاملة
للحجارة ولا يسمع سوى الصرخات والهتافات
والطلقات تنبعث من جميع الجهات ، والسماء تشهد
على ما يجري بعضهم يحاول أن يبعده الى
الوراء ، فيريحه ، ويتقدم حتى استيقظ هناك ، في
المستشفى ، ورأى حوله حلقا كثيرين مصابين مثله ،
وعرف أن الحالة لم تهدأ ، وفتح يديه فإذا هما
سليمتان لم أكن أن أعرف أنني قاذف جيد
هذا يكفي هذه المرة إنها أول مرة يدخل فيها
معركة ، فليشكر القوي القهار وأخذ يضحك
مع نفسه كالمأخوذ غير المصدق اشتاق إلى محمد
دون أن يساوره قلق عليه ، ولم يعرف بالضبط
وهو على هذه الحال إن كان قد عاد الى صباه ، إلى
عمر محمد ، أم أنه الآن فقط قد دخل مرحلة الرجولة
الكاملة ؟!

وكلما نظر الى راحة يده كتم ضحكته ، وتولته
مشاعر مزيج من الزهو والخجل والحيرة ، ثم أخذ
يحرك راحتي يديه متأهبا للخروج دون أن يسأل عن
جرحه وسأل نفسه الى أين ؟ثم أجاب
ستقودني طريقي كما حدث في المرة الاخيرة وأيقظته
جلبة حوله سيدخل الجنود الى المستشفى ، فهب
واقفا وتقدم الى ملاقاتهم □

بقلم الدكتور سمير رضوان

لطم إنسان القرن العشرين البيئة على خدها الأيمن ، فلم تدر له خدها الأيسر ، بل لطمته على خديه وشددت أذنيه ! وما لم يتعظ الانسان من هذا الدرس القاسي فهو إنما يقامر بوجوده ، وقد يصبح عليه في المستقبل غير البعيد أن يرحل عن كوكب الأرض بلا رجعة !

تتسم معارك الاستنزاف بأنها طويلة المدى ، وأن الغلبة فيها مكتوبة في النهاية لذي النفس الأطول الذي يقوى على امتصاص الضربات وردها بصورة أقسى وأشد. ولقد بادر إنسان القرن العشرين بالعدوان على بيئة الأرض. ولم يكن الدافع من وراء عدوانه هذا شرا متأصلا في نفسه. إنما وقع هذا التعدي من باب الغفلة في غمرة تقدمه العلمي والصناعي. وكان من الطبيعي - طبقا لسنة الخلق - أن تقلب البيئة للانسان ظهر المجن علّه يرتدع ويعلم أنه مجرد أحد أنواع الأحياء التي تحيو هي عليها. فبيئة الأرض أقدم في الخلق وأثبت من الانسان - أحدث الأحياء - بل ومن جميع الأحياء قاطبة. ومن عاداها مدحور بلا أدنى شك مهما أوتي من أساليب القوة ، فهي الأطول نفسا - وهي الأكثر قدرة على تحمل الضربات وردها الصاع صاعين وثلاثة وأكثر - إذا لزم الأمر.

الأرض قديمة والكون أقدم

كان يعتقد - الى عهد قريب - أن عمر الكون يتراوح ما بين ١٦ الى ١٨ ألف مليون سنة ، إلا أن أحدث الدراسات التي أعلنت نتائجها هذا العام ، والتي اعتمدت في قياس عمر الكون على مقارنة نسبة عنصر كوني في صورته المشعة الى صورته غير المشعة - وهي أحدث طرق القياس المتاحة الآن وأدقها - قد بينت أن هذا التقرير مبالغ فيه - وأن الرقم الأقرب الى الواقع هو ١٠ الى ١٢ ألف مليون سنة وقد نوقش موضوع عمر الكون في مؤتمر عالمي عقد في العام الماضي في مدينة نوردكيرشن بالمانيا الاتحادية ، كما نوقش فيه أيضا كنه المادة الأولى التي تشكل منها الكون في ذلك الزمن القديم. شارك في هذا المؤتمر حوالي ٢٥٠ باحثا في شتى فروع الفيزياء ومن النتائج التي اتفقوا على صحتها أن الذرات التي تتكون منها المادة ومكونات أنويتها المعروفة البروتونات والنيوترونات ليست في الواقع « المحطة النهائية » عند البحث عن أدق وحدات للمادة. إذ ثبت أن كلا من هذه المكونات يتكون بدوره من جسيمات أكثر دقة يترابط بعضها ببعض ترابطا وثيقا يصعب فك عراه. وتجري في معامل علمية أوروبية عديدة دراسات تعرض من ...

ـد وتونات والنيوترونات لـوابل من درات تـدفع
ـ عة الضوء بعية فك عرى هذا الارتباط الوثيق
وا ـدف من وراء هذه المجهودات هو الحصول على الصورة الأولى التي كانت عليها المادة الكون قبل ان ـكثف وتتشكل على صورة نجوم وكواكب وتجدر الاشارة هنا الى أن العلماء لم ينجحوا بعد في الحصول على هذه الصورة الأولية الا أنهم على الطريق الصحيح الى هذا الهدف

كانت هذه المقدمة ضرورية لالقاء الضوء على صل كوكب الأرض فالأرض مثل شتى الكواكب والنجوم مكونة من درات تكثفت من الصورة الاولى التي سعى العلماء للحصول عليها لدراستها وكشف اسرارها وكوكب الأرض نشأ منذ حوالي ٥ الاف مليون سنة ، تعرض خلالها لصنوف معقدة من التغيرات التي لم تتوقف في الماضي ولن تتوقف في المستقبل ولقد اختار الله هذا الكوكب ليصبح البيئة التي يعيش فيها الانسان الى أن تقوم الساعة وعمر الانسان على الأرض لا يتجاوز مليونا واحدا من السنين وكانت قد سبقته الى كوكب الارض جميع المخلوقات الحية الأخرى من مكروبات ونباتات وحيوانات وقد ظهرت أوائل الأحياء على الأرض منذ حوالي ٣ الاف مليون سنة

نخلص من ذلك الى أن الأرض أقدم من الانسان بكثير وأن الله لم يخلقها بيئة خاصة به كي يحكرها بل ان الانسان هو الذي طرأ على جميع الأحياء وكان عليه ـ لكي تستقيم حياته وحيوات الكائنات الأخرى ـ أن يتعامل معها ومع البيئة التي تضمهم جميعا بحكمة غريزية أوجدها الخالق فيه بالفعل

كل الأحياء تؤثر في بيئة الأرض

ولفهم ذلك لابد لنا أن نتعرض لما هو المقصود بـ « البيئة » فنقول إنها هي الطبقة الرقيقة من كوكب الأرض التي تشمل سطح هذا الكوكب وتمتد الى أمتار قليلة تحت هذا السطح كما تشمل الغلاف الجوي المحيط بهذا الكوكب الى ارتفاع يبلغ عشرات قليلة من الكيلومترات ، هذا هو ما اتفق العلماء على تسميته « بالغلاف الحيوي » أي الغلاف الذي تعيش

كائنات البحر والتلوث القاتل

فيه شتى الأحياء مؤثرا بعضها في بعضها الاخر وفي المادة الصلبة والسائلة والغازية المحيطة بها وليس هناك كائن حي واحد إلا ويؤثر في هذه البيئة ويتأثر بها ، على أنه تأثير يمكن أن يسمى التأثير « الغريزي » الذي يقع دون تدبير أو قصد من الكائن الحي فالأحياء حين تتنفس الأكسجين وتوفر ثاني اكسيد الكربون إنما تؤثر في كيمياء الجو وميكروبات التربة التي تهضم المادة العضوية فيها لتتغدى بها فارزة مواد معينة إنما تؤثر في كيمياء التربة ، ومثل ذلك يحدث أيضا في الماء وباستمرار على أن هذا التأثير الغريزي في البيئة محسوب ومتوازن ولا ضرر من ورائه حتى الحيوانات الضارية لا تؤثر في ميزان الأحياء إلا بمقدار محسوب فمن المعروف أن معظم الحيوانات الضارية لا تعتدي على الفريسة إلا عند الشعور بالجوع ومن أجل سد الحاجة الغذائية فحسب ، وعلى ذلك فلم نسمع عن أن نوعا من الحيوانات انقرض فقط بسبب افتراسه من قبل الضواري

لم يؤثر مخلوق في البيئة كما فعل الانسان

عندما أنزل الله الانسان الى الأرض منذ حوالي مليون سنة كان تأثيره على البيئة متواضعا ولم يكن يختلف عن تأثير الأحياء الأخرى ، فقد كان هذا التأثير يتسم « بالعريزية » المطلقة إلا أن الانسان يختلف عن جميع الأحياء الأخرى إذ ميزه الله « بالعقل » الذي تفتقر اليه كل الأحياء الأخرى وثمة فرق عظيم بين المخ ، وهو العضو الموجود في أعداد كبيرة من أنواع الحيوانات - ومن ضمنها الانسان - وبين العقل الذي يتفرد به الانسان ، والذي يستطيع به أن يأتي أفعالا مقصودة ومدبرة فصلا عن الافعال التي تتحكم فيها العريزة ولسنا بحاجة الى أن نذكر أن العقل هو مصدر قوة الانسان وسيطرته على الأحياء الأخرى فالقرد مثلا - وهو أقرب الأنواع للانسان بيولوجيا - لا يمتلك إلا قدرا يسيرا للغاية من القدرة على التدبير المقصود لا تزيد عن قدرات الحيوانات الأخرى ، وذلك على الرغم من إمكان تدريبه بعد مشقة على مهارات تبدو عقلية خلاصة القول أن عقل الانسان قد يسر له استحداث تأثيرات مدبرة مقصودة في البيئة إضافة بالطبع الى التأثير العريزي الذي أشرنا اليه ولقد كانت آثار الانسان الأول على بيئة الأرض تغلب عليها السمة العريزية ويقل فيها التدبير والقصد ، ومع الزمن ، ومع تدرج الانسان في سلم الترقي ، ومع تعقد حاجاته باطراد تزايدت ملكاته التدبيرية ، ومن ثم تأثيره في البيئة

عدوان الانسان على البيئة

تدل نتائج الدراسات البيولوجية على أن النوع البشري قد أثر تأثيرا عميقا في البيئة وكان من نتيجة ذلك أن اختلت الموازين السائدة بين شتى الأحياء على الأرض عدة مرات ومن المستغرب ان أنواع الأحياء التي تعيش على هذا الكوكب اليوم لاتمثل إلا حوالي ١ ٪ فقط من مجموع الأحياء التي شهدتها الأرض خلال رحلتها الطويلة معنى ذلك ان ٩٩ ٪ من أنواع الأحياء قد انقرضت بغير رجعة كما أثبتت هذه الدراسات أن معدل انقراض الأنواع على الأرض بعد ظهور النوع البشري قد بلغ .. ضعف لمعدلات الانقراض قبل ظهوره ، وهذا يوضح تماما الأثر الحاسم لهذا المخلوق في ... الأرض ، ولقد كان اختراع الزراعة إحدى الخطوات الأولى التي قضى من خلالها الانسان على أعداد لا تحصى من أنواع النباتات وذلك من اجل أن يحفظ عددا محدودا من الأنواع الأخرى فالمعروف أن المساحة المزروعة على الأرض تبلغ اليوم حوالي ١٠ ٪ من مجموع مساحة اليابسة، يزرع الانسان حوالي نصفها بثلاثة أنواع فقط من النباتات هي القمح والذرة والأرز أما الأنواع التي قضى عليها في سبيل الحفاظ على النباتات الثلاثة فتبلغ عشرات الألوف ومن المعروف أيضا أن انسان القرن الأخير قد قضى على أنواع شتى من الحيوانات ، وان كان بعضها قد أمكن الحفاظ عليه من الانقراض في المراحل الأخيرة بعد جهود مضنية

وكثيرا ما كان يقضي الانسان على الحيوانات التي تضمها بيئته بحماقة تدعو الى الاستغراب مثال ذلك الجاموس الأمريكي الذي كان الثروة الحيوانية الرئيسية عند الهنود الحمر قبل أن يجتاح الرحل الأبيض أمريكا هذه الثروة الحيوانية الكبيرة أوشكت أن تستنزف تماما بسبب هواية الصيد عند الرحل الأبيض في أوائل القرن الحالي كانت قوافل الصيد تخرج بالمركبات الوثيرة لتتوقف بالقرب من قطيع الجاموس الذي ينعم بالمرعى في سلام فيترجل الصيادون ويمطرون الحيوانات بوابل من الرصاص ثم يتركوها صرعى ويعودون الى مركباتهم وينطلقون بعيدا هل هناك حماقة أغرب من هذه لمجرد إشباع شهوة القتل لدى بعضهم أوشك نو بأكمله أن ينقرض لولا أن تداركه المعنيون بشئون البيئة فجمعوا الأعداد القليلة قبل أن تنتهي وتعهدو بالرعاية في حدائق وطنية حتى بلغت أعدادها الـ عدة ألوف ونحن لا نسعى هنا الى حصر ما قام الانسان من عدوان على البيئة إنما قصدنا ذكر أمثلة قليلة فحسب ويقتضي الانصاف أن نذكر هنا هذا العدوان لم يكن مبعثه في العالب إلا غفلة الا...

جهله ففي غمرة التقدم العلمي والصناعي غابت عن الانسان حقائق كثيرة . أو لنقل تجاهلها دون أن يقدر مدى خطورة هذا التجاهل فكانت النتيجة أنه أصاب بيئته بأضرار بالغة نذكر فيما يلي بعضها

الانسان سمّم البيئة :

لم يشهد الغلاف الحيوي في أية حقبة من عمر كوكبنا قدرا من التلوث مثل القدر الذي أصابه خلال العقود القليلة الأخيرة من هذا القرن فقد لوث الانسان التربة والمياه والهواء وطبقات الجو العليا أما التربة فقد لوثها بما ألقى فيها من سموم إما كمخصبات وأسمدة أو كمصادات للأعشاب والحشرات والآفات أو كنفايات لصناعاته العديدة ولوث المياه بمخلفات المجاري والصناعة وكمثال وحيد نذكر الأطنان من مساحيق الغسيل التي تنتهي الى الأنهار والبحار مما رفع نسبة الفوسفات فيها الى حدود حرجة كما لوث الانسان الهواء بعوادم السيارات والمصانع فرفع تركيز ثاني اكسيد الكربون في الجو ولوثه بغازات أخرى سامة لم تكن موجودة فيه من قبل مثل اكاسيد الكبريت والنيتروجين الناتجة عن احتراق الوقود وعن عملية التسميد هذه الأكاسيد هي التي تتسبب فيما أصبح يسمى المطر الحمضي ، وذلك عندما تذوب في مياه الأمطار التي تصبح أحماضا محممة تتركز مع الزمن في التربة لتقضي على شتى صور الحياة فيها كما لوث الانسان طبقات الجو العليا وعلى وجه الخصوص غلاف الأوزون ، وذلك من خلال الاستعمال المتزايد لغاز « كلور فلور هيدروكربون » كغاز طارد في عبوات الرش المختلفة

يرتفع هذا الغاز بعد تحرره من عبوة الرش الى الطبقات العليا فيتفاعل مع الأوزون حتى أصبح غلاف الأوزون اليوم على درجة من الرقة والضعف لم يعهدها من قبل وطبقة الأوزون هي التي تحمي الحياة على الأرض حيث تمتص الاشعاعات الكونية المهلكة التي تصل الى سطح الأرض ومن المؤلم أن صور التلوث هذه قد بلغت اليوم بالفعل حدا يصعب معه السيطرة على آثارها السيئة فغازات الطرد التي ذكرناها ترتفع ببطء شديد في الجو وتستغرق حوالي ١٠ سنوات كي تصل الى غلاف الأوزون على ارتفاع يتراوح بين ٢٥ و ٤٠ كيلو مترا عن سطح البحر والمعنى الخطير لذلك أن البشرية لو استطاعت اليوم أن تمنع تماما استعمال هذه الغازات - وهو هدف تسعى اليه بالفعل كثير من الدول الصناعية - لما استطاعت على الرغم من ذلك أن توقف تآكل طبقة الأوزون على الفور بل سوف يستمر هذا التآكل سنوات عشرا أخرى على الأقل وهي الفترة التي تستغرقها الغازات التي رششناها اليوم في رحلتها ونذكر هنا أن العالم السويدي لارس - مكتشف هذه الطبقة - قد أعلن منذ شهور قليلة أن معدل تآكل غلاف الأوزون قد انخفض الى حد ما ولكنه مازال في الحدود الحرجة

الانسان قضى على أحياء نافعة

لقد قارف الانسان ذلك بالأسلوب غير المباشر كما قارفه بالأسلوب المباشر أما الأسلوب غير المباشر فيعود بنا مرة أخرى إلى ظاهرة التلوث ، إذ أن هذه الظاهرة قد أدت بالفعل إلى اغتيال أعداد لا حصر لها من الأحياء بل وإلى انقراض الكثير من الأنواع ولا بد أن القارىء قد سمع عن الموت الجماعي للأحياء البحرية الضخمة كالحيتان والدلافين ويميل كثير من العلماء إلى الاعتقاد بأن تلوث المحيطات هو السبب في هذا الموت ولابد أن القارىء قد سمع أيضا عن موت الأسماك وجميع أنواع الحياة في شتى أنهار العالم ، وآخر ذلك ما أعلن في الصيف الماضي عن تسمم مقطع من أعالي نهر الراين في الأراضي السويسرية ، اذ أثبت فحص يجري بصورة دورية « روتينية » على أحياء النهر أن جميع صور الحياة قد ماتت بنسبة تجاوزت ٩٠ / وشمل ذلك الأسماك - صغيرها وكبيرها - والأحياء الدقيقة التي تتغذى عليها هذه الأسماك وقد ظل العلماء السويسريون يضربون أخماسا في أسداد حول أسباب هذه الظاهرة المفاجئة حتى أعلن العلماء الألمان والفرنسيون أن التلوث بالسموم هو السبب فقد حللوا عينات من المياه التي أخذت من الجزء الحيوي

لنهر الراين. وأثبتوا وجود نسبة مرتفعة من مصادر حشري كان يستخدم في هذه المنطقة، لاسد أنه تسرب إلى النهر متسببا في هذه الكارثة. على أن من أخطر ما تسبب فيه التلوث هو بلا شك موت الغابات في شتى بقاع العالم. ففي أحدث الدراسات التي نشرت عن موت الغابات الصنوبرية في أوروبا مثلا ثبت أن هذا الموت قد بلغ حدودا مرعبة. إذ بلغت نسبة موت الأشجار في هولندة ٥٩٪ وفي ألمانيا الغربية ٥٣٪ وفي سويسرة ٥٢٪ وفي تشيكوسلوفاكيا ٤٩٪ وفي فرنسا ٣٨٪ وفي السويد ١٧٪. كما بينت هذه الدراسة أن التلوث الصناعي هو المتسبب في هذا الموت. وتتضح هذه الحقيقة من اكتشاف علمي حديث أثبت الدارسون من خلاله أن الغازات التي تتصاعد رأسيا من المداخن المرتفعة ـ مهما بلغ ارتفاعها ـ سرعان ما يتغير اتجاهها في طبقات الجو العليا بزاوية قائمة تماما فتنطلق العوادم موازية للأرض أفقيا مع اتجاه الريح مكونة ما أصبح يعرف «بطبقة الانعكاس». وفي استطاعة العلماء تحديد ارتفاع هذه الطبقة بدقة، وكانت المفاجأة أن جميع القياسات قد أثبتت أن معظم موت الأشجار التي تكسو الجبال والمرتفعات يحدث على مستوى طبقة الانعكاس هذه. مما يوفر دليلا ماديا على أن التلوث الصناعي هو المسئول عن موت الغابات.

كيف ردت البيئة على عدوان الانسان؟

ذكرنا بأن كوكب الأرض يبلغ اليوم من العمر حوالي ٥ آلاف مليون سنة، ظل خلالها يتبدل ويتشكل تحت تأثير عوامل طبيعية وكيميائية وبيولوجية لا حصر لها. ولقد كانت الأوضاع السائدة على هذا الكوكب في أية لحظة من عمره المديد هي في الواقع محصلة التوازن الدقيق بين ما أفضت إليه هذه العوامل. ولم يكن هذا التوازن يتعرض للخلل إلا في حدود محسوبة، وسرعان ما كان يتم تصحيح الخلل مرة أخرى، دون أن تشعر الأحياء بما يجري في البيئة من حولها. إلا أن إنسان القرن العشرين قد استطاع ـ بما حباه الله من عقل ـ أن يتسبب في تغيرات عميقة مقصودة، تناولنا أمثلة قليلة منها بالوصف. واقتضت سنة الله في خلقه أن تتحرك البيئة من جانبها لكي تصحح هذا الخلل. وكما هو متوقع كان رد الفعل من قبل البيئة مساويا في عمقه لفعل الانسان مما أدى إلى كوارث حقيقية.

الكوارث الطبيعية في السنوات الأخيرة

وقعت في السنوات الأخيرة في أنحاء شتى من العالم كوارث عديدة لم تكن تحدث من قبل. من أمثلة ذلك هطول الأمطار بغزارة في مناطق كان المطر فيها معتدلا، وانقطاع الأمطار تماما في مناطق كان المطر يهطل فيها ولو نادرا. لقد كان الصيف الماضي في أوروبا مثلا غزير المطر بشكل غير عادي مما أدى إلى تلف المزارع وإلى سيول وانزلاقات وانهيارات أرضية خاصة في المناطق الجبلية. وتسبب ذلك في موت النحل وجرح البعض وتشريد البعض. وتشير الدلائل إلى أن هذه الظواهر الطارئة لها علاقة مباشرة بتعدي الانسان على البيئة. فهل كان هذا التعدي حقا سببا أدى إلى مثل هذه الكوارث؟ وفي بداية إجابتي على هذا التساؤل أود أن أسجل إحصائية معراها على قدر كبير من الخطورة. تدل القياسات الفيزيائية على أن درجة الحرارة في جو الأرض ترتفع باطراد، كما تدل أيضا على أن معدل هذا الارتفاع سوف يزداد زيادة كبيرة في المستقبل. لقد ارتفع متوسط درجة حرارة الجو في خلال العشرة آلاف سنة الماضية بمقدار درجة واحدة مئوية إلى درجة ونصف درجة فقط. أما في السنوات الخمسين القادمة وحدها فسوف يرتفع متوسط درجة حرارة الجو طبقا لقياسات دقيقة ما بين ٣ إلى ٥ درجات مئوية وهذا قدر لا يستهان به على الاطلاق.

ولقد ارتفع تركيز ثاني اكسيد الكربون في جو الأرض في العصر الحديث من جراء احتراق الوقود في السيارات والمصانع، كما أن مساحات الغابات الخضراء التي كانت تستهلك قدرا عظيما من هذا الغاز في عملية التمثيل الضوئي قد تقلصت كما ذكرنا. وهذا هو السبب في ارتفاع حرارة الجو باطراد أضف إلى ذلك أن الباحثين قد اكتشفوا في طبقات الجو العليا غلافا من غاز الميثان (ـ

حريق وتلوث واضح للبيئة

ستنقعات) هده الطبقة التي نشأت في الرمس
تديث تعكس إشعاعات الحرارة التي تفقدها
رص عادة في الفضاء فتعود مرة أخرى لترفع من
رارة الجو وغاز الميثان هذا تنتجه أنواع لا هوائية
بكتيريا التربة التي تنتعش كلما زاد تركيز ثاني
سيد الكربون وكلما تشبعت التربة بمياه الأمطار
كن ما علاقة ارتفاع حرارة الجو بغزارة الأمطار في
اطق مثل أوروبا وندرتها في أفريقيا ؟ يهطل
طر عندما ترتفع ـ بتأثير الحرارة ـ طبقات الهواء
شبعة بالبخار إلى أعلى وتصادف ريحا باردة تكثف
خار الماء هذا ما يحدث الآن في أوروبا بغزارة لا
ل لها من قبل خاصة أن درجات الحرارة ترتفع
طراد كما ذكرنا أما المناطق الجافة فواضح أن
تفاع الحرارة يزيدها جفافا على جفاف فتربتها
ملا فقيرة في الماء ، ومن ثم فالهواء الساخن الذي
صعد إلى أعلى لا يحمل بخارا لكن ما علاقة غزارة
أمطار بالانزلاقات والانهيارات الأرضية التي سمعنا
بها في أرجاء شتى من أوروبا وأمريكا وآسيا هذا
صيف ؟ لقد درس علماء اليابان أسباب ظاهرة
انزلاقات الأرضية فوجدوا أن معظم الانزلاقات
تحدث عندما تتسرب مياه الأمطار في التربة حتى
تصادف طبقة صماء فتتجمع بغزارة هناك مما يخلخل
هذه الطبقة فتكتسح السيول بسهولة الطبقة التي
تعلوها فإذا وقع ذلك على منحدر مثل سلسلة جبال
حدثت انهيارات جبارة كالتي سمعنا عنها في منطقة
جبال الألب مثلا ولكن ما علاقة ذلك كله بتدخل
الانسان في البيئة ؟ على الأقل في المناطق التي قضى
فيها الانسان على الغابات بالتلوث أو بالاجتثاث تبدو
هذه العلاقة واضحة جلية فالمعروف أن الأشجار
تمتص كميات هائلة من مياه الأمطار بمجرد هطولها
وتعيدها بخارا للجو خلال عملية النتح

الأخطار في المستقبل أعتى وأشد .

ما لم يغير الانسان من أنماط سلوكه تجاه البيئة
تغييرا جذريا وما لم يتعلم من دروس الماضي القريب
فلا شك أنه سوف يرحل عن هذا الكوكب في
المستقبل فهو ليس بقادر على أن يحارب ضد قوانين
الطبيعة بأي حال من الأحوال لقد تحاشيت في مقالتي
الخوض في أمور كثيرة ـ لا يتسع المجال لها ـ مثل
الاشعاعات النووية التي يقتل الانسان الحديث نفسه
بها كما يقتل نفسه بالتلوث تدل أحدث إحصائية
على أن معدل موت البشر بسبب استنشاق مواد سامة
ملوثة للجو قد ارتفع في عام ١٩٨٦ بمقدار ٧٫٦٪
مقارنة بعام ١٩٨٥ أكرر أن هذه الزيادة حدثت
خلال عام واحد فقط ولست بحاجة إلى التذكير
« بتشيرنوبيل » ولا بأمراض السرطان والحساسية
التي تسببها الملوثات حتى أن مادة مثل
بيركلورواثيلين التي شاع استعمالها في تنظيف
الملابس بالبخار أثبتت البحوث مؤخرا أنها تصيب
حيوانات التجارب بأنواع من السرطان على أنني
أذكر في الختام بأن الارتفاع المطرد في درجة حرارة
الجو سوف يؤدي يوما بالضرورة إلى ذوبان الجليد في
القطبين مما سوف يرفع منسوب المياه في البحار
والمحيطات إلى مستوى يغرق تحته مناطق كثيرة من
العالم آهلة بالسكان والأرقام والحسابات مسجلة
ومحفوظة لمن يريد أن يقرأها ، ومن قرأها بالإمعان
الذي تستحقه تأكدت لديه ضرورة أن يهادن الانسان
بيئته بل أن يخطب ودها وأن يدللها □

أرقام

بقلم . محمود المراغي

الترحال نشاط عربي قديم ، وفي صدر الاسلام عرف العرب الترحال البعيد من أجل التجارة تارة ، ومن أجل نشر الدعوة تارة أخرى ، فخرجت القوافل ، وخرجت الجيوش ، وإن أخذت في معظم الأحيان شكل « الترحال المؤقت »

أما الآن فيأخذ الترحال طريقا آخر ، فدول الأنهار كانت أكثر استقرارا من الناحية الزراعية والنشاط الاقتصادي والسكاني بشكل عام ، وكانت الهجرة منها محدودة للغاية ، لكن بعد أن أصبح العمل في السنوات الأخيرة سلعة قابلة للتداول وللتصدير تغير الوضع ، وأصبحت هذه البلدان - مثل المغرب ومصر والسودان - أكثر قدرة على تصدير قوة العمل

لقد تغير المألوف ، وأصبحت أقطار عربية كثيرة في دائرة الجذب ، بعد أن كانت في دائرة الطرد

والأهم أن المنطقة العربية قد أصبحت واحدة من المناطق الرئيسية في العالم التي أصبحت تعرف ظاهرة الهجرة ، فاستقبلت وصدرت بالملايين

العرب المهاجرون

في تقرير عن مستقبل الاقتصاد العربي حتى عام (٢٠٠٠) أعدته أمانة الجامعة العربية والصندوق العربي للإنماء وصندوق النقد العربي ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول رقم يقول إن عدد العاملين العرب في الخارج يتراوح بين (٥ - ٥,٥) ملايين شخص ، وأن ربع هؤلاء على وجه التقريب يعمل في بلدان غير عربية ، مثل الجنوب الأوروبي الذي ينتشر فيه القادرون من أقطار المغرب العربي

والأرجح أن هذا التقرير قد جاء متحفظا ، فتعداد المصريين والفلسطينيين واللبنانيين وحدهم يفوق بالتأكيد الرقم الاجمالي الذي أشارت له الدراسة ، ومع ذلك وإذا اعتبرنا الرقم الذي عكف على دراسته الاقتصاديون رقما يقترب من الصحة فإننا لابد أن نسجل أننا أمام ظاهرة مهمة ، تحتل موقعا متميزا في الاقتصاد العربي ، وفي الخصائص السكانية للمنطقة العربية

تعداد العرب الآن يقترب من (٢٠٠) مليون نسمة ، لكن قوة العمل التي تمثل القادرين والراغبين في العمل لا تزيد نسبتها عن (٢٨٪) ، أي ٥٠ مليونا

ومعنى الأرقام أن المهاجرين من أجل العمل ... نسبتهم (١٠٪) من قوة العمل تقريبا ، أو أن ... مهاجرا واحدا بين كل عشرة من المشتغلين ... كانوا من الإناث أو الذكور

لكن إذا حاولنا قياس التأثير الاقتصادي ... ذلك بكثير ، فمتوسط دخل المشتغل في ...

ـاره يعوق دحل المشتغل بالداحل وادحاره بعشرة اف

ـا أن دلك العدد المنتشر في أرجاء العالم كافة ع تخصصاته من بسيطة كعمال البناء . الى مهن ـدة وخبرات عالية طالما أطلقنا عليهم اسم ـرة الأدمغة » ، والأكيد أن حرءا كبيرا من ـف السوي الذي يتم من العالم الثالث ويتجه الم الأول مصدره الوطن العربي وفي كل ـوال فإن عنصرا رئيسيا للهجرة يلعب دوره ، تفاوت المستوى الاقتصادي ، وثمن العمل في ـب الأسواق

الرواج الى الانكماش

ـحت العمالة العربية الى الخارج في فترات ـاح ، ومعظمها في فترة الرواج النفطي

صحيح أن عمالة كثيفة قد انتقلت في وقت مبكر المغرب والجزائر وبدرجة أقل من تونس الى فرنسا ص الأسواق الأوروبية ، وصحيح أن كفاءات ية سافرت من مصر ولبنان والسودان وغيرها مل في الشمال الأمريكي أو الشمال الأوروبي ، الأغلب الأعم جاء مصاحبا للرواج ، وجاء ارك في عمليات البناء الأساسية التي شهدتها أقطار ط العربية في السبعينيات

لذا فعندما بدأ الانكماش في دول النفط ، وعندما ـس الركود في العالم الصناعي نفسه بات ـكماش في سوق العمل أمراً منطقيا وطبقا راسة السابقة فإنه من المتوقع أن ينخفض عدد ملين العرب خارج بلدانهم الأصلية بنسبة تتراوح (٢٠/ و ٢٥/) عام ١٩٩٠ ، أي بنسبة ٤/ سنويا تقريبا منذ عام ١٩٨٥ حتى بداية الحقبة القادمة

الأسباب واضحة ، فمع انكماش ايرادات النفط انخفضت الاستثمارات والنشاط الاقتصادي بشكل عام ، ومع مرور السنوات حدث تشبع في بعض الأنشطة الخدمية ، وما يتصل بالبيئة الأساسية والتشييد ، وكان من الطبيعي أن تنحسر بعد ذلك هذه الأنشطة

الأسباب إذن متعددة ، وخطط دول النفط تبرر أي نوع من العمالة يقع في دائرة الاستغناء ، فالخطة الخمسية تستهدف تخفيض العمالة الأجنبية التي بلغت ثلاثة ملايين مشتغل بمقدار (٦٠٠) ألف خلال سنوات الخطة ، ونصفهم ممن يعملون في التشييد

قطاع التشييد أول القطاعات الطاردة ، وتليه قطاعات أخرى في الادارة والخدمات والتجارة ، لكن . وعلى النقيض ، قد تستمر قطاعات الصناعة والزراعة والنقل قطاعات جاذبة

على أي حال فإن هذه التحولات في سوق العمل سوف يصحبها ارتفاع في الأهمية النسبية لمشاركة الوطنيين في دول النفط بالأنشطة المختلفة وعلى العكس سوف تكون عودة هذه العمالة التي تبدأ بالأقل مهارة مشكلة حقيقية في الأقطار العربية الأخرى التي طالما اعتمدت في الحقبة الماضية على أعداد أكثر وتحويلات أكبر للعاملين في الخارج

الآن تواجه هذه الأقطار مشكلة نقص في المواد ، خاصة من العملة الأجنبية ، كما تواجه مشكلة العائدين ، وضغطهم على سوق العمل إنها معضلة الحاجة الأكثر للاستثمار ، والقدرة الأقل في نفس الوقت ، فهل تستطيع ؟ □

● لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل

(أبو بكر الصديق)

● الانسان الذي لا يعمل بعلمه كالشجرة المورقة ، لا ثمر لها

(أبو حيان التوحيدي)

منتدى العربي

قضية

نحن لا ننزع الشك !

بقلم : فوزى عبدالقادر الفيشاوي *

وردية تلك الصورة التي ترسمها أحهزة الاعلام الحماهيرية ، لذلك النوع من التقنية ، المسمى « الهندسة الوراثية »

وأخشى أن يكون التنقيب عن المشاكل والمعوقات ، والتفتيش ـ بدأب ـ عما تصمره صدور المصاريين والسماسرة في سوق الحيات محيا للآمال ، معتما للصورة والحقيقة فان أي ظلال تصنعها المعرفة سوف تفيد ـ حتما ـ في إعادة التوافق للشكل النهائي للصورة إن الحديث هنا محاولة للبحث عن مواقع (الظلال) في صورة وردية لامعة . !

يبدو أن تاريخ العلم سيسجل بأن علماً من العلوم لم يحظ بمثل ما حظيت به الهندسة الوراثية من دعاية وترويج وتدليل في أحهزة الأعلام الجماهيرية ، ومن ثم فإن هناك هدفا رئيسيا لحديثي هنا ، وهو أنه من الواجب أن يكون تجاوبنا مع هذا اللغو الدعائي الذي يحيط بالهندسة الوراثية تجاوبا نقدياً ، فالمدهش حقاً أنك حيثما وجهت نظرك ستجد تسطيحاً خيالياً مبالغاً فيه هذه التقنية قد حلت مشاكلها هذه التقنية ستخفض أسعار السلع والمنتجات هذا المستحضر الجديد سيعالج السرطان هذه التقنية ستحل مشاكل العالم الغذائية هذه الفكرة ستجعل الأدوية أرخص

وحتى لا نكون كمن يفكر بمجموعة « الأكليشيهات » الجامدة ، دون أن يحاول الا... إلى الحقائق عن طريق البحث الحر النزيه ، سنحاول عرض القضايا والمشاكل الحقيقية التي

* مدرس علوم «وتكنولوجيا» الاغذية ـ كلية الزراعة ـ جامعة أسيوط ـ القطر العربي المصري

التقنية الجديدة ، والتنقيب تحت ما يصل إلى أسماعنا من صخّة إعلامية ، مع إبراز التضمينات الاجتماعية للهندسة الوراثية للمناقشة الواسعة بكل موسوعية

دائرة معارف الجهل

ضحك العالم طويلا حينما أصدرت إحدى دور النشر الانجليزية في الآونة الأخيرة أول « اسيكلوبيديا » دائرة معارف للجهل قد ضمت إجابات أكثر من ٦٠ عالماً دولياً لسؤال مفاده ما هي الأسرار التي لم تعرفها البشرية بعد عن الكون والطبيعة والانسان ؟ وفي مجلدين ضخمين جاءت ردود العلماء لتؤكد بأن هناك مناطق جهل كثيرة ، وفراغات واسعة في المعرفة الانسانية بالعالم من حولنا !

ولو شئنا لاتبعنا نفس المنهج عند مناقشتنا مدى القصور الذي يعتري المعرفة الانسانية بطبيعة الجينات الوراثية ، وهي العوامل الأساسية التي صارت لعبة العلماء المفضلة فيما تعارفوا على تسميته « الهندسة الوراثية » فماذا لو علمت أن الانسان يمارس - الآن - لعبة خطيرة ، وهو يجهل أصول اللعبة ومفرداتها ، فالمعرفة الانسانية بوظائف « الشيفرة » الوراثية محدودة للغاية ، ومعظم هذه المعرفة تتركز على إحدى سلالات بكتيريا تسمى ايشيريشيا كولاي E . Coli ، وهي السلالة (K_{12}) ، ولم ترد معرفة الانسان على مدى الثلاثين عاما الماضية على حل رموز « الشيفرة » الوراثية في ثلث ملليمتر من الشريط الوراثي (DNA) لتلك البكتيريا ، البالغ طوله ملليمتر واحد ، والذي يحتوي على ٥٠٠٠ جينة بسيطة في التركيب الوراثي بالمقارنة مع غيرها من الجينات في الكائنات الأعلى كالثدييات ، ففي الخلية البشرية يصل طول الشريط الوراثي حوالي مترين ، ويصل عدد الجينات المعروفة منها حتى الآن حوالي ثلاثة آلاف جينة فقط ، ولهذا لكي نستطيع التعرف على تركيب الشريط الوراثي الكامل للانسان نحتاج إلى ستة آلاف باحث يعملون مدة أربعين سنة أرأيت - إذن - أن المسألة أعقد مما نتصور ؟ !!

هذا بالاضافة إلى أن هذه الجينات تقوم بعمليات منظمة لا تعرف طبيعتها بشكل دقيق ، فالمعروف أن أي خلية في الجسم تحتوي نواتها على الامكانات الوراثية الكاملة اللازمة للقيام بكل التفاعلات الضرورية للكائن ككل ، ومع ذلك يظل أكثر من ٩٥٪ من المخزون الوراثي لكل خلية في حالة صامتة ، حيث يتم (كبت) كل الجينات ، ما عدا تلك التي تقوم بوظيفة خلية الكبد أو الدم أو الطحال ، وهكذا ولا يعرف تماماً كيف يحدث ذلك ، وبالتالي سيكون الشروع بالعبث في هذه الخلايا وتحريك الجينات بينها - دون توافر المعرفة الكافية عن كيفية عملها - مسئولية بالغة الخطورة !

بكتيريا « فرانكنشتين » في حالة مخاض

قبل عقدين من الزمن ، وفي بداية عصر سحب الجينات ، رأى كثيرون ومنهم العلماء أخطارا كبيرة محتملة للهندسة الوراثية ، وقد أدت هذه المخاوف إلى صدور قرار رسمي بتعليق هذه الأبحاث مدة ثمانية عشر شهرا (من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٧٦) وقد تركزت تلك المخاوف في احتمال تحول بعض هذه الكائنات الدقيقة غير الضارة نسبيا إلى كائنات شديدة الخطورة عند نقل جينات إليها في شكل جزئيات DNA مطعَّم وقد تساءل بعضهم ماذا لو أن بكتيريا ايشيريشيا كولاي - التي تعيش غالبا في أمعاء الانسان - حملت جينات لانتاج الكحول مثلا ، ثم تسربت إلى أمعاء الانسان ، ألا يمكن أن يؤدي ذلك إلى أن يصبح البشر جميعا مدمنين للكحول ؟ وتساءل آخرون : ماذا لو حملت تلك البكتيريا جينات جديدة (لتحطيم السليلوز مثلا) ، ثم تسربت إلى أمعاء الناس ، فهل ستتسبب مشاكل غير متوقعة ؟ ومن طريف ما يروى في هذا الشأن أن دكتور « آندا شاكرا بارتي » الذي يعمل في معهد جنرال اليكتريك للبحوث والتنمية بنيويورك كان قد نجح في عزل جينة الميكروب المسئول عن هضم

السليلوز في أمعاء المواشي وزرعها في الشريط الوراثي لبكتيريا القولون التي تعيش في أمعاء الانسان ، وبعد أن تمت التجربة بنجاح تخوف من إمكان انتشار هذا الميكروب المعدل في أمعاء البشر ، فعلى الرغم من أنه سيقوم بهضم سليلوز الخضراوات التي نتناولها ، ويحولها إلى سكر سهل الامتصاص من أمعائنا إلى دمائنا ، لكن ذلك قد يكون له آثار جانبية ضارة ومن يدري ، فربما أحدث هذا الميكروب إسهالا مزمنا ، أو قد يؤدي إلى تكوين غازات كثيرة قد تحدث الانتفاخ ، (ومن أجل ذلك) قام (الرجل) بتدمير هذا الميكروب وعلى حد قوله (حتى لا أتحمل وزر أمر غير محمود العواقب)

وهكذا فقد استقر رأي العلماء على ضرورة إحكام السيطرة على مثل هذه الكائنات ، بينما يرى آخرون بأن هذه البكتيريا المعدلة ، قد دللت في المعامل بدرجة مفرطة ، بحيث أصبحت غير قادرة على منافسة البكتيريا التي تعيش في الأمعاء

حينما يحصدون السراب

ذكرنا بأن معظم معلوماتنا الوراثية عن وظائف الجين قد بنيت على أساس الأبحاث التي أجريت على بكتيريا القولون ، ومن ثم فلم يحظ أي ميكروب بمثل هذه العناية والدراسة والتدليل ، حتى صارت شهرته في أبحاث الهندسة الوراثية على كل لسان ، لكن - كما يقولون - لكل ميكروب (هفوة) ، فقد أعلنت شركة جينيتك Genetech عن ردود فعل معاكسة للدفعات الأولى التي أنتجتها من هرمون النمو البشري المسمى « سوماتوستاتين » Somatostatin، وقد أرجعت ذلك لوجود الجدر الخلوية البكتيرية التي تحتوي على مادة سامة تسمى Lipopolysaccharide endotoxin، وهي مركب سُمّي ، يصعب فصله تماماً عن الأدوية المنتجة من ايشيريشيا كولاي أرأيت ؟ ! حتى هذا الميكروب المدلل أحيانا يخيب الآمال ، ويتعين علينا البحث عن (بديل) ميكروبي ليحل محله ، وتتم لهذا السبب دراسة أنواع أخرى من البكتيريا أو الخميرة ، فلعلها تكون أكثر أماناً !

وفي أحيان أخرى يتعطف هذا الميكروب المعدل فيعطيك ما تريده دون مظاهر السمية ، لكن بتكاليف أعلى بكثير مما لو أنتج بالطرق التقليدية فقد بدت للعلماء إمكانية إنتاج زيت النخيل من البكتيريا ، وحينما قدرت التكاليف كانت المفاجأة فقد وصلت ألفي جنيه للطن الواحد ، في الوقت الذي يبلغ فيه سعر طن زيت النخيل المنتج بالطرق التقليدية حوالي ٤٠٠ جنيه ، وكان معنى ذلك ألا نهتم بالانتاج الميكروبي لكل ما يتكلف إنتاجه بطرق الاستخلاص الحالية من المادة النباتية

والآن هل أدركت أصول اللعبة ؟ إن اللعبة على العموم هي أن تحتصن شركات الهندسة الوراثية الطلب على العقاقير والمنتجات (عالية الثمن) حيث تستطيع تضييق مجال المنافسة لضمان استرداد تكاليف التطوير الباهظة . إنها لا شك تقنية مكلفة !

أسطورة الدواء الرخيص

لعلك تتذكر معي قائمة الأدوية التي يُنتظر مساهمة الهندسة الوراثية في إنتاجها (الانسولين الانترفيرون ، هرمونات النمو ، مستحضرات الدم ، أنزيمات يوروكينير) ألا تلاحظ بأنها مجموعة من الأدوية (العلاجية) (غالية الثمن لمجموعة من الأمراض (المربحة) ؟ وتلك سيدي ، هي محاور نشاط شركات المستحضرات الطبية التي تبحث دائما عن منتجات جديدة يمكن تباع بكميات كبيرة بهامش ربح كبير ، حتى تكاليف التطوير والترويج ، فالانسولين - على المثال - يفي بالكثير من معايير المستحضر المربح ، فهو من ناحية يعتبر الحل الأمثل مرض السكر الذي يعاني منه كثيرون في حيث يبلغ الاحتياج العالمي له أكثر من ٤٠٠ مليون دولار ، والمتوقع تضاعف حجم هذه باستمرار ، ومن ثم فقد قدمت شركة « ايلي

اق نوعا من الأنسولين البشري ، تم إنتاجه
. تيريا معدلة ، لكن المهم أن هذا الأنسولين لن
، رخيصا ، كما قد يأمل بعضهم ، وهكذا نرى
جهود شركات الهندسة الوراثية تتجه أصلا
ونها باتجاه يرسخ في الأذهان أن لا مفر ،
رض مؤكد ، ودائما معنا ، وليس أمامنا إلا
حه هكذا يروجون ، دون أي محاولة للاستفادة
الهندسة الوراثية في محاولة وقف زحف هذا
ص ، وليس علاجه المستمر بحقن الانسولين ،
ث ان مرض السكر يستحضر معه دائما أضرارا
نين والقلب والجهاز الدوري والأطراف
'صابة بالغرغرينا ، وهذا وضع لا تخلقه شركات
وية ، لكن من الضروري أن نؤكد أن هذه
ركات تشترك في جريمة استمرار هذا المرض
ب تركيز بحوثها ومجهوداتها التسويقية باتجاهاتها
الية إنه جدل حول العلاقات الاجتماعية التي
د الأولويات الأجدر بالرعاية بحوث الطب
نائي لمحاولة خفض الطلب على الأنسولين ، أم
وث تطوير الأدوية والعلاجات التي يتزايد الطلب
يها باستمرار مع تقدم المرض وتفاقمه لكن يبدو
هذا هو عين الهدف المطلوب !

وية وعلاجات أرستقراطية

منذ أن نجحت مجموعة « تشارلز وايزمان » في
ع بكتيريا معدلة لانتاج « انترفيرون » بشري قامت
نيا ولم تقعد حتى الآن ، وصاحب ذلك ضجة
لامية مدوية ، بدعوى أنه العلاج الأمثل لمرض
رطان وكثير من الأمراض الفيروسية ، ولا يخفى
هذه الضجة يقف من ورائها بالتمويل شركات
اثية عملاقة ، يهمها مزيد من الترويج في الوقت
ي يعتقد فيه كثير من العلماء بأن هذا الادعاء باطل
لانترفيرون ليس بالعلاج الأمثل للسرطان ، لأن
اك د قا عديدة أقل إثارة يمكن أن نطرقها لمنع
رطا ، غير أنها ـ ويا للأسف ـ لا تتوافق مثل
افو ا نترفيرون مع البناء الاجتماعي والاقتصادي
سول صناعية الكبرى ، فالثابت ـ علمياً ـ أن

النوعين الأولين من الانترفيرون المنسوخ ، قد أظهرا بعض الفاعلية ضد أنواع معينة من السرطان ، لكنهما يظهران في معظم الوقت أقل فاعلية من طرق العلاج التقليدية ، كما قد يسببان أعراضا جانبية تشبه الانفلونزا ، كما أن نجاح الانترفيرون في علاج بعض الأمراض الفيروسية مثل التهاب الكبد الوبائي والهيربس والرشح الاعتيادي لا يعد مبررا لمثل هذه الضجة ، فالنظرة المنصفة للأمور تبين أن الملايين ممن تصيبهم الحصبة أو شلل الأطفال أو الالتهاب الكبدي وغيرها من الأمراض الفيروسية هم في الأغلب من الفقراء المحرومين من الرعاية الصحية الذين لا يمكنهم بأي حال الحصول على الانترفيرون ، ذلك الدواء الأرستقراطي ، وممن يعانون أصلا من سوء التغذية ، بحيث لا يستطيعون مقاومة تلك الأمراض ، فيبدو أن الكثير من الفيروسات لا يقتل إلا من أضعفهم الفقر والاستغلال !

أما عن هرمونات النمو فيكفي أن نذكّر بما قاله مدير شركة سلتك ، من أن حجم سوق هرمون النمو البشري يبلغ في أمريكا نحو مائة مليون دولار سنويا ، هذا بالاضافة إلى تقدير آخر ظهر عام ١٩٨٢ يقول بأنه من الممكن تسويق ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار سنوياً من هرمونات نمو الماشية والخنازير ، فالهدف إذن ما يزال البحث عن الربح ، على الرغم من أن الممارسات الأخيرة تزيد من احتمالات ترك بقايا الهرمونات في اللحم ، فترة ليست قصيرة عقب الذبح ، ومن ثم فمن الممكن أن يتلقى من يأكلونه جرعات من هرمون النمو ذات آثار جانبية طبية خطيرة تؤثر بشدة على الغدد الصماء في الأطفال . وليست ذكرى ما حدث للأطفال في بورتوريكو منا بعيدة . !

أما عن العلاج بالجينات فالكثير من العلماء يعتقدون بأنه طب تجريبي شديد التعقيد ، مستهلك للموارد ، ففي أنيميا البحر المتوسط (الثالاسيميا) ، يفكر العلماء في علاجها عن طريق ايلاج جينات طبيعية إلى خلايا النخاع ، بحيث

يستعيد الجسم عمله الطبيعي الذي افتقده منذ ظهور المرض .

ويرى كثير من العلماء بأن من الصعوبة بمكان ايلاج الجينات في حلايا النخاع بطريقة مأمونة مضبوطة فاعلة ، والأهم من دلك أن هده التقنية ـ عالية التكلفة ـ هي مجرد محاولة (لعلاج) أفراد ، وليست أبدا أسلوبا للوقاية الشاملة من المرض

وحتى لا نسترسل دعنا نتساءل من يستفيد من كل هذا النشاط ؟ بعض الناس ، بالتأكيد ، لكن المؤكد أنهم سيكونون تلك الأقلية (المقتدرة) التي تُزود حاليا بكل ما تحتاجه من مستحضرات وخدمات طبية راقية ، وحتى تكاليف توفير العلاج لهؤلاء المرضى لن تنخفض

وهكذا فإدا كانت التطبيقات الطبية للهندسة الوراثية سوف تقلل من معاناة الانسان ، وتسمح بعلاج بعض الأمراض بشكل أكثر فاعلية ، كما ستضيء بعضاً من مناطق الجهل الطبي الحالي ، وهدا لا شك يعد تقدماً ، إلا أن العلماء لا يعتقدون بأن الهندسة الوراثية سوف تخفض أسعار الأدوية ، أو أنها ستولي اهتماماً أكبر للأسباب الاجتماعية للأمراض ، أو أنها ستمنح الناس سيطرة أفضل على تطوير الرعاية الصحية ، دلك لأن شركات « البيوتكنولوجيا » يبدو كما لو كانت ستستخدم الهندسة الوراثية أساساً لتطوير الطب العلاجي ، بحيث يصبح مصدرا لمستحضرات أو علاجات لبعض الأمراض مستحضرات وعلاجات تهمل تماما دور الطب الوقائي بما يمثله من تحصين ضد المرض ، كما تهمل تماما دور العمليات الاجتماعية والاقتصادية التي تصيب الانسان بالمرض

ولعل ذلك مما يعتم الصورة اللامعة للهندسة الوراثية ، ليس لأن معظم القائمين على شركات المستحضرات الطبية لا يهتمون بأن عملهم لن يمس حياة ملايين من الناس أبداً ، بل لأن لهم أولويات وأفكارا ـ غير إنسانية ـ عن الطب والعلاج إن فكرتهم ـ ببساطة ـ أنه عليك أولا أن تجمع الثروة ، ليمكنك بعد ذلك أن تشتري الصحة وإلا فلا صفقة !

ثم ماذا ؟

إن هناك علماً قد ولد ، وإن هناك علماء يعملون ، على الرغم من المشاكل وتعقدها ، ومع كل يوم يتبدد جانب آخر من مناطق الجهل العلمي ، وتتصحح المعرفة الانسانية بشكل أدق وأشمل ، لكن المهم ألا نغفل المراجعة الاجتماعية الدائمة لتلك العائلة ، أقصد تلك الطرق الحديثة لصناعة الأشياء المسماه « الهندسة الوراثية »

إن أحداً لا ينكر أننا نعيش الآن مرحلة « محورية » في تاريخ العلم ، تفتح فيها منافذ لقوى هائله للتدخل في عمليات الحياة ، وما يجري الآن من مجالات الابتكار هو من الصخامة والخطورة بحيث يتطلب التمحص الكامل والمراجعة الاجتماعية قبل التنفيذ ، إلى تقييم موضوعي للأشياء ، ننزع فيه عن عيوننا تلك التهويمات الهلامية التي تروج لكل شيء على أنه التقدم الخالص ، المبرأ من العيب ، ولتساعدنا على تصور مستقبل حقيقي بكل ما ينطوى عليه هذا المستقبل من خسائر وأرباح محتملة □

● اذا اقبلت عليك الدنيا فانفق فانها لاتفنى ، واذا ادبرت عنك فانفق فانها لاتبقي (بزر جمهر)

● النار فاكهة الشتاء ، والحلق دهليز الحياة (من أمثال العرب)

● كم من عليل قد تخطاه الردى ، فنجا ومات طبيبه والعوّد (علي بن الجهم)

● ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع (عمر بن الخطاب)

الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاو

هل في الامكان رجوع الشيخ إلى صباه ؟
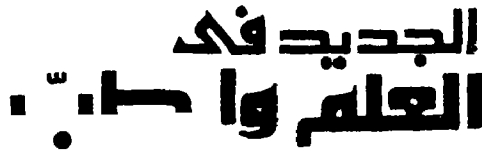
هذا مايبشر به عقار قديم معروف اكتشف العلماء بالصدفة فاعليته في تجد حيوية الشيوخ ، وقدأثبتت هده الفاعلية ، التجارب العلمية العديدة اا أجروها عليه في الأونة الأخيرة ، فبات مرشحا لترخيص جديد تصدره وكالة الغد والدواء في واشنطن ، وتبيح بيعه واستعماله من أجل تجديد الحيوية وتنشيط الخلا ونمو الأوعية

ذلك أن العقار راتين أ (Ratin- A) معروف في الأسواق منذ سنة ١٧١ حين رخصت وكالة الغداء والدواء استعماله لمعالجة حب الشباب ، فالعقار ا بحاجة الى ترخيص جديد يقر استعماله الجديد ، وقد تقدم العالم الباحث الذي ط هذا العقار بطلب هذا الترخيص الجديد الذي يتوقع الكثيرون صدوره عن الوك المعنية في مستقبل غير بعيد

ومن طريف مايذكر ان اكتشاف فوائد راتين ـ أ صد الشيخوخة جاء محض الصدفة في أواخر سنة ١٩٨٧ ، فقد اتفق لبعض العجائز اللواتي استعملن العقا بقصد التخلص من حبوب ظهرت على وجوههن وتشبه حب الشباب ـ أن لاحظ اختفاء الكثير من تجاعيد وجوههن نتيجة استعمال العقار ، وعودة الكثير من نضا الصبا التي فقدنها وتحسرن على فقدانها منذ زمن بعيد ، فحلت النشوة محل الحسرة بقدر ماحلت النضارة محل التجاعيد

وما أسرع ماوصل خبر هذا الأثر السحري الى العالم الدكتور البر كليجمان استاذ أمراض الجلد في جامعة بنسلفانيا ، وهو الباحث الذي نجح تطوير العقار قبل عشرين عاما ، فعاد يجري التجارب والتحاليل من أجل التثب من حقيقة ذلك الأثر ، وفوجىء العالم الباحث مما اثبتته تلك البحوث العدي الشاملة من فاعليات العقار (راتين أ) وآثاره ، فقد كانت مذهلة بحيث اض «البروفيسور كليجمان» الى تكرار تجاربه وأبحاثه وتحاليله حتى اذا ثبتت حقيقتها لايقبل الشك تقدم الى وكالة الغذاء والدواء يطلب الترخيص الجديد على نحو أسلفنا

ونوجز فيما يلي تلك الفاعليات المثيرة

* أسهم العقار في تجديد خلايا الجلد

الا ليت الشباب يعود يوما حسارة تتردد على السنة الشيوخ ، لكن هل سحح عقار رايس في تحديد حيوية الحلايا ونشاطها ونمو الاوعية وعلاج الشيحوخة ؟

* ساعد على نمو الأوعية الدموية
* نشط انتاج الياف (الكولاحس) و (الاكتين)
* شفى من الحروق الحلدية التي يسببها الافراط في التعرض لأشعة الشمس

وتجدر الاشارة الى أن طريقة استعمال راتين أ - المرهم - بقصد مقاومة الشيحوخة تكون بطلاء الحسم به مرة واحدة في اليوم وذلك على مدى ستة شهور على ألا يغالي المرء في استعماله وإلا تعرض الحلد لالتهابات هو في عنى عنها ومرهم الراتين أ لا يكسب مناعة ضد أشعة الشمس وان كان ذا قدرة على معالجة الحروق التي قد تتسبب بها ثم انه لايفيد كثيرا في حالة التجاعيد العميقة التي ترافق شيخوخة الثمانينيات والتسعينيات

■■■

جهاز جديد لعمليات القلب

● يحرص الجراحون كما هو معروف على رصد كيمياء دم المريض ، حين يجرون لقلبه العملية الجراحية الخطيرة (القلب المفتوح) وهم يولون الذوائب أو الشوائب الكهرباوية (**electrolytes**) مزيدا من اهتمامهم ، والقصد من ذلك انما هو المحافظة على محتويات الأكسجين وثاني أكسيد الكربون في الدم ضمن الحدود السوية ، وقد درجوا على إرسال عينات الدم من غرفة العمليات إلى أقرب مختبر يتوافر لديه جهاز التحليل المطلوب (**Bench-top analyzer**) ، لكن هذا الجهاز لا يؤدي مهمته بسرعة ، وقد يحتاج الى نحو ٤٥ دقيقة لانجاز التحاليل ، ثم إنه بالغ التكاليف من هنا كان الاهتمام البالغ بالجهاز الجديد الذي طورته مؤخرا إحدى الشركات الأمريكية والذي أطلقت عليه اسم (**GEM-6**) فهو جهاز صغير نسبيا ، ويوصل بأجهزة القلوب والرئات الصناعية التي لا غنى للمريض عنها أثناء العملية ، ويقوم الجهاز المذكور بالتحاليل المطلوبة في عدة دقيقتين فحسب . ويقوم بها « أوتوماتيكيا » لدى الضغط على زر من أزراره فأنت لا تكاد تضغط على هذا الزر حتى ينطلق الجهاز في عمله ، فيسحب
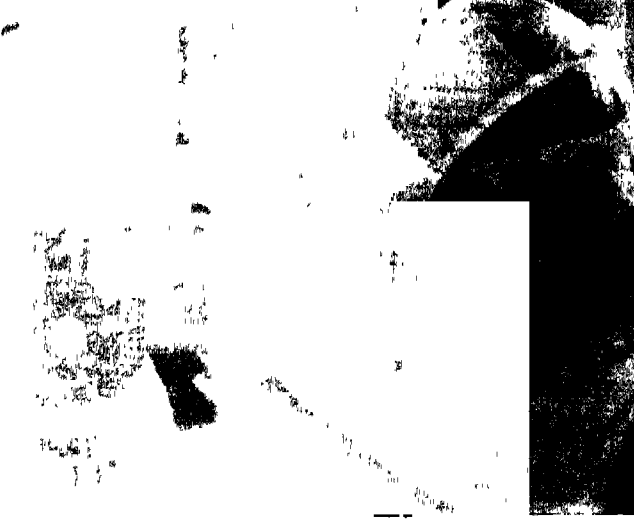
بار حديد يستخدم في
لمات القلب وهو يقوم
حاليل المطلوبه خلال
س لدى الضغط على
ه ارارة

دم المريض ٢ سم وذلك عبر الرئة والقلب الصناعيين ، ثم يتولى تحليل أو تحديد ٦ محتويات موجودة في الدم هي (الأكسجين) و (ثاني اكسيد الكربون) و (البوتاسيوم) و (الكالسيوم) و (الهماتوكريت أو نسبة الخلايا في الدم) و (توازن PH أو ت ١) ، فالزيادة أو النقصان الذي يطرأ على هذه المحتويات في دم المريض أثناء العملية ، دو حطورة كبيرة على حالته

ويتم ذلك بواسطة حرطوشة أو لفافة حمعت فيها الشركة مقومات التحاليل المطلوبة حميعها ، وهي تحتوي على كل العناصر الهامة . (محاليل) و (وعاء للنفايات) و (قطب كهربائي electrode) ، أضف إلى دلك أن هذه الخرطوشة معدة للاستعمال مرة واحدة وللطرح في سلة المهملات بعد أداء مهمتها

وتجدر الاشارة إلى أن ثمن جهاز (GEM-6) الواحد يبلغ (١٦٠٠) دولار ، يضاف إلى دلك ثمن الخرطوشة البالغ (٣٠٠٠) دولار ، وتلك هي الأثمان المقررة لأسواق الولايات المتحدة وأوروبا واليابان

■■■

ماذا تطرف العيون ؟

ساد الاعتقاد بأن الباعث على طرف العيون إنما هو جفاف الجو وحاجة العين إلى الرطوبة . لكن « البروفسور جون سترن » ، أستاذ علم النفس في جامعة واشنطن في سانت لويس يتساءل « إن كان ذلك هو سبب طرف العيون حقا ، فلماذا لا تطرف عيون الأطفال الرضع إلا قليلا ، طرفة واحدة كل بضع دقائق ؟ ولماذا تؤكد الدراسات والاحصاءات أن لا علاقة تذكر بين رطوبة الجو وجفافه وبين كثرة طرف العيون أو قلته ؟ » .

لقد دلت الأبحاث العلمية الدقيقة على أن لطرفة العين علاقة بما يختزنه المرء من معلومات ، وما يتخذه من قرارات ، وما ينجزه من أعمال عقلية شاقة ، ودلت أبحاث أخرى على أن للتعب والقلق علاقات وثيقة بطرف العيون ، بحيث يزداد هذا كلما كثر ذاك

سلامة البشرية في
سلامة البيئة

الموز المثالي
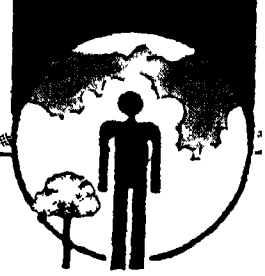
● الموز فاكهة محببة للملايين ، وغذاء لا غنى عنه للكثيرين أيضا فهو يقوم مقام الخبز والذرة والأرز في كثير من بلدان افريقيا وأمريكا اللاتينية . ولا عجب إذن أن بلغ متوسط استهلاك الفرد الواحد من الموز سنويا (٢٠) رطلا في أمريكا و (٢٠٠) رطل في افريقيا ، ولا غرابة أن احتلت زراعة الموز وتجارته مكان الصدارة في اقتصاد دول أمريكا الوسطى . فالموز هو مصدر ٣٢٪ من عائدات التصدير في هندوراس ، وحسبك أن مجموع ما تصرفه دول أمريكا الوسطى على المبيدات الكيماوية وحدها (المقصود المبيدات الخاصة بالموز) قد بلغ ١٠٠ مليون دولار سنويا

ذلك أن مرض « السيجاتوكا السوداء » ضرب شجر الموز سنة ١٩٧٢ ، ثم راح ينتشر حتى عم دول المنطقة كلها بما فيها الأكوادور أكبر دولة مصدرة للموز في العالم ، فهذا مرض فطري يصيب الأوراق وينال من الثمار ، ويهدد بالتالي انتشار سوء التغذية ، إن لم نقل المجاعة في كثير من الدول . وبلغ من فاعلية هذا المرض أن ضرب فصيلة البلانتين Plantin وهي فصيلة الموز التي طالما اشتهرت بمقاومة المرض المذكور

موز البلانتين ضخم الحجم وكثير النشا في محتوياته ، وهو الموز الذي يقبل الناس على أكله كالخبز أو طهيه كالخضار ، وقد نجح مرض « السيجاتوكا » في الفتك بهذه الفصيلة الحديثة نسبيا ، بعد أن استكمل فتكه بفصيلة الكافندش Cavendish وهي التي شاعت وراجت في العشرين من هذا القرن

وبعثت هذه المخاطر على قلق المسؤولين وعلى اهتمام العلماء والسئين ونذكر على سبيل المثال أن مختبرات « اليونايتد فروت » العلمية الموجودة في ضواحي لاليما في هندوراس قد أولت مرض « السيجاتوكا » كبير اهتمامها إلا أنها حرصت على تهجين فصيلة أخرى جديدة في الموز تتميز بالمناعة والقدرة على مقاومة مرض « السيجاتوكا » بالذات

تولى عملية التهجين أحد العلماء العاملين في تلك المختبرات وهو فيليب راو (Rowe) المتخرج في جامعة « متشيجان » والمتخصص في تهجين النباتات فقد التحق هذا العالم بالمختبرات المذكورة سنة ١٩٦٩ (وعمره آنذاك ٢٨ ...) ومضى يقوم بالتجارب والأبحاث العديدة التي بلغت تكاليفها ١٠ ملايين ... حتى زاد عدد فصائل الموز التي لقّحها بعضها ببعض ، ٣٠٠ فصيلة ، و... راو في تهجين الفصيلة الجديدة في أواخر السنة الماضية

فيليب راو ، أبحاثه بحثت في زيادة عدد فصائل
الموز التي لقحها بعضها من بعض باستخدام عملية التهجين

ويؤكد الكثيرون أن هذه الفصيلة الجديدة لا تنفرد بالمناعة ضد مرض « السيجاتوكا » ، بل تتميز بحسنات أخرى عديدة حملت بعض الصحفيين على وصف ثمارها بأنها الموز المثالي

ولعلك تتساءل عزيزي القارىء لم لا يكفون أنفسهم المشقة الكبيرة والتكاليف الباهظة فيكافحون مرض « السيجاتوكا » بالمبيدات

الجواب أولا لأن المبيدات لم تعد فعالة في مكافحة مرض « السيجاتوكا » الأسود

وثانيا · لأن الأضرار التي تلحقها المبيدات بصحة الانسان والحيوان تفوق بكثير الفوائد المتوخاة منها ، ولأن المزارعين والعلماء في الغرب راحوا في المدة الأخيرة يتجنبون رش المبيدات ما أمكن ، ويفضلون مكافحة الحشرات والأمراض الفطرية ، إما بتخليق نباتات جديدة تكون ذات مناعة كافية ، أو بتخليق فصائل جديدة من البكتيريا تقبل على التهام تلك الحشرات ، والقضاء على تلك الأمراض ، وذلك بقصد حماية البيئة ، والحفاظ على صحة الانسان والحيوان

عطاء الثقافة والعلم والتربية

استطلاع : صلاح حزين

في موقع غير بعيد عن برج إيفيل في العاصمة الفرنسية ، باريس ، يقوم مبنى فريد في معماره ، يحيطه سوران ، واحد من الاسمنت ، واخر من أعلام ١٦١ دولة هي أعضاء الدول المشاركة في منظمة اليونسكو التي تحتل هذا البناء .

فهل هي المفارقة أم الصدفة ، التي جمعت رمز فرنسا الوطني وهذه المنظمة الدولية في هذه الرقعة الضيقة من احدى عواصم العالم الثقافية ؟ .

قال لي الأستاذ الطيب صالح ، ونحن نقف بباب القاعة الرئيسية في مقر منظمة اليونسكو بباريس ، نرقب نتيجة التصويت لانتخاب مدير عام جديد للمنظمة خلفا لمديرها السابق أحمد مختار امبو « انك الآن تشهد لحظات تاريخية من لحظات هذه المنظمة ، حيث يترجل فارس كبير ظل يحتل قمة اليونسكو عدة سنوات قدم خلالها للثقافة خدمة لاتنسى »

كان ذلك في السابع من نوفمبر من العام الماضي ، يوم انتخب المؤتمر العام لليونسكو السيد فديريكو مايور الاسباني الجنسية مديرا عاماً للمنظمة ، خلفا للسيد أحمد مختار امبو الذي تسلم الادارة العامة للمنظمة دورتين متتاليتين بين عامي ١٩٧٤ ، ١٩٨٧

كانت القاعة تغص بالحضور وفي البهو الخارجي لم يكن هناك موضع لقدم ، وفود رسمية ، صحفيون ، مصورون ، موظفون ، زائرون ، ومدعوون ، جاءوا من أربعة أطراف العالم ليشهدوا هذا الحدث التاريخي الذي أشار إليه الأستاذ الطيب صالح ، المدير الاقليمي لليونسكو في منطقة الخليج العربي . وكان الانتخاب ذروة لأيام من المناقشات والمشاورات والاتفاقات بين ممثلي الدول المختلفة حول انتخاب المدير العام الجديد وعلى منصة الرئاسة جلس رئيس المؤتمر والأعضاء يشرفون على عملية الاقتراع ، واتجهت أعين الجميع إلى الصندوق الزجاجي الذي توسط المنصة ، احتشد المصورون الصحفيون ، وممثلو وكالات الانباء ، وأجهزة الاعلام العالمية ، ليسجلوا عملية الاقتراع ولحظة إعلان النتيجة التي شغلت الاوساط العالمية منذ بدأ المؤتمر العام أعماله قبل ذلك بنحو أسبوعين . وسط أقوال بأن ذلك هو أهم مؤتمر تعقده منظمة اليونسكو في تاريخها

كانت النقاشات قد انتهت ، والاتفاقات قد تمت ، والمراهنات قد أرسيت ، وأصبحت النتائج شبه مؤكدة ، ومع ذلك فقد جاء كل هذا الحشد ليشهد نتيجة حدث عرفت مسبقاً ، وكان هذا بحد ذاته دليلا على تاريخية اللحظة وتفردها

كان المدير العام السابق للمنظمة أحمد مختار امبو ، الذي شغل هذا المنصب منذ عام ١٩٧٤ قد اعلن سحب ترشيحه ، ورشح المجلس التنفيذي للمنظمة الدولية السيد فيدريكو مايور لهذا المنصب وحسب ماهو معروف فإن من الصعب عدم انتخاب شخص رشحه المجلس التنفيذي ، لأن ذلك يعد نوعا من الطعن في هذا الترشيح وهكذا كان ، فقد انتخب مايور بأكثرية ١٤٢ صوتا من أصل ١٤٩ صوتا ، وبدأ فصل جديد من تاريخ اليونسكو ، فما هي هذه المنظمة ذات الاسم الغريب ؟ متى تأسست ؟ وما أهميتها حتى تكون موضع نقاشات واتفاقات في أروقة المبنى الكبير يقوم بها ممثلون لدول تغطي مساحاتها الأرض كلها ؟

الحروب وحصون السلام

في عام ١٩٤٦ ، وبعد أن خرج جزء كبير من عالمنا من حرب مدمرة كلفت البشرية أكثر من ٥٠ مليونا من القتلى ، قررت عقول مستنيرة مثقفة تتبنى فكرة سقراط القديمة الداعية إلى القضاء على الجهل ، وعلى التفاهم من أجل الحؤول دون أن يتحارب الناس مرة بعد أخرى ، وهكذا ولدت اليونسكو

التى كان أحد أهدافها توفير الثقافة للجميع

السلام والثقافة إذن هما الكلمتان اللتان تتمحور حولهما أنشطة المنظمة الدولية منذ نشأتها في ذلك العام التالى على انتهاء الحرب المدمرة لذا كانت الجملة الأولى في الميثاق التأسيسى لليونسكو هي « لما كانت الحروب تولد في عقول البشر ، ففى عقولهم أيضا يجب أن تبنى حصون السلام » ، وعليه فإن كل ما تقوم به اليونسكو منذ إنشائها يستهدف السعى الى إحلال السلام بين الشعوب .

وتنص الفقرة الأولى من المادة الأولى على أن « الهدف من إنشاء هذه المنظمة ، هو الاسهام في مجال السلم والأمن ، من خلال نشر روح التعاون بين الدول بالتربية والعلوم والثقافة وهكذا جاء اسم المنظمة مكونا من الأحرف الأولى لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة

UNITED NATIONS EDUCATIONAL SCIENTIFIC AND CULTURAL ORGANIZATION (UNESCO)

وتضم اليونسكو ١٦١ دولة عضوا ، وثلاثة أعضاء منتسبين ، ودولة لها صفة مراقب هى الفاتيكان ، وتشمل هذه الدول الاتحاد السوفيتى بمساحته الشاسعة التي تعادل سدس الكرة الأرضية ، وجمهورية سان مورينو التى لاتتجاوز مساحتها عشرات الكيلو مترات المربعة ، وجمهورية الصين الشعبية التى يتجاوز عدد سكانها المليار نسمة . ولهذه الدول جميعا أصوات تدلي بها في أوقات الانتخاب وفي أي عملية تصويت أو اقتراع أخرى جنبا الى جنب ، وعلى قدم المساواة .

واليونسكو أيضا هى الأشهر بين أربع عشرة هيئة من هيئات الأمم المتحدة التى لها اختصاصات محدودة ، فهى أشبه بأمانة دولية يعمل فيها مواطنون من كافة بلدان العالم ، منهم الاداريون الاختصاصيون والخبراء في مجالات مختلفة ، مثل علم الزلازل والمصادر الجديدة للطاقة ، وتمويل مشروعات التربية ، وتنظيم الأسرة ، وغيرها . بعض هؤلاء يعمل في مشروعات ميدانية أو في المكاتب الاقليمية للمنظمة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، والبعض الآخر يعمل في مقر المنظمة الدولية ، في ساحة فونتنوا ، على مقربة من برج إيفيل الشهير ، الذى يعد رمزاً لباريس ، وهو مجمع معمارى فريد عرف بشكله الثلاثى المميز ، لكن هذا البناء واحد من عدة أبنية تشكل بمجموعها مقر اليونسكو

وإلى جانب ذلك ، فهي الكبرى بين منظمات الأمم المتحدة ، نظرا لاتساع نطاق أنشطتها ، إذ يبلغ عدد موظفيها نحو ٣٥٠٠ موظف ويشارك في هذه الأنشطة عدد لايحصى من الشخصيات والمؤسسات ، إلى جانب أعضاء اللجان الوطنية التى تتوزع على أراضي ١٤٠ دولة ، فضلا عن علماء وكتاب وفنانين وأدباء ينتمون الى ٤٥٠ منظمة غير حكومية في جميع أنحاء العالم ، تتيح لليونسكو المجال للاستفادة من الموارد الفكرية في كافه أرجاء المعمورة

ولكن رغم هذا الاتساع والتنوع في أنشطة اليونسكو فان كثيرا من الناس لايعرفون بالضبط ما هو مجال هذه الأنشطة وأين تنتهى حدودها بل إن صورتها ترسم بحسب صورة المكان الذى يعيش فيه هؤلاء ، فبالنسبة لكثير من الأفارقة مثلا تأخذ اليونسكو صورة المنظمة التربوية التى تشرف على تخريج كوادر المعلمين ، وهى فى المنطقة العربية تأخذ صورة الهيئة الدولية التى تشرف على إنقاذ الآثار وترميمها ، وربما تتداعى إلى الأذهان الحملة المجيدة لانقاذ آثار النوبة بمصر في نهاية الخمسينيات ، عند بناء السد العالى ، أو الحفاظ على المناهج التربوية ، وحرية البحث العلمى ، خاصة فيما يتعلق بالمشكلات الناجمة عن ظروف « الاحتلال الاسرائيلى » للاراضى العربية . وبالنسبة لرجال العلم فإنها الهيئة التى أنشأت في جنيف المنظمة الاوروبية للبحوث النووية ، وبالنسبة للكتاب والناشرين ، فإنها الهيئة الدولية التى ترعى الاتفاقية العالمية لحقوق المؤلف ، والتى تؤمن حق المؤلف أو

● رئيس المؤتمر يعلن فوز فدريكو مايور بمنصب المدير العام لليونسكو

الناشر . وتحفظه له في جميع أنحاء العالم . . .
وهكذا . .

متاعب وأزمات

في بداية أعمال المؤتمر الأخير لليونسكو ، شدد المدير العام السابق للمنظمة على ضرورة الاستمرار في بذل جهود ملحوظة من أجل تحسين صورة اليونسكو في أوساط الرأى العام الدولى كما تحدث عن المأزق المالى الذى تواجهه الميزانية ، والذى يرتبط أساسا بتقلب أسعار الدولار ، وذكر أن ميزانية اليونسكو ، قياسا بمنظومة الأمم المتحدة ، هى منذ عام ١٩٨٠ الأقل حظاً ونمواً

ولم يكن حديث المدير العام السابق عفويا على أى حال ، إذ أن له ما يربطه بجملة أحداث جعلت اسم المنظمة الدولية يتصدر عناوين الصحف وأخبار وكالات الانباء العالمية ، كما أن له ما يربطه بسير أعمال المؤتمر ، أدى فيما بعد إلى سحب أحمد مختار امبو لترشيحه وسير الأمور بعد ذلك نحو ترشيح المجلس التنفيذى ، وهو الهيئة التى تدير أعمال المنظمة بين مؤتمرين ، للمدير العام الجديد فيدريكو مايور ، فما هى قصة الأزمة المالية ؟ وما هى أسباب الحديث عن ضرورة تحسين منظمة محترمة من منظمات الأمم المتحدة لصورتها في أوساط الرأى العام العالمى ؟

للالمام بالصورة بشكل أوصح ، علينا العودة الى عام ١٩٨٣ ففى شهر ديسمبر من ذلك العام وجه وزير خارجية الولايات المتحدة جورج شولتز رسالة إلى المدير العام للمنظمة تتضمن إشعاراً بانسحاب الولايات المتحدة من اليونسكو ، اعتباراً من ٣١ ديسمبر ١٩٨٤ وفى فبراير من عام ١٩٨٤ ، أثار عضو الكونغرس الأميركى جيمس شيوير أثناء لقائه بالمدير العام ، إمكانية إجراء دراسة لأعمال اليونسكو ، فوافق الأخير على أن تتم هذه الدراسة وفقاً للممارسات المتبعة في منظمات الأمم المتحدة ، وفي مارس من العام نفسه أبلغت الحكومة الأميركية المدير العام بنيتها إرسال ممثلين لمكتب تدقيق الحساب التابع للكونغرس الى المنظمة ، وفي الشهر التالى بعث وزير التنمية لما وراء البحار في بريطانيا رس. ، للمدير العام لليونسكو ، يوضح فيها سياسة بلاده تجاه المنظمة ، وفي ١٦ أغسطس من العام نفسه وجهت هولندا رسالة للمدير العام بشأن سياسة بلادها تجاه المنظمة وتتسارع الأحداث رغم محاولات بذلتها الهيئة التنفيذية للجنة الوطنية الأميركية لليونسكو ، لاقناع الولايات المتحدة بالعدول عن عزمها الانسحاب من اليونسكو ، فيتم الانسحاب بالفعل في ٣١ / ديسمبر ١٩٨٤ ، وتتبعها بريطانيا بإشعار بالانسحاب ، وفي الشهر نفسه تعلن سنغافورة عن رغبتها في الانسحاب من المنظمة أيضاً

مايلفت النظر هو أنه في هذه الاثناء صدر بيان باسم مجموعة « الـ ٧٧ » في المنظمة الدولية أشار الى تنازلات ملموسة قدمتها الدول النامية عبر مندوبيها في المجلس التنفيذى لليونسكو

إذن فهناك الدول النامية وهناك الدول الغربية الكبرى ، الولايات المتحدة ، وبريطانيا وهولندا وكل من هذين الطرفين يقف في جهة وهناك صراع خفى خلف ما هو معلن ، وهناك تنازلات وتنازلات ملموسة . .

ولكن ما هى القضية التى أدت الى انسحاب الولايات المتحدة من المنظمة الدولية ، ومن بعدها بريطانيا وسنغافورة ؟ لقد أثار إعلان الولايات المتحدة الاميركية قرارها بالانسحاب ، أصداء واسعة تناقلتها وسائل الاعلام العالمية ، ونشرت دعاوى ومزاعم مختلفة تتعلق باتجاهات المنظمة ، وأنشطتها ، وكيفية إدارتها . وقد تحدثت تلك المزاعم عن نوع من العصر الذهبي ، كانت المنظمة خلاله بعيدة عن التوترات العالمية ومثار إعجاب الجميع دون استثناء ! مما يعنى ضمنا أن المنظمة دخلت حيز التوترات العالمية ، وأن الماضى المحــ للمنظمة ولّى إلى غير رجعة ، ووجهت اتهاما. لليونسكو بطغيان الاعتبارات السياسية على عمله وذلك عبر تعاون الموظفين وممثلى الدول من البلد الاشتراكية ورعايا العالم الثالث ، كما أثيرت مـ المعونات التى تقدمها المنظمة لحركات التحرر الو

وقضايا خلافية أخرى

وبالطبع فإن كل هذه الاتهامات تعكس وجهة نظر واحدة ، لاترى بروز دور دول العالم الثالث التى تحررت من الاستعمار بين تاريخ تأسيس المنظمة عام ١٩٤٦ ، وبين الثمانينيات وتنسى ان لكل من الدول الاعضاء ممثلا في اليونسكو يحمل وجهة نظر بلده السياسية ، وأن المنظمة أنشئت تطبيقا للمقولة التى ذكرناها سابقا ، التى وردت في بداية الميثاق التأسيسى لليونسكو ، والتى تقول

« لما كانت الحروب تولد في عقول البشر فهى عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام »

وفي هذه المقولة يبرز ذلك الرابط القوي بين السياسة والثقافة ، والذى على أساسه قامت فكرة اليونسكو ، التى تتكون من دول لكل منها سياستها الخاصة

لكن انسحاب الولايات المتحدة لم يكن مسألة هينة ، فهى صاحبة أكبر نسبة مساهمة في تمويل أنشطة اليونسكو ومشاريعها ، ومن هنا كان حديث المدير العام السابق عن الأزمة المالية التى عانت منها المنظمة ، ومازالت تعانى ، حتى بعد انتخاب مدير عام جديد ، حظي انتخابه بأغلبية ساحقة فمن المعروف أن برامج اليونسكو يتم تمويلها من خلال المنظمات الأعضاء فيها ، وذلك بنسب تتفاوت حسب ثراء هذه الدولة وغناها واستعدادها ، ومن هنا كان انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا ضربة مؤثرة ، وربما كان من إنجازات المدير العام السابق أنه استطاع أن يستوعب هذه الضربة ، وأن يستمر في تسيير العمل منها وتنفيذ مشاريعها دون أن يلجأ إلى طلب مساهمات مالية إضافية ، كما قال في كلمته التى أشرنا إليها سابقا

العمليات الخارجية

ولكن مسألة التمويل لايحكمها هذا البعد الواحد فقط فإلى جانب الأنشطة التى تمول بالميزانية العادية التى تتكون من مجموع حصص الدول ، هناك أنشطة أخرى ، لاسيما أنشطة العمليات الخارجية ، التى تمول من خارج الميزانية . وقد كان التمويل من خارج الميزانية مساوياً للتمويل العادى تقريبا ، لكنه في الفترة الأخيرة زاد عن الميزانية العادية ، وتحت هذا البند ـ بند التمويل الخارجي ـ قام الكثير من المشاريع في بلدان العالم المختلفة ، وكان لوطننا العربى نصيب كبير منها .

وكلا الأسلوبين من أساليب التمويل يشكلان المورد الأساسى الذى تقوم عليه كل الأعمال العظيمة التى صنعت لليونسكو هذا الاسم الكبير

ولأن وطننا العربى لايسبح فوق بحر من النفط كما يحلو لأجهزة الاعلام الغربى أن تقول ، بل يقوم فوق مواقع أثرية وتاريخية وبجوارها ، فإن صورة اليونسكو في أذهاننا نحن العرب ترتبط بعمليات التنقيب عن الآثار والحفاظ على الآثار المكتشفة وحمايتها من المخاطر ، سواء كانت هذه المخاطر على شكل احتلال كالاحتلال الصهيونى الجاثم على جزء من أرضنا العربية ، أو كان عوامل طبيعية كالزلازل ، أو العجز المالى عن الحفاظ على هذه الكنوز الأثرية ، أو عدم وجود خبرات تستطيع القيام بهذه المهمة غير السهلة

لهذا كله كانت العمليات الخارجية في مثل أهمية العمليات الأخرى التى تمولها اليونسكو باعتبارها جزءا من مهمتها ، وربما كانت العمليات الخارجية أكثر أهمية ، ففى السنوات الأخيرة كانت ميزانية تمويل العمليات الخارجية أكبر من الميزانية المخصصة للعمليات المذكورة من داخل اليونسكو

ويشرف على تنسيق أنشطة العمليات والتمويل الخارجى السيد « بقدور ولد علي » الذى توجهت إليه « العربى » وطرحت عليه سؤالا عن العمليات الخارجية والتمويل الخارجى وجوانبه المختلفة

قال ولد علي : إن التمويل الخارجى قد يكون عن طريق دولة أو بنك ، أو مؤسسة مالية . في البداية تجرى الدراسات الميدانية ، وبعد ذلك يأتى دور التمويل ، وهذه النقطة البسيطة ظاهريا تلخص جوهر الفرق بين العمليات التى نقوم بها من خارج الميزانية ، وبين العمليات الممولة بالميزانية العادية والتى تهدف أساساً إلى دعم التعاون الفكرى بين

● (فوق) مدينة صنعاء، واحدة من مدن أثرية عديدة وضعت ضمن قائمة التراث العالمي. ([illegible]أسفل) القدس، هي مدينة استثنائية ضمن قائمة التراث العالمي

الطرفين . وذكر ولد علي أسماء السويد وألمانيا الغربية ، واليابان والسعودية ، والعراق ، وليبيا والكويت باعتبارها أمثلة للدول التي تسهم في تمويل العمليات الخارجية وبالتالي ، فإن انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا لم يؤثر على سير العمليات الخارجية . نظريا على الأقل

أجاب : إن التمويل الخارجي قد يكون عن طريق دولة أو بنك ، أو مؤسسة مالية في البداية تجرى الدراسات الميدانية ، وبعد ذلك يأتي دور التمويل ، وهذه النقطة البسيطة ظاهريا تلخص جوهر الفرق بين العمليات التي نقوم بها من خارج الميزانية ، وبين العمليات الممولة بالميزانية العادية والتي تهدف أساساً إلى دعم التعاون الفكري بين الطرفين وذكر ولد على أسماء السويد وألمانيا الغربية ، واليابان والسعودية ، والعراق ، وليبيا والكويت باعتبارها أمثلة للدول التي تسهم في تمويل العمليات الخارجية وبالتالي ، فإن انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا لم يؤثر على سير العمليات الخارجية نظريا على الأقل

ولم ينس « ولد على » أن يشير إلى أهمية دور العمليات الخارجية بالنسبة للعالم الثالث ، ومنه أقطارنا العربية ، وضرب مثلا على مشروع في أوروبا يستفيد منه العالم الثالث أيضا ، وهو مشروع المشكلات الثقافية للعمال المهاجرين في أوروبا لكنه لم يتبلور بعد

وحدد جهات التمويل من خارج الميزانية بأنها جهات دولية مثل صندوق التنمية للأمم المتحدة ، والمعروف باسم (UNDP) والذي يمول ٥٠ بالمئة من هذه المشاريع ، أو بنوك أو صناديق التمويل ، وهي صناديق ائتمانية مثل البنك الافريقي ، والبنك الاسلامي والصندوق العربي في الكويت وغيرها . وحكومات مثل ألمانيا ، الكويت ، السعودية ، السويد ، العراق وغيرها .

وأشار ولد علي إلى نوع آخر من التمويل كان متقدما بسرعة في الوطن العربي لكنه تقلص وتراجع بعد انخفاض أسعار النفط العالمية . وهو يتضمن تنفيذ مشاريع في دول قادرة على التمويل ، لكنها غير قادرة على تقديم الخبرة ، وأبرز مثال على ذلك بناء متحف بليبيا بتمويل ليبي وخبرات قدمتها لهم اليونسكو ، وقد قامت المنظمة بأعمال مشابهة في الامارات ، والجزائر وغيرها من الاقطار العربية .

وعن الاجراءات المتبعة في مثل هذه الحالات قال ولد علي ان الحكومات المعنية تقوم بالاتصال باليونسكو بشأن مشكلة تتعلق بصلب اختصاصنا فان كانت لدى الحكومة خبرة كافية بالموضوع ، فانها ترسل لنا الملف كاملا ، والا فاننا نقوم بارسال خبراتنا لدراسة الامكانيات المالية ، وتجميع المعلومات الأساسية ، وقد نتصل نحن بجهات التمويل المناسبة باعتبارنا همزة الوصل بين الطرفين

وبعد ذلك نبرم اتفاقيات مع الحكومات الممولة ، والتي من حقها معرفة كيفية الصرف ، فلا يبقى بعد ذلك إلا المرحلة العملية . وهكذا فإننا نقوم بدور حيادي تماماً باعتبارنا موظفين في منظمة دولية بغض النظر عن اختلاف جنسياتنا .

التربية .. والنفط

ولكن ماذا عن المنطقة العربية ومدى استفادتها من عمليات التمويل الخارجي ، خصوصا بعد انخفاض أسعار البترول ؟

يجيب « ولد علي » :

بالنسبة لنا معظم المشروعات التي نفذت في المنطقة العربية كانت حول التربية ، والنصف الآخر حول الاعلام وما يتعلق به ، مع بعض الاستثناءات بالطبع ، فقد كان لنا الشرف لأن نبادر إلى دراسة مشروع عن الزلازل في المنطقة العربية ، وانطلاقا من هذه الدراسة التي لقيت استقبالا جيدا في الوطن العربي تم تمويل خمس مشروعات في المغرب ، والجزائر واليمن الشمالي وسوريا ، ومازال العمل جارياً في هذه المشروعات .

أما المشروعات الأخرى ، والتي نصفها تربوى كما ذكرنا ، فهناك مشروع التجديد التربوى ويتضمن شبكة لايصال المعلومات بين بلد وآخر من وطننا العربي .. وهناك مشروع آخر لادخال

« الكمبيوتر » في العملية التربوية ، ومشروع ثالث لتطوير الصناعات التربوية ، وذلك عن طريق مساعدة وتوزيع وتسويق أدوات الدراسة بدل شرائها من الخارج

وفي هذا المجال ذكر « ولد علي » بعض الحقائق المرة ، فقال : « اننا في الوطن العربي لانملك مصنعا لأقلام الرصاص على سبيل المثال »

ومضى يعدد المشروعات التي يتم تمويلها خارجيا ، مشروع لمحو الأمية في موريتانيا ، ومشروع للحفاظ على التراث القديم ، ومدرسة لتدريب المعلمين في المغرب ، ومشروع لتخطيط التربية في الجزائر ، ومشروع المكتبة الوطنية في الجزائر . ومشروع لتوسيع التربية في تونس ، وعدة مشروعات في ليبيا ، مثل مشروع علوم البحار ، ومشروع جامعتي بنغازي وطرابلس ، ومشروع كبير في مصر يموله البنك الافريقي للتنمية . ومشروع عن المعلومات في سوريا ، ومشروع لتطوير التعليم المهني في العراق ، وعدة مشاريع في السعودية ، أحدها بالتعاون مع مؤسسة الملك فيصل كمؤسسة وليس كدولة

وبالمقابل فقد توقف مشروع في البصرة بسبب الحرب ، واوقف الكثير من الأنشطة في لبنان ، كما حالت ظروف لبنان دون المضي في تنفيذ مشروع الجامعة الفلسطينية المفتوحة ، وذلك بعد أن قدمنا تقريرا شاملا عنها مستعينين في ذلك بخبرات فلسطينية عديدة

وكما لو أنه ود أن ينهي حديثه بالتذكير بتعاسة أوضاعنا العربية التي كدنا ننساها ونحن نتحاور في أرجاء المبنى الضخم ، قال : « ان وزراء التربية العرب وافقوا على تمويل بعثات دراسية للطلبة الفلسطينيين ، لكن لم نحصل الا على ١٢٠ ألف دولار ، وهو مبلغ زهيد بالمقارنة مع ثروات الوطن العربي

التراث والاحتلال

كان هذا حديث التمويل والخبرات ، وفي المجال التربوي بشكل خاص ، إلا أن صورة اليونسكو

● الطيب صالح الممثل الاقليمي لليونسكو للدول العربية في الخليج
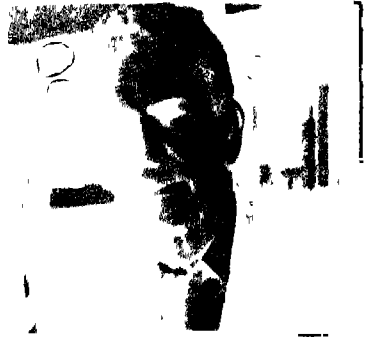
● بقدور ولد علي ، مسؤول تنسيق أنشطة العمليات والتمويل الخارجي

● سمير بوشاقي مسؤول الحملات الدولية ومشاريع العمليات بقسم التراث الثقافي

أدمائنا كعرب ارتبطت بالتراث الحضاري الذي تزخر به منطقتنا العربية من أقصاها الى أقصاها ، وبالحفاظ على الأماكن الأثرية التى كثيرا ما تتعرض لمشكلات تنجم عن اضطرابات تعصف بالمنطقة بين حين واخر وربما كانت حملة إنقاذ آثار النوبة في الخمسينيات أول فرصة برز فيها اسم المنظمة الدولية على النطاق العربي في هذا المجال فرسمت لنفسها هذا الانطباع الأول الذي مازال سائداً حتى اليوم .

وفي السادس والعشرين من أكتوبر من العام الماضى أصدر المدير العام السابق لليونسكو نداء للبدء بحملة دولية للحماظ على المواقع الأثرية في مدينة « صور » وحولها ، والتى أصبحت الآن في حالة بائسة

وليست « صور » هى المدينة الوحيدة التى تضم آثاراً إنسانية خالدة ، وتعيش في الوقت نفسه في حالة بائسة ، فحينما مر الاحتلال الاسرائيلى توحس العالم المتحضر حيفة ، وتداعت إلى الأذهان صور السطو على الأثار وتخريبها من ملفات البحر الميت ، وحتى سرقة بعض الكنوز الأثرية من كنيسة القيامة ، وإزالة أحياء بكاملها في المدينة المقدسة بعد الاحتلال بقليل ، وذلك بالرغم من أن بناءها يعود إلى عصور قديمة ، ويهم البشرية جمعاء المحافظة عليها ، ورغم أن الأحياء نفسها مناطق أثرية ، إلى جانب كونها أماكن للسكنى

منير بوشناقى ، هو مسؤول الحملات الدولية ومشاريع العمليات الذى يتبع قسم التراث الثقافى التابع بدوره لقطاع الثقافة والاعلام عندما توجهت إليه « العربى » بدأ الحديث وكأنه عرف السؤال مقدما :

قطاع التراث الثقافى معروف جيداً لأنه يقوم بعمليات إنقاذ وترميم الآثار ، ونحن الذين قمنا بتنفيذ مشروع إنقاذ آثار النوبة ونعتقد أن من أهم إنجازاتنا أننا جعلنا العالم يعرف أن التراث الذي يوجد في بلد ما هو تراث للعالم كله لذا وضعت مديرية الآثار والتراث الثقافى نصوصاً قانونية وافقت عليها اكثر من ٩٠ دولة ، يتعلق بعضها بحماية التراث العالمى ، كما تأسس صندوق للتراث العالمى ، وافقت عليه ٩٦ دولة أسهم فيه الأعضاء بنسبة ١٪ من نسبة مساهمة كل منها في المنظمة ، وشكلت لجنة دولية ينتخب أعضاؤها بشكل دورى للاشراف على مثل هذه العمليات

وعن الطريقة المتبعة لوضع مدينة ، أو موقع أثرى ضمن قائمة التراث العالمى قال السيد بوشناقي إن لكل دولة الحق في تقديم طلب بالمواقع الاثرية التى تريد الحفاظ عليها ، أو التنقيب فيها ، أو وضعها ضمن قائمة التراث العالمى فتقوم المنظمة بعرض الأمر على اللجنة التى تتعاون مع مؤسسة مختصة بالتراث لتقوم بدراسة الموقع والبت في شأنه ، وقد وضعت قائمة بأسماء المواقع والأماكن الأثرية تشكل بمجموعها عملنا الذى نقوم به الآن وتضم القائمة مدينة شبام في اليمن الديمقراطى ، وصنعاء في اليمن الشمالى ، وصور بلبنان ، والبتراء في الاردن ، وقرطاجة في تونس ، ومواقع عديدة في سوريا أهمها مدينة تدمر الاثرية

للقدس وضع خاص

ومادا عن القدس ، تلك المدينة العظيمة المقدسة . والتى يرزح الجزء الشرقى القديم منها تحت الاحتلال الصهيونى منذ أكثر من عشرين عاما ؟

يجيب مسؤول الحملات الدولية ومشاريع العمليات : للقدس وضع خاص ، فمنذ ١٥ سنة اتخذ قرار بايلاء أهمية خاصة للقدس ، بحيث أخرجت من إطار لجنة الحفاظ على التراث ونقلت الى اختصاصات المجلس التنفيذى والمؤتمر العام ، وهما أعلى هيئتين من هيئات اليونسكو والقدس هى المدينة الوحيدة في العالم التى تتمتع بهذا الوضع ، وربما كان هذا من الأسباب التى دعت الى انزعاج « إسرائيل » وأمريكا وبريطانيا ودول غربية اخرى ، فهى المدينة الوحيدة في العالم التى توضع صورتها أمام العالم أجمع ، وليس أمام لجنتنا فقط . فالقدس مدرجة ايضا ضمن قائمة التراث وضمن قائمة التراث تحت الخطر ، وهى قائمة أخرى ، وقد كان ذلك بقرار عربى جماعى ، وهذا يجعل « إسرائيل » تتردد اكثر من مرة قبل ان تقدم على

انتهاك حرمة الاماكن التاريخية هناك لكن هذا بالطبع لايمنع « اسرائيل » من القيام بالانتهاكات إلا أنها تبقى محدودة بفضل هذا الوضع للمدينة المقدسة

طوال فترة الحديث عن آثارنا القديمة العظيمة لم تغب عن ذهني صورة لصوص الآثار الذين كتبت عنهم الروايات وأنتجت الافلام السينمائية ، حيث يظهر فيها لصوص أتوا على هيئة خبراء في الآثار الى بلادنا ليسرقوا هذه الآثار أو يشتروها بثمن بخس ، ثم يعودوا إلى بلادهم لبيعها بأثمان باهظة ، وتكوين ثروات غير مشروعة من ورائها

وطرحت ماجال بذهني على السيد بوشناقي ، وعن الدور الذي تقوم به اليونسكو لمنع مثل هذه الاعمال

قال السيد بوشناقي ضاحكا ، ليس لدينا قوة شرطة تمنع السرقة وتعيد المسروقات الى أصحابها ، فعملنا اساسا هو التوعية ، فنحن نقوم بتزويد المتاحف بنوع من التوعية عبر مجلتنا المتاحف التي تتضمن سجلا بالقطع الأثرية المتسربة ، حيث يقع على عاتق كل دولة من الدول محاربة تسرب القطع الأثرية من اراضيها ، وعلى المتاحف عدم شرائها ، كما أن هناك وثيقة تمنع تصدير واستيراد الممتلكات الثقافية وأضاف ، إن من الصعب جدا حصر عملية السرقة لأنها قريبة من عملية تهريب المخدرات ، ومعظم السرقات تأخذ طريقها إلى سويسرا ومن هناك الى الولايات المتحدة ثم الى أمريكا اللاتينية حيث تباع .

لكن هذا ليس كل ما تقوم به لجنة العمليات ، فهي تسهم أيضا في القيام بمسح أثري لبعض المواقع وتنظيم المتاحف أو بناء مراكز ثقافية ، ففي عام ١٩٨٦اطلبت الكويت من اليونسكو تنظيم العمل في المتحف العلمي ، وقد تم لها ذلك عن طريق المجلس الدولي للمتاحف (الايكوم) وهي منظمة غير حكومية ، حيث حضر بعض الخبراء إلى الكويت ومكثوا فيها مدة تقارب الشهرين ثم عادوا بعد انجاز مهمتهم .

وفي السعودية أبرمنا عام ١٩٨١ عقداً لبناء مكتبة وقاعة لعرض الفن الاسلامي وتنظيم أرشيف للمخطوطات الاسلامية ومتحف يضم كل الوثائق والمخطوطات العربية الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس ، وقد بدأنا العمل الذي لم يتته بعد والذي كلف أكثر من ١٠ ملايين دولار دفعتها السعودية .

طلبات صغيرة

ولكن هذه المشاريع الكبيرة التي تمولها دول غنية ليست كل شيء ، فهناك احيانا طلبات صغيرة أخرى من جانب بعض الدول التي تمولها الميزانية الاعتيادية للمنظمة ، مثل طلب سوريا المساعدة في شراء فرن لترميم فسيفساء المسجد الأموي ، وطلب من البحرين لترميم قلعة عراد وطلب من قطر لبعض الخبراء لاجراء دراسات في مدينة زبارة

وأسأله عن آخر طلب عربي فيجيب السيد بوشناقي

الأردن طلب منا المساعدة في حماية قطعة اثرية نادرة ، وحين سألته عن آخر أخبار السرقات الأثرية ابتسم وقال : مازالت هنا تشكايات بهذا الخصوص فهناك نزاع بين الاردن والولايات المتحدة حول قطعة أثرية مهمة نقوم حاليا بالتوسط لفضه ، والكونغو تطالب بلجيكا باعادة اكثر من الفي قطعة أثرية من الخشب المنحوت على شكل تماثيل وطواطم تعتبر من أفضل أعمال النحت الخشبي في العالم .

ليس هذا سوى بعض ما يمكن أن يقال عن دور هذه المنظمة الدولية في الحفاظ على التراث ، ونشر العلم والثقافة والوعي التربوي ، فعمل أربعين عاما من العطاء في مجالات الثقافة والعلوم والتربية أكبر من أن تحفظه دفتا كتاب مهما عظم حجمه . وقبل أن ننهي حديث العلم والثقافة والتربية ، يحق لنا في مجلة العربي أن نذكر تجربة بسيطة لكنها عظيمة الدلالة ، ففي عام ١٩٨٥ اختارت اليونسكو مجلتنا لتبنى فكرة إنشاء مؤسسة عربية للخدمات الصحفية المصورة وعقدت ندوة لبحث هذه الفكره في الكويت في أبريل من العام نفسه ومازال العمل مستمراً ، ومازالت اليونسكو كما كانت منذ اكثر من اربعين عاما تواصل عطاء الثقافة والعلوم والتربية . □

والأمراض النفسية

بقلم : الدكتورة أمل المخزومي *

يرتقي الانسان ذروة سلم التطور إذا ما قورن بالمخلوقات الحية الأخرى ، وإذا كان هذا الرقي يتجلى في مجالات عديدة فإنه يبرز بشكل خاص في الجملة العصبية التي وهبها الله له ليسخر بواسطتها جميع الامكانات التي منحت له على وجه الأرض .

تتكون الجملة العصبية الانسانية من نظام معقد للغاية وقد استطاع الانسان بعلمه أن يصل إلى كشف بعض غموضها

تنقسم الجملة العصبية الى الجهاز المركزي الذي يتضمن المخ والنخاع الشوكي ، ويتشعب النخاع الشوكي الى مجموعة من الاعصاب ، يتجه كل منها الى منطقة مختلفة من مناطق الجسم . يكون الجهاز العصبي اللا إداري مسئولاً عن جميع نشاطات الاجهزة ، كجهاز الدوران ، وجهاز الهضم وافرازات الغدد المختلفة ،ويؤدي الجهاز اللاإرادي أعماله ذاتيا أي دون تدخل الافراد ، كما يقوم بالعمل في أوقات النوم أيضا .

يتكون الجهاز العصبي من شبكة هائلة من الخلايا التي تتولى مهمة جمع المعلومات وارسال الأوامر تعمل الاشارات في هذه الشبكة العصبية على هيئة نبضات كهربائية، تقوم بنقل الرسائل من خلية الى أخرى . كما يعمل المخ بمنتهى السهولة نتيجة للتعاون الحاصل بين عشرة بلايين من الخلايا ، تتصل كل واحدة منها بحوالي ٢٥,٠٠٠ خلية من رفيقاتها

يعمل الجهاز العصبي طوال النهار والليل وتتفاوت نشاطات الجهاز العصبي نسبيا بناء على النشاطات التي يمارسها الشخص ، كما تختلف نشاطات الخلايا العصبية في اليقظة عنها في حالة النوم ، وما الاحلام

إلا من نتائج النشاط العصبي النسبي يقدر طو أعصاب الانسان بحوالي ١٠٠,٠٠٠ ميل الاعصاب المتشابكة ، أما سرعة النبضات العص فتقدر بـ ٣٠٠ ميل في الساعة .

* أستاذة مساعدة في علم النفس الاجتماعي - جامعة أنقرة - تركيا

تركيب الخلية العصبية

الخلية العصبية هي الوحدة الرئيسية للجهاز العصبي ، تتحكم بجميع النشاطات الصغيرة والكبيرة ، كما أن لها القدرة على الاستجابة لجميع المثيرات الخارجية ، وتتصل الخلايا العصبية بعضها ببعض بواسطة الاشارات الكهربائية التي تصدر عنها يحيط بالخلية العصبية غشاء يتكون من مواد كيماوية مختلفة في نوعها ونسبها ، ويحتوي الجزء الخارجي من الغشاء على كمية عالية من « البوتاسيوم » ، وكمية منخفضة من الصوديوم ، وتكون الشحنات موجبة في الحالتين.وتكون المواد في داخل الخلية على العكس من ذلك ، أي يكون تركيز البوتاسيوم منخفضا وتركيز الصوديوم عاليا ، كما أنهما يحملان شحنات سالبة

وعندما تتسلم الخلية مثيرا من المثيرات الخارجية التي يتعرض لها الانسان ينتقل هذا المثير في الخلايا العصبية بواسطة التنافذ في النسب والشحنات الموجودة في داخل الخلية وخارجها ، أي ينفذ جزء من الشحنات الموجبة الى داخل الخلية ، وتخرج شحنات سالبة الى خارجها ، كما يحدث اختلاف في نسب تركيز المواد الكيماوية يقل تركيز الصوديوم في داخل الخلية ويزداد في خارجها ، كما يزداد تركيز البوتاسيوم في داخلها ويقل في خارجها ، ويأخذ هذا التنافذ مساره عبر الخلايا العصبية على شكل نبضات أو موجات كهربائية ، كما تعيد الخلية توازنها الكيماوي بعد ذلك ، لكي تستعد لتسلم مثير آخر وهكذا يستمر التنافذ والتوازن الكيماوي الحاصل باستمرار حياة الخلية العصبية ، مما يؤدي الى شد تلك الخلايا وتوترها . تنتقل الموجات الكهربائية عبر الخلايا كانتقال موجات الحرارة في الاجسام ، وتعتمد سرعة انتقال الموجة الكهربائية في الخلية العصبية اعتمادا كليا على شدة المثير أو ضعفه ، فان كان المثير شديدا تكون الاستجابة شديدة أيضا ، ويترتب على ذلك شدة وسرعة توتر وشد الخلية والعكس بالعكس

الفروق الفردية في الاستجابة :

هناك فروق فردية في نسبية الكهربائية التي تتولد في الأجسام المختلفة ، تبدأ هذه الفروق الفردية في لحظة تلقيح الحوين للبويضة ، ونزولها الى الرحم ، حيث تتفاعل في داخلها عناصر حيوية كيماوية وميكانيكية وكهربائية ، وعندما تتعرض الحامل الى مثيرات شديدة تلاحظ أن الجنين يكثر من الحركة ، ويكون العكس عندما تكون الحامل في حالة استرخاء وراحة قد تكون الحركة نتيجة لتلك الموجات الكهربائية الناتجة من شد الخلايا العصبية وتوترها من جراء تلك المثيرات الشديدة التي تعرضت لها الحامل وهكذا يستمر نمو الفرد من المرحلة الجنينية الى مرحلة البيئة الخارجية ، متعرضا لشتى أنواع المثيرات التي تسبب لديه شد الخلايا وتوترها وكهربائيتها ، كما تختلف هذه الكهربائية من حيث الشدة باختلاف الافراد واختلاف الأزمان ، فلو عرضنا مجموعة من الناس لمشهد من المشاهد المثيرة لوجدنا استجاباتهم مختلفة لذلك الموقف ، إذ تختلف الاستجابة باختلاف شخصيات الافراد ومدى ما يتعرضون له من مثيرات شتى ، فهناك من ينفعل ويهتاج ويزج بنفسه بالموقف ، وهناك من يهرب من الموقف ، وآخر يقابل الموقف بعدم المبالاة ، كما تختلف الاستجابات باختلاف الاجناس والمناطق ، فاستجابة سكان المدن تختلف عن استجابة سكان الريف ، والسبب يعود الى أن سكان المدن يتعرضون الى مثيرات أكثر مما يتعرض له سكان الريف ، وبالتالي نجد أن انفعالات رجل المدينة تختلف كثيرا عن انفعالات الريفي ، وهذا هو سبب التعرض الى الانهيارات العصبية الناتجة عن شدة وتوتر وكهربائية الخلية لدى سكان المدن ، وقد تؤدي الانهيارات العصبية الى الانتحار أحيانا . وهناك مثيرات يستجيب لها الريفي في الوقت الذي لاتثير أية استجابة لدى رجل المدينة ، والسبب يرجع الى كثرة المثيرات التي يتعرض لها

رجل المدينة ، حيث نبهت « ميكانزمات » جسمه للعمل على غربلة تلك المثيرات ، فلو استجاب جميع الناس لجميع أنواع المثيرات التي يتعرضون لها لأصيب جميع الناس بانهيارات عصبية ، ولوجدنا جميع سكان المدن منهارين أو نزلاء مستشفيات الأمراض العصبية والنفسية

تؤثر فصول السنة على الانسان تأثيرا مباشرا ، فقد وجد بعض الباحثين أن الكآبة تزداد في فصل الشتاء ، وكان تعليل ذلك برودة ليل الشتاء وطوله مما يجبر الافراد على البقاء في البيت خوفا من البرد ، ويؤدي بالتالي الى انعزال الافراد بعضهم عن بعض ، إضافة الى قلة الخروج الى الخارج للعيش في الهواء الطلق والشمس ، مما يكون سببا للاصابة بالكآبة كما يؤدي طول النهار في الصيف الى تعرض الانسان الى مثيرات عديدة مختلفة ، مما يسبب استمرارية الاستجابة التي تسبب توترا وزيادة في كهربائية الخلايا لقد أشار دوركايم من خلال بحثه عن الانتحار بأنه يكثر في فصل الصيف ، وعلل تلك الظاهرة بطول النهار في الصيف ، وتعرض الانسان الى مثيرات أكثرمما يتعرض اليه في نهار الشتاء ، مما يؤدي الى الشد المستمر والتوترات المستمرة التي تدفع بعض الافراد الى التخلص منها بالانتحار كما أن سكان المناطق الحارة يمتازون بالتوتر وسرعة الغضب لنفس السبب المذكور سابقا

تتعرض بعض أجزاء الجسم الى المثيرات أكثر من غيرها ، فالعين أكثر أجزاء الجسم تعرضا لتلك المثيرات المستمرة ، مما يترتب عليه أن تكون الموجات الكهربائية لهذه المثيرات مستمرة ، وأن يكون شد خلايا البصر وتوترها مستمرا ، والدليل على وجود تلك الكهربائية بشكل مكثف هو عندما تتعرض العين الى ضربة أو كدمة تتطاير الشرارات الكهربائية منها .

تأثير الكهربائية على العلاقات

للانسان قدرة معينة على استيعاب المثيرات ، يطلق على هذه القدرة اسم العتبة النفسية ، فان زادت المثيرات عن حدها ، وعجزت « ميكانزمات »

المخ في جسم الانسان

تركيبة الخلية العصبية في جسم الانسان

تركيب العصب البصري لدى الانسان

الجسم عن التكيف معها أدى ذلك الى الاختلال في السلوك ، ويستجيب لذلك بالسلوك العدواني في أكثر الحالات

قد يحدث لموظف معين أن يقع تحت إمرة مدير يكلفه بما لاطاقة له به ، خال من التعزيز والاثابة ، فنجد الموظف يتذمر من الموقف ، ويكون في صراع بين رفضه لهذه المواقف وبين انقطاع لقمة العيش إن هو اصطدم بالمدير ، وتعمل ميكانزمات الجسم على التخلص من تلك التوترات ، وذلك بافراغ ما يعانيه هذا الموظف على زوجته وأطفاله أو المقربين اليه ، وعند ذلك يشعر براحة بعد أن أفرغ ما يعانيه من توترات وشحنات كهربائية زائدة عن الحد الطبيعي . إن لهذا الموقف عواقب وخيمة على الاطفال الذين ينشأون في تلك الظروف ، بحيث قد تجعل منهم عدوانيين وجانحين ومجرمين في المستقبل ، لانعكاس تلك الصراعات العائلية والزوجية على سلوك الاطفال وكثيرا ما نلاحظ الاطفال الناشئين في تلك الاجواء يصبون عدوانهم على دماهم على سبيل المثال إن عنفت الأم طفلتها نلاحظ الطفلة تمسك بدميتها وتعنفها بنفس الطريقة التي استعملتها الأم ، لان الافراغ والتقليد موجودان لدى الاطفال أيضا

وقد يسلك الشخص المتوتر سلوكا معاكسا ، إذ يجعله ذلك التوتر ينصب على نفسه باللوم والتقريع والاهانة ، مما يزيد في الشد والتوتر والكهربائية للخلايا ، وتتمخض عن ذلك الزيادة في الانهيارات العصبية ، وبالتالي قد تدفع الشخص الى التخلص من كل ما يعانيه بالانتحار .

تأتي الشكوى من المعالجين بزيادة أمراض القلب والامراض النفسية في السنوات الاخيرة ، وهناك من يعلل أسباب ذلك بخروج المرأة للعمل خارج البيت ، ومن يعلل ذلك بصعوبة الحياة وكثرة مطالبها ، ومن يعزوها الى الصراعات السياسية ، الا أن هناك سببا قد يكون مباشرا للاصابة بتلك الأمراض ، ألا وهو انتشار استخدام المواد البلاستيكية والنايلونية بين الناس .

عملية التأهد في المواد الكيماوية الحاصل في الخلية العصبية

احتفلت الدول الغربية بعيد ميلاد النايلون الخمسين في ١٩٨٧/٢/٢٨م ، وهذا يعني أن خمسين سنة قد مرت على صناعة النايلون كما يبشر المختصون في مجال صناعة البلاستيك بأنه سيتنشر كثيرا في السنوات المقبلة ، وستبنى محطات فضائية متطورة من البلاستيك وكذلك تبنى الطائرات ، وسوف يكون ٣٠٪ من موادها من البلاستيك بعد أن كان ٥٪ ويذكر بعضهم أن كمية البلاستيك المستعملة التي تدخل في جميع نواحي الحياة تعادل ٦٠٠ طن من البلاستيك في كل عام

إن لاستعمال تلك المواد آثارا سلبية على الانسان ، وخاصة على القلب والجهاز العصبي ، لما تسببه تلك المواد في اختلال التوازن في الشحنات الكهربائية في الخلايا العصبية والقلب مما يترتب عليه الاصابة بأمراض القلب المختلفة وأمراض الجهاز العصبي والأمراض النفسية المتنوعة .

اختلال التوازن الكهربائي

تشير الابحاث والدراسات التي أجريت على الرجال والنساء في الاضطرابات النفسية ، بأن الاضطرابات تكون أكثر شيوعا بين النساء عنها بين الرجال ، وقد يكون أحد الاسباب لذلك أن النساء

أكثر استعمالا للمواد البلاستيكية من الرجال وأستعرض بعضا من الاضطرابات النفسية التي تزداد نسبة المصابين فيها بين النساء أكثر منها بين الرجال وهي كما يلي .

١ـ القلق النفسي :

القلق مرض خطير ، وبخاصة في عصرنا الحاضر الذي يطلق عليه بعضهم اسم عصر القلق . والقلق مركب انفعالي من الخوف والاضطرابات المستمرة يشعر الشخص القلق بتهديد متوقع أو متخيل ، دون مثير ظاهر وكثيرا ما يعيق القلق الأداء الفعلي للفرد بشكل عام ، والقلق خوف مبهم غامض ، يصعب علاجه ومعرفة سببه الا بالتحليل النفسي ، ولو أن هناك علاقة وطيدة بين الوراثة والمرض ، إلا أن للبيئة دورا كبيرا في ظهوره .

الهستيريا .

لقد اعتبر أطباء اليونان قديما بأن مرض الهستيريا هو مرض تحرك الرحم في الجسم ، وربما أطلقوا هذا التعبير على المرض لأن الاصابة به أكثر شيوعا بين النساء عنها بين الرجال ، أما الاطباء المحدثون فقد أرجعوا الهستيريا الى انهيارات عصبية يعاني منها الفرد ، كالتوتر الناتج عن المثير ، وكف الاستجابة المبالغ بها من قبل الشخص ، كما تتضمن العمليات الفيزيولوجية للقشرة اللحائية ومرض الهستيريا هو اضطراب عصبي يتميز بالتفكك العقلي Mental Dissociation ، والاختلال الواضح في النشاط الجسمي والعقلي . وقد تكون مظاهر المرض عضوية كالعمى الهستيري ، أو فقدان الذاكرة ، أو الصمم أو التمتمة . وللهستيريا في الطب العقلي عدة معان منها : تلك الحالات من الذهول ، أو عدم الثبات الانفعالي أو التوهمات ، وتكون أحيانا قوية جدا .

٣ ـ التسلط .

وهو عبارة عن اضطرابات عصبية وظيفية ، تظهر في شعور المريض على الرغم من إرادته ، ويدرك المريض أنها غير منطقية ، ولا يستطيع التخلص منها يتميز هذا المرض بتسلط الافكار والافعال .

ونعني بتسلط الافكار تلك الوساوس التي تستحوذ على ذهن المريض وتسيطر عليه ، بينما يعتبرها المريض غير مألوفة لديه غريبة عنه ، ويعجز عن التخلص منها

وتسلط الافعال أي القهر النفسي هو أن تفرض الافعال نفسها على المريض ، ويكون مقهورا ومجبرا على أدائها ، ولا يستطيع مقاومتها ، بل يمارسها باستسلام دون ممانعة، وكثيرا ما يعتبر المريض بأن لاقيمة لهذه الافعال ولا معنى لها ، ولا يعترف بمنطقيتها على الرغم من أنه مجبر على الخضوع لسيطرتها ، لأنه يعتقد بأنه إذا لم يمتثل و يعمل بها فالمصيبة ستقع عليه وعلى المجتمع

وهناك بعض الامراض الأخرى التي تصيب الجنسين ، وهي الناتجة عن اختلال التوارد الكهربائي الحاصل في الجسم ، وهي كما يلي

١ ـ مرض الصرع

ينتج مرض الصرع عن تهيجات في مجموعات كبيرة من الخلايا العصبية الموجودة في المخ ، ويعتمد نوع الصرع على مكان هذه المجموعات من الخلايا العصبية وكميتها ، مما يؤدي الى توليد شحنات كهربائية تزيد عن الحد الطبيعي، تسبب تشنجات على شكل نوبات صرعية

٢ ـ مرض ضعف الضلات :

يتولد مرض ضعف العضلات (ميثينيا جرافـ . نتيجة لاضطرابات نظام المواد الكيماوية وا . .

الانزيمات في الخلايا . تنقبض العضلات وتنبسط وتتحرك نتيجة للاشارات التي تطلقها الخلية العصبية ، وتتلقى الخلية العضلية تلك الاشارات

عند موضع التقاء الخليتين ، ويسبب ذلك إفراز مادة كيماوية معينة يطلق عليها اسم (استيل لولين) ،

وتبدأ سلسلة من التفاعلات الكيماوية قبل ان تتحلل وتختفي بواسطة مواد كيماوية وأنزيمات مضادة لها ، ، وتؤدي تلك التفاعلات الى انقباض العضلة

بالشكل المطلوب ، وينتهي تأثير الانزيم المضاد ثم يعود « الاستيل لولين » الى جميع عناصره مرة أخرى لتلقي الاشارة العصبية القادمة ويحدث أحيانا خلل

في افراز تلك الانزيمات التي تحلل مادة « الاستيل لولين » الى عناصرها الأولية ، مما يؤدي الى استمرار انقباض العضلة وزيادة حجمها ، كما أن « الاستيل

لولين » يستهلك أثناء النهار لكثرة المثيرات التي يتعرض لها الانسان ، وتعوض بالراحة والنوم

تتميز أعراض المرض بازدواج النظر مع ارتخاء في الاجفان ، كما يظهر الضعف العام في الجسم ،

وخاصة في الرقبة والوجه واللسان يصاب المريض بالاعياء والتعب السريع خاصة في الذراعين والقدمين ، إضافة الى اصابته بالاختناق وصعوبة البلع والعلاج هو النوم مدة ٢٤ ساعة ، مع أخذ

راحة واسترخاء كاملين ، كما أن الانسان الذي يعمل طول النهار يحتاج الى راحة واسترخاء في الليل للتخلص من تلك الظاهرة العضلية الموجودة لكن هناك أفرادا لا ينامون في اليوم الا ساعتين أو ثلاثا ،

قد يكون نظام « الاستيل لولين » لديهم لايستهلك أثناء اليقظة الا بكميات قليلة ، ولهذا نجدهم لا يحتاجون الى نوم فترة طويلة .

الاحتياط واجب

هناك طرق عديدة للوقاية من الامراض النفسية وامراض القلب التي تنتج عن زيادة الكهرباء

واختلال التوازن الكيماوي في الخلية ، وهي :

١- الابتعاد عن المثيرات التي تزيد من الانفعالات والتوترات

٢- تقليل استعمال المواد البلاستيكية قدر الامكان

٣- أخذ حمام حار عند شعور الشخص بالتوتر والانفعال

٤- خروج الفرد المتوتر الاعصاب الى الهواء الطلق أو أخذ نفس عميق ١٥ مرة

٥- ارتياد الاندية الرياضية وممارسة النشاطات الرياضية المختلفة

٦- مشاهدة الأفلام والبرامج المسلية ، والابتعاد عن الافلام المرعبة والمحزنة

٧- مناقشة ما يعاني منه الفرد مع أقرب الناس اليه ، لكي يساعده على اجتياز تلك الازمة

٨- الاكثار من اللعب للطفل ، واتاحة الفرصة له ليكسر ما شاء ، وليعبث بتلك الدمى واللعب ، لأن ذلك تشخيص لما يعانيه من ناحية ، وتنفيس لهذه المعاناة من ناحية أخرى

٩- الخروج الى النزهات والرحلات ، والانطلاق من تلك المواقف الرتيبة ، لكي يبدد الشخص ما يعاني من توترات كهربائية وانفعالات مختلفة

١٠- تغيير محل العمل ونوعه إن شعر الفرد بأن عمله سبب في توتراته وانفعالاته .

١١- ابتعاد الزوجين بعضهما عن بعض فترة قصيرة إن حدث بينهما ما يشوب العلاقة الزوجية ، فقد تكون هذه الفترة كافية لازالة التوتر والانفعال

١٢- الاستفادة من أوقات الفراغ ، والاشتغال بهواية واحدة أو هوايات معينة

١٣- مشي المرء على الأرض حافي القدمين ، وذلك لتبديد الكهرباء من الجسم . □

● شتاء في الحديقة لكلود مونيه

(ريتشارد سن) أن هـذه اللوحـة تجسـد الأجـواء الباريسية التي حاول (مانيه) أن يجعلها أكثر قربا الى الطبيعة من (مونيه)

أما مخطط هذه اللوحة ودراسة معالمها فهو موجود في معهد الفنون في شيكاغو ، في الولايات المتحدة الأمريكية

امرأتان وقطة

قبل أكثر من مائة وعشرين عاما منذ تاريخ بيع لوحته ـ الشـارع ـ الذي جـرى في صالـة كريستي اللندنية قدم (مانيه) في معرض عـالمي عام ١٨٦٥ لوحته الشهيرة (أولمبيا) التي تمثـل امرأة عـارية ، تمددت على سرير ، وبجانبها امرأة زنجية ، تقـدم اليها باقة من الورد ، وعلى طرف السرير قطة سوداء صغيـرة وقد منيت هـذه اللوحة بفشـل ذريـع ، وضج جمهور العصر بنقدها نقدا لاذعا شديدا ، ولم يكن ذلك بسبب موضوعها الذي كان الفنان (انغري Ingres) قـد تناولـه من قبـل بـل بسبب تصـارب الألوان ، فمن أصفر فاتح بسبب الضـوء الشديـد الذي سلطه على المرأة الى لون قاتم يملأجو اللوحة ، ولأن الفن في تلك اللوحـة قـد انحط الى درجـة لايستحق معهـا تعليق ، كـما ذكـر النقـاد في ذلـك الزمان

لهذا لم يكن مستغربا أن تطلب لجنة التحكيم رفع اللوحـة ، وتعليقها في مكـان مرتفـع جـدا ، حتى لاتبصرها أعين الجمهور

وقد حزن (مانيه) حزنا عظيما بسبب النتيجة التي آلت اليهـا لوحتـه (اولمبيا) ، فكتب الى صـديقـه الشاعر (بـودلير) يبثه همومـه وأحزانـه ، فأجـابه بودلير

هـل تعتقـد بـأنـك أكـثر ذكـاء وعبقـريـة من (شاتوبريان) ، أو (فاغنر) ؟ لقـد سخر النـاس منهما كثيراً ، الا أن ذلـك لم يثبط من عزمهـما على مواصلة الكفاح .

وقد شجعه هذا الكلام عـلى المضي في الرسم ومتابعة اقامة معارضه الخاصة

وبعـد أن توفي ، طـرحت لوحتـه (اولمبيـا) في مزاد ، ثم سحبتها السيـدة (مانيـه) لتهـديهـا الى الحكـومة الفـرنسية في احتفـال رسمي ، بعد عـام ١٨٩٠م ، وفي عـام ١٩٠٧ أمـر (جـورج كليمنصو) ـ رئيس وزراء فرنسا في ذلك الحين ـ بنقل لوحة (أولمبيا) من اللوكسانبورغ الى متحف اللوفر في باريس،لتعلق مقابل لوحة (الأوداليسك L'odalisque للفنان المخضرم (انغري Ingres)

و(مانيه) الذي سحر منه الناس بالأمس يتهافتون اليـوم على شـراء عمل واحـد من أعمالـه بملايين الجنيهـات فمن هـو (مـانيـه) ؟ ومـا عـلاقتـه (بمونيه) ؟

زيارة للوفر

لابد من زيارة مدينة باريس العريقة بالفنون ، ولابد لكل من يزور تلك المدينة الجميلـة أن يعرج عـلى متحفها الشهـير ، متحف (اللوفـر) ، حيث يمضي ساعات طويلة ، يتجول خـلالها في ردهـات المتحف وقاعاته الواسعـة ، حائـرا تارة ، ومعجبـا مذهولا تارة أخرى فهنا روائع قـدماء المصـريين ، وهناك نفائس الاعريق ، وأمامه كنوز الأوروبيين ، وكل واحدة منها تدهش بـدقة قسمـاتها ، وعـظمة أحـداثها ، كـأن الناظـر اليها أمام وثائق تـاريخيـة لاتدحض

هذه لوحة لمعركة ، وتلك لملك ، أو قائـد ، أو رجـل من أسرة عـريقـة ، أو وجـه لأحـد وجهـاء المجتمـع ، مواضيـع مختلفة ، وقصص متنـوعـة وأحداث شيقة ، تضع المشاهد في دوامة من السحر والخيال ، تلك هي أعمال عصر النهضة ممثلة بأعمال (ليونارد دافنشي) ، و (روفـائيل) وعصـر الـ (الكلاسيكي) الذي تلاه ، فاتخذ من فناني عصر النهضـة روادا ومعلمين ، حـين دخلوا القصـور

ورسموا الملوك ، والمعارك ، والخيول المطهمة ، والثياب الفاخرة ، بدقة متناهية ، تضاهي دقة أفضل عدسات التصوير في عصرنا الحديث

لكن عندما يصل المرء الى الطابق الثالث من دلك المتحف ، في جانب من جوانبه ، يشعر أنه عاد الى نفسه ، الى واقعه ، وحياته ، فيعود من غربته التي شعر بها أمام اللوحات القديمة (الكلاسيكية) ، ليرى هنا الشجر ، وأوراق الخريف الذهبية ، والرورق العائم فوق مياه رقراقة ، فيتعرف على تلك القرية ، وهذه البحيرة انها لوحات الفن الانطباعي ، بألوانها الزاهية ، وسمائها الصافية ، فادا أحلنا النظر بين هاتين المدرستين ـ المدرسة (الكلاسيكية) والمدرسة الانطباعية ـ وجدنا الفرق شاسعا بينهما ، فكيف حصل هذا التطور ؟ وكيف تم الانتقال بين المرحلتين ؟

مرحلة وسطى

كانت هناك مرحلة وسطى بين المدرسة (الكلاسيكية) والمدرسة الانطباعية ، كما أن هناك فنانين قد عاشوا تلك المرحلة ، واستقوا من كل من المدرستين ، فأثروا فيهما ، وتأثروا بهما ، ولعل من أهمهم (تيودور روسو) ، و (كاميل كورو) اللذين اتخذا من الطبيعة حول باريس مرسما لهما ، لما يحيط بها من غابات ، مغطاة بالضباب ، وبحيرات شفافة ، وأشجار ضخمة باسقة ، تلهم الفنان ، وتطلق لريشته العنان ، فتضج لوحته بالألوان ، والأنوار الظاهرة حينا ، والخفية أحيانا ، مما أسبغ على فنهم صفة الانطباعية ، كلوحة (ذكرى مورتفونتين) ، لكورو

ويعتبر كورو (Corot) ١٧٩٦ ـ ١٨٧٥ ـ سلفا للانطباعيين ، ومبدعاً كبيراً في رسم الطبيعة ، لما في فنه من لمسات رقيقة ، تذكرنا بالشاعر الفرنسي الكبير صاحب قصيدة (البحيرة) لامارتين . وقد كان (كورو) مولعا بالرسم ، وبخاصة رسم البحيرات من خلال الضباب الذي يغطيها ، والأبخرة المتصاعدة منها مع نسائم الصباح ، وقد ظهرت المدرسة الانطباعية عام ١٨٦٠ ، أي منذ حوالي قرن وربع من الزمن ، واشهر من يمثلها خمسة ، من عمالقة الفن ، هم : (ادوار مانيه Manet) و (بيسارو Pisssaro) ، و (سيسليه Sisley) ، و (مونيه Monet) ، و (بازيل Bazille) ، بالاضافة الى عدد من الفنانين الانطباعيين الآخرين ، من ذوي الأسلوب الخاص ، والاختصاص في موضوع معين ، مثل : (أوغست رونوار Renair) ، و (بول سيزان Cezanne) ، و (ادجار دوجا Degas) ، و (جوجان Gauguin) الخ ،

أما بالنسبة لتاريخ المدرسة الانطباعية فيمكننا القول ان المؤرخين لم يتناولوا حكايتها بالتفصيل الا مؤخرا ، لأنها مازالت تحيا في نفوسنا واعماقنا ، ولذلك لم تصلنا أخبارها الا عن طريق الرواة الذين بينوا كيف كان أولئك الفنانون المغمورون يترددون على متحف (اللوفر) باستمرار ، من أجل عرض أعمالهم الفنية ، الا أنهم كثيرا ماكانوا يخذلون ، برفض لوحاتهم ، وقلما كانوا ينجحون في عرضها وقد خصصت الدولة فيما بعد جناحا خاصا في متحف (اللوفر) يضم ثلاثمائة لوحة من أجمل لوحات الانطباعيين ، اختيرت منها مائة لوحة ، كي تكون مراجع ووثائق تاريخية للمدرسة الفنية الانطباعية ، ويعتبر (كلود مونيه) خير مثال لهؤلاء المبدعين

ولادة مدرسة بلقاء رجلين

ولدت المدرسة الانطباعية بلقاء رجلين تشابه اسماهما الى درجة الالتباس ، وهما (ادوار مانيه ١٨٣٢ ـ ١٨٨٣) ، و(كلود مونيه ١٨٤٠ ـ ١٩٢٦) اللذان ساهما بلقائهما الفني في ولادة الفن الحديث فيما بعد ، إلا أن جذورهما الاجتماعية كانت مختلفة تماما ، فالأول ـ مانيه ـ كان من أثرياء باريس ، وابن قاض كبير ، أما الثاني ـ مونيه ـ فقد نشأ فقيراً ، ولم

يرض حماية أحد من الأغنياء له كما فعل (مانيه) ، بل شق طريقه بنفسه ، واضعا النجاح نصب عينيه ، الى أن جاء وقت اعتبر فيه هو الزعيم الذي قاد المدرسة الانطباعية حتى النهاية

وقد تحلى (مونيه) بالصدق والوضوح ، وكان يهوى الانطلاق في الطبيعة ، وفي الهواء الطلق على شواطىء البحر الذي استنشق أنسامه العليلة منذ طفولته ، وأشبع منها رئتيه ، كما أشبع نظره من منظر البحر الذي طالما جال فوق سطحه اللازوردي هائما وراء ندائه اللانهائي

كان القاسم المشترك بين فناني المدرسة الانطباعية هو رسم وجه الانسان ، ورسم الطبيعة ، فمثلا عندما رسم (كوربيه Courpet) لوحة (الدفن في ارنان) لم يكن أسلوبه يختلف كثيرا عن أسلوب (دافيد) في لوحته (تتويج نابليون)

أما (مانيه) فقد كان الرسم بالألوان عنده لايعني الانسجام التشكيلي ، ولا ابتكار شكل جديد غير مألوف ، بل يعني ابتكار أسلوب فني جديد ، خال من الآثار الرومانسية ، لأنه كان يجرد الرسم بجرأة استثنائية في كل لمسة أخلاقية أو فكرية ، مما جعل منه (رائدا) لعصر جديد ، ينسب اليه وهو (عصر مانيه)

ان فن (مانيه) هو في الألوان ، وليس في الضوء ؛ كما هو الحال في فن (مونيه) ، فهو يحشر الوجوه حشرا ، وأحيانا يمزج الخطوط والأشكال بألوان تفقدها معالمها الأصلية ، وقد اعتكف في عام ١٨٦٣ في متحف (اللوفر) ، وكرس جهده لرسم روائعه الفنية الخالدة ، بينما ظل صاحبا (مونيه) وهما (رونوار) و (سيسليه) في غابة (فونتينبلو) لكي يرسما مناظرها الساحرة ، وكانت هذه الغابة قد استهوت في الماضي كبار الرسامين والفنانين أمثال (اودري) في عهد لويس الخامس عشر ، كما استهوت أيضا كثيرا من الفنانين في نهاية القرن الثامن عشر ، وأصبحت قبلة الرومانسيين بعد عام ١٨٣٠ ، مثل (تيودور روسو) ، و (دياز) ، (مينيه) فيما بعد ، الى أن أصبحت أكاديمية للمناظر الطبيعية

وبينما كان الأقدمون يجدون في هذه الغابة طللا وارفة وجد فيها (مونيه) منبعا للنور والضياء ، كما في لوحته الرائعة التي رسم فيها صديقته (كاميليا) في الهواء الطلق ، بثوبها الأخضر وقد سمى اللوحة (السيدة ذات المظلة) ، وكذلك لوحته (نزهة) التي تقدر مساحتها بثمانية وعشرين مترا مربعا ، والتي وهبها لصاحب النزل الذي كان يقيم فيه ، وذلك تعويضا عن اقامته لديه ، الا أن هذا الأخير طواها ، ورماها بين مهملاته ، فأصابها التلف ، ولم يبق منها الا القسم المركزي المعروض في متحف (اللوفر) ، وتعبر هذه اللوحة عن أبرز خصائص المدرسة الانطباعية ، وهو الرسم في الهواء الطلق ، والرسم بالألوان الزاهية

وكان (مانيه) قد ابتدع ـ من قبل ـ هذه الطريقة في بداية عهده بالرسم ، بلوحتيه ـ (أولمبيا) و (غذاء على العشب) اللتين سببتا له فضيحة كبرى في المعرض الذي رفض (أولمبيا) بسبب وجود امرأة عارية في الهواء الطلق ، وليس في مرسم كما كانت العادة أيام (الكلاسيكيين) ، ولم يكن (مانيه) يعلق أهمية كبرى على الموضوع بحد ذاته ، فقد طرقه غيره من قبل ، وكل ماكان يهمه هو أن يكون عصريا وصادقا في نقل الحقيقة ، أما اللون المسيطر على لوحة (غذاء فوق العشب) فهو اللون الأخضر و درجاته القاتمة والزاهية ، وقد جعل من الأوراق شيئا مناسبا لنفاذ ضوء خفي قادم من جميع الاتجاهات

أما خلفية اللوحة فقد جعل منها (مانيه) في ألوان كالازرق الفاتح والأصفر والأحمر ولون الشعر الأبيض مايسبغ على اللوحة شفافية ضوئية ، تجعل منه رساما انطباعيا فريدا من نوعه .

فنانون وفنانة

أما أشهر الفنانين الذين ابتكروا عالما خاصا بهم فهم (رونوار) الذي افتتن بالصبا فراح يرسم الفتيات والنساء الصغيرات ، مبررا براءتهن وملامحهن الطفولية ، كالوجنات الوردية ، والشفاه القرمزية ، واستدارة الذقن والأنف والأصابع الخ

و (ادجار دوجا) الذي رفض أساليب أصدقائه وزملائه ودخل في عام ١٨٧٢ قاعة الرقص في (الاوبرا) كي يراقب حركات راقصات الباليه والأضواء الاصطناعية المتكسرة على أجسادهن وثيابهن الرقيقة ، وحركات أيديهن ، لينقلها الى لوحاته

وكذلك (بول سيزان) الذي اتسمت رسومه بالبساطة ، بسبب نشأته الريفية ، والذي كان يصبو الى الكمال ، والى معرفة كل شيء ، وقد ابتكر أسلوبا في الرسم خاصا به ، ثم مالبث أن مال في نهاية حياته نحو الفن التكعيبي ، أي أنه أدخل الخطوط المستقيمة والهندسية في أعماله الفنية ، وهذا ما أثر فيما بعد في بيكاسو وماتيس

وظهرت الفنانة (برت موريزو) التي دعت (مانيه) الى نبذ اللون القاتم في لوحاته وهي وان لم تكن قد تتلمذت على يد أحد الا أنها كانت تقترب بفنها من أسلوب (رونوار) وقد استلهمت لوحاتها التي تمثل الأمومة والطفولة من شقيقتها (ادما) التي رسمتها في لوحة رائعة ، تدعى (المهد) ، وهي موجودة الآن في متحف (اللوفر) بألوانها الرقيقة العذبة ، والحرير الرقراق حول طفل رضيع يرقد هانئا في مهده . وهكذا يمكننا القول بأن الفنان كان يرمي دائما ـ من خلال أعماله ـ الى أن يحيا عصره ، وأن تترك أعماله أثرا يدل عليه ، ويخلده .

لكن يبقى هناك سؤال مطروح بالحاح · ترى ماذا يمكن لنا أن نرى في هذه اللوحة أو تلك ؟ هل نرى فيها ذواتنا ، أم نرى عصرنا ؟ وهل هي للماضي ، أم للحاضر ، أم للمستقبل المجهول ؟ □

● زهور عباد الشمس للفنان فان جوخ في يناير ١٨٨٩

● طريق منحدر عن حانة دي بن لـ « ادوارد مانيه » في ١٨٧٨

قصــة الكــاتب الاستــرالي : آلان مارشال

ترجمة : حسن يوسف *

كان الحمار مجرد حمار عـادي رث وذاهل ، يقف مطأطئا رأسه وعيناه نصف مغمضتين أمام مدخل خيمة السيرك التي نصبت على البقعة الخضراء الوحيدة المتبقية حول المدينة الكبيرة

كان ذلك هو أول سيرك تراه المدينة منذ سنة ولهذا اردحمت الطرقـات المفضيـة الى تلك البقعـة الخالية بصفوف من السيارات التي تتحرك وتقف ثم تتحرك من جديد

النـاس يتحركـون بعجـالـة ، يعبـرون ممـرات المشاة ، ويجتازون الحـواجز الحجـرية الممتـدة على جانبي الطريق انهم يتحركون على شكل جماعات وصفوف تلتقي وتتعرج لتصب في البقعة التي تتقدم عبرها حشود من الناس يسيرون برؤوس مرفوعـة ليروا ما أمامهم من فوق أكتاف بعضهم بعضا

تحت هذه الطبقة من الوجوه المرفوعة المترفعة ، نزولا الى حيث الأيدي الكبيرة تمسك بأيد صغيرة ، ثمة وجوه أخرى مندهشة وملطخة « بـالبوظـة » ، تتحرك عبر غابة من السيقان ، ماضية معها الى حيث تتقـدم . كـان الأولاد والبنـات ـ أصحـاب تلك الـوجـوه ـ عـاجـزيـن ، في هـذا العـالم مـن « البنطلونات » والجـوارب الحريـرية ، عن رؤيـة خيمة السيرك ، ناهيك عن الفيلة التي كانت تتحرك طليقة قرب العربات المطلية كان على واحدهم أن ينتظر الى أن تمتد اليه يدان قـويتان لتـرفعاه فـوق رؤوس الناس

وهاهوذا ، مقابلهم تماما ، يقف الحمار الأعجوبة وسط الممر الذي يفضي الى خيمة السيرك

كانت الخيمة كبيرة للغاية فالملصقات الزاهية التي تستـوقف النـاس منـذ أسابيـع ، أمام جـدران القرميد القذرة في الشوارع الخلفية والأزقة ، تقول انها أكبر خيمة في العالم كله ، وانها تتسع لأربعة آلاف انسان دفعة واحدة

كان الحمار مربوطا الى وتد بحبل بال في منتصف طريق العابـرين بعجلة نحو صفـوف المقاعـد التي ترتفع متدرجة حول الحلقة المضاءة ولهذا كان لابد لهم جميعا من المرور به بعد شراء البطاقات وبما أنه تقام كل يوم سبت ثلاثة عروض فهذا يعني أن اثني عشر ألف انسان قد مروا بذلك الحمار خلال يوم واحد . ولاشك في أن ثلاثة أرباعهم على الأقل [illegible] على الحمار أو لمسوه أثناء مرورهم . أي أن [illegible] آلاف يد قد قرعت الحمار في مكان ما من [illegible] في بحر ذلك النهار . ولسوف يكون صعبا أن [illegible]

* كاتب ومترجم من القطر العربي السوري

د الضربات الرقيقة التي تلقاها خلال أسبوع
كانت التربيتات تأخذ أشكالا مختلفة بعضها
، نوعا من اظهار الفوقية وبعضها كان علائم
ياج خائف بعضها كان يدل على حب النفس ،
ضها كان يدل على محبة للحمير بعضها كان
د تباه مبتذل يقوم به الآباء بقصد التأثير على
دهم ، وبعض آخر منها كان تربيتات رقيقة تحولها
يلة الى تجارب سحرية

الأم التي يجرها ابنها الصغير المهتاج تقف بينها ابنها يحرك يده المرتعشة برفق على كتف الحمار. والأولاد الصغار الذين يرفعهم آباؤهم بافتخار ينحنون ليحكوا ظهر الحمار أو رأسه بأصابعهم القصيرة السمينة، أو ليشدوه من أذنيه.

أما الأولاد الذين لايرافقهم من يكبح جماحهم فيستعرضون شجاعتهم المرتجلة لتوها بالاتكاء على الحمار أو فرك أنفه وهم ينظرون حولهم طلبا للتشجيع.

بعض الناس اللطفاء يحاولون، أحيانا، ادخال حبات الفستق والحلوى بالقوة بين شفتي الحمار، الا أن ذلك كان صعبا نظرا لأنه كان يطبق أسنانه باحكام، ويهز رأسه عندما يشعر بأيديهم في فمه.

كل عشر دقائق يصل رجل ممن يفهمون الحمير، ويقول بلهجة غير متكلفة «آه، حور!» مما يجعل المربتين يسحبون أيديهم وينظرون اليه. عندئذ يقوم الرجل الذي يفهم الحمير بتمرير ذراعه حول رقبة الحمار، ويخاطبه بلهجة تضعه في مكانة المسؤول: «اذن الى هنا آلت أمورك ياصاحبي العجوز، إيه! لامزيد من العمل الشاق لك. حسنا، هكذا هي الأحوال اذن».

ثم يغير الرجل لهجته، ويوضح للناس الذين يستمعون اليه:

«في الشرق يحمل الحمار أكثر من وزنه. فهو كما تعلمون من حيوانات حمل الأثقال». فيتمتم الناس علامة على الفهم، ويعطون الحمار تربيتة أخيرة، دليلا على تعاطفهم، قبل أن يدخلوا ويتركوه.

كان الحمار يقبل اهتمام ذلك الحشد من البشر بخضوع، مما جعله يوطن نفسه على حياة من التربيت. صحيح أنه كان يشعر بارهاصات التمرد في داخله، أحيانا، الا أنه لم يكن يظهر ذلك قط. كان يقف على ثلاث أرجل مدليا إحدى فخذيه، وشعرة الأشعث قد ازداد تشوشا بسبب الأيدي التي فشلت في انتزاعه من الحلم الذي كان تائها فيه.

في آخر أيام السيرك تقدم، بثقة، عبر المدخل، رجل جريء، يرتدي بذلة زرقاء ضيقة. توقف أمام الحمار، ملقيا عليه نظرة نقدية شاملة، ثم عض شفته، هازا رأسه، وتراجع بضع خطوات لـ يتمكن من النظر الى الحمار من الخلف، ثم استدار الى الجهة الأخرى ليتفحصه من هناك. أخيرا أنهى دورانه حول الحمار بالتأمل في رأسه لوقت طويل.

وبعد أن عرف كل مايريد معرفته عن هذا الحمار استدار ليكمل طريقه، وهو يهوي بيده الثقيلة، في الوقت نفسه، على ظهر الحيوان. وكانت تلك هي التربيتة رقم ثمانية آلاف في ذلك اليوم.

كان الحمار نائما، على مايبدو، الا أن ثقل يد الرجل على ظهره أثر به كما لو أنه اشارة طال انتظاره لها. فرفع رأسه الثقيل بحركة سريعة، ثم استدار وأطبق فكه على ذراع الرجل بأسنان انطبقت كمصيدة الأرانب.

انطبقت أسنان الحمار على كم معطف الرجل، فانتزعت منها مزقة من القماش الأزرق ظلت بارزة من فم الحمار، الذي أدار رأسه جانبا، مواصلا أحلامه.

ذهل الرجل، وترنح متراجعا نحو الناس بعينين جافلتين وفم مفتوح. أمسك ذراعه بيده الأخرى، ونظر الى الناس ليؤكدوا له ذلك الشيء المذهل الذي جرى له. ثم تعجب بلهجة مرعوبة:

«عضني!»

وأضاف وهو ينظر الى الحمار كما لو أنه لايصدق عينيه:

«ياله من بهيم شرير!»

توقف المارة جميعا لينظروا الى الرجل والحمار الذي ما يزال يحمل قطعة القماش في فمه. هزوا رؤوسهم موافقين على كلمات الرجل. أجل، هذا الحمار بهيم شرير! فقد عض الرجل الجريء في ذراعه رغم أنه لم يرد سوى أن يربت عليه. ياله من مخلوق عاق شرير!

مرت خمس دقائق، بعد ذلك لم يقم خلالها أحد بالتربيت على الحمار. لابد أن تلك هي أول مرة يذوق فيها السلام منذ سنوات. □

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

نشاط الطفل التمثيلي

كيف نتعامل مع الطفل بطيء التعلم؟
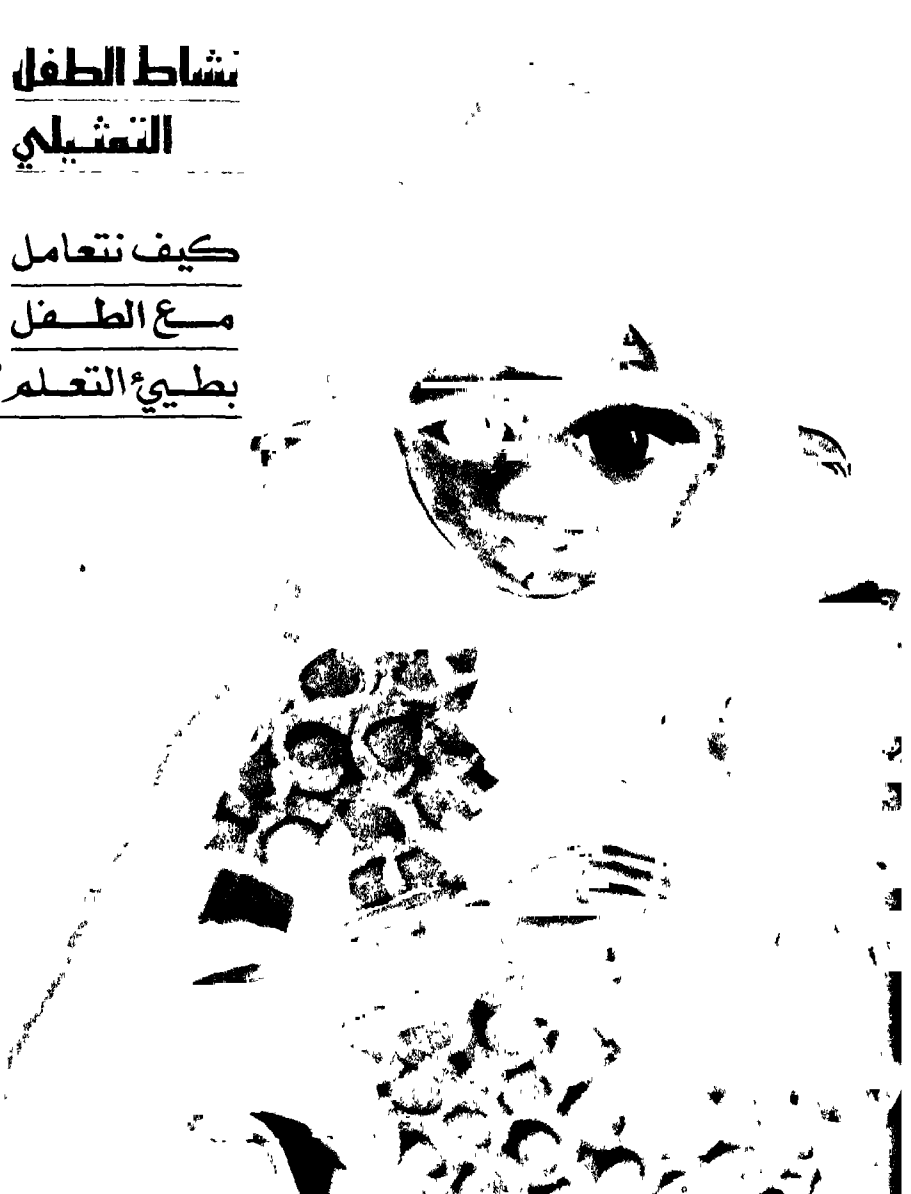
نشاط الطفل التمثيلي

اعداد : محمد بسام ملص*

كانت رائدة نشاط الطفل التمثيلي ومسرح الأطفال تراقب بعض الفتيان وهم يؤدون مشهدا تمثيليا من خيالهم . المكان الذي وقف فيه الفتيان كان مجرد ممشى عادي ، إلا أن خيالهم الخصب قد حوله إلى غابة خضراء ، انتشر فيها الفتيان في مغامرة فما أهمية النشاط التمثيلي للطفل ، وما قيمته في التربية ؟

لايختلف اثنان في أن اللعب بالنسبة للطفل هو الحياة نفسها . ولا بد للأم والمهتمين بتربية الطفل أن يعتنوا به في مجال هذا النشاط ، لينشأ طفلا سليما قويا قادرا على مواجهة التحديات ، فهو أمل هذه الأمة ومستقبلها

لايبالغ علماء النفس عندما يؤكدون على حقيقة أن الطفل ينمو ويتعلم باللعب . يقول بيتر سليد ، أحد رواد النشاط التمثيلي في بريطانيا : إن لعب الطفل هو طريقته في التفكير والتجربة والاسترخاء والعمل والتذكر والاقدام والابداع والانهماك وجانب من جوانب لعب الطفل هو النشاط التمثيلي الذي يسمى « دراما الطفل » . يلاحظ المهتم بسلوك الطفل ظهور لحظات تشخيص يؤدي فيها الطفل دور الأب أو الطبيب أو عامل التنظيفات ، وهذه تبرز في سنوات الطفل الأولى التي غالباً ما تسمى بمرحلة ما قبل المدرسة . وقد تلاحظ الأم ـ مثلا ـ أن طفلها

* كاتب من القطر الأردني ، صدر له كتاب عن ثقافة الطفل سنة ١٩٨٦م

الصغيرة تعامل دميتها بعنف ، لأنها رفضت أن تشرب الحليب

الارتجال .. والمسرح

ويوضح بعض المختصين بأن هذا النشاط ماهو إلا نشاط تمثيلي غير رسمي ويكون من أجل متعة من يمارسونه وفائدتهم

لا بد من توضيح نقطة ذات أساس في هذا النشاط ، وهي أن المهتمين بتربية الطفل مطالبون أن يميزوا بين نشاط الطفل التمثيلي وبين مسرح الأطفال تبين آن فيولا ـ إحدى المتخصصات في هذا المجال ـ بأن مسرح الأطفال يعني مسرحية يكتبها أو يعدها مؤلف ولها خصائص معينة ، يقدمها ممثلون ـ كبار أو صغار ـ للأطفال ، وتستخدم المناظر والملابس والموسيقا وغيرها من لوازم المسرح الضرورية . أما في النشاط التمثيلي فإن الطفل يقدم مواقف ومشاهد « مرتجلة » ، مع التركيز على أن أحد أهم أهداف هذا النشاط هو التطور الشخصي للطفل ، وليس تسلية جمهور الأطفال وإرضاءهم

من هذا المنطلق الأساسي يظهر النشاط التمثيلي فنا قائما بذاته ، فهو ليس نشاطا اخترعه شخص ، وإنما هو لسلوك الحقيقي للانسان

دور البيت

يسهم البيت مساهمة غنية في النشاط التمثيلي ... ، ومن ذلك أن يهتم البيت بالأصوات ، فالأصوات المختلفة الصادرة عن ألعاب وأدوات تشد الطفل . وبخاصة في السنتين الأوليين أهم ما يراعيه البيت في مجال الأصوات إدخال كلمات حقيقية ، وإعادتها أكثر من مرة على مسمع الطفل الذي سيستخدمها فيما بعد ، فإن هذه التجربة الصوتية تبني لديه أساسا متينا للغة

يتعرض الطفل إلى مشاكل عديدة ، وبخاصة داخل بيته ، فقد تولّد هذه المشاكل عنده توترا وصراعا ، وتترك في نفسه مخاوف عديدة ، وإذا ما بقيت هذه داخله دون أن تجد لها أي متنفس ، فإنها لا شك تؤثر على تكوينه العاطفي والنفسي ، بل إنها تؤثر على مسار حياته هكذا يبرز النشاط التمثيلي كمحاولة لتفريغ الشحنات السلبية داخل الطفل

وقد تلاحظ الأم ظهور العنف أثناء هذا النشاط ، فقد يؤدي الطفل دور لص أو رئيس عصابة ، وهذا يجب ألا يقلقها أبدا ، لأن محاولات كهذه تتيح للطفل أن يعبّر عما في داخله من أمور غير شرعية بطريقة مشروعة ، إنه يلعب ويمارس النشاط التمثيلي ويذكرنا هذا الأمر بمصطلح « النشاط التمثيلي العلاجي » ، الذي يطلق على نشاط يحاول أن يمنع الكثير من الأمراض النفسية ، فهو يتيح للطاقات الكامنة والتوتر والصراع والنوايا الشريرة أن تخرج بطريقة طبيعية

يشارك الطفل الأطفال الآخرين في هذا اللعب ، وإن تشجيع الأم لطفلها على أن يلعب مع الآخرين يعلمه أن يكون متسامحا ، وسيساعد في نضجه اجتماعيا وعاطفيا

يحذّر بيتر سليد في كتابه « مقدمة لتمثيليات الأطفال » الأسرة من أن تتفاخر أمام الآخرين بنشاط طفلها ، لأن ما يقوم به الطفل ليس استعراضا أو عرضا مسرحيا ، وإنما هو نشاط يمثل جزءاً لا يتجزأ من حياة الطفل

في المدرسة

وحين يدخل الطفل المدرسة فإنه يتابع ممارسته لهذا النشاط ، ويبرز هنا دور المشرف والمشرفة في توجيه هذا النشاط ، لكن ليس بإدارته من خلال تعليمات صارمة ولأن الأطفال يحبون الأصوات يمكن للمشرف أن يُسمعهم بعض الأصوات ، ويطلب منهم أن يتخيلوا مواقف مختلفة ، لكنه لا يقترح عليهم أي موقف ، إلا في حالات نادرة جدا بل ينتظر اقتراحاتهم ، ويقبلها برحابة صدر ، فالمهم أن يترك المشرف الأطفال يقدمون اقتراحاتهم تمثيلا دون أن يتدخل في كيفية التقديم ، لأن تدخله يعني تقييد إبداعهم

يتيح المشرف الفرصة للأطفال ليقدموا اقتراحاتهم حول قصص يحبون أن يؤدوها ، ومع نمو الأطفال يراعي المشرف أن تكون القصة بتشخيص أكثر وضوحا ، مع زيادة عدد الشخصيات ، ويهتم المشرف أيضا بارتجال الحوار ، لأن هذا من شأنه أن يسهم مساهمة مؤثرة في تطور اللغة عند الأطفال ، كما حرص المشرف أشد الحرص أن تكون اللغة هي اللغة الفصحى ، وقد يخلط الأطفال بين الفصحى والعامية ، وهذا أمر يتقبله المشرف

وعندما يصبح الأطفال في سن الثامنة أو التاسعة يشجعهم المشرف على أداء المشاهد الطويلة ، ويهتم بالتقليل من إعطاء التعليمات ، ولا يفاجأ المشرف وهو يرى الأطفال يشاركون في تكوين أحداث القصة ، وفي إضافة أحداث ، كما أنهم يقترحون كيفية تقديم المناظر ، فعلى المشرف هنا أن ينمي عند الأطفال حرية التفكير والتعبير عن الرأي ، وإذا ما لاحظ أن الأطفال لم يحسنوا التصرف في موقف ، فإن عليه أن يشعرهم أنه يمكن حمل الموقف أكثر اهتماما وإثارة .

وقد يغلب الخجل على الأداء الأول للأطفال ، إلا أن الكلمات التشجيعية التي من شأنها أن تعزز ثقة الأطفال بأنفسهم وبما يؤدونه في النشاط التمثيلي تعز أن المشرف سيحصل على محاولة ثانية ، قد تكو مدهشة وربما يضيفون أبعاداً جديدة اليها

وفي السن من ٩ إلى ١١ يبدأ اهتمام الأطفال بالأدب وهنا يمكن للمشرف أن يستفيد من الأساطير والخرافات وتنمو القصة بتشخيص أكثر تعقدا ومواقف أكثر عمقا عندما تعكس النمو الفكري والعاطفي والنفسي للأطفال ومن الأفضل عدم الاعتماد على نص مكتوب في هذه المرحلة والأفضل أن يشجع المشرف الأطفال على كتابة القصة التي يريدون تأديتها في النشاط التمثيلي ، ولا يدهش وهو يرى في النصوص عبارات مباشرة قد صيغت على شكل حوار

بعد هذه المرحلة تأتي مرحلة الانتقال من الارتجال إلى استخدام النص ، وهنا يُشجع الأطفال (من سن ١١ ـ ١٥) على أن يكتبوا النصوص ويختاروا الحوار المباشر والحبكة ، والمهم ألا يفرض المشرف عليهم أي نص أدبي قد يراه جيدا ، فهذا الأمر لا يتم إلا تدريجيا ، إذ أن الهدف هو تقديم المسرحية البسيطة التي تتسم بالتشخيص القوي

وإذا لاحظ المشرف الارتباك عند الأطفال وهم يقدمون النص ، فإن عليه أن يطلب منهم أن يتركوا النص ويرتجلوا الموقف كما يبدو لهم ، فهذا يتيح لهم فرصة الابداع ، وبعد ذلك يمكن استخدام النص بكفاءة

في مجال التربية والتعليم

لا تقتصر الاستفادة من هذا النشاط على هذا الجانب المتصل بنمو الطفل جسميا وعقليا ولغويا واجتماعيا ، بل تمتد إلى مجال التربية والتعليم وبخاصة ما يتعلق بتدريس الموضوعات يعد المعلم الذي يمارس تلاميذه الأطفال النشاط الت خلال الحصة المدرسية أن الموضوع التعليمي

بعدا جديدا ، فالطفل يؤدي المادة التعليمية أداء تمثيليا ، ويقترب من المادة بطريقة تختلف تماما عن تعامل المعلم مع المادة نفسها بالأسلوب التقليدي الذي يعتمد على الالقاء والتلقين ، إن الطفل يتفاعل مع الموضوع وفي حالات كثيرة قد تكون الكلمة المطبوعة جافة ، أو قد يصعب على الطفل تقبلها ، وخاصة إذا كانت تحمل فكرة مجردة وليست ملموسة ، فتأتي الحركة في النشاط التمثيلي لتمنح الكلمة معنى أقوى وتأكيدا ورسوخا أكثر . فالطفل هنا يواجه الموضوع مواجهة مباشرة

يذكر ماكجريجور لين في كتابه « التطوير في التعليم التمثيلي » هذه الحادثة ، وهي استعمال نموذج واقعي لاستخدام النشاط التمثيلي من أجل ترسيخ الوعي الاجتماعي ، فقد رأت معلمة أن تتعرف الفتيات إلى موضوع التعدين ، وما يحيط به من مشاكل تخص العاملين فيه عن طريق هذا النشاط في البداية بينت المعلمة الموضوع للفتيات بعدة وسائل ، منها التمهيد للموضوع بتقديم فكرة عن إضراب عمال المناجم في بريطانيا عام ١٩٧٢ ، والاستفادة من عدة كتب تظهر صور الفقر والأمراض التي تعكس ظروف الأطفال والنساء العاملين في المناجم ، وعرض عدة مراجع جغرافية علمية توضح مواقع المناجم وكيفية تكوين الفحم . والاستعانة بقصاصات الصحف والأشرطة السينمائية المتوافرة حول الموضوع نفسه

بعد أن ناقشت المعلمة مع الفتيات حياة العمال في المناجم تركتهن لتأدية مشهد تمثيلي ، ظهر فيه الاهتمام والانسجام وروح التعاون والاقتراحات العديدة

يبين هذا المثال طريقة المعلمة الناجحة في إضفاء الحيوية والحركة على تلقي الطلاب للمادة عن طريق التعلم والتعليم معا ، كما يظهر أهمية النشاط التمثيلي في تشجيع الطلاب على متابعة الموضوعات الدراسية بحماسة وجدية

هذا ويمكن القول بأن المجال التربوي بمفهومه الواسع في وطننا العربي ما زال بحاجة ملحة إلى النشاط التمثيلي ، ليحقق الأهداف التربوية المرجوة

□

ميكي ماوس فرعوني !

● يقول العلامة الأثري البلجيكي جان كابار إن المصريين القدماء مع تمسكهم بالرسوم الدينية وتعلقهم بالشعائر المقدسة كانوا يمزجون فنونهم الرصينة ونقوشهم المقدسة بالفكاهة ، فقد اتخذوا الحيوانات رموزا لتمثيل الأفكار الفكاهية والسخرية الانسانية . على نحو ما يبدو في الأفلام التي اتخذ أبطالها من الحيوانات ، وهي المعروفة بأفلام « ميكي ماوس » ، ففي متحف بروكسل الملكي صورة للملكة الفرعونية « ماكيت » ، ترى فيها وهي تتناول طعامها ، وأمامها قطة تقوم بخدمتها ، كما يوجد في متحف تورينو لوحة من ورق البردي ، صورت عليها جوقة موسيقية من عدة حيوانات ، حمار بيده معزف ، وأسد ينفخ في مزمار ، وتمساح بيده قيثارة ، وقرد يقود الفرقة بحركاته وهذه الصورة تمثل شريطا من نوع أشرطة « ميكي ماوس » المعروفة في السينما الآن

كيف نتعامل مع الطفل بطيء التعلم ؟

بقلم : الدكتور عبد الكريم أبو شويرب

يتخلف كل سنة ـ لأسباب عديدة ـ مجموعة من الطلبة عن زملائهم في الدراسة ، ونسبة كبيرة من هؤلاء مصابون بصعوبة التعلم ، وهذا يعني مجرد بطء في تطور القدرة فما هي أسباب هذا التخلف ؟ وهل في الأمر ظاهرة مرضية ؟

يقدر عدد الأطفال المصابين بصعوبة التعلم بحوالي ١٠٪ من بين كل الطلبة في أي رسة ، وهم ربما لا يشكون من أي مرض عضوي عقلي ، وإذا لم يتم تشخيصهم وعلاجهم مبكرا د يتسبب الإهمال في رسوبهم وتعرضهم لبعض مراض النفسية ، لذا تقع المسئولية على المعلم لطبيب في التعرف على هذه الحالات ، وتقديم لاج اللازم في وقت مبكر مناسب

تعلم الأطفال أمر تدريجي ، يحدده عمر الطفل ونوع المادة التي سيتعلمها ، وهو مثل بقية خطوات نمو الطفل ، يتراوح بين المبكر والعادي والمتأخر وقد يبكر طفل في مجال الحركة ، ويتأخر في مجال الكلام ، ولكل مجال معدل ، إذا تأخر عنه الطفل عد متخلفا ، ولكل أسباب وعوامل معينة

ويحتل السلم الدراسي مراحل دراسية ، وحواجـ على الطالب أن يجتازها ، ليبدأ المرحلة التي تليها وفي كل مرحلة يكتسب الجديد من المعلومات والخبرات التي تضاف إلى حصيلته السابقة ، فص

عما يصل له عقله وجسمه من تطور وتبدل مستمر عضوي ووظيفي ، إلى أن يصل إلى مرحلة الاكتمال

التحدي الكبير

وخلال هذه المراحل يتعرض الطالب لشتى التفاعلات مع زملائه ومع معلميه من جهة . ومع المنزل والمجتمع من جهة أخرى ، ويكتشف أن عليه أن يبذل جهدا أكثر ، ويمكر وقتاً أطول ويبدع إبداعاً أحسن ، لينافس زملاءه ، ويسبقهم لكي يستمر في هذا السلم الدراسي ، ويصاب الطالب بفترات من السعادة ، وإطراء من الرضا ، وغيرها من خيبة الأمل في أداء بعض الواجبات والامتحانات ، أو حتى خلال احتكاكه اليومي وتعامله مع زملائه

وبينما يتوالى صعود الطالب على هذا السلم يجد بعضهم أنهم غير قادرين على المتابعة أو اللحاق بالأغلبية في الفصل ، أو أنهم متأخرون أكثر في كل مرحلة ، وعليهم بذل جهد أكبر ، وأنهم يستوعبون بصعوبة ، ويدركون النتائج والفرضيات في وقت يكون فيه رفاقهم قد اجتازوا إلى نظريات وفرضيات أصعب وأعقد ، وهكذا يتراكم هذا التخلف سنة بعد سنة ، ونتيجة لذلك

١ ـ إما أن يكمل الطالب دراسته بشكل ضعيف

٢ ـ وإما ان يحاول تغيير الفصل او المدرسة أو نوع الدراسة

٣ ـ أو ينقطع عن الدراسة ويتجه نحو الأعمال اليدوية

وفي كل الحالات الثلاث تتولد لدى الطالب دوافع نفسية سلبية تجاه زملائه ومجتمعه، قد تظهر في مراحل المراهقة ، كانحراف أو نوع من أنواع الجنوح أو العنف، مما يجعل المجتمع ينظر له نظرة خاصة مريبة

ومن الثابت أن ذكاء هؤلاء الطلبة هو في المعدل بالنسبة لأعمارهم ، وأنه من الممكن أن تكتشف هذه الحالات مبكرا ، ويقدم لها العلاج المناسب ، ليلحقوا بزملائهم ويتابعوا دراستهم

وفي الولايات المتحدة يتخرج ٧٦٪ فقط من طلبة المدارس الابتدائية ، ومن هؤلاء يداوم ٤٤٪ فقط في المعاهد والثانويات ، ويتخرج منهم ٢١٪ فقط ، ويدخل ٦٪ الجامعات ، ويحصل على درجة الدكتوراه ١٪ فقط من هؤلاء

ولسنا بصدد أين يذهب الطلبة أو لم يرسبون ، لكن يهمنا معرفة كم من هؤلاء المتخلفين مصابون بصعوبة التعلم ، وكم منهم كان يمكن تشخيصه وإنقاذه ومد يد المساعدة له

أسباب صعوبة التعلم

هناك عوامل جانبية بدهية تسهم في صعوبة التعلم لدى الطالب ، ومنها الفصل المكتظ بالطلبة والمقاعد الخلفية ، وتوقيت الحصة ، وشخصية المعلم ، وغيرها وما نود أن نناقشه هنا هو سبب فروق الاستيعاب بين الطلبة مع تكافؤ الظروف المحيطة وتساوي درجة الذكاء والعمر وسلامة الجسم

مستويات الذكاء

تختلف مستويات الذكاء من طفل لآخر ، وفي كل مجموعة نجد الفوارق الفردية واضحة ، وتمثل نسبة توزيع الذكاء بين الطلبة على شكل هرم ، أوله قليل من الأطفال النجباء ذوي المستوى العالي من الذكاء . وتمثل قمة الهرم الأغلبية والمعدل العادي للاطفال في نفس العمر، وآخر المنحنى يمثل القلة بطيئي الفهم ، وأخيرا المتخلفين بصورة واضحة

الأمراض الجسدية والنفسية :

ولهذه أيضا أثر كبير على درجة استيعاب الطفل لدروسه ، أو من المعلوم أن الأطفال ذوي الأمراض

المزمنة كأمراض القلب أو الرئة نتيجة لكثرة تغيبهم لا يستطيعون متابعة الدروس واللحاق بزملائهم ، إلا إذا كانوا منتظمين في مدارس خاصة لهذا الغرض تراعي ظروفهم وتعوض أيام غيابهم

شخصية الطفل :

يميل بعض الأطفال بطبعهم إلى بعض الدروس ، أو الهوايات ، ويأنفون من أخرى ، لذا لا ريب أن نجدهم متفوقين في مادة أو درس ، ومتخلفين في أخرى ،ولا يعني ذلك تخلفا عقليا أو ضعفا في الذاكرة

ضعف بعض الحواس :

تشترك كل الحواس خلال فترات التركيز والاستيعاب كي توصل المعلومات نقية سهلة ، بما في ذلك النظر والسمع والنطق ، لكن في بعض الحالات التي تكون فيها هذه الحواس سليمة فإن الطفل يصاب بصعوبة التعلم ، نظرا لضعف سماع بعض الموجات الصوتية ، أو لصعوبة نطق بعض الحروف ، أو عدم إحساس ببعض الألوان أو الأضواء

أسباب تعود للمدرسة :

بالإضافة لمكان الطفل في الفصل ومعاملة زملائه له فإن درجة التعامل مع المعلم وشخصيته وطريقة التدريس لها أثر في توصيل المعلومات إلى الطفل وانطباعها في ذاكرته

وكثيرا ما يتهم المعلم نفسه بالفشل ، لكن سرعان ما يدرك فيما بعد أن الأمر يتعدى موضوع الفروق الفردية في المستوى ، وأن عليه تحويل الطفل لأخصائي والاستعانة برأيه ، سواء طبيب الأطفال أو الطبيب النفسي أو غيرهما

وطبعا قد يؤدي الى تخلف طفل عن الدراسة إذا حاول المعلم تحقيره أو إهانته أو عقابه ، أو قد يهمل المعلم الطفل لسبب أو لآخر ، مما يجعل الطفل معزولا منبوذا بين زملائه

على أي حال فالمعلم هو المحور الذي يدور حوله كثير ممن لهم علاقة بهذه المشكلة ، وتقع المسئولية على المعلم للتعرف على هذه الحالة ، وتحويلها ، ومتابعة علاجها ، وعليه يعتمد مستقبل الطفل وشقاؤه أو تعثر دراسته ، وذلك من خلال ملاحظة المعلم المستمرة ، وهو الذي سيقيم ذكاء الطفل . وحركاته ، ودرجة فهمه ، ومدى الفرق بينه وبين زملائه

ومع تتابع السنة الدراسية يشعر الطفل أنه يختلف عن زملائه في ادراك بعض الدروس وفهمها ، وهذا يدفعه الى اختيار المقاعد الخلفية بعيدا عن مواجهة المعلم وأسئلته ، ولكي لا يتعرض لسخرية زملائه اذا أجاب خطأ ، فضلا عن أن موضعه هذا يحميه من تعنيف المعلم اذا أهمل الطالب اتمام واجباته المنزلية

المنزل :

للمنزل دور مهم في تعليم الطفل لغته وأدبه وتراثه وتنمية معلوماته وشحذ ذكائه وقواه العقلية . وللأبوين أكبر الأثر في توجيه الطفل وتعليمه ومتابعة واجباته المنزلية ، والتأكد من أنه يفهمها ويتمها بشكل مرض ، ولابد من أن نشير الى درجة ثقافة الأبوين ، ووجود المواد التثقيفية بالمنزل ، من قصص وكتب وصور ولعب ، بما يتناسب وسنه ، ولكل ذلك أكبر الأثر لدفع الطفل للاستفادة مما حوله ، وتنمية ملكاته وهواياته الخاصة

الأعراض والظواهر العامة .

لا يصعب الأمر على المعلم المهتم بتخصصه الذي يلاحظ الطالب يوميا عن قرب ويقيم سلوكه وانتاجه مقارنة بزملائه ، وللمعلم أيضا طرقه الخاصة للتعرف على هذه الحالات أو اكتشافها ، وبالتالي إحالتها للاستشارة ، ومما يثير انتباه المعلم الى صعوبة التعليم لدى أحد الطلبة واحد من الأعراض التالية

- يمسك الطالب القلم بطريقة غريبة بين الأصابع
- سوء الخط وميل الأسطر الى أعلى أو أسفل

- كبر الكلمات واتساع المسافة بينها
- صعوبة في تنظيم واجباته المدرسية واتمامها
- صعوبة الحفظ وضعف الذاكرة
- صعوبة التعامل مع الأرقام والعمليات العددية
- تقديم وتأخير في بعض الحروف داخل الكلمة
- بطيء في القراءة والتهجي والانشاء

أما التغيرات التي يلاحظها المعلم على سلوك الطالب فتشمل

- شرود الذهن أثناء الشرح (أحلام اليقظة)
- السلوك غير الطبيعي في معاملة المعلم أو زملائه في الفصل
- قصر فترة التركيز والاصغاء
- زيادة الحركة دون لزوم أو هدف معين
- سريع التوتر والتهيج لأبسط الأسباب
- مشاغب ومثير للنزاع في البيت والمدرسة
- يصغي لكنه لا يسمع ما يقال له
- يظهر عليه القلق والضجر خلال فترات الانتظار

دور المعلم :

مما سبق يتضح أن للمعلم دوراً فعالا ومهما في تشخيص حالات صعوبة التعلم لدى الطلبة بخاصة في الفصول الدراسية الأولية ، وكلما كان المعلم على صلة مباشرة مع الطفل (معلم واحد لكل المواد الدراسية) ومتتبعا تطوره يوما بيوم ، أمكن تشخيص الحالة بشكل مبكر وتقديم العلاج في وقت مناسب

وبعد أن يشتبه المعلم في حالة ما - مع منح الطفل الوقت والفرص اللازمة ومع قياس الفارق الفردي في الفرق بين الطلبة حتى في نفس الأعمار - عليه محاولة تعديل أداء الطفل وتوجيهه وتصويب أخطائه ومتابعته عن قرب ، ومنحه شيئا من الاهتمام ، تغيير مقعده إلى الصفوف الأمامية ، أو تقديم مكافآت أو الحوافز التشجيعية

وبعد ذلك على المعلم أن يطلب رأي طبيب الأطفال إذا ما تأكد أن الطفل يصر على أخطائه ، أو عند عدم اعتدال سلوكه مع زملائه

ويمكن للمعلم إجراء بعض اختبارات الذكاء البسيطة المعروفة لنفس سن الطفل ، وكذلك التأكد من سلامة النظر والسمع والنطق ، وعدم وجود عيوب أو كسور ظاهره

وعلى المعلم أيضا تقع مهمة العلاج ، ومتابعة الحالة خلال السنوات المقبلة ، وأن يكون على صلة مباشرة مع الأبوين والطبيب ويشرح الطريقة التي سيتبعها لعلاج الطفل

دور طبيب الأطفال :

وتنحصر مسئولية طبيب الأطفال في وضع التشخيص الدقيق ، وتحديد نوع العيوب التي يشكو منها الطفل ، ثم المتابعة في المستقبل بالتعاون مع الأبوين والمعلم .

وإذا تم تشخيص مرض عضوي (كالربو أو داء السكري أو ضعف إحدى الحواس أو غيرها) جرى علاج ذلك حسبما يقتضيه نوع المرض ودرجته ، أما إذا لم نعثر على مرض مع ثبوت الأعراض السابقة فعلى الطبيب أن يوضح للأبوين أن الطفل سليم عضويا وعقليا ونفسيا ، لكنه يشكو من صعوبة التعلم لبطء نضج حواسه وأعضائه ، وهذا يدعو لإدراك الأبوين لحالة الطفل ، وزيادة الاهتمام به ، وبذل بعض وقتهما للمساعدة في تقويمه وإرشاده ، وطبعا من المهم بمكان إقناع الأبوين بأن الطفل سليم عقليا ، وأنه قابل للشفاء ، واللحاق بزملائه

العلاج :

يكمن نجاح العلاج في التشخيص المبكر وتكاتف الأبوين والمعلم والطبيب ، ومناقشة حالة الطفل ، والتعاون فيما بينهم لإرشاده ومتابعته ، ومن المهم أن يتم التشخيص والعلاج في مراحل الدراسة الابتدائية ، قبل أن يتخلف الطفل عن زملائه ، وقبل أن يصاب بالعقد النفسية ، وقبل أن يوصف بالإهمال أو الغباء الخ □

هو.. وهي..

«وهو كظيم»

تختبىء خلف جدران البيوت مشكلة كمشكلتي ، وداخل العلاقات الانسانية يكمن جزء من عقل الرجل الشرقي

تزوجنا منذ عشر سنوات ، رزقنا الله خلالها ثلاث بنات ، يملأن حياتي بهجة وحنانا ، ولأن ظروفي الصحية ليست طيبة ، وخاصة ان ولادتي ليست أمرا سهلا فقد اقترحت على زوجي أن أجري عملية لوقف الانجاب فترة ، لكن زوجي ما أن سمع هذا الاقتراح الذي نقلته له عن طبيبي المعالج ، حتى ثار وأرغى وهدد ، وبعدما راحت ثورته حاولت أن أخاطب عقله ، ففوجئت أن خلف ثورته وغضبه يختبىء عقل شرقي فج ، يتحكم في سلوكه وتصرفاته قلت له لقد رزقنا الله البنات ، وقرت أعيننا بهن ، والحمدلله أن وسع علينا في رزقنا ، لكن الطبيب نصحني بأنه من الأفضل لي أن أكف عن الانجاب ، خشية أن أتعرض لمتاعب صحية .

وأعتقد أن الاستجابة لهذا أمر لا يغضب الله ، ولا يتنافى مع العرف ، لا التقاليد نظر إلي طويلا وهمس لكنني أريد ذكرا ودهشت ، فلم أكن أتصور أن رجلا في زماننا هذا يفكر بهذه الطريقة وجاء وقت حدتي ، فقلت له إن الأبوة تتحقق بغض النظر عن نوع المولود ، وهؤلاء الاناث يملأن البيت حنانا ورحمة ومودة ، وهن بلا جدال أكثر عطفا على والديهن من الذكور ، والولد فرحة تذهب إلى أسرة أخرى ، والبنت فرحة تجيء ، وإن جذورها تنضم للأسرة وقلت له لم يعد في عصرنا هذا فرق بين الرجل والمرأة ، ولا بين الذكر والأنثى وحتى بحساب ذاتي محض ، فأنا أرى ان البنات أكثر راحة لنا ، فهن الصدر الذي يضمنا حين نكبر وهن الشجرة الوارفة التي تمتد فتظلنا ، وهن الصغيرات المدللات الحبيبات مهما كبرن ، فهمس لي بحزن أريد أن يبقى ذكري واسمي صحت ساخرة وقلت وماذا لو جاء ولد عاق ؟ وماذا يعنيك ذكرك إذا كنت أنت قد غادرت الدنيا ؟ إن سر الذكر السيرة الطيبة والعمل الصالح ، والسيرة بين الناس نظر إلي برجاء وقال دعينا نحاول محاولة أخيرة ، قلت له لن أعرض صحتي للخطر ، وأعرض بناتي للخوف من أن أفقد حياتي في هذه المحاولة الأخيرة التي لن تحقق شيئا إلا ... جاهلية ما زالت في أعماقك ، وأنا والحمدلله راضية قانعة بما رزقني به الله ، أما أنت فخلص نفسك من أوهامك وارض واشكر

.. هي

«خلـــود»

● أؤمن بالله إيمانا لا يداخله شك ، وتمتلىء نفسي رضا وتسليما بمشيئته ، وأعرف معرفة عقلية وقلبية معنى حكمته في أن يرزق من يشاء ذكورا ومن يشاء إناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، لكني أحلم . وأتمنى أن يكون لي ذكر يحمل اسمي وأصطحبه معي ، وعندما يكبر أشركه في أمري وأسر إليه بخواطري ، وأسمع منه ، ويصير لي ابنا وأخا وصديقاً

لكن زوجتي سامحها الله تنتصر لبنات جنسها وتزعم أن البنات أكثر حنانا ، وأكثر رعاية لأهلهن ، وتقول لي انظر إلى البيوت التي تفقد رجلها ، فتصبح الأم هي الأب والأم ، وذلك بعكس حالات فقدان الأم . فسرعان ما يأتي الأب لأبنائه بزوجة جديدة إنها تريد أن تدلل بذلك على أن الأنثى بطبعها وفطرتها أقدر على حماية البيت من الولد ، وعندما قلت لها إن هناك حالات لآباء ضحوا بأنفسهم حياتهم بعد فقد الأم ، تقول لي إن هذا هو الاستثناء وليس القاعدة»

لكنني بعيدا عن كل منطق أقول أليس من حقي أن أفرح بصبيّ ، وأن أسعد بأن يتردد اسمي أجيالاً ممتدة ؟ ؟ فتقول . إن هذه أنانية ضيقة الأفق ، فماذا يفيدني اسمي ؟ أو ماذا تعنيني الدنيا كلها بعد أن أموت ؟ أليس فينا كلنا حب الحياة ، والتعلق بها ؟ وهل يقوى منطقها على الصمود أمام دعوة نبي الله زكريا عليه السلام عندما سأل ربه أن يهبه وليّاً ، يرثه ومن آل يعقوب ؟ تصرخ في وجهي متهمة إياي بالخروج عن العقل ، قائلة إنه لا يجوز لنا ما يجوز للأنبياء ، وأن ظروف نبي الله الكريم غير ظروفنا ، وأين نحن من هذا المستوى الطاهر بين التخاطب بين النبي وربه ، وتضيق على الخناق أقول لها لكن بنتي الملك لبير اتفقتا عليه ، وأهدرتا دمه وصنعتاه تضحك مني وتقول أليس عيبا أن نحمى بقصص من الخيال لنبرر أنانيتنا ، وضيق أفقنا ؟ ثم تنقلب حواء زوجتي إلى حية رقطاء وهي تهمس لي ولا تنس عزيزي أننا نثمر ما تزرعون أنتم أيها الرجال ، فالرجل هو الذي يتحكم في نوع الوليد . وأصرخ في وجهها قائلا أعرف ، أقسم برأس أبي أنني أعرف ، لكنني أحلم بولد يرثني ويقسم برأسي ، ويحمل اسمي ، ويكون وسيلة خلود لي . وهذا هو حلم البشر

.. هو

ـ باب الأسرة

أخطر ما نسيناه من الطعام

إعداد : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

هناك منعطفات في تاريخ العلوم الغذائية تعتبر علامات للطريق على درب الصحة والمرض ، لا يمكن للمفكر الطبي أن يتجاوزها عند الحديث عن سلامة الطعام

ولعل من أهم هذه المنعطفات

أولا اكتشاف الميكروبات التي تلوث الطعام ، ومعرفة أسرارها على يد حشد من العلماء ، يتصدرهم (كوخ) الألماني و (باستير) الفرنسي

ثانيا الكشف عن المخاطر الكامنة في بعض عناصر الطعام ، والضرر من تجاوز الاعتدال فيها إلى حدود الاسراف ، وأبرزها ملح الطعام والسكريات والدهون الحيوانية ، إلخ

ثالثا اكتشاف الفيتامينات في الطعام ، ومعرفة الأمراض التي يسببها نقصها أما ختام هذه المنعطفات وربما أخطرها فكان الكشف عن دور الألياف في الطعام ، وارتباطها بالصحة والمرض

فيما مضى كانوا يظنون بالألياف عنصرا زائدا عن الحاجة ، وأن دورها يتميز بالسلبية ، لهذا عرفوها بقدر ما وسعهم الادراك بأنها ذلك الجزء من الطعام الذي يعبر القناة الهضمية دون أن يهضم ، لهذا لم تنل الألياف حظها من الاهتمام والدراسة الكافيين ، بل ربما وجد فيها بعضهم عبئا ثقيلا على الجهاز الهضمي ، لهذا عملوا على تنقية الطعام منها على حد زعمهم ، فحملت إلينا هذه القناعة قائمة من الأغذية ، أطلقوا عليها اسم (الأطعمة النقية) ، يتصدرها السكر النقي والدقيق الأبيض ، بعد أن خلصوها من الألياف التي اعتبروها من الشوائب ، ليقدموها علفا للحيوانات لهذا لا غرابة أن يكون محتوى طعام الانسان الغربي المتحضر من الألياف الخام يتراوح بين أربعة إلى ستة جرامات فقط في يومه الواحد ، فيما يقدرون الألياف في طعام أهل العالم الثالث في بلدان أفريقيا وآسيا بما قد يتجاوز الخمسة والعشرين جراما يوميا فماذا كانت النتيجة يا ترى ؟

الملاحظة الأولى أن الكتلة البرازية عند الانسان الغربي المتحضر تتراوح ما بين مائة ومائة وخمسين جراما فقط في كل يوم ، وهي كتلة قاسية القوام أقرب إلى الجفاف والصلابة منها إلى الليونة ، وهذه هي مقومات الغائط لانسان يعاني من الامساك

بينما الفضلات عند الانسان الأفريقي الذي يتعايش مع الطبيعة بكل أبعادها قد تصل أربعمائة جرام يوميا ، وهي ذات قوام لين لز-

منتظم الاخراج في كل يوم وهذه هي دلائل سلامة الهضم والاخراج الطبيعيين ، وانتظام عمل القناة الهضمية

منذ أن تسربت مفاهيم الحضارة الخاطئة عن الطعام ، وعابت الألياف بتحضير (الأطعمة النقية) خلال سنوات القرن العشرين ، تزاحمت أمراض عديدة ، لم تكن موجودة عند الانسان القديم إلا فيما ندر ، بل وبقي أهل العالم الثالث الذين لم تصلهم مفاهيم الحضارة الحديثة عن نقاوة الطعام بمنأى عن مثل هذه الأمراض ، لهذا لا عجب أن تكتسب قائمة هذه الأمراض اسم أمراض المدنية ، وكان أحرى بها أن تسمى أمراض المدينة ، نسبة إلى المدينة لا المدنية

قبل أن نخوض في الحديث عن أمراض عوز الألياف كما يحلو لبعضهم أن يسميها ، بديلا عن اسم أمراض المدنية والحضارة ، لا بد لنا أن نتعرف على هذه الألياف ، ونستطلع كنهها ، ونستكشف دورها

فيما مضى كانوا يظنون أن (السليلوز) هو قوام هذه الألياف وقد ارتبطت النخالة في أذهان الناس بالسليلوز ، غير أن البحث العلمي والتنقيب قد قلبا المفاهيم رأسا على عقب ، فالألياف هي هيكل الخلية النباتية وغلافها ، وعندما نفذ العلماء في الماضي إلى أعماق الخلية بحثا عن عناصر الغذاء فيها من نشويات وزلاليات ودهنيات نسوا أو أنهم تناسوا هيكلها ، وأغفلوا غلافها ؟

وعندما فرغوا من بحثهم استداروا يتطلعون إلى الهيكل والغلاف ، فإذا بالأمر يتعدى مادة السليلوز إلى مجموعة مواد ، منها ما يذوب في الماء ، ومنها ما لا يذوب ، وتضم قائمة ما يذوب في الماء مواد البكتين والاصماغ والشموع ، أما الذي لا يذوب فتضم مواد السليلوز وشبيه السليلوز والخشبين .

ولعل من أهم خواص هذه المواد أنها تعمل عمل الاسفنج في امتصاص الماء ، لهذا نجد أن ٨٠٪ من قوام الكتلة البرازية هو ماء فيما تشكل البقية الباقية منه ميكروبات مع مواد خشبية متاصفة ، وهذا هو ما يعطي الكتلة البرازية حجمها المطلوب لانتظام حركة الأمعاء وخروج الغائط ، حيث أن البراز الذي يتجمع ويتراكم في قولون الحوض لا بد له من حجم لا يقل عن مائتي جرام ، حتى يمكنه أن يثير جدران القولون لكي ينعكس شعورا بالاخراج ورغبة في التبرز وإلا كانت النتيجة هي الامساك

الألياف ـ على ما وجدوا مؤخراً ـ لها دور أبعد من مجرد الامتلاء ، وأكثر إيجابية ، إذ أنها أيضا تخفف وتعادل المواد المسرطنة في الطعام التي تسبب سرطان القولون إذا ما تراكمت فيه

لقد وجدوا أيضا في مادة البكتين معطلا لأحماض الصفراء مما تفرزه الكبد ، ومن هنا ينخفض منسوب الكوليسترول في الدم ، كما تقل احتمالات ترسبه في الشرايين ، أو تكون الحصى في الكيس المراري

هذه بعض نماذج لما خلفه غياب الألياف عن الطعام الحضاري المزيف ، غير أن القائمة ما زالت طويلة تعد بالعشرات نذكر منها أهمها وهي

أولا الامساك حيث أن حركة الطعام في أمعاء الانسان الغربي في غيبة الألياف تصير إلى الابطاء إلى درجة يصبح معها الاخراج متعذرا بصورة طبيعية في كل يوم ، وهذا أمر قد يتطلب معاناة وزيادة ضغط داخل البطن في محاولة التغلب على الامساك مما يؤدي بدوره إلى حلقة مفرغة من المعاناة ، تخلف وراءها أمراضا عديدة لا يعاني منها الناس البسطاء في العالم القديم أو العالم الثالث الحديث إلا إذا تفرنجوا وتحضروا وقلدوا حضارة الغرب في نبذ ألياف الطعام . وهنا تكون المعاناة على صور شتى منها أولا

أ ـ البواسير
ب ـ تجيبات الأمعاء
جـ ـ دوالي الساقين
د ـ شرخ الشرج

هـ - فتق الحجاب الحاجز
ثانيا التهاب الزائدة الدودية
ثالثا ارتفاع منسوب الكوليسترول والدهنيات في الدم
رابعا سرطان القولون
خامسا ارتفاع سكر الدم وتفاقم المعاناة بالبول السكري
سادسا القولون العصبي
سابعا تقرح القولون
ثامنا أمراض القلب والأوعية الدموية

أين نجد الألياف ؟

نجد الألياف إذا ما عدنا القهقرى إلى الطعام البسيط غير النقي ، وبدنا اسلوب الغذاء التي ومفاهيمه ، وأشحنا الوجه عن إغراءات الخبز الأبيض والطعم الشهي ، لهذا فإننا سنجد الألياف في الخبز الأسمر بنسبة أربعة أضعاف ما نجده في الخبز الأبيض ، كما سنجد الألياف في كل الحبوب وكذلك البقول ولن نعدمها أيضا في الفواكه كالبرتقال والتفاح والجزر ، والبطاطس أيضا غنية بالألياف شأنها شأن كل الدرنات الأخرى

هذا بالاضافة إلى الخضراوات والمأكولات الأخرى الثرية بالألياف

هذه هي قصة الألياف أو رى بعض القصة التي سعى العلماء ان يرووها لنا في غمرة بحثهم عن الأطعمة النقية التي تسللت معها أمراض المدنية

ردود سريعة

* السيد سي ار رحب / دمشق / سوريا

- الناسور هو التهاب في منطقة المقعدة ، يؤدي الى نشأة قناة ملتهبة ، تصل مابين داخل المستقيم وجلد المقعدة ، وعندما يتليف جدار هذه القناة أو الناسور ويزمن التهابها تصبح مصدر افرازات صديدية وألم للمصاب بها . وبخاصة عند الاخراج وعلاجها بالاستئصال الجراحي

أما سؤالك عن المطر فأمره يطول شرحه وسنتحدث عنه مستقبلا باذن الله

* السيد / محمود الربيي / تونس

- من الواجب تنظيف الأسنان والفم عدة مرات يوميا ، ومن الخطأ اهمالها يومين أو ثلاثة

اما بالنسبة للحنجرة فالافضل استشارة متخصص في الانف والأذن والحنجرة ، ليشخص سبب الداء ان كان في حنجرتك كما تتوهم

* السيد / م سامر ح / حلب سوريا

- اصمتر ، فلاشيء يضرك باذن الله

* السيد / ح ع / دير الزور سوريا

- يصعب الحكم على معاناتك من خلال وصف موجز وياحبذا لو راجعت طبيبا جراحا ، واجرى لك تحليلا للبول ، وتصويرا بالأشعة بالاضافة الى الفحص السريري ، فهذا احدى واقرب للصواب

* الأخت / مي سراني / حمص سوريا

- ان معاناتك هي احدى صور المراهقة عند الشباب ، ولكنها قد تكون مضاعفة . وسببها يكون ذاتيا ، لكن ظروف البيئة والتربية قد تسهم في تضخيمها بأكثر من حجمها الحقيقي ، والافضل طلب المشورة من طبيب نفساني .

خا ة

ما أتعس الذين يمتهنون الكتابة ، وما أشد عذابهم عندما يرتبطون بموعد ثابت وباب ثابت ، وتصبح مطاردة الأفكار أشبه ما تكون بالعمر الذي يمضي سرابا ، أيام تلهث خلف أيام ، مطاردا أحلاما لا تتحقق .

هكذا نحن نطارد فكرة وراء فكرة ، ولا نكاد نمسك بواحدة منها حتى يتضح لنا أن هذه الفكرة قد تم تناولها من قبل ، أو أننا قد كتبنا عنها ، أو . . ، وعالمنا اليوم على الرغم من اتساعه فهو قرية صغيرة ، تكتنفها الاتصالات ، وحركة الترجمة تتيح لكل جهد للانسان ولكل إبداع منه أن يكون في متناول أيدي القراء في كل مكان ، ويصبح علينا التزام أن نقدم شيئا مختلفا وجديدا ، نقول من خلاله شيئا للقراء .

والأصل في الكتابة ـ شأنها شأن الابداع ـ أنها عملية ذهنية حرة تماما ، غير مقيدة بوقت ولا نظم ، لكن تحول الكتابة من عملية إبداع إلى عملية مجتمعية ، وانتشار الصحافة ، وتعقد عمليات النشر ، جعل من الكتابة مهنة والتزاما ومواعيد وقراء وطباعة وتوزيعا .

وسقط بعض الكتاب في هذه الفخ ، وأصبح يملأ مساحته الثابتة كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر بأي شيء ، وهو تصور (للأسف) غير صحيح ، وغير صحي ، فالقارىء أكثر حساسية وإدراكا مما يتصور كل الكتّاب ، والقراء قضاة يحاكموننا كل يوم ، ويناقشون أفكارنا ، ويقبلونها أو يرفضونها ، ويتفقون معنا أو يختلفون وهم قد يغفرون لنا ـ نحن معشر الكتّاب ـ أن نختلف معهم ، لكنهم لا يغفرون ولا يتسون الاستهانة بعقولهم ، وإذا كانت الكتابة مهنة ملتزمة بمواعيد فإنها تصبح شيئا معذبا ، لكن عذابها القاتل يمحى بمجرد أن نرى قارئا يقف عند كلمات ويقرأها ، أو يقتطع من وقته فيرسل للكاتب رسالة ، سواء كان القارىء متفقا معه أو مختلفا ، في هذه اللحظة يهون كل القلق والعذاب ومطاردة الأفكار المضنية ، ويشعر الانسان أن تواصله مع الآخرين وحواره المستمر معهم ، وتقبله لما يريد أن يقول ما هو إلا متعة لا تدانيها متعة ، ورسالة نبيلة لا تماثلها رسالة إلا رسالة القضاء ، فالعدل والفكر من أشرف ما فينا نحن البشر إذا كنا نؤمن بقيم الحق والخير والجمال . □

محمود عبدالوهاب

ألفاظ معرّبة

بقلم : الدكتور حسن عباس

هنالك ألفاظ طارئة على اللغة العربية لم يكن لها وجود سابق في لغتنا ولم يكن لنا عهد بها قبل بضعة عقود. لقد جاءت بها ـ وبغيرها من ألفاظ الحضارة ـ مدنية القرن العشرين، فدخلت مجال التداول والاستعمال بغير استئذان. ولا حرج على العامة ان تداولتها على النحو الذي سمعتها، ولكن علماء العربية وأدباءها ـ وخاصة المجمعيين منهم - ينهضون بعبء تدبرها وتصريفها واخضاعها لنظام اللغة العربية وقواعدها أو إبدالها بغيرها مما يناسبها من ألفاظ عربية.

فإذا كان صدر اللغة قد اتسع قديما لأسماء جديدة فإن هذه اللغة لن تقف موقف التسليم إزاء كل مايطرأ عليها من جديد وتأخذه على علاته، أو تصده دون النظر فيه، بل تنفذ فيه أمرها، وتترك عليه بصماتها. يقول محمود تيمور في هذا الصدد «لقد تعاقبت عليها أي على اللغة العربية في عصورها الغوابر حضارات أمم، وثقافات عهود، فلم تقصر بالتعبير عنها من جوهر الفصحى ومن صميمها، وإذا كانت قد استضافت من لغات الأمم ما استضافت فما ذلك الا الأقل الأندر، الذي لايكاد يذكر في جانب الأغلب الأكثر، وعلى الرغم مما أطلّ علينا من ألفاظ الحضارة العصرية في يومنا الحاضر فإن الفصحى استطاعت أن توقف زحف الدخيل، وأن تستبدل به ألفاظا عربية مخترعة في ميادين شتى وفروع متعددة من العلوم والفنون والآداب».

على أن السعي الى ايجاد بدائل فصيحة للالفاظ الدخيلة لايعني فرض ذلك على ألسنة العامة، بل إلزام الخاصة ممن يكتبون، فإن دوران الألفاظ المعربة أو بدائلها في الصحافة والدوريات والكتب المتداولة ونشرها «في مجالات الاذاعة المصيحة على اختلاف منابرها ومنصاتها في حياتنا التعليمية والاجتماعية، سيتيح للجمهور أن يستخدم هذه الكلمات، فإن الجمهرة العامة تستمد من لغة الكتابة ما يهذب لسانها، ويرفع مستواها التعبيري».

من هذه الكلمات الفعل «بستر»[1] وهي طريقة في التعقيم تنسب الى صاحب هذه الطريقة

---

* يقصد بالمجمعيين اعضاء مجامع اللغة في عدد من المدن العربية

(١) لايصح احلال الفعل «عقم» محل الفعل «بستر» لاختلاف بينهما. فالتعقيم يقضي على الميكروبات في درجة حرارة ١٠٠ مئوية في حين تعني البسترة رفع درجة الحرارة الى ٧٠ْ لمدة ٢٠ دقيقة

العالم الكيميائي الفرنسي « لويس باستور » ولكن قبول الكلمة - أي كلمة - وإدخالها معجم الألفاظ العربية لايتم الا اذا خضعت لطرائق العرب في التعريب وقد أكد هذا المبدأ مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الاولى اما الافعال المشتقة من كلمات أعجمية كالفعل « بستر » فلا يصح الأخذ بها الا اذا صحت صياغتها صياغة عربية وساغت في الذوق

وقد توافرت لهذا الفعل وللأفعال الأخرى التي سنأتي على ذكرها شروط التعريب وجاء اشتقاقها على وزن عربي صحيح نقول بستر ، يبستر ، بسترة وهي على وزن فعلل - الرباعي - يفعلل ، فعللة

ومن هذه الأفعال بلور ، من البلور ، وقد عربت قديما ، ودرجت على ألسنة الناس وشاعت في الكتابة ، ومنها أيضا الفعل بلشف ، المشتق من (البلشفية) وهي مذهب سياسي ومنها كذلك تلفن ، يتلفن وهي تعريب للفظ الأجنبي « تلفون » ومنه فبرك يفبرك ، وهي تعني صنع الشيء بالآلة ، اما اذا استعملت استعمالا مجازيا فتعني حينئذ التزوير والفعل جبّس ، من الجبس وهو من مواد البناء ، وقد عرب قديما ومنها - أخيرا - كهرب ، من الكهرباء على أن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد أقر هذه الافعال دون الفعل كهرب حيث أقر الاسم فقط

وقد حفز المجامع العربية على النظر في هذه الافعال وأشباهها واتخاذ القرارات باضافتها الى المعجم العربي لصلتها الوثيقة بالعلوم الحديثة والحاجة الماسة الى تداولها نطقا وكتابة . يؤكد لنا ذلك أن هناك كلمات كانت قد شاعت في عدد من الأقطار شيوعا لم يجاوز العامة ، ولم ترق الى لغة الكتابة على الرغم من طول العهد بها ، ومن هذه الكلمات ٠كار : أخذت عن التركية من أصل فارسيّ ومعناها صنعة ، مهنة عمل،كشك تركية وتدعى (كوشك) وهي من أصل فارسي وتعني القصر او البيت الصغير المعد للاصطياف

أما في اللهجتين الشامية والمصرية فهي تعني البناء الخشبي أو المعدني الذي يقام على الأرصفة لبيع علب الدخان أو الطوابع ، أو غير ذلك

كرباج تركية ، تعني السوط المصنوع من الجلد

كوبري تركية ولا تستعمل الا في اللهجة المصرية بمعنى جسر

المطعم ، والنزل (الفندق) أما المعنى الاول فهو شائع في بعض بلاد الشام وأما المعنى الثاني فهو شائع في البعض الآخر من بلاد الشام وفي مصر

كبشة تركية محرفة فهي تدعى هناك (كفجة) ومعناها مغرفة الطعام ، وتستعمل في بعض بلاد الشام وفي بلدان الخليج العربي

وعلى الرغم من طول العهد بهذه الكلمات ، فقد ظلت في مستوى متدن من الاستعمال ، ولم تعرب لفقدانها شرط التعريب

العقاد والقصة القصيرة

● في سؤال وجه إلى الأستاذ العقاد عن رأيه في القصة القصيرة أجاب قائلا القصة القصيرة تدور حول موقف أو مسلك ، وأنها قد لا تنتهي إلى ختام ، فهي تصور لنا حادثا أو شخصا في حالة معينة والقصة القصيرة هي تخطيط لا تفصيل ، فقد تدور حول شخصين جالسين إلى مأدبة ، فتصفهما وحسب ، أولا ضرورة للعقدة ، وقد كانت المقدمات النتائج ضرورية أيام كان الخيال قاصرا وعاجزا . ويرى العقاد أن القصة القصيرة أصعب من الرواية أو القصة الطويلة ، فالقصة القصيرة تعتمد على الملاحظة الشخصية ، وعلى تركيز بينما الطويلة فيها متسع من الوقت والمكان .

العنقاء

للشاعر ايليا أبي ماضي

لو قدر لك أن تضرب في أقطار الأرض ارتحالاً وسياحة لوجدت في كل بلد تطؤه قدماك مهاجرين من لبنان ، وما كل ذلك حبا في السفر ، ولا رغبة في ارتياد الآفاق ، بل بعد عن الوطن عندما تعلو فيه ألسنة اللهب ويصطلي ابناؤه بنار الحرب الاهلية ويعانون مما تستتبعه تلك الحرب من الانهيار الاقتصادي والجوع !

ما أشبه اليوم بالأمس ، ففي عام ١٨٦٠ نشبت حرب أهلية كالتي نرى ، وتفاقمت طائفية كالتي نرى ، وكان للدول الكبرى آنذاك يد في كل ما كان يجرى على أرض لبنان ، لكن زمن الحرب لم يطل فقد اتفق الباب العالي في اسطنبول وعدد من الدول الاوروبية سنة ١٨٦١ على أن يكون للجبل نوع من الاستقلال الذاتي ، وأعقب هذا الاتفاق هدوء واستقرار ولكن الأجانب استغلوا هذا الاستقرار ، وجنوا فوائده ، فضاقت سبل العيش بأبناء البلد ، فلم يجدوا بدا من الهجرة ، فكان أن هاجر البعض منهم الى مصر . وهاجر آخرون الى أوروبا والأمريكتين

اما ايليا ابو ماضي فقد هاجر ـ في باديء الأمر ـ الى مصر ، وكانت بدايته فيها متواضعة عمل في التجارة ، ثم في الصحافة لفترة قصيرة وأصدر في مصر ديوانه الاول « تذكار الماضي » واختار هجرة أخرى الى الولايات المتحدة الامريكية

شارك في تأسيس الرابطة القلمية مع كل من جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وغيرهما ، وأصدر صحيفة أطلق عليها اسم « السمير » أصدرها اسبوعية في نيويورك ، ثم تحولت الى صحيفة يومية في بروكلين وليست مهنة الصحافة هي التي قدمت أبا ماضي وأحلته المكانة الأدبية المرموقة التي يحتلها ، بل هو شعره

صدر لأبي ماضي أربعة دواوين شعرية كان آخرها « الخمائل » وقد توفي الشاعر في عام ١٩٥٧

اما القصيدة التي وقع عليها اختيارنا فهي تمثل موقفا فلسفيا يجد السعادة في الذات الانسانية وليس خارجها

وعلى الرغم من قدم الموضوع فإن القصيدة تحفل بالجديد ممثلا في صدق التجربة الشعورية ، وفي اللغة الرشيقة ، وفي الحركة الدائبة المعبرة عن قلق مبدع

فَتَّشْتُ حَيثَ المَجْدِ عَنها والدُّجى
ومددتُ حتى للكواكب أصبعي

ماذا هما مُتحيران كلاهُما
في عاشق متحيّر مُتضعضعِ
وإذا النجومُ لعلمها أو جهلها
مُترجرجاتٍ في الفضاءِ الأوسعِ
رقصتْ أشعتُها على سطح الدُجَى
وعلى رجاءٍ في غير مُشعشعِ
والبحرُ كَمْ ساءلتُه فتضاحكتْ
أمواجهُ من صوتيَ المتقطّع
فرجعتُ مُرتعشَ الخواطر والمُنى
كحمامة مَحمولة في زعزعِ
وكأنّ اشباحَ الدهورِ تألّبتْ
في الشطّ تضحكُ كُلُّها منْ مرجعي
فوأدت أفراحي وطلّقت المُنى
ونسختُ آيات الهوى من أضلُعي
وحطمتُ أقداحي ولما أرتوي
وعممتُ عَنْ زادي ولما أشبَعِ
وحسِبتي أدنو اليها مُسرِعاً
فوجدتُ أني قد دَنوْتُ لمصرعي
فكأنني البستانُ جرّدَ نفسهُ
مِنْ زهره المتنوّع المتصوّع
ليحسّ نورَ الشمس في ذراته
ويقابلَ النسمات غيرَ مقنّعِ
فمشى عليه من الخريف سُرادقٌ
كالليلِ خيّم في المكان البَلقَع
وكأنى العصفورُ عَرى جسمَهُ
من ريشه المتناسق المتلمّع
ليخفّ مَحملُهُ فخر الى الثرى
وسطا عليهِ النمل غير مروّع
لمّا حلمتُ حلمتُ بزهرة
لاتجتني وبنجمة لم تطلع
ثم انتهيتُ فلمْ أجد في مخدعي
الا ظلاليَ والفراشَ ومخدعي
من كان يشربُ من جداول وهمه
قطعَ الحياة بغلّة لم تنقعِ
حتى اذا نَشرَ القنوطُ ضبابَه
فوقي وعيني وغيب موضعي

ايليا ابو ماضي

وتقطعت امراس آمالى بها
وهي التى من قبل لم تتقطع
عصر الأسى روحى فسالت أدمعا
فلمحتها ولمستها في أدمعي
وعلمت حين العلم لايجدي الفتى
أنّ التي ضيعتُها كانتْ معي

على هذا النحو يفني الشاعر ـ الانسان ـ عمره في البحث عنها جادا دائبا ، بل مهموما حائرا أتدرى ما هى ؟ انها السعادة ثم يجدها بعد طول عناء ولكن في ذاته !

يأخذ البحث عنها أشكالا متعددة من النشاط المحموم ، فهو يبحث عنها في مظاهر الطبيعة لعله يلقاها في الفجر ، أو فى الدجى أو في البحر ، فإذا أعيته الحيلة مد يده للكواكب ، لعالم غير هذا العالم الذي يعيش فيه ، ولا يجد لدى الطبيعة بمظاهرها

المختلفة أو لدى الكواكب الا الحيرة حيرة من هذا العاشق الباحث

إن القصيدة تحفل بالحركة القلقة المضطربة وتلك سمة من سمات البحث ، ولم يترك الشاعر مظهرا من مظاهر الطبيعة دون توظيفه في التعبير عن تلك الحركة القلقة المضطربة ، فهي ماثلة في رجرجة النجوم ، ورقص الأشعة ، وتضاحك أمواج البحر ، وارتعاش الخواطر ، . . وكلها في حركتها واضطرابها تسخر من سعيه العابث لقد بدد جهوده دون بلوغ الغاية لذا تراه يمني النفس في العثور عليها في مظاهر الغنى كالقصور المشيدة والرياش وفي حياة الرخاء والنعيم ، فإذا عز منالها في هذا الجانب من جوانب العيش انتقل الى النقيض . الى الزهد

فقديما قيل القناعة كنز لايفنى ، فماذا أصاب ؟ جرد نفسه - كالبستان - من الزهر الذي يزهو به ومن الأوارق التي تقيه ريح الخريف ، فغدا كالعصفور وقد عرى جسمه ليخف وزنه ، فما كان منه الا أن خر صريعا ، فتكاثر عليه النمل وتبدد .

يهجر عالم اليقظة مادام قد خرج منه خالي الوفاض ، ويتجه الى الحلم لعله يجد فيه ما كان قد خاب مسعاه فيها عداه تجلت له في الحلم زهرا لاتجتنى ، ونجمة لم يرها أحد ، فلما أفاق ادرك أن ضال فقد عول كثيرا على الوهم ، وما كان ينبغي له

أين يجدها بعد أن أخفق في العثور عليها في عالمي اليقظة والحلم ؟ لم يبق أمامه الا انتظار مرور الزمن فانتظر وطال انتظاره حتى داخله القنوط ، ورامت على صدره خيبة الأمل بكل ما تحمله من أسى لم يفرج عنه الا الدمع حينئذ لمحها لمس السعادة في أدمعه ، وعلم بعد ضياع العمر أن التي كان يبحث عنها لم تبرح ذاته قط

لم يتحدث أبو ماضي عن السعادة حديثا مباشرا ، ولم يتوجه اليها بالخطاب ، ولم يلتفت كثيرا الى البحث في كنهها على طريقة الفلاسفة بل عمد الى وصف تجربته في البحث عنها والسعي اليها ، وكانت تجربة صادقة مريرة ذهب فيها الى البعيد وتطرف لقد أسرف في الأماني حين كان طموحه لايرضى بأقل من النجوم وأسرف في التواضع حين تحول الى طائر يخر على الأرض صريعا لقد صور القلق بمعناه العميق ، وجند لذلك لغة وثيقة سهلة وصورا موحية معبرة □

الحب والزواج

● يقول الروائي الأمريكي آرنست همنغواي الحب هو أعظم تجربة في حياة الناس ، والقلب هو أكثر نواحي الطبيعة البشرية نبلا ، والعواطف هي أسمى عناصر الطبيعة الانسانية ، والانسان الحكيم لا يتزوج من أجل الجمال وحده ، فقد يكون للجمال جاذبية قوية في البداية ، ثم يثبت بعد ذلك عدم أهميته النسبية والزواج من شخص وسيم بلا شخصية لا تزينه العاطفة ولا طبيعة طيبة خطأ جدير بالرثاء ، فكما يحيل التعود المنظر الطبيعي الجميل إلى شيء ممل ، كذلك يتحول الوجه الجميل إلى شيء ممل ، إلا إذا كانت هناك طبيعة تشرق من خلاله ، فجمال اليوم يصبح شيئا عاديا ، أما الطبيعة التي تكمن في الملامح العادية فهي جميلة إلى الأبد ، وهذا النوع من الجمال يتطور مع مرور الوقت ، والزمن لا يدمره ، بل ينضجه ، ولا يجب على الرجل أبدا أن يخضع امرأة للتحليل العميق ، فالنساء أجهزة حساسة ، ينفث الرجال عواطفهم من خلالها ، والصمت يكون أحيانا أفضل زينة للمرأة
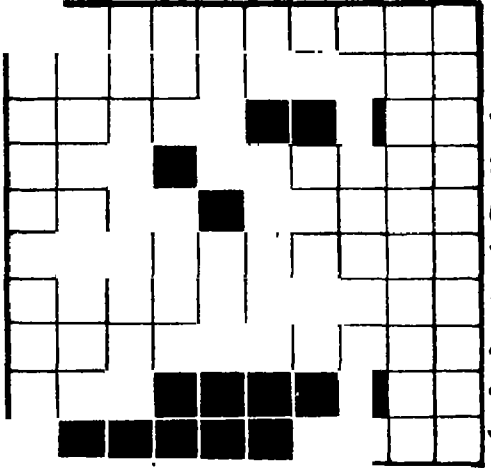
آرنست همنغواي

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

كلمات أفقية

١ ـ السن التي يَتَبَيّن فيها الحدث اتجاه ميوله
٢ ـ قماش ناصع البياض ، أصغر وأخف من الجنحة
٣ ـ حرفان متشابهان ، وجّه هجوماً ، شكاية غير مكتملة
٤ ـ توافر الصمات القانونية ، خالص الشيء
٥ ـ بلد مستقل في الهند الصينية مبعثرة ، مَرح
٦ ـ التلاعب بأموال الغير وبخاصة الدولة
٧ ـ صان بابدال عينها بحرف الراى ، عبر مُعَرّفة ومصافة
٨ ـ أحور ، وهاد مبعثرة
٩ ـ تجدها في هاج ، منغّص ومؤلم ، تجدها في طوْد
١٠ ـ تصرف في مال أو عقار ضماناً لِدَيْن ، شديد

كلمات رأسية

١ ـ تصميم مسبق على ارتكاب الجرم
٢ ـ مال يدفعه الزوج لاعالة مطلقته
٣ ـ قادم ، لسان في محل نَصْب
٤ ـ رحال كبار السن ، حرفان من تقى
٥ ـ سلامته ، صندوق من خشب مقلوبة
٦ ـ خد معكوسة ، نَسِيَ ، إله فرعوني
٧ ـ بلغ سن الرشد ، الشحص الذي يوكل إليه رعاية شئون القاصر
٨ ـ طعام مبعثرة ، لَذْعة
٩ ـ مال يدفع لضمان عودة المتهم للمحاكمة ، فَرّقن وضَيّقن (أمواهن مثلا)
١٠ ـ من أشهر الأطباء الأقدمين

حل مسابقة العدد الماضي ابريل ١٩٨٨

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ح	ن	ي	ن	ب	ن	ا	س	ح	ق
٢	ب	ا	س	ت	ي	ر		ك	ط	ر
٣	ا	ل	ع	و	ص	ح		ت	ر	و
٤	ل	■	ف	ح		س	ب	ه		ح
٥	ص	ا			ح	ي	ل		ع	
٦	و	ل	ى	ا	م	ه	ا	ر	ف	ى
٧	ت	ر	ى	ا	ق	■	ز	ي	و	ن
٨	ي	ع	ي	ق	■	ص	م	■	ن	ح
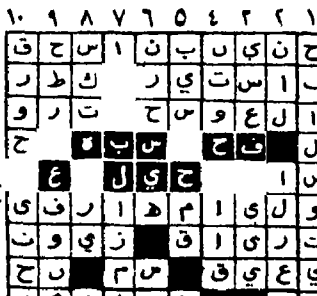
صدر العدد الجديد
من مجلتك :
مايو ١٩٨٨
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير : د. محمد الرميحي
يشترك في تحريره مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
اقرأ في هذا العدد:
صناعة الصناديق الخشبية في الكويت .. فن شعبي عريق
حكاية علي بابا .. قصة من ألف ليلة وليلة
استطلاع بالصورة والقلم عن فن "الأكروبات"
الفأر القارض للشعر .. قصة عربية حديثة
الفسطاط .. أول عاصمة لمصر الإسلامية
قصة علمية عن التحول العظيم ليرقة الفراشة
دائرة معارف العربي الصغير
إسلاميات ■ اصنع بنفسك
صفحة الكمبيوتر
صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة
٦٤ صفحة بالألوان
نتيجة مسابقة العدد الخامس والعشرين
ومسابقة جديدة و٥٠ جائزة

مكتبة العربي

كتاب الشهر

□ «إسرائيل» دولة عنصرية

تأليف : يوري ديفيز

□ اختلافات في صهيون

تأليف : ميشيل جانسن

يبدأ د . دافيس كتابه بالتأريخ للحركة الصهيونية ، ويصل إلى استنتاج رئيسي هو ـركة الصهيونية كانت وليدة التحولات ـعية والرأسمالية في أوروبا وخاصة في القرن ـ عشر فمن نتائج التحولات الرأسمالية خلق اجتماعي وسياسي أوروبي جديد ، يختلف ـه السياسية وفي منطلقه الايديولوجي عن الإقطاعي البائد . اعتمد النظام الجديد على ـلمانية العقل والأخلاق ولكن النظام الجديد ـاج ترائين نقيضين في الفكر العربي الحديث . ـلتنوير والعنصرية ففكرة التنوير شجعت ـات اليهودية المتناثرة في دول أوروبا على ـراط الكلي في أطر النظام السياسي والإجتماعي ـة ، وهذا ما حدث للطبقة اليهودية الغنية التي من مصلحتها أن تكون جزءاً من النظام ـ ، وذلك عن طريق نسيان هويتها اليهودية ، ـبادىء النظام الجديد من عقلانية واقتصاد حر ـدخل الدولة مما لاشك فيه أن الأغلبية العظمى ـهود غير الأغنياء لم يستطيعوا الاندماج كليا في الجديد ، وذلك بسبب العنصرية الموجهة ـم كيهود . وعندما تكونت الحركة الصهيونية ـ بعد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا ـة ١٨٩٧ ، صرح مؤسسها ثيودور هرتسل أن الصهيونية هو القضاء على النظام الأوروبي ـ عن طريق خلق كيان سياسي لليهود خارج ـبا ومن هذا المنطلق فإن هرتسل لم يكن يهمه ـكون مكان الدولة الصهيونية المتوخاة ما دامت ـدف الصهيونية الأعلى في ذلك الوقت ، وهو ـحد للمشكلة اليهودية في أوروبا ومن هنا ـحد المبادىء الأيديولوجية للحركة الصهيونية ـتكوينها حتى الآن هو الفصل بين المجتمع ـي وغير اليهودي وهذا واضح في تاريخ ـيونية الحديث ، إذ أن الصهيونية ، كما يذكر

د دافيس بالتفصيل ، قد تعاملت مع أعداء اليهود بهدف إجبارهم على اتباع سياسات الحركة الصهيونية فموقف الصهيونية هو أنه بغض النظر عن ليبرالية غير اليهود نحو اليهود ، فسيشعر اليهود دائما أنهم شعب مبغوض ، وأن الطريق الوحيد هو إقامة دولة مستقلة لليهود من هذا المنطلق استغلت الحركة الصهيونية الحالة الحسنة النسبية التي كانت الجالية اليهودية تتمتع بها في العالم العربي وخاصة في العراق ومصر ، وبث الرعب في قلوب هذه الحالية عن طريق نسف المحلات التجارية اليهودية وذلك لإجبار الجالية اليهودية على الهجرة إلى « إسرائيل »

الصهيونية والسكان الفلسطينيون

انطلاقا من مبدأ الصهيونية المشار إليه سابقا ، وهو الفصل بين اليهود وغيرهم ، فإنه مع إقامة دولة « إسرائيل » باشرت الصهيونية عمليا في تطبيق مبدئها هذا عن طريق تدبير المذابح الجماعية للشعب الفلسطيني ، وذلك لإحلاء فلسطين من سكانها العرب « وتهويدها » كليا

د دافيس يشير الى هذه النقطة بقوله « ان الصهيونية تدعي أنها تقدم الحل النهائي للمسألة اليهودية عن طريق استعمار فلسطين وإنشاء دولة يهودية لليهود مثلها أن أمريكا دولة للأمريكيين »

مع نجاح الإستراتيجية الصهيونية في إنشاء كيان سياسي ، وفي التوسع عمليا على حساب الشعب الفلسطيني وشعوب عربية أخرى ، ظهرت مبادىء جديدة مكملة للمبادىء الأولى للصهيونية هذه المبادىء الجديدة التي ظهرت خاصة بعد حرب ١٩٦٧ تتركز على ثلاث مشاكل رئيسية . ١- الإحتفاظ بالتفوق العسكري والإستراتيجي الإسرائيلي ، ٢- الحفاظ على تفوق سكاني إسرائيلي ، ٣- وإيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين في إطار

العالم العربي يقول د دافيس انه « من غير الممكن تطبيق المبدأين الثاني والثالث للحركة الصهيونية بدون تدبير مذابح جماعية جديدة للفلسطينيين الذين يرزحون تحت الإحتلال "الإسرائيلي" الذين يبلغ عددهم مليوني نسمة » وهذا العدد يحوي على الأقل ستمائة ألف فلسطيني بقوا في أرضهم بعد حرب ١٩٤٨ وأجبروا على حمل الجنسية الإسرائيلية

يستشهد د دافيس بأقوال أهارون ياريف أحد كبار قادة الحركة الصهيونية الحالية بقوله انه في حالة وقوع حرب جديدة بين العرب وإسرائيل فإن هذا سوف يخدم مصلحة دولة إسرائيل ، ذلك لأن هذه الحرب سوف تستخدم في طرد ما لا يقل عن مليون فلسطيني من الداخل ، وأن الحركة الصهيونية قد حضرت نفسها عمليا لمثل هذه الإمكانية من هنا نستطيع أن نستنتج أن هناك أصواتاً كثيرة في المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة التي تشجع العنف ضد الفلسطينيين كوسيلة لطردهم ، وذلك للمحافظة على التفوق (السكاني) اليهودي بمعنى أن الأقوال العنصرية للحاخام مئير كاهانا الذي يصرح دائما عن عزمه على طرد الفلسطينيين ليست أقوالاً « شاذة » أو متطرفة في الشارع الإسرائيلي ، وإنما تعبر عن أفكار مجموعة مهمة من القيادة الإسرائيلية ، وأن كاهانا أكثر صراحة من بقية القادة الإسرائيليين في التعبير عن آرائه

اسرائيل" والرجوع الفلسطيني

يقول د دافيس إن اسرائيل أسست كدولة يهودية على الرغم من أن الصهيونية هي حركة علمانية تقوم على الفصل التام بين أمور الدين وأمور الدنيا . فعندما تأسست الدولة واجهت الحكومة الجديدة مشكلة الجنسية . ولكن الكنيست الإسرائيلي حل هذه المشكلة عن طريق الموافقة على قانونين في سنة ١٩٥٠ يحددان مستقبل الدولة السكاني . الأول سمي بقانون العودة الذي ما زال ساري المفعول ، والذي يسمح لأي يهودي في أي بقعة من العالم بالهجرة إلى "إسرائيل" مع إعطائه جميع التسهيلات الممكنة والقانون الثاني سمي بقانون الأملاك الغائبة الذي بموجبه يكون للدولة الحق في الاستيلاء على أراضي وأملاك الفلسطينيين الذين طردوا من موطنهم ، بحجة أنهم غائبون عن أملاكهم فعمليا هؤلاء الفلسطينيون أصبحوا لاجئين خارج فلسطين وحتى الذين أصبحوا لاجئين داخل فلسطين ، لا يحق لهم العودة إلى أراضيهم وأملاكهم ، بينما يحق لأي إنسان لم يولد في فلسطين أن يهاجر إلى هناك ، وأن يتملك ويصبح مواطنا يعلق د دافيس على هذا الوضع المعكوس بسخرية مرة قائلا إن لكل يهودي - فيما يسمى الآن بإسرائيل - هناك ظل ملازم ، إنه ظل الفلسطيني الذي طرد من أرضه

ويحلل د دافيس العنصرية القانونية لإسرائيل عن طريق مقارنتها مع عنصرية الدولة في جنوب أفريقيا فيقول إن الدولتين قد أوجدتا أطراً قانونية للفصل بين السكان ففي حالة جنوب أفريقيا يجري الفصل على أسس اللون ، فسكان جنوب أفريقيا الأصليين (الذين يبلغون على الأقل ٧٥٪ من عدد السكان الحاليين) لا يحق لهم التصويت ، ولا يُعدُّوا عمليا مواطنين ذوي جنسية في الدولة أما في حالة العنصرية في إسرائيل فمعظم السكان الفلسطينيين الذين أجبروا على ترك فلسطين قد صنفوا تحت قانون الأملاك الغائبة وهذا يجرد الفلسطينيين من أبسط الحقوق الطبيعية لأي إنسان ، وهي حقه العيش على أرضه وفي وطنه . وتبعا لقانون الأملاك الغائبة لا يحق لغير اليهود (أي السكان العرب الباقين في الداخل) من شراء أي أرض أو أملاك يعدها القانون يهودية فكل الأراضي العربية التي استولت عليها إسرائيل تعد قانونيا من أملاك المؤسسة الصهيونية المسماة "بكيرن كيميت" التي أسسها المؤتمر الصهيوني الثاني في ١٩٠٦ إن الكيرين كيميت استولت على معظم الأراضي العربية بالقوة ، وهذا يدحض الإدعاء الصهيوني القائل أن السكان العرب رحبوا بالمستوطنين الصهاينة وباعوا لهم الأراضي بأبخس الأثمان . فمن أحد الأساليب الفعالة التي

ستعملها "إسرائيل" في سلب الأراضي الفلسطينية وهنا لا فرق بين الأراضي الفلسطينية في الجليل أو الضفة الغربية) إعلان الأراضي العربية أراضي ملقة بحجة أهميتها للدولة ففي هذا المجال يزودنا دافيس بقائمة كاملة للقوانين الإسرائيلية الخاصة لاستيلاء على الأراضي العربية من هذه القوانين نون الأمن ، وقانون إحياء الأرض البوار . وفي وقت الحالي هناك ألوف الدونمات العربية المغلقة سم الأمن في الجليل والمثلث والضفة العربية ولا سمح لأهلها بفلاحتها في هذا المجال لا يحلل د افيس النتائج العملية لمثل هذه القوانين فالسؤال نا هو ما أثر هذه القوانين على المليوني فلسطيني لوجودين في الداخل ؟

ومن أهم النتائج العملية في رأيي هو وقوف سطينيي الجليل والضفة في صف واحد لمواجهة خططات الصهيونية لاستلاب الأراضي فلسطينية ووحدة الصف هذه تظهر واضحة كل سنة في ٣٠ أذار « مارس » وهو يوم الأرض فلسطيني الذي يعبر عن مواجهة صلدة للعنصرية صهيونية في محاولاتها لسلب العرب من أراضيهم

ومن ناحية أخرى فإن من النتائج السلبية لمصادرة أراضي العربية ، حصر السكان الفلسطينيين في ناطق معينة ، وهذا معناه تحجيم الانتشار السكاني فلسطيني ببث المستعمرات اليهودية في قلب المناطق عربية كوسيلة لخلق واقع سكاني وقانوني جديد لى جانب ذلك فإن التضييق الاقتصادي والمالي التي فرضه "إسرائيل" على السكان الفلسطينيين قد يؤدي الدرجة النهائية إلى هجرة الكفاءات الفلسطينية إلى لخارج ، وهذا ما يحدث بشكل أو بآخر مع كثير من لفلسطينيين الذين يفقدون حقهم بالرجوع إلى طنهم بعد مدة من الزمن

الجيش والسياسة

يذكر د دافيس أن "إسرائيل" دولة محكومة بواسطة قانونين . قانون مدني وآخر عسكري فالمناطق الفلسطينية التي احتلتها الحركة الصهيونية سنة ١٩٤٨ كانت خاضعة للحكم العسكري حتى نشوب حرب ١٩٦٧ ، عندما أخضعت إسرائيل المناطق الفلسطينية الجديدة للقانون العسكري وطبقا لهذا القانون تخضع الضفة العربية لاشراف عسكري مباشر ويحكمها حكام عسكريون يعينون من قبل وزارة الدفاع إن معظم الحكام العسكريين يتكلمون اللغة العربية بطلاقة ، وكثير من مستشاريهم السياسيين يحملون درجات جامعية عليا في مجالات اللغة العربية والشرق الأوسط والدراسات الاسلامية وهذا يبين مدى الإنسجام بين طبقة المثقفين والطبقة العسكرية في إسرائيل فهذا التطابق في المصالح بين الفئتين يوضح الهيمنة الفعلية للعسكريين على المجالات المهمة من الحياة المدنية والسياسية لإسرائيل ، وهذه الطبقة العسكرية تجد لها تبريراً عقلانياً وثقافياً من قبل طبقة المثقفين بمعنى أن إسرائيل هي دولة عسكرية بطلاء ديموقراطي

ويحلل د دافيس نتائج حرب ١٩٦٧ فيقول ان هذه الحرب قد أدت إلى ظاهرتين متنا قضتين في حياة الحركة الصهيونية المعاصرة أولا ظاهرة تفوق الصهيونية ، ثانيا ظاهرة اضمحلال الصهيونية فالصهيونية في نجاحها العسكري ضد ثلاثة دول عربية ، استطاعت أن تحصل على بلايين الدولارات من الجاليات اليهودية في العالم العربي ، إلى جانب المساعدات الطائلة من دول أوروبا الغربية ومن أمريكا ، ولكن من ناحية أخرى ، فإن حرب سنة ١٩٦٧ لم تؤد إلى إخلاء أكثر من جزء بسيط من السكان العرب ، وهو عكس ماحدث في حرب سنة

١٩٤٨ عندما أجلي السكان العرب من أراضيهم من جهة نظر الحركة الصهيونية التي أرادت إخلاء الأرض من السكان العرب فإن بقاء العرب في بلدهم كان فشلاً للصهيونية وهذا ما أدى إلى تقليص فعالية إسرائيل على رسم خطط واضحة لمواجهة الزيادة السكانية العربية في الداخل فحسب الإحصائيات يبلغ معدل الولادة لدى العرب في الداخل ٣,٥٪ ، بينما معدل الولادة عند السكان اليهود لا يتجاوز ٢,٠٠٠٪ وهوالذى يعني عمليا أن عدد السكان العرب في الداخل سوف يعادل ان لم يتفوق على عدد السكان اليهود في أقل من عشرين سنة من الآن فالحرب السكانية التي يشنها السكان العرب في الداخل سوف تؤثر على المستقبل السياسي والقانوني للدولة اليهودية وباعتقادي أن المعركة القادمة التي سوف تشنها "إسرائيل" بشراسة ، بعد إحراز هدوء نسبي على الحدود مع سوريا ولبنان ، وسوف تكون موجهة ضد السكان العرب في الداخل ، وبخاصة في الضفة الغربية ، وهذا الذي يحدث الآن وتتصاعد حدته يوما بعد يوم كالا غلاق المتواصل للجامعات الفلسطينية في الداخل ، والتضييق المستمر على المؤسسات الوطنية ، ووضع الوجوه الوطنية تحت الإقامة الجبرية ، أو طردهم من بلدهم في كثير من الأحيان ، كل هذا يحدث تحت إطار الدعوة إلى إنعقاد مؤتمر دولي ، تدعو إليه شفهيا بعض قيادات حزب العمل الإسرائيلي وما هذا برأيي إلا لعبة سياسية "إسرائيلية" لكسب الوقت إذ أن الرأي العام والسياسي في إسرائيل يدعو إلى الإحتفاظ بالجزء الأكبر من الضفة الغربية بحجة أهميتها للأمن

من أهم النتائج السياسية للسيطرة الصهيونية هي فقدان الحرية السياسية للفلسطينيين وفي هذا المجال يذكر د دافيس أن الكنيست الإسرائيلي قد وافق على قانون في سنة ١٩٨٠ يحق بموجبه لوزير الداخلية الإسرائيلي أن ينزع الجنسية "الإسرائيلية" عن أي شخص يقوم بعمل يهدد شرعية الدولة . فمثلا ، إذا أيد أي مواطن إسرائيلي (وهنا المقصود بالذات الستمائة ألف فلسطيني الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية لأسباب شرحناها سابقا) ، منظمة التحرير الفلسطينية ، إما عن طريق رفع شعارات ، أو القيام بأعمال عسكرية وسياسية معادية للدولة ، أو تسلم نقود من المنظمة ، فكل هذه الحالات تعد أسباباً ملائمة لنزع الجنسية عن هذا المواطن إن هذا القانون وإن لم يطبق حتى الآن قد يؤدي في المستقبل إلى طرد جميع الفلسطينيين من حملة الجنسية الإسرائيلية ، ذلك لأن معظم هؤلاء الفلسطينيين ذوو ولاء قومي ووطني لقضيتهم

"إسرائيل" : مجتمع يحكمه العسكريون

بالمقارنة مع كتاب دافيس المتشعب النواحي فإن كتاب جانسن يحلل موضوعاً معينا بشكل تفصيلي ، ألا وهو التاريخ العسكري "لإسرائيل" منذ قيامها حتى الأحداث التي تلت حرب لبنان سنة ١٩٨٢ ومذابح صبرا وشاتيلا تقول الكاتبة ان هدف الكتاب هو شرح الحالة السياسية الراهنة في "إسرائيل" ، وتقييم إمكانيات احتمال السلام في المنطقة من هنا فإن الكتاب يركز على الاعتبارات المختلفة لحرب سنة ١٩٨٢ ، ومنها التناقضات الأيديولوجية في الحركة الصهيونية ، والتي - برأي الكاتبة - قد عمقت من الانقسامات الثقافية والاجتماعية في المجتمع "الإسرائيلي" لذا يجب ألا ننظر إلى حرب لبنان كظاهرة شاذة ، وإنما هي ظاهرة مكملة للحركة الصهيونية بخاصة جناحها العسكري

خلال تحليلها للتاريخ العسكري "لإسرائيل" ، تركز (جانسن) على تقسيم فلسطين وإنشاء "إسرائيل" في ١٩٤٨ وتقول إن قوات الهاغاناة والارجون التي كونت ما يدعى الآن « جيش الدفاع الإسرائيلي » ، كان بمقدرتها أن تزج بـ ٢٠٠ ألف جندي وجندية إلى المعركة ضد الجيوش العربية ، مزودين بأحدث العتاد الحربي . بينما كل الجيوش العربية مجتمعة لم تكن تستطيع أن تزج إلى المعركة بأكثر من مليون جندي مزودين بعتاد غير متطور . فكان معروفا من قبل الهاغاناة قبل التقسيم انه سيكون بإمكانها أن تقيم

ولة يهودية مع تأمين حدودها

بعد تأسيس "إسرائيل"، فإن القيادة الحاكمة وإن كانت مدنية في هيئتها إلا أنها كانت عسكرية في تكوينها وطرق تفكيرها من هنا فإن بن جوريون - الذي كان أول رئيس وزراء لإسرائيل - يعد المؤسس الحقيقي للدولة الصهيونية، لأنه كان أول شخص له سلطة سياسية وعسكرية، والذي باشر بتطبيق الأهداف العسكرية للحركة الصهيونية على حساب السكان المحليين فبن جوريون والقيادة المحيطة به منوا عمليا أن الطريق الوحيد للحفاظ على الدولة الجديدة، هو بناء سور حديدي حول إسرائيل، وأن السلام مع العرب غير ضروري لأنه كان بمقدرة إسرائيل العيش بالاعتماد على جيشها بسبب هذا الموقف فإن بن جوريون أجبر على إشراك الجيش في القرارات الحساسة التي تهم الدولة، لذا فان مسؤولية الأمن كانت تخضع مباشرة للسلطات العسكرية وليس المدنية، إلى جانب خلق مناوشات عسكرية محدودة ضد الدول العربية المحيطة، الذي أدى في النهاية إلى مركزية الجيش والأمن في حياة الدولة وكما تقول الكاتبة فإن بن جوريون شخصيته العسكرية كان المثل الأعلى لكل إسرائيلي وقد حاول بيجن أن يحتذي به في حربه ضد لبنان، ولكن كما سنرى فإن سيرة بيجن العسكرية واجهت فشلا ذريعا. وتبعا لذلك فإن الأحلام التوسعية التي بدأت مع بن جوريون انتهت مع بيغن

وتتحدث الكاتبة عن تطور العقلية العسكرية الإسرائيلية في عقد الخمسينيات فتقول إن هدف إسرائيل بعد الثورة المصرية في ١٩٥٢ كان زعزعة النظام المصري الجديد، وبالذات تخريب أي علاقة حسنة للنظام المصري الجديد مع الغرب، وخاصة مع الولايات المتحدة فمثلا وزارة الخارجية الأمريكية كانت واعية بالمخططات العسكرية الإسرائيلية تجاه مصر، وكانت مقتنعة أن هدف إسرائيل هو الدخول في حرب شاملة ضد مصر من احدى الوسائل التي استعملتها إسرائيل في خلق مشاكل لمصر كانت تشجيع بعض اليهود المصريين على القيام بأعمال تخريبية في القاهرة، وهذا ماحدث فعلا في ١٩٥٤، ولكن المشتركين في عمليات الإرهاب مع بعض الجنود الإسرائيليين قبض عليهم حيث اعدم البعض أو انتحر هذه الحادثة تعرف بحادثة لافون، التي كانت تحت سمع وبصر القيادة الإسرائيلية بعد حادثة لافون المشهورة فإن القيادة المصرية اتخذت قرارا ببدء مناوشات محدودة ضد المستوطنات الإسرائيلية، وهذا ما شجع القيادة العسكرية الإسرائيلية على تنفيذ خططها، فاتخذت تبعا لذلك قراراً في سنة ١٩٥٥ بالتحضير لمواجهة عسكرية مع مصر وتلاحظ الكاتبة أن الطبقة العسكرية القوية في إسرائيل اعتبرت الفعالية العسكرية الهدف الأعلى للدولة فمثلا تعليق شاريت، - الذي كان وزيراً للخارجية في ذلك الوقت - هو أن المشكلة التي كانت تواجه القيادة الاسرائيلية لم تكن مشكلة السلام مع العرب، وإنما الاعتماد على الحرب كوسيلة لرفع المستوى العسكري والنفسي للمواطن "الإسرائيلي" هنا تعلق الكاتبة بسخرية على هذه العقلية بقولها ان الإسرائيليين يحبون القتال ولكن ليس الموت من أجل أهدافهم التوسعية

بن غوريون وديّان

لم يكن الشخص الذي لعب دورا عسكريا وسياسيا مهما قبل وبعد حرب ١٩٦٧ سوى موشي ديان الذي يعد مكملا للدور الذي بدأه بن جوريون مع تأسيس الدولة فموشي ديان لم يخطط وينفذ

الإستراتيجية العسكرية قبل وبعد ١٩٦٧ فقط ، بل وضع حجر الأساس للمستوطنات الإسرائيلية في الضفة والقطاع ايضاً وكان هدف المستوطنات من منظار ديان هو الوصول إلى تكامل اقتصادي كامل بين الأرض المحتلة وإسرائيل إن هذين الهدفين - بناء المستوطنات والتكامل الاقتصادي - ما زالا يشكلان حجر السياسة الإسرائيلية نحو الأرض المحتلة

لكن النجاح العسكري العربي الجزئي ضد إسرائيل في حرب ١٩٧٣ أدى إلى إنهاء الدور العسكري لديان لأنه كان مسؤولا عن فشل إسرائيل بالتنبؤ بالحرب وبعواقبها هذا الوضع أفسح المجال فيما بعد ، وبالتحديد في سنة ١٩٧٧ ، لمجيء حرب الليكود إلى الحكم بقيادة مناحيم بيغن وقد أعلن بيغن فور فوزه بالانتخابات عن هدفه في التمسك بالأرض المحتلة بقوله ان « يهودا والسامرة (أي الضفة الغربية) هما جزء حيوي من دولتنا فهذه هي بلادنا التي حررناها بالقوة في حرب ١٩٦٧ »

وتعلق الكاتبة على موقف بيغن بالقول « ان بيغن اعتبر نفسه منقذاً وهادياً لليهود فهو أراد أن ينقذهم من الفلسطينيين ولهذا السبب شن حربا عسكريا على الفلسطينيين في لبنان ، وأخرى نفسية وسياسية في الأرض المحتلة » وبيغن وشارون هما اللذان جهزا لهذه الحرب على الجبهتين الداخلية والخارجية بأربع خطوات رئيسية الخطوة الأولى كانت تعيين رفائيل إيتان ، وهو أحد أصحاب الفكر التوسعي ، رئيساً للأركان والخطوة الثانية كانت « تهدئة » الأرض المحتلة عن طريق تعيين مناحيم ميلسون ، وهو أحد المستشرقين الإسرائيليين المشهورين ، مسؤولاً عما يسمى بالادارة المدنية في الضفة كان الهدف المرسوم لملسون هو القضاء على القوة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية في الضفة عن طريق الإغلاق المستمر للمؤسسات الوطنية . وخاصة الجامعات ، وأيضا زج الشخصيات الوطنية في السجن ، أو حتى إبعادها إلى خارج الأرض المحتلة . كما شجع ملسون « روابط القرى » ، وحاول إبرازها كبديل سياسي على حساب المنظمة والخطوة الثالثة كانت مسرحية إجلاء المستوطنين اليهود من سيناء .

وكما تقول الكاتبة فإن الحكومة الإسرائيلية اتفقت مع المستوطنين على أن يرفضوا الخروج من سيناء قبل تسليمها لمصر حسب اتفاقية كامب دافيد ولكن الحكومة أخرجت المستوطنين بالقوة ، ذلك حتى تبرهن للرأي العام العالمي صدق رغبتها في السلام والخطوة الرابعة والأخيرة كانت طبعاً الهجوم على لبنان وقد استغلت "إسرائيل" استغلالا كبيرا حادثة الهجوم على السفير "الإسرائيلي" في لندن من قبل جماعة أبو نضال ، ونجحت في إثارة الرأي العام العربي إلى جانبها مع أنها وكما رأينا كانت تعد العدة لشن هجوم عسكري على لبنان منذ زمن بعيد ، وان السبب الحقيقي كان القضاء على أي وجود فلسطيني في لبنان .

الثلاثي الارهابي

كان هدف الثلاثي - بيغن وشارون وإيتان - ليس فقط القضاء على الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان ، وإنما - كما تلاحظ الكاتبة - هو محو الشعور القومي الفلسطيني . لكن الحرب زادت هذا الشعور القومي ، وخاصة في المناطق المحتلة التي عبرت عن هذا الشعور بالمظاهرات العارمة ضد سياسات الاحتلال

تقول الكاتبة انه على الرغم من نجاح إسرائيل في اخراج المنظمة من لبنان إلا أن إسرائيل لم تنجح في خلق نظام سياسي موالٍ لها هناك ، وأن اسرائيل لم تجد اللعبة السياسية في لبنان ، مما جعلها تخسر خسارة كبيرة ، وأن تعتمد على جيش أنطوان لحد المشر والمسمى بجيش لبنان الجنوبي في الدفاع عن حدودها الشمالية □

السريالية في مصر

تأليف : سمير غريب / عرض وتقديم : جميل حتمل*

في نهاية ثلاثينيات هذا القرن وبداية أربعينياته كانت القاهرة تمور بالأحداث المنبئة بتغيرات قادمة ، وكانت إرهاصاتها تأخذ أشكالا جنينية لتيارات فكرية وتنظيمات سياسية ومدارس أدبية وفنية ، وكانت الحركة السريالية محصلة لجميع تلك الارهاصات .

بين المقدمة والفصل الذي يكشف فيه المؤلف عن غايته من وضع كتابه « السريالية في ... » الصادر عام (١٩٨٦) عن الهيئة المصرية ... للكتاب في القاهرة ، يوضح سمير غريب ... مما يسميه الانحطاط في الوضع الثقافي ... ، مستندا الى ذلك الازدهار الذي شهدته ... في مصر ، منذ ثلاثينيات وأربعينيات هذا ... ، الآخذ حاليا بالذبول ولهذا يضع المؤلف ... (طعناً في الحاضر) لمقدمته الغاضبة والمحققة ... حد كبير ، منطلقا فيما بعد الى متابعة أوضاع ... ة السريالية ورموزها في مصر ، والتأريخ لها

المؤسسون أولا :

يقسم المؤلف كتابه الى عدد كبير من الأقسام التي يفتتحها بمتابعة حياة اثنين ، يعتبران مؤسسي السريالية في مصر ، أحدهما (رمسيس يونان) الذي ولد في مدينة (المنيا) الصغيرة في مصر عام (١٩٣١) ، والآخر (جورج حنين) الذي ولد عام (١٩١٤) لأب يعمل في الحقل الدبلوماسي

ويتابع المؤلف في هذا القسم تفاصيل حياة هذين المؤسسين وانتقالاتهما الفكرية والجغرافية التي أتاحت لكل واحد منهما الاطلاع على دقائق مهمة في الثقافة

---

* قاص وصحفي سوري مقيم في باريس

العربية المعاصرة ، وذلك من خلال تمكنهما من اللغة الفرنسية تحديدا ، مما أتاح لهما فيها بعد التعرف على الحركة السريالية في فرنسا وغيرها ، والانغماس فيها وقد كتب (جورج حنين) في عام (١٩٣٥) أول رسائله الى مؤسس السريالية (اندريه بريتون) الذي قام بعد أشهر بالرد على هذه الرسالة بحماس بالغ ، فقال في أحد مقاطع هذه الرسالة « يبدو لي أن للشيطان جناحا هنا ، وآخر في مصر » وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التراسل أن يتم التعارف بين الاثنين ، وأن تعقد صداقة بينهما ، ويبدو أنها أحدثت حماس (حنين) الذي قام عام (١٩٣٧) بتنظيم جماعة للسريالية في مصر ، بعد تقديمه محاضرة عنها قبل ذلك ، وليصبح (رمسيس يونان) أحد رموز هذه الجماعة ، مقدما إسهاماته في نشاطها الفكري ،و« مدشنا » ذلك عمليا بكتابه « غاية الرسام المصري » ، ومساهما في نفس العام بإصدار بيان جريء للجماعة بعنوان « يحيا الفن المنحط » وقد وقع عليه مع أكثر من أربعين شخصا

ويكمل المؤلف ـ سمير غريب ـ رصد نشاطات واتجاهات هذه الجماعة السريالية ، مبينا بشكل خاص إسهامات رموزها ، ومتابعا الاصدارات التي قدمتها ، كنشرة « دون كيشوت » التي صدرت عام (١٩٤٠م) بالفرنسية ، ثم مجلة (التطور) التي كانت أول مجلة تصدر بالعربية للحركة ، والتي لم تعكس موقفا من الفن فقط ، بل قدمت أساسا توجها اجتماعيا واضحا ، قد يكون ميز الجماعة في مصر عن الحركة السريالية العالمية ، وربطها بهموم الواقع

وعلى الرغم من تعرض نشرات ودوريات سرياليي مصر للتوقف أكثر من مرة ، وللصدور بأكثر من اسم ، إلا أن ذلك لم يوقف ـ كما يوضح الكتاب ـ نشاطهم المتجلي بفعاليات مختلفة ، أبرزها إقامة المعارض الفنية فضلا عن الكتابة هذه النشاطات التي أهلت أحد رموز السرياليين المصريين وهو جورج حنين) ليكون أحد ثلاثة يديرون السكرتارية الدولية للسريالية (كوز)

هموم الوطن

يظهر الرصد الدقيق الذي يقدمه الكتاب لفاعليات السرياليين في مصر أن الهموم المصرية الوطنية احتلت القسم الأكبر من اهتماماتهم ، حيث لم يكن الموقع العالمي الذي احتلته حركة مصر في إطار السريالية العالمية شاغلا يبعدها عن انتمائها ولونها الخاص ، بل إن موقف (رمسيس يونان) يبدو أكبر مثال على ذلك ، حين رفض إذاعة بيانات ضد النظام المصري من الاذاعة الفرنسية حيث كان يعمل ، وذلك أثناء العدوان الثلاثي على مصر ، مما سبب

طرده من العمل مع ثلاثة من زملائه ، وليعود على أثرها مباشرة للعيش وللعمل في مصر وقد سبق مثل هذا الموقف الفردي الشجاع موقف عام للحركة ، حيث رفضت موقف بعض السرياليين الغربيين من إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين ، بل وقد شجبت هذه المواقف في العديد من نشاطاتها

أصوات طليعية

إن فصول الكتاب وأقسامه المتتالية فيها بعد ، توضح بالتفصيل طليعية سرياليي مصر ، ومدى

جديتهم والتزاماتهم ، وبخاصة ضمن الاطار الاجتماعي السياسي ، وكان من نتيجة دلك مشاركتهم معا ـ أو كأفراد ـ في العديد من المناسبات والمواقف التي يوردها هذا الكتاب ، كالمعارك البرلمانية والنقد والمعارضة ، رابطين بين موقف سياسي متقدم ، وموقف فكري مواز ومماثل ، ومقدمين شروحاتهم ونظرياتهم فيه ، بما يتعلق بمعظم أنشطة الفن ، كالتشكيل والشعر والنقد والقصة والدراسة ، ومساهمين في ميدان الترجمة ، حيث قام بعضهم بنقل العديد من النصوص الطليعية الى العربية ، كما فعل (رمسيس يونان) مثلا عندما ترجم أعمالا للشاعر الفرنسي (رامبو)

ويقول الكتاب إن الحركة السريالية عموما في مصر قد ربطت ما بين النظري والعملي حين أردفت مواقفها الفكرية بمجموعة من المعالجات والتحركات الاجتماعية في أطر مختلفة ، نجد في الصفحات العديد من أمثلتها

أسماء أخرى

ضمن التتبع الدقيق للكتاب سنجد أسماء عديدة أخرى ، أغنت بإبداعها نشاط الحركة السريالية المصرية ، كالفنان « كامل التلمساني » ، والفنان « فؤاد كامل » ، إضافة الى عدد آخر سيبدو ثقلهم الأساسي متركزا في مجال العطاء الفني التشكيلي وهذا ما توضحه نشاطات الحركة في مجال إقامة المعارض المتلاحقة ، ولعل من أبرز ما يوضحه الكتاب أن الحركة السريالية التي اتخذت اسما أكثر تعبيرا هو « جماعة الفن والحرية » لم تفرق أو تميز بين أعضائها حسب انتماء أي منهم ، بل تجاوزت ذلك نحو صهر توحيدي ، يعتمد على الموقف الفكري المتقارب

وفي عودة الى إطار الفن ، ستجد فصول الكتاب نفسها مجبرة على متابعة فاعليات أعضاء الحركة في المجال التشكيلي كرمسيس يونان ، وفؤاد كامل ، وابراهيم فارس ، وكامل التلمساني وغيرهم

كذلك يلقي الكتاب ضوءا على جانب آخر ، ضمن هذا الاطار ، يتعلق بمجال النقد التشك الذي صب بعض رواد الحركة جهدهم عليه ، و لا يجد المؤلف أمام الجانب التوثيقي التاريخي للكتـ بدا من نشر نصوص كاملة في هذا المجال ، وقبل ان ينتقل لتوثيق نصوص أخرى في مجالات إبداعية مختلفة يخلص الى مجموعة نتائج مهمة ، يمكن تلخيصها بالشكل التالي :

١ ـ أن السريالية وحركاتها في مصر أدخلت الفن والثقافة المصريين في الإطار العالمي مما يتبع ذلك من إدخال عوالم وقضايا ومصطلحات جديدة إليها

٢ ـ مشاركة هذه الحركة في الحيوية الثقافية في مصر

٣ ـ تأثيرها على عدة مجموعات ثقافية شابة

٤ ـ تأثيرها في أجيال فنية لاحقة

٥ ـ ملاحظة أن تأثيرها على المستوى الأدبي كان أقل منه على مستوى الفن التشكيلي

٦ ـ مشاركتها في النضال السياسي والاجتماعي ضمن حدودها

وبعد هذه الخلاصات المدعمة بشرح مستفيض يعمد الكاتب الى إشغال أكثر من ثلث صفحات الكتاب البالغة (٢٤٠) صفحة بمجموعة من النصوص والوثائق المختارة ، كبيانات الحركة الأولى ، وبعض مقالات أفرادها ، وبعض نصوصهم الابداعية ، وإن كان ثقل هذه النصوص التوثيقية لصالح اختيارات لجورج حنين إلا أنها تبدو بحجمها طبيعية قياسا الى دوره الفاعل الرائد

السريالية المختلفة

إن كتاب « السريالية في مصر » يحمل جهدا واضحا ، ودأبا يبدو أكثر ما يبدو في عملية جمع مادته وتفاصيله ، هذه العملية التي بدت على الرغم من عدم التدخل الكبير للكاتب في الشرح شديدة الأهمية ، نظرا للقيمة التأريخية التي يعينها هذا العمل في رصد حركة كانت ستظل مجهولة بشكل أو بآخر ، على الرغم من طليعيتها واسبقيتها وحدي

هذا عدا عن أن الكتاب حاول أن يصحح صورة مشوهة ، قدمت مرارا لهذه الحركة ، واعـ

موقفا مسبقا حين عاملتها كحركة « تروتسكية » فقط

كذلك فإن الكتاب يحمل بشكل مباشر الكثير من الايضاحات عن الموقف الوطني لها ، كما يوضح بشكل غير مباشر الوجه الخاص للعطاء السريالي في مصر الذي ظل مرتبطا بالهم الاجتماعي الداخلي ، فاصلا بشكل أو بآخر بين التعريف الاصطلاحي للسريالية بأنها تستخدم العمليات الآلية اللاواعية والحلم في نتاجاتها ، ثم المتحررة من رقابة العقل . فاصلا بين هذا التعريف وبين الممارسة العملية ذات الإطار الملتصق بالواقع المصري والمشاكل التي تعصف به

لكن المؤلف - في ظننا - يقع في الخطأ فيما يتعلق بإبداعات السرياليين خارج مصر ، فهو يقول في مقدمة كتابه إنه قرأ عن صدور كتاب في سوريا عن السريالية في الأربعينيات لكنه شديد السذاجة ، ويبدو أن الكتاب المقصود هو مجموعة شعرية لأورخان ميسر التي صدرت في مثل هذا الوقت ، وحملت اسم « سوريال » ، وكانت من المجموعات الشعرية السباقة في مجال قصيدة النثر ، أي أنها في المحصلة لم تكن كتابا نظريا كما يظهر من مقدمة المؤلف

أخيرا لعل العطاء الإبداعي السريالي في مصر يوضح أن الفن التشكيلي ذا المنحى السريالي قد قدم نتاجا يبدو مختلفا عن نتاج السريالية الغربي في هذا الإطار من جانب آخر فإن اعتماد الحركة السريالية في مصر على اللغة الفرنسية سرعان ما تحول الى اللغة العربية ، حاملا معالجات مرتبطة بروح اللغة ، أي بخلفيتها الاجتماعية ، من هنا فإن السريالية العربية - إن صح التعبير - بدت مختلفة متمايزة كما أنها قدمت وجهها الخاص ، أي وجه مصر أيضا

ولعل ميزة الكتاب أنه يسمح باستخلاص ذلك ، وإن لم يقف باستمرار عند معالجة نقطة الاختلاف هذه بين سريالية الغرب وشكل عطائها ، وبين شكل عطاء سرياليي مصر □

الأدب النقدي

● في استفتاء وجهته إحدى المجلات الأدبية حول (هل هناك أدب تقدمي ، وما هو مفهومه ، وما هي خصائصه ، ومن هم الكتاب الذين يمثلون هذا النوع من الأدب ؟) قال الدكتور عبدالعزيز الدوري « إن الأدب التقدمي هو الأدب الحر الذي يجعل نصب عينيه هذه الحقيقة الكبرى حقيقة تطور المجتمع تطورا علميا ، بكل ما في هذه الكلمة من مفهوم ، أما ما يعنيه بعض الناس بالأدب التقدمي الذي يرون أن يتقيد بفلسفة خاصة ، ويتحدد بحدودها ، ويتمسك بمفاهيمها ، فأمر أظن أنه يفتقر إلى الدقة افتقارا واضحا ، وأن كلمة تقدمية لا تزال مبهمة الحدود ، غير واضحة المعالم في اللغة العربية ، لأنها حديثة الاستعمال ، وإن كان البعض يعطي هذه الكلمة مدلولا خاصا مستمرا من مفاهيم واتجاهات خاصة ، إلا أنه بعيد عن الدقة والوضوح ، وذلك لأن الأدب يجب ان يكون مرآة تعكس أحداث الحياة بمفاهيمها وآرائها المختلفة ، وأن يعبر عن أماني الأفراد والمجتمعات ، ويبين مدى ما فيها من حيوية وركود » .

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب/ قامات الزبد ـ رواية
المؤلف/ الياس فركوح
الناشر/ دار منارات ـ عمان ـ الأردن
عدد الصفحات/ ٢٦٦ من القطع الكبير
سنة النشر/ ١٩٨٧م

رواية الياس فركوح الأولى تدور أحداثها في بيروت مكاناً ، أما زمانها فهو بداية السبعينيات وحتى منتصفها ، القنص والاشتباكات والقصف المتبادل وحرب الفنادق وحصار مخيم تل الزعتر المريع وسقوطه

على هذه الأرضية الزمانية والمكانية تتشكل أحداث الرواية من خلال متابعة مصائر شخصيات ثلاث ، تجمع بينها الدراسة الجامعية المتداخلة مع النشاط السياسي والعسكري والفكري الذي كان يعم بيروت في تلك الأيام

وإلى جانب ذلك تحمل الرواية نفسا تحديديا على مستوى الشكل ، حيث يتعاون النص مع الهوامش مع فصول الرواية وأقسامها على رسم معادلة لحالة التشظي والانهيار الذي شهدته المدينة فيما بعد

■ ■

الكتاب/ من سيرة حنظلة الشحراوي ـ قصص
المؤلف/ سليمان الشيخ
الناشر/ دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع ـ قبرص
عدد الصفحات/ ١٢٥ من القطع الصغير
سنة النشر/ ١٩٨٨م

الكتاب الثالث لسليمان الشيخ ، ومجموعته القصصية الثانية ، يواصل فيها الكاتب رصده للنواحي المختلفة من حياة المخيم ، فما تزال هناك مخيمات ، وما يزال هناك فقراء ومصطهدون ، وهناك من يحتفظ بالأوراق الرسمية ليثبت أنه كان يملك في فلسطين أرضاً

قسّم سليمان الشيخ مجموعته إلى ثلاثة أقسام هي من أوراق المخيم ، ملحق لأوراق المخيم ، مساحة للأطفال وقد ضم القسم الأخير عددا من قصص الأطفال ، أما القسمان الأول والثاني فقد ضما قصص المخيم التي تبرز بينها القصة التي حملت المجموعة القصصية اسمها ، والتي تقدم فيها شخصية حنظلة المتمرد الثائر ، البسيط المتواضع ، من خلال قصة تروى للأطفال الذين يساعدون في الوقت نفسه بروايتها

■ ■

الكتاب/ السينما المؤجلة
المؤلف/ محمد سويد
الناشر/ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت
عدد الصفحات/ ٢٠٠ من القطع المتوسط
سنة النشر/ ١٩٨٦م

لأول وهلة يبدو طموح هذا الكتاب متواضعا ، فهو يؤرخ للسينما اللبنانية خلال عشرة أعوام (١٩٧٥ ـ ١٩٨٥) ، وهي فترة زمنية قصيرة نسبيا ، لكن القارىء يدرك صعوبة المهمة عندما يتعرف من خلال الكتاب على التعقيدات الكبيرة المحيطة بالأعمال السينمائية والتلفازية التي تتراوح بين الفيلم الروائي

والتسجيلي والوثائقي وبين آلاف الأشرطة التي تم تصويرها خلال سنوات الحرب الأهلية التي ينطلق تاريخ الكتاب من السنة التي بدأت فيها ، إلى جانب رصده وتحليله لاتجاهات السينما اللبنانية خلال هذا العقد ، ويثبت في نهاية الكتاب ما يسميه (فلموغرافيا) ، وهو عبارة عن قائمة بالأفلام السينمائية اللبنانية التي أنتجت خلال السنوات العشر التي تناولها الكتاب

■ ■

الكتاب / نطر
المؤلف / محيي الدين اللباد
الناشر / العربي للنشر والتوزيع ـ القاهرة
عدد الصفحات / ١٥٠ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٧م

كتاب فريد لفنان « الكاريكاتير » المعروف محيي الدين اللباد ، فهو لا يتضمن الرسوم « الكاريكاتيرية » التي أبدعتها ريشة هذا الفنان فقط ، بل يتضمن مقالاته التي نشرها منذ عام ١٩٨٥ في مجلة « صباح الخير » القاهرية ، وهي مقالات تتراوح بين تقديم شخصية فنية مهمة في مجال فن « الكاريكاتير » على المستوى العالمي أو العربي ، أو في نقد اتجاه ، أو إحياء ذكرى لفنان ، أو للحديث عن اسهاماته بلغة راقية مبسطة في نفس الوقت

وقد عمد اللباد إلى إثبات مقالاته تلك بنفس الطريقة التي نشرت بها في المجلة ، دون أن يعيد إخراجها وترتيب مادتها ، وقد أضاف إليها بعض رسومه المميزة ، وربط من خلال بصماته وأسلوبه بين مواد الكتاب الجيد والجديد في الوقت نفسه

■ ■

الكتاب / الإله اليهودي
المؤلف / كارل غوستاف يونغ
ترجمة / نهاد خياطة
الناشر / دار الحوار ـ اللاذقية ـ سوريا
عدد الصفحات / ١٤٨ من القطع المتوسط
سنة النشر / ١٩٨٦م

في مقدمة هذا الكتاب الذي يحمل عنوانا فرعيا هو « بحث في العلاقة بين الدين وعلم النفس » يقول عالم النفس التحليلي الكبير « كارل غوستاف يونغ » إنه لن يكتب بطريقة موضوعية باردة ، بل سيبيح لذاتيته وعواطفه أن تتكلم ويضيف بأنه لا يكتب كما يكتب عالم بالكتاب المقدس

من هذه المقدمة ينطلق يونغ لدراسة الإله اليهودي « يهوه » ، كما رسمت صورته في « سفر أيوب » ، وهي صورة ـ كما يقول ـ لإله لا يعرف الاعتدال في انفعالاته ، ويكابد من الآلام أشدها بسبب افتقاره لهذا الاعتدال ، ويسلم هو نفسه بأن العصب والغيرة يأكلانه أكلا

وخلال رحلة يقوم بها المؤلف في « سفر أيوب » والأسفار الأخرى يرسم يونغ صورة للإله اليهودي « يهوه » □

■ ■

●

من أين أقبلت ؟

● كان الصاحب بن عباد يقول لم أسمع جوابا أظرف وأوقع وأبلغ من جواب عبادة ، فإنه قال لرجل . من أين أقبلت ؟ قال : من لعنة الله ، فقال رد الله عليك غربتك

مسابقة العربي الثقافية

العـــــدد ٣٥٤

مــــايو ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جـوائـز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاحابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاحابات على العنوان التالي

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٥٤ » ، وآخر موعد لوصول الاحابات اليا هو ١٥ يونيو ١٩٨٨

١ - بلغت نسبة الزيادة السكانية في العالم ككل ٢/ وذلك في سنة ١٩٥٨ - ١٩٦٢ ، ترى كم تبلغ هذه النسبة حسب آخر الاحصاءات (١٩٧٥ - ١٩٨٠) ؟

* حوالى ١,٧٥ /
* حوالى ٢,٢٥ /

٢ - أي الدول التالية هي الأولى في العالم من حيث ارتفاع نسبة الزيادة السكانية فيها -

* الهند
* البرازيل
* كينيا

٣ - في أي البلدان التالية تهبط كثافة السكان الى أدنى مستوى لها في العالم ؟

* جرينلند
* ايسلندة
* الأسكا

٤ - في أي الدول التالية تبلغ الكثافة السكانية حدها الأقصى في العالم ؟

* بنجلادش
* اليابان
* ج ٠ م ٠ ع

٥

- في سنة ١٩٦١ أقامت سلطات ألمانيا الشرقية جداراً يفصل غرب برلين عن شرقها - ما هو طول هذا الجدار ؟
* حوالى ١٥٠٠ كم
* حوالى ١٠٠٠ كم
* حوالى ٥٠٠ كم

٦

- أي الدول التالية تملك حدوداً مشتركة مع أكبر عدد من الدول الأخرى ؟
* الصين
* تشيكوسلوفاكيا
* كندا

٧

- ترى كم بلغ مجموع سكان العالم في سنة (١) ميلادية ؟
* حوالى ٢٥ مليون نسمة
* حوالى ٢٥٠ مليون نسمة
* حوالى ٢٥٠ ألف نسمة

٨

- ما هو في تقديرك مجموع سكان العالم الكلي ، أي كافة من عاش على سطح هذه الكرة ، ثم مات على مدى الأربعين ألف سنة الماضية ؟
* حوالى ٦٠٠٠ مليون
* حوالى ٦٠,٠٠٠ مليون
* حوالى ٦٠٠ ألف مليون

٩

- بلغ عدد سكان العالم في منتصف السنة الماضية (٥٠٠٠) مليون نسمة ، ترى كم سيبلغ هذا المجموع بعد نحو قرن من الزمان حسب تقدير العلماء ؟
* حوالى ١٠,٠٠٠ مليون نسمة
* حوالى ٨٠٠٠ مليون نسمة
* حوالى ١٢٠٠٠ مليون نسمة

١٠

- أي الجزر التالية هي أكبر جزيرة في العالم من حيث المساحة ؟
* كالاليت نونات
* مدغشقر
* بورنيو

١١

- ما هو عدد الدول المستقلة ذات السيادة في العالم ؟
* ١٧٠ دولة
* ١٦٠ دولة
* ١٥٠ دولة

١٢

- أي الدول التالية هي أصغر الدول المستقلة في العالم من حيث المساحة ، وأيها هي الصغرى من حيث عدد السكان ؟
* الفاتيكان
* موناكو
* نورو

حلّ مسابقة العدد ٣٥٠ يناير ١٩٨٨

١ آية « والضحى » هي من أقصر آيات القرآن الكريم ، وهي مكونة من (٦) أحرف وكذلك آية « والعصر » ، وآية « والفجر »

٢ مذهب المورمون هو المذهب المسيحي الذي يبيح تعدد الزوجات ، غير أن كهنة المذهب قرروا إلغاء مبدأ تعدد الزوجات في اجتماع شامل عقدوه في يوتاه سنة ١٨٩٠ ويعود تأسيس مذهب المورمون إلى النصف الأول من القرن الماضي ، وقد أسسه جوزيف سميث (١٨٠٥ ـ ١٨٤٤) ، وذلك بناء على الدعوة التي تلقاها لهذا الغرض سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٢٧ (وهي دعوة ربانية كما يعتقد المورمون)

٣ إن المذهب السيخي الذي أسسه ناناك (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩) في بلاد الهند ، والذي يعتبر المذهب السائد في ولاية البنجاب يقوم على وحدة الله عز وجل ، وعلى الإخاء بين الناس ، وكان الهدف من تأسيسه التوفيق بين العقائد الهندوكية وبين العقيدة الإسلامية ، وقد غلب الطابع العسكري السياسي على جماعة السيخ في وقت لاحق ، وتسنى لهم إقامة ولاية خاصة بهم ، واحتلال المناطق المجاورة لولاية البنجاب وهم يسعون في الوقت الحاضر إلى الحصول على الاستقلال الذاتي في ولايتهم

٤ يكون الدخان أبيض اللون إذا تمّ اختيار أو انتخاب البابا الجديد ، ويكون رمادي اللون إذا لم يتفق الكردينالات ولم يتم انتخاب البابا الجديد ، وعندئذ يعيد الناخبون الكرة المرة بعد المرة حتى يتم الانتخاب

٥ متساويان تقريبا (مجموع البوذيين = ٢٥٦ مليون نسمة ، ومجموع الكونفوشيين = ٢٧٥ مليون نسمة)

٦ متساويان تقريبا وقد بلغ عددهم ، كما جاء في الإحصاءات العربية (المسيحية) كالتالي

المسيحيون = ١٢٠٠ مليون نسمة

المسلمون = ١١٠٠ مليون نسمة

٧ هو مذهب العلم المسيحي ، وقد أسسته امرأة تعرف باسم ماري بيكر ، وذلك في الولايات المتحدة ، قبل حوالي مائة عام (سنة ١٨٧٩ على وجه التحديد) والجدير بالذكر أن هذا المذهب يقوم على الاعتقاد بأن الشفاء من الأمراض ممكن بالدعاء دون تناول دواء

٨ الكونفوشية هي الديانة التي أسسها « كونج زي »أو كونفوشيوس كما

يسميه أهل الغرب ، وقد عاش كونفوشيوس نحو ٧٢ سنة (من سنة ٥٥١ - ٤٧٩ ق م) ، وقد عمل موظفاً بسيطا في الحكومة ، ومارس التعليم ، ودعا إلى الأمانة والإخلاص والتعلم ، كما دعا إلى الاعتدال وعدم التطرف

٩ الديانة الشنطوية هي الديانة التي انتشرت في اليابان منذ أقدم الأزمان وقد جاءت حصيلة الدمج بين الكونفوشية والبوذية ، أما الاعتقاد بألوهية الامبراطور فقد أحدث من الديانة الشنطوية منذ القرن السادس الميلادي ، لكن هذه العقيدة ألغيت رسميا بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٦

١ يوجد معبد (كراي ما) في مدينة بيكانار في ولاية راجستان الهندية ، والجدير بالذكر أن المعبد المذكور مكرس للآلهة (كراي ما) ، وهي في الوقت نفسه آلهة شعراء الشاران ويعتقد عبدة هذه الآلهة أن روح الشاعر الشاران إذا مات تعود لتتقمص أحد الفئران

١ الزرادشتيون يتركون جثث موتاهم فوق أبراج خاصة ، يسمونها أبراج الصمت ، وذلك لكي تأكلها النسور ، فهم لا يدفنون جثث موتاهم في التراب ،ذلك أن الزرادشتيين يقدسون التراب كما يقدسون النار وتجدر الإشارة إلى أن الزرادشتية هي دين الفرس القديم .

١ نعم ، ترجموه إلى الاسبرانتو في لندن سنة ١٩١٤ وكان المترجم هو المسلم الانكليزي خالد شلدريك

الفائزون في مسابقة العدد ٣٥٠ يناير ١٩٨٨

* إيمان الزعبي / دمشق - الجمهورية العربية السورية .
* أكرم طه عبدالسلام / محافظة المنوفية / مدينة الباجور - جمهورية مصر العربية .
* الهادي بن الطاهر بن ابراهيم / آزمور - تونس .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١- سلوى خوري / بيروت - لبنان .

٢- محمد الطيبي / تابريكت / سلا - المملكة المغربية .

٣- عادل عبدالرحيم النور / ام درمان - السودان .

٤- محمد قاسم سومرو / جيهاني / باكستان

٥- قاسم حوية عاشور / المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية .

٦- سيدات بن أحمد / نواكشوط - موريتانيا

٧- ماريا عيسو حسين / الوحدات - المملكة الأردنية الهاشمية

٨- أحمد عارف القلق / بيروت - لبنان

إذا جاز لنا أن نشبّه مباريات الدقائق الخمس ونقلات الثواني العشر بسباق المسافات القصيرة ، والمباريات السريعة بسباق الأربعمائة متر ، والمسابقات الدولية بسباق الخمسة آلاف متر حَقّ لنا عندئذ أن نشبه الشطرنج بالمراسلة بالماراثون ، فالنجاح في مباريات الشطرنج بالمراسلة كما هو الحال في الماراثون يحتاج إلى نفس طويل وطاقة هائلة وقدرة لا تُحدّ من الصبر والأناة ، وبالاضافة الى ذلك كله فانه يستهلك قدراً لا يستهان به من عمر المتسابق

ففي بطولة العالم الأخيرة للشطرنج بالمراسلة التي بدأت عام ١٩٧٣ استعرق تأهيل اللاعبين الستة عشر للتصفيات النهائية خمس سنوات ، واستمرت مباريات التصفية التي بدأت عام ١٩٧٨ حتى عام ١٩٨٤ عندما أعلن الاتحاد الدولي فور الأمريكي فكتور بلاسكياس ببطولة العالم بالمراسلة ، وبذلك تكون هذه المباراة قد استعرقت عشر سنوات غير منقوصة .

ومن الجدير بالذكر أن بطولة العالم الأخيرة للشطرنج بالمراسلة كانت تخلو من الانسحابات والأخطاء المكتبية وقد قبل بلاسكياس الجامبيت المفضل لديه والمعروف بجامبيت ايفانز من بطل العالم السابق بالمراسلة ج استرين وفاز في ٣١ نقلة

ومع أن للسوفييت باعاً طويلاً في الشطرنج بالمراسلة إلا أنهم لا يسيطرون عليه كما هو الحال في الشطرنج فوق الرقعة وهناك أوليمبياد للشطرنج بالمراسلة يجري حالياً ، ونهايته وشيكة ، وهي تبدو في صالح البريطانيين هده المرة

ومن المرايا الهامة للشطرنج بالمراسلة أن الافتتاحيات تكون عادة دقيقة وصحيحة ، فاحتمال الخطأ والنسيان بوجود عشرات المراجع بين أيدي اللاعبين الكبار يكاد يكون معدوماً ومن أحمل أدوار بطولة العالم العاشرة للشطرنج بالمراسلة الدور التالي من الافتتاح الصقلي الذي فار به اللاعب الفنلندي ر كارونين على بطل العالم السابق للشطرنج بالمراسلة ج استرين

□ ر كرانين (فنلندا)	■ ج استرين (روسيا)
١) هـ ٤	جـ ٦
٢) ح - و ٣	هـ ٦
٣) د ٤	حـ × د ٤
٤) ح × د ٤	ح - و ٦
٥) ح - حـ ٣	د ٦
٦) ز ٤	أ ٦ ؟

(حـ ٦ أفضل لعرقلة هجوم الأبيض)

٧) ز ٥	ح (٣) - د ٧

٨) حـ ٤ — ب ٥
٩) أ ٣ — ح - ب ٣
١٠) ف - هـ ٣ — ح (١) - د ٢
١١) حـ ٥ — ف - ب ٢
١٢) ر - حـ ٣ — ح - هـ ٥
١٣) ر ٦ — ح (٣) - حـ ٤ ؟ (رديئة)

(ملك الأسود مكشوف والأفضل حـ × ر ٦ والمبادلات التالية لا تشكل خطورة تذكر)

١٤) ف × حـ ٤ — ح × حـ ٤
١٥) ز × و ٧ + — م × و ٧
١٦) و - ر ٤ — و - هـ ٧ ؟

(معرضا نفسه للكش دون مبرر)

١٧) ف - ز ٥ — و - د ٧

١٨) ح - د ٥ (لاستغلال التسمير ثم الاعداد لكشة مردوجة)

١٨) — ر - أ ٧
١٩) ر - و ٣ + — م - هـ ٨
(لو م - ر ٨ — ٢٠ ح - و ٦ +)
٢٠) ح - جـ ٧ (الشكل) يستسلم

لأنه لو و × جـ ٧ — ٢١) ر × و ٨ + فيموز بالوزير أو ينتهي الدور إذا أخذ بالرّخ
ر × و ٨ — و × هـ ٦ (مات)

مسألة العدد ٣٥٤ مايو ١٩٨٨

(مات ٢)

من إهداء القارئة حجيرة نوفل (المغرب)

حل مسألة العدد ٣٥٢ مارس ١٩٨٨

١) ف - حـ ٣ — يلعب ما شاء
٢) و - ز ٤ — يلعب ما شاء
٣) و - جـ ٨ (مات)

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج العدد ٣٥١ - فبراير ١٩٨٨

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - [illegible] - [illegible] / السعودية
٢ - [illegible] عبد [illegible] - حلب / سوريا
٣ - [illegible] - [illegible] / ج . ع . ل
٤ - [illegible] البكري - [illegible] / [illegible]
٥ - [illegible] عبد الله [illegible] - بابل / العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - [illegible] / تونس
٢ - [illegible] - الصفاة / الكويت
٣ - [illegible] - القاهرة / ج . م . ع
٤ - [illegible] / العراق
٥ - [illegible] / الأردن

حوار القراء

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الكويت

مواقع تاريخية في الوطن العربي

● قرأت في العدد ٣٥٠ من مجلة « العربي » - يناير ١٩٨٨ - تساؤلا من القارىء محمد طريف فرعون من دمشق بالجمهورية العربية السورية يتضمن طلبه من جهات الاختصاص في الوطن العربي أن يسعوا جاهدين للكشف عن الأماكن الأثرية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم

وأضم صوتي من خلال مجلة « العربي » الى هذا الصوت العربي ، وبالمناسبة أذكر بعض ماله صلة بهذا الصدد مما قرأته في بعض المراجع والمصادر التاريخية التي تتفق على وجود أماكن أثرية تاريخية كثيرة في مناطق عديدة من الوطن العربي ، وان كان ذلك من خلال روايات بينها بعض الاختلاف

ومن أهم تلك الأماكن في اليمن (جنوبه وشماله) مثلا الآتي -

(١) قوم عاد

هم بنو عاد بن عوض بن ارم بن سام من العرب العاربة أو البائدة ، وهم القوم الذين أرسل الله اليهم نبيه هودا سكن قوم عاد الأحقاف ، وهي أرض بين عمان وحضرموت والشحر كما جاء في سيرة ابن هشام قال الإمام علي بن أبي طالب الأحقاف واد بحضرموت ، يدعى برهوت ، وتشتهر الجهة الشرقية من هذا الوادي بوجود قبر النبي هود ، وما زال أبناء المنطقة يتوجهون لزيارة القبر في شهر شعبان من كل عام ذكر الهمداني في صفة الجزيرة ان الأحقاف شرقي حضرموت ، كما أن برهوت عبارة عن حفرة عميقة في جبل من الجبال الشرقية بحضرموت

(٢) بنو ثمود

في اليمن خاصة بحضرموت مواقع لقرى بعضها اندثرت والأخرى عامرة ، كلها تحمل اسم ثمود ولم يعرف لأهل ثمود مملكة ولادولة ولاحضارة ، بيد أنهم اشتهروا برعي الابل ، واشتغلوا كأدلاء للقوافل المخترقة لبلاد العرب من جنوبها الى شمالها ، أما الموقع فهو واضح (شبه الجزيرة العربية) ويعتقد أن مساكن ثمود في شمال حضرموت ، اذ أن الروايات تقول ان نبي الله صالحا قد دفن في هذه المنطقة ولا يزال موقع القبر يزوره الأهالي ويعتقدون أنه لنبي الله صالح في قرية خونب بوادي أحد الوديان التي تتصل بالوادي الكبير لحضرموت كما أن الكتابات الثمودية وجد في جمهورية اليمن الديمقراطية خاصة في حضرموت ، ووجدت كتابات ثمودية أخرى بمدائن صالح والطائف بالعربية السعودية ، وكذا في مناطق بشرق الأردن وجهور مصر العربية .

علـى هـذه الصفحـات .. ترحب "العـربي" بنشـر ملاحظات وتعـليقات قـرائها الأعـزاء علـى مـا ينشـر فيـها مـن آراء وتحقيـقات

(٣) قوم تبع .

سمي ملوك حمير بالتبـابعة وقيـل كان ملك اليمن لايسمى تبعـا حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير ، وذلك قبل أن يحكم اليمن الحارث بن الرائيش ، وهو تبع الأول ، وكان يحكم اليمن قبله ملكان ملك بسبأ وملك بحضرموت ، وكان اليمنيون لايجتمعون كلهم عليهما، الى أن جاء ملك الرائش فاجتمعوا عليه وتبعـوه فسمى تبعا تقول كثير من الكتابات ان المقصود بالتبابعة هم أهل حمير الذين يملكون سبأ وحمير وحضرموت ، ومابين عامي ٢٦٠م - ٤٥٠ خضعت بلاد اليمن كلها لملوك حمير

(٤) أصحاب الأخدود .

اعتنق في القرن الرابع الميلادي أحد ملـوك حمـير المسيحية فبنى كنيسة في حمير والأخرى في عدن ودخل أحد الملوك التبابعة (حمير) في اليهودية في القرن الخامس الميلادي

ويقال ان الملك الحميرى يوسف ذو نواس الذي تهود سار الى نصارى نجران بحملة من جنوده بحمير الى نجران ، ليدعو أهلها الى اليهودية ، وقد خيرهم بين ذلك وبين القتل فأبوا ، فقاتلهم ، ومثل بهم حرقا بالنار وقتلا بالسيف ، وقـد قتل منهم آلافا والأخدود هو الشق العظيم المستطيل في الارض كالخندق ، وقد وجد نقش في نجران عليه اسم الملك الحميري ذي نواس ، ونقش آخر في رمال الربع الخالي مؤرخا بسنة ٥٢٤م ، وفيها قصص وأخبار حملة الملك الحميري المذكور

(٥) أصحاب الرس :

في حضرموت منطقة اسمها بور ، كـان يسكنها بنـو حارثـة بن الأشرس من كندة ، وبنو هذيل من حمير ، وكانت مدينة عامرة . وفي عهد نبيهم حنظلة بن صفوان كانت تسمى الرس ، وهو اسم نهر عظيم ضفافه دفنتها الأتربة فاستحال الى مسيل وما تزال آثاره باقية الى اليوم . وفي هذا النهر قتل أصحاب الرس نبيهم حنظلة في النهر غرقا ويوجد ببور حاليا بعض المعاين او ينابيع الماء المتفجرة في الشعاب المحيطة بها (شعب الغيل / جبل حلحل / بانجلر) كما أن ببور بيوتا قديمـة يستعمل تـرابها سمـادا ولقد ذكـر أبو الحسن الكسـائي في كتابه مبدأ الخلق أن أصحـاب الرس بحضرموت .

علوي عبد الله سميط
شبام - حضرموت - جمهورية اليمن الديمقراطية

حوار القراء

للتواصل الثقافي

● تحية عطرة تحملها النسمات الى أرض الأمان والمحبة ، أرض الكويت
أقول لكم بصدق دون مجاملة ان هذه المجلة من أمتع المجلات وأكثرها فائدة
حبذا لو تكرمت بنبذة عن تاريخ اصدار المجلة والعرض من اصدارها
نبيل وهيب حيدر / طرطوس / سو

العربي

ـ مجلة شهرية ثقافية بدأت بالصدور عام ١٩٥٨ م عن وزارة الاعلام الكويتي
والهدف من صدورها أن تكون واسطة ثقافية بين أبناء الأمة العربية ، وجسرا ثق
يصل أبناء المجتمع العربي الحديث بتراثهم الثقافي الواسع ، كما أنها تشكل نا
واسعة ، يستطلع القارىء العربي من المحيط الى الخليج من خلالها ماتوصل اليه الا
الانساني من نتاج أدبي وعلمي وفني ويسهم في تحرير هذه المجلة نخبة من المفكر
والكتاب العرب محليا وخارجيا وقد نشرت المجلة خلال السنوات الماضية موضوع
شتى ، في مختلف مجالات الفكر والفنون والأدب والتربية والعلوم الطبية والع
التقنية ، والحضارة العربية الاسلامية ، ومايتعلق بشؤون الأسرة والمجتمع ، و
ذلك من الموضوعات ، هذا بالاضافة الى ماتقدمه مجلة « العربي » من خدمات مم
للقارىء العربي ، تتمثل في عرض أحدث الكتب العلمية والأدبية ، وتحليلها ، ونقد
بأسلوب فكري سليم ، اضافة الى ذلك يصدر عن المجلة مجلة « العربي الصغير »
مجلة الفتيان ، وسلسلة كتاب العربي التي صدر الكتاب الأول منها عام ١٩٨٤ ، و
سلسلة فصلية ، محورها الأساسي تقديم مجموعة من الموضوعات لكاتب واحد ،
موضوع واحد لعدة كتاب وقد ارتفع توزيع مجلة « العربي » خلال الفترة (٩٦٠
١٩٨٨) من (٣٥) ألف نسخة الى (٣٥٠) ألف نسخة ، أي مايعادل عش
أضعاف ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال هو أن هذه المجلة تباع بسعر أقل
سعر التكلفة ، لكي تكون في متناول الجميع في الكويت والأقطار العربية ، فهذه الم
بانتشارها الواسع لاتهدف الى الربح المادي ، وانما تهدف الى نشر الثقافة بين أبناء الا
العربية وتنمية الوعي الفكري والعلمي لدى الناشئة على امتداد الوطن العر
باعتبارهم الدعامات الأساسية التي يبنى عليها الصرح الشامخ للأمة العربية

■■■

القدوة الصالحة

● تحية طيبة ،
قرأت مقالة الدكتور أحمد كمال أبو المجد في العدد / ٣٥٠/ من « العر
ففرحت منها بحمد الله على وجود مجلة على هذا المستوى وكتاب على المستوى نفس
الاستنارة والعطاء الفكري الفذ ، وإلا لأصبح الانسان العربي في غياهب يأس مط
كان عنوان المقال « المسلمون وعبور الفجوة » والواضح من العنوان وماور

المقصود بعبور الفجوة هي تجاوز الواقع الحالي للأمة ، والانتقال بها عبر بوابة الاصلاح الى واقع جديد مختلف ، يبدو اذا وصفناه كالحلم العجيب لطول ما انتظرناه والتمسناه وسلكنا اليه سبلا بلا طائل . واذا كان التشخيص في عالم الطب أهم من العلاج فلقد أجاد الدكتور أبو المجد التشخيص أيما اجادة ، لاسيما عندما تحدث عن الكبائر الأربع التي تتلخص بافتقاد العقل المدبر المجاهد المجتهد ، وقلة الاحتفاء بحرية الانسان ، وإسقاط قيمة العمل والانتاج ، وفساد ذات البين

هذه هي رءوس الكبائر التي ترتكبها الأمم بحق نفسها ومستقبلها وأجيالها ، ولو سلمنا بها دون زيادة أو نقصان لبقي علينا أن نصف العلاج لهذه الأدواء الخطيرة وقد جاءت المحاولة في المقال نفسه تحت عنوان « الحشد للاصلاح » ، وذلك في المقطع الأخير الذي تساءل فيه الكاتب المفكر قائلا « فهل يرتفع بعض أولى الأمر وأولي الرأي فينا الى حيث يستطيعون التذكير بهذه الحقائق الكبرى ؟ »

وهنا أقول لماذا التذكير بعد ما ذكر مرارا وتكرارا ؟ ألم يأت علينا ضحى الغد الذي نستبين به الرشد ؟ ألم يعتنا الموت ألف مرة ؟

ان الواجب المتحتم في رأيي هو أن نبدأ بصرف الدواء فورا من أقرب صيدلية ، وهي صيدلية محاسبة النفس ، واسم الدواء « القدوة الصالحة » وهو دواء مر الطعم لكنه ناجع ، مركب من ثلاثة عناصر هي جهاد النفس بالنفس ، والجهر بالحق أمام محب له وكاره ، ومعرفة المرء قدر نفسه سائلا ومسؤولا ، فبقدر مايكون له يكون عليه

ان مناهل الوعي مبذولة متوافرة لأبناء هذا العصر ، ولاسيما أبناء أمة ذات تراث حضاري كأمتنا العربية ، شيد جسر العبور لها رواد في الفكر والعقيدة والتضحية

عبد القادر محمد مايو / حلب / سوريا

■■■

فهـــرس خاص

لمجلة « العربي »

● رئيس مجلة « العربي »

منذ خمسة وعشرين عاما وأنا أطالع مجلة « العربي » ، وأود أن أقدم اقتراحا بتصنيف فهرس للمجلة يسترشد به للاطلاع على الموضوعات التي نشرت في الأعوام الماضية ، مما يساعد القارىء في الاطلاع على مقاله المنشور في المجلة في أعداد سابقة ، ويسهل عليه أن يحصل على العدد المطلوب ، كما أن الموضوعات المنشورة في مجلتكم قد أصبحت مصدرا للقارىء أتمنى أن يؤخذ اقتراحي هذا بعين الاعتبار

يعقوب حقو

حي السريان ـ سوريا

ـ لقد تم اصدار الكشاف التحليلي لمجلة العربي ، وهو يغطي الفترة من ديسمبر ١٩٥٨ الى نوفمبر ١٩٨٣ ، ويضم الكشاف أربعة أجزاء ، جزءان للموضوعات ، وجزءان للمؤلفين ، وهو يشمل كل ماتقترحه في رسالتك المعبرة عن حرصك على تقدم هذه المجلة وتطورها ، كما أن « العربي » تنشر كشافا سنويا في عدد ديسمبر من نهاية كل عام للموضوعات التي احتوتها أعدادها خلال العام المنصرم والفهرس يوزع في جميع

العربي

حوار القراء

المكتبات ، ويمكن لكل راغب في الحصول عليه أن يطلبه من الموزع المختص «العربي»

■ ■ ■

رد من الدكتور عبد الوهاب المسيري

● نشر تعليق للقارىء جمال أحمد العيسى في العدد ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧ على مقالي «حقيقة الأقليات اليهودية في العالم» في العدد رقم ٣٤٦ سبتمبر ١٩٨٧ ، وقد ذكر بعض المعلومات القيمة فنشكره عليها وقد أثار قضية في غاية الخطورة والأهمية وهي ترجمة الأسماء ، فقد ورد اسم «شبتاي تسفي» في مقالي ، ورأى هو أن صحته «شابيتاي تسيف» ، ولا يمكن أن أقبل أو أرفض تصحيحه ، لأن القضية مازال خلافية ، اذ لم يستقر الرأي بعد على طريق ترجمة الأسماء ، وتتفاقم المسألة أكثر حينما ترد هذه الأسماء في سياق يهودي «فشبتاي تسفي» كان يعيش في سالونيكا وكانت جزءا من الدولة العثمانية ، ولذا كان ينطق اسمه باللغات التالية اللادينو وهي لغة السفارد ، واليديش وهي لغة الاشكناز ، العبرية وهي لغة العبادة اليهودية وايضا والتركية العثمانية وهي لغة الدولة الحاكمة ، ولعل هناك لغات أخرى كان ينطق اسمه بها بطريقة أخرى ، ولاشك أن النطق يختلف من لغة لأخرى ضمن أي اللغات نترجم الأسماء اذن ؟

الدكتور عبد الوهاب المسيري

■ ■ ■

على أحمد باكثير

● من حق قرائنا أن يعرفوا نبذة قصيرة عن حياة الأديب على أحمد باكثير الذي ولد في اندونيسيا عام ١٩١٠ لأب من حضرموت وأم اندونيسية ومن المعروف أن العديد من الحضرميين وسكان عدن والساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية كانوا يبحرون الى اندونيسيا وغيرها من مناطق شرق آسيا ويشتغلون بالتجارة وهكذا كان والد الأديب على أحمد باكثير ، لكن المقام لم يطل به في اندونيسيا اذ أرسله والده على عادة الحضرميين الى حضرموت ، وهناك اشتد عوده وبدأ تعليمه ، ومن هناك رحل باكثير الى السعودية فقضى فيها فترة ، ومنها سافر الى مصر عام ١٩٣٤ فاستقر بها ، حيث التحق بقسم اللغة الانجليزية وآدابها بكلية آداب جامعة القاهرة ، حيث تخرج عام ١٩٣٩ وعمل مدرسا بعض الوقت ، ثم التحق بوزارة الثقافة والاعلام بمصر ، ومنح الجنسية المصرية ، وبقى عاملا في حقل الاعلام والأدب حتى وفاته عام ١٩٦٩م أعظم ما أنتج على أحمد باكثير في باب القصة والمسرح انتاج له أهميته في تطور المجتمع العربي المعاصر ، وقد نشرت له قصص كثيرة من أشهرها «سلامة القس» ، وواسلاماه وسيرة الشجاع

سعيد محمد سالم

صنعاء / الجمهورية العربية

ردود قصيرة

● القارىء محمد غرل من جمهورية مصر العربية محافظة الدقهلية يسأل اذا كانت المجلة تفتح صفحاتها لنشر قصص من انتاج القراء ومجلة« العربي » ترحب بكل انتاج يرد اليها من داخل الوطن العربي وخارجه اذا كان يلتزم بأصول وقواعد النشر المعمول بها في المجلة ضمن خطة النشر الموضوعة ، واذا كان الانتاج غير منشور مسبقا ، وغير مرسل للنشر في جهات أخرى

●القارىء محمد علي حبيب بوشهري ـ المنامة ـ البحرين ، والقارىء عبد الرزاق السيد محمد من كلية العلوم ـ جامعة طنطا بجمهورية مصر العربية يسألان عن كتاب « الذخائر والتحف » الذي ورد ذكره في افتتاحية العدد ٣٥١ ـ فبراير ١٩٨٨ بقلم رئيس التحرير . والكتاب هو من ضمن المطبوعات التي تقوم وزارة الاعلام الكويتية باصدارها من أجل دفع عجلة المعرفة والثقافة في الوطن العربي ، وقد صدر ضمن سلسلة التراث العربي سنة ١٩٥٩ للقاضي الرشيد بن الزبير ، وراجعه الدكتور صلاح الدين المنجد ، أما عنوان السلسلة فهو وزارة الاعلام ـ الكويت ـ سلسلة التراث العربي

● القارىء طلال عبد الكريم خليل لديه الأعداد التالية من مجلة « العربي » وهي زائدة عن حاجته ، ويرغب في اهدائها لمن يرغب ، والأعداد هي ١٧٤ ، ١٧٩ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ومن يرغب في الحصول على عدد منها عليه مراسلة القارىء المذكور وعنوانه سوريا ـ حمص الحميدية ، شارع بطرس كرامة رقم الدار «٨» ـ ص ب ١٤٩٢

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مايو ١٩٨٨م

تأليف: فرانسيس كريك
ترجمة: د. أحمد مستجير
مراجعة: د. عبد الحافظ حلمي

الكتاب ١٢٥

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

خمد البركان في عدن؟

"المفتى"

للفنان التونسي عبد العزيز الفرجي

العـدد ٣٥٥ السـنة الحادية والثلاثون يونيو ١٩٨٨

مجلة ثقافية مصورة تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
ص.ب : ٧٤٨ ـ الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقياً: "العربي" ـ الكويت ـ تلكس MITR 44041KT
تلفون فكسملي : ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL - ARABI
Issue No. 355 June 1988- P. O. Box : 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information - State Of
Kuwait.

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات الى : قسم الاشتراكات ـ المكتب الفني
وزارة الإعلام ـ ص.ب : ١٩٣ ـ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	سلطنة عمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران

منتـدى العـربي :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :

صورة
الغلاف

«جمال خاص من نوع فريد، وطبيعة ساحرة .. كل هذا جعل من كينيا واحدة من اهم بلدان العالم الثالث سياحيا، مقدمة بذلك وجها مغايرا لافريقيا التي نسمع عنها»

[طالع ص ١٣٢]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

محنة الجابرية

سوف تظل «الجابرية» علامة ورمزا لكفاح شعب ضد الارهاب ، ففي فجر الثلاثاء الخامس من ابريل اختطفت عصابة جبانة الطائرة الكويتية (الجابرية ٧٤٧) قبل ساعات قليلة من نهاية رحلتها المقررة رقم ٤٢٢ من بانكوك الى الكويت ، وعلى متنها ركاب أبرياء وعلى مدى خمسة عشر يوما بعد ذلك التاريخ ومحنة الطائرة وركابها حديث الاعلام العالمي لقد انصبت التحليلات الصحفية والسياسية العالمية مع مرور الوقت على محنة الركاب،وعلى الدرس البليغ الذي لقنه للخاطفين ، بلد صغير في مساحته وعدد سكانه ، قوي بمبادئه وارادته ، هذا الدرس:انه لاتنازل للارهاب ، ولاتحقيق لاهدافه

وكان موقف الكويت التي عانى ابناؤها من مجمل ذلك الارهاب الذي تتوارى عنه خجلا شريعة الغاب ، موقف العزة والاباء العربيين أمام العالم أجمع ، لقد قالت الكويت « لا » لعصابة باعت نفسها للشيطان ، وقالت « لا » لمحركيهم وأسيادهم

ولم يكتف الجناة بترويع الآمنين وتعذيبهم القسري بنقلهم من مطار الى آخر ، في ظروف شديدة الخطورة ، بل قاموا ـ وذاك أفظع من أن يوصف ـ بتفريغ رصاص مسدساتهم بوحشية ليس لها نظير في رأس مواطنين كويتيين عربيين مسلمين هما الشهيدان عبد الله الخالدي وخالد أيوب بندر ، لاذنب جناه وإنما لكونهما ينتميان لهذا البلد المعطاء ، بلد التكافل والتراحم ، بلد الاسلام قولا وعقيدة وعملا وقدمت الكويت على طريق تثبيت استقلالها وسياستها شهيدين آخرين في مسيرة شهداء سبقوا الى ربهم

وظهرت الكويت أمام العالم صفا واحدا في تجاوز المحنة ، وعندما ودعت شهيديها كان ذلك تحت رذاذ المطر الذي مثل دموع الآلاف،ليس حزنا على من قتلا غدرا فقط ، ولكن قهرا لتلك الطريقة الهمجية الجبانة في قتل ركاب عزل الا من ايمانهم بربهم ووطنهم وقوميتهم

وعايش بقية الركاب أيام الاحتجاز الطويلة ،وصارعت ارادتهم ـ وان كانت حبيسة في الظاهر ، لكنها في الحقيقة مطلقة لانهم شرفاء أحرار ـ صارعت إرادتهم ارادة مختطفيهم ـ وإن كانت مطلقة في الظاهر الا أنها حبيسة حقدهم وتبعيتهم ـ وصرعت إرادة المخطوفين إرادة الخاطفين وكما علمنا التاريخ فإن الحق يزهق الباطل .

وخرجت الكويت الوطنية ، القومية ، المسلمة من المحنة وهي أشد تصميما على اتباع الحق

لقد كانت الجابرية تجربة أرادت بها القوى المعادية للعرب والاسلام وللسلام والمحبة أن تجعل العرب المسلمين مضربا للمثل في الرضوخ ، فصارت تجربة يضرب بها المثل في الصمود والعزة

وكما قال سموأمير البلاد الشيخ جابر الاحمد عند انتهاء المحنة

(إن منهجنا أن ندين العدوان ، وأن ندافع عن أرضنا ، وأن نقيم ميزان العدل في وطننا).ولم تستطع تلك الشرذمة ، ولن تستطيع أية شرذمة أخرى مماثلة في المستقبل ، أن تمنع الكويت عن التقدم نحو مقاصدها الكبرى الرامية الى مجتمع انساني عادل في الداخل ،والى سلام وأمن تحكمهما مصالح العرب العليا في الخارج ، ولم تمنع مثل هذه الاعمال الكويت من التزام الحق ونصرته حيثما كان ، واقامة ميزان العدل في القول والحكم ، والوفاء بالعقود والعهود فلقد تواصى الكويتيون بالصبر في المحنة ، وتواصوا بالحق تجاه الآثمين ، وبالحق والصبر انتصر منطق العدل والنور على منطق أصحاب الظلم والظلام

لقد علمتنا محنة الجابرية أنه ليس هناك بلد صغير وبلد كبير ، ولكن البلدان تكبر بارادتها وقيادتها ، وتلك هي الكويت □

المحرر
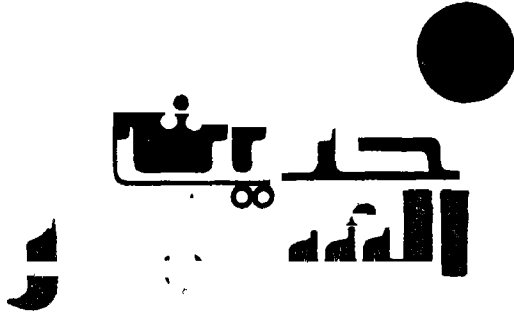
بقلم الدكتور
محمد الرميحي

حين تختفي الأوهام !!

"البيريسترويكا" أو إعادة بناء احدى القوتين العظميين

ليس من سمع كمن رأى .

ولقد رأيت رؤية العين ، وسمعت وقرأت حول ما يحدث اليوم في الاتحاد السوفيتي ، وخرجت بانطباعات عديدة ، فما يحدث في الاتحاد السوفيتي من تغيرات مشاهدة ومستمرة أو متوقعة أمر له أهميته القصوى ، وهو في تقديري يشابه - في أهميته التاريخية - ثورة أكتوبر العظمى سنة ١٩١٧ وتأثيرها على الاتحاد السوفيتي وعلى العالم الغربي وعلى العالم الثالث بما فيه نحن العرب .

لقد رأيت رؤية العين هذه التغيرات الكثيرة خلال عشرة أيام قضيتها في موسكو ولينينجراد ، قابلت فيها عشرات من الأكاديميين والسياسيين السوفيت ، وكنت قبلها قد قرأت ما توافر لي من مصادر غربية وعربية عما يحدث في الاتحاد السوفيتي منذ أن جاء هذا الرجل الذي شده العالم إلى سكرتارية اللجنة المركزية للحزب السوفيتي في مارس ١٩٨٥ ، وأقصد ريب السيد جورباتشوف .

عندما اقتربت الطائرة قبل ظهر أحد أيام الأسبوع الأخير من شهر مارس الماضي من مطار موسكو الدولي ، أطللت من النافذة فوجدت أن الثلج قد بدأ يذوب في الشوارع المحيطة ، وهو ذوبان مبكر على شتاء موسكو التقليدي ، عندها قلت في نفسي : هل هذا الذوبان المبكر للثلوج يعد نتيجة التغيرات الجديدة الحادثة في الاتحاد السوفيتي ؟

بالطبع الأمر ليس كذلك ، ولكنها مقاربة لا يستطيع الكتاب أمثالنا إلا تصورها حتى لو كان ذلك في مخيلتهم فقط .

وبعد المشاهدة والتجوال والنقاش وتصفح وقراءة الكثير من الوثائق ، أستطيع أن أقول إن هناك مجموعة من الحقائق التي تبدو بارزة للعيان في هذا البلد الكبير ، منها أن الاتحاد السوفيتي في طريقه الى التغير ، وهو تغير لصالح الاتحاد السوفيتي نفسه في المقام الأول ، كما أنه تغير - ليس باتجاه التخلي عن النظام الاشتراكي لاعتناق النظام الرأسمالي كما يحلو لبعضهم أن يتوهم - لكنه تغير لاصلاح النظام الاشتراكي كما يعتقد القائمون به .

هذا التغير ليس سهلاً ، فهناك بعض النتائج غير المحسوبة التي قد تأتي مع هذا التغير - إن تفاقمت - فقد يعتبرها البعض اتجاها الى الرأسمالية ، أو على أقل تقدير فشلا في الاشتراكية وبنائها النظري والتطبيقي ، كما أنه تغير ليس سهلا ، لأن هناك مقاومة ، بعضها واع وبعضها عفوي ، كما أن هناك ضغوطا خارجية ليست هينة

وهناك بعد ذلك الكثير من التفسيرات المقدمة لأسباب التغير . لماذا التغير ، ولماذا إعادة البناء (البيريسترويكا) ولماذا العلنية أو الديموقراطية (الجلاسنوست) أهم كلمتين وأكثرهما ترديداً في القاموس السياسي اليومي في الاتحاد السوفيتي في الفترة الأخيرة ؟ !

لماذا هذا النقاش الواسع الملحوظ بين الدوائر السوفيتية المختلفة ، وبينها وبين العالم وخاصة العربي ؟

هناك الكثير من التفسيرات - سنعرض بعضها في ثنايا حديثنا هذا - ولكن هناك تفسيراً أعم عدت من الاتحاد السوفيتي مقتنعاً به ، هذا التفسير هو أن هذا العملاق الضخم - الدولة العظمى الثانية في كوكبنا - تشابه رجلا له عضلات ضخمة وصدر منتفخ ولكنه يعاني من نقص هائل في قدرة احتمال ساقيه للنهوض بهذا الجسم الهائل ! ! وهو الآن يعالج هذا الخلل .

نعم ، فالاتحاد السوفيتي يحتاج الى فترة سماح ، فترة إعادة التفكير بكيفية تقوية هاتين الساقين كي تتناسبا مع بقية الجسم الضخم .

هذا بالتحديد ما يمكن أن يسمى باعادة البناء ، وطريقه (العلنية) والنقد ، وهدفه أن يقف الاتحاد السوفيتي ندا حقيقياً للعملاق الآخر وهو بالتحديد الولايات المتحدة .

وفي الطريق للوصول الى هذه الموازنة بين العملاقين ، هناك الكثير من التكتيكات والكثير من تعليق الأخطاء على المشاجب الجاهزة ، وأيضاً الكثير من التغيرات الفكرية التي قد يبحث لها عن نص هنا أو هناك لدى من سلف من المفكرين أو رجال الدولة الاشتراكية ، مثلهم في ذلك مثل أي مجتمع إنساني ، عندما يريد أن يتقدم فإنه يبحث في أوراقه القديمة .

في تقديري أن شرح ما يجري في الاتحاد السوفيتي اليوم ومحاولة رصد المسارات التي يتخذها ، وتحديد أهداف واضحة لنتائج هذه المسارات عملية فكرية صعبة ، كما أنها تحتاج إلى مساحة أكبر من مجموعة قليلة من الصفحات ـ وهذه الصعوبة في تصوري تكمن في أن هناك أربعة مستويات رئيسية يجري فيها التحرك الحالي في الاتحاد السوفيتي ، تتبعها مجموعة كبيرة من القضايا الفرعية الناتجة عن تلك المستويات الأربعة والمستويات الأربعة التي يمكن رصد التغيرات الحادثة فيها هي

أولاً . الايديولوجيا

ثانياً . الاقتصـــاد

ثالثاً . البيروقراطية

رابعاً العلاقات الخارجية

●●●

هذه المستويات الرئيسية كما قلت قد ينتج عنها تفاعل متسلسل في قضايا أخرى مهمة كالعلاقات الاجتماعية الداخلية والموقف من القوميات والموقف من الدين والعلاقات بالعالم الثالث ومجموعة أخرى من التفاعلات التي قد لا يكون مخططا لها أو يمكن احتواؤ ها

سأتناول بالتفصيل القضايا الرئيسية الأربع ، محور التحرك الجديد في الاتحـاد السوفيتي ، ثم أحـاول أن أعرض ولـو بإيجـار التداعيـات المحتملة اللاحقة

أولاً ـ الأيديولوجيا .

لعل أهم قضية من قضايا (البيريسترويكا) المرفوعة شعاراتها في كل مكان في الاتحاد السوفيتي هي قضية (الايـديولـوجيا) أي الفكـر الماركسي اللينيني أو الفكر الاشتراكي ومدى مواكبته للعصر وتوضع هذه القضية في تساؤ ل محدد . ما مدى قدرة هذا الفكر على التكيف مع الظروف المستجد للواقع الانساني ؟

لقد طرأت على هذا الفكر في السابق بعض التحـولات والتغيرات ، بصت في معظمها على تكتيكات التطبيق ، كما تلونت هذه الايديـولوجيـا بألوان الثقافات الانسانية التي اعتنقت هذا المذهب السياسي ، فأصبح هناك اجتهادات صينية مثلاً أو إيطالية أو فرنسية وحتى روسية ، ولكن بقيت بعض المقولات شبه ثابتة ، منها مثلاً التخطيم المركـزي للاقتصـاد ، وتجاهـل قوى السوق وميكانيكيته ، وعدم تشجيع المبادرات الاقتصادية الفردية والجماعية ، وأهم من ذلك الملكية العامة لوسائل الانتاج وطرق إدارتها . تلك بعض من المقولات شبه الثابتة

هـذه المقولات الآن تتعـرض للنقد ، وحتى النقض وتشـير بعض الكتابات في هذا الأمر الى اجتهادات حديثة مبررة لهذا النقد والنقض ، منها مقالة مشهورة نشرها اندرونوف في سنة ١٩٨٢ مُلخصهَا أن « الاشتراكية حالة أوجه » بمعنى أنه يمكن تفسير النصوص التي قال بها منظرو الاشتراكية الأوائل ومن جاء بعدهم بمرونة شديدة ويقول أحد الأكاديميين السوفيت للكاتب عند مناقشة هذا الأمر مازحا السحرية بالحد « إننا نعرف على وجه اليقين ظروف مرحلة العبودية الانسانية وكذلك ظـروف مرحلة الاقـطاع ، وأيضاً عوامل ظهور واندثار الرأسمالية ، ولكن الانسانية لم تمر بشكل كامل بمرحلة الاشتراكية ، لذلك فإن ما يحمله تطورها المستقبلي غير معروف لدينا » ويضيف بدعابة لها معنى . إن كان التطور جيداً وإيجابياً فهذا من محاسن الاشتراكية ، وإن كان عكس ذلك فإنه من عيوب الرأسمالية ! !

ولكن الأمـر أكثر جـدية من ذلـك فالكثـير من المحللين السوفيت يبحثون بجد ونشاط عن مقولات وأفعال للينين تؤيد الفكر الجديد ، فكـر (إعادة البناء) ويبصب نقـدهم على أن مـاركس وأنجلز مؤسسي الفكر الاشتراكي كانا مثاليين ، اعتقدا بإمكانية إيجاد مجتمع جديـد مثالي يتعـدى شرور المجتمع الرأسمالي كما عرفوه ، مجتمع ليس فيه مكان لأن تتحكم السلعة في العلاقات التي تربط الأفراد ، وبالتالي تختفي منه الدولة ـ كما اعتقـدوا ـ كتنظيم ، وتنظم جماهير العاملين نفسها لرعاية المصالح العامة

يعتبر كثيرون اليوم تلك الأفكار مثالية ، بدليل أن لينين عندمـا أنشأ الدولة ، فإنه أقامها بمعزل عن تلك الأفكار المثالية نتيجة احتكاكه بالواقع ، فشرع فيما سمي « بالسياسة الاقتصادية الجديدة » (NEP) بإعادة الاعتبار الى نظام « السلعة مقابل النقود » كما أعاد فيها الاهتمام بنظام الدولة على أساس بها (تشكل الحاجز الذي يحول دون التعدي على مصالح العمال)

لقد وضع لينين ـ في اعتقاد كثير من الكتاب السوفيت اليوم ـ قـواعد اقتصادية عملية لبناء الاشتراكية ، ولكنهم يقولون إن تلك الخطط قد تنكر لها

من جاءوا بعده وأحلوا محلها طررا من الاشتراكية مجهصة . وتتحكم الدول فيها بالنظام الاقتصادي عن طريق مركزية التخطيط ، واقتصرت فيها العلاقة التي تقوم على أساس (السلعة مقابل النقود) على مجرد التقيد بالسجلات . وحلت الايصالات الورقية محل تسلم النقود الحقيقية ، وتحولت فكرة الاشتراكية - كما يقول هؤلاء النقاد - من « مملكة الحريات » الى « مملكة الضروريات » واقعياً

من الخروتشوفية ... الى الجورباتشوفية

لقد شوهت الاشتراكية في عهد ستالين ، كما تقول الكتابات السوفيتية الحديثة ، وأصبح الشكل - وهو تأميم وسائل الإنتاج وسيطرة الدولة - يعني عن المحتوى ، وهو تمثيل مصالح الشعب ، وادت زيادة تدخل الدولة الى « ملكية الدولة لوسائل الانتاج » وهي تختلف عن « الملكية العامة لوسائل الانتاج » . ملكية الدولة أدت في نهاية الطريق الى عبادة الفرد !

ولقد سار الاتحاد السوفيتي ، كما يقول هؤلاء النقاد على مسار الخطط الاقتصادية التي وضعها ستالين حتى بعد غيابه . وحدثت محاولات إصلاحية خاسية متفرقة هنا وهناك بعد ذلك ، ولكن المسار استمر ، ومن مظاهره تحكم مركزي تمارسه الدولة في عموم الحياة الاقتصادية لا يعير اهتماماً بالتكاليف غير المطورة ، وهو تحكم فرض هيبة المؤسسات الرسمية التي زادتها البيروقراطية تعضيداً ورهبة .

لقد جرت محاولات لاصلاح هذا الوضع ولكنها باءت بالفشل جرت المحاولة الأولى سنة ١٩٥٦ ، ثم كانت بعد ذلك المحاولة الثانية سنة ١٩٦٤ بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ، ولكنها أنتجت فقط (الخروتشوفية) وهي انفتاح جزئي على العالم الخارجي .

وما نحن بصدده هو المحاولة الثالثة للاصلاح سنة ١٩٨٥ وتبدأ (بالبيريسترويكا) أو الجورباتشوفية .

تزخر الصحافة السوفيتية في مرحلة الاصلاح الثالثة بالمناقشات والاقتراحات . بعض هذه الكتابات ما زال ينظر الى المرحلة الستالينية بنظرة إعجاب ، بل ويظهر ذلك في اعلى المستويات حتى في المكتب السياسي وليس بخاف موقف إيجور ليجاتشيف الذي وافق على نشر مقال في إحدى المجلات السوفيتية يدافع عن ستالين - أثناء غياب جورباتشوف في زيارة إلى يوغسلافيا - في مارس الماضي - وقد أعيد طبع المقال في معظم الصحف والجرائد الإقليمية . وبعد اثنين وعشرين يوماً ظهر مقال آخر يعارض ذلك المقال ويشيد بسياسة إعادة البناء .

"بيريسترويكا"
...ـل هي
فكار
...ـرد
ومحصلة
تفاعل
بين
فكار
...ـدّة
جيال ؟
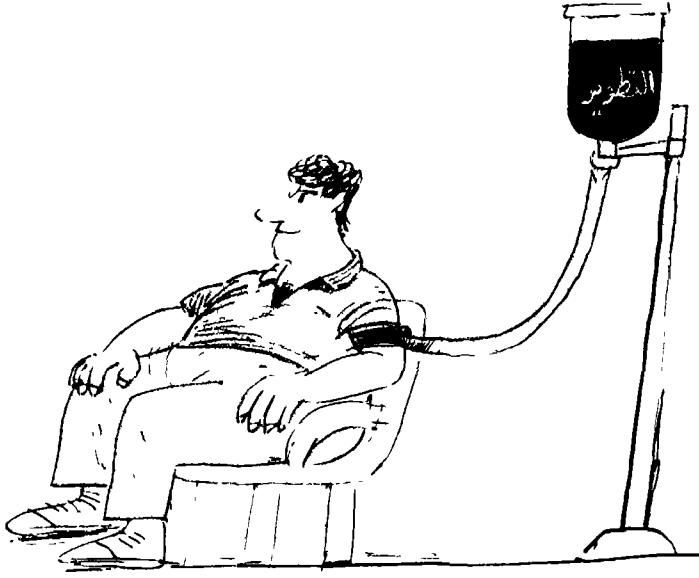
هذا الحوار ـ وإن شئت الصراع ـ يمكن أن تلاحظه في أكثر من مكان ، إنه ليس صراعاً بين الجيل الجديد المطالب بإعادة البناء والتغيير وبين جيل (بعضه فاسد ومرتش) كما أطلق عليه بعض الكتاب فقط ، ولكن هناك طرفا ثالثا ـ وهو الأكثرية ـ خائف ووجل من سرعة هذه التطورات . فقد قال لي أكاديمي وصحفي بارز : لقد كنا نشتكي من قلة التعددية محصورين في الرأي الواحد ، فأصبحنا بين عشية وضحاها نشتكي من كثرة التعددية حتى لم نعد نستطيع متابعة الآراء والأفكار الجديدة . . !

هذه التغيرات ـ على كل حال ـ ليست وليدة اليوم ، وليست من بنات أفكار السيد جورباتشوف فقط ، لقد كانت تتفاعل في داخل المجتمع السوفيتي منذ سنوات ، وقد عبرت عنها بعض الفئات والأفراد في بعض الأوقات ، لكنها نضجت في السنوات الأولى من الثمانينيات وظهرت بوضوح بعد أن وصل من يعتنقها الى السلطة . فليس من اليسير فهم إصدار كل هذه التشريعات في السنوات الثلاث الماضية ، وكذلك قبولها بسرعة في الاتحاد السوفيتي ، إلا لأن الظروف الموضوعية كانت جاهزة لهذه الولادة .

ما هي أصول الحكمة الشعبية التي تقول: لا بطالة في الاتحاد السوفيتي ولكن لا أحد يعمل!

لقد غير جورباتشوف منذ قدومه الى السلطة في كثير من وجوه مواقع المسئولية العليا سواء في اللجنة المركزية أو - وهو المهم - في أعضاء المكتب السياسي

بعض التغيرات تمت لأسباب قدمتها الظروف ، كاحتراق طائرة المغامر الألماني لحواجز الدفاع الجوي السوفيتي ، أو لأخطاء وقعت في أماكن العمل ولكن الجدل في التغيرات منصب على أن التغيير جرى في الأفراد لا في سياسات وممارسات تاريخية طويلة ، كما أن شعار الديموقراطية والعلنية يمنع جورباتشوف من الإطاحة (غير الديموقراطية) بالمعارضين من الحرس القديم

لقد كانت المشاكل تتراكم وتكبر وتصيب الجسم بالجروح بل وبالتقيح ، ولكنها لم تكن تظهر على السطح . (العلنية) هي التي أظهرتها تفاقم هذه المشاكل دفع البعض الى أن يحث الخطا في عمليات الاصلاح الى درجة الإرباك ، وكانت قضية (بوريس يلتسن) الذي طالب بإزالة امتيازات لأعضاء الحزب والدولة ، والاسراع في خطوات الاصلاح عن طريق العيش مع معاناة الشعب (كالذهاب الى العمل بالمواصلات العامة ، والوقوف في طوابير لشراء اللحم) هذا التسرع أحرج المطالبين بإعادة البناء ، ولذلك أعفي يلتسن من منصبه إلا أن التغيرات سوف تكون طبيعية وتدريجية ونتيجة لتغير تركيب الحزب الشيوعي السوفيتي نفسه في السنوات الأخيرة ، والذي يضم الآن حوالي عشرين مليون رجل وامرأة

في العشرينيات كان عدد أعضاء الحزب لا يتجاوز مليونا ومائتي الف عضو ، القسم الأساسي منهم لم يتجاوز تعليمه الابتدائي (٨٨٪) ، بينما في الوقت الحاضر يشكل الأعضاء الذين أكملوا الدراسات الثانوية والعليا حوالي ٧٩٪ ، أهم من ذلك أن ٩٠٪ من العشرين مليونا الذين يشكلون عضوية الحزب اليوم ، انضموا إليه بعد الحرب العالمية الثانية ، بينهم ٣٢٪ تقريبا انضموا للحزب في العشر سنوات الأخيرة هذه الاحصائيات تعني أن « الحرس القديم » أقلية رمزية فحسب

ورغم أن هذا العدد الكبير لأعضاء الحزب يشكل عبئاً على حركة التجديد ، ويرجع البعض الى بعض مقولات لينين أيام الصراع الحزبي المبكر قبل الثورة ومنها « أن قوة الحزب في تطهير نفسه » عطفا على إمكانية التطهير والغربلة ، إلا أن القوى الجديدة واثقة من نفسها إلى درجة أن القيادة قد دعت الى « كونفرنس » وهو أقرب ما يكون - بالعربية - الى المؤتمر ، ولكنه ليس مؤتمراً تنظيمياً وسياسياً على غرار المؤتمرات العادية ، إنما هو (كونفرنس) عقائدي ، هو العشرون من حيث العدد ، ولم يعقد هذا (الكونفرنس) منذ

ستة وأربعين عاما (آخر كونفرنس عقد سنة ١٩٤٢ لاعداد البلاد للحرب العظمى الثانية)
(الكونفرنس) هذا سوف يعقد في نهاية هذا الشهر (٢٨ حزيران / يونيو ١٩٨٨) وهو بالغ الأهمية لوضع عقيدة (البيريسترويكا) موضع التنفيذ ، وضخ أفكار رجال ونساء جدد في شرايين الحزب على قاعدة « الايديولوجية الجديدة » إنها بالتأكيد ليست « الأيديولوجية القديمة »

ثانياً ـ الاقتصاد :

التغير في الموقف الايديولوجي هو في حقيقة الأمر سبب اقتصادي فالدولة السوفيتية التي هي واحدة من دولتين عظميين تمتلك كل الأسلحة (والعضلات) كي تكون عظمى ، ولكنها فقيرة ، أو قل خاوية في الهياكل الاقتصادية فالإدارة الاقتصادية وتوزيع الموارد ، والتقنية ، والخدمات التي يحتاجها الشعب كلها يشوبها عطل مزمن ، ومن (الحكم) الشعبية المرة التي كان الناس يتداولونها في أواخر عهد بريجنيف حكمة تقول « لا بطالة في الاتحاد السوفيتي ، ولكن لا أحد يعمل ! ! ولا أحد يعمل ولكن الخطة الخمسية تطبق تتفوق ! ! الخطة تطبق ولكن لا شيء في المحلات ! ! لا شيء في المحلات ولكن كل شيء يوجد في كل بيت ! ! »
هذه الطرفة الشعبية تعبر عن اللامعقول في الفترة الماضية ، ويمكن تسميتها في أدبيات اليوم بفترة « الركود الاقتصادي »
ولكن هذه الفترة لها تعبيرات أكثر حدة ، يصفها جورباتشوف نفسه في كتابه بقوله (في النصف الأخير من السبعينيات ، حدث شيء ما في البلاد لم يكن قابلا للتفسير من الوهلة الأولى ، بدأت البلاد تفقد زخمها ، فالإحباطات الاقتصادية أصبحت أكثر تكراراً ، وبدأت المشاكل تتراكم والوضع يتدهور ، وتضاعفت المشكلات التي لم تجد لها حلا ، فإن نوعية من آلية الكبح قد تشكلت لتؤثر على كامل نحو التطور الاقتصادي والاجتماعي . . فانخفضت معدلات نمو الدخل القومي الى أكثر من النصف ، وفي بداية الثمانينيات انخفض هذا المعدل ليقترب من مستوى الركود الاقتصادي . وهكذا أصبحت البلاد تفقد مواقعها واحدا بعد آخر) .
هذا النص يجمل الأزمة الاقتصادية السوفيتية في الخمسة عشر سنة الأخيرة ، وهناك نصوص تستخدم الأرقام لتدلل على نفس النتيجة ، وأصبح اللوم منصبا على إدارة الاقتصاد التي تنتج مثلا جرارات من نوع معين لا يحتاج

اليه المستهلك ، بينما هناك نقص في جرارات أخرى يمكن لنفس المصنع وبنفس المواد إنتاجها

ويتهكم أحد الكتاب على التخطيط المركزي الأعمى للاقتصاد بقوله (المخططون يفعلون ما يريدون . . والوضع الأفضل الذي يعشقونه هو عندما يبدأ الجميع بالاستجداء) ، ولقد كان هذا القول لسنوات قليلة خلت يورث قائله تذكرة سفر بلا عودة الى سيبيريا !

ولكن مثل هذا القول يردد على كل المستويات اليوم ، والهدف هو الوصول إلى إدارة للمشروعات المختلفة بطريقة (اقتصادية) تتحمل الربح والخسارة ، فالمشروعات الرابحة يكافأ مديروها وعمالها ، أما الأخرى فيجازى القائمون عليها إلى حد البطالة !

لقد أدى التخطيط المركزي الى فوضى في الانتاج وتشير بعض الدراسات الى أن ٢٥ / من إنتاج بعض المصانع إنتاج إما غير لازم أو إنتاج غير صالح ، وهناك ملايين الأحذية وملايين الأمتار من القماش لا يوجد - ببساطة - من يشتريها ، كما أن الدين الداخلي قد وصل الى أرقام فلكية ، فقد قامت المزارع الحكومية (الكولخورات) والمزارع التعاونية (السوفخورات) بالاستدانة من الدولة آلات ومحصلات ، ولكنها لم تسدد دينها ولم تعوض ما استدانته !

لذلك فإن التفكير الجديد ينصب على مبادىء منها العودة الى آليات السوق والربحية والإلغاء التدريجي للمنشآت الصناعية أو الزراعية ذات الكلفة غير الاقتصادية ، وإعادة النظر بمسألة الأسعار التي يجب أن تكون اقتصادية أيضاً

كل تلك العمليات تحتاج الى زمن ، ولكن القرار السياسي قد اتخذ ويبقى فقط شكل التطبيق والذي قد يتصف بالمرونة الكبيرة . وقد صدرت القوانين بالفعل لتقنين الأعمال الفردية وتحديد أعمال (المقاولات) الشخصية والعائلية ، وإنشاء التعاونيات الحرفية في قطاعات إصلاح السيارات مثلاً ، او إدارة المطاعم والمقاهي الخاصة ، بل وسمح لبعض المؤسسات الاقتصادية بالتعامل مباشرة مع شبيهاتها أو عملائها في خارج الاتحاد السوفيتي ، وأصبح هناك مشروعات مشتركة سوفيتية من جهة وإيطالية أو فرنسية أو سويدية من جهة أخرى بل لقد شاهدت العمال يعملون ليل نهار في مجموعة من المباني الضخمة في أحد شوارع موسكو ، وعندما سألت عما تحتويه هذه المباني قيل لي : أنها فروع للبنوك الأجنبية ! !

إنه الابتعاد عما يسميه البعض « شيوعية الثكنات » الى « الاشتراكية الواقعية » .

كيف تحصل على تذكرة سفر الى سيبيريا بلا عودة ؟

ثالثاً ـ البيروقراطية (الحيزبون) :

اذا كانت القضايا الفلسفية والفكرية سهل التعامل معها ، سواء كنت ضدها أو معها ، فإن الصعوبة الكبرى في تحويل اقتصاد مركزي مخطط استفادت منه طبقة كبيرة ونامية من البشر وتحكمت فيه بيروقراطية دولة ، إلى اقتصاد مرن يقارب « قوانين السوق » ان العقبة الكئود هي البيروقراطية التي تضخمت في ظلها الرشاوي والسرقات والاختلاس وسوء استغلال الوظيفة وتفشي السوق السوداء والبيروقراطية السوفيتية ليست جديدة فهي الابن الشرعي لبيروقراطية الإمبراطورية الروسية ، ضخمها تحكم الدولة (الاشتراكية) في كل شؤون الحياة تعقيداً ، فعشرون في المائة مثلا من الانتاج الزراعي السوفيتي يذهب سدى نتيجة للتحرين البيروقراطي ، وقد كتب أحد المعلقين السوفيت عن البيروقراطية يقول (البيروقراطية ليست فتاة ولدت بالأمس ونمت نمواً سريعاً ، وإنما هي حيزبون رسم أجدادنا ملامحها الوراثية)

البيروقراطية في الاتحاد السوفيتي تتلخص في كثرة كتابة الوثائق من جهة ، وفي عدم معرفة من يتخذ القرار في نهاية المطاف عندما تتضخم الوثائق وتنتفخ من جهة أخرى

فك حبال البيروقراطية من حول رقبة الاقتصاد والمجتمع السوفيتي عملية بالغة الصعوبة ، ومعقدة ، بل هي أهم العقبات أمام (إعادة البناء) فالتطرف في المركزية قاد الى تحكم جهاز الدولة في أصغر الصغائر في حياة الأفراد والمؤسسات ، وأصبح رجال الدولة يقومون باحتكار كل مصادر الحياة ، وقد خلق ذلك طريقاً مسدوداً للاقتصاد والمجتمع على حد سواء

يعزز هذا الطريق المسدود ما درجت عليه الادارة المكتبية السوفيتية من افعال في سنين طويلة ، وما خلقته من التهيب من كل جديد في ظروف غيابة الفرد والنزعة المركزية ، ويقع الانسان السوفيتي العادي أمام معضلة ثنائية طرفاها:ما يتحمله من منغصات وهموم تخلقها ندرة السلع الاستهلاكية الجيدة التي يرى أنه يستحقها ، وطرفها الثاني نفوره من (الفرديين الأوغاد) والذين لا هم لهم إلا الركض وراء « الربح الفاحش » . بسبب هذا الموقف التاريخي لمضاد تتعثر تنمية النشاط الفردي والتعاوني أمام عدم رغبة السوفيتي العادي في لتغيير ، لذلك يقوم بوضع العقبات البيروقراطية الكثيرة أمام الأفكار لجديدة .

قول السوفيت بالعادة والتقليد وما درجوا عليه في السابق ومقاومتهم للتغيير يدلل عليه الكثير من الكتاب في واقعة إدانة عبادة الفرد في المؤتمر العشرين للحرب التيوعى السوفيتي سنة ١٩٥٦ . وقتها تشكلت تلك الإدانة اهيارا لمثل الكثيرين الحياتية ، ولم يقبلوها إلا بعد فترة وعلى مضض والبوم تتجلى انعكاسات الخوف من التغيير المتأصل في ذاكرة الأجيال الاجتماعية في مقاومة نزعات التجديد والعلانية وهدم القوالب الاقتصادية المعتادة .

فوقائع مثل سوء التدبير الاقتصادي ، وعدم التوازن بين العرض والطلب ، ودفع أجور مقابل عمل سيىء ، أو مقابل عمل غير ناجز ، أو بعثرة المال العام في إنتاج سلع لا تستهلك ، أفضل لدى الكثيرين من نشاط اقتصادي فردي من شأنه أن يضعف الروح الجماعية كما يعتقدون

يكفي العالم أن يدمر مرة واحدة

رابعاً - العلاقات الخارجية

تفرض سياسة إعادة البناء مجموعة من الاعتبارات على الاتحاد السوفيتي على رأس تلك الاعتبارات إقامة وفاق مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة والبعض يسارع الى فهم هذه الخطوة على أنها (تنازل) سوفيتي - وقد تبدو كذلك للوهلة الأولى - الا أن التفكير الاستراتيجي للسوفيت يقول ببساطة لماذا نكدس الأسلحة النووية الضخمة والكثيرة ، يكفي العالم أن يدمر مرة واحدة فقط ! !

وعندما تفكر في هذا الموضوع فإن العين البصيرة لا تخطىء منطقيته ويضيفون أيضاً . أن تجربة هيروشيما ونجازاكي قد علمت العالم درسا ، ولكنا تعلمنا درساً أكبر منه وأفدح في كارثة (تشيرنوبل) . ان هذا المارد المسمى بالأسلحة النووية يمكن أن يدمر العالم إلى درجة غير متخيلة عند الكثيرين اليوم ، فهناك إما عالم واحد متعايش أو لا عالم

يقول لي ايجور بريماكوف عضو اللجنة المركزية الجديد . (عديد من الأساليب والتطلعات الجديدة يحددها العصر الذي نعيشه نحن نفهم الحاجة الآن إلى الموقف الواقعي ، وإذا لم تكن السياسة هي الواقعية فإن ذلك سيؤدي الى هلاك البشرية ، نحن نحكم على العلاقات الدولية بمعيار واحد هو هل تؤدي الى استقرار الوضع الدولي أم لا ؟)

هذه الواقعية تعكس كما قلت الحاجة الكبيرة « لفترة الاستقرار » التي يريدها الاتحاد السوفيتي من أجل ترتيب البيت من الداخل يضيف البروفسور أوليج بيرسبيكن عميد الأكاديمية الدبلوماسية وعضو ديوان وزارة الخارجية السوفيتية على ذلك بالقول (ان الهدف الأول للاتحاد السوفيتي ا

ما هي سمات "الواقعية" و"الاستقرار" لإعادة ترتيب البيت السوفيتي من الداخل؟
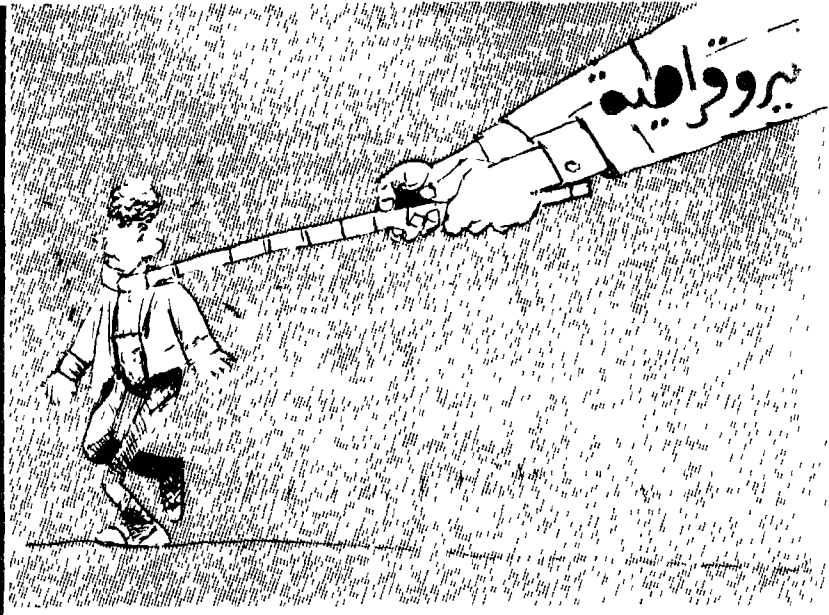
السياسة الخارجية هو ضمان الأمن الشامل للانسانية ، لأننا وصلنا الى قناعة أن البشرية لا تستطيع العيش والازدهار إلا في ظروف السلام ، لذلك نسعى جادين لتخفيض ترسانة السلاح النووي ولا نتعامل في هذا الموضوع بطريقة حسابية بحتة ، كم عددنا من الصواريخ وكم عددهم ؟ نحن قدمنا فكرة جديدة هي « الكفاية المعقولة في الدفاع »)

من هذا الاطار الشامل تتفرع اهتمامات الاتحاد السوفيتي الدولية . ويصف سياسيو الاتحاد السوفيتي الصراعات المختلفة في العالم بأنها جروح دامية على سطح الكرة الأرضية (ولا نعرف أياً من هذه الجروح مميتة) في إشارة الى أن أي واحد منها يمكن أن يتفاقم كي يسبب صراعاً بين العملاقين ، لذلك لا بد من تطبيب هذه الجروح بالطرق السياسية . ولعل ذلك ما فعلوه في افغانستان ، وهو ما يطالبون به في الشرق الأوسط ، سواء في فلسطين أو في حرب الخليج .

من الملاحظ أيضاً أن اهتمام الاتحاد السوفيتي بتقوية المنظمات الدولية يأخذ طابعاً نشطاً (ونحن نعتبر أن الأمم المتحدة ليست مكاناً للمواجهة مع الغرب وإنما مكان للتفاهم) .

هكذا يقول لي أحد المتخصصين السوفيت (لذلك نحن نهتم مثلاً في موضوع فلسطين بعقد مؤتمر دولي كامل الصلاحية ، كما أننا ندرس تقديم اقتراح أن تكون إحدى دول عدم الانحياز عضواً دائماً في مجلس الأمن)

هل تتقدم الأيديولجيا على العقل السليم ؟

وكذلك (نعزز التعاون مع كل المؤسسات الأقليمية كالجامعة العربية ـ ومجلس التعاون الخليجي) .

ولا يستطيع المراقب إلا أن يلحظ النشاط الدائم للاتحاد السوفيتي السنوات الأخيرة على الصعيد الدبلوماسي من البرازيل الى استراليا يقو بيرسيكن (في الماضي كانت علاقتنا مع العالم علاقة تصب في قوالب جاهزة وفهم محدود منبثق فقط من فهم ايديولوجي ضيق الأفق ، أما الآن فنحن منفتحون ومستعدون ، ليس فقط أن نسمع ، ولكن أن نتعاون أيضاً) ، يبتسم ويقول (إن الايديولجيا لا تتقدم على العقل السليم)

●●●

ويبقى كثير من الملاحظات حول السياسات الجديدة للاتحاد السوفيتي وكما قلت هناك نتائج غير محسوسة لهذه السياسات ، منها مثلاً موضو الأديان ، فالاتحاد السوفيتي يستعد هذا العام للاحتفال بمرور ألف عام ع دخول المسيحية للبلاد وهي مناسبة تثير كثيراً من القضايا ، ليس بالنس للمسيحية فقط ، ولكن للأديان الأخرى بما فيها الاسلام ، فالمسلمون الاتحاد السوفيتي يشكلون ثقلاً هاماً في تركيبته السكانية ، بل هناك حوار بد لا يخلو بعضه من الشطط حول مستقبل المؤمنين في جمهوريات الاتح السوفيتي . وتعد الأوساط الأكاديمية دراسات جديدة حول موقف الفك الجديد (البيريسترويكا) تجاه الأديان . كما نشطت حركة سمت نفس « حركة الذاكرة » بإصلاح الكنائس لكن تحت غطاء ثقافي

سوف يكون هناك تناقض حاد في ظل (العلانية) إن اتخذت الدو موقفاً قمعياً من الأديان ، وتلك قضية معلقة لم تحل حتى الآن وقض أخرى هي الموقف من القوميات ، وقد أطلت بالفعل مجموعة من القضا الساحنة في صراع علني بين بعض القوميات في الاتحاد السوفيتي ثم بعد ذل كله نجد أن التنظيم الاجتماعي وحرية القول والعمل والعلاقات الاجتماع الأخرى . . كلها قضايا قد تكون مرشحة للظهور في المستقبل القريب و يتسع المجال للحديث عنها الآن

●●●

عندما أقفلت أبواب الطائرة في مطار موسكو استعداداً للاقلاع ب الزيارة والمناقشات الكثيرة ، تذكرت ما قاله بسمارك مرة :

« إن الروس قد يأخذون وقتاً طويلاً لإسراج خيولهم ، ولكنهم ما يفعلوا ذلك حتى ينطلقوا مسرعين » . □

محمد الرميحي

مجلة اسمها الإسلام

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

أبدأ القصة من أولها ، حين التقى نفر من علماء الاسلام ، من أقطار ومذاهب ، وألسنة وألوان شتى ، وأرادوا أن يصدروا مجلة اسمها « الاسلام » . فهو الرابطة الأساسية التي تجمعهم ، ومن جذوره تتفرع تخصصاتهم ، وعلى أغصانه تنمو زهورهم وثمارهم ، وفي ظله يجتمعون ، ومن أجله يعملون

كان لقاؤهم في المدينة المنورة بعد أداء مناسك الحج ، وقد تطهروا في هذا الفيض المؤمن ، الذي يجمع روافده من كل فج عميق ، وتلقى فيه الحجيج طائفين حول البيت العتيق ، ساعين بين الصفا والمروة ، دافعين إلى عرفات ، حيث اللقاء الأعظم الذي يضم الايمان والاحرام ووحدة الزمان والمكان ، فاذا غربت الشمس أفاضوا إلى المشعر الحرام ومنى ، ثم يطوفون بالبيت العتيق

ومن هناك يحدوهم الشوق والحنين إلى زيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي خاطبه ربه « يأَيُّها النبيُّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِه وسراجاً منيراً » ، (الأحزاب ٤٥ - ٤٦)، فجمع له في هذا الخطاب سبع صفات النبوة - الرسالة - الشهادة - التبشير - الانذار - الدعوة إلى الله وختام الصفات أنه سراج منير

وفتحت له المدينة الأبواب والقلوب ، بعد أن ضاقت مكة وأشرافها بما حمل إليهم من الهدى ، وكان من حكمة الله أن تتحول القبلة إلى البيت الحرام ، وكانت مكة وقتئذ تحت سيطرة قريش ولكن البيت بيت الله ، والحرم حرمه ، والأصنام إلى زوال ، ويبقى التوحيد ليقيم من حوله الوحدة ، رب واحد وانسانية واحدة

قاعة حوار إسلامية ١

وإذا كانت مكة صورة الوحدة والتوحيد ، فإن المدينة هي الصورة الأولى للمجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية وكان مسجدها أول « قاعة حوار » إسلامية في ظل الحكم الاسلامي ، قاعة شهدت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وربطت بين أهلها من الأوس والخزرج ، ونظمت العلاقة بين

من في المدينة من المسلمين واليهود ، ومسئولياتهم في السلم والحرب ، في أول دستور شهدته الدولة الاسلامية

في هذه القاعة لقي المصطفى عليه الصلاة والسلام قادة العرب ، وأحبار اليهود ، ونصارى نجران ، وأعطاهم عهده ، وأفسح فيها مكانا للمسلمين الوافدين ، وللمستضعفين والأرقاء ، دون تفرقة بين لون ولسان وعرق ، ودعا النساء إلى الاسلام ، وتحاورن معه ، وبايعهن ، وقبلن الاسلام ومسئولياته

قاعة حوار من تقاليدها قول الله تعالى « واصْبِرْ نفْسك مع الذين يدْعُون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجْههُ ، ولا تعْدُ عيناك عنهم تُريْدُ زِيْنة الحياة الدنيا ، ولا تُطعْ منْ أغْفلْنا قلْبه عنْ ذكْرنا واتّبع هواهُ وكان أمْرُهُ فُرُطا » (الكهف ٢٨)

ومن تقاليدها « قُلْ يا أهْل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ، ألاّ نعْبُد إلاّ الله ولانُشْرك به شيئا ولا يتخذْ بعْضنا بعْضا أرْبابا منْ دون الله ، فإنْ تولّوا فقولوا اشْهدُوا بأنّا مسلمون » (آل عمران ٦٤)

وقوله تعالى « إنّ الذين آمنوا والذين هادُوا والنّصارى والصّابئين منْ آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهُم أجْرُهم عند ربّهم ولا خوْفٌ عليهم ولا هُم يحْزنُون » (البقرة ٦٢) وفيها يحدد أركان الدين الثلاثة الايمان بالله الايمان بالجزاء الأخروي العمل الصالح في هذه الدنيا

من هذه القاعة الأولى ، من مسجد المدينة ، انطلق الصحابة يحملون أمانة الاسلام بمبادئه السمحة القادرة على التوالد والابداع والانتشار وآمنت به شعوب تولت بنفسها نشر الاسلام فيما وراءها وامتد الجناح الشرقي حتى وصل إلى مطلع الشمس في اليابان وجزائر المحيط الهادي ومدّ الاسلام جناحه الغربي في افريقيا وأجزاء من أوروبا ، وعبر المحيط الأطلسي إلى العالم الجديد وهناك في أقصى الغرب رفع مآذنه لتطل على مياه المحيط الهادي

وفي هذا الامتداد ما تركت الحضارة الاسلامية أفقا من آفاق المعرفة إلا شاركت فيه ، ولا تزال آلاف الوثائق عن هذا الازدهار حبيسة المخطوطات غير المنشورة والمكتبات الخاصة

لم تكن هذه الهواجس المشرقة وحدها في نفوسهم ، وإنما معها هواجس أخرى حزينة ولكن كان من خطتهم تحويل طاقة الحزن إلى تخطيط واضح المعالم يتقدمون به إلى أمتهم وكم كان تأثرهم بزيارة ميدان غزوة أحد ، ورؤية قبور الشهداء ، وفي مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وزيارة مقبرة البقيع حيث يثوى من لقى ربه في المدينة من الصحابة والتابعين ومن أهل بيت المصطفى رضي الله عنهم أجمعين ، ومن العلماء الذين لا زال عملهم وعلمهم نورا مسطورا تتوارثه الأجيال وفي زيارتي للبقيع كنت أحس كأنه معلق بين السماء والأرض أو كأن أرضه سحابة نقية تجمدت ، وصمت هذه الأحداث الطاهرة وفي صمت البقيع حديث تسمعه بغير أذن ، وأنوار تراها بغير عين هنا تلتقي أروع صور الجهاد والعلم والعبادة والزهد والتضحية والاخلاص ، كما يثوي في أرضه من لقوا ربهم أطهارا مظلومين في حروب داخلية دارت بين المسلمين ، من وقت أن وقعت الفتنة الكبرى وأراق المسلمون دم ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه وتتابعت بعد هذا الصراعات والمعارك التي وصلت حتى إلى اقتحام مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومحاصرة الكعبة ، وضرب مكة والحرم بالمنجنيق أكثر من مرة ، في العهد الأموي ثم فتك القرامطة بالحجيج في العهد العباسي ، واجتراء بعض من يحملون اسم الاسلام على الحرمين الشريفين

البدائل الثلاثة

كان أمام هذا النفر من العلماء ثلاثة بدائل ليختاروا منها أولا حديث عن أمجاد الاسلام . وفي هذا أداء لبعض الحق ، ولكن الاقتصار عليه تخدير للعقول ، وانصراف إلى الماضي ، أو بعض الماضي ، عن مسئوليات الحاضر والمستقبل

ثانيا حديث عن الصفحات الدامية وصراعات الداخلية بين أبناء القبلة ، وقد ظلت هذه الصراعات الفكرية والسياسية والحربية قائمة لا تهدأ إلا لتقوم وفي الاقتصار عليها ، أو إعطائها اكثر العناية ما يملأ النفوس ألما وحزنا ، وما قد ينعكس عليها يأسا من الحاضر يمتد إلى المستقبل وسيقول أكثر من قائل إذا كان هذا هو الماضي أو أكثر ، وهذا هو تكوين العقل الاسلامي أو العربي ، فإن عده امتداد لماضيه ، وقد تحدث فيه بعض التعديلات ، ولكن الغالب على قومنا هو هذا الفكر الفردي أو القبلي أو العنصري إنهم لا زالوا أسرى قيود ضيقة ، وولاءات محدودة ، سجلها أكثر من كتاب عن تحليل العقل والفكر الاسلامي والعربي

ثالثا التوجه المستقبلي وأمره ليس باليسير ، وإن كان هو الأكثر قبولا فاختيار المسار يخضع لعوامل متعددة من أبرزها الدفع التاريخي القديم والمواريث التي يتحرك بها المجتمع ، وتكوين القادة أنفسهم وثقافتهم ومكوناتها ، والقدر المحلي والمستورد والابداعي فيها ، ثم القدرة على تحويل الفكرة إلى عمل والعالم الاسلامي لا يحيا معزلا في المجتمع المعاصر ومفاتيح العصر من العلم والتقنية والقوة العسكرية والاقتصادية والسياسية ليست في يديه هو جزء مجرد جزء من هذه الخريطة العالمية ومراكز ثقلها ليست في أرض الاسلام وعلى الذين يخططون للمستقبل أن يكونوا على وعي بكل ذلك وما هو فوق ذلك

وهو السؤال الذي ينبغي على مفكري الاسلام المعاصرين أن يواجهوه بكل الموضوعية هل يلقى تماسك العالم الاسلامي وقوته ترحيبا من القوى العظمى أم أن الأقوياء لا يحبون لغيرهم أن يكون له مقعد على مائدتهم ، المائدة الرئيسية التي يقررون عليها الخطوط الرئيسية للسياسات العالمية ؟

وأثار أحد الباحثين موضوعا .

إن نمو القوة الاسلامية أو بعض قطاعاتها أو بعض دولها ، لن يكون في مستوى واحد هذه طبيعة الأشياء فالموارد الطبيعية والبشرية متفاوتة وكذلك نظم الحكم ، ومدى الحرية المتاحة للابداع الفردي والجماعي ، ثم مدى « ترحيب » جيرانها العرب والمسلمين بقوتها ، ومدى « سيطرتها » على نفسها إذا قويت ، فلا تحاول العدوان على الاخوة الصغار الحجم والمحدودي القوة ولنتذكر أن أوروبا فيها دول عملاقة ، وأخرى متوسطة ودول صغيرة مثل لوكسمبرج ، وإمارات محدودة المساحة في إقليم الريفيرا لها كيانها السياسي المستقل والجميع يتعايشون وأن الأنهار الكبرى كالراين والدانوب تخترقها ، وتمر في أكثر من دولة ولكل دولة ملكيتها في مياهها ، وللتجارة حرية مرورها ، دون صراع على ميناء أو مرسى هذا بعد أن مروا في حروب طاحنة خضبت أرض أوروبا بالدماء ، وهدمت فيها مدن عامرة ، وقضت على ملايين الشباب ثم عاد القوم ليؤمنوا بالسلام ، ومعه القوة التي تحمي السلام ، ثم بالتعايش المتوازن الذي يجمع بينهما أرأيت كم يتشعب بنا الحديث عند اختيار صيغة المستقبل من بين البدائل المتاحة ؟

هدف الحوار بين المذاهب

وقال قائل منهم

آن الأوان أن نحدد رؤوس الموضوعات التي تناولها المجلة بالدراسة ، ولكن أولها كيف كان التفكير فيها ، وأين فمن حق قومنا علينا أن يعلموا ذلك ، وأن يعلموا الهدف الذي نقصده

إن أول الطريق هو تكوين العقل الاسلامي أو على الأصح الحوار حول إعادة التكوين ولنطرح سؤالا تمهيديا يبدأ بما نحن فيه ، ليفتح الطريق إلى ما نريد نتصور كتابا يجمع المذاهب الاسلامية مكتوبا بأيدي قادة هذه المذاهب كتابة موضوعية ليس فيها طعن في مذهب آخر لا يتعامل مع المذاهب دفاعا وهجوما ، وإنما عرضا يستهدف « الثقافة المذهبية » وحدها لك أن تعتبره موسوعة صغيرة أو قاموسا دينيا بحيث يستطيع الشاب المسلم ـ مهما كان المذهب الذي يعتنقه ـ أن يعرف ما عند المذاهب الأخرى وهذه النماذج كثيرة في الغرب

وعلى أساس من فصول الكتاب يحاول كاتب - أو أكثر - أن يستخرج القدر المشترك بين المذاهب وهو المجال الرحب الذي يمكن أن يحدث فيه التعاون ، وتقوى به الروابط وهناك نقاط ينفرد بها كل مذهب ، وهي التي تميزه عن غيره فليعتبرها صاحب المذهب لنفسه دينا أو اجتهادا دينيا ، وهي عند غيره ثقافة ومعرفة ، يمكن أن تتعايش دون تصادم . وعلى هذا تتغيّر المعادلة من صراع مذهبي ، إلى تعاون وتعايش تعاون فيما نتفق فيه ، وتعايش فيما يتميز به كل مذهب - هذا على المستوى الفكري

وهناك مستوى آخر يمكن أن نُعنى به وهو فتح آفاق جديدة ، يحتاج إليها العالم الاسلامي ، أود قبل أن أطرحها أن أبين أن فصول الكتاب المقترح عن المذاهب الاسلامية ، وما يدور حولها وبعدها من إقامة الجسور والمعابر ، وهي موضوعات مقترحة للمجلة ، تحت عنوان « الحوار المذهبي » وهو حوار هادف يتحرك في إطار المزيد من التعاون والتقارب والتعايش

قراءة التاريخ العربي والاسلامي :

واقترح زميل باباً آخر هو « قراءة التاريخ العربي والاسلامي » ومناهج التاريخ في تطور لا يقل سرعة عن تطور العلوم البحتة فالحضارة متكاملة متفاعلة والحيوية في قطاع تنتقل بسرعة من المجتمعات الحية الناضجة إلى القطاعات الأخرى خذ مثالا من نظرية التطور عندما نادى بها «داروين» في كتابه « أصل الأنواع » ، وبقدر القبول الذي لقيته كان تأثيرها على علوم أخرى كثيرة مثال آخر من استقلال كثير من الشعوب الافريقية والآسيوية بعد الحرب العالمية الثانية ، وغلبة الفكر القومي ، وزيادة الرغبة في البحث عن الجذور والأصول ، وزيادة العناية بالخصوصية الحضارية كان لهذا كله أثره في نقل مركز الثقل التاريخي من أوروبا إلى المنظور العالمي وزيادة العناية « بتاريخ العالم » على أسس أكثر توازنا ، وزادت العناية بالقارات التي كانت شبه مجهولة ، وأصبح قبول « الروايـ الشفهية » مصدرا معتمدا من مصادر التاريخ . بـ أن كان الاعتماد الأساسي على المكتوب والمقروء وكان يطلق على ما سبق ذلك « ما قبل التاريخ » كا بدء التاريخ هو بدء الكتابة وبهذا الاتجاه الجديد ومع العناية بالتراث الشعبي زاد التاريخ عمق واتساعا .

حدث أيضا زيادة العناية بالعوامل الاجتماء والاقتصادية والجغرافية وتأثير القواعد الشعبي وزيادة العناية بانتاجها الفني وأفكارها وحيا اليومية بل وبتاريخ الأمراض والأوبئة وانتقـ مركز الثقل من الحكام والملوك والقادة ، وأصبح بعض عوامل من التاريخ

وبرزت أهمية المؤسسات الاجتماعية والعوامـ الجغرافية وكلاهما ممتد الأثر الأنهار المناخ علاقات اليابس والماء ثم تغيرت الأهمية النسبي لهذا كله مع ثورة الاتصال ، وتسارع الكشوف وسهولة تخزين المعلومات ، وتنظيمها واسترجاعها وهنا يبرز اسم مؤرخ فرنسي عميـ الأثر في النصف الثاني من القرن العشرين وهـ « فرناند برودل » (١٩٠٢ - ١٩٨٥) وكان كتابه عـ « البحر المتوسط » (١٩٤٩) نقطة تحول كبيرة كتابة التاريخ ، ومقالاته المنهجية جمعت في أكثر مـ كتاب من أبرزها مجموعة من المحاضرات والمقالا صدرت بعنوان « عن التاريخ » وهو أحد أعمدة مـ « الحوليات » ومدرسة الحوليات وعنايتها في التاريـ بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والحضارية

ويدعو برودل إلى التعمق في دراسة التاريخ د نقف عند السطح السياسي ، وإنما نبحث - الأعماق - عن القوى التي تشكل الوجود الجماعي وقد شرح منهجه في مقدمة كتابه ، ثم طبق المنهج الكتاب ومن روائع إنتاجه كتابه الأخير « شخصـ فرنسا » ومن قبله كتاب « الحضارة والرأسمالية » وهناك عرض لهذه المدارس الحديثة صدر تحـ إشراف الأساتذة جاك ليجوف وروجيه شار وجاك ريفيل وآخرين بعنوان « التاريخ الجديد

(... يس ١٩٧٨) وهو من سلسلة موسوعات المعرفة الحديثة ـ كما أصدر الأستاذ أندريه بورحيير « قاموس العلوم التاريخية » (باريس ١٩٨٦) عن دار « المطبوعات الجامعية في فرنسا » ، وهو مرجعنا عن برودل (ص ٩٨ ـ ١٠١)

من الجهود الاسلامية المعاصرة

هذه مجرد نماذج منهجية للتفكير التاريخي المعاصر ونحن بحاجة إلى تطوير منهجي يربط أولا بين « الخريطة والأحداث التاريخية » وهو الجهد الذي قام به الزميل الأستاذ الدكتور حسين مؤنس في « أطلس تاريخ الاسلام » (دار الزهراء للاعلام العربي القاهرة ١٤٠٧ / ١٩٨٧ م) وهو فتح عربي جديد في الربط بين الزمان والمكان ، وفي الاحاطة الشاملة بالعاملين معا مع العناية بخطوط التجارة البرية والبحرية ، وخرائط الحرب والسلام ومن طبيعة هذه الأطالس أنها تجمع وتنظم المعرفة عند مرحلة معينة من توفر المعلومات وعلينا بعدها أن نريد من البحوث التفصيلية الاقليمية ، وهذه البحوث ستجد مكانها في طبعات لاحقة من الأطلس ، أو في أطالس متخصصة ، نرجو أن تجد لها مكانا في المكتبة الاسلامية مثل « أطلس التطور الاقتصادي الاسلامي » أو « أطلس الدعوة الاسلامية » ويعني بانتشارها من مهد الاسلام ومراكز الدعوة ومعاهدها وجامعاتها هل أقول وأروقتها كما هو في الأزهر الشريف ؟ إن الأديان الأخرى لها أطالسها التبشيرية، وهذه كلها جهود علمية تلقي الضوء على الماضي والحاضر ، وتفتح الطريق إلى المستقبل

آمال في مجلة « الاسلام »

لقد رأى الذين التقوا من أجل مجلة « الاسلام » أن تكون « سكنا » للأفكار ، وأن تكون بعض مقالاتها آمال المستقبل وكان من رءوس الموضوعات التي قدموها على أن يتولوا دراستها ـ هم أو غيرهم ـ العناوين الآتية

الخريطة السياسية للعالم الاسلامي وتقسيمها إلى مناطق تعاون إقليمية ، تتكامل في وحدة كبيرة صورة الحضارة الاسلامية الجامعة بين خطوط الوحدة العامة والخصائص الحضارية الاقليمية التربية الاسلامية المشتركة التي تكون الأساس الفكري الموحد للأجيال الجديدة أفضل الأساليب لتوجيه الشباب إلى قبول التحدي الحضاري المعاصر تطوير التعاون بين الجامعات الاسلامية وتوثيق الصلة بين أساتذتها وزيادة التعارف بين طلابها الطريق إلى القدس وصيانة آثاره ، وتحريره فلسطين مقياس لقوة العروبة والاسلام

بقيت كلمة أخيرة

من الاصطلاحات الحديثة التي أخذت تشيع ما يطلق عليه اسم « تاريخ المستقبل » إنه تصورات الغد ، إذا وضعتها في صيغة ممكنة التنفيذ

وأرجو أن تعتبر هذا الحديث من تاريخ المستقبل □

بالحلال والحرام :

كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج . اختر لي رجلا عالما بالحلال والحرام عارفا بأشعار العرب وأخبارها ، أستأنس به فاختار له الشعبي ، وكان أجمع أهل زمانه ، قال الشعبي : « لم أر واليا ولا سوقة إلا وهو محتاج الي ولا أحتاج اليه ، ما خلا عبد الملك ، فانني ما تحدثت إليه بشيء ، ولا رويت له شعرا إلا وجدته قد زاد علي »

النخبة العربية والاغتراب

بقلم الدكتور هاني الراهب

إلى أي مدى يستطيع هؤلاء الأبناء الذين يدفع بهم آباؤهم إلى المدارس الأجنبية المشاركة في بناء الوطن وحمل تبعات التقدم والتطور فيه؟ وإلى أي مدى يقدم هؤلاء على خوض معاركه وتبني قضاياه؟ ثم إلى أي مدى يستطيعون الإسهام في خلق ثقافة عربية تجمع بين الأصيل والمعاصر؟

أسئلة مثارة، يتولى الاجابة عنها هذا المقال

كان مساء جميلا ذلك الذي شكا فيه أحد الآباءلصديق له من مشكلة لا يجد لها حلا كان الأطفال يلعبون في الحديقة، وفي لحظة اقتربت الابنة، وهي في الثالثة عشرة من العمر، وطلبت من أبيها شيئا، باللغة الانكليزية

رد عليها الأب بالعربية، فتابعت الابنة بالانكليزية

بعد دقائق انصرفت الفتاة، وتنهد الأب، وبمرارة محزونة سأل صديقه ماذا يفعل، لقد أراد لابنته أن تتعلم الانكليزية فنسيت العربية، وها هي ذي الآن تعجز عن استعمال لغتها الأم، وتشمئز منها، وترفضها!

حقيقة الأمر أن ثمة ما يمكن تسميته «ظاهرة» في الوطن العربي، وهي ظاهرة تتعلق بوضع النخبة واختياراتها في هذا الوطن. وليس صعبا على متتبعها أن يلمسها في أي مكان وجدت فيه تلك النخبة

لنأخذ مثلا النوادي إنك تسمع هناك حديثا نصفه - وربما ثلثه - بالعربية، وبقيته بالأجنبية الانجليزية بشكل عام ثم الفرنسية فتيان وفتيات وأطفال يلعبون بالمراجيح أو تنس الطاولة أو البليارد (نعم) وهم يتكلمون الانكليزية أو الفرنسية بلا انقطاع. إنك تسمعهم أيضا في الرحلات الجماعية التي تنظم للنخبة وأبنائها، وفي الأبنية السكنية الجامعية، وحتى في قاعات الدراسة والمحاضرات

ولا بد أنك خارج بانطباع شبه يقيني بأنك تعيش... يمكن حقا أن يكون مستعمرات ثقافية إن فصل... الآباء والأبناء معا وهم يتكلمون الأجنبية، تو... لك إذا ما اقتصر انتباهك على حاسة السمع...

ـسمع إلى أحفاد ايرنهاور وديغول !

وإذا ما شئت أن تشغل حواسك الأخرى ، فقد ترى بعينيك عشرات الأبناء وهم يرتدون ملابس تهريجية غريبة ، ويلونون وجوههم بألوان قوس قزح أثناء احتفالهم بأعياد جميع القديسين مثلا ، أو بعيد الفصح أو غيره ، إلا أنك لن تراهم يحتفلون بشم النسيم مثلا ، أو الفطر ، أو غيره

وعلى مستوى آخر يمكنك أن ترى حتى ممثلين رسميين لبلدانهم يسمعون كلام الامريكيين بالانكليزية أو الفرنسيين بالفرنسية ، وتسمعهم عندما يجيء دورهم يتكلمون ، ليس بالعربية ، وهي لغة رسمية في الأمم المتحدة بل بالانكليزية أو الفرنسية !

وربما فوق كل هذا التقييت بأب عبر الأب النادم الذي بدأنا به المقال ، واستمعت اليه يقول بفخر وسعادة واطمئنان ، إن ابنته البالغة من العمر ثماني سنوات ، تجيد وتتقن السرة (قالها بالفرنسية) اللفظية أفضل مما يستطيع هو شخصيا على الرغم من سبع سنوات قضاها في باريس

وربما التقيت سيدة رفيعة المقام تناشد زائراتها ـ وهن سيدات رفيعات المقام أيضا ـ أن يمتنعن عن التحدث باللغة العربية أمام طفلتها البالغة من العمر سنتين ، خشية أن يتأثر سمع الطفلة ، ويتشوش ، وتضطرب مسيرة تعلمها للغة الانكليزية

لقد تسنى لكاتب هذه السطور ، وقد استرعت الظاهرة اهتمامه ، أن يلتقي بهؤلاء الأطفال والشباب ويحاور معهم ، وفي المآل لم يجد أيا من هؤلاء يتقن العزف على آلة موسيقية ، أو يستطيع أن يرسم رسما بسيطا ، أو يتمكن من إنشاء علاقات اجتماعية مثمرة انسانية ، على نحو ما يتوقع المرء من متشربي اللغات والثقافات الأجنبية

النشئة في أحضان الثقافة الغربية

إننا نستنتج من كل ما تقدم ومن عشرات الملاحظات والتجارب التي لا يتسع المجال لتبيانها هنا ، أن النخبة العربية قد اختارت الغربة عن وطنها ، وأن هذا الاختيار ليبدو في أجلى ممارساته إذا ما دفع الفضول صاحبه إلى السؤال عن المنهاج التربوي الذي يقدمه الآباء لأبنائهم

إن ثمة موقفا هو مزيج من الازدراء أو التعالي إزاء المدارس الحكومية ، وعلى الساحة العملية تعبر النخبة عن هذا الموقف بإيداع أبنائها مدارس تعلمهم كل شيء بالانكليزية أو الفرنسية ، ويقتصر تعليم العربية فيها على ساعة واحدة يوميا

وواضح من هذا النهج النخبوي أن ثمة خوفا عميقا يدفع أرقى الأدمغة العربية إلى اختيارات لا تتفق والصورة العفوية الطبيعية التي يحترمها المرء للنخبة في أي بلد من البلدان إن النخبة هي التي تصنع التقدم والحضارة إلى حد بعيد ، وهي التي تؤسس لتغيرات نوعية ترفد التغييرات التي يحدثها التراكم المادي للجهد البشري الذي تبذله الأيدي العاملة لدى شعب من الشعوب

وعندما تقرر النخبة تنشئة أبنائها في أحضان الثقافة العربية ، وليس تعليمهم اللغة الأجنبية على النحو الضروري المألوف فقط ، فهذا يعني أن ثمة خوفا مزدوجا لديها إنه من ناحية خوف على امتيازاتها ، متمثل في انعدام الثقة مما يمكن لوطنها أن يقدمه لها ، وهو خوف على هؤلاء الأبناء من أن يقتصر تلقيهم للعلم على ما تقدمه الثقافة العربية المعاصرة ، وهو لا يؤهلهم للوصول إلى مراتب عليا في السلم الاجتماعي الاقتصادي

إن النخبة تحس في أعماقها بأنها تستحق أكثر مما تحصل عليه ، ولأنها بطريقة أو بأخرى اضطرت للبقاء في وطنها ، ولم يسعدها الحظ بامتصاص البنية الاقتصادية العربية لها ، فهي تعاني باستمرار من شعور بالظلم والحيف ، يصاحبه شعور بالخوف من مجتمعها نفسه الذي قد يلفظها في أي لحظة لسبب لا علاقة له بالثقافة أو التقدم إنها تعرف خصائص المجتمع الذي تعيش فيه معرفة كافية ، وأن الامتيازات التي تنعم بها امتيازات مؤقتة ، مرهونة باستمرار النخبة على رأس عملها وحسب ، ولا تملك صفة الازدياد أو الإثراء أو التوريث ، وإن

المرض قد يضع حدا مروعا لهذه الامتيازات ، وكذلك الغضب السياسي أو الشخصي لرجال السلطة ، ناهيك عن التقاعد أو الموت

الخوف من المستقبل

ماذا يفعل أب بلغ هذا المبلغ من الثقافة والعلم لضمان مستقبل ابنه ؟ إنه سؤال كهي ومصيري ، ومن المسلم به أن خوف الأب على أبنائه وقلقه على مستقبلهم ومصيرهم ، إنما هو خوف وقلق يقتربان في قوتهما وعمقهما من قوة الغريزة وعمقها ، وعندما لا يوفر المجتمع جوابا يقنع الأب بأن ابنه سيعيش في مستوى قريب مما يعيشه هو ، فمن الطبيعي أن يلجأ إلى حلول فردية

هذا اللجوء يتحد مع الأسف صفة اختيار الاغتراب ومعانقته إن هؤلاء الأبناء لن يكونوا بالتأكيد بين بناة الوطن بالمعنى الالتزامي والتضحوي ، فلن تكون الحرية السياسية مثلا قضيتهم ، ولن يكون لهم شأن بقضية فلسطين أو حرب الخليج أو تحرير اريتريا ، ناهيك بالمطلب الحضاري الجليل الذي هو تكوين ثقافة عربية معاصرة وأصيلة في الوقت نفسه

إننا مهما سحنا فواقع حول وعينا ومشاركتنا مع البشر ، فلن نستطيع أن نتجاهل أن الوطن الذي نعيش فيه ما زال منذ مائتي عام مشتبكا مع أوروبا ثم مع أمريكا في صراع تاريخي ، ولقد تميز هذا الصراع منذ بدايته بالحدة والعنف ، فتلك البداية لم تكن أقل من احتلال عسكري ، وإذا شئنا العودة إلى الوراء بضعة قرون أخرى التقينا بالحروب الصليبية ، ولو تمادينا قليلا في هذه العودة لصافحت أيدينا أيدي جيش عبدالرحمن الغافقي في جنوب فرنسا ، وقبل ذلك جاءنا الرومان وقبلهم اليونان ، وفي فترة بين الاثنين الأخيرين أوشكت جيوش هانيبعل أن تصل إلى روما .

نحن لسنا أبناء الأمس ، لكن هذا الحاضر الذي نعيشه يحفل بصراع قد يكون في نهاية المطاف أعنف وأشرس . وقد علمنا هيغل أن تاريخ البشرية إنما يتقدم بالصراعات وعبرها ، وأن الصراع هو القاعدة ، وعكسه هو الاستثناء ، غير أننا لن ننظر إلى فلسطين وأريتريا والأجزاء الأخرى المستلبة من أرض الوطن ، ولا إلى الوضع الاقتصادي الراهن الذي تمتص الامبريالية بواسطته مواردنا وأموالنا . سنشير الى وضع متصل مباشرة بموضوع هذه المقالة ، وهو وضع امتصاصي بدوره ، ويشكل واحدة من الظواهر الخطيرة في حياتنا القومية ، انه امتصاص أدمغتنا المتفوقة ، فلقد مال ميزان الصراع بين وطننا المتخلف وأوروبا وأمريكا المتطورتين ميلانا شديدا ، أدى إلى خلخلة العلاقة بين النخبة العربية ووطنها خلخلة أشد ، وقد نجم عن ذلك أن اختارت أعداد كبيرة منها الانتماء النهائي إلى بلدان العالم الأول ، فمنها من أسلم نفسه نهائيا للامتصاص والتمثل ، ومنها من أبقى على علاقات واهية سياحية تقريبا ، ليقنع نفسه أن جذوره لم تقتلع

نحن ننظر إلى ظاهرة امتصاص الأدمغة العربية باعتبارها جزءا من العمليتين الاقتصاديتين الكبريين في علاقة وطننا بالعالم الأول ، وهما النهب والتسويق ، وإذا لم نر المسألة على هذا النحو فنحن في الحقيقة لا نرى شيئا صحيح أن نخبتنا (المتأمركة) أو (المتأوربة) تسهم في مواقعها الجديدة في صناعة التقدم ، وتضع امكاناتها ومواهبها في خدمة البشرية ، لكن هذا الاسهام يؤدي بالضرورة إلى مزيد من الخلخلة الحضارية الفاجعة أحيانا ، إنها تغني الغني وتفقر الفقير ، وتزيد من سعة الهوة وعمقها بين العالمين المتصارعين ، الأول والثالث

ازدواجية الانتماء

وبطبيعة الحال فإن النخبة التي اتخذت لنفسها هذا المسار قد غدت ذات وضع خاص داخل وطنها ، إنها على العكس من الذين التحموا بمجتمعهم وحملوا صراعاته ، قد أدارت ظهرها لهذا المجتمع وصراعاته . إن ضريبة المشاركة باهظة لا شك في مجمل ظروف تاريخنا وعيشنا المعاصرين ، والذين يختارون دفعها هم قلة قليلة مع الأسف .

لقد نشأ عن هذا المسار نوع من ازدواجية الانتماء ، فإنك تسمع أحاديث النخبة ومناقشاتها للأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فتلمس عقولا نيرة وقلوبا شغوفة بمجتمعها متألمة لأجله ، لكنك عندما تتبع خط حياتها تجد اضطرارا قاسيا لإعطاء الأولوية القصوى للأمن المعيشي على حساب المجالات الأخرى للحياة ، والمشكلة أن الحس بالأمن هذا لا يقف عند حد معين ، فالمزيد منه يدفع إلى المزيد ، وما كان يبدو منه كماليا يغدو ضروريا ، ثم يستيقظ نداء الثروة ، وتستيقظ معه رغبات جديدة

فمن حسابات في المصارف الأجنبية إلى استثمارات تجارية صرفة أو تجارية ثقافية ، إلى مزارع نموذجية ، وحتى إلى المضاربات البورصية

خلاصة القول أن الاحساس القوي بالتميز لدى النخبة (ولا نقصدها كلها) يدفعها في مسيرة ، تبدأ بالبحث عن الأمن المعيشي ، وتصل إلى الاستثمارات الرأسمالية الصغيرة ، لكنه لا يدفع إلا القليل منها إلى البقاء ملتحما بيئته وأصوله

وإن هذه الازدواجية تورث ، مع الامتيازات والمال إلى جيل الأبناء الذي نراه في حالة أكثر ابتعادا عن البيئة والأصول بكثير ، إنك لا تستطيع مع جيل الأبناء أن تسمع الحديث الذي يفرحك سماعه من آبائهم ، فهؤلاء لا يحسون أصلا أنهم ينتمون إلى ثقافة عربية وإلى مجتمع عربي ، لكنك تحس بما هو عكس ذلك ، ولست بحاجة إلى وقت طويل كي تكتشف أنهم أصلا لا يعرفون هذه الثقافة ولا هذا المجتمع ، وهم يتكلمون عن (الأمم) العربية مثلما يتكلمون عن الأمم الآسيوية ، هذا إذا خطر لهم أصلا تفكير سياسي !

بل ربما وصل الأمر ببعضهم إلى حد ازدراء ثقافة آبائهم ، والنظر إليها كما ينظر المرء إلى طفل خديج أو مستحاثة مروعة الشكل . إن أمنهم الروحي وسلامهم العقلي موجودان في الثقافة التي أصر آباؤهم على تزويدهم بها ، أما أحلامهم بالالتحاق ذات يوم بقافلة الأدمغة المهاجرة إلى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية فليس ثمة ما يعادلها رسوخا وجموحا

إن انعكاسات هذه الازدواجية عديدة وفعالة ، فعلى المستوى النفسي ثمة واقع شعوري ليس أقل من الحس بالانخلاع في الحقيقة ، فهؤلاء لا يستطيعون مهما أحبوا العالم الأول واعتبروا أنفسهم جزءا منه أن يمتلكوا فعلا ذلك الشعور الجذري الجميل بالراحة والأمن الكبير الذي يمتلكه بائع الفول في الدكان التاسع من السوق ، وهم لا يستطيعون أن يمتلكوا الشعور بالانتماء إلى أي عالم أيضا ، وربما أي شيء باستثناء مصالحهم المعيشية ومعروف لدى الجميع أن المصالح المعيشية لم يكن بوسعها يوما ما أن تمنح للروح سلامها وصحبتها البشرية الأصيلة التي لا غنى عنها حتى لأشد الناس أنانية أو شرا أو انخلاعا

وعلى المستوى العلاقي نجد الحيرة والارتباك نفسهما ، إذ ما دامت الأسس التي تقوم عليها العلاقات قد اضطربت بفعل التصادم الثقافي بين الغرب والعرب ، فإن العلاقات نفسها لن تتمكن من التحرر واكتساب القوة عبر قيم متناقضة متصارعة ، وسواء كان الأمر حسنا أو رديئا فإن الاحساس الذي تقوم عليه العلاقات الانسانية العربية أساس مثالي ، يتجلى في مجموعة من القيم والمواقف المثالية ، بينما تقوم العلاقات الانسانية في العالم الأول على أساس واقعي عملي ، يكترث بالنتائج المادية أكثر بكثير مما يحفل بالنتائج المعنوية ، وفي التطوح بين مجموعتي القيم المتضاربتين هاتين مصير نفسي واجتماعي ربما كان مادة غنية لتراجيديات معاصرة متميزة

الهجمة الحضارية

لكن المستوى الحضاري هو الأهم عندما يتحول المخزون العقلي لأمة من الأمم إلى ميادين الانتاج في أمة أخرى ، فماذا يتبقى للتقدم والتطور والنهوض في الأمة الأولى ؟

إنها سوف تستمر على مستويات الانتاج والتقدم العادية ، ذات المردود الحضاري الضئيل من ناحية ، وسوف تضطر إلى مزيد من التبعية المستنزفة إزاء

الأمم المتطورة من ناحية أخرى

ولعل من أبرز مظاهر هذه الازدواجية الاستلابية تشوه وضع ألسني خطير ، بأي مقياس ، وانتكاسي إن العرب يجالدون منذ الحصول على استقلال أقطارهم للوصول إلى الاستقلال العقلي عن طريق تعليم لغتهم القومية في جميع ميادين المعرفة ، وقد تحقق لهم في البداية ذلك . وتراجعت اللغة الأجنبية إلى حجم مادة واحدة في المنهاج كله

لكننا نشاهد الآن تأسيس مدارس وكليات في الوطن كله تقدم لطلابها ميادين المعرفة كلها باللغة الأجنبية ، وتقدم اللغة العربية مادة وحيدة ، كالجغرافيا مثلا ، والنتيجة هي أن الانكليزية أو الفرنسية ـ بشكل رئيسي ـ لم تعد لغة أجنبية يسعى اتقانها لأسباب عديدة مسلم بها ، وإنما صارت لغة ثانية ، تقف جنبا الى جنب مع العربية ، وفي أحيان كثيرة جدا تدفعها إلى المحل الثاني من الأهمية

لماذا إذن هذا الاختيار المفضي بوضوح إلى إملاق عقلي ونهضوي في وطننا العربي ؟ .

عقبات تواجه تطورنا

هناك لا شك مسوغات شخصية قوية لا يمكن تجاهلها،وأول هذه المسوغات أن النظام التربوي في الأقطار العربية لا يمنح الفرصة المثلى للامكانات والمواهب أن تتفتح إلى حدودها الطبيعية القصوى عند الطلاب ، بل على العكس ، فقد شهدت المجتمعات العربية هبوطا تدريجيا مؤسيا في مستويات التعليم ، وإعداد الاطارات ، عما كانت عليه إبان المرحلة الأولى من استقلالها ، ولقد أدى التوسع في التعليم إلى هذا الهبوط ، لأنه توسع تم بصورة ارتجالية متسرعة ، فالمدارس التي فتحت أبوابها لجميع أبناء الشعب في تحرك باهر ممتاز نحو ديمقراطية التربية لم تهيأ لاستيعاب الأعداد الغفيرة الهاجمة نحو العلم ، ولم تمتلك الاطارات العلمية المدربة وذات الكفاءة لمواجهة هذه المهمة العظيمة ، وكان طبيعيا أن يؤدي ازدياد الكم العشوائي هذا إلى خلخلة الكيف وتبديده

وإن للنخبة مسوغا واضحا في أنها لا تريد ... هذا التحصيل الضئيل للعلم والمعرفة اللذين ... يوما بعد يوم في العالم المتحضر ، وينقصان يوما بعد يوم في الوطن العربي

كذلك فإن الامتيازات التي تحصل عليها النخبة العلمية الثقافية تأتي في المرتبة العاشرة قياسا إلى الامتيازات التي تحصل عليها نخبة الحكم ، وسواء كانت النخبة الأولى محقة أو غير محقة ، فإنها تعتقد اعتقادا راسخا أنها جديرة بالمساواة مع النخبة الثانية ، وعموما فإن النخبة العلمية الثقافية في الوطن العربي لا تعطى ما تستحقه من امتيازات وتسهيلات وبيئة علمية ، بحيث ترضى سقائها في وطنها دون شعور مرير بالخسران والظلم

وفوق هذا فإن ثمة مسوغات موضوعية تزيد عن سابقاتها قوة وتأثيرا ، فإن باب الابداع والانتاج مسدود تقريبا أمام هذه النخبة ، وهناك آلاف القصص والحكايات عن أطباء نابغين أوجدوا في التحصيل ، لكنهم لم يستطيعوا أن يستمروا في وطنهم لهذا السبب أو ذاك من الاستعصاءات او المستحيلات ، وقس على ذلك المهندسين والتقنيين والمربين والعلماء والموهوبين ، إلخ ، فهؤلاء غالبا ما يتحولون إلى موظفين جالسين وراء طاولاتهم ، يوقعون الأوراق ، أو يلقون المحاضرات الطرية ، أو لا يفعلون شيئا أحيانا ، فإن سبل الابداع والانتاج شبه معدومة بالنسبة لهم ، لأنها أساسا شبه معدومة في أقطارهم

يضاف إلى هذا أن هامش الديمقراطية في الوطن العربي ليس من السعة بحيث يستوعب المستوى العقلي والادراكي للنخبة ، وهذا المستوى ليس سياسيا بالضرورة ، فالنخبة لاتتدخل كثيرا في السياسة ، لكنها تريد مناخا معقولا من حرية الفكر وتبادل الآراء والقيام بالتجارب والدراسات مما يتطلبه وضعهم العلمي والثقافي ، وهذا المناخ غير متوافر في معظم أرجاء الوطن العربي مما يشكل تضييقا حقيقيا آخر على النخبة ، ويدفعها ... الاغتراب □

خليل حاوي

في ذكراه السادسة ..

أربعة خيوط في نسيج انتحار شاعر !

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

في يونيو (حزيران) ١٩٨٢ أقدم الشاعر خليل حاوي على الانتحار ، والهجوم « الاسرائيلي » الشامل على لسان يكتسح الجنوب ، ويتجه صوب بيروت ، في غمرة صياع عربي مفجع .

ارتبط حدث الانتحار بحدث العدوان ، وجاء الارتباط طبيعيا لدى معظم الدين عرفوا خليل حاوي ، وعرفوا مدى إحساسه بالكرامة ، وحرصه على نقاء الكلمة ، والتحام القول بالفعل ، والشعر بالحياة ، والفكر بالنضال ، وعندما علمت سبأ انتحاره من الاستاذ مطاع صفدي الذي التقيته ساريس بعد أيام من الحدث ، خيل إليّ أن « انتحار حاوي » مشهد عير غريب علي ، لا يمثل مفاجأة لي ، كأني قد شهدته من قبل ، فقد عرفت حاوي أستادا وصديقا ، وعرفت أصالته وحساسيته المفرطة ، وحاصة تجاه كل ما يمس الكرامة العربية ، فكان من الطبيعي أن يقدم على ما أقدم عليه ، في مثل تلك الظروف الفاجعة التي عاشها خليل منذ ما قبل البداية - سيروت - مع الارهاصات الأولى للحرب الأهلية اللبنانية ، وصولا إلى وقوع العدوان « الاسرائيلي » المذكور ، وحتى اليوم السادس من حزيران (١٩٨) ، يوم انتحار الشاعر .

في السادس من حزيران ١٩٨٨ يكون قد مر على غياب حاوي ست سنوات ، فكيف تبدو صورة الغائب اليوم ؟ وكيف يتجلى سر انتحاره بعد أن دخل الحدث مسافة من التاريخ ، وابتعد قليلا عن أحواء المشهد العاطفي المفجع المتداخل بين البعد القومي العام ، والبعد الشخصي الشعري الخاص ؟

لعل خير تحية نرجيها لروح الشاعر في دكراه السادسة أن ننظر نظرة شمولية متفحصة في سيرته وشعره وانتحاره ، فقد كان حاوي نفسه من أصحاب النظرات الشمولية في الحياة والكون والحضارة ، وما كان يرضى بالوقوف لدى حرئيّات الأحداث ومظاهرها ، وفضلا عن كونه شاعرا ومفكرا كبيرا لا يمكن اختصار سبب انتحاره في حدث واحد ، مهما عظم ، وأيا كان تأثيره عليه

هل هناك سبب واحد ؟

تقول الأديبة ديري الأمير عن انتحار حاوي « يعللون سبب انتحاره بتراكم الهزائم والنكسات العربية . نعم خليل شاعر عروبي صادق ، مسؤول وطنيا . ولكن ألم يكن خليل من البشر ؟ ألم تكن له حياته الخاصة ؟ هل انتحر أو حاول

الانتحـار مسؤول عـربي (ويمكن أن نضيف : أو شاعر عربي آخر - الكاتب) ، فَلِمَ يحمل خليل على عاتقه وزر كل المسؤولين ؟ ومهما حاولنا التفتيش عن سبب انتحاره وتبريره وطنيا أو شخصيا ، ففي اللحظة التي قرر فيها خليل الرحيل . كان وحده هو وحده يعرف السر »

وصاحبة هذا القول لعلها أقرب امرأة وأديبة إلى « عالم حاوي الخاص » ، فهي التي قال عنها الشاعر نفسه « ديري الأمير التي أهديتها كتاب جبران (هي) اليد التي أمسكت بيدي في ليالي الشك والقلق ، وهي التي رافقتي إلى كمبردج »

ولا ندري - بالضبط - ماذا تقصد ديري الأمير بقولها « هو وحده يعرف السر » ، وهل تلمح إلى سبب أو أسباب معينة مباشرة وراء انتحاره ، أم أنها أرادت القول - وهذا ما نرجحه - بأن المنتحر - أي منتحر - يذهب وسره معه ، لا يستطيع أن يجزم به أي فرد آخر على وجه القطع والتأكيد ، حيث يصبح الحدث من أسرار الغيب

وأيا كان الأمر فإن « مقاربة » حدث انتحار حاوي من زاوية سيرته الشخصية وملابسات السنوات القليلة الأخيرة من حياته ما زالت مقاربة لم تنضج ، ولم يحن وقتها بعد ، حيث أن أقرب المقربين إليه ما زالوا يؤكدون أقوالا ووقائع متناقضة ومتضاربة

ويبدو أن الأمر يحتاج إلى وقت أطول لتظهر الحقيقة وتتضح الصورة فحين يؤكد الدكتور نسيب همام طبيب حاوي الخاص وصديقه وابن صيعته (الشوير) بأن الأخبار عن محاولات حاوي السابقة في الانتحار « غير صحيحة » ، وأنه « لم تكن هناك محاولات سابقة قط ، فمنذ أكثر من سنة قبل انتحاره دخل المستشفى إثر عارض صحي حاد ، وتبين أنه كان مصابا بنزيف داخلي ناتج عن سم للفئران ، ولم يثبت أنه تناول ذلك عن قصد ، وإذا جاز لي التقدير فإني أقول إن الأمر يعود إلى الإهمال ، ولو أنه أراد الانتحار لتناول الحبوب المسكنة والمنومة التي بحوزته ، والتي تمتاز بالفعالية وباستبعاد الأوجاع »

مقابل هذا النفي ، وبما يخالفه تماما ، نجد ديري الأمير تؤكد القول « انتحر خليل حاوي ولم تكن نهايته هي المرة الأولى التي قرر فيها أن يترك الحياة في المرة السابقة أنقذ ، وقيل إنه تسمم خطأ ، ولكنه اعترف لي أنه أراد التخلص من الحياة »

هذا مثال واحد - بين أمثلة كثيرة - على أن « المقاربة » للحدث من هذه الزاوية لم تنضج بعد . وأنه لا بد من النظر في ظاهرة حياة الرحل وموته من خلال أبعاده الشعرية والفكرية والحياتية الشاملة . فذلك أقرب إلى الحقيقة وإلى الادراك المتكامل من الدخول فيما يشبه التحقيق الجنائي ، إن جاز التعبير ، بين مختلف تلك « الشهادات » التي يستغرب المرء لتعارضها بتلك الصورة على الرغم من صدورها من أناس مقربين منه ، وفي زمن ليس بعيدا على الاطلاق عن زماننا الراهن الذي نعتبره زمن الوقائع الموثقة والخبر الأكيد !

الخيط الأول غياب الإيمان المطلق

إن القراءة المتمعنة لشعره ، منذ ديوانه الأول ، تكشف أن الرحل على توقه الدائب إلى الحقيقة وأشواقه الملحة إليها ، لم يتمكن من تحقيق الايمان الوجودي الكوني ، سواء بمعناه الديني أو الصوفي ، وأنه على ثقافته الواسعة واطلاعه على التراثين الشرقي والغربي ، لم يستطع أن يستشف وراء الحضارتين الشرقية والغربية معنى متساميا على المستوى الميتافيزيقي ، واستقرت الصورة لديه ، بما يشبه الصمود الرواقي في مواجهة الحياة ، على النحو التالي الذي صوره في نهاية قصيدته « البحار والدرويش » ، وهي من قصائده المبكرة ، ويعود تاريخها إلى فترة ما بين ١٩٥٣ و ١٩٥٧ -

**- خلّني ! ماتَتْ بعينيّ
منارات الطريقْ
خلّني أمضي إلى ما لستُ أدري
لن تغاويني الموانى النائيات**

بعضها طينٌ محمّى
بعضها طين موات
آه كم أحرقتُ في الطين المحمّى
آه كم متّ مع الطين الموات
حلّني للبحر ، للريح ، لموتٍ
ينشر الأكفانَ زرقاً للغريقْ
مبحرٌ ماتت بعينيه منارات الطريقْ
ماتَ ذاك الضوءُ في عينيه ماتْ
لا البطولات تنجّيه ، ولا ذلّ الصلاة

في هذه القصيدة التي عرض فيها حاوي أزمته - من خلال أزمة الانسان المعاصر - نجد أن بطولات البحّار (المكتشف الغربي) تتساوى مع ابتهالات الدرويش (الشرقي) ، وأنه لا فارق حقيقي في التحليل النهائي بين الطين المحمّى الرامز لعورات الحضارة الغربية الحديثة ، والطين الموات الرامز لآثار الحضارات الشرقية القديمة

فإنسان حاوي المعاصر يشعر باللاجدوى تجاه الظاهرتين ، وإن كان قد قرر المضي على الرغم من ذلك في إبحاره مع الريح والموت وليس أمامه غير أكفان البحر الأزرق التي تنتظر الغريق ، بعد أن « مات ضوء » الحقيقة المطلقة في عينيه

ويلمس المرء ألم الشاعر لهذا الاكتشاف المر ، ويتحسس مدى حرقته وغصته الكيانية لعدم قدرته على بلوغ الحقيقة الكونية ، لكنه يقبل قدره ، نظير الرواقيين في دعوتهم إلى صمود الانسان أمام استعصاء اليقين بثبات أخلاقي قد يعوض ، بعض الشيء - في عرفهم - عن اليقين الكوني

رافق هذا الموقف - على الصعيد الوجودي - خليل حاوي طول حياته* ، فلم تستقر مرساته على « رؤيا » ما ورائية دينية أو صوفية - كما حدث لميخائيل نعيمة مثلا - وجاء إقدامه على الانتحار في النهاية تعبيرا عن ذلك القلق الوجودي العميق وإذا كانت العوامل الأخرى - من شخصية وقومية - قد تداخلت في نسيج ذلك الانتحار ، فإن الايمان القوي بالله يمكن أن يكون طوق النجاة في مثل هذه العواصف ، غير أن حاوي قد اعترف - بمأساوية - منذ البدء بأنه مبحر في العاصفة ، وقد « ماتت بعينيه منارات الطريق » وأنه قد استعد « لموت ينشر الأكفان زرقا للغريق » ، في بحر الوجود المتلاطم ، وقد كان عندما تقطعت خيوطه الأخرى .

الخيط الثاني : خيبة الانبعاث الحضاري

في زمن الحيوية الفردية والقومية ، بالأربعينيات والخمسينيات استعاض حاوي عن فقدان إيمانه بالمطلق الكوني ، بفكرة الانبعاث القومي الحضاري ، وأعلى من شأن هذه الفكرة ، حتى جعلها مطلقا
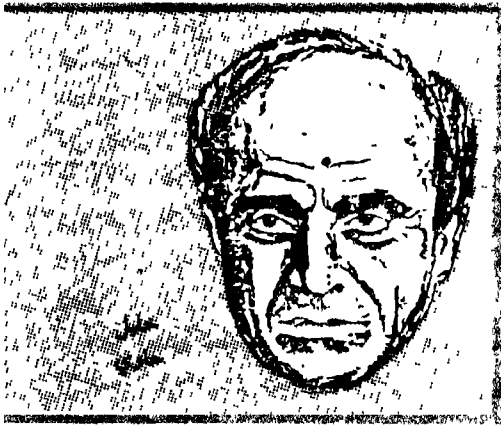
يتضح ذلك ، أكثر ما يتضح ، في قصيدته « بعد الجليد » التي يصور فيها الانبعاث الشامل لحيوية الأمة كالعنقاء التي احترقت ثم التهب رمادها ثانية وتحول إلى نار مخصبة « شهوة للشمس ، للغيث المغني .

شهوة خضراء تأبى أن تبيد »

وقد رافق هذا اليقين الانبعاثي ، بل واندمج فيه حس ريادي رسولي للشاعر نفسه بين أقرانه ورفاقه ، ثم في مجتمعه وأمته ، وكان ألصق الأدوار بشخصيته دور « الرائي » المنقذ ، المنذر ، المبشر ، المرتفع

* حتى في كتاباته النثرية كانت إشكالية العلاقة بين العقل والايمان شغله الشاغل منذ أطروحته للماجستير إلى آخر مقال له في نشره

بالشعر إلى مستوى الرسالة التي يبدأ بها عصر جديد من عصور التاريخ ، وكان في أقرب الموضوعات إلى قلبه مقاربة دور الشعراء لدور الانبياء في مدى توقهم لاستشفاف « الرؤيا » .

وقد جاءت قصيدته الملحمية « لعازر ١٩٦٢ » في ديوانه الثالث « بيادر الجوع » لتعبر بقوة عن هذا المنعطف المفجع . فإذا « لعازر » المنبعث من القبر والعائد إلى زوجته يعود إليها بموته وعقمه وعجزه ، وإذا انبعاثه مجرد وهم أليم مرعب ، وليس كانبعاث « الشهوة الخضراء » تأبى أن تبيد كما بشر بها الشاعر من قبل وكان ذلك ، كما عبر عنه الأستاذ مطاع صفدي : « تاريخ بداية الانكسار في خط التصعيد النهوضي » مع فاجعة الانفصال لأول وحدة عربية في تاريخ العرب الحديث » حيث جاءت قصيدة لعازر : « قمة الهرم الذي ارتفع فوقه خليل الشاعر ، وخليل الانسان ، ثم انهار إلى قعره ليكون قبراً لحضوره ومثوله بعد عشرين عاما (١٩٦٢ - ١٩٨٢) ، حيث لم يستطع خلالها لعازر أن ينهض مرة أخرى إلا ليصرخ ليلة موت جسده في حزيران ١٩٨٢ : رباه كيف أستطيع أن أتحمل كل هذا العار ! »

وهي عبارة ظل حاوي يرددها في سنواته الأخيرة ، وجاءت في ديوانه « الرعد الجريح » الصادر عام ١٩٧٩ .

الخيط الثالث : نضوب حيوية الشاعرية

بعد مرحلة الانتكاسة الأولى (الانفصال ١٩٦١) ظلت حيوية الشاعرية تسعف الشاعر في التعبير عن آلام الأمة ، وظل صوته قويا مسموعا في ساحات الثقافة العربية ، مع بقاء الأمل في إعادة الوحدة واستئناف النهضة والانبعاث .

غير أنه بعد نكسة حزيران وما تلاها من تراجعات أخذ يفقد - مع تقدم العمر به - حيوية الشاعرية ، ولأن الشعر كان بالنسبة لحاوي المطلق الذي لا يمس ، فإن نضوب ينابيعه في نفسه ، كان بلا [illegible] من أقسى الضربات ، ولقد حاول حاوي في قص[illegible] « الرعد الجريح » التي تعبر عن فترة السبعين[illegible] الارهاص - مجددا - بقرب ظهور بطل منقذ [illegible] مستندا - موضوعيا - إلى تجدد عودة الروح في « حرب تشرين » ١٩٧٣ .

إن بقايا الروح الشعرية التي تبدو في ذلك الديوان هي المعادل الشعري لذلك الألق الخاطف في الحياة العربية الذي عرفه العرب باسم « روح السادس من أكتوبر » . ثم مرة أخرى خفتت الروحان الجماعية والفردية ، وكأنه كان قدرا مقدورا على خليل حاوي أن يرصد النبض العربي - صعودا ونزولا - مثل ميزان الحرارة .

وجاء ديوانه الأخير « جحيم الكوميديا » ليمثل جحيما بالفعل - دون كوميديا - لحيويته الشعرية ودفقه الشعري ولمشاعره القومية والانسانية ، فقد تكاثفت الغصات الكيانية ، وخفتت بالمقابل وشدة روح الشاعرية ، بحيث لا يمكن المقارنة بين ملامح حاوي في دواوينه الأولى ، ومقاطع هذا الديوان القصيرة ، اللاهثة ، المتجزئة .

واعتبر حاوي سكوت النقد عن أشعاره الأخيرة بمثابة مؤامرة عليه ، ولم يجرؤ أحد من محبيه وناقديه على مواجهته بالحقيقة المرة عن نضوب شاعريته ، على الرغم من وصفه الصريح هو نفسه لهذه المرحلة بأنها « جفاف العمر وصقيعه » وما العمر بالنسبة لحاوي سوى الشعر لا شيء سواه فهي إذن بعبارة نقدية : « جفاف الشعر وصقيعه » ، وكان حاوي عندها قد قارب الستين ، وهي سن قاسية لحيوية الشعر* .

الخيط الرابع : المشكلة مع الذات الفردية

ثم يبقى أخيرا البعد الشخصي الذي يتمثل بإفراط في حساسية الشاعر « وعصبيته ومزاجيته » وفر[illegible]

* على الرغم من تعمقه في الفلسفة والنقد ، وتمكنه من النثر ، إلا أنه لم يهتم بالمرور في هذه المجالات لايمانه المطلق بالشعر ، كما كان يضيق بالتحليلات الا متماعية السياسية بتأثير مراحه الشعري ، لذلك لم ينظر للأزمات العربية من زاوية علم الاجتماع بقدر ما أداها من زاوية الأخلاق ، لذا استحال عليه التعايش معها

ومقياسه الأخلاقي المطلق الصارم ، ثم إخماقه ـ ربما نتيجة لذلك ـ في خلق علاقة عاطفية دائمة مستقرة ، تقوم على أساسها عائلة وبيت وأبناء . فمثل هذه الروابط يمكن أن تجعل لحياة الانسان معنى متجددا عندما تخمت دوافع الشباب والنصال والتفوق الفردي ، وبصراحته وعفويته النادرة يعترف حاوي بذلك « شعور بالاخماق في هذا المجال لم أعط العناية الجدية الوافية لهذا الموضوع » ويحاول حاوي هنا أن يقيم تعارضا بين حب الشعر وحب المرأة ، باعتبار « أن الشعر يقتضي من الشاعر وقف الحياة عليه وحده ، وبخاصة عندما يكون شعرا ملتزما بثورة انبعاث حضاري مطلقة »

وأخشى أن هذا يمثل تبريرا وإعلاء لاخفاق الشاعر في هذا المجال (وهو إخفاق لا ينكره وإن كان سره) ، ففي حياة الكثيرين من كبار الشعراء توحد الشعر بالمرأة ، وأصبحت هي « رمز » القصيدة ، كما لدى أراغون في : عيون إلزا » و « مجنون إلزا » ، وهذا مثال من أمثلة كثيرة وعلى خصوبة رموز حاوي فقد افتقد شاعرنا رمز الحبيبة الملهمة ، وذلك موضع الجفاف في شعره وحياته ، وربما مثل ذلك منزلق نهايته

خليل .. لماذا لم تنتظر ؟؟

وتبقى المفارقة أن حاوي الذي أحب الأطفال والصغار وعناهم وعنى هم « لم ينجب أطفالا »

ويعن لنا سؤال قد يبدو ساذجا بمعيار الفلاسفة لو كان لديه اطفال أبناء وبنات هل كان سينتحر على الرغم من كل مبررات انتحاره التي ذكرنا ؟

أليس هو القائل منذ ربيع الشباب

« بي حنين لعبير الأرض
للعصفور عند الصبح ، للنبع المغنّي
لشباب وصبايا
من كنُور الشمس ، من ثلج الجبال
لصغار ينثرون المرج
من زهو خطاهم والظلال

أنتمُ أنتنّ في عمري
مصابيحٌ ، مروجٌ ، وكماه
وأنا في حبّكم ، في حبكن
ـ وفدى الزنبق في تلك الحباه
أتحدى محنةِ الصُلْب
أعاني الموتَ في حُبِّ الحياة » ؟

ولم تكن المسألة مجرد شعور عاطفي تجاه الأطفال والصغار ، بل كانت إيمانا عميقا بدور الأجيال العربية الجديدة في تحقيق معجزة الإنبعاث والعبور فوق « الجسر » إلى الشرق الجديد ـ

« يعبرون الجسر في الصبح خِفافاً
أضلعي امتدت لهم جسرا وطيدا
من كهوف الشرق من مستنقع الشرق إلى الشرق الجديد
أضلعي امتدت لهم جسرا وطيدا »

هكذا آمن حاوي في البداية بقدرة الأجيال العربية الجديدة على الانبعاث والعبور والخلق ، غير ان جرثومة شك كانت تختبيء منزوية ـ عند ذلك ـ في صدره ، أسماها « بومة التاريخ » ، وأسكتها بقوله « احرسي يا بومة تقرع صدري » ، عندما وسوست له

« سوف يمضون وتبقى
صنما خلفه الكهان للريح
التي توسعه حقدا وحرقا
فارغ الكفين ، مصلوبا ، وحيدا »

هذا هو نعيب « بومة التاريخ » وقد نسف الجسر وأجياله في أعماق حاوي وأخذ يدوي في تلك الأعماق ليدمرها

* إنهم يعبرون الجسر .. إنهم أطفال الحجارة

ولكن ها هم يعبرون الجسر « أطفال الحجارة » ، يعبرون الجسر في أقدس وأعز حلقاته في فلسطين إلى الشرق الجديد كله « خليل لماذا ؟ لماذا خليل ؟ . هل ترى الآن كم أنت باق وستبقى في هذه الأرض العربية ؟ □

بقلم : شريف الراس

عندما يكتب الأديب فإنه يجمع صوره من قلب المجتمع ، يتناول بعضها بالنقد المغطى المرموز ، ويتناول الأخرى ربما بالنقد المكشوف

وهو في دلك يشير الى الأفضل والأحسن من تصرفات الفرد وعاداته وأخلاقه ومواقفه.وصوره المجسدة هنا قد تكون نتاج خيال وكدح ذهن تم تجميعهـا من عدة شخصيات وليس من شخص واحد ، ويكون المقصود فيها هو نقد الظاهرة قال الدكتور أحمد الفشاش

استقبلني العقيد أبو ضاوي عند مدخل الفندق ضاحكا ، كأنه قد جاء لتوه من قلب نكتة مرحة مضحكة جدا ، وقال لي وهو يتدفق حيوية ومرحا

ـ الليلة ستخرج عن نطاق الهم والكآبة غصبا عنك ، وستضحك من صميم قلبك ضحكا لم تعرفه في حياتك ، فقد أعددت لك سهرة خاصة ، على عشاء خاص ، يحضره أطرف مهرج في البلاد ، إنه نقيب الصحافة ، وقد أوهمته بأنك ضيف من قطر آخر ، فأنا لا أريد أن يعرفك ، هيا يا صديقي .

قلت مستسلما :

ـ إذن هيا بنا الى حفلتك مباشرة .

ومشيت معه ، وجاء الرائد عناد ـ معاونه ـ خلفنا ، ولم يكن رواق الأندلس بعيدا ، لكنني لم أكن أتوقع أن أراه في الليل جميلا الى هـذا الحد ، ربما بسبب البراعة في توزيع الأضواء الخافتة فيه ، أو ربما لأنني أدخله لأول مرة ، على الرغم من أنني نزيل هذا الفندق منذ أسبوع ، لكن ماذا تفعل لنوبة الشعور بالكآبة والحزن التي جعلتني أحصر نفسي داخل غرفتي طول الوقت ؟

كان رواق الأندلس الجميل فسحة مكشوفة ، تتوسطها نافورة ماء أندلسية لطيفة ، وتظللها عرائش الياسمين التي يفوح من نجوم أزهارها البيضاء عطر أخاذ ، وهناك تزيينات رخامية على شكل قناطر ومصاطب وأصص أزهار معلقة ، وهناك مائدة واحدة ، يجلس حولها أربعة ضباط ، لا تخفي ثيابهم المدنية كونهم من أقرب أعوان العقيد أبي ضاوي الذي يثير اسمه الفزع في القلوب ، ومنهم واحد يرتدي نظارة سوداء ، ربما لأن إحدى عينيه من زجاج كانوا ـ عندما وصلنا إليهم ـ يضحكون وهم مأخوذون بحديث هذا المهرج الذي ما أن رأيته حتى شعرت بأنني أتلقى صفعة قاسية جدا ، ليتني ما جئت الى هذا العشاء إن خنجرا قاتلا ينغرس في قلبي ، إن هذا المهرج الآن هو النمر سابقا ، وقد عرفته من أول لمحة ، وكدت أصرخ بوجهه ماذا فعلت بنفسك ياصادر العنداري ؟ وأين صار سيف الله ؟

كان صادر العنداري رفيق صباي في آخر سني الدراسة الثانوية ، بل إنه كان مثلي الأعلى وقتذاك

بل إنه كان زعيم طلاب المدرسة جميعا ، إنه الفتى رائع الذي سحرنا بشجاعته وجرأته وذكائه وتفوقه العلوم كافة ، واندفاعه الى الصف الأمامي في كل عمل وطني أو مشروع ثقافي أو اجتماعي ، بل إنه كان صاحب فكرة إصدار مجلة طالبية عنوانها « الوثبة » ، قد حمل شعارها

شـرَفُ الـوثْـبَـةِ أنْ تُـرضـي الـعُـلاَ
غَـلَبَ الـواثـبُ أمْ لَمْ يَـغـلِـبِ

فقد كان « النمر » شاعرا أيضا ، وكان سريع البديهة ثرّ العطاء وذات يوم دعينا الى بيت طالب من رفاقنا لتناول طعام الغداء ، وكان ذلك الطالب فنانا في الرسم ، وما أن دخلنا ذلك البيت الذي كان يعبق بدخان شواء الكبة من منقل الفحم وجاءت أقراص الكبة المشوية المثيرة للعاب ، حتى قدح النمر هذين البيتين

وكُـبَّـةٍ قَـدْ أكَـلـنـاهـا عـلى سَـغَـبٍ
في مـنـزلِ الـفَـطْن فـنـانِ الـدُّنَى الأرِبِ
جـاءَتْ وَقَـدْ وُضِعَتْ في الصحنِ سـاخنـةً
خدُّ الفتاة الـتي مَـاتَـتْ مِـنَ الـطَرَبِ

هذا هو المهرج الذي يريد أبو ضاوي أن يسعدني بالضحك عليه الآن وقدمني اليه على أنني صديق من قطر آخر ، اسمي عبد الرزاق حلمي ، من المؤكد أنه لن يتذكرني بعد غيابي عشرين سنة في أوروبا بعيدا عن الوطن ، وحينما صافحته كدت أصرخ في وجهه « كفى كفى ياصادر ، كيف تقبل على نفسك أن تكون المهرج الذي يضحك هؤلاء الحثالة من المجرمين ؟ » .

غير أنني لاحظت أنه ـ وهو يصافحني ـ لم يعرفني ، بل إنه بادرني :

ـ تشرفنا ، اجلس حتى أحكي لك آخر نكتة ، وواصل تدفقه في سرد النكات ، والآخرون يضحكون ، وأنا أتأمله مبهوتا

إنه حليق الشاربين ، أمعط الوجه ، أين ذهب شارباك ياصادر ؟ أين وجه النمر ؟ كنا ـ في ذلك الزمن الرائع ـ نلقبه « النمر » لضخامة شاربيه بريق الفحولة في عينيه ، كان له وجه نمر ، وطموح بطل ، وهو لم يخيب حدسنا ، فقد جاءنا في صباح أول يوم من أيام الامتحان المدرسي ليخبرنا بأنه رأى في المنام « جدنا خالد بن الوليد » حسب تعبيره ، وأن هذا البطل العظيم الذي كان يتوهج نورا ومهابة وجلالا قدم له سيفا من ذهب ، وقال له « أيها النمر ، هذا سيف الله مني إليك ، احمله واضرب به أعداء الأمة »

وكان صادر يومذاك يروي لنا حلمه الرائع بصدق وخشوع ، ثم قال معنى هذا أنني عندما تصدر نتائج الامتحان مؤكدة نجاحي بتفوق فإنني سأتوجه للانتساب الى الكلية الحربية ، سأصير ضابطا في الجيش العظيم الذي كان خالد ثاني مؤسسيه بعد سيدنا محمد ﷺ

وافترقنا منذ ذلك اليوم ، هو الى الكلية الحربية ، وأنا الى ألمانيا ، وها إن الذاكرة ـ هذه الفعالية النفسية العجيبة التي تعمو على منسيات تراكمت فوقها مشاغل عشرين سنة ـ تنتفض في لحظة خاطفة ، فتطرح الى دائرة الضوء الساطع كل المعلومات المنسية بأدق تفاصيلها وأبهى وضوحها مجلة « الوثبة » ، والنمر ، وسيف الله ، وحتى الشعر ، على الرغم من أنني كنت ومازلت مشهورا بعجري عن حفظ الشعر

وها ان الرجل جالس أمامي ، على مائدة العشاء ، في صورته المزرية المخجلة ، أمعط الوجه كأنه متعهد توريد « ارتيستات » وكانوا يضحكون لنكاته ويحثونه على المزيد ، وهم ينادونه بلقب « دكتور » دكتور بماذا ؟

حين طرحت هذا السؤال بأسلوب مهذب سألني أبو ضاوي مستغربا :

ـ إذن أنت لا تعرف ؟ حضرته دكتور في الصحافة من جامعة لم أستطع أن أحفظ اسمها ، لأنها تقع في مدينة ضائعة على سفوح جبال هيمالايا

ـ وما الذي أوصله الى تلك المجاهل البعيدة ؟

ـ كان ملحقا عسكريا بسفارتنا بمملكة نيبال ، ووجدها فرصة سانحة لأن يسافر الى تلك المدينة البعيدة التي يصعب حفظ اسمها ، فيتفق مع أستاذ في

جامعتها على أن ينال شهادة دكتوراة في موضوع لم يسبقه اليه أحد ، وهو « التاريخ السري للتراشق بالأحدية في البرلمانات البورحوازية » ، وقد وافق ذلك البروفيسور الخليل بلعته الهندية ولحيته البيضاء الطويلة ، وعقود المسابح المتدلية فوق صدره ، وفقره المدقع ، على أن يقوم هو بتأليف « رسالة » الدكتور صادر باللغة الانحليزية التي لا يعرف أحونا منها ثلاث كلمات ، كل دلك لقاء حمنة دولارات ، وثوبين حديدين ، وصندوق مشروبات ، يا بلاش ، وقد استعرقت العملية ثلاثة أشهر على ما أطن

فقال النقيب الأمعط معترصا

ـ لا يا أبا صاوي ، حرام عليك ، فلقد أعطيته صندوقي مشروبات اثنين لا واحدا

فانفجر الجميع صاحكين

وأنا قررت الاستسلام فصحكت معهم

الواقع أنني صحكت على سحمي ، فبعد أن روعت باكتشاف مدى التفاهة التي انحط إليها من كنا ننظر اليه على أنه « النمر » ، وكان ينظر الى نفسه على أنه حدير بأن يحمل سيف الله ، لم يبق أمامي إلا أن أترك كل شيء ينهار ريثما تنتهي هذه السهرة المضيحة .

غير أن رمقا من نزعة الفصول العريرية في الانسان الطبيعي قد دفعني لأن أسأل

ـ ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

أجاب العقيد أبو صاوي باستحفاف

ـ ماذا سيحدث ؟ لا شيء ، سيادته نال شهادة دكتوراة في الصحافة ، فاستدعيناه وجعلناه نقيبا للصحافة ، الرحل المناسب في المكان المناسب

ثم التفت أبو ضاوي اليه قائلا

ـ مالك يا دكتور صادر ؟ ضيفنا مهتم بك كل هذا الاهتمام وأنت تهمل واجباتك حياله ؟

فتساءل الدكتور الأمعط

ـ أستغفر الله ، خبروني بماذا قصرت ياسيدي ؟

فأمره أبو ضاوي

ـ قم الى المطبخ وسلهم أين صار العشاء ؟ ضيفنا جاع

فنهض المسكين مضطربا وهو يقول

ـ أمركم سيدي ، أرجوكم عدم المؤاخذة

وأسرع في الدهاب ترى هل يمكن أن يردرى إنسان الى هدا الحد ؟ قلت

ـ عفوا ، أما كان بمقدورنا أن نكلف أحد الخدم بهده المهمة ؟

فأفادني أبو صاوي بالمعلومة العجيبة التي تؤكد على أن الدكتور صادر يشعر بسعادة كبرى عندما يكلفه « أحد المسؤولين » بمهمة من هدا المستوى ، لأن دلك يعني أنه مازال مرصيا عنه

وتكلم الرحل ذو النظارة السوداء والعين الرجاجية فأوصح المعلومة عينها قائلا

ـ هؤلاء أناس كلما دللتهم أكثر أخلصوا لك أكثر ، خصوصا هدا الإنسان الرخيص

الى هنا ـ قارئي العرير ـ أقول إن كل ما قرأته خيال في خيال ، إنه أوهام كاتب صبها في فصل من رواية عادية لا علاقة لهذا الشخص بأحداثها من قريب أو بعيد

تسألني إذن أين هو المريب الذي يكاد يقول خذوني ؟

سوف يدهشك الجواب ، فعندما طبع الكاتب روايته الضخمة التي ليس فيها عن ظاهرة « الدكتور » إلا ماذكرت فوجيء بما لم يكن يخطر على باله إطلاقا ، فكم من « دكتور » من معارفه عاتبه أو قاطعه أو أعلن على الملأ أنه كاتب كذاب ، على الرغم من أن هؤلاء « العلماء » الأفاضل ليسوا نقباء ولا صحفيين

أليس هذا عجيبا ؟ هكذا سألني صديقي مؤلف الرواية مذهولا ، وأضاف

« أليس عجيبا أن لا يهتم أحد من هؤلاء النخبة الطليعية بمناقشتي حول أسباب انهيار ذلك الشاب من مشروع بطل الى دودة راحمة تحت حذاء الطغاة ، ويحاسبونني ـ بدلا من دلك ـ على ذنب لم أقترفه ، وهو أنني تحدثت عنهم بالسوء وفضحت حقيقة وضعهم ؟ » □

إقــرأ
في العَدد القادم من

يولــيـو ١٩٨٨

استطلاعات

- منهج التجديد في الفكر الإسلامي
  د. محمد فاروق النبهان
- إشكالية الوحدة الإقليمية في الفكر العربي الوحدوي
  د. محمد جابر الأنصاري
- مواقف إنسانية !
  د. عبدالوهاب حومد
- الفيلم الأمريكي واللاّسامية الجديدة ضد العرب
  د. جاك شاهين
- الايقاع .. طاقة السحر وجسر العبور !
  خالد القشطيني
- هل نقول للعجز الجسماني وداعًا ؟
  د. سامي محمود علي
- النباتات الطبية والعطرية في الوطن العَربي
  د. شكري ابراهيم سعد

● وجهًا لوجه :

فنان الكاريكاتير علي فرزات و حسن يوسف

واقرأ أيضًا للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. سمير رضوان - أحمد الجندي - فهمي هويدي

محيي الدين فارس - د. عباس الحميدي - د. علياء شكري - ياسر الفهد

أرقام

بقلم : محمود المراغي

الزبون رقم «١»

هذا عالم يسود فيه البؤس أكثر مما تسود فيه السعادة ، ويسود فيه الجنون أكثر مما يسود فيه العقل الرشيد !

وفقا لأرقام الأمم المتحدة فإن هناك بين خمسة مليارات يسكنون هذا الكوكب مليار يعيش تحت خط الفقر ، ومليار بلا مأوى ، ومليار تحت بند المتعطلين وعندما تتواضع الأرقام لتهبط عن المليار نجد أن هناك (٧٨٠) مليونا لا يحصلون على غذاء كافٍ ، و ٨٨٦ مليونا لا يعرفون القراءة والكتابة !

الأرقام عن عام ١٩٨٧ الذي انعقد في الخريف منه مؤتمر للأمم المتحدة بعنوان « نزع السلاح والتنمية » ، اتضح فيه أن العالم ينفق ٦٪ من الناتج المحلي على التسلح ، وأن نفقات التسلح قد تضاعفت منذ الحرب العالمية الثانية حوالي خمس مرات ، وأن المشكلة الكبرى في الدول النامية حيث تزيد نفقات التسلح عن عشرين ضعف مساعدات التنمية الرسمية

زبون رقم (١)

الدراسات لا تتوقف حول هذا التناقض بين الحاجة إلى موارد تواجه الأزمات وإنفاق الموارد على التسلح وآخر الدراسات جاءت في كتاب يحمل اسم « بازار المدافع » قدمه ميشيل بارروكا وتوماس احلوسن ، وهما باحثان في معهد السلام العالمي باستكهولم

في الكتاب أن العالم الثالث قد اشترى سلاحا قيمته (٢٨٦) مليار دولار بين عامي ١٩٧١ ـ ١٩٨٥ ، وأنه بينما تراخى معدل التزايد في المشتريات بين عامي ٧٨ ، ٨٤ عاد المؤشر يرتفع من جديد ابتداء من منتصف الثمانينيات

والرقم ليس صغيرا فهو يقترب من ثلث مديونية العالم الثالث ، أي أنه بين كل ثلاثة دولارات يقترضها العالم الثالث يتجه دولار واحد منها للسلاح في نفس الوقت وأنه بين كل دولارين يخرجان من العالم الثالث لشراء سلاح يدفع الشرق الأوسط دولاراً واحدا منهما ، فوفقا للبحث السابق جاء الشرق الأوسط منذ عام ١٩٧٥ على رأس زبائن السلاح في العالم ، إنه الزبون رقم (١) الذي يمتص أكثر من نصف المبيعات ، ثم تأتي بعده افريقيا ، وفي مقدمتها دول المغرب العربي ، ثم تأتي أمريكا اللاتينية وآسيا

في التفسير وبعيدا عن الدراسة السابقة نجد أن كثيرا من بؤر التوتر في الشرق الأوسط ، ففي أقصى الشرق حرب الخليج التي امتدت على مدار ثماني سنوات كاملة ، ولم يقتصر أثرها على البلدين

لمتحاربين ، وإنما امتدت لكل الجيران ، وفي المشرق يأتي الصراع العربي الاسرائيلي أيضا بما يعنيه بالنسبة لدول الجوار (سوريا والأردن ومصر ولبنان) ، بل والسعودية أيضا التي لا تبعد كثير عن الأرض المحتلة ، وفي الجنوب من الوطن العربي يأتي أكثر من توتر ، وفي المقدمة الوضع في السودان وفي المغرب من الوطن العربي تأتي مشكلة الصحراء وغيرها من مشاكل تخلق التوتر

وربما كانت سنوات ما بعد الاستقلال ، وسنوات ما بعد « النفط المرتفع السعر » تفسر الاتجاه لبناء قوة عسكرية ، لكن الأكيد أن التوتر كان هو العنصر الغالب في سباق التسلح ، حتى باتت ميزانية الدفاع في بعض البلدان تلتهم أكثر من ثلث الانفاق العام في الموازنات الحكومية ، وحتى باتت نسبة الانفاق على التسلح في بعض البلدان الفقيرة تريد من ناحية الأهمية النسبية عن كثير من البلدان الغنية والمتقدمة !

والتفسيرات كثيرة ، لكن الأهم ما هو مستقبل هذا الانفاق المجنون الذي يتحول - في جزء كبير منه - إلى ديون تتصاعد ؟

العالم ومفترق الطرق

السؤال مثار ، والعالم الآن يقف في مفترق طرق ، مشاكل العالم الثالث وديونه وأزماته التي تصل إلى حد « الحياة والموت » ، كل ذلك يتزايد ، فهل يعيد العالم الثالث النظر في أولويات إنفاقه ؟

على الجانب الآخر فإن مؤتمر الأمم المتحدة الذي ناقش نزع السلاح والتنمية قد انتهى إلى وثيقة تربط بين الأمرين ، وتضع برنامجا للعمل ، تؤكد فيه الدول المشتركة التزامها باتخاذ « إجراءات مناسبة لنزع السلاح والتنمية ، ولحل النزاعات بشكل سلمي » حدث ذلك في خريف ١٩٨٧ ، فهل يتحقق شيء منه ؟

وربما يكون التحول الأهم هو اتجاه القوتين العظميين لنزع بعض الأسلحة ، بل وتدميرها أيضا ، والسؤال هل يصحب ذلك انكماش في صناعة السلاح التي يتركز جزء كبير منها في هاتين الدولتين ، أم أن شركات السلاح سوف تحافظ على طاقتها ، ومن ثم فليس أمامها غير العالم الثالث ، تبيع له ، وتكسب منه ، وربما تلعب لعبتها في توفير ما يلزم اللعبة من أزمات أكثر ، وديون أوفر ؟

والأمر هنا يتعلق بالعالم الثالث في المقام الأول أي أولويات يختار ؟ وأي سياسات يتبع ؟ ذلك أنه اذا كان الخيار بين القمح والبندقية فلا بد أن ترجح كفة القمح ، لكن بشرط أن نعالج قضايا الأمن بأسلوب آخر أكثر رشدا ، وأقل تكلفة

القضية مطروحة عالميا ، لكن على ربون السلاح رقم (١) - أعني الشرق الأوسط - أن يكون أول من يعالج الأمر ، وأن يسأل فيما يشتريه من أسلحة . أي عائد من الأمن في مقابل التكلفة الاقتصادية التي ندفعها ؟ وذلك مع التسليم بأن الطرف العربي ليس وحده في الميدان ، وفي القرار □

السلطان الحازم

● كانت مسألة السلطان موضع عناية مصنفي الأدب السياسي في تراثنا العربي ، مثال الماوردي والشيزري وابن الأزرق وابن خلدون وابن الربيع وغيرهم

يقول أحدهم في ذلك السلطان الحازم ، من ابيضت آثار أياديه ، واسودت أيام عاديه ، واخضرت مواقع سيبه ، واحمرت مواقع سيفه ، واصفرت وجوه حساده ، وراقت أعين أنداده ، وكل هذه الصفات تقود للاعزاز ، وتدفع غائلة المذلة والهزيمة عن الأمة .

قـــراءة نقديّة لكتاب

مساء البلورات

مجموعة قصصيّة

من تأليف عبْد القادر عقيل

بقلم . أبو المعاطي أبو النجا

يقدم الكاتب في هذه المجموعه القصصيه حريه صادقة أصيلة، وايه صدقها ذلك التناغم الرائع بين عناصر التجربه في القصه الواحده ، وبين المجموعه كلها

فما هي تفصيلات ما جاء في قصص « مساء البلورات » ؟

منذ أعوام أتيح لي أن أقرأ المجموعة القصصيه الأولى للقصاص البحريني عبد القادر عقيل بعنوان « استغاثات في العالم الوحشي » ، كانت قصص هذه المجموعة صغيرة الحجم نوعا ، ١٨ قصة في ٩٠ صفحة ، الانطباع الذي تركته هذه القصص في نفسي انذاك أن كل قصة تبدو بالفعل مثل الاستغاثة ، حادة قصيره ، مكثفة ، لاهثة مباشرة ، وقد كتبت هذه القصص بأسلوب يكاد ينأى عن منهج الكتابة الواقعيه السائدة التي تعنى برسم شخصيات من الواقع ، ذات ملامح نفسية واجتماعية محدودة في اطار زمان ومكان محددين ، ورصد حركتها وتفاعلها عبر تفاصيل الحياة اليومية ، ففي كل قصص هذه المجموعة تقريبا كان ما هو واقعي يمتزج امتزاجا حادا بما هو خيالي ، وكان هذا المزيج يتيح للكاتب أن

ينتقل من ساقصات الواقع الاجتماعي والفردي والانساني سحرية مثيرة تعبر عن طبيعة الموقف أكثر منها عن طبيعة الشخصية ، ويكاد ينطبع على قصص المجموعة مسحة من اليأس والأسى والإحباط ، وبطبيعة الحال فان هذه الخصوصية لاتخرج قصص المجموعه عن تيار القصة الواقعية العام ، وهو التيار الذي يهتم بمشكلات الانسان البسيط الذي تسحقه هموم الواقع الاجتماعي اليومي ، واتذكر أيضا أن هذه القصص كانت تعاني بحكم كونها مثل الاستغاثات ـ من المباشرة ورتابة السطحية ، سواء في رؤية المشكلة أو في معالجتها الفنية ، فالقصص كلها صرخات حادة ضد الظلم والقهر والبلادة والقسوة والتخلف ، ولاشيء آخر لكن أهم ما بقي في نفسي من تلك المجموعة

ـ سافة السحرية وحدتها ، والقدرة الكبيرة على ـثيف المواقف في سطور قليلة مشحونة ومختارة ـحساسية بالغة ، قد تذكر بقصص الكاتب السوري زكريا تامر ، والآن ماذا يقدم لنا عبد القادر عقيل في مجموعته القصصية الثانية ؟ كيف تطورت تجربته القصصية ، وماذا أضاف فيها وفي أي اتجاه ؟

سمات عامة

تضم مجموعة مساء البلورات اثنتي عشرة قصة ، ست منها مقدمة بلسان الراوي (البطل) والست الاخيرة مقدمة بضمير الغائب (المؤلف) ولكن هذا الاختلاف لايؤثر كثيرا على شعور القارىء بأن العالم القصصي في هذه المجموعة مقدم من خلال شخصية واحدة هي البطل متعدد المستويات والوجوه، يطل علينا من مواقف مختلفة من الحياة ، ومن مراحل مختلفة من العمر ، ولكن جميع هذه المواقف والمراحل تتكامل في صنع رؤية قوامها انسان واحد خائف مهزوم متوحش يعاني من كوابيس مرهقة تنبع أحيانا من مشكلات نفسية غائرة ، وأحيانا من مشكلات اجتماعية خانقة ، فما ملامح هذه الرؤية ؟ وما مكوناتها ؟

كوابيس . الليل والنهار

في قصص هذه المجموعة أيضا يمتزج ما هو واقعي بما هو خيالي ، وهذا هو الخيط الفني الممتد بين المجموعة الاولى والثانية والخيال في هذه القصص ينبع من الحلم الذي سرعان ما يتحول الى كابوس ، وقد تبدأ منه القصة أو تنتهي به ، وقد تتردد القصة بين حالات من اليقظة والكابوس في ايقاع متوازن يبدو فيه الواقع وكأنه كابوس أو يفسر الكابوس ويستمد فيه الكابوس صورة الرمزية من الواقع فما هي الوظائف الفنية للكابوس في هذه القصص ؟؟ وما الرموز الفنية التي تراءت عبر الكوابيس في هذه القصص ؟

على ضفاف الحلم يغني الأطفال

هذا هو عنوان القصة الأولى في المجموعة ، سوف نتوقف في البداية أمام القصة ، لأنها تمثل نوعا من المفتاح للدخول لعالم هذه المجموعة ، واكتشاف معالم رؤيتها الفنية

بطل هذه القصة هو الراوي نفسه ، وهو أب يعيش مع زوجته وطفله ، يقرر فجأة أن يقاطع الجرائد والاذاعة والتلفاز لان الدنيا تبدو له من خلالها وكأنها تعيش تحت خيمة الشر ، يكتفي منها كلها بالاستماع لمحطة الموسيقا في الاذاعة لأن الموسيقا هي اللغة الوحيدة التي لا توحي بالشر ، ومع

صعوبة القرار فانه ينجح في تنفيذه بعد معاناة ، ويبدأ في الشعور بأن كل شيء يسير على ما يرام في مملكته الصغيرة فهل يستمر له هذا الحال ؟

ذات يوم يرى وجه زوجته ممتقعا وهي تقول له الصغير اختفى ، بحثت عنه في كل مكان ولم أجده !

[لاحظ هنا، وفي كل القصص المقدمة بلسان الراوي أنه لاتطلق اسماء على الشخصيات مما يوحي بفكرة البطل الواحد المتعدد الوجوه والمستويات في هذه القصص]

إن رحلة الابوين في البحث عن الصغير الضائع في مخافر الشرطة وفي المستشفيات ، لاتسفر عن سر

اختفاء الطفل ، ولكن ما صادفه الأبوان في هذه الرحلة يكشف أشياء عن حدود المخاوف الكامنة في أعماق الاب التي دفعته الى قرار الانسحاب والامتناع عن قراءة الجرائد ومتابعة الاذاعة والتلفاز

- اذن لابد أن عصابة اختطفت ابنكما ، حتما سيتصلون بكم لطلب الفدية ! كانت هذه العبارة هي اخر كلمة قالها لهم رجل الشرطة كأنما ليعلن انتهاء دوره وتستمر أحداث القصة ليتأكد الابوان أن الانسحاب لايوفر أمنا وليكتشف القارىء - وهذا هو الاهم - أن خطورة الانسحاب ليست في مداه بل في قرار الانسحاب ذاته ، لأن الذي يقرر الانسحاب كطريق للنجاة ، لن يعرف حدا يتوقف عنده ، فالابوان هذه المرة - وبعد طول انتظار - يسمعان صوت طفلهما الغائب ينبعث من جدار في حجرة نومه وحين يتكرر النداء فان الاب يقذف بنفسه الى داخل الجدار (بداية الكابوس أو الجنون) فيجد نفسه يسقط في فراغ لانهائي تدور فيه الافلاك وتعزف الموسيقا (لاحظ التمهيد لهذا الموقف بعشق الاب القديم للموسيقا) وعلى نغمات هذه الموسيقا يجد أطفالا يرقصون ويغنون ، وحين يقترب منهم يجد ابنه معهم يلعب ويغني ، يتعانق الاب والابن ، ويقود الطفل أباه الى جهاز ضخم الرحل يدخل فيه الاب ليخرج منه طفلا في الخامسة من عمره

(اشارة الى أن أحد أشكال الجنون هو ارتداد الكبير بطريقة ما الى الطفولة) تلك هي الحدود القصوى للانسحاب الذي قد يبدأ بالامتناع عن قراءة الصحف

وفي نهاية القصة يطير الاب والابن (الطفلان) الى كوكب بعيد ، فيجدان امرأة تنتظر عودة روحها وابنها فهل يعودان أم أن الام هي التي ستلحق بهما في الطريق ذاته ؟ ويبقى السؤال معلقا

في هذه القصة قد يلاحظ القارىء شيئا من اختلاف التوازن بين ما تقدمه القصة بالفعل من مخاوف الراوي (البطل) وبين النتيجة التي انتهى اليها والتي توحي بالجنون أو بمواصلة الهروب الى عالم الاحلام والكوابيس ، ولكن في اطار الفهم أو التفسير الذي نقدمه ، وهو أن الشخصية في هذه القصة ، بل في هذه المجموعة هي الانسان في بلادنا ، وهو يواجه مشاكل مجتمعه في اطار متغيرات العصر فانه يتوجب علينا أن نواصل قراءة القصص لنفتش عن بقية ملامح بطل هذه المجموعة ، وعن دواعي خوفه وانسحاقه ، وعن رؤية المؤلف لعوامل الخوف والاحباط سواء في أعماق ذات البطل ، أو في حياة مجتمعه وشتى ظروفه وقد يجد القارىء - ولا نريد أن نسبقه الى الحكم - أن بعض قصص المجموعة تركز على أزمة الجنس في حياة البطل ولها بعد اجتماعي ايضا ، وأن بعضها يركز على أشكال القهر والاستلاب في المجتمع ، وبعضها قد يوحي بأن الشر الذي يهرب منه البطل في القصة الاولى عميق الجذور في الوجود الانساني ، بحيث يبدو أن اقتلاعه قد يعني أحيانا اقتلاع الحياة ذاتها ! هل تعجلنا في اصدار الاحكام والتفسيرات بعيدا عن القصص ؟ لماذا لانعود للقراءة ؟

ليس بالامكان حدوث ما كان

في هذه القصة الرائعة نلتقي بالبطل وحيدا تماما في قارب مطاطي في بحر عميق ساكن ، يتطلع في كل اتجاه حيث لاشيء سوى البحر ، لايدري ما الذي جاء به الى هنا، لاحطام سفينة ، لاجثث ، لاسمن عابرة ، لايجد بطاقة هوية في جيبه ، لايتذكر شيئا ، هنا تبدأ القصة بنوع من العزلة لعلها تشبه العزلة التي انتهى اليها البطل في القصة الاولى واذا كانت عزلة البطل في القصة الاولى مع الاطفال هي الكابوس، فان العزلة هنا(مع انها هي الكابوس الفعل) تبدو من طريقة تقديم الكتاب لها كأنها هي اليقظة أو هي الواقع ، وفي هذه اليقظة يحاول البطل أن يتذكر الاحتمالات التي يمكن أن تكون قد رمت به الى هذه العزلة القاتلة ، ويتذكر البطل أربعة احتمالات كلها مستمدة من ماضيه ، أعني من الواقع ، ولكنها تبدو له - وأيضا للقارىء ، لما فيها من

قسوة وعرامة وبشاعة - وكأنها هي الكابوس الذي قدف به الى هدا المكان النائي وحين يتأمل القارىء هذه الاحتمالات فسوف يجد أن الشرور التي يهرب منها البطل في الواقع الى هدا الكابوس تنبع كلها من قهر السلطة ، أو من عسف التقاليد ، أو من طلامة القانون !

في هده القصة الرائعة يتبادل الواقع والحلم أدوارهما ، فتأتي لحظة الحلم ثابتة واضحة قوية كأنها الحقيقة ، بينها تتحللها دكريات الواقع الكئيب المحيط وكأنها أحلام كابوسية ثقيلة ! تأمل مرة اخرى روعة العنوان « ليس بالامكان حدوث ما كان »

العقاب

ادا كان البطل في القصة الأولى هو الأب فان البطل في قصة العقاب هو الابن وهو هنا طفل في العاشرة من عمره ، تبدأ القصة بكابوس يرى فيه الصبي نفسه ساقطا في حفرة عميقة هربا من حمل يطارده ، وجه الحمل يطل عليه من أعلى الحفرة ، ثم يتحول وجه الحمل الى وجه مدرس الحساب يأمره بأن ينهض ، وحين يفتح احدى عينيه يرى في الحقيقة وجه شقيقته التي تكبره بسبعة أعوام توقظه لتنظف السطح الذي تنام فوقه الاسرة صيفا ، يرفض القيام لان اليوم اجازة فتسحب عنه الغطاء فتجده عاريا ، وتجد قرادة ترحف على إليته ، فتدير وجهها وهي تطلق ضحكة ساخرة

- تظن نفسك رجلا حتى تنام عاريا !

هي هكذا تحاسبه على اخطائه كأنه رجل ، ولكنها تعامله كأنه طفل ، ودائما تهزأ منه أمام أبويه وأمام الجيران ، وتجعل من أفعاله حكايات ترويها للسخرية منه ، يقول لها مماثلا

- ساساعدك في تنظيف البيت مقابل سكوتك عما حدث ، وتقول مبتزة

- وتنفذ كل أوامري

وهكذا ينحدر التهديد والخوف من وجه الحمل الى وجه مدرس الحساب الى وجه الاخت ، وينتهي الى رضوخ الصبي (البطل) الى ابتزاز اخته .

ولكن طفلنا الضحية يسفر بعد لحظات - رغم أعوامه العشرة - عن انسان ملىء بالقسوة والانانية ، إنه يصطاد العصافير بنوع من الحيلة ثم يخاطب العصفور بعد اصطياده قائلا

- تعال ياعصفوري الجميل ، انت الآن تحت رحمتي ، ثم يضع عنقه بين أصابعه ويسحبه بقوة فينفصل الرأس عن الجسد ، ويتفجر دم العصفور ، ويذهب به الى أمه لتطهوه له قبل الغداء ، على مائدة الغداء يحكي أبوه قصة عامل سقط من برج سفينة شحن ومات لتوه ، لكن القصة لاتكاد تثير اهتمام الصبي فكل ما كان يهتم له هو أن لا تثرثر أخته بما حدث له في الصباح

أثناء النهار يكتشف الصبي أثناء تلصصه على بيت جارهم الغني أن الشقيق المقعد للجار يخون أخاه الذي يعوله - أثناء غيابه عن البيت - مع زوجته ، يفكر في أن يجبر الزوج المخدوع فقد يحصل منه على شيء من النقود مقابل دلك ولكنه لايفعل خشية أن يتعرض لأذى رجل غاضب . ويتساءل هل يمكن لاخته حين تكبر وتتزوج أن تخون زوجها كهذه الزوجة !؟

وتستمر القصة التي تكاد تكون مجرد تسجيل محايد - ولكن مقصود - لسلوك طفل خلال نهار وجزء من الليل ، ليقدم لنا الكاتب من خلال بطل القصة الصغير رؤيته لجذور القسوة والانانية في نفوس الاطفال والكبار

وبغض النظر عن دور الكبار في دلك - فمن الواضح أن الكاتب في هده القصة يركز أكثر على ما هو كامن في اعماق الفرد الطفل من استعداد شبه فطري للقسوة والابتزاز والكذب . فالصبي في نهاية هذه القصة يشي بأخته عند أبيه وشاية كاذبة ، ويتسبب في أن تنال من أبيها عقابا عنيفا على جريمة لم ترتكبها لأنها لم تف بما وعدته به من عدم السخرية منه أمام بنات الجيران ، وتنتهي القصة بابتسامة شريرة - على حد تعبير الكاتب - ترتسم على شفتي طفل في العاشرة من عمره

قد يبدو في هذه القصة بعض المبالغة ، وشيء من

الافتعال في حشد صنوف من القسوة . فحين يذهب الصبي مع شقيقته الى بيت الجيران لمشاهدة التلفزيون نجده مغرما بمتابعة « مسلسل اريير الرصاص » مثلا والمصارعة الحرة الخ

لكن من الواضح أن القصة هنا بكل ما تحمله تبدو وكأنها تؤدي دورا في هذه المجموعة باعتبار قصص المجموعة تقوم برحلة تحت عناصر القسوة والشر في حياتنا وفي واقعنا . وهي العناصر التي دفعت بالبطل في القصة الأولى الى أن يهرب الى الجنون . وهي بهذه المثابة لاتجعل من الاطفال مجرد ضحايا بل تكاد تجعل منهم مشاركين

رقصة الحرب

تبدأ هذه القصة من الواقع . ويلوح أنها تنتهي فيه . ولكن ما يحدث في القصة في السطر الاخير . بل ما يحدث فيها من البداية الى النهاية - حين تعيد حتما قراءتها - سوف يجعلك تكتشف أنها ليست سوى كابوس مخيف . ليست في حاجة الى أن تنام لكي تراه . وتتميز هذه القصة بأنها تحمل امكانية تفسيرات متعددة وغنية

ففي القصة أب يأخذ ابنه الى أحد المتنزهات العامة

(لاحظ أن معظم أبطال هذه المجموعة أب وابنه أو ابن وامه أو رجل وامرأة مما يؤكد عمومية البطل فيها كلها وأنه الانسان في وطننا العربي كله . وليس فردا بعينه)

كل شيء في المتنزه يوحي بامكانية قضاء وقت جميل للاب وللابن بين الاراجيح والاطفال والزهور والاشجار الجميلة عدا شجار صغير بين طفلين . وفجأة في هذا الجو المطمئن تقف حافلة صفراء اللون ينزل منها رجال ملثمون معظمهم يحمل سيوفا براقة . أما البقية فتحمل دفوفا وطبولا . ويتوجهون الى قلب المتنزه ويبدأ العازفون في العزف . أما الملثمون فراحوا يؤدون رقصة الحرب على ايقاع الطبول ويتحلق الصغار والكبار حولهم في دهشة لأنه لم تكن هناك مناسبة لمثل هذا العرض الاحتفالي . لكن الجميع كان مأخوذا مما يقوم به الرجال الملثمون من حركات بارعة بسيوفهم . يمرقون بها النسيم الرقيق . الطبول تكاد تتفجر من شدة الضرب عليها . الاب يضع ابنه على كتفيه ليشاهد افضل . فجأة يطلق احدهم صيحة قوية فتشتد أيدي الملثمين على مقابض السيوف ويتوقف الضرب على الطبول . وفي لحظة سريعة أخذوا يمررون سيوفهم الحادة بكل قوة على رءوس أفراد الحلقة دون تمييز

هذه هي القصة التي تبدأ رقيقة ناعمة جميلة

سم يتحللها قلق خفيف يتحلى بسحار طفلين لايعي أحد بعض اشتباكهما . ويتسلل الى حوهما خوف مغلف بالاثارة وبوعد غامض برؤية لعبة مشوقة هي رقصة الحرب ، ومع توتر تمترح فيه النشوة بالخوف ، أثناء رقصة الحرب تأتي النهاية الفاجعة من مفاجأة تقلب الواقع الى كابوس مخيف ، هنا يربح

الكاتب الستار عن منابع جديدة للخوف حيث يمكن أن تتحول لعبة التلويح بالحرب في الواقع في أية لحظة الى حرب حقيقية ، لاتميز في اختيار ضحاياها . وربما يقدم الكاتب في صورة جديدة خوفنا القديم الكامن من الموت الطبيعي الذي نعايشه ونتقبله ونسلم به وهو يتسلل الى حياتنا مخاتلا مخادعا ، قد يفاجئنا ونحن في أكثر اللحظات شعورا بالامن من ناحيته ، في هذه القصة يحفر الكاتب عميقا عن جذور الخوف في الوجود ذاته !

توظيف تقنية الكابوس

في هذه المجموعة تتعدد استخدامات تقنية الحلم الذي يتحول الى كابوس ففي قصة « النبوءة » يتيح استخدام هذه التقنية تواصل حلقات الاضطهاد الذي قد تمارسه السلطة في العصر الحديث مع حلقات الاضطهاد والعنف الذي كانت تمارسه السلطات في التاريخ في قصة واحدة،فالسجن الذي يذهب اليه البطل في هذا العصر لمجرد الإدلاء

شهادة . ثم يتحول فيه الى متهم يلتقي بسجينين آخرين ، وهما محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيلمة الكاتب ، وعبيد الله بن المهتدي في عصر الخليفة المنتصر ، ويكتشف البطل والقارىء في وقت معا ـ من خلال تقنية الحلم الذي يتحول الى كابوس ـ أن للظلم منطقا واحدا في كل العصور

في قصة « الجاثوم » تتيح التقنية التي تراوح بين حالات الكابوس . وحالات اليقظة وما يحدث خلالها ـ في تدرج مقصود أن يدرك القارىء لماذا تستيقظ شهوة البطل مع جسد جميل لامرأة دفنت منذ لحظات ، وتموت مع جسد روحته الحية بجواره

وقد لانملك في حدود هذا المقال أن نستجلي بتفصيل معالم الرؤية التي يقومها الكاتب في كل قصص هذه المجموعة . ولعلنا قد حددنا المعالم الاساسية لهذه الرؤية التي دفعت بالبطل الواحد المتعدد الى حافة الجنون ، وهي رؤيا قد يراها البعض متشائمة أو معرقة في السواد ، وقد يجد كل ما في أعماق ذاته أو في أعماق مجتمعه أجزاء من هذا البطل الخائف المهزوم المسحوق ، ولكن الذي قد نختلف فيه كثيرا أن الكاتب في هذه المجموعة وفي غيرها مما كتب كان يقدم لنا تجربة صادقة أصيلة ، وآية صدقها ذلك التناغم الرائع بين عناصر التجربة في القصة الواحدة وبين المجموعة كلها، وانها قدمت لنا ما تقدمه أية تجربة صادقة من قسوة الصدق وجماله في آن واحد □

ميمون النقيبة :

كان ابن مسكويه مديرا لمكتبة أبي الفضل بن العميد الوزير المعروف ، وحدث أن ثار العامة على الوزير ونهبوا داره ، فلما عاد إليها بعد ذلك لم يجد فيها شيئا يجلس عليه ، ولا كوبا يشرب فيه ، ولكنه وجد خزانة المكتبة لم تقربها يد سوء ، فسرى عنه الحزن ، وقال لابن مسكوية أشهد أنك ميمون النقيبة فإن لنا عوضا عما كانت تحويه خزائن المال والجوهر وبقية التحف والنجائب ، أما الكتب فلا يوجد ما يعوضها .

للمناقشة

بقلم : فهمي هويدي

من يملك حقوق نشر

من يملك حقوق نشر القرآن الكريم ؟ إذا قلنا إنه ملك للناس كافة ، لأنه خطاب الله إلى البشر أجمعين، فمعنى ذلك أن لا أحد - من الناحية العملية - يملك حقوق النشر ، وبالتالي فإن من حق كل أحد أن يقدمه على أي نحو أراد ، دونما رقيب أو حسيب !

ونحن نوافق تماما على أن القرآن ملك للناس كافة ، لكننا نحسب أن إطلاق اليد في ترجمته ، أو ترجمة معانيه ، على الصورة الحادثة الآن ، بغير مراجعة من الطرف الاسلامي ، لا يحرف كلام الله أو يشوهه فحسب ، ولا يفسد معارف الأقليات الاسلامية المبثوثة في مختلف أنحاء العالم فحسب ، ولكنه يصادر إمكانية تبليغه إلى الناس كافة على نحو صحيح أيضا

لم نتحدث عن المصاحف المحرفة التي تطبع بين الحين والآخر ، ويروج لها في الوطن العربي ، فالحاصل أن المؤسسات الاسلامية في كل بلد تنهض ملاحقة تلك المصاحف أو طابعيها ، وتتخذ بحقهم الاجراءات القانونية المناسبة التي تنتهي عادة بمصادرة ما هو محرف ، وحجبه عن التداول

●●●

ولن نخوض في جدل مع الذين يحرمون ترجمة معاني القرآن الكريم ويطالبون المسلمين أو غيرهم بأن يتعلموا اللغة العربية إذا ما أرادوا فهم القرآن أو التعامل معه ، فتلك دعوة ضمنية لحصار القرآن في مناطق العرب دون غيرهم ، وحرمان غير العرب مسلمين أو غير مسلمين من ذلك النبع الالهي الفياض ، وهو ما يمكن أن يؤدي إلى إفساد عقائد ملايين المسلمين الذين يتعذر عليهم تعلم اللغة العربية ، فضلا عن إهدار كل فرصة ممكنة لإبلاغه إلى غير المسلمين في أنحاء العالم وهاتان النتيجتان تسعدان أعداء الاسلام الذين يحاربونه ، وطالما تمنوا أن يقطعوا صلة المسلمين بكتاب الله ، حتى يصبحوا فريسة سهلة لمخططاتهم ودعاياتهم التي يوجهونها بكثافة إلى مختلف تجمعات المسلمين في أطراف العالم الاسلامي ، خصوصا في قارتي آسيا وافريقيا

وفضلا عن ذلك ، فمن الثابت أن سلف المسلمين

لم يترددوا في ترجمة معاني القرآن إلى غير العرب ليبلغوا رسالتهم إلى الناس ، ويذكر في هذا الصدد أن موسى بن سيار الاسواري كان يقرأ الآية من كتاب الله فيفسرها للعرب عن يمينه بالعربية ، وللفرس عن يساره بالفارسية وكان ذلك في القرن الثالث الهجري

●●●

كما يذكر أن النبي عليه الصلاة والسلام كان ينصح أصحابه بتعلم لغات زمانهم ، ليتسنى لهم إبلاغ غير العرب بالدين الجديد ، فكان منهم من تعلم السريانية والعبرية ، فضلا عن الفارسية والرومية والحبشية .

بل أذهب إلى أننا لسنا بحاجة إلى مختلف شواهد التاريخ وحججه لنبحث عن إجازة لترجمة معاني القرآن إلى غير العربية . تكفينا ضرورة الدفاع عن عائد المسلمين من غير العرب ، والتكليف الالهي لنا بإبلاغ القرآن إلى الناس كافة

وأيا كانت حجج القائلين بحرمة ترجمة معاني القرآن فالحاصل أنه ترجم فعلا إلى ٧٢ لغة في مختلف أنحاء العالم ، وأن عدد الترجمات والطبعات التي صدرت منه بتلك اللغات ـ حتى سنة ١٩٨٠ ـ وصل إلى حوالي ٢٠٠٠ ترجمة وطبعة ، منها ٦٧١ ترجمة وطبعة في اللغات الأوروبية وحدها ، وعددها ٢٣ لغة ، وهذه الأرقام أوردتها البيبليوغرافيا العالمية لترجمات القرآن الكريم التي أصدرها مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول (سنة ١٩٨٦) .

●●●

والخطير في الأمر أن الأغلبية الساحقة في تلك الترجمات تضمنت مالا حصر له من التحريفات والتشويهات التي تقدم كتاب الله ، وتقدم الاسلام كله في أسوأ صورة ممكنة ، مما يجعل من هذه الترجمات حاضرا حقيقيا يحول دون توصيل معاني القرآن وتعاليمه الصحيحة ، إلى الناس ، مسلمين كانوا أو غير مسلمين

ولا غرابة في ذلك كله ، وإنما الغريب حقا أن نشهده ونسكت عليه ! ذلك أن الترجمات الأولى للقرآن تمت على أيدي الرهبان ، ولم يكن هدفها بأي حال هو التعريف بكتاب الله ، وإنما كانت ترجماته تلك حلقة في المخطط الكنسي الغربي للهجوم الفكري على المسلمين ، واغتيال كتابهم المقدس خارج حدود الأمة العربية

ففي بحث هام بعنوان « المحرفون للكلم » نشرت مجلة « المسلم المعاصر » الفصلية (عدد شوال ـ يونيو ١٩٨٧) للدكتور حسن المعايرجي ، الاستاذ بجامعة قطر ذكر أن الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن تمت في سنة ١١٤٣ م لروبرت الكيتوني ،وأن الترجمة اللاتينية الثانية تمت سنة ١٧٢١ م ، وقد قام بها لودفيج ماراتشي

وتوقيت الترجمة الأولى مهم ، لأن فترة القرنين

الحادي عشر والثاني عشر قد شهدت عديدا من صور الهجوم الأوروبي على عالم الاسلام ، كما شهدت مؤشرات عدة على تقلص النفوذ الاسلامي في أوروبا،إضافة إلى الدور المتعاظم للبابوية والكنيسة الغربية،وبروز دور الرهبانيات في فرنسا الذي كان تعبيرا عن صحوة مسيحية رهبانية في ذلك الحين.

وعلى حد تعبير الدكتور المعايرجي فإنه « في ظل الجو المكفهر القاتم ، المشحون بعداوة الاسلام ومهاجمته على كل الجبهات ، في صقلية ، والأندلس ، وفي القدس (الحروب الصليبية) ترجم القرآن الكريم أول ما ترجم في أوروبا إلى اللغة اللاتينية ، لغة الكنيسة »

لقد خرجت الشرارة الأولى لتلك الحرب الفكرية الشرسة من «دير كلوني» الذي تأسس في عام ٩١٠م بمقاطعة بورجاندي الفرنسية ، ومنه تخرج عديد من البابوات والكاردينالات ومستشاري الملوك والأباطرة ، وكان البابا « أوربان » الثاني الذي أعلن الحروب الصليبية على المسلمين في سنة ١٠٩٥ م في مقدمة الذين تخرجوا من ذلك الدير

●●●

وتذكر المراجع التاريخية أن أحد رؤساء الدير ـ القديس مايول ـ كان يعبر جبال الألب ومعه عدد من الحجاج العائدين من روما (سنة ٩٧٢ م) ، ولكن جيوش المسلمين المتمركزة في قمم الألب آنذاك أسرته ومن معه ، ولم تفرج عنهم إلا بعد ما تلقوا فدية (ألف ليرة من الفضة) ، جمعها رهبان الدير ، بعدما تلقوا رسالة منه بهذا المعنى ، وهي واقعة لفتت أنظار رجال الدير إلى الوجود الاسلامي في اوروبا فضلا عن أن مغزاها ظل كامنا في وجدان الجميع

غير أن رهبان الدير كثفوا جهودهم باتجاه المسلمين في عهد بطرس الكلوني الذي تولى رئاسته في الفترة من عام ١١٢٢ م ـ إلى ١١٥٦ م أي طوال أربعة وثلاثين عاما ، فهو الذي دعا إلى حرب المسلمين بطريقة مزدوجة ، أي بحرب عسكرية وحرب فكرية ، وكان في كتاباته إلى الملوك الصليبيين يؤمن بأن يكون الراهب مسيحيا في فضائله عسكريا في أعماله ، وأن تنصير المسلمين أنفع للمسيحية من قتلهم ، وأن سيف الكنيسة الحقيقي ليس هو ذلك السيف المعروف ، ولكنه سيف الكلمة التي تتمثل في التبشير بالانجيل والتنصير

ومن أجل بلوغه غايته تلك فإنه خرج إلى اسبانيا في سنة ١١٤٢ م ، وكان من أهم ثمار رحلته تلك أنه كلف مجموعة من المترجمين بدراسة وترجمة بعض الكتب التي تتحدث عن الاسلام ، كما أوصى بترجمة القرآن استعدادا لدحضه وتفنيده

●●●

لم تكن تلك أول محاولة للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، ولكن مدينة طليطلة كانت قد عرفت مدرسة باشرت تلك المهمة ، أقامها القس « رايموند » بعد سقوط المدينة في يد الفونس السادس عام ١٠٨٥ ، وقد تولت هذه المدرسة ترجمة العديد من الكتب العلمية ، مثل مصنفات الفرغاني والفارابي وابن سينا والغزالي

التقى بطرس الكلوني والقس رايموند مؤسس مدرسة طليطلة في عام ١١٤٢ م ، واتفقا على ترجمة مجموعة الكتب الاسلامية ، والمصحف في مقدمتها ، التي عرفت بعد ذلك باسم « مجموعة طليطلة » وقد حفظت تلك المجموعة في ديركلوني طوال أربعمائة عام ، حتى أذن بنشرها في بازل سنة ١٥٤٣ م

(كان روبرت الكيتوني الانجليزي الأصل) هو المترجم الأساسي لأول طبعة باللغة اللاتينية للقرآن الكريم

وعن ترجمته تلك كتب يقول « لقد كشفت بيدي قانون المدعو محمد ﷺ ، ويسرت فهمه وضممته إلى كنوز اللغة الرومانية لمعرفة أسس هذا القانون ، حتى تتجلى أنوار الرب على البشرية ، ويعرف الناس حجر الأساس يسوع »

م أضاف « لقد رأت كنيسة كلوني في بطرسها ما راه السيد المسيح في رفيقه بطرس ، ويجب أن شكر [أي بطرس الكلوني] لتعرية مبادىء الاسلام للضوء ، بعد ما سمح الدارسون في الكنيسة لهذا الكفر أن يتسع ويتضخم وينتشر مدة نحو خمسمائة وسمة وثلاثين عاما ، وقد أوصحت في ترجمتي في أي مستنقع فاشل يعشعش مذهب السراسين [المسلمين] متمثلا في حندي المشاة الذي يشق الطريق لغيره » ، « لقد قشعت الدخان الذي أطلقه محمد لعلك تطمئه بنمحاتك » [أي بطرس الكلوني]

بهذه الروح كتب الكيتوني ترجمة للقرآن الكريم ، ولنا أن نتصور بعد ذلك كيف خرجت الترجمة ، وحجم التحريف والاستهزاء والسخرية الذي أدخله على النصوص القرآنية التي نقلها إلى اللاتينية ، فضلا عن عبثه وسخريته بأسماء السور ، ولجوئه إلى تقطيع تلك السور وتمزيق سياقها ، كما حدث في سورة البقرة الأمر الذي جعله يضيف إلى العدد الأصلي لسور القرآن تسع سور جديدة

ظلت تلك الترجمة محفوظة في الأديرة ، حتى حاول ثلاثة من الدارسين في مدينة بازل نشرها في سنة ١٥٤٢ ، لكن مجلس المدينة اعترض « حتى لا يسمح للهرطقة والكفر أن يروجا بين الناس »عبر أن القس مارتن لوثر الشهير تدخل في الأمر ، وكتب إلى مجلس المدينة يقول إنه لا يوجد أضر على الاسلام والمسلمين من نشر ذلك الكتاب وبعد خطابه ذاك أذن بنشر المجموعة ، وظهرت الطبعة اللاتينية للمصحف في أوروبا سنة ١٥٤٣ م وكانت هذه الطبعة (طبعة بيبليانـدر) هي البداية لسيل من الترجمات الأوروبية التي تلاحقت بعد ذلك التاريخ حتى نهاية القرن السابع عشر ، وقد ترجمت إلى الايطالية بعد أربع سنوات (في سنة ١٥٤٧ م) ، ثم إلى الألمانية ، والهولندية ، والفرنسية ، والروسية ، وهكذا .

لقد تصدرت الطبعة الفرنسية صورة لرجل يرتدي اللباس التركي والعمامة التي يرتفع الهلال فوقها ، وهو يجلس أمام « سبيل ماء » من الطراز العثماني ، وحوله مجموعة من لابسي العمائم ، ويدرك من ينظر إلى الصورة أنها للمسلمين ، بينما يوحي جوها العام بأن الشخصية الرئيسية فيها هي النبي عليه الصلاة والسلام ، والعبارة الوحيدة التي كتبت تحت الصورة نصها كما يلي « رسول الله ، لا إله إلا الله محمد ! »

●●●

الترجمة الثانية للقرآن إلى اللاتينية قام بها القس الايطالي لودفيجو مراتشي ، وقدر لهذه الترجمة أن تسود في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وأن تصبح المصدر الأساسي لترجمات القرآن إلى مختلف اللغات الأوروبية الأخرى

وإذا انتبهنا إلى أن ترجمة الكيتوني قد تمت في حوالي سنة واحدة ، وأن ترجمة مراتشي تمت خلال أربعين سنة ، فلنا أن نتصور الفرق بين المجهود الذي بذل في الترجمتين ، والنتيجة المترتبة على ذلك وقد وصف الدكتور المعايرجي ترجمة مراتشي بأنها « أشد جدلا وهجوما على القرآن الكريم ، وأدق ترجمة ، وأوسع مصادر وأكثر عمقا وخبثا »

يكفينا لفهم الروح التي ترجم بها مراتشي القرآن قوله في تقديم ترجمته إنه لم يسمح لنفسه عند التحدث عن محمد أن يستعمل السباب المشين والتعبيرات اللا أخلاقية التي ظنها الكثيرون ممن كتبوا ضده أنها أقوى أسلوبا للمجادلة ، لكن العكس هو الصحيح « فقد وجدت أنه من الملائم معالجة الموضوع بالحكمة والأدب ، بل والموافقة على الأساسيات التي أعتقد أنها تستحق الموافقة ، كمدى الجريمة الأبدية التي ارتكبها (محمد) بفرضه دينا مزيفا على البشرية ! » .

نعم ، ظهرت في القرن العشرين ترجمات للقرآن من العربية إلى الانجليزية والفرنسية ، قام بها بعض علماء المسلمين الموثوقين ، لكنها تظل نقطة في بحر الترجمات الموجودة حاليا بتلك اللغات وبغيرها ، فقد

قام مولانا أبو الأعلى المودودي ، وعبد الله يوسف علي ، ومحمد أسد ، بترجمة القرآن إلى الانجليزية ، بينما نقله إلى الفرنسية الأستاذ محمد حميد الله ، الهندي الأصل المقيم في باريس حاليا ، لكننا إذا ألقينا نظرة على كم الترجمات والطبعات الأوروبية (٦٧١ ترجمة) فإننا نستطيع أن ندرك حجم التأثير المتواضع ـ وربما غير المذكور ـ الذي قد تحدثه تلك الترجمات الأمينة ، الخالية من الهوى والغرض

●●●

ولأن الاستثناء لا حكم له فإن القاعدة تظل كما هي ، ويظل الأصل هو أن الترجمات التي صدرت إلى الآن والمتداولة في مختلف أنحاء العالم قد خرجت من أصول كارهة للاسلام والمسلمين ، تريد تشويه القرآن ، وهدم الدين ، وتجريح صورته في وعي الانسان الغربي ، وفي وعي المسلم غير العربي

ويقودنا ذلك إلى صلب الفكرة التي ندعو إليها ، وهي أنه آن الأوان لكي تخضع ترجمات معاني القرآن للمراجعة والتنقية من جانب العالم الاسلامي ، الذي أحسب أن أحدا لا ينازعه حقه في الدفاع عن كتابه الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ

وإذا كان للعالم الاسلامي كيان قانوني يعبر باسمه ، هو منظمة المؤتمر الاسلامي ، فإنه يظل مناسبا ـ بل واجبا ـ أن تنشىء تلك المنظمة جهازا خاصا يتحمل مسئولية الدفاع عن القرآن الكريم وملاحقة الذين ينتهكون حرمته ، ويشوهون تعاليمه في العالم الخارجي

إن هناك ١٦ منظمة فرعية تتبع المؤتمر الاسلامي الآن ، وتغطي معظم مجالات النشاط التي تهم العالم الاسلامي المشترك ، وإضافة منظمة أو مؤسسة عالمية للقرآن الكريم يشترط موافقتها على كل ترجمة له بأي لغة من لغات العالم أمر ضروري

فإن أحداً لا يستطيع أن يطبع الانجيل أو يترجمه إلا بإذن ، وعندما نشر أحد الباكستانيين انجيل برنابا في لاهور دون إذن لاحقه ممثلو جامعة أوكسفورد البريطانية قائلين بأن حقوق نشر هذا الانجيل ملك للجامعة ، ولا يحق لأي طرف في العالم أن يطبعه إلا بموافقة من تلك الجامعة

وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يترك كتاب الله مستباحاً للجميع يمارسون فيه كل حقوق الاساءة والتشويه ؟ وما الذي يمنع منظمة المؤتمر الاسلامي من النهوض بهذه المهمة الكبيرة ؟ ! □

الطابور الخامس

● نشأ تعبير «الطابور الخامس» أول ما نشأ أثناء الحرب الأهلية الأسبانية التي نشبت عام ١٩٣٦ ، واستمرت ثلاث سنوات ، وأول من أطلق هذا التعبير هو الجنرال الأسباني كويبو ديللانو ، أحد القادة الثائرين ، وكان يتحدث عن قواته الزاحفة على مدريد ، وكانت تتألف من أربعة طوابير من الثوار ، ثم قال إن هناك طابورا خامسا يعمل مع الثوار ، لكنه داخل مدريد نفسها ، وكان يقصد بذلك مؤيدي الثورة من أهالي مدريد

وبعد هذا الوصف الذي أطلقه الجنرال الأسباني الثائر أصبح استعمال كلمة الطابور الخامس شائعا . وأصبحت تدل على الجاسوسية ، وعمليات التخريب التي تتم داخل البلد بواسطة أعوان لأعداء هذا البلد

وقد زاد انتشار هذا التعبير بعد ذلك عندما قامت الحرب العالمية الثانية ، واعتمد هتلر على عدد كبير من الجواسيس والمخربين داخل البلاد التي كان يحاربها .

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية اتسع معنى كلمة الطابور الخامس ليشمل مروجي الاشاعات ومنظمي الحروب النفسية التي انتشرت نتيجة للحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي .

بقلم : الدكتور محمد نبهان سويلم

هل يستطيع الانسان العيش في الفضاء دون الاعتماد على الأرض ؟ إن تجارب رحلات الفضاء التي احريت في الشرق والغرب كانت ترسل الرواد وتزودهم بكل ما يحتاجون اليه في الرحلة ، ويظل الاتصال بهم قائما طوال فترة تجاربهم ، فهل طرأ بديل ؟

كان الحو داخل قطاع منطقة الغابات الاستوائية حارا رطبا ، مع هذا جاء عالم من أقصى المستعمرة يسعى لحي بضع ثمرات موز نضجت على أشجارها الباسقة وسط مزروعات تلك الأجواء ، وعلى بعد حوالي ثلاثين مترا ، لو دققت ا صر وأمعنت النظر فسوف ترقب أحد سكان ا ستعمرة وعلمائها يتجول متمهلا حول محيط مائي ، مير ، عمقه قرابة خمس وثلاثين قدما ، هذا ا سطح المائي في حد ذاته نموذج لأحد محيطات الأرض العملاقة التي تحتضن اليابسة وتغطي مياهها قرابة ثلاثة أرباع سطحها ، الفرق الوحيد بين هذا النموذج ومحيطات الأرض ـ ناهيك عن الضخامة ـ أن أمواجه تولدها محركات ميكانيكية ، تدفعها دفعا صوب مرجانيات شبت عند القاع ، وامتدت ، وبرز بعضها على سطح الماء مكونا جزرا صغيرة ، وإن اتجه البصر قليلا صوب شمال المستعمرة فقد تلمح أحد علماء العلاقات بين البيئات الحية وكائناتها المناط بهم رعاية المزروعات والطحالب الخضراء التي

تنمو عالقة أحيانا على الصخور ، أو طافية على سطح الماء ، وعيون الرجل ترقب مجريات الأمور بنظرة خبير متمرس ، علة يحقق كسبا علميا جديدا ، أو يلمح ظاهرة غريبة تستدعي وقفة علمية متأنية ، ربما تثري نتائج التجارب التي تتم داخل هذا المكان الفريد

نماذج مصغرة

هذه المستعمرة الفريدة عبارة عن نموذج مصغر للبيئات الحيوية التي حققت استمرارية الحياة فوق سطح الكرة الأرضية ، ولولاها ما كانت هناك حياة أو بشر ، أو هي عدة بيئات حية متكاملة ضمن نُطَيْقَات(*) حيوية صغيرة ، تشكل في مجملها نموذجا ومحاكاة للكرة الأرضية الآن ، ومن ثم يطلقون على المستعمرة اسم البيئة الحيوية الثانية ، إذ يعتبرون الأرض البيئة الحيوية الأولى ، أو النطاق الحيوي الأول وتهدف هذه التجربة الفريدة أول ما تهدف إلى دراسة إمكان تحقيق استقلالية الإنسان عن الموارد الأرضية إذا سافر للفضاء وفضل العيش على سطح أي كوكب من كواكب المجموعة الشمسية يستوي في ذلك المريخ أو القمر أو العيش في مدينة خاصة بين الكواكب عند نقاط اتزان جاذبيتها

هل يتطلب الأمر كل هذا الاعداد والتجارب ؟

بداية نعم ، فالواقع أنه حتى الآن لم يستعمر الإنسان الفضاء ، ولم يكن له هناك أي نوع من الإقامة الدائمة ، وكل ما استطاع تحقيقه هو إرسال سفن ومركبات فضائية داخلها رواد بعضهم مشى على سطح القمر ، وبعضهم قبع داخل مركبته أياما وأحيانا عدة أسابيع ، وبعضهم امتد به الزمن عدة شهور ، لكنهم جميعا عادوا إلى الأرض قصر الزمن بهم أو طال ، ولم يعيشوا لحظة واحدة مستقلين عن الأرض استقلالا تاما

السوفيت كانوا يرسلون إلى روادهم شحنات الغذاء والحلوى والأوكسوجين السائل ورسائل الأهل على متن سفن النقل الفضائية السوفيتية « بروجرس » ، في حين جنحت كل برامج الفضاء الامريكية إلى بث البعثات وهي مصحوبة بكل ما تحتاج إليه من تموين وإمداد وقد كفل كلا الجانبين لروادهم الاتصال الفوري مع الأرض صوتا وصورة ، وبذلك تتحقق الاستقلالية المنشودة التي كانت وما زالت محور اهتمام العلماء ومؤسسات بحوث الفضاء ، مثلما داعبت وما زالت تداعب خيالات كتّاب القصص العلمية ، وصناع الأفلام والمسلسلات التلفازية

لكن مع إشراقة القرن القادم ربما ينقلب الخيال إلى حقيقة ، ويتحول الوهم واقعا ، ويعيش الإنسان فضائيا لا أرضيا ، وليس له مع الأرض سوى الاتصال ، هذا إن نجحت البحوث الجديدة التي يجري الآن تمهيدها بخطا حثيثة ، أحدها داخل معامل جامعة برنستون ، يشرف عليه عالمها الأستاذ بها الدكتور جيرارد أونيل(*) ، والثاني بحث البيئة الحيوية الثانية الذي تجري وقائعه فوق رمال صحراء أريزونا الأمريكية ، وخاصة بعد أن يحقق العلم بأدواته ووسائله إمكانية الحياة فوق كواكب المجموعة الشمسية دون مدد وعون أرضي أو دون نقل مفاهيم الحياة الأرضية وأساليبها ودوراتها وقد أضحى من الأهمية تجربة الفكرة وقياس أبعادها الحقيقية ودراستها ، واستقراء مصاعبها ومشاكلها ، ووضع الحلول المناسبة الكفيلة بأن يتحقق لها النجاح ، وهذا ما أكده تقرير وكالة ناسا NASA لعام ١٩٨٦ صراحة ، وأشار إليه تحديدا أنه لاستكشاف الفضاء وإقامة حياة مستقرة هناك ، يلزم تجربة إقامة بيئة حيوية صناعية على الأرض

لماذا ؟ لأن الانسان لايود الحياة معلقا داخل معمل أو سفينة فضاء ، شأنه مثل مسافر من الكويت

* نُطَيْقَات جمع تصغير نطاق

* يدور حول إنشاء مدينة فضائية كاملة ، توضع عند نقط الاتزان بين كواكب المجموعة الشمسية ، وتعتبر بيئة حيوية متكاملة

ساهرة ، قد يستخدم سيارة أو طائرة عملاقة خلال حلته ، لكنه ـ قطعا ـ لا يود البقاء داخل المركبة مهما ردت بتجهيزات واستعدادات لإكسابها مظهر الحياة لأرضية ، بل يود أن تدب رجلاه على أرض صلدة ربيئة واقعية

لهذا يجري الآن على صحراء أريزونا أكثر المشاريع العلمية الأمريكية إثارة للاهتمام العالمي فيما سوف يراوح بين علوم الأرض وتقنية الفضاء . لذا تم إعداد قطعة أرض مساحتها قرابة فدانين ونصف ، على هيئة مستعمرة بيئية كاملة ، يبلغ حجمها حوالي ٥ ملايين قدم مكعب ، مقسمة إلى بيئات أو نُطيْقات بيئية حيوية BIOMES . كلف إنشاؤها حوالي ٣٠ مليون دولار ، وسوف يتم عزل المستعمرة عن البيئة الأرضية تماما ابتداء من يونيو ١٩٨٩ ، فلا تأخذ من الأرض شيئا ، ولا تعيد إليها شيئا ، ولن يربطها مع الأرض وأهل الأرض سوى شبكة حاسبات الكترونية ، سوف يستخدمها ثمانية علماء في مختلف التخصصات ، بعد أن تغلق عليهم الأبواب مدة عامين متصلين حتى نهاية يونيو ١٩٩١ ، وسوف يتصل العلماء بمركز بحوث جامعة أريزونا ومحطة بحوث في انجلترا وأخرى في كندا إلى جانب بعض الجامعات الامريكية ، ولن يقدم للعلماء داخل المستعمرة غذاء أو ماء أو هواء أو أية معدات أخرى خلال العامين ، اللهم إلا قدرا ضئيلا من امدادات الطاقة لفترة زمنية محدودة ، حتى تستكمل محطة الطاقة الشمسية داخل المستعمرة قدراتها وتكفيهم الحاجة من الإضاءة ، والكهرباء والاتصالات والتدفئة ... الخ

المستعمرة العلمية

إن توفير الغذاء والشراب والملبس كفلته المستعمرة العلمية ، إذ يوجد داخلها قطاع زراعي مساحته قرابة ٢٠,٠٠٠ قدم مربع لإنماء نباتات الحاصلات الغذائية مثل الأرز و البسلة وفول الصويا و لقمح وعباد الشمس إلى جانب نباتات الخيوط مثل الكتان والقطن ، كما يضم القطاع مناطق غابات ... ية ، ومناطق بيئية انتقالية من حشائش السافانا ،

أعلى ـ أنسجة حية من النباتات والأشجار لاستخدامها في الزراعة المائية

أسفل ـ خنفساء الدعسوقة المرقطة الأجنحة سلاح حيوي في مواجهة الآفات الزراعية التي سوف تصيب زراعات البيئة الحيوية الثانية

ومناطق أشجار الفاكهة بكل أنواعها . وضمن مسئوليات القطاع الزراعي تخليق القدر اللازم للحياة من الاكسوجين ، وتواكبه نظم لإسقاط المطر وتحريك الرياح ، وداخله سوف يتم تربية الأغنام والدجاج وتربية أسماك التيلابيا TILAPIA داخل أحواض بلاستيك زاهية الألوان ، والسمك الذي وقع عليه الاختيار نوع سريع النمو ، وسوف يشكل مع الأغنام والدجاج المصدر البروتيني المتجدد لسد حاجة أفواه العلماء الثمانية . وتتكامل مع القطاع

أتم مصممو البيئة الحيوية الثانية ربط عدة نطيقات بيئية بعضها ببعض لتشكيل نظام معلق واحد فيما يوضحه الشكل الذي فيه يلمح مبنى إعاشة العلماء (١) في حين يظهر الجناح الزراعي (٢) والبيئة الاستوائية بارتفاع ٨٠ قدما (٣) ويبدو المحيط الصناعي (٤) في حين تغطي البرك والمستنقعات المالحة والعذبة القطاع (٥) ويظهر القطاع الصحراوي تحت الشكل (٦) وبعد تصميم وتنفيذ المستعمرة سيتم عزلها عزلا تاما عن الأرض مع مقدم شهر يونيو ١٩٨٩ والشكل الاسفل يبين التكامل والتكافل بين البيئات الحية داخل البيئة الحيوية الثانية يبدو جليا من تربية سمك التلابيا داخل أحواض تنمو على مائها نباتات وزراعات كثيرة

الزراعي طواحين القمح والبذور ووحدات صناعة الخبز والحلوى وتجفيف ثمار أشجار الكاكاو

وتجربة البيئة الحيوية الثانية محاولة علمية لتقليد دورات الحياة الحية التي استقرت فوق الأرض منذ ملايين السنين ، ويضع العلماء علومهم الراسخة ومعارفهم الموسوعية في خدمة ستة نُطَيْقات حية BIOMES زراعية ، واستوائية ، وصحراوية ، وانتقالية ، ومائية ، وبشرية ، وكفل لها العلماء بهذا التنوع التكاملية والعمل في تآلف وتكامل وتناغم يحقق وظائف الدورات الحية ، وأداء أسرع من نظيراتها الأرضية ، وهي دورات حدثنا عنها المرحوم الأستاذ الدكتور عبدالمحسن صالح في كتابه الصغير العميق « دورات الحياة » الذي عرض فيه إلى دورة غازي الأكسوجين وثاني أكسيد الكربون وتلك الدورات الأزلية التي تحدث بفعل الأجسام الحية التي تستهلك الاكسوجين وتطرد ثاني اكسيد الكربون الذي تتلقاه الأشجار والطحالب الخضراء ، وتستخلص منه ذرات كربون تبني منه أجسامها وتصنع لنا السكريات والبروتين والنشا والريبوت ، ثم تطرد فضلاتها من غاز الاكسوجين حيث يمد الأحياء بعنصر الحياة كما عرض إلى دورة الماء يتبخر الماء من البحار والأنهار ، ويتطاير البخار إلى الهواء ، وتتنفس الأحياء كلها طاردة بخار الماء الذي يتجمع في

الطبقات العليا ، ثم يبرد ويتكثف ويرتد صوب الأرض أمطارا وتمضي الدورة وهناك دورة الحياة نفسها نحيا ويمتد بنا العمر كل لقدره ، ثم نموت وتتلقى أجسامنا ماشير أرضية من بكتيريا دقيقة ، تحلل الخلايا الرخوة ، ويتصاعد ثاني اكسيد الكربون للجو بينما تتسرب في باطن الأرض عناصر معدنية اكتسبتها الأجسام الحية من غدائها الساقي ، وتتكرر الدورة . وكلها دورات مستمرة لا تتوقف ، لأن توقفها يعني الفناء لكل الأحياء

والواقع أن البيئة الحيوية الثانية تجربة غير مسبوقة بهذا القدر من التكامل والضخامة ، لقد أتم العلماء السوفييت منذ مطلع الستينيات إعداد بعض مركباتهم الفضائية على هيئة بيئة حيوية ميكروبية متكاملة تحول فيها الميكروبات ثاني اكسيد الكربون إلى اكسوجين ، وتمتص ضوء الشمس ، وتبث ليلا ضوءا حيويا باردا وقد أجرى عالم الأحياء الامريكي جوريف هانس تجربة التوازن البيئي بين أسماك الروبيان « الجمبري » والطحالب الخضراء داخل كرة زجاجية معلقة وظلت حية طوال سبعة عشر عاما نموذجا للبيئات المتوازنة ، لكن تجربة لها نفس مواصفات البيئة الحيوية الثانية وخصائصها وإمكاناتها لم تحدث إطلاقا ، ويمكن مناظرتها بوصول أول إنسان إلى القمر

مشكلات المستعمرة

الموقع الآن مليء بنشاط وحيوية ، يجري فيه تركيب صوبات زجاجية ضخمة ، تغطي زراعات غير نمطية ، أساسها زراعة الأنسجة ، يتم إنماؤها في ماء مذابة به المواد الغذائية والأملاح المعدنية ، وتمتلىء الصوبات بخنفساء « الدعسوقة » الصغيرة ذات الجناحين المرقطين ، ودبابير صغيرة ، وكلاهما سوف يتولى مقاومة الآفات الزراعية دون أي كيماويات أو مبيدات حشرية ، وكأن العلماء يردون الأمور إلى نصابها الصحيح ، وإعمال التوازن الطبيعي بين المخلوقات ، بعد أن أتلف الناس أرضهم الزراعية بالمبيدات والسموم والكيماويات . وما دامت هناك داخل المستعمرة العلمية زراعة وإنتاج حاصلات فلا مناص من المحارث ومعامل بحوث التهجين وتحديد أنسب المزروعات ، وهو قطاع يتولاه عالم الكيمياء الحيوية الامريكي الدكتور ستيف ستورم الذي أعطي صلاحية إحلال زراعة محل أخرى إن ثبت لديه فشل الأولى في تحقيق الإنتاجية المطلوبة ويشترك الآن عدد هائل من علماء متخصصين في نباتات المناطق البيئية في اختيار نباتات كل منطقة وإعداد العدة لها .

وعلى الرغم من هذا ما زالت مشاكل كثيرة قيد البحث والدراسة ، منها التخلص من النفايات البشرية والحيوانية ، وتنقية المياه لتكون صالحة للشرب والري ، والسيطرة على درجة الحرارة ، والحد من تزايد نسبة ثاني اكسيد الكربون داخل البيئة الثانية وهي نفس المشاكل التي عانت منها الأرض ، وجرت عليها تلوث المصادر المائية والتصحر والارتفاع النسبي في درجة حرارة الأرض ، وتعرض البشر لموجات حر لافح وبرد قارس

ولحسم المشاكل المذكورة حسما شاملا سوف يمرر الماء في مرشحات ومصاف ومفاعلات بكترولوجية تلهو فيها أنواع خاصة من البكتيريا بالمواد الملوثة والنفايات الضارة ، وتحولها إلى مواد عديمة الضرر ، ولأجل تحقيق التوازن الطبيعي بين غازي الأكسوجين وثاني اكسيد الكربون لم يجد العلماء مفراً من المسئولية الإنسانية ، فالأمر أصعب من بيئة أسماك الروبيان « الجمبري » والطحالب ، كما لم يوجد بعد الحاسوب الذكي الذي يتدخل ويعالج الأمور ويعيدها إلى نصابها الصحيح ، لأن أمور التوازن أصعب كثيرا مما نظن ونعتقد ، لهذا أوجد العلماء داخل المستعمرة منشاراً حيويا طبيعياً ، يجتث جزيئات ثاني اكسيد الكربون من جو المستعمرة إن تعدى حدود التوازن بمجرد أن يرشوا حشائش السافانا بالماء تنشط وتخضر ، وتنمو بسرعة فائقة ، وتمتص الغاز مثلما تمتص اسفنجة جافة مضغوطة قطرات الماء . شملت الاستعدادات وسائل بكترولوجية متقدمة يطول الحديث عنها ويتشعب ـ لضبط التوازن بين ما يثبت من النيتروجين في الأرض وما يعود إلى الهواء وتجربة صحراء الأريزونا تختلف جذريا عما سبق

ـدث لو كررت التجربة فوق سطح المريخ أو غيره من كواكب ، إذ هناك مشكلة التسخين الدائم على ـرغم من برودة جو الصحراء ليلا ، لذلك زودت ـستعمرة بعدد من المراوح الضخمة التي تولد تيارات ـوائية تورع الحرارة توزيعا عادلا مضبطا داخل ـنُطَيْقات BIOMES ، كما استخدم في تغطية المستعمرة نوع من الزجاج ، يقلل شدة الإضاءة بحوالي ٤٠٪ من الضوء المنظور ، ويمتص ٨٠٪ من الأشعة فوق البنفسجية ، ولأن الأخيرة ألزم الإشعاعات لنماء الحياة فسوف تستخدم مصادر صناعية لتوليدها ، فيما يمثل لعبة خداع علمي المحيوانات والنباتات

تحكم في العوامل الجوية

ـما المطر والرياح والرطوبة فقد أعدت لها عدتها ، بحيث تهب الرياح ، وتسقط الامطار في لتوقيت المناسب والمكان المناسب ، وخاصة في النطيْق الاستوائي ، لذلك زود سقف المستعمرة ـواسير تبريد ، سوف يتكثف عليها بخار الماء ، ـعد ذلك يوجه آليا ليسقط مطرا ،وسوف تكون على سطح المستعمرة أنهار وجداول صغيرة وبرك مائية ـذبة وأخرى مالحة ، بحيث يعطي سطح الماء نصف مساحة المستعمرة بدلا من خمس مساحتها كما كان ـمقدرا من قبل ، بعد أن ثبت للعلماء أن زيادة المسطح المائي وامتداده داخل البيئة الحيوية الثانية سوف يعمل على تجانس عمل النُطَيْقات الحيوية وتناغمها ، ـيخفف درجة الحرارة داخل المستعمرة ، وبذلك ـؤدي المسطحات المائية نفس الدلالة الوظيفية للبحار المحيطات حول الكرة الأرضية الأم

إن تعقدات تجربة البيئة الحيوية الثانية سواء من حيث الفكرة العلمية الأساسية ، أو من حيث لتصميم والمتابعة وأساليب إدارة الماء والطاقة الرياح والسيطرة على نماء النباتات ، وذلك حين ـضمان نجاحها حسب قول علماء ناسا ، إذ كلما ـعقدت العلاقات البيئية وتشابكت كان انهيار احدى ـيئات لا يشكل كارثة على الإطلاق ، ولا يهدم ـتجربة من أساسها ، إذ سوف تتولى النُطَيْقات البيئية الأخرى التواؤم مع الموقف الجديد والسيطرة عليه ، عكس بيئة سمك الروبيان « الجمبري » والطحالب ، إن مات السمك انهار النظام البيئي دفعة واحدة ، وأفضى إلى فاجعة علمية لا يود علماء تجربة صحراء الاريزونا حدوثها لتجربتهم الرائدة التي ينظر إليها العالم كله في قلق وإعجاب ودهشة ، وهي نفس المشاعر التي شعر العالم بها يوم بدأت رحلة الإنسان للقمر

وتجربة الحياة بمعزل واستقلالية عن الأرض التي ستبدأ منتصف العام القادم وتستمر مدة عامين برهة قصيرة ، لعل أبرز نتائجها المتوقعة تراكم كم هائل من المعرفة ، سوف يستفيد منه العلماء في صيانة أسلوب الحياة على الأرض نفسها ، إذ سوف يواجهون خلالها أسئلة لم تخطر على بال بشر من قبل ، مثل : كم عدد الزهور التي يلزم نموها يوميا للابقاء على حياة طائر مغرد ؟ وكيف يمكن زيادة انتاجية أراضي المنطقة المدارية الحارة ؟ وهل يلزم استيراد الطمي لإخصاب أرض الصحراء ؟

وسوف يتعلم العلماء المقاييس المثلى لتصميم البيئات المستقلة ، ومنها سيعممون على تكرار التجربة مرات ومرات ، وكأنها مسلسل سفر مركبات الفضاء ، فلا فرق بينهما ، لأن كليهما سوف يتم بمعزل عن الأرض ، وقد يجد العلماء حلولا أقرب للمثالية في أسلوب معالجة المخلفات الحيوية والتخلص منها وتحويرها من دورة حياة إلى دورة حياة أخرى ، وقد يجدون الإجابة الناجعة عن إدارة البيئات المحمية وحماية النباتات والحيوانات النادرة

تلي ذلك نتائج ثانوية لأبحاث تبغي الإجابة عن السؤال العويص : كيف نحيا على سطح كوكب غير الأرض ؟

ولسوف تمضي سنوات عديدة قبل نقل هذه التقنية إلى المريخ أو القمر ، وقد تستخدم على الأرض لفرش الصحراء بالخضرة : حقا إنها تجربة جديدة ، يحاول فيها الإنسان التوصل مما يعلم إلى ما لا يعلم ، ويبقى ذكر قول الحق سبحانه وتعالى : « وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وكَانَ فضْلُ اللهِ عليكَ عظيماً » . □

من قاموس الظرفاء

الواجب: ما نطالب به الآخرين

العانس : امرأة ضاعت منها الفرصة لإشقاء أحد الرجال

الطالب الفاشل : هو الطالب الذي يمكن أن يكون الأول في فصله لولا وجود الآخرين .

الزوج : رجل فقد حريته بحثا عن السعادة .

كلمات في الصميم

- كيف استطيع تفسير نجاح الذين لا أحبهم لو لم أكن أؤمن بالحظ

جان كوكتو

- اللص يدع لك مجالا للخيار بين حياتك وعفتك ، أما الزوجة فتطالب بهما معا .

مارك توين

- المرء يخسر لفرط ما يود أن يربح

لافونتين

ضحكات عربية

تزوج أربعا وطلق خمسا

حدث الأصمعي فقال قلت للرشيد يوما « بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلا من العرب طلق خمس نسوة ، قال الرشيد إنما يجوز ملك رجل على أربع نسوة ، فكيف طلق خمسا ؟ قلت . كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوما ، فوجدهن متلاحيات متنازعات ، فقال إلى متى هذا التنازع ؟ ما أخال هذا الأمر إلا من قبلك « قال ذلك لامرأة منهن » ، اذهبي فأنت طالق ، فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ، ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقا ، فقال لها وأنت أيضا طالق ، فقالت له الثالثة قبحك الله ، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين وعليك مفضلتين ، فقال وأنت أيتها المعددة أياديها طالق أيضا ، فقالت له الرابعة ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق ؟ فقال لها وأنت طالق أيضا

وكان ذلك بمسمع من جارة له ، فأشرفت عليه ، وقد سمعت كلامه فقالت والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك إلا بالضعف ، أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة

قال وأنت أيتها المؤمنة المتكلفة طالق إن أحاز روحك ، فأجابه الزوج من داخل بيته قد أجزت ، قد أجزت » .

ضحكات عالمية

وحيدة مسكينة

التقى كاتب مسرحي ناشىء عرف عنه الغرور بالكاتب المسرحي الفرنسي جورج فيدو فقال له أيها المعلم لا أعتقد أنك تمانع في إسداء النصيحة إلي

- حسنا ، أنا على أتم الاستعداد ، ماذا هناك ؟
- منذ أسبوع تدور في رأسي فكرة
- مستحيل
- بلى أيها المعلم
- مسكينة ، لاشك أنها تعاني من الملل وحدها الآن

□□

كلانا مخطىء

أثناء حديث فولتير مع صديق عن أحد معارفه قال له الصديق · غريب أمرك ، إنك دائما تذكره بالخير وتثني عليه ، علما بأني لم أسمعه قط يذكرك بالخير ، بل إنه لايترك فرصة إلا ويذمك

فرد عليه فولتير من المحتمل أن يكون كل منا مخطئا .

□□

سم

كان السياسي البريطاني ونستون تشرشل يخطب في البرلمان عن حرية المرأة والقوانين الخاصة بالنساء ، فحمل على المرأة حملة شعواء ، فصاحت احدى الحاضرات : لو كنت زوجي لوضعت لك السم في القهوة

فأجابها فورا · ولو كنت زوجك شربت فورا .
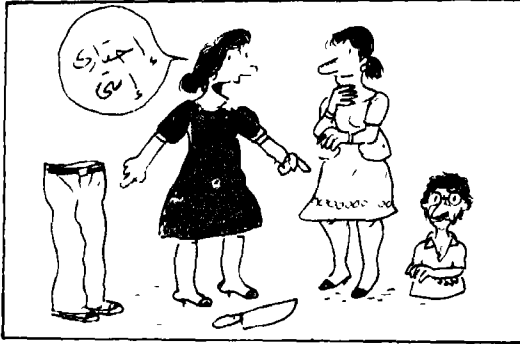
ابتسامات

في الاثنتين

تروحت اثنتين لفرط جهلي
بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهما خروفا
فأنعم بين أكرم نعجتين

فصرت كنعجة تصحي وتمسي
تُداوَلُ بين أخبث ذئبتين

وألقى في المعيشة كل ضُرٍّ
كذاك الضُرّ بين الضرتين

لهذي ليلة ولتلك أخرى
عتابٌ دائمٌ في الليلتين

فإن أحببتَ أن تبقى كريما
من الخيراتِ مملوء اليدين

فعش عزبا فإنْ لَمْ تستطعه
فضربا في عراض الجحفلين

بقلم : عبد الرزاق البصير

شك بعض الدارسين في نسبة قصائد كثيرة من الشعر العربي القديم الى قائليها ، وتلك قضية عرفت بالانتحال في الشعر العربي ، أثارها قدامى ومحدثون ، فهل لامية السموءل واحدة منها ؟

تناول اللغويون والفلاسفة والنحاة وبعض علماء الاجتماع لفظة الاسم بصورة مفصلة ، حيث تحدث كل منهم عما يعنيه علمه المتخصص فيه ، فاللغويون ينظرون اليه من حيث اشتقاقه وهل هو مشتق من سما يسمو أو من وسم يسم ، كما في اللسان ، ومعظم علماء اللغة يعتبرون الاسم مشتقا من سما يسمو ، أما النحاة فإنهم تناولوه من حيث دلالاته وعلاماته واختلافاته عن الفعل ، من حيث حاجة الفعل الى الزمن وعدم حاجة الاسم الى دلك

أما الفلاسفة فإنهم ينظرون اليه من حيث دلالته الفلسفية وهل هو حقيقة على المسمى أم غير حقيقة « فالاسمي هو المنسوب الى الاسم لا إلى الشيء الذي يدل عليه الاسم ، وهو مقابل للحقيقي ، فالوجود الاسمي هو الوجود اللفظي ، والقيمة الاسمية هي القيمة الاصطلاحية ، ويقابلها القيمة الحقيقية ، كما جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا ويميل أكثر الفلاسفة الى أن إطلاق الاسم على المسمى غير حقيقي ، فأكثر الالفاظ رموز لمسمياتها ، لا على حقيقتها كالورود والازهار والجبال والانهار والاسود والانعام والذئاب والطيور ، وما إلى ذلك من اسماء الجمادات والحيوانات

أما علماء الاجتماع فإنهم تناولوا الاسم من حيث دلالته على بعض الجوانب الاجتماعية والذي يهمنا في هذا المجال أن نقف قليلا حول رأي الاجتماعيين في دلالة الاسم

أسباب تغيير الأسماء

إذا تأملنا في الأسماء العربية قبل الاسلام وجدناها تختلف عما كانت عليه بعد الاسلام،فقد قال الزبيدي في كتاب تاج العروس في لفظة حمد « إن من سمى باسم الرسول ﷺ قبل الاسلام سبعة هم محمد بن سفيان بن مجاشع ، أحد أجداد الفرزدق ، ومحمد بن أحيحة بن الجلاح ، أخ عبد المطلب لأمه ، ومحمد بن حمران بن ربيعة ، ومحمد بن عتواره الليثي الكنا ، ومحمد بن مسلمة الانصاري ، ومحمد بن خراع بن

عل مة ، ومحمد بن حرماز ابن مالك التميمي »

لكننا نلاحظ أن هذا الاسم الشريف قد كثر بعد ظهور الرسول ﷺ وانتشار الاسلام ، كأحمد ومحمد ومحمود وحامد كما أن الـذين أطلق عليهم اسم العبودية لأسماء الله قد كثروا بعد الاسلام أيضا كعبد الله وعبد العزيز وعبد الرحمن وعبد الملك ، وما الى ذلك من أسماء وهذا بعض تأثير الدين الاسلامي الحنيف وإذا ما عدنا الى الاسماء في الجاهلية، فاننا نجد معظم أسمائهم قد أصبحت غريبة على الناس بعـد ظهور الاسـلام « كبشـامـة والحلزة » ، وحتى بعض القابهم « كتأبط شرا والشنفرة » وغيرها كثير وإذا ما تتبعنا كتب اللغة ، فاننـا نجد لهـذه الاسماء تفسيرا يوضح لنا معانيها كما يحددها لسان العرب « فـالحلزة » هو البخيـل ، أو هو نـوع من أنـواع النبات قيل سمي والـد الحارث صـاحب المعلقة المعروفة بذلك ، « وبشامة » لفظ يـطلق على عـدة معان منها شجر طيب الطعم والريح ، و« اليأس » هو داء السل ، سمي بذلك لأن « اليأس بن مصر » أحـد أجدادالـرسول ﷺ مـات بـه . وإذا كـان في الاستطاعة تعليل هذه الاسماء وغيرها من أسماء البشر فهل نستطيع أن نعلل أسماء سائر الاشياء من الجماد والحيوان

اسم السموءل

هناك من الباحثين من يأخذ بهذا المذهب ، لكنني أعتقد أن في هذا الرأى كثيرا من التعسف ، وعلى كل حال فإن في الاسـماء دلالة واضحـة على الأمـة التي ينتمي اليها أصحابها ، وهذه الـدلالة ليست عـامة بصورة دقيقة جدا ، لكنها لاتخلو من قوة ، فنحن إذا ما تتبعنا أسماء معظم شعرائنا في الجاهلية فإننا نجد لها تفسيرا عربيا يوضح معانيها ـ كما أشرت الى ذلك ـ وبناء على ما ذكر فإني لا أستبعد أن يكون السموءل غير عـربي ، لأن حـروف اسمـه ليست عـربيـة التركيـب ، ذلك أن اسمـه (صموئيـل) في الأصل وهذه لفظة عبرية وليست بعربية ، فلفـظة « إيل » اسم من أسـماء الله بالعبـرية ، وتستعمـل « إيـل » بمفردها للدلالة على الاله الواحد الحقيقي كما جاء في قاموس الكتاب المقدس ، وقد أطلق هذا الاسم على أحد أنبياء بني « اسـرائيل » ، ولفـظة « اسرائيـل » تعني يجاهد مع الله *

ثم حرف هذا الاسم الى السموءل ، ومما يزيد في تأكيد ما ذهبنا اليه ما جاء في مختار الأغاني من أنه من ولـد الكاهن بن هـارون بن عمران وقـد ذهب الدكتور جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام إلى احتمال وجود رجلين بهذا الاسم ، رجل غساني عربي وآخر يهودي وقال أبـو العلاء في شـرح حماسة أبي تمـام للتبريـزي « السموءل اسم عبـراني وليس بعربي »

ويقول الزبيدي في معجم تاج العروس السموءل اسم سرياني معرب

ومهما يكن من أمر فإن وفاءه لامرىء القيس في قصة الدروع المعروفة يعتبر من النوادر الشاذة ، فإن قومه اليهود قد عرفوا بالمكر والغدر بسبب ما توحيه اليهم عقيدتهم من أن جميع شعوب العالم أعداء لهم ، يحـل لليهود قتلهم وأسـرهم ونهب أموالهم وهتـك حرماتهم ذلك ما تقوله كتبهم التي حرفوها والتي يدعونها بالتوراة

القصيدة وأقوال العلماء

أما القصيدة اللامية المعروفة التي تقول

إذا المرءُ لم يدنسّ من اللؤمِ عِرضُهُ
فكـلُّ رداءٍ يـرتـديـهِ جميـلُ
وإن هو لم يحملْ على النفسِ ضَيْمَهَا
فليس الى حسنِ الثنـاءِ سَبيـلُ

فـإن كثيرا من البـاحثين يشكـون في نسبتها الى السموءل ، ومنهم الدكتور جواد علي معتمدا في شكه

* ناقش الدكتور حسن ظاظا قصة هذا الاسم في بحث ناقش فيه اسطورة هذا الاسم التي تمس الذات الالهية في (مجلة ... الفكر ـ المجلد العاشر ـ العدد الرابع ـ الشخصية « الاسرائيلية ») ، وليس غريبا على هؤلاء القوم ، فإن ... عقيدتهم تقوم على أساطير ما أنزل الله بها من سلطان

على قصة الموفق بالله ، من أنه طلب من المبرّد أن يقدم اليه ديوانا في شعر اليهود ؛ فأخبره المبرد أنه لايعرف شعرا لليهود ، فلا يعقل أن لايكون للمبرد علم بشعر اليهود ، وقد ذكر ذلك من سبقه مثل أبي تمام في حماسته والجمحي في طبقات الشعراء ،كما أورد في الاصمعيات شعرا لهم ؛ كما أن في كتابه الكامل نتفا من شعرهم ، أو لعل انكاره لشعرهم بمعنى أن أكثر ما ينسب إليهم من شعر هو في نظره مزيف مصنوع ؛ ولهذا لم يعن بجمع ما ورد عنهم . ،

ومنهم التبريزي في شرحه لديوان الحماسة لأبي تمام حيث يقول إنها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، ووافقه على ذلك المرزوقي في شرحه لديوان حماسة أبي تمام . وقد كتب بعض الدارسين بحوثا مستفيضة في نفي نسبتها الى السموءل واثباتها للحارثي ، ومنهم الاستاذ زكي ذاكر العاني في دراسته لشعر الحارثي ، فقد أشار في هذه الدراسة الى ما نالته تلك القصيدة اللامية المشار اليها من شهرة واسعة في الادب العربي ، واهتمام رواة الشعر بها ومؤرخي الادب اهتماما كبيرا ، واعجاب البلاغيين بها أشد الاعجاب . يقول الاستاذ العاني . « إن هذا الاعجاب قد تعداه الى الشعراء أنفسهم ، فواحد يعارضها ، وآخر يضمن بعض أبياتها ، وثالث يخمسها ، وما ذلك الا لما تضمنته من سمو في المعاني ، وبلاغة في التعبير ، وجمال في التصوير ، وقد اقترنت هذه القصيدة باسم شاعر جاهلي لم يشتهر بالشعر قدر اشتهاره بقصة رده للدروع التي أمنها عنده أمرؤ القيس الشاعر ، تلك القصة التي لاتخلو من خيال . وقد قيل إن الشاعر هو السموءل قد ارتجل هذه اللامية بعد تلك الحادثة أو المناسبة وعلى إثرها وسنرى أن عزوها للسموءل فيه شطط كثير ، ولا يستقيم عند البحث العلمي الدقيق » وهكذا أخذ الباحث يبرهن على ما ذهب اليه معتمدا على ما ذهب اليه ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » من أنها لدكين الراجز ، وقد أورد منها ابن قتيبة بيتين . ودكين يطلق على شاعرين أمويين ، وقد خلط ابن قتيبة بينهما ، ولا حاجة بنا الى أن نورد

ما قاله محقق الكتاب في هذا المقام ويستمر العاني في دراسته بذكر أقوال القدامى من ال نسبة هذه القصيدة للحارثي ، وهم محمد ب الاصفهاني (٢٩٦هـ) في كتابه « الزهرة » طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) في كتابه « عيار الش والصولي (٣٣٥هـ)في كتابه «أخبار أبي تمام الفتح بن جني (٣٩٢هـ) في « شرح مشكل الحماسة » والحق أن الاستاذ العاني قد بذ مشكورا في استقصائه لبحث نسبة هذه القص أنه أورد أقوال أكثر من عشرين مؤرخا أديبا من الموثوق بأقوالهم ، وكلهم يؤكد نفي ا اللامية عن السموءل ويثبتها لغيره

ويتضح لكل من وقف على أقوال أولئك حول نسبة القصيدة أنها محل اختلاف وجدل وهم ينسبونها لاكثر من شاعر ، لكنهم مجمع نفيها عن السموءل ، ثم إن في هذه القصيد يؤكدان نفيها عن السموءل أولها

فإن بني الديان قطب لقومهم
تدور رحاهم حولها و

ان بني الديان الذين افتخر بهم شاعر القص البيت الأخير هم قوم الحارثي ، وهم من القحطانية

على أن الاستاذ العاني لم يكتف بما أورده مر العلماء، وإنما عزز بحثه بدراستها دراس مستفيضة خرج منها بأن في هذه القصيدة كا الطباق والجناس والتعريض والكناية ، ا ناظمها الحارثي أن يبثها في قصيدته اللامية تكلف ولا تعسف ، لما يتمتع به من موهبة رفيعة ، ومن المعروف أن هذه الصنعة الكلا مألوفة في الشعر الجاهلي , وقد يكون هذا نفي القصيدة عن السموءل ونسبتها الى الحارث إن البيت الثاني من القصيدة :

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنفِهِ
ولا طل منّا حَيْثُ كَانَ

وقوله «مات حتف أنفه» يقال إن أول من تكلم به هو النبي ﷺ والحارثي خليق بذلك ، ومعنى ذلك أن هذا البيت قد تضمن أمرا إسلاميا لكنني لم أجد في معاجم اللغة ما يفيد ما قيل عن الرسول ﷺ

ترجمة الحارثي

وبالجملة فان شاعرنا الحارثي من المبرزين ، فقد قال في حقه ابن المعتز في كتابه « طبقات الشعراء » كان الحارثي شاعرا مفلقا مفوها مقتدرا مطبوعا ، وكان لايشبه بشعره شعر المحدثين الحضريين ، وكان نمطه نمط الأعراب ، وهو أحد من نسخ شعره بماء الذهب »

وشعره من السهل الممتنع ، يهز أوتار قلب سامعه وقارئه أما عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي فإنه شاعر شامي من فحول الشعراء في صدر الدولة العباسية ، لم يبق من شعره الا نزر يسير ، وهذا النزر اليسير ينسب بعضه الى غيره ينتسب عبد الملك الى بني الحارث بن كعب ، وهم بطن من مذحج من العرب القحطانية ، كان منهم في الجاهلية ملوك نجران ، ومنهم بنو عبد المدان ، وبنو الديان أما رهط عبد الملك بن كعب فد كانوا بالفلجة من أرض دمشق .

ويتصف شاعرنا بنفس طموحة تجمله لايمكن أن يحقق آماله الا في بغداد كعبة القصاد في تلك العصور ، لكنه لم يوفق لتحقيق أي أمل من آماله ، فقد سجنه الخليفة هارون الرشيد لسبب غير معروف ، وقد كتب لأخيه من سجنه يقول معاتبا له

فلو كان بي ـ لايكن بك ـ لاغتدى
إليك وراح البرُّ بي والتقربُ

وقد ضن علينا تاريخه بأن يخبرنا بسنة مولده ووفاته .

ليست أول قصيدة منتحلة

أنا على يقين أنكم تعرفون بأن القصيدة التي دارت حولها هذه الدراسة المتواضعه ليست بالقصيدة الوحيدة التي نسبت الى غير ناظمها في أدبنا العربي ، فإن قصائد لاتحصى معروفة بين الادباء قد نسبت الى أكثر من شاعر ، ربما كان من أشهرها القصيدة اليتيمة التي مطلعها :ـ

هَـلْ بـالطـلولِ لـسـائـلٍ ردٌّ
أمْ هَـلْ لهـا بتـكـلّمٍ عَـهْـدُ
دَرَسَ الجـديـدُ جـديـد معهـدِهـا
فـكـأنمّـا هـي ريـطةٌ جُـرْدُ

نسبت هذه القصيدة الى علي بن جبلة عند البعض ، ونسبت الى أبي نواس عند البعض الآخر ، حتى جاء المرحوم الشيخ عبد العزيز الميمني وأكد أنها لدوقلة المنبجي الذي لانكاد نعرف عنه شيئا ، لأن التاريخ الادبي لم يحدثنا عنه بشيء ، ويقال مثل ذلك في قصيدة ابن زريق البغدادي التي مطلعها ·

لاتَعْذليه فإنّ العَذْلَ يـوجعُهُ
قد قلتِ حَقّاً ولكن ليس يسمَعُهُ
جاوزتِ في عَذْلِهِ حَدّاً أضَرَّ بِهِ
مِنْ حيثُ قَدّرْتِ أنّ العَذْلَ يَنفعُهُ

نجد بعض أبيات هذه القصيدة منسوبة الى أبي الوأواء الدمشقي ، ونجد مثل هذا الاضطراب في قصائد كثيرة كما ذكرت ، لكن سبب عنايتي بالقصيدة اللامية يعود الى أنها من القصائد المميزة التي سارت على ألسنة الناس حتى أضحى الكثير من أبياتها من المحفوظات . ونحن جميعا نعلم أن الشاعر ليس فخرا لنفسه وانما هو فخر لأمته ، لهذا ساءني أن تكون هذه القصيدة لشخص ينتسب الى شعبٍ عرف بالغدر والمكر عند جميع الأمم لسبب معروف ، وهو أن تعاليمهم تقول لهم بأن كل شعب مباح لكم ، فأنتم محقون بأن تتخذوا كل وسيلة لالحاق الضرر بالناس ما عدا اليهود لأنهم شعب الله المختار

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في اثبات أن السموءل ليس عربيا ، وأن هذه القصيدة لعبد الملك ابن عبد الرحيم الحارثي المسلم . □

عندليب الدم والأحزان

شعر : الدكتور محمود الشلبي

للتي أيقظت دمي :

للتي أيقظتْ عندليبَ دمي باكراً
فَوقَ غُصْنِ الصَّباحْ
للتي أجْهَشَتْ بالغِناءِ ، وقالت .
لكَ الآن أنْ تُدْرِكَ الفرْقَ ،
بينَ الصَّهيلِ ، ونَبْضِ الدَّمِ المُسْتباحْ
للتي ساءلتني عن اسْمى ،
بَعْدَ التَّطهُّر بالعِشْقِ ،
بَعْد الترحُّلِ في خيْمةٍ مِنْ جِراحْ
للتي أنْشَدَتْني تراويدها ،
قبْلَ أنْ يَنْثُرَ العُمرُ أسْفارَهُ
في دروب الرياحْ
للتي ازْيَنَتْ منْ خضاب الشهيد ،
وريتون أضلعهِ ،
منْ لظى دمهِ ،
من رفير السلاحْ
للتي أسْلمتْني إلى نَارها ، فاشْتَعلْتْ ،
وإلى غارها فانْتَهجْتْ
أنحني ، وأقولْ
ليتني ريشةٌ في جَناحْ
ليتني طَلْقَةٌ تُلْهبُ الدّارَ بالعُرْس
في بهْجَةِ الأرض ،
أوْ في مَداها المُتاحْ
ليتني ، آهِ سيدتي ،
ليتني لُغةٌ في صُدورِ الرِّماحْ

« زهرةُ الأقحوان »

بَيْن عينيكِ والقلبِ ،
رَفٌّ مِنَ الأغنياتِ ،
ونهرٌ مِنَ الشَّهْدِ والسَّلسبيلْ
مَوْسِمٌ للطيورِ التي أشْرَعَتْ بابَها
بانتظارِ الحديث الجميلْ
مَنْزِلٌ لنشيدِ الحُقولِ ،
للشَّمْسِ أغْفَتْ على سَعَفاتِ النَّحيلْ

●●●

بين عينيكِ والزَّمَنِ المُستحيلْ
يَهْمِسُ الموجُ بالسِّرِّ ،
والمرج يُزْهِرُ في واحةٍ للصَّهيلْ

●●●

أتهجّى حُروفَ المسَّراتِ ،
مِنْ أوَّلِ الوقْتِ ،
أقْطِفُ قُرصينِ مِنْ عَسلِ السَّهْلِ ،
أغدو
وفي آخرِ الوقت أُدرِكُ
أنيّ قتيـــــــلْ

●●●

مِثْلما يَنْشُرُ اليومُ ألوانَهُ
فوق حَبْلِ الأصيلْ
والأماني تسيلْ
أنحني للعيونِ التي أشْعلَتْ في دمي
شَمْعدانَ الفُصولْ
أنْحني وأقولْ
إنَّهُ وطني
ماثِلٌ فيك
يا زَهْرةَ الأقحوانِ النَّبيلْ

هل خمد البركان في عدن؟

كريتر

من هنا دخل الانجليز ومن هنا خرجوا!

في عشرينيات هذا القرن زار الرحالة أمين الريحاني عدن ، ونقل صورة عن واقعها الاجتماعي والسياسي في ذلك الوقت .

وها نحن ننقل صورة أخرى عن نفس الواقع بعد حوالي ستين عاما من رحلة الريحاني ، وبعد عشرين عاما على الاستقلال .

ما هي ملامح الصورة ؟ وما هي مكوناتها ؟ وما هي آفاق المستقبل ؟ وما هو مستقبل التنمية ؟ وإسهامات النفط الذي بدأ يتدفق في اليمن ؟

.. الى عدن أرض التاريخ والحضارات كانت رحلتنا

تعتبر عدن من أقدم الأماكن التي سكنها البشر منذ قديم الزمان . وعدن المعروفة في التاريخ القديم حتى الثلث الأول من القرن الماضي كانت هي المساحة المحاطة بسلاسل جبال شمسان من الجنوب والغرب . وجبال المنصوري من الشمال وحرة من الشرق . ولم يكن عبر البحر منفذا لها من هذا الحصار الجبلي المقيم مع بوابة صغيرة في الغرب وعدن نفسها هذه المستوطنة القديمة كانت ومازالت مجرد فوهة بركان خمد . وفوهة البركان تعني بالانكليزية « crater كريتر » . ومنذ أن جاء الانكليز أصبح اسمها كريتر بدلا من عدن . على أساس أنها خرجت من حصار الجبال والطوق المحكم المضروب حولها . وتوسعت غربا وشمالا وجنوبا . وأصبح لها أجزاء تحمل أسماءها الخاصة (المعلا . التواهي . الشيخ عثمان . خور مكسر الخ)

ومع ذلك فإن بعض المصادر مازالت تطلق اسم عدن عندما تريد جمع الشقيقات . مع أن الجغرافيا تغيرت منذ زمن طويل عن « كريتر » . أو على الأصح عن عدن القديمة يدور استطلاع « العربي » الجديد

شكلها بيضاوي طولها حوالي ٨ كيلومترات وعدد سكانها تجاوز مائة ألف نسمة توجد فيها أبرز المعالم التي خلدها التاريخ . ففيها صهاريج أو سدود قديمة قدم الانسان فيها . وفي مقدمتها من ناحية البحر شرقا تقع جزيرة صيرة المشهورة تاريخيا . وفيها مسجد ابان بن عثمان . ومسجد العيدروس . وعلى بوابتها العربية طريق « العقبة » الذي كان حتى أوائل ستينيات هذا القرن طريقا ضيقا فوقه جسر قديم . وعلى تلالها من ناحية الجنوب بالقرب من الصهاريج معبد وبستان للفُرس . نعم الفُرس !

وداخل المدينة يوجد المتحف الذي كان قصرا . والمكتبة الوطنية التي بنتها دولة الكويت . والمتحف العسكري الذي كان مدرسة قديمة . وسوق البهرة . نعم البهرة . ومنارة يقال إنها تعود الى زمن الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز

إنها مدينة عامرة بالقديم والجديد . فكيف حـ الجدل والتفاعل بين الانسان والمكان ؟ وكيف تحو عدن الى كريتر ؟ وهل فوهة البركان التي كان اسمـ عدن قد خمدت براكينها الآن . ولم يعد لها في حـ مكان ؟

الحرس البركاني القديم

لا شك أن الصدفة هي التي حملتنا نحوه عصر يوم الثلاثاء ١٩/ ١/ ١٩٨٨ إلى الطريق المؤدي إلى قلعة صيرة . وقلعة صيرة تقع في أعلى مكان من شبه جزيرة صيرة . وكانت من قبل كما ذكر لنا مرافقنا السيد سعيد محمد ثابت الموظف بوزارة الاعلام جزيرة قائمة بذاتها . مفصولة عن كريتر . إلا ان قربها من اليابسة - حوالي كيلو متر واحد - حتم بناء طريق مرصوف . لتسهيل التنقل . وقد أصبحت هي وبعض المناطق القريبة منها مناطق مهمة للانكليز . أقاموا عليها بعض المنشآت رمز استعمارهم للبلاد

كانت نسمات ذلك العصر اللطيفة تغري بالنزه (درجة الحرارة وصلت الى حوالي ٢٥ دون رطوبة) في الطريق المؤدي إلى شبه الجزيرة التي تشبه الهرم . والصيادون على جانبي الطريق مدوا صنانيرهم في البحر وانتظروا عمرات السمك . وبعض سفن الصيد توزعت على الشاطىء أو بالقرب منه داخل البحر . والقاعدة التي تقول حيث يوجد بحر فإنه يوجد صيادون وبحارة قاعدة صحيحة تماما

لفت نظرنا شاب مفتول العضلات يحمل سمكة كبيرة

فاستوقفناه . فقال إنها من نوع سمك الديرك . طولها حوالي متر . وقد اصطادها أخي بالقرب من الجزيرة . وهي من أطيب السمك في بحرنا . وهأنا أدلل عليها للبيع . إنها طازجة . صيد اليوم . انظروا . هل تشترون ؟

التقط له زميلي المصور بعض الصور . فأدرك مهمتنا . ومضى في طريقه صادفتنا بعض الـ ـ جنوب الجزيرة . وهي حديثة لا يصل عمر أقد ـها إلى أكثر من ثلاثين سنة . وتوغلنا أكثر . صيـ ـ يصلحون شباكهم . ومرافقنا يقول بأن مصنعا لـ ـح

ك ، قائما في شمال الجزيرة ، ومحاسه كان الطريق ممهدا للصعود إلى قمة المكان إلا ان الطريق تاكلت وتفتت بعض صخورها السوداء البركانية مدينة الرءوس . فأصبح الصعود اليها صعبا . لذلك فإن المترهين كانوا يحيطون بالجزيرة بدلا من الصعود إليها ، ويختارون مساحات يمكن الجلوس عليها ، لتنشق هواء البحر ، والتواصل مع هديره ، والابتعاد عن صخيج المدينة ومشغولياتها

أصررنا على الصعود، ومع توالي الهدير والموجات التي تلتطم بالصخور هلت على الذاكرة المعلومات « الجزيرة بركان خابي للبركان الرئيسي الواقع إلى الغرب من الجزيرة الذي تقع على فوهته مدينة كريتر ، وفوهة بركان صيرة هي الرقعة التي تقف عليها القلعة ، وهي أعلى نقطة في الجزيرة الهرمية »

تنفسنا الصعداء بعد أن وصلنا إلى متاريس القلعة المتآكلة ، وانكشفت لنا كريتر بالكثير من تفصيلاتها ، بل وبانت لنا على البعد الشيخ عثمان إحدى شقيقات « كريتر »

ورأينا مدفعا ، أعلى بدنه مدفون في التراب ، بالقرب من مساقط المياه التي أكلت ونحتت في طريقها الكثير من الصخور والتربة ، وبالقرب من المتاريس كان هناك مدفعان قديمان

كانت القلعة في الجهة الجنوبية الغربية ، وقد تساقطت بعض حجارتها ، لكن أجزاء منها كانت ما تزال في حالة جيدة المتاريس كما تذكر المصادر التي كتبت عن الجزيرة (ترتفع ٢٠٠ متر) ، وقد بنيت في القرن الماضي بعد احتلال الانكليز للجزيرة ، في حين أن القلعة يعود تاريخها إلى زمن أقدم ، ربما إلى القرن السادس عشر أو قبل ذلك ، وقد أجريت عليها ترميمات عدة من قبل القوى التي سيطرت على عدن في فترات متعاقبة. ويبلغ ارتفاعها ٣٣٧ قدماً .

القيمة الاستراتيجية

ذكرنا أننا في ١٩ يناير من هذا العام كنا نتسلق شعاب جزيرة صيرة وصخورها وفي هذا اليوم منذ ١٠٩ سنة قامت معركة بين الانكليز وأهل المدينة وقوات سلطان لحج وعدن ، وقد انتهت بسقوط المدينة سنة ١٨٣٩ ، فاستمر فيها الاستعمار

- خريطة عدن

الانكليزي حتى سنة ١٩٦٧م

فما هو دور صيرة في هذا الأمر ؟

كانت صيرة هي النواة الاستراتيجية المهمة التي تمركزت في قلعتها وعلى حواسها قوات سلطان لحج وعدن يومذاك (١٨٣٩) ، لتواجه القوات الانكليزية التي بحثت عن ذريعة لاحتلال عدن ، لتكون محطة لها للتموين بالوقود والاستراحة ، لتتابع طريقاً آمنا إلى الهند

إن الصراع الانكليزي الفرنسي ، والهولندي ، والدنماركي ، في مياه البحار والمحيطات الدائمة ، وتوفير محطة آمنة على طريق التجارة مع الهند والمستعمرات التي تحيط بها قد جعل الأنظار تتجه إلى عدن المدينة التي تقع بالقرب من باب المندب (آخر محطة في البحر الأحمر) ، والتي تطل على مياه المحيط الهندي أو بحر العرب ، لذلك فإن الانكليز قد جعلوا من حادثة السفينة « دوريا دولت » التي جنحت بالقرب من عدن سنة ١٨٣٧م ونهبها أعراب المنطقة سببا وفرصة لاحتلال المدينة ، وأن تكون « المعركة » التي انتهت بعد ساعتين ونصف من صباح يوم ١٩/ ١/ ١٨٣٩ معركة حقيقية او مجرد تمثيلية بين سلطان لحج وعدن محسن العبدلي وبين الانكليز ، فإن النتيجة كانت سقوط الجزيرة ، ومن ثم الزحف على عدن ، البلدة القديمة التي تذكر المصادر التاريخية أنها كانت قليلة العمران يومذاك بعد أن دمرتها الحروب والغزوات الداخلية والخارجية

ولأن نظرية الحدود الآمنة لا تقف عند حد معين

● ملامح من تاريخ اليمن يحتضنها هذا القصر الذي تحول الى متحف وطني ، وفتاة يمنية تعرض زيا يمنيا مميزا - أقصى اليمين - ساحة السوق لاحظ الجبال كأنها تحاصر المكان - أعلى - بناء قديم . له هويته وطابعه وتميزه العربي الاسلامي - أسفل يمين - لباس يمني تقليدي . كان لباسا للعرائس زمن مضى - أسفل -

في الكثير من الأحيان لـذلك فـإن الانكليز أحـدوا يتمددون من عدن إلى الشيخ عثمان . ثم لحج ، ثم يـافع إلى أن سيـطروا على السلطـات والمشيخات والامـارات التي كانت قـائمة في الجنـوب اليمني ، وبقوا فيها إلى أن قامت الثورة في ردفان سنة ١٩٦٣ وتبعتها المناطق الأخرى . وصولاً إلى الثقل الأساسي في عدن العاصمة والقاعدة الأساسية

الأيام التي تلت الهزيمة

كانت هزيمة عام ١٩٦٧ قاسية على كل عـربي ، فقـد كان حلم تحـرير فلسـطين ومازال أمنيـة لكل عربي ، إلا أن نتيجة الحرب أحبطت الجميع ، وساد مناخ الهزيمة ، وانتشر في كل الأقطار العـربية أن احتلال سيناء والبقية الباقية من فلسطين والجـولان ليس أمـرا هيناً ، وهـو لا يعني احتلال الأراضي فقط ، بل كان شرخا في الذات العربية

هكذا وصف لنا تلك الأيام السيد ياسين محمـد ابراهيم الذي يسكن بالقرب من صهاريج الطويلة في مدينة كريتر والموظف في وزارة الثقافـة والاعلام . وقد أضاف في تلك الأيام السوداء أرادت الجبهة القـومية في اليمن الـديموقـراطي (تـنـظيم سيـاسي عسكري لعب دورا أساسياً في الثورة على الانكليز ومن ثم تحرير البلاد) أن تعيد الثقة للنفوس أو لنقل جزءا منها

كانت الثورة على أشدها في كل منـاطق الجنوب اليمني ، وبتاريخ ٢٠/٦/١٩٦٧ ظهر الفدائيون في كريتر وهلوا عليها من جبال شمسان ، ومن جبال المنصوري ، بل وخرجوا من داخلها

وقد سيطروا على المدينة مدة تزيد على ١٥ يوما ، على الرغم من استعمال المستعمر الانكليـزي لكل أسـاليب البطش ، فقـد استدعـوا « الكومـاندوز » أقـوى فـرقهم ، وبـدءوا بقصف منـاطق الثـوار بالطيـران ، بل إنهم قـطعـوا الماء عن المـدينة ، وحاصروها حصارا محكما ، ومع ذلك فقد استبسل الثوار واستمروا في المقاومة مدة اسبوعين ، وعندما قلت الأقوات ، وشح الماء ، فإن الثوار احتموا كما برروا ، لكنهم كانوا قد لقنوا الانكليز درسـا ، وأعادوا ما استطاعوا من ثقة مهزوزة إلى نفس عـربي ، وبعد ذلـك فإن المنـاطق أخـذت تتسـاقط الواحدة تلو الأخرى بأيدي الجبهة القومية وصولا إلى التحرير الكامل في نهاية سنة ١٩٦٧

صالح حسـان رحل حسيبي ، التقيـاه في قريـة جبيل حرر في مديرية ردفان ، قـال لقد التحقت بجيش الجنوب منذ سنة ١٩٥٨ ، وعملت في بيحان ومكيراس وغيرهما ، وعندما قامت الجبهة القومية أصبحت احد أعضائها السريين داخل الجيش ، وفي سنة ١٩٦٦ نقلت إلى عدن ، وأذكـر أننا (جنـودا وضباطا) قد انتفضنا بتاريخ ٢٠/٦/١٩٦٧ وتمردنا في معسكر « ليك لين » الذي كنا فيه بعدن

فقد جاءتنا الأوامر من الجبهة القوميـة فانتفضنا ورفعنا علم الجبهة في المعسكر ، وأطلقنا المساجين وأحرقنا بعض الثكنات واستولينا على أسلحة كثيرة . وإن انتفاضتنا كانت جزءا من الانتفاضة التي قامت في كريتر

السكان خليط تغربل

يذكر أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب (الطبعة الثانية ١٩٢٩) أنه عندما جاء إلى عدن كان فيها ٤٠ ألف نسمـة ، أو على الأصـح كان في كـريتر ذلـك العدد ، ويقول

« في فم الـبركان ، أو مـا كان بـركانـا في قديم الزمان ، وفيهـا أربعون ألفـا من السكان من كـل شعوب الأرض والأديان ، فيها المسلم الذي يصلي إلى الله ، والفارسي الذي يصلي إلى الشمس ، والبنيا (البنياني) الذي يصلي إلى الأوثان ـ وقد ذكر الريحاني أن البنيا حسب اللغة الهندية معناها صاحب حانوت وكـانوا من التجـار والصيارفـة ـ والمسيحي مكرم الصور والصلبان ، والاسماعيلي صاحب الرسن ـ أعلبهم من الهند ـ واليهودي مسبح الذهب الرنان ، وفيهـا من يغسلون ويكفنـون أمـواتهم ، ومن يحرقونهم ، ومن يحملونهم إلى برج السكينة لتأكلهم النسور والعقبان »

هذا عن السكان والأديان فيما مضى ، أما فيما يتعلق بطراز البناء فإن الريحاني يذكـر « أما بيوتهم

بو حدة . لا تعرف أعربية هي ام هندية أم اوربية »

وإذا كان السكان هذا الخليط المتكدس الذي جاء من جميع الدول التي كانت خاضعة لبريطانيا . قد أصابتهم العزلة . واضطروا إلى الخروج مع أسيادهم الانكليز زمن الاستقلال . وبقيت منهم قلة . فإن طراز السيان في كريتر قد بقي على ما هو عليه . او أغلبه على الأصح قد بقي كذلك وإنه الآن مزيج من العربي الاسلامي والهندي والأوروبي كما ذكر الريحاني حتى المباني الحديثة التي قامت في غرب المدينة واحتلت مكان معسكرات الجيش الانكليزي مازالت تحمل الطابع المحير المورع على عدة طرز

أما ما تبقى من سكان فإن الأغلبية العظمى هم الآن من أبناء البلد . وعلينا أن نذكر ان ملامح بعضهم تحمل السمات الهندية الواضحة . وهذا يعود اما إلى تأثيرات الرحلات التي حصلت منذ عشرات السنين . وإما إلى أن بعضهم ولد من أب وأم هنديين مسلمين تجنسا بالجنسية اليمنية . وأصبحا مواطنين . وخاصة أن بعضهم جاء واستوطن كريتر قبل الغزو الانكليزي

ويعمل الكثير منهم الآن بالحرف الفنية وبعض التجارات الصغيرة في القطاع الخاص

جاء في كتاب « سياسة بريطانيا في جنوب اليمن » للدكتور جاد طه الصادر سنة ١٩٦٩ عن السكان ما يلي

« منذ الاحتلال البريطاني لعدن سنة ١٨٣٩م وسكانها آخذون في الزيادة بصفة مستمرة . فعند بداية الاحتلال كان عدد السكان نحو ٦٠٠٠ نسمة (كريتر) . وبعد ثلاث سنوات فقط ارتفع العدد إلى ١٥ ألف نسمة . ثم وصل العدد إلى نحو ٢١ ألف نسمة (كريتر والتواهي وغيرها)سنة ١٨٥٦ وبعد نحو قرن من الزمان أي في عام ١٩٥٥ أصبح مجموع السكان - في كل مناطق عدن - ١٣٨،٤٤١ نسمة . منهم ١٠٦،٤٠٠ نسمة من العرب . و ١٥،٨٠٠ من الهنود . و ١٠،٦٠٠ من الصوماليين . و ٤،٠٤ من الأوروبيين و ٨٠٠ من اليهود وفي عام ١٩٦٣ ارتفع عدد السكان إلى ٢٢٠ الف نسمه » ويجب أن نشير إلى أن عدد اليهود كان حوالي ثمانية الاف نسمة قبل سنة ١٩٥٠م . إلا أنه نتيجة لاحتلال فلسطين من قبل الصهاينة سنة ١٩٤٨ . فإن اعدادا من اليهود هاجروا إلى فلسطين . إما من خلال مخططاتهم الخاصة واستجابتهم لنداء الحكومة « الاسرائيلية » بالهجرة . أو نتيجة لغضب الشعب في عدن الذي أحرق بعض متاجرهم ومؤسساتهم . وهاجم الحي الذي يسكونه وقد استمر حوالي الف منهم يسكنون عدن حتى حرب سنة ١٩٦٧ والهزيمة التي لحقت بالأقطار العربية . مما دفع الجمهور العربي إلى مهاجمة مصالحهم وبيوتهم ثانية فهاجرت البقية الباقية منهم وخاصة أن الانكليز قد حلوا في ذلك العام

في شارع البهرة

مازال الشارع في عدن اسمه شارع البهرة . والبهرة منطقة هندية يقطنها مسلمون شيعة . جاء بعض سكانها إلى عدن . قبل الاحتلال الانكليزي وبعده . فعملوا في التجارة وغيرها . وقد اختلطوا بالعدنيين وناسبوهم . فبقي بعضهم بعد الاستقلال في البلاد التي اصبحت بلادهم . وحصلوا على الجنسية اليمنية . وعوملوا معاملة المواطنين فيها

يمتد شارع البهرة بمحاذاة مسجد ابان من ناحية الجنوب . وهو ضيق كبقية الشوارع الداخلية في كريتر . وتقع على جانبيه دكاكين العطارين الذين يتاجرون بالعطور والبخور وغير ذلك . وبضاعتهم إما مصنعة في عدن أو مستوردة من الهند وبعض الدول الأوروبية مثل انكلترة وسويسرة وهولندة هكذا ذكر لنا السيد أحمد داود العطار عندما سألناه عن نوعية العطور التي يبيعها وأماكن تصنيعها وقد أضاف نحن أصلنا من البهرة - يتجاوز عمره ٦٠ سنة - وقد جئت إلى هنا سنة ١٩٢٩،في المحل المقابل « الجونة بانافع » . صاحبه عربي يمني . يحتوي على مجامر للبخور متنوعة أماكن الصناعة والأحجام . بعضها مصنوع في الشيخ عثمان . ولحج . وبعضها مصنوع من الفخار المحروق في اليمن الشمالي .

وهنـاك نوع آخـر صومـالي مصنوع من الكلس ، ويوجد في المحل أكواز ماء صغيرة وكبيرة ، وسلال مصنـوعة من الخـوص ، ومشـاحب مصنـوعـة من الخـوص أيضا خـاصـة بالعرسـان ، وأطبـاق من القش الخ

في شارع قريب دخلنا إلى مطبعـة « الهلال » ، ملامح الرجل هنـدية واضحـة قال أصـلي من الهنـد ، وقد جـاء آبائي واستـوطنوا عدن ، ونحن مسلمون ، وقد حصلنـا على المواطنة بعـد خروج الانكليز

إن آلاتنا متواضعة والمطبعة تأسست سنة ١٩٣٧ ، وننضد الحروف يدوياً

فرس وبيت نار !

لقد تكرر اسم « الفرس » كثيرا على لسان بعض من كنـا نقابلهم في عـدن بستان الفـرس ، معبد الفرس ، استراحة الفرس الخ

فمن هم هؤلاء الفرس في عدن ؟

دخلنـا إلى صيدليـة « النجم » التي تقع مقـابـل المتحف العسكري ، وقد فوجىء بنا الشاب الثلاثيني الذي لم نطلب منه دواء ، بل طلبنا منه معلومات ، فاعتذر بعربية فيها بعض التكسير ، وذكر أنه سيعرفنا على عمه الكبير وهو يملك المعلومات التي نحتاجها

في نفس الشارع على بعد أمتار قليلة دخلنا محلا لبيع قطع غيـار السيارات ، فـوجدنـا رجلا يلبس الملابس الأوروبية ، وكان كبيرا في السن ، قال أنا من مواليد سنة ١٩٢٧ في عدن ، وجدي جاء إلى هنا سنة ١٨٧٦ ، ونحن من دولة كوجارات في الهند من مقاطعة سورات ، ومن قرية سيجنبور ، ومـازلنا نحتفظ بالجنسية الهندية ، ولم نحصـل على جنسيـة اليمن الديمقراطية لأننا غير مسلمين

- سألته أنتم ماذا إذن ؟

-نحن زرادشت وفرس أصليون ، وأصلنـا من بندركوساه في ايران ، وعندما جاء الاسلام ووصل إلى ايران هاجرنا بديننا إلى الهند ، وهناك تكاثرنا

- هل بسبب ذلك يطلقون عليكم فُرْساً ؟

- نعم إن أصلنا من بلاد فـارس ، وإننا نقـدس النار ، وكان لنا معبدنا الخاص الذي يقع بين مسجد العيدروس والبستان الـذي يعرف ببستـان الطوي وتقيم فيه المليشيا العسكرية الآن ، إلا أن تناقص عددنا حتم نقله إلى الهند فأعدناه إلى هناك

- كم وصل عددكم في عدن ؟

- لقد وصل عـددنا إلى حـوالي ألف نسمة زمن الانكليز - والآن ؟

- لم يبق إلا سبعـة أشخـاص فقط في عـدن وأضـاف نحن أقليـة في العـالم ، أعني اتباع الزرادشتية وربما لا يصل عددنا إلى مائة ألف نسمة في كل أنحاء العـالم ، ويوجـد بعضنا في ايـران والهند وأميركا الشمـالية ، ومعـظمنا يعمـل في التجارة ، ولغتنا الحالية لغة كوجارتية وهي إحدى لغات الهند وانا نقدس النار ونبقيها مشتعلة في معبدنا دائما

- لقد زرت برجكم في التـلال التي تشرف على كريتر من جهة الجنوب ، لم يبق منه إلا بقايا بناء ، ورأيت عظاما في البرج الدائري !

- إن هذا البرج بُني سنة ١٨٦٦ ، ويسمى برج الموتى ، وهو غير برج الهدوء الذي كان معبدا لنا ، وقد أقمنا سورا حوله ، وكنا نصعـد إليه بـواسطة الحمير ، وكان مرصوفا وممهدا من قبل ، وليس كما هو الآن مملوءا بالحفائر ، وهناك في مكان الموتى كنا نترك موتانا في ذلك المكان الدائري عُراة كي تمترح أشعة الشمس المقدسة بهم ، وتباركهم ، والغرفة التي تلي البرج كانت للاستراحة ، وكنا نضع الميت في البرج ثم نستريح حوالي نصف سـاعة وبعـد ذلك نغادر المكان كل إلى أشغاله

- تتركون الجثة للشمس كي تباركها ؟

- نـعم إن حبـوط الشمـس مبـاركـة عـنـد الزرادشتية ، كما أن الجسد يتـرك عاريـا كي تأكله الطيور ، والعظام التي وجدتها ربما هي بقايا من عظام أتباعنا ، إننا نؤمن بالتبرع ، حيث ان الجسد يمنح للشمس والطيور

- هل مازلتم تعرضون أجساد موتاكم الآن لنفس المصير السابق ؟

- لأننا أقلية ، ولأن معبدنا نقـل من هنا ، فـ كففنا عن الصعود إلى البرج ، وأصبحنا ندفن موتانا في القبور ، أو نرسلهم إلى الهند

حيث يكــون بحـر
يكـون صياد وصيد

مدفع قديم في بستان
الـطويلة المحـادي
لصهـاريـح عــدن أ
- وسط -

صهريح (أبوقبة).
حـد الصهـاريــح
همـة المتقيـة من
حـارات الاسـان
حتي عبر القـرون

- الأستاذ عبدالله محيرز

- الأستاذ سعيد المدى

أسـواق ومهن

قبل أن ننتقل من الأسواق إلى أماكن أخرى تحدر بنا الاشارة إلى مجموعة من المعالم البارزة في الأحياء التي تحيط بالأسواق

أسماء الشوارع مازالت تحمل أسماء شخصيات أو أماكن أو مدن معروفة ، أو أسماء بعض الشهداء الذين سقطوا بمواجهة المستعمر الانكليزي ، منها شارع لقمان ، وجمال الدين ، ومكة ، وساحة الشهيد مدرم (أحد الشهداء) والحراج ، والسواحل الذي يحتوي على دكاكين الصاغة والمتعاملين بالذهب ، أو ساحة وسوق الزعفران ، وسوق الطويلة ، إلخ ونظرا لأن بعض الشوارع ضيقة ، وخشية من الاصطدامات فان عدة مرايا كبيرة وضعت على تقاطعات الشوارع كي تنبه السائقين إلى حركة الشارع من الجهة الأخرى

المقاهي والمطاعم عامرة والأسواق مقصودة خاصة بعد الظهر ، وباعة الأشرطة يطلقون أصوات المطربين والمطربات إلى أعلاها كي يلفتوا سمع الجمهور ، وسوق البلدية عامر والسوق القديم ضربه الانكليز ، فتحول الآن إلى سوق للقات يسمح ببيع القات وتعاطيه في عدن في يومين فقط (الخميس والجمعة)

وقد تم بناء سوق جديد من عدة طوابق تباع فيه الكثير من الأصناف والأنواع من خضراوات وفواكه وأقمشة وأدوات المطابخ وغيرها

وهناك سوق خاص للبن وحب الهال والبهارات والحلويات ، والتنباك (يزرع في حضرموت) .

والمهن البسيطة الأخرى موجودة في أسواق وأماكن عديدة ، معاصر ومطاحن ، وحدادون ، ونجارون ، وبناءون ، قديم وجديد يتمازجان ، والمصنوع في البلد والمستورد تجدهما أحيانا في مكان واحد ، لكن يبدو أن حركة الاستيراد غير متروكة على عواهنها ، كما أن بهرجة الدعاية والاعلان عن محتويات المحلات محدودة وغير مُستمرة . والناس يشترون حاجاتهم ويمضون وجوه أجنبية يلحظها المراقب بين الوجوه العربية السمراء ، أغلبها روسية ، والبقية من جنسيات أخرى ، جاءوا للسياحة أو للعمل في مشروعات عدة ، والأسعار ليست رخيصة ، إنها تماثل أسعار الكويت تقريبا

لفتت نظري اللافتة الخارجية « المخبز اليوناني »

سألت الشاب الأسمر الذي يقف وراء صندوق الحساب أمازال هذا المخبز يونانيا ؟

ابتسم ، وقال لقد كان يونانيا ، وأصبح عربيا ، لقد جددنا آلاته ، لكننا أبقينا على الاسم فقط ، إن المحل مملوك لأحد أفراد عائلة العطار وفيه يصنع الخبز والحلويات

ـ هل هو ملكية خاصة ؟

ـ نعم ، إنه يعتبر قطاعا خاصا ، والكثير من محلات الأسواق ، إن لم يكن معظمها مملوكة لأشخاص ، يدفع أصحابها الضرائب للدولة ، وينظم وجودها القانون الخاص به .

معالم أخرى

قرب المساكن الجديدة ، وعلى بعد أمتار قليلة من مسجد أبان فإن بوابة قديمة مازالت متروكة كمعلم للتذكير ، إنها بوابة سجن عدن ، ومازالت الكتابة عليها واضحة بالانكليزية: سجن المنطقة ١٩١٢م في الشارع المقابل مازالت كنيسة القديس جوزيف موجودة ، ولونها الأصفر مازال يلمع   قيل إن بعض المسيحيين العرب والهنود والأجانب الآخرين يؤمونها يوم الأحد ، وبجانبها تقع ثانوية الفقيد عبدالله باديب الكاتب والصحافي اليمني المعروف ، وبجانبها تقع إحدى الروضات الحديثة

عودة إلى المتحف العسكري الذي ورد ذكره من قبل ، وهو يضم صورا ومقتنيات من مراحل عديدة لاستعمال الأسلحة في اليمن الديمقراطية ، منذ قديم الزمان ، حتى الاحتلال الانكليزي ، ثم قيام الثورة ، والمراحل الحديثة التي مرت بها الثورة ، والشخصيات التي لعبت أدوارا مهمة في هذه المراحل   عن طراز البناء اللافت للنظر الذي يتكون من دورين ويتوزع على عدة جهات ، فإن السيد سعيد المدي المولود سنة ١٩٠٥م   والذي عاصر الكثير من المراحل التي مرت بها اليمن الديمقراطية ، خاصة مراحل التعليم ، قد علق قائلا

لقد كان المتحف مدرسة ، بناها الانكليز سنة ١٩٢١ بيد بنائين هنود ، لذلك فإن البناء أقرب إلى الطراز الهندي

وذكر لنا دليل المتحف العسكري بأن المبنى تحول إلى متحف عسكري اعتبارا من ٢٣ يونيو ١٩٧١م

وتقوم بجانب المتحف العسكري مكتبة وطنية ، تسمى المكتبة المركزية في الجمهورية ، وذكر لنا السيد عبدالرزاق معتوق يحيى المشرف بالمكتبة أن المبنى يتألف من ثلاثة أدوار والمزود بجميع المستلزمات بما فيها « الميكروفيلم » هدية قدمتها حكومة الكويت لحكومة اليمن الديمقراطية ، وقد افتتحت سنة ١٩٨٠ ، ويعمل فيها ٥٠ موظفا ، أغلبهم من الفتيات ، وبينهم حملة للماجستير في علم المكتبات ، وفيها حوالي ٣٥ ألف عنوان موزعين على أقسام عدة منها القسم العام ، والمراجع والدوريات ، والمراجع الأجنبية ، والمخطوطات ، وقسم التزويد والايداع ، وغير ذلك

عندما سألت مريم قشلون مشرفة المراجع عن سبب كثرة الفتيات العاملات في المكتبة أجابت

قراء كثيرون من مستويات ثقافية متعددة ، والمرأة أكثر صبرا واحتمالا ورقة في التعامل

وقد ذكر السيد سعيد المدي أن المكان الذي تشغله المكتبة كان مدرسة لليهود ، تم إحراقها سنة ١٩٤٨ بسبب احتلالهم لفلسطين

بيت الأحرار

ونحن نبحث عن بيت السيد سعيد المدي القريب من مسجد العيدروس ، وجدنا لوحة مثبتة على زاوية أحد البيوت كتب عليها النص التالي   « بيت الأحرار »

« هنا عاش   نخبة من الأساتذة الشعراء والأدباء والكتاب من الأحرار الذين أسهموا في النضال الوطني ضد الحكم الإمامي الكهنوتي والاستعمار البريطاني في سبيل الثورة والتقدم والوحدة ، في الفترة ما بين أواسط الاربعينيات إلى مطلع الستينيات وقيام ثورة ٢٦ سبتمبر المجيدة ، منهم   أحمد حسين المروني ، وأحمد حسن الحورش ، والشيخ مطيع دماج ، وأحمد مصلح البراق ، وزيد علي الموشكي ، وعلي عبدالعزيز نصر ، ومحيي الدين قاسم العنسي ، ومحمد محمود الزبيري ، ومحمد علي الأسودي ، ومحمد عبدالله الفسيل ، ومحمد علي الأكوع

وقد كتبت في مقدمة اللوحة من شعر الشاعر الزبيري الأبيات التالية

إن الأنين الذي كنا نردده سرا
غدا صيحة تصغي لها الأمم

● كانت كنيسة رمز الاستعمار ، ثم أصبحت متحفا الآن - فوق -

بوابة السجن القديم أثر من آثار « الحضارة » الاستعمارية - أسفل يمين -

المكتبة الوطنية هدية من الشعب الكويتي الى الشعب اليمني

● كريتر   من هنا دخل الانكليز ومن هنا خرجوا !!

إن القيـود التي كـانت عـلى قـدمي
أصبحت سهـامـاً من السحـان تنتقم

وفي نهاية اللوحة تم تسجيل الآتي من شعر الشاعر محيي الدين العنسي

كـم تـعـذبـت في سـبـيـل بـلادي
ولـقـيـت الحـمـام فـيـهـا مـراراً
وأنـا الـيـوم في سـبـيـل بـلادي
أبـذل الـروح راضـيـاً مُخـتـاراً»

وعلى واجهة بيت آخر ، قريبة من البيت السابق وجدنا لوحة كتب عليها

« هنا عاش عبدالله عبدالرزاق باذيب الذي قاد حركة النضال والثقافة ، وأعى الصحافة اليمنية الحديثة »

صهاريج أم سدود ؟

يذكر أمين الريحاني في كتابه « ملوك العرب » النص التالي « تدعى عدن الثانية المعسكر ، لأن فيها الثكنات وقسما من جيش الاحتلال ، وهي في حلقة من الجبال السحماء ، تكلل قننها حصون قديمة مهجورة ، لأن الانكليز يستغنون عنها اليوم بالمراكب البحرية ، أما أشهر ما فيها من الآثار مما تبقى من ظل مجدها العابر فهي أسداد الماء (تاريخ هذه الأسداد مجهول ، فمن المؤرخين من يقول إنها بنيت في القرن الخامس للمسيح ، ومنهم من يعود بها إلى ألف وخمسمائة سنة قبل المسيح ، ومما لا يختلف في أمره أنها كانت مردومة عند الاحتلال الانكليزي ، فحفرت ورممت سنة ١٨٥٦ ، وأنها تسع ثمانين مليون جالون من الماء ، تلك الأسداد المبنية في مضيق منحدر بين جبلين ، بناء متينا محكما محفورا بعضها في الصخور سد فوق سد ، يصب الواحد مياهه حين يمتلىء في السد الذي يليه ، حتى تفضي بعد امتلاء عدة أسداد إلى الخزان الأخير القائم عند سفح الجبلين ولكن هذه الأسداد وهي من أجمل الأعمال الهندسية في العالم لا تمتلىء لقلة الأمطار إلا مرة أو مرتين في كل بضع سنين » هذا وقد ذكر الأستاذ عبدالله أحمد محيرز مدير المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف في كتابه « صهاريج عدن » الذي

صدر حديثا « أما نظام الطويلة ـ سلسلة المصارف التي تذكر بعض المصادر أن عددها ١٨ مصرفا أو سدا ـ فهي نظام ديماني وتقنية بارعة ووجه حضاري فريد . وهو وسيلة لتلقف الماء عبر جدران حاجزة إما منقورة بصفا الجبل أو مبنية بالحجارة والجص في عرصه . تقوم بثلاث مهمات تلقف الماء . وحجز الحجارة والطمي الساقط مع الشلالات وتوجيه الماء عبر سلسلة من هذه الجدران لتصريفه إلى حيث تكون الحاجة إليه أي إلى صهاريج المدينة »

والمصارف في الجبل ـ شمسان وما يليه من تلال واقعة في جنوب المدينة ـ كانت حسب ما ذكره الأستاذ محيرز تتوالى : حجز الماء وتوجيهه وصولا إلى خزان كبير كان . ... المدينة قرب مجمع السوك الآن

وقد ... الصهاريج الواقعة فوق بستان الطويلة . ووجدت لوحة تم تثبيتها على إحدى الجدران بالقرب من صهريج ابي قبة . كتب عليها بالانكليزية « ان السيد لامبيرت اكتشف الصهاريج سنة ١٨٥٤ . وتم ترميمها بعد ذلك وتستوعب حوالي ٢٠ مليون غالون امبريالي » . وكاتب التقرير هو س أ كاننغهام بريي دي ميرال في ٢٠ فبراير ١٨٩٩م وصهريج أبي قبة هذا يشبه المسرح الروماني . وفيه شق طولي هو الذي ينزل منه المطر ـ إذا ما نزل ـ كالشلال وقد بني مسجد بالقرب من المكان . وربما جاء اسم القبة للصهريج من أسم قبة المسجد وهناك صهريج أبي سلسلة وآخر اسمه أبو عجلة . وغيره وقد صعدنا الجبل كي نرى إلى أين تنتهي هذه السلسلة من السدود أو الصهاريج . فلم نستطع الوصول إلى أعلى من السد الخامس . لأن البقية موزعة في جبال شمسان التي تهيمن على المكان بصخورها السوداء المدببة ودروبها المتعرجة . وقد وجدنا في الجبل بعض المغارات والأعمدة التي نحتها الانسان . واستخرج منها « البومس » الذي كان يستعمل بدلا من الترابة (الاسمنت) في البناء . وهو أفضل من الترابة . ويحفظ تماسك الحجارة مدة زمنية طويلة

كما وجدنا في بستان الطويلة متحفا للآثار . جمعت فيه أشياء تتعلق بالعادات والتقاليد اليمنية

هذا ويشير الاستاذ محيرز في كتابه إلى أن سلسـ... جبال المنصوري التي تشرف على المدينة من ... الشمال . وهي المقابلة لجبال شمسان . كانت تحوي على سلسلة أخرى من الصهاريج والسدود . وكانت تلتقي عند خزان السوك أيضا . إلا أنها اندرست وتهدمت كما يذكر

متحف كبيـــر

إن زائر بعض مناطق اليمن الديمقراطي سيكتشف بأن الكثير من الأماكن يحتوي على اثار قيمة تعود إلى مراحل مختلفة من حياة الشعب اليمني ولأن الاهتمام بهذه الآثار يدخل في اطار المنافسة مع الأولويات التي يجب توفيرها لأغلبية الناس كالغذاء والكساء والتطبيب والتعليم . فإن البحث عن الآثار بشكل مكثف . وترميم الباقي منها والبارز والمكتشف لم يحن وقته الملح على ما يبدو في أولويات الجهات المعنية باليمن الديمقراطي لأن قلعة صيرة وحريرتها وصهاريج الطويلة وآثارا أخرى غيرها بحاجة إلى ترميم . وإلى شق طرق ماسة لها . الا أن الأولويات الاخرى تحول دون ذلك الآن على ما يبدو

اخبرنا الاستاذ عبدالله محيرز عندما زرناه في المتحف اليمني بأن هناك بعثة فرنسية ويمنية تنقب عن الآثار في شبوة عاصمة حضرموت القديمة . وهناك بعثة سوفيتية يمنية تنقب في ريبون في وادي حضرموت

سألناه وعدن . ألم تنقبوا عن الآثار فيها بعد ؟

فأجاب لا شك أننا نفكر في التنقيب عن الآثار في عدن وفي غيرها من مدن ومناطق . ولا أخفي عليك بأن اليمن ما هي إلا مستودع كبير للآثار لكن هناك أولويات . وسيأتي دور عدن وغيرها بطبيعة الحال

ثم حدثنا عن المتحف الذي أقيم في قصر سلطـ... لحج السابق الذي بني في الفترة ما بين عامي ١٩١٨ ١٩٢٤ على الطراز الهندي اليمني

وقال إن المتحف قد افتتح في القصر ...

١٩٨٤ ، وهو يضم إلى جانب المتحف المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف ، ودور المركز يتجه للتنقيب ، ودراسة النقوش ، وصيانة المواقع الأثرية ، ودراسة الوثائق الشعبية والرسمية والتراث الشعبي . و ١٣ متحفا في محافظات الجمهورية

وذكر أن المركز يرسم خطة سنوية للجمع والدراسة والتنقيب ، فمثلا إما بحصص برنامجا لجمع الزينة والحلي من شتى محافظات الجمهورية في سنة معينة، ثم يلي ذلك خطة للاهتمام بالملابس أو الأغاني ، أو حتى الوصفات الشعبية

والجدير بالذكر أن مؤتمر اليونسكو الذي عقد عام ١٩٨٢ قد أصدر استغاثة دولية للمحافظة على آثار مدينتي شبام وصنعاء في اليمن

وقد التقينا بالسيد محمد سالم محمد مشرف المتحف الوطني للآثار الذي طاف بنا بين أرجائه وذكر لنا أن المتحف يحتوي على ثلاث قاعات

الأولى تحتوي على نماذج من القطع الأثرية التي تعود إلى العصر السني القديم ، مثل التماثيل والزخارف المعمارية والكتابات السنية القديمة ، أما القاعة الثانية فإنها تحتوي على نماذج من قطع أثرية لممالك يمنية قديمة ، مثل ممالك قتبان ، وأوسان وحضرموت ، وغيرها

أما القاعة الثالثة فتحتوي على قطع فنية وأثرية لعصور الدويلات الاسلامية مثل المسكوكات الذهبية والفضية والأختام وغيرها وتعود هذه إلى الدول اليعفرية والصليحية والرسولية والطاهرية ، وصولا إلى الحكم العثماني والمصري ، ثم السيطرة البريطانية

وقد اغتنم زميلي المصور متابعتي لما تحتويه القاعات ليخرج لالتقاط بعض صور الأزياء والملابس اليمنية في الهواء الطلق التي ارتدتها ياسمين عبدالملك الموظفة في قسم المخطوطات في المتحف والمتخرجة في جامعة عدن قسم التاريخ

يقع المتحف الوطني في القسم الشمالي من كريتر ، بالقرب من خليج حقات وهناك معلم آخر يقع بالقرب منه هو منارة عدن

وهذه المنارة أثر تاريخي قديم ، اختلف المؤرخون في العصر الذي تنتمي إليه ، وهي مخروطية الشكل وتذكر المصادر أنها كانت منارة لمسجد بناه الخليفة عمر بن عبد العزيز ، إلا أن المسجد تهدم مع الزمن ، وبقيت منه منارته التي تم تجديدها عدة مرات في عدة عصور

للرياضة نصيب

يقع بالقرب من المنارة ميدان الحبيشي وملعبه ، والحبيشي هذا هو محمد عبدالله الحبيشي أحد أبرز لاعبي كرة القدم في الستينيات بعدن ، كان عضوا مقاتلا في الجبهة القومية ، واستشهد في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، وقد أقيم له نصب تذكاري مع زميله منصور أحمد هادي الذي استشهد في ١٥ يونيو سنة ١٩٦٥ ، والنصبان يقعان قرب بوابة عدن من ناحية العرب ، أي بالقرب من جسر العقبة القديم ، ويمكن اعتبارهما المعلم الأول في مدينة كريتر من ناحية الغرب ويوجد عدة أنصبة للعديد من شهداء الجبهة القومية الذين سقطوا بمواجهة الانكليز في مناطق عديدة من عدن ، مثل نصب الشهيد علي سالم يافعي الذي استشهد سنة ١٩٦٧ الذي يقع قرب معسكر ٢٠ بالقرب من بوابة السحر القديم ، ونصب الشهيد خالد هادي ، وغيرهما

وقد أطلق اسم الشهيد الحبيشي على أكبر ملاعب عدن وقد ذكر لنا السيد وحدان محمد عمر ب أمين السر العام المساعد ـ سكرتير لجنة المسابقات العليا للاتحاد اليمني لكرة القدم ـ بأن الاستاد قد أنشىء سنة ١٩٢٤ زمن الانكليز ، وتمت توسعته عام ١٩٧٢ ليستوعب الآن حوالي ٢٠ ألف متفرج . وبالقرب من استاد الحبيشي هناك نادي التلال الذي أدمجت فيه عدة نواد ، بعضها كان قائما منذ سنة ١٩٢٢ ، وقد تم دمج النوادي سنه ١٩٧٥ ومفهوم النادي في اليمن الديمقراطي يقوم على أساس أنه رياضي ثقافي .

وهناك معلم آخر بارز في شمال كريتر ، يتمثل في البناء المخروطي الذي يحتل تلة بارزة ، تشرف على

● رراعة وانتاح البں مں أقدم المهں في اليمں . قديم يرول وحديث ينشأ هكدا هي الحياة ، - أعلى - لحام الكهرباء إحدى مهں سوق كريتر - أسفل يسار - المرأة والدهب متلارمان دائما

ساحة البنوك ، والمبنى كما ذكر لنا السيدان المحيرر والمدي كان كنيسة بناها الانكليز في العشر سنوات التي تلت احتلالهم لعدن أي في سنة ١٨٤٩ ، حسب ما ذكر الاستاذ المدي ، في حين أن الاستاذ المحيرز ذكر أنها بنيت سنة ١٨٦٠ ، إلا أنهما يتفقان على أن هذه الكنيسة قد تحولت في بداية ستينيات هذا القرن إلى مركز للمجلس التشريعي الذي أقامته بريطانيا ليجمع ممثلي المشيخات والسلطنات والإمارات التي كانت قائمة في جنوب اليمن قبل الاستقلال ، ثم تحولت إلى ثكنة زمن الاستقلال ، وبعد ذلك تحولت إلى متحف للبوليس

المساجد

ذكر لنا السيد المدي بأنه يوجد في كريتر ما يزيد على ٣٠ مسجدا ، وهي تحمل أسماء شخصيات دينية ، لعبت أدوارا مهمة في حياة المسلمين ، كمسجد أبان ، والعيدروس ، والزعفران ، والعسقلاني ، والعراقي ، والأدهل ، والاحسان ، والهدى الخ

أما عن فن العمارة المتعلق بالمساجد فإن مجلة نداء الوطن الصادرة في عدن يناير ١٩٨٨ قد ذكرت « أما عن فن العمارة الذي يميز المساجد في عدن فمازال الكثير منها محافظا على نمط العمارة الإسلامية ، حيث نلاحظ النقوش والزخرفة الإسلامية في واجهات بعضها ، وفي منابرها وفي المآذن ، ويحتفظ مسجد ابان حتى الآن بزخرفة جميلة على بوابته الخارجية ، كما تشترك المآذن بفكرة المئذنة المستديرة التي تقطعها حلقات تشكل شرفات وسطية تنتهي بقبة مزودة بنوافذ تطل على عدة جهات »

ومسجد ابان الذي ورد ذكره بُني في القرن الأول الهجري ، كما تذكر الكثير من المصادر ، وهو يقع في وسط كريتر تقريبا ، بناه أبان بن الحكم بن عثمان ، وتم تجديده عدة مرات . في عصور مختلفة

أما مسجد الشيخ العيدروس فهو كما تذكر بعض المصادر قد بُني في القرن العاشر الهجري ، وتذكر مجلة نداء الوطن عن الشيخ والمسجد « تمير قبل ما يزيد على القرنين من الزمان الشيخ العيدروس الذي كان يُدَرس الفقه واللغة وأصول الدين والتفسير وقد بني له على نفس المسجد المقام حاليا ـ بعد توسعه ـ مكان للصلاة والخطبة ويرتفع المسجد جنوب كريتر . وقد استقدمت مواد بنائه من الهند ، ويمتاز هذا المسجد بفن العمارة فيه ، والزخرفة الخارجية والأشكال الهندسية التي تميز قبته والمئذنة ، مما يجعله تحفة تاريخية ، وتقترن بهذا المسجد ممارسات دينية عديدة ، أهمها الزيارة السنوية المعروفة التي تقام أواخر العام »

وقد ذكر لنا حفيده عيدروس عندما قمنا بواجبات الزيارة للمسجد أن الشيخ العيدروس هو أبو بكر عبدالله عيدروس من تريم في اليمن الشمالي ، ولد سنة ٨٥١هـ ـ ١٤٤٧م ، وتوفي سنة ٩١٤هـ ـ ١٥٠٨م في عدن ، وهو شاذلي في طريقته الصوفية

وقد ذكر لنا السيد عيدروس عدة خوارق أتى بها الشيخ العيدروس ، كما ذكر أن مياه البئر التابعة للمسجد مياه مباركة تشفي المرضى من أمراضهم ؟

وعندما سألت السيد المدي والسيد محيرز كل واحد منهما بمفرده حول كرامات الشيخ العيدروس وخوارقه ، فإنهما علقا على ذلك

إن الشيخ العيدروس رجل دين حقيقي ، لكن الأتباع والمريدين هم الذين يهولون ويبالغون في الكرامات والخوارق التي نسبت إليه ، وأضافا إن الرسول بشر ، ولم تنسب إليه معجزات وخوارق فكيف تنسب إلى غيره ؟ أما بالنسبة للمياه فإنها من نوع المبالغات التي لم تثبت صحتها بالعلم

عادات الزواج

في حي الطويلة بكريتر ، وفي بناء يحادي تلال الطويلة وصهاريجها استضافنا السيد ياسين محمد ابراهيم في بيته ، وهو متزوج من السيدة أسماء محمد عمر أعرجي ، وله ثلاثة أولاد

رأفت ١١ سنة ، ورامز ٨ سنوات ، ومحمد سنوات ، وقد تزوجا سنة ١٩٧٥ ، والسيد ياسين من سكان المنطقة منذ أوائل السبعينيات ، وقد حدثنا السيد ياسين وزوجته عن تقاليد الزواج السبعينيات ، فقالا

ـ السيد ياسين محمد ابراهيم وعائلته

عند عقد القران فإن العريس يقدم شبكة من الذهب لعروسه ، والاحتفال يكون بسيطا ، ويجتمع أهل العريس والعروس ، ويتم توزيع الحلويات وحبات المشموم والفل على المشاركين في الفرح ، وتقدم المرطبات وعند الاتفاق على تحديد يوم الزواج يسبق ذلك يوم يسمى « بيوم العسل » للعروسة ، فهي تتغسل بالحنة وترافقها الزغاريد والأغاني ، وتساعدها أختها أو فتاة من عائلتها ، ثم تلبس لباسا أخضر طويلا ، والمشمة تكون خضراء أيضا ، واللباس يقال له درع ، وهو يغطي جميع جسم الفتاة ، ثم تتجه العروس ، وتجلس بين صديقاتها ، ويغنين لها ، ثم ترقص بعد أن تضع على وجهها المنديل ، ويتم الغسل في الصباح ويمكن لصديقات العروس أن يهديها بعض الهدايا المالية والعينية أثناء ذلك ، ثم يقيم أهل العريس حفل غداء ، يعزمون فيه أهل العروس ، ويتكون الغداء في معظم الأحيان من أرز ولحم « زربيان » يوضع عليه زبيب ، وتتابع الأغاني مع دق الطبول

وفي نفس ليلة العرس فإن صديقات العروس ينقلن ملابسها إلى بيت العريس مصحوبات بالطبول والأغاني ، فيستقبلهن أخوات وأهل العريس

وفي الساعة الثالثة عصرا من يوم العرس تذهب العروس إلى مصففة الشعر لترتيب شعرها وإجراء حمام خاص ، ثم يأتي العريس عند الساعة الثامنة مع أصدقائه فينقلون العروس بعد أن تضع « الطرحة » البيضاء على رأسها إلى مكان الاحتفال ، ثم ينزلها العريس على دق الطبول والزغاريد والأغاني ، ويرافقها إلى مكان مرتفع معد اعدادا خاصا ، ويجلس بجانبها بعد أن يكون قد لبس أفضل ملابسه ، ثم يتناول المرطبات معها ، ويمكن أن يتبادلا الحديث ، ويلبس كل واحد منهما الآخر طوقا من الفل ، ويستمر الحفل حتى الساعة العاشرة والنصف تقريبا وحضور هذا الحفل يقتصر على النساء فقط ، أما أصدقاء العريس فيكونون بانتظاره خارج المكان

وقبل أن يتوجه العريس وعروسه إلى بيتهما الخاص فإنهما يشاركان بجولة حول مسجد العيدروس

ومن الأغاني المتداولة أثناء نقل العروس هذه الأغنية

قمري شل (أخذ) بنتنا قمري شلها وراح
قمري عاشق الملاح

في صباح اليوم الذي يلي الزفاف يذهب العريس بمفرده إلى أهل العروس ، فيستقبل بالزغاريد والأغاني ، وتقدم له مأكولات شعبية

بعد ذلك يدعو أهل العروس إلى حفل غداء ، فيلتقي الرجال في مكان مخصص لهم مفصول عن النساء، الرجال مع الرجال ، والنساء مع النساء

● صريح الشيح العيدروس مع اماثه في احدى العرف الملحقة بالمسحد الذي حمل اسم الشيح أيصا ـ أعلى ـ مسحد اسان من أقدم المساحد في اليمن والحريرة العربية ـ أسفل يمين ـ لم يبق من مسحد قديم الا هده المارة تم تحديدها عدة مرات

● كريتر   من هنا دخل الانكليز ومن هنا خرجوا !!

وفي عصر ذلك اليوم يدعو العريس أصدقاءه إلى (المقيل) « فيخزنون » القات وهم يغنون ويمرحون ، في حين أن النساء يتابعن مراسم الفرح في مكان آخر ، وتستمر هذه المراسم حتى السابعة والنصف مساء

وعندما يرزق الزوج والزوجة بمولودهما البكر فإنهما يعزمان أصدقاءهما على وجبة غداء ، وتكون الماعز أو الخرفان ضحاياها ، لأن ولادة البكر تحتم أن يتم الذبح فيها ، ربما اقتداء ، والذبح يحصل إن كان البكر ولدا أو بنتا ، وتترك تسمية الأولاد للزوج والزوجة

بالنسبة للمهور فإن الأمر يترك تحديده لأهل العريس والعروس حسب اقتدار الزوج

سألت السيد ياسين وزوجته هل تغيرت عادات الزواج منذ زواجكما ؟ أجابا   مازالت الأساسيات هي نفسها ، لكن من المؤكد أن بعض التفاصيل تغيرت

خزان العـرب

أثناء تجوالنا في المنطقة المحاذية لجزيرة صيرة التقينا شاب عرَّفنا عليه مرافقنا قائلا   إنه الشاعر لطف السماوي

فبادرته متسائلا   هل هناك علاقة بين سماوة العراق وسماوة اليمن ؟

أجاب مبتسما   هناك علاقة أكيدة بين المنطقتين اسماً وسكاناً

لقد ذكر هذا الأمر بعض المؤرخين وموثقي الأنساب ، والثابت أن بعض قبائل سماوة حمير في اليمن قد هاجرت إلى العراق ، واستوطنت المنطقة التي عرفت باسم السماوة ، ولقد أعطوا المنطقة الجديدة اسم المنطقة التي كانوا يسكنونها من قبل في اليمن

ويذكر بعض أجدادنا أن جدودهم كانت لهم مراسلات وعلاقات مع جماعتهم في سماوة العراق

ثم علق الشاعر   لا تنس أن اليمن كانت الخزان البشري للعرب   وربما مازالت كذلك حتى الآن ! □

يبدل الانسان جهدا خلال النهار ، ويخلد للراحة والنوم خلال الليل ، ويتراوح معدل ما يحتاجه المرء من ساعات نوم ما بين سبع الى ثمان ساعات في اليوم كما تشير أبحاث المختصين بالسلوك وأبحاث المختصين بعمل كهربائية المخ أثناء النوم الى أن قليلاً من الناس يستطيعون النوم بسرعة عند رقودهم في الفراش . فما أسباب ذلك ؟

بقلم : الدكتورة أمل علي المخزومي

إن الجهـار العصبي المركـري مسؤول عن شاطات المخ المختلفة ، كما أنه مسؤول عن جهـار الانتبـاه واليقـظة إن السبب المبـاشـر للنوم هو وجود مادة السروتونين في الجسم إذ تقوم الخلايا العصبية الخاصة في المخ بافرار تلك المادة فتؤثر عـلى التكوين الشبكي المـوجود في الجهـار العصي المركري

يحدث عدم توازن في نسبة السيروتونين التي تفر[...] من تلك الخلايا أحيانا ، فادا زادت كمية تلك المادة الكيمـاوية فـانها تؤدي الى الشعور بـالاسترخاء ويشعر الفرد بالحاجة الى النوم يحدث ذلك كثيرا المناطق الحارة وخاصة في الصيف عند الظهيرة عند الارهاق والتعب الفكـري والجسمي ، أو [...] أحد حمام حار أما إن قلت كمية السيروتو[...]

ا سم فان الشحص لا يستطيع النوم ولا يشعر بالحاجة اليه ، مما يؤدي الى الاصابة بالأرق

صعوبات النوم

هناك أشخاص لا يستطيعون تقدير حاجتهم من النوم وبالتالي تصدر عنهم شكاوى عن قلة النوم اذا استيقظ المرء بعد مضي خمس أو ست ساعات من النوم ولم يستطع مواصلة النوم مرة اخرى ، فإن تلك الساعات تكون كافية لجسمه ، وهناك صعوبات يعاني منها بعض الأفراد مما يؤدي الى الأرق ، وتختلف تلك الصعوبات باختلاف الافراد وظروفهم النفسية والاجتماعية فان كان الفرد متوترا أثناء النهار ، أو كان مصابا بمرض الكآبة أو القلق النفسي يكون احتمال اصابته بالأرق كبيرا جدا كما تشعر الحامل في الأسابيع الأخيرة من الحمل بضيق التنفس وذلك من جراء ضغط الجنين على الحجاب الحاجز مما يؤدي الى ايقاظها من النوم ، ولا تستطيع معاودته مرة أخرى

كما يحدث الأرق لبعض الطاعنين في السن لأنهم لا يحتاجون الى ساعات طويلة من النوم كذلك يتعذر النوم لبعض الأفراد الذين لا تكون لديهم حاجة للنوم خلافا للأشخاص الذين يمارسون الأعمال الشاقة أو الرياضة البدنية المختلفة ، فانهم سرعان ما يداعبهم النوم حال رقادهم في الفراش ، كما يصيب الأرق الأفراد الذين يعانون من مشاكل اجتماعية أو اقتصادية ، أو مشاكل تتعلق بالعمل الذي يمارسونه

● ارق المراهقة

كما يحدث الأرق للمراهقين

هناك أسباب أخرى تؤدي الى الأرق أو قلة ساعات النوم وهي شرب الشاي والقهوة لاحتوائها على المادة المنبهة للجهاز العصبي

الطرق العلاجية للأرق

توجد فروق في الاصابة بالأرق من حيث شدته كذلك في الاستجابة لطرق علاجه كما تتباين طرق العلاج ووسائله لقد دأب المعالجون على اعطاء الارشادات الطبية العديدة قبل المباشرة في إعطاء المريض الحبوب المنومة فإذا ما استجاب المريض لتلك الارشادات وطبقها كما هي ، وشفي من الحالة التي يعاني منها فانه لا يحتاج الى تلك الحبوب أما اذا لم تنفع تلك المحاولات ، يلجأ الطبيب المعالج الى اعطاء المريض الحبوب المنومة التي لا تخلو من تأثيرات جانبية والطرق المتبعة في علاج الأرق كما يأتي

١ ـ اعطاء المريض كوب حليب دافيء ، وذلك لاحتواء الحليب على الحامض الأميني الذي يطلق عليه بـ « ترينيوفان ـ شن » ويساعد ذلك الحامض على تكوين المادة الكيماوية المسماة بالسيروتونين مما يبعث على الاسترخاء ويعجل بالنوم

٢ ـ التقليل من كمية وجبة العشاء ويكون تناولها قبل النوم بثلاث ساعات على الأقل لأن إتخام المعدة قبل النوم يؤدي الى عدم راحة الفرد ، وبالتالي تعذر النوم وإذا نام تنتابه الكوابيس والأحلام المرعبة

٣ ـ المشي في الهواء الطلق أو أخذ نفس عميق خمس عشرة مرة ، قبل الذهاب الى النوم ، مع ممارسة التمارين الرياضية البسيطة ، التي تجعل الجسم في حاجة الى الراحة ومن ثم النوم

٤ ـ أخذ حمام دافيء قبل الذهاب الى النوم لمدة خمس عشرة دقيقة مما يؤدي الى تبدد الكهربائية الموجودة في الجسم من جراء العمل اليومي ، ويعمل على ارتخاء خلايا الجسم وراحتها ، ومن ثم الاسترخاء والنوم

٥ ـ التأكد من اعتدال درجة حرارة غرفة النوم لأن الحرارة والبرودة الزائدتين تؤديان الى تعذر النوم

٦ ـ تجنب أخذ أعمال تتعلق بالعمل اليومي الى الفراش ، وان رغب المرء في القراءة عليه قراءة المواضيع التي تبعث على التسلية والاسترخاء

اذا لم تنفع الإرشادات المذكورة آنفا على المرء ان يترك الفراش ويذهب الى مكان آخر لممارسة نشاط معين لقضاء الوقت ، وعليه تجنب الالحاح في طلب النوم لأن الالحاح يؤدي الى النتائج العكسية

الأحلام كعلاج

هناك طريقة حديدة لعلاج الأرق ، وهي استدعاء حلم معين من احلام اليقظة التي كثيرا ما يمارسها المرء وخاصة في مرحلة الطفولة والمراهقة وأحلام اليقظة معروفة من تسميتها وهي الأحلام التي تراود الفرد في حالة اليقظة وتنقسم تلك الاحلام الى قسمين هما ما يلي -

١ ـ الاحلام غير الارادية ـ هي الاحلام التي تسيطر على الفرد ولا يستطيع التخلص منها وكثيرا ما تؤدي بالفرد الى العزلة والانطواء وذلك لانشغاله بتلك الاحلام وتفاعله معها مما يُبعده عن التعامل والانسجام مع المجتمع وتعتبر هذه الحالة مرضية يجب علاجها والتخلص منها ، وذلك بالطرق والوسائل النفسية العديدة ومنها التحليل النفسي

٢ ـ الاحلام الارادية ـ وهي الاحلام التي يستدعيها الفرد متى واينما شاء ، أي أن الفرد هو المسيطر على تلك الاحلام تصفي تلك الاحلام على الفرد الاسترخاء والراحة والتمتع بها كما أنها مفيدة لعلاج الأرق وعلى المصاب بالأرق أن يستدعي حلما معينا يستمتع به ويؤدي به الى الاسترخاء ثم النوم والطريقة التي يمكن اتباعها في هذا الموقف هو ان يذهب الفرد الى النوم وفي رأسه شريط سينمائي لهذا الحلم يضع الفرد رأسه على الوسادة ويبدأ بالاسترخاء التام ثم يستعرض الحلم الذي أعده لنفسه ، ففي الليلة الاولى ينتهي الحلم وقد يستغرق بعدها في النوم أو يبقي مؤرقا لفترة ، ثم ينام ، أما في الليلة الثانية فانه يستغرق في النوم بعد الانتهاء من ذلك الحلم ، وبتكرار العملية يغفو في منتصف استعراضه لذلك الحلم ، وهكذا نقضي على الأرق الذي عانى منه الفرد ما على طريقة سهلة ومريحة □

مي زيادة تصف نفسها

● عاشت الكاتبة العربية مي زيادة في بداية حياتها حياة شرقية حلوة عامرة بالحب والشوق ، تحفها عوامل كلها تفتح الطريق للمجد والحب والسعادة ، فهي وحيدة والديها ، جميلة رائعة ، ذكية القلب والفؤاد ، كاتبة ذات قلم ، واسعة الثقافة تصف نفسها في مطلع شبابها قائلة استحضري فتاة سمراء كالبن أو التمر الهندي كما يقول الظرفاء ، أو كالمسك كما يقول متيم العامرية ، أو كالليل كما يقول الشعراء ، وضعي عليها طابعاً سديمياً عن وجد وشوق ودهول وجوع فكري لا يكتفي ، وعطش روحي لا يرتوي ، يرافق أولئك جميعاً استعداد كبير للطرب والسرور ، واستعداد أكبر للشجن والألم ، وهذا هو الغالب دوماً ، وأطلقي على المجموع اسم « مي » .

وجهاً لوجه

إنجي أفلاطون و نجاح عمر

■ أنا ثائرة .. وألواني متمردة !

في الاربعينيات كانت صغرى « فناني مصر المستقلين » وكان عمرها سبعة عشر عاما عندما وصفت بأنها «ساحرة ركبت فرشاتها . تستثمر الامكانيات الفنية المحدودة المتاحة لها بذكاء نادر » .

في الخمسينيات قال لها الفنانون العالميون الكثير

الفنان المكسيكي « جوزيه الفاروسيكيروس » قال : « انها فنانة اتخذت الطريق الى فن اجتماعي وواقعي يبدأ من العزيمة القومية ويتحرك بتصميم في المجالات التشكيلية مع الكائنات ومع الحياة الكاملة للناس في وطنها »

وقالت عنها الدكتورة عائشة عبدالرحمن - بنت الشاطيء - « لا أتردد في الاعتراف بأن قلمي الذي حاول طويلا أن ينقل الى المدينة صورا من حياة قومي الكادحين في القرى قد عجز حقا عما استطاعت انجي أن تبدعه »

لقد أقامت انجي أفلاطون ٢٨ معرضا في مصر ، وروما ، وبرلين الشرقية ، وبراغ ، وصوفيا ، وموسكو ، والهند

ربما كان دخولها ميدان الفن غير مقصود لكنها لم تترك فرشاتها للصدفة فقط ، فكل خط ، وكل لون ، بل وكل فراغ له وظيفة محددة ، يؤدي بكل دقة ماتريد انجي أن تقول « أنا ثائرة »

لذلك كانت رحلتها مراحل فنية ، كل مرحلة منها جزء من المرحلة التي تعيشها مصر

انجي والتمرد

من البداية وانجي متمردة فعلام كان التمرد ؟!

وهي طفلة لم يكن يشبعها ذلك الاسلوب المتبع في تدريس مادة الرسم شيء ما جعلها ترفض ، شيء غير معلوم أو محدد جعلها تتعمد ان تنقل مايعرض عليها من رسم على السبورة نقلا رديئا وكانت تشعر بالسعادة وهي ترى الغيظ على وجه المدرسة

ثم ما تلبث هذه السعادة أن تتحول الى صراع بين قيود المدرسة والرغبة في الانطلاق الفني (وأخيرا حسم ذلك لصالح الفن) تقول أنجي .

منذ صغرى وأنا أهوى الرسم وكان لشقيقتي هواية اخرى هي كتابة قصص الاطفال هي تكتبها ، وأنا أرسمها ، ثم ينشر ذلك في احدى المجلات الفرنسية التي كان يعمل بها زوج خالتي ، كان انتاجي ينشر في المجلات وأنا في العاشرة من عمري ، بينما كنت في المدرسة شيئا اخر فقد كنت أرفض أن أتحول الى « كارت بوستال »

كان التحرر النسبي الذي عاشته انجي الطفلة بين أفراد اسرتها وراء انطلاق انجي الفنانة وعلى الرغم من تقاليد العائلات الكبيرة التي كانت سائدة ومسيطرة في تلك الفترة إلا أنه لم يكن صعبا على الأسرة أن تتفهم معنى ما تعانيه الطفلة من صراع . ومعنى أن ينطلق الفنان الكامن داخلها ، وراح الأب يبحث عن وسيلة يتم من خلالها التصالح بين قدرة الطفلة وواقعها فكان « التلمساني » هو المعلم . وهو الطريق

تقول أنجي « لاحظت أسرتي موهبتي الفنية ، فاستقر رأيها على أن آخذ درسا خاصا في الرسم . وقد سمحت علاقاتنا بأهل الفن والفكر أن نتصل بالاستاذ كامل التلمساني المفكر الأديب الفنـ- وحينذاك كان التلمساني عضوا مؤسسا في جماعة« الفن والحرية » وهي اول جمعية فنية في مصر تدعو الى تحرير الفن من قيود الأكاديمية والشكلية التي كانت (موضة) ذلك العصر .

لهم وافق التلمسان على اعطائي درسا خاصا فاسح لي باب الفن على يديه وفهمت ما هو الفن، وعرفت انه تعبير عن المجتمع، علمني كيف ارى الناس وكيف انسى كل القيود وعلى يديه قرأت تاريخ الفن في العالم

في الدرس الاول قال لي « ارسمي صورة » وبركي بلا قيود وخلال اسبوع واحد رسمت ما بداخلي « صورة تعبر عن رفضي وتمردي على المجتمع » وكان ذلك بداية الموقف الذي استمر حتى الان

* قلت لانجي صفي هذه الصورة !

قالت كانت عبارة عن فتاة ذات شعر طويل تخرج من خلال النار وحولها ثعابين

وفي عام ١٩٤١ وفي الوقت الذي كنت تلميذة بمدرسة الليسيه متأثرة بما قرأت عن الثورة الفرنسية رسمت صورة أخرى، فتاة تجرى فوق صخرة ويجري خلفها طائر متوحش كنت اعبر عما بداخلي من رغبة في التحرر بينما أطلق الفنانون والنقاد على لوحاتي وصف « سيريالية »

* قلت هل كنت تدركين ذلك ؟

أجابت لا، كنت أعبر عما بداخلي فقط، وأستطيع أن أقول إني كنت في مرحلة البحث عن طريق،والتعبير عن التمرد على المجتمع دون معرفة الأسباب، ودون وجود خط واضح يحدد ماذا بعد التمرد !!

جماعة الفن والحرية

ولم يمض عام على الدرس الأول حتى كانت التلميذة ضمن جماعة « الفن والحرية » الطليعية، وقد شاركت في معرض جماعي فكانت مفاجأة المعرض مفاجأة مهدت لمرحلة جديدة من حياة انجي افلاطون، وفي ذلك تقول

« بدأت أقرأ، وأحضر المحاضرات والندوات التي كانت تقام في نادي الأبحاث العلمية، وهو ملتقى المثقفين الثوريين حينذاك واكتشفت لماذا أنا متمردة .

كنت جزءا من مجتمع متمرد على القهر والاستعمار، لذلك كانت المرحلة الثانية من رحلتي هي مرحلة العمل الوطني، وقد شكلت وزميلاتي أول مجموعة نسائية جديده في مصر « رابطة فتاة الجامعة والمعاهد »

وبعد الحرب العالمية الثانية سافرت مع زميلتين إلى باريس لحضور أول مؤتمر نسائي بعد الحرب، وكنا نواة الاتحاد النسائي

وشاركت خلال الاربعينيات في الحركة الوطنية من خلال لجنة الطلبة والعمال، وكنت ضمن اثنتي عشرة فتاة في اللجنة التنفيذية العليا

كنت من اللاتي تقدمن بمطالب المرأة « الأجر المتساوي للعمل المتساوي »،« وحق الانتخاب للمرأة المتعلمة » وباختصار تركت الرسم، ورحت مع زميلاتي والدكتورة لطيفة الزيات وسعاد بدير وهدى شعراوي، ولقد غرقت وهؤلاء حتى قمة رأسي في الحركة الوطنية »

* ولم تكن العائلة غائبة تماما عن هذاالتطور، بل كانت تحاول تقويمه من وجهة نظرها

وقد حاولت أن تبعدها عن مصر، وعن السياسة، وحجتها في ذلك السفر إلى باريس لاستكمال دراسة الرسم، لكن رفضت انجي الفكرة لا كرهاً في الفن، لكن التزاما بمسؤلياتها الوطنية ومن أجل ذلك قررت أن تعمل حتى لاينحني الخط الذي رسمته لحياتها أمام الضغط الاقتصادي

وعندما أرادت العودة إلى الرسم اختارت مصر لتكون أداة التعبير عنها تقول

قررت أن أشتغل كي أحصل على حريتي، وعملت بأجر ستة جنيهات في الشهر، وفي ذلك اليوم شعرت أني مستقلة، وعملت في أحد المعامل، ثم في مدرسة وفي عام ١٩٤٨ تزوجت من محمد محمود أبي العلا، وكان يومئذ وكيلا للنيابة، فشجعني على العودة للأصل، أي للرسم، ومرة ثانية لجأت للفن كي أعبر عن مصر، واتخذت الريف رمزاً لها

دخلت في صميم الحياة المصرية ، وتجولت في القرى والأحياء الشعبية ، وكان أول معرض خاص بي في مارس عام ١٩٥٢ ، أي بعد حريق القاهرة ، وقبل قيام الثورة ، وفي تلك الفترة كان الغضب الشعبي جارفا ، والمقاومة ضد الاحتلال في قمتها وقد ساعدني ذلك على العودة السريعة ، وأحدت أرسم صورا للمقاومة الشعبية والمقاومة النسائية التي كانت في بور سعيد وفي عام ١٩٥٩ صدر قرار باعتقالي ، فكنت أول مصرية يصدر بشأنها مثل هدا القرار ، وكان دلك بداية لمرحلة حديدة في حياتي الفنية

أعوام السجن

أربعة أعوام ونصف قضتها انجي افلاطون في السجن ، أربعة أعوام ونصف كانت حلالها متفرغة تماما للفن ، بعد أن انترعت بيدها « حق الرسم » ، فحصلت على الجائزة الأولى ومقدارها (٥٠٠) جنيه ، غير ذلك لم يكن بالأمر السهل قالت انجي

« عندما يصدم الفنان فليس أمامه إلا طريق من اثنين ، إما أن يقوى أو يتحطم لدلك حاولت أن أتجنب أخطاء الفنانين

لجأت إلى رسم الواقع فكان دلك معركة ، فاللوحة الأولى قد صادرتها إدارة السجن ، فلجأت إلى تهريب لوحاتي ، فمنعوا الألوان والأوراق ، حتى كان يوم زار السجن فيه المدير العام ، وكانت له ميول فنية ، وما أن رآني حتى أبدى دهشته موجها سؤاله إلى مأمور السجن كيف تكون عندك انجي افلاطون ولا تستغل وجودها استغلالا فنيا ؟ ثم أصدر أمره بالسماح لي بالرسم في البداية ، وقد سمحوا لي بالرسم شرط ألا أرسم السجن وبعد فترة أخدت أرسم كل شيء ، وأعبر عما أراه بصدق ، وكنت أبيع لوحاتي لصالح السجن ، ثم مالبثت أن مللت البؤس ومشاكل المجتمع ، وكنت في شوق جارف للطبيعة ، فرحت أرسم غروب الشمس من حلف القضبان ، كنت أرى الشراع من بعيد وهو يتحرك في النيل ، فتحول في تصوري ـ أنا سجينة سجن النساء بالقناطر الخيرية ـ إلى رمز للحرية ومند ذلك الحين بدأت الطبيعة تلعب دورا رئيسيا في حياتي ، فقد اكتشفت كم هي عظيمة »

* سألت انجي ماذا فعل بك السجن ؟

قالت بالنسبة لي تعتبر فترة السجن مرحلة النضوج الفني والانساني ، ولا أنكر حدوث بعض التغييرات

قبل السجن كان الانسان بالنسبة لي قبل الطبيعة ، أما بعد السجن فقد أصبحت الطبيعة أولا ، وفي الواحات تأكدلي دلك ، بعد أن اكتشفت أن الطبيعة عملاق والإنسان نملة تكافح قسوة الطبيعة

بعد السجن دخلت في مرحلة البحث عن الضوء ، تعبيرا عن اهتمامي بالنور ، ودلك لخصوصية الضوء عندنا في الوطن العربي وقد بدأ دلك يترك مساحات بيضاء لابرار شيئين ، هما الضوء والحركة

ودلك باستعمال الفراغات بين المساحات المرسومة ، وهدا اتجاه جديد في الرسم ،أشاروا إليه في ايطاليا

* هل يمكن أن نقول بمراح عربي خاص في الفن ؟

ـ الفنان المعاصر يستوحي تراثه ، فالفنان المصري المعاصر مثلا وريث الفنون العظيمة في التاريخ ، كالفن الفرعوني ، والقبطي والاسلامي ، وهو يختزن داخله المدارس الفنية الحديثة أيضا

إنه يمزج بين كل هدا ويصب في النهاية شيئا جديدا مختلفا ، وهو يجرنا إلى قضية الأصالة والمعاصرة ، وأفضل تعبير عن هده القضية ما كتبه ناقد فني في « ليموند » عام ١٩٧١ تعليقا على معرض فن مصري معاصر أقيم في باريس قال

إن الفنان المصري يحمل على أكتافه فنونا عظيمة قد يكون ذلك قيدا كما قد يكون ميزة ، لو استطاع أن يخلق فنا جديدا معاصرا

والحديث عن القيود دو شجون ، خاصة إدا

ـارا مع فنانة متمردة كإنجي افلاطون . ومنذ أن ـشمت الأسباب وهي تعلن ذلك على كل مايحيط

قـالت للرحل أنت ظـالم . واستطاعت أن تعلن ـرفقها هذا بالخط . والفكرة . واللون . والمساحة بمراعية

وفي معرضها الـذي أقيم في المانيـا الشرقيـة عام ١٩٧٠ قالوا « إنه معرض خاص بالمرأة » بينما قالت انجي بـل إنـه تعبير عن الواقع . والمرأة جزء من هذا الواقع . وقد تمكنت بصفتي امرأة من أن أدخل بيوت الفلاحين . وأجلس مع الفـلاحات . وأرى على الطبيعة كيف تعيش المرأة في الريف . كامـرأة عاملة نعم المرأة في الريف تعمل في كل مكان . ففي الحقل رأيت المحاصيل الأساسية تجمعها امرأة . والقـطن تجنيه امـرأة . والبرتقـال تجمعـه امـرأة . وكذلك القمح . والفول كل هذه المحاصيل تجمعها أو تضمها أو تجنيها امرأة

وفي البيت تطبخ . وتعجن . وتربي الأولاد هي اذن امرأة عاملة تتحدى الفقر وترعى الاسرة

أما نساء الخصـر ـ والكلام مـازال لانجي ـ فقد عبرت عنهن كصورة واقعية

* كيف ؟

عندما أرسلت « تحية إلى عروس الجـنوب » كنت أعكس واقع المرأة العـربية المـناضلة التي جسدتها نساء مجيدلي » . فالمرأة عندي تعبير عن واقع إنساني اينما كان . بصرف النظر عن اللون والمكان

* كيف تختـارين النمـوذج ؟ هـل هـو الحدث . أم الانسان . أم المكان ؟

الاختيار أصعب المراحل الفنية . ففي العديد من الأشياء يبقى شيء واحد هو الذي يحدث الصدمة . ما يسميه الناس « الوحي » . وهذه الصعوبة هي الاختيـار وقد يحدث هذا أولا يحـدث . فذلـك يتوقف على حساسية المستقبل (بكسر الباء) . أي ـسان . قمت بسفريات كثيرة . رأيت فيها الطبيعة . النخل والجمال . والألوان الطبيعية . وفي كل مرة ها بنظرة جديدة . وكأنني أراها لأول مرة

● وجهها لوحة انجي افلاطون

وقد يشدني حدث ما . وقـد أتضامن مـع قضية إنسانية أو سياسية . ومن هذا وذاك يكون النموذج الذي أرسمه أو الفكرة التي أدعو لها !!

الفن والالتزام

* عـودة إلى القيود هكـذا حاولت أن أعود بالفنانة المتمردة . فكان لابد لي أن أعرف أين هي من القضايا التي تبدو مقيدة للفنان . قضايـا الالتزام . والمـوقف من السلطة ! فقالت انجي

أنا لا أتقيد بـأي قيد . حتى الألـوان لاتقيدني . فالسماء قد تكون حمـراء أو صفـراء فـاللون الأزرق لايهم

* إذن أين أنت من التزام الفنان ؟

أنـا فنانـة ملتزمـة بقضايـا مجتمعي . والقضـايـا الانسـانية بشكـل عام . ووظيفتي التعبـير عن هذا المجتمع . وأي فنان له حس إنساني لابد أن يتوقع القادم ويعبر عنه تعبيرا واضحا

* أيهما يؤثر ويتـأثر بـالآخر . الفنـان أم المجتمـع . وخـاصـة اذا كـان فـنـا تشكيليا ؟

«الفن التشكيـلي مـظلوم عنـدنـا . لأن جمهـوره محدود . واللوحة أيضا تأثيرها في المجتمع بطيء . أبطأ من الفنون الأخـرى . كالسينـما أو القصة أو الرواية في بلاد كالمكسيك سحبوا كفاح الشعب في لوحات فنية . وعلقوها على المصـالح الحكـومية . فأين نحن من هذا الوعي . علما بان الفن التشكيلي في مصـر من أكـثر الفـنون المعاصرة تقـدمـا ؟

فإذا أضفنا إلى ذلـك ما يعـانيه الفنـان التشكيلي ابتداء من ارتفاع أسعار المواد والمعارض حتى جهل الجمهـور وعدم اهتمـامه بما يعـرض في المعـارض الفنية . إذا عرفنا ذلك كله أدركنا إلى أي مدى يعاني الفنانون العرب . وإلى أي مدى يمكن أن تعوق هذه المعاناة الانطلاق الفني .

أخيرا انتهت المواجهة . فقد كان على انجي أن تواصل رحلتها الفنية . حيث حطت رحالها الأخيرة في معرضها الأخير بالكويت □

أو الشقيقة

بقلم : الدكتور أنيس فهمي

على الرغم من أن مرض الصداع النصفي كان ومازال موضوعا للدراسة منذ أكثر من ألفي عام ، إلا أن معلوماتنا عنه مازالت ناقصة ، ومازال علاجه الشافي غير معروف تماما .

وقد عرّف فريق البحث في الصداع التابع للاتحاد العالمي للأمراض العصبية مرض الشقيقة بأنه اضطراب يحدث في بعض العائلات ، ويتميز بنوبات متكررة من الصداع الذي يتغير كثيرا في شدته وتكرار حدوثه ومدة بقائه .

تصيب النوبات غالبا نصف الرأس ، وغالبا ما تكون مصحوبة بفقد الشهية للطعام والغثيان والقيء ، وفي بعض الحالات قد تسبقها أو تصحبها بعض الاضطرابات السلوكية والعصبية ، لكن ليس من الضروري أن توجد كل هذه الخصائص في كل نوبة من نوبات الصداع النصفي .

ولذلك فإن بعض الباحثين يعرفون الشقيقة بأنها صداع متكرر ، مع وجود عرضين من الأعراض الخمسة التالية :

(١) صداع في نصف الرأس (٢) غثيان وقيء (٣) اضطرابات بصرية أو عصبية (٤) حدوث نوبات من الصداع النصفي بين بعض أفـ

الاسرة . (٥) الإصابة بالربو أو الأكزيما أو حمى القش أو دوار السفر ، أو القيء الدوري.وفي الغالب تبدأ الإصابة بالصداع النصفي في مرحلة الطفولة أو المراهقة ، ويظل الشخص معرضا لحدوث نوبات الصداع حتى يتخطى مرحلة أوسط العمر ، والإناث يتعرضن للإصابة بهذا المرض أكثر من الذكور

ومن العوامل التي تساعد على حدوث النوبة عوامل نفسية مثل التوتر والقلق والاكتئاب والانفعالات ، وعوامل هرمونية ، كما يحدث أثناء الحيض عند السيدات أو عند تناول حبوب منع الحمل ، أو عوامل غذائية عند تناول الجبن واللبن والفواكه الحمضية والشكولاته ، أو عوامل طبيعية مثل تغيرات الجو والضوضاء والأضواء الباهرة والإرهاق الشديد ، أو عوامل مختلفة مثل اضطرابات النوم ، وعدم انتظام مواعيد الطعام وتعاطي الخمر

وصف نوبة نموذجية

في اليوم السابق لحدوث نوبة الشقيقة قد يشعر المريض بنوع من توعك المزاج الذي ينذر المريض بتوقع حدوث النوبة ، وعندما تتكون النوبة من الصداع فقط يستيقظ المريض في الصباح وهو يشعر بصداع في ناحية واحدة من الرأس والوجه ، ويشتد الصداع في حدته ، ويزداد مع الحركة والضوء القوي والضوضاء ، وتقل حدته عند استلقاء المريض على ظهره ، ويتميز الصداع بأنه نابض مرهق ، وعندما يصل الى حدته القصوى قد يصيب الجزء الآخر من الرأس والوجه ، وفي أغلب الحالات يشعر المريض بالغثيان بعد إصابته بالصداع وإذا استطاع الشخص الخلود الى الراحة التامة فقد يزول الصداع بعد ساعة أو ساعتين ، وإلا فإنه يستمر غالبا طول اليوم

وفي الحالات النموذجية تظهر أعراض أخرى ، وتتابع على الوجه التالي يشعر المريض فجأة ببقعة باهرة من الضوء الساطع في جانب واحد من مجال النظر ، ثم تتضخم هذه البقعة وتتفتح على شكل مسرج منحنٍ ، وهذا الشكل يرتعش أمام عينه ، وأحيانا يكون مصحوبا بضيق في مجال النظر ، وبالإضافة الى هذه الظاهرة يشعر المريض بتنميل في يد واحدة ، يصعد الى الذراع ، وأحيانا يصيب التنميل الشفتين واللسان ، وفي بعض الحالات يحدث اضطراب مؤقت في الكلام وتستمر هذه المجموعة من الأعراض مدة تتراوح بين عشر دقائق وعشرين دقيقة ثم تتوقف ويشعر المريض في الحال بالصداع النصفي من النوع الذي سبق وصفه ، ويشعر بالغثيان ، وفي كثير من الأحيان يحدث القيء وقد يكون القيء إنذارا بانتهاء النوبة التي قد يتبعها إفراز كمية غزيرة من البول .

وتتكرر هذه النوبة في فترات مختلفة ، فقد تحدث مرة كل بضعة شهور ، وقد تحدث مرة أو مرتين في الأسبوع في الحالات الشديدة

لماذا تحدث نوبة الشقيقة ؟

منذ أن أعلن توماس ويليس **Thomas willis** في عام ١٦٦٤ أن سبب الشقيقة هو تمدد الشرايين في الدماغ أصبح من المعتقد أن أعراض نوبة الشقيقة تنتج من اضطراب في الأوعية الدموية في الدماغ ، وأن الانذار بالنوبة سببه انقباض الأوعية الدموية ، والصداع سببه اتساع الأوعية الدموية ، لكن هذه النظرية لا تفسر سبب الاضطراب الذي يحدث في الأوعية ، كما أنها لا تفسر سبب حدوث الصداع في نصف الرأس ، ولا سبب رد الفعل الذي يحدث في المخ نتيجة لعمليات فسيولوجية طبيعية مثل الحيض

وخلال السنوات العشرين الأخيرة ظهرت أبحاث كثيرة أغلبها متناقض تعلن عن حدوث تغيرات في عوامل كيميائية متعددة أثناء النوبة فمثلا هناك تغيرات في الأملاح غير العضوية ، والأحماض الدهنية ، وبعض العناصر التي تؤثر على الأوعية الدموية مثل النورادرينالين والسيروتونين والبراديكينين لكن التفاعل بين هذه العناصر ودور البروستاجلاندين غير مؤكد ولذلك فإن التوصل

نوبات الصداع لا تفرق بين كبير وصغير

الى معرفة السر الحقيقي لحدوث نوبة الشقيقة مازال يمثل تحديا كبيرا لعلماء فسيولوجيا الأعصاب والعقاقير العصبية

العلاج

الشقيقة لها مجال واسع ، فبعض المرضى يصابون بنوبات خفيفة ، ويستطيعون مزاولة أعمالهم ، في حين أن الآخرين يكونون عاجزين تماما عن ممارسة أي شيء ، ولذلك فإن العلاج يجب أن يتناسب مع كل مريض حسب حالته ، كما أن أي عامل من العوامل المهيئة لحدوث النوبة يجب التعرف عليه من المريض نفسه ، وتجنبه كلما أمكن ذلك أما من ناحية العلاج فيمكن تقسيمه الى جزأين الجزء الأول خاص بمعالجة النوبة عند حدوثها ، والجزء الثاني خاص بالوقاية

علاج النوبة

معظم المرضى الذين يصابون بنوبات خفيفة يستفيدون من تناول الأسبرين أو الباراسيتامول مع عقار مضاد للقيء إذا كان الغثيان يسبب مضايقة شديدة للمريض ، وفي النوبات الشديدة يلجأ الطبيب الى عقار إرجوتامين ERGOTAMINE الذي يتميز بفاعلية مزدوجة ، فهو يقبض الأوعية الدموية المتسعة ، ويوسع الأوعية الدموية المنقبضة ولما كان الغثيان والقيء من الأعراض الشائعة لنوبات الشقيقة-فإن على الطبيب أن يعطي أقل جرعة ممكنة ، ليحصل على أفضل نتيجة ، كما أن العقار يجب أن يتناوله المريض بمجرد إحساسه بحدوث النوبة

أما المرضى الذين لا يتحملون الإرجوتامين عن طريق الفم فيمكن إعطاؤهم هذا العقار عن طريق الحقن تحت الجلد أو في العضل وكثير من المرضى يفضلون تعاطي لبوس كافرجوت CAFERGOT عن طريق الشرج ويجب على الطبيب أن يخبر المريض بأن الكمية القصوى التي يمكن تعاطيها خلال الأسبوع لا تزيد عن ٢١ مليجراما من إرجوتامين وإلا تعرض لخطر الإدمان على هذا العقار الذي يؤدي بدوره الى حدوث الصداع الذي يدفع المريض الى تناول المزيد من الإرجوتامين الذي يؤدي الى

ـ الصداع وبذلك يدخل المريض في حلقة مفرغة ـ يصعب التخلص منها

ويجب ألا يعطى عقار الإرجوتامين في حالات الحمل أو للمرضى المصابين بتصلب الشرايين التاجية أو بأمراض الأوعية الدموية في الأطراف ، أو في حالات أمراض الكليتين والكبد

أما في حالات نوبات الشقيقة المستمرة دون انقطاع فإن المريض يصاب بالإنهاك والجفاف نتيجة للقيء المستمر . وفي هذه الحالة يجب إدخاله الى المستشفى وعلاجه بالمهدئات القوية والمحاليل لمقاومة الجفاف وفي بعض الأحيان النادرة قد يلجأ الطبيب الى استخدام مركبات الكورتيزون

اذا كان من الممكن توقع حدوث نوبة الشقيقة مثل الشقيقة التي تصاحب الحيض أو التي تتبع الإرهاق أو القلق فإن تعاطي قرص السيليرجان بمعدل قرص واحد مرتين أو ثلاث يوميا في خلال (٤٨) ساعة السابقة لحدوث النوبة يمكن أن يجهض النوبة من حين لآخر بعض المرضى الآخرين قد يستفيدون أكثر من تعاطي لبوس كافرجوت CAFERGOT عن طريق الشرج ثلاث مرات يوميا

وعند تكرار النوبات بشكل يعوق المريض عن العمل أو ممارسة نشاطاته الاجتماعية فيمكن استعمال أقراص ستيميتيل STEMETIL ثلاث مرات يوميا مصحوبة بأحد مضادات الهستامين مثل الفنرجان PHENERGAN بمقدار ٢٥ مليجراما في المساء وهذا العلاج يقلل من حدوث النوبات في الغالبية العظمى من المراهقين

أما لكبار السن فيمكن استعمال دايهيدرو إرجوتامين DIHYDRO ERGOTAMINE بمقدار مليجرام واحد مرتين في اليوم وبعض الأطباء يؤيدون استخدام عقار ساندوميجران SANDO-MIGRAN بمقدار ٠,٥ مليجرام ثلاث مرات يوميا ، ويمكن أن تزداد الجرعة عند اللزوم الى مليجرامين ثلاث مرات يوميا

كما أن استخدام عقار اندرال INDERAL بمعدل ٨٠ مليجراما مرتين يوميا قد يفيد في الحالات التي لا تستجيب للأدوية التي سبق ذكرها

ويستحسن استعمال العلاج الوقائي مدة ثلاثة شهور ، وبعد ذلك تخفض جرعاته بالتدريج حتى يتم وقف استعماله

والملاحظ أن الأشخاص الذين يعانون الشقيقة يصابون بالقلق بسبب هذه النوبات ، مما يؤدي الى حدوث النوبات ، وهكذا تتولد حلقة مفرغة ، فالنوبة تسبب القلق ، والقلق يؤدي الى مزيد من النوبات ، وهكذا دواليك . ولذلك يجب علاج القلق أو الاكتئاب المصاحب لنوبات الشقيقة ببعث الاطمئنان والتفاؤل لدى المريض مع استخدام العقاقير المناسبة إذا لزم الأمر

وفي الختام نقول إن العلاج الناجح للشقيقة يعتمد على التشخيص الصحيح ، وعلاج المرض والمريض معا ، وبذل الوقت في الحديث مع المريض وبعث اطمئنانه ورفع روحه المعنوية وبذلك تتوثق العلاقة بين المريض والطبيب . وتتأكد ثقة المريض بالطبيب ، مما يساعد كثيراً على التقدم نحو الشفاء أو على الأقل على تباعد حدوث النوبات والإقلال من شدتها □

الجمال الخالد

سئلت سيدة عجوز يفيض وجهها بشرا أي مواد التجميل تستعملين ؟ فقالت استخدم لشفتي الصدق ولصوتي الصلاة . ولعيني الرحمة والشفقة . ولـيدي الاحسان . ولقوامي الاستقامة . ولقلبي الحب

الاستشعار عن بعد ..

بقلم : الدكتور مأمون ملكاني*

الاستشعار عن بعد ، أو الكشف عن بعد ، أو الاكتشاف عن بعد ، كلها عبارات تطلق على العلم والتقنية التي تقوم بجمع وتفسير المعطيات والمعلومات المأخوذة عن بعد ، سواء من مسافة قصيرة حدا قد لاتتعدى السنتمترات ، أو من مسافات جد شاسعة تبلغ الاف الكيلو مترات - فما الجديد في هذا المجال ؟ ان هذا المجال يقوم على علم وفن الحصول على معلومات حول جسم ما أو منطقة أو ظاهرة معينة ، من خلال تحليل المعطيات التي نحصل عليها من جهاز معين ليس في احتكاك مباشر مع هذا الجسم أو هذه المنطقة أو الظاهرة التي نبحث فيها وندرسها .

إنها تقنية تشكل حاجة ملحة في وطننا العربي غايتها تطوير برامج التخطيط ، وعرضها توفير وتطبيق الكمية الضخمة من المعلومات المقاسة بالأطياف المتعددة والمتوفرة بوسائل وأجهزة الاستشعار عن بعد ، لتنفيذ المهام ذات العلاقة كما هو الحال في وضع الخرائط المختلفة ، وفي مجال استعمال الأراضي ، وزحف الصحراء ، وتنقلات البدو ، ومراقبة نوعية المياه ، والكشف والتنقيب عن المياه الجوفية ، ومراقبة نوعية الهواء ، واكتشاف المعادن والدراسات المائية والبحرية

فالهدف الأول للاستشعار عن بعد هو تمكين الهيئات المسئولة عن التخطيط في دولة ما في ادارة واستخدام مواردها الطبيعية بشكل فعال ، فهي وسيلة اسرع وأدق وأقل تكلفة من الأساليب التقليدية المعتمدة حاليا ، فالاستشعار عن بعد يمكننا من جمع وتحليل وتصنيف المعلومات ، وتقديم الخدمات لمستخدمي المعلومات بما في ذلك اعداد ملفات للصور الخاصة بالوطن العربي (كصور الاقمار الصناعية المختلفة والصور الجوية) وتقديم المساعدات الممكنة ، للاستخدام الأمثل للموارد الاقتصادية في وطننا العربي ، ولما فيه صالح هذا الوطن

يعتبر الوطن العربي من أقدم البلاد المأهولة في العا[لم] وهو يحتاج الى دعم في توسعه الاقتصادي الحالي كما الحال في البلاد النامية الاخرى ، حيث أن مو[ارد]ه الطبيعية الكثيرة في تعقيداتها بحاجة الى مر[اقب]ة وتطوير من خلال تطبيق وسيلة حديثة هي الاستشعار

* مهندس بوزارة الري - في القطر العربي السوري

ء بعد التي من خلالها ستتحقق أهداف متعددة ك مرفة وتحديد مساحة وحالة الاراضي الزراعية بما في ذلك الغابات المتوافرة ، والمراعي والموارد المائية ، وما يطرأ عليها من تدهور في النظم البيئية ، ومعرفة المناطق ذات الموارد المعدنية والبترولية والاقتصادية الاخرى

ماهية الاستشعار عن بعد :

يتمتع الانسان بخمس حواس تمكنه من معرفة العالم من حوله ، وهذه الأجزاء من جسم الانسان التي تسمح له بمعرفة الأحاسيس هي أحد أجهزة الاستشعار عن بعد الطبيعية

تتطلب بعض هذه الحواس اتصالا فيزيائيا مباشرا بالجسم المحسوس ، فمن أجل معرفة نعومة قماش مخملي مثلا يجب تلمسه مباشرة ، أما حاسة الرؤية فهي تمكن الانسان من ادراك الشكل واللون والقياس عن بعد دون لمس ، وبهذا فالانسان عندما ينظر الى جسم ما فانه يستشعره عن بعد ، حيث يكون مقدار المسافة غير مهم طالما انه لايوجد اتصال فيزيائي مباشر بين الجسم المدروس وبين العين

وبصورة عامة نجد أن عبارة الاستشعار عن بعد تشير الى أجهزة ميكانيكية او الكترونية وليس الى اعضاء الحواس الانسانية ، فيمكن أن تكون آلة التصوير العادية أكثر الأشكال المألوفة لأجهزة الاستشعار عن بعد ، إذ أنه مثل العين تماما تستخدم الضوء المنعكس من الجسم والمار خلال عدسات مختلفة الى سطح حساس للضوء لتشكيل الصورة وكما نستعمل آلة التصوير لتسجيل الأحداث التي نرغب بتذكرها فانه يمكننا استخدام آلة التصوير هذه للحصول على معلومات مناسبة لموضوع معين نهتم بدراسته ، هذه المعطيات سواء كانت حقائق أو أرقاما والتي نتجت عن استعمال آلة التصوير تجعلها من مصادر المعلومات الهامة جدا ، وبالرغم من أن معظم أجهزة الاستشعار عن بعد قادرة على اعطاء معطيات قيادية مستمرة بنفس وقت تشغيلها فإن اكثر اجهزة الاستشعار عن بعد تقوم بخزن المعطيات بشكل أو بآخر ، وكذلك فإن كمية المعطيات القابلة للاستخدام في الصورة الثابتة هي أكبر منها في اللقطات المتغيرة باستمرار والمرئية على جهاز عرض ما .

فأجهزة الاستشعار عن بعد اذاً هي الأجهزة الميكانيكية والالكترونية التي تجمع المعطيات بشكل قابل للتخزين عادة عن أجسام أو مشاهد معينة عن مسافة ما منها ، وبعض هذه الاجهزة كآلات التصوير تستعمل طاقة الضوء المرئي ، بينما يستعمل بعضها الاخر انماطا أخرى من الطاقة فهناك اجهزة استشعار عن بعد اقل شيوعا من آلات التصوير كأجهزة الرادار وأجهزة التصوير بالاشعة السينية ، فباستعمال الأشعة السينية مثلا يمكن ان تكون المسافة أكبر بقليل من سماكة طبقة من الجلد أو النسيج بدقتها ، أما الاختلاف الاكثر أهمية فهو طبيعة الأشعة المستعملة في كل نظام فبالنسبة للرادار وللاشعة السينية يكون اختلاف موجة الاشعاعات المستخدمة هو السبب الذى يعطي لكل من النظامين ميزاته لمهمات علمية معينة

بدأ العلماء باستعمال الرادار منذ عام ١٩٤٠ تقريبا بينما اكتشفت الاشعة السينية في أوائل هذا القرن أما مبادىء التصوير الضوئي فهي فعلا اقدم من الاثنين معا ، وبالتالي لايمكن أن نقول عن مفهوم الاستشعار عن بعد أنه حديث ، فالمفهوم ليس حديثا ، ولكن الشيء الحديث هو عبارة الاستشعار عن بعد ، فهناك أمران يبرران استعمال هذه العبارة الحديثة ، الأول منهما هو ابتكار اجهزة حديثة لجمع معلومات من مسافة ما والثاني ان تلك الاجهزة المعروفة لدينا سابقا قد أصبحت أكثر تعقيدا وبالتالي أكثر فائدة

اذاً فعبارة الاستشعار عن بعد تستعمل لتعني مجموعة المعطيات التي نحصل عليها من مسافة معينة ناتجة عن تفاعل طاقة الاشعاع الكهرطيسي مع المادة ، أو المظهر الذى ندرسه والمقاس باحدى وسائل وأجهزة الاستشعار عن بعد إن هذا التعريف وان كان شموليا يعتبر على درجة كبيرة من التعقيد احيانا ، فما تتضمنه دراسة المواد والثروات

الارضية التي ليست على بعد كبير من الاجهزة يجعل استعمال (عن بعد) موضعا للتساؤل أحيانا،كما يعتقد البعض أن الوسائط الاخرى المخالفة للطاقة الكهرطيسية الاشعاعية (كالصوت مثلا) يجب أن تكون مشمولة بهذا التعريف ، وتبقى الحقيقة على أي حال في أن العبارة المذكورة أعلاه قد شهدت استعمالات واسعة في دراسة الاستشعار عن بعد التي تبحث في المدى المطلق للمسافات ، وان بعض أشكال الطاقة الكهرطيسية الاشعاعية قد استعملت لجمع المعطيات واستنتاج المعلومات في كثير من الحالات المشابهة

بعض تطبيقات الاستشعار

يعتبر الاستشعار عن بعد احد فروع العلوم التطبيقية الحديثة ، وقد دخل هذا العلم الوطن العربي منذ مدة

وقد استعملت الطاقة الاشعاعية لجمع المعلومات في اكثر الحالات التطبيقية لهذا العلم،وبغض النظر عن الوقت القصير نسبيا الذي اصبح فيه الاستشعار عن بعد تقنية ابحاث فان محاولات استخدام هذه التقنية متعددة

أ ـ في مجال الأرصاد الجوية

إن استخدام الاستشعار عن بعد من قبل هيئات الأرصاد الجوية أصبح مألوفا ليعطي هذا الاستخدام مثالا نموذجيا عن الحالة العملية والتطبيقية الواسعة الاستعمال ، فقد أصبحت مراقبات حركة وتطور الرياح من خلال معطيات الأقمار الصناعية اجراء روتينيا عاديا منذ عدة سنوات ، وقد اثبتت المعلومات الناتجة هذه قيمتها بشكل خاص في تنبؤات الأعاصير القوية

لقد انطلق أول قمر صناعي مخصص للطقس عام ١٩٦٠ ويعطي هذا النوع من الاقمار مشاهدة مستمرة لنماذج السحب منذ ذلك الحين ، ونماذج السحب هي على اية حال جانب واحد من جوانب معلومات الطقس التي يمكن الحصول عليها بواسطة الأقمار الصناعية الخاصة بالأرصاد الجوية

ب ـ وفي مجال الزراعة

يجد المهندسون الزراعيون تطبيقات عد[illegible] للاستشعار عن بعد فالكشف المبكر لاصا[illegible] المزروعات ولغارات الحشرات على المناطق الزر[illegible] من خلال استعمال انظمة متعددة للاستش[illegible] سيخفض من الخسائر الناتجة عن ذلك بواسطة [illegible] الفرصة للعمل العلاجي كي يطبق بشكل [illegible] وبفعالية اكبر

والقاعدة المتبعة عادة لمنع اصابة النباتات أو لخفض تخريب المحاصيل التي تنتقيها الحشرات المؤذية هي رش المحاصيل دوريا عدة مرات خلال الموسم وبواسطة الاستشعار عن بعد يمكن أن يتم خفـ[illegible] الرش غير الضروري في المناطق ذات الزراعات الكثيفة وذلك بتعيين الحقول غير المصابة بواسطة تقنيات الاستشعار عن بعد القادرة على كشف وتمييز المناطق المصابة عن السليمة

ان اطلاق التوابع الصنعية الخاصة بدراسة مصادر الثروات الأرضية يبشر ببدء عهد جديد في كشف اصابات المحاصيل الزراعية وخاصة انها تقدم فرص متكررة للمراقبة الدورية من اجل تحديد مؤشرات اصابات النباتات ، ورغم ان بعض التفصيلات قد لاتكون ممكنة في لقطات وصور الاقمار الصناعية هذه بسبب المقياس الصغير ، فان التصوير الجوي من الطائرات على ارتفاعات مختلفة يمكن أن يستخدم ليعين بدقة البقاع المتعددة حالما يؤشر من الفضاء عن وجود هذه الاصابة . كذلك فان التنبؤ المسبق عن الغلال والمحاصيل من خلال مراقبة نشاط النبات هو هدف مأمول آخر من أهداف هذه الأقمار الصناعية والاقمار الاخرى الأكثر تطورا التي ستطلق قريبا

ج ـ في مجال المياه

لقد اظهرت اجهزة قياس الاشعاع الميكر[illegible] تجريبيا قدرتها على تحديد محتوى المياه في تجمـ[illegible] الثلوج وتراكماتها ويمكن أن تعطي مؤشرات [illegible] من المنطقة الاجمالية المسوحة،فبسبب كون [illegible] الثلجي ذا عمق غير منتظم فان اجهزة الاستشعـ[illegible] عن بعد يمكن أن تعطي تنبؤات تزويد مياه الفـ[illegible]

حـ ـ ب التصوير ت الجويه على الحيثات الموضعيه التي
يـ ـدها المساحون في نقاط متعددة من السطح
وهناك تطبيقات اخرى كثيرة في مجال المياه كتحديد
صفات مجرى النهر وعمق المياه وقياس مقدار تدفق
النهر . ودراسة البحيرات والجليديات ، ودراسة
المحصول المطري ورطوبة التربة وغير ذلك

د ـ حرائق الغابات

كذلك نجد ان لأجهزة المسح الطيفي الحراري
الواقع في مجال الاشعة تحت الحمراء الحرارية القدرة
على تعيين الحرائق الصغيرة ونقاط الاشتعال في
الغابات . وهي تستخدم بشكل فعلي تطبيقي لمكافحة
حرائق الغابات حيث ان قابلية اختراق الدخان
والضباب بواسطة هذه الاشعة تمكنها من التوصل
لتعيين النقاط الساخنة . وبالتالي التوصل لتصوير
محيط النار الفعلي

هـ ـ في مجال حفظ الطاقة

كذلك تجري استخدام تقنيات الاستشعار عن بعد
بدراسة كمية فقدان الطاقة وسلامة العزل الحراري
للابنية الموجودة اذ يمكن من خلال المعاينة حيث يمكن
متابعة الاختلافات الحرارية والفروق الموجوده في
درجات الحرارة الخاصه بسطح المنازل وجدرانها
وابوابها ونوافذها والعزل الحراري الموجود في
الأبنية المجاورة لأبنية المنازل كالاسواق العامة ودور
العمل وغير ذلك

أما افضل الاوقات التي يمكن فيها متابعة العزل
الحراري وحفظ الطاقة فهي من خلال ليالي الشتاء
الباردة وبعد مرور ست الى ثماني ساعات من غروب
الشمس ، وذلك للاقلال من التأثيرات الحرارية
للشمس على الأبنية والمناطق المراد دراستها ، كذلك
يمكن القيام بمسح حراري للمناطق التي يهم
دراستها خلال ايام الشتاء الغائمة والباردة ايضا .
ان أسقف الأبنية التي نمسحها حراريا بواسطة
اجهزة الأشعة الحرارية تحت الحمراء يجب ان لاتكون
مغطاة بالثلوج وأن لاتكون رطبة ايضا ، كذلك
فإنه يمكن متابعة العزل الحراري لجدران وابواب
ونوافذ الأبنية وأساساتها بنفس الطريقة .

و ـ حرق المصادر الطبيعية

يتوقع للاجراءات العامة حرق المصادر الطبيعية ان
تعدل بشكل كبير من خلال استعمال التقنيات
الأحدث للاستشعار عن بعد ، فما كان يعتبر مشكلة
في التصوير الجوي لرسم الخرائط كغطاء السحب في
حالة الطقس السيء قد تم احصاءه لأنظمة وأجهزة
استشعارية حديثة لاتتأثر بالسحب بتاتا . ففي
البرازيل مثلا كانت نتيجة عمل ست سنوات
متواصلة من جمع الصور الجوية لرسم الخرائط لمنطقة
شاسعة في البرازيل هي أنها انتجت تغطية مقبولة
لنصف المساحة المرغوبة والمطلوبة فقط ، بينما انتجت
التحليقات الحديثة التي استخدمت الرادار ذا الرؤية
الجانبية تغطية كامل المنطقة المطلوبة وبشكل بالغ
السرعة

مجالات اخرى

ان علم الهندسة والسيطرة على التلوث يمكن ان
يستفيد ايضا من تطبيقات الاستشعار عن بعد
فاستعمال اجهزة قياس الاشعة الحرارية تحت الحمراء
واجهزة قياس الاشعة المايكروية الدقيقة للحصول
على المقطع الحراري لمناطق المدن يعطي اساسا جيدا
لاجراءات التخطيط المثالي التي يمكن ان تتنبأ بالتدمير
الذي يمكن ان ينتج عن انشاء طريق حديث على
مناحي مناطق المدن المجاورة مثلا ، كما وجد تجريبيا
ان بعض اللقطات الخاصة بالصور الفضائية تصور
تباين نوعيات المناطق المجاورة ، وان التغطية المتتالية
والمتكررة لمناطق المدن بواسطة الصور الفضائية
تعطي مؤشرات عامة عن تأثير توسع المدن .

ح ـ في مجال التنقيب عن الآثار

يعتبر التنقيب عن المناطق الأثرية احد تطبيقات
الاستشعار عن بعد الهامة ، حيث يمكن استعمال
الصور الجوية للكشف عن المواقع الأثرية عن طريق
رؤية المظاهر السطحية وما تحت السطحية المهمة
كمواقع للتنقيب بالنسبة لعلماء الآثار وذلك من خلال
تفسير الصور الجوية هذه

اما المظاهر السطحية الأثرية الهامة فتشمل الآثار
المرئية والتلال والكتل الصخرية والآثار السطحية

الاخرى ، مثال ذلك الآثار التي كانت تشكل بنيات صخرية مثل منطقة ستون هينغ في انكلترا ، والقلاع الأثرية في أوروبا عموما ، ومساكن السكان الاصليين الواقعة جنوبي غرب الولايات المتحدة الامريكية وغير ذلك أما مثال التلال الأثرية المكتشفة بواسطة تقنيات الاستشعار عن بعد فهي التلال التي تشبه الطيور في شكلها والتلال التي تشبه الافاعي الواقعة وسط غربي الولايات المتحدة الامريكية كذلك اكتشفت كثير من الآثار السطحية بواسطة تقنيات الاستشعار عن بعد في الاتحاد السوفيتي ايضا وبنجاح

أما المظاهر الأثرية تحت السطحية فتشمل الآثار المطمورة كالأبنية القديمة والقنوات والخنادق القديمة والطرق الأثرية القديمة ايضا ، وعندما تكون هذه المظاهر مغطاة بالحقول الزراعية أو النباتات الطبيعية فانه يمكن أن تظهر بوضوح من خلال الصور الجوية عن طريق متابعة الشواذات اللونية الناتجة عن الاختلافات في رطوبة التربة ومدى نمو النباتات وقوتها، وفي بعض الاحيان نجد ان مثل هذه المظاهر تظهر بوضوح من خلال الاختلافات الموجودة بشكل مؤقت والسريعة الزوال ، وذلك بمتابعة الاشكال والانماط الهندسية التي تأخذها مظاهر الصقيع الحاصل بالمنطقة المدروسة

إن تسرب النفط يشكل مشكلة متزايدة الصعوبات للحل ، وعادة ماتكون اجراءات جمع المعلومات التقليدية فاشلة في تحديد مدى اتساع تسرب البقع الزيتية أو تتبع آثارها الا أن أنواعا عدة من تقنيات الاستشعار عن بعد قد برهنت قدرتها على اداء هذه المهام فاللون المضيء الفاتح للتسربات النفطية قابل للكشف بواسطة أجهزة الاستشعار عن بعد التي تستفيد من قياس الأشعة فوق البنفسجية في المنطقة المدروسة،وتستطيع اجهزة المسح التي تقيس الاشعة الحرارية تحت الحمراء ، وأجهزة قياس الاشعاع الميكروى الدقيق الكشف عن تسرب النفط والبقع الزيتية أيضا

كذلك يعتبر التلوث البحرى بالنفط حادثا ... من الحوادث العفوية وانما المتعمدة التي يقوم ... السواحل بمراقبتها ، لذا فإن بامكان حمر السوا... توظيف اجهزة قياس الاشعاع الموجودة على ... الطائرات او على متن الاقمار الصناعية لمراقبة مراعاة تطبيق قوانين التلوث المحلية ، فبعض اجهزة الاستشعار عن بعد فعالة ليلا بشكل خاص . وكذلك في الأوقات العائمة وأوقات الضباب ، وهي الأوقات المفضلة والمستعلة من قبل اصحاب السفن لتصريف نفاياتهم الى البحر

الأستشعار والتلوث

يتمتع علم الاستشعار عن بعد بقدرة فائقة على القيام بتحديد مصادر التلوث حيث يساعدنا في مراقبة الامتداد الموصعي المكاني لهذا التلوث ، وبخاصة عند حدوث تلوث طارىء معين بالاضافة الى القيام بدراسة تراكيز هذا التلوث ، وسرعة تدفقه وجريانه ، ومقدار تشتته ايضا فالصورة الفضائية تتمتع بفوائد ومحاسن الرؤية الشاملة المتكاملة التي تساعد في دراسة مشكلة التلوث عندما تكون مغطية لمنطقة كبيرة المساحة ، ولفحصها بدقة بعد ذلك ، فالرؤية الشاملة المتكاملة مفيدة وجيدة عندما تستخدم تقنية الحصول على الصور الفضائية المرئية لدراسة الأبعاد الموضعية المكانية لتراكيز المواد الملوثة المختلفة لمنطقة معينة،لذا تعتبر هذه الميزة هامة جداً في كثير من الأمثلة ، ومثال ذلك القيام بتحليل التلوث الحرارى الناتج عن مخلفات محطات الطاقة التي تقوم بطرح فضلاتها ومخلفاتها ذات درجة الحرارة المرتفعة في مياه الانهار حيث نجد أن الصور المأخوذة في مجال اطوال موجات الأشعة الحرارية تحت الحمراء المحررة بواسطة جهاز مسح طيفي معين موجود على متن طائرة معينة تقوم بتزويدنا بجواب على السؤال المطروح وهو . هل تصل مواد التلوث الى الضفة المقابلة للنهر أم لا ؟ وهل تشكل مواد التلوث هذه عائقا مانعا لمرور الأسماك في مثل هذه الأنهار في المصادر المائية الاخرى ؟ اضافة الى ذلك يمكننا رسم خريطة لتوزع درجة حرارة سطح ماء النهر ال...

من خلال هذه التقنيات الجيدة المفيدة
لذا يمكننا بواسطة تقنيات الاستشعار عن بعد أن نقوم بدراسة تلوث المياه والجو وسطح الأرض من خلال صور التوابع الصنعية ، وذلك باستخدام الصور الفضائية التي نحصل عليها بعد معالجتها بالحاسب الالكتروني حيث نجد أن الرؤية الشاملة المتكاملة هي حقا ذات فائدة عظمى نجني منها الكثير عند قيامنا بدراسات متابعة التلوث الحاصل في منطقة معينة من العالم

فهناك برامج علمية دقيقة لدراسة التلوث كميا ونوعيا نفذت سابقا وتنفذ حاليا من قبل دول عديدة مختلفة في العالم باستخدام معطيات الصور الفضائية ، وتحليلها وتفسيرها ، وقد أثبتت نجاحا كبيراً في هذا المضمار اضافة الى ذلك يمكننا استخدام نتائج المراقبة التي نحصل عليها من تفسير الصور الفضائية والصور الجوية باستخدام مجموعة صغيرة من الباحثين والعلماء للقيام بذلك

فتحليل الصور الفضائية قد أظهر امكانية جيدة لمراقبة ورسم خرائط تلوث المياه والهواء والتربة بناء على خبرات دول كثيرة طبقت هذه التقنيات بنجاح كبير ومازالت تطبقها حتى الآن في كثير من مشاكل التلوث ، ومثال ذلك دراسة اتساع حوادث تلوث معينة ذات امتداد مساحي واسع كمراقبة البقع النفطية والزيتية المختلفة التي تعتبر هامة لكثير من بلدان العالم بالاضافة الى دراسة تلوث مصادر المياه المختلفة وتلوث التربة المفيدة ، لذا نجد أن تقنيات الاستشعار عن بعد مفيدة حقا في القيام بقياس كميات مواد تلوث معينة عندما يكون تحديد هذا التلوث ممكنا ، ويزداد استخدام هذه التقنيات عموما عاما بعد عام في انحاء كثيرة من بلاد المعمورة في هذا المجال

تطبيقات خاصة

ان تطبيق الاستشعار عن بعد باستخدام الأجهزة التي تقيس الأشعة الحرارية تحت الحمراء قد أعطى بعض المفاجات في الطب البشري ، فنماذج درجة حرارة الجلد قد اظهرت بشكل غير متوقع نقاطا باردة او دافئة يعتقد انها مترافقة مع اسباب متعددة مثل الاورام تحت الجلدية او عدم الانتظام في جهاز الدم الدوراني للانسان ، وتوجيه هذا النوع من الاستشعار عن بعد يمكن أن يساعدنا في حالات التشخيص المرضي بشكل جيد

ان تقارير بعض التجارب والاختبارات التي اجريت على أجهزة مشابهة للرادار ودوات الموجات الطيفية الميكروية (طول الموجه من ٣٠٠ ـ ٣سم) تكاد أن تبلغ درجة الخيال العلمي ، فقدرة الاحتراق لطاقة الموجات الطويلة حدا تسمح بالرؤية من خلال الجدران الخرسانية والحواجز الاخرى وغير ذلك ، ولكن حتى الآن فان الرؤية المشوشة وغير المؤكدة تترك شكوكا عديدة حول ماتظهره الإشارات الملتقطة بشكل فعلي ، ولكن يبقي أن نذكر ان تلك الاجهزة التي وصلت الى مرحلة تجريبية واختبارية كي يقدم عنها التقارير قد اثارت تساؤلات مقلقة ومثيرة حول المعدات الموجودة والمستخدمة في هذا المجال ، ومدى خضوعها للتصنيفات السرية والأمنية

هذه بعض التطبيقات التي تتابع استعمالها في هذا المجال العلمي وهناك مجالات أخرى مازالت تحت الاختبار ، . لأن العلم والتجريب صنوان متلازمان □

ارفعوا الغلام

دخل المأمون يوما بيت الديوان فرأى غلاما جميلا على أذنه قلم ، فقال من أنت ؟
قال : أنا الناشيء في دولتك ، المتقلب في نعمتك ، والمؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ،
فقال المأمون : بالاحسان في البديهة تفاضلت العقول ، ارفعوا الغلام فوق مرتبته

الموت ظلمًا واغترابًا:

بقلم : يوسف القعيد

عندما كان الطهطاوي قبل قرن ونصف في باريس ينهل من معارفها .

لينقلها بعد ذلك ويزرعها في وطنه ، كان هناك مواطن آخر له قد وصل الى

بطرسبيرج عاصمة الامبراطورية الروسية حينذاك - والمعروفة اليوم باسم

لينينغراد - ليقوم بدور آخر شبيه ، يعلم ويتعلم . لكنه بدلا من أن يعود إلى

وطنه ليفيده مما تلقى . كان الموت قد عاجله ، بعد أن تخرجت على يديه

مجموعات من الباحثين والدارسين زرع في أذهانهم الحرف العربي

فمن هو هذا الشيخ المعمم الذي لحقه الظلم ؟

حتى أنا ظلمته دون أن أدري . وقفت في طابور من ظلموه ، وهو أطول طابور لظلم إنسان ، يمتد في الزمان من القرن الماضي ، ويصل حتى زماننا ، ويتربع في المكان من روسيا الى مصر المحروسة ، مرورا بالامبراطورية العثمانية

والحكاية أنني قضيت أسبوعا في مدينة لينينغراد بالاتحاد السوفيتي ، حيث العودة الى بحار الدهشة القديمة ومحاولة تذوق المرئيات

بعد العودة ، وجدت السؤال في انتظاري

- هل زرت قبر الشيخ الطنطاوي ؟ وقرأت فاتحة على روحه ؟

بدأت رحلة البحث عن هذا الأزهري المدفون في صقاع بلاد الشمال الباردة

من الصعب القول اننا قد نسيناه ، لأن أحوالا كثيرة جرحت الى الحياة ، لا تعرف من هو الشيخ الطنطاوي

الشيخ الطنطاوي

اسمه بالكامل محمد بن سعيد بن سليمان عـ المرحومي الطنطاوي الشافعي ، ولد في قر نجريد ، من قرى الغربية سنة١٢٢٥ من بعد هجـ الحبيب المصطفى و ١٨١٠ من بعد ميلاد الـ المسيح

كان والده من قرية « محلة مرحوم » ، وفي - الزمان البعيد كانت « محلة مرحوم » لها وزن أكـ طنطا التي أصبحت عاصمة الاقليم عندما بنى

الشيخ محمد عياد طنطاوي

ـث الكبير مسجدا للولي المعروف السيد أحمد البدوي . فتغير الحال ، أحيلت العاصمة الى المعاش ، وخرجت الى الوجود عاصمة أخرى ، والمدن كالناس ، تولد وتكبر ثم تأتي اليها الشيخوخة وأخيرا الموت كان والده يعمل في التجارة ، وكان له شقيق واحد هو مصطفى ، وقد عمل بالتجارة أيضا

جاء محمد عياد الطنطاوي الى عالمنا بعد حكاية نابليون بونابرت الذي حضر الى مصر ومعه المدفع والمطبعة . ثم عاد ومن بعده جنده ، معهم المدافع لكنهم تركوا المطبعة في بر مصر وانبثق التاريخ عن المغامر الجسور تاجر الدخان الألباني (محمد علي باشا) الذي قرر أن يستثمر طموحه الذي لا حدود له . وأحلامه التي لا تعرف المنتهى في تربة وادي النيل العظيم جاء ببذور أمانيه من أوروبا ، ولذلك كان من الطبيعي أن يرسل النوابغ والناجين الى أوروبا

من الأزهر إلى روسيا

كانت تلك هي الكلمة الأولى في مصير الطنطاوي . وإن كان قد رحل صوب الامبراطورية الروسية بدلا من فرنسا التحق الطنطاوي بالكتاب في سن السادسة ، وكانت شهرة طنطا في تحفيظ القرآن تماثل شهرة القاهرة في دراسة علوم الدين وقد قيل ما قرآن الا أحمدي ، وما علوم الا أزهرية

في سنة ١٢٣٨ هـ ، ١٨٢٣ م رحل محمد الى القاهرة ودخل الأزهر الشريف . وكان رفاقه في الدراسة هم رفاعة رافع الطهطاوي الذي أصبح صديقا له ، على الرغم من أن الطهطاوي كان يكبره بعشر سنوات ، وبعد ذلك أصبح الطهطاوي علم المرحلة ونجمها الكبير . في حين انزوى الطنطاوي في زوايا النسيان

حتى كتابه « تخليص الابريز في تلخيص باريز » فاق في شهرته كتاب طنطاوي « وصف روسيا » الذي ما يزال مخطوطا حتى الآن بل إن من كتبوا بعد ذلك عن الكتابين يقولون إن طنطاوي كتب وصف روسيا وهو تحت تأثير كتاب الطهطاوي

كان من رفاقه الشيخ محمد قطة العدوى محقق كتاب العروض ومحقق النسخة الأصلية والأساسية ، من كتاب ألف ليلة وليلة وهي النسخة التي عاشت عليها كل الاجيال حتى لحظة كتابة هذه السطور

وكان من أساتذة طنطاوي حسن العطار ، وابراهيم الباجوري . ومحمد الترميذي صاحب القاموس الشهير تاج العروس اتجه طنطاوي الى دراسة علوم اللغة في زمان كان كل أبنائه يتجهون الى الفقه أولا ، والفقه أخيرا ، وكأنه بذلك قد بدأ الخطوة الأولى في الساحة ضد تيار العصر . وربما كان عطاؤه أهم وأكثر تحضرا في ميدان علوم اللغة ، ولكن العصر كان عصر فقه أكثر منه دراسة في اللغة

توفي والد طنطاوي بعد وصوله الى القاهرة بخمس سنوات ، فكان عليه أن يدبر شئون حياته الى جانب الاستمرار في دراسته في سن العشرين قام بالتدريس في الأزهر رغم أنها سن مبكرة ، وكان يعطي دروسا في الشرح والتعليق على كتب الشعر والأدب وفي السابعة والعشرين من عمره . جاء الى مصر وباء ، وما أكثر الأوبئة في هذا الزمان ،

وكاد يفتك به ، لدرجة أن خبر وفاته عرف وأعلن في القاهرة ، ولكنه نجا من موت محقق .

قضى في الأزهر عشر سنوات مدرسا ، وانقطع عن التدريس في بعض الأحيان بسبب مرضه ، وسيصبح المرض بعد ذلك رفيق رحلته وأنيس غربته ، وسيقعده عن العمل في الوقت الذي يصل فيه الى ذروة المعرفة والانتشار . والمرض لم يكن مشكلته الوحيدة ، فمرتب الأزهر كان ضئيلا ، وكان لا بد من عمل آخر لكي يعيش ، وهكذا عمل طنطاوي في وظيفة ثانية

يبدو أن العمل الثاني الذي يمسك برقاب المثقفين عمره أطول مما نتصور ، وربما كان مؤامرة قديمة لأكل المواهب ، وتبديد الوقت وتعكير صفاء الذهن ، ونسف القدرة على الابداع

كانت مصر قد عرفت المطبعة والطباعة وهكذا وجد طنطاوي عمله الثاني وهو التحرير والتصحيح لما ينشر من علوم أوروبا لكنها القوانين الأقوى والأكثر خلودا في مصر التي اخترعت الأبدية قوانين الأزهر منعته من العمل الثاني فبحث عن عمل آخر لا يعترض عليه الأزهر ، وقد كان

تغيير مجرى الحياة

عمل في تدريس اللغة العربية وآدابها للفرنجة ، كان أول عالم لغوي ، في أول مدرسة في زمانه .

وكان هذا التدريس هو الذي غير مجرى حياته كلها كان من تلاميذه مستشرقون فرنسيون وألمان ، ومن بينهم - وهذا هو المهم - اثنان من روسيا التي لم يكن قد أطلق عليها الاتحاد السوفيتي بعد ، هما . موخين وفرين ، الأول هو نيقولا موخين الذي كان

مترجما في القنصلية العامة الروسية في مصر سنة ١٨٣٥ ، ثم نقل الى اسطنبول بعد عامين مترجما رابعا في السفارة الروسية هناك وقد كانت أهم سفارات روسيا في الشرق كله ، حيث الامبراطورية المترامية الأطراف التي لا تحدها حدود ، وتشاء أقدار الطنطاوي أن يكون نيقولا موخين هو مرافق رحلته الى بطرسبيرج بعد ذلك . أما الثاني فهو رودلف فرين . . . كانت تلك هي الخيوط التي نسجت مصـ الرجل ورسمت شكل حياته .

في سنة ١٨٤٠ وجهت الدعوة بإذن من قيصـ روسيا ، وموافقة محمد على باشا ، الى الشيـ الطنطاوي ليسافر الى روسيا ليقوم بتعليم اللغـ العربية وآدابها في القسم التعليمي التابع لوزارة الخارجية الروسية في بطرسبيرج ، وكانت هي عاصمة روسيا القيصرية وأصبح اسمها بعد ذلك لينينغراد ، وقد نقلت العاصمة فيما بعد الى موسكو . ذلك أن دوام الحال من المحال

وحسب تقاليد ذلك الزمان ، استعد الشيخ الطنطاوي للسفر الى روسيا ، بما يحتاج اليه سفره ، وكانت أهم بنود ذلك الاستعداد أنه اشترى جارية وأرسلها لكي تحصل العلوم في باريس ، كنوع من الاعداد لها للحياة الجديدة ، ثم تزوجها حتى لا يكون وحيدا في غربته ، وكانت هذه الزوجة تدعى « أم حسن »

غادر الطنطاوي القاهرة يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم سنة ١٢٥٦ الموافق السادس عشر من مارس سنة ١٨٤٠ ركب صندلا في النيل ، كان يسير ويتوقف حسب حالة الجو ، مر بشبرا التي كانت مشهورة ببساتينها ، ولم يمر على طنطا ، لأن « طريق بحر النيل » ، لم يكن يخصها ، كان بعيدا عنها ، ولكنه شم رائحتها عندما استنشق هواء الغربية ، لم يتوقف فعفريت السفر كان قد ركبه وانتهى الأمر ، ولم يعد قادرا على أن يحط على الأرض .

وصل الى الاسكندرية يوم الثاني والعشرين من مارس ، وكان لكل مدينة باب يقف دونها اذا جاء الليل ، يحميها من قطاع الطرق ورجال المنسر ، ولا يفتح الباب إلا صباحا ، ووصل طنطاوي الـ الاسكندرية بعد أن أقفلت أبوابها فاضطر الى المبـ خارجها .

في الاسكندرية ، قضى طنطاوي عدة أيام عـ قنصل روسيا العام ، ركب بعدها باخرة في الـ المالح لأول مرة في حياته ، ذلك البحر الذي

ذ طيء آخر !

وفي السادس والعشرين من مارس أصيب بدوار البحر ، كان السفر عن طريق جزيرة كريت ، حيث تزودت السفينة بالفحم الحجري اللازم للوقود . وصلت الى أزمير في الثالث من ابريل قطعت الباخرة بحر مرمرة ووصلت الى اسطنبول وأمضى الطنطاوي أياما في الحجر الصحي ، وقابل السفير الروسي الذي كلف الترجمان موخين تلميذ الشيخ سابقا ، بمرافقته في رحلته الى روسيا

غادرا اسطنبول في الثالث والعشرين من ابريل ركبا باخرة روسية وخلال أربع وخمسين ساعة فقط وصلا الى أودسا وأنفق الشيخ الطنطاوي هذه الساعات في دراسة اللغة الروسية كما كان الوصول الى أودسا في الخامس والعشرين من ابريل ، وقضى وقته الذي مكثه في الحجر الصحي في تعلم الروسية ايضا

شاهد في أودسا الاوبرا الايطالية ، حيث رأى رواية السلطان محمد في المرة الاولى ، وفي الثانية رواية العاشقين ، ولم يكن في المسرح من يلبس العمامة سواه ، عادرا أودسا يوم الاربعاء الثاني والعشرين من مايو ، اخترقا روسيا من جنوبها حتى شمالها بعربات البريد التي تجرها الخيول وتمشي ببطء شديد رأى الطنطاوي بلادا سهولها شاسعة وأنهرها عريضة ، وخضرتها كثيفة ، وتخلو تماما من غبار الشرق الأوسط وحرارته وقيظه

الوصول الى بطرسبيرج

في الخامس والعشرين من مايو وصل الى مدينة كييف ونزل في فندق لندن وتركها بعد يومين من الراحة ووصل الى قرية موهلوف في الثلاثين من مايو ، وأقام فيها ثلاثة وعشرين يوما لأن موخين رفيق الرحلة ومترجمها كان له أقارب في القرية وطالت زيارته لهم

فرك الطنطاوي عينيه من الدهشة وهو يرى المغناطيس لأول مرة في حياته وسلك أذنيه الرقيقتين على صوت العزف على البيانو في بيوت

قبر الشيخ طنطاوي في قرية مولكلون

الاهالي ، وحضر حفلات الرقص وزار الحمامات التي كانت تتفوق عليها حمامات القاهرة واسطنبول كثيرا

في يوم السبت الثاني والعشرين من يونيو غادر الطنطاوي موهلوف ، وشاهد حريق مدينة الاسكندرية ، وهي مدينة صغيرة بناها الاسكندر ذو القرنين ، ورأى (السكة الحديد) الحديدة في روسيا.

وفي يوم السبت التاسع والعشرين من يونيو سنة ١٨٤٠ وصل الى بطرسبرج بعد سفر دام ثلاثة أشهر ونصف شهر ، قضى منها شهرين في الحجر الصحي ، وقرية موهلوف وصل في زمن كانت الرومانسية الغربية قد خلقت حالة غريبة من الاهتمام بالشرق لذلك كان من الطبيعي أن يجذب الشيخ الازهري المعمم أنظار روسيا كلها

عاش الرجل في روسيا ، ولكن الحنين أكله الى مصر ، فعاد إليها سنة ١٨٤٤ ، ثم رجع الى روسيا حيث بقي فيها حتى توفاه الله وفي الثامن من اكتوبر سنة ١٨٤٧ ، وبعد سبع سنوات على حضوره الى روسيا عين استاذا في الجامعة ، وكان ميدان عمله قد اتسع فشمل الجامعة أيضا علاوة على وزارة الخارجية الروسية . وفي تدريسه كان يجمع بين الطريقة النظرية والطريقة العملية كان يدرس قواعد اللغة العربية ويشرح أمثال لقمان ويقرأ قطعا تاريخية من مقامات الحريري . وكان يدرس الترجمة من الروسية الى العربية والخطوط العربية وقراءة المخطوطات والمحادثة باللغة العربية ، وابتداء من سنة ١٨٥٥ ، بدأ يدرس تاريخ العرب

وفي الخامس عشر من أغسطس سنة ١٨٥٠

استحق الطنطاوي الشكر القيصري على جهوده في التدريس لطلاب بطرسبيرج ، وبعد عامين حاز على ميدالية من أحد ملوك أوروبا مكافأة له على قصيدة باللغة العربية ، ثم أهداه ولي عهد القيصر خاتما مرصعا بالجواهر شكرا على جهوده وفي هذه الأثناء كتب عنه الروس الكثير قالوا في كتاباتهم ، ان طيبة قلبه وطبعه تشبه صفات الأطفال وأن ذكاءه واستقامته يستدعيان الاحترام الشديد

كان الشيخ الازهري يجلس على أريكة في بيته يشرب الشاي ، وللشاي طقوس جميلة في حياة الروس ثم يتحدث عن مصر المحبوبة ، ورواتها ومغنياتها وراقصاتها ، وغيرها من المسرات التي كانت تملأ حياته بمصر ، وليس لها أي وجود في حياة روسيا قالوا عنه انسان تغلب على العصبية كتبوا مرح وعطوف ، اكدوا ليس لمثل طنطاوي اخر في هذا العالم كما

قصة النهاية

قام الطنطاوي بالتدريس خمس عشرة سنة منتظمة ، ووصلت شهرته أوجها وفي سنة ١٨٥٥ افتتحت كلية اللغات الشرقية ، وكان افتتاحها حدثا هاما بالنسبة له ولكن يبدو أن خطات تحقيق الأمل هي نفسها لحظات فقدانه ففي أيام المجد خانته صحته ، والعلة التي تصيب الجسد في الغربة تصبح مأساة ، وهكذا أصبحت حياته نوعا من الهم المتصل ، وفي هذا العام نشر آخر مقالة له بالفرنسية ، وقال اخر قصيدة شعرية في رثاء القيصر نيقولا الاول

والذي حدث أنه في سبتمبر من عام ١٨٥٥ اصيب بشلل في قدميه والاوراق التي تركها الرجل بخط يده عن هذه الفترة تكاد الدموع تنزف من الحروف المكتوبة بها

في ابريل ١٨٥٦ طلب من الأطباء أن يمدوا له اجازته المرضية ثمانية وعشرين يوما ليسافر الى بوهيميا ، وذلك للعلاج بمياهها المعدنية الساخنة ولا يدري الانسان ، لماذا لم يطلب العودة الى مصر ، ويدفن الجزء المتبقي منه في رماها [illegible]

في مدرس من العام التالي طلب السفر الى [illegible] للعلاج ، والخط المكتوب به الطلب ، وتوقيعه عليه ، يشي بمدى تدهور حالته الصحية السابع من فبراير سنة ١٨٦١ تقاعد عن العمل

ثم قدمت الجامعة طلبا لتقدير معاش تقاعد للطنطاوي بمناسبة مرور عشرين عاما على خدمته في روسيا وبسبب مرضه واستدعي من أجل توقيع الكشف الطبي عليه فأجاب أنه لايمكنه المجيء بسبب المرض ، ويبدو أن الكشف الطبي قد جرى في [illegible] واستعفى من الخدمة في ٣١ يناير سنة ١٨٦١ [illegible] التقاعد فقد تقرر في يوليو من السنة نفسها [illegible] ١٤٢٩ روبلا ، ولم يطل [illegible] انتفاعه به فقد توفي في التاسع والعشرين من اكتوبر سنة ١٨٦١ [illegible] يذكر في شهادة لامام مسجد بطرسبيرج انه مات [illegible] مرض « الاشد »

وهكذا مضى الرجل ولكن ماذا عن [illegible] كونها « [illegible] » [illegible] التاسع عشر [illegible] وبدت رحلة الطنطاوي [illegible] روحه [illegible] وفي ١٧ اكتوبر سنة ١٨٦٠ أن يقبلوا ابنه في داخلية [illegible] المدارس الوسطى على حساب الدولة الروسية [illegible] مرضه ووفاة زوجته

وبعد وفاة الطنطاوي توسل عميد [illegible] الداخلية لدى ذوي الأمر أن يبقى معاشه [illegible] وصار الوصي الرسمي على أحمد الاستاذ [illegible] الذي عرض سنة ١٨٧٠ على جامعة بطرسبيرج [illegible] احمد ، شراء مجموعة مخطوطات الطنطاوي [illegible] اشترتها المكتبة سنة ١٨٧١

وهكذا استوطن الشاب أحمد الطنطاوي روسيا وقد قدم في الثلاثين من سبتمبر سنة ١٨٧٢ [illegible] باعتباره تابعا عثمانيا الى ادارة الجامعة لكي [illegible] سجل خدمة أبيه ، ليقدمه الى الادارة الروحية المسيحية في بطرسبيرج لأداء القسم حتى يستطيع الحصول على التبعية الروسية وقد توفي أحمد [illegible] أواخر القرن التاسع عشر ، ودفن في جبانة [illegible]

منتدى العربي

قضية

في مفهوم الشعر
رؤية الشعراء الجاهليين

بقلم : الدكتور عبدالمجيد زراقط*

تتكرر على ألسنة بعض مؤرخي الأدب العربي مقولة مفادها أن القدماء كانوا يرون في الشعر كلاماً يقصد به الوزن والتقفية ، لكن العودة إلى تقصي رؤية القدماء في مصادرها تفيد أن هؤلاء المؤرخين لم يكلفوا أنفسهم عناء التعرف على هذه الرؤ ية ، وإنما كانوا يرددون كلاما أطلقه بعضهم ذات يوم ، دونما عناية ، ولأغراض قد لا تكون بريئة تماماً .

الواقع أن عودة حتى لو كانت سريعة إلى رؤية القدماء للشعر ، قد تكون ضرورية في هذه المرحلة من تاريخ الشعر العربي التي يعدها كثير من النقاد مرحلة تحول وتأسيس ، وهذا ما سوف نحاول أن نفعله

نظم أم حداء ؟

كان للشعر الجاهلي بعض نشاط الانسان الجاهلي في مواجهة الحياة ، فهو مرتبط بالدين والعمل والعلاقة بالآخر والمحيط ، ولعل ارتباطه بالدين والعمل هو الذي جعله نوعا من الغناء ، فهو إنشاد وحداء وليس نظما أو قولا ولعل كونه في الأساس نوعا من الغناء الفاعل على الصعيدين الديني والاجتماعي هو الذي أثر في تكون النظرة التالية التي تتناول عملية الإبداع الشعري ومفهوم الشعر والتحول التاريخي في مفهومه ودوره وضرورة إيصاله وإن يكن بعض الشعراء قد صرح على صعيد عملية الإبداع الشعري ، بصدور الشعر

* ناقد أدبي أكاديمي يعمل استاذا في الجامعة اللبنانية

دون الحياة والعلم بها ، كقول زهير

وما الحَربُ إلّا ما علمتم وذقتمُ
وما هُوَ عنها بالحديثِ المُرَجّمِ

فقد كان السائد لديهم أن الشعر يصدر عن وحي ، أو عن إلهام شياطين تسكن في وادي عبقر ، ومما قيل في هذا الصدد

وقافية عجت بليل رزية
تلقيتُ من جوِ السماءِ نزولَها
ولي صاحب من بني الشيصبان
فطورا أقول وطورا هُوَهْ

والكلام الذي يتناول هذه المسألة كثير ، ولا ضرورة لاعادته هنا ، ويكفي أن نشير إليه ، غير أن ما ينبغي أن نتوقف عنده هو نظرة كل من امرىء القيس وعنترة إلى الشعر وعملية إبداعه

يقول امرؤ القيس

تخبرني الجنُّ أشعارها
فما شئت من شعرهن اصطفيتُ

ونفهم من هذا القول أن امرأ القيس كان يرى في الشعر فنا يصطفي فيه الشاعر ويختار مما يجبر به الجن ، وقد نفهم بـ « الجن » نحن اليوم ، ما يؤتاه الشاعر بفعل تضافر مختلف عوامل التجربة الشعرية

يقول عنترة

عبيلة هذا درُّ نظمٍ نظمتُهُ
وأنتِ لَهُ سلكٌ وحسنٌ مبهجُ

ونفهم من هذا القول أن تجربة الشاعر الحياتية الشخصية التي كني عنها بـ « عبيلة » تشكل « سلك » هذا الشعر الناظم له والمشكّل لخصائصه

إنها رؤية متعددة الاتجاهات ، يلفت فيها شمولها وعمقها ونفاذها النظر إلى أمور جوهرية ، دون أن تتوقف لدى بعض المسائل الشكلية التي تعلق بها شعراء ونقاد في العصور التوالي

وعلى صعيد مفهوم الشعر تعدد جوانب الرؤية أيضا ، فكان الشاعر الجاهلي يرى في الشعر أغنية الساري وحداء الرواحل وترنيمة الركبان ، والأبيات الدالة على هذا كثيرة ، نثبت منها لحسان بن ثابت ومزرد بن ضرار والحطيئة على التوالي

تغن بالشعر إمّا كنتَ قائلهُ
إنّ الغناءَ لهذا الشعرِ مضمارُ
زعيمٌ لمن فارقته بأوابد
يغني بها الساري وتحدي الرواحل
فلم أشتم لكم حَسَباً ولكن
حدوت بحيث يستمع الحداء

ولعل هذا الفهم للشعر كان يجعل اهتمام الشاعر الجاهلي ينصب على النغم أساسا ، وعلى ما توفره القافية له من تكامل ، فالقافية ، وهي برأي الحطيئة « حوافر الشعر » أي موقع الايقاع ومحط الانطلاق من جديد حظيت من دواوين الشعراء الجاهليين ، على حد علمنا ، بسبعة أبيات ذكرت فيها الكلمة بمعنى محاري هو القصيدة ، الأمر الذي قد يعني إذا صحت نسبة الأبيات لأصحابها أن القافية كانت في عرف الجاهليين أهم عناصر الشعر على الإطلاق

وليس أدل على اهتمامهم بالنغم من قول مسكويه « ان لبعض الشعراء الجاهليين المتقدمين أوزانا لا تقبلها طباعنا ولا تحسن في أذواقنا وهي عندهم مقبولة موزونة » ويستشهد مسكويه كي يؤكد ما يذهب إليه بقول كل من المرقش الأصغر والشنفري

لابنة العجلان رسوم
لم يتعفين والعهد قديم
إن بالشعب الذي دون سلع
لقتيلا دمه ما يطلُّ

وعلق على البيت الثاني بقوله « فإن هذا الوزن ، إذا أنشد مفكك الأجزاء بالنغمة التي تخصه طاب في الذوق ، وإذا أنشد ، كما ينشد سائر الشعر لم يطب في كل ذوق » .

الشاعر والبكاءة

ولم يكن النغم العنصر الوحيد الذي يكون رؤية الشعراء الجاهليين لمفهوم الشعر ، ذلك أن عناصر أخرى كانت تكمل تكوين هذه الرؤية ، ويتضح لنا ذلك من استقراء بعض الأخبار الدالة

أنشدت الخنساء النابغة ثم أنشده حسان بن ثابت

فقال النابغة

« إنك لشاعر ، وإن أخت بني سليم لبكاءة »

والواضح أن النابغة يميز في هذا القول بين مستويين من القول هما

الشعر من نحو أول ، والتعبير عن العواطف من نحو ثان . فقول العاطفة البكاء ليس شعرا ، وإنما هو بكاء ، وصاحبه ليس شاعراً ، وإنما هو بكّاء

ويتيح تمييز النابغة لنا أن نفهم أنه كان ينظر إلى الشعر بوصفه فناً بالدرجة الأولى ، وهو العليم بسمات الشعر وخصائصه بوصفه أحد الذين دعوا إلى مصانعه وسمّوا « عبيد الشعر » ، والأمر الذي يؤكد لنا ذلك حكمه لقيس بن الخطيم بالشاعرية ، على أثر سماعه بيته التالي

« أتعرف رسما كاطّراد المذاهب » ففي هذا البيت صورة ، أو قول للتجربة يبتعد بها عن التعبير المباشر ويقترب من التصوير

وتتوالى الأخبار الأدبية التي تشير إلى أن النابغة كان ينطلق من مفهوم للشعر محدد وواضح . فقد حكم مرة حكما لم يرض به حسان فقال له النابغة

« أنت لا تحسن أن تقول

فإنك كالليل الذي هو مدركي

وإن خلت أنّ المُنتأى عنك واسعُ »

ولا يخفى أن النابغة ينظر إلى الصورة في هذا البيت ، الصورة التي تؤدي التجربة المعاشة بشكل فني رائع

ولم يكن النابغة فردا في فهمه الشعر على هذا النحو ، فالواقع أن هذا المفهوم للشعر كان عاما ومشتركا بين العديد من الشعراء وأظن أن لا ضير من إيراد بعض الأمثلة

جاء عبدالرحمن بن حسان إلى والده يقول

« لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة »

فقال حسان

« قال ابني الشعر ورب الكعبة »

لم يصرح حسان بمفهومه للشعر نصا ، ومثله فعل النابغة من قبل ، وجاء بعدهما من حد مفهوم الشعر الجيد ، وذلك هو الحطيئة ، عندما قال « خير الشعر الحوليّ المحكّك » ، وكعب بن زهير ال[...] رأى في الشعر ضربا من « الحياكة » يتم بتنخل [...] وتسوية للبناء في قوله المعروف « فمن للقوافي شـ[...] من يحوكها »

وفي تقصٍ لمفهوم الشعر عند الشعراء العـ[...] ولتطور هذا المفهوم ، يمكننا تلمس رؤيتين

ترى الأولى منهما في الشعر ، كما مر بنا ، اصطفاء لما تخبر به الحس وتجويدا له بصنيع من سموا « عبيد الشعر » ، وتطورت هذه الرؤية لتغدو سهرا [...] سبيل الخلق ، ثم صارت مبيتاً بأبواب القوافي [...] يذكر سويد بن الكراع واصفا تجربته في خلق الشعر وصناعته

[...]ـت بأبواب القوافي كأنما

أصادي بها سربا من الوحش نزعا

وكما يقول ذو الرمة واصفا تجربته الخاصة في الخلق قائلا انه كان يعاني وكأنه يتألف وحوشاً متمردة

وفي فترات لاحقة ، ولأسباب يوضحها تطور الشعر العربي ، صار الخلق نوعا من الصناعة ، وعبر عن هذا الاتجاه عدي بن الرقاع العاملي ، عندما يقول

وقصيدة قد بتّ أجمع بينها

حتى أقوّم ميلها وسنادها

وتقف الرؤية الثانية على الطرف المقابل للرؤية الأولى ، وتعود هذه الرؤية في جذورها . إلى القول بشياطين الشعر والإلهام ، وتمتد إلى القول بالصدور عما تبديه الأيام ، كما يقول طرفة بن العبد ، ثم إلى القول على لسان كثير عزة مخاطبا عدي بن الرقاع العاملي ، راداً على ما جاء به عن الجمع وتقويم الميل

« لو كنت فصيحا ، أو عالما ، لم تأت فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى أن تقوّمها لأن تكون مستقيمة تحتاج الى ثقاف أجود لها »

مصطلح القصيدة

لعل « كثير » هنا ينطق بلسان طائفة من الشعـ[...] العرب ، كانت ترى في الشعر ما يراه عبدالله

روايته فيه ، وذلك عندما قال « الشعر شيء يختلج في صدري فينطق به لساني »

في كل الحالات ، كان الشعراء الجاهليون يرون في الشعر عملا يتجاوز التعبير المباشر عن التجربة

ويتأكد لنا ذلك عندما نتوقف إزاء مصطلح القصيدة الذي عرف في فترة مبكرة وندقق في مفهومه . فهذا المصطلح يعني القصد إلى الاجادة كما ونوعاً ، وإقامة بناء ، والسعي المستمر في سبيل تحقيق مستوى أرقى من الجودة ومن هنا كان للشعراء العرب موقف إزاء بناء القصيدة

وتدل القصائد التي وصلت من العصر الجاهلي على تجارب عديدة أجريت وفق مفهوم واضح لبناء القصيدة الجيدة . وتطور هذا المفهوم بتطور التجارب الشعرية وتداولها

لقد نقلنا أخبار في هذا الصدد . غير أن ما وصلنا من أخبار يفيد أن الشعراء العرب أحسوا بضرورة أن يكون للقصيدة بناء فني . وهو ما سموه « القران » أو السياق ومما يروى في هذا المجال أن رؤبة قال لأحد الشعراء « قد قلت لو كان له قران » وقال عمرو بن لجأ « أنا أشعر منك لأني أقول البيت وأخاه ، ولأنك تقول البيت وابن عمه »

وقد نقول إن الشعراء العرب تنبهوا لمسألة ضرورة وجود نوع من الوحدة في القصيدة وليس ضروريا أن تكون هذه الوحدة وحدة الموضوع . وإنما هي « القران » أو المجرى العام . وربما التداعي . أو المناخ الوجداني العام

إن الإحساس بضرورة توافر بناء فني للقصيدة ووجود نوع من الوحدة فيها صار أكثر حدة في العصور التي تلت العصر الجاهلي ، والتي عرفت تحولا في طبيعة الشعر الجاهلي وما يهمنا على هذا الصعيد هنا أن الشعراء العرب تنبهوا لهذا التحول الشعري الذي حدث ابتداء من أواخر العصر الجاهلي

بغية إيضاح هذا التحول ، بشيء من الإيجاز نثبت هنا نصا لابن رشيق القيرواني يشير فيه إلى طبيعة هذا التحول يقول ابن رشيق « وكانت العرب لا تتكسب بالشعر حتى نشأ النابغة . فمدح الملوك . وقبل الصلة . وخضع للنعمان ، وكان قادرا على الامتناع فسقطت منزلته وتكسب زهير بالشعر يسيرا مع هرم . فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجرا يتجر به نحو البلدان »

والحق أن الحطيئة . الشاعر المخضرم . كان أول من أدرك طبيعة هذا التحول وخير من أشار إليه . وذلك حين تحدث عنه في إشارة ميزت بين الاتجاهين اتجاه الشعر الجاهلي والاتجاه الذي تلاه ، وحددت الفروق بينهما قارن الحطيئة في إشارته بين ابن أبي سلمى وبين النابغة . وعلق على الاتجاه الأخير بقوله

« ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا ـ يعني نفسه ـ والله لولا الطمع لكنت أشعر الماضين أما الباقون ، فلا شك أني أشعرهم » ويميز الحطيئة في قوله هذا بين ماضين وباقين . ويرى أن الطمع يمنعه من الوصول إلى مرتبة الماضين . كما يرى أن الضراعة أفسدت شعر النابغة . أما الباقون فهو أشعرهم . وهنا يأخذ قوله التالي « أشعر الناس هذا (مشيرا إلى لسانه) إذا طمع » معناه . إذ أنه يميز بين نوعين من الشعراء الماضون الذين تفسد الضراعة شعرهم . والباقون الذين يرفع الطمع (الرغبة والرهبة في حر آخر) شعرهم إلى مرتبة أعلى

يرصد الحطيئة هنا تطور الشعر . ويحدد اتجاهيه . ويشير إلى طبيعة التحول الذي استجد . والعوامل التي أدت إلى حدوث مثل هذا التحول . وأهمها التكسب الذي استشرى بعد استخدام الشعر وسيلة إعلام تلعب دورا كبيرا وتحدث تأثيرا فاعلا

ولا ندعي . فيما ذكرناه ، الإحاطة بكل ما حمله الشعراء الجاهليون بصدد الشعر وقضاياه . لكننا نستطيع القول ، تأسيسا على ما سبق ، أن رؤية هؤلاء الشعراء كانت رؤية شاملة عميقة تنفذ إلى الجوهر في الموضوع ، وتكاد توازي ما يتردد من رؤى حديثة □

براءات الاختراع وتنمية الابتكار

اطلعت على ماورد بافتتاحيتكم بمجلة العربي العدد ٣٥٠ الصادر في شهر يناير ١٩٨٨ عن الأخ الباحث العربي الذي توصل الى فتح تطبيقي جديد في مجال « المحركات الأساسية » ويرغب في أن يقدم اختراعه هذا إلى إحدى المؤسسات العلمية العربية للانتفاع به. وقد تفضل الأخ العماد مصطفى طلاس باستعداد مركز البحوث العلمية بدمشق لاستقبال الأخ الكريم من أجل تبني اختراعه وإخراجه إلى حيز التنفيذ

وأود أن أوضح لسيادتكم أن اكاديمية البحث العلمي والتقنية بجمهورية مصر العربية تضم بين أقسامها مكتب براءات الاختراع ، وجهاز تنمية الابتكار والاختراع ، وإن كان التنظيم الأول وهو مكتب بـ ـاءات الاختـراع يختص بتسجيل الاختراعات التي يتقدم بها إليه المخترعون المصريون والأجانب والأشخاص الطبيعيون منهم أو الاشخاص المعنويون ، كالشركات والجهات الحكومية، إلا أنه يهدف كذلك إلى تشجيع الباحثين بمراكز البحوث والتطوير، والمتخصصين في قطاعات الانتاج والخدمات على تسجيل نتائج بحوثهم القابلة للتطبيق وابتكاراتهم إبرازا وحماية لجهودهم ، وزيادة الاسهامات المصرية والعربية في نقل التقنية وتطويرها

أما عن جهاز تنمية الابتكار والاختراع فالهدف منه هو تنمية الابتكارات واستغلال نتائج البحوث القابلة للتطبيق في الانتاج التي يمكن أن تؤدي إلى منتج جديد ، أو تطوير أوتحسين خواص أحد المنتجات القائمة ، وكذلك العمل على الوصول بهذه الابتكارات إلى درجة الاستغلال التقني حتى تتحقق الاستفادة التامة من الأفكار البناءة

هذه نبذة موجزة رأيت أن أضعها تحت نظر سيادتكم للمهام التي يقوم بها الجهازان المذكوران خدمة للمبتكرين والمخترعين المصريين والعرب ، وإن قطاع تنمية التقنية بأكاديمية البحث العلمي والتقنية بجمهورية مصر العربية ليسعده من خلال مجلتكم الغراء أن يعلن للأخ العربي صاحب الاختراع وغيره استعداده لتقديم خدماته في هذا المجال ، من منطلق حماية المخترعين العرب ، ومعاونتهم في تسويق ابتكاراتهم ، مادامت قابلة للتطبيق الصناعي ، وتساعد في التقدم التقني

أ . د . محمود يوسف سعادة

نائب رئيس الاكاديمية
للتنمية « التكنولوجية » والخدمات العلمية

■ أن تعرف كيف تروق للناس يعني أن تعرف كيف تخدعهم . (إيتين راى)

صدر العدد الجديد
يونيو
١٩٨٨
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
في هذا العدد
كنوز توت عنخ آمون "استطلاع"
سحر الماضي في متحف خاص
مدينة الزهراء
«من التراث العربي»
همام ..
«مسلسل بالرسوم»
الشقيقان «قصة عالمية»
توتة وكيكو وزيكو
إضافة للأبواب الثابتة
اسلاميات
كمبيوتر
٨ صفحات
لأخيك الصغير واختك الصغيرة
دائرة معارف العربي الصغير
نتيجة مسابقة العدد ٩٧

قصة للكاتب البلغاري يوردان يوفكوف
ترجمة : سهيل أيوب

فتى غريب الطلعة ، لا هو فلاح ولا هو مديني ، رث الثياب ممزقها ، أخذ سمته إلى مقهى إينيو وجلس في الظل خارج المقهى ، حتى أن اينيو نفسه قد عجز عن التكهن بهويته

في حر الصيف الشديد لفّ الفتى جسده في معطف شتوي طويل يشبه غفّارة الكاهن ، ودسّ رأسه في قبعة مستديرة سوداء مسحوقة ، وانتعل « تسورفولي »(١) حشناً من الحلد وظلت نظرة إينيو تلاحق معطف دلك الغريب لعله في غابر الزمان كان أزرق اللون مصنوعاً من قماش أزرق ، ولم يبق منه الآن غير القليل ، فهو رث مسلول الخيوط ، مليء بالثقوب والرقع ، وبين الرقع العديدة المختلفة الألوان ثمة رقعتان أو ثلاث رقع كبيرة بصورة ملفتة للنظر ، يبدو أنها قصّت من قطعة من الحيش أو من نسيج خشن آخر يشبه قماش العباءة ، وحيطت عليه كيفما كان قطع قطنية باهتة بدررات كبيرة

اقترب الرجل خطوتين أو ثلاث خطوات وتوقف ، وأدرك أن اينيو لم يعرفه .

استرسل إينيو يلاحقه بعينيه ، فاتسعت ابتسا[مة] الفتى الغريب .

هتف اينيو أخيرا

- حسن ، حسن ! سيرافيم ، خطفك الشيطان هذا أنت إذن ، أليس كذلك ؟ ما كنت لأعرفك

- لا ريب في هذا يا « بيك » ، هذا أنا بلحم وشحمي ، ضخم كالحياة ، ومصاعف كالطبيعة ك[ما] يقولون

- خطر لي أنك قبس من روح شريرة ، أو ا[لـ] « الفزاعة » في حديقة حصار معلم المدرسة ، بودو قد خرجت في نزهة خطفك الشيطان أيها الـ[ـو]د الشيخ ! كنت أحدث نفسي عمن يمكن أن يكون [هـ]ذا الجرماني الرث الثياب !

ضحك سيرافيم في رقة وهدوء ، وترنّح رأسه جانب إلى جانب ، وبرقت عيناه الذديتان ببريق لمعانا تمهّل ، وأسند عصاه إلى الدكة ، و

(١) صندل من الجلد الخشن يلبسه الفلاحون البلغاريون

الكـ[illegible]ـس الصغير الذي يحمل عن كتفه .

[illegible]رة واحدة في السنة ، أو لعلها مرة واحدة كل سنتين أو ثلاث سنوات ، يزور هذه الأنحاء مع اقتراب عيد القديس « جوارجيوس » أو عيد القديس « ديميتر » ، حين يبدل عمال المزارع أسيادهم كان يعيش في المدينة ، لكنه [illegible] متجول مفتشا عن عمل في القرى ، لم يكن يستطيع [illegible] بأكثر من الأعمال الخفيفة والأعمال [illegible] يعنى بالحيوانات في الطاحون [illegible] في الفندق ، أو يصطحب بقرة أو بقرتين إلى [illegible]

سأل اينيو :

ـ أين كنت خلال هذا الصيف ؟ انقطعت عن العمل مبكراً ، مابك ؟ « اللقالق » لم تسلم أجنحتها للريح بعد ، أليس كذلك ؟

ـ كنت هذا الصيف في « بليستا » ، في فرن للقرميد ، مالكه يدعى باناوت ، كنت أعمل صفّاف أحجار قرميد .

وراح يتحدث في صوت منخفض كمن يخاف أن يصل صوته إلى الأسماع ، عيناه مقورتان منسمتان في شرود واضح . ثم ابتسم على حين غرة ، فلمعت أسنانه بين شفتيه الزرقاوين .

واسترسل يقول :

ـ انتشر الجفاف هذا الصيف ، فأنتج الرجال قرميداً رائعاً ، وكانت ثمة أشياء كثيرة بخصوص القرويين أيضاً ، هكذا تجري الأمور معنا نحن البلغاريين يا اينيو بيك ، نمتلك قليلاً من المال ، فنشرع نستدين ، وما أن يباشر الفلاحون دراسة الحنطة حتى يحسّنوا حرياتهم ، فيأخذون جميع ما نملك من قرميد ، إنهم يفعلون ذلك .

ـ يأخذونه كله ؟

ـ يأخذون أكثره ، كانت هنالك أفران ضخمة ، تعمل كلها . وهكذا خاطبني المعلم باناوت : « سيرافيم ، أيها الشاب العجوز ، لم يبق ثمة حاجة بنا إلى حارس بعد اليوم ، أنت حر في الذهاب . وسدد لي أجري ، وهأنا هنا من غير ملجأ أو معين كما يقولون .

كان سيرافيم يبتسم وهو يقول ذلك ، ثم خلع معطفه ، وانتصب هنالك ضئيل العود هشّ القوام ، ووضع معطفه على الدكة ، وتحسس على الفور داخل قميصه . كان من الواضح بالنسبة لإينيو أنه أخفى نقوده هناك .

أعلن اينيو في صرامة :

ـ حان الوقت كي تفكر في معطف جديد ! لا شك أنك جمعت مبلغاً هذا الصيف . ومن المؤكد أنك قا[در] على شراء معطف جديد .

ـ أنت على حق يا اينيو بيك ، على حق تماماً دون ريب سأشتري لنفسي معطفاً جديداً ، فهذ[ا] المعطف قد استهلك .

وتطلع الى المعطف وابتسم :

ـ إنه جيد ، جدير بالمتحف كما يقولون .

قال اينيو :

ـ اتخذ لنفسك مقعداً ، أرحْ جسدك .

وهبّ واقفاً ودلف إلى المقهى .

هذا المقهى فسيح الجنبات رطب الهواء ، بناؤه بسيط أشبه بمخزن محصولات دون سقف ، وفيما بين الروافد الخشبية المتقاربة يستطيع المرء أن يشاهد حفنات من القش مدسوسة في القرميد . وهناك عش أنثى سنونو ملتصق بالرافدة المركزية الضخمة .

قعد سيرافيم على الدكة عاري الرأس ، مجدول الشعر الأشيب ، وجعل يقطع بسكينه الصغيرة نتفاً صغيرة من قطعة خبز ، ويتذوق بلذة وسعادة كل كسرة جافة منها . وراحت أنثى السنونو التي بنت عشها داخل المقهى ، تخفق بجناحيها أمام وجهه متحدية مرفرفة . ومن بَعْدُ ، في منتهى الرشاقة ، تطير خارجة من جديد . وعصفوران دوريان أو ثلاثة تتواثب مقتربة منه ، فتتجمد أطرافه كيما تتمكن من التقاط بعض قطع صغيرة . وخشخشت هنالك تنورة نسائية ، ومرت به امرأة دلفت إلى المقهى ، فما رفع سيرافيم إليها بصره .

وبُعَيد برهة قصيرة علا صوت المرأة ، فأعار أذنه إلى ما شرعت تقول :

ـ لكل شيء ثمن ، أيها العراب اينيو ، لكل شي[ء] ثمن ! ماذا يمكن أن نشتري ببيضتين أو ثلاث بيضا[ت] نحصل عليها من الدجاجات في الصباح ؟ لا يمك[ن] أن نحصل على أكثر من قبضة من الملح وقطعة م[ن]

ال سابون للغسيل ، أما عيدان الكبريت وزيت البرافين فنسينا شكلها ، إننا بصحة جيدة وأحوال حسنة ، أيها العراب اينيو ، لكننا .

ـ كيف حال إيفان ؟ هل هو أحسن ؟

ـ لا ، لم يسعفه الحظ ، ما زال طريح الفراش ، أواه ، من أين أتاه ذلك المرض ، أيها العراب اينيو ، من أين ؟ مرّت عليه سبعة شهور ، منذ قام بآخر عمل له . ثمة شيء يضطرب في صدره ، ههنا تماما ، أترى ؟ هزل ونحل ، وأية نفخة يمكن أن تحمله يطير ، حاله سيئة أيها العراب إينيو ، شاحب اللون أسوده ، مثل الأرض . وقد نصحني الناس : « يجب أن تنقليه إلى المستشفى ، ضعيه في عربة وخذيه إلى المستشفى » .

قال اينيو :

ـ مستشفى ؟ هذا معناه المال !

تنهدت المرأة :

ـ نعم ، هذا صحيح ، معناه المال ، وفوق ذلك كله أيها العراب اينيو ، قبيل عدة أيام نفقت الجاموسة ، كانت في أحسن حالاتها حين أخذتها في الصباح ، ولم تكن تشكو شيئا ، وحين رجعت في العشية سقطت عند درج البيت ونفقت . هذا ما وقع لنا ، وبكينا كأن فردا من العائلة انطوى عمره فجأة .

قال اينيو :

ـ ثمة مرض منتشر بين الحيوانات ، وقد مات أحد عجولي أيضا .

ـ ولم نحصل منها على شيء من اللحم أو الجلد ، قال الطبيب البيطري حين جاء : « لا ينبغي أن تمسوا لحم هذه الجاموسة ، يحسن أن تدفنوها كلها » . آه ، يا إلهي ، ماذا سأفعل ؟ . .

ـ لست أملك شيئا من المال ، ليس لديّ ما أعطيه لك ! لا شيء !

ـ لا تقل مثل هذا القول أيها العراب اينيو ، ولا ترسلني خائبة ، يجب أن تساعدني ، أرجوك ، يجب أن تساعدني . من لديّ سواك أيها العراب اينيو ، من لديّ أستطيع أن ألجأ إليه وأنا المرأة المسكينة ؟ أرجوك ، أيها العراب اينيو ، أتوسل إليك بعد أن أتوسل إلى الله .

صاح اينيو :

ـ إليك عني ، أقول لك ليس لديّ شيء من المال !

صمتت المرأة وانخرطت تبكي . استطاع سيرافيم أن يسمع نشيجها ونواحها وكأن قلبها يتمزق . احتدم اينيو غيظا ، فاتجه إلى الباب ، وانطلق مبتعدا دون أن يثبت نظره على شيء . وضع سيرافيم في هدوء قطعة الخبز ناحية ونهض واقفا . خرجت المرأة من المقهى ومشت مبتعدة . ربطت منديلها بصورة أخفت وجهها ، لكن سيرافيم أيقن من مشيتها أنها في ريعان صباها .

خاطب اينيو في همس قائلا :

ـ هي تسعى وراء المال ، أليس كذلك ؟

ـ أجل ، المال ، من أين يفترض أن أحصل عليه ؟ لستُ مصرفاً ، كانت تريد أن تنقل زوجها الى المستشفى ، رائع ، أما إذا لم أكن أملك شيئا ؟

وتابع اينيو مغضبا :

ـ إن لم أكن أملك شيئا ، فماذا يفترض أن أعطي لها ؟

ـ هل هما فقيران ؟ خزانة خاوية وذئب عند الباب ، كما يقولون .

* * *

أبدا لم يكن سيرافيم يجهد نفسه ، بل هو يتأنى في كل شيء ، لكنه لم يحب الوقوف هنالك دون أن يأتي عملا .

خارج منزل اينيو ، وهو قريب ، كانت ثمة كومة من الحجارة لا يعرف أحد متى تكدست ، وبقيت

تلك الحجارة مثلما هي علبة . رتب سيرافيم تلك الكومة وجعلها أنيقة ، ثم ذهب ليستلقي ، ثم نثر الماء أمام المقهى ونظف المكان .

في تلك الليلة حلّ سيرافيم ضيفا على اينيو ، غير أنه رفض النوم داخل المقهى . عزم أن يستلقي في وسط الساحة الصغيرة أمام المقهى ، وصار يهيء لنفسه سريرا .

خاطبه اينيو قائلا :

ـ أنت تبعث على الضحك ! إن لم تكن راغبا في النوم داخل المقهى ، فلم لا تستلقي هنا تحت المطف ؟ أسند ظهرك إلى الجدار ، واستلق على الدكة إن طاب لك ذلك !

ـ لا ، شكرا ، أنا هنا في أحسن حال .

ـ ثمة تيار هوائي قليل هنا .

ـ لا تبال ، هبة من هواء هنا لا تسبب أذى ، وحين أموت لا تهمني هبات الهواء أو الريح .

أخذ ينظر إلى اينيو ، وعيناه النديتان تبتسمان . حس اينيو في نفسه ، وهو يشاهد سيرافيم يضع يده في مقدمة قميصه : « يخاف أن تسرق نقوده » .

أباح له أن يفعل ما يريد ، وأغلق المقهى ، واتجه إلى بيته

في الصباح التالي لم يأت مبكرا ، وصل في ساعة متأخرة كي يفتح مقهاه ، فشاهد سيرافيم جالسا على الدكة يتناول فطوره . ويقطع بسكينه الصغيرة شرائح الخبز ، مثلما كان يفعل في اليوم السابق وقف اينيو أمامه ، وأطال إليه النظر ، وما لبث أن استوضح .

ـ ماذا تنوي ؟

أجابه سيرافيم ساخرا

ـ ماذا أنوي أنا ؟ لا شيء . لم أمس أحدا ،

لقد ذهبت وأعطيت نقودا إلى تلك « البافلينا » ، هذه التي جاءت الى هنا ليلة البارحة تطلب المال . كنت قبل قليل في بيتها ، وأخبرتني [illegible] شيء .

ـ كيف تعطي نقودا الى شخص لا تعرفه ؟ [illegible] كانت تلعب بك ؟ ماذا لو أنها لم تسدد لك ما دفعت اليها من نقود ؟ !

ـ لست قلقا ، فسوف تسدد لي . لتنقلن زوجها الى المستشفى ، ولعل الأطباء يساعدونه ، ولسوف تسدد لي المال فعلا ، فقد عقدنا فيما بيننا اتفاقا ، ولست من أمري في عجلة .

عض اينيو على شفتيه وصمت ، ثم سأل

ـ والمعطف ؟ كيف ستشتري لك معطفا ؟

ـ لديّ معطف الآن ، أليس كذلك ؟ هذا هو . انظر اليه !

وتناول سيرافيم معطفه عن الدكة وفتحه

ـ هذا هو معطف حقيقي رائع ، ليس فيه ما يعيب ، أبدا .

كان يبتسم ، وطفق يهز رأسه في لطف من جانب إلى جانب كمن يعد الدرزات أو يتذكر حدثا من الأحداث . طوال العشر سنوات الماضية أو أكثر ظل يعدُ نفسه بمعطف جديد ، فهو في فتوته أنفق كل قرش كسبه على الشراب ، وانقطع الآن عن الشراب لأن صحته ساءت ، إلا أنه يبذر أمواله على الدوام مثلما فعل في ذلك الصباح مع بافلينا ، وهذا ما جعل تلك الدرزات الضخمة الشهباء من قماش [illegible] تبدأ في الظهور على معطفه

انبرى يقول ، وفي نبرة صوته غنة من سعادة غامرة

ـ بلى ، إنه معطف رائع ، معطفي هذا [illegible] من جديد ، وستراني أرتديه في الشتاء المقبل [illegible]

واسترسل سيرافيم يخاطب اينيو [illegible] إليه نظره ، وترك المعطف ينزلق على ركبتيه . [illegible] هب يمد بصره الى البعيد ويبتسم □

الجديد في

إعداد يوسف زعبلاوي

الاسبرين

هل هو أنفع العقاقير جميعا ؟

نشرت مجلة نيو انجلند الطبية ، وهي مجلة امريكية عرفت برصانتها ، في شهر فبراير الماضي (١٩٨٨) ، بحثا جديدا ، يؤكد فاعلية الاسبرين في الوقاية من النوبات القلبية وتحدد الجرعة الكفيلة بتلك الوقاية بقرص واحد (٣٢٥ ملغم) فقط ، كل يومين

ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا البحث من خطورة فالنوبات القلبية تعتبر العلة القاتلة رقم (١) في الولايات المتحدة ، فهي تصيب ما لا يقل عن ١,٥ مليون ونصف ، نسمة ، وتودي بحياة ثلثهم تقريبا عاما بعد عام ، فضمان الوقاية منها ضمان لانقاذ عشرات الآلاف من موت محقق ، فهو إذن جدير بكل تقدير ، حتى لو جاء بفعل عقار جديد باهظ الثمن فما بالك وقد جاء بفعل عقار قديم زهيد الثمن هو الاسبرين !

ويتساءل المرء بعد هذا فيما اذا كان الاسبرين هو أنفع العقاقير العجيبة الحديثة (Wonder dreps) جميعا ، فهو من اقدمها ، ان لم نقل اقدمها على الاطلاق ، فقد وصفه ابقراط لمرضاه قبل ٢٣٠٠ سنة ، حين نصح النساء الحوامل بمضغ لحاء شجر الصفصاف ، اذا جاءهن المخاض واستبد بهن الام الطلق ، فعصارة اللحاء المذكور تحتوي على حمض الساليسيليك وهو العنصر الفعال في الاسبرين ، وسر قدرته على تسكين الآلام . لا عجب إذن ان ظلت عصارة اللحاء المذكور هي العقار العشبي الشعبي الاول المستعمل في مشارق الارض ومغاربها على مر العصور

جاءت سنة ١٧٥٨ حين نجح ادوارد ستون في إعادة اكتشاف فاعلية عصارة لحاء الصفصاف ، لكنه عجز عن عزل العنصر الفعال في تلك العصارة ، فتمثل في الحصول على إقرار الجمعية الملكية البريطانية باكتشافه ، ولم يكد يمضي ربع قرن أو يزيد قليلا حتى نجح العالمان الايطاليان فونتانا وبروحنا تلي في عزل العنصر الفعال الساليسيا عن لحاء شجرة الصفصاف

وفي عام ١٨٩٧ نجح فليكس هوفمان أحد العلماء العاملين في شركة باير في تطوير الاسبرين ، ثم في تصنيعه سنة ١٨٩٩ ، بقصد معالجة أبيه من الام الروماتزم وهكذا شاع الاسبرين ، وأصبح الدواء الشعبي المسكن للآلام ، الخافض للحرارة ، والدواء الفعال في معالجة الأمراض الروماتزمية ، والناجع في الحد من الالتهابات ، وذلك قبل حلول القرن العشرين

بحث طبي جديد يؤكد أن تناول قرص واحد من « الاسبرين » كل يومين يكفي للوقاية من النوبات القلبية

لا عجب إذن إن انتشر الاسبرين وبالتالي رخص ثمنه . فزاد ا... ره وهكذا وقد بلغ ما يستهلك من الاسبرين سنويا (٤٥٠٠٠) مليون ... في الولايات المتحدة ، و (٧٠٠٠) مليون حبة في بريطانيا ، و (١٢٣٠٠٠) مليون حبة في العالم ككل

وقد احتسبوا الكميات المستهلكة من العقار في الولايات المتحدة على اساس يومي فوجدوها (٤) أطنان في اليوم الواحد !

وازداد الأسبرين انتشارا ولا ريب حين اكتشف العلماء قبل بضع سنوات فوائد جديدة للاسبرين نذكر منها تنشيط عضلة القلب ، وتوسعة الشرايين والمناعة ضد تخثر الدم ، وكانت الجرعة التي نصحوا بها قرصا أو قرصين في اليوم الواحد

على أن الأسبرين ليس سحرا ولا هو بالكعك أو الشيكولاته ، فقد اكتشفوا قبل سنة واحدة أو تزيد قليلا صلته الوثيقة بآفة راي (Reye) التي تصيب الأطفال ، حقا انها نادرة ، ولكنها خطيرة وقد تكون قاتلة ، هذا بالاضافة الى اثاره الجانبية التي عرفها الكثيرون منذ زمن غير قصير

انتشر الاسبرين في الولايات المتحدة الامريكية ودول اوروبا ، لفائدته في تنشيط عضلة القلب ، وبلغ استهلاكه في العالم معدل ١٢٣ بليون حبة في السنة الواحدة .

فقد يتسبب الاسبرين بنزيف داخلي وقد يصيب المرء بالغثيان (Nausea) ، وهو يؤدي الى تفاقم التقرحات المعوية اذا وجدت ، وقد يسببها اذا تناوله المرء ومعدته فارغة ، وقد يؤدي نزيفه الداخلي الى السكتة فالموت أضف الى ذلك ان بعض الناس يعانون من حساسية الاسبرين فهم معرضون للصدمة (الاليرجية) اذا هم تناولوه

فالاسبرين اذن ينطوي على مخاطر وأضرار بقدر ما يعود على المرء بالمنافع والفوائد ، من هنا كانت الحيطة ضرورية عند استعمال الاسبرين ، بحيث يمتنع عن استعماله الذين يعانون من حساسية الاسبرين ، أو من التقرحات المعوية ، ولا يتناوله المرء الا عقب وجبات الطعام مباشرة ومع وفرة من الماء فاذا ما روعيت هذه الشروط وأمثالها كان الاسبرين ، دون أدنى ريب ، من أنفع العقاقير الحديثة ان لم يكن أنفعها اطلاقا ، فضلا عن كونه أقدمها ، وأرخصها

الانترفرون والحوامل

من المعروف أن الانترفرون مادة بروتينية تساعد جهاز المناعة في الجسم على قتل فيروسات بعض الأورام السرطانية ، لكن للانترفرون هذا فائدة أخرى ذات أهمية كبيرة ، فقد ثبت للباحثين الأمريكيين العاملين في مختبرات جامعة كولومبيا في « مسوري » أن في استطاعة الأنترفرون الحيلولة دون إسقاط الأجنة اسقاطا تلقائيا ، وقد نجحت التجارب التي أجريت على الخراف والبقر والخنازير ولا سبيل الى الجزم - حاليا - بأنها قد تصيب مثل ذلك النجاح ، حينما تجرى على الحوامل من بني الانسان في مستقبل قريب

نتوقع ...ـاف شريعة ...ورابي ثانية ؟

يبدو أن آثار الماضي التي لم تكتشف بعد في منطقتنا ـ المنطقة العربية ـ أكثر بكثير من تلك التي تم العثور عليها ، ويصدق هذا خاصة على سوريا حيث نجحت الحفريات في أواخر السنة الماضية (١٩٨٧) في الكشف عن أرشيف حافل بالمعلومات التي تعود إلى سنة ١٧٤٠ ـ ١٧٢٥ قبل الميلاد وقوام هذا الأرشيف أختام ولوحات من طين يبلغ عددها ١١٠٠ لوحة مكتوبة بحروف إسمينية أو مسمارية ، وهو أرشيف ضخم ، كما يدرك طلاب علم الآثار ، ولعله أكبر من أي أرشيف آخر أمكن العثور عليه في المنطقة ، منذ أكثر من خمسين عاما ، أي منذ اكتشاف أرشيف مدينة ماري في شمال العراق سنة ١٩٣٣

وتجدر الاشارة إلى أن ٣٠٠ لوحة عن الأرشيف الجديد ، قد تمت ترجمتها حتى كتابة هذه السطور ، وهي تتحدث عن القلاقل التي أحدثها قطاع الطرق في الأرياف وهددوا بها المدن ، وعن الجهود القمعية الحاسمة التي قامت بها فرق من الجيش هي فرق الخيالة ، ومعنى هذا أن استقرار الأمن كان رائد السلطات تماما كما كان رائد حمورابي في شريعته الشهيرة التي عمد الى سنها ووضعها في تلك الحقبة من التاريخ القديم

وتجدر الاشارة إلى أن جماعة من علماء الآثار من جامعة ييل الأمريكية يشاركون في أعمال التنقيب التي كشفت عن الأرشيف الجديد أيضا ، وأن الدكتور هارفي ويس هو العالم الذي يتولى الاشراف على جهود أولئك العلماء

...ـاح ضد ...ـاب السحايا

تعاني بريطانيا حاليا من وباء التهاب السحايا ، لا عجب إذن أن نشطت الأوساط الطبية والعلمية في انكلترا من أجل تطوير اللقاح الكفيل بكبح البكتيريا التي تسبب ذلك الوباء الخطير

نذكر من تلك الأوساط علماء جامعة لستر وهم يركزون على تفهم الأساليب التي تعتمدها البكتيريا المذكورة بقصد توطيد أسباب العدوى واحباطها لمحاولات الجسم للتخلص من تلك الأسباب ، ونذكر علماء جامعة ساوثهامبتون أيضا وقد نجحوا بالفعل في تخليق الأنسجة البروتينية الواقية التي تلف البكتيريا السالفة الذكر (Menin gococcus) فتحجبها ولا تدع مجالا لمهاجمتها من قبل أجهزة المناعة في الجسم

يقول الدكتور جون هكلز : من شأن هذه البروتينات أن تمكّن البكتيريا من الالتصاق بالخلايا ثم مهاجمتها خلايا سطح الحرقوة (جوف البلعوم) أو البلعوم الأنفي (nasopharynx) .

وتجدر الاشارة الى أن الأطفال بخاصة يفتقرون إلى الأجسام المضادة لبكتيريا السحايا التي لا تلبث أن تنتشر حتى تصل إلى المخ فتسبب التهاب السحايا بالمعنى الدقيق .

ومما يذكر أن منظمة الصحة العالمية تسهم بدور فعال في جهود كلتا الفئتين من العلماء .

سلامة البشرية في سلامة البيئة
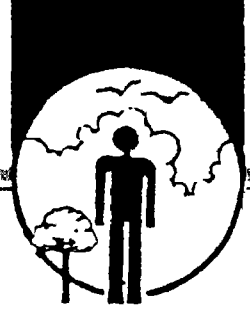
الهنود الحمر ورعاة البقر

هذه قصة غريبة من قصص البيئة ، وقد ألفت بين فئتين طالما استحكم الخلاف بينها في أمريكا وهما فئة الهنود الحمر وفئة رعاة البقر ، في ولاية داكوتا ووادي الحجيم بالتحديد فمنذ سنة ١٨٦٨ حين وقعت المعاهدة التي اعترفت للهنود بملكية التلال السوداء الغنية بالمعادن (التلال المذكورة جزء من وادي الجحيم الممتد حوالي ستة أميال) والخصومة إن لم نقل العداوة ، قائمة بين الفئتين ، حتى كان الربيع الماضي (١٩٨٧) حين أقدمت شركة (هوني ول) على شراء (٦٢٠٠) فدان من وادي الجحيم ، وكان القصد من شراء تلك المساحة اجراء التجارب الحية على الذخائر الذرية التي تصنعها الشركة ، وبخاصة قذيفتها المغموسة باليورانيوم والمعدة للفتك بالدبابات ، ومعنى هذا أن البيئة في منطقة الوادي باتت مهددة بالتلوث الذري فيما لو سمح للشركة العملاقة باجراء تجاربها المزمعة ، لا عجب إذن أن تناسى الخصمان أحقادهم التي طالما فرقت بينهم فتآلفت قلوبهم وتوحدت جهودهم بسبب البيئة ومن أجل حمايتها

وتجدر الاشارة إلى أن شركة(هوني ول)ليست شركة صغيرة أو نكرة وأن التجارب التي تنوي اجراءها في منطقة وادي الجحيم ذات مساس بأغراض الدفاع وبالأمن القومي ، ثم إن اليورانيوم الذي ستغمس فيه قذيفة الدبابات دو شعاع منخفض ومستنفد ، كما أكدت الشركة التي تحتل المنزلة رقم (٥٠٠) في تصنيف الشركات التي تعده مجلة فورتشن ، فالمخاطر التي تتهدد البيئة إذن ليست ذات بال حسب رأي الشركة

يرد رعاة البقر والهنود الحمر بأن التلوث الذري ليس الخطر الوحيد الذي يهدد البيئة ، فهناك الذعر الذي سيصيب الكائنات البرية فيعمل على تنفيرها من مواطنها
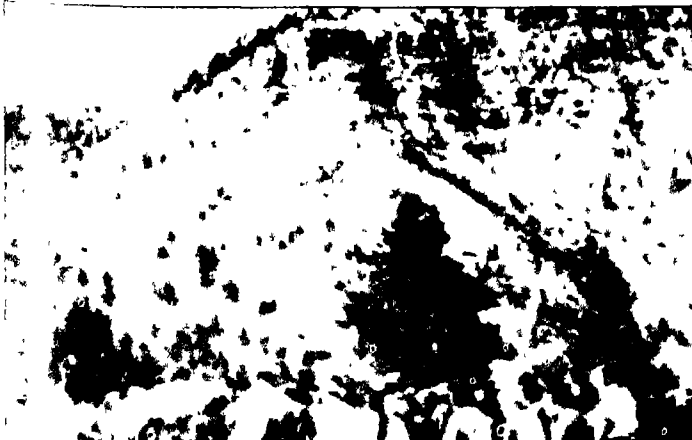
منذ مئات السنين دب الخلاف بين الهنود الحمر ورعـاة البقـر في وادي الجحيم بـولاية داكـوتـا بأمريكا ، لكنهم تناسـوا هـذا الخـلاف الآن لمنع تعـريض المنطقـة لتلوث ذري .

وتخليها عنها ، وذلك تبعا لما سيرافق التجارب المزمعة من أزيز وضجيج

ويشيرون إلى اعتبارات وبواعث أخرى غير بيئية ، فمن شأن التجارب أن تؤدي إلى انخفاض في قيمة الأرض لامحالة ، وإلى النيل من القداسة التي تتميز بها المنطقة حسب معتقدات الهنود الحمر عامة وقبائل السيوكس خاصة

ولاتنفي الشركة اقتران التجارب بالأزيز والضجيج ، لكنها تنفي بشدة أن يكون لهذا الأزيز أي أثر على كائنات المنطقة ، ذلك أن جدران الوادي الشاهقة (٤٠٠ قدم) كفيلة بامتصاص الضجيج ودفنه في موقعه ، أما القداسة المزعومة فمبالغ فيها حسبما تؤكد اللجنة التي ألفتها الشركة للتحقيق في أمر هذه القداسة وفي مداها

ويبدو أن الفئتين المتحالفتين توشكان على الظفر ، فسلامة البيئة تحتل المكانة العليا بين شتى المصالح ، حتى في أمريكا

■■■

الإدمان على الخمور في أمريكا . هل يبدأ بتقلص ؟

● تشهد الولايات المتحدة حاليا حملة ضد الإدمان على الخمور ، على غرار الحملة التي شهدتها ضد التدخين في غضون العشرين أو الثلاثين سنة الماضية والظاهرة أن حملة مكافحة الخمور قد بدأت تعطي ثمرتها الطيبة ، على الرغم من قصر المدة التي انقضت على مباشرتها

على أن النجاح الذي أصابته هذه الحملة لم يشمل الشباب والفتيان بل لعله اقتصر على كبار السن من المدمنين ، ويعزى ذلك إلى الدعاية الفاتنة ، التي لم تقدم السلطات بعد على حظرها والتي كانت ومازالت تؤثر أبلغ الأثر في صغار السن الذين لم يبلغوا العشرين من العمر

يقول لوران آرتشر « حسبنا أننا بدأنا نتحسس مواطن الضعف في أسلوب حياتنا ، فهذه هي الخطوة الأولى في وعينا الصحي ، وحرصنا على تحسين صحتنا وقائل هذه الكلمات يشغل منصب المدير بالوكالة للمعهد الوطني لمكافحة الإدمان على الخمور في الولايات المتحدة الأمريكية

كينيا

الخريطة ،
ت بالشوارع
سقة والخضرة
والمباني الحديثة ،
وانزوت كل لشكال
البدائية والمطرة إلى
القرى في أقاصي
البلدان ، بعيدا عن
المدن والعواصم »
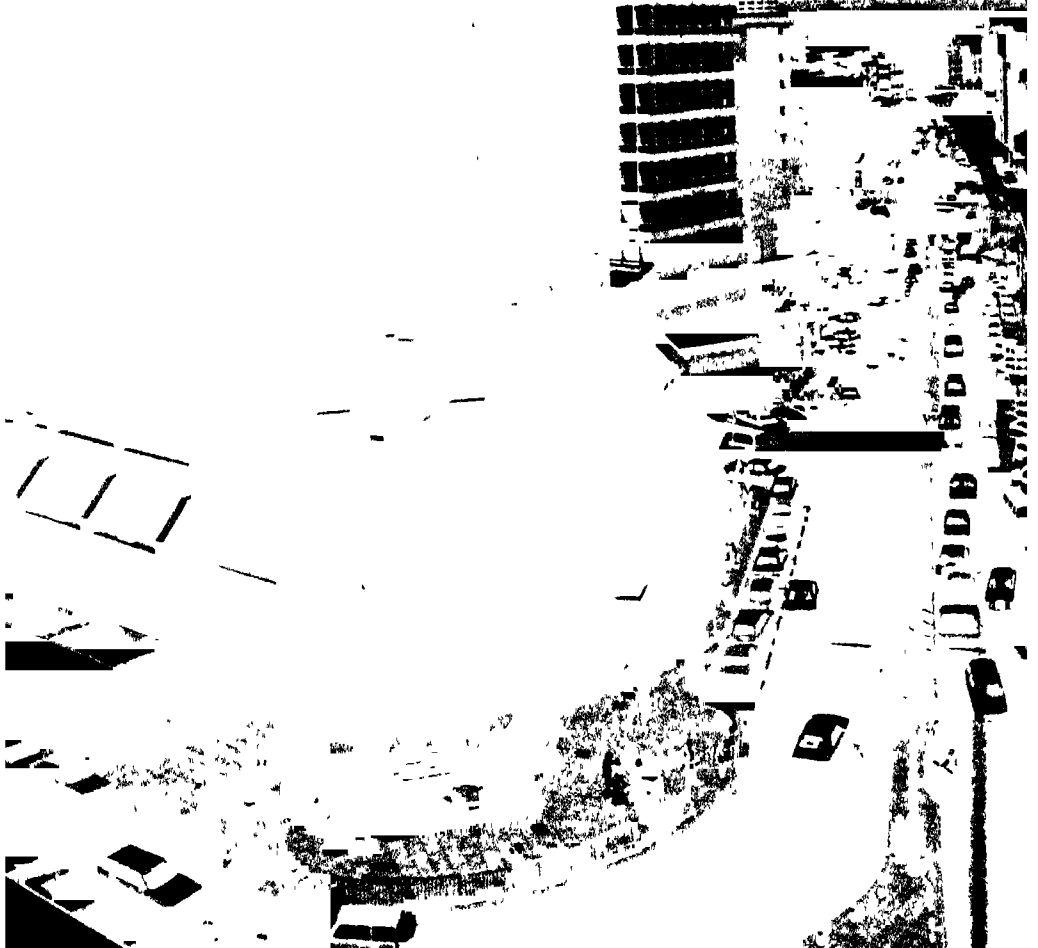
« عندما نذكر أفريقيا تتداعى إلى أذهاننا صور الجوع والجفاف ، وقوافل الأطفال الذين يحتضرون جوعا ، ونتذكر تاريخا من الاستغلال والاستعمار ، وتلمع أحلام الثراء والانقلابات .

لكن هل يخطر بذهن أحد أن أفريقيا مكان رائع للسياحة والاستجمام ؟ وهل يصدق أحد أن أفواج السياح لا تنقطع طوال العام ؟

هذا ما انطلقنا نستكشفه في أرجاء كينيا ، البلد الذي يتمتع بأجمل طبيعة في بلاد الدنيا ، بلاد السهول والجبال والغابات المفتوحة »

دق جرس التنبيه ، وانطلق صوت قائد الطائرة يقول سيداتي ، سادتي ، بعد قليل سنهبط في مطار جوموكينياتا الدولي ، حيث التوقيت المحلي هو السابعة وعشرون دقيقة صباحا ، ودرجة الحرارة ست وعشرون درجة مئوية

ومن نافذة الطائرة أحاطتنا سماء صافية بلا غيوم ، وكلما اقتربنا من الأرض تبدو ساحات خضراء ممتدة ، تشقها ثعابين الأسفلت السوداء ، والشمس ما زالت رقيقة ، وثلث السماء الأول فقط هو الذي يستضيء بها وعند خروجنا من باب الطائرة أنعشنا الهواء الرطب النقي ، والوجوه السمراء تبتسم وتلقي بتحية أفريقية « جامبو » ، وحفظنا أول كلمة من اللغة السواحيلية .

في قاعة المطار إجراءات شديدة البساطة ، مكتب صغير للاطلاع على البطاقة الصحية للتأكد من التطعيم ضد الكوليرا والحمى الصفراء ، وبجواره منضدة عليها عديد من استمارات الحصول على تأشيرة دخول ، وفور ملء الاستمارة تتوجه إلى صندوق تسليم رسوم الدخول التي تتفاوت من جنسية إلى أخرى ، وفق مبدأ المعاملة بالمثل ، ثم تتجه إلى مكتب الهجرة والجوازات الذي يضع خاتم الدخول على جوازات السفر ، وتعبر البوابة لتتلقاك فتاة أفريقية ، بالزي الوطني ، وتهمس برقة مرحبة بك في كينيا

ولا تشترط كينيا الحصول على تأشيرة دخول مسبقة لجميع الجنسيات ، باستثناء مواطني عدد محدود جدا من الدول

في الجمرك يسأل مفتشو الجمارك عن شيئين الأدوات الكهربائية أو « الالكترونية » والعملة الأجنبية ، ويوضح لك ببساطة قواعد دخول وخروج النقد الأجنبي ، فمن حق أي زائر أن يدخل معه أي كمية من العملات الأجنبية ، شرط أن يثبتها في استمارة خاصة بذلك ، ويحتفظ بإيصالات التحويل الرسمية ، وعند الخروج يستطيع بكل سهولة أن يعيد تحويل العملة الوطنية إلى عملات أجنبية ويخرج بسلام

طوال الطريق إلى الفندق كانت الخضرة البكر ، والأشجار والمساحات البسيطة تمنحان العين تحية رقيقة ، وتقدمان بطاقة تعارف طيبة وداخل المدينة تظهر آثار الانسان في تهذيب الخضرة ، فتحولت إلى حدائق تملأ الشوارع والميادين والمباني حديثة عالية ، مزدانة شرفاتها بالمزروعات المنزلية ، والطرق على الرغم من ازدحامها بلا ضوضاء

وعند باب الفندق سمعنا « جامبو » مرة ثانية ، وسألت قائلها ، حامل الحقائب ، فقال لي إنها تعني مرحبا وفور وقوفي أمام قسم الحجز بالفندق بادرت الموظف قائلا « جامبو » ، فاتسعت إبتسامته مقرونة بتحية صباح أفريقي

حيرة مبتديء

أجهدت ذهني كثيرا وأنا أحاول أن أتذكر كل الأفلام السينمائية التي رأيت فيها السائحين ، وكل الروايات ، وكل مشاهداتي الشخصية ، لكي أحاول أن أكتسب بعض سلوك السائحين ، ماذا يفعلون ؟ وكيف يتصرفون ؟

قبل السفر بأيام قليلة كانت المفاجأة في اجتماع مجلس التحرير ، فبعد أن عرضت كل ما يمكن نفعله في كينيا قال رئيس التحرير ولماذا لا تقدم وجها آخر لبلدان العالم الثالث ، وخاصة أن السياحة واحدة من أهم مصادر الدخل القومي في كثير

البلدان ، وهي مدخل للتاريخ ، ووصف حقيقي للجغرافية والمجتمع ؟ وقد استقر رأي المجلس أن أسافر ، وأنظر لكينيا كسائح ، وأكتشفها من الداخل كصحفي ، ووقعت في المطب ، وعانيت من الحيرة

أمام موظف الاستقبال كانت أول مظاهر الحيرة ، فاجأني الموظف بأنه لا بد لنا من الانتظار ساعة ونصفا على الأقل ، لكي نتسلم غرفتنا ، ولأنني لم أكن أول من يقول له هذا الرد ـ فقد كان حولي عدد كبير من السائحين القادمين من ألمانيا العربية ـ فقد انطلقت أحداث الموظف عن احترام الوقت ، وتعب الآخرين ، وخاصة أننا قد أخبرنا الحجز منذ أكثر من شهر ، وحددنا فيه موعد وصولنا بدقة ، وهزّ لي الموظف رأسه ، وانصرف لغيري وبينما كنت أغلي غيظا كان السائحون الآخرون يجلسون فوق المقاعد ، ويتحولون في بهو الفندق ، بعضهم يحتسي القهوة ، وآخرون يجلسون فوق حقائبهم ، والبهو شديد الازدحام ، فقد تصادف وصول فوجين متتالين خلال نصف ساعة فقط ، وعلى الرغم من ذلك فالكل يبتسم ويضحك ، ويطلقون النكات ـ الباردة ـ على الموقف كله ، ويقهقهون ، وأنا وزميلي المصور فقط نتميز غيظا وانتابتني الحيرة وهمست لزميلي إننا نبدو حادين أكثر من اللازم ، وما هكذا يكون السائحون

رب ضارة نافعة

استسلمنا لقدرنا ، وابتربعنا على مقعدين في ركن البهو الكبير ، وبدأنا نتناقش أنا وزميلي حول خطة عمل ، واتفقنا أنه بعد أن نتسلم الغرفة سوف نتصل فورا بمكتب الصحافة الأجنبية في وزارة الاعلام ، نخطرهم بوصولنا ، ونحدد معهم موعدا في نفس اليوم ، فنحن في آخر يوم عمل في الأسبوع ، والغد هو السبت ، تبدأ به عطلة نهاية الأسبوع بجوارنا جلس زوجان أميركيان ، رجل وزوجته ، تجاوزا الستين من عمرهما ، قال الرجل إنهم في الغرب قد ملوا من هذه الأماكن المحفوظة التي يستطيع الانسان أن يراها في مدينته أو مدينة أخرى قريبة ، لكن الجديد المثير يكمن في العالم الذي لا يعرفونه ، ولأنه قرأ كثيرا عن جمال كينيا ، وسمع عنها من أصدقائه

● خريطة كينيا تبين موقعها مع جيرانها

الذين زاروها ، فقد قرر هذا العام أن يحضر هو وزوجته بدلا من ذهابهما إلى مدينة أوروبية أو أمريكية ، ثم ـ وهو الأهم كما قال محدثي ـ ان اوروبا وأمريكا الآن شديدتا البرد ، وهنا طقس نادر ، تستطيع أن تسير « بفانلة » وبنطلون قصير طوال النهار بلا إحساس بالبرد أو الحر ، وانضم إلينا عدد من أعضاء الفوج السياحي ، رجل كندي ، وآخر بريطاني ، وثالث ألماني ، وعندما قلنا لهم إننا نخطط لأن نطير في اليوم التالي إلى ممباسا ، علق أحدهم بالتأكيد ستذهبان ما دمتما عربيين ، فتساءلت زوجة الامريكي ، لكن ما صلة العرب بكينيا ؟ وأخرج الالماني من حقيبة يده كتابا ، وقال لها في كل كتب تاريخ كينيا هناك فصل كامل عن الوجود العربي القديم ، وبخاصة في مدن الساحل الشرقي الذي كان منطقة نفوذ بحري أيام الازدهار العربي ، عندما كانت الأساطيل العربية تحتكر الطريق البحري إلى الهند والشرق ، وفاسكو دي جاما عندما ضل الطريق ألقت به مراكبه إلى مدينة ماليندي التي تبعد عن ممباسا مائتي كيلومتر فقط ، واستعان من هناك ببعض البحارة العرب الذين أرشدوه إلى الطريق الصحيح ، وعندما عاد كتب مرافقوه في الرحلة عن « المدن الزاهرة » والتجارة الغنية التي كانت قائمة في

● كل شيء من أجل
السياحة ، ويتمس أهل
كينيا في تقديم الخدمات
للسياح ، على شاطيء
المحيط سائحان يركبان
الجمل ، محلات ملابس
« السافاري » والتحف
الأفريقية تملأ الشوارع ،
وداخل الغابة المفتوحة
ترى الزرافات من
نافذة السيارة ، وأحد
المقاهي في العاصمة التي
تمتلىء بالمقاهي
والحانات

مدن الساحل الشرقي لأفريقيا . ونظر إلينا الألماني وغمز بعينه ، وقال هؤلاء الأحفاد جاءوا يفتشون عن أجدادهم . وبسذاجة سيدة عجوز تساءلت الأمريكية هل صحيح أنكم تفتشون عن أجدادكم ؟ وبعد أن هدأ صوت الضحكات قلنا لها نحن جئنا كي نرى كينيا اليوم ، فهذا تاريخ انقضى ، لكن الذي يعنينا هو كينيا اليوم ، هذه الدولة التي تقع على الساحل الشرقي لأفريقيا ، والتي منحتها الطبيعة جمالا نادرا ، وأغدقت في عطائها ، فتربتها خصبة ، ومطرها لا ينقطع ، ولها ساحل على المحيط الهندي ، وغابات ممتدة ، وهي بوابة خروج لعدد من البلدان الأفريقية المجاورة لها التي لا تملك سواحل بحرية ، هذه هي كينيا التي تعنينا اليوم

التي نعرف

تقع كينيا في شرق أفريقيا ، يحدها شمالا السودان وأثيوبيا ، ومن الجنوب والجنوب الغربي تنزانيا ، ومن الشرق الصومال والمحيط الهندي ، ومن الغرب أوغندا ، وتبلغ مساحتها ٥٨٢ ألف كم مربع تقريبا ، وعدد سكانها زهاء ٢١ مليون نسمة ، منهم قرابة ربع مليون غير أفريقي وكما تقول أبحاث علماء الآثار والانثربولوجيا فقد وجدت آثار إنسانية في كينيا ، تعود إلى حوالي ٢٠ مليون سنة ، في المناطق الواقعة حول بحيرة فيكتوريا ، وقد بدأ التجمع البشري فيها منذ زمن طويل ، وهاجر إليها عدد من القبائل الأفريقية لخصوبة تربتها ، وإطلالها على المحيط ، وقد ساعد هذا على امتزاج المجتمع المحلي بالثقافات الأخرى ، وبخاصة مع القدوم العربي لأفريقيا ، فكانت كينيا هي أول دولة أو (تجمع سكاني) في شرق أفريقيا يعرف الابداع التقني المتمثل في أدوات الزراعة الحديدية ، وما صاحب ذلك من استقرار ، وترسيخ لفكرة المجتمع ، وعندما رسخ المجتمع بدأت التفاعلات الاجتماعية بين القبائل المختلفة تتصاعد ، لكنها تتجه في طريق صياغة المعايير الاجتماعية ، من شكل السلطة والقوة ومفهومها وإقرار العادات والتقاليد ، لكن الظروف الخارجية أجهضت هذه المحاولات بتعسف وقوة ، فأفرزت مجتمعا يشير اليوم الاشفاق من كثرة متناقضاته

إكرام الميت دفنه

قلنا إن التنظيم الاجتماعي في كينيا كان يشهد تطورا طبيا ، من خلال « ديناميكية » اجتماعية ، نتجت عن التنافس والنزاع الطويل بين القبائل المختلفة صحيح أن السلطة كانت تتوارثها العائلات الكبرى ، إلا أن المجتمع البشري كان في طريقه إلى حل تناقضاته على الأقل من حيث العادات والتقاليد ، وذلك من خلال تطور التبادل ونموه ، والاحتكاك الانساني ، لكن هذا التطور الاجتماعي الصحي لم يقدر له أن يستمر . فقد كسر الاستعمار هذا التطور بشكل فظ عنيف

ويحكون في كينيا عن هذه القصة البالغة الطرافة ـ من وجهة نظرنا نحن ـ وهي قصية أوقعت البلاد في أزمة كبرى ما زالت القبيلة ، والقبلية هي صاحبة الولاء الأكبر ، وتقسيم السلطة واختيار الوزراء يتم وفق معايير قبلية ، والقانون المكتوب يقول إنه في حالة تعارض نص قانوني مع قانون قبلي ، فإن القانون القبلي له حق النفاذ ، ما لم يكن الضرر الناجم عنه يمس الكيان الاجتماعي ، ويترك للقاضي تقدير هذا الضرر

وحول هذا المبدأ القانوني دارت وقائع أعرب قضية شهدتها ساحة محكمة

القضية بدأت عندما توفي أحد الأزواج الذي ينتمي إلى قبيلة « اللو » التي تستقر في غرب كينيا ، وزوجته التي تنتمي إلى قبيلة « الكيكويو » المستقرة في العاصمة ووسط كينيا ، وهي القبيلة المسيطرة على مناصب الجيش ومقاليد الثروة والمال ، وإليها ينتمي جوموكينياتا، الرئيس السابق لكينيا

وتقضي تقاليد قبيلة الزوجة أن يدفن الزوج محل وفاته ، بينما تقول تقاليد قبيلة الزوج إن المتوفى يدفن مكان قبيلته ، وفي مقابرها واختلف أهل الزوج وأهل الزوجة ، وأصرت الزوجة أن يدفن الزوج في العاصمة ، ورفض أهل الزوج أن يدفن ابنهم مع موتى قبيلة أخرى ، وتصاعد الخلاف وفي إحدى الليالي اختطف أبناء قبيلة « اللو » جثمان ابنهم المتوفى ، وهربوا به إلى الغرب ، ولجأت الزوجة إلى القضاء ، واشتعل الرأي العام ، وأفردت الجرائد الصفحات الأولى لهذه القصة ، وانقسم الناس

حولها ، وبادر القاضي بإصدار أمر إحصار الخثمان والتحفظ عليه في ثلاجة مستشفى العاصمة ، حتى صدور الحكم في القضية

واستمرت القضية ستة أشهر ، وأحاط رجال الشرطة والمدرعات بمقر المحكمة عند كل جلسة ، وتنحى قاضيان عن رئاستها ، وشهدت الجلسات مشاحرات عديدة ، إلى أن تدخل رئيس الجمهورية ، بصورة غير مباشرة ، عندما كان يلقي خطابا عاما ، وتساءل ما هو مصير رجل إذا تزوج من قبيلة أخرى ؟ هل يذهب إلى القبيلة الأخرى ؟ أم تنضم زوجته إلى قبيلته ؟ وفهم الناس الاشارة ، وحصل القاضي على الضوء الأخضر ، وأصدر حكما بأن ينفذ القانون العرفي الخاص بقبيلة الزوج ، ويدفن الزوج في مقابر قبيلته ، وسافر الخثمان بعد ستة أشهر إلى الغرب ، حيث تستوطن قبيلة « اللو » ، وأشار الناس إلى أن تدخل الرئيس كان يحمل قدرا من المناورة السياسية ، فهو قد انتصر لقبيلة « اللو » التي تعتبر المنافس القوي لقبيلة « الكيكويو » كجزء من سياسته في القضاء على أنصار ومؤيدي الرئيس السابق جوموكينياتا (من قبيلة الكيكويو) ، لكن هذه قصة أخرى لم يأت أوانها بعد

أم كلثوم مطربة الحي

تسلمنا غرفتينا بالفندق ، وانطلقنا إلى مكتب الصحافة الأجنبية بوزارة الاعلام ، واستخرجنا بطاقتين صحفيتين لضمان عدم حدوث متاعب أثناء التصوير في الأماكن العامة ، وانطلقنا بعد ذلك نجوب أرجاء العاصمة

على باب الفندق يقف الباعة ، يحملون المنسوجات الأفريقية التقليدية المطرزة بألوانها الزاهية ، ولوحات مرسومة ، وأوشحة نسائية ، وأغطية للموائد ، وبعض التماثيل الصغيرة تصحبك على امتداد الشوارع كلها ، محلات بيع ملابس الرحلات التقليدية ، قمصان ، وبنطلونات قصيرة ، وطويلة ، وقبعات ، وأحذية ، وكلها باللون الكاكي لمسة « رومانتيكية » رقيقة ، تأخذ السائح إلى أجواء مكتشفي أفريقيا الأوائل سير ستانلي والبرت وغيرهم وبجوار محلات الملابس محلات بيع التحف الخشبية والعقود والخواتم ، وعديد من المشغولات الفضية والخشبية والعاجية ، وفي أحد الشوارع أحصينا ـ أنا وزميلي المصور ـ عدد المحلات ، وكان بالشارع ٥٨ محلا ، منها ١٤ محلا للملابس والحقائب والأحذية ، وسبعة محلات تحف ، وستة بارات ، وثلاثة مطاعم ، ومكتبتان ، والباقي موزع على مكاتب شركات الطيران ، وصيدلية ، إلخ

وعلى الرغم من هذا فالملاحظة التي لا تخطئها عين هي نظافة الشوارع والحدائق التي تحتفظ برونقها ، فلا أحد يخرب ، ولا أحد يقطف ، ولا يسير فوقها ، وكل الشوارع مشجرة على الجانبين وفي المنتصف ، ويبدو أن كمية الشجر الأخضر بالمدينة هي السبب الرئيسي في نقاء هوائها

عند السادسة مساء أغلقت المحلات أبوابها ، بعد أن ظلت تعمل ساعة بعد وقت العمل الحكومي ، واحتشد المواطنون على محطات الحافلات ، وبدأ السكون يخيم على المدينة ، وكأن أهلها سوف يهجرونها في الليل ، ليعودوا إليها في الصباح وعدنا للفندق في صباح اليوم التالي انطلقنا إلى ممباسا ، وفي طريقنا إلى المطار سألت أحد موظفي الاستقبال بالفندق عن أجرة سيارة الأجرة ، وأخذتنا السيارة إلى المطار ، وبعد أن وصلنا المطار فوجئت أن السائق يطلب نفس المبلغ الذي ذكره لي موظف الاستقبال بالفندق ، وعندما سألته لماذا لم يطلب أكثر ؟ قال لي إن الحكومة وضعت تسعيرة محددة لأجور الانتقال بسيارات الأجرة ، وكثيرا ما يفاجيء السائق والراكب لحظة دفع النقود رجل أو سيدة يتدخل بينهما ويسأل الراكب من أين استقل السيارة ، وكم دفع ، والويل للسائق إذا تقاضى شلنا واحدا زيادة عن الأجرة المحددة ، إذ ان إجازة قيادته تسحب منه

وصلنا ممباسا بعد (٤٠) دقيقة ، وفي المطار كانت المفاجأة الأولى ، فدرجة الحرارة حوالي ٣٧ درجة ، ونسبة الرطوبة عالية ، ونحن نرتدي ملابس شتوية ، وتصبب العرق وفي مكتب الاستعلامات الحكومي كانت المفاجأة الثانية ، فأغلب الفنادق كاملة العدد ، بسياح ومقيمين ، جاءوا يمضون عطلة نهاية الأسبوع على شاطيء الرمال البيضاء ، وبعد

● ما رال عط الحياة وملامح الوحوه في مماسا يشي بالتاريح العربي ، أما طرار العمارة في الشارع وطريقة ساء المارل معربية « الى اليمين » ، عادة الحلوس أمام المارل في الأحياء الشعبية « الصورة اليمى العليا » ، القلعة التاريخية التي ساها الرتغاليون عدما احتلوا مماسا ، وحددها العرب عدما استعادوا الميناء مرة ثانية (إلى اليسار مباشرة) ، وأخيرا وحه إمرأة ترتدي الحجاب العربي وملامحها عربية (الصورة اليسرى العليا)

مباني « نادي حل كيبيا » اناقة وجمال ورفاهية

ثلث ساعة ومكالمات هاتفية عديدة عثرنا على غرفة واحدة فقط في أحد الفنادق

المدينة تطل على المحيط الهندي ، وهي محادية للساحل ، وعدد من الشوارع المتوازية بالمنطقة اللصيقة بالشاطىء كلها فنادق ، أما الشارع الموازي للشاطىء ففيه المباني الحكومية، ومع انحناءة الساحل يأتي الميناء والحي القديم ، وتستمر المدينة بعد ذلك في شوارع متوازية ، ولذلك فهي مدينة كما ـ يقول أهلها ـ لا يضل أحد فيها الطريق

الملامح ليست أفريقية ، بل أقرب إلى الوجوه العربية السمراء ، والزي عماني ، ويمني ، وفي قلب الحي القديم ذي الشوارع الضيقة والمباني العربية الطراز انسابت إلى آداننا أغاني أم كلثوم ، ومحمد عبدالوهاب ، ووقفت مدهشا ، وسألت سائق سيارة الأجرة الذي يطوف بنا ، فابتسم ، وقال الناس كلها هنا تسمع أغاني أم كلثوم وعبدالوهاب أمام أحد البيوت تسمرت قدماي ، فالبيت له شرفة خشبية ، والشرفة بها مشربيات ، وعلى إحدى النوافذ صينية نحاسية ، بها ثلاثة أوعية فخارية لحفظ الماء وتبريده . نمط عربي بلا جدال

طرقت الباب بلا سابق معرفة ، فاستقبلنا صاحب البيت ، اسمه صالح خميس محمود محمد ، موظف بإدارة الميناء ، مسلم ، كيني الجنسية ، يقول إنه يعرف أن أجداده عرب ، لكن من أين أو من هم ، لا يعرف ، ويجهل العربية تماما ، ولذا فهو حريص على صلاة الجماعة ، حيث لا يقرأ المأموم القرآن يسمع أغنيات عربية نعم ، ولا يفهم كلماتها ، لكنها كما قال نصا ، تتوافق مع روحه ، ولا يعرف كيف ، ولماذا !!

الرمال البيضاء

الشاطىء في ممباسا فتنة ساحرة ، رمال بيضاء ناصعة ، وبحر أزرق ، وخضرة عشب ، وأشجار فارعة على حافة الماء ، لوحة رائعة ، فيها كل الألوان والمتناقضات ، ولذا فعدد السائحين كبير ، ويومهم يبدأ في السادسة صباحا مع أول ضوء للشمس ، يسبحون ، ويمارسون رياضة المشي والركض فوق العشب الأخضر وتحت الشمس الحارة ، ويأكلون على الشاطىء ، ومع المغيب ينامون ، أيام للاسترخاء والاستجمام والرياضة ، ولا شيء يفعلون غير ذلك

تحاول الفنادق أن تنشط الحركة في المساء قليلا ،

.. تقدم بعض الرقصات والأغنيات الأفريقية للنزلاء على سبيل الترويح البريء قبل النوم

والأغلبية الساحقة في ممباسا من المسلمين ، لكنهم وللأسف شديدو الفقر ، متوسطو التعليم . ولا يوجد مثلا في المدينة كلها طبيب واحد مسلم ، والمدرسون المسلمون الوطنيون لا يتجاوزون عشرة على أحسن تقدير ، فسوء أحوال المسلمين الاقتصادية تدفعهم إلى دفع أبنائهم إلى سوق العمل ، ليتحولوا إلى مصدر دخل بدلا من الاستهلاك

ويبدو أن أهل ممباسا قد ارتضوا هذا وقنعوا به ، وأدركوا أنهم يملكون شاطئا خلابا ، وأن الناس تأتي له من كل أرجاء الدنيا . فانطلقوا يقدمون الخدمات المتصلة بالسياحة . كل الخدمات بلا استثناء ، وغادرنا ممباسا عائدين إلى العاصمة ، وفي الذاكرة خيالات المدينة الأفريقية ذات الطابع العربي

بلا أقفاص

بجانب الطبيعة الرائعة تقدم كينيا لزوارها متعة زيارة حدائق الحيوان الطبيعية المفتوحة ، وقد اشتهرت كينيا بهذه الرحلات الطبيعية التي يطلقون عليها اسم « سفاري » ، وتنتشر على خريطة كينيا مواقع الغابات المفتوحة ، في أقصى الغرب ، وتحت سفح جبل كينيا وقرب جبل كليمنجارو ، بل حتى في العاصمة نفسها

خارج نيروبي تمتد الحديقة الوطنية على مساحة ٧٠ كيلومترا ، وهي حديقة مفتوحة من كل الجهات ، ماعدا جانبها الشرقي الذي يؤدي إلى طريق العاصمة ، والحديقة تمتلىء بالحيوانات الطليقة ، غزلان وزرافات ، وحمر وحشية ، وأسود ، ونمور ، وعلى مسافة ٧٠ كيلومترا يستطيع الزائر أن يتجول خلالها داخل السيارة ، بصحبة مرافق مسلح ، وكثيرا ما يقطع الطريق فوج من الحيوانات ، فتقف السيارات تماما ، وتلمع أضواء آلات التصوير ، وترتفع صيحات الاندهاش من رؤية الحيوانات طليقة حرة بلا أقفاص

وقد زار الحديقة خلال ستة أشهر (١٠٠) ألف زائر ، دفعوا حوالي ٢٠ ألف دولار رسوم زيارة الحديقة . ملحق بالحديقة مركز طبي لرعاية الحيوان ، حيث تسحب الحيوانات المريضة أو الصغيرة حديثة الولادة ، حتى تكتسب قدرة على الحياة الذاتية ، ثم تطلق في الحديقة مرة ثانية

وتعد الحديقة مزارا لكل زائري نيروبي ، سواء من السائحين الذين يمضون فترة طويلة ، أو العابرين الذين يقضون يوما أو يومين . وليس لديهم وقت متاح للسفر خارج العاصمة . وأشهر رحلات « السافاري » هي رحلة إلى « الماساي مارا » ، ورحلة إلى « نادي جبل كينيا »

تقع « الماساي مارا » غرب البلاد ، وهي منطقة قبائل « الماساي » ، والسفر إليها بالطائرة ، وهناك عدد من الطائرات الصغيرة التي تقوم بخمس رحلات يوميا إلى المناطق المختلفة في منطقة « الماساي » ، وتكلفة يوم وليلة حوالي مائتي دولار أمريكي . تذهب بك الطائرة ظهرا ، وتتركك هناك في معسكر « السافاري » حتى اليوم التالي بلا وسيلة اتصال مع العالم ، اللهم إلا جهاز لاسلكي في المعسكر محدود المدى ، يستقبل إشارات قائد الطائرة . والمبيت داخل خيام وسط الغابة ، والطعام في كوخ صغير ، وعدد من سيارات « الجيب » تطوف بك في المساء قبل الغروب ، وفي الصباح المبكر قبل الشروق ، حيث تبدأ وتنتهي الحركة اليومية للحيوانات المختلفة ، فكل الحيوانات بلا استثناء تتحرك أمامك ، وتراها رؤية العين على فطرتها دون تقليم لوحشيتها وبدائيتها

الرحلة الثانية إلى « نادي جبل كينيا » ، وهي رحلة السائحين الأثرياء ، والمكان تحت سفح جبل كينيا ، وقد كان في الأصل منزلها بناه أحد الأثرياء البريطانيين لزوجته ، ثم اشتراه منه الثري العربي عدنان خاشوقجي ، وحوله فندقا ، ثم اشترته مؤخرا شركة بريطانية . والمكان ساحر ، رائع ، وهو فوق قدرة أي إنسان على الوصف . أكواخ صغيرة متباعدة ، والمبنى الرئيسي به عدد من الغرف ، كل هذا على مساحة ٤٥ فدانا ، ويمتلىء المكان بأشكال من الطيور النادرة

ووسط حدائقه برك صناعية ، وحمامات سباحة ، وملاعب رياضية ، وساحة لركوب الخيل . والليلة الواحدة بحوالي ١٥٠ دولاراً لشخصين ، شاملة للوجبات الثلاث ، وشاي الساعة الخامسة ، لكن

● ساحة نادي «حل كيبا» حيث الحصرة الرائعة ومكان لاستحمام أثرياء السياح ، و (إلى اليسار مباشرة) مباني فندق على الشاطيء صمم ، لتطل كل الغرف على البحر والسائح يستمتع به ، وعارف «للأكرديون» (أقصى اليسار) يقدم فنه في إحدى الساحات العامة

ركوب الخيل واستخدام الملاعب تسدد عنها رسوم مباشرة ، لا يشملها سعر الغرفة

والوصول إلى النادي يتم بالطائرة ، أو بالسيارة في رحلة مدتها قرابة الساعتين ، تخترق خلالها عددا من القرى الأفريقية ، والمزارع والأسواق ، ثم تصل إلى الجنة الرائعة التي فور أن تجتاز البوابة تدرك أنك في عالم مختلف ، وكما يقولون فإن كينيا هي الأكثر جمالا في العالم من حيث الطبيعة الساحرة ، ووادي جبل كينيا هو الأروع على الاطلاق ويحتفظ النادي على جدرانه بسجل لرواره ورواده ، مشاهير العالم ، ساسة ورعماء وأكاديميين وفنانين ، كلهم جاءوا إلى هذه الجنة واستمتعوا بها

من يحكم ؟

يحمل المجتمع الكيني داخله قدرا كبيرا من المتناقضات والعجائب ، وفي نفس الوقت يحمل بذور انفجار أيضا عداة يوم وصولنا كان يوم الانتخابات التمهيدية لعضوية « البرلمان » ، وقد أجريت واحدة من أغرب الانتخابات في القرن العشرين ، أو كما وصفها رجال الكنيسة في كينيا بأنها عودة إلى زمان « العبيد » « البرلمان » يتكون من ١٨٧ عضوا ، وفتح باب الترشيح للعضوية ، وفق نظام تقسيم البلد إلى عدد من الدوائر

وجاءت طريقة الانتخابات على عكس ما عرف العالم كله ، فبدلا من الصندوق والورقة والاقتراع السري ، قررت الحكومة أن تتم الانتخابات علانية ، ففي كل دائرة يقف المرشحون على منصة ، ويصطف الناخبون في طابور طويل أمام كل مرشح ، ويقوم القاضي بإحصاء أفراد الطابور ، ويصبح هذا هو مجموع أصوات الناخبين التي حصل عليها المرشح ، ويقضي النظام بأن من يحصل على ٣٠٪ من أصوات الدائرة يصبح له الحق في دخول الانتخابات النهائية ، أما الذين يحصلون على ٧٠٪ فما فوق فيدخلون [illegible] خوض [illegible]

[illegible] المهينة » ، [illegible] ستحدث ، [illegible] من حوادث [illegible] حملة بالجنود [illegible]

تطوف في شوارع المدينة طوال اليوم

والكنيسة في كينيا واحدة من القوى السا[illegible] والاجتماعية المهمة المؤثرة في المجتمع الكيني [illegible] كينيا المجلس الأعلى لكنائس عموم أفريقيا ، وحر[illegible] التبشير العالمية تتخذ من كينيا رأس جسر لها حركتها داخل القارة الأفريقية ، ويكفي دليلا على أهمية كينيا للعالم المسيحي زيارة بابا روما لها مر[illegible] خلال خمس سنوات ، أي منذ تولى كرسي البابو[illegible] وتنهال على كينيا كميات كبيرة من المساعدات [illegible] من هيئات أو أحزاب مسيحية أو من وكالات التنمية الدولية والقطرية ، وكما يقول المراقبون السياسيون فإن الغرب الرأسمالي المسيحي حريص على استمرار كينيا على وضعها الراهن ، وخاصة أنها هي الدولة الوحيدة الباقية في منطقة ساحل شرق أفريقيا التي لم تنتهج سياسة اشتراكية ويؤرق الغرب كثير[illegible] تجارب أثيوبيا وتنزانيا وأوغندا

ويتحكم في السلطة في كينيا شريحة كبيرة ، مكونة من « التكنوقراط » ، ورجال الأعمال ، وهم القوة السياسية ، وموظفو الادارة والمتحكمون في جزء من حركة السوق ، ولا تنفصل هذه القوة السياسية عن جذورها ، وهي القوى الاجتماعية الموجودة في المجتمع التي تتمثل في القبائل وأكبر قبيلتين هما قبيلة « كيكويو » وهي قبيلة جوموكينياتا الرئيس السابق لكينيا ، ويسيطر أفرادها على الجيش والثروة والمال ، وقبيلة « اللو » وهي القبيلة الثانية في ترتيب القوى الاجتماعية ، وكما قال لي أحد المراقبين السياسيين الذي يعمل في نيروبي أن الرئيس الحالي منذ تولى الحكم أخذ يبعد أقارب وأفراد قبيلة جوموكينياتا وأنصارها تدريجيا ، ويحاول أن ينتزع منهم المناصب التي احتلوها والمزايا التي حصلوا عليها أثناء حياة زعيم قبيلتهم ، وفي نفس الوقت يعمل الرئيس جاهدا على تخليق شريحة اجتماعية جديدة ، تحل محل الشريحة القديمة تدريجيا ، مستغلا في ذلك أن القانون يسمح لرجال السلطة بممارسة التجارة والأعمال أثناء توليهم مناصبهم

بلا وطن

نتيجة تراكمات التاريخ فقد كان الساحل الشرقي لأفريقيا موطيء قدم عربي ، وكانت كينيا ضمن
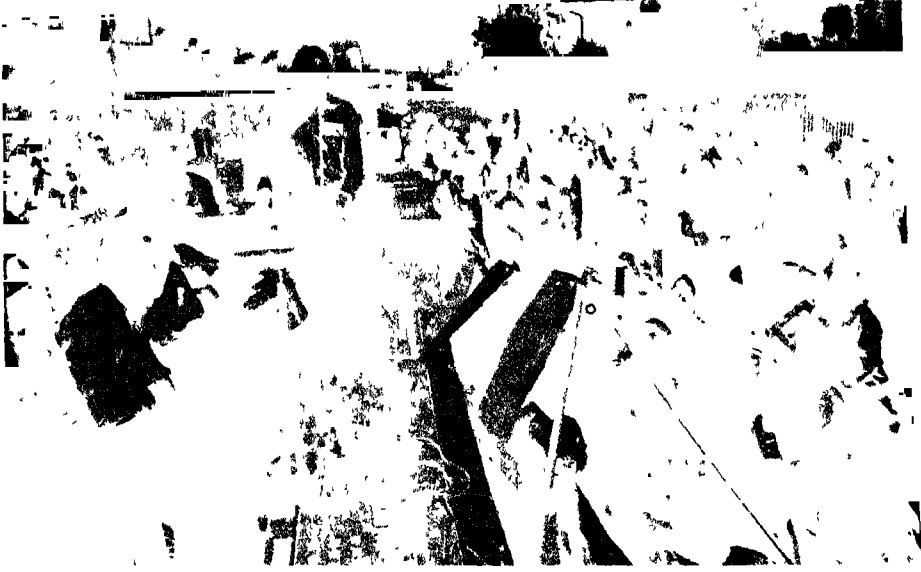
● مهرجان موسيقي في الشارع والمناسبة ماركة تأيد اعادة انتخاب الرئيس !

سلطان حاكم زنجبار العربي ، حتى فرض الانجليز عليها الحماية عام ١٧٨٧ م ، وأطلقت بريطانيا على كنيا اسم « بلاد الرجل الأبيض » ، وحاولت توطين عدد من البيض فيها ، ومنحتهم الأراضي الشاسعة ، وأسبغت عليهم الحماية والامتيازات

وخاضت الأحزاب الكبيرة ممثلة في أكبر حزبين (الاتحاد الوطني الأفريقي والاتحاد الديمقراطي الأفريقي الكيني) معارك شرسة ، ومفاوضات عنيدة مع المستعمر البريطاني ، ساندتها فيها نقابات عمال قوية ، وقبائل تستطيع أن تحرص على أبنائها احترام الاضرابات ومقاطعة الأعمال ، حتى استطاعت كينيا في ١٩٦١ أن تنال استقلالها ، وقد فشلت كل خطط التوطين والاستيطان .

وخلال كل هذا التاريخ ذاب العرب داخل المجتمع ا... ي ، ونسي الكثيرون منهم جذورهم ، ولم يتبق ... م إلا إسلامهم وملامحهم المختلطة بين العربية ... فريقية ، ومن الذين لم ينسوا وطنهم وجذورهم ... السود الذين أتوا بواسطة السفن العربية أثناء ازد... لتجارة العربية الهندية . ويشكل الهنود مجتمعا ... مغلقا داخل المجتمع الكيني ، وعلى

الرغم من أنهم وفق الوثائق الرسمية وطنيون إلا أنهم يحتفظون بكل ما يربطهم بالوطن الأم ، كالزي ، واللغة ، والعادات ، والاتصال مع الوطن الأم ، والتزاوج من داخل مجتمعهم ، وسيطرتهم على سوق التجارة ، والسوق السوداء للعملة ، واحتكار بعض المواد الغذائية ، وفيهم أعلى نسبة من المتعلمين ، كل هذا جعلهم يمارسون سلوكا فيه قدر من الفوقية والتعالي على إخوانهم الوطنيين ذوي الجذور الأفريقية

ولذلك فما أن حدثت محاولة الانقلاب الفاشل في أغسطس ١٩٨٢ التي قام بها سلاح الطيران ، وتم القضاء عليها بسهولة وسرعة شديدة ، حتى استغل الوطنيون الفرصة ، وهاجموا منازل ومنشآت الهنود ، وأعملوا فيها تخريبا ، وكما يقول معاصرو الأحداث من الدبلوماسيين لم يسرق مسمار واحد ، لكن تم تحطيم كل الممتلكات ، وفي بعض الحالات كان الوطنيون يجلدون الأسر الهندية بالسياط بعد ... يحكموا وثاقهم

وفهم « الجيتو » الهندي الـ ... عدوانيته ، حتى وجه إليهم ... علي إنذارا بأن نهاية ...

● حركة أفواج السياح لا تنقطع من المطار طوال العام (العليا على اليسار) ، والسوق في إحدى القرى خارج العاصمة (الوسطى إلى اليسار) والرقص الشعبي احد مظاهر الفنون التي يحرص الكينيون على تقديمها للسائحين (السفلى من اليسار) ، وأخيرا وجه أفريقي لامرأة ترتدي الزي والحلي الأفريقية التقليدية (إلى اليمين)

للعملة والأغذية سيدفعانه إلى اتخاذ قرار لتجريدهم من ممتلكاتهم ، ونفيهم إلى أماكن أكثر بدائية وقسوة داخل كينيا

ابتسم للسائح كي تنعش بلدنا

تمثل السياحة المصدر الثالث للدخل القومي في كينيا ، بعد صادرات البن والشاي ، ويعتمد الاقتصاد الكيني الذي يعاني من متاعب عجز ميزان المدفوعات على تنشيط الصادرات والاهتمام بالسياحة ، كمصدر من مصادر الدخل القومي

وقد استفادت كينيا من عضويتها في رابطة التجارة التفضيلية لدول شرق وجنوب أفريقيا التي تضم ١٥ دولة أفريقية

استفادت كينيا من هذه الرابطة في تنشيط صادراتها ، فتوسعت في صناعات غذائية ، وهي ضامنة السوق الذي سيستوعب هذه الصناعات ، وهي تصدر لأعضاء الرابطة المربى ، والزبدة ، والعصائر ، والأغذية المعلبة ، والبيرة ، والسجائر وتستفيد كينيا من ميناء ممباسا كمنفذ بحري يخدم عدة دول أفريقية مجاورة لها ، وتتقاضى مقابل ذلك رسوما بالعملة الصعبة ويسدد كل مغادر لمطار نيروبي مبلغ ١٠ دولارات بالعملة الأجنبية ، فإذا عرفنا أن كينيا في عام واحد (١٩٨٦) قد دخلها مليون سائح تقريبا ، وتخطط للوصول إلى أربعة ملايين سائح في العام (في عام ١٩٩٢) ، أدركنا كم تستفيد الحكومة من كل الوسائل المتاحة لزيادة رصيدها من العملة الصعبة

ونتيجة المتاعب الاقتصادية التي تواجهها كينيا ، وخاصة أن متغيرات عالمية تتحكم في أسعار موارد اقتصادها فإن الحياة بالنسبة للوطنيين ليست رخيصة ، فخريج الجامعة يتقاضى راتبا يقدر بألفي شلن ، والدولار الأمريكي يساوي سبعة عشر شلنا ، أي أن خريج الجامعة يتقاضى تقريبا ١٢٠ دولارا شهريا ، وهو مبلغ ضئيل بالتأكيد ، وإن كان أفضل من كثير من بلدان العالم الثالث

ولذلك فإن اهتمام كينيا بالسياحة له أكثر من سبب ، ففوق إسهامه في الدخل القومي ، وكونه مصدرا مهما للعملة الأجنبية ، فإن السياحة تفتح الباب لتشجيع الاستثمارات ، لإيجاد ميادين جديدة للتوظيف ، وتوفير فرص عمل جديدة

وكما قال لنا وكيل وزارة السياحة ، فإن قطاع السياحة قد أسهم في العام المالي ٨٦/ ١٩٨٧ بحوالي خمسة بلايين شلن ، ويعمل في قطاع السياحة ٤٤ ألف شخص بصورة مباشرة ، هذا فضلا عن الأعمال الهامشية المتصلة بنفس القطاع ، وتحكم الحكومة عمليات رقابة صارمة لضمان حسن الخدمة وحسن معاملة الزبائن ، ولذلك فإنه غير مسموح على الإطلاق بأن يعمل شخص ما في مجال السياحة في وظيفة ذات احتكاك بالجمهور دون الحصول على إذن مسبق من وزارة السياحة التي تمنحه هذا الإذن بعد اختبارات دقيقة

وتمثل ألمانيا وبريطانيا وسويسرا مناطق الضخ الأكبر للسياح إلى كينيا ، وتضع الوزارة الآن مشروعا سياحيا لتنشيط السياحة من أمريكا والشرق الأقصى والشرق الأوسط

ويستكمل وكيل الوزارة حديثه فيقول ولضمان الخدمة الأفضل فإن هناك كلية للسياحة والفندقة ، تمول من خلال فرض ضريبة قدرها ٢ / على كل قائمة حساب تقدم في الفنادق ، ويخصص عائد هذه الضريبة لتمويل الكلية وأول درس في هذه الكلية هو تعليم الطالب كيف يبتسم ، ليس انتظارا « للبقشيش » لكن لكي يسهم في انتعاش اقتصاد بلده

الحصاد

وفي يوم السفر جمعنا أمتعتنا ، وحزمنا حقائبنا ، وأخذت أرتب أوراقي ، ودفاتر ملاحظاتي ومقابلاتي ، وزميلي يرتب أفلامه وعدساته ، واكتشفنا في لحظة واحدة أننا لم نكن قط سائحين ، لكننا كنا فضوليين ، ذهبنا نرصد ونراقب السائحين لنكتب عنهم ، وبينما نحن نمسك بخيط السياحة انجذبنا إلى شواطيء السياسة ورمال الاقتصاد وشبكة العلاقات الاجتماعية ، وأدركنا أننا فشلنا كسائحين ، وأن أفضل نصيحة لزائر كينيا أن ينسى أعماله وشواغله ، ولا يأخذ معه أوراقا وأقلاما وكتبا ، وأن يترك نفسه للطبيعة البكر الرائعة ، ويحاول أن يستمتع بها بلا هموم ولا تفكير ولا لهاث وراء مواعيد ومقابلات □

يصدر في ١٥ يوليو ١٩٨٨

كتاب العربي

العشـــرون

أندلسيات

بقلم محمد عبد الله عنان

كتاب العربي مرآة العقل العربي
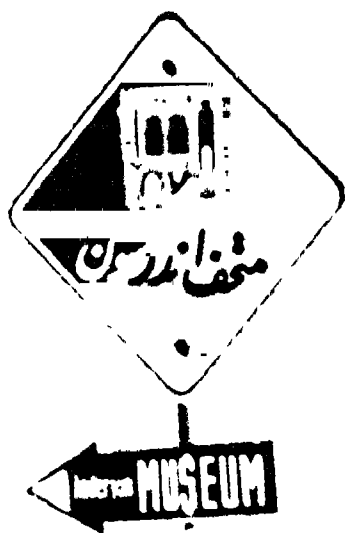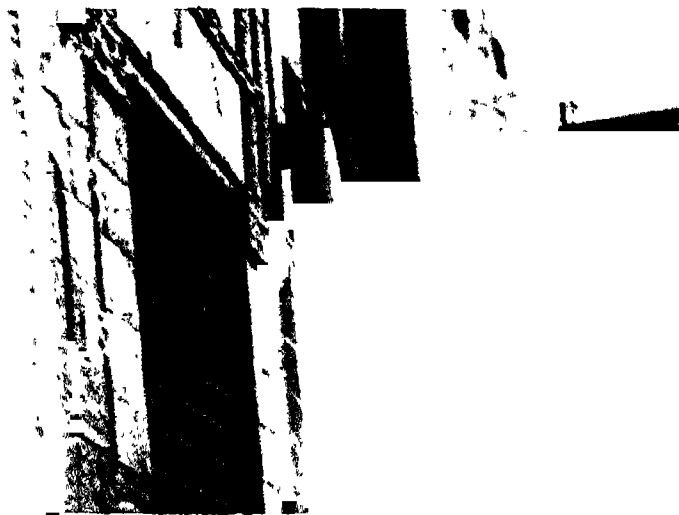
MUSEUM

لمصر الاسلامية أربع عواصم أولها كانت الفسطاط ، ثم العسكر ، فالقطائع ، وأخيرا القاهرة ولما جاء صلاح الدين الأيوبي بنى سورا أحاط بالعواصم الأربع ، فصارت عاصمة واحدة باسم القاهرة ، وهي تضم عدداً من الأحياء بالاضافة الى العواصم السابقة ، لكن أسماءها اختلفت

والمسلمون في مصر وفي غير مصر ، سكنوا دورا مثل كل البشر ، وعبر كل زمان ، وكل مكان وصلوا إليه ، وجاءت بيوتهم على نمط فلسفة عمارتهم الاجتماعية ، واتخذت زخرفتها ـ بطبيعة الحال ـ عناصر تتمشى مع فلسفة فهم الاسلامي الشهير ، وكانت عناصرها المعمارية مطابقة لعقيدتهم الدينية

والباقي من عمائرهم المخصصة للسكن يعطينا دلالات كافية على أن بنائيها قد استندوا على ثلاثة عوامل « مناخية ، واجتماعية ، ودينية » ولو نظرنا الى مدينة القاهرة ـ في محاولة للتعرف على أمثلة لذلك لتمكنا أن نحصي عددا غير قليل تتمثل فيه تلك العوامل الثلاثة ، وهذه العناصر المعمارية والزخرفية هي قاعة الدردير ، وقاعة كتخذا ، ومقعد بيت القاضي ، وقصر الأمير طار ، ومنزل زينب خاتون ، ومنزل جمال الدين الذهبي ، ومنزل الفق ، وقصر المسافر خانة ، وبيت السحيمي ، ثم (بيت الكريدلية أو الكريتلية) ، والأثر الأخير أصبح اليوم متحفا يحمل اسم « جاير اندرسون » ، وهو أحد أشهر الدور الباقية من العصر العثماني

وإذا كنا اليوم نقف في قلب القطائع ، وهي ثالثة العواصم الاسلامية لمصر ، وعاصمة « ابن طولون » ، إلا أننا سنستعيد ذكرياتها في العصر العثماني .

الكريتلية . . نسبة إلى كريت

بيت الكريدلية ، أو الكريتلية يطلق عليه الآن اسم « متحف جاير اندرسون » ، ويقع في النهاية الشرقية البحرية للزيادة الخاصة بجامع « ابن طولون » ، المعروف تاريخيا ومعماريا باسم « جامع الميدان الكبير » في حي طولون ، أحد أشهر الأحياء وأقدمها في قسم « السيدة زينب » الشهير ، بـ القاهرة

وهذا البيت يتكون من دارين ، أولاهما لـ الحاج محمد بن المرحوم الحاج سالم بن المرحوم حلـ الجزار ، وقد بني عام (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

وعرف باسم « بيت الكريتلية » بعد ذلك ، نسبة إلى آخر سيدة ملكته وسكنته ، وكان نسبها ينتهي إلى إحدى عائلات جزيرة « كريت » ، ولهذا سمى العامة منزلها « الكريتلية أو الكريدلية »

وثانيتهما هي البيت الذي بناه المعلم عبدالقادر الحداد عام (٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م) وقد عرف باسم مالكته وساكنته الأخيرة أيضا وهي السيدة آمنة بنت سالم ، وهناك أقوال أخرى ترى أن عمارته وزخارف بابه تعودان معماريا وفنيا إلى العصر المملوكي وبخاصة فترة حكم السلطان « قايتباي » ومن المعروف أن العصر المملوكي كان قد انتهى سياسيا عام ١٥١٧م ، وعموما فإن السيادة الفنية والمعمارية المملوكية لم تنتهيا مباشرة في نفس التاريخ بطبيعة الحال ، بل استمرتا وقتاً إلى أن سادت المدرسة الفنية التركية بأساليبها وطرزها

واتصل البيتان في وقت لاحق ببعضهما بواسطة قنطرة علوية ، هي عبارة عن دهليز ، يعرف باسم « الساباط » وهي على شكل غرفة صغيرة مربعة ، هي « الحجرة البيزنطية » ، تضم عدداً من الصلبان القديمة ، والأيقونات ، ومعظم موجوداتها يعود إلى العصر البيزنطي في الشام ، والعصر القبطي في مصر وباستثناء هذه الغرفة ـ الساباط ـ فإن المنزلين مفصولان بطريق ضيق معروف باسم « عطفة الجامع » وهو عبارة عن عطفة قصيرة ، تبدأ من الحديقة الملحقة بالمنزلين وتنتهي بسلم يؤدي إلى الباب الشرقي للزيادة البحرية لجامع « ابن طولون »

ونظراً لأقدمية بيت السيدة آمنة بنت سالم واتصالها المعماري ببعضهما ـ فيما بعد ـ يمكن القول بأن المنزلين باتصالهما قد صارا يكونان مجموعة معمارية واحدة متقاربة ومتصلة بالساباط العلوي

لكريتلية حديثا

في عام ١٩٢٨م نزعت « مصلحة التنظيم » القاهرة ملكية الدارين بعد أن تقرر هدمهما توسيع المنطقة حول الجامع الطولوني ، إلا أن لجنة حفظ الآثار العربية حينذاك ـ هيئة الآثار الآن ـ عترضت على الهدم ، ووقفت بشدة ضد مشروعه ، قد انتصر رأيها ، وتم إنقاذ الدارين معا ، ثم بدأت عملية الترميم على نطاق واسع ، إضافة إلى إصلاح عمارتها ومحتوياتها

وبعد الترميم والاصلاح أصبحت الداران من روع الأمثلة المعمارية في مصر والوطن العربي العالم الاسلامي ، لطرز العمارة المخصصة لسكن ، وبخاصة خلال العصر التركي ، ووفقا طرزه المعمارية والفنية أعيدت للدارين روعتهما قد بني في الركن الشرقي بدار الحاج محمد سبيل لشرب ، ذو سقف يحتوي على نماذج جميلة من لزخارف المتعددة الألوان

وقد بني البيتان من الحجر الجيري وضم إليهما ثاث وتحف من القرن السادس عشر الميلادي وما عده على وجه التقريب ، ومعظم هذه التحف الفنية ن إنتاج آسيا الصغرى وأرمينيا وإيران والشام ، ضافة إلى الصناعات المصرية المحلية ، وعدد من لتحف التي جلبها « المستر اندرسون » من الشرق لأقصى ، وبخاصة من الصين ، ولم ينس بلده نجلترا فخصص قاعة باسم الملكة الانجليزية « آن ستيوارت » ابنة جون الثالث وهي تضم أثاثا ذا طابع وروبي قديم ، ثريا بزجاج ملون أحمر ياقوتي بزخارف ذهبية ، ومنضدة من طراز الملكة « آن » ، وصوراً فنية ، وأربع سجادات تركية ، وخزانتين خشبيتين وإجمالا فهذه الغرفة ملفتة للنظر بكل محتوياتها إلى حد كبير

حكاية « اندرسون باشا »

« اندرسون باشا » هو الميجور جاير اندرسون ، وهو (الأمير لاي) بالجيش الانجليزي الذي عمل في خدمة الحكومتين الانجليزية والمصرية في وادي النيل ، وكان هاويا لجمع التحف مفعما بحب الآثار الاسلامية ، مولعا بفنونها وبعد اعتزاله خدمة الجيش والسفارة تقدم إلى لجنة حفظ الآثار العربية بطلب ، أعلن فيه رغبته في أن يتسلم هذين البيتين ، ليسكن فيهما ، بعد أن يقوم بتأثيثهما على الطراز العربي والاسلامي ، ويضم إليهما مجموعته الأثرية النفيسة ، ويحافظ عليهما من جميع الجوانب الفنية والمعمارية طول حياته

وبالرغم من أن طلب (جاير اندرسون) كان يمكن أن يقابل بالرفض بطبيعة الحال إلا أن كونه انجليزيا قد ساعده في الحصول على الموافقة بسبب الوجود الانجليزي الاستعماري في مصر حينذاك (١٩٣٥م)

وقد اشترط على نفسه أن يصبح الأثاث والتحف الفنية التي سيضمها للدارين ملكا لمصر بعد وفاته ، أو حين يغادر الأراضي المصرية نهائيا ، أيهما أسبق ، وقد قامت الادارة بتسليمه الدارين بعد ترميمها في مقابل تنفيذ ما اشترطه على نفسه

وأقبل (اندرسون) على تنظيم الدارين ـ بعد أن تسلمهما ـ في همة ونشاط ، وبذوق فني يدل على خبرة كبيرة بالفنون ، وأنفق في سبيل إعداد الدارين لسكناه أموالا طائلة ، صرفها في شراء الأثاث والتحف الفنية التي حصل عليها من البيوت الأثرية القديمة ، ومن أسواق (العاديات) في مصر وغيرها من البلدان ، في وقت لم يكن الاهتمام قد بلغ مداه الحالي في الاهتمام بالآثار ، والمحافظة عليها ، وكان هناك تسيب في التصرف بها

أضاف اندرسون إلى بيت (الكريتلية) مكتبة رائعة ، عامرة بالكتب النفيسة ، كان أكثرها يتحدث عن مصر ، وبخاصة تلك التي كتبها الرحالة الذين مروا بمصر ، ومما ساعده على ذلك هوايته وولعه بالآثار الشرقية عموما والاسلامية على وجه الخصوص ، وقد تمكن من اقتناء مجموعة نادرة ، تعود إلى مختلف العصور ، واستطاع أن يؤثث الدارين بأسلوب يعيد إلى الأذهان حياة الناس خلال تلك العصور التي تم إنشاء الدارين فيها ، ويبين كيفية حياتهم ، ومعيشتهم ، ووسائل التسلية وقضاء

أوقات الفراغ لديهم

وهكذا أصبحت الداران سكنا لجاير اندرسون ، وعاش فيهما ردحا من الزمن ، ثم تحولتا إلى متحف ، يحمل اسمه ، واشتهر بهذا الاسم حتى الآن ، « متحف جاير اندرسون » ، وله إدارة وأثريون متخصصون وزوار .

المدخل والفنـاء

المدخل على يمين الداخل لعطفة الجامع ، وقد بني بالطريقة المعمارية المعروفة « الابلق » ، وهذه الطريقة عبارة عن بناء صف « مدماك » من الحجر الأبيض ، ويليه صف « مدماك » من الحجر الأحمر ، وقد زينت واجهات العقود « الأقواس » بالصيغ المعشقة ، وتلك الطريقة ـ إلى جانب دورها المعماري ـ تقوم بدور زخرفي ، وقد تم تخفيف حمل البناء عن هذه العقود بعقود أخرى جاءت فوقها .

والمدخل يؤدي إلى فسحة أو « درقاعة » ، وفي مواجهة الداخل توجد « مصطبة » معدة لجلوس حارس الدار أو « البواب » ، ومنها يمكن الانتقال إلى الردهة « الاستطراق » ، ثم إلى الفناء المكشوف الذي تتصدره دكة « صوفا » من الخشب ، كان يجلس عليها « المقرىء » ليرتل بعض آيات القرآن الكريم صباح كل يوم ، وهو تقليد مازال متبعا حتى الآن في بعض الدور المصرية ، وبخاصة في الريف .

يتوسط الفناء « فسقية » ينتشر حولها عدد من (الكلبج) ـ المفرد كلجة ـ الرخامية التي كانت معدة لحمل أزيار الماء الفخارية وقد حلت محلها الآن أواني الزرع . وفي الجدار الشرقي لهذا الفناء يوجد ثلاثة مداخل ، أحدها يؤدي إلى سلم خاص بالحريم ، والثاني يعتبر مدخلا ثانيا للدار ، والثالث يؤدي إلى السبيل .

وفي الردهة « الاستطراق » علقت عدة موازين من النوع المعروف باسم « القباني » ، وهي صالحة للاستعمال ، وقد نقش عليها بعض الزخارف والكتابات ، مثل قوله تعالى : ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ ، ونقش على أثقالها المعروفة باسم « الرمانات » بعض العبارات ، مثل : « أنا القباني لا
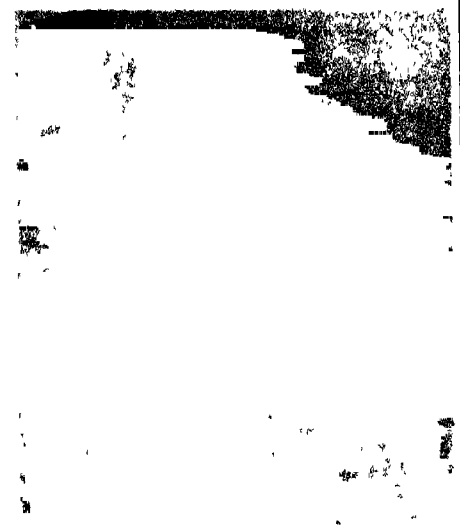
خـطى » أي لا خـطأ ، ومثـل . « وغير الحق لا أعطي ، كما نزل المعطى ، ربي » ، وكل واحد منها داخل جامة .

وفي أحد جوانب الفناء بجوار الموازين (القباني) يوجد مصعد ، وهو عبارة عن شكل اسطواني ، يمكن سحبه بالحبال إلى أعلى السطح ، ويستخدم لرفع المشروبات الساخنة والباردة إلى صاحب الدار وضيوفه في حديقة السطح

المقعد والقاعة الكبرى

يشرف المقعد على الحوش من الجهة الجنوبية ، ويمكن الوصول إليه عبر باب مرتفع بعقد « قوس » مرتفع ، مزخرف بالقرنصات والنقوش الدقيقة والمقعد مخصص لجلوس الرجال صيفا ، وهو مفتوح على الفناء بواسطة عقدين ، يحملهما عمود رخامي ، له تاج بديع

أما القاعة الكبرى فتنقسم إلى ايوانين ، يفصل بينهما جزء منخفض ، هو (الدرقاعة) ، وقد كانت لاستخدام الرجال شتاء ، وهي تحتوي على مجموعة سجادات متنوعة ، منها الايراني ، ومنها ماهو من صناعة « سنا Sehnna » ومنها القوقازي والأرميني والتركي والقاعة الأخيرة ذات سقف غني بالزخارف ، مؤطر بأبيات من البردة المباركة

ويمكن للزائر بعد ذلك أن ينتقل إلى غرفة (الخزنة) وفيها عدة لوحات ، ومنها ما رسمه بول ماك ، وحمزة كار .

قاعة الحريم

ويمكن الوصول إليها عن طريق درج بعد غرفة الخزنة ، وهذه القاعة تطل على الفناء بمشربيات من خشب الخرط ، وتضم عدداً من التحف والمقتنيات الفنية ، منها « تختبوشان » ، إضافة إلى بعض العلب « الشكمجيات » المطعمة بالعاج والعظم أو الفسيفساء الرفيعة « الزرنشان » ، وبعض الصناديق الخشبية ، وسرير ، وقطع سجاد من الأناضول ، ومنضدة ، و « منقد » يستخدم في التدفئة ، ومخبأ سري ، وهو عبارة عن (بلاطة) متحركة في الأرض لحفظ المقتنيات الثمينة ، خوفا من الاضطرابات نهاية العصر العثماني

غرف كثيرة

وإضافة إلى ذلك يوجد عدد من الغرف ، م غرفة الكتابة ، وغرفة القراءة التي تضم منضدة ودواليب حائطية ، منها دولاب يغلق من الخارج أما القاعة الفارسية فهي التي اتخذ منها (جاير اندرسون) مكانا ينام فيه ، وتضم أثاثا من صناعة إيران ، وقد فرشت أرضيتها بسجادة من صناعة الأناضول ، إضافة إلى بعض الفنيارات ـ شمعدانات زجاجية ـ مزخرفة ، وتضم الدار علاوة على ذلك غرفا بأسماء مختلفة ، مثل الغرفة التركية التي تضم أثاثا من القرن التاسع عشر ، والغرفة الصينية ، والمكتبة ، ومعرض الصور ، والمتحف الذي يضم عدداً من التحف الفنية ، منها تمثال للقطة المقدسة عند قدماء المصريين « باستت » ، إلى جانب عدد من التحف المصرية عبر العصور المتعاقبة ومما يلفت النظر خزانة تضم عدداً من الطاسات النحاسية المدون عليها بالطرق بعض الطلاسم ، وكتابات هي عبارة عن أدعية ، وهي المعروفة باسم « طاسة الخضة » ، إضافة إلى خزانة أخرى تضم بعض الأواني الخزفية الاسلامية من صناعة إيران في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وذلك علاوة على كثير من الأواني الزجاجية المستخدمة في حفظ العطور ، وقطع خزفية إيرانية ، ومقابض سيوف من حجر الجاد Gad الأخضر ، ومجموعة من علب البارود ، وغير ذلك .

السلاملك

هو السلم الرئيسي في بيت آمنة بنت سالم ، أما حجرة الضيوف ففيها نافذة على هيئة مشربية إضافة إلى عدة لوحات بالبستيل والقلم الرصاص والحبر والألوان المائية وألوان الزيت ، وهي لمناظر طبيعية ، إلى جانب دولاب كبير ومما يلفت النظ مقصورة سرية تتسع لشخصين ، عليها باب عل هيئة دولاب ركن جميل الشكل ، ولا يوحي إطلا

بأن وراءه مدخل سري للمقصورة

غرفة الحريم الخارجية مربعة في مسقطها الأفقي ، تضم تحفا نحاسية وخشبية وخزفية عديدة ، مثل (نارجيلة) من الخزف ، وقدرا خزفيا ، وصفة على أربعة قوائم ، وشمعدان نحاسي ، وبلاطات مرسومة إيرانية الصنع ، أما غرفة الحريم الداخلية فتشرف هي والدهليز الموصل إليها على قاعة الاحتفالات بمشربيات ، تعرف باسم « المغاني » ، لأن المغنيات كن يقفن خلفها ، إضافة إلى أن سيدات الدار كان يمكنهن أن يشاهدن الحفلات دون أن يراهن أحد .

تعتبر قاعة الاحتفالات حقا أفخم قاعات الدار ، وهي ذات طراز عثماني ، تنقسم إلى ايوانين كبيرين ، بينهما (درقاعة) ، ذات أرضية من الرخام ، وبوسطها نافورة من الفسيفساء الرخامية ، وجدران مرتفعة ، تتوجها مشربيات بديعة ، وسقف بثروة زخرفية مسرفة في الأناقة والجمال

يضم متحف (جاير اندرسون) عدداً من اللوحات لكبار الرسامين ، مثل استيوارت ، وبرناردريس ، وكلارك هول ، وفيفيان فوريس ، وبرونزينو ، وحمزة كار ، وبول ماك ، بالاضافة إلى رسوم إسلامية ، منها ما رسم على لوحات أو على نسيج أو على سجاد أو خزف أو زجاج

العثمانيون والوطن العربي

بدأ الأتراك العثمانيون الانتشار في الوطن العربي ، وشرع بعضهم في الاقامة بين مواطنيه ، في أعقاب سيطرتهم على هذا الوطن ، وبعد اصطدامهم بالصفويين والمماليك . والمعروف عنهم حب العزلة ، الأمر الذي يتضح من عدم اختلاطهم بالقدر الكافي المناسب لتلك المدة الطويلة التي بسطوا فيها هيمنتهم ، والتي امتدت من بداية القرن السادس عشر حتى بداية القرن العشرين « تقريبا » ، وقد ظلوا غرباء حتى بعد تأقلمهم في بعض الأقطار العربية ، رغم انتهاء تبعية الأقطار العربية للدولة العثمانية ، وانتهاء الخلافة ، إلا أنه من الضروري الاشارة إلى أن تلك العزلة لم تكن أكثر من عادة ، وليست قسوة منهم أو تكبرا ، إذ يعرف عنهم طيبة القلب وحب الخير

أقام الأتراك في الوطن العربي في بيوت مثل سائر الناس ، وقد جاءت بيوتهم على نمط عمائرهم ، وزخرفتها ، مناسبة لأسلوب حياتهم ، وبخاصة فيما يتعلق منها بالحجاب والعزلة ، ، وفي مجموعة بيت الكريتلية تتضح مزايا معمارية عديدة ، ونموذج حي لما كانت عليه الدور المخصصة للسكنى خلال العصر التركي العثماني

عمائر السكن

من مظاهر العمائر المخصصة للسكن ـ خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين ، السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، الاهتمام بالزخرفة والتنميق من الداخل ، أما من الخارج فتكاد تكون حالية من الزخارف ، وإن كانت تزينها « المشربيات » ، وتظهر العمارة أشبه ما يكون بالحصن

ويمكن لنا تحديد ما نلاحظه من تلك العناصر في بيت الكريتلية في الآتي

١ ـ إقامة الفسقيات (جمع فسقية) الداخلية أو الفوارات (جمع فوارة)

٢ ـ وجود الملاقف (جمع ملقف) لاصطياد الهواء بأسلوب معماري من أعلى السطح وإدخاله للغرف عبر أنابيب خاصة أو مجارٍ داخل الجدران .

٣ ـ تخفيف الاضاءة بواسطة الزخرفة بالزجاج الملون والمشربيات

٤ ـ المداخل المصممة بطريقة (الباشور) ، وهو أسلوب معماري استخدم بكثرة في العمارة الحربية الاسلامية وهو عبارة عن مدخل منكسر يحمي من بالداخل من الهجوم أما في المنازل فهو لحماية من بالداخل من نظر المارة .

إن هذا المتحف ـ بيت الكريتلية ـ ثروة أثرية عظيمة ، يحق لهيئة الآثار المصرية أن تزهو بها وتجعل منها متحفا للزوار ، وتحيطه برعايتها الدائمة ، ومهما قيل عن عمارته ومحتوياته والجهود المبذولة في سبيل المحافظة عليه فلن يوفى حقه ، فهو أثر فريد . □

في هدأةِ الليال
وقبل أنْ تَلُفَّني سلاسلُ السُّبَات
كم مرةٍ أعادَ لي الخيال
تذكارَ أيامٍ تولَّتْ وانْقَضتْ إلى زوال

* * * *

من افترارِ الثغرِ والدموع
أيامَ أنْ كان الصبا كبرعمِ الزهور
حديثُنا عَنِ الهوى لا يعرفُ الحدود
وأعينٌ كانت تشعُّ بالحياة
اليومَ نورُها خَبَا ، مَضَتْ إلى زوال

* * * *

كم مِنْ قلوبٍ أُترِعَتْ ببهجةِ الحياة
لم يَبْقَ مِنْ آثارِها لنا سوى الحطام
وعندما أَلمحُ في عين الخيال
صحابيَ الصِّبَاح
عروقُهم وثُقْها وُدٌّ لهم وَراحْ
رباه كيف تناثروا ؟ ذرتهم الرياح ؟
تملأُ قلبي وحشةٌ يا رهبة المكان
أخالني كَمَنْ خلفني الزمان
خَبَتْ به أنوارُهُ وزهْره موات
وحدي أنا به ، تحفُّني الأشباح

* * * *

في هدأةِ الليل
وقبلَ أنْ تَلُفَّني سلاسلُ السُّبات
كم مرةٍ أعادَ لي الخيالُ تذكارَ أيامٍ تَوَلَّتْ
وانْقَضتْ إلى زوال .

مجلة الأسرة والمجتمع

□ أطفالنا وعالمهم الجنسي المثير!

□ المرأة والقوة المستمدة من العمل

أطفالنا وعالمهم الجنسي المثير!

إعداد : ريم الكيلاني

« عندما يتحول الحديث إلى همس وتخفت الأصوات ويلتزم الكبار الصمت عند دخول الأطفال ، فالحديث في أغلبه يدور حول الجنس ، لكننا لا ننتبه إلى أن لأطفالنا أيضا غرائز جنسية ، يعبرون عنها بطرق متعددة ، مختلفة عما اعتدنا عليه نحن الكبار . وفهم عالم أطفالنا الجنسي ضرورة لكي نساعدهم على تجنب الآلام الكثيرة في المستقبل » .

منذ لحظة الميلاد ونحن نحمل داخلنا كل صفات ذواتنا ، الخير والشر ، الذكاء وعدم الفهم ، الصحة والمرض ، ونولد ولدينا الحس ، والشم ، والذوق ، واللمس ، وتكمن داخلنا غرائز الجوع والجنس

وعند البدء يكون الطفل حاملا لكل بذور إنسانيته ، وحسبما تنمو البذور وتعامل تتساقط في الكبر ثمارا .

عالم البراءة والدهشة

اعتقاد سائد لدينا جميعا أن الأطفال هم أبرياء زماننا هذا ، وأنهم يسبحون في بحر البراءة ، ويملؤن جميعا اعتقاد أن عالم الطفولة مليء بكل ما هو مدهش ورائع ، ويصبح فرحنا هائلا عندما نلحظ دهشة أطفالنا لاكتشافهم حديداً ، أو معرفتهم بشيء لم يعرفوه من قبل وبينما يرى الكثيرون أن عالم الطفولة هو عالم مفعم بالبراءة فإن بعض علماء النفس يرون أن أطفالنا ليسوا أبرياء كما نظن ، فعالمهم مليء بالغرائز الجنسية والمشاعر والاستعدادات ، لكن الفارق بيننا وبينهم أننا نملك القدرة والفهم ، بينما هم يمارسون التعبير عن غرائزهم بأفعال تثير الدهشة

ما يدهشنا

تقول أم لاحظت أن ابني دا الثلاث سنوات يعمد للعبث بأعضائه التناسلية ، وهو يعبث بها بتلقائية ، وأحيانا يقوم بكشفها بين الناس

في بيت آخر تحولت الدهشة إلى ارعاج فالابن الذي التحق بالمدرسة مؤخرا لا يسمح لأمه بالجلوس حوار والده ، ويصر في الليل أن يبيت معهما بالغرفة ، ويحتضن أمه طالبا خروج أبيه من غرفة النوم

قالت لطبيب الأطفال . عصبية ابني زادت عن حدها ، فقد صار عصبيا حادا عدوانيا قالوا إن هذا مرجعه إلى أنني فطمته بعد أربعة أشهر . لكني لا أصدقهم ، فهل يعقل الأطفال يا دكتور ؟

فقرة من صفحة الحوادث في جريدة يومية

« وقد أثار دهشة المحقق أن المتهم بالشذوذ اس لعائلة طيبة ، يشغل والده منصبا مهما في أحد المصارف ، وإخوته جميعا من المتفوقين دراسيا ، وقد أثبت الكشف المبدئي أن المتهم خال من أية أمراض عضوية وقرر المحقق إحالته إلى الاختصاصي النفسي .

ورقة خاصة جدا من دفتر يوميات طالبة جامعية

« كانت تعليمات الأهل لي في الصغر صارمة ، ولا أكثر من نعم ، ولا للعب الكرة ، ولا لركوب الدراجات وأول مرة عرفت فيها أن هناك شيئا اسمه الجنس كان من الخادمة وعمري يومئذ ثلاثة عشر عاما ، وعندما سألت أمي صفعتني على وجهي ، وجذبتني من شعري ، وطردت الخادمة من البيت ، ومنذ ذلك اليوم أدركت أن الجنس شيء معيب وبشع ومليء بالغموض والتكتم !! »

ما بعد الدهشة

يندهش العقل فيبدأ بالتساؤل ، للعثور على إجابات مقنعة الدكتورة سهام أبو عيطة أستاذة علم النفس التربوي بجامعة الكويت تقودنا الى بدايات المعرفة فتقول -

« يولد الطفل ولديه منذ اليوم الأول لولادته استعداد خاص للجنس ، وقد أوضح فرويد وغيره من العلماء هذه المسألة على عكس ما يعتقد الكثيرون من أن الجنس وليد مرحلة البلوغ ، وأنه قبل هذا البلوغ لا يوجد أي شعور باللذة الجنسية ، وتظهر بدايات الاحساس الجنسي عند الطفل مع بداية مرحلة الرضاعة التي تستغرق الانتباه استغراقا كاملا ، نظرا لما تحققه من إشباع للغريزة والاحتياج الفطري ، وبعد مرحلة الاشباع للغريزة عن طريق الفم ، تبدأ مرحلة الشرج ، فقد جعلت الاضطرابات المعوية الشائعة في مرحلة الطفولة من منطقة الشرج مكانا للاستثارات الشديدة ، حيث يعمد بعض الأطفال للاحتفاظ ببرازهم حتى يؤدي تراكمه إلى إحداث تقلصات عضلية عنيفة ، فيثير مروره بالشرج الغشاء المخاطي إثارة قوية ، وهو بذلك لا يتسبب في الألم فحسب ، بل في الاحساس العام باللذة أيضا ، وهنا لا بد من التأكيد على أهمية أن يقوم الأهل بتدريب الطفل بعد الشهر السادس على عمليات الاخراج والتبول في مواعيد مناسبة ، حتى لا يؤدي تعوده الحصول على شيء من المتعة بهذه الطريقة إلى الاصابة بنوع من الشذوذ أو العصبية ، حيث نلاحظ أن بعض الأطفال يحجمون عن ممارسة

هذه الوظيفة حين يطلب إليهم ذلك ويختارون الوقت الذي يروق لهم فيه القيام بها »

وتنتقل الدكتورة سهام للتحدث عن المرحلة القضيبية ثالثة مراحل النمو الجنسي كما أطلق عليها بعض العلماء فتقول · يبدأ الطفل بالتعرف على أعضائه التناسلية ، ولا يقتصر استعماله لها للتبول فقط ، لكنه يبدأ بالعبث بها والنظر إليها ، وأحيانا استعراضها أمام الناس ، وقد يتوجه أحيانا بالأسئلة والاستفسارات لأحد ذويه الذي تقع عليه مسئولية تعريفه بالأشياء بشكل مبسط واضح ، لأن السلوك النقيض من كف أو زجر سيولد لدى الطفل رغبة أكثر بالتمسك بعاداته ، فتبقى الأمور لديه غامضة ، لأنه لا يعرف للعيب أو للخجل مفهوما .

وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل بإدراك الفرق بين الذكر والأنثى ، وقد يتساءل عن سبب الاختلاف بينه وبين أخته . وتقع على الأهل مسئولية التوضيح بشكل لائق ، لأن المراوغة في الاجابة ستؤثر مستقبلا على علاقته بالجنس الآخر بشكل يصل إلى حد المبالغة .

مع المجتمع

بعد السادسة من العمر يخرج الطفل إلى المجتمع وقد مر في داخله بمراحل تطور للغرائز الجنسية ، وانتقلت مواضع اللذة من الفم إلى الشرج ، فإلى الأعضاء التناسلية ، وتبدأ بعد ذلك مرحلة الكمون ، وهي مرحلة تكمن فيها الغرائز ، وينشط دور المجتمع في تعليم الطفل قواعد الضبط السلوكي والأخلاقي .

الدكتور يحيى حداد أستاذ علم الاجتماع بجامعة الكويت يصحبنا إلى مرحلة ما بعد السادسة فيقول

سن السادسة هي سن دخول المدرسة ، حيث تبدأ خبرات الطفولة في الانطواء ، ولا يبقى منها إلا شذرات قليلة من الذكريات المبهمة ، وهذا النسيان لا يعني إلغاء انطباعات الطفولة المبكرة إلغاء تاما ، فهذه الانطباعات تترك في حياتنا النفسية أعمق الأثر .

وفي مرحلة الكمون هذه يتقمص الطفل شخصية جنسه ، فيتجه الولد للعب مع الأولاد كما تتجه البنت إلى البنات ، وهنا يظهر الميل للطاعة وتنفيذ الأوامر والخضوع لسلطة الأسرة والمدرسة

وقد دلت الدراسات الاجتماعية التي أجريت على أطفال مرحلة الكمون أن هذه المرحلة يتعاظم فيها دور السلوك المكتسب ، وليس الدافع « البيولوجي » والسلوك يتأثر بالتنشئة الاجتماعية والقيم السائدة .

ففي مجتمعاتنا العربية نلاحظ أن القيم السائدة تشجع الولد على الاندماج في الألعاب الخشنة التي

تعتمد على القوة أو العنف مثل أنواع السباقات في الجري أو اللعب بالدراجات ، بينها تميل البنت في ظل هذه القيم إلى اللعب بالعروسة أو التحدث إلى صديقاتها

وفي هذه المرحلة قد يقع الأهل في خطأ بالغ ، فكثير من الأمهات يعمدن إلى تشبيه أبنائهن بالجنس المخالف ، فنرى الولد يلبس ملابس الفتيات أو العكس ،أو يترك الأهل نشاط الأطفال اللعبي دون مراقبة أو توجيه ، على الرغم من أن اللعب واحد من أهم نشاطات الأطفال التي يعبرون فيها عن أفكارهم ومدى فهمهم للمجتمع

ما بعد الفهم

تمتليء الحياة من حولنا بكثير من المتاعب وعديد من الاخفاقات التي لا يدرك أطرافها أن الجذور تكمن في مراحل الطفولة ، وتشهد عيادات الطب النفسي قصصاً وحكايات عن عذابات رجال ، وآلام سيدات هي ثمن لسنوات طفولة غير صحيحة

ولا توجد بالتأكيد وصفة سحرية ، أو طريقة محدودة ، تقول لنا كيف نتعامل مع أطفالنا ، فالواقع أكثر حيوية وتعددا وتغيرا من أن يتمكن أحد من وضع طريقة تعامل ، فعقول الأطفال وقدراتهم على التحايل وتعاملهم مع المواقف المختلفة يحتم بقطع الطريق أمام أي محاولة لوضع وصفة نهائية ، فضلا عن أن الوصفات المسبقة تناسب الجماد ، لكنها لا تليق بالانسان ، هذا الكائن المتفرد المتميز المتغير

وتبقى قواعد أساسية تستند إلى فهم مراحل تطور أبنائنا ، فبعد الفهم يأتي التوجيه الدائم القائم على مراقبة أفعالهم للحياة ، ومع التوجيه يلزم تصحيح المفاهيم بكثير من الصراحة والبساطة وقدر من الحب والحنان

وهذه القواعد قد تسهم كثيرا في أن ينمو أبناؤنا بشكل أكثر صحة وأقل تعرضا للمتاعب ، خاصة إذا أدركوا من خلال البيت والمدرسة حقائق الحياة وأسس الأخلاق.□

شو والعمل

● على الرغم من أن الكاتب الايرلندي جورج برناردشو لم يدرس دراسة منتظمة ، ولم يحصل على درجة جامعية ، إلا أنه كتب المجلدات الضخمة من مسرحيات وقصص ونقد وسياسة وفن واجتماع . وعندما كان في التسعين من عمره سأله أحد الصحفيين عما ينوي أن يفعل إذا قدر له أن يبلغ مائة من العمر ، فأجاب : إنني لم أسر في حياتي قط على خطة موضوعة ، وسوف أجد الكثير من الأعمال ، ولو قدر لي أن أعيش ألف عام . وفي عام ١٩٤٤ عندما كان في الثامنة والثمانين زاره المحامي موريس آرنست ، وأخذ يتحدث إليه في شؤون كثيرة ، لا طائل من ورائها ، فنهض شو قائلا : هذا يكفي ، اذهب إلى عملك ، ودعني وشأني ، فإن عندي من العمل ما يستغرق العامين القادمين .

المرأة والقوة المستمدة من العمل

بقلم : الدكتورة علياء شكري

« دخلت المرأة ميدان العمل ، وكانت المجتمعات العربية تاريخيا أسبق في فتح المجال للمرأة كي تعمل ، ومع الازدهار والادخار تأرجحت حقوق المرأة ، لكن الشيء اليقين أن النساء العربيات لم يحولن العمل الى قوة حقيقية ضمن حسابات القوى الإنسانية » .

هل من سبيل أمام المرأة لكي تترجم القوة المستمدة من النشاط الانتاجي (العمل) الذي يدر دخلا الى قوة واستقلال ؟ ذلك هو الموضوع الذي نود أن نلقي عليه بعض الضوء

هناك أساس بديل لقوة النساء ، وهو نشاطهن الانتاجي الذي يدر دخلا ، والذي يمكن ترجمته الى قوة ،لكن شريطة أن تدعمه أيدلوجية استقلال المرأة استقلالا اقتصاديا

ومعنى ذلك أن حتمية الواقع ، وقيام هذا الاستقلال أمام نواظرنا ورؤيانا له بوضوح يخطف الأبصار ، كل ذلك لا يمكن أن يغير بذاته وبشكل ميكانيكي واقعا آخر أقدم منه وأرسخ قدما وأقوى أثرا ، إنما لابد أن يتسلح هذا الواقع المادي الجديد بأيدلوجية تسانده وتدعمه وتفسره ، وتنقل دلالاته من جيل الى جيل ، عبر قنوات التنشئة الاجتماعية

فهل لمثل هذه الأيدلوجية المساندة لذلك الواقع وجود يمكن أن نستدل عليه ؟ نعم ، لقد أثبت كثير من البحوث والدراسات وجود هذه الأيدلوجية ، وأقامت الدليل عليها ، ورسمت معالمها ، وأبانت دورها ، وذلك في مجتمعات ليست بعيدة عنا

في المجتمعات البدائية حقوق أكثر

لقد أوضحت تلك البحوث في كثير من مجتمعات غرب أفريقيا مثلا أنه يتوقع من المرأة فيها أن تكون

لها مهنة ، لكي تثبت نفسها ، وتؤكد وجودها كفرد بالغ في المجتمع ، وأن تكون مسئولة عن نفقاتها الشخصية ، وعن نسبة مئوية غير قليلة من نفقات أولادها ، ففي مثل هذه المنطقة الثقافية لا يقتصر الأمر على مجرد السماح للمرأة بأن تترجم نشاطها الاقتصادي الى قوة ، بل إنه يتوقع منها فوق هذا أن تكون مستقلة اجتماعيا واقتصاديا عن الرجل

وهناك مجتمعات أفريقية يقوم فيها نظام القرابة على الانتساب للأم ، وواضح أن مثل هذا النظام يمنح المرأة دعما اقتصاديا ونفسيا واجتماعيا ، وقد وجد الباحثون أنه عندما يكون نظام القرابة قائما على خط الأم فإنه يزيد استقلال المرأة ، وينعكس هذا الوضع في منحها حقوقا واسعة داخل العلاقة الزوجية ، وفيما عليها من حقوق وواجبات إزاء الرجل الزوج ، ومن هذا مثلا أن يصبح باستطاعة المرأة في تلك المجتمعات أن تترك العلاقة الزوجية غير الموفقة والزوج غير الصالح ، وتعود الى أسرة أمها (التي تنتسب إليها)

كما ينعكس هذا النظام على وضع الزوج داخل الأسرة ، لأنه حيث يقرر للمرأة حقوقا يفرض عليها المشاركة في نفقات إعاشة الأسرة ، ومن ثم لا يصبح الرجل هو العائل الوحيد أو أهم مسئول عن الأسرة وقد أشار الدارسون في تعليق على هذا النظام الى أنه كما قَلّت مسئوليات الرجل الاقتصادية والاجتماعية ، فقد قل مقدار ما يتمتع به من قوة

ولقد أوضحنا بجلاء أن المجتمعات التي تتبع نظام الانتساب للأم توجد فيها أيدلوجية اجتماعية تساند استقلال المرأة الاقتصادي ، ونتيجة لذلك تصبح المرأة أكثر قدرة على العثور على أنشطة اقتصادية ، تدر عليها دخلا ، وتتلقى عنها أجرا ، لكننا يجب أن نكمل الجانب الآخر لنفس الصورة إن نفس تلك الدراسات قد أكدت بما لا يدع مجالا لأي شك أن هذا الوضع يعمل - في الوقت نفسه - على زيادة درجة اضطراب الحياة الزوجية للمرأة ، ويؤدي الى عدم استقرارها

ولا يختلف هذا الوضع الذي ضربنا له بعض الأمثلة من أفريقيا عما نجده في المجتمعات العربية اليوم ، لأن هذا الوضع يجعل من السهل على المرأة أن تتزوج من جديد ، كما أنه يتسامح بعض الشيء في العلاقات التي قد تقيمها المرأة خارج إطار الزواج

ولذلك لا نجانب الصواب إذا قلنا أن المرأة تستطيع أن تترجم قوتها التي حصلت عليها منفردة الى استقلال ، وأنها كثيرا ما تعبر عن هذا الاستقلال في شكل موقف « فاتر » من الزواج والمسئوليات الأسرية ، الناجمة في حقيقتها عن العلاقة الزوجية

لكن هل هذا هو الطريق الوحيد الذي يتعين على المرأة العاملة أن تسير فيه ، أم أن الواقع الاقتصادي الاجتماعي يتيح لها بدائل عديدة ؟ وهل بوسع المرأة أن تشارك في النشاط الاقتصادي ، أي تعمل وتحصل على أجر ، وتحافظ في نفس الوقت على ولائها للزوج والأسرة ؟

بدائل وخيارات

من المؤكد أن هناك مرونة في الحياة الاجتماعية ، تتيح للمرأة اختيار بديل آخر ، مغاير لما رأيناه في تلك المجتمعات الافريقية ذات القرابة الأمومية (الانتساب للأم) ، ومخالف لما نعرفه عن المرأة في المجتمعات الغربية المعاصرة ، حيث تستطيع المرأة أن تتمتع بحرية الحركة ، وتحصل على الاستقلال ، وحق المشاركة في النشاط الاقتصادي ، وأن تحتفظ في نفس الوقت بأدوارها الأسرية ، وولائها للالتزامات المرتبطة بتلك الأدوار .

وقد ترجمت كونستا نتينا سافيليوس روتشيلد قوة المرأة المستمدة من العمل في معادلة أحد طرفيها قوة المرأة ، وطرفها الآخر تلك القوة المستمدة من عمل المرأة ، والقوة المستمدة من أيدلوجية تؤيد استقلال المرأة اقتصاديا ومسئولياتها الاقتصادية حتى في وجود الزوج ، والقوة المستمدة من نظام الانتساب للأم

(وهو غير موجود في مجتمعاتنا العربية) ، وكذلك القوة المستمدة من الجمعيات والتنظيمات النسائية التي توفر للمرأة دعما اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا ، وهذا النوع من الجمعيات والتنظيمات مازال وليدا يحبو في وطننا العربي حتى الآن

لكن مدلول هذه المعادلة يكمن في حقيقة الأمر فيما تشير اليه من قدرة المرأة على الحصول على القوة مستقلة عن الرجل ، ولو لم تتوافر لها جميع أسس القوة ، أي مثلا عندما يكون نظام القرابة ليس هو نظام الانتساب للأم لكن الشيء الذي لاغناء عنه ولا يمكن تجاهله ضرورة توافر الأساس الأيدلوجي للقوة ، لأنه بفضل هذا الأساس الأيدلوجي تستطيع المرأة أن تترجم أسس القوة الكامنة (أو المستترة) الى قوة حقيقية ، وأن تحقق ذاتها بهذه القوة ، وتسعى الى الحصول عليها وترضى بالتمتع بها

كما ينبغي أن نلاحظ هنا أن فكرة إمكانية حصول المرأة على القوة مستقلة عن الرجل لا تعني أنها لا تستطيع أيضا أن تستمد القوة من الرجل ، فوجود أحد نوعي القوة لا يلغي إمكانية وجود النوع الآخر ، ففي كثير من المجتمعات نجد أن فيها بعض أنواع القوة المستمدة من الرجل ، وهذه القوة نفسها تساعد المرأة على حيازة القوة بمجهودها الذاتي مستقلة عن الرجل ، ونجد الموقف المقابل أو المعاكس متحققا في الواقع أيضا . حيث أن حصول المرأة على القوة المتحققة بالمجهود الذاتي تساعدها بدورها على أن تستمد مزيدا من القوة من زوجها ويمكن أن نبسط الأمر قائلين · كما أن بعض المال يجلب المزيد منه ، كذلك بعض القوة يجلب المزيد منها ، وتتصل حلقات السلسلة في تصاعد مستمر

وهذا التداخل في نطاقات القوة أمر على جانب عظيم من الأهمية والطرافة في الوقت نفسه ، حيث أننا يمكن أن نرى في بعض الأحوال الاجتماعية أن الهيبة والثروة والقوة التي تستمدها المرأة من زوجها أو من والدها وغيرهما من الأقارب الذكور ، وخاصة إذا كانت تلك الهيبة أو الثروة أو القوة أكثر مما يمكنها من الوصول إليه بمفردها ، تساعد المرأة على ارتقاء مركزها في وظيفتها ، ومن ثم تزيد من مكانتها الشخصية

ونجد فصلا عن هذا في المجتمعات التي يكون فيها استقلال المرأة الاقتصادي محلا للتشجيع والتقدير ، نجد أنه يصبح بوسع المرأة ترجمة قوتها الاقتصادية الى قوة في نطاق الأسرة ، وقوة في نطاق العلاقة الزوجية ، وذلك من حيث التأثير واتخاذ القرار

لكن يتعين علينا عند هذه النقطة أن نلفت النظر الى حقيقة بارزة ، أوضحتها بعض الدراسات الحديثة عن المرأة إننا لا نستطيع أن نفترض وجود علاقة عكسية بين القوة الانتاجية (أو قوة المرأة واستقلالها الاقتصادي ، سواء بحيازة الثروة أو ممارسة العمل المأجور) والقوة الانجابية (أي القوة التي تستمدها المرأة من الانجاب) ، بل إنه حتى في المجتمعات التي يقوم فيها نظام القرابة على الانتساب للأم ، أو التي توجد فيها منظمات التعاون النسائي الجماعي ، مازالت المرأة في تلك المجتمعات تستمد بعض القوة من إنجاب الأطفال .

الموازنة بين الأدوار

وقد درست الباحثة الانجليزية كريستين أبونج ذلك الموضوع باستفاضة ، وأوضحت أنه في المجتمعات الريفية التي تتبع نظام الانتساب للأم نجد أن الأطفال بالنسبة للمرأة هم « أكثر ما يعتمد عليه من أصول في بناء ملكيتها الزراعية وتنميتها » وقد وحدت أبونج في عام ١٩٧٦ في غانا ـ على سبيل المثال ـ أن ٢٪ من النساء المتزوجات فقط كن يقبلن استخدام وسائل منع الحمل ويستخدمنها فعلا

وهكذا نستطيع أن نؤكد حقيقة مهمة أثبتتها الدراسات الحديثة في بلاد العالم الثالث ، وهي أننا لا يصح أن ننظر الى دور المرأة الاقتصادي كبديل لدورها كأم ، وهذه النظرة الخاطئة كانت تتردد في الماضي بكثرة في المؤلفات الغربية (الأوروبية والأمريكية) التي كتبت في موضوع السكان في تلك البلاد ، بل الأصح أن نقول إن دور المرأة الاقتصادي يسهل مهمة الأم ويساندها ويدعمها

ولا يصح أن يطرأ على ذهننا فكرة عدم التوافق بين الدورين (الدور الاقتصادي ودور الأم) إذ أن مهمة المرأة تجاه المنزل وتربية الأطفال يمكن أن تقوم بها بسهولة قريباتها وبناتها وغيرهن من المعاونات ، أو على الأقل يساعدن فيها مساعدة أساسية ومن الطريف أن نذكر أنه على الرغم من قدرة المرأة على استخدام القوة الاقتصادية داخل المنزل للحصول على خدمات غيرها من النساء ـ بالأجر أو دون الأجر ـ إلا أنها قلما تستخدمه للحصول على تقسيم عادل في العمل بين الزوج والزوجة للأعمال والمسئوليات التي تتصل بالمنزل أو العناية بالأطفال

وهكذا نرى أنه حتى في المجتمعات التي تستطيع فيها المرأة أن تترجم نشاطها الانتاجي وتحوله الى قوة اقتصادية أن المعادلة الكاملة لقوة المرأة يجب أن تضم أسسا للقوة مستمدة من الرجل (زوجا أو أبا) ، ومن إنجاب الأطفال في نفس الوقت ، وهي معادلة سبق أن قدمتها كونستنتينا سافيليوس روتشيلد في دراسة حديثة لها ولم تتضمن هذه المعادلة القوة التي ترتكز على مكانة المرأة بعيدا عن الجنس في حريف العمر (بين الأربعين والستين) ، والسبب في ذلك واضح في رأيي لأن هذا النوع من القوة يصبح أقل أهمية كلما زادت المرأة من قوتها الاقتصادية

كذلك تدلنا هذه المعادلة على أن القوة الانجابية لا يشترط فيها أن تكون العنصر الحاسم على الرغم من أنها إحدى مكونات قوة المرأة ، وقد تقل أهميتها تماما بالنسبة للمرأة ، فذلك أمر لابد أن يختلف تبعا للقيمة التي تتمتع بها غيرها من أسس القوة النسائية

ما نسعد به وليس ما نحتاجه

والواقع أننا نستطيع ترتيبا على هذا أن نفترض أن قوة الانجاب تفقد كثيرا من أهميتها عندما تحوز المرأة أسسا أخرى مضمونة للقوة ، وهذا أمر منطقي وطبيعي في ضوء الشرح والتحليل الذي قدمناه

لكننا نلمس مع ذلك أن الظروف الواقعية قد تسير أحيانا بالمرأة باتجاهات أخرى ، وتحملها حملا على تغيير بعض أطراف هذه المعادلة بإرادتها واختيارها ، فهناك شواهد لا حصر لها تثبت أن التحديث والتقدم يجعلان دور المرأة الانتاجي التقليدي أقل استقرارا وأكثر صعوبة من ذي قبل ، وهذه الحقيقة تتجلى بوضوح أكثر في المجتمعات التي سبقتنا في مضمار النمو والتقدم وإزاء تلك الاتجاهات الجديدة بدأت المرأة تعتمد على قدرتها الإنجابية في تحقيق الاستقرار والاطمئنان الاجتماعي والاقتصادي

والى أن يتحقق للمرأة الاطمئنان الاجتماعي والنفسي لنشاطها الانتاجي ودورها الاقتصادي تستطيع بعدها أن تفكر باستخدام وسائل منع الحمل لتنجب الأطفال الذين تسعد بهم وتسعدهم ، وليس الأطفال الذين تحتاج اليهم □

هو.. هي

لا نسرق طفولتهم

أعرف سوف يتهمني الجميع بالتبلد وعدم الاحساس واني امرأة لا مبالية ، لا هم لي إلا الطعام والشراب ، وأعرف أن البعض سيهمس بها سرا في داحله ، إنني لا افترق في شيء عن الحيوان ، فالحيوانات وحدها هي التي لا تهتم مما حولها ولا تشغل نفسها الا بما يدور في دائرتها واهتماماتها مقصورة على المحسوس وليس على المعنوي

لدينا-زوجي وانا-ثلاثة أبناء أكبرهم في الخامسة عشرة من عمره ، وكلانا موظف بالحكومة ، نحتل درجات متقدمة في السلم الوظيفي ، وابناؤنا بالتالي جيل يختلف عن جيلنا ، جيل لم يعايش أياً من احداث الوطن الكبرى الى أن اندلعت منذ شهور ، ثورة الأرض المحتلة ، وخرج احواننا في فلسطين يواجهون الموت والعنف والاحتلال ، وصارت اخبار ثورة فلسطين مادة اساسية في كل الصحف والاذاعات واجهزة التلفاز ، وفوجئت أن زوجي يجمع أبناءنا يقرأ لهم الجرائد ويشرح لهم ما يحدث ، وعند كل نشرة أخبار يستدعيهم ليلتفوا أمام التلفاز يشاهدون اللقطات المصورة التي ينقلها بعض المراسلين عن أحداث الثورة ، وما فيها من قمع وعنف ، ووجد أبناؤنا في هذه الجلسات فرصة طيبة للهروب من الاستذكار وأداء الواجبات ، وصارت جلساتهم احاديث عن ثورة الفلسطينيين ، حتى ألعابهم ولهوهم صاروا ينقسمون الى فريقين صهاينة وفلسطينيين ، وصارت ألفاظ سبابهم وغيظهم تشمل « يا صهيوني يا قاتل يا مأجور يا عميل الخ » ، وذات مساء عاتبت زوجي وقلت له إن ما يفعله بأولادنا غير صحيح فاذا كان قلبي وانا الأكبر سنا والأكثر ادراكا ينفطر وأنا أرقب وأشاهد ما يحدث للأهل في الأرض المحتلة فماذا يمكن أن يحدث لأبنائنا ، وهون زوجي الأمر واتهمني بضعف القلب ، الى أن كانت ليلة هب ابني الأصغر من نومه مذعورا ، وأخذ ينتفض ويرتعد ويصرخ « انهم يقتلون الصغار ، وسوف يقتلونني . الدم يملأ الفراش ، دم أخي فوق وسادتي » وبعد أن هدأ وأعدته الى فراشه ثرت في وجه زوجي وقلت له إنه قد آن له أن يكف عن أفعاله ويقلع عن دروس التاريخ التي يلقيها على أبنائنا ، واني لست مستعدة لأن أفقد أبنائي وأفسد طفولتهم وأسرق أحلامهم ، وقلت له فلنكن منطقيين دع أبناءنا يكبرون وينمون ويعرفون كيف يستخدمون عقلهم ثم بعد ذلك عندما يصلون الى سن الرجال فانهم سوف يعرفون كل الحقائق وسيحددون مواقفهم ، ويختارون انتماءاتهم ، أما الآن فظلم أن يرى أبناءنا كل هذا العنف والظلم والقهر .

هي..

حَقّ المعــرفة

رحم الله أبا بكر الصديق عندما قال « احرص على الموت توهب لك الحياة » ، ونحن شعوب ضعيفة الذاكرة،ننسى ما يمر بنا في الحياة ، ولا نتذكره إلا عندما يمر بنا حدث مشابه ، وأصبح التاريخ بالنسبة لنا مناسبات نتذكرها ونتذاكر فيها ما مر بنا ، ثم يمضي بنا طريق الحياة ، ويفقد التاريخ بذلك أهميته ودوره ، من أنه رحم للأحداث وسجل للشعوب

تكره زوجتي أن نؤلم أطفالنا وأبناءنا وترفض أن يرى (الاطفال) هذا العنف والدم والقمع الذي يواجهه اهلنا الفلسطينيون في أرضنا المحتلة ، وتقول لي دعهم فانهم عندما يكبرون سوف يعرفون كل الحقائق ، قلت لها هنا يكمن الخطأ ، وبهذه الطريقة فنحن نخطيء في حق أبنائنا ، فليس صحيحا أن صور المواجهة الصريحة المباشرة وما بها من عنف هي وحدها التي تؤلم فكل ما في حياتنا به قدر من الألم ، هذا الاستهداف الذي نعيشه نحن العرب جميعا يؤلم وبقدر أكبر ، هذا الاختراق من أجهزة الإعلام ، هذا الاعتماد المتزايد على العالم الخارجي في قضايا الغذاء ، وهذه العراقيل في وجه خطط التنمية والأيادي التي تمتد لتشعل جذوات الفتنة والطائفية داخل الوطن العربي ،أليس كل هذا مؤلما؟ قالت لي وهي تصرخ:هذا فوق قدرة استيعاب الأطفال ، وفهم كل هذا يتطلب درجة وعي ليست متوافرة لديهم ، قلت لها دعينا ننمي وعيهم . ودعينا نفتح أعينهم ، فنحن شعوب لا تعرف كيف تتعامل مع أعدائها ، وتاريخنا مليء بقصص النبل والكرامة والحب والايثار ، ونحن نحتاج الآن الى الجانب الآخر من التاريخ ، نحتاج الى الفهم الكامل لنعرف أن النبل في غير موضعه سذاجة ، وان الحب على اطلاقه ضعف ، وأن الكرامة بلا قوة تحميها تهدر ، وان الانسانية مع الأعداء تليق بك وأنت قوي أما الانسانية وأنت ضعيف فهي استخذاء جيل أبنائنا جيل لم يفتح عيونه على أحداث الوطن العربي الكبرى ، ولم يعاصر زمان الاستقلال ، وزمان حروب التحرير ، وزمان تصاعد أفكار الأمة الواحدة والوطن الواحد ولكنه جيل أتى في زمان قد جرت في الأنهار العربية مياه كثيرة ، وامتلأ جسد الوطن بجراح أكثر ، وهذا جيل يحتاج لأن يفهم ويعرف أن الذي يتحكم في القمح ورغيف الخبز والزبد ويلقى بفائض الغذاء في المحيط ، ويتكتل لكي يهبط بأسعار النفط والفوسفات والقطن هو نفسه الذي يعطي الجندي الصهيوني السلاح لكي يسيل دم الطفل الفلسطيني في شوارع فلسطين المحتلة . سيفزع أبناؤنا ليلة أو ليلتين ولكن حياتهم ستكون أكثر وعيا ، وخير لهم أن يمرعوا وهم نيام من أن يفزعوا في حياتهم ، وتتبدد قبل أن يعرفوا العدو من الصديق .

..هو

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

لست أدري إن كان المشي بمفهومه الشائع ينطبق عليه اصطلاح الرياضة أم لا ، لأن الإنسان العادي يسير في يومه أحيانا ما يزيد على عشرة كيلو مترات ، وهو لا يدري ، أثناء قضاء حاجاته اليومية ، ولا أحد يعتبر هذه الحركة اليومية المعتادة ضربا من ضروب الرياضة إطلاقا

بينما لو مشى الإنسان مسافة طويلة بانتظام مرة واحدة لا لغرض سوى المشي لجاز للإنسان أن يطلق لقب « رياضة المشي » على هذا المجهود ، إنما الأهم من هذا وذاك هو أن تحقق حركات المشي هدفاً أو أكثر من الأهداف التي تقصدها الألعاب الرياضية ، ضمن إطار الأصول والقواعد العلمية المدروسة ، وهنا يحق أن يطلق على المشي لقب « رياضة المشي » ويصبح شكلا معتمدا منها

لكن الغريب أن الأكثرية من الناس تعتمد المشي لإنقاص الوزن « الريجيم » ، وهذا أبعد الأهداف وأقلها قيمة ومردودا إذن ما هو المشي الصحي ومردوده ؟

إن السرعة التي تعتبر مشيا على الأقدام تتراوح ما بين ٣ الى ٥ كيلو مترات في الساعة تقريبا ، ولا حدود لها إلا إذا شعر الإنسان بالتعب ، وهذا يعني نهاية المشي الصحي ، وإلا تحول الى مشي مرضي يعود بالضرر والتلف وفيما يلي نستعرض المردود الصحي لرياضة المشي

أولا . المشي وجهاز الدورة الدموية

إن أهم مردود وأخطره للمشي هو تنشيط الدورة الدموية عبر القلب والشرايين والأوردة ، فالقلب ـ وهو عضلة ـ يضغط الدم عبر الشرايين الى كل أجزاء الجسم ، حيث توزعها الشعيرات الدموية ، لتقوم بتبادل الغازات ، أي إعطاء الأكسجين وأخذ ثاني أكسيد الكربون ، وإعطاء الغذاء ، وأخذ الفضلات من الأنسجة

والدم يندفع في الشرايين بقوة ضغط القلب ، غير أنه لا توجد قوى أخرى مقابلة تدفع الدم ثانية عبر الأوردة الى القلب والرئتين ، وبهذا يركد الدم في هذه الأوردة ، وتنتفخ أطراف الجسم ، وبخاصة الساقان ، وهما الأبعد عن القلب

غير أن الأوردة (أي أوعية الدم التي تعود به الى القلب) مجهزة من الداخل بصمامات تشبه سواقي المياه (أي بوابات صغيرة) ، تسمح بعبور الدم وعودته الى الوراء ، كما أن العضلات التي تحيط بهذه الأوردة تضغط عليها من الخارج وكأنها تعصرها

لكن كيف للعضلات التي حول الأوردة أن

تضغطها وبخاصة في الأطراف السفلى حتى تدفع بالدم في اتجاه معاكس للجاذبية الأرضية ؟

إن المشي هو الوسيلة الوحيدة التي تتولى هذه المهمة ، لأن المشي يحرك عضلات الساقين ، وهذه بدورها تضغط على الأوردة ، فيعود الدم الى القلب ، ولولا هذا لركد الدم في الساقين بفعل الجاذبية الأرضية وتوقفت الدورة الدموية وفقد الإنسان وعيه

لهذا يقولون إنه لا يمكن لإنسان إطلاقا أن يقف ساكنا مطلقا أكثر من عشرين دقيقة

هذا هو أهم فوائد المشي على الإطلاق ، ولهذا فهو أصلح ما يكون لمرضى القلب والدورة الدموية وكبار السن والناقهين ومن يفتقرون الى الحركة والحوامل

ثانيا : المشي والجهاز الحركي

نقصد بالجهاز الحركي مجموع عضلات الجسم ومفاصله وعظامه التي تركز عليها لعب الرياضات الأخرى والهدف هنا :

(أ) إعطاء الجلد القدرة على التحمل للعضلات

(ب) إعطاء الليونة والمرونة للمفاصل

(جـ) إعطاء القوة لجسم العضلة

(د) اللياقة البدنية والتناسب والتناسق

ليس من الأمانة العلمية أن ندعي أن المشي يعطي الشيء الكثير من هذا كله إذا قورن بالرياضات الأخرى ، اللهم إلا زيادة الجلد والاحتمال الى حدما ، وبعض اللياقة البدنية والتناسق

وفي هذا المضمار تقع رياضة المشي في مؤخرة القائمة ، ومن الأفضل البحث عن رياضة أخرى بجانب المشي إذا كان هذا هو الهدف

ثالثا : المشي وإنقاص الوزن

إن الإنسان العادي البالغ المعتدل يحرق في كل ساعة من يومه ما يوازي سعرا حراريا واحدا فقط (كالوري واحد) ، مقابل كل كيلو جرام من وزن جسمه إذا رقد مسترحيا دون حراك ، وهذا ما يسمى بالتمثيل الغذائي الأساسي ، أي الطاقة اللازمة لتحريك الأجهزة الضرورية في الجسم ، مما لا غنى عنها مثل القلب والرئتين والأمعاء ، وهكذا

وبالحساب فإن رجلا يزن ٦٠ كيلو جراما يحتاج ٦٠ سعرا في كل ساعة ، أي يحتاج الى (٦٠ × ٢٤ كالوري) أو سعراً في اليوم إذا كان مستريحا تماما ، أما إذا مشى الإنسان فإنه سيصرف (٢,٥) سعرين ونصف في كل ساعة مقابل كل كيلو جرام من وزنه ، وهذا صرف من الطاقة لا يذكر إذا قورن بالرياضات الأخرى

فالسباحة مثلا تحتاج ٤,٥ سعرات لكل كيلوجرام من وزن الجسم في الساعة ، والجري يحتاج الى حوالي ١٠ سعرات لكل كيلو جرام من وزن الجسم في الساعة ، وقيادة الدراجة تحتاج ما بين ٤ ـ ٥ سعرات في الساعة ، والمصارعة ١٢ سعرا ، وهكذا

ولذا اعتبر الأطباء المشي وسيلة لإنقاص الوزن يعتمد عليها إذا كان المشي لمسافة خمسين كيلو مترا فهو في هذه الحالة ينقص من الوزن نصف كيلو جرام فقط ، بشرط أن لا يأكل الإنسان خلال وقت المشي

بينما ينقص الوزن نصف كيلو جرام إذا مورست السباحة لمسافة ٢٠ كيلو مترا مثلا ، أو إذا لعبت التنس ١٤ جولة .

محاذير المشي

إن المشي - دون شك - له مردوده الصحي وبخاصة على الدورة الدموية ، بشرط أن لا يصل الحال بالإنسان الى درجة التعب ، لأن هذا يعني تراكم فضلات العضلات ، وبخاصة حامض اللبنيك ، وعجز الجسم عن تصريفه ، وهنا لا بد من التوقف والراحة

كما أن المشي الطويل لا يصلح للمصابين بالاستسقاء والتورم ودوالي الساقين ، حتى لا تتفاقم الحال ، بل إن هؤلاء قد ينصحهم الأطباء بالجلوس أو الاستلقاء مع رفع الساقين الى الأعلى

ومن المهم أن نؤكد على ضرورة تفادي الأحذية الضيقة أو استعمال أربطة الساق التي تعيق مسيرة الدورة الدموية ، وهي الأصل في رياضة المشي ، وإلا أدت الى مضاعفات عديدة منها دوالي الساقين

أما المصابون بجلطات الساق فقد ينفعهم المشي لتنشيط سير الدم في الأوعية الأخرى غير المصابة لكن مشورة الطبيب المعالج ضرورية لكل حالة على حدة □

ردود سريعة :

■ سمير محمود / سوريا الفتق سببه زيادة الضغط داخل تجويف البطن مع ضعف في عضلات جدار البطن ، وهو أمر لا علاج له الا بعملية جراحية يقررها الطبيب الجراح ، وتأجيل العملية محكوم برأي الطبيب المعالج خوفا من حدوث اختناق في الفتق

■ عثمان عفان / سوريا : الصدفية مرض جلدي مجهول السبب مزمن ولكنه غير قاتل ولا تحدثه الوراثة ، وعلاجاته تعتمد على التخفيف من حدته وازالة القشور التي تغطي مواقع الجلد المصاب

■ جميلة علي سالم / الكويت . يبدو انك تعانين من اضطراب عصبي في الجهاز الهضمي وهو امر لابد له من استشارة طبيب مختص في امراض الجهاز الهضمي لتقصي المرض ووصف العلاج المناسب ولا داعي لاجتهاداتك الخاصة في الامر

■ صلاح عبدالستار الشهادي / دمشيت / مصر : الامراض الجلدية لا تعالج الا بالكشف الطبي لدى طبيب مختص لذا ننصحك باستشارة طبيب الأمراض الجلدية المختص .

■ س ق هـ / سوريا لا سبيل لتشخيص مرضك الا بالكشف الطبي ، ويجب عليك مراجعة طبيب امراض النساء والولادة

■ لمزكرش خديجة / المغرب اسم الدواء الخاص بانبات الشعر هو المينوكسديل المعروف باسم ريجان

■ م أ أ م / القاهرة / مصر هناك مراكز متخصصة لعلاج عيوب النطق لهذا ننصح بمراجعة أحدها لتقصي سبب اللعثمة والعلاج المناسب

■ ب احمد / المغرب ننصحك باستشارة اختصاصي في جراحة العظام ، فأنت تحتاج الى معرفة نوع الميكروب المسبب للالتهاب،واجراء اختبار حساسية له لمعرفة اي العقاقير اكثر فعالية وتأثير

■ ح . ب / سوسة / تونس ننصحك باستشارة طبيب في الغدد الصماء لتقييم التوازن الهرموني ونشاط الغدد الجنسية فربما كانت قاصرة عن افراز هرمونات الجنس بصورة خاصة وعلى ضوء التحليلات يكون العلاج

مساحة ود..

تقليد!

كنت في سفر طويل ، وألقت بي الطائرة في عاصمة تاريخية من بلدان العالم الثالث ، قضيت فيها نهارا ونصف ليلة، ولأنها بدأت منذ سنوات قليلة تجربة وطنية واقتصادية مميزة فقد كنت شديد اللهفة لرؤيتها . وكعادتي في قراءة المدن ألقيت بحقائبي في الفندق ، وانطلقت أجوب شوارع المدينة ، معالمها ومقاهيها وشوارعها الضيقة وميادينها المتسعة وأحياءها القديمة ، ومبانيها الحديثة ، وأقطع الساعات سيرا على قدمي ، ينقلني حي الى حي ، ويسلمني طريق الى طريق ، وبدأت أرى في الشوارع عجبا ، ففي الميدان الرئيسي بالمدينة تمثال كبير بالحجم الطبيعي لأحد قادة الثورة الاشتراكية بالاتحاد السوفيتي ، وفي ميدان آخر مطروقات بالنحاس تمثل صورا نصفية لأقطاب الفكر الاشتراكي ، وفي كل شارع أقواس ولافتات عليها عبارات وشعارات تحيي مناسبات اشتراكية ، أو ترفع شعارات اشتراكية « كلاسيكية » وفوق قوس كبير عبارة تحيي المؤتمر المنعقد في ذلك الوقت في الاتحاد السوفيتي .

— وبالتأكيد أنا لا أحمل عداء للتجربة السوفيتية فهي من أعظم التجارب الانسانية في القرن العشرين ، ولا يستطيع عاقل في هذا العالم أن ينكر أن السوفيت هم [illegible] المظلومين في عالم اليوم ، وأنهم أصحاب مواقف مشرفة في نصرة قضايا التحرر والقضايا العربية ، لكنها تظل تجربة إنسانية سوفيتية ، [illegible] في هذا البلد [illegible] في العالم الثالث [illegible] أو [illegible] ؟ ألم يكن أجدى [illegible] أن يكون مكان التمثال [illegible] ، واحتلال [illegible] داخل الفكر الاشتراكي كله ؟ وألم تكن شعارات حب الوطن وتأكيد [illegible] أهم كثيرا [illegible] من شعارات [illegible] ، [illegible]

[illegible]

تعابير يقرها المجمعيّون

بقلم : الدكتور حسن عباس

كثيرا ما يواجه الكتاب باعتراض النحويين عند استعمالهم ألفاظا وأساليب في التعبير ، لا يجد هؤلاء النحويون لها أساسا في قواعدهم ، ولا وجها من وجوه التصريف ، فيصدرون الفتوى ببطلانها ، وخطأ الأخذ بها . ولقد عكف رجال الاختصاص في مجامع اللغة العربية على تراكيب بعينها ، فدرسوها دراسات موسعة ، وأخضعوها لجدل ونقاش طويلين ، ثم أقروا استعمالها موضحين الأسباب .

١ - من على المنابر · قيل إن هذا الأسلوب في التعبير أسلوب خاطىء ، إذ كيف يدخل حرف الجر (من) على حرف الجر (على) ، ومن مقتضيات حروف الجر ألا تدخل إلا على الأسماء ؟ وقد جاء الرد في كتاب سيبويه نفسه ، قال : إن على تأتي على الحرفية ، ثم تأتي على الاسمية ، ولا تكون إلا ظرفا كقول العرب :

نهض من عليه ، أي من فوقه . ومنه قول الشاعر مزاحم العقيلي (وهو إسلامي) :

غدت من عليه بعد ما تم خمسها
تصل وعن قيض ببيداء مجهل

والشاهد في هذا البيت ورود (من) قبل (على) التي هي بمعنى فوق . وقد أخذ مجمع اللغة العربية في القاهرة بحجة سيبويه فيما ذهب إليه من جواز حرفية (على) واسميتها ، وأقر بصحة هذا الأسلوب من أساليب التعبير .

٢ - فلان عالما أكثر منه كاتبا

يستعمل الكاتبون هذا التعبير على ثلاث صور

أ - محمد خطيبا أعظمُ منه كاتبا . (نصب الوصف ، ورفع اسم التفضيل) .

ب - محمد خطيب أعظمُ منه كاتبا (برفع الاثنين) .

جـ - محمد خطيب أعظمَ منه كاتبا (برفع الأول ونصب الثاني)

أقر المجمع هذا الأسلوب بصيغته الأولى ، لأن هذه الصيغة هي التي تتفق مع اللغة ونصوص قواعدها .

٣ - جواز القول : « سار عبر البحار » أو « الصحاري » .

كان النصر حليف العرب في معاركهم عبر التاريخ .

مثل هذا أسلوب جائز صحيح ، أولهما على الحقيقة ، والثاني على المجاز بتشبيه زمن التاريخ بالمسافة البعيدة التي يقطعها المسافر .

أما لفظ « عَبْرَ » فهو ظرف حل محله المصدر .

أصل « العَبْر » تجاوز من حال إلى حـال ، لكن العبور مختص بتجاوز الماء . جاء في اللسان وعَبَرَ السفر عَبْرا شقه ، أي قطعه ، فإذا كان السفر هو قطع المسافة البعيدة ، فإن العَبْر إذن هو قطع المسافة البعيـدة ، وبناء عـلى هـذا يكـون التـركيب الأول صحيحا .

أما التركيب الثاني فهو صحيح كذلك ، بيد أنه جار على أسلوب الاستعارة المكنية القائمة على تشبيه زمن التاريخ السحيق بالمسافة الطويلة البعيـدة التي يقطعها العابر ، تشبيها مضمرا في النفس ، بجامع الامتداد والبعد عن طي لفظ المشبه به ، والرمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو (عَبْرَ) بمعنى عابر وإثباته التـاريخ تخييـل ، ويعـرب حـالا كـما في التـركيب الأول

٤ ـ من ذي قبل وأقر المجمع ما تجري به الأقلام في الاستعمال المعاصر كقولهم فلان أحسن من ذي قبل ، وقد درست اللجنـة المختصة هـذا التعبير ، فتبين لها أن الأصـل الفصيح فيـه أن يقال فـلان أحسن منه قبل ، وأن (ذي) هنا يمكن أن تكون إسماً موصولا معربا على لغة طيء والكلام على حذف مضـاف ، والتقديـر : حـال فـلان أحسن من التي قبل

أما المعاجم فتفسر العبارة على النحو التالي

تقول العرب . أفعل ذلك لِعَشرٍ من ذي قَبَل ، أو قِبَلَ . وتقول أيضا : لا أكلمك إلى عشرٍ من ذي قَبَلَ أو قِبَل بمعنى . إفعل ذلك أو لا أكلمك إلى عشر مما تشاهده من الأيام ، أي فيما تستقبل

يقال في معنى قَبَلَ . قبل العام والشهر قُبُولا ، فهو قابل خـلاف أدبر . وأقبـل بالألف ، فهـو مقبل ، والقُبُل اسم منه يقال . افعل ذلك لقُبُل اليوم ، أي لاستقبـالـه . أمـا « ذي » فلهـا ثـلاثـة من أوجـه الاستعمال ، فهي اسم إشارة للمفرد ، وهي اسم مـوصـول مشتـرك ، وهي اسم بمعنى صـاحب وتستبعـد من هـذا المجـال « ذي » التي لـلاشـارة والموصولة ، لأنها في العبارة تضاف إلى ما بعدها ، فلا يبقى إلا التي تكون بمعنى صاحب

أمـا العبارة المعـاصرة فتشبـه العبارة المـأثورة في الجوهر ، وتخـالفها في المعنى هـو أحسن من ذي قَبْل ، أو لقد تغير عن ذي قبل ، يقصد بذلـك أن المتحدث عنه أصبح في حال أحسن من التي كـانت قبلها

إن العبـارة الحديثـة تبدو مـولدة من القـديمـة ، ويرجع هذا التوليد من تصحيف كلمة قُبُـل ، فقد نطقت ساكنة الباء ، وحملت على أنها ظرف زمان ، ومهد لهذا التصحيف أن قَبْلا أقرب إلى الذهن وأكثر شيوعا من قُبُل المتحركة الباء □

همنغواي وإعادة القراءة

سئل الكاتب القصصي المشهور همنغواي عن عادته في إعادة قراءة أعماله ، وهل يسهم ذلك في تنمية أسلوبه الفني ، فأجاب همنغواي : إن إعادة القراءة تمكنك من رؤية نقاط الضعف ، ثم تسهم في مساعدتك على معالجة الموضوعات بطريقة أفضل من تلك التي تؤديها بدونها ، كما أنها تسهم دائما في مساعدتك على تكثيف الواقع ، وحشد جزئياته بطريقة أكثر فنية ، كما تساعدك في إثراء بعض الانفعالات التي تحس بأنك لم تعبر عنها بالطريقة المرضية .

جمال العربية

□ صفحة شعر
□ هكذا غنى الآباء

تغيّر حُسن الجَعفري

للشاعر : أبي عبادة البحتري

صاحب هذه القصيدة واحد من أبرز شعراء القرن الثالث الهجري إن لم نقل من أبرز مراء العربية ، إنه أبو عبادة الوليد بن عبيد بن ى البحتري ، نسبة إلى بُحتُر ، وهم بطن من ىء .

ولد في مطلع القرن (الثالث) على اختلاف في ـديد سنة الميلاد ، فهناك من يذهب إلى القول لادته في عام ٢٠٠هـ ، وهناك من يضيف إلى هذا تاريخ أربع سنوات ليغدو ٢٠٤هـ ، وهناك من ى أنه ولد في عام ٢٠٦هـ وهو الأرجح وقد اش عمرا طويلا ، امتد حتى عام ٢٨٤هـ ، قُدّر له ه أن يعاصر عددا من مشاهير الشعراء والكتّاب ، ن يمدح عددا من الخلفاء والولاة والقادة ، فعاش ابه الذكر ، ومات بعد أن خَلّف وراءه تراثا ـعريا ، لا يدانيه فيه إلا القلة من حيث جودة صنعة ، وجمال الصورة ، وروعة التشبيه ، عذوبة الجرس .

كانت ولادته في منبج التي لا تبعد كثيرا عن مدينة ـلب ولا عن نهر الفرات في شمال سوريا ، ولم يكن كف في صباه عن التردد على مدينة حلب ، ولم تنسه لاقامة في بغداد ـ لاحقا ـ ولا العيش في قصورها إلى جوار الخلفاء والوزراء والعلماء أيا من هاتين المدينتين ، فقد دأب على أن يُمَثّل هواهما في الذكرى كلما هزه الشوق إلى مرابع الطفولة أو ملاعب الصبا

ولهذه القصيدة مناسبة ، فقد كتبها البحتري في رثاء الخليفة العباسي المتوكل الذي قتل في عام ٢٤٧هـ ، وأبدى فيها حزنا ووفاء يجعلنا نفرق بين موقفه من المتوكل وحبه وإخلاصه له ، وبين موقفه من الآخرين ممن ارتاد قصورهم ومدحهم مديحا ذا طبيعة انتهازية ، تخلو من الصدق والوفاء ، إذ سرعان ما كان ينقلب على أحدهم إذا تبدل به الحال قيل إنه نظمها يوم مقتل المتوكل ، وفيها أبيات تؤيد هذا المذهب ، وقيل إنه نظمها بعد الحادثة بسنوات ، وفيها أبيات أخرى تعزز هذا القول ، ولا يتسع المقام هنا لتحقيق هذه المقولة أو تلك ، وحسبنا أن نشير إلى أن مقتله نجم عن مؤامرة كان ابنه المنتصر شريكا فيها

تروي كتب التاريخ روايات تذهب إلى أن الوزيرين عبيدالله بن خاقان والفتح بن خاقان دأبا على إقناع المتوكل بعزل ابنه المنتصر من ولاية العهد ، فأوشك أن يستجيب ، وعهد إلى ابنه المعتز

بالصلاة بالناس في يوم الجمعة ، حينئذ أدرك المنتصر أن الانتظار مُضيِّع للوقت ، ولِحَقِّهِ في الخلافة ، فائتمر بأبيه ، ودبر مع عدد من القادة الأتراك مؤامرة اغتياله ، والفتح بن خاقان الذي تصدى للدفاع عنه أما البحتري فقد كان حاضرا كما يرجح البعض لكنه احتمى عن الأعين

محل على القاطول أخلق داثرُه — وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره[1]

كأن الصبا توفي نذورا إذا انبرت — تراوحه أذيالها وتباكره[2]

ورب زمان ناعم - ثم - عهده — ترق حواشيه ، ويونق ناضره[3]

تغير حسن « الجعفري » وأنسه — وقوض بادي « الجعفري » وحاضره[4]

تحمل عنه ساكنوه فجاءة — فعادت سواء دوره ومقابره[5]

إذا نحن زرناه أجد لنا الأسى — وقد كان قبل اليوم يبهج زائره[6]

ولم أنس وحش القصر إذ ريع سربه — وإذ ذعرت أطلاؤه وجآذره[7]

وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكت — على عجل أستاره وستائره

ووحشته حتى كأن لم يقم به — أنيس ، ولم تحسن لعين مناظره

كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة — بشاشتها والملك يشرق زاهره

ولم تجمع الدنيا إليه بهاءها — وبهجتها والعيش غض مكاسره

فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت — هيبتها أبوابه ومقاصره[8]

وأين عميد الناس في كل نوبة — تنوب وناهي الدهر فيهم وآمره ؟

تخفى له مغتاله تحت غرة — وأولى لمن يغتاله لو يجاهره[9]

* * *

صريع تقاضاه السيوف حشاشة — يجود بها والموت حمر أظافره[10]

أدافع عنه باليدين ، ولم يكن — ليثني الأعادي أعزل الليل حاسره

---

(١) أخلق بلي ، داثره الذي درس وبلي ، تغاوره تغاوره

(٢) الصبا ريح الشرق ، النذر ما يوجبه الانسان على نفسه تبرعا تراوحه تهب عليه في العشي تباكره تهب عليه في الصباح

(٣) حواشيه جوانبه

(٤) قوض تهدم باديه ظاهره حاضره داخله الجعفري قصر المتوكل

(٥) تحمّل • رحل .

(٦) أجدّ جدد

(٧) السرب القطيع الأطلاء جمع الطلاء وهو الظبي الجآذر جمع جؤذر ، وهو ولد البقر الوحشي ذي العيون الجميلة

(٨) مقاصره حجراته ودوره الواسعة المحصنة

(٩) الغرّة الغفلة

(١٠) الحشاشة بقية الروح تقاضاه تطالبه

ولو كان سيفي ساعة القتل في يدي — درى القاتل العجلان كيف أساوره(١١)
حرام علي الراح بعدك أو أرى — دماً بدم يجري على الأرض مائره(١٢)
وهل أرتجي أن يطلب الدم واتر — يد الدهر والموتور بالدم واتره(١٣)
أكان ولي العهد أضمر غدرة ؟ — فمن عجب أن ولي العهد غادره
فلا ملي الباقي تراث الذي مضى — ولا حملت ذاك الدعاء منابره(١٤)
ولا وأل المشكوك فيه ولا نجا — من السيف ناضي السيف غدراً وشاهره(١٥)

أما عن مكانة البحتري في ميزان النقد المعاصر له فقد وضعه المتنبي في منزلة الشاعر الحق ، في حين وضع نفسه وأبا تمام في منزلة الحكماء حين قال أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري ، وهذه شهادة من شاعر العرب الأكبر لها قيمتها ، أما عن مكانة هذه القصيدة من شعر البحتري فقد قال عنها أبو العباس ثعلب . « ما قيلت هاشمية أحسن منها ، وقد صرح فيها تصريح من أذهلته المصائب عن مخوف العواقب »

وهي كذلك حقا ، فصدق العاطفة فيها باد للعيان . والشاعر لا يرثي الخليفة ومن مات فحسب ، بل رثى زمانا وعهدا أثيرين لديه ، قريبين من نفسه لقد تغير الحال بمقتل المتوكل ، فالقصر الذي كان بهجة للناظرين ، برقة حواشيه ، ونضرة عمارته ، وجنانه ، قد خيّم عليه الحزن والكآبة بعد رحيل أهله ، وغياب سيده ، وأي غياب !

لقد رآه الشاعر وهو يجود بالروح في لحظة كان فيها للموت سيف باتر يحصد الأرواح ، فهل يجدي مع ذلك البأس الشديد أن يدافع عنه باليدين ؟ أما وقد نفذ السهم ولم يكن يملك له دفعا ، فقد حرم على نفسه مجالس الأنس وشرب الراح ، فذلك أقل ما يقتضيه الوفاء . لكن الذي أذهله أنه لا يستطيع الشكوى ، فإن من كان يؤمل منه أن يثأر لأبيه ، وهو ابنه المنتصر ، كان ضالعا في المؤامرة ، شريكا في القتل

كان المتوكل ولي نعمة البحتري ، لذلك لا نجده يقتصر في رثائه على هذه القصيدة ، بل يذكره كلما وجد إلى ذلك مناسبة وإذا لم يرد ذكر الفتح بن خاقان وزير المتوكل وأديب القصر في هذه القصيدة ـ وكان قد جاد بالروح وهو يدافع عن الخليفة ـ فقد ورد ذكره في مواضيع أخرى ، حيث أورد له الحصري صاحب « زهر الآداب » بيتين يفيضان حزنا

مضى جعفرٌ والفتحُ بين موسدٍ — وبين قتيلٍ في الدّما ومُضرّجِ
أأطلبُ أنصارا على الدهر بعدما — ثوى منهما في التربِ « أوسي » وخزرجي

ولا تحفل هذه القصيدة برقة العاطفة وصدق المشاعر فحسب ، بل هي مهرجان للغة ، تبدي فيه زينتها ومحاسنها ، شأنها في ذلك شأن شعر البحتري بعامة ، فلقد كان البحتري رأس مدرسة في الشعر العربي ، هي مدرسة صفاء الديباجة التي تمتاز بجودة السبك ورقة الأسلوب ، والبعد عن الايغال في طلب المعاني ، فالبحتري نفسه يحدد خصائص هذه المدرسة في قصائده بقوله « هي نظام من البلاغة فريد ، يقوم على اختيار الألفاظ ، وتجنب التعقيد ، ثم يعمل على تركيب تلك الألفاظ المنتقاة تركيبا يسهل معه إدراك المعنى البعيد دون تكلف ومشقة إن هذه الخصائص التي تمتاز بها مدرسة الديباجة تبدو على خير ما تبدو في شعر الوصف ، وصف الطبيعة والقصور والآثار ، وذلك ما أبدع فيه البحتري إبداعا . □

---

(١١) أساوره . أواثبه . (١٢) المائر . الجاري . (١٣) واتر . ظالم موتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه
(١٤) ملي : متع . (١٥) وأل : طلب النجاة

قصـــة قصيــرة

أرقام فضية وأخرى حمراء

بقلم : ابراهيم زعرور

عفوا سادتي ، فأنا مضطر لتحذيركم منذ البداية بضرورة متابعة الحكاية حتى نهايتها ، وأحملكم مسؤولية التقصير كاملة ، فطالما حيتم طي في السابق عندما حذرتكم من الوقوع بمثل ما حدث معي ، لكنكم كنتم تضربون صفحا عني ، حتى وقعتم في المحظور

ما حدث لي أسجله هنا ، وهو عين ما يحدث لكل واحد منكم الآن بصورة أقل أو أكثر عنفا بدرجة أو درجتين على أعلى تقدير ، هذا على الرغم من أنني لا أعرف ما يحدث بالضبط

صدقوني ـ دون يمين ـ أني حتى هذه اللحظة ، وعلى الرغم من مرور ما يزيد على خمسة عشر عاما ما زلت أجهل مدى جدية العمل الذي أمارسه أو تفاهته ، لأنني ببساطة لا أعرف ما هي طبيعة عملي !!

صحيح أنهم يرهقوننا من السادسة صباحا حتى الرابعة بعد الظهر ، لكنني لا أستطيع أن أجزم برأي قاطع يحدد طبيعة عملي ، وقصارى ما أستطيعه هو أن أصف لكم ما يحدث حولي

ولا يمكن لأي مغرض أن يفسر جهلي هذا بقصور ذهني طارىء أو موروث ، فأنا كما تعلمون جميعا ـ دون حاجة لادعاء التواضع ـ كنت أستاذا في الفلسفة ، وكاتب قصة مبدع ، وكانت لي اسهامات نقدية جادة ، ومحاولات شعرية واعدة ـ كما كانوا يقولون ـ ورثتها عن والدي الذي كان شاعرا شعبيا ذائع الصيت ، بل كان « حداء » على وجه التحديد تكاد تستطيع أن تعثر بين مليون إنسان على شخص واحد يعجز مع كل هذه المواصفات أن يحدد لك طبيعة عمله

أنا أعمل في الصحراء أين ؟ لا أعرف أيضا فقد جرى انتقاؤنا بعناية تامة ، ثم جيء بنا إلى هذا المكان تحت جنح الليل ، وسلمونا لأناس لا أسماء لهم

جبابرة بجذوع عارية ، وسياط مجدولة ، يعرفون بأرقام فضية ، تتأرجح على صدورهم وفور وصولنا جعلونا ننزع قمصاننا ، وأعطونا أرقاما بلاستيكية حمراء ، علقناها في رقابنا وهكذا دخلنا المشروع وابتلعتنا الصحراء بسرعة صحراء من النوع الجهنمي ، تمتد كبحر لانهائي من حبيبات «السيليكون» النقي الجارح كالزجاج المجروش في البداية حلقوا رءوسنا ثم حقنونا بعقار يسمونه « الضد »

يحقنونك « بالضد » فيتساوى لديك سقوط الأزميل مع قطع الذراع !! ولا تعود تفرق بين جرش المنشار وتغريد العصفور تنخفض درجة الغضب لديك إلى الصفر ، وتختفي الدهشة من

لك الحديد ، فترى الأشياء والناس كتلا مجردة ات أبعاد مكانية ، وسرعات لا تخضع إلا لحتمياتها ياضية الصرفة ، ويصبح الزمن امتدادا مجرداً الة من الاستمرار الحتمي اللانهائي ، لا فرق فيه ، الليل والنهار .

بعد ذلك يعرضونك لمجموعة من الاختبارات ، مل الذكاء ودرجة الانفعال وحجم الدماغ لافراز الهرموني والقدرة على التخيل والتصور عدة الابصار ، اختبارات لا أول لها ولا آخر

عرضونا لأجهزة كشف الكذب ، وكشفوا عن رعة الاستجابة العصبية ، ثم أخبنا عن آلاف سئلة حول الأحلام والرغبات والصبوات لميول ، فعرفوا كل ما نشتهي وما نكره وكانت 'لات الحاسبة الجبارة تحيل كل هذه المعلومات إلى قام حسابية ، ثم تقوم بمعالجتها بالضرب والقسمة لجمع والطرح ، لتخرج في النهاية بتقدير نهائي التك الانسانية ، يأتي على صورة رقم حسابي مفرد ىيء على شاشة خاصة

فإذا ما كنت مواطنا صالحا وحصلت على رقم (٧) أنت العنصر المثالي العياري اللائق للعمل سرعان ما تجد نفسك بين أيدي المختصين المهرة ذين يأخذون بيدك للتدريب على العمل ، أما إذا د تقديرك أو نقص عن رقم (٧) فإنهم يخضعونك وع من العلاج لتسوية حالتك ، ويتحدد نوع علاج بمقدار الانحراف عن الرقم القياسي

كانت معظم النتائج تتراوح ما بين الرقمين (٥) و ١٠) ، وهي أرقام تقترب من المعدل على أية حال لا تدعو للقلق

لكن الكارثة كانت في حظي السيىء ، إذ كانت حصلة بياناتي رقم (١٩) ، وهو نفس الرقم الذي لما كرهته عندما كنت أحب الشعر والبادنجان المتبل رائحة البرتقال وابنة الجيران !

لاحظت القلق في وجوه المسؤولين ، ودب في ٱلات نشاط مضاعف ، وبعد التحري والتدقيق روا حقني بجرعة مضاعفة من « الضد » ، ثم عادوا فحصي واختباري وتفريغ بياناتي من جديد ،

فحصلت على رقم (١٨) وهنا ساد الذعر في وحدة الفحص التأهيلي ، وقرروا عزلي عن النور في جناح يسمونه « نَعْج » ، وهو الاسم المختصر لوحدة « الانصياع العصابي الجمعي » .

وهناك تداعى على الخبراء من كل حدب وكل ملة ، وجرت عملية مراجعة شاملة لمجمل أرقامي وبياناتي ، فتبين أن المعدات سليمة والقراءات لا تشوبها شائبة

- أي فاجر هذا الذي يصل جنوحه إلى رقم كهذا ؟؟

- ألا يكون ابليس متنكرا ، جاء يفسد مشروعنا الوطني ؟؟

وسألني كبيرهم الذي يحمل رقم (٧٧) بعد الجرعة الثالثة من « الضد » أن أمير ما بين القبلة والصفعة ، وأذكر أن إجابتي كانت كالتالي كلتاهما فعل ، إيجابي ، عضويّ ، إراديّ،ثنائيّ الطرف ، يصاحبه ارتفاع طفيف في درجة الحرارة

قال رقم (٧٧) . استجاباته صحيحة . وقابليته مناسبة

قال رقم (٧٠) أين الخطأ إذن ؟

قال رقم (١٠١) لا أدري ، لا أدري

وأنا لا أدري كيف اندفع الكلام على لساني فصرت أقول ألا يمكن أن يعزى الخلل إلى حبي للشعر والبادنجان ؟ ! فكما ترون إن حصيلة هذين العنصرين هي رقم (٢) فقط . الأمر الذي يجعل حاصل القسمة النهائية كبيرا على هذا النحو ؟

- اخرس

ثم اغلقوا فمي بشريط لاصق وهنا بدأت أشعر بجسامة المسؤولية إن عنصراً يحصل على رقم (١٩) هو إنسان خطير بالفعل ، لأن الدستور يسمح للمؤسسة بالتجاوز في حدود النصف إلى واحد صحيح زيادة أو نقصا عن المعدل العياري (٧) وحتى الحاصلون على رقم ثمانية ونصف أو حتى (٩) يمكن علاجهم فيزيائيا دون حاجة للجوء إلى العقارات أو التعريض للاشعاع

فالصيحات التي تنطلق من ذوي الأرقام الجانحة

أثناء معالجتهم جسديا ، سواء عوملوا بالسياط
ـيرها من الأدوات قد أعطت نتائج مدهشة .
ا كان يكفي في بعض الحالات مجرد التعرض
ـواتِ الحادة ذات التردد العالي بما لها من أثر
ري لا ينكر في تمزيق الحملة العصبية وإعادة
ـان ، بل إن بعض الاختصاصيين من المتفائلين
ـبون إلى حد بعيد ، ويعتقدون أن مجرد المثابرة
مشاهدة أفلام التوعية التقويمية التي يبثها تلفاز
ـز لحملة الرقم (٩) ـ تلك الأفلام التي تعرض
ـرا شتى للمعالجات الجسدية مع ما يرافقها من
ـحات تشخيصية ـ قد تفي بالغرض ، أما في مثل
لتي فإن الأمر يتطلب إظهار شيء من الجدية
ـرم

وهكذا جرى استئصال الجسم الصنوبري من
ـدة المخ ، فهبطت نسبة الكبرياء عندي إلى درجة
ـفر ، لكن حصيلة خصوصيتي ظلت على حالها ،
ـد إعادة الاختبار وحصولي على رقم (١٩) مرة
ـى حن جنون المسؤولين أمام تكرار الفشل في
ـيعاب هذه الحالة النادرة

ومن باب إحساسي بالمسؤولية ، وإظهاراً لحسن
ـة اقترحت عليهم أن يكشموا على جهاري العصبي
ـمبثاوي ، فاستجابوا لمبادرتي ، وجرى قص جميع
ـوائد العصبية ذات الارتباط العاطفي المباشر ، ثم
ـن باب الاحتياط ـ أتلفوا مراكز التحييل على
ـبي المخ

وعند إعادة الفحص وظهور رقم (١٩) مرة
ـى سقط أحدهم ميتا بالذبحة الصدرية ، وأغمي
ـى اثنين آخرين ، فيما راح كبيرهم يشد شعره
ـجهه بكلتا يديه ، ويطلق صرخات غير معتادة
كان الرقم (١٩) ثابتا على الشاشة ، مثل

الصحراء الثابتة حولنا ، الشاسعة الممتدة . بحر من حبيبات خشنة من أكسيد السيليكيون الزجاجي اللامع الملفوح بشمس عمودية حرارتها تفوق الوصف

كنت ما أزال أجلس أمام آلة الاختبار مفرغا من المشاعر تماما ، وكان في مواجهتي على بعد عدة أمتار باب نصف مفتوح دائما ، يؤدي إلى مخزن مهمل ، في واجهته البعيدة نافذة صغيرة ، تطل على الصحراء ، ووراء النافذة خزانات مياه صدئة ، ولا تنفك تنز الماء باستمرار خلف المبنى

كنت ما أزال أجلس أمام نفس الآلة في شبه غيبوبة ، أحدق في الفراغ ، وكانت الأشياء تحيق بي صافنة صماء محايدة . تفاصيل جامدة تمتد أمامي فوق جدار من الصمت تعلوه مئات الشاشات والأزرار والموصّلات ، ووراء ذلك باب نصف موارب ، ربما ترك سهوا ذات يوم ، يمضي إلى نافذة صغيرة في الجدار القصي لمخزن مهجور للمهملات تسللت الصحراء عبر النافذة ، وعبرت فراغ المخزن ، ثم دلفت من فرجة الباب ، ووصلت إلى عيني ، فتشوفت مدة ثانية واحدة ـ فيما يشبه الحلم ـ شجرة برتقال مزهرة وراء النافذة

كيف سمح لهذه الشجرة أن تخرق صمت المكان بهذه الرعونة ؟ ! أي طائر أخرق هذا الذي أسقط بذرتها عندما عامر باختراق دستور هذه الصحراء ذات يوم ؟ !

وفيما يشبه الهذيان وجدتني أسأل الخبراء حولي
كيف تستطيع شجرة كهذه أن تزهر في هذا المكان ؟

وعندما تلفتوا إلى حيث كنت أشير وقعت أعينهم عبر النافذة الضيقة على شجرة برتقال مزهرة ، فانفجروا بهستريا « إنها السبب ، إنها السبب » ، وسرعان ما انهالت عليها الفؤوس ضربا وتمزيقا ، فتهاوت شجرة البرتقال الوحيدة ـ ذات الأزهار البيضاء ـ بذهول

وما حدث بعد ذلك معروف لكم جميعا ، ولا حاجة لاثارة البلبلة بسرد التفاصيل □

كتاب الشهر

تأليف : الدكتورة ليلى ابو لغد / عرض : خالد عباس

بين أكتوبر ١٩٧٨ ومايو ١٩٨٠ كانت الباحثة الأمريكية الفلسطينية الأصل تقيم بين قبائل أولاد علي القاطنين في صحراء مصر الغربية لتتخرج بدراسة انثروبولوجية ميدانية عن هذا المجتمع شبه البدائي ، لكنها وجدت نفسها تقوم بمهمة إضافية هي دراسة فن الشعر الشفوي الذي ينتجه هذا المجتمع ، فكان الكتاب دراسة فريدة لهذا المجتمع البدوي الفريد .
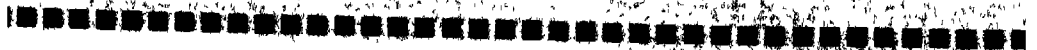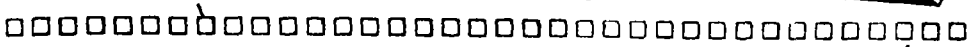
الكتاب الذي بين أيدينا صادر عن منشورات جامعة كاليفورنيا (١٩٨٦) في الولايات المتحدة الامريكية ، لمؤلفة عربية الاصل هي الدكتورة ليلى أبو لغد ، الاستاذ المساعد بقسم الانثربولوجيا في « ولياميز كوليج » ، بجامعة كاليفورنيا ، وعلى الرغم مما يستشعره القارىء في كتابها من ارتباط بالوطن العربي لكن عليه ألا يتوقع قراءة رؤية عربية بأحرف لاتينية مقدمة الى القارىء الغربي ، فهذه دراسة تتحد من المهج التحليلي القائم على تخطي حدود المجاملة والرصد المتجرد أساسا لها ، فيأتي حكم مؤلفتنا موصوعيا بالمفهوم الاكاديمي للبحث

مع أولاد علي

يقع هذا الكتاب في ثلاثمائة وسبع عشرة صفحة من القطع المتوسط ، وهو مقسم إلى جزئين رئيسين ، يتناول أولها أيديولوجية الحياة البدوية لمجتمع أولاد علي في صحراء مصر الغربية ، بينما يتعلق ثانيها بالحديث عن الشعر الشفهي لهذا المجتمع ، ومؤلفتنا لم تكتب دراستها من خلال زيارات ميدانية متقطعة وإنما من خلال معايشة وإقامة مستمرة خلال فترة ما بين اكتوبر ١٩٧٨ ومايو ١٩٨٠ ، مع أولاد علي ، ابنة وضيفة تشاركهم نمط حياتهم اليومية ، بما لايقارن مع ترف الحياة الامريكية وصخبها وبهذا استطاعت أن تصل الى مفاهيم البدو في تلك الصحراء الممتدة على مساحة خمسمائة كيلو متر من الحدود الليبية ، تستكشف عالمهم الاجتماعي ، وتتوصل الى اكتشاف أهمية الشعر في حياتهم الاجتماعية ، بل وتقدم دراسة في الانثروبولوجيا تعرض أغنى وأمتع ما كتب في العلوم العرقية وأصل الانسان وعالمه

تقول الدكتورة أبو لغد إن عالم البدو عالم احتماعي مترابط بشكل قوي ، العزلة فيه ممقوتة ، حتى أن أحدا لاينام بمفرده ، ومن يقضي وقته بمفرده يعتقد أنه عرضة لأن تهاجمه الارواح الشريرة (العفاريت) هذا المجتمع المتماسك اجتماعيا يمر بمرحلة تغير في طريقة المعيشة ، من حيث المسكن واستخدام التقنية ، كانتقال أفراده من الخيام الى المنازل وسماعهم لاجهزة المذياع والتسجيل ، وسفرهم في السيارات وسيارات الشحن ، إلا أن أولاد علي لاينظرون الى هذه الامور بانزعاج من فقد هويته كمجموعة حضارية ، لأنهم يعرفون أنفسهم ، وليس من خلال طريقة المعيشة في الاساس ، وإنما بمبادىء التنظيم الاجتماعي التي تحكم النظام القبلي القائم على « الاصل » والنسب والقربى ، والارتباط بنظام أخلاقي يقوم على الشرف والاحتشام ، فعالمهم الاجتماعي محكوم بهذه المبادىء التي تحدد هويات الافراد وعلاقاتهم بعضهم ببعض

إن العالم الاجتماعي لأولاد علي قائم على أيديولوجية القربى ، أي القريب في مقابل الغريب ، وهذا ما يثير أحاسيسهم وسلوكهم ، وتأتي قرابة الابوة في أولية لاتنازع وإن ايديولوجية القربى تشكل هوية الذات ، وتنظم العلاقات الاجتماعية اليومية وهي بؤرة اهتمام الباحثة خلافا لمعظم الانثروبولوجيين المهتمين بالعلاقات السياسية ، فأيديولوجية القربى ، وبخاصة مفهوم « الدم » ، هي تحديد للهوية الحضارية لجمعية أولاد علي ، وتشكيل لاتجاهاتهم الذاتية وعواطفهم تجاه الآخرين ، أما تنظيم الحياة السياسية فيتخذ شكلا من خلال هذه الايديولوجية

إن مبادىء مجتمع أولاد علي تستند على هذا المفهوم تعدد الأوجه الذي أشرنا إليه ، أي مفهوم الدم ، الدم يربط الناس بماضيهم وحاضرهم . وعلاقته بالماضي آتية من التسلسل النسبي ، فهو إذن أساس تعريف الهوية الحضارية (بل الأصل أو النسب) . هي نقطة ذات اهتمام كبير لأولاد علي ، فهم ينظرون لأنفسهم على أنهم عرب ، أسلافهم بنو هلال وفي الواقع تؤرخ بعض المصادر هجرة أولاد علي من ليبيا الى مصر مع نهاية القرن السابع عشر . وإن كانت مصادر أخرى تؤثر تحديد التاريخ بنهاية القرن الثامن عشر ومجتمعهم يمثل ما نسبته ١ / من سكان مصر . وهي نسبة بدأت في التضاؤل منذ القرن الماضي ، مصدر عيشهم أساسا رعوي ، قائم على تربية الابل ، والاغنام ، والماعز . علاوة على ممارسة بعض أنواع التجارة ، ولا تتأثر حياتهم المعيشية بالمنافسة الداخلية مع القبائل الأخرى التي تشاركهم طريقة حياتهم فحسب بل تخضع أيضا للظروف السياسية الخارجية والتغيرات الاقتصادية التي تؤثر على ليبيا ومصر ، وعلى الرغم من محاولات الاحتواء عبر الزمن من أيام محمد علي حتى الآن ، إلا أنهم يتمتعون بهوية حضارية مميزة ، وهم غالبا ما يشيرون إلى أنفسهم لا كبدو وإنما كعرب ، كما أسلفنا ولقد تبدل بهم الوضع الاقتصادي بعض الشيء فتوفر لهم النقد السائل من خلال التهريب أو بالعمل المشروع ، وبيع الاراضي والزراعة وقد أثر هذا على توزيع الثروات ومصدرها ، غير أن تفكك النظام القبلي من الصعب أن يكون وشيكا ، كما تراه الدكتورة أبو لغد ، وهي تدلل على ذلك بأنه على الرغم من انتهاء فترة الحكم العسكري في أواخر الخمسينيات ، فإن ادارة قطاع الصحراء العربية كانت هامشية محدثة طفيفة لتناسب التنظيم القبلي أما في التطبيق فالأمر مختلف ، فعلى سبيل المثال يصوت البدو على أساس الانتماءات القبلية في انتخاب ممثليهم للبرلمان ، وما يزال الشباب منهم يحاولون تحاشي التجنيد في الجيش المصري بالهرب إلى ليبيا أو الى الصحراء . ومعظم الخلافات يتم تسويتها عن طريق القانون العرفي ، أما في الجرائم الخطيرة مثل القتل التي لايمكن إبعادها عن السلطات ، فإن أحكام المحاكم الرسمية لايعتدها فيما بينهم ، بل إنهم غير متعاونين مع المحاكم وبذكاء أو بعدمه فإن معظم الناس يعيشون خارج إطار القانون ، تهريبا ، وعبورا للحدود المغلقة ، وحملا لأسلحة نارية غير مرخصة ، وتحاشيا للتجنيد ، وتجنبا للضرائب ، وعدم تسجيل للمواليد ، وعدم حمل هويات رسمية وتنفيذ العدل فيما بينهم بأيديهم ، أما الاعتقالات وأحكام السجن فلا تمثل سمة بالنسبة للبدو .

أيديولوجيا الشرف والحشمة

إن مجتمع أولاد علي يمكن فهمه من خلال منطق أيديولوجية الشرف والحشمة ، هذه الايديولوجية التي تخدم في ترشيد اللامساواة الاجتماعية ، والافضلية الاجتماعية والافضلية الاجتماعية أو النفوذ الذي يمثل منطق الشرف لايعتمد على القوة ، وإنما على إظهار الفضائل الاخلاقية التي تكتسب احترام الآخرين ، وتسيطر على الآخرين من خلال نظام يقوم على أخلاقية تكفل استمرارية النظام الاجتماعي والسياسي ، وإن أساس سلطة المرء واستقلاله الذاتي هو ما يمكن إدراجه تحت مصطلح الافضلية الاجتماعية ، لكن إذا كان الشرف عند الرجال نابعاً من فضائل متصلة بالاستقلالية الذاتية ، فهناك كثير من النساء ، بسبب اعتمادهن المادي والاجتماعي على الرجال يصادفن العقبات في جهودهن لتحقيق هذه المثاليات وترى أبو لغد أن طريقة النساء للتعبير عن الشرف في هذا النظام مختلفة ، فلكي يكون لهن قيمة أخلاقية فإنهن لابد أن يظهرن حشمة ، فالحشمة من جانب النساء أمر مهم لاظهار الاذعان للمتفوقين اجتماعيا ، لان النساء غير قادرات على الاندماج في النظام من خلال تجسيد قيمه العليا ، فمثلهم مثل الصغار والفقراء ، فهن يلجأن إلى إضفاء الشرف عليهن من خلال منطق العقل . وذلك المفهوم الاجتماعي المتوافق مع النظام

الاجتماعي للقبيلة ، فلا غرابة إدن أن المرأة التي تتحشم توصف أيضا بأنها « عاقلة » ، فالبدو يعتبرون النقاب (البرقع) مرادفا للحشمة ، وان وضع النقاب يمثل أكثر التصرفات المرئية مراعاة للحشمة ، ومع دلك فالنقاب أمر طوعي ، ووفق الموقف الاحتماعي لايفرصه الرحال فرضا ، وإن كان هناك من يفرضه فهن النسوة أنفسهن ، والنقاب بالنسبة لأولاد علي يفهم كمصطلح في مفردات لغة رمزية للتواصل مع الاخلاقية ، كما ترى د أبو لغد أنه في باطن كلمة « حشمة » يقع الخوف من مجابهة الأكثر قوة ، والوقوع تحت سيطرته ، وهي حالة مناقضة لمثاليات الاستقلال الذاتي والمساواة ، وإن التخفي والتحاشي ربما يمثل حماية صد كشف القصور في هذه المثاليات ، فالحشمة إدن تصرف احتياري يدل على الاستقلال ، ومن هنا فهو حرء من قانون الشرف ، وإنه استراتيجية شرف الضعيف المعتمد على غيره في مجتمع يقدر القوة والاستقلال الذاتي

ومن الواضح أن المبادىء الجوهرية المنظمة للحياة الاجتماعية والسياسية تظل ثابتة في مجتمع أولاد علي ، فالزيجات مثلا ما تزال مرتبطة بتاريخ تحالفات الزواج بين الافرع القبلية المرتبطة بالعائلات .

« الغناوي »

الجزء الثاني من الكتاب مخصص للحديث عن الشعر الشفوي لاولاد علي وبخاصة « الغناوي » تقول د . أبو لغد إن المرء لايستطيع أن يتحدث عن الحياة الذاتية لأولاد على دون أن يتكلم عن الشعر ، هذا الشكل التعبيري العالي القيمة والحيوية الذي يحمل الرسائل المؤثرة عن المشاعر والطريف في الأمر أن الباحثة لم تكن أصلا مهتمة بالشعر ، إذ تقول لم أكن مهتمة بالشعر ، جئت لادرس عينة ومعنى من العلاقات ، وبخاصة بين الرحال والنساء ، وبعد ذلك بدأت أتساءل مادا تعني هده القصائد ، ولماذا حظيت بالتقدير من البدو ، ولقد لاحظت أن الناس غالبا ما يعنون أو يقاطعون أحاديثهم بالقصائد القصيرة وهم جميعهم قد أظهروا اهتماما كبيرا بهذه القصائد ، وعالبا ما بدوا متأثرين عند سماعها ، وكان رد فعل النساء بهده القصائد مفتاحها الاول لأهمية الشعر كواسطة « للتعبير الذاتي » و « الاتصال السري »

وتلفت د أبو لغد انتباهنا الى أنها تعطي أولوية للقيمة الاحتماعية للشعر على الجوانب اللغوية ، سواء القيمة الشعرية أو التحليل البنائي ، أو الدخول في مقارنات مع الاشكال الاخرى للشعر العربي ، وإنما يهمها الدور الدي يلعبه الشعر في الحياة الاحتماعية للبدو ، فهي معنية بما يقول الناس عن تجاربهم من خلال قصائدهم ، وما أهدافهم من روايته ؟ ولمن توجه القصائد ؟ ومن هنا فهي تشارك في بعض الاهتمام الذي يوليه طلاب الادب الشفوي في التركيز على الذات (الفرد) والموقف الاجتماعي لرواية الشعر ، بيد أنه في التركيز على الفائدة الاجتماعية ، فإن هذه الدراسات أحيانا يقصر نظرها عن الجانب التعبيري للفنون كانعكاس للخبرات العميقة ، ولذا فإن باحثتنا تحاول أن تحافظ على كليهما

من بين الانثربولوجيين الذين كتبوا عن أولاد علي بيترز (١٩٦٥) الذي ذكر شيئا من الاغاني والشعر ، غير أنه لم يشرح أهميته ، أما الدكتورة أبو لغد فتدرك الشعر من خلال الحياة الاجتماعية البدوية أكثر من كونه قالبا منفصلا عن الحياة اليومية ، دلك لأن معظم الشعر الذي جمعته ـ جمعت ٤٥٠ قصيدة ـ كان يروى تلقائيا في سياق الكلام الاجتماعي فاستخدام القصيدة في الحديث اليومي ، ورد فعل الآخرين يشرح كثيرا من دور الشعر في الحياة

البدوية ، وإن أولاد علي يسرهم التعي والاستماع الى « الغناوي » ،وإنهم يولون اهتماما خاصا للرسائل المنقولة في الشعر ،ويتأثرون غالبا الى درجة ذرف الدموع نتيجة للمشاعر المنعكسة في الواقع وفي تعريفهم للقصيدة الجيدة يرون أنها هي تلك التي تحرك الناس عندما يسمعونها فيقولون « إن الشعر الجميل يجعلك تبكي » ، كما تلاحظ أن القصائد يمكن أن تؤثر في الآخرين لتغيير تفكيرهم وتصرفاتهم

ان الموهبة الارتحالية والقدرة على التلاعب بالتراكيب اللغوية لها قيمة كبيرة في الثقافة البدوية ، فالبدو حساسون لقوة عناصر النص الشفوي من طباق وجناس وإيقاع وغيرها ، وهم يعرفون كثيرا من القصائد التي تقال في المناسبات العديدة ، ومن هنا تكتسب القصائد الجديدة معنى من خلال وضعها في إطار العالم المشترك لمجتمع صغير متجانس حضاريا

« القول والغنيوة »

من أشهر أنواع الشعر الشفوي البدوي لاولاد علي « الغنيوة » التي تتميز عن الاغنية ذات الايقاع واللحن ، وهي تقريبا ترنيمة ، البدو أنفسهم يصنفونها مع الالوان الأخرى للشعر على أنها « قول » تقول أبو لغد إن « الغنيوة » قصائد غنائية مثل « الهيكو » اليابانية في القالب لكنها أقرب الى « البلوز » الامريكية في المحتوى والنغمة العاطفية ، وتتميز « الغنيوة » بوضوح في الشكل والمحتوى عن الأنواع الاخرى لشعر أولاد علي وأغانيهم ، فالانواع الاخرى تتألف عادة من أبيات شعرية عديدة ذات إيقاع ، وأحيانا ذات قافية ، بينما « الغنيوة » تتألف من بيت واحد ، يشمل حوالي ١٥ مقطعا . هي شعر العاطفة الذاتية ، إنها عن الاحاسيس ، أحاسيس الناس وعلاقاتهم الانسانية ، وإن العلاقات الذاتية خاصة علاقات الحب مع أشخاص من الجنس الآخر ، لها اهتمام كبير بين البدو ، إنها فعلا مركزية بالنسبة لايديولوجية الشرف والحشمة

إن رسائل الشعر في المجتمع البدوي العربي لها معناها العميق ، وهي مهمة جدا لفهم تجربة أولاد علي ، وتعتبر علاقات الحب مركزية بالنسبة للحياة الشعرية ، ويربط أولاد علي « الغنيوة » بالحب الرومانسي أكثر من ربطها بأي موضوع آخر في الرومانسيات البدوية يتكلم المحبون دوما بعضهم الى بعض من خلال الحب ، وهذه الرومانسيات لاينتج عنها في الغالب زواج ، فريجات الحب تعارض من حيث المبدأ ، لأنها تنتهك سيطرة العائلة على الزواج ، وتمثل مبادرة ذاتية ، ومن هنا فهي تحد للنظام ، وقبولها يمكن أن يشرع كقوة في الحياة الاجتماعية ، غير نابعة من علاقات القربى ومن أمثلة هذه الرسائل

عيب يا عزيز عليك
وتنساني وأنا دوم فاكرك

ويكون رد المحبوبة

القلب يا بعيد الدار
يمسي معاي ويبات عندك

وتقول الباحثة إن الرجال نادرا ما يغنون « الغناوي » ، لأنها مجال النساء ، فهناك ثلاثة موضوعات تميز القصائد السهر (مرتبط في الشعر البدوي التقليدي بالبكاء والاسى) ، والمرض (في السيكولوجية الشعبية نتيجة لأي عواطف سلبية) ، واليأس (الكلمة توحي بالشفاء اليائس أو الحزن المفرط) :

خطروا على غفلة
بكى العين في أوان الطرب

إن د . أبو لغد تستكشف من خلال دراستها العميقة كيفية فهم الحقيقة المتمثلة في أن الأفراد إنما يعبرون عن هذه الأحاسيس المختلفة تماما في الشعر وفي الحديث غير الشعري ، ومن خلال النظر في « غناوي » أولاد علي ، تبرز النقطة المركزية في العلاقات بين الحديث الشعري البدوي وبين حديث الحياة الاجتماعية العادية ، وهذه العلاقة التي لابد لنا من التعمق في ايديولوجية الحياة الاجتماعية لفهمها ، وهذا ما وفقت باحثتنا في الوصول إليه .□

من مكتبة العربية

لوحات تسرّ الخاطر

تأليف : الدكتور نعيم عطية

عرض وتقديم : عادل ثابت

مع بداية الثلاثينيات كانت أولى ملامح الفن التشكيلي المصري تتكون على أيدي الرواد الأوائل ، كمحمود سعيد ، ومحمد ناجي ، ثم تلاهما راغب عياد ، ومحمود مختار ، وآخرون ، ومع نهاية ذلك العقد كانت المدرسة المصرية في الفن التشكيلي تقدم مساهمة جيدة في هذا المجال ، على أيدي جورج صنين ، ورمسيس يونان ، وغيرهما .

ومنذ ذلك التاريخ لم يتوقف عطاء مصر الفني التشكيلي ، وهو العطاء الذي يتابعه هذا الكتاب .

في عام ١٩٠٨ تحققت فكرة إقامة مدرسة الفنون الجميلة بحي درب الجماميز ، بمنزل يملكه الأمير يوسف كمال الذي استجاب للفكرة ، وأنفق عليها من ماله ، وقد قام بعض الفنانين الاجانب المقيمين في مصر على رأسهم المثال الفرنسي « لابلاي » والمصور الايطالي « نورشيلا » بالتدريس في هذه المدرسة ، وكان من حسن الطالع أن يظهر من بين تلاميذها روادها الأول في العشرينيات وأوائل الثلاثينيات في هذا القرن ، اثنان منهم تمكنا من العبور خارج الحدود والتيارات « الأكاديمية » بفضل اتساع ثقافتهما ، هما محمود سعيد ، ومحمد ناجي ، كما كان من حظ هذه الحركة أن تمكن اثنان آخران من هؤلاء الرواد أن يفلتا من قبضة هذه التعاليم ، بفضل حسهما المرهف ، وروحهما المتوقدة ، وهما المثال محمود مختار ، والمصور أحمد صبري ، ثم انضم اليهما راغب عياد في بعض أعماله المتقدمة التي اتسمت بالطابع التعبيري ، ولولا تولي هؤلاء الرواد أمر التدريس في مدرسة الفنون الجميلة لظلت حركتنا الفنية أمدا طويلا تحت رحمة التيارات « الاكاديمية » الراكدة

على أن ظهور جماعة « الفن والحرية » بعد ذلك قد فتح باب التجديد على مصراعيه ، وكان للمعارض التي أقامتها وقع القنبلة في الأوساط الفنية ، على

غم من أنها كانت « سريالية » النزعة في صلبها ، ث كانت « السيريالية » أقوى حركات الفن العالمية ذلك الحين

وبوسعنا أن نقول إن جماعة « الفن والحرية » ت بمثابة البذرة التي انبثقت منها شتى النزعات حرى التي ظهرت منذ الحرب الأخيرة ، أما ماعة الثانية فهي تلك التي اختار أصحابها العودة لى الطبيعة وتقاليدنا الفنية العريقة ، فرأينا روادها بلون الوقوف أمام الروائع الفنية في متاحفنا تارة ، مام الطبيعة تارة أخرى ، ويعكفون على دراستها في ن وتأمل

وإمعانا في التقدير أسندت رئاسة جمعية محبي نون الجميلة إلى الأمير يوسف كمال ، وكان ؤساء من بعده هم محمد محمود خليل ، وعطا يفي ، وعلي لبيب جبر ، وجمال عبد الرحمن

ق جيل الرواد

كانت العشرينيات هي سنوات التألق لجيل الرواد ول ، بعد أن أنشأوا جماعة الخيال برئاسة مختار ، أجل ارساء دعائم فن قومي ، كما ظلت أعمال واد تتوالى على صالون القاهرة ، ويسمو معها النقد ني الذي وحد لغته وطريقه ومصطلحاته ، ليس ، النقاد المصريين فقط ، بل بجانب أسماء أخرى رة ، أصبحت مصرية بانتمائها وشعورها ، منهم ـورج صباغ ، وهرايت ، وزوريان ، سمونيان ، وهلبرت ، وبوركار سميكة ، ي ، وايما كالي عياد ، ومرغريت نخلة ، كما رت أعمال جيل آخر مثل سند بسطا ، وعزت ـطفى ، وأحمد يوسف ، وأحمد عثمان ، حريري

أما في الخمسينيات فنجد مواهب أخرى حالفها ـوفيق ، وتألقت خلال المعارض العامة والفردية ، ، الارناؤوطي ، ونداء الجزار ، وحسن سليمان ، ـوسف سيده ، وتحية حليم ، وعبد الرسول ، نادية سري ، وانجي افلاطون ، ثم تلا هذا يل جيل آخر من الشباب .

وتسقط مصطلحات ومفردات ليحل محلها مفردات من نوع آخر ، بنظرة جديدة تتألق ، وتنطلق عبر شباب جديد ، يحمل أفكارا ذات حداثة ، قد يحتمل إرث العراقة بداخلهم أو يكاد

بين هذه العراقة الفنية والحداثة مشوار طويل ، طوى بعضه صفحات النسيان ، بعضه الآخر ما زال يمسك بتلابيب الملعب متشبثا به ، بأفكاره ، بتجاربه ، مدافعا عنها ، رافعا أمامه راية النصر

من هذا المنطلق التاريخي الذي امتدت آثاره الطيبة إلى عمق الأقطار العربية منذ قرن مضى من الزمان ،

اختار الدكتور نعيم عطية الذي وقف على النقد التشكيلي حقبة من الزمن وما يزال اختار مجموعة من الفنانين التشكيليين الذين يمثلون مرحلة تاريخية على خريطة الحركة الفنية في استعراض مرهف الحس ، لين الأسلوب ، ليقدمه للقارىء العربي في كل مكان

لوحات تسر الخاطر

وتحت عنوان « لوحات تسر الخاطر إطلالة على أجمل الفنون » استعرض الدكتور نعيم عطية في

كتابه هذا الذي صدر عن دار المعارف في سلسلة «اقرأ» بنعومة ورقة، حلال ثلاثة وعشرين فصلا في ١٤٨ صفحة من القطع الصغير ، فنانين تشكيليين، مبرزا أهم جوانبهم المضيئة التي ألقت بظلالها الوارفة على حياتنا الفنية والثقافية قرابة ثمانين عاما مضت

وعرفانا واعترافا بالجميل الذي نعتز به جميعا مما حدث بين الفنانين الكبيرين يوسف كامل وراغب عياد ، بدأ الكاتب أول فصول كتابه ، مركزا على شراكة الكفاح التي تكونت بينهما ، فقد اتفقا فيما بينهما بعد تخرجهما على أن يقوم واحد منهما بعمله بالاضافة الى عمل زميله بالمدرسة التي يعمل بها مدرسا للرسم ، وقد التحق راغب عياد بمدرسة الاقباط الكبرى على حين التحق يوسف كامل بالمدرسة الإعدادية ، وذلك تمكينا له من السفر الى الخارج

ويرسل له زميله القائم بعمله مرتبه طوال مدة سفره للانفاق على نفسه في أثناء دراسته ، حتى إذا ما أتم دراسته وعاد الى وطنه حل محل زميله وقام بالتدريس مكانه ليتيسر له أن يسافر بدوره الى الخارج للاستزادة من المعلومات الفنية ، وقد تمكن الزميلان بذلك من استكمال دراستيهما في الخارج وقد كان لهذا العمل الرائع صدى عطيما في النفوس ، وصار موضع حديث الجميع ، كما أسهبت في الحديث عنه الجرائد والمجلات المصرية والاجنبية على السواء

موعد مع المنظر الطبيعي

« حسني البناني وموعد مع المنظر الطبيعي » هو عنوان الفصل الثاني في هذا الكتاب ، وقد دار حوار بين الكاتب والفنان حسني البناني سأله خلاله عن فلسفته في المنظر الطبيعي، بما عرف عنه من أنه فنان المناظر ، فأجاب « اني أبدأ من الواقع ، ومن الطبيعة أعمد الى تصعيد اللون ، إن الاضاءة في الطبيعة متغيرة ، ولهذا فإنني أظل أحوم حول المنظر حتى أضبط اللحظة التي تكون فيها الاضاءة في قمتها »

ثم استعرض د نعيم عطية في الفصل الثالث من هذا الكتاب عنوانه « رمسيس يونان وحوار المستحيل » انتاجه في السبع سنوات الاخيرة من حياته ، حتى كاد أن يجعلك تشعر بأن الفنان قد بلغ الذروة التي تؤهله لان يدخل في حوار ضار مع المستحيل فقد أراد رمسيس يونان إن يجمع في لوحاته الأخيرة كل المتناقضات ، ويطوعها لتنتظم معا في عقد سلس رصين ، فتحس في هذه اللوحات بكل القدم التليد الذي يزين مصر ، وبالتقدم السريع لهذا العصر بالاشكال التي تقترب من أن تكون هندسية دون أن تتردى مع ذلك في الهندسية . بالحركة والسكون ، بالهدوء السائد على السطح والقلق الدفين في الاعماق ، بالخصوصية والموضوعية ، بالبنيات المعتمة والاضاءة السحرية ، بالمشهد الطبيعي واللامشهد على الاطلاق

ويتلو رمسيس يونان،سعد كامل الذي ولد في شبين الكوم عام ١٩٢٤ ، ومضى بعد ذلك في الظل مغمورا ، لايلتفت اليه أصحاب الايدي الناعمة والياقات المنشاة مرتادو الصالونات ، فانزوى هذا الفنان إلى حوار أنواله وأحباره وأصباغه وخيوطه وأدوات الطباعة والحفر التي شغلت حيز « الجراج » القائم في أقصى الحديقة بعيدا عن بيت الاسرة في العمرانية على طريق الهرم بالجيزة ، وعلى الرغم من عدم الاستحسان الذي كان يلاقيه من الاب مهندس المساحة الا أنه سافر الى روما وباريس في بعثة من عام ١٩٥٠ الى ١٩٥٣ ، وفي عام ١٩٥٤ أقام معرضا خاصا ، اعتبره النقاد على حد قول الناقد حسين بيكار « قد أعاد الروح الى جسم محنط ، فأصبح له نبض وشهيق وزفير »

رموز من الحياة الشعبية

وقد استمد سعد كامل من الحياة الشعبية اليومية عدد لابأس به من رموزه التشكيلية ، كالحمامة رمز السلام والوئام ، والشجرة رمز الاخضرار والبقاء ، والنجمة رمز العلو والمطالب البعيدة المنال، وهناك أيضا النخلة وهي رمز مصري قديم ، يومىء الى الخصب والرخاء ، كما يرمز الى الشموخ والرفعة

، والسمكة التي ترمز الى العطاء والنسل

، لوحات هذا الفنان الشعبية يتكرر رسم
ـ ، فاذا امتطى الفارس صهوة أسد فنحن إزاء
سالم الذي شاع عنه أنه كان يفعل ذلك .
ـ الشارب المفتول في الوجه الصبوح ذي
اللتين لاتطرفان الى الرجولة الواثقة من نفسها
ث في الآخرين الأمان
ـ السيح الشعبي يستقي سعد كامل وحدات
ـ كثيرة ، كالدائرة والمثلث المربع ، يملأ بها
ات ، فتتدفق اللوحة بالحيوية والحركة والثراء
لادوات
انتقل الكاتب ليتابع رحلة الفنان حامد ندا التي
ـابة الثلاثين عاما من الالوان والخطوط ، فقد
هذا الفنان منذ تاريخ مبكر مسار يقظة الوعي
لي في مصر الحديثة ، وقد استرعت لوحاته منذ
ينيات من هذا القرن الانتباه بولائها « للروح
ة » وقد نفذ حامد ندا إلى قلب الحياة الشعبية
ل خط من قلمه ، ثم أول ضربة من فرشاته .
تركيزه على البيئة الشعبية أنظار النقاد
ـب ، فبدءوا يكتبون عن هذه النزعة الاصلية
ـة وإعجاب لابد أن نذكر أن هذا الفنان كان
ن سائر « جماعة الفن المعاصر » ومن بينهم عبد
الجزار في اكتشاف « الموضوع الشعبي » ،
حد بدافع من الصور التي اختزنها العقل الباطن
ابة » في البيئة الشعبية ، على حين اتجه سائر
لى البحث عنها في الطبيعة وفي العقل الباطن ،
تحت تأثير « السيريالية المعاصرة »
ـل من يتابع تطور أسلوب حامد ندا منذ
ـه الأولى الى مرحلته الثانية التي بدأت تتبلور
ـلى منذ عام ١٩٥٥ ، لعله يتبين كيف أن
ـه لم تتغير ، فهو ما زال يصور ابن البلد وبنت
ن واقع البيئات الشعبية ، لكن انعكاس الزمن
ان سن التطور قد جعلا مظهر هذه الشخصيات
ها أيضا يتبدل ذلك التبدل الذي تجلى في
ـ ندا ، فتحول من أسلوب جامد مقفل الى
ـ انسيابي غنائي ، ازداد تفتحا ، فازدادت

ألوانه بهجة وخطوطه ليونة

دراما الانسان

ويوالي الكاتب استعراضه بعد ذلك في فصول الكتاب المتعددة عن صمت الفنان صبري منصور ، وإعراضه عن الصخب الزائف ، ولوحاته التي لاتعطي سرها لأول نظرة ، وموضوع «القرية » الذي تناوله منذ صباح الباكر ، كما دخلت عناصر ومفردات جديدة في أعمال الفنان صبري منصور منذ عودته في صيف ١٩٧٨ من بعثته الفنية الى اسبانيا ، فبعد أن كان الشكل ساكنا صامتا بدأت الحركة والايماءات تظهر بوضوح على الاشكال

أما الفصول التالية للكتاب فضمت فنانين عديدين ذوي تاريخ بعيد في ممارسة الفن ، وفنانين أحرارا أو دارسين أو يقومون بالتدريس في بعض كلياتنا ومعاهدنا الفنية

فعرض مؤلف الكتاب لاعمال الفنان « علي دسوقي » فنان الباتيك ، وزينب عبد العزيز ، وضياء سيناء ، وسيد سعد الدين صانع الاحلام ، وكمال السراج ، وفرغلي عبد الحفيظ ، وداوستاشي والزخارف الحوشية ، والبهجوري شاعر الحياة اليومية ، وصفوت عباس « ورومانتيكية » القبح ، وعز الدين نجيب واللعبة ، ومصورات في عالم المرأة انجي افلاطون ، وتحية حليم ، ومرغريت نخلة ، وعفت ناجي ، وخديجة رياض ، وزينب عبد الحميد ، وجاذبية سري ، ومريم عبد العليم ، وآمال معتوق ، وليلى عزت

ولم ينس المؤلف فناني الاسكندرية ، فقد أطلق على هذا الباب اسم « البحر الأسود ودراما الانسان » ، وضم هذا الفصل كلا من الفنانين عادل المصري ، وأحمد عزمي ، وفاروق شحاتة ، ثم تحدث عن موريس وفاسيلا فريد ، ورباب نمر ، وعادل السيوي ومنفاه الاختياري ، وأحمد زغلول فنان عائد الى الوطن ، وبحار أزميرالدا حداد، ثم ختم المؤلف كتابه بدراسة وافية عن الكليم من خلال الفنان سعيد الوتيري □

مكتبة العربي

الكتاب رواية الكويت ـ ملحمة التاريخ لا تنسى
المؤلفة نورية السداني
الناشر مطابع القبس ـ الكويت
عدد الصفحات ١٥٥ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٧

نورية السداني التي عرفت باعتبارها إحدى نشيطات الحركة النسائية في الكويت منذ بداياتها، وكاتبة تؤرخ لهذه الحركة في الكويت والخليج العربي تدخل تجربة جديدة هذه المرة، إنها قصة الكويت منذ كانت حصنا صغيرا قريبا من البحر، حتى تحولت الى دولة عربية، تشارك في صنع أحداث الوطن الكبير

وقد اختارت الكاتبة شكل الرواية أو القصة، فصاغت خلاله أحداث الكويت كلها منذ كانت مجتمعا بسيطا، يغلب عليه طابع البداوة، حتى أصبحت دولة لها مؤسساتها وبنيانها المتين أبطال القصة هم رجالها القدماء والمحدثون، من رجال سياسة وعلم وثقافة وتربية

■ ■

الكتاب شخص غير مرغوب فيه ـ شعر
المؤلف سميح القاسم
الناشر دار الكلمة ـ بيروت
عدد الصفحات ١٢٧ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٦

آخر كتب الشاعر الفلسطيني سميح القاسم الشعرية، يضم سبع قصائد، معظمها قصائد طويلة، ذات نفس ملحمي، تتعالى فيه أصوات مختلفة، بألوان مختلفة من فن الشعر الذي يأخذ عند هذا الشاعر شكل الحزن العاصف

من أول قصائد الديوان ـ القصيدة الممحاة ـ حتى القصيدة الأخيرة التي حمل الديوان اسمها يخوض الشاعر مغامرة شعرية مع شكل القصيدة وموضوعها. فعلى مستوى الشكل مزج القاسم بين قصيدة التدوير والقصيدة التقليدية وقصيدة النثر في إطار القصيدة الحديثة الواحدة، وعلى مستوى الموضوع تنوعت مناحي القصيدة، وتوزعت على قصيدة الرثاء، وقصيدة الحب، وقصيدة العصر الذي غطت بربرته أشعار الديوان كله

■ ■

الكتاب الزمن الأصفر
المؤلف دافيد غروسمان
ترجمة سلمان الناطور
الناشر دار الكرمل للنشر والتوزيع ـ عمان
عدد الصفحات ٧٩ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٧

هذا الكتاب في الأساس تحقيق صحفي، قام به الصحفي الروائي «الاسرائيلي» دافيد غروسمان عن «العرب تحت الاحتلال واليهود الذين يمارسون الاحتلال»، وقد نشر التحقيق أول مرة في مجلة «اسرائيلية»، فأحدث ضجة في الأوساط اليهودية داخل «اسرائيل» وخارجها، لم تهدأ بعد وقت طويل، وما لبث التحقيق بعد ذلك أن تحول إلى كتاب، ترجم إلى الانجليزية، ثم نقله إلى العربية الكاتب الفلسطيني سلمان ناطور المقيم في الأرض المحتلة

والكتاب سجل للحقد والكراهية التي يكنّها العرب للمحتلين، وبخاصة للمستوطنين، وهو في

الوقت نفسه سجل للممارسات الفاشية ، وللمعاملة غير الانسانية التي يلقاها السكان العرب في الأرض المحتلة

* *

الكتاب   عرار   الشاعر اللامنتمي
المؤلف   د   أحمد أبو مطر
الناشر   دار صبرا للطباعة والنشر ـ دمشق
عدد الصفحات   ٢٦٩ من القطع الوسط
سنة النشر   ١٩٨٧

الطبعة الثانية من كتاب الدكتور أبي مطر حول الشاعر الأردني مصطفى وهبي التل الذي عرف باسم عرار ، والذي عاش حياة بوهيمية متنقلا بين المدينة وحيام (النَور) « عصر الأردن بين عامي ١٨٩٧ ـ ١٩٤٩ »

والكتاب دراسة لآثار الشاعر التي توزعت على شعر الغزل والخمريات والشعر الاجتماعي والشعر السياسي ، والذي يمكن أن يدرج بأجمعه تحت باب الرفض الذي كان سمة الشاعر المميزة ، والذي دفعه الى رفض كامل لمجتمعه آنذاك ، والالتجاء إلى فئة منبوذة اجتماعيا ، هي فئة النَور أو الغجر ، حيث عاش بينهم ، ودافع عن مسلكهم في الحياة ، وهاجم مستغليهم ومضطهديهم ، وتغزل بنسائهم في معظم أشعاره التي لم تلق الكثير من الاهتمام من جانب النقاد أثناء حياته

* *

الكتاب   مصادر الأدب الفلسطيني الحديث
المؤلف   الدكتور محمد عبدالله الجعيدي
الناشر   دار الفجر ـ بيت المقدس
عدد الصفحات   ٢٢٦ من القطع الكبير
سنة النشر   ١٩٨٧

يتضمن هذا الكتاب للدكتور محمد عبدالله الجعيدي الأستاذ الفلسطيني بجامعة مدريد خمسة أقسام ، الأول دراسة لتاريخ تطور الكتاب الأدبي الفلسطيني ، والثاني قائمة بكتب الابداع الفلسطيني من شعر ونثر فني ومقال ، والثالث للدراسات حول الأدب الفلسطيني ، والرابع للدراسات العامة التي تتناول الأدب الفلسطيني في إطار تناولها للأدب العربي

وقيمة الكتاب الأساسية تأتي من كونه كتاباً مرجعيا للانتاج الأدبي لشعب في الشتات ، وهو أحد كتب قليلة في هذا المجال ، تقدم للباحث والقارىء خدمة كبيرة

* *

الكتاب   نظرية الوحدات في المحاسبة المالية والتكاليف وحسابات المخازن
المؤلف   محمد سيف الدين طه
الناشر   مؤسسة دار الكتب ـ الكويت
عدد الصفحات   ٤٦٤ من القطع الكبير
سنة النشر   ١٩٨٦

هذا الكتاب هو الأول الذي يحمل نظرية جديدة في المحاسبة المالية والتكاليف وحسابات المخازن ، فضلا عن نظرية القيد المزدوج المتبعة في علوم المحاسبة حاليا   ومن نظرته التي تعتمد على الوحدة بدلا من المدين والدائن يؤدي الى اختصار الوقت والجهد وضغط المصروفات وسرعة اتخاذ القرار في الوقت المناسب ، وكما أن النظرية لها تأثير على الوحدة الحسابية فقد تطرق مبتكر النظرية في الباب الرابع من كتابه الى تأثير النظرية في الاقتصاد العالمي ، وسعر الصرف المتبع حاليا ، وبهذا يعد هذا الكتاب أول كتاب يصدر في العالم عن مفهوم محاسبي واقتصادي جديد ، ونظرة مختلفة لما هو متبع حاليا □

■ إذا شئت أن تعد كذابا فقل دائما الحقيقة

(لوغان ب   سميث)

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٥٥

يونيـــو ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاحابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المشورة ، ترسل الأحابات على العنوان التالي
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٥٥ » ، وأحر موعد لوصول الاحابات الينا هو ١٥ يوليو ١٩٨٨

١ - في أي المساحد التالية أقيمت أ[ول] مئذنة في الإسلام ؟
* المسحد النبوي في المدينة
* الحامع الأموي في دمشق
* المسحد الأقصى في بيت المقدس

٢ - أي المسحدين التاليين بي قب[ل] الأحر المسحد الأقصى في بي[ت] المقدس أم المسجد النبوي في المدي[نة] المنورة ؟
* المسحد النبوي فهو ثاني الحرمي[ن] والمسحد الأقصى ثالثها
* المسحد الأقصى إد يعود بناؤه ا[لى] أقدم عصور التاريخ

٣ - يوحد في استابول حامع السلطا[ن] أحمد الأول وحامع السلطان حسن ترى أي الحامعين أقدم عهدا وأيهما أك[بر] مساحة ؟

٤ - أعلى المآدن في العالم يبلغ ارتفاعه ١٣٧,٤ متراً فأين توحد هد[ه] المآذن ؟
* في المسجد الجديد بماليزيا
* في حامع السلطان حسن
* في الحامع الأزهر

٥ - ما الفرق بين المئدنة والصومعة ؟
* لا فرق بينهما ، فالمئذنة والصومعة

والمنارة واحد
* الصومعة كالمئذنة ولكنها خاصة بالكنائس لا المساجد
* الصومعة كالمئذنة ولكنها خاصة بمعابد اليهود

قبة الصخرة أو مسجد قبة الصخرة في بيت المقدس بناه الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان قبل نحو ١٣٠٠ سنة ترى لماذا بناه ؟
* لإيواء الصخرة المقدسة والمحافظة عليها
* ليكون مسجدا جامعا يصلي فيه الناس
* لكي يحج الناس اليه بدلا من الكعبة

اشتهرت قرطبة عاصمة الأندلس بجامع قرطبة الذي يعود انشاؤه الى سنة ٧٨٥م ترى من أنشأ هذا الجامع ؟ عبدالرحمن الداخل أم عبدالرحمن الثاني

٨ جامع القرويين في فاس مضى على بنائه أكثر من ألف عام لِمَ سمّوه جامع القرويين ؟
* نظرا لكثرة السكان القرويين في الحي الذي أقيم فيه
* لأن قرويي منطقة فاس هم الذين بنوه بأموالهم

* الاسم محرف أو مخفف عن الا
الأصلي وهو جامع القيراويين

٩ الجامع الأموي موجود في دمشق ك
معروف فأين يوجد جامع التوار

تاج محل يعتبر من أجمل المباني في
كله إن لم يكن أجملها دون منار
وتيمورلنك يعتبر من أبطش قواد الت
إن لم يكن أبطشهم اطلاقا ومع
فثمة صلة تجمع بين النقيضين
هذه الصلة ؟
* شاه جيهان باني تاج محل كا
أحفاد تيمورلنك
* بنى تاج محل على غرار الض
الذي بناه تيمورلنك لنفسه
* أعجب تيمورلنك بتاج محل
ببناء ضريحه على غراره

١١ ماهو أكبر جامع بني في الإسلا
اطلاقا ؟

١٢ الجامع الأزهر هو مسجد لل
وجامعة لتلقي العلم في آن معا
المساجد التالية يشبه الأزهر في ذلك
* جامع الزيتونة
* جامع القرويين
* الجامع الأموي

حل مسابقة العدد ٣٥٢

مارس ١٩٨٨

١ بلغت تكاليف مقر الطب الاسلامي في الكويت أكثر من ٦,٥ ملايين دينار كويتي وقد افتتحه سمو أمير الكويت سنة ١٩٨٧ ، ويعتبر بحق آية من آيات فن العمارة الاسلامية

٢ مكتبة الكونجرس في واشنطن هي أضخم مكتبة في العالم بلا منازع ، تبلغ مساحتها ٦٤ فدانا وطول رفوفها ٨٥٦ كيلومترا والأهم من ذلك أن مجموع ما فيها من كتب ومراجع ومخطوطات يبلغ (٨٥) مليونا

٣ قصر سلطان بروناي هو أضخم القصور السكنية في العالم اكتمل بناؤه في عاصمة السلطنة سنة ١٩٨٤ وبلغت تكاليفه نحو ٣٠٠ مليون جنيه .. يبلغ عدد غرفه (١٧٨٨) غرفة ويتسع مرآبه لسيارات السلطان البالغ عددها (١١٠) سيارات .

٤ مبنى وزارة الدفاع الامريكية (البنتاجون) هو أضخم مباني الوزارات أو الدوائر الحكومية في العالم يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه الخمسة ٢٨١ مترا وتبلغ مساحته الاجمالية (التي تشمل أدواره الخمسة) ٦٠٤,٠٠٠ أمتار مربعة . يحتوي على ٧٧٤٨ نافذة و (٤٤٠٠٠) جهاز تلفون ويبلغ عدد العاملين فيه ٢٩٠٠٠ نسمة ، أما تكاليفه فقد بلغت (٨٣) مليون دولار

٥ دار الأوبرا في سيدني باستراليا هي المبنى الأول الذي صممه المهندس الدنماركي (يورن اوترون) لقد كلفت هذه الدار (١٠٢) مليون دولار استرالي أي ١٤ ضعف تقديراتها الأولى

وتحتوي هذه الدار على قاعتين رئيسيتين ، احداهما للحفلات الموسيقية ، وتحتوي على (٢٦٩٠) مقعدا والأخرى خاصة بالاوبرا والباليه والمسرحيات وتحتوي على ١٥٤٧ مقعدا

٦ ناطحة سحاب سيرز في شيكاغو هي ناطحة السحاب العليا في العالم يبلغ ارتفاعها ٤٤٣ مترا واكتمل بناؤها سنة ١٩٧٤ ، اما مركز التجارة الدولية في نيويورك فقد كان ناطحة السحاب الأولى في العالم حتى سنة ١٩٧٤ وقبل مثل ذلك في الأمبير ستيت في نيويورك التي احتلت المكانة الأولى بين ناطحات السحاب

٧ أغلى فنادق العالم يوجد في اسبانيا (ماربلا دينامار) فهو يتقاضى ٣٠٠٠ دولار عن كل ليلة يقضيها المرء في أحد أجنحته ولا يؤجر أجنحته الا لمدة ثلاثة شهور على أقل تقدير .

٨ فندق هيلتون لاس فيجاس (نيفادا في الولايات المتحدة) هو أضخم فنادق العالم التجارية يحتوي على ٣١٧٤ غرفة و ١٣

قاعة دولية للطعام وتبلغ مساحة هذا الفندق ٦٣ فدانا (٢٥,٥ هكتارا)

٩ ديربي لاند في كاليفورنيا هي المدينة الترفيهية الاولى في العالم من حيث الاقبال عليها وقد بلغ مجموع زوارها ٢٥٠ مليون نسمة وذلك اعتبارا من تأسيسها سنة ١٩٥٥ وحتى ٢٤/٨/١٩٨٥

وتجدر الاشارة الى أن المدينة الترفيهية الكبرى في العالم هي ديربي وارلد في اورلندو بفلوريدا وقد بلغت مساحتها (٢٨٠٠٠) فدان

١٠ أعلى برج في العالم هو برج كندا القائم في ميدان المترو في مدينة تورنتو فهو يبلغ ٥٥٥,٣٣ مترا من حيث الارتفاع ويحتوي على مطعم مرتفع (٣٤٧,٥ مترا) ويتسع (٤١٦ مقعدا) وقد بلغت تكاليفه ٤٤ مليون دولار والمقصود هنا الأبراج المستقلة المبنية بالاسمنت المسلح أو ما الى ذلك

١١ أسرع مصاعد الركاب في العالم يوجد في اليابان وبالتحديد في بناية (صنشاين ٦٠) في طوكيو اذ تبلغ سرعته ٦٠٩,٦ أمتار في الدقيقة الواحدة على أن هذه السرعة تقل قليلا بعد تجاوز الدور الستين من البناية (٢٤٠ مترا) أما الشركة التي صنعت هذه المصاعد والتي تتولى ادارتها فهي شركة متسوبيشي

١٢ دمشق هي التي شهدت مؤخرا ظهور مكتبة ضخمة جدا (مكتبة الأسد) ، ولعل مبنى هذه المكتبة هو أضخم مباني المكتبات في الوطن العربي كله .

الجائزة الاولى محمد بن سالم بن ناصر الوسعيدي / سلطنة عمان

الجائزة الثانية صفوان عبدالغني محمود / عمان - المملكة الاردنية الهاشمية

الجائزة الثالثة محمد بن محمد / حريكة - المملكة المغربية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - محمد مصطفى الجبوري / بغداد - الجمهورية العراقية
٢ - أحمد محسن صالح الرماح / صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية
٣ - حسن محمد أبونعسه / القاع - الجمهورية اللبنانية
٤ - محمد عطيه محمد نور / دمشق - الجمهورية العربيه السورية .
٥ - مليكة صلاح / ولايه تيارا - الجمهورية الجزائرية
٦ - أنور محمد الهذير / الكويت / الصليبية
٧ - محمد كامل أحمد أبوسعدة / بورسعيد - جمهورية مصر العربيه .
٨ - حازم قاسم حمودة البنا / المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

شكل (١)

يخيّل للبعض أن ارتكاب الأخطاء الفاحشة في الشطرنج يقتصر على المتدئين والأغرار من اللاعبين ، وعلى الرغم من أن هذا الاعتقاد صحيح في الغالب الأعم إلا أن كبار اللاعبين من صفوة أبطال العالم - بغض النظر عن قدراتهم الفائقة في التخطيط والتحليل الدقيق للمواقف ، وتخيل ما ستكون عليه هذه المواقف بعد عدد كبير من النقلات - يرتكبون أحيانا من الأخطاء الفادحة ما يعجب له ويحتار فيه حتى صغار اللاعبين ، ففي بطولة العالم قبل الأخيرة المقامة في العاصمة السوفيتية بين بطل العالم حينئذٍ أناتولي كاربوف ، ومتحديه بطل العالم الحالي جاري كاسباروف ، ارتكب كاربوف في الجولة الحادية عشرة في النقلة الثانية والعشرين من الدور خطأً جسيماً ، لم يعهد عنه من قبل ، ودون مبرر يشفع له على الإطلاق ، فبعد أن نقل الأبيض وزيره إلى ز٤ (الشكل ١ أعلاه)

نقل كاربوف رخ الوزير إلى د٨ حماية للرخ الآخر ، وهنا بدأت الكارثة .

٢٣ و×د٧ (تضحية رائعة)	ر×د٧
٢٤ . ر-هـ٨+	م-ح٧
٢٥ . ف-هـ٤+	يستسلم
لانه لو لعب ز٦	
٢٦ . ر×د٧	ف-أ٦
٢٧ ف×ج٦	و×ج٦
٢٨ . ر×و٧ (مات)	

وقد كلف هذا الخطأ وأمثاله كاربوف ٢٢ رطلاً من وزنه ، خسرها في تلك المباراة ، ويقال بأنه بدأ يتردد بعدها على العيادة النفسية

ومن الأخطاء الفاحشة الأخرى التي حفظها لنا أدب الشطرنج عن كبار أبطال العالم الدور التالي ففي عام ١٩٤٦ عندما كان الفرنسي الكسندر أليخين يتربع على عرش العالم (١٩٢٧ - ١٩٣٥ و١٩٣٧ - ١٩٤٦) تحداه اللاعب السوفيتي ميخائيل بوتفينيك ، وتم الاتفاق على أن يتلاقى البطلان في مدينة لندن عام ١٩٤٧ ، لكن وفاة أليخين عام ١٩٤٦ حالت دون ذلك ، لهذا قام الاتحاد الدولي بتنظيم سلسلة من المباريات بين كبار أبطال العالم ، قوام كل منها خمس مباريات ، لاختيار بطل العالم ، وقد أسفرت هذه المباريات عن فوز ساحق لبوتفينيك

وفي المباراة التالية التي جرت في موسكو عام ١٩٤٨ بين البطل الهولندي الدكتور ماكس يو (بطل العالم ٣٥ - ١٩٣٧) ، وبين ميخائيل بوتفينيك وكان الأخير يلعب باللون الأسود (الشكل ٢)

ويتبين من الشكل أن الدكتور يو يتمتع بموقف ممتاز بفيله القوي ، وبيادقه المتقدمة في الوسط ، لكن بوتفينيك قام بنقلة مذهلة بتحريك وريره إلى ر٣ مضحياً بحصانه الذي التهمه بطل العالم الأسبق بشراهة عجيبة ، مرتكباً بذلك خطأ لا يليق حتى بالمبتدئين .

٢٢	و×هـ٥
٢٣ و-ز٧	ر-و٨
٢٤ ر-حـ٧	و×حـ

مضطراً تفاديا لكش مات ، لأنه لعب و-د٦

٢٥ ر×ب٧	هـ٣
٢٦ ر-أ٧	و-هـ١
٢٧ و×حـ٧	هـ٢

٢٨ و-ر٦ الذي يحسم الدور

ومن الجدير بالملاحظة أن بوتفينيك هو أول بطل سوفيتي للعالم ، وبعدها عض السوفييت على البطولة بالنواجذ .

وأصبحت تنتقل من بطل سوفييتي إلى آخر حتى يومنا هذا ، ولم يقطع هذه السلسلة سوى البطل الامريكي بوبي فيشر (٧٢ - ١٩٧٥) الذي اعتزل اللعب

وبعد اعتزال بوتفينيك في ١٩٧٠ أنشأ مدرسةً للشطرنج ، يعتبر كاسباروف من أبرز تلاميذها ، فالأدوار التي نراه يلعبها هي مزيج من خيال أليخين المجنح وإصرار بوتفينيك على الدقة والبحث العلمي الجاد

مسألة العدد (٣٥٥)
يونيو ١٩٨٨
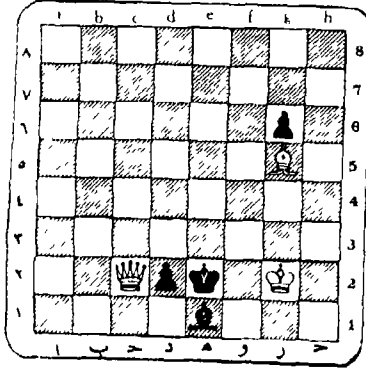
مات ٢

من إهداء القارئة رَنا رملاوي (القاهرة)

حل مسألة العدد(٣٥٣) ابريل ٨٨

١ و-أ١	ر-أ٧
٢ و-ب١	ف-جـ٧
٣ و-و١	ر-أ٨
٤ و-أ١	ر-ز٨
٥ و-حـ١ (مات)	

الفائزون بحل مسابقة الشطرنج العدد (٣٥٢) مارس ١٩٨٨

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - أمين سليمان ابراهيم - تربه/ السعودية
٢ - م . محمود حلبية - حلب/ سوريا
٣ - عبدالهادي محمد سليمان - بغداد/ العراق
٤ - صالح علي صالح - صنعاء/ الجمهورية العربية اليمنية
٥ - عبدالرزاق حسب الله - القاهرة/ ج٠م٠ع
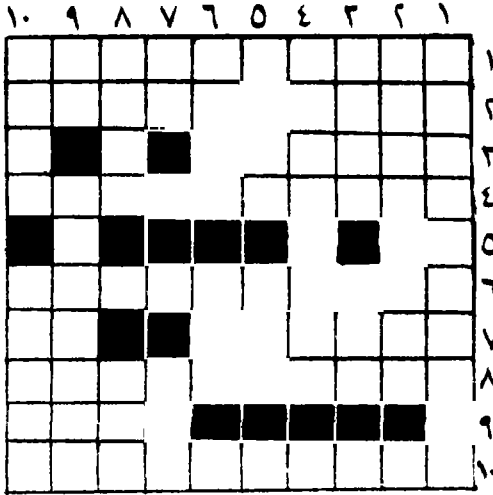
الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - إيناس يونس علي - العمرية/ الكويت
٢ - هدى نجيب زيدان - بيروت/ لبنان
٣ - أحمد خضر حسن - أم دفرس/ السودان
٤ - عبداللطيف حسين محمود - اربد/ الأردن
٥ - فاطمة أصغر علي - الرفاع الشرقي/ البحرين

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

كلمات أفقية

١ ـ أرض محاطة بالماء من معظم جهاتها
٢ ـ قطعة ضيقة من البحر بين أرضين ، حجر داكن من أصل بركاني
٣ ـ أراض مستنقعية، تجدها في ودّي
٤ ـ غير عضوي ، أضحى ليّناً
٥ ـ يعمل بالآلة وليس باليد
٦ ـ أصلح ، كثير المستنقعات
٧ ـ مراكب صغيرة ، تجدها في موج
٨ ـ يروي ، شكل من أشكال الأكسجين
٩ ـ يرجع إليه مرة بعد مرة ، سوى
١٠ ـ اسم يطلق على العراق

كلمات رأسية

١ ـ جهة فرعية تستخدم لتحديد المكان الجغرافي
٢ ـ عصاب مبعثرة ، يحدث في المواسم
٣ ـ ينبهه أو يحذره مبعثرة ، ذو قرون
٤ ـ ساق (للاثنين) معكوسة ، تجدها في (يرمي حجرا)
٥ ـ بقايا ، شرب ثانية أو مرة بعد مرة
٦ ـ بئر عميقة ، يخلط بالماء أو السمن ، ظرف يسأل به عن المكان
٧ ـ طعام ، يتجه نحو
٨ ـ يبعد ، قَلَّ الشَّعْرُ
٩ ـ تجدها في رمل ، الشعر القديم
١٠ ـ هطول ، شعب ذو حضارة عريقة

حل مسابقة العدد الماضي مايو ١٩٨٨
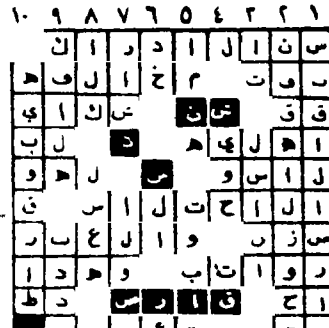
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	س	ن	ا	ل	ا	د	ر	ا	ك	
٢	ب	ف	ت		م	خ	ا	ل	ف	هـ
٣	ق	ق		ش	ن		ش	ك	ا	ي
٤	ا	هـ	ل	ي	هـ		د		ل	ب
٥	ل	ا	س	و		س		ل	هـ	و
٦	ا	ل	ا	ح	ت	ل	ا	س		ق
٧	س	ز	ن		و	ا	ل	ع	ب	ر
٨	ر	و	ا	ت	ب		و	هـ	د	ا
٩	ا	ح		ق	ا	ر	س		د	ط

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي» بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

حوار القراء

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الكويت

مناقشة في مقولة المراهقة الفكرية

● جاء بمقال الدكتور فؤاد زكريا « المراهقة الفكرية » بالعدد ٣٥١ فبراير ١٩٨٨ ، أن الحضارية العربية تميزت عن الحضارة العربية الاسلامية بالنظم والمؤسسات التي تطورت بعد فترة طويلة ، وفرضت نفسها على الجميع

ونود ان نناقش كاتب المقال فيما انتهى اليه في مقاله ، فالحضارة العربية تحاول أن تفرض فكرها ومذاهبها وقيمها على الأمم والحضارات ، وإن الاستعمار قد حاول ذلك فترة احتلاله للعالم الاسلامي والامة العربية بوسائل مختلفة ، أهمها الصحافة والتعليم والتربية ، وخرجت الجامعات والبعثات عديدا من المثقفين الذين اعتنقوا هذه النظريات ، فشكلوا قوة جديدة معارضة للقيم السائدة في الفكر العربي والاسلامي

إن الفكر العربي الاسلامي لم يغلق نوافذه في مواجهة الفكر الواعي والانساني ، فهو فكر مفتوح ، قادر على التلقي لكل نزعات التطور والتغير ، ولن يستطيع فكر أن يتوقف عن تلقي المؤثرات الاجنبية ، فالتوقف عن قبول المؤثرات الاجنبية هو مظهر للعجز ، وقبول المؤثرات الاجنبية كاملة هو مظهر للنقص ، فنحن نعرف أن الفكر الذي لاتصل اليه مؤثرات أجنبية يتعرض للجمود والتدهور ، لكن يجب أن نكون قادرين على قبول هذه المؤثرات على قاعدة فكرنا وعقائده وأسسه ، ونדלل على صحة رأينا هذا بأن دراسة الفكر العربي الاسلامي تقوم على المناهج العلمية العربية ، ولا جرم في ذلك من وجهة نظرنا ، وحتى يكون للعرب مناهج علمية خاصة بهم ومن ابتكاراتهم ونستشهد بكتابات الدكتور زكي نجيب محمود الذي كرس معظم سنوات حياته ينهل من الفكر العربي والفلسفات العربية أكثر من أربعين سنة ، ثم عاد من رحلته مع الفكر العربي ليعترف ويكشف ويفيد ، ويبين أصالة فكرنا العربي ، فينتج لنا من كتبه الاخيرة ما تستمتع العقول ببهجته ، ولا تمل الابصار من النظر فيه ، ولا تكل العزيمة من تكرار الرجوع إليه ، ومن هذه الكتب « المعقول واللامعقول » ، و « تجديد الفكر العربي » ، و « وثقافتنا في مواجهة العصر » ويذهب الدكتور زكريا الى القول بأن الحضارة العربية تميزت عن الحضارة الاسلامية بالنظم والمؤسسات التي تطورت بعد خبرة طويلة ، وفرضت نفسها على الجميع ، ويرى أن الحكم على أي حضارة ينبغي أن

يصب على ما وصعته لمفسها من النظم والمؤسسات ، وليست على المستوى الاحلاقي أو الاجتماعي لسلوك أفرادها أيا كان عددهم وورنهم ونحن نعارض هذا القول حيث أن هذه النظم التي يتحدث عنها الدكتور فؤاد ذكريا ليست بالشكل المثالي المطلوب ، فهو يناقضها في مقال له في مجلة العربي بعنوان « أمريكا ـ حقل تجارب العالم » ، إذ هو يرى أن وسائل الاعلام ونظمها هي التي تشكل عقل الامريكي ونظرته الى الحياة والعالم المحيط به بالطريقة التي يريدها المهيمنون على أجهزة الاعلام الجبارة ، فهم الذين يسيطرون على أساليب التفكير وطرق السلوك في المجتمع بأسره ، لاعن طريق الرقابة أو القهر المباشر بل بطرق خفية من التحكم والسيطرة والاقناع لايشعر بها الخاضع لها شعورا واعيا ، فتكون النتيجة أن يصبح هذا الانسان حتى في أبسط تفصيلاته وقراراته اليومية انسانا مسيرا لامخيرا ، وهذا معناه أن النظم والمؤسسات الاعلامية الامريكية تلعب دورا جبارا في تشكيل العقل البشري ببراعة ودهاء وختاما نشكر أستاذنا على مقاله القيم ، وما هيأه لنا من مراجعة واطلاع في الموضوع

محمد فؤاد محمد علي
القناطر الخيرية
جمهورية مصر العربية

الدولة العثمانية والمستعمرات الصهيونية

● الاستاذ الدكتور رئيس التحرير المحترم

تحية طيبة وبعد

طالعت العدد ٣٥٠ يناير ١٩٨٨ من مجلة العربي ، ولقد لفت انتباهي تعقيب الاستاذ قسطنطين حمار على مقال الاستاذ فتحي رضوان حول « هل كان الرجل المريض مريضا ؟ » حيث ذكر أن الصهيونية عجزت أن توطن يهوديا واحدا أو تنشيء مستعمرة بموافقة الدولة العثمانية

وإن « العربي » تستحق الاحترام والتقدير ، ذلك أنها مجلة تعطي مجالا واسعا للثقافة الناصعة ، ولأن الأمر يتعلق بقضية « العرب » الأولى ، ولأي واحد من أبنائها فمن المناسب أن أعقب على تعقيب الاستاذ قسطنطين وأضيف بأن الحقائق التاريخية أمر لايمكن ولايصح أن يجري التعتيم عليه لاعتبارات قد يكون منها ما يؤمله الفرد ، أو ما يرغب فيه ، والاستاذ فتحي رضوان كان يؤمل أو يرغب ، لكن تظل الحقيقة التاريخية بارزة على الرغم من الاماني والرغبات ، وكان من حق الاستاذ قسطنطين أن يعقب موضحا لأن الحق أحق أن يتبع ، لكن الاستاذ قسطنطين أغفل مع الاسف أو سها عن ايراد أسماء عشر مستعمرات بالاضافة الى ما أورده في تعقيبه وفيما يلي بيان بها

قضاء صفد	سنة التأسيس
١ ـ كفار جلعادي	١٩١٦
٢ ـ ايلت هشحرة	١٩١٨/٦/٣٠

- قصاء طبرية	سنة التأسيس
٣ - نهيئيل	١٩٠١
٤ - بيت حن	١٩٠٤
٥ - مجموعة كرت	١٩٠٩
قصاء حيفا	سنة التأسيس
٦ - جبعة عدا	١٩٠٣
٧ - كركور	١٩١٣
٨ - عن شموئيل	١٩١٣
قصاء الرملة	سنة التأسيس
٩ - بن شمن	١٩٠٦
١٠ - نحلة يهودا	١٩١٤

عبد العظيم سليمان أبو مصبح

جرش - الأردن

عادة نشر المقالات السابقة

● الاستاذ الدكتور رئيس تحرير مجلة العربي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنني أحد قراء مجلتكم المحبوبة ، فأنا أتابعها بشغف كل شهر ، وأحيانا تحويني الفرصة فلا أجدها ، ولي بعض الاقتراحات على أبواب المجلة ، منها أن تعيدوا نشر بعض المقالات التي تم نشرها سابقا في أعداد المجلة الاولى ، وأن تستحدثوا بابا جديدا تنشرون فيه بعض المصطلحات العربية كمعجم صغير أو يضاف الى باب « جمال العربية » ، كذلك ايجاد باب جديد تجيبون فيه عن أسئلة القراء الثقافية إذا كان ذلك ممكنا ، كما أني أكون شاكرا لو أفدتموني عن كيفية الحصول على بعض أعداد مجلتكم التي فاتني الحصول عليها

محمد عبده عسيري

ابها - المملكة العربية السعودية

نشكرك على اهتمامك الفائق بالمجلة ومتابعتك لموادها ، أما بخصوص نشر بعض المقالات السابقة ، فان المجلة تقوم بذلك ضمن سلسلة كتاب « العربي » الذي يحتوي كل اصدار منها على موضوعات مختلفة لكاتب معين ، او موضوع واحد لكتاب مختلفين ، وقد صدر الكتاب الأول منها سنة ١٩٨٤ ، أما المصطلحات العربية والأسئلة الثقافية فإن المجلة تقوم بالاجابة عن كل ما يرد إليها من استفسارات خلال الابواب المناسبة ما أمكن ذلك ، وللحصول على الاعداد السابقة من المجلة ، يمكنك الكتابة مباشرة إلى المكتب الفني بوزارة الاعلام الكويتية ، وسيعملون على توفير كل ما تحتاجه من أعداد ناقصة

حوار القراء

رابطة شبابية عربيـــة

● الاستاذ الدكتور رئيس التحرير

من منطلق الهدف النبيل تجاه أمتي العربية ، ومكانة مجلة العربي لدى القراء ، ومكانة دولة الكويت في قلوب العرب ، والامكانات التي لديكم في المجلة من أجل الدعوة الى وحدة أمتنا العربية ، فإن في مقدور أمتنا أن تنهض ، وتقف على أعتاب المسئولية تجاه وطنها ومقدساتها ، وهذا لن يتأتى الا بوحدة الصف العربي ، وتجاوز الاختلافات والخلافات لهذا فإنه يطيب لي أن أقترح عبر مجلتكم تكوين رابطة شبابية من أبناء الأمة العربية ، يكون لها صندوق خاص من ميزانية الجامعة العربية ، لدعم نشاطات هذه الرابطة المتمثلة في مختلف الانشطة « ثقافية - رياضية - اجتماعية »

أبو زيد خضر محمد صالح
الاقليم الشرقي / السودان

* * *

حشـــــرة السـوكيد

● إشارة الى موضوع حشرة السوكيدو (السيكادا) الذي نشر في العدد ٣٤٨ في باب السنة ، وتعليقات بعض القراء عليه في العدد ٣٥٢ مارس ١٩٨٨ م أود ان اوضح ما يلي : - أن هناك أنواعا من حشرة السيكادا وليس هناك نوع واحد . وليست جميع أنواع حشرة السيكادا تبقى ١٧ عاما في التربة ونفصل ذلك فيما يلي : -

جميع حشرات السيكادا تتبع عائلة Cicadidae ورتبة متشابهة الاجنحة Homoptera . فمثلا من انواع حشرة السيكادا حشرة Tibicen Canicularis أو ما تسمى في الولايات المتحدة الامريكية : سيكادا يوم الكلب Dog Day Cicada. وهذه الحشرة يبلغ طولها ٥ - ٦ ملم ، ذات لون اسمر ، قصيرة خيطية الرجلين رفيعة ، وعلى الاجنحة علامات خضراء اللون ، ولذكورها طنين عال ، وهذا الطنين يحدث عن عضوين موجودين على الجهة البطنية للعقدة البطنية القاعدية ، وذلك خلال أيام شهر اغسطس الحارة ، وغالبا يستمر الى شهر سبتمبر وبعد لقاء الذكور بالاناث تضع الاناث البيض على فروع الشجيرات والاشجار الصغيرة ، وقد يبقى البيض طول الشتاء أو يفقس ويسقط على الارض ، ثم تقوم الحوريات بالحفر في التربة ، وتبقى عددا من السنوات ، وفي هذا النوع من الحشرات تبقى مدة سنتين على الاكثر في التربة ، تأكل وتتغذى بجذور الاشجار ، ولا تسبب هذه الحشرات أضرارا كبيرة للاشجار ، إنما يقتصر الضرر على إحداث موت لأطراف الفروع نتيجة وضع البيض

وهناك أنواع تسمى السيكادا الدورية Magicicada Species . وتتبع نفس العائلة ، وطولها يبلغ ١٩-٣٣ ملم ، سوداء ، ذات عيون حمراء وأجنحة بها تعريق أحمر

ويوجد من هذه الحشرة ستة أنواع ، كل نوع يختلف عن الآخر باللون والحجم والطنين ودورة الحياة ، ونتناول هنا حشرة السيكادا ذات ١٧ عاما ، حيث أن المواليد

Date 11.12.89

(الحوريات) تبقى في الارض ١٧ عاما حتى تبلغ ، ومن ثم تصعد الى الهواء الطلق بغرض التزاوج ، أما الانواع الأخرى من السيكادا الدورية فتبقى حورياتها في الارض ١٣ عاما . وقد وجد أن السيكادا ذات عمر ١٧ سنة في شمال الولايات المتحدة وذات ١٣ عاما في جنوب الولايات المتحدة ، وتظهر السيكادا الدورية في أعداد هائلة في منطقة معينة من سنة الى أخرى،وتحدث الذكور منها طنينا عاليا قد يُسبب أضرارا بالأذن البشرية ولكل نوع من السيكادا طنين مميز ، والشخص الذي يألف هذه الاصوات يمكنه أن يميز الانواع عن طريق نغمة الطنين فقط ، وقد تحدث السيكادا الدورية إذا كانت في أعداد هائلة أضرارا وتلفا كبيرا لاغصان أشجار الفاكهة الصغيرة ولنبت المشاتل

عبد الله علي البير

الرياض ـ إدارة الأبحاث الزراعية ـ المملكة العربية السعودية

اقتراحــــات

● القارىء صلاح بن فايز الشولحي من الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية ـ يود أن تقوم بعمل استطلاع عن محافظة مرسي مطروح بجمهورية مصر العربية

القارىء محمد عبد الله محمد من نواكشوط ـ جمهورية موريتانيا الاسلامية ، والقارىء يوسف قاسم من محافظة ديالي بالجمهورية العراقية يودان لوقامت المجلة بعمل استطلاع عن جمهورية موريتانيا الاسلامية

القارىء فلاح خميس السويد من محافظة الحسكة ، منطقة القامل ، يقترح أن توجد المجلة بابا خاصا بالامثال العربية القديمة ، والامثال الشعبية

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يونيو ١٩٨٨م

تأليف: د. نايف خرما
د. علي حجاج

الكتاب ١٢٦

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢٢٥ أول يونيو ١٩٨٨

١- الحياة المديدة للملك أوزوالد
٢- المؤامرة

تأليف : فيليمير لوكيتش
ترجمة وتقديم : د. جمال الدين سيد
مراجعة : د. محمد موفاكو

القرآن الكريم
بسم الله الرحمن الرحيم
صخر